

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل

المقدمة لندوة

السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الأول


بسم الله الرحمن الرحيم



أعضاء اللجنة العلمية

* * *

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين أنعم علينا بإنزال الكتاب المبين، و ببعثة سيد المرسلين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وبعد: فإنَّ من أهداف هذه الجامعة المباركة العناية بالدراسات الشرعية والعربية، وخدمة ما يتصل بهما، وهذا الأصل الهام، والهدف الرئيس، والرسالة الأساسية وفق منهج سلف هذه الأمة من الثوابت التي قامت عليها بلادنا الحبيبة، ووطننا الكبير المملكة العربية السعودية، ولا أدل على ذلك من قيام ولاة أمرنا، وعلى رأسهم مليكنا المفدى خادم الحرمين الشريفين الملك/ عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير/ نايف بن عبدالعزيز - حفظهم الله - ذخراً وعزاً للإسلام والمسلمين بخدمة الوحيين وعلومهما، وما يتصل بهما، ورعاية ودعم كل عمل يتصل بهما، وجهودهم في هذا الشأن أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، ونحن في هذه الجامعة العريقة نرى أن رعاية هذه الأسس والثوابت، وتحقيق أهداف الجامعة من خلال العملية التعليمية، أو الجهود البحثية أو المناسبات والفعاليات العلمية التي تقام في الجامعة، وتحقيق تطلعات ولاة أمرنا من أوجب الواجبات الشرعية والوطنية.

وإن من أبرز الجهود المعاصرة وأعمقها أثراً وأبلغها معالجة ما يتصل بالمنهج السلفي، فالمتأمل في واقع هذه البلاد المباركة، والوطن الغالي المملكة العربية السعودية يجد أنها على هذا النهج السديد، والأس القيم، منذ قيامها في دورها الأول ثم وصولاً إلى عهد المؤسس المجاهد الملك الصالح/ عبدالعزيز ابن عبدالرحمن - طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه- وامتد ذلك في أبنائه البررة فأثمر ذلك لحمة متماسكة بين القيادة والشعب، والحكام والمحكومين، بصورة

أثبتت قوتها وتماسكها في ظل الفتن، فالناس من حولنا يتخطفون وتحصل لهم الفتن والمشاكل والقلاقل التي نسأل الله تعالى أن يحقن دماءهم، ويجمع كلمتهم.

ونحن في هذه البلاد ننعم بنعم لا تعد ولا تحصى ولا يمكن أن تستقصى، لأن هذه البلاد انطلقت وسارت على منهج القرآن والسنة الذي هو منهج السلف الصالح، ورعت ذلك وطورته ونمته وفق ما تحتاجه الحوادث والنوازل والأقضيات المتجددة، ومن هنا لابد من تجلية هذه المنهج وتوضيحه، وربط هذا الواقع المعاش بهذه الثوابت التي هي سر العز والنصر والتأييد والتمكين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ النور: ٥٥.

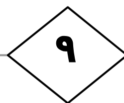
إن من يتابع ما حققه وقرره قادة هذه البلاد منذ عهد المؤسس العظيم الملك/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن – طيب الله ثراه- ومرورا بأبنائه الميامين الأماجد الذين ما فتئوا يقررون السير على هذا النهج ليرى ما يسر خاطره، ويقر عينه، ويطمئن نفسه، ويبعثه على مزيد من الفأل والعطاء من الاستمساك بنصوص الوحيين في كل الشؤون سواء في العقيدة والعبادات والأخلاق وفي العلاقات والتعاملات، وقبل ذلك صلة أهل هذه البلاد بربهم، وما يجب عليهم تجاه وطنهم ومجتمعهم، وقد رأينا كثيراً من المقولات والنقولات التي تؤكد على أنها هذه الدولة سُنيّة سَنِية سلفية، سارت على هذا الأصل وأكدته وتواردت عليه.

فها هو الملك/ عبدالعزيز –رحمه الله- يقرر ذلك ويقول: أنا سلفي والسلفية منهجي ونهج آبائي ولن نحيد عن هذا النهج، وثمة أقوال كثيرة من خطبه وأقواله تؤكد هذا الالتزام، ثم أبناؤه يجعلون ذلك واقعاً حياً، ويظهرون ذلك بحديث الأقوال والأفعال، فالحمد لله الذي وفقهم وثبتهم.

وها هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تلك الجامعة الشرعية العربية العلمية الوطنية العالمية تنهض بدورها وتقوم بمسؤوليتها تجاه هذه الأسس والأصول انطلاقا من رسالتها وأهدافها التي قامت عليها ولازالت، محققة المعادلة المهمة في الحفاظ على الأصول والأسس والثوابت والأخذ بتطورات العصر وتقنياته ووسائله، مما حقق لها مكانة مرموقة في منظومة الجامعات الوطنية والعالمية.

تعقد هذه الندوة وفق رؤية شرعية علمية معاصرة، وتسعى من خلالها إلى تحقيق أهداف غاية في الأهمية جسدت في محاورها التي يؤمل منها أن تغطيها وتحققها من خلال تلك المشاركات التي أسهم منها علماء وأكاديميون وباحثون من بضع عشرة دولة، لتخرج في صورتها النهائية عملاً عميقاً استراتيجياً في بيان حقيق السلفية وارتباطها بالمملكة العربية السعودية منهجاً وتطبيقاً وحكماً وتحاكماً وقد حظيت برعاية كريمة ودعم غير محدود، وتشريف بحضور المناسبة من أمير السنة والأمن والفكر، صاحب العقل الكبير، والمواقف السديدة، والرؤى المؤثرة، والبصيرة النافذة، صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمين/ نايف بن عبدالعزيز آل سعود- حفظه الله ووفقه- وذلك في الفترة من ٢/٢- ١٤٣٣/٢/٤هـ.

ويعد هذا العمل من الأعمال الفريدة والجهود المميزة لهذه الجامعة في إطار هذه الندوة سواء في موضوعها أو ما يؤمل منها لما تميز به من شمولية في المعالجة، وطرق محاور لم يسبق تناولها، والجمع بين التأصيل الشرعي والجدة في الطرح والأسلوب، وتنوع اختصاصات المشاركين ولغاتهم من قارات العالم، واستثماراً لهذا الجهد وتفعيلاً لتلك المخرجات قامت الجامعة بتقديم هذه الأبحاث في هذا السِفر المبارك إلى المتخصصين والباحثين والمهتمين بهذا



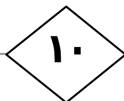
الأصل والمنهج، وفي الوقت نفسه تضع لبنة مهمة في البناء الاستراتيجي؛ لتدعو بهذا العمل الجليل إلى جهود مشتركة لحماية هذا المنهج القويم.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أرفع الشكر والثناء والتقدير لله جل وعلا أولاً وآخراً، فهو الذي منَّ بهذه الآلاء ووفق وسدد الآراء، ثم الشكر لأولئك الرجال الأوفياء، والأفذاذ الأماجد الذين نذروا أنفسهم في خدمة الدين والوطن، إنهم ولاة أمرنا، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين/ الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير/ نايف بن عبدالعزيز –حفظهم الله تعالى- على ما يقدمونه من دعم لكافة القطاعات التعليمية عامة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خاصة، فجزاهما الله خيراً، وأعَزّ بهم دينه، وأعلى بهم كلمته، وأدام على هذه البلاد نعمة الأمن والإيمان.

والشكر موصول لمعالي وزير التعليم العالي الأستاذ الدكتور/ خالد بن محمد العنقري على كريم توجيهه ورعايته، ولفضيلة وكيل الجامعة لشؤون المعاهد العلمية رئيس اللجنة التحضيرية، وللجان العاملة في اللجنة، على ما بذلوه من جهود حثيثة، حتى وصلنا إلى هذه اللحظات التي نجني فيها الثمار، ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه نافعاً لعباده، إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير الجامعة

أ. د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل





بحوث
المحور الأول



مصطلح السلفية

حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح

تأليف:

مفتي عام موريتانيا وإمام وخطيب الجامع الكبير بنواكشوط

الشيخ/ أحمد ولد المرابط الشيخ محمد الشنقيطي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنه لن يصلح آخِر هَذِهِ الأمَّةِ إلاَّ بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا مِنَ التمسك بالكتاب والسنة والسير على منهج السلف الصالح، والإقتداء بهم، ومنهج السلف الصالح ليس شعاراً يطلق، ولا عنواناً يرفع، وإنما هو سبيل يسلك، واعتقاد يلتزم، وطريق يهتدى به، ولتعريف منهج السلف الصالح وتوضيحه، وإبراز ملامحه، ومكانته، وحكم الانتساب إليه، استجبت للمشاركة في ندوة: «السلفية منهج شرعي ومطلب وطني»- التي تعتزم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إقامتها- ببحث حول: «مصطلح السلفية حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح».

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وخمسة عناصر، وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على خطة البحث.

العنصر الأول: معنى السلفية في اللغة.

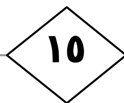
العنصر الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي.

العنصر الثالث: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد.

العنصر الرابع: حكم الانتساب إلى السلفية.

العنصر الخامس: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.



العنصر الأول

معنى السلفية في اللغة.

تعريف السلفية في اللغة:

يطلق لفظ السلف في اللغة على عدة معان، جميعها تدور على معنى الْمُضِيِّ والتقدُّمِ والسبقِ الزمنيِّ.

قال ابن فارس- رحمه الله تعالى- : "السِّينُ وَاللامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمٍ وَسَبْقٍ، مِنْ ذَلِكَ السَّلَفُ: الَّذِينَ مَضَوْا، وَالْقَوْمُ السُّلَّافُ: الْمُتَقَدِّمُونَ، وَالسُّلَافُ: السَّائِلُ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ قَبْلَ أَنْ يُعْصَرَ، وَالسُّلْفَةُ: الْمُعَجَّلُ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ الْغَدَاءِ، وَالسُّلُوفُ: النَّاقَةُ تَكُونُ فِي أَوَائِلِ الإِبِلِ إِذَا وَرَدَتْ، وَمِنَ الْبَابِ السَّلَفُ فِي الْبَيْعِ، وَهُوَ مَالٌ يُقَدَّمُ لِمَا يُشْتَرَى نَسَاءً، وَنَاسٌ يُسَمُّونَ الْقَرْضَ السَّلَفَ، وَهُوَ ذَاكَ الْقِيَاسُ لأَنَّهُ شَيْءٌ يُقَدَّمُ بِعِوَضٍ يَتَأَخَّرُ"(١).

يقال: سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً: أي تقدَّم ومضى، والسَّالِفُ: المتقدمُ، والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ: الجماعَةُ الْمُتَقَدِّمُونَ، والأُمم السَّالِفَةُ الْمَاضِيَةُ أَمَامَ الْغَابِرَةِ وتُجْمع على سَوالِفَ،

وَمِنْهُ قَوْلُ الشاعر:

ولاقَتْ مناياها القُرونُ السَّوالِفُ كذلك تَلقاها القرون الخوالِف(٢).

أي يموت من بقِيَ كما ماتَ من مَضَى.

---

(١) – ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٥/٣.

(٢) – البيت في التهذيب وللسان غير منسوب، ينظر: تهذيب اللغة: ٢٩٩/١٢، ولسان العرب: ١٥٨/٩.

والقومُ السُّلاَّفُ: الْمُتَقَدِّمُونَ، وسَلَفُ الرَّجُلِ: آباؤُه الْمُتَقَدِّمُونَ، وَالْجَمْعُ أَسْلاف وسُلاَّفٌ، والسَّلَفُ أَيضاً: كلُّ عملٍ قدَّمه العبدُ، والسَّلَفُ الْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي السَّيْرِ، وَمِنْه قَوْلُ الشاعر:

لَوْ عَرَّجُوا ساعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضَحِّى جِمَالَهُ السَّلَفُ[١].

والسَّلُوفُ: الناقةُ تَكُونُ فِي أَوائل الإِبل إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ، وَيُقَالُ: سَلَفَتِ الناقةُ سُلُوفاً تَقَدَّمَتْ فِي أَول الوِرْد، والسَّلُوفُ: السَّرِيعُ مِنَ الخيل وجمعه سُلُفٌ، بِالضَّمِّ، والسَّلَفُ أَيضاً: كلُّ شَيْءٍ قدَّمه العبدُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَو وَلَدٍ فَرَط تَقَدَّمه، فَهُوَ لَهُ سَلَفٌ، وَقَدْ سَلَفَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، والسَّلَفُ أَيضاً: مَنْ تقدَّمَك مِنْ آبَائِكَ وَذَوِي قَرابَتِك الَّذِينَ هُمْ فوقَك فِي السنِّ والفَضْل، وَاحِدُهُمْ سَالِفٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشاعر:

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السبيلِ عليهمُ وصَرْفُ المَنايا بالرِّجال تَقَلَّبُ[٢].

أَراد أَنهم تَقَدَّمُونَا وقَصْدُ سَبِيلِنا عَلَيْهِمْ أَي نَمُوْتُ كَمَا مَاتُوا فَنَكُونُ سَلَفاً لِمَنْ بَعْدَنَا كَمَا كَانُوا سَلَفًا لَنَا.

---

(١) – البيت للشاعر قَيس بنِ الخَطِيمِ الأوسي، وهو من قصيدة من بحر المنسرح، مطلعها:

رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فَانصَرَفوا ماذا عَلَيهِم لَو أَنَّهُم وَقَفوا. ينظر: ديوان قيس بن الخطيم: ص١٠١.

(٢) – البيت للشاعر طُفيل بن عوف الغَنَوي، يَرْثي به فرسان قَوْمَهُ، وهو من قصيدة من بحر الطويل، مطلعها:

تَأَوَّبَني هَمٌّ مَعَ اللَيلِ مُنصِبُ وَجاءَ مِنَ الأَخبارِ ما لا أُكَذِّبُ. ينظر: ديوان الطفيل: ص٥٢.

وسُلافُ الْخَمْرِ وسُلافَتُها: أَوَّل مَا يُعْصَر مِنْهَا، وسُلاَّفُ العَسْكر: مُتَقَدِّمُتُهم، وسَلَفْتُ الْقَوْمَ وأَنا أَسْلُفُهم سَلَفاً إِذَا تقدَّمْتهم، وسَالِفَةُ الفرَس: مَا تقدَّم مِنْ عُنقه، والسَّالِفَةُ صَفْحة الْعُنُقِ، وفِي الحديث: «..فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ.. »[(١)]. قَوْلُهُ حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي السَّالِفَةُ بِالْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ اللام بَعْدَهَا فَاءٌ صَفْحَةُ الْعُنُقِ، وَكَنَّى بِذَلِكَ عَنِ الْقَتْلِ لأنَّ الْقَتِيلَ تَنْفَرِدُ مُقَدِّمَةُ عُنُقِه[(٢)].

والتَّسْلِيفُ: التَّقديم، والسَّلَفُ فِي المُعاملات لَهُ مَعْنَيَانِ: أَحدهما القَرْضُ الَّذِي لاَ مَنْفَعَةَ فِيهِ للمُقْرِض، فيقال: أَسْلَفَه مالاً وسَلَّفَه أي أَقْرَضه، وَالْمَعْنَى الثَّانِي ما يُعْرَفُ ببيع السَّلَم، وهو نَوْعٌ مِنَ الْبُيُوعِ يُعَجَّل فِيهِ الثَّمَنُ وَتُضْبَطُ السِّلْعَةُ بِالْوَصْفِ إِلَى أَجل مَعْلُومٍ، يُقَالُ سلَّفْتُ وأَسْلَفْتُ تَسْلِيفاً وإِسْلافاً وأَسْلَمْتُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَالاسْمُ السَّلَف[(٣)].

---

(١) – أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد: ص٥٢٢، ح٢٧٣١، ح٢٧٣٢.

(٢) – ينظر: فتح الباري: ٣٩٩/٥.

(٣) – تنظر هذه المعان اللغوية في الكتب التالية: كتاب العين: ٢٥٨/٧، وجمهرة اللغة: ٨٤٧/٢، وتهذيب اللغة: ٢٩٩/١٢، والصحاح: ١٣٧٦/٤، وأساس البلاغة: ٤٦٩/١، ومختار الصحاح: ص١٥٢، ولسان العرب: ١٥٨/٩، والمصباح المنير: ٢٨٥/١، والقاموس المحيط: ص٨٢٠، وتاج العروس: ٤٥٣/٣٢.

العنصر الثاني

معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي.

ورد لفظ السلف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها تدل على الْمُضِيِّ والتقدُّمِ والسبقِ الزمنيِّ، كما هو الحال في اللغة العربية، وبيان ذلك فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾[1].

معناه: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ من ربه» فَانْتَهَى عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، وَارْتَدَعَ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ، وَانْزَجَرَ عَنْهُ «فَلَهُ مَا سَلَفَ» يَعْنِي مَا أَكَلَ وَأَخَذَ فَمَضَى قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّحْرِيمِ مِنْ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾[3].

معناه: «إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ» أي: إلاَّ ما تقدم ومضى مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَشِرْكِهِمْ[4].

وقال سبحانه: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾[5].

معناه: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ الْجَمْعُ بَيْنَ الأخْتَيْنِ«إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ»، أي لَكِنْ مَا قَدْ مَضَى مِنْكُمْ فِي الجَاهِلِيَّة قَبْلَ التحريم فإن الله كان غفوراً لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا إِلَيْهِ مِنْهَا[6].

---

(١) — سورة: البقرة، من الآية: ٢٧٥.

(٢) — ينظر: تفسير الطبري: ٥/ ٤٤.

(٣) — سورة: النساء، من الآية: ٢٢.

(٤) — ينظر: تفسير الطبري: ٥٤٨/٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٦.

(٥) — سورة: النساء، من الآية: ٢٣.

(٦) — ينظر: تفسير الطبري: ٥٦١/٦.

وقال تعالى: ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ (١).

معناه: عَفَا اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنْ إِصَابَتِكُمُ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَقَتْلِكُمُوهُ، فلا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَانَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ إِيَّاهُ عَلَيْكُمْ (٢).

وقال عز وجل: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٣).

معناه: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الكُفْرِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقِتَالِكَ وَقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ مَا قَدْ خَلَا وَمَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمْ (٤).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ (٥).

معناه: على قراءة العامة: «تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ» بالباء، أي: عِنْدَ ذَلِكَ تُخْتَبَرُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وعلى قراءة حمزة والكسائي: «تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ» بالتاء، معناه: هُنَالِكَ تَتْبَعُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ فِي الدُّنْيَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ، وقيل معناه: تَتْلُو كِتَابَ حَسَنَاتِهَا وَسَيِّئَاتِهَا، يَعْنِي تَقْرَأُ ما قدمت (٦).

وقال الله عز وجل: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ (٧).

---

(١) — سورة: المائدة، من الآية: ٩٥.

(٢) — ينظر: تفسير الطبري: ٧١٢/٨، وأحكام القرآن لابن العربي: ١٩٤/٢.

(٣) — سورة: الأنفال، من الآية: ٣٨.

(٤) — ينظر: تفسير الطبري: ١٧٦/١١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٤٤/١، والبحر المحيط في التفسير: ٣١٨/٥.

(٥) — سورة: يونس، من الآية: ٣٠.

(٦) — ينظر: تفسير الطبري: ١٧٣/١٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١١٧/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٤٨٨/١٠.

(٧) — سورة: الزخرف، الآية: ٥٦.

قرأ عامة القراء: «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً» بِفَتْحِ السِّينِ وَاللاَّمِ، جمع سَالِفٍ، وقرأ حمزة والكسائي: «فَجَعَلْنَاهُمْ سُلُفاً» بِضَمِّ السِّينِ وَاللاَّمِ، جمع سَلِيفٍ، ومعناه على القراءتين: فَجَعَلْنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْرَقْنَاهُمْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ مُقَدَّمَةً يَتَقَدَّمُونَ كُفَّارَ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى النَّارِ، وَكُفَّارُ قَوْمِكَ لَهُمْ بِالأَثَرِ [١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [٢].

معنى: «بِما أَسْلَفْتُمْ» أَيْ: بما قَدَّمْتُمْ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، «فِي الأَيَّامِ الْخالِيَةِ» يَعْنِي أَيَّامَ الدُّنْيَا [٣].

وورد لفظ السلف في السنة النبوية كذلك بمعنى الْمُضِيِّ والتقدُّمِ والسبقِ الزمنيِّ، كما هو الحال في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، ومن ذلك ما يلي:

١- عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: لفاطمة- رضي الله عنها-، «.. وَلاَ أُرَانِي إِلاَّ قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ..» [٤].

قال مجد الدين بن الأثير- رحمه الله تعالى- : "قوله «نِعْم السلف»، السلف: الماضون، أي: نعم ما تقدَّم لك مني، لأن السلف: ما تقدَّم من الآباء والأجداد" [٥].

---

(١) – ينظر: تفسير الطبري: ٦١٨/٢٠، والجامع لأحكام القرآن: ٦٤/١٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٧٧/٣.

(٢) – سورة: الحاقة، الآية: ٢٤.

(٣) – الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٨/٢١، والبحر المحيط في التفسير: ٢٦١/١٠.

(٤) – أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس: ص١٢١٠، ح٦٢٨٥، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنها: ص١١٤٧، ح٢٤٥٠.

(٥) – ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: ١٢٩/٩.

٢- عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- ، قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو قائم على المنبر، يقول: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ..»[(١)].

قال الحافظ بن حجر- رحمه الله تعالى- : "مَعْنَاهُ أَنَّ نِسْبَةَ مُدَّةِ هَذِهِ الأمَّةِ إِلَى مُدَّةِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأمَمِ مِثْلُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى بَقِيَّةِ النَّهَارِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا سَلَفَ"[(٢)].

مصطلح السلف عند العلماء: لفظ السلف عند العلماء له اعتباران:

الاعتبار الأول: هو الاعتبار الزمني:

فإذا أطلق لفظ السلف فإنه ينصرف إلى أهل القرون الثلاثة الأولى، التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون. فعن عمران بن حصين- رضي الله عنهما- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثاً- ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[(٣)].

فالمقصود بالسلف من الناحية الزمنية هم أصحاب هذه القرون الثلاثة المفضَّلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية، ويطلق عليهم وصف السلف الصالح.

لأن هذه الفترة تمثل نزول الوحي ونقاء النبع وصفائه قبل مرحلة الاختلاط والعجمة، وانتشار الفرق، وفشو البدع، فأصحاب هذه القرون هم أفضل الأمة

---

(١) – أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب: ١٢٤، ح٥٥٧.

(٢) – ينظر: فتح الباري: ٢/ ٤٧.

(٣) – أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم: ص٦٩٧، ح٣٦٥٠، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم: ص١١٧٧، ح٢٥٣٢.

وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون والأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة[1].

قال الحافظ بن حجر- رحمه الله تعالى- : "واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله مَنْ عاشَ إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدعُ ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلةُ ألسنتها، ورفعت الفلاسفةُ رءوسها، وامْتُحِنَ أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم يفشو الكذب» ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات"[2].

الاعتبار الثاني: هو الاعتبار المنهجي:

فقد أصبح مصطلح السلف علماً على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، وهذا هو المقصود بمصطلح السلفية، فعندما يطلق لفظ السلفية أو السلفي فإنما يراد به الانتساب إلى الطريقة والمنهج الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما، فمن سار على المنهج الذي اعتمدوا عليه في فهم الكتاب والسنة، وساروا عليه في اعتقاداتهم، ومعاملاتهم، وأحكامهم، وتربيتهم، وتزكية نفوسهم فهو سلفيٌّ، وإن عاش في عصور متأخرة، فالانتساب إلى السلفية: هو انتساب إلى منهج السلف الصالح: إيماناً واعتقاداً، فقهاً وفهماً، عبادة وسلوكاً، تربية وتزكية.

والسلفيون: هم الملتزمون بما التزم به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، السائرون على نهجهم، المقتفون أثرهم، سواء أكانوا فقهاء أم محدِّثين أم مفسرين.

---

(١) – ينظر: مجموع الفتاوى: ١٢٦/٣، ١٥٩.

(٢) – ينظر: فتح الباري: ٦/٧.

فالانتساب إلى السلف انتساب إلى خير القرون، وليس انتساباً إلى شخص أو جماعة أو تنظيم.

هذا هو ما يقتضيه حدُّ السَّلَفِ والسَّلَفِيَّةِ لغةً واصطلاحاً، نسبةً، ووصفاً.

قال السمعاني- رحمه الله تعالى- : "السَلَفِيُّ بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم على ما سمعت"[١].

وقال الذهبي- رحمه الله تعالى- : السَّلَفِيُّ بِفَتحتين وَهُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَب السَّلَف، وَمِنْهُم: أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَبْدِ اللهِ السَّرْخَسِيّ، يَرْوِي عَنْ أَبِي الفِتْيَانِ الرَّوَّاسِيّ[٢].

وقال أيضاً في وصف الحافظ الدارقطني: "لَمْ يَدْخلِ الرَّجُلُ أَبداً فِي علم الكَلاَمِ وَلاَ الجِدَالِ، وَلاَ خَاضَ فِي ذَلِكَ، بَلْ كَانَ سلفياً"[٣].

وقال أيضاً في الصفات التي ينبغي أن يكون عليها حفاظ الحديث: "..فالَّذِي يحتَاج إِلَيْهِ الحَافِظُ: أَن يَكُون تقياً ذكياً، نَحْوِياً لُغَوِياً، زكياً، حَيِياً، سَلَفياً"[٤].

وقال أبو عمر بن عبد البر- رحمه الله تعالى- : وَالْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ لاَ يُدْرَكُ بِجِدَالٍ، وَلاَ يَشْفِي مِنْهُ مَقَالٌ، وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الآثَارُ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِيهِ[٥].

وقال عبد الحق بن عطية- رحمه الله تعالى- : "وكان جِلَّةٌ من السَّلَف كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبيِّ، وغيرِهما، يُعَظِّمُون تفسيرَ القرآن، ويتوقَّفُون عنه تورُّعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم، وتقدُّمهم، وكان جِلَّةٌ منَ السَّلَف كثيرٌ عددُهم يُفسِّرونه"[٦].

---

(١) – ينظر: الأنساب: ١٦٨/٧.
(٢) – ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/٢١.
(٣) – ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤٥٧/١٦.
(٤) – ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٨٠/١٣.
(٥) – ينظر: الاستذكار: ٢٦٦/٨.
(٦) – ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤١/١.

العنصر الثالث

صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد.

إن صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هي صلة السلف الصالح بالإسلام، وهذا واضحٌ بَيِّنٌ من خلال التعريف السابق للسلفية، حيث ذكرتُ فيه: أن المقصود بمصطلح السلفية هو الانتساب إلى الطريقة والمنهج الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، في اعتقاداتهم، ومعاملاتهم، وأحكامهم، وتربيتهم، وتزكية نفوسهم، ومعلوم أن الصحابة ومن تبعهم بإحسان، من التابعين وتابعي التابعين كانوا على الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وقد نطق القرآن الكريم والسنة النبوية بفضلهم والثناء عليهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1].

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أي: الذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم، والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه، والذين اتبعوهم بإحسان أي: والذين

(١) – سورة: التوبة، من الآية: ١٠٠.

سلكوا سبيلهم واتبعوهم بالإيمان والطاعة ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾، ويدخل في هذا اللفظ التابعون وتابعهم بإحسان[1].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[2].

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ أي: غلاظ عليهم، ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي متعاطفون متوادون، يرحم بعضهم بعضا، ويعطف بعضهم على بعض[3]. كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[5].

والذين جاءوا من بعدهم: يعني التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم ذكر أنهم يدعون بالمغفرة لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان، فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا

---

(١) – ينظر: تفسير الطبري: ١١/٦٣٧، ومعالم التنزيل في التفسير: ٤/٨٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/٩٥، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٧٠٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥/٤٩٤، وتفسير ابن كثير: ٦/٤٢٣.

(٢) – سورة: الفتح، من الآية: ٢٩.

(٣) – ينظر: معالم التنزيل في التفسير: ٧/٣٢٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/١٤٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/١٣٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/٣٤٤، وتفسير ابن كثير: ٦/٤٢٣.

(٤) – سورة: المائدة، من الآية: ٥٤.

(٥) – سورة: الحشر، الآية: ١٠.

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: غشاً وحسداً وبغضاً، فمن كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين المتبعين بإحسان[1].

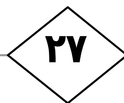
وقد استنبط إمام دار الهجرة: الإمام مالك بن أنس- رحمه الله تعالى- من هذه الآية الكريمة: أن الذي يسب الصحابة أو في قلبه عليهم غِلٌّ ليس له حقٌّ في فَيْء المسلمين، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2].

وكما نص القرآن على فضل السلف الصالح، بينت السنة كذلك فضلهم وأنهم خير قرون هذه الأمة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[3].

(١) – ينظر: معالم التنزيل في التفسير: ٧٩/٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٧٥/٣، ومفاتيح الغيب: ٥٠٩/٢٩، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٢/٢٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٠٠/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٦١/٢، والبحر المحيط في التفسير: ١٤٤/١٠، وتفسير ابن كثير: ٧٢/٨، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١١٣/٨.

(٢) – ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٢٢١/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٢/٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٦١/٢، وتفسير ابن كثير: ٧٣/٨.

(٣) – سبق تخريجه: ص٧.



فالسلفية بهذا المعنى هي: الطائفة المنصورة الغالبة التي ورد ذكرها في الأحاديث:

فعن ثوبان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمُ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[1].

أَيْ ثَابِتِينَ عَلَى الْحَقِّ عِلْماً وَعَمَلاً، غَالِبِينَ مَنْصُورِينَ، مَعْرُوفِينَ مَشْهُورِينَ، وهم أهل السنة والجماعة، وهذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض[2].

والسلفية بهذا المعنى المتقدم أيضاً: هي الفرقة الناجية التي تلتزم بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه الكرام رضي الله عنهم، التي ورد ذكرها في الأحاديث: فعن معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- قال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: «أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى

(١) – أخرجه البخاري: عن المغيرة، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق: ص١٣٩٥، ح٧٣١١، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم: ص٩٢٥، ح١٩٢٠.

(٢) – ينظر: شرح النووي: على صحيح مسلم: ١٣/٦٧، والديباج: على مسلم: ٤/٥١٢، ومرقاة المفاتيح: ٦/٢٤٧٤، وفيض القدير: ٦/٣٩٦.

ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»[١]. وفي رواية للترمذي: قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[٢].

فهذا الحديث الشريف بَيَّنَ أن أصحاب الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بالإسلام المحض الخالص من الشوائب[٣].

فهم أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى اتِّبَاعِ آثَارِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فِي النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ، وَلَمْ يَبْتَدِعُوا بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ[٤].

وبناء على ما تقدم نقول: إن السلفية بهذا المعنى هي عبارة عن الإسلام الْمُصَفَّى من رواسب البدع، وموروثات الفِرَقِ، فهي تعني الإسلام بشموله وكماله كتاباً وسنة، بفهم السلف الصالح.

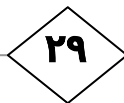
---

(١) – أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة: ص٨٣٠، ح٤٥٩٧، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة: ص٥٩٥، ح٢٦٤١، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم: ص٦٥٩، ح٣٩٩٢، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ"، ينظر: المستدرك: ٢١٧/١، ح٤٤١، وقال الألباني: "حديث صحيح"، ينظر: صحيح الجامع الصغير: ٥١٦/١.

(٢) – ينظر: سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة: ص٥٩٥، ح٢٦٤١.

(٣) – ينظر: مجموع الفتاوى: ١٥٩/٣.

(٤) – ينظر: مرقاة المفاتيح: ٢٦٠/١.



العنصر الرابع

حكم الانتساب إلى السلفية.

السلفية بالمعنى الذي بَيَّنَاهُ سابقاً، حكم الانتساب إليها هو الوجوب، لأنه انتساب إلى السلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك، وقد أمر اللهُ تعالى ورسُولُهُ صلى الله عليه وسلم باتباع سبيلهم، وبيان ذلك فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[1].

يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة: واسلك طريق من اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم، فهذه الآية وصية لجميع العالم، كأن المأمور هو الإنسان، وأناب معناه مال ورجع إلى الشيء، وسبيلُ أهل الإنابة هي سبيل الأنبياء والصالحين، وهي سبيل المؤمنين المتقين، أهل طاعة الله ورسوله، فالسلف الصالح منيبون إلى الله فيجب اتباع سبيلهم[2].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

يقول الله تعالى: للمؤمنين مُعَرِّفَهُم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، فالآية خطاب لجميع المؤمنين، بأن يتقوا الله تعالى ويكونوا مع الصادقين: أي

---

(١) – سورة: لقمان، من الآية: ١٥.

(٢) – ينظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/١٨، والجامع لأحكام القرآن: ٤٧٦/١٦، ومجموع الفتاوى: ٥٠٠/٢٠.

(٣) – سورة: التوبة، الآية: ١١٩.

مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا مع المنافقين، أي: كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[2].

يقول الله تعالى: ومن يشاقق الرسول: أي يخالفه، لأن كلاً من المتخالفين يكون في شقٍ غير شق الآخر، من بعد ما تبين له الهدى: أي ظهر له الحق، ويتبع غير سبيل المؤمنين: أي غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل، نوله ما تولى: أي نجعله والياً لما تولى من الضلال، ونخل بينه وبين ما اختاره، ونصله جهنم: أي ندخله فيها، فالآية فيها وعيد شديد على مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع غير سبيل المؤمنين، وإذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين محرماً كان اتباع سبيل المؤمنين واجباً[3].

وقال الله جل وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ ﴾[4].

فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد فيه، ولا رأي ولا قول، فطاعة الله

---

(١) – ينظر: تفسير الطبري: ١٢/٦٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/٤٢٠.

(٢) – سورة: النساء: ١١٥.

(٣) – ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/٩٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٣٩٦.

(٤) – سورة: الأحزاب، من الآية: ٣٦.

ورسوله وتحليل ما أحله الله ورسوله وتحريم ما حرمه الله ورسوله وإيجاب ما أوجبه الله ورسوله: واجب على جميع الثقلين[1].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

فهذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه لما نهى وأمر، حذَّر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه الذي شرعه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم[3].

فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي﴾ يعني: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: مستوياً قويماً لا اعوجاج به عن الحق، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: ولا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تبغوا منهجاً أو ديناً خلافه، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: فتميل وتشتت بكم عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، وقرأ ابن عامر: وَأَنْ هَذَا صِرَاطِيَ مُسْتَقِيماً بفتح الهمزة وتخفيف النون، أي تسكينها، وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن، وقرأ حمزة والكسائي: وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً بكسر الهمزة وتشديد النون، على الاستئناف، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون، بتقدير اللام على أنه علة لقوله: فاتبعوه، وقرأ ابن عامر صِرَاطِيَ بفتح

(١) – ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٣/٦، ومجموع الفتاوى: ٢٢٣/٢٠.

(٢) – سورة: الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) – ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٥/٩.

ويكونوا مع الصادقين: أي مع النبي - ﷺ - وأصحابه لا مع المنافقين، أي: كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم[1].

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ الۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[2].

يقول الله — تعالى - : ومن يشاقق الرسول: أي يخالفه، لأن كلاً من المتخالفين يكون في شقٍ غير شق الآخر، من بعد ما تبين له الهدى: أي ظهر له الحق، ويتبع غير سبيل المؤمنين: أي غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل، نوله ما تولى: أي نجعله والياً لما تولى من الضلال، ونخل بينه وبين ما اختاره، ونصله جهنم: أي ندخله فيها، فالآية فيها وعيد شديد على مشاقة الرسول - ﷺ - واتباع غير سبيل المؤمنين، وإذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين محرماً كان اتباع سبيل المؤمنين واجباً[3].

وقال الله - جل وعلا - : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾[4].

فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد فيه، ولا رأي ولا قول، فطاعة الله

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦٧/١٢، والجامع لأحكام القرآن: ٤٢٠/١٠.

(٢) سورة: النساء: ١١٥.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٩٧/٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٩٦/١.

(٤) سورة: الأحزاب، من الآية: ٣٦.

ورسوله وتحليل ما أحله الله ورسوله وتحريم ما حرمه الله ورسوله وإيجاب ما أوجبه الله ورسوله: واجب على جميع الثقلين[1].

وقال - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

فهذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه لما نهى وأمر، حذَّر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه الذي شرعه على لسان نبيه محمد - ﷺ - [3].

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي ﴾ يعني: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، ﴿مُسْتَقِيمًا ﴾ يعني: مستوياً قويماً لا اعوجاج به عن الحق ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ أي: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ أي: ولا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تبغوا منهجاً أو ديناً خلافه، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ أي: فتميل وتشتت بكم عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، وقرأ ابن عامر: (وَأَنْ هَـذَا صِرَاطِيَ مُسْتَقِيماً) بفتح الهمزة وتخفيف النون، أي تسكينها، وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن، وقرأ حمزة والكسائي: (وَإِنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً) بكسر الهمزة وتشديد النون، على الاستئناف، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون، بتقدير اللام على أنه علة لقوله: فاتبعوه، وقرأ ابن عامر صِرَاطِيَ بفتح

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٣/٦، ومجموع الفتاوى: ٢٢٣/٢٠.

(٢) سورة: الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٥/٩.

الياء[1]. وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: خَطَّ لَنَا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَوْماً خطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2].

وعن أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَل عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه - مَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؟ قَالَ: تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم - فِي أَدْنَاهُ وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةُ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادُّ (بِالتَّشْدِيدِ جَمْعُ جَادَّةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ) وَعَنْ يَسَارِهِ جَوَادُّ، وَثَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ أُخِذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِّ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أُخِذَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[3].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦٦٩/٩، ومعالم التنزيل في التفسير: ٢٠٤/٣، والجامع لأحكام القرآن: ١١٥/٩، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٨٩/٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٤٨/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٨١/١، ومتن الشاطبية في القراءات السبع: ص٥٤، والوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: ص٢٦٨.

(٢) أخرجه: الإمام أحمد في المسند: ٢٠٧/٧، ح٤١٤٢، والدرامي في سننه: ٢٨٥/١، ح٢٠٨، والبزار في مسنده: ١١٣/٥، ح١٧١٨، والنسائي في السنن الكبرى: ٩٥/١٠، ح١١١٠٩، وابن حبان في صحيحه: ١٨٠/١، ح٦، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ينظر: المستدرك: ٢٦١/٢، ح٢٩٣٨. وأخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله: المقدمة: ص١٤، ح١١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦٧١/٩، وتفسير عبد الرزاق: ٧٣/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١١٧/٩، وتفسير ابن كثير: ٣٦٧/٣، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٣٨٦/٣، وفتح القدير للشوكاني: ٢٠٤/٢.

فالتمسك بالطريق المستقيم، والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، هو المنهج الواضح والمتجر الرابح، المأمون العواقب، الذي أمرنا الله ورسوله باتباعه.

وكما حث القرآن الكريم على الإقتداء بالسلف الصالح واتباع سبيلهم حثت السنة النبوية كذلك على الإقتداء بهم والتمسك بطريقتهم واقتفاء آثارهم.

فعن العرباض بن سارية- رضي الله عنه - أن رسول - ﷺ - قال: «...فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[1].

فهذا الحديث الشريف فيه حث على التمسك بطريقة الخلفاء الراشدين المهديين، الذين هم خلفاء الرسول - ﷺ - والسلام في: إعلاء الحق

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة: ص٨٣٢، ح٤٦٠٧، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ص٦٠٣، ح٢٦٧٦، وابن ماجه: في مقدمة سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ص٢٠، ح٤٢، والإمام أحمد في المسند: ٣٧٥/٢٨، ح١٧١٤٥، وابن حبان في صحيحه: ١٧٨/١، ح٥، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ"، ينظر: ١٧٦/١، ح٣٣٢، وقال الحافظ بن عبد البر: "قال البزار: حَدِيثُ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ فِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ، وهُوَ كَمَا قَالَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ"، ينظر: جامع بيان العلم وفضله: ١١٦٤/٢، وقال الحافظ بن الملقن: "هَذَا الحَدِيث صَحِيح رَوَاهُ أَحْمد وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه من حَدِيث الْعِرْبَاض بن سَارِيَة السّلمِي"، ينظر: البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير: ٥٨٢/٩.

وإحياء الدين وإرشاد الخلق إلى الصراط المستقيم، فَالسُّنَّةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ فَكَأَنَّهُ قَالَ الْزَمُوا طَرِيقَتِي وَطَرِيقَة الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَقَدْ كَانَتْ طَرِيقَتُهُمْ هِيَ نَفْسُ طَرِيقَتِهِ، فَإِنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ حِرْصاً عَلَيْهَا وَعَمَلاً بِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وكَانُوا يَتَوَقَّوْنَ مُخَالَفَتَهُ فِي أَصْغَرِ الأمُورِ فَضْلاً عَنْ أَكْبَرِهَا[١].

وعن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

هذا الحديث الشريف أصل من أصول الإسلام وقاعدة عظيمة من قواعده، وهو من جوامع كلمه - ﷺ - ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه، وقوله: «رَدٌّ» معناه مردود من إطلاق المصدر على اسم المفعول، فكأنه قال: فهو باطل غير معتد به[٣].

ومن خلال ما تقدم يتبيَّن لنا أن التمسك بالكتاب والسنة والسير على منهج السلف الصالح الْمُبَيِّنِ لهما في الفهم والتصور والعلم والعمل هو قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور، وبهذا ندرك أن

---

(١) ينظر: الاعتصام للشاطبي: ص٧٧٣، وحاشية السندي على ابن ماجه: ١/١٩، وتحفة الأحوذي: ٣٦٧/٧.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام ب بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم خلاف الرسول من غير علم فحكه مردود: ص١٤٠٠، ح٧٣٥٠، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردِّ محدثات الأمور: ص٨٢١، ح١٧١٨.

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/١٦، وفتح الباري: ٣٥٨/٥.

الانتساب إلى السلفية بهذا المعنى انتساب يُشَرِّف المنتسب، لأنه انتساب إلى منهج من أمر الله ورسوله باتباع سبيلهم والتمسك بطريقهم.

العنصر الخامس

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

فالسلفية بالمعنى الذي سبق بيانه علاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة علاقة: موالاة للصالحين، ومناصحة للطالحين، ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان ذلك فيما يلي:

الموالاة: الموالاة بين المؤمنين واجبة.

قال الله – تعالى- : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[1].

يقول الله - سبحانه وتعالى - : وأما المؤمنون والمؤمنات، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم، فبعضهم أولياء بعض في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة، فصفة التناصر والتراحم من الصفات التي تميزهم عن صفات المنافقين[2].

وعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- أن النبي- ﷺ - قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[3].

---

(١) سورة: التوبة، من الآية: ٧١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١١/٥٥٦، ومعالم التنزيل في التفسير: ٤/٧٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٦٩٣، وتفسير ابن كثير: ٤/١٧٤.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب نصر المظلوم: ص٤٦١، ح٢٤٤٦، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: ص١٢٠١، ح٢٥٨٥.

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «مَثَلُ الْمُؤمِنِينَ فِي توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مَثَلُ الْجَسَد، إِذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تداعى له سَائِر الْجَسَد بالسهر والحمى»[١].

فهذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والتعاضد والملاطفة في غير إثم ولا مكروه[٢].

فالأخوة في الله كالذي وصف به رسول الله المؤمن للمؤمن وأن كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة الجسد الواحد، لأن ما سر أحدهما سر الآخر وما ساء أحدهما ساء الآخر، وأن كل واحد منهما عون لصاحبه في أمر الدنيا والآخرة كالبنيان يشد بعضه بعضاً[٣].

النصح: النصيحة للمسلمين واجبة على قدر الطاقة.

فعن تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - ، قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا: لمن؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم: ص١١٦٤، ح٦٠١١، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: ص١٢٠١، ح٢٥٨٦.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٣٩/١٦.

(٣) ينظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري: ٢٣٧/٩.

(٤) أخرجه البخاري: معلقاً: كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم": ص٣٥، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة: ص٤٤، ح٥٥.

قال النووي – رحمه الله تعالى – : هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام، فالنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، .. وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر: فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذبّ عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم، بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذُكِرَ في الحديث من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف – رضي الله عنهم – من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه[1].

الدعوة إلى الحق: بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

قال الله – عز وجل – : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

فالله – سبحانه وتعالى – أمر رسوله – ﷺ – أن يدعو الناس بإحدى هذه الطرق الثلاث: وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ٢/ ٣٧، وأعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: ١/ ١٨٧، وفتح الباري: ١/ ١٧٣، والديباج على مسلم: ١/ ٧٦.

(٢) سورة: النحل، من الآية: ١٢٥.

بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرّفق واللين من غير فظاظة، وبما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول[1].

فهذه الآية الكريمة نزلت بمكة في وقتِ الأمر بمهادنة قريش، وأمر الله فيها رسوله - ﷺ - أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين باتفاق[2].

ومن الأمور المهمة التي ينبغي التنبيه عليها أن منهج السلف الصالح يقوم على أن علاقة المسلمين بعضهم ببعض مبنية على حسن الظن، والإنصاف، والمحبة، وعدم إصدار الأحكام المسبقة على المخالف مهما كان.

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عندما سُئِلَ عن الخوارج: أَكُفَّارٌ هُمْ ؟ قَالَ: «مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا» فَقِيلَ: أَمُنَافِقُونَ هُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً وَهَؤُلاَءِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيراً» قِيلَ: فَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: «قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ فِتْنَةٌ، فَعَمُوا فِيهَا وَصُمُّوا»[3].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١/٤٧، ومفاتيح الغيب: ٢٠/٢٨٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/٢٤٥، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/٢٤١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/٤٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/٤٦١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/٤٣٩.

(٣) ينظر: مصنف عبد الرزاق: ١٠/١٥٠/ح١٨٦٥٦، والتمهيد لابن عبد البر: ٢٣/٣٣٥، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري: ٨/٥٨٥، وفتح الباري: ١٢/٣٦٤، ومرقاة المفاتيح: ٦/٢٣١١، وفيض القدير: ٣/٥٠٩، ونيل الأوطار: ٧/١٩٩.

الخاتمة

لقد توصلت من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يلي :

(١) إن لفظ السَّلَف ورد في اللغة العربية بمعنى الْمُضِيِّ والتقدُّمِ والسبقِ الزمنيِّ، وورد في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية كذلك بمعنى الْمُضِيِّ والتقدُّمِ والسبقِ الزمنيِّ.

(٢) إن مصطلح السلف عند العلماء: له اعتباران :

أ- **الاعتبار الزمني:** فإذا أطلق لفظ السلف فإنه ينصرف إلى أهل القرون الثلاثة الأولى.

ب- **الاعتبار المنهجي:** فقد أصبح مصطلح السلف علماً على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وهذا هو المقصود بمصطلح السلفية.

(٣) إن الانتساب إلى السلف انتساب إلى خير القرون، وليس انتساباً إلى شخص أو جماعة أو تنظيم.

(٤) إن صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ - هي صلة السلف الصالح بالإسلام.

(٥) إن القرآن الكريم قد نص في أكثر من آية على فضل السلف الصالح والثناء عليهم، وأمر باتباع سبيلهم، والإقتداء بهم، وأن السنة النبوية كذلك بينت أنهم خير قرون هذه الأمة.

(٦) إن الله - تعالى - رتب المؤمنين على ثلاث منازل: المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأن القرآن الكريم ذكر أن من أبرز صفات التابعين ومن تبعهم بإحسان أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فمن لم يكن بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين المتبعين بإحسان.

(٧) إن السلفية التي التزمت منهج السلف الصالح: إيماناً واعتقاداً، فقهاً وفهماً، عبادة وسلوكاً، تربية وتزكية، هي: الطائفة المنصورة الغالبة، والفرقة الناجية التي ورد ذكرها في الأحاديث، وهي الإسلام الْمُصَفَّى من رواسب البدع، وموروثات الفِرَقِ.

(٨) إن التمسك بالصراط المستقيم، والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، هو المنهج الواضح والمتجر الرابح، المأمون العواقب، وهو قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور.

(٩) إن الانتساب إلى السلفية الملتزمة بما التزم به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، انتساب يُشَرِّف المنتسب؛ لأنه انتساب إلى منهج من أمر الله ورسوله باتباع سبيلهم والتمسك بطريقهم.

(١٠) إن علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة علاقة نصح، ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١١) إن الموالاة بين المؤمنين واجبة، وإن صفة التناصر والتراحم من أبرز الصفات التي تميز المؤمنين والمؤمنات عن المنافقين.

(١٢) إن نصيحة عامة المسلمين تعني: إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص.

(١٣) إن الله تعالى أمر رسوله - ﷺ - أن يدعو الناس بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريقة التي هي أحسن، وأن الآية التي وردت فيها هذه الأوامر محكمة في جهة العصاة من المسلمين باتفاق العلماء.

(١٤) إن منهج السلف الصالح يقوم على أن علاقة المسلمين بعضهم ببعض مبنية على حسن الظن، والإنصاف، والمحبة، وعدم إصدار الأحكام المسبقة على المخالف مهما كان.

وهذا آخر ما سمح الوقت المشحونُ بالأشغال بكتابته في بحث (مصطلح السلفية حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح).

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

فهرس المراجع:

(١) أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، الحنفي، المتوفى سنة: ٣٧٠هـ، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله الشهير بابن العربي المالكي، المتوفى سنة: ٥٤٣هـ، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) أساس البلاغة: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة: ٥٣٨هـ، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار: للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٤٦٣هـ، تحقيق/ سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٥) الاعتصام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المالكي، المتوفى سنة: ٧٩٠هـ، تحقيق/ سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٦) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: لأبي سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي، المتوفى سنة: ٣٨٨هـ، تحقيق/ الدكتور محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

(٧) الأنساب: لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، المتوفى سنة: ٥٦٢هـ، تحقيق/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، الشافعي، المتوفى سنة: ٦٨٥هـ، تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٩) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، المتوفى سنة: ٧٤٥هـ، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ.

(١٠) البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير: لأبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشهير بابن الملقن الشافعي، المتوفى سنة: ٨٠٤هـ، تحقيق/ مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(١١) تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدي، المتوفى سنة: ١٢٠٥هـ، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، القاهرة.

(١٢) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: للحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، المتوفى سنة: ١٣٥٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، المالكي، المتوفى سنة: ٧٤١هـ، تحقيق/ الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

(١٤) تفسير ابن كثير المسمى "تفسير القرآن العظيم": للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الشافعي، المتوفى سنة: ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٥) تفسير الطبري المسمى: "جامع البيان عن تأويل أي القرآن"، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة: ٣١٠هـ، تحقيق/ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(١٦) تفسير عبد الرزاق: للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى سنة: ٢١١هـ، تحقيق/ الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(١٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٤٦٣هـ، تحقيق/ مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغرب، ١٣٨٧هـ.

(١٨) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد المعروف بالأزهري، المتوفى سنة: ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(١٩) جامع الأصول في أحاديث الرسول: لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، المتوفى سنة: ٦٠٦هـ، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط، مكتبة الحلواني، الطبعة: الأولى، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

(٢٠) جامع بيان العلم وفضله: للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٤٦٣هـ، تحقيق/ أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٢١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٦٧١هـ، تحقيق/ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٢٢) جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المتوفى سنة: ٣٢١هـ، تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٢٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه: لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي، المتوفى سنة: ١١٣٨هـ، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة، الثانية.

(٢٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١هـ، تحقيق/ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٢٥) الديباج على مسلم: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١هـ، تحقيق/ أبى إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٢٦) ديوان طفيل بشرح الأصمعي : للطفيل بن عوف بن كعب الغنوي ، من قيس عيلان بن مضر ، شاعر جاهلي ، توفي نحو سنة : ٦١٠م ، تحقيق / حسان فلاح أوغلي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.

(٢٧) ديوان قيس بن الخطيم : لقيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو الأوسي ، شاعر جاهلي ، توفي نحو سنة : ٦٢٠م ، تحقيق / الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، طبعة : ٢٠٠٩م.

(٢٨) سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، الشهير بابن ماجه ، المتوفى سنة : ٢٧٣هـ ، طبعة مميزة ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد ، الرياض ، الطبعة الأولى.

(٢٩) سنن أبي داود : للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، المتوفى سنة : ٢٧٥هـ ، طبعة مميزة ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد ، الرياض ، الطبعة الأولى.

(٣٠) سنن الترمذي "جامع الترمذي" : للحافظ أبي عبد الله محمد بن عيسى بن سوْرة التِّرمذي ، المتوفى سنة : ٢٧٩هـ ، طبعة مميزة ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد ، الرياض ، الطبعة الأولى.

(٣١) سنن الدارمي : للحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ، الدرامي ، السمرقندي ، المتوفى سنة : ٢٥٥هـ ، تحقيق / حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

(٣٢) سنن النسائي الكبرى : للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة : ٣٠٣هـ ، تحقيق / حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٣٣) سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المتوفى سنة: ٧٤٨هـ، تحقيق/ شعيب الأرناءوط، ومحمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٣٤) شرح النووي على صحيح مسلم: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المتوفى سنة: ٦٧٦هـ، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٣٥) شرح صحيح البخاري: لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٤٤٩هـ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٣٦) الصحاح: لأبى نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، المتوفى سنة: ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٣٧) صحيح ابن حبان: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المتوفى سنة: ٣٥٤هـ، رتبه الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة: ٧٣٩هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

(٣٨) صحيح البخاري: للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة: ٢٥٦هـ، عني به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، طبعة خاصة على نفقة الدكتور محمد بن صالح الراجحي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٣٩) صحيح الجامع الصغير: لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة: ١٤٢٠هـ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٤٠) صحيح مسلم: للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة: ٢٦١هـ، تشرف بخدمته والعناية به: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٤١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة: ٨٥٢هـ، عني به: أبو عبد الله محمود الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٤٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفى سنة: ١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٤٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: لمحمد عبد الرءوف المناوي، المتوفى سنة: ١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٤٤) القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى سنة: ٨١٧هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

(٤٥) كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، المتوفى سنة: ١٧٠هـ، تحقيق/ الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٤٦) لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المتوفى سنة: ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

(٤٧) متن الشاطبية في القراءات السبع: للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي، المتوفى سنة: ٥٩٠هـ، ضبطه وصححه وراجعه/ محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

(٤٨) مجموع الفتاوى: لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي، المتوفى سنة: ٧٢٨هـ، تحقيق/ عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٤٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة: ٥٤٢هـ، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٥٠) مختار الصحاح: لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المتوفى سنة: ٦٦٦هـ، تحقيق/ حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة جديدة منقحة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٥١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، الحنفي، المتوفى سنة: ٧١٠هـ، تحقيق/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٥٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي الحسن علي بن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاري، المتوفى سنة: ١٠١٤هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٥٣) المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة: ٤٠٥هـ، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٥٤) مسند البزار: للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، المتوفى سنة: ٢٩٢هـ، تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

(٥٥) المسند: الإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة: ٢٤١هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٥٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المتوفى سنة: ٧٧٠هـ، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

(٥٧) المصنف: للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى سنة: ٢١١هـ، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٥٨) معالم التنزيل في التفسير: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، الشافعي، المتوفى سنة: ٥١٠هـ، تحقيق/ محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

(٥٩) معجم مقاييس اللغة العربية: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سنة: ٣٩٥هـ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٠) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، المعروف بفخر الدين الرازي، الشافعي، المتوفى سنة: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤٢٠ هـ.

(٦١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفى سنة: ١٢٥٠هـ، تحقيق/ عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٦٢) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، للقاضي: عبد الفتاح عبد الغني، المتوفى سنة: ١٤٠٣هـ، الناشر مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ومكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

أ.د عبد السلام بن سالم السحيمي

أستاذ الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية

وعضو مجلس مركز التميز البحثي لقضايا الفقه المعاصرة

بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية

السلفية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد تلقيت دعوة كريمة من معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية **الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل** للمشاركة في الندوة التي ستعقدها جامعة الإمام، بعنوان: "**السلفية: منهج شرعي، ومطلب وطني**".

فأشكر معاليه على هذه الدعوة، واستجابة لذلك فقد شاركت ببحث في المحور الأول بعنوان: "**مصطلح السلفية: حقيقته، وارتباطه بالإسلام الصحيح**".

وقد جعلته في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: معنى السلفية في اللغة.

المبحث الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي.

المبحث الثالث: ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ- .

المبحث الرابع: حكم الانتساب إلى السلفية .

المبحث الخامس: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة .

المبحث الأول

معنى السلفية في اللغة :

السلف في اللغة : جمع سالف على وزن حارس وحَرَس ، وخادم وخدم. والسالف : المتقدم ، والسلف : الجماعة المتقدمون[1] ؛ فالسين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق[2].

قال - تعالى - : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[3].

قال البغوي في تفسيرها : (... والسلف : من تقدم من الآباء ، فجعلناهم متقدمين ؛ ليتعظ بهم الآخرون)[4].

وقال ابن الأثير : (... سلف الإنسان : من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين : السلف الصالح)[5].

والسلف في لغة العرب يطلق ويراد به أحد ثلاثة معان :

أحدها : التسوية ؛ ومنه : (سَلَف - بفتح السين واللام - الأرض من باب نصر : سواها بالمسلِفة - بكسر الميم - شيء تسوى به الأرض).

وثانيها : بمعنى مضى وتقدم ؛ من سلف يسلُف - بضم اللام - ، ومنه السلاف المتقدمون ، وسلف الرجل ؛ آباؤه المتقدمون ، وجمعه : أسلاف ، وسُلاَّف.

(Č) ǰȦÊȯ ȀȂĦȯä ȧ Ĕ/ēĐČ.
č) ȴDzȞŋ ȴɆȀȦȪŋ Ȅ ǦȀŸȯä Ď/ĐĔ.
Ď) ȅøʐȅ ȀȁȂȯä Ȁ8 Ȗ ǦȀŬ đĐ.
ď) ȀȦȞŋ ȪȀɯQȯä ď/čďČ.
Đ) ǦȀȦȾȦȯä Ž ȀȀȀȡ ȀȀǼΣä ǬȀ č/ċĔĎ.

وثالثها : بمعنى السَّلَمِ ؛ نوع من أنـواع البيـع ، يعجـل فيـه الـثمن ، وتـضبط السلعة بالوصـف إلى أجـل معلـوم ، وقـد لـوحظ فيـه معنـى التقـدم ؛ لأن دفـع الثمن متقدم على تسليم السلعة)[1].

ÛƙÊöä āÅæ ÛČēČ î ƆÅ8ŋäÆöä :ɟŬÀÖöä âƺŋÅęş Ûčđď î ƙÊöä āÅæ Û ǳÅĦʋÔöä øÅǪƯ (Č)
.ƙÊöä āÅæ ÛĎĎĚ î ɟŬÀÖöä ÆʌÀȡ Ž ğäáÀÅţäş

المبحث الثاني

معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي

قبل أن أخلص إلى ذكر معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي، فإن مما يحسن بيانه أنه قد اختلف في تحديد مفهوم السلف زمنياً، على عدة أقوال:

الأول: أنهم الصحابة فقط؛ وهو قول عدة من شراح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني[1].

الثاني: أنهم الصحابة والتابعون؛ وإليه ذهب أبو حامد الغزالي في قوله: "اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف؛ أعني مذهب الصحابة والتابعين"[2].

الثالث: أنهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين؛ أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي- ﷺ- الخيرية بقوله في حديث عمران بن حصين- رضي الله عنه: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة"[3].

وفي حديث ابن مسعود- رضي الله عنه- : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته..."[4].

(Č) ÂŢφä: ĞŁ̀ìȦǵ ɃşÆȞöä ÛČċđ/Č ȴęǿ ÛČ ȦȶǯöäӬäÆöä ƆäÆöä ǳȦ̀ì ǦöȦȅǿ ȸæ ŸǕ ÆΛȁ ÛƆäşƘȪöä
.čď î Ûğ şƘæ

č) ȳȦɾǓ ȳäʐȞöä ȹʒ ȴŸʒ ȳ¥Ȯöä î ĐĎ.

Ď) ǴŁȟȍ ÛɃøȦǺĠöä ȁȦǫõ ȁ ȮəȦȒζ ȦȞȍǓ ǴȦöä-ﷺ-Û ÛĎ/Ē ȴęǿ ǬΛÆΣä ĎđĐċ.

(ď) ǴŁȟȍ ÛɃøȦǺĠöä ȁȦǫõ ȁ ȮəȦȒζ ȦȞȍǓ ǴȦöä-ﷺ-Û ÛĎ/Ē ȴęǿ ǬΛÆΣä ĎđĐČ.

وإلى هـــذا القـــول ذهـــب كـــثير مـــن أهـــل العلـــم ؛ كالـــشوكاني[١] ، والسفاريني[٢] ، وعليه يدل صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في نحو قوله : "... سلف الأمة وخيار قرونها"[٣] ، وربما أُدْخِلَ من بعد التابعين تابعو التابعين كالإمام أحمد في مفهوم السلف ، فيقول : "وكذلك قال ابن الماجشون ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما من السلف"[٤].

ويحدد ابن رجب السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه ؛ فيقول : "...وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم ، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة..."[٥].

الرابع : قول بعضهم : إن السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة ، وهذا قول البيجوري ؛ فإنه قال : "السلف : وهم من كانوا قبل الخمسمائة ، وقيل : القرون الثلاثة وأتباع التابعين".

ولعل سبب ذهاب البيجوري إلى ذلك هو رغبته في إدخال أئمة الأشاعرة في مفهوم السلف ؛ إذ لا يمكن إدخالهم في مفهوم السلف زمنياً إلا على رأيه هذا[٦].

(Č) ÀŢợã: ZHǫ̈ã Ž ǅÆŁãØŋ ZÝÊöã Ûē-Ē ÛZÝÊöã ČČ.

č) ÀŢợã: ʒŋãʐǒ ǿãʐφɉã ǾĘŦGöã Č/ċč.

Ď) ÀŢợã: ǿǿâ ǿÀHǩ ô ŌÖHöã ŌÖAöãş Ē/ďĎČ.

(ď) ÀŢợã: ǿÆÔţã ĘæÀÊöã Ē/ċđ.

(Đ) ÀŢợ: ŌR̂ʐ ǈÝʒ ʐÝÊöã ȡʒ ǈÝʒ ZÝʅã î ċđ.

(đ) gÆŁŌHöã ǦŁŋ¥èqã î ČĚ.şÀŢợãş ǦŁÛèş ŌŁÛ ǦAÊöã ƙæ àÀAöã î ĔĔ.

ويلحظ من هذه الأقوال الأربعة أنها جميعا اعتبرت الصحابة ضمن مفهوم السلف، وهذا حق؛ فإن أول من تقدم هذه الأمة في الإيمان بالرسول- ﷺ- ، وبالدين الذي جاء به، وسبق من بعده في العلم والفضل، هم صحابة رسول الله- ﷺ- ، ولكن هنا تساؤل؟، وهو: هل التحديد الزمني كاف لتحديد مفهوم السلف؟.

إذا قلنا: بأن المراد بالسلف زمنيا هم أهل القرون الثلاثة المفضلة استئناسا بالأحاديث الواردة في تعيين القرون المفضلة، ولأننا في الغالب نرى أن من يذكر السلف بالاسم لا يخرج عن إطار القرن الثالث، فهل نعتبر كل من عاش في هذه القرون سلفا يقتدى به؟.

لا شك أن الإجابة على هذا التساؤل هي النفي؛ وذلك لأنه من المعلوم أنه وجد الكثير من أئمة أهل الأهواء والبدع في تلك الحقبة[1] بعد الصحابة.

"فليس السبق الزمني كافياً في تعيين السلف، بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق موافقة الرأي للكتاب والسنة نصاً وروحاً، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين"[2].

إذاً فمعنى السلفية في الاصطلاح الشرعي: هي اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح؛ وهم الصحابة، والتابعون، ومن تبعهم بإحسان ممن عرف بتمسكه بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والتحذير منها[3].

(Č) :ÀŢqä ǴÆÛèş ÕŁÙ ǴÆÊöä ƙä ÛàÀÀöä î Ččċ.

(č) ȳÀŋqä ȸæä ǴÆŧÆk ǴÆȒęş ÛÕÀşüQöä .å ÆŧŢ ÆÆÊöä ÛÆÆÝƨä î Đč.

(Ď) ȸõ ÆÆÝè ƨÝȝ ÛgåÀƨä î ÛČď ÀŢqäş :ÀÀĤk ǷÀÀĥ ǷÝʅä ǰÆÀŋ ÛǷÝÊöä î ÛČĎ Àŋş ÀŁÆĤä

ولذا كان الإمام السفاريني موفقًا أيما توفيق في تعريفه لمذهب السلف ؛ حيث احترز فقيَّد السلف الذي يقتدى به بأن يكون ممن شهد له بالإمامة ، ولم يُرْمَ ببدعة ، فقال : "المراد بمذهب السلف : ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف وعظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف ، دون من رمي ببدعة وأُشهر بلقب غير مرضي ؛ مثل الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، ونحوهم"[1].

(Č) ÄŢφā: ʒŋāζö øāζφɟā Č/čċ.

المبحث الثالث

ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ-

السلفية الحقة هي اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، والسلفيون هم كل من درج على نهج السلف الصالح: الصحابة والتابعين وتابعيهم، في التمسك بالكتاب والسنة، وتقديمهما على كل قول، سواء كان في العقيدة، أو العبادة، أو المعاملة، أو الأخلاق، أو السياسة، أو أي شأن من شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، الثابتون في أصول الدين وفروعه على ما أنزل الله وحياً على رسوله- ﷺ- ، القائمون بالدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- قولاً وفعلاً وعملاً، الذين يجاهدون كل من حاد عن منهج النبي- ﷺ- وأصحابه، وكل من سار على نهجهم، واقتفى أثرهم بإحسان.

فالسلفية لما كانت منتسبة إلى السلف الصحابة، والسلف أساسهم وركيزتهم ومبدؤهم صحابة رسول الله- ﷺ- ، والصحابة هم جماعة الحق الأول، فلا شك أن السلفية الحقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ- ، بل هي الإسلام الصحيح، فدعوة أصحابها هي دعوة الإسلام الحق والسنة المحضة، ومنهجهم الدين الذي أنزله الله على نبيه محمد- ﷺ- ، وتلقاه عنه الصحابة الكرام، وهي الاقتداء الصحيح للفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، وقد أمرنا الله باتباع الصحابة، واقتفاء أثرهم، وسلوك منهجهم، وقد رضي الله عن الصحابة، وعمن تبعهم بإحسان، قال- تعالى- : ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[1].

.ČĐ ǦɅǓ ÛȷȦȶÖȫ gøz̧è (Č)

يقول ابن القيم- رحمه الله- :"وكل من الصحابة منيب إلى الله، فيجب اتباع سبيله وأقواله، واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على أنهم منيبون إلى الله- تعالى- أن الله قد هداهم، وقد قال: ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1]"[2].

وقال- تعالى- : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[3].

فوعد الله متبع الصحابة بالجنة، وتوعد مخالفهم بالنار، فقال- تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[4].

ومن تأمل أحاديث النبي- ﷺ- في الأمر باتباع سنته عرف مطابقة السنة للإسلام وشمولها له، وأدرك مطابقة تسمية أهل التحقيق الصحيح للإسلام بـ"أهل السنة"، وهم المقتفون أثر السلف الصالح من الصحابة ومن سار على منهاجهم، فقد جاء في حديث العرباض بن سارية عن النبي- ﷺ- أنه قال: "...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا

(Č) ČĐ ĞΛŬ ÛɁǿƺ Îöä gǿƺȅ.

(č) Ččċ/ď ƙţÅĤöä ā ǿ ȸʒ ƙĤęƺţä ȳ¥ʒŰ.

(Ď) Čċċ ĞΛŬ ÛĞæƺQöä gǿƺȅ.

(ď) ČČĐ ĞΛŬ ÛŏÅÊAöä gǿƺȅ.

بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[١].

قال الإمام البربهاري: "اعلم أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر..."[٢].

وقد نص الرسول- ﷺ- على صحة ما عليه أصحابه الكرام، وجعله علامة الحق والنجاة يوم القيامة؛ فقال- ﷺ- مجيباً من سأله عن صفة الفرقة الناجية: "ما كنت عليه أنا وأصحابي"[٣]، فوضع بذلك ميزانا للحق، وميزانا للطريق الذي يجب اتباعه والتمسك به، مصداقا لقوله- تعالى- : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٤]، فسبيلهم هو سبيله المتعين للحق دون سواه، فهو من سنته الماضية، وقد أمر الله- عز وجل- باتباع سبيل الصحابة، واقتفاء أثرهم، وسلوك منهجهم، فقال ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[٥].

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

وقد تقدم قول ابن القيم- رحمه الله- في بيان وجه الاستدلال بالآية ؛ فقال : "وكل من الصحابة منيب إلى الله ، فيجب اتباع سبيله وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله"[١].

وقال عبد الله ابن مسعود- رضي الله عنه- : "من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- ، كانوا خير هذه الأمة ، وأبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه- صلى الله عليه وسلم- ، ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم كانوا على الهدى المستقيم"[٢].

وقال الإمام أحمد : "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، والاقتداء بهم ، وترك البدع"[٣].

وما زال العلماء من أئمة أهل السنة جيلا بعد جيل يدعون إلى اتباع السلف الصالح ، والاقتداء بهم ، وسلوك طريقهم ، واتباع أثرهم ، وما برح أهل السنة يستدلون على دينهم وعقائدهم بما جاء في كتاب الله ، وبما صح عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، فإن لم يجدوا فيهما فبما ثبت عن السلف الصالحين ؛ من الصحابة ، والتابعين ، وأتباع التابعين ، المعروف عنهم الإمامة في السنة[٤].

.Ð î ÿÆÕǩ (Č)

.čČď/Č Ƀƺ8ǦŶō ǴÂÊōä dzÀ̀ì (č)

.ČÐđ/Č ȖəÌÒōŸō ǴÂÊōä ŌŁǖ ǻÀǬǫʒǟ ȯƺȍǖ dzÀ̀ì (Ď)

.ďĒ î ǥǻÀƨǟ ƻŸʒ ÀÆÀŸè ȸȭ (ď)

المبحث الرابع

حكم الانتساب إلى السلفية

الانتساب إلى السلفية، أو إلى السلف، فيقال: السلفي، أو السلفيون، انتساب صحيح لغة ومعنى، ومحمود ومقبول عند أهل العلم المعتبرين، فمن المعلوم أن الدعوة إلى اتباع السلف، أو الدعوة إلى السلفية دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، ودعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على النبي - ﷺ - ، وتلقاه عنه أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - .

فلا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق، وقد كان لأئمة الإسلام من أهل السنة الأثر الكبير في الدعوة إلى السنة، والعودة إلى طريقة السلف ومنهجهم، والاقتداء بهم، ومن هؤلاء الأئمة: إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، والإمام أبو بكر محمد بن الحسن الآجري، والإمام أبو عبد الله بن بطة العكبري، والإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه؛ ومنهم الإمام ابن القيم، ثم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده، وغيرهم من الأئمة في ديار الإسلام، ومن المعاصرين ابن باز والألباني وابن عثيمين - رحمهم الله - ، مما أدى إلى ظهور منهج السلف، ومعرفته على مر التاريخ.

هذا المنهج الذي يستقي أسس دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وسيرة ومنهج السلف الصالح؛ من الصحابة والتابعين،

والتابعين لهم من أهل القرون الثلاثة، المشهود لها بالخيرية، ويقاوم كل تيار بدعي يخرج عن هذه الأسس[١].

وإنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق، أصبح مدلول السلف منطبقا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طبقاً لفهم الصحابة والقرون المفضلة[٢]، ويكون هذا المصطلح (السلف) مرادفاً للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة، فليس من الابتداع في شيء أن يتسمى أهل السنة والجماعة بـ(السلفيين)، وينتسبون إلى ذلك؛ إذ أن مصطلح **السلف** يساوي تماما مصطلح **أهل السنة والجماعة**، ويدرك ذلك بتأمل اجتماع كل من المصطلحين في حق الصحابة؛ فهم السلف الصالح، وهم أهل السنة[٣]، فكما يصح لنا القول: (سني) نسبة إلى أهل السنة، يصح لنا القول: (سلفي) نسبة إلى السلف، لا فرق[٤].

ولا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : **"لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا"**[٥].

(Č) ÀȚϕ: ȸȭ ÀÆÀŸè ɂŸʒ ǥǻÀƨā î Ûďč ǛÆÛèȘ ÕŁÛ ǦÀÊöä î .

(č) ÀȚϕ: ÀÖz ĶÀÖǬöä ÀƨÆę ÀǯÀǵǵȘ ǦəƎÀǩ ÀǦǨŲ ţ ÆŁØŋ ŻŸÊöä ȸŋ ʐŸȣöä ÀÖÀöäȘ ÀĦÀţä Ûȣ î
.čĐ

(Ď) ÀȚϕ: Żęzŋ ÕŁÛ ǦÀÊöä ƨäȘ ǦʒÀŧ ȸŋ ÕŁÛ ǒäzŁɟä ǛÆǦöäȘ Ûţ î ĐĎ.

(ď) ǿÆÔţä ÛĘæÀÊöä ǦĦÀÔöä ÀƬÊÀφ.

(Đ) ţzŧf ʔȘÀǭ ǸÆì ÿŸèqä ȸǣä ǦÆŧÆǩ Čď Ĕ/ď.

وقال السمعاني - رحمه الله - : "**السَّلَفِي - بفتح السين واللام، وفي آخرها الفاء - هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سمعت منهم**"[(١)].

وقال الذهبي - رحمه الله - : "**فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكيا......سلفيا**"[(٢)].

وقال - رحمه الله - عن الإمام الدارقطني - رحمه الله تعالى - : "**لم يدخل الرجل أبدا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيا**"[(٣)].

وقال ابن كثير في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ "، **فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل**"[(٤)].

.čĒĎ/Ď ā ȦÊφɉä (Č)

.ďĐĒ/Čđ ŏ₮ǤȺöä ȳ₮ʒǕ Ƙȅ (č)

.ďčč/č ȴɆŢȞöä ȷŬȀȪöä ƘÊȦǩ (Ď)

.Ēď î Û ǦɅşȦĦɥÛöä ɡǼɆȪȞöä ǳȀì (ď)

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية : "**وقد أحببت أن أشرحها سالكا طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم، متطفلا عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم**"[١].

وقال الإمام الذهبي في مقدمة كتابه القيم "العلو للعلي الغفار" : "**فإن أحببت - يا عبد الله ! - الإنصافَ، فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم**"[٢].

وفي عصرنا الحاضر أطلق هذه النسبة وهذا اللقب علماء أفاضل عرفوا بالتمسك بالسنة والذب عنها ؛ **كالشيخ عبد الرحمن المعلمي** في كتاب (القائد إلى تصحيح العقائد)[٣].

والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في كتابه (مختصر العلو)[٤]، و(مقدمته لشرح العقيدة الطحاوية)[٥]، وكتابه (التوسل)[٦].

والشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز في رسالته (تنبيهات هامة على ما كتبه محمد بن علي الصابوني في صفات الله)[٧].

(Č) Čđ î.
(č) ÀȚǵǟ: î ČĔĚ ÛČĐĐ ÛČĐČ ÛČďĒ.
(Ď) ÀȚǵǟ: î Ččč.
(ď) ÀȚǵǟ: î ĐĒ.
(Đ) ÀȚǵǟ: î Čďċ.
(đ) ÀȚǵǟ: î ĎĐ-Ďď.
(Ē) ÀȚǵǟ: î ĎĚ.

والشيخ الفاضل علي بن ناصر فقيهي في كتابه (الفتح المبين بالرد على نقد عبد الله الغماري لكتاب الأربعين)[١].

وقد سئل الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز- رحمه الله- هذا السؤال: "ما تقول فيمن تسمى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية؟".

فأجاب سماحته- رحمه الله- : "إذا كان صادقاً أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس، مثلما كان السلف يقولون: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لا بد منها، تزكية واجبة"[٢].

وسئل الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان هذا السؤال: "ما هي السلفيّة؟، وهل يجب سلوك منهجها والتمسك بها؟.

فقال: "السلفية هي السير على منهج السلف؛ من الصحابة، والتابعين، والقرون المفضَّلة، في العقيدة، والفَهم، والسلوك، ويجب على المسلم سلوك هذا المنهج"[٣].

فهؤلاء العلماء وغيرهم لم يروا بأسا في إطلاق لقب "سلفي"، أو "السلفية"، أو "السلفيين"، وأن المقصود بذلك هو من سار على منهاج السلف وطريقهم.

وقد عد بعض الكتاب المحدَثِين ممن كتب في المذاهب الإسلامية السلفيين طائفة مميزة عرفت بهذا الاسم؛ اتباعا لمن سبقهم من الأئمة، ومن هؤلاء

(Č) ȡŋ ȀŢ ȑ ȁg ȀǶȥȷ: "ǵĘ ȶȆŸȴ"Û ȖȫȕĶ ȀÛȫȃ ÛȤ ȘȥŢȀ: ȭɐ ÈȦȦȨȅ ȝȲ ȥȀȁg î ČďĎ-ďď.
(č) ȁȥ ǻȤȣĞ ȶȀȪȀg î ČċĎ.
(Ď) ȁȥŢȀ: ȜȀɘȅǸ ȶȫȊȜȲ ȁȅɌȦǦ î ĚĎ.

الكتاب : محمد أبو زهرة[١] ، ومصطفى الشكعة[٢] ، وقد أشارا إلى التطور التاريخي لمسيرة هذه الطائفة ، وأنها امتداد لمدرسة الإمام أحمد بن حنبل ، تجددت على عهد ابن تيمية ، والإمام محمد بن عبد الوهاب ، وزعموا أن السلفيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب.

وهناك من زعم أن السلفية لا تعني إلا مرحلة زمنية ، ووصفت بالخيرية ، فلا اختلاف بين السلف والخلف ، ولا حواجز بينهم ، ولا انقسام ، فلا يصح أن تجعل السلفية مذهبا إسلاميا يتبع ، ولا يجوز أن يقسم المسلمون إلى سلفيين ، وبدعيين ، ولا يسوغ أن تتسمى به جماعة من المسلمين ؛ لأن ذلك سيعد من البدع الطارئة.

وممن زعم كبر هذه الآراء المحدثة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، في كتابه "السلفية مرحلة زمنية مباركة ، لا مذهب إسلامي"[٣].

وقد رد عليه العلماء هذا الفكر الخاطئ ، ومن أبرز من رد عليه الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان ، ومما قاله في الرد عليه : "

١- معنى عنوان الكتاب أن السلف لا مذهب لهم يعرفون به ، وكأنهم في نظر البوطي عوام عاشوا في فترة من الزمن بلا مذهب ، وعلى هذا فلا معنى لقول الرسول- ﷺ - : "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين" ، ولا

(Č) ÀŢφ: ŸèǛ ÿŸ Ÿä ÆŁäǾŋ î ČēĒ.

(č) ÀŢφ: î ÛČč ÛČĎ ÛČĚ ÛđĎ ÀŁƘdʂ.

(Ď) ÀŢφ: ÀŢφ ğ ÀGÖĤķʂ ğ ʔŸʒ Àŋ Ž ÀŷÕ ā GÆÀŸÊöä Æŧ ǂ ÆÆĤè ɹÀȒŋó ȸŋ ÀŢäʐ ğ Ü ŸöÎ ŅÆ
ĜŋŸĤöä ʃÀò ȸæ ɹäʐʐ ÀöäʐäàɹÛ î ČČČ-čČč.

معنى لقوله : "ما أنا عليه اليوم وأصحابي" ؛ لأن السلف عند البوطي لا مذهب لهم[1].

٢- تفسير السلفية بأنها مرحلة زمنية، وليست جماعة، تفسير غريب وباطل، فهل يقال للمرحلة الزمنية بأنها سلفية؟، هذا لم يقل به أحد من البشر!.

٣- السلفية وصف لجماعة؛ وهي الجماعة المؤمنة الذين عاشوا في العصر الأول من عصور الإسلام، والتزموا بكتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

٤- قوله- ﷺ- : "ستفترق أمتي ..."، ثم قوله: "ما أنا عليه وأصحابي"، يدل على أن هناك جماعة سلفية سابقة، وجماعة متأخرة تتبعها في نهجها، وهناك جماعات (فرق) مخالفة لها، متوعدة بالنار"[2].

وسواء صح أن دعاة العودة إلى مذهب السلف هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب، أم أطلقه عليهم غيرهم، ثم عرفوا به، فإنه لم يُعرف أحد من الأئمة المتقدمين من أهل السنة، أو من تبعهم على منهجهم إلى عصرنا الحاضر، من أنكر عليهم ذلك، أو اعترض على إطلاق هذا اللقب عليهم، وأقل ما يقال في جواز التلقب بذلك، والانتساب إليه، أنه اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح[3].

(Č) :ÀŢφä ğäÀŢφ ğÀGÖHkş î čČ-čč

(č) :ÀŢφä ĞɆÛèş ÖŁÜ ĞAÊöä î ÛČČČ ÀÔǬæ ȣ ÛƘÊΛ ȸõş ÀɆÀŸè ɁŸʒ gåÀɤä î ďĐ.

(Ď) :ÀŢφä ƙȞǱÀţä ÜƙÖæÀÊöä ĞɆÛèȥöä î ČċĐ-Čċđ ÛČċđ ȸõş ÀɆÀŸè î ďČ.

إذ العبرة هي بالحقائق والمعاني، وليست بالألفاظ، وقد تقدم من المعاني ما يدل على أن المقصود بذلك هو: من سار على منهج السلف الصالح، واتبع طريقتهم، ولا يكون هناك فرق بين التسمي بالسلفية، أو بأهل السنة.

وقد احتاج أهل السنة إلى إظهار وبيان مذهب السلف الصالح الذين لا يشك أحد في أنهم أهل السنة المعروفون بها، لما بزغت قرون أهل البدع والخلاف، فخرجت تلك الطوائف والفرق، وكانوا - أي أصحاب هذه الفرق - يرون أنهم على حق، وأنهم الفرقة الناجية، ويستدلون على أقوالهم ومذاهبهم بنصوص الكتاب والسنة، ينزلونها على آرائهم، ويصرفونها عما دلت عليه ظواهرها، ويدعون أنهم متبعون للكتاب والسنة، وربما التبس الأمر على عامة الناس، فلذا احتاج أهل السنة لإظهار مذهب السلف وبيانه، ولذا كان أهل العلم من الأئمة حريصين على أن يبينوا أن ما ذكروه، وما قالوه من مسائل الاعتقاد هو قول من سبقهم من أئمة السلف الصالح؛ من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم؛ ليعلم أن ما خالف ذلك ليس هو من قولهم، ولا من هديهم، وأنه من أقوال أهل البدع والخلاف[1].

(Č) :ÀŢqã Ζęζŋ ÕŁǕ ǦĄÊöä ƨäş Ǧʒİȶ ȸŋ ÕŁǕ ɉä ǒäζŁ ÆĢöäş Ûţ ÀÔǪæ Ȣ ƘÊΛ î ďĐ-ďđ.

المبحث الخامس

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

كما تقدم أنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق، أصبح مدلول السلف والسلفية منطبقاً على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طبقاً لفهم الصحابة، والقرون المفضلة، ويكون هذا المصطلح "السلف" مرادفا للأسماء الشرعية لأهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل الحديث والأثر، وأن الدعوة إلى اتباع السلف أو الدعوة إلى السلفية إنما هي دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، ودعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على النبي - ﷺ - ، وتلقاه عنه أصحابه الكرام.

والسلفية دعوة إلى جميع الفرق والطوائف والأحزاب المنتسبة للإسلام بأن تسلك مسلكها في العقيدة والمنهج؛ لأن من تأمل أسماء أهل السنة ظهر له أنها كلها تدل على الإسلام، فبعضها ثابت لهم بالنص من الرسول- ﷺ - ، و الآخر إنما حصل لهم بفضل تحقيقهم للإسلام تحقيقاً صحيحاً، وهي تخالف تماما مسميات أهل البدع وألقابهم قديما وحديثا؛ فإنها:

- إما ترجع إلى الانتساب إلى أشخاص؛ كالجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان، والزيدية نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين، والكلابية نسبة إلى عبد الله بن كلاب، والكرامية نسبة إلى محمد بن كرام، والأشعرية نسبة أبي الحسن الأشعري.

- وإما إلى ألقاب مشتقة من أصل بدعهم؛ كالرافضة لرفضهم زيد بن علي، أو لرفضهم إمامة الشيخين- رضي الله عنهما - ، والنواصب

لنصبهم العداء لأهل البيت، والقدرية لكلامهم في القدر، والصوفية للبسهم الصوف، والباطنية لزعمهم أن للنصوص ظاهراً وباطناً، والمرجئة لإرجائهم الأعمال عن مسمى الإيمان.

- وإما أن هذه الألقاب ترجع إلى سبب خروج من تسمى بها عن عقيدة المسلمين وجماعتهم؛ كالخوارج لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ، واعتقاد الخروج على الأئمة، والمعتزلة لاعتزال رئيسهم (واصل بن عطاء) مجلس الحسن البصري[1].

ومما يلحق بهم الجماعات الحزبية المعاصرة التي تخالف في منهجها وعقائدها منهج وعقيدة السلف الصالح؛ قال الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد- رحمه الله- بعد ذكره ألقاب أهل السنة: "وهذه الألقاب الشريفة تخالف أي لقب كان لأي فرقة كانت من وجوه:

الأول: أنها نسب لم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة، فهي تحوي جميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدى بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه.

الثاني: أنها تحوي كل الإسلام (الكتاب والسنة) فهي لا تختص برسم يخالف الكتاب والسنة بزيادة أو نقصان.

الثالث: أنها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة، ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة مناهج أهل الأهواء، والفرق الضالة لرد بدعتهم، والتميز عنهم.

.ĎĒ-ĎČ î ǴłŋŸèqả ğảʒảŧƨảş āảÂģɉảş àÀÀöä БŮ ŏảŧǪφɍả ǈÒǵ :ÀŢφả (Č)

الرابع: أن عقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم هو الإسلام لا غير، لا على رسم باسم معين، ولا على رسم محدد، إنما هو (الكتاب والسنة) فحسب.

الخامس: أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون الرسول- ﷺ- .

السادس: أن هذه الألقاب لا تفضي إلى بدعة ولا معصية ولا عصبية لشخص معين، ولا لطائفة معينة، فإذا قيل: (أهل السنة والجماعة) انتظم هذا اللقب هذه الخواص، وهذا لا يكون لأحد من أهل الفرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقوا بها عن جماعة المسلمين، وهكذا بقية ألقاب أهل السنة"[1].

ومع أن الدعوة السلفية هي أبعد ما يكون عن التكفير والتبديع والتفسيق بغير دليل، وهي أبعد ما تكون عن الغلو والتطرف، إلا أن هذه الدعوة المباركة ألصق بها ما ليس منها، ونسب إليها من ليس على منهاجها، مما شوه جمالها، وغير حقيقتها، ونفر منها، وزهد الناس فيها.

وإن من أبرز العوامل التي كانت سببا في ذلك هو وجود الجماعات الإسلامية الحزبية المعاصرة المتأثرة بفكر الخوارج، ولكون بعض رموز وقادة ومفكري هذه الجماعات قد يوافقون المنهج السلفي في بعض الأطروحات والتوجهات، وإن كانوا يخالفون في المنهج والعقيدة، بل قد يتكلم بعضهم باسم السلفية، وهم ليسوا كذلك، مما جعل الأمر يلتبس على الكثير من

(Č) Āţ ȳÆÖǩ ȀŢφä :ȸõ ȀɆȦŸè ʔŸʒ gảȦɞä î ČĒ-Čē.

الناس الذين قد تخفى عليهم الحقيقة ، ظنا منهم أن هذه الجماعات سلفية ، أو على الفكر الوهابي - كما يحلو للبعض تسميتها بذلك - .

وإنك لتعجب ممن يسمي بعض الجماعات الحزبية المعاصرة بالجماعات السلفية الجهادية ، وكيف تكون سلفية ، وهي مخالفة للسلفية الحقة في العقيدة والمنهج؟ ، وكيف تكون جهادية والمعنى الشرعي الصحيح للجهاد منتف عن هذه الجماعات؟ ؛ لعدم توفر الشروط الصحيحة للجهاد في هذه الجماعات ، ولوجود الموانع التي تمنع من صحة ذلك ، وإن العبرة هي بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمسميات ، لذا يجب التنبه للخلط والتضليل الموجود في الساحة الإسلامية اليوم.

ويجب العمل على تصفية الإسلام مما ألصق به مما ليس منه ، وتربية النشء المسلم على الإسلام المستقى من النبع الصافي ؛ كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وفق فهم سلف الأمة ، والذود عن هذا الدين ، وإظهاره بالمظهر اللائق به[1].

(Č) Ąţ ÿÆŐǩ :ȀŢφä ȸõ ÀȺÀŸè ɂŸʒ gắÀʂä î ČĒ-Čē.

الخاتمة

السلفية في اللغة: نسبة للسلف، والسلف جمع سالف، والسالف هو المتقدم، والسلف هم الجماعة المتقدمون، وأما في الاصطلاح الشرعي: فالمراد بهم من كان على مذهب السلف، والمراد بمذهب السلف: هو ما كان عليه الصحابة الكرام- ﷺ- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين، ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنهم في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي...

ومنهج السلف الصالح هو المنهج الحق؛ لأنه منهج يقوم على اتباع الكتاب والسنة، والدعوة إليهما، والعمل بهما، فالسلفية هي الإسلام الصحيح الخالي من البدع، وإنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطلقاً على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج، طبقاً لفهم الصحابة والقرون المفصلة، ويكون هذا المصطلح (السلف أو السلفية) مرادفاً للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة، وإن الدعوة إلى اتباع السلف أو الدعوة السلفية إنما هي دعوة على الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، ودعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على النبي- ﷺ- ، وتلقاه عنه أصحابه الكرام، ولا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه أو اعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه؛ لأنه مذهب السلف لا يكون إلا حقاً".

ومع أن الدعوة السلفية هي أبعد ما يكون عن التكفير والتفسيق والتبديع بغير دليل، وهي أبعد ما يكون عن الغلو والتطرف والجفاء، إلا أن هذه الدعوة المباركة ألصق بها ما ليس فيها، ونسب إليها من ليس على منهاجها ما شوه جمالها، وغير حقيقتها، ونَفَّرَ منها، وزهد الناس فيها.

وإن من أبرز العوامل التي كانت سببا في ذلك هو وجود الجماعات الإسلامية الحزبية المعاصرة، المخالفة للسنة، لكون بعض قادة ورموز ومفكري هذه الجماعات قد يوافقون المنهج السلفي في بعض الأطروحات، وإن كانوا يخالفون في كثير من العقيدة والمنهج، إلا أن بعضهم يتكلم باسم السلفية، وهم ليسوا كذلك، مما جعل الأمر يلتبس على الكثير من الناس، الذين قد تخفى عليهم حقيقة السلفية الحقة، لذا يجب العمل على تصفية الإسلام مما ألصق به مما ليس منه، وتربية النشء المسلم على الإسلام الحق، المستقى من النبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- وفق فهم سلف الأمة، والذود عن هذا الدين، وإظهاره بالمظهر اللائق به.

المراجع

١- إسلام بلا مذاهب: د. مصطفى الشكعة، طبعة شركة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٦هـ،

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة ١٣٨٩هـ،

٣- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ،د. محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة نشر شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ،

٤- الأنساب: السمعاني أبو سعد عبد الكريم محمد ،الطبعة الأولى ، نشر دار الجنان بيروت ١٤٠٨هـ،

٥- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة. نشر دار الفكر العربي، ص ٣٩.

٦- التحف في مذاهب السلف، الشوكاني: محمد بن علي محمد، طبعة مطبعة المدني، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

٧- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: البيجوري : إبراهيم بن محمد،الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ .

٨- تعريف الخلف بمنهج السلف، دراسة منهجية لأصول مذهب السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها والطرق التأليف فيها، تأليف البريكان إبراهيم محمد عبد الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ،

٩- تفسير القرآن العظيم :ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن كثير ،تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا ،طبعة مطبعة الشعب القاهرة،

١٠- التلخيص للمستدرك لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المطبوع بذيل المستدرك على الصحيحين للحاكم، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

١١- تنبيهات على ما كتبه محمد بن علي الصابوني في صفات الله- ﷻ- ،الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله ابن باز ،الطبعة الأولى ، نشر دار السلفية الكويت .

١٢- التوسل أنواعه وأحكامه :ناصر الدين الألباني ،الطبعة الثانية نشر دار النفائس بيروت ١٣٩٧هـ.

١٣- الثمر الداني شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني، صالح عبد السميع الأزهري ،نشر دار الكتب العلمية ، بيروت،

١٤- الجامع العوام عن علم الكلام ،الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، الطبعة الأولى ، نشر دار الكتاب العربي ،بيروت ١٤٩٠هـ .

١٥- حاشية العدوى على شرح الحسن لرسالة ابن أبي زيد : للشيخ علي الصعيدي ،العدوى ط ،دار إحياء الكتب .

١٦- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ، بقلم الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ مطابع الدرعية،

١٧- السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، د.محمد سعيد رمضان البوطي.

١٨- سنن ابن ماجه ، للحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ،

١٩- سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، في سننه ، تعليق عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد ، دار الحديث للطباعة والنشر ، حمص سوريا ،

٢٠- سنن الترمذي ، للإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى ، تحقيق ، إبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢١- سنن الدارمي ، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي ، تحقيق ، فؤاد أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ،

٢٢- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان ،تحقيق شعيب الأرنؤوط الطبعة الثانية نشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ ،

٢٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، : اللالكائي ، أبو القاسم هبة الله ابن الحسين ،تحقيق د. أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة ،الرياض.

٢٤- شرح السنة ، لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، تحقيق د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ، دار ابن القيم ،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ،

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز علي بن محمد ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الخامسة ، نشر المكتب الإسلامي ،

٢٦- الشريعة : الآجري ، أبو بكر محمد ابن الحسن ،تحقيق محمد حامد الفقي ،الطبعة الأولى ،نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٣٠هـ

٢٧- صحيح البخاري : البخاري محمد بن إسماعيل ، مع الفتح المطبعة السلفية ١٣٩٨هـ ،

٢٨- صحيح مسلم : أبو الحسن محمد بن الحجاج ، بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ،نشر دار إحياء التراث العربي ،بيروت

٢٩- فضل علم السلف عن علم الخلف ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق يحيى مختار غزاوي، الطبعة الأولى، نشر دار البشائر الإسلامية ١٤٣٠هـ،

٣٠- فكر التكفير قديما وحديثا وتبرئة أتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف، تأليف: أ.د السحيمي، عبد السلام سالم، دار الإمام أحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ،

٣١- القائد إلى تصحيح العقائد : اليماني عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ،تعليق محمد ناصر الدين الألباني ،الطبعة الثالثة ،نشر المكتب الإسلامي ١٤٤٠هـ

٣٢- القاموس المحيط الفيروزابادي مجد الدين بن يعقوب ،نشر دار الجيل ،بيروت

٣٣- كن سلفيا على الجادة، أ.د السحيمي ،عبد السلام سالم السحيمي ،دار المنهاج ،الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ،

٣٤- لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ،نشر دار صادر، بيروت،

٣٥- مجمل اللغة : ابن فارس أحمد ابن فارس ،تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، الطبعة الأولى ، نشر بواسطة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ .

٣٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ،جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى

٣٧- مختصر العلو الغفار للعلي الغفار للذهبي، اختصار وتحقيق الألباني محمد ناصر الدين ، الطبعة الأولى ، نشر المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ

٣٨- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ،الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٣٩- مسند أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر العربي،

٤٠- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ،الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ

٤١- معالم التنزيل: البغوي أبو محمد الحسين بن محمد الفراء، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، طبعة دار المعرفة، بيروت،

٤٢- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الكتب العلمية،

٤٣- المفردات في غريب القرآن: للحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، أعده للنشر والطباعة، د. محمد أحمد خلف الله، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية

٤٤- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، الرحيلي إبراهيم بن عامر، مكتبة دار
٤٥- العلوم والحكم ،الطبعة الخيرية الأولى ١٤٢٨هـ،
٤٦- نظرات وتعقبات على ما في كتاب السلفية ،لمحمد سعيد رمضان ، من الهفوات للشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان،
٤٧- النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وحمود محمد الطناجي، نشر الكتب العلمية، بيروت،
٤٨- وسطية أهل السنة بين الفرق ،با عبد الله محمد با كريم محمد محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.



حقيقة السلفية

وصلتها بالإسلام الصحيح

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن

بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة

عضو مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

السلفية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد:

فتلك إطلالة عجلى على السلفية كمنهج متبع عند كثير من خواص الأمة وغيرهم، بحسبانه المنهج الذي سلكه خير قرون هذه الأمة، لأبيِّن حقيقة هذا المنهج، وصلة السلفية بالإسلام الصحيح، وحكم الانتساب إلى السلفية، وعلاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة .

وأبيِّن ذلك من خلال المطالب والفروع والمقاصد التالية:

المطلب الأول: حقيقة السلفية .

المطلب الثاني: صلة السلفية بالإسلام الصحيح .

الفرع الأول: السلفية والوحي الإلهي .

الفرع الثاني: تقديم السلف المنقول على المعقول .

الفرع الثالث: السلفية والتأويل .

الفرع الرابع: كثرة الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

الفرع الخامس: التوحيد كأصل علمي للمنهج السلفي .

الفرع السادس: الاتباع كأصل علمي للمنهج السلفي .

الفرع السابع: التزكية كأصل علمي للمنهج السلفي .

المطلب الثالث: حكم الانتساب إلى السلفية .

المطلب الرابع: علاقة السلفية بالجماعات المعاصرة .

الفرع الأول: جماعة التبليغ والدعوة .

الفرع الثاني: جماعة أنصار السنة المحمدية .

الفرع الثالث : جماعة التكفير والهجرة .

الفرع الرابع : جماعة الجهاد الإسلامي .

الفرع الخامس : جماعة القاعدة .

الفرع السادس : الجماعة الإسلامية الباكستانية .

الفرع السابع : مدى اعتناق هذه الجماعات للفكر السلفي .

المطلب الأول

حقيقة السلفية

معني السلفية في عرف أهل اللغة :

السلف : ما مضى وتقدم ، والجمع الأَسْلافُ والسلاَّفُ ، والسلف : هم من تقدم من الآباء وذوي القرابة الذين هم أعلى من جهة السن والفضل ، ولذا سُمي الصدر الأول من التابعين ، السلف الصالح [1] ، ومن إطلاق لفظ السلف على هذا المعني ، ما روته عائشة - رضي الله عنها - من قول رسول الله - ﷺ - لفاطمة - رضي الله عنها - : " إني لا أري الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري ، فإنه نعم السلف أنا لك " [2].

معني السلف في الشرع :

السلف في الشرع : " اسم لكل من يُقلَّد مذهبه الصحيح في الدين ، ويتبع أثره ، كالصحابة والتابعين فإنهم سلف هذه الأمة " [3] ، والسلف الصالح : هم الصدر الأول الراسخون في العلم ، المهتدون بهدي النبي - ﷺ - [4].

تطلق لفظة السلف عند علماء الشريعة من الناحية الزمنية على الصحابة ، أو الصحابة والتابعين ، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم من أعلام الأئمة المشهود لهم بالإمامة والفضل ، واتباع السنة واجتناب البدعة والحذر منها ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ١٥٨/٩ ، الرازي : مختار الصحاح /١٣٠ ،

(٢) أخرجه الشيخان في صحيحيهما . (صحيح البخاري ٢٣١٧/٥ ، صحيح مسلم ١٩٠٤/٤).

(٣) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ٧٤٨/١ .

(٤) الشيخ سليم الهلالي : الجماعات الإسلامية /٥٤٠ .

والذين اتفقت الأمة على علو شأنهم في الدين وإمامتهم المسلمين، وقد قال علماء الشريعة: إن المراد بالسلف تاريخياً: هم أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ممن شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخيرية في حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: " إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدرى أقال رسول الله - ﷺ - بعد قرنه مرتين أو ثلاثة، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن "(١).

ولذا أطلق على الصدر الأول " السلف الصالح "، الذين يقتدي بهم، وأصبح لفظ " السَّلفيَّة " علماً على طريقة السلف الصالح في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، ومن ثم فإن مفهوم السلفية يطلق على الملتزمين بكتاب الله وما ثبت من سنة رسوله - ﷺ - التزاماً كاملاً، ومنه أطلق على الصدر الأول من هذه الأمة السلف الصالح، وهم الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي - ﷺ - ، الحافظون لسنته، الذين اختارهم الله تعالي لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة للأمة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وفرغوا أنفسهم لنصح الأمة ونفعها، وبذلوا أنفسهم في مرضاة الله – تعالي - ، والذين قال الله في شأنهم: " وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه "(٢).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. (صحيح البخاري ٢٣٦٢/٥، صحيح مسلم ١٩٦٣/٤).

(٢) من الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

ويطلق على هؤلاء الأسماء والصفات التي أثرت عن النبي - ﷺ - في حقهم، حيث يطلق عليهم " أهل السنة والجماعة "، أي الذين اجتمعوا على الاستمساك بالكتاب والسنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سلك سبيلهم في القول والعمل والاعتقاد، كما يطلق عليهم " أهل السنة "؛ بحسبانهم التزموا بها وجانبوا البدعة، ويطلق عليهم " أهل الحديث " و " أهل الأثر "؛ لاهتمامهم بما أثر عن النبي - ﷺ - رواية ودراية، وما أثر عن أصحابه تمييزا وفهما واستدلالا، ولا يعدلون عن النص الصحيح إلى ما سواه، كما يطلق عليهم " أهل الاتباع " لاتباعهم آثار رسول الله - ﷺ - ظاهراً وباطناً، وسبل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما يطلق عليهم " الطائفة المنصورة " التي قامت بدين الإسلام علماً وعملاً وجهاداً، والتي قال رسول الله - ﷺ - في شأنهم فيما رواه عنه المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة " [1]، ويطلق عليهم " الفرقة الناجية " لأنها تنجو من النار بالتزامها بهدي النبي - ﷺ - ، ومنهج أصحابه، لما رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، مثلا بمثل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله، إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. (صحيح البخاري ٢٦٦٧/٦، صحيح مسلم ١٥٢٤/٣).

وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة، فقيل له: ما الواحدة قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي "[(١)].

والسلفي: المنسوب إلى السلف، وهو من اعتقد معتقد السلف، وانتهج منهجهم في فهم كتاب الله – تعالى - وسنة رسوله - ﷺ- ، أو هو الذي انتحل مذاهب السلف على ما سمعت منهم، أو ما كان على مذهب السلف[(٢)]، ومن ثم فإن النسبة إلى السلف لا تقتصر على أصحاب القرون الثلاثة المشار إليها في حديث عمران بن حصين الماضي، بل إن هذه النسبة تكون لمن لزم منهج السلف في فهم الكتاب والسنة وتمسك بهما، وسار على نهج الصحابة والتابعين في فهمهما والعمل بهما، وإن عاش في القرون المتأخرة.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وقال المباركفوري: هذا حديث حسن غريب في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب. (الحاكم: المستدرك ٢١٨/١، سنن الترمذي ٢٦/٥، المباركفوري: تحفة الأحوذي ٣٣٤/٧).

(٢) تفسير الطبري ٤٥/٢، الجصاص: أحكام القرآن ٧٠/٤، المعاني: الأنساب ٢٧٣/٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/٦، ابن تيمية: الرسالة التدمرية /١٤٥، السفاريني: لوامع الأنوار البهية ٢٠/١، ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية /١٩، أحمد فريد: السلفية قواعد وأصول /٤٩- ٥٠.

المطلب الثاني:

صلة السلفية بالإسلام الصحيح

لا يمتري أحد في أن سلف الأمة التزموا نهج الإسلام الصحيح، واتبعوه، ونشروه ودعوا إليه، وكانت لهم جهود كثيرة في تحقيق ذلك، سطرتها كتب السنن والسير والتاريخ والفقه ونحوها، ولا يجحد فضلهم في ذلك، وأشير في عجالة إلى طرف من التزام السلف بشرعة الإسلام وعقيدته، ودعوتهم إليه، ودفاعهم عنه، وتحرير العقول مما شابها من البدع التي لا تمت إلى الإسلام بصلة.

ومن المناسب للوقوف على صلة السلفية بالإسلام الصحيح، معرفة خصائص العقيدة السلفية، والأسس التي تقوم عليها، وأصولها العلمية.

فمن خصائص هذه العقيدة: أنها ربانية المصدر، فمصدرها الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب الكريم والسنة المطهرة بفهم سلف الأمة، وأنها عقيدة إجماعية: لم تكن عقيدة غيرها منذ عصر النبوة حتى يومنا، وأنها العقيدة التي يجتمع عليها المسلمون شرعاً وديناً، فلا يقبلون غيرها، كما لا تزال هي العقيدة التي يجتمعون عليها آخراً بعد أن اجتمعوا عليها أولاً، وهي عقيدة فطرية سليمة، من شأن كل مسلم يقرأ كتاب الله - تعالى - أن يؤمن بها بداهة وفطرة.

وأما الأسس والقواعد التي يقوم عليها المنهج السلفي، فهي: تقديمه النقل على العقل، ورفض التأويل الكلامي، وكثرة الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والدعوة السلفية وهي في سبيلها لتحقيق منهجها، **تهتم ببعض القضايا الكلية التي تعتبرها أصولاً علمية لها**، هي: قضية توحيد الألوهية والربوبية لله – سبحانه - ، وما يقتضيه التوحيد من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب السماوية، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقضية الاتباع وعدم الابتداع في الدين، والتزكية (١).

وأعرج في عجالة على بعض هذه الخصائص والأسس والأصول العلمية.

الفرع الأول

السلفية والوحي الإلهي

معني الوحي في عرف أهل اللغة:

الوَحْيُ: الكِتاب وجمعه وُحِيٌّ، وهو أيضا الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وما ألقي إلى الغير، يقال وَحَي إليه الكلام يَحِيه وَحْياً وأَوْحَي أيضا: أن يُكلمه بكلام يُخفيه، ووَحَي وأَوْحَي أيضا أي كتب، وأَوْحَي الله إلى أنبيائه، وأَوْحَي: أشار، والوحي: ما يوحيه الله – تعالي - لأنبيائه، والوحي للإلهام، ويكون للأمر وللإشارة كذلك (٢).

معني الوحي في اصطلاح العلماء:

الوحي: إلقاء المعني في النفس في خفاء، إما بكلام على سبيل الرمز والتعريض، أو بصوت مجرد عن التركيب، أو بإشارة بعض الجوارح، أو بالكتابة، أو غير ذلك، ويقال للكلمة الإلهية التي تلقي إلى أنبياء الله

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية /٨- ٢٤، أحمد فريد: السلفية قواعد وأصول /١٥ وما بعدها.

(٢) لسان العرب ١٥/ ٣٨٠- ٣٨٢، مختار الصحاح /٢٩٧.

وأوليائه: وحي، وذلك إما برسول مشاهد، وإما بسماع كلام معاينة، وإما بإلقاء ما في الروع، وإما بإلهام، وإما بتسخير، وإما بمنام [1].

ومن ثم فإن المقصود بالوحي الإلهي: ما أوحى به الحق سبحانه إلى نبيه - ﷺ- من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الثابتة إلى الرسول - ﷺ- .

وقد انتهج سلف الأمة - مذ جاء الوحي بهذين المصدرين من مصادر التشريع الإسلامي – منهج التمسك بهما، يطبقونهما على ما نزل وينزل بالمسلمين من وقائع، تطبيقاً لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ- : " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض " [2].

ومظاهر تمسك السلف بالوحي الإلهي التزاماً وتطبيقاً وتأسيساً وتقديماً له على غيره من أدلة

المعقول، يضيق المقام عن ذكر طرف منه، ولعل من أمثلة ذلك:

١- روي الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل - رضي الله عنه- " أن رسول الله - ﷺ- لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟، قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟، قال: فبسنة رسول الله - ﷺ- ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله - ﷺ- ولا في كتاب الله؟، قال: أجتهد رأيي ولا آلو،

---

(١) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ١/٧٢١- ٧٢٢.

(٢) أخرجه البيهقي والدارقطني في سننهما، والحاكم في المستدرك، وسكتوا عنه. (الحاكم: المستدرك ١/١٧٢، سنن البيهقي ١٠/١١٤، سنن الدارقطني ٤/٢٤٥).

فضرب رسول الله - ﷺ - صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسولِ الله لما يرضي رسول الله "[1].

٢- روي بردة - رضي الله عنه - قال: " قدم على أبي موسي الأشعري معاذ بن جبل من اليمن، وإذا برجل عنده فقال: ما هذا ؟، فقال: رجل كان يهودياً ثم أسلم ثم تهود، ونحن نريده على الإسلام منذ أحسبه قال شهرين، قال معاذ: والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه، فضربت عنقه ثم قال معاذ: قضاء الله ورسوله "[2].

٣- روي علقمة عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: " لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود في سننيهما، قال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بمتصل، وقال البخاري في تاريخه الحارث بن عمرو عن أصحاب معاذ وعنه أبو عون لا يصح ولا يعرف إلا بهذا، وقال الدارقطني في العلل: رواه شعبة عن أبي عون هكذا وأرسله بن مهدي وجماعات عنه، والمرسل أصح، وقال المباركفوري: وهذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم بما هو معروف، فالحق أنه من قسم الحسن لغيره وهو معمول به . (سنن الترمذي ٦١٦/٣ ، سنن أبي داود ٣٠٣/٣، ابن حجر: تلخيص الحبير ١٨٢/٤ ، تحفة الأحوذي ٣٦٧/٧) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وابن حزم في المحلى، واستشهد به ابن حجر في الفتح وسكت عنه، (مصنف عبد الرزاق ١٦٨/١٠ ، ابن حزم: المحلى ١٩١/١١ ، ابن حجر: فتح الباري ٢٧٤/١٢) .

للحسن المغيرات خلق الله، فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله - ﷺ - وهو في كتاب الله ؟، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله - عزَّ وجلَّ - : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا "، فقالت المرأة فإني أري شيئاً من هذا على امرأتك الآن، قال: اذهبي فانظري، فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها "[1].

٤- روي قبيصة قال: "جاءت الجدة إلى أبي بكر فقالت: إن ابن ابني أو ابن ابنتي مات، وقد أخبرت أن لي في كتاب الله حقاً، فقال أبو بكر: ما أجد لك في الكتاب حقاً، وما سمعت رسول الله - ﷺ - يقضي لك بشيء، وسأسأل الناس "[2].

٥- روي عمرو بن عبد الله قال: كنت مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي، فحدث الشعبي بحديث " فاطمة بنت قيس " أن رسول الله - ﷺ - لم يجعل لها سكني ولا نفقة "، ثم أخذ الأسود كفّاً من حصي فحصبه به فقال: ويلك ! تحدث بمثل هذا ؟، قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبيِّنا - ﷺ - لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكني والنفقة "

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. (صحيح البخاري ٤/١٨٥٣، صحيح مسلم ٣/١٦٧٨).

(٢) أخرجه ابن حزم في المحلى ٩/٢٧٣.

[1]، قال الله - عزَّ وجلَّ: - " لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة"[2].

وإذا كان هذا هو نهج أصحاب رسول الله - ﷺ- ، وهم السلف الصالح من هذه الأمة، فإن تابعيهم وتابعي التابعين قد سلكوا نفس النهج، يظهر هذا مما أثر عنهم من أقوال أو ما سطر عنهم في بطون كتب الشريعة، من ذلك ما يلي:

١- اعتبر السلف أن الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدر التشريع للأحكام العملية أو الاعتقادية، ولذا فقد كانا الأساس الذي يقوم عليه استنباط الأحكام الشرعية بوجه عام عندهم، ولذا اعتبروا عند البحث عن الحكم الشرعي مطلقا أن يكون ذلك من خلال أدلة الشرع المعتبرة، وفي مقدمتها الكتاب والسنة.

٢- قال الشافعي: " إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي المخالف عرض الحائط "[3].

٣- قال كثير من السلف: لو صح الحديث لقلنا به، من ذلك قول البيهقي في حديث عدم انتقاض الوضوء بالقبلة المروي عن عائشة - رضي الله عنها - : " رواه أبو حنيفة عن أبي دوق عن إبراهيم عن حفصة، وإبراهيم لم يسمع من عائشة ولا من حفصة، والحديث الصحيح عن عائشة إنما هو في قبلة الصائم، فحمله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١١١٨/٢ .

(٢) من الآية الأولى من سورة الطلاق .

(٣) حاشية البجيرمي ٤١٢/١ .

الضعفاء من الرواة على ترك الوضوء منها ، ولو صح إسناده لقلنا به " [1]، وقال الشافعي في حديث بهز بن حكيم في تغريم مانع زكاة الإبل بأخذ شطر ماله : " هذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث ، ولو ثبت لقلنا به " [2].

الفرع الثاني

تقديم السلف المنقول على المعقول

من قواعد المنهج السلفي تقديم المنقول في العمل والتطبيق ، على ما يقتضيه العقل ونحوه من أدلة الشرع الأخرى [3]، ومما لا شك فيه أن المنهج الذي يعمل نصوص الوحي الإلهي ويقدمها على غيرها من الأدلة ، هو منهج إسلامي قويم ، باعتبار أن الله – تعالى – أمر نبيه – ﷺ- باتباع ما شرع لأمته ، إذ قال –سبحانه- : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها " [4]، وقال – سبحانه – : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " [5]، وقال – جل شأنه – : " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع

(١) السنن الكبرى ١/١٢٦ .

(٢) ابن حجر : تلخيص الحبير ٢/١٦١ ، الصنعاني : سبل السلام ٢/١٢٧ .

(٣) أحمد فريد : السلفية قواعد وأصول /١٥- ١٨ ،

(٤) من الآية ١٨ من سورة الجاثية .

(٥) من الآية ١٣ من سورة الشورى .

أهـواءهم عمـا جـاءك مـن الحـق لكـل جعلنـا مـنكم شـرعة ومنهاجـا "[1]، والـشرعة والـشريعة : الطريقـة المستقيمة[2]، وهـي في الاصـطلاح : الأحكـام الـتي سـنها الله - تعـالى - لعبـاده علـى لـسان رسـول مـن الرسـل ، متعلقـا بالعقائـد والعبـادات والمعـاملات والأخـلاق ونظـم الحيـاة في شـعبها المختلفـة ، لتنظم علاقة الناس بربهم ، وعلاقتهم ببعـضهم الـبعض[3]، وسميـت شـريعة لاستقامتها وعدم انحرافها عن الطريق المستقيم .

فالشريعة هي نصوص الكتاب والسنة المطهـرة ، وهـي الـتي انـتهج الـسلف إعمالهـا في كـل منـاحي الحيـاة ، اسـتنباطاً للأحكـام منهـا ، وتطبيقـاً والتزامـاً ، وتقديماً لها على غيرها من أدلة الشرع الأخرى ، نجد هـذا في قـول عمـر - رضي الله عنه - : " اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتني يوم أبي جنـدل ولـو أسـتطيع أن أرد أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرددته "[4]، يقصد بهذا ما حدث منه في صلح الحديبية حين وجد شروط الصلح مجحفة بالمسلمين ، قـال : " أتيـت الـنبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت : ألـست نـبي الله حقـاً ؟ ، قـال : بلـى ، قلـت : ألـسنا علـى الحـق وعدونا على الباطل ؟ ، قال : بلى ، قلت : فلم نعط الدنية في ديننا إذًا ، قـال : إني رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت : أو ليس كنـت تحـدثنا أنـا سنأتي البيت فنطوف به ؟ ، قال : بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ ، قال : قلت :

---

(١) من الآية ٤٨ من سورة المائدة .

(٢) لسان العرب ١٠/٤٠ .

(٣) أ.د. عبد الفتاح إدريس : تاريخ الفقه الإسلامي /١٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦٦٥/٦ .

لا ، قال: فإنك آتيه ومطوف به .. "[1]، كما نجده في قول علي - رضي الله عنه - : " لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح على ظاهر خفيه" [2].

الفرع الثالث

السلفية والتأويل

معنى التأويل في عرف أهل اللغة:

يطلق التأويل في اللغة على: تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أَوَّلَهُ تأويلاً وتَأوَّلَهُ بمعنى، وأول الكلامَ وتَأَوَّله: دَبَّره وقدَّره، وأَوَّله وتأَوَّله: فَسَّرَه، والمراد بالتأْويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ؛ والتأْويل والمعنى والتفسير واحد، فالتأْويل جمع معاني أَلفاظ أَشْكَلت بلفظ واضح لا إِشْكال فيه، وقال الليث: التأَوُّل والتأْويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إِلاّ ببيان غير لفظه[3].

معنى التأويل في اصطلاح العلماء:

التأويل في الشرع هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: " يخرج

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٩٧٨ .

(٢) أخرجه البيهقي وأبو داود في سننهما، قال الشوكاني وابن حجر: أخرجه الدارقطني، وقال ابن حجر: في بلوغ المرام: إسناده حسن، وقال في تلخيص الحبير: إسناده صحيح، قال الشوكاني: في إسناده عبد خير الهمداني، وثقه ابن معين والعجلي. (سنن البيهقي ١/ ٢٩٢، سنن أبي داود ١/ ٤٢، تلخيص الحبير ١/ ١٦٠، ابن حجر: الدراية ١/ ٨٠، الشوكاني: نيل الأوطار ١/ ٢٣١)

(٣) لسان العرب ١١/ ٣٣، مختار الصحاح ١/ ١٣ .

الحي من الميت " [١]، إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً [٢].

وقد منع السلف من التأويل ما كان صرفاً للفظ عن ظاهره إلى معنى آخر مرجوح، ومما لاشك فيه أن منع التأويل الذي يكون على هذا النحو، مما يقتضيه فهم ظاهر النص وفق ما توحي به عبارته، باعتبار أن ما يفيده ظاهر النص هو الأصل فيما تحمل عليه ألفاظه من معانٍ، وهو مما اتفق عليه العلماء، باعتبار أن ظاهر اللفظ يفيد المعنى الحقيقي له، والأصل في الألفاظ المطلقة أن تحمل على حقيقتها الظاهرة من منطوقها، وحملها على غيرها من قبيل حمل اللفظ على معناه المجازي، وهو غير سائغ عند عدم المقتضي له[٣]، وقد اعتبر العلماء لصرف اللفظ عن ظاهره إلى إحدى معانيه المجازية، أن يتعذر حمله على معناه الحقيقي، أو عند وجود القرينة الصارفة، حيث يحمل اللفظ إلى المعنى المجازي الذي يمكن حمله عليه، أو الذي تقتضيه القرينة.

وهذا المنهج الذي اتبعه سلف الأمة أولى بالاتباع، باعتباره يقعد لفهم نصوص الشرع، وحملها على ما توحي به عباراتها، من غير صرف لها إلى معنى غير ذلك، ولا يخفى أن فتح باب تأويل النصوص لحملها على غير ما يوحي به ظاهرها يجر إلى مفاسد جمة، تنشأ عن فهم هذه النصوص، وتطبيق

---

(١) من الآية ٩٥ من سورة الأنعام، ٣١ من سورة يونس، ١٩ من سورة الروم.

(٢) الجرجاني: التعريفات /١٧٢.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ١٧٧/٣٣، أحمد فريد: السلفية قواعد وأصول /١٩، الزنجاني: تخريج الفروع على الأصول /٥٨، الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ٦٣/١، ٢٦٧/٢، ٢٦٨، السبكي: الإبهاج ٣١٧/١، نيل الأوطار ١٧٨/٦.

هذا الفهم على الوقائع والنوازل، مما يبعد بها عن حكم الشارع ومقصوده من تشريع الأحكام.

الفرع الرابع

كثرة الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية

إن اعتبار الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة هو خصيصة العقيدة السلفية، واعتبار تقديم الأدلة النقلية على الأدلة العقلية في العمل والتطبيق والاستنباط ونحوها، هو القاعدة الأساس في المنهج السلفي، يتسق معهما ويترتب عليهما أن يكثر الاستدلال بآيات الكتاب الكريم والأحاديث النبوية في الوقائع والنوازل، باعتبار أن نصوصهما هي المرجع لكل مسلم، ولذا فإنا نجد أن التأصيل والتقعيد والاستنباط يكون من خلال إيراد شواهد عدة من هذين المصدرين للاحتجاج بها على ذلك، وهذا المنهج يقف عليه المطلع على كتب السلف، حيث يستشهدون على الأحكام الشرعية والأخلاق ونحوها بكثير من الأدلة النقلية (1).

وكثرة الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة مأمور به شرعاً، فقد قال الحق – سبحانه – : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا " (2)، وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما،

---

(1) أحمد فريد: السلفية قواعد وأصول /20- 24.

(2) الآية 59 من سورة النساء.

كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض " ، ولذا كان ديدن السلف في كل نازلة البحث عن نص كتاب أو سنة فيها ، فإن لم يجدوا اجتهدوا ، وهذا ما ذكره معاذ بن جبل - رضي الله عنه - جوابا عن سؤال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له : " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ ، قال : أقضي بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد في كتاب الله ؟ ، قال : فبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا في كتاب الله ؟ ، قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدره ، وقال : الحمد لله الذي وفّق رسول رسولِ الله لما يرضي رسول الله " .

وقد كان سلف الأمة يسأل بعضهم بعضًا في كل ما ينزل بهم أو يعرض لهم من نوازل ، ما إذا كان يحفظ عن ذلك شيئاً عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - أم لا ، والوقائع التي تفيد ذلك من الكثرة بمكان ، منها ما يلي :

١- روى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " قام عمر على المنبر فقال : أذكِّر الله امرءًا سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى في الجنين ، فقام حمل بن مالك بن النابغة فقال : يا أمير المؤمنين كنت بين جاريتين فضربت إحداهما الأخرى بمسطح فقتلتها وما في بطنها ، فقضى النبي - صلى الله عليه وسلم - بغرة ، فقال عمر : الله أكبر لو لم نسمع بمثل هذا لقضينا بغيره " [١] ، وروى عوف قال بلغني أن عثمان - رضي الله عنه - قال على المنبر: " أذكر الله رجلاً سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، كلهن شاف كاف

(١) أخرجه الشافعي في مسنده /٣٤٨، وعبد الرزاق في مصنفه ١٠ /٥٨ .

إلا قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك، ثم قال عثمان: وأنا اشهد معكم لأنى سمعت رسول الله - ﷺ- يقول ذلك "[1].

٢- وروى عبد الله بن الحرث" أن أباه ولي طعام عثمان، قال فكأني أنظر إلى الحجل حوالي الجفان، فجاء رجل فقال: إن عليا يكره هذا، فبعث إلى علي وهو ملطخ يديه بالخبط فقال: إنك لكثير الخلاف علينا فقال على: أذكر الله من شهد النبي - ﷺ- أتى بعجز حمار وحش وهو محرم فقال: إنا محرمون فأطعموه أهل الحل، فقام رجال فشهدوا، ثم قال: أذكر الله رجلاً شهد النبي - ﷺ- أتى بخمس بيضات نعام فقال: إنا محرمون فأطعموه أهل الحل، فقام رجال فشهدوا، فقام عثمان فدخل فسطاطه وتركوا الطعام على أهل الماء " [2].

وهذا يدلل على أن سلف الأمة كانوا يحرصون على الإكثار من الاستشهاد بنصوص الشرع على ما يعرض لهم من وقائع أو حادثات .

الفرع الخامس

التوحيد كأصل علمي للمنهج السلفي

التوحيد أصل من أصول الدعوة السلفية، وهو يقوم على: الإيمان بأسماء الله –تعالى- وصفاته على الوجه الذي يليق به، كما وردت في

(١) أخرجه الهيثمي وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير، وقال الهيثمي: فيه راو لم يسم . (مسند الحارث الهيثمي ٢/٧٣٤، مجمع الزوائد ٧/١٥٢) .

(٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما . (مسند أحمد ١/١٠٠، مسند أبي يعلى ١/٢٩٤، ٣٤٠) .

الكتاب الكريم والسنة المطهرة، دون تحريف أو تأويل، كما يقوم على إفراد الله –سبحانه- بالعبادة، والإيمان بأن لله –سبحانه- وليس لغيره حق التشريع للبشر في شئون حياتهم، إذ الحلال ما أحل الله والحرام ما حرمه، وما سكت عنه فهو عفو[1]، والإيمان بأن هذه الأسس التي يقوم عليها التوحيد كل لا يتجزأ، باعتبارها أساس فهم العقيدة السليمة [2].

وهذا التوحيد أصل كل الشرائع السماوية، طلب جميع الأنبياء والرسل ممن أرسلوا إليهم أن يؤمنوا به، فقد قال الحق – سبحانه - في شأن عاد: " وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره " [3]، وقال - تعالى - في شأن ثمود: " وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " [4]، وقال - جلَّ شأنه - في أهل مدين: " وإلى

---

(١) فقد روى ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: " كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا، فبعث الله تعالى نبيه - ﷺ- ، وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرمه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا هذه الآية " قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه .. "، الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الترمذي والبيهقي والدارقطني في سننهم، والطبراني في الكبير، والديلمي في مسند الفردوس. (المستدرك ٤/١٢٨، سنن الترمذي ٤/٢٢٠، سنن البيهقي ٩/٣٢٠، سنن الدارقطني ٢/١٣٧، الطبراني: المعجم الكبير ٦/٢٥٠، الديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب ٢/:١٥٨).

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية /٧- ١٢، أحمد فريد: السلفية قواعد وأصول /٢٥- ٢٨، عاطف الفيومي: المنهج السلفي بين العداء والمضاء /٣١.

(٣) من الآية ٥٠ من سورة هود.

(٤) من الآية ٦١ من سورة هود.

مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره "[١]، ومثل هذا في القرآن كثير، فالتوحيد هو دين الله –تعالى– الذي بعث به الأولين والآخرين، إذ قال الحق –سبحانه– : " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "[٢]، وقال –تعالى– : " واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون "[٣]، وقال –تعالى– : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت "[٤]، وقد عن النبي – ﷺ– أنه قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم "[٥]، ومنهج يقوم على اعتبار التوحيد أصلاً من أصول الدعوة إلى الله – تعالى – ، منهج إسلامي قويم .

الفرع السادس

الاتباع كأصل علمي للمنهج السلفي

الاتباع يطلق على معنيين، الأول: اتباع ضد الابتداع، والثاني: اتباع للعالم بدليل من الكتاب والسنة، فهو من هذه الناحية منزلة وسط بين الاجتهاد والتقليد .

---

(١) من الآية ٨٤ من سورة هود .

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٤٥ من سورة الزخرف .

(٤) من الآية ٣٦ من سورة النحل .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٤٠ .

فالاتباع الذي هو ضد الابتداع منهج سلفي [1]، دعا الله –تعالى– إليه، قال تعالى: " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " [2]، وقال سبحانه: " من يطع الرسول فقد أطاع الله " [3]، كما دعا إليه رسول الله – ﷺ– ، فيما رواه عنه جابر – ﵁– قال: " شر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " [4]، وروت عائشة – رضي الله عنها– أن رسول الله– ﷺ– قال: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [5].

وقد كان هذا ديدن السلف بعد رسول الله – ﷺ– ، فإن أبا بكر – ﵁– لما قاتل مانعي الزكاة أنكر عليه عمر – ﵁– ، وقال له فيما رواه أبو هريرة – ﵁– : " يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله – ﷺ– : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله، قال أبو بكر: والله

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية /١٣– ١٦، أحمد فريد: السلفية قواعد وأصول /٢٩– ٣٥، عاطف الفيومي: المنهج السلفي بين العداء والمضاء /٣١.

(٢) من الآية ٧ من سورة الحشر.

(٣) من الآية ٨٠ من سورة النساء.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٥٩٢/٢.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. (صحيح البخاري ٩٥٩/٢، صحيح مسلم ١٣٤٣/٣).

لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة من حق المال "[1]، وقد أنكر أبو بكر طلب عمر منه جمع القرآن، فقال له فيما رواه ابن السباق: "كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله - ﷺ- .. قال زيد بن ثابت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله - ﷺ- "[2]، وهذا يبين إلى أي مدى كان اتباع السلف للمأثور عن النبي - ﷺ- .

وأما الإطلاق الآخر للاتباع فهو: الأخذ بقول الغير مع معرفة دليله، وهذا الإطلاق قال به السلف، ويعد أصلاً من أصول منهجهم العلمي، ولذا ذم السلف التقليد الذي يقتضي أخذ أقوال مجتهد معين وإنزالها منزلة نصوص الشارع، حيث يرى ابن القيم أن التقليد الذي يري امتناعه هو (اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع لا يلتفت إلى قول سواه، بل لا إلى نصوص الشارع، إلا إذا وافقت نصوص قوله، قال فهذا هو التقليد الذي أجمعت الأمة على أنه محرم في دين الله، ولم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة)[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأحمد وأبو يعلى في سنديهما، والنسائي في سننه، وقال ابن منده: هذا إسناد مجمع على صحته. (صحيح ابن حبان ١/٤٤٩، مسند أحمد ٢/٥٢٨، مسند أبي يعلى ٥/١٥، سنن النسائي ٣/٤، ابن منده: الإيمان ١/٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٧٢٠.

(٣) إعلام الموقعين ٤/٢٣٦، ١٩٢.

وقد دعا إلى الأخذ بالاتباع بمفهومه هذا أبو حنيفة، حيث قال: " لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا حتى يعلم من أين قلنا " [١]، وقال بقوله كثير من أصحابه [٢].

والاتباع بهذا المعنى واجب كل من يسأل عن مسألة يجهلها، إذا كان يمكنه معرفة مأخذ الحكم أو القول من الدليل، حيث ينبغي له أن يعرف دليل الحكم الذي سأل عنه، وإلا ففي زماننا الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، وجد من لا يتورع عن الفتوى فيما لا علم له به، نتيجة عدم الاكتراث بخطر الفتوى في أمور الشرع، فيفتي بالضلال ليضل من استفتاه، فيكون للمتبع أن يقف على حقيقة الدليل الذي

استندت إليه الفتوى، فإن كان مما يدعمه النقل أخذ به، وإلا رد.

غير أن التقليد [٣] يجوز عند الضرورة في حالات، منها: تقليد الجاهل بالحكم ومأخذه من الدليل، وتقليد من لم يتأهل للاجتهاد في أمور الشرع لأحد المجتهدين، وتقليد من لم يظفر بنص من كتاب أو سنة من العلماء، ولم يجد إلا قول من هو أعلم منه، حيث يجوز له أن يقلده، أما التقليد المحرم فهو أن يكون العالم متمكناً من معرفة الحق بدليله، ثم مع ذلك يعدل إلى التقليد، فهو كمن يعدل إلى الميتة مع قدرته على المذكي، والتقليد إنما هو لمن لم يكن

---

(١) إبراهيم الحنفي: لسان الحكام /٢١٨.

(٢) ابن نجيم: البحر الرائق ٢٩٣/٦.

(٣) التقليد عند الأصوليين هو: الأخذ بقول الغير مع عدم معرفة دليله، أو هو قبول قول الغير من غير حجة، كأخذ العامي من المجتهد. (ابن قدامة: روضة الناظر ٤٥٠/٢، الغزالي: المستصفى ٣٨٧/٢، نظام الدين: فواتح الرحموت ٤٠٠/٢).

قادراً على الاجتهاد، أو كان قادرا عليه لكن لم يجد الوقت لذلك، فهي حال ضرورة كما قال ابن القيم، وقد أفتي الإمام أحمد بقول الشافعي، وقال: إذا سئلت عن مسألة لم أعرف فيها خبراً أفتيت فيها بقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قريش [1].

الفرع السابع

التزكية كأصل علمي للمنهج السلفي

يقصد بالتزكية: التطهير، وتزكية النفس: تطهيرها وتنقيتها من الآثام[2]، فالنفس الزكية هي الطيبة الطاهرة البعيدة عن كل ما يدنسها من غش أو حقد أو حسد أو ظلم، وقد بين الله - سبحانه - أن الفلاح يترتب على تزكية النفس من هذه الأمور، فقال -سبحانه- : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها " [3]، والتزكية هي من المهمات التي بعث لها رسول الله - ﷺ- ، بل هي غاية الرسالات السماوية وثمرتها، قال - تعالى - : " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " [4]، وامتن الله - تعالى - على عباده ببعثة رسوله - ﷺ- لتطهيره وتزكيتهم من الآثام، فقال - سبحانه - : " لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

---

(١) مطالب أولي النهى ٦/٤٤٨ .

(٢) لسان العرب ١٤/٣٥٨، مختار الصحاح /١١٥ .

(٣) الآيات من ٧- ١٠ من سورة الشمس .

(٤) الآية ٢ من سورة الجمعة .

الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"[1] ، وبين أن هذه التزكية هي فضل الله - تعالى - على عباده ورحمته بهم، فقال - جل شأنه - : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء "[2]، ولما لهذه التزكية من أثر عظيم في نفس صاحبها وقربه من الله – تعالى - ومرضاته، كان رسول الله - ﷺ - يدعو ربه بأن يزكي نفسه، فقد روى زيد بن أرقم - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يقول: " اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها "[3].

وأول ما يزكي به المرء نفسه بالتوحيد، فالإشراك بالله موبق لها وموجب وصفها بضد التزكية، كما قال – سبحانه - : " وقد خاب من دساها"، وقال جل شأنه: " إنما المشركون نجس "[4].

وبداية التزكية عند السلف تكون بالتوحيد، الذي هو معرفة الله تعالى معرفة صحيحة، بما يلزم لذلك من إفراد الله – سبحانه - بتوحيد القصد والطلب والعبودية، ثم بعد ذلك بأداء الواجبات التي كلف الله – تعالى - بها عباده، بأداء ما أمر والكف عما نهى[5]، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: " إن الله قال: ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .

(٢) من الآية ٢١ من سورة النور .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٨٨ .

(٤) من الآية ٢٨ من سورة التوبة .

(٥) الأصول العلمية للدعوة السلفية /١٧- ٢٣، السلفية قواعد وأصول /٣٦- ٤٦ .

إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه "(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٢٠٦١ .

المطلب الثالث:

حكم الانتساب إلى السلفية

إذا كان السلف هم من ذكرت حقيقتهم قبلُ ، وأنهم من سلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من الأئمة الأعلام الذين حملوا أمانة الدعوة إلى دين الله – تعالى - ، وتبليغ شرعه إلى الناس في عصورهم فمن بعدهم، فإن من انتحل مذاهبهم على ما سمعت منهم، أو ما كان على مذهبهم وانتهج نهجهم يكون منسوباً إليهم، وإذا كان هذا هو مسلكهم، فإن الانتساب إليهم - إذا كان من انتسب إليهم قمن بهذه النسبة – أمر مشروع، ينبغي على المكلف الذي يرى من نفسه القدرة على سلوك منهجهم، أن يفعل ما من شأنه أن تصح نسبته إليهم، من الالتزام بشرع الله – تعالى - وتبليغه، والدعوة إلى دينه سبحانه، والدفاع عنه، واسترخاص كل غال في سبيله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذالك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا "[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان: " كيف يكون التمذهب بالسلفية بدعة والبدعة ضلالة، وكيف يكون بدعة وهو اتباع السلف، واتباع مذهبهم واجب بالكتاب والسنة وحق وهدى[2]، قال الله – تعالى - : " والسابقون

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/ ١٤٩ .

(٢) الشيخ الفوزان: البيان /١١٦، ١٣٠ .

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه " [(١)].

وسئل العلامة بن باز فيمن تسمى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية، فأجاب: " إذا كان صادقاً أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس، مثل ما كان السلف يقولون: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لابد منها، تزكية واجبة"[(٢)].

وسئل الشيخ مقبل الوادعي عن حكم الانتساب إلى السلفية والتسمي بها، فقال: " أمر طيب سواء انتسبت إلى السلفية أو إلى السنة .. وهذه النسبة ليست كنسبة الحزبيين " [(٣)].

وقال الشيخ سليم الهلالي: " السلفية انتساب إلى منهج سديد، وليس ابتداع مذهب جديد"[(٤)].

ومما يدل على شرعية انتساب المكلف إلى سلف الأمة ما يلي:

١- أن رسول الله - ﷺ- أخبر عن خير القرون، وهؤلاء أولى أن يحتذي بسيرتهم ومسلكهم، لأنهم لم يوصفوا بأنهم من خير القرون لمجرد قرب الزمان الذي أظلهم بعهد النبوة، بل لما تحملوه في سبيل تمسكهم بأحكام الدين، وما واجهوه في سبيل نشره والحفاظ عليه، والدعوة إليه، وتنقية معتقد الناس مما شابه من البدع والأمور المنكرة، ولذا فإن من لم يدرك زمانهم أجدر به أن

---

(١) من الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

(٢) الشيخ الفوزان: الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة /١٧.

(٣) من شريط القول النقي في معرفة معنى سلفي للشيخ الوادعي.

(٤) الشيخ سليم الهلالي: الجماعات الإسلامية /٥٤٣.

يسلك سبيلهم، خاصة وأن الذين يأتون من بعدهم وصفهم رسول الله- ﷺ- بصفات مذمومة، فقد روى عمران بن حصين - رضي الله عنه- أن رسول الله - ﷺ- قال: " إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدرى أقال رسول الله - ﷺ- بعد قرنه مرتين أو ثلاثة، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن " .

٢- بين رسول الله - ﷺ- صفات الفرقة الناجية، وأنها التي تتمسك بمنهجه ومنهج أصحابه، فقد روى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ- قال: " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله، إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة، فقيل له: ما الواحدة ؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي " [1]، وإذا كانت الفرقة الناجية هي ما عليه السلف الصالح من الصحابة، فإن الانتساب إلى هذه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وقال المباركفوري: حديث حسن غريب في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب. (المستدرك ١/٢١٨، سنن الترمذي ٥/٢٦، تحفة الأحوذي ٧/٣٣٤).

الفرقة من مقاصد التشريع، بحسبان أن من ينتسب إليها لا يسعه إلا أن يعمل بعملها، فيكون من الفرقة الناجية.

٣- إن المرء لا يصير أهلاً للانتساب إلى مذهب السلف، إلا إذا أتى بأفعال هي من قبيل التكاليف الشرعية، من التمسك بشرع الله – تعالى – ، والدعوة إلى دينه، والدفاع عنه في مواجهة من يريد النيل منه، وإذا كانت التكاليف الشرعية منوطة بالوسع والطاقة، فإن المرء لا بد له من الانتساب إلى مذهب السلف، من تحصيل هذه التكاليف ما وسعه ذلك، ومن ثم فإن تحصيل الأعمال التي يكون المرء بها منسوباً إلى مذهب السلف، هي في مرتبة الواجبات، ولذا فإن الانتساب إلى السلفية بحسب مقتضياته يكون مشروعاً في حق من يستطيع تحصيل أسبابه.

٤- إنا نجد من انتسب إلى جماعة فكرية أو منتدى ترويحي أو رابطة مهنية، قد بذل جهدا ومالا في سبيل انتسابه إليه، ليفاخر بعد بانتسابه إلى ما انتسب إليه، وإن كانت نسبته إليه ترديه أو توره موارد التهلكة أحيانا، فأجدر بمن كانت نسبته إلى سلف الأمة، أن يبذل في سبيل هذه النسبة كل ما تصح به نسبته إليهم، وأن يفاخر بذلك من لم ينتسب إليهم، بحسبان أن أسباب نسبته إليهم فيها مرضاة الله – تعالى – ، والفوز بما أعده للداعين لدينه الذابِّين عنه دعاوى المبطلين، ومن ثم فإن اتخاذ ما من شأنه انتساب المرء إلى السلف قربة، ومن القرب ما يكون واجبا ومنها ما هو مندوب إليه.

وقد اعتبر الذهبي الانتساب إلى السلف شرطاً في الحافظ لتقبل مروياته، فقال: " فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكياً نحوياً لغوياً زكياً حيياً سلفياً " [١]، وحكى الإجماع على صحة الانتساب إلى السلف: شيخ الإسلام ابن تيميّة في رده على العز بن عبد السلام، حين قال: " والآخر يتستر بمذهب السلف " : (ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم) [٢].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٠.

(٢) فتاوى ابن تيمية ١/ ١٤٩.

المطلب الرابع:

علاقة السلفية بالجماعات المعاصرة

أبيّن في هذا الصدد منهج بعض الجماعات المعاصرة في العالم الإسلامي، راعيت في اختيار بعضها حداثته، وفي بعضها كثرة المنتسبين إليه، وفي بعض آخر انتشار مثيله في دول إسلامية شتى.

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الجماعات خرج من عباءة غيره، وأميط اللثام عن علاقة هؤلاء وهؤلاء بالسلفية.

وقد انتشر في العالم الإسلامي جماعات لها مناهج شتى، يرى أتباع بعضها أنهم ينهجون منهج الحق فيما يتبعون، وأن غيرهم ليس بهذه المثابة، ومن هذه الجماعات: جماعة التبليغ والدعوة، وجماعة الإخوان المسلمين، وجماعة أنصار السنة المحمدية، وجماعة التكفير والهجرة، وجماعة الجهاد الإسلامي، وجماعة القاعدة، ومن المناسب أن أذكر مدى اقتراب مناهج هذه الجماعات مع المنهج السلفي أو ابتعادها عنه.

الفرع الأول:

جماعة التبليغ والدعوة.

هي: جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد منها إلى جماعة منظمة، تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليه، ملزمةً أتباعها بأن يقتطع كل منهم جزءاً من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها، بعيداً عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية، ويلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم ودورهم ومتاجرهم

ونواديهم، وإلقاء المواعظ والدروس، والترغيب في الخروج معهم للدعوة إلى الله – تعالى- ، وينصحون بعدم الدخول في جدل مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات.

وتقوم أفكار هذه الجماعة ومعتقداتها على: كلمة التوحيد، وإقامة الصلوات في خشوع، والعلم والذكر، وإكرام المسلمين، والإخلاص، ويرون أن التقليد في المذاهب واجب، ويمنعون الاجتهاد، معللين ذلك بأن شروط المجتهد مفقودة في علماء هذا الزمان، وقد تأثروا بالطرق الصوفية، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة من مثل: أنه لابد لكل مريد من شيخ يبايعه، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، والمبالغة في حب الشيخ، والمغالاة في حب الرسول - ﷺ- ، مما يخرجهم في بعض الأحيان عن الأدب الذي يجب التزامه حياله، وإقامتهم الرؤى مقام الحقائق حتى تكون هذه الرؤى قاعدة تبنى عليها أمور تترك أثرها على مسيرة الدعوة، ويعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب، وترد على ألسنتهم أسماء أعلام المتصوفة، وتقوم طريقتهم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، لا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون: إن السياسة هي أن تترك السياسة.

ومما يؤخذ عليهم: أنهم لا يهتمون ببيان ونشر عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعهم؛ بل يكتفون بالعموميات التي لا تغني في دين الله شيئًا، ولا يُنكرون الشركيات والبدع المنتشرة ببلاد المسلمين؛ يؤولون أحاديث الجهاد على " الخروج "، مما يكاد ينسي الجهاد في سبيل الله، كما يتساهلون

كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة، مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين، ويعتمدون في اجتماعاتهم في البلاد العربية على القراءة من رياض الصالحين وحياة الصحابة، وفي بلاد الأعاجم على تبليغي نصاب، وهو كتاب مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة (١).

الفرع الثاني:

جماعة أنصار السنة المحمدية.

هي جماعة إسلامية سلفية قامت في مصر أولاً ثم انتشرت في غيرها، للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة، لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات، كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة الإسلامية، تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٤٥هـ بمدينة القاهرة، على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه، في الوقت الذي كانت تعج فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشركيات والبدع والخرافات، بسبب تسلط التصوف والصوفية على المناحي الفكرية والمؤسسات الدينية، فكان تأسيس الجماعة للدعوة ؛ لتجديد الدين على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة، ومحاربة الشرك والبدعة في كافة صورها .

---

(١) محمد الحسن: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي /١١- ١١٨، سعد الحصين: رأي آخر في جماعة التبليغ /٣- ١٥، أعمال ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بالبحرين ١٤٠٥هـ، فتحي يكن: الموسوعة الحركية /٨، ١٤، ١٨، ٤٢، ٤٣، حسين بن محسن: الطريق إلى جماعة المسلمين /٨- ١٢، ١٩، ٢٢، ٣٥.

وتتلخص عقيدة أنصار السنة في : أن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة (بفهم السلف الصالح) أما الأئمة المجتهدون والعلماء والمحدثون، فهم أئمة خدموا الإسلام أجلَّ خدمة، وهم بمنزلة المعلمين والمبلغين، تحبهم وتجلهم وتعظمهم وتدافع عنهم الجماعة، وتعتبر اتباعهم اتباع المستنير المتأمل، لوجوه الاستدلال لمن يكون من أهل التأمل والاستدلال، ثم تتعاون الجماعة فيما تتفق عليه، وتتسامح فيما تختلف فيه (ما دام الأمر اجتهادياً، ولا مانع من المناقشة بقصد الوصول إلى الحق وفي جو الأخوة الإسلامية)، ويعتقدون أن صفات الله - عزَّ وجلَّ - هي كما وصف نفسه ووصفه بها رسوله - ﷺ- حقيقة من غير تشبيه (تمثيل) ولا تأويل (تحريف) ولا تعطيل، ويكفون عن الجدل في ذلك، ويسكتون عما سكت عنه الصحابة والسلف، ويتكلمون فيما تكلموا فيه تأسيا بهم، يشتغلون بالحكمة الإلهية في الخلق والتشريع، ويعتقدون إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة، من نذر وحلف واستغاثة واستعانة، ومقاومة كل من يوجه شيئاً من ذلك صريحاً أو تأويلاً بتغيير اسمه إلى غير الله، ويعتقدون أن الإيمان هو التصديق الإذعاني الذي ينتج العمل ويظهر على الجوارح، وكل نقص في العمل مع التمكن منه والقدرة عليه هو نقص في الإجابة بقدره، وليس الإيمان مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به، وإنما هو قول واعتقاد وأخلاق وآداب (وسلوك وعمل)، ويعتقدون أن البدعة الشرعية هي كل جديد في العبادات على غير مثال سابق، من سنة رسول الله - ﷺ- سواء كان في أصله أو طريقة أدائه، يتفانون في حب رسول الله - ﷺ- والتمسك بما أمر واجتناب ما نهى، والإكثار من الصلاة والسلام عليه وعلى آل بيته الأطهار، وأن عمل

ابـن آدم ينقطـع بموتـه إلا مـن الـثلاث الـتي وردت في الحـديث ، وأن الله - سبحانه وتعـالى - يـشفع مـن يـشاء في عبـاده لمـن ارتـضى ، وأنـه - ﷺ- صـاحب الـشفاعة الكـبرى ، وأنـه صـاحب المقـام المحمـود والجـاه العظـيم يـوم القيامة ، وأن قراءة القرآن الكريم للـذكر والتـدبر ، وأن اسـتنباط الأحكـام منـه يكون من اختصاص أهل العلم ، وأن الدين الإسلامي جماع الخير ، يريـد مـن أهله أن يكونوا أقوياء محسنين في أعمالهـم حتـى يرثـوا الأرض ومـن عليهـا ، وأن الإسلام دين ودولة ، وعبادة وحكم ، وأنه صالح لكل زمان ومكان .

وتـدعو هـذه الجماعـة إلى التوحيـد الخـالص المطهـر مـن جميـع الـشوائب ، وحب الله – تعالى - حبًا صـحيحًا صـادقاً يتمثـل في طاعتـه وتقـواه ، وحـب رسوله - ﷺ- ، حبًـا صـحيحًا صـادقاً يتمثـل في الاقتـداء بـه واتخـاذه أسـوة حـسنة ، والـدعوة إلى أخـذ الـدين مـن نبعيـه الـصافيين : القـرآن والـسنة الصحيحة ، ومجانبة البـدع والانحرافـات ومحـدثات الأمـور ، والـدعوة إلى ربـط الدنيا بالدين بأوثق رباط ، عقيـدةً وعمـلاً وخلقـاً ، والـدعوة إلى إقامـة المجتمـع المسلم ، والحكم بما أنزل الله ، فكل شرع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه - سبحانه - منازع إياه في حقوقه .

وحذرت هذه الجماعة من خطر الفرق وأهل الأهـواء ، وأمـرت بالتـصدي لغلاة المتصوفة ، ومنكري السنة ، والبهائية ، والرافضة ، والباطنية ، والتـصدي لحمـلات التغريـب ، والعلمنـة ، والإلحـاد ، والزندقـة ، والعمـل عـلى توحيـد المسلمين تحت عقيدة واحدة ، ومنهج تـشريعي واحـد عـلى أسـاس مـن المنهج الـسلفي ، والـدعوة إلى تجديـد الـدين عـلى هـدي الـسلف وأئمـة الـسنة ، والاجتهاد لمعرفة حكم الله في النوازل والمستجدات حسب الضوابط الشرعية ،

وإتباع السياسة الحكيمة دون استعجال أو صدام لإقامة شرع الله تعالى في الأرض .

وفي مجال الفكر السياسي للجماعة فإن النظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً ديمقراطياً أو شمولياً أو اشتراكياً، ولا يقترب من الأنظمة الديكتاتورية، وأن له ذاتيته الخاصة، فلا يجوز إدراجه بحال تحت قسم من هذه الأقسام، أو نظام من تلك النظم [(١)].

الفرع الثالث:

جماعة التكفير والهجرة.

ظهرت جماعة التكفير والهجرة في مصر سنة ١٩٧١م وأطلقت على نفسها اسم جماعة المسلمين، وتولى قيادتها وصياغة أفكارها ومبادئها شكري مصطفى، الذي اعتقل سنة ١٩٦٥م، وأدخل السجن بتهمة انتمائه إلى جماعة الإخوان المسلمين، وفي السجن تولدت أفكاره ونمت، واعتبر نفسه مصلحًا عظيمًا وأنه المهدي المنتظر، وبايعه أتباعه أميرًا للمؤمنين، وقائدًا لجماعة المسلمين، وانتهى الأمر به إلى أن أُعدم هو وزملاؤه من قادة الجماعة في عام ١٩٧٨م بتهمة اختطافهم واغتيالهم للدكتور/ محمد حسين الذهبي، الذي كان وزيرًا للأوقاف آنذاك .

وأهم أصول الجماعة: تكفير مرتكب الكبيرة، كما هو مذهب الخوارج قديمًا، ويكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل،

---

(١) أحمد محمد الطاهر: جماعة أنصار السنة المحمدية نشأتها، هدافها، منهجها، جهودها /٧- ٢٢، ٣٤، ٣٧، ٤١، فتحي أمين عثمان: جماعة أنصار السنة المحمدية .. نشأتها، أهدافها، رجالاتها /١١- ٢٦، ٣٢، ٣٥، ٣٩ .

ويكفرون المحكومين ؛ لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضاً بإطلاق ودون تفصيل ، أما العلماء فيكفرونهم ، لأنهم لم يكفروا هؤلاء وهؤلاء ، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم وبايع إمامهم ، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد مهدر الدم ، والجماعات الإسلامية التي بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين ، ويرون أن كل من أخذ بأقوال الأئمة أو بأدلة الشرع غير الكتاب والسنة فهو مشرك كافر ، كما يرون أن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية ؛ لتقديسها صنم التقليد المعبود من دون الله – تعالى - ، فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ، ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين ، والهجرة هي العنصر الثاني في فكر الجماعة ، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي ، بحسبان أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية ، والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية ، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية كما عاش الرسول - ﷺ- وصحابته الكرام في الفترة المكية .

وهؤلاء يطعنون في الصحابة ويردون أقوالهم ولو كانوا من الخلفاء الراشدين ، ويقبلون الحد الأدنى من الإسلام ، ويريدون بذلك أن الإسلام يتمثل في جملة من الفرائض التي يجب أداؤها ، فمن لم يؤدها أو قصَّر فيها أو ترك بعضها فلا يعتبر مسلمًا ، فالأمور كلها يستحق الناس بها أسماءها على ابتدائها والدخول فيها ، ثم يفضل بعضهم بعضًا ، وقد شملهم فيها اسم واحد ، وكذلك الإيمان ، ولا ينتفي اسم الإسلام عمن قصّر في أداء بعض ما فرض عليه ، ولا يخرجه أداؤه للبعض عن الإسلام ، ومن أصولهم قاعدة

التبين ، ومعناها التوقف عن الحكم على من هو خارج جماعتهم حتى يتبين حالهم ، والبينة هي لزوم جماعتهم ومبايعة إمامهم ، أو من ينوب عنه ، فمن أجاب إليها كان مسلمًا ، ومن رفضها كان كافرًا ، وقاعدة التبين هذه شبيهة بمبدأ الاستعراض الذي قال به وطبقه الأزارقة من الخوارج ، ومن أصولهم : قاعدة تعارض الفرائض ، وخبطوا في ذلك خبطًا عظيمًا ، حتى قالوا بترك الجمعة ، لأنهم في مرحلة استضعاف ، وأن من شروط الجمعة التمكين ، وأباحوا لأنفسهم أعمالاً وممارسات لا سند لها من دين أو شرع ، تحت دعوى تعارض الفرائض ، وتقديم الهدف الأكبر وهو إقامة الخلافة الإسلامية ، على غيره من الأهداف .

كما أن من أصولهم : مفاصلة المجتمع وهجرته ، فأعلنوا المفاصلة التامة بينهم وبين مجتمع المسلمين ، الذي وصفوه بالجاهلية والكفر ، وذلك لتقوية ولائهم للإسلام من خلال جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد حتى تكتسب القوة الكافية ، ويرون أنه لا قيمة لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد ، لأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث في نظرهم مرتدون عن الإسلام ، وهم وإن قالوا بحجية الكتاب والسنة فقط إلا أنهم كالمبتدعة إن اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه ، فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه ، وما خالفها تحايلوا في رده أو رد دلالته.

وقد دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث " إنا أمة أمية " [١]، ودعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد الإسلامية أو غيرها، باعتبارها في نظرهم مؤسسات الطاغوت، وقالوا: إن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، وقالوا بترك صلوات الجمع والجماعات بالمساجد؛ لأن المساجد كلها ضرار، وأئمتها كفار إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد قباء والمسجد الأقصى، ولا يصلون في هذه كذلك إلا إذا كان الإمام منهم، وقد امتنعوا من الزواج من أفراد المجتمع، وقالوا: إن الله حرّم نكاح المشركات، تلك هي أهم أصولهم، يضاف إلى هذا خطأ منهجهم، من جهة أنهم ردوا الإجماع، ومنعوا التقليد، وكفروا المقلد، ونبذوا آراء الصحابة وأقوالهم، ويزعمون أن أميرهم هو مهدي هذه الأمة المنتظر وأن الله – تعالى - سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق على يد محمد - ﷺ- من ظهور الإسلام على جميع الأديان، وعليه فدور الجماعة إنما يبدأ بعد أن تدمّر الأرض بمن عليها بحرب كونية، تنقرض بسببها الأسلحة الحديثة، ويعود القتال كما كان في السابق بالأسلحة التقليدية، وقد ادَّعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سلفاً وخلفاً [٢].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. (صحيح البخاري ٦٧٥/٢، صحيح مسلم ٧٦١/٢).

(٢) سالم البهنساوي: الحكم وفضية تكفير المسلم /٧- ١٨، ٢٠- ٢٦، ٣٠، ٣٤، نعمان السامرائي: التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته /٩- ١٧، ١٩، ٢٢، ٢٧، ٣٢، عبد الرحمن أبو الخير: ذكرياتي مع جماعة المسلمين .. التكفير والهجرة /١٢- ٢٤،

الفرع الرابع:

جماعة الجهاد الإسلامي.

نشأت أول مجموعة جهادية في مصر سنة ١٩٦٤م بالقاهرة، وكان من أبرز مؤسسيها ثلاثة هم: علوي مصطفى وإسماعيل طنطاوي ونبيل البرعي، وأصبحت هذه المجموعة تنظيماً يضم عدداً من المجموعات في محافظات مصر، وكانوا جميعاً من الطلبة، إلا أن التنظيم استمر سنوات كبر فيها كل صغير، وانضم إليها أعضاء جدد، لكن هذه المجموعة انفصلت في أوائل السبعينات عند أول بادرة خلاف مع التنظيم، وقد ساهم في تشكيل أفكار هذا التنظيم ثلاثة عوامل، هي: إن كل قادة وأعضاء التنظيم تربوا في مساجد الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة المحمدية وهما جماعتان ذاتا توجه سلفي، كما تأثر جميع أعضاء التنظيم بالشيخ محمد خليل هراس، وهو أحد علماء الأزهر، ورئيس جماعة أنصار السنة في ذلك الوقت، وأن فكرة الانقلابات العسكرية كانت رائجة في ذلك الوقت في المنطقة العربية والعالم، وجرى تنفيذها بنجاح في دول عربية وإسلامية كثيرة في ذلك الوقت، كما راجت فكرة حرب العصابات من أجل التحرر الوطني، واعتقاد مؤسسي التنظيم أن تنظيم الضباط الأحرار كان تابعاً للإخوان المسلمين ثم خانهم؛ لأن الإخوان لم يحسنوا تربية وتثقيف الضباط على فكر الجماعة، كما أن الجماعة أخطأت، لأنها لم تستخدم القوة في مواجهة عبد الناصر، وكانت الآثار

٣٢، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٤٧، عبد الرحمن أبو الخير رجب مختار مدكور: التكفير والهجرة وجهاً لوجه /٦- ٢٠، ٢٣، ٢٧- ٣٥، ٣٩.

المباشـرة لهـذه العوامـل هـو تبنـى التنظيم للمـنهج الـسلفي في مجـالي الاعتقـاد والدراسات الشرعية ، وتبنيه منهج التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي بـالقوة المسلحة ، ولقـد اختـار التنظـيم مبـدئيا أسـلوب الانقـلاب العـسكري لتحقيق هذا التغيير، وتبنى نهج الاعتماد في اختراق الجيش على أشـخاص تم تربيتهم مسبقا في التنظيم ثم دفعهم للالتحاق بالكليات العسكرية .

كان التنظيم يعتمد مناهج لتعليم الدراسات الشرعية ، تقـوم عـلى أسـاس المنهج السلفي ، كما ألزم الأعضاء بحضور دروس الشيخ محمد خليل هـراس ، كما تضمنت المناهج الدراسية بجماعة الجهاد الأولى كتابي " في ظلال القرآن " و " معالم في الطريق " ، أما في مجال التدريبات العسكرية فإن هـذه الجماعـة لم تكن تتبنى سوى التدريبات البدنية الشاقة بجانب التدرب على الألعاب القتاليـة كالمصارعة والكاراتيه ، لأنهم كانوا يتبنون فكرة التغيير عبر التغلغل في الجيش واستخدامه للقيام بانقلاب عسكري ، وذلك عـبر توجيـه الأعـضاء مـن طلبـة الثانوي لدخول الكليات العسكرية وكذا توجيه الأعـضاء مـن طلبـة الجامعـات للتحويل للكليات العسكرية .

وتتلخص رؤية هذه الجماعة للواقـع بـصفة عامـة ، في أن ضـعف المـسلمين وتخلفهم مرده البعد عن الإسلام بالمفهوم الذي تراه الجماعات الـسابقة ، الـتي لا تختلـف جماعـة الجهـاد عـن أي منهـا ، ولكـن يـأتي الخـلاف في إسـتراتيجية التغيير التي تبنتها جماعة الجهاد ، والوسائل التي اتبعتها في ذلك ، انطلاقـا مـن تـصورها عـن الواقـع الـسياسي الإسـلامي المعاصر ، حيـث تـصورته في إطـار الحديث الصحيح المشهور ، الـذي تفهـم كـل الحركـات الإسـلامية مـن خلالـه ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها ومـستقبلها والـذي يرويـه حذيفـة رضي الله

عنه عن النبي - ﷺ - : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون فيكم ما شاء الله لها أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم يكوم ملكا عضوضاً فيكون فيكم ما شاء الله له أن يكون ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ، ثم يكون ملكا جبريا فيكون فيكم ما شاء الله له أن يكون ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت "[1] ، فجميع الحركات الإسلامية ترى أن النبوة المذكورة في الحديث هي عصر حكم النبي - ﷺ - للمسلمين ، بينما الخلافة على منهاج النبوة تبدأ بعصر أبي بكر وتنتهي بيوم تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ، وأنه من معاوية وحتى بداية العصر العباسي الثاني هو الملك العضوض أي الظالم ، وأما المرحلة الحالية فهي مرحلة الملك الجبري (أنظمة الحكم العسكرية) التي تحصل على الحكم عبر الانقلاب العسكري .

إلى هنا تتفق كل فصائل الحركة الإسلامية الحديثة تقريباً على هذا التوصيف ، بل وتتفق معها كثير من فصائل الحركة الإسلامية التقليدية على نفس التوصيف ، ولكن كل هذه الفصائل تنحصر خلافاتها وتمايزاتها في كيفية التعامل مع هذا الواقع ، فالجهاد يرى أنه مادامت حكومات العالم الإسلامي قد اغتصبت الحكم بالانقلاب العسكري رغما عن الشعوب ، وبمساندة ومباركة من الاستعمار الغربي ، فإنه يحق للمسلمين أن يستردوا حقهم

---

(١) أخرجه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال ثقات . (الهيثمي : مجمع الزوائد ٥/١٨٨ - ١٨٩) .

المغتصب بالقوة المسلحة، ورأى الجهاديون المصريون أن الاستيلاء على الحكم في العالم الإسلامي أولى من قتال الغرب، رغم كل الظلم الذي يظلمه الغرب للمسلمين، وقد اعتمدوا في ذلك على القول بأن أنظمة الحكم في العالم الإسلامي هي عدو قريب بينما الغرب عدو بعيد، واستدلوا على أولوية قتال العدو القريب بقوله تعالى: " يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة "(١)، ومعنى "يلونكم" أي الأقرب لكم(٢).

الفرع الخامس:

جماعة القاعدة.

القاعدة: هي حركة جهادية إسلامية يتزعمها أسامة بن لادن، وهي تنظيم يتبنى فكرة الجهاد ضد الحكومات الكافرة، وتحرير بلاد المسلمين من الوجود الأجنبي أيّاً كان، وقد نشأت سنة ١٩٨٧م على يد عبد الله يوسف عزام، على أنقاض المجاهدين الذين حاربوا الوجود السوفييتي في ثمانينيات

---

(١) من الآية ١٢٣ من سورة التوبة.

(٢) محمد عبد السلام: الفريضة الغائبة /٦- ١٦، ٢٢، ٢٤، ٣٠، ٣٣، د. ناجح إبراهيم وآخرون: ميثاق العمل الإسلامي /٧- ١٢، ١٦، ١٩، ٢٢- ٣٢، ٤٣، عصام دربالة: الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام /٩- ١٦، ٢١، ٢٣، ٣٠، ٣٥، ٣٨، طلعت فؤاد: الذب عن الصحابة /١٣- ٢٤، ٣١، ٣٥، رفاعي طه: شحذ الهمة في جمع شمل الأمة /١٠- ٢٠، ٢٣- ٢٧، ٣٠، ٣٤، ٤١، عبد الآخر حماد: الرد على شبهات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر /٩- ٢١، ٢٣، ٢٧، ٣٠- ٣٨، ٤٢، ناجح إبراهيم، وكرم زهدي: سلسلة الطريق إلى الله /١٢- ٢٢، ٢٥، ٢٧- ٣٥، ٣٧، ٤٥، عبود الزمر: منهج جماعة الجهاد الإسلامي /٦- ١٩، ٢٢- ٢٨، ٣٢، ٣٦، ٤٠، ٤٢.

القرن الماضي في أفغانستان، وتشير بعض المصادر إلى أن عدة جهات كانت تدعم هذا التنظيم أبرزها وكالة الاستخبارات الأميركية (سي آي أي) بهدف مواجهة مدّ الاحتلال السوفييتي، وقد تدرب آلاف الجهاديين في معسكرات التدريب التابعة للتنظيم، ليقوموا إثر ذلك بعمليات في عدد من المناطق التي تشهد صراعات إقليمية أو حروب أهلية، على غرار الجزائر ومصر والعراق واليمن والصومال والشيشان والفيليبين وإندونيسيا والبلقان.

ويتولى قيادة تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، يساعده عدد من القادة البارزين على غرار أيمن الظواهري وأبو مصعب الزرقاوي ورمزي بن الشيبة وخالد شيخ محمد، ورغم هذه القيادات المعروفة يرى أغلب المراقبين أنه من الصعب تحديد تركيبة هذا التنظيم الذي يعتقد أنه مكون من مئات وربما آلاف الخلايا التي تعمل بشكل مستقل، وترتبط القاعدة بعلاقات تعاون مع عدد من الحركات الأخرى: كالجماعة الإسلامية المسلحة، والجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية، وحركة الجهاد، والجماعة الإسلامية، ولشكر طيبة الباكستانية، وعصبة الأنصار، وجيش محمد، وجبهة تحرير مورو.

وتنظم القاعدة قيادات وأفراد من جنسيات عدة، سنية إسلامية أصولية، تأسست في الفترة بين أغسطس ١٩٨٨م وأواخر ١٩٨٩م، تدعو إلى الجهاد الدولي، وقد هاجمت أهدافًا مدنية وعسكرية في مختلف الدول، أبرزها هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وتشمل أهداف القاعدة إنهاء النفوذ الأجنبي في البلدان الإسلامية، وإنشاء خلافة إسلامية جديدة، وتعتقد القاعدة أن هناك تحالفًا مسيحيًا يهوديًا يتآمر لتدمير الإسلام، وتستبيح قتل المدنيين من المارة في سبيل الجهاد، وصفت فلسفة القاعدة الإدارية بأنها "مركزية في القرار

ولا مركزيـة في التنفيـذ، وبعـد الحـادي عـشر مـن سـبتمبر والحـرب علـى الإرهاب، أصبحت قيادة تنظيم القاعدة معزولة جغرافيًا، مما أدى إلى ظهـور قيادات إقليمية للمجموعات المختلفة، تعمل تحت اسم القاعدة.

ساعد على ظهور هذه الجماعة فترة الصحوة الإسلامية في العقـود الثلاثـة الأخيرة من القـرن العشرين، إلى جانـب حركـات أخـرى أقـل تطرفًا، ويـرى البعض أن لفكر المفكر الإسلامي سيد قطب، أثر في تحديد ملامح مبادئ فكـر القاعدة، إذ يرى قطب أن عدم تطبيـق الـشريعة في العـالم الإسـلامي، ينقض إسلامية دوله، لتعود إلى العـصر الجاهلي، ولكـي يعـود الإسـلام فـلا بـد مـن إقامة دولة إسلامية حقيقية يطبق فيها شرع الله – تعالى - ، وتخليص العـالم الإسلامي من أي تأثيرات لغير المسلمين، مثل مفاهيم: الاشتراكية أو القوميـة ونحوهـا، ويـرى قطـب أن أعـداء الإسـلام يتمثلـون في المستـشرقين الغـادرين واليهـود الـذين يحيكـون المـؤامرات ضـد الإسـلام وأهلـه، ويبلـور أحـد رمـوز القاعدة فكرها، فيقول: الإسلام يختلف عن أي دين آخر، إنه أسلوب حياة، ونحن نحاول فهم ما يقول الإسلام عن كيفية تناول الطعام، من نتزوج، كيـف نتحدث، نحن نقرأ لسيد قطب، وهو الأكثر تأثيرًا على جيلنا، ومعنى هـذا أن فكر سيد قطب هو الذي يسيطر على هذه الجماعة، ومن أقـوى أفكـاره تـأثيرا علـيهم، فكـرة: أن العديـد مـن الـذين يقـال أنهـم مـسلمون أصبحوا في عـداد المرتـدين، الأمـر الـذي لا يعطـي فقـط للجهـاديين ثغـرة شـرعية لقتـل مـسلمين

آخرين، لكنه جعله أمرًا واجب التنفيذ شرعًا، من هؤلاء المرتدين المزعومين، قادة الدول الإسلامية لأنهم فشلوا في تطبيق الشريعة الإسلامية [1].

الفرع السادس:

الجماعة الإسلامية الباكستانية.

هي جماعة أسسها الأستاذ أبو الأعلى المودودي سنة ١٩٤١ بعد أن وجد أن جهوده في مجال الدعوة إلى الله - تعالى - قد آتت ثمارها، حيث كون هذه الجماعة في بادئ الأمر من خمسين رجلا، ليختاروه أميرا لها.

وتتلخص أهداف هذه الجماعة في: أن الإسلام نظام شامل للبشرية كافة وللمسلمين خاصة، ودعوة كل من أظهر الإسلام إلى الإخلاص لله في دينهم، وتزكية أنفسهم، لتتخلص من التناقض والنفاق، ودعوة كل أهل الأرض أن يستخلصوا الحكم الحاضر من الطواغيت والمفسدين، وأن ينتزعوا الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم، لينقلوها إلى أيدي المسلمين.

ووسائلهم إلى تحقيق ذلك تكمن في: تصحيح الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية، ونقد الغرب الذي انبهر به الكثيرون، وبيان صلاحية الإسلام كمنهج حياة، واستخلاص الأفراد الصالحين، وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، والسعي في الإصلاح الاجتماعي، واتخاذ الحلول العملية لمشكلاتهم على أساس مبادئ الإسلام الإنسانية، من أخوة وعدالة ومساواة، وإصلاح الحكم، بإيجاد البرامج الإصلاحية للمفاسد الاجتماعية،

---

(١) عبد الباري عطوان: القاعدة التنظيم السري /١٢، ٣٦، ٥٩، ١١٤، ٢٠٥، كميل الطويل: القاعدة وأخواتها /١٠، ١٩، ٥٤، ٧٧، عصام دربالة: استراتيجية القاعدة الأخطاء والأخطار /١١، ٢٣، ٢٤، ٦٥، ٦٧.

ونشر الوعي الإسلامي، الذي يمهد لتسلم رجال صالحين مقاليد الحكم، للنهضة بالإصلاح على أساس كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - .

وقد لخص أبو الأعلى مطالب المسلمين في محاضرة ألقاها، بأن تكون الحاكمية لله العلي الأحد، وأن دور الحكومة قاصر على إنجاز أمر الله المالك الحقيقي، وأن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي في الدولة، مع إلغاء كل القوانين التي تخالف الشريعة الإسلامية، وأن الحكومات لا تتصرف إلا ضمن حدود الشريعة الإسلامية [١].

الفرع السابع:

مدى اعتناق هذه الجماعات للفكر السلفي.

من خلال العرض السابق لفكر هذه الجماعات وتوجهاتها ومبادئها، نتبين أن منها ما أعلن منذ البداية عن حقيقة منهجه السلفي، ومنها ما أعلن عن منهجه المتمسك بشرع الله – تعالى - ، وإن لم ينهجوا منهج السلف في أفكارهم أو سلوكهم، ومن ثم فإننا نلحظ من خلال ما سبق أن أقرب هذه الجماعات إلى الأخذ بنهج السلف، هي جماعة أنصار السنة المحمدية، حيث انتهجت الدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة، وتطهير الاعتقاد، ونبذ البدع والخرافات، كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة، معتبرة أن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة (بفهم السلف الصالح)، دون إنكار أو إغماط لجهود الأئمة المجتهدين وغيرهم، واعتقادهم في صفات الله تعالى مثل ما اعتقده السلف، بالإضافة إلى إفرادهم الله تعالى

(١) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي /١١٩- ١٢١ .

بالعبادة والذكر، ومحاربتهم البدع والانحرافات، وأصحاب الأهواء، والتصدي لغلاة الصوفية وحملات التغريب والعلمنة والإلحاد والشرك، وعدم منعهم اجتهاد من تأهل له في النوازل بضوابطه .

أما جماعة التبليغ والدعوة، فإن فكرها ومعتقدها يبعد عن فكر السلف في كثير من الأمور، فإن فكر ومعتقد أتباعها إن كان يقوم على كلمة التوحيد، وإقامة الصلوات، والعلم والذكر، وإكرام المسلمين، والإخلاص، إلا أنهم يرون وجوب التقليد في المذاهب، ويمنعون الاجتهاد، بحجة عدم توافر شروط الاجتهاد في علماء الزمان، فضلا عن هذا فإنهم تأثروا بضلالات غلاة التصوف، ولم يهتموا ببيان عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعهم؛ ولم ينكروا الشركيات والبدع التي تعج بها بلاد المسلمين؛ ويقولون بالتأويل، ويتساهلون في رواية الأحاديث الضعيفة، والإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين .

وأما جماعة الجهاد فهي وإن تبنت ظاهرا منهج السلف في مجالي الاعتقاد والدراسات الشرعية، إلا أنها لم تطبق هذا المنهج في سلوكها وصلتها بالمجتمع، حيث مالت إلى العنف في تغيير المنكر، ودعت إلى التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي بالقوة المسلحة، واعتبرت أن الاستيلاء على الحكم في العالم الإسلامي بما يتضمنه من إراقة دماء المسلمين والذميين أولى من قتال الغرب، باعتبار أن أنظمة الحكم في العالم الإسلامي عدو قريب بينما الغرب عدو بعيد، وهذا الشطط في المنهج يجعل ما أعلنته الجماعة من انتهاجها منهج السلف في الاعتقاد وغيره، كلاما مجافيا للحقيقة، باعتبار أن ذلك بعيد كل البعد عن المنهج السلفي في ضوء ما بيّن من قبل .

وأما جماعة التكفير والهجرة فإنها اعتقدت معتقد الخوارج، وتنكبت منذ البداية عن نهج السلف، حيث كفّرت الحكام والمحكومين والعلماء والمجتهدين، ومن لم يؤمن بفكرهم أو لم يبايع إمامهم، وأهدرت دماء المسلمين من غير جريرة معتبرة في الشرع، واعتبرت تقليد مذاهب الأئمة كفرا، وكفرت المسلمين الذين عاشوا بعد القرن الرابع الهجري، ووصفت عصورهم بالجاهلية، وطعنوا في الصحابة، وردوا أقوالهم، ودعوا إلى عدم الأخذ بأقوال علماء الأمة، وقد عرف عنهم تأويلهم لنصوص الكتاب والسنة بما يوافق معتقدهم، وما لا يقبل التأويل من السنة ردوه، وقد اعتقدوا أن الله يحقق على يد أميرهم ما لم يتحقق على يد رسول الله - ﷺ - ، فهم بهذا المعتقد أبعد ما يكون عن نهج السلف.

وأما جماعة القاعدة فإنها وإن اتخذت من بين أهدافها إنهاء النفوذ الأجنبي في البلدان الإسلامية، وإنشاء خلافة إسلامية جديدة، واعتقدت أن ثمة تحالف مسيحي يهودي يتآمر لتدمير الإسلام وأهله، إلا أنها أخطأت السبيل لتحقيق أهدافها، حيث استباحت دماء المسلمين في بلاد الإسلام وغيره باسم الجهاد، واستباحت قتل من لم يقاتل ومن ليس من شأنه تدبير أمر القتال أو المشاركة فيه أو المساعدة عليه في بلاد غير المسلمين، وهذا المنهج يبعد بها عن منهج السلف.

وأما الجماعة الإسلامية الباكستانية فهي جماعة دعوية إصلاحية، تدعو الناس إلى الإخلاص لله - تعالى - في العبادة، وتحبذ تربية المسلمين على النهج القويم، واتخاذ الحلول العملية لمشكلاتهم على أساس مبادئ الإسلام، من أخوة وعدالة ومساواة، وإصلاح الحكم، بإيجاد البرامج الإصلاحية للمفاسد الاجتماعية، ونشر الوعي الإسلامي، الذي يمهد لتسلم رجال

صالحين مقاليد الحكم، للنهضة بالإصلاح على أساس الكتاب والسنة، ولتكون الحاكمية لله – تعالى- ، وأن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساس في الدولة، وإلغاء ما يخالفها.

أهم نتائج البحث:

يمكن من خلال العرض السابق الخلوص إلى نتائج، لعل من أهمها ما يلي:

١- السلف: اسم لكل من يُقلَّد مذهبه الصحيح في الدين، ويُتبع أثره، والسلفية: طريقة السلف الصالح في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، كما تطلق على الملتزمين بكتاب الله وما ثبت من سنة رسوله -ﷺ- التزاماً كاملاً.

٢- إن سلف الأمة التزموا نهج الإسلام الصحيح، واتبعوه، ونشروه ودعوا إليه، وكانت لهم جهود كثيرة في تحقيق ذلك، سطرتها كتب السنن والسير والتاريخ والفقه ونحوها، ولا يجحد فضلهم في ذلك، ويمكن الوقوف على طرف من ذلك من خلال: معرفة خصائص العقيدة السلفية، والأسس التي تقوم عليها، وأصولها العلمية، فمن خصائص هذه العقيدة: أنها ربانية المصدر، وأنها عقيدة إجماعية فطرية سليمة، وأما قواعد المنهج السلفي، فهي: تقديمه النقل على العقل، ورفض التأويل الكلامي، وكثرة الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأما أصولها العلمية فهي: قضية توحيد الألوهية والربوبية لله – سبحانه - ، وما يقتضيه التوحيد من الإيمان

بالملائكة والرسل والكتب السماوية، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقضية الاتباع وعدم الابتداع في الدين، والتزكية.

٣- الوحي الإلهي: هو ما أوحى به الحق سبحانه إلى نبيه - ﷺ - من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الثابتة إلى الرسول- ﷺ - ، وقد انتهج سلف الأمة - مذ جاء الوحي بهذين المصدرين من مصادر التشريع الإسلامي – منهج التمسك بهما، يطبقونهما على ما نزل وينزل بالمسلمين من وقائع، ويقدمونهما على غيرهما من أدلة الشرع، والنهج الذي يعمل نصوص الوحي الإلهي ويقدمها على غيرها من الأدلة، هو منهج إسلامي قويم.

٤- من قواعد المنهج السلفي تقديم المنقول على ما يقتضيه العقل ونحوه من أدلة الشرع، والمنهج الذي يعمل نصوص الوحي ويقدمها على غيرها من الأدلة، هو منهج إسلامي قويم.

٥- التأويل هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة، وقد منع السلف من التأويل ما كان صرفا للفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح، ومما لاشك فيه أن منع التأويل الذي يكون على هذا النحو، مما يقتضيه فهم ظاهر النص وفق ما توحي به عبارته، باعتبار أن ما يفيده ظاهر النص هو الأصل فيما تحمل عليه ألفاظه من معاني، وهو مما اتفق عليه العلماء، وهذا المنهج أولى بالاتباع تقعيدا لفهم النصوص، وحملها على ما تفيده عباراتها، من غير صرف لها إلى معنى غيره.

٦- اعتبار الوحي الإلهي خصيصة العقيدة السلفية ، واعتبار تقديم الأدلة النقلية على الأدلة العقلية في العمل والتطبيق والاستنباط ونحوها ، هو القاعدة الأساس في المنهج السلفي ، وكثرة الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة مأمور به شرعاً .

٧- التوحيد أصل من أصول الدعوة السلفية ، بحسبانه يقوم على : الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وإفراده تعالى بالعبادة ، والإيمان بأن له حق التشريع ، ومنهج يقوم على اعتبار التوحيد أصلا من أصول الدعوة إلى الله تعالى ، منهج إسلامي قويم .

٨- يطلق الاتباع على ما يقابل الابتداع ، وعلى أخذ الرأي الشرعي بدليله ، وكلاهما منهج سلفي يقوم على أساس ثابت في الدين ، باعتبار أن اتباع النبي - ﷺ - فيما جاء به مأمور به شرعاً ، وأن أخذ رأي الغير مع معرفة دليله ، مطلوب شرعاً كذلك ، للوقوف على مدى صحة الرأي فيؤخذ به ، أو عدم صحته فيطرح.

٩- إن تزكية النفس بمعنى تطهيرها من الآثام ، والأخذ بسبيل ذلك مأمور به شرعاً ، وهذه التزكية تكون بالتوحيد الذي هو معرفة الله - تعالى - معرفة صحيحة ، وأداء الواجبات التي كلف الله – تعالى - بها عباده.

١٠- إن الانتساب إلى سلف الأمة - إذا كان من انتسب إليهم قمن بهذه النسبة – أمر مشروع ، ينبغي على المكلف الذي يرى من نفسه القدرة على سلوك منهجهم ، أن يفعل كل ما من شأنه أن تصح نسبته إليهم ، بحسبان أن المرء لا يصير متصفا بذلك إلا إذا سلك سبيلهم ، من

الالتـــزام بـــشرع الله – تعـــالى -   وتبليغـــه ، والـــدعوة إلى دينـــه – سبحانه-   ، والدفاع عنه .

١١- انتشر في العالم الإسلامي جماعات لها مناهج شتى ، يرى أتباع بعضها أنهم ينهجون منهج الحق ، وأن غيرهم ليس كذلك ، ومن ذلك : جماعة التبليغ والدعوة ، وجماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة أنصار السنة المحمدية ، وجماعة التكفير والهجرة ، وجماعة الجهاد الإسلامي ، وجماعة القاعدة ، والجماعة الإسلامية الباكستانية ، وليست هذه الجماعات على سنن واحد من الأخذ بالمنهج السلفي ، فمنها ما يأخذ به : كجماعة أنصار السنة المحمدية ، ومنها ما يأخذ ببعض منهجه دون البعض الآخر ، ومنها ما لم ينتهج نهج السلف البتة : كجماعات التكفير والهجرة ، والجهاد الإسلامي والقاعدة.

وبعد فأحمد الله – تعالى -   في البدء والنهاية ، وأصلِّي وأسلِّم على خير خلقه سيدنا محمِّدٍ ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثبت بأهم مصادر البحث

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : كتب التفسير وأحكام القرآن الكريم :

١- أحكام القرآن : أحمد بن علي الرازي الجصاص ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، دار الفكر ، بيروت .

ثالثا : كتب الحديث والآثار وشروحهما:

١- تحفة الأحوذي : محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢- تلخيص الحبير: أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار المعرفة ، بيروت .

٣- سبل السلام : محمد بن إسماعيل الصنعانى ، مكتبة مصطفى الحلبي ,القاهرة .

٤- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة السلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٥- سنن الدارقطني : علي بن عمر الدارقطني ، دار المعرفة ، بيروت .

٦- سنن الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٧- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٨- السنن الكبري : أحمد بن الحسين بن علي بن موسي البيهقي ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة.

٩- سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر العربى ، بيروت.

١٠- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت .

١١- صحيح ابن حبان : محمد بن أحمد بن حبان التميمي البستي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

١٢- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١٣- فتح الباري :أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

١٤- مجمع الزوائد ومنبع الفرائد : علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

١٥- المستدرك : محمد عبد الله الحاكم النيسابورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٦- مسند أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .

١٧- المصنف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المكتب الإسلامي وبيروت .

١٨- نيل الأوطار : محمد بن علي الشوكاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

رابعا : كتب أصول الفقه وقواعده الكلية :

١- الإبهاج : علي بن عبد الكافي السبكي وابنه عبد الوهاب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢- الإحكام في أصول الأحكام : علي بن محمد الآمدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣- إرشاد الفحول : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .

٤- تخريج الفروع علي الأصول : محمود بن أحمد الزنجاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٥- روضة الناظر وجنة المناظر : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، جامعة محمد بن سعود ، الرياض .

٦- قواعد الأحكام : عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧- المستصفي : محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

خامسا : كتب العقيدة والملل والنحل :

١- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة : الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، دار المنهاج ، الرياض.

٢- إستراتيجية القاعدة .. الأخطاء والأخطار : محمد عصام دربالة ، مكتبة العبيكان ، الرياض .

٣- جماعة أنصار السنة المحمدية نشأتها ، هدافها ، منهجها ، جهودها : أحمد محمد الطاهر ، دار الفضيلة ، الرياض .

٤- الحكم وقضية تكفير المسلم : سالم البهنساوي ، دار الوفاء ، المنصورة .

٥- ذكرياتي مع جماعة المسلمين .. التكفير والهجرة : عبد الرحمن أبو الخير، نشر الكويت، سنة ١٩٨٠ .

٦- رأي آخر في جماعة التبليغ : سعد الحصين، ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بالبحرين ١٤٠٥هـ.

٧- الرسالة التدمرية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض .

٨- شرح العقيدة الطحاوية : علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت .

٩- الطريق إلى جماعة المسلمين : حسين بن محسن بن علي جابر، دار الوفاء، المنصورة .

١٠- القاعدة .. التنظيم السري : عبد الباري عطوان، دار الساقي، بيروت .

١١- القاعدة وأخواتها .. قصة الجهاديين العرب : كميل الطويل، دار الساقي، بيروت .

١٢- لوامع الأنوار البهية : محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق .

١٣- مختصر أصول الدين : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، دار الهلال، القاهرة .

١٤- المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي : محمد الحسن، دار البشير، طنطا .

١٥- الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة .

١٦- المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي : محمد الحسن، دار البشير للثقافة والعلوم،

سادسا : كتب اللغة والمصطلحات الشرعية :

١- التعريفات : على بن محمد بن على الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢- التوقيف علي مهمات التعاريف : محمد عبد الرءوف المناوي، دار الفكر، بيروت.

٣- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي، دار الفكر، بيروت.

٤- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي التهاوني، طبعة شيانك موسيتي آف بنكل، كلكتا، الهند .

٥- لسان العرب : محمد بن جلال الدين (ابن منظور الإفريقى)، دار صادر، بيروت.

٦- مختار الصحاح: محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة.

٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، مكتبة الحلبي، القاهرة.



الانتساب للسلف الصالح
اعتقاداً ومنهجاً وقولاً وفقهاً

(اعلم أنه ليس في العقل الصريح ، ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلاً... ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة... في أمر مريج)

ابن تيمية الفتاوى(٥/٢٨)

إعداد

د. محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريح

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الأخذ بمذهب السلف الصالح اعتقاداً وعملاً ومنهاجاً أمر واجب، ومن فارق السلف في ذلك، ولم يقتف الأثر فقد ضل، والسلف الصالح: هم الصحابة - رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان [1]، ليس كما توهم بعضهم بأنهم أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة فقط " فمذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة، ومالكاً، والشافعي، وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة"[2] [3].

---

(١) قال السفاريني- رحمه الله- :(المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة ، أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية). لوامع الأنوار (١/٢٠).

(٢) منهاج السنة(٢/٦٠١).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- :" لم يقل أحد من علماء المسلمين إن الحق منحصر في أربعة من علماء المسلمين كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، كما يشنّع بذلك الشيعة على أهل السنة، فيقولون: إنهم يدَّعون أن الحق منحصر فيهم، بل أهل السنة متفقون على أن ما تنازع فيه المسلمون وجب رده إلى الله والرسول، وأنه قد يكون قولُ ما يخالف قولَ الأربعة: من أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وقول =هؤلاء الأربعة مثل: الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم أصح من قولهم" . منهاج السنة(٢/٣٦٩و٣٧٠).

ورسول الله - ﷺ - هو إمام السلفيين، وسيدهم، و".. الطريقة السلفية.. هي: اعتقاد الشافعي، ومالك، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وهي: اعتقاد المشايخ المقتدى بهم، كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التستري، وغيرهم؛ فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة - رحمه الله - واعتقاد هؤلاء، هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو: ما نطق به الكتاب والسنة، في التوحيد، والقدر، وغير ذلك"[(١)].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- : "السلف الصالح هم الصحابة - رضي الله عنهم - ومن سلك سبيلهم من التابعين وأتباع التابعين من الحنفية والمالكية، والشافعية والحنابلة، وغيرهم ممن سار على الحق وتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، في باب التوحيد، وباب الأسماء والصفات، وفي جميع أمور الدين، نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يوفق جميع المسلمين حكومات وشعوبا في كل مكان للتمسك بكتابه العزيز وسنة رسوله الأمين وتحكيمهما، والتحاكم إليهما، والحذر من كل ما يخالفهما إنه ولي ذلك والقادر عليه"[(٢)].

" فأهل الحق هم أهل الكتاب والسنة، وأهل الكتاب والسنة - على الإطلاق- هم: المؤمنون، فليس الحق لازماً لشخص بعينه، دائراً معه

---

(١) الدرر السنية(٣/٤٩).

(٢) الفتاوى(٩/٢٣٨).

حيثما دار، لا يفارقه قط إلا الرسول - ﷺ- إذ لا معصوم من الإقرار على الباطل غيره، وهو حجة الله التي أقامها على عباده، وأوجب اتباعه وطاعته في كل شيء على كل أحد.

وليس الحق أيضاً لازماً لطائفة دون غيرها إلا للمؤمنين، فإن الحق يلزمهم[بمجموعهم] إذ لا يجتمعون على ضلالة، وما سوى ذلك، فقد يكون الحق فيه مع الشخص أو الطائفة في أمر دون أمر، وقد يكون المختلفان كلاهما على باطل، وقد يكون الحق مع كل منهما من وجه دون وجه، فليس لأحد أن يسمى طائفة منسوبة إلى اتباع شخص - كائناً من كان- غير رسول الله - ﷺ- بأنهم أهل الحق إذ ذلك يقتضي أن كل ما هم عليه فهو حق، وكل من خالفهم في شيء من سائر المؤمنين فهو مبطل، وذلك لا يكون إلا إذا كان متبوعهم كذلك، وهذا معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام، ولو جاز ذلك لكان إجماع هؤلاء حجة إذا ثبت أنهم هم أهل الحق"(١) (٢).

---

(١) التسعينية(٣/٩٠٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- :" من المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها - : القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت ذلك عن النبي - ﷺ- من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة : من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، =وبيان، وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل . هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضله الله على علم". الفتاوى(٤/١٥٧و١٥٨).

ولأهمية معرفة ما عليه السلف الصالح، ووجوب لزوم ما كانوا عليه في الاعتقاد والمنهج ونحوهما، ولغياب كثير مما كان عليه سلفنا الصالح على جماعات من أهل هذا الزمان قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة في تنظيم مؤتمر عن السلفية، وأنها واجب شرعي، ومطلب وطني، وجعلتْ ذلك في محاور، فوقع نظري على ما تضمنه المحور الأول من الانتساب للسلف، فاستعنت بالله جامعاً لكلام أهل العلم في ذلك، ومنسقاً له، وقد جعلته في وريقات، وانتظم البحث في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الانتساب للسلف الصالح في الاعتقاد والمنهج، وبينت فيها وجوب لزوم عقيدة السلف الصالح، وعدم الخروج عن منهجهم.

المسألة الثانية: الانتساب إلى السلف الصالح قولاً، وأوضحت فيها حكم التلقب بالسلفي، ووصف العلماء لغيرهم بذلك.

المسألة الثالثة: الانتساب إلى السلف الصالح فقهاً، وتناولت فيها: وجوب الأخذ بقول السلف إذا اتفقوا على مسألة فقهية، وعند اختلافهم فلا يخرج عن أقوالهم، ووجوب ترك الأقوال الشاذة، وعدم الإحداث، وهذا كله إذا لم تكن المسألة حادثة، فإن كانت حادثة فتجمع الأدلة، ويتأنى في النظر فيها، ثم ختمت الكلام بخاتمة هي خلاصة للبحث.

أسأل الله الرحيم أن يلحقنا بسلفنا الصالح غير مفتونين ولا مبدلين، وأن يرحمنا، ويغفر لنا، ويحسن عاقبتنا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم

المسألة الأولى: الانتساب للسلف الصالح في الاعتقاد والمنهج.

المراد بذلك: هو أن يكون الرجل في اعتقاده، ومنهجه على ما كان عليه السلف الصالح، ولا يأتي بشيء يخالف ذلك [1].

والمراد بكونه على منهج السلف الصالح: هو سيره على طريقة السلف في التعامل مع ولاة الأمر، ومع المبتدعة ونحو ذلك.

حكم هذه المسألة: يجب على كل مسلم أن ينتسب للسلف الصالح في اعتقادهم، ومنهجهم؛ لأنه هو الحق وما عداه باطل، قال الله – تعالى – : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [2].

(قال العلماء: من لم يكن متبعاً سبيلهم كان متبعاً غير سبيلهم، فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب، فليس لأحد أن يخرج عما أجمعوا عليه)[3]، (فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى، ومن سلك غير سبيلهم...[و]

---

(١) قال ابن القيم- رحمه الله- في مسألة إثبات الصفات لله سبحانه وأن أهل السنة: (أجمعوا على إثبات سائر الصفات، ولم يخصوها بسبع بل تخصيصها بسبع خلاف قول السلف وقول الجهمية والمعتزلة، فالناس كانوا طائفتين سلفية وجهمية، فحدثت الطائفة السبعية، واشتقت قولاً بين القولين، فلا للسلف اتبعوا، ولا مع الجهمية بقوا). الصواعق المرسلة (١ / ٢٢٦).

(٢) سورة النساء آية ١١٥.

(٣) الفتاوى لابن تيمية(١٧٣/٧).

ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل، فقد ضل ضلالاً مبيناً، وخسر خسراناً عظيماً)[1].

قال أبو المظفر السمعاني - رحمه الله- : " شعار أهل السنة اتباعهم السلف الصالح، وتركهم كل ما هو مبتدع محدث "[2].

قال الموفق ابن قدامة - رحمه الله- : " فقد ثبت وجوب اتباع السلف - رحمة الله عليهم - بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعبرة دلَّت عليه، فإن السلف لا يخلو من أن يكونوا مصيبين أو مخطئين، فإن كانوا مصيبين وجب اتباعهم؛ لأن اتباع الصواب واجب، وركوب الخطأ في الاعتقاد حرام، ولأنهم إذا كانوا مصيبين كانوا على الصراط المستقيم، ومخالفهم متبع لسبيل الشيطان الهادي إلى صراط الجحيم، وقد أمر الله - تعالى - باتباع سبيله وصراطه ونهى عن اتباع ما سواه فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وإن زعم زاعم أنهم مخطئون كان قادحاً في حق الإسلام كله؛ لأنه إن جاز أن يخطئوا في هذا جاز خطؤهم في غيره من الإسلام كله، وينبغي أن لا تنقل الأخبار التي نقلوها، ولا تثبت معجزات النبي - ﷺ- التي رووها، فتبطل الرواية، وتزول الشريعة، ولا يجوز لمسلم أن يقول هذا، ولا يعتقده "[3].

---

(١) فضل علم السلف ص٧٧.

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث ص٣١، وينظر: الحجة في بيان المحجة(١/٣٩٥).

(٣) ذم التأويل ص٣٥.

فهذا بيان واضح أن مذهب السلف الصالح في الاعتقاد هو الحق، وأن الفرق المخالفة لما عليه السلف الصالح ليس مذهبها بصواب بل هو باطل، قال شيخ الإسلام- رحمه الله- : " لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً " [١].

وقال- رحمه الله- :"شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف"[٢].

وقال- رحمه الله- :" ولا يجوز لأحد أن يعدل عما جاء في الكتاب، والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلاف ذلك، أو يوقع الناس في خلاف ذلك، وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة ولا عبادة من عنده؛ بل عليه أن يتبع ولا يبتدع، ويقتدي ولا يبتدي"[٣].

وقال أيضاً - رحمه الله - : "طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله - ﷺ- باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار"[٤].

---

(١) الفتاوى (٤/١٤٩).

(٢) الفتاوى(٤/١٥٥).

(٣) الفتاوى(١١/٤٩٠).

(٤) الفتاوى(٣/١٥٧).

قال- رحمه الله- :"ولا تجد إماماً في العلم والدين كمالك، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ومثل: الفضيل، وأبي سليمان، ومعروف الكرخي، وأمثالهم ، إلا وهم مصرّحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة ،وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة ،وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب"[1].

قال ابن القيم- رحمه الله- :" لا يعلم آية من كتاب الله، ولا نص صحيح عن رسول الله - ﷺ- في باب أصول الدين اجتمعت الأمة على خلافه"[2].

وقال ابن الحاج - رحمه الله- :"الثواب إنما يترتب على امتثال الكتاب والسنة واتباع السلف الماضين - رضي الله عنهم- "[3].

جاء عن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي - رحمه الله- [4] أنه قال لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله - ﷺ- ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي- رضي الله عنهم- أو لم يعلموها ؟ قال: لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت ؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها ، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به ، ولا يدعوا الناس

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٢٨.

(٢) الصواعق المرسلة(٣/٨٣٣).

(٣) المدخل (٤/٢٦١).

(٤) ينظر: تهذيب الكمال(١٦/٤٢).

إليه، أم لم يسعهم ؟ قال: بلى وسعهم، قال: فشيء وسع رسول الله- ﷺ- وخلفاءه لا يسعك أنت ؟ فانقطع الرجل.

والأذرمي - رحمه الله- من شيوخ أبي داود، والنسائي، وقصته مشهورة، أخرجها الخطيب في تاريخه [١]، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد [٢]، والذهبي في السير [٣]، وقال: "هذه قصة مليحة، وإن كان في طريقها من يجهل، ولها شاهد".

قال ابن قدامة- رحمه الله- معلقاً عليها: "وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله - ﷺ- ، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم، والراسخين في العلم... فلا وسع الله عليه" [٤].

قال الشنقيطي- رحمه الله- :"القصة مشهورة معروفة، لم يزل العلماء يستدلون بها قديماً وحديثاً، والاستدلال بها صحيح لا شك فيه، ودليلها الصحيح الذي استدل به هو المعروف في الأصول بـ (السبر والتقسيم)، وفي علوم الجدل بـ (التقسيم والترديد)، وفي علوم المنطق بـ(الشرطي المنفصل)" [٥].

---

(١) (١٠/٧٥).

(٢) ص٤٣٦.

(٣) (١١/٣١٣).

(٤) لمعة الاعتقاد ص ٤٥.

(٥) العذب النمير(٣/٣٩٤).

والمراد من هذه القصة توضيح القاعدة التي ينطلق منها أهل السنة والجماعة، وهي فهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من الصحابة، ومن تبعهم بإحسان، وعدم الإحداث في دين الله، هذا هو الانتساب إلى السلف الصالح في الاعتقاد، والعمل، والمنهج، وهو أمر مجمع عليه.

ففهمهم الذي أجمعوا عليه، والطريق الذي سلكوه، هو الحجة على غيرهم كما قال الله – تعالى – : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾؛ لذا من لم يعمل بما عليه السلف الصالح في الاعتقاد، والعبادة، والمعاملة، والسلوك فقد ضل الطريق.

فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- :"الله – تعالى – قد ضمن العصمة للأمة، فمن تمام العصمة أن يجعل عددًا من العلماء إن أخطأ الواحد منهم في شيء كان الآخر قد أصاب فيه حتى لا يضيع الحق...فلم يتفق أهل السنة على ضلالة أصلاً، وأما خطأ بعضهم في بعض الدين، فقدّمنا غير مرة أن هذا لا يضر، كخطأ بعض المسلمين"[(١)].

وقال:"لم يجتمع قط أهل الحديث على خلاف قوله – ﷺ- في كلمة واحدة، والحق لا يخرج عنهم قط، وكل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول، وكل من خالفهم من خارجي، ورافضي، ومعتزلي، وجهمي، وغيرهم من أهل البدع، فإنما يخالف رسول الله – ﷺ- ، بل من خالف مذاهبهم في الشرائع العملية كان مخالفًا للسنة الثابتة، وكل من هؤلاء يوافقهم

(١) منهاج السنة(٣/٤٠٨).

فيما خالف فيه الآخر، فأهل الأهواء معهم بمنزلة أهل الملل مع المسلمين؛ فإن أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل... فإن قيل: فإذا كان الحق لا يخرج عن أهل الحديث، فلِمَ لم يذكر في أصول الفقه أنه إجماعهم حجة، وذكر الخلاف في ذلك، كما تكلم على إجماع أهل المدينة وإجماع العترة؟، قيل: لأن أهل الحديث لا يتفقون إلا على ما جاء عن الله ورسوله وما هو منقول عن الصحابة، فيكون الاستدلال بالكتاب والسنة وبإجماع الصحابة مغنياً عن دعوى إجماع ينازع في كونه حجة بعض الناس"[١].

---

(١) منهاج السنة(٥/١٦٦).

المسألة الثانية: الانتساب إلى السلف قولاً .

صورتها: أن يقول الرجل مخبراً عن نفسه بقوله: أنا على منهج السلف الصالح، أو أنا سلفي، ونحو ذلك، ويدخل في ذلك كتابتها في آخر الاسم.

حكمها: الجواز والإباحة، فلا تثريب على من قال: أنا سلفي، أو كتبه في آخر اسمه، وهذا مشروط بكونه مجرداً من تزكية للنفس، أو تلبُّس كاذب فيأثم، أو إرادة لنصرة أهل السنة فيؤجر كما لو قالها مطاع في قومه، ونحو ذلك، فحكمها يختلف باختلاف ملابساتها، أما في أصل التلقب والوصف فلا دليل يمنع من ذلك.

ولزيادة البيان فقد يحتف بالأصل ما يجعل الحكم مختلفاً، فالواصف لنفسه بأنه سلفي؛ لا يخلو من كونه صادقاً في دعواه أو كاذباً فيما ادّعاه، فإن كان الأول فلا تثريب عليه في انتسابه بقوله: أنا سلفي، أو على منهاج السلف، شريطة ألا يقول ذلك فخراً وتزكية لنفسه الضعيفة، علماً أنه لا يترتب على مجرد التسمية ثواب[1]، كما لا يترتب على ترك مجرد التسمية عقاب أو كراهة، إنما الذم على ترك حقيقة الاسم لا لفظه.

وإن كان كاذباً فقد وقع في الحرام؛ لكذبه، وقد يظن بعض من انتسب بقوله أنه صادق في دعوى انتسابه للسلف الصالح، وفعاله تكذب انتسابه.

---

١) ومن قال: إن مجرد التسمية عليها ثواب لزمه الدليل على ذلك ، وفرق بين مجرد التسمية ومايكون في القلب من توقير للسلف الصالح، وفي مقدمهم الرسول و الصحابة - ﷺ - الذي يكون - بذلك - مأجوراً عليه، وإن كان تاركاً التسمية، وقد يُظْهِر التسمية لإظهار منهج السلف الصالح فيكون مأجوراً على إظهاره لمنهج السلف ولتكثيره لأهل السنة لا لمجرد التسمية.

ولا يحق لأحد أن يعيب من انتسب إلى السلف في إخباره عن نفسه بأنه سلفي، فهو لقب صالح [1] ، إلا إذا خالف فعلُه قولَه.

وعلى هذا "فالسلفية: نسبة إلى السلف، والسلف: هم صحابة رسول الله - ﷺ- ، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضي الله عنهم- الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ- بالخير... والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة"[2].

ولا يمكن أن ينتسب أحد للسلف الصالح وهو كاذب في دعواه إلا افتضح ما لم يكثر الجهل بما عليه السلف؛ لذا قال شيخ الإسلام - رحمه الله- "أما أن يكون انتحال السلف من شعائر أهل البدع، فهذا باطل قطعاً، فإن ذلك غير ممكن إلا حيث يكثر الجهل ويقل العلم" [3].

ما مضى من الكلام منصب على مسألة نسبة الرجل نفسه للسلف الصالح في التسمية فقط.

وقد يطلقها جمع من أهل العلم على بعض العلماء من باب الوصف والتزكية لهم، والثناء عليهم، والإخبار بما كانوا عليه من منهج صحيح قويم في الأقوال والأعمال والاعتقاد، وأن النسبة للسلف الصالح مصطلح استعمله

---

(١) قالت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز - رحمه الله- : "فالسلفية: لقب صالح، تعني أنهم على طريق السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم- رضي الله عن الجميع- فهو لقب يتميزون به عن أهل البدعة ممن غيّر وبدل وحرف". فتاوى اللجنة الدائمة (٢٨/ ٤٠٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة(٢/ ٢٤٢).

(٣) الفتاوى(٤/ ١٥٦).

الأئمة، وأمثلة ذلك مما ورد عنهم كثيرة جداً؛ فالذهبي - رحمه الله- قال: "ما علمت يعقوب الفسوي إلا سلفياً"[(١)]، وليس مراد الذهبي في النسبة الاسمية فقط، بل في الاعتقاد، والعمل.

وقال عن الدارقطني- رحمه الله- إنه: "لم يدخل.. أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً"[(٢)].

وقال في ترجمة محمد بن يحيى الزبيدي- رحمه الله- : "كان حنفياً سلفياً"[(٣)].

وأخبر عن ابن هبيرة- رحمه الله- بأنه سلفي أثري [(٤)].

وقال عن أحمد بن عيسى بن عبد الله حفيد موفق الدين ابن قدامة المعروف بابن المجد - رحمهم الله- : "كان ثقة ثبتاً، ذكيّاً، سلفيّاً، تقيّاً، ذا ورع وتقوى"[(٥)].

وقال عن موسى بن إبراهيم البعلبكي الحنبلي- رحمه الله- : إنه كان"متواضعاً سلفياً"[(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٣).

(٢) السير(١٦/ ٤٥٧).

(٣) السير(٢٠/ ٣١٧).

(٤) السير(٢٠/ ٤٢٦).

(٥) السير(٢٣/ ١١٨).

(٦) معجم المحدثين ص٢٨٣.

وقال في ترجمة عمر بن علي القرشي - رحمه الله - : (كان ورعاً، صالحاً، ديِّناً، سلفياً)[1].

وقال في ترجمة علي بن يحيى المخرمي - رحمه الله - : "كان سنياً، أثرياً، سلفياً"[2].

ووصف الشيخُ عبدُ الرحمن بن حسن الشيخَ أحمد بن مشرف - رحمهما الله - بأنه سلفي[3].

بل قد توصف المسألة بأنها مسألة سلفية أو العبارة بأنها سلفية، مثال ذلك: قول شيخ الإسلام - رحمه الله - في مسألة شرعية: "وكنت أحسب أن القول فيها محدث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول فيها فقلنا حينئذ بما قاله السلف"[4].

قال ابن القيم - رحمه الله - في مسألة ختم الكتاب أو الخطاب بجملة (والسلام عليكم ورحمة الله): "هذه فصاحة عربية[5]، وحكمة سلفية، موروثة عن سلف الأمة، وعن الصحابة في مكاتباتهم"[6].

(١) تأريخ الإسلام(٤٧/ ٢٧٦).

(٢) تأريخ الإسلام(٤٧/ ٣٢٤).

(٣) الدرر السنية(١/ ٣١٩).

(٤) الفتاوى(٤/ ٣٥٧).

(٥) في الأصل(غريبة).

(٦) بدائع الفوائد(٢/ ٦٣٧).

وجاء في الدرر السنية [1] : "والواجب في هذا الباب: متابعة الكتاب والسنة، والتعبير بالعبارات السلفية الإيمانية، وترك المتشابه".

وتوصف الدعوة بأنها سلفية إذا كانت "الدعوة إلى ما كان عليه الرسول - ﷺ- وأصحابه - رضي الله عنهم- وأتباعهم بإحسان، بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، مع جهاد نفسه على العمل بما يدعو إليه"[2] فيقال في وصفها: دعوة سلفية، كما وُصِفتْ بذلك دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- من باب الثناء عليها، وتزكيتها، فـ (الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من أكبر الدعاة إلى السلفية، والعقيدة السليمة، والمنهج القويم، وكتبه - رحمه الله - حافلة بذلك"[3].

بل قد توصف بوصف السلفية جهة تعليمية من باب بيان صحة منهجها، وحسن طريقها، كما جاء في كلام سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- : "ونوصيك بالالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فهي جامعة سلفية تعلم طلابها عقيدة أهل السنة والجماعة "[4] .

فإطلاقها قد يكون من باب الإخبار عن واقع الحال، وقد يكون من باب التزكية لمن قيلت في حقه، قال الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله - :

---

(١) (٣/٢٩٠).

(٢) فتاوى اللجنة(١٢/٢٤١).

(٣) فتاوى اللجنة(٢/٢٥٤).

(٤) الفتاوى(٥/٢٩٧).

"نفيدكم أن الشيخ المعصومي يعد من العلماء الذين عرفوا بنشاطهم، وغيرتهم، وعقيدتهم السلفية، كما عرف بمؤلفاته الإسلامية النافعة"[1].

تنبيهان:

التنبيه الأول: لا يجوز الانتساب لغير السلف الصالح، ولا التسمي بغير ما جاء الشرع بإقراره، أو أجمع أهل العلم على إباحته، فالانتساب إلى الألقاب المحدثة محرم؛ لأن فيه تفريقاً للمسلمين، ومخالفة لما كان عليه السابقون الأولون؛ لذا قال مالك بن مغول- رحمه الله- : "إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فألحقه بأي دين شئت"[2].

وقال ابن قدامة- رحمه الله- : "وكل متسم بغير الإسلام والسنة: مبتدع، كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية "[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- :"مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة"[4].

وقال: "الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة وسلوك طريق الابتداع، ومفارقة السنة والاتباع، فهذا

---

(١) الفتاوى(١٢/٤٥).

(٢) الإبانة الصغرى ص١٥٤.

(٣) لمعة الاعتقاد ص١٦١.

(٤) الفتاوى(٦/٣٥٩).

مما ينهى عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم- "[1].

قال الشيخ بكر أبو زيد- رحمه الله- :"لا يسوغ للمسلم أن يتلقب بأنه: قدري، أو مرجئ، أو خارجي، أو أشعري، أو ماتريدي، أو معتزلي... كما لا يسوغ له أن يضيف اليوم: إخواني، صوفي، تبليغي... وهكذا؛ فالمنع من جهتين: أنه لقب لم يرد به الشرع، أو لهذا ولما فيه من مخالفات لنصوص الشرع في المادة والرسم. وعليه فلا يجوز إحداث واختراع شعارات وألقاب لم يرد بها الشرع، فإنها " تكون في البداية كلمة وفي النهاية مذهب ونحلة" فلا تغتر! وإن زخرفه أهل الأهواء"[2].

التنبيه الثاني: الانتساب إلى أحد الأئمة في التفقه ليس مكروهاً لمن لا يمكنه التفقه إلا بذلك كحال أكثر الناس، وهو كالانتساب إلى القبيلة شريطة ألا يكون هناك تعصب ورد للحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- :"ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين، فلا حاجة به إلى ذلك، ولا يستحب له ذلك بل يكره له، وأما إن كان لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك، مثل: أن يكون في مكان يضعف فيه الهدى، والعلم، والإيمان، والدين يعلمونه ويؤدبونه لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى

---

(١) الفتاوى(١١/٥١٤).

(٢) حكم الانتماء ص١٠٨.

شيخهم...فإنه يفعل الأصلح لدينه ، وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه ، و إلا فلو طلب الهدى على وجه لوجده"[١].

وقال - رحمه الله- :"والله – تعالى - قد سمَّانا في القرآن : المسلمين، المؤمنين، عباد الله ، فلا نعدل عن الأسماء التي سمَّانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم - وسموها هم وآباؤهم - ما أنزل الله بها من سلطان. بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس إلى إمام ، كالحنفي ، والمالكي ، والشافعي ، والحنبلي... أو مثل الانتساب إلى القبائل : كالقيسي ، واليماني ، وإلى الأمصار : كالشامي ، والعراقي ، والمصري. فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ، ولا يوالي بهذه الأسماء ، ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله اتقاهم من أي طائفة كان"[٢] .

قال الشيخ بكر أبو زيد- رحمه الله- :"اختلاف المذاهب الفقهية الأربعة لا يعد فرقة ، فإذا أثار تدابراً ؛ صار التقاطع والتدابر في ذلك بدعة إضافية ، فالاختلاف والحالة هذه جائز بحسب وسع المجتهدين ، والتدابر لا يجوز ، أما إذا حال التمذهب دون الرجوع إلى الدليل من الكتاب والسنة ، وتحكيمهما ؛ صار بدعة حقيقية"[٣].

---

(١) الفتاوى(١١/٥١٤).

(٢)الفتاوى(٣/٤١٥و٤١٦) ، وينظر : (٣/٣٤٣).

(٣) حكم الانتماء ص١٣٠.

فوائد:

الفائدة الأولى: قال ابن القيم - رحمه الله - عن أهل الحديث: "إنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول - ﷺ - ، فليس لهم لقب يعرفون به، ولا نسبة ينتسبون إليها، إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثة وأربابها، كما قال بعض أئمة أهل السنة، وقد سئل عنها فقال: السنة ما لا اسم له سوى السنة، وأهل البدع ينتسبون إلى المقالة تارة كالقدرية والمرجئة، وإلى القائل تارة كالهاشمية والنجارية والضراوية، وإلى الفعل تارة كالخوارج والروافض ، وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة"[1]، ولم يستحقوا ذلك إلا بلزومهم لما كان عليه رسول الله - ﷺ - ، وأصحابه - رضي الله عنهم - ، والتابعون لهم بإحسان، وهم سلفنا الصالح.

الفائدة الثانية: أخرج الشيخان واللفظ للبخاري [2] عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: غزونا مع رسول الله - ﷺ - وقد ثاب معه ناس من المهاجرين، حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعّاب فكسع أنصارياً، فغضب الأنصاري غضباً شديداً، حتى تداعوا؛ وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي - ﷺ - فقال: "ما بال دعوى الجاهلية؟" ثم قال: "ما شأنهم؟" فأُخبر بكسعة المهاجري

---

(١) مختصر الصواعق ص ٥٠٠.

(٢) البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، رقم الحديث(٣٥١٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث(٢٥٨٤).

للأنصاري، قال: فقال النبي - ﷺ- : "دعوها فإنها خبيثة"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله: "انتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار، انتساب حسن محمود، عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة، أو معصية أخرى.

ثم - مع هذا - لما دعا كل منهما طائفته منتصراً بها، أنكر النبي - ﷺ- ذلك، وسماها: (دعوى الجاهلية) حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان، لم يصدر ذلك من الجماعة، فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم، ليبين النبي - ﷺ- : أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقاً، فعل أهل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان: فحسن؛ واجب، أو مستحب"[(١)].

وهذا لا يشكل في التعصب لما كان عليه السلف الصالح من اعتقاد ومنهج؛ لأنه هو الحق، وما عداه باطل على ما مضى تقريره والله الموفق.

الفائدة الثالثة: إطلاق عبارة (مؤسس الدعوة السلفية هو الله) بمعنى أن الله هو الذي شرعها، فهذا وإن كان المعنى صحيحاً، " لكن إطلاق لفظ (مؤسس) على الله- سبحانه وتعالى- لا يجوز؛ لعدم ورود النص به، والقاعدة أنه لا يطلق على الله من الأسماء والصفات[(٢)] إلا ما أثبته -

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم(١/ ٢٤١).

(٢) والمؤسس ليس اسماً ولا وصفاً ورد الشرع به حتى يصح وصف الله به، فضلاً عن جعله اسماً له سبحانه.

سبحانه - لنفسه أو أثبته له رسوله - ﷺ- ، وهذا نظير قول بعضهم: (مهندس الكون هو الله) بمعنى خالقه ، فهو صحيح المعنى ممنوع من جهة اللفظ ، وعليه فلا يجوز إطلاقهما لما ذكر"[1].

(١) فتاوى اللجنة(٢٨/ ٤٠٧).

المسألة الثالثة: الانتساب إلى السلف الصالح فقهاً [1].

المراد بذلك: عدم الخروج عن أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - الثابتة عنهم، وعما أجمع عليه السلف، وترك الشذوذ عنهم بفهم لم يفهموه في نصوص الكتاب والسنة، وهذا مشروط بكون المسألة غير حادثة، فإن كانت حادثة فتجمع النصوص، ويسير على طريقة السلف في النظر فيها.

قال الإمام أحمد - رحمه الله- حين سئل عن أقوال الصحابة: أرأيت إن أجمعوا، له أن يخرج من أقاويلهم؟ هذا قول خبيث، قول أهل البدع، لا ينبغي أن يخرج من أقاويل الصحابة إذا اختلفوا [2].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله- :"من أصل الإمام أحمد الذي لا خلاف عنه فيه أنه لا يجوز الخروج عن أقوال الصحابة، ولا يجوز ترك الحديث الصحيح من غير معارض له من جنسه، وكان - رحمه الله - شديد الإنكار على من يخالف ذلك"[3].

قال أبو عمر ابن عبد البر – رحمه الله –: « العلماء إذا اجتمعوا على شيء من تأويل الكتاب أو حكاية سنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو اجتمع رأيهم على شيء فهو الحق لا شك فيه ، ولكن [إن] اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض فما حجتك في تقليد بعض دون

(١) هذه المسألة مسألة عظيمة تحتاج إلى بذل وسع في البحث، والتأصيل، والتطبيق، وجمع لكلام أهل العلم لا يسعها هذا المقام.

(٢) العدة(٤/١٠٥٩).

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى(٤/٢٠٣).

بعض وكلهم عالم، ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهبت إلى مذهبه؟ فإن قال: قلدته لأني علمت أنه صواب، قيل له: علمت ذلك بدليل من كتاب أو سنة أو إجماع ؟ فإن قال: نعم ، فقد أبطل التقليد وطولب بما ادعاه من الدليل، وإن قال: قلدته ؛ لأنه أعلم مني ، قيل له: فقلد كل من هو أعلم منك ، فإنك تجد في ذلك خلقاً كثيراً.... فإن قال: قلدته؛ لأنه أعلم الناس ، قيل له: فهو إذاً أعلم من الصحابة ، وكفى بقول مثل هذا قبحاً...»[1].

قال الإمام أحمد- رحمه الله- :"إياك أن تتكلم بكلمة واحدة ليس لك فيها إمام"[2].

وكان - رحمه الله- من أشد الناس حرصاً "ألا يحدث مذهباً لم يتقدم به"[3].

أما إذا كانت المسألة حادثة "فدأب العلماء أن يتوقفوا عند بداية الحادثة حتى يجدون الأدلة ويسبرون طُرُقها ويجمعون بينها وبين ما يضامُّها ويعارضها... ويتبعون منهج الصحابة، وما عليه الدليل الواجب اتباعه"[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - غفر الله له - في تقرير أصل المسألة: "إنما المتبع في إثبات أحكام الله: كتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ- ، وسبيل

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩٤) .

(٢) تهذيب الأجوبة(١/ ٣٠٧).

(٣) تهذيب الأجوبة(١/ ٣١٢).

(٤) تهذيب الأجوبة(١/ ٥٠٨و٥٠٩).

السابقين أو الأولين لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصّاً واستنباطاً بحال"[1].

وقال - غفر الله له- : " كل من سلك إلى الله - ﷻ- علماً وعملاً بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها فلا بد أن يقع في بدعة قولية أو عملية.." [2].

وقال - غفر الله له- : "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً" [3].

وبناءً على ذلك"فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية، فإنه لابد أن يضل ويتناقض، ويبقى في الجهل المرَّكب أو البسيط"[4].

قال ابن رجب - رحمه الله- : " في زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث ممن انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم، وهو أشد مخالفة لها؛ لشذوذه عن الأئمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله)[5].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٩٣).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/١٤٩).

(٤) درء تعارض العقل والنقل(٥/٣٥٦).

(٥) فضل علم السلف ص٦٠.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- عن أهل الظاهر: "كل قول انفردوا به عن سائر الأمة فهو خطأ، وأما ما انفردوا به عن الأربعة وهو صواب، فقد قاله غيرهم من السلف"[(١)].

ولذا نص أهل العلم أنه لا يخرج عن أقاويل السلف في كل شيء لهم فيه قول [(٢)].

وقد يتبين ذلك بالأمثلة، وسأضرب مثالين يَتضِحُ منهما المقصود.

المثال الأول: مدة المسح على العمامة، لم يصح فيها حديث، وجاء فيها التوقيت عن الخليفة الراشد عمر - رضي الله عنه- قال ابن حزم - رحمه الله- : "جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- التوقيت في ذلك ثابتاً عنه كالمسح على الخفين"[(٣)]، ومع تصحيح ابن حزم- رحمه الله- للأثر عن عمر - رضي الله عنه- وإثباته له، إلا أنك تجده يذهب إلى أنه يمسح على العمامة مطلقاً بلا تحديد ولا توقيت، وينص على أنه مذهب الظاهرية.

فهذا خروج عن فقه السلف، فهل أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - قال بما قال به ابن حزم - رحمه الله - ؟ فكيف يسوغ ترك قول عمر - رضي الله عنه - لقول ليس له سلف معلوم ؟.

المثال الثاني: عدم إعادة المأموم للصلاة إذا أداها خلف إمام محدث لا يعلم بحدثه، وكان الإمام ناسياً لحدثه، قال أبو يعلى- رحمه الله: "اعتمد أحمد - رحمه الله- في المسألة على إجماع الصحابة - رضي الله عنهم"[(٤)].

---

(١) منهاج السنة(١٧٨/٥).

(٢) الفروع(٣٣٩/٣).

(٣) المحلى(٤٤/٢).

(٤) التعليق الكبير(٣٥٠/١).

قال ابن عبد البر- رحمه الله- بعد ذكره لآثار الصحابة في المسألة: "وهذا في جماعتهم من غير نكير من واحد منهم"[(١)].

وقال الماوردي - رحمه الله- بعد ذكره لفعل صحابيين - رضي الله عنهما- في المسألة: "وليس لهما في الصحابة مخالف فدل على أنه إجماع"[(٢)].

وحكى الإجماع كذلك ابن قدامة - رحمه الله - [(٣)].

ومن آثار الصحابة الواردة في المسألة ما يلي:

١. ما جاء عن عمر - رضي الله عنه- : أنه صلى بالناس وهو جنب، وأعاد ولم يعيدوا [(٤)].

٢. ما ورد عن عثمان- رضي الله عنه- أنه قال: يعيد ولا يعيدون إذا صلى بهم وهو جنب [(٥)].

---

(١) الاستذكار(٣/١١٧)، والتمهيد(١/١٨١).

(٢) الحاوي(٢/٢٣٩).

(٣) المغني(٢/٥٠٤)، وينظر: الشرح الكبير(٤/٣٩١).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه رقم(٣٦٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم(٤٦٠٤)، والدارقطني في سننه باب صلاة الإمام وهو جنب رقم(١٣٧١)، والبيهقي في الكبرى كتاب الصلاة، باب إمامة الجنب رقم(٤٠٧٣)، وصحح الأثر المجد في المنتقى في باب من اقتدى بمن أخطأ بترك شرط أو فرض ص٢٧٥، وعلّق أبو الطيب آبادي على سند الدارقطني بقوله: (رواة هذا الحديث كلهم ثقات)ينظر: التعليق المغني(٢/١٨٧).

(٥) أخرجه الدارقطني في سننه باب صلاة الإمام وهو جنب رقم(١٣٧٢)، والبيهقي في الكبرى كتاب الصلاة، باب إمامة الجنب رقم(٤٠٧٤)، وصحح الأثر المجد في المنتقى في باب من اقتدى بمن أخطأ بترك شرط أو فرض ولم يعلم، ص٢٧٥.

٣. سُئل ابن عمر - رضي الله عنهما- عن رجلٍ صلى بقوم وهو على غير وضوء؟ قال: يعيد ولا يعيدون [١].

gáİ3qä ÿznüţä ʔŸ3 ÈĦö ¢φü ÆŁäØţä ā ĀĦöö dŋ ɭŸĦöä ŌŁü øzŦŧDzz

مادام لا يعلم بحدث الإمام، وكان الإمام ناسياً لحدثه، وهو قول المالكية[٢]، والشافعية[٣]، والمذهب عند الحنابلة [٤].

خلافاً للحنفية [٥] في أنه يعيد بكل حال.

قال أبو يعلى - رحمه الله- بعد ذكره لآثار السلف في المسألة: "وهذا يدل على حصول الإجماع منهم- أي الصحابة- على ذلك قبل أبي حنيفة - رحمه الله- "[٦]، وعلى ذلك لا يخرج عن قول الصحابة - رضي الله عنهم- إلى قول غيرهم.

فهذا تقريب لمعنى كون الرجل على فقه السلف، وإلا فالمسألة تحتاج لدراسات أعمق، من جهة منهج الاستنباط عند السلف، وترتيب الأدلة في الاستدلال، والتقليد، والاتباع، والاجتهاد، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه باب صلاة الإمام وهو جنب رقم(١٣٧٣)، قال أبو الطيب آبادي في التعليق المغني(٢/١٨٨): (سنده صحيح جداً).

(٢) ينظر: المدونة(١/٣٣)، والإشراف(١/٢٧٩).

(٣) ينظر: الأم(٢/٣٢٩)، والمجموع(٤/١٠٨).

(٤) ينظر: المغني(٢/٥٠٤)، والفروع(٣/٢٧)، والمبدع(٢/٧٥)، والإنصاف(٤/٣٩١).

(٥) ينظر: مختصر القدوري ص٨٠، والهداية(١/٥٩).

(٦) التعليق الكبير(١/٣٥٤).

تنبيه: كون العالم يقع منه بعض الأقوال الخارجة عن أقوال السلف لا يخرجه ذلك عن كونه سلفياً في الفقه كما هو سلفي في المعتقد، وإنما المحك إذا كانت أصوله الفقهية مخالفة لما عليه السلف.

فإنك تجد علماء من السلف أنكروا على بعض المتفقهة طريقة سلكوها في التفقه أدّت لإحداثه أقوالًا في مسائل مجمع عليها من عصر الصحابة بناء على طريقتهم المحدثة، فأنكر السلف عليه طريقته وقوله.

أما مجرد وقوع بعض الأقوال من بعض أهل العلم من غير أصول في التفقه مخالفة لما عليه السلف، أو كانت أقوال العالم الخارجة عن أقوال السلف قليلة محصورة، فلا يخرج بذلك عن كونه منتسباً إلى السلف الصالح فقهاً، وإن لم يقل ذلك، ولو قال: إنه شافعي، أو حنبلي فإن ذلك لا يخرجه عما مضى ذكره؛ لأن أصول الشافعي والإمام أحمد ونحوهما من الأئمة على أصول السلف في التفقه.

وقد يوضح ذلك لو أن رجلاً قال: أنا حنبلي، فإذا أصوله الفقهية التي ينطلق منها تخالف أصول الحنابلة، فهل يعد حنبلياً؟ الجواب: لا.

ولو قال آخر: أنا شافعي، فإذا أكثر فروعه الفقهية مخالفة لفروع الشافعي، بل لم يوافق الشافعي إلا في النزر اليسير منها، فهل يقبل قوله: إني شافعي؟ الجواب: لا، فكذلك إذا خالف السلف في أصولهم الفقهية، أو خرج عن أقوالهم في أكثر المسائل الفرعية، هذا من جهة التنظير، أما جانب التطبيق فتحتاج إلى عالم مستقرئ مطلع على أصول السلف ضابط لها مع ورع تام، وحسن ظن.

والله الموفقُ، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الخاتمة

الحمد الله وحده، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلم، فخاتمة هذا البحث تدور على ثلاث مسائل:

١- وجوب الأخذ بما عليه السلف الصالح في الاعتقاد والمنهج، وعدم مخالفة ذلك، ولزوم ما كانوا عليه.

٢- التسمي بالسلفي: مباح لا تثريب على من قاله مخبراً عن نفسه، وقد تحتفي به بعض الأمور التي تجعل صاحبه مأجوراً على ذلك، ومجرد التسمية فلا يترتب عليها شيء في ذاتها.

٣- التفقه على طريقة السلف الصالح، وعدم الخروج عن أقوال الصحابة - رضي الله عنهم -، وجمع الأدلة والتأني إذا كانت المسألة حادثة، وعدم العجلة في إصدار الأحكام خاصة في الأمور العامة.

وأوصي في الختام الإخوة الباحثين التركيز على مسألة وجوب حث المسلمين بلزوم عقيدة السلف الصالح وترك المحدثات، والانتساب للسلف الصالح فقهاً، والتوسع في هذه المسألة بحثاً من جهة ضبط أصول التفقه عند السلف، وطرق الاستدلال، وكيفية التعامل مع الحوادث والنوازل، والتطبيق الفقهي للمسائل على فقه السلف.

هذه خلاصة البحث وهذه هي الوصية، وأسأل الله أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يحفظنا من كل شر، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة الصغرى، والمسماة الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لعبيد الله بن بطة العكبري، ت/ رضا بن نعسان معطي، ط١، ١٤٢٣هـ، مكتبة العلوم والحكم.

٢. الاستذكار: لأبي عمر يوسف بن عبد البر، توثيق وتخريج د. عبد المعطي قلعجي، دار الوعي، ط١ –١٤١٤هـ.

٣. الإشراف: للقاضي عبد الوهاب بن نصر، تخريج الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، بيروت، ط١ – ١٤٢٠هـ.

٤. اقتضاء الصراط المستقيم: لأبي العباس أحمد بن تيمية، ت /د. ناصر العقل، ط٢، ١٤١٩هـ، دار إشبيليا، الرياض.

٥. الأم: للإمام الشافعي، ت / د. رفعت فوزي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الوفاء، مصر.

٦. الانتصار لأصحاب الحديث: لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت/ محمد الجيزاني، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة أضواء المنار، السعودية.

٧. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: لعلي المرداوي، ت /د. عبد الله التركي، مطبوع مع المقنع لشرح الكبير طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٨. بدائع الفوائد: لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت/ علي العمران، ط٢، ١٤٢٧هـ، دار عالم الفوائد، مكة.

٩. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لمحمد بن أحمد الذهبي، ت/ عمر تدمري، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠. تأريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. التسعينية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/محمد العجلان، ط١، ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

١٢. التعليق الكبير في المسائل الخلافية بين الأئمة: للقاضي أبي يعلى، ت/ محمد الفريح، رسالة دكتوراه في المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.

١٣. التعليق المغني على الدارقطني: لأبي الطيب محمد آبادي، طبع مع سنن الدارقطني، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط١ ، ١٤٢٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري ، ت/ مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

١٥. تهذيب الأجوبة: للحسن بن حامد، ت/ د.عبد العزيز القايدي، ط١ ، ١٤٢٥هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

١٦. تهذيب الكمال: تصنيف يوسف المزي، ت/ د. بشار معروف ، ط١ ، ١٤٢٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٧. جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، ت /سمير الزهيري ، دار ابن الجوزي ، ط٦ ، ١٤٢٤هـ.

١٨. الحاوي: تصنيف الماوردي ، ت / علي معوض ، وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.

١٩. الحجة في بيان المحجة: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، ت/ محمد المدخلي، ط٢، ١٤١٩هـ ، دار الراية، الرياض.

٢٠. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية: لبكر أبو زيد، ط٢، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

٢١. درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/د.محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤١١هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٢. الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط٦ ، ١٤١٧هـ.

٢٣. ذم التأويل: لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت/ بدر البدر ، ط١ ، ١٤٠٦هـ، الدار السلفية، الكويت.

٢٤. سنن الدارقطني: تأليف علي الدارقطني ، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط١ ، ١٤٢٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٥. السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين البيهقي، ت/ محمد عبدالقادر عطا ، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي ، ط١١ ، ١٤٢٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٧. شرح العقيدة الأصفهانية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/حسين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية.
٢٨. الشرح الكبير: لابن أبي عمر بن قدامة ، ت / د. عبد الله التركي ، مطبوع مع المقنع والإنصاف، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية ، ١٤١٩هـ.
٢٩. صحيح البخاري المسمى: بالجامع الصحيح من أمور الرسول وسننه وأيامه، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ١٤١٩هـ.
٣٠. صحيح مسلم: تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، اعتنى به/ أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ.
٣١. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بابن القيم ، ت/ علي الدخيل الله، ط٣، ١٤١٨هـ، دار العاصمة، الرياض.
٣٢. العدة في أصول الفقه: للقاضي أبي يعلى، ت/د. أحمد المباركي، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٣. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: لمحمد الأمين الشنقيطي، ت/ خالد السبت، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار الفوائد، مكة.
٣٤. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ط٣، ١٤١٩هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
٣٥. الفروع: لمحمد بن مفلح، ت / د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٣٦. فضل علم السلف على علم الخلف: للحافظ ابن رجب، ت/ يحيى غزاوي، ط١، ١٤٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية.
٣٧. لمعة الاعتقاد: لعبد الله بن أحمد ابن قدامة، مع شرح ابن عثيمين، ت/أشرف عبد المقصود، ط٣، ١٤١٥هـ، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

٣٨. لوامع الأنوار البهية : لمحمد السفاريني ، ط٣، المكتب الإسلامي ، بيروت.
٣٩. المبدع في شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن مفلح ، ط١ ، ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي ، بيروت.
٤٠. المجموع شرح المهذب: لمحيي الدين يحيى النووي ، ت / محمد المطيعي، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، دار إحياء التراث، بيروت.
٤١. مجموع فتاوى ابن تيمية : لأبي العباس أحمد بن تيمية ، جمع/ عبد الرحمن بن قاسم ، طبعة مجمع الملك فهد ، ١٤٢٥هـ.
٤٢. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ، جمع د. محمد بن سعد الشويعر ، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ط٣، ١٤٢١هـ.
٤٣. المحلى : لأبي محمد ابن حزم، ت/مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، ط٢ ، ١٤٢٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٤. مختصر الصواعق المرسلة : لابن قيم الجوزية ، اختصره محمد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. مختصر القدوري : لأحمد البغدادي المعروف بالقدوري ، ت/د. عبدالله مزي، ط٢ ، ١٤٢٩هـ، مؤسسة الريان، بيروت.
٤٦. المدخل : لمحمد العبدري الفاسي، الشهير بابن الحاج ، طبع عام ١٤٠١هـ، دار الفكر.
٤٧. المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
٤٨. المستدرك على مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع /محمد بن قاسم، ط١ ، ١٤١٨هـ.
٤٩. المصنف : لعبد الله بن أبي شيبة ، ت/محمد عوامة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ، دار القبلة ، جدة.
٥٠. المصنف : لعبد الرزاق الصنعاني ، ت / حبيب الأعظمي ، ط٢، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥١. معجم المحدثين: لمحمد بن أحمد الذهبي ، ت/ محمد الهيلة، ط ١ ، ١٤٠٨هـ، مكتبة الصديق، الطائف.

٥٢. المغني شرح مختصر الخرقي: لموفق الدين عبد الله بن قدامة ، ت / د. عبد الله التركي ، د. عبد الفتاح الحلو ، ط٣، ١٤١٧هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٥٣. مناقب الإمام أحمد بن حنبل: لعبد الرحمن ابن الجوزي، ت/ عبد الله التركي، ط٢، ١٤٠٩هـ، هجر للطباعة والنشر.

٥٤. المنتقى في الأحكام الشرعية من كلام خير البرية صلى الله علية وسلم: لأبي البركات عبد السلام ابن تيمية، ت/طارق عوض الله، ط١، ١٤٢٩هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

٥٥. منهاج السنة: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/د. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥٦. الهداية: لعلي المرغيناني، ت/ طلال يوسف ، ط١، ١٤١٦هـ ، دار إحياء التراث.



ندوة (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني)

عداد

نبيل بن عبد الرحمن الجبرين

رئيس محكمة بيشة العامة المساعد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فهذا بحث مختصر في حقيقة مصطلح السلفية، أعددتُه للمشاركة في الندوة الموسومة بـ (**السلفية منهج شرعي ومطلب وطني**) والتي تحتضنها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حيث أشرُف بالمشاركة في هذه الندوة المباركة، وأسأل الله ﷻ أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

أولاً: معنى السلفية في اللغة:

قال ابن فارس: "السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسبْق. من ذلك السَّلَف: الذين مضَوا. والقومُ السُّلاَّف: المتقدِّمون"(٤)، وقال ابن منظور:

(١) سورة آل عمران (١٠٢).

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الأحزاب (٧٠ – ٧١).

(٤) نقلاً عن: (معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ، ٩٦/٣).

"سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً تقدَّم"[1]، ومن ذلك قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[2]، أي: له ما تقدم[3]، والنسبة إلى ذلك سَلَفي، بفتح السين المهملة، وفتح اللام، وكسر الفاءِ. وعكس السلف: الخلف، وهم القوم المتأخرون.

وقد تَشْتَبهُ هذه النسبة ببعض الكلمات المشابهة المنسوبة إلى مادة (سلف) اللغوية، وقد أشار السمعاني –رحمه الله- إلى التفريق بين هذه النِّسَبِ:

فالسَّلَفي: بفتح السين واللام، وفي آخرها الفاء، نسبة إلى السَّلف وانتحال مذهبهم.

والسُّلَفِي: بضم السين المهملة، وفتح اللام، وفي آخرها فاء، نسبة إلى سُلَف، وهي بطن من كلاع، والكلاع من حميَر.

والسِّلَفِيُّ: بكسر السين المهملة، وفتح اللام، وفي آخرها الفاء، هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن سِلَفة الأصبهاني من أهل أصبهان، كان فاضلاً

---

(١) نقلاً عن: (لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١، ٩/١٥٨).

(٢) سورة البقرة (٢٧٥).

(٣) ينظر: (الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ٤/٤٠١).

مكثراً رحَّالاً، عُني بجمع الحديث وسماعه، وصار من الحفاظ المشهورين، وهذه النسبة إلى جدِّه سِلَفَة، وهو يعرف بالحافظ السِّلَفِي[(١)].

ثانياً: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي:

بتتبع عبارات أهل العلم، من ذوي العقيدة الصافية والمنهج السليم، لم أجد أنهم عرَّفوا (السَّلفية) تعريفاً دقيقاً، بل وضحوا شيئاً من أوصافها وبيَّنوا أركانها، بعبارات الثناء والحث والرد على المخالف، ومن عبارات أهل العلم في ذلك:

١. قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله- : "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - ﷺ - والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة"[(٢)].

٢. وقال أبو القاسم اللالكائي - رحمه الله- : "وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله - ﷺ - وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون"[(٣)].

---

(١) ينظر: (الأنساب، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ه - ١٩٨٨م، ٣/٢٧٣- ٢٧٤).

(٢) نقلاً عن: (أصول السنة، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار المنارة – الخرج – السعودية، ط١، ١٤١١هـ ص ١٤- ١٥).

(٣) نقلاً عن: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط٢ ١٤٠٢هـ ١/٧).

٣. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله - ﷺ - باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله - ﷺ - ، حيث قال: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[1]"[2] وقال - رحمه الله- : "المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب: هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال: الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال

---

(١) أخرجه: (أبو داود برقم ٤٦٠٩) و (الترمذي برقم ٢٦٧٦) و (ابن ماجه برقم ٤٢) و (أحمد في مسنده برقم ١٧١٤٤) و (الدارمي في السنن برقم ٩٥) و (البيهقي في السنن الكبرى برقم ٢٠١٢٥) و (الطبراني في المعجم الكبير برقم ٦١٧) و (ابن حبان برقم ٥) و (الحاكم في المستدرك برقم ٣٢٩)، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ليس له علة. ووافقه الذهبي.

(٢) نقلاً عن: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٣/١٥٧).

فيهم النبي - ﷺ - : "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة"[1]"[2].

٤. وقال ابن أبي العز الحنفي: " السنة: طريقة الرسول - ﷺ - ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم: الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال"[3].

٥. وعرفتها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بما نصه: "السلفية: نسبة إلى السلف، والسلف: هم صحابة رسول الله - ﷺ - وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضي الله عنهم - الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم[4]، والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف...، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع

---

(١) أخرجه: (البخاري برقم ٧٣١١) و (مسلم برقم ٤١٢).

(٢) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٩/٣).

(٣) ينظر: (شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي و شعيب الأرنؤوط، دار هجر للنشر والتوزيع، أبها، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٥٤٤/٢).

(٤) أخرجه: (البخاري برقم ٢٦٥٢) و (مسلم برقم ٦٦٣٢) و (أحمد في مسنده برقم ٣٩٦٣).

الكتاب والسنة، والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة"[1].

6. وقال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- : "التمسك بكتاب الله العظيم، وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم وأتباعهم بإحسان"[2].
7. وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله- بأنها: "اتباع منهج النبي - ﷺ - وأصحابه"[3].
8. وعرفتها الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة بأنها نسبة إلى السلف وأن السلف هم: "المسلمون الأوائل من الصحاب والتابعين ومن تبعهم من أصحاب القرون المفضلة"[4].

---

(1) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، جمع: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٢/٢٤٣).

(2) ينظر: (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ، ٤/٧٠).

(3) ينظر: (لقاءات الباب المفتوح، محمد بن صالح العثيمين، أعد هذه اللقاءات: د. عبد الله بن محمد الطيار، دار البصيرة، الإسكندرية، اللقاء رقم ٥٧، ٣/٢٤٦).

(4) ينظر: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حمّاد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٢/١٠٧٢) و (دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ.د ناصر بن عبد الكريم العقل، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ١/١٠٧).

٩. وعرَّف المعجم الوسيط (السلفيَّ) بأنه: "من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة ويهدر ما سواهما"[(١)].

ولأجل تعريف السلفية تعريفاً دقيقاً، لا بد من الإحاطة بأبرز معالم المنهج السلفي وتصور طريقته تصوراً ملمًّا، حتى يشمل التعريف جميع جوانب (السلفية):

المعلم الأول: أن المنهج السلفي يعتمد في الاستدلال على الأخذ عن القرآن الكريم وما صح من سنة النبي - ﷺ - وما أجمعت عليه الأمة، بعيداً عن الأهواء وآراء العقول فيما لا تدركه العقول[(٢)]، عملاً بقول الله — تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[(٤)]، وقول النبي - ﷺ - : "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله"[(٥)].

المعلم الثاني: أن المنهج السلفي يعتمد في الاقتداء والتأسي على الاقتداء بالنبي - ﷺ - والتأسي به ثم بالصحابة - رضي الله عنهم - ، ثم بالتابعين لهم من

---

(١) ينظر: (المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، ١/٤٤٤).

(٢) ينظر: (أصول السنة للإمام أحمد ص ١٦- ١٧) و (شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٠٠) و (دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السف منها ١/١١٤).

(٣) سورة النساء (٥٩).

(٤) سورة النساء (٨٠).

(٥) أخرجه: (مسلم برقم ٣٠٠٩) و (أبو داود برقم ١٩٠٧) و (الترمذي برقم ٣٧٨٦) و (ابن ماجه برقم ٣٠٧٤).

أصحاب القرون المفضلة فيما لم يخالف ما ثبت عن النبي - ﷺ - [1]، عملاً بقول الله – تعالى - : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [2]، وقوله – تعالى - : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [3]، وقول النبي - ﷺ - : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)[4].

المعلم الثالث: أن المنهج السلفي يعتمد في ائتماره بالأوامر وانتهائه عن المناهي لا على مجرد ظاهر النصوص، بل يهتم بمقاصدها وغاياتها[5]، كما وقع في حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- أن النبي - ﷺ - نادى فينا يوم انصرف من الأحزاب: " لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي - ﷺ - فلم يعنف واحداً منهم[6] فالذين أخروا الصلاة إلى أن يصلوا إلى بني قريظة نظروا في

---

(١) ينظر: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ١/ ٢٠) و (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٢٤).

(٢) سورة الأحزاب (٢١).

(٣) سورة التوبة (١٠٠).

(٤) سبق تخريج هذا الحديث، ص ٣.

(٥) ينظر: (جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة السابعة، ١٤٢٧هـ، ٢/ ١٩٣) و (الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت، ٣/٤٠٩).

(٦) أخرجه: (البخاري برقم ٩٤٦) و (مسلم برقم ٤٧٠١).

غاية هذا النص ومقصده وهو الاستعجال ومع ذلك لم يعنف النبي - ﷺ - هؤلاء بل أقرهم على فهمهم، وكما في حديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[1]، عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله - ﷺ - ، فذكرت له ذلك، فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار[2]، وهذا هو الذي يفرق بين هذا المنهج وبين منهج المتبعين بدون فهْم كما في قول الله – تعالى - : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾[3].

المعلم الرابع: أن المنهج السلفي يدعو إلى اتحاد المرجعيات ونبذ التفرق والاختلاف والتشتت، ففي مجال السياسة والحكم يدعو إلى طاعة ولي الأمر في غير معصية الله[4]، كما في قوله – تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[5]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"[6]، وفي

---

(١) سورة البقرة (١٨٧).

(٢) أخرجه: (البخاري برقم ١٩١٦) و (مسلم برقم ٢٥٨٥).

(٣) سورة الزخرف (٢٣).

(٤) ينظر: (شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٤٠).

(٥) سورة النساء (٥٩).

(٦) أخرجه (البخاري برقم ٧١٣٧) و (مسلم برقم ٤٨٥٢).

مجال العلم الشرعي يدعو إلى الالتفاف حول أهل العلم الموثوقين وسؤالهم فيما أشكل من أمور الدين(١)، كما قال الله – تعالى - : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقال النبي - ﷺ - : "ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال)(٣)، ومن خالف في فرع من الفروع فإن طريقتهم في البحث معه والمناظرة لا توجب المشاجرة ولا تنافي الأخوة(٤)، وفي مجال الدنيا وصروفها مما لا يدخل في التحليل والتحريم يدعو إلى الرجوع إلى أهل الخبرة والمعرفة(٥)، كما قال النبي - ﷺ - : (أنتم أعلم بأمور دنياكم)(٦).

المعلم الخامس: أن المنهج السلفي يدعو إلى الله - سبحانه وتعالى - على نور من الكتاب والسنة، والحكمة في التعامل مع المدعوِّ، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ

---

(١) ينظر: (الموافقات في أصول الشريعة ٤/٢٩٣) و (الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٩/١١٣).

(٢) سورة النحل (٤٣).

(٣) أخرجه (أبو داود برقم ٣٣٦) و (ابن ماجه برقم ٥٧٢) و (أحمد في مسنده برقم ٣٠٥٦)، و (البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٠١٥)، قال البيهقي في (المعرفة): هذا الحديث أصح ما روي في هذا الباب مع اختلاف في إسناده، ينظر: (نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، طبعة عام ١٣٥٧هـ، ١/١٦٠).

(٤) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/١٧٢).

(٥) ينظر: (لقاءات الباب المفتوح، رقم اللقاء ٣٣، ٢/٢٥٥ - ٢٥٦) و (الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٢٥/٣٠١).

(٦) أخرجه: (مسلم برقم ٦٢٧٧).

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وينبذ الدعوة إلى الله - تعالى - بالبدعة[2]، كما قال الله — تعالى - : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[3]، وقول النبي - ﷺ - (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[4].

المعلم السادس: أن المنهج السلفي يأخذ على عاتقه بيان الحق، بغض النظر عن انتقاد المنتقدين أو ضغط المجتمعات[5]، كما قال الله — تعالى - : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[6].

المعلم السابع: أن المنهج السلفي يقرر عصمة النصوص من الكتاب وما ثبت من السنة عن الخطأ، كما قال الله — تعالى - : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[7]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب)[8]، كما لا يقرر عصمة أتباعه عن الخطأ في الأقوال والأفعال التي لا تبنى على الكتاب

---

(١) سورة النحل (١٢٥).

(٢) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٥٦٨).

(٣) سورة يوسف (١٠٨).

(٤) أخرجه: (مسلم برقم ٤٥٩٠).

(٥) ينظر: (تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٣/٥٩٥).

(٦) سورة الأحزاب (٣٩).

(٧) سورة النجم (٣- ٤).

(٨) أخرجه: (البخاري برقم ٧٠١٧).

والسنة، كما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً قال: (ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويُدَع غير النبي - ﷺ -)[1]، وقد ورد نحو هذا عن الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله — تعالى - [2].

المعلم الثامن: أن المنهج السلفي مع اتخاذه لمنهج الاتباع للسلف، إلا أنه لا يغفل الاجتهاد في المسائل الفرعية التي يسوغ فيها الاجتهاد[3]، كما قال النبي - ﷺ - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه- لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قاضياً: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله - ﷺ - ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله - ﷺ - ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله - ﷺ - صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يرضى رسول الله[4].

---

(١) أخرجه: (الطبراني في المعجم الكبير برقم ١١٩٤١) قال الهيثمي: (رجاله موثوقون)، ينظر: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ١/ ٢١٩).

(٢) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٢٢٧).

(٣) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٤٢٥) و (٢٠/ ٧٠).

(٤) أخرجه: (أبو داود برقم ٣٥٩٤) و (الترمذي برقم ١٣٢٧) و (أحمد في مسنده برقم ٢٢٠٠٧)، قال الترمذي: (لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بمتصل) وقال البخاري: (لا يصح)، ينظر: (التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٨٩م، ٤/ ٤٤٦)، وقال تقي الدين ابن تيمية: (وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد) نقلاً عن: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٤٦).

وبناء على تصور تلك المعالم كلها يمكن وضع تعريف محدد لمصطلح السلفية بأن يقال: [**منهج إسلامي عِلْمي عَمَلِي مستندٌ إلى الأدلة المعصومة من الكتاب والسنة والإجماع، ومقاصدها التي فهمها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المعتبرين، مع عدم التثريب على المخالف فيما ساغت فيه المخالفة**].

ويعبر عن هذا المصطلح بعدة تعبيرات أخرى غير عبارة (السلفية)، فمنها:

١- أهل السنة والجماعة[١].

٢- الفرقة الناجية[٢].

٣- الطائفة المنصورة[٣].

٤- أمة الإجابة[٤].

٥- أهل الحديث[٥].

---

(١) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ٢/ ٢٣٠) و (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٢٨/ ٥٠) و (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ١٠٧٤) و (دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ١/ ١١٣).

(٢) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ٢/ ٢٣١) و (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ١٠٧٤).

(٣) ينظر: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ١٠٧٤)

(٤) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ٢/ ٢٣١).

(٥) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٩٥) و (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ١٠٧٤).

٦- أهل الأثر[1].

ثالثاً: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى - ﷺ-:

الإسلام دينٌ حقٌ واحد، لا يمكن أن يتنوع أو يتفرق، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]، فأكد الله تعالى تفرد الإسلام بوصف (الدين الحق) وهو الذي ارتضاه تعالى لعباده[3].

هذا من حيث الأصل، ولكن هناك فرق تنتسب إلى الإسلام، وتتعبد بجملة من شعائره، لكنها انسلخت عن الطريقة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة، وما درج عليه الصحابة - رضي الله عنهم- والتابعون لهم بإحسان، وقد أشار النبي - ﷺ - إلى هذه الفرق المنتسبة إلى الإسلام والفرقة التي تنتسب إلى الحق منها، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: "تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[4]، فقوله - ﷺ -: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) هو منهج السلف المتمثل في اتباع

---

(١) ينظر: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١٠٧٤/٢).

(٢) سورة آل عمران (١٩).

(٣) ينظر: (شرح العقيدة الطحاوية ٧٨٦/٢).

(٤) أخرجه: (الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٤٨٨٦)، قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الصغير وفيه عبد الله بن سفيان قال العقيلي: لا يتابع على حديثه هذا وقد ذكره ابن حبان في الثقات) نقلاً عن: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٣١/١) وأخرجه (أبو داود برقم ٤٥٩٨) و (الترمذي برقم ٢٦٤٠) و (ابن ماجه برقم ٣٩٩١) و (أحمد برقم ٨٣٩٦) من حديث أبي هريرة قال الترمذي فيه: (حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح).

النبي - ﷺ - وأصحابه، وهذه الفرقة هي الفرقة الناجية وهي الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه، ونهى عن اتباع سائر السبل والطرق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: خط رسول الله - ﷺ - خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾[2].

ولذا فإن المنهج السلفي الذي سبق بيان مفهومه وحقيقته، هو ذاته دين الإسلام الحقيقي المبني على اتباع الكتاب والسنة الثابتة، فالصلة والعلاقة بين الإسلام الحقيقي وبين المنهج السلفي هي (العلاقة الذاتية) التي تعني التساوي والترادف.

ومن نصوص أهل العلم في ذلك:

١. قال الإمام أبو حنيفة: "عليك بالأثر **وطريقة السلف**، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة"[3] فجعل طريقة السلف مقابلة لطريقة البدعة المجانبة لمنهج الإسلام.

---

(١) سورة الأنعام (١٥٣).

(٢) أخرجه: (أحمد برقم ٤٤٣٧) و (الدارمي برقم ٢٠٢) و (النسائي في السنن الكبرى برقم ١١١٧٤) و (ابن حبان برقم ٦) و (الحاكم في المستدرك برقم ٢٩٣٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) ينظر: (أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٢٠٦/٥).

٢. وقال الإمام مالك: "**لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**"[١]، فما صلح به أول الأمة هو الإسلام، واتباع أول الأمة هو اتباع السلف الصالح فيما كانوا عليه، وهو السلفية.

٣. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، **فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لرسول الله - ﷺ -، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -**، فإن الهدى يدور مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث دار، ويدور مع أصحابه - رضي الله عنهم - دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالمٍ من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ"[٢]، فجعل رحمه الله اتباع النبي - ﷺ - وأصحابه -وهم السلف- وانتصاره لهم دين الإسلام، وقال - رحمه الله- : "أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله - ﷺ -، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها، تصديقاً

---

(١) ينظر: (تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٣/٤٤٢).

(٢) ينظر: (منهاج السنة النبوية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ٥/٢٦١- ٢٦٢).

وعملاً وحباً، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها"[1]، وقال -رحمه الله- : "والذي ينبغي للناس أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله - ﷺ - فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى، وهدي خير القرون إلى ما هو دونه"[2].

٤. سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية في هذا المجال عن الفرق بين الشريعة والطريقة، فأجابت بما نصه: "الشريعة هي ما أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله إلى الناس ليقوموا به على وجه التعبد به لله، وابتغاء القربى إليه به وفق ما أمرتهم به رسلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، **والطريقة المعتبرة السائرة وفق هذا**، أي: وفق منهاج الله الذي أنزله على خاتم رسله محمد - ﷺ - بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[3]، ووفق قوله - ﷺ - : "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"[4]، فهي داخلة في الشريعة، أما الطريقة المخالفة لهذا كالطرق الصوفية، والتيجانية، والنقشبندية، والقادرية، وغيرها، فهي طرق مبتدعة

---

(١) نقلاً عن: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤٧/٣).

(٢) نقلاً عن: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٥/١).

(٣) سورة الأنعام (١٥٣).

(٤) سبق تخريج هذا الحديث، ص ١٢.

لا يجوز إقرارها ولا السير فيها إلى الله – سبحانه - "[١]، فجعلت اللجنة الدائمة الطريقة السلفية هي ما كانت سائرة على الشريعة الإسلامية.

٥. سئل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- عن عبارة (السابقون رجال ونحن رجال)، فأجاب بقوله: "هذه العبارة فيها إجمال واحتمال، فإن أريد بها أن الواجب على المتأخرين أن يجتهدوا في نصر دين الله وتحكيم شريعته، وتأييد ما عليه السلف الصالح من العقيدة والأخلاق فهذا حق، **والواجب على جميع المسلمين أن يسيروا على نهج سلفهم الصالح في اتباع الكتاب والسنة وتحكيمهما في كل شيء**، ورد ما تنازع فيه الناس إليهما، عملا بقول الله – سبحانه - : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٢]، الآية، وقوله – سبحانه - : ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[٣] الآية، أما إن أريد بهذه العبارة أن المتأخرين لهم أن يجددوا في دين الله ما يخالف ما عليه سلف الأمة في العقيدة والأخلاق أو في الأحكام، فهذا أمر منكر لا يجوز فعله؛ لأنه مخالف لقول الله - ﻷ- : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[٤]، وقوله - ﻷ- : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٥]، وقوله - سبحانه - : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/٢١٩).

(٢) سورة النساء (٥٩).

(٣) سورة الشورى (١٠).

(٤) سورة آل عمران (١٠٣).

(٥) سورة النساء (١١٥).

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]"[2]، فجعل - رحمه الله- واجباً على جميع من اتصف بصفة الإسلام السير على نهج السلف.

رابعاً: حكم الانتساب إلى السلفية:

إن الانتساب إلى السلفية يعني الانتساب إلى منهج السلف، وقد سبق بيان معالم منهج السلفية باختصار، وبيان المفهوم الصحيح له، وصلته بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ - ؛ وبمعرفة ذلك كله يمكن معرفة حكم الانتساب للسلفية؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

فالانتساب إلى السلفية واتباع طريقتها أمر واجب على المسلم، والدليل على ذلك الكتاب والسنة والمعقول:

أما الكتاب، فقد دلت آيات كثيرة من القرآن الكريم على ذلك، ومنها ما يأتي:

١. قول الله - سبحانه وتعالى- : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ ﴾[3].

وجه الاستدلال من هذه الآية: أنه يجب على المسلم أن يلتزم طريق الهداية لينجو، وقد اشترط الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية لحصول الهداية تحقيق الإيمان بمثل ما آمن به النبي - ﷺ - ومن تبعه، والمثلية في ذلك

---

(١) سورة التوبة (١٠٠).

(٢) ينظر: (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٤/١٦٨- ١٦٩).

(٣) سورة البقرة (١٣٧).

تقتضي الاتباع والانتهاج بمنهج السلف، وجعَل التولي عن هذه الطريقة شقاقاً وقد نهى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عن الشقاق[1].

٢. قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[2].

وجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - جعل جزاء الانشقاق عن المنهج النبوي واتباع غير سبيل المؤمنين هو جهنم، وهذا يدل على تحريم الانشقاق عن المنهج النبوي واتباع غير سبيل المؤمنين، واتباع المنهج النبوي واتباع سبيل المؤمنين هو ذاته السلفية[3].

٣. قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[4].

وجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - جعل اتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان سبب لرضا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ، وعكس رضا الله – تعالى - الغضب والسخط، واتباع ما يرضي الله واجب مأمور به، واتباع ما يسخط الله محرم منهي عنه[5].

---

(١) ينظر: (تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٣٤).

(٢) سورة النساء (١١٥).

(٣) ينظر: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١/ ٦٥٩).

(٤) سورة التوبة (١٠٠).

(٥) ينظر: (تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٦٧) و (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٤/ ١٦٩).

٤. قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ﴾[(١)].

وجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله - سبحانه وتعالى - أمر باتباع سبيل من أناب إليه، ومن أناب إلى الله تعالى هم الصحابة والتابعون لهم من أهل القرون المفضلة رضي الله عنهم ورحمهم، وهم السلف، والأمر يقتضي الوجوب، ولا صارف يصرف هذا الأمر عن الوجوب إلى غيره[(٢)].

٥. قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[(٣)].

وجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله - سبحانه وتعالى - لم يجعل للمؤمنين الخيار في اتباع غير ما قضاه الله وقضاه رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ورتب على معصية الله ومعصية رسوله - صلى الله عليه وسلم - وصف الضلال المبين، وهذا يدل على وجوب اتباع الصراط المستقيم، وهو الذي سار عليه السلف الصالح[(٤)].

٦. قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة لقمان (١٥).

(٢) ينظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٧٦) و (تفسير القرآن العظيم ٣/٥٣٨).

(٣) سورة الأحزاب (٣٦).

(٤) ينظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٦٦٥).

(٥) سورة الحجرات (١).

وجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله - سبحانه وتعالى - نهى المؤمنين عن التقدم بين يدي الله ورسوله، ومن ذلك تقديم أي رأي أو اتجاه على قول الله وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا النهي يدل على التحريم، ويدل ضمناً على وجوب اتباع السلف الذين اتبعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [1].

وأما السنة: فقد تضافرت أدلة السنة على وجوب اتباع منهج السلف، ومن ذلك:

١. عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، - قال الرواي: والله أعلم أذكَر الثالث أم لا- ، قال: ثم يظهر قوم يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويفشو فيهم السمن"[2].

وجه الاستدلال من هذا الحديث: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل الخيرية في القرن الذي بعث فيهم، ثم القرن الذي يليهم، ثم القرن الذي يليهم، والخير ضده الشر، وجعْل الخيرية في هؤلاء يدل على مشروعية انتهاج منهجهم؛ لأن المسلم مأمور باتباع الخير والابتعاد عن الشر[3].

---

(١) ينظر: (تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٨).

(٢) أخرجه: (أبو داود برقم ٤٦٥٩) و (الترمذي برقم ٢٢٢٢) و (أحمد برقم ١٩٩٥٣) و (ابن حبان برقم ٦٧٢٩) قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح)، وأصل ذلك عند (مسلم برقم ٦٦٣٦ من حديث أبي هريرة).

(٣) ينظر: (عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٢/٢٦٧).

٢. عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: " صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟، فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[(١)].

وجه الاستدلال من هذا الحديث: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين في قوله: (فعليكم)، وهؤلاء هم رؤوس السلف وأكابرهم، والأمر يقتضي الوجوب، ولا صارف يصرف هذا الأمر عن الوجوب إلى غيره[(٢)].

٣. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[(٣)].

---

(١) أخرجه: (أبو داود برقم ٤٦٠٩) و (الترمذي برقم ٢٦٧٦) و (ابن ماجه برقم ٤٢) و (أحمد برقم ١٧١٤٤) و (الحاكم في المستدرك برقم ٣٢٩ ووافقه الذهبي) و (ابن حبان برقم ٥) قال الترمذي: (هذا حديث صحيح).

(٢) ينظر: (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١١/ ٢١٧).

(٣) سبق تخريج هذا الحديث، ص ١٢.

وجه الاستدلال من هذا الحديث: أن النبي - ﷺ - بين "أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة"[1]، وهم السلف، وعلى رأسهم أصحاب النبي - ﷺ - -رضي الله عنهم- .

٤. الأحاديث التي رتبت على بعض الأفعال نفي الانتماء إلى جماعة المسلمين، ومنها حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- عن النبي - ﷺ - قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا"[2]، وحديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا"[3]، وحديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله - ﷺ - : (من حلف بالأمانة فليس منا)[4]، وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - ﷺ - مر على صبرة من طعام، فأدخل يده فيها، فنالت

---

(١) ينظر: (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٥٤٥).

(٢) أخرجه: (البخاري برقم ٦٨٧٤) و (مسلم برقم ٧٥).

(٣) أخرجه: (أبو داود برقم ١٤٢١) و (ابن ماجه برقم ٢٥٧٦) (أحمد برقم ٢٣٠١٩) و (البيهقي في السنن الكبرى برقم ٤٢٥١) و (الحاكم في المستدرك برقم ١١٤٦) قال الزيلعي: (ورواه الحاكم في المستدرك وصححه وقال: أبو المنيب ثقة ووثقه ابن معين أيضا قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هو صالح الحديث وأنكر على البخاري إدخاله في الضعفاء وتكلم فيه النسائي، وابن حبان، والعقيلي وقال ابن عدي: هو عندي لا بأس به) نقلاً عن: (نصب الراية ٢/٦٩).

(٤) أخرجه: (أبو داود برقم ٣٢٥٥) و (أحمد برقم ٢٢٩٨٠) و (البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٩٦٢١)، قال الهيثمي: (رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح خلا الوليد بن ثعلبة وهو ثقة) نقلاً عن: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤/٣٨٥).

أصابعه بللاً، فقال: يا صاحب الطعام! ما هذا؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام؛ حتى يراه الناس؟ ثم قال: من غش فليس مني[1].

وجه الاستدلال من هذه الأحاديث: أن قول النبي - ﷺ - : (فليس منا) وقوله - ﷺ - : (فليس مني)، نفي لانتماء فاعل هذه الأمور إلى النبي - ﷺ - وجماعة المسلمين معه، وهذا يدل على لزوم اتباع نهج النبي - ﷺ - واتباع من معه من الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان رحمهم الله، وهم السلف[2].

وأما المعقول: فإن العقل إنما يستنير في طريقة استعمال الأمور بمن سبقه فيها، فالإنسان إذا اشترى آلة احتاج في معرفة طريقة عملها ودورانها إلى علم ومعرفة من سلفه وتقدمه في استعمالها حتى لا يفسدها، ومن اشترى دابة احتاج إلى علم ومعرفة من سلفه وتقدمه في ركوبها وصيانتها حتى لا يهلكها، ومن ورث عن أبيه مزرعة احتاج إلى أن يعرف سيرته وطريقته في زراعتها حتى لا يهملها، وهكذا من دخل دين الإسلام، فإنه يحتاج في معرفته والسير فيه إلى أفهام من سلفه فيه، وهم من تقدم بيانهم.

---

(١) أخرجه: (مسلم برقم ٢٩٥).

(٢) ينظر: (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٠٩/١) و (عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٠٧/٤، ٥٧/٩) و (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٢/٥).

خامساً: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة:

لا شك أن الإسلام دين يحث على الاجتماع ونبذ الفرقة والتشتت، فقد أمر الله بالاجتماع على الحق ونهى عن التفرق، قال الله – تعالى – : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]، ونهى – سبحانه وتعالى – عن مشابهة المتفرقين، وبين جزاءهم فقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، وبين – سبحانه وتعالى – براءة النبي – صلى الله عليه وسلم – عن منهج التفرق فقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[3].

وينبغي التفريق في مقام الحديث عن الأحزاب المعاصرة بين نوعين يتضح به علاقة المنهج السلفي بالتحزبات الإسلامية المعاصرة:

النوع الأول: الأحزاب والفرق التي تنتسب إلى الإسلام، ولكنها تتخذ منحى الابتداع في الدين ومخالفة الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة في أمور التعبد.

فهذا النوع من الفرق والأحزاب المنتسبة إلى الإسلام هو أبعد ما يكون عن منهج (السلفية)، بل منهج السلف الصالح منه براء، وذلك مصداق ما جاء في

---

(١) سورة آل عمران (١٠٣).

(٢) سورة آل عمران (١٠٥).

(٣) سورة الأنعام (١٥٩).

حديث النبي - ﷺ - : (فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١] وقوله - ﷺ - : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٢].

ومن نصوص أهل العلم في ذلك:

١- قال أبو القاسم اللالكائي عمن خالف منهج أهل السنة والجماعة: "ومن أعرض عنها، وابتغى في غيرها مما يهواه أو يروم سواها مما تعداه، أخطأ في اختيار بغيته وأغواه، وسلكه سبيل الضلالة، وأرداه في مهاوي الهلكة، فيما يعترض على كتاب الله وسنة رسوله، بضرب الأمثال ودفعهما بأنواع المحال، والحيدة عنهما بالقيل والقال، مما لم ينزل الله به من سلطان، ولا عرفه أهل التأويل واللسان، ولا خطر على قلب عاقل بما يقتضيه من برهان، ولا انشرح له صدر موحد عن فكر أو عيان"[٣].

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "فعلم أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي - ﷺ - "[٤].

٣- قال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله- : "وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم، عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه،

(١) أخرجه: (البخاري برقم ٥٠٦٣) و (مسلم برقم ٣٤٦٩).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث، ص٩.

(٣) ينظر: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ١/١٠).

(٤) ينظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/١٥٥).

فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[1]، وقال – تعالى- : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[2]"[3].

النوع الثاني: الأحزاب والفرق التي تنتسب إلى الإسلام، وتتخذ الكتاب والسنة الثابتة وما صح عن الصحابة والتابعين نبراساً تستنير به، ومسلكاً تسلكه، ولكنها تفترق وتتحزب في مسائل الفروع الفقهية وطرق الاستنباط من الأدلة، أو تختلف في أساليب الدعوة إلى الله تعالى باختلاف مناهجها في ذلك، فالاختلاف بينها في هذه الأمور مع التزامها بنصوص الكتاب والسنة وطريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لا يخرجها عن (السلفية) التي جرى تعريفها في صدر هذا البحث.

ولكن الذي يعيب هذه الفرق والمذاهب ويهدد استمرارها على المنهج السلفي، هو تعصب أصحاب كل فريق لطريقته ومذهبه الفرعي، وتبديعهم وتفسيقهم لبعضهم البعض، فإن التعصب منهج ذمه السلف الصالح أنفسهم، وحذروا منه.

ومن نصوص أهل العلم في ذلك ما يأتي:

١- قال أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله- : "هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس، وضلت به نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك، والصحيح في هذا الباب: أن من صحت عدالته، وثبتت في العلم أمانته،

---

(١) سورة الأنعام (١٥٣).

(٢) سورة يوسف (١٠٨).

(٣) ينظر: (شرح العقيدة الطحاوية ٢/٧٩٩).

وبانت ثقته وعنايته بالعلم، لم يلتفت فيه إلى قول أحد، إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر، وأما من لم تثبت إمامته، ولا عُرفت عدالته، ولا صحت لعدم الحفظ والإتقان روايته، فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه، ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه، والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماما في الدين قول أحد من الطاعنين، أن السلف - رضوان الله عليهم- قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب، ومنه ما حمل عليه الحسد، كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وابن حازم، ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم تقليدهم في شيء منه دون برهان ولا حجة توجبه"[(١)].

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : "وأما من ترجح عنده فضل إمام على إمام، أو شيخ على شيخ بحسب اجتهاده، كما تنازع المسلمون أيما أفضل الترجيع في الأذان أو تركه، وإفراد الإقامة أو إثناؤها، وصلاة الفجر بغلس أو الإسفار بها، والقنوت في الفجر أو تركه، والجهر بالتسمية أو المخافتة بها أو ترك قراءتها، ونحو ذلك، فهذه مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة، فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده، من كان فيها أصاب الحق فله أجران، ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر، وخطؤه مغفور له، فمن ترجح عنده تقليد الشافعي، لم ينكر على

(١) ينظر: (جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٥٠- ٢٥١).

من ترجح عنده تقليد مالك، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عند تقليد الشافعي ونحو ذلك، ولا أحد في الإسلام يجيب المسلمين كلهم بجواب عام أن فلاناً أفضل من فلان، فيقبل منه هذا الجواب؛ لأنه من المعلوم أن كل طائفة ترجح متبوعها، فلا تقبل جواب من يجيب بما يخالفها فيه، كما أن من يرجح قولا أو عملا لا يقبل قول من يفتي بخلاف ذلك، لكن إن كان الرجل مقلداً لمن يترجح عنده أنه أولى بالحق، وإن كان مجتهداً اجتهد واتبع ما يترجح عنده أنه الحق ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد قال – تعالى - : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [1]، لكن عليه أن لا يتبع هواه ولا يتكلم بغير علم"[2].

٣- قال ابن القيم - رحمه الله- : "ومنها: الدعاء بدعوى الجاهلية والتعزي بعزائهم، كالدعاء إلى القبائل والعصبية لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب والطرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونه منتسباً إليه فيدعو إلى ذلك، ويوالي عليه ويعادي عليه، ويزن الناس به كل هذا من دعوى الجاهلية"[3].

---

(١) سورة التغابن (١٦).

(٢) ينظر: (الفتاوى الكبرى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ، ٤/ ٤٤٧).

(٣) ينظر: (زاد المعاد، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٢/ ٤٣١).

٤- جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ما نصه: " لم يجعل رسول الله - ﷺ - الألقاب التي اشتهرت بها الطوائف المنتسبة للإسلام سمات تعرف بها الفرق الثنتان والسبعون، ولا عنواناً يتمايز به بعضها عن بعض، وإنما جعل أمارتها مفارقة الكتاب والسنة وإجماع الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ، اتباعاً للظن وما تهوى الأنفس، وقولاً على الله بغير علم، وعصبية لمتبوعهم سوى رسول الله - ﷺ - ، يعادون في ذلك ويوالون، كما جعل شعاراً للفرقة الناجية اتباع الكتاب والسنة ولزوم جماعة المسلمين، وإيثار ذلك على مداركهم وظنونهم وأهوائهم"[1].

٥- قال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- : "والخلاصة: أن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله، ولا يفرق بين الناس، وأن لا يكون متعصباً لمذهب دون مذهب، أو لقبيلة دون قبيلة، أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه، وإن خالف رأي فلان أو فلان أو فلان، ولما نشأ في الناس من يتعصب للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أولى من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف، حتى آل ببعض الناس هذا الأمر إلى أن لا يصلي مع من هو على غير مذهبه، فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي، ولا الحنفي خلف المالكي ولا خلف الحنبلي، وهكذا وقع من بعض

---

(١) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ٢/٢٢٤- ٢٢٥).

المتطرفين المتعصبين، وهذا من البلاء ومن اتباع خطوات الشيطان، فالأئمة أئمة هدى، الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق، دعوا الناس إلى دين الله وأرشدوهم إلى الحق، ووقع هناك مسائل بينهم، اختلفوا فيها لخفاء الدليل على بعضهم، فهم بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد"[1].

٦- قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- : "وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق، واتخاذ السلفية كمنهجٍ حزبي فلا شك أن هذا خلاف السلفية، فالسلف كلهم يدعون إلى الاتفاق والالتئام حول سنة الرسول -ﷺ- ولا يضللون من خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون أن من خالفهم فيها فهو ضال، أما في المسائل العملية فإنهم يخففون فيها كثيراً، لكن بعض من انتهج السلفية في عصرنا هذا صار يضلل كل من خالفه ولو كان الحق معه، واتخذها بعضهم منهجاً حزبياً كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى دين الإسلام، وهذا هو الذي يُنكر ولا يمكن إقراره"[2]، وقال - رحمه الله- : " فيجب على طالب العلم أن يتخلى عن الطائفية والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة أو على حزب معين، فهذا - لا شك - خلاف منهج السلف، فالسلف الصالح ليسوا أحزاباً بل

(١) ينظر: (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/٣٧٣).
(٢) ينظر: (لقاءات الباب المفتوح ٣/٢٤٦- ٢٤٧).

هم حزب واحد، ينضوون تحت قول الله - ﷻ - : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[1]"[2].

وفي مقام الحديث عن الأحزاب والفرق المعاصرة، تنبغي الإشارة إلى ما يقوم به بعض من يسيء إلى الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- ، بتصنيفها مذهباً شرعياً مستقلاً، واعتبارها حزباً دينياً منفصلاً، وجعلوا شعار ذلك (الوهابية).

فقد حاول كثير من مناوئي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- أن يصنفوا دعوته القيِّمة ضمن الطرق والمناهج الإسلامية المصنَّفة تحت شعار اختاروه لهذه الدعوة باسم (الوهابية)، وكان الغرض من هذا التصنيف وهذه النسبة التنفير عن هذه الدعوة السلفية.

ولكن المتأمل لهذه الدعوة السلفية من خلال مصنفات ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- ومصنفات تلاميذه ومتبعي دعوته والحكام الذين ناصروا هذه الدعوة، يتبين له أن هذه الدعوة **هي ذات السلفية** التي جرى تعريفها في مقدَّمة هذا البحث، فهي دعوة مبنية على اتباع الكتاب والسنة الثابتة وما صح عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مسائل الاعتقاد ومسائل أفعال العباد الفرعية، وقد بيَّن علماء هذه الدعوة وأمراؤها أسسها وبناءها على المنهج السلفي، فمن نصوصهم في ذلك:

---

(١) سورة الحج (٧٨).

(٢) ينظر: (كتاب العلم، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٨٠).

١- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه - رحمه الله- عن عقيدته في رسالته لأهل القصيم لما سألوه عنها: "أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته **الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة...**" ثم بين تفاصيل اعتقادهم[١]، وقال في رسالة وجهها إلى عبد الرحمن بن عبد الله السويدي وهو عالم من أهل العراق: "وأخبرك أني ولله الحمد **متبع ولست بمبتدع**، عقيدتي وديني الذي أدين الله به **مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة**"[٢].

٢- قال الإمام سعود بن عبد العزيز - رحمه الله- في رسالة له إلى أهل نجران: " ونخبركم أننا **متبعون لا مبتدعون**، ونعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسوله - ﷺ - فيما يأمر به، وينهى عنه، ونقيم الفرائض، ونجبر من تحت يدنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله، وننهى عن البدع والمحرمات"[٣].

٣- قال الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل - رحمه الله- في رسالة له إلى أبي اليسار الدمشقي وناصر الدين الحجازي: " وهذه ٣ هدية نهديها إليكم، من كلام علماء المسلمين، وبيان ما نحن ومشايخنا

---

(١) ينظر: (مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قسم الرسائل الشخصية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ٥).

(٢)ينظر: (مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قسم الرسائل الشخصية، ص ٢١).

(٣) ينظر: (الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٢٨٥).

عليه، من **الطريقة المحمدية، والعقيدة السلفية**، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه، وما ندعو إليه، **نحن وسلفنا الماضون**"[1].

٤- جاء في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ –رحمه الله– ما نصه: "وبعد: فقد اطلعت على ما كدر الخاطر، وهو أن إدارة الامتحانات بمديرية المعارف ذكرت في امتحان شهادة النظم الدراسية الابتدائية لعام ٧١هـ في البند الثاني من المادة الثانية (ب): انتشار مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المملكة العربية السعودية، وهذا ظاهر في أن المعارف ترى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب **صاحب مذهب جديد، وهذا هو بعينه ما عليه القبوريون** في هذه الأزمان وأعداء التجديد والدعوة التي من الله بها على أهل نجد والحجاز على يد الشيخ رحمة الله عليه، فلا بد من إيضاح هذه المسألة والرجوع عن هذه الكلمة الخاطئة رجوعًا منتشرًا. والسلام."[2].

٥- جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ما نصه: "وقد لزم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- **طريقة أهل السنة والجماعة** وسار على أصولهم"[3].

---

(١) ينظر: (الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٥٩٥)، وهكذا جاء لفظ الرسالة في المصدر.

(٢) ينظر: (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ، ١/٥٧).

(٣) ينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ٢/٢٢٧).

٦- قال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- رداً على من جعل الوهابية مذهباً مستقلاً عن مذهب السلفية : " وليست الوهابية حسب تعبير الكاتب بدعاً في إنكار مثل هذه الأمور البدعية ، بل عقيدة الوهابية : هي **التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، والسير على هديه ، وهدي خلفائه الراشدين ، والتابعين لهم بإحسان** ، وما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين والهدى ، أهل الفقه والفتوى"[(١)].

٧- وقال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله- رداً على من انتقص من سلفية أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " وأما ما ذكره من مجادلة الطالب له ، وقول بعضهم : إنه رجل وهابي ، وإن الوهابية لا يقرون المدائح النبوية وما إلى ذلك ، فإننا نخبره وغيره بأن الوهابية - ولله الحمد- كانوا من **أشد الناس تمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -** ، ومن أشد الناس تعظيماً لرسول الله - ﷺ - واتباعاً لسنته ، ويدلّك على هذا أنهم كانوا حريصين دائماً على اتباع سنة الرسول - ﷺ - ، والتقيد بها وإنكار ما خالفها من عقيدة ، أو عمل قولي أو فعلي"[(٢)] وقال : "الوهابية ليست مذهباً مستقلاً أو مذهباً خارجاً عن المذاهب الإسلامية ، بل إنها حركة لتجديد ما اندثر من الحق ، وخفي على كثير من الناس ، **فهم في عقيدتهم متبعون للسلف** ، وفي مذهبهم في الفروع مقلدون للإمام أحمد - رحمه الله - ولا يعني ذلك أنه إذا تبين الصواب لا يدعون من قلدوه ، بل هم إذا تبين لهم

(١) ينظر : (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/٢٢٨ ، ١/٣٧٤) .

(٢) ينظر : (مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣/٤٢).

الصواب، ذهبوا إليه وإن كان مخالفاً لمن قلدوه؛ لأنهم يؤمنون بأن المقلد عرضة للخطأ، ولكن النصوص الشرعية ليس فيها خطأ"[1].

٨- جاء في محاضرة للأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله- وزيرِ الدفاع، ألقاها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ما نصه: "إذا كانت الوهابية اتباع القرآن الكريم، وسنة المصطفى - عليه الصلاة والسلام- ، **وما كان عليه السلف الأول فنحن فخورون بهذا**، أما إذا كان الهدف التنفير ولصق التهم لمنع مسيرة دولة تقوم على الدين الإسلامي والصالح الإسلامي العام، فنحن رافضون لهذا المصطلح، والدولة السعودية بسلوكها ومبادئها سلفية المنهج؛ لأنها اعتمدت في تأسيسها على الدعوة الإصلاحية التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- التي تعني العودة بفهم الدين إلى فهم السلف الصالح من الصحابة الذين لم تنشأ فيهم البدع والخرافات، والعودة إلى الكتاب والسنة والصحيح من كلام أهل العلم المتقدمين، والسلفية ليست رجعية أو جموداً أو مجرد تقليد أو أنها منافية للعقل كما يزعم بعضهم، بل هي منهج متكامل عقيدة وعبادة ومعاملة وتجديداً وإبداعاً دون ابتداع، وضابطها تحقيق الالتزام الذي دعا إليه رب العالمين في قوله - عز وجل- : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2]"[3].

---

(١) ينظر: (المرجع السابق ١٣/١٠٢).

(٢) سورة الأنعام (١٥٣).

(٣) ينظر: (محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز: الأسس التاريخية والفكرية للمملكة العربية السعودية، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الثلاثاء ٢٤/ربيع الآخر/١٤٣٢هـ، ملحق مجلة إمارة، ص ٩).

هذا ما تيسر بحثه في هذا المحور من محاور هـذه النـدوة المباركـة ، وأسـأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به وأن يطرح فيـه البركـة والقبـول ، إنـه سميـع مجيـب ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أحاديث في ذم الكلام وأهله**، لأبى الفضل المقرئ، د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣- **أصول السنة**، لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار المنارة – الخرج – السعودية، ط١، ١٤١١هـ

٤- **الأنساب**، لأبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٥- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- **تفسير القرآن العظيم**، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٨٩م.

٨- **تنقيح تحقيق أحاديث التعليق**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٩- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٠- **جامع بيان العلم وفضله**، لأبى عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة السابعة، ١٤٢٧هـ

١١- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

١٢- **دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها**، أ.د ناصر بن عبد الكريم العقل، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٣- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٤- **زاد المعاد**، لشمس الدين لأبى عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

١٥- **سنن البيهقي الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٦- **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط١٤٠٢هـ

١٨- **شرح العقيدة الطحاوية**، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي و شعيب الأرنؤوط، دار هجر للنشر والتوزيع، أبها، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

١٩- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٢٠- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ

٢١- **الفتاوى الكبرى**، لأبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة — بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ

٢٢- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، جمع: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٢٣- **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ**، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

٢٤- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٥- **كتاب العلم**، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٢٦- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر — بيروت، ط١.

٢٧- **لقاءات الباب المفتوح**، لمحمد بن صالح العثيمين، أعد هذه اللقاءات: د. عبد الله بن محمد الطيار، دار البصيرة، الإسكندرية

٢٨- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٢٩- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام لأحمد بن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٠- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ.

٣١- **مجموع مؤلفات الشيخ لمحمد بن عبد الوهاب**، قسم الرسائل الشخصية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢- **محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز: الأسس التاريخية والفكرية للملكة العربية السعودية**، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الثلاثاء ٢٤/ربيع الآخر/١٤٣٢هـ، ملحق مجلة إمارة.

٣٣- **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله أبى عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

٣٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل (الموسوعة الحديثية)**، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المشرف العام على إصدار: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في التحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي و عادل مرشد و إبراهيم الزيبق ومحمد رضوان العرقسوسي و كامل الخراط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٥- **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٣٦- **المعجم الوسيط**، ل إبراهيم مصطفى، و أحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة.

٣٧- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ.

٣٨- **منهاج السنة النبوية**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ

٣٩- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٠- **الموافقات في أصول الشريعة**، لإبراهيم بن موسى اللحمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت.

٤١- **موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن النسائي الصغرى، سنن ابن ماجه**، بإشراف ومراجعة: معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٢- **الموسوعة الفقهية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٣- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حمَّاد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤٤- **نصب الراية لأحاديث الهداية**، عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، طبعة عام ١٣٥٧هـ



السلفية

حقيقتها وصلتها بالإسلام الصحيح

إعداد

د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل

أستاذ الفقه المقارن المساعد

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ورئيس مجلس إدارة مركز إنماء للتدريب

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾. [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾. [سورة النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾. [سورة الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أمَّا بعد:

فالحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلاً، وأوضح لهم طرق الهداية، وجعل اتباع الرسول- ﷺ- عليها دليلاً، واتخذهم عبيداً له، فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلاً، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروحٍ منه لما رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد- ﷺ- نبياً ورسولاً، والحمد لله الذي أقام في أزمنة الفترات من يكون ببيان سنن المرسلين كفيلاً، واختص هذه الأمة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق، لا يضرهم من

خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمره، ولو اجتمع الثقلان على الأذى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، ويحيون بكتابه الموتى، فهم أحسن الناس هدياً وأقومهم قيلاً، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل لا يعلم طريق رشده قد هدوه، ومن مبتدع في دين الله بشهب الحق رموه؛ جهاداً في الله وابتغاء مرضاته، وبياناً لحججه على العالمين وبيناته، وطلباً للزلفى لديه ونيل رضوانه وجناته، أحمده وهو المحمود على كل ما قدره وقضاه. وأستعينه استعانة من يعلم أنه لا رب له غيره، ولا إله له سواه، وأستهديه سبيل الذين أنعم عليهم، ممن اختاره لقبول الحق وارتضاه، وأشكره والشكر كفيل بالمزيد من عطاياه، وأستغفره من الذنوب التي تحول بين القلب وهداه، وأعوذ بالله من شر نفسي وسيئات عملي استعاذة عبد فارٍ إلى ربه بذنوبه وخطاياه، واعتصم به من الأهواء المردية والبدع المضلة فما خاب من أصبح به معتصماً بحماه نزيلاً.

وهذا بحثٌ أتأمل من الكريم الرحيم أنْ يكتب لي فيه التوفيق والسداد، مبيناً فيه حقيقة السلفية وصلتها بالإسلام الصحيح، موضحاً مفهوم السلفية في اللغة والاصطلاح الشرعي.

ثم أذكر في المبحث الثاني صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به النبي - ﷺ - ، وكونها امتداداً لهديه - ﷺ - وهدي خلفائه الراشدين وصحابته الميامين - رضي الله عنهم أجمعين - .

ثم أطرق إلى حكم الانتساب إلى السلفية والتسمي بها؛ حيث وجود من ينكر التسمي بها، والانتساب إليها، وينصب الموضوع الرابع على السلفية

وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة، وذكر بعض المفاهيم الخاطئة نحو السلفية، منبهاً على الآثار السلبية لهذه المفاهيم.

سائلا المولى- تبارك وتعالى- القبول والتوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهمية الموضوع:

أما عن أهمية هذا البحث، فتكمن في أهمية بيان المنهج السلفي، وبيان صلته بالإسلام، ومع كثرة المؤلفات والمقالات ضد السلفية، وما تضمنته تلك المؤلفات من الأكاذيب والشبهات على هذه الدعوة السلفية، ولقد كثرت هذه المقالات، وانتشرت تلك المؤلفات في كثير من بلاد المسلمين، وما يحصل لها من القبول والرواج عند فئات من المسلمين، خاصة في زماننا هذا الذي نشطت في الصد عن سبيل الله طوائف المبتدعة وأهل الأهواء من صوفيّة ورافضة وأشعرية ونحوهم، وناهضت كل من يدعو إلى عقيدة السّلف الصالح، وناصبته العداء.

أسباب الكتابة في هذا الموضوع:

إنَّ الكتابة في هذا الموضوع في هذا الوقت خاصة مطلبٌ مُلِح، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أنَّ السلفية تمثل منهج الإسلام نفسه عقيدةً وشريعةً ودعوةً وأخلاقاً، وإنَّ جهود العلماء السلفيين ما هي إلا تعبيرٌ عن الإسلام، وبيانٌ لعقيدته وأحكامه ودعوته وآدابه، فتعريفها وبيانها بيانٌ لعقيدة الإسلام الصافية، وشرائعه الشريفة.

الثاني: أنَّ من أهم أسباب ضعف المسلمين اليوم هو الابتعاد عن حقيقة الدين، والانحراف عن منهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في فهم عقيدة الإسلام وأحكامه ومبادئه، ولكي تنهض الأمة لا بد لها من الرجوع إلى التمسك بمنهج السلف الصالح- رضوان الله تعالى عنهم- .

الثالث: أنه كثرت في الآونة الأخيرة الأكاذيب الجائرة عن السلفية والسلفيين، حتى صارت بهذه الافتراءات موضع شكٍ وريبة، بل ربما أصبحت لدى البعض وصمة وشبهة، وإن كانت هذه المؤلفات- في الحقيقة- مثل الزبد الذي يذهب جفاء، إلا أنَّه لما تفشى الجهل كان لزاماً عليَّ وعلى من يعرف السلفيَّة أنْ يبين حقيقتها وصلتها بالإسلام الصحيح، ويدرأ عنها تلك الملصقات الجائرة الباطلة.

الرابع: أنه وقعت في بعض أقطار العالم الإسلامي أحداثٌ إجرامية، نسبت زوراً وبهتاناً إلى السلفيَّة والسلفيين، وهم أبرأ منها من براء الذئب من دم يوسف- عليه السلام- .

الخامس: أنَّ السلفيَّة قد ظلمت قديماً وحديثاً ظلماً شديداً؛ وذلك بانتساب من ليس منها تارة، أو التقصير في بيان حقيقتها تارةً أخرى، ودفع الظلم بالحجة والبرهان واجبٌ شرعي بقدر الوسع والطاقة، ونصرة أهل الحق أوجب وأوجب، وقد نوزع أهلُ الحق السلفيون قديماً وحديثاً، واتخذ أهل الباطل في عداوتهم للسلفية ألبسةً وأقنعة زادت في خفاء الحق على العامَّة، فكان بيان ذلك ورفع اللبس أمرا متحتما لازم.

كل هذا وغيره جعل من الضرورة بيان ذلك وفق الدليل الشرعي، لكي يتضح للمسلم حقيقة السلفية، وبراءتها مما ينسب إليها، لا سيما مع الخلط الموجود في هذا الموضوع، ووجود رؤية غير واضحة، وتداخل مزعج ملبس.

لهذا عزمت على الكتابة في هذا الموضوع، ولست أزعم أنني سأوفيه حقه من البحث والدراسة، ولكنه اجتهاد أرجو الأجر على صوابه، والعفو عن تقصيره وزلاته، والله المستعان، ومنه وحده التوفيق.

الأمور التي راعيتها في البحث:

راعيت بفضل الله- تعالى- أثناء إعداد هذا البحث الأمور الآتية:

١- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٢- قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية، مع الحرص على الحكم عليها، إن كان الحديث من غير الصحيحين، من خلال ما ذكره العلماء المتخصصون في هذا المجال.

٣- حرصت عند تخريج الحديث على ذكر اسم الكتاب والباب، إضافةً إلى رقم الجزء والصفحة، ورقم الحديث؛ ليسهل على من يرغب الرجوع إلى الحديث من خلال أية طبعةٍ شاء.

٤- تجنبت ذكر الأحاديث الضعيفة؛ لعدم صحة الاستشهاد بها.

٥- أحرص غالباً على الرجوع إلى التفاسير، وكتب شروح الحديث عند ذكر آية كريمة أو حديث شريف؛ للاطلاع على ما قاله أهل العلم عنهما، ونقل المناسب للاستشهاد به.

٦- شرحت الكلمات الغريبة، والألفاظ الغامضة؛ رغبةً في الإيضاح، وإتمام الفائدة.

٧- أثبت في آخر البحث المصادر والمراجع التي استقيت منها مادة البحث.

خطة البحث:

قسَّمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والأمور التي روعيت في البحث، إضافةً إلى خطة البحث التفصيلية.

وتمهيد: واشتمل على أهمية التمسك بهدي السلف وحسن أثرهم على الناس.

المبحث الأول: معنى السلفية.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف السلفية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تحديد زمن السلف.

المبحث الثاني: صلة السلفية بالإسلام الصحيح.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به النبي - ﷺ - .

المطلب الثاني: حكم الانتساب إلى السلفية.

المبحث الثالث: علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: علاقة السلفية بالجماعات المعاصرة.

المطلب الثاني: علاقة السلفية بالأحزاب المعاصرة.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصيات الباحث.

فهرس المصادر والمرجع.

تمهيد

إنَّ العقيدة السَّلفية هي عقيدة النبي- ﷺ- وصحبه الكرام- رضي الله عنهم وأرضاهم- ، فهي الإسلام الحق الذي جاء به النبي- ﷺ- في صفائه ونقائه ووضوحه، بعيداً عن لوثات الفلسفة، وأدران الشرك، وخرافات التصوّف، ومحدثات البدع.

ولقد عمت هذه الدعوة السلفية وآثارها المباركة بقاع الأرض وأصقاعها، فكان لها أتباع وأنصار في مختلف الأمصار، ولا تزال- إلى وقتنا الحاضر- آثارها ونتائجها علمية كانت أو عملية ناطقة بذلك، وشاهدة بصدق هذه الدعوة ووضوحها وسلامة منهجها، وستبقى هذه الدعوة منصورة بوعد رسول الله- ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وإنَّ مما يجدر التنبيه عليه أنّ هذه الدعوة واجهتها معارضة قوية ضارية في الآونة الأخيرة، وكانت إما معارضة سياسية من جهة بعض الحكومات الكافرة بل والعربية، وإما معارضة من جهة المنتسبين إلى العلم، بل كان هناك ما يشبه التعاضد والتكاتف بين المعارضتين السياسية والعلمية، حيث استغلت المعارضة السياسية الاتجاهات العقدية والفكرية، لتأييد هجومها على الدعوة السلفية كاستغلالهم الصوفية والرافضة والليبرالية والعلمانية، لكي يقف الجميع في خندقٍ واحد في الهجوم على الدعوة السلفية.

لقد تعددت أوجه هذه المعارضة، وتنوعت سبل المناهضة والعداء، واستنفد الخصوم الكثير من الوسائل والطرق من أجل محاربة هذه الدعوة السلفيَّة الصافية والقضاء عليها.

وما كتابة المؤلفات والرسائل والتصريحات السياسية والمقالات الصحفية ضد هذه الدعوة السلفية إلا أسلوب من أساليب إعاقة هذه الدعوة والطعن فيها.

ومما يجدر ذكره - هاهنا - هو أنَّ بعض الخصوم **قد استغل ما وقع فيه بعض المنتسبين إلى السلفية من بعض الأخطاء**، فألصقوا - بغياً وعدواناً - على جميع أتباع هذه الدعوة وعلى مر الأزمان تلك الأخطاء.

وهناك سببٌ آخر أدى إلى تراكم تلك المؤلفات المعادية للدعوة السلفية، **وهو دفاع هؤلاء الخصوم - وبالأخص الصوفيّة والرافضة - عن معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة.**

فإنَّه لما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشركيات، وانتشار البدعيات، واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات، والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد، وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها وصرف الأموال الطائلة عليها ...، فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين، فإن هؤلاء المتصوفة والرافضة وجدوا في هذا الواقع الآسن مرتعاً خصباً لبثّ سمومهم العقديّة.

فكلما كشفت أنوار هذه الدعوة غياهب الظلام، وأزالت أدران الشرك ونجاساته، وتدعو الناس إلى تحقيق التوحيد بصفائه ونقائه، أدرك الخصوم أنَّ ظهور هذه الدعوة السلفية نذير بزوال عقائدهم الباطلة، فحشد أولئك الخصوم قواهم، وانبروا في التشنيع بهذه الدعوة وأنصارها، وهم أثناء تشنيعهم يذكرون معتقدهم الصوفي أو الرافضي وغيرهما، ويزينونه للناس، ويزعمون أنه الحق.

وهناك سببٌ ثالث ألا وهو عداء الجماعات الإسلامية للمنهج السلفي خاصةً، بعدما بيَّن علماء الدعوة السلفية عوار تلك الجماعات، ومخالفتها للكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح، مما جعل أتباع تلك الجماعات، وخاصةً أولئك المنظرين لها، يطعنون في الدعوة السلفية، ويلصقون بها ما ليس فيها، ويسمونها بأسماء تنفر الناس عنها..

هذه بعض الأسباب الظاهرة لشدة عداوة الخصوم للدعوة السلفية، وكثرة المؤلفات المناوئة لهذه الدعوة الصادقة الحقة.

ولا عجب أن تواجه هذه العقيدة الصافية من الهجمات والافتراءات ما تواجهه اليوم، فقد اتهم النبي- ﷺ- ، وافتري عليه وعلى دعوته ودعوة أصحابه- رضوان الله عليهم أجمعين- ، وهذه هي سنة الله- تعالى- في دعوة الرسل- عليهم الصلاة والسلام- ، فما نواجهه اليوم وقبل اليوم من الهجمات العشواء على السلفية ليس أمراً جديداً أو حدثاً غريباً، بل هذه سنة الله مع دعوة الحق في كل زمان ومكان.

المبحث الأول: معنى السلفية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السلفية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تحديد زمن السلف.

المطلب الأول: تعريف السلفية لغةً واصطلاحاً:

السلفية في اللغة:

السين واللام والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق[١].

وفي اللسان: "السلف جمع سالف: المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون"[٢].

وفي النهاية: "سلف الإنسان: مَنْ تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[٣]، ومنه قوله- تعالى- : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾. [سورة الزخرف: ٥٦]، قال البغوي في تفسيرها: ".. والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون"[٤].

السَّلَفُ في اللغة: بفتح السين واللام من سلفهم القوم المُتَقَدِّمُوْنَ في السَّير، ولزيدٍ سَلَفٌ كريمٌ، أي آباء متقدمون.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣.

(٢) لسان العرب ١٥٨/٩.

(٣) لسان العرب ١٥٨/٩.

(٤) تفسير البغوي ٢١٨/٧.

وسَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً : أي مضى ، والقوم السُّلاّفُ : المتقدمون ، وسُلاّف القوم : متقدّموهم في حرب أو سفر ، وسَلَفُ الرجل : آباؤه المتقدمون ، والجمع : أسْلافٌ وسُلاّفٌ.

وهذا سَلِيْفٌ من الناسِ : أي سَلَفٌ ، وهو ضِد الخَلِيفِ. والأمَمُ السالِفَةُ : هي الماضِيَةُ أمَامَ الغابِرَةِ ، وهي السَّوَالِفُ(١) .

السلفية في الاصطلاح الشرعي :

قال الإمام السفاريني : "المراد بمذهب السلف : ما كان عليه الصحابة- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعُرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفاً عن سلف ، دون من رُمي ببدعة ، أو شُهر بلقب غير مُرض ، مثل الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، ونحو هؤلاء"(٢) .

فهذا الاصطلاح "اشتهر حين ظهر النزاع ، ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية ، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف ، وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح ، فلا بد إذاً أن تظهر- والحالة هذه- أُسس وقواعد واضحة المعالم ، وثابتة للاتجاه السلفي ، حتى لا يلتبس الأمر على كلِّ من يريد الإقتداء بهم ، وينسج على منوالهم"(٣) .

---

(١) لسان العرب ٩/١٥٨ ، التعاريف ١/٤١٢.

(٢) لوامع الأنوار ١/٢٠ ؛ المنهج السلفي للدكتور مفرح بن سليمان القوسي صـ٣٦.

(٣) كتاب الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي صـ٥٧.

وإذا قيل: السلف أو السلفيون أو السلفية، فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح جميع الصحابة- رضي الله عنهم- ، فمن تبعهم بإحسان، دون من مالت بهم الأهواء بعد الصحابة- رضي الله عنهم- من الخُلُوف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم.."[1].

المطلب الثاني: تحديد زمن السَّلَف:

إنَّ تحديد زمن السَّلَف الَّذِيْنَ لا تجوز مخالفتهم بإحداثِ فَهْمٍ لم يفهموه من الناحية الزمنية هي قرون الإسلام الثلاثة الأولى المفضلة؛ حيث قال أهل العلم بأنَّ المراد بالسلف تاريخياً هم أصحاب هذه القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ممن شهد لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالخيرية، وذلك في الحديث المتفق عليه من حديث عبد الله ابن مسعودٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- : **((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِيْنُهُ، ويَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ))**[2].

وأيضا ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- : **((خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثًا؟ ثُمَّ**

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لبكر أبي زيد صـ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري مع التوضيح ٥١٧/١٦، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، حديث رقم: ٢٦٥٢؛ ومسلم مع شرح النووي ٧٠/١٦، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم: ٢١٢.

إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ، وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ، وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ، وَلا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ))[1].

ولهذا الأصل أدلة منها: قول الله- تَعَالَى- : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. [سورة النساء: ١١٥] والشاهد هنا في ضم مجانبة سَبِيْلِ المؤمنين إلى مُشَاقَّةَ الرَّسُوْلِ لاستحقاق هذا الوعيد الشَّديد، مع أنَّ مُشَاقَّةَ الرَّسُوْلِ- ﷺ- وحدَهُ كفيلةٌ بذلك؛ كما قَالَ الله- تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. [سورة محمد: ٣٢][2].

وهم بهذا المعنى تعبير عن شخصيةٍ اعتبارية، ومنهجٍ مُتَّبَع، الأصل فيه الصَّحَابَة والتَّابِعُوْن وتابعوهم، وهي العُصُوْرُ المُفَضَّلَةُ، قَالَ الله- جل شأنه- عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

---

(١) أخرجه البخاري مع التوضيح ٢٠/٢٣٥، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي- ﷺ- ، حديث رقم: ٣٦٥٠.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩/١٩٤؛ المنهج السلفي للدكتور مفرح بن سليمان القوسي صـ٣٧.

﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [سورة التوبة: ١٠٠]

وبذلك يُعْلَم أنَّ مذهب السَّلَف يشمل جانبين: جانب القدوة، والمنهج المتبع.

فالقدوة: هم أصحاب العُصُور الثَّلاثة.

والمنهج: هو الطريقة المُتَّبَعَة في هذه العُصُور، في الفَهْمِ العقدي، والاستدلال، والتَّقرير، والعلم، والإيمان.

وبهذا يُعْلَمُ أنَّ الوصف بالسَّلَفِيَّةِ مَدْحٌ وثناءٌ على كُلِّ من اتخذها قدوةً ومنهجاً[1].

(١) المدخل لدراسة العَقِيدَة الإِسْلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان صـ١٤.

المبحث الثاني: صلة السلفية بالإسلام الصحيح.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به النبي- ﷺ- .

المطلب الثاني: حكم الانتساب إلى السلفية.

المطلب الأول: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به النبي- ﷺ- .

إنَّ الذي لم يختلف فيه المسلمون قديماً وحديثاً هو أنَّ الطريق الذي ارتضاه لنا رُبُّنَا هو طريق الكتاب والسُّنَّة؛ ذلك لأَنَّ الله ضمن الاستقامة لمتبع الكتاب، فقَالَ على لسان مؤمني الجن: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾. [سورة الأحقاف: ٣٠]؛ كما ضمنها لمتبع الرَّسُوْلِ- ﷺ- الذي قَالَ له ربه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾. [سورة الشورى: ٥٢]، لكنَّ الذي جعل الفِرَقَ الإِسْلامِيةَ تنحرف عن الصراط هو إغفالها ركناً ثالثاً جاء التنويه به في الوحيين جميعاً، أَلاَ وهو فهم السَّلَف الصَّالِح للكتاب والسُّنَّة.

وقد اشتملت سُورَةُ الفاتحة على هذه الأركان الثَّلاثة في أكمل بيان:

فقوله- تَعَالَى- : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. اشتمل على ركني الكتاب

والسُّنَّة، وقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾. اشتمل على فهم السَّلَف لهذا الصراط، مع أنَّه لا يشك أحدٌ في أنَّ من التزم بالكتاب والسُّنَّة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، إلاَّ أنَّه لمَّا كان فهم النَّاس للكتاب، والسُّنَّة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركناً ثالثاً لرفع الخلاف، ألا وهو تقييد فهم الأخلاف بفهم الأسلاف[١].

وهذا يَدُلُّ على أنَّ أفضل من أنعم الله عليه بالعلم والعمل هم أصحابُ رَسُوْلِ اللهِ- ﷺ- ؛ لأنَّهم شهدوا التنزيل، وشاهدوا من هدي الرَّسُوْلِ الْكَرِيْم- ﷺ- ما فهموا به التأويل السليم؛ كما قَالَ ابن مسعود- رضي الله عنه- : **((مَن كانَ مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفِتْنَةُ، أولئك أصحابُ محمد- ﷺ- ، كانوا أفضلَ هذه الأمة: أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيِّه- ﷺ- ، ولإقامة دِينه، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتبعُوهم على أثرهم، وتمسَّكوا بما استَطَعْتُم من أخلاقِهم وسيَرِهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم، والله ربِّ الكعبة))**[٢][٣].

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٥٢.

(٢) أخرجه بنحوه ابن عبد البر في جامع البيان ٢/ ٩٧. ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ١/ ٣٠٥.

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر صـ٦٥- ٦٩.

وقال حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- : ((يا مَعْشَرَ الْقُراء! استَقيموا، فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبقا بَعيداً، وإنْ أخذْتم يميناً وشمالاً، لقد ضَلَلْتُمْ ضلالا بَعيدا))[١].

وقال الإمام الشافعي- رحمه الله- : "هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ، وَكُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ، أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى، وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لأَنْفُسِنَا"[٢].

وعليه فإنَّ صلة السلفية بالإسلام صلةٌ أصيلةٌ ثابتةٌ، وفيما ذكرت من الأدلة ما يدل على هذه الصلة دلالة واضحة؛ حيث إنَّ السلفية بالتعريف الذي ذكرته ما هي إلا تلك القرون الثلاثة المفضلة: **الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان**، وقد دلت الأدلة على خيرية هذه القرون، واعتبارها المرحلة المتقدمة التي ينبغي أن تفهم نصوص الكتاب والسنة بفهمهم- رضي الله عنهم ورحمهم- ؛ لما لتلك القرون من خصائص عدة، وخاصةً أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- ، ورضي الله عنهم حيث شاهدوا نزول الوحي، وحيث نقاء النبع وصفاؤه قبل مرحلة الاختلاط والعجمة، وانتشار الفرق، وفشو البدع، فأصحاب هذه القرون هم أفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله- تعالى- بعد النبيين- عليهم الصلاة والسلام- ، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، والأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، ومنهم: أعلام الهدى ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المشهورة.

---

(١) أخرجه البخاري مع التوضيح، ١٩/٣٣، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، حديث رقم: ٧٢٨٢.

(٢) ينظر: المنهج السلفي للدكتور مفرح بن سليمان القوسي صـ٣٧.

والسلفية هي الطائفة المنصورة؛ الطائفة القائمة بدين الإسلام علماً وعملاً وجهاداً[1] التي قال فيها النبي - ﷺ - : ((**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذلِكَ**))[2].

والسلفية: هي الفرقة الناجية؛ التي تنجو من النار بالتزامها بهدي النبي - ﷺ - ومنهج أصحابه - رضي الله عنهم - ، أخذاً من قوله - ﷺ - : ((**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذلِكَ**))[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "فهذه الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هي وسط في النحل، كما أنَّ ملة الإسلام وسطٌ في الملل"[4].

وهذا يدل على صلة السلفية بالإسلام، فهي تمثل الإسلام بين النحل والفرق، كما أنَّ الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله، ونسخ به سائر الأديان.

وقال السفاريني - رحمه الله - : "مذهب السلف: هو المذهب المنصور، والحق الثابت المأثور، وأهله هم الفرقة الناجية، والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة، ولكل مكرمة راجية، من الشفاعة، والورود على

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥٣٢/٢٨.

(٢) أخرجه البخاري مع التوضيح، ٢٢٣/٢٠، كتاب المناقب، حديث رقم: ٣٦٤١؛ ومسلم مع شرح النووي، ١٧١/١٢، كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، حديث رقم: ١٠ (١٨٢٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤٥/٣.

الحوض، ورؤية الحق، وغير ذلك من سلامة الصدر، والإيمان بالقدر، والتسليم لما جاءت به النصوص"[1].

وهكذا أصبحت السلفية عند المسلمين علماً على أصحاب هذه الألقاب الحسنة، والصفات الكريمة من الصحابة- رضي الله عنهم- وتابعيهم وأتباعهم الذين ساروا على نهجهم من أئمة الإسلام وعلمائه العدول المهديين، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين، وعظم شأنهم فيه، وتلقّى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالرضا والقبول.

وعندما تطلق السلفية هي الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهمهم، وامتازوا به عن غيرهم من أصحاب الفرق والأهواء التي ظهرت في العالم الإسلامي، سواء كان ذلك التميز في العقيدة، حيث التزموا نصوص الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، أو في العبادة حيث الالتزام بهدي النبي- صلى الله عليه وسلم- ، والتمسك بالدليل، أو القواعد التي التزموا بها في مواجهة التحديات والمستجدات والقضايا الفكرية التي أثيرت في عصورهم، وفي التفاعل مع الأحداث والوقائع المستجدة التي مرت بهم.

وبهذا المعنى تكون السلفية منهاجاً باقياً إلى يوم القيامة؛ إذ هي منهج الإسلام نفسه، والطريق القيوم، والسبيل القاصد، البيِّنة معالمه، المأمونة عواقبه، وهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين الذي أمرنا الله- سبحانه وتعالى-

---

(١) لوامع الأنوار ١/ ٢٥؛ المنهج السلفي للدكتور مفرح بن سليمان القوسي صـ٤٠.

باتباعه في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. [سورة الأنعام: ١٥٣]

المطلب الثاني: حكم الانتساب إلى السلفية.

وبعد تعريفنا لزمن السلف وزمنهم، وصلة السلفية بالإسلام الأصيل، فإنه تبيَّن أنَّ الانتساب إلى السلف فخر وأي فخر، وشرف ناهيك به من شرف، فلفظ السلفية أو السلفي لا يطلق عند علماء السنة والجماعة إلا على سبيل المدح.

والسلفية: رسم شرعي أصيل يرادف (أهل السنة والجماعة)، و(أهل الجماعة)، و(أهل الأثر)، و(أهل الحديث)، و(الفرقة الناجية)، و(الطائفة المنصورة)، و(أهل الاتباع).

والسلف الصالح الذي تنسب إليه السلفية هم ورثة النبي - ﷺ - من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، والسلفي هو من رضي بهذا الميراث، واكتفى به، ولزم الكتاب والسنة على فهم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، هذا هو السلفي.

وقد قال الله - تعالى - : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾. [سورة التوبة: ١٠٠]

وقال النبي- ﷺ- : ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[(١)].

جاء من أحاديث النبي- ﷺ- ما يدلُّ على ذلك: من ذلكم قوله- ﷺ- لابنته فاطمة- رضي الله عنها- : ((فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ))[(٢)].

وكلمة (السلف) دارجةٌ عند أئمة السلف:

قال البخاري: باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل، وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- مفسراً كلمة السلف: "أي من: الصحابة ومن بعدهم"[(٣)].

وقال: باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره"[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي صحيح سنن الترمذي للألباني ٢/٣٤٢، أبواب العلم عن رسول الله- ﷺ- ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، حديث رقم: ٢١٥٧- ٢٨٢٨، وأبو داود صحيح سنن أبي داود للألباني ٣/٨٧١، كتاب السنة، باب: لزوم السنة، حديث رقم: ٣٨٥١- ٤٦٠٧.

(٢) أخرجه مسلم مع شرح النووي ١٦/٥، كتاب: فضائل الصحاب، باب: فضائل فاطمة بنت النبي- عليها الصلاة والسلام- ، حديث رقم: ٩٨.

(٣) فتح الباري ٦/٦٦.

(٤) فتح الباري ٥/٢٠٦٨.

وأخرج مسلم من طريق محمد بن عبد الله قال: سمعت علي بن شقيق: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف[1].

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وَقَفَ القوم، قل بما قالوا، وكُفَّ عمَّا كفُّوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنَّه يسعك ما وسعهم"[2].

مشروعية الانتساب إلى (السلف):

وحكى الإجماع على صحة الانتساب إلى السلف شيخ الإسلام ابن تيميه- رحمه الله- في الفتاوى في رده على قول العز بن عبد السلام: ".. والآخر يتستر بمذهب السلف": (ولا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته، وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس، ولا نشق بطونهم)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس مذهب السلف مما يتستر به إلاّ في بلاد أهل البدع، مثل بلاد الرافضة والخوارج، فإنَّ المؤمن المستضعف هناك قد يكتم إيمانه واستنانه"[4].

---

(١) مقدمة صحيح مسلم صـ٦.

(٢) الشريعة للآجري صـ٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٤٩.

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ١٤٩.

وإليك فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم: (١٣٦١) برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ، حيث قال: "السلفية نسبة إلى السلف هم صحابة رسول - ﷺ - ، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضي الله عنهم - .

والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف، وهم الذين ساروا على منهاج السلف، من اتباع الكتاب والسنة، والدعوة إليهما، والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة".أ.هـ[١].

وقد سئل العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي الديار السعودية: ما تقول فيمن تسمَّى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية؟.

فأجاب - رحمه الله - : "إذا كان صادقاً أنَّه أثري أو أنَّه سلفي لا بأس، مثل ما كان السلف يقول: فلانٌ سلفي، فلانٌ أثري، تزكية لا بد منها، تزكية واجبة"[٢].

علامة أهل البدع: كراهة الانتساب إلى (السلف)

ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه أن ((شعار أهل البدع: هو ترك انتحال السلف الصالح))[٣].

النسبة إلى: (السلف) جارية في كتب التراجم والسير

فهذ الإمام الذهبي قال في ترجمة: الحافظ أحمد بن محمد المعروف بـ أبي طاهر السلفي: "السلفي بفتحتين وهو من كان على مذهب السلف"[٤].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/١٦٧.
(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة صـ١٧.
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/١٦٥.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢١/٦.

وقال في ترجمة محمد بن محمد البهراني : "وكان ديناً خيراً سلفياً"[1].

وقال في ترجمة أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي : "وكان على عقيدة السلف"[2].

وقال في ترجمة ابن الصلاح : "قلت : وكان سلفياً، حسن الاعتقاد، كافّا عن تأويل المتكلمين"[3].

وقال في ترجمة ابن هبيرة : "وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفيا أثريا"[4].

---

(١) معجم الشيوخ ٢/٢٨٠.

(٢) معجم الشيوخ ١/٣٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٢٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١/٦.

المبحث الثالث: علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: السلفية ليست جماعة حزبية.

المطلب الثاني: علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

المطلب الأول: السلفية ليست جماعة حزبية:

إنَّ السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة على السنة ومنهج السلف الصالح، وقال- ﷺ- : **((لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذلِكَ))**[1].

فالسلفية هم كل من كان على مذهب السلف، على ما كان عليه النبي- ﷺ- وأصحابه، وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية المعروفة الآن، وإنما هي جماعة مذ عهد الرسول- ﷺ- متوارثة مستمرة، لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة كما أخبر- ﷺ- .

ويخطئ البعض خطأ فاحشاً عندما يذكر السلفية معتبرا إياها حزباً من الأحزاب، فهي ليست من الأحزاب، وإنما هي جماعة المسلمين المتمسكين بكتاب رب العالمين، وهدي سيد المرسلين وأصحابه والتابعين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال العلاَّمةُ المُحَدِّث محمد ناصر الدين الألباني- رحمه الله- : " الدعوة السلفية الآن تُستغَل لإقامة أحزاب باسم السلفية، والسلفية تبرأ من الحزبية

---

(١) سبق تخريجه في صـ١٦.

لأن معنى العمل بما كان عليه السلف الصالح، يعني العمل بالكتاب والسُّنة وعلى مفهوم السلف الصالح هل كانت الحزبية يحياها علماء السلف؟؟".

وقال- أيضاً- في الشريط نفسه: "**أما إطلاق لفظة السلفية على حزبٍ ما، فأنا أراه كإطلاق لفظة الإسلامية على بدعةٍ ما**"، وقال- أيضاً- في الشريط نفسه: "**الدعوة السلفية لا تتعرف إطلاقاً على أي تحزب، ولو قام به أكبر رجل عالم في الدعوة السلفية مجرد ما يدعو إلى التحزب والتكتل معناه هذا بدأ الانحراف عن الخط المستقيم**"[1].

وقد أجاب فضيلة الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية: "فالذي يزعم أنَّه على مذهب أهل السنة والجماعة يتبع طريق أهل السنة والجماعة، ويترك المخالفين، أمَّا أنَّه يريد أنْ يجمع بين (الضب والنون)- كما يقولون- ، أي: يجمع بين دواب الصحراء ودواب البحر؛ فلا يمكن هذا، أو يجمع بين النار والماء في كفه؛ فلا يجتمع أهل السنة والجماعة مع مذهب المخالفين لهم كالخوارج، والمعتزلة، والحزبيين ممن يسمونهم: (المسلم المعاصر)، وهو الذي يريد أنْ يجمع ظلالات أهل العصر مع منهج السلف، فـ(لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)، فالحاصل أنَّه لا بد من تمييز الأمور وتمحيصها)[2].

قال العلامة الشيخ محمد أمان الجامي- رحمه الله- : "ويتضح مما تقدم أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً، يطلق على طريقة الرعيل الأول

---

(١) تسجيلات سلسلة الهدى والنور ١/٣٤٠.

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة صـ١٩.

ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة، وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة من قوله- ﷺ- : **((لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذلِكَ))**(١) (٢).

المطلب الثاني: علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة:

إنَّه من الواضح جداً براءة السلفية من أي جماعة أو فرقة؛ إذ سبق بيان تعريف السلفية، وأنَّها منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وأنَّها جماعة المسلمين وإمامهم، وقد سبق بيان أنَّ السلفية ليست حزباً من الأحزاب، بل هي جماعة المسلمين المتبعين لكتاب الله- تعالى- ، وسنة نبيه- ﷺ- ، على فهم السلف الصالح.

وقد قال الإمام ابن باز- رحمه الله- حينما سئل: "نرجو من سماحتكم توجيه نصيحة خاصة للشباب الذين يتأثرون بالانتماءات الحزبية المسماة بالدينية؟.

فأجاب: "أما الانتماءات إلى الأحزاب المحدثة، فالواجبُ تركها، وأن ينتمي الجميع إلى كتاب الله وسنة رسول الله- ﷺ- ... إلى أن قال: ولا فرق

---

(١) سبق تخريجه في صـ١٦.

(٢) الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي صـ٦٤- ٦٥.

في ذلك بين جماعة الإخوان المسلمين أو أنصار السُّنة أو الجمعية الشرعية أو جماعة التبليغ أو غيرهم من الجمعيات والأحزاب المنتسبة للإسلام"[1].

وعليه فإنَّ السلفية ترى عدم جواز الانتماء إلى هذه الجماعات التي تنتسب إلى الدعوة الإسلامية، لمخالفة تلك الجماعات في نشأتها ومبادئها وسيرها طريق السلف، وتفريق جماعة المسلمين ..

وأجمل بما قاله فضيلة الشيخ بكر أبو زيد في هذا الصدد حيث قال- رحمه الله- : "فالانحياز أو الانفصال من فرد أو جماعة عن (جماعة المسلمين) (أهل السنة والجماعة) بمخالفة شرعية في اعتقاد أو تعبد أو سلوك مخترعة شعاراً أو أصولاً أو قواعد تجعلها قوانين للجماعة والمنتمين إليها، وتعقد الولاء والبراء عليها، وعلى جماعتها، وعلى شعارها وحمله، أو بشيءٍ من ذلك، فهذا انفصال عن جماعة المسلمين، والتي تعتمده فرقة من الفرق البدعية تقترب من الصراط، وتبتعد بقدر ما لديها من مخالفة أو مخالفات"[2].

وهذا الانفصال خسارة وانفصال في رأس مال المسلمين، وما وحدة جماعتهم إلا بوحدة إسلامهم في مدلول (كلمة التوحيد)، وكم في الفرقة والتحزب عن جماعة المسلمين من مضار وعوائق[3] نشهدها اليوم في واقع الجماعات المنتسبة للدعوة الإسلامية .. من الاختلاف والنزاع والتشتت، بل ونشر البدع، وتعدد البيعات والتنظيمات السرية، وتهيأت الأراضي الخصبة لزراعة الأفكار الضالة والمناهج المنحرفة، بل ربما زراعتها.

---

(١) فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ١٧٦/٧ جمع فضيلة الدكتور محمد الشويعر.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية للشيخ بكر أبو زيد صـ١٨٥.

(٣) المرجع السابق صـ١٨٥.

الخاتمة والتوصيات

١- **ضرورة بيان وإيضاح مصطلح السلفية:** لتعريف المسلمين بنقاء وبقاء هذا المنهج الرباني الذي هو منهج الرسول- ﷺ- ، والصحابة الكرام- رضي الله عنهم- ، وتابعيهم بإحسان؛ لكي لا يلبس الأمر على عامة المسلمين، مما قد يؤدي إلى نفورهم من الحق وأهله، وهنا مكمن الشرر والضرر.

٢- **أنَّ السلفية تمثل منهج الإسلام نفسه عقيدةً وشريعةً ودعوةً وأخلاقاً**، وأنَّ جهود العلماء السلفيين ما هي إلا تعبيرٌ عن الإسلام، وبيانٌ لعقيدته وأحكامه ودعوته وآدابه، فتعريفها وبيانها بيانٌ لعقيدة الإسلام الصافية، وشرائعه الشريفة.

٣- أنَّ عداء الفرق من أهل البدع والضلالة عداءٌ قديم للسلف والسلفيين، ولا يزال عداؤهم قائماً وقاتماً إلى يومنا هذا، وأخذ الحذر أمرٌ متحتم بالدعوة والبيان والحجة والبرهان.

٤- عمَّت الدعوة السلفية وآثارها المباركة بقاع الأرض وأصقاعها، فكان لها أتباع وأنصار في مختلف الأمصار، ولا تزال- إلى وقتنا الحاضر- آثارها ونتائجها علمية كانت أو عملية ناطقةً بذلك، وشاهدةً بصدق هذه الدعوة، ووضوحها وسلامة منهجها، وستبقى هذه الدعوة منصورة بوعد رسول الله- ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

٥- السلفية رسم شرعي أصيل يرادف (أهل السنة والجماعة)، و(أهل الجماعة)، و(أهل الأثر)، و(أهل الحديث)، و(الفرقة الناجية)،

و(الطائفة المنصورة)، و(أهل الاتباع)، والمراد بالسلفية ما كان عليه الصحابة- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرْضٍ.

٦- أنَّ تحديد زمن السَّلَف الَّذِينَ لا تجوز مخالفتهم بإحداثِ فَهْمٍ لم يفهموه من الناحية الزمنية، هي قرون الإسلام الثلاثة الأولى المفضلة؛ حيث قال أهل العلم بأنَّ المراد بالسلف تاريخياً هم أصحاب هذه القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن شهد لهم رسول الله- ﷺ- بالخيرية.

٧- أنَّ مذهب السَّلَف يشمل جانبين: جانب القدوة، والمنهج المتبع.
فالقدوة: هم أصحاب العُصُوْر الثَّلاثة.
والمنهج: هو الطريقة المُتَّبَعَة في هذه العُصُوْر، في الفَهْمِ العقدي، والاستدلال، والتَّقرير، والعلم، والإيمان.

٨- أنَّ صلة السلفية بالإسلام صلةٌ أصيلةٌ ثابتةٌ، وفيما ذكرت من الأدلة ما يؤكد هذه الصلة تأكيدا واضحا؛ حيث إنَّ السلفية بالتعريف الذي ذكرته ما هي إلا تلك القرون الثلاثة المفضلة **الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان.**

٩- أنَّ الانتساب إلى السلف فخر وأي فخر، وشرف ناهيك به من شرف، فلفظ السلفية أو السلفي لا يطلق عند علماء السنة والجماعة إلا على سبيل المدح.

١٠- السلفية ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هي جماعة على السنة ومنهج السلف الصالح، وقال- ﷺ- : **((لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذلِكَ))**.

١١- أن البعض يخطئ خطأً فاحشاً عندما يذكر السلفية معتبرا إياها حزباً من الأحزاب، فهي ليست من الأحزاب، وإنما هي جماعة المسلمين المتمسكين بكتاب رب العالمين، وهدي سيد المرسلين، وأصحابه، والتابعين، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

١٢- أنه لا يجوز الانتماء إلى الأحزاب المحدثة، بل الواجبُ تركها، وأنْ ينتمي الجميع إلى كتاب الله وسنة رسول الله- ﷺ- .

مراجع البحث.

١. القرآن العظيم.

٢. الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة من إجابات فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، جمع وعناية وتخريج أبي عبد الله جمال بن فريحان الحارثي- دار السلف- الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٣. الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي - تحقيق سليم بن عيد الهلالي - دار ابن عفان - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٥. تفسير البغوي (معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - دار طيبة للنشر - ١٤٠٩هـ.

٦. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تصنيف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن- الطبعة الأولى - دار النوادر - ١٤٢٩هـ.

٧. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٩. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٠. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد - الطبعة الثانية - ١٤١٠هـ- دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

١١. ست درر من أصول أهل الأثر لفضيلة الشيخ عبد المالك الرمضاني.

١٢. سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة السابعة ١٤١٠هـ.

١٣. الشريعة للإمام أبي بكر محمد الحسين الآجري بتحقيق محمد حامد الفقي - دار السلام - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ.

١٤. صحيح سنن أبي داود باختصار السند تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٥. صحيح سنن الترمذي باختصار السند تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٦. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري مع شرح النووي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٧. الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي.

١٨. فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - جمع فضيلة الشيخ محمد الشويعر - طبعة دار القاسم.

١٩. الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت- .

٢٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني رقمه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

٢١. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٢. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٣. لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

٢٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية - للعلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني - المكتب الإسلامي - بيروت - مكتبة أسامة الرياض- الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٥. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي - مؤسسة علوم القرآن- ١٤٠٥هـ

١٩٨٥م.
٢٦. المدخل لدراسة العَقِيدَة الإِسْلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان.
٢٧. مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى- بيروت- ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢٨. مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه المصعد الأحمد والقول المسدد وذيل القول المسدد راجعه وضبطه وعلق عليه وصنع فهارسه صدقي محمد جميل العطار - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٢٩. المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي اعتنى به الأستاذ يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية- بيروت- الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٣٠. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٣١. المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية - مطابع دار المعارف - مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٣٢. المنهج السلفي تعريفه، تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه تأليف الدكتور مفرح بن سليمان القوسي- دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٣. هي السلفية نسبةً وعقيدةً ومنهجاً لفضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقرة - مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ.



مصطلح السلفية

(حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح)

إعداد

د. خلف بن علي بن حسين العنزي

مقدمة:

الحمد لله الذي أمرنا بالتمسك بكتابه وبسنة نبيه محمد- ﷺ- ؛ لأن فيهما النجاة من فتن الدنيا وعذاب الآخرة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾.(سورة آل عمران: الآية: ١٠٣)،

فالرفعة والشرف باتباع هذا الكتاب المبين، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾.(سورة الأنبياء: الآية: ١٠).

والفلاح لمن اتبع وتمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد- ﷺ- ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ** ﴾.(سورة المائدة: الآية: ١٥).

ولقد أمر الله- سبحانه- بطاعته وطاعة نبيه محمد- ﷺ- ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾.(سورة النساء: الآية: ٥٩)، أورد الصنعاني في تفسيره لهذه الآية، فقال: فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال- تعالى- : أطيعوا الله (أي اتبعوا كتابه)، وأطيعوا الرسول: (أي خذوا بسنته)، وأولي الأمر منكم: (أي فيما أمروكم به من طاعة الله، لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله..، وقوله: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، وهذا أمر من الله- ﷻ- بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع

في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾**.(سورة الشورى: الآية: ١٠)[1].

وتوعد- سبحانه- من أعرض عن ذكره، **فقال ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾**.(سورة طه: الآية: ١٢٤).

وحذر- جلّ وعلا- من مخالفة طريقة وسنة ومنهاج نبيه- ﷺ- ، **فقال- تعالى- : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**.(سورة النور: الآية: ٦٣)، **وقال جلّ ذكره: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾**. (سورة النساء: الآية: ١١٥).

والقرآن الكريم أمر بالأخذ بكل ما جاء به الرسول- ﷺ- ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه؛ لأنه- ﷺ- أرشد أمته إلى الخير، وحذرها من الشر، كما في **قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾**.(سورة الحشر: الآية: ٧).

والنبي- ﷺ- أوصى بالتمسك بكتاب الله وبسنته- ﷺ- ، فعن العرباض ابن سارية قال: وعظنا رسول الله- ﷺ- يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن

---

(١) انظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ط ١٤١٠هـ). تفسير القرآن، ج١، ص١٦٧-١٦٨، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض.

هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ **قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)**(١).

وعن بن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله- ﷺ- خطب الناس في حجة الوداع، **فقال: (يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه)**(٢).

وكان- ﷺ- يقول في خطبه: "أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد"، كما في حديث جابر- رضي الله عنه- قال: خطبنا رسول الله- ﷺ- ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو له أهل، **ثم قال: (أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)**(٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ج ٥، رقم الحديث٢٦٧٦، ص ٤٣، (حديث: صحيح)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، (ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي فإنه غير جائز له أن يقلد أحدا من أهل دهره، ولا أن يحكم أو يفتي بالاستحسان، ج ١٠، رقم الحديث ٢٠١٢٣، ص ١١٥، (حديث: صحيح)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار النشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مسند جابر)، ج ٣، رقم الحديث ١٤٣٧٣، ص ٣١٠، (حديث: صحيح)، مؤسسة قرطبة، بمصر.

رحمه الله- : (فعلى كل مؤمن ألا يتكلَّم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول- ﷺ- ، ولا يتقدَّم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة- ﷺ- ، ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس ديناً غير ما جاء به الرسول- ﷺ- وإذا أراد معرفة شيء من الدين نظر فيما قاله الله والرسول- ﷺ- ، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر، وبه يستدلّ، فهذا أصل أهل السنة)[1].

ولقد "سار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته، وتمسكوا بسنته، وعضوا عليها بالنواجذ عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً، فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله- تعالى- وهم على ذلك"[2]، فعن ثوبان قال: قال رسول الله- ﷺ- : **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)**[3].

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٦٣، مركز الأسوة للبرمجيات، سلسة العلم النافع ١٢، المدينة المنورة.

(٢) العثيمين، محمد الصالح (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م). عقيدة أهل السنة الجماعة، ط٣، ص٥، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) صحيح مسلم، باب قوله- ﷺ- : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم"، ج ٣، رقم الحديث ١٩٢٠، ص ١٥٢٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله- ﷺ- قال: **(إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة، وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتهلك إحدى وسبعون، وتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله! مَنْ تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة)**[1].

قال ابن مسعود- رضي الله عنه- : (من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد- ﷺ- ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[2].

وقد وردت آيات عديدة في مدح أصحاب رسول الله- ﷺ- ، من ذلك قوله: تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.(سورة التوبة: الآية: ١٠٠)، وقوله: تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.(سورة الفتح: الآية: ١٨).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مسند جابر)، ج ٣، رقم الحديث ١٢٥٠١، ص ١٤٦، (حديث: صحيح)، مؤسسة قرطبة، بمصر.

(٢) التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (ط٣، ١٩٨٥هـ). مشكاة المصابيح، ج١، ص٦٧، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

وقوله- جلّ في علاه- : **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾**.(سورة الفتح : الآية : ٢٩).

وبين- ﷺ- فضل وخيرية أصحابه- رضوان الله عليهم- ، فعن عبد الله ابن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- **قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)**[1].

ويهدف هذا البحث إلى بيان وإيضاح معاني ومفاهيم السلفية، وأصولها، وصلتها بالدين الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ- ، وحملهُ من بعده صحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان، وتمسكوا به، وبلغوه للناس، وحكم الانتساب لها، وبيان هل لها علاقة بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

خطة البحث تتكون من مقدمة، وخمسة مباحث هي:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي والشرعي للسلفية، وأوصاف وألقاب السلف.

المبحث الثاني: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ- .

المبحث الثالث: حكم الانتساب للسلفية.

المبحث الرابع: السلفية وعلاقاتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

- الخاتمة وتشتمل على نتائج وتوصيات الدراسة.
- المراجع.
- فهرس الموضوعات.

---

(١) صحيح البخاري، (ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ج ٢، رقم الحديث ٢٥٠٩، ص ٩٣٨، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي والشرعي للسلفية، وأوصاف وألقاب السلف.

أ- السلفية في اللغة:

تعني النسبة للسلف الصالح- رضوان الله عليهم- ، والسلف: كل عمل قدمته، أو فرطٍ فَرَطَ لك، وكل من تقدمك من آبائك وأقربائك.

قال (ابن منظور) السالف المتقدم، والسلف والسليف والسلفة: الجماعة المتقدمون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾. (سورة الزخرف: الآية: ٥٦).

والسلف: الجمع والعصبة التي قد مضت.

قال الزجاج: "سلفا" جمع سليف، أي: جمعا قد مضى، وهي جمع سلفة أي عصبة قد مضت، والتسليف التقديم، وكل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه فهو له سلف.

وسلف الإنسان: مَنْ تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح، والسلف من الناس الجماعة[1].

ب- السلفية في الاصطلاح:

والسلف في الاصطلاح: هم أصحاب رسول الله- ﷺ- ، ومن سار على نهجهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، قال (السفاريني) في تعريفه لمذهب السلف: المراد بمذهب السلف: (ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة

---

(١) انظر: ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، (ط١، ب.ت)، (مادة سلف)، دار صادر، بيروت.

الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية)[١].

والسلف: هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين، أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية والفلاح.

وقد أورد (الفقيهي) تعريفاً للسلف في الاصطلاح، فقال: ومنهم من يقول: إنهم (الصحابة والتابعون وتابعو التابعين: يعني القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي - ﷺ - بالخيرية)[٢].

أوصاف وألقاب السلف:

لمفهوم السلفية معانٍ مرادفة لها، وألقاب وأسماء لها علاقة بمفهوم السلفية، وتطلق عليها، منها، مفاهيم: (الصالح، والسنة، الجماعة، وأهل السنة والجماعة)، وسوف يورد الباحث معانيها إكمالاً للفائدة، وإيضاحاً للمعنى.

- **الصالح:** هو المستقيم المؤدي لواجباته، والصلاح: الاستقامة والسلامة من العيب[٣].

---

(١) السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، (ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ص ٢٠، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

(٢) الفقيهي، علي بن محمد بن ناصر (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م). الوسطية ونبذ الغلو، ط٢، ص١١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد، وعبد القادر حامد، والنجار، محمد، المعجم الوسيط (١+٢)، (ب.ت)، (مادة صلح)، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة.

- **أهل السنة:** السنة في اللغة: الطريقة والسيرة.

قال ابن منظور: والسنة: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق[(١)].

والسنة في الاصطلاح: طريقة الرسول- ﷺ- [(٢)].

وقال علماء السلف: السنة: العمل بالكتاب، والسنة: الاقتداء بصالح السلف واتباع الأثر[(٣)].

وسمو أهل السنة بذلك لانتسابهم لسنة المصطفى- ﷺ- ، والأخذ بها والعمل بها، امتثالاً لقوله- تعالى- : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾. (سورة الأحزاب: الآية: ٢١)، وقوله- ﷺ- : **(فعليكم بسنتي)**[(٤)].

- **الجماعة، أهل الجماعة:** الجماعة في اللغة: جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا، وجمعه، وأجمعه، فاجتمع، وهو مأخوذ من الجمع، وهو

---

(١) ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، (ط١، ب.ت)، (مادة سنن)، دار صادر، بيروت.

(٢) الطحاوي، أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (ط١، ١٤١٨ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٧٤، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي، (ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ج٢، ص ٤٥٩، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار النشر: دار الراية، السعودية، الرياض.

(٤) سبق تخريجه ص٢.

تأليف المتفرق، وتجمع القوم: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، ومن الاجتماع وهو نقيض الفرقة، ومن الإجماع وهو الاتفاق.

والجمع: اسم لجماعة الناس، والجمع: المجتمعون، وجمعه جموع، والجماعة و الجميع والمجمع و المجمعة: كالجمع، وقوم جميع: مجتمعون[1].

والجماعة في الاصطلاح: هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة[2].

وقال (الطحاوي) والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال، قال الله- تعالى- لنبيه- ﷺ- [3]: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.(آل عمران: الآية: ٣١).

(١) انظر: ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، (ط١، ب.ت)، (مادة جمع)، دار صادر، بيروت.

(٢) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (١٤٢٢هـ). بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، ط١، ص٩- ١٠، إعداد: سعد بن علي بن وهف القحطاني، طبع ونشر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) الطحاوي، أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (ط١، ١٤١٨ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٧٤، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

- **أهل السنة والجماعة:**

ومن أوصاف وألقاب السلف (أهل السنة والجماعة)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله، وقدس روحه- : (وأهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي- ﷺ- ، والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد)[1].

وأهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي- ﷺ- وأصحابه، و هم المتمسكون بسنة النبي- ﷺ- ، وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهدى المُتَّبعون لهم، وهم الذين استقاموا على الاتِّباع، وابتعدوا عن الابتداع في أي مكان، وفي أي زمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة، وسمُّوا بذلك لانتسابهم لسنة النبي- ﷺ- ، واجتماعهم على الأخذ بها ظاهراً وباطناً، في القول وفي العمل، والاعتقاد[2].

فمفهوم السلفية إذاً هو التمسك بكتاب الله، وبما كان عليه النبي- ﷺ- ، والالتزام بطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، واقتفاء أثر أصحابه والتابعين وتابعيهم، واتباع الحق والبعد عن الهوى ومحدثات الأمور، وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله، والدعاء له بظهر الغيب، والرحمة بالناس، وحب الخير للجميع.

---

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). رسائل في العقيدة – فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن تيمية، ط٢، ص ٥٣، الناشر: دار طيبة، الرياض.

(٢) انظر: ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، ص ١٠- ١١.

المبحث الثاني

صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ -

تبين مما سبق أن السلفية هي اعتقاد منهج السلف الصالح- رضوان الله عليهم- من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ونهج نهجهم في فهم الكتاب والسنة.

فالسلفية إذاً هي الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي- ﷺ- ، وهي اقتداء بالنبي- ﷺ- ، وتمسك بما جاء به عن ربه، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾.(سورة النجم: الآيتين: ٣- ٤).

فالسلفية إذاً ليست من صنع البشر، وإنما هي الفهم الصحيح للإسلام، وما جاء به من خير للبشرية جمعاء.

ولمنهج السلفية عقيدة أهل السنة والجماعة أصول وأسس قامت عليها مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه- ﷺ- ، ومن هذه الأصول والأسس ما يأتي: -

١- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال الشيخ (الفوزان): إن أصول العقيدة الإسلامية التي هي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هي (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وهذه الأصول دلت عليها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمة)[1].

---

(١) الفوزان، صالح بن فوزان (١٤١٢هـ). الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط٢، ص١٦، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وكالة الطباعة، المملكة العربية السعودية، الرياض.

قَالَ تعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾. (سورة البقرة: الآية: ٢٨٥)، وقَالَ تعَالَى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾. (سورة البقرة: الآية: ٢٨٥).

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: كان رسول اللَّهِ- ﷺ- يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ! ما الْإِيمَانُ؟ قال: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ)[1].

٢- ومن أصول العقيدة السلفية عقيدة أهل السنة والجماعة: الشهادة بأن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكلِّ كمال، فيعبدونه وحده، مخلصين له الدين.

ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وهو خاتم النبيين، أرسله إلى الإنس والجن بشيراً ونذيراً، ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بياناً، فيحبونه ويعظمونه ويتبعونه، ويقدمون قوله وهديه على قول كُلِّ أحدٍ وهديه[2].

---

(١) صحيح مسلم، بَاب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِإِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ- ﷻ- ، وَبَيَانِ الدَّلِيلِ على التَّبَرِّي مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، وَإِغْلَاظِ الْقَوْلِ في حَقِّهِ، ج ١، رقم الحديث ٩، ص ٣٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

(٢) انظر: ابن حميد، عبد الله بن محمد، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، ص ٧، ١٠، ١١، شبكة صيد الفوائد www.saaid.net

وقال (العسقلاني): وقامت الدعوة السلفية على أصلين عظيمين، هما دعوة النبي- ﷺ- والأنبياء من قبل رسولنا- ﷺ- ، ولذلك فهي أصول معصومة؛ لأن أصل الدين الذي جاء به رسول الله- ﷺ- من عند الله- تعالى- .

فالأصل الأول: هو توحيد الله- سبحانه وتعالى- توحيدًا صافيًا من كل شرك.

والأصل الثاني الاتباع: وهو تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله- ﷺ- وهي تعني طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله- ﷺ- ، مع محبته وتوقيره واتباعه، والسير على دربه، واقتفاء أثره- ﷺ- [1].

٣- تقديم النقل، وهو الكتاب والسنة النبوية الشريفة على العقل، فإذا حصل ما يوهم التعارض بين العقل والنقل قدموا النقل على العقل، امتثالا لقوله- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾.(الحجرات: الآية: ١).

٤- ومن أصولهم: النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران وإلى الخلق أجمعين، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، والنهي عن مساوئها، والحث على جمع كلمة المسلمين[٢].

---

(١) انظر: العسقلاني، محمود عبد الحميد، الدعوة السلفية، ص ١٠، ٦، شبكة صيد الفوائد www.saaid.net

(٢) انظر: العسقلاني، محمود عبد الحميد، الدعوة السلفية، ص١٢.

٥- ومن أصولهم: طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، والدعاء له بظهر الغيب بالتوفيق والرشاد، عملاً بقوله- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾. (سورة: النساء: الآية: ٥٩)، وقول نبيه محمد- ﷺ- ، كما في الحديث الذي رواه ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه- ﷺ- **قال: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية)**[(١)].

قال: (الطحاوي)- رحمه الله- : (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله- عز وجل- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)[(٢)].

٦- ومن أصولهم: عدم تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه امتثالاً لأمر النبي- ﷺ- في الحديث الذي رواه جرير- رضي الله عنه- أنه- ﷺ- **قال** له في حجة الوداع: استنصت الناس، **فقال: (لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض)**[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، (ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أمورا تنكرونها وقال عبد الله بن زيد: قال النبي- ﷺ- : "اصبروا حتى تلقوني على الحوض"، ج ٦، رقم الحديث ٦٦٤٦، ص ٢٥٨٨، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

(٢) الطحاوي، أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (ط١، ١٤١٨ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٧٤، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) صحيح البخاري، (ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). باب الإنصات للعلماء، ج ١، رقم الحديث ١٢١، ص ٥٦، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

قال الإمام (الطحاوي) في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله)[1].

٧- ومن أصولهم: احترام الأنفس المعصومة، والأموال، وعدم إيذاء الخلق؛ لأن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال- صلى الله عليه وسلم- : **(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)**[2].

٨- ومن أصول السلفية أهل السنة: أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم[3].

(١) الطحاوي أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (ط ١٤٠٤ هـ)، متن العقيدة الطحاوية، ص ١٤، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج ٤، رقم الحديث ٢٥٦٤، ص ١٩٨٧، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ط١، ١٤١١هـ). قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة، ص ٨، الناشر: مكتبة قرة عيون الموحدين، الجبيل.

فالسلفية لها التزام وارتباط بما جاء به النبي- ﷺ- ، حيث إنها نابعة من الهدي النبوي والقرآن الكريم.

أصل التسمية بالسلفية ومنشؤها:

سبقت الإشارة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على معنى السلف وأصل التسمية في مقدمة البحث.

ومن المعلوم أن مذهب السلف أهل السنة والجماعة امتداد لما كان عليه الرسول- ﷺ- وأصحابه، يقول ابن تيمية: (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة).

وقد ورد في بداية متن العقيدة الطحاوية للإمام أبي العز الحنفي قوله: (هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة)، قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه للعقيدة الطحاوية: (قوله: أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة، (هذا لفظٌ أُطْلِقَ في أواخر القرن الثاني الهجري على أتْبَاعِ الأثر والمخالفين للفِرَقْ المختلفة الذين خرجوا عن طريقة الصحابة والتابعين، وأول من استعمله بعض مشايخ البخاري- رحمهم الله تعالى- ، وجَمَعَ بين لفظين، بين (السنة) و(الجماعة)؛ لأنَّ هناك من يدَّعِي اتّباع السنة، ولكنه لا يكون مع الجماعة، وهناك من يدعو إلى الجماعة بلا اتِّبَاعِ سنة، فصارت طريقة أهل الحديث والأثر اتباع السلف الصالح، مشتملة على شيئين: اتِّبَاعْ

السنة والجماعة، وكلٌ منهما في الحقيقة لازمٌ للآخر، فاتّباع السنة هو اتّباع الجماعة، واتّباع الجماعة هو اتّباع السنة)[١].

وكلمة السلف دارجة عند أئمة السلف، قال البخاري: (باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل، وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر)[٢].

وقال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- : (..فقد حكى غيره عن طائفة من السلف الإباحة مطلقا..)[٣].

---

(١) آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز (١٤١٢هـ) شرح العقيدة الطحاوية، ص٤، شبكة صيد الفوائد www.saaid.net

(٢) صحيح البخاري، (ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل، وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر، ج ٣، ص ١٥٠، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ب. ت). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٢، ص ٥٩، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار النشر: دار المعرفة، بيروت.

المبحث الثالث

حكم الانتساب للسلفية

بعد أن تبين واتضح أن السلفية ليست من صنع أي إنسان، وإنما هي مستمدة من الوحي ومن السنة، وهي منهج صحيح نابع من الدين الإسلامي الصحيح، فما حكم الانتساب للسلفية والسلفيين؟، وما معنى ذلك؟.

سئل الشيخ ابن باز- رحمه الله- : (هل صحيح أن الحنابلة هم السلفيون فقط؟ وما حقيقة السلفية؟ هل هي قرينة التشدد والتزمت كما يروج البعض)؟.

فأجاب: (ليس هذا القول بصحيح، وإنما السلف الصالح هم الصحابة- رضي الله عنهم- ، ومن سلك سبيلهم من التابعين وأتباع التابعين من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم، ممن سار على الحق، وتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، في باب التوحيد، وباب الأسماء والصفات، وفي جميع أمور الدين، نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يوفق جميع المسلمين حكومات وشعوباً في كل مكان للتمسك بكتابه العزيز وسنة رسوله الأمين وتحكيمهما، والتحاكم إليهما، والحذر من كل ما يخالفهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله ولي التوفيق)[١].

وسئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- (عن معنى السلف والسلفية).

---

(١) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، الموقع الرسمي لسماحته على الانترنت www.binbaz.org.sa

فأجاب: (السلف معناه: المتقدمون، فكل متقدم على غيره فهو سلف له ولكن إذا أطلق لفظ السلف فالمراد به القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة والتابعون وتابعوهم، هؤلاء هم السلف الصالح، ومن كان بعدهم، وسار على منهاجهم فإنه مثلهم على طريقة السلف وإن كان متأخراً عنهم في الزمن؛ لأن السلفية تطلق على المنهاج الذي سلكه السلف الصالح- رضي الله عنهم- ، كما قال النبي- عليه الصلاة والسلام- : (إني أمتي ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)، وفي لفظ: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي).

وبناءً على ذلك تكون السلفية هنا مقيدة بالمعنى، فكل من كان على منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فهو سلفي، وإن كان في عصرنا هذا، وهو القرن الرابع عشر بعد الهجرة نعم)[1].

فالسلفية معناها إذاً: سلوك مسلك السلف في أسماء الله وصفاته، والإيمان بها، وإمرارها كما جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، والأخذ بالدليل، وعدم التقليد الأعمى و التعصب.

والسلفية هي طريق النبي- ﷺ- ، وطريق أصحابه، هي الطريقة المحمدية إذا صار أهلها عندهم علم وعندهم بصيرة، وإتقان ومعرفة لعلم السنة، واتباع لما كان عليه الرسول وأصحابه، فهماً والتزماً بما عليه السلف.

---

(١) العثيمين، محمد بن صالح، الموقع الرسمي لفضيلته على الانترنت www.ibnothaimeen.com

(٢) انظر: بن باز، عبد العزيز بن عبد الله، الموقع الرسمي لسماحته على الانترنت www.binbaz.org.sa

فالسلفي هو الذي يعتني بما عليه السف الصالح، ويسير على نهجهم، فيأخذ بالدليل، ويؤمن بآيات الله، وأسمائه، وصفاته، وهو الذي ينتسب إلى سلف الأمة، وهم أصحاب النبي- ﷺ- ، وأتباعهم بإحسان[1].

والدعوة السلفية هي الدعوة إلى ما بعث الله به نبيه محمداً- ﷺ- ، من التمسك بالقرآن العظيم والسنة المطهرة، والدعوة إلى السير على المنهج الذي درج عليه الرسول- ﷺ- بالدعوة لتوحيد الله- عز وجل- ، والتحذير من الشرك به، امتثالاً **لقوله تعالى** ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾.(سورة النساء: الآية: ٣٦).

وقوله- سبحانه- : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾.(سورة البينة: الآية: ٥).

فالانتساب إلى السلفية أمر واجب، ولا يجوز التبري من السلف والسلفية؛ لأن التبري منهما كالتبري من الإسلام، لكن المنهي عنه التعصب والتحزب للسلفية، والمعاداة والموالاة لطائفة أو حزب معين، قال ابن تيمية- رحمه الله- : (فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي، ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه يعادي غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل

البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة، ويعادون)[1].

فالذي على منهج السلف يكون معتدلاً ومستقيماً بين الإفراط والتفريط، دارسا ومتقناً لمنهج السلف، لا غلو ولا تساهل، عاملاً به، مقتفياً أثر السلف الصالح في أقواله وأعماله، فلا ينطق إلا بالحق ولا يعمل إلا به.

ولقد قامت هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد المؤسس المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بالتأسي بمنهج السلف الصالح، بالتمسك بكتاب الله وسنة المصطفى - ﷺ - وتطبيق شرع الله.

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج٢٠، ص١٦٤، مركز الأسوة للبرمجيات، سلسة العلم النافع ١٢، المدينة المنورة.

المبحث الرابع

السلفية وعلاقاتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

السلفية- كما تقدم- : منهج قائم على الأخذ والعمل بكتاب الله والسنة النبوية، وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وطاعة الله ورسوله- ﷺ- ، وتوحيد الله وعدم إشراك أحدٍ معه في عبادته، ومحبة الرسول، وتكون بإتباع أثره، والتقيد بسنته، والنصح لله ورسوله ودينه ولولي الأمر وعامة المسلمين، وحب الخير لهم، وعدم تكفير المسلمين وإيذائهم في أموالهم أو أعراضهم أو ممتلكاتهم.

ومن أصولهم: جمع كلمة المسلمين، والنهي عن الفرقة والاختلاف؛ لأنها تضعف قوة المسلمين، وتتيح الفرصة للأعداء للنيل منهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾. (سورة الأنفال: الآية: ٤٦).

§قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.(سورة الأنعام: الآية: ١٥٩).

قال الشيخ الفوزان- حفظه الله- : التفرق ليس من الدين؛ لأن الدين أمرنا بالاجتماع، وأن نكون جماعة واحدة، وأمة واحدة على عقيدة التوحيد، وعلى متابعة الرسول- ﷺ- ، فديننا دين الجماعة ودين الألفة والاجتماع، والتفرق ليس من الدين، فتعدد الجماعات هذا ليس من الدين؛ لأن الدين يأمرنا أن نكون جماعة واحدة، والدين لا يقر التفرق، بل ينهى عنه أشد النهي، ويأمر بالاجتماع على عقيدة التوحيد وعلى منهج الإسلام جماعة واحدة وأمة واحدة، والتفرق وتعدد الجماعات إنما هو من كيد

شياطين الجن والإنس لهذه الأمة[1]، **يقول تعالى:** ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ** ﴾.(سورة الأنبياء: الآية: ٩٢).

فالمنهج السلفي قائم على أصول وأسس مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد- ﷺ- ، سبق الإشارة إليها[2].

والمتأمل لواقع الجماعات والأحزاب الإسلامية المعاصرة اليوم، يرى أن بعضها مخالفة للمنهج السلفي الصحيح، ولا علاقة للمنهج السلفي السليم بها، لا من قريب ولا من بعيد، فهي جماعات وأحزاب قائمة على التحزب لرأي أو شخص معين، وتوالي وتعادي عليه، وتنهج القوة والتخريب في عملها، وتسفك الدماء وتدمر الممتلكات وتفرق كلمة المسلمين، وتدعو وتحرض للخروج على ولي الأمر، وشق عصا الطاعة عليه، ولم تجنِ من عملها هذا إلا إساءة سمعة الإسلام والمنتسبين له، وقتل الأبرياء بغير وجه حق، وتفريق المؤمنين، وتسليط الأعداء عليهم بحجة محاربة الإرهاب.

---

(١) الفوزان، صالح بن فوزان (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة، إعداد وحوار عبد الله بن محمد الرفاعي، ص ١٦، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر، الرياض.

(٢) راجع: ص ٨- ١١.

الخاتمة

وتشتمل على نتائج وتوصيات الدراسة

خاتمة ورقة العمل هذه احتوت على أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث، ويرى أن لها علاقة بمجال البحث، وتؤدي إلى نتائج تخدم موضوع الدراسة.

النتائج: ومن أهمها:

١- وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والالتزام بما جاء فيهما، وتقديمهما على غيرهما.

٢- استجابة السلف لله ورسوله وقيامهم بشريعته وتمسكهم بالسنة.

٣- أن السلف هم خير الخلق من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان، وهم خير القرون المفضلة، وهم الطائفة المنصورة الملتزمة بأمر الله إلى قيام الساعة.

٤- أن السلفية تعني السلف الصالح- رضوان الله عليهم- ، وهم أصحاب رسول الله، ومن سار على نهجهم، وهم بذلك يخرجون عن أهل البدع والأهواء.

٥- أن للسلفية معاني لها ارتباط بها كالصالح والسنة والجماعة، وأهل السنة والجماعة.

٦- أن السلفية هي المنهج الصحيح الذي له علاقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ- .

٧- أن من أصول السلفية: النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله، والحرص على جمع كلمة المسلمين ونبذ الفرقة والاختلاف، وعدم إيذاء الناس في أنفسهم أو ممتلكاتهم.

٨- من أهم النتائج: أن الانتساب للسلفية واجب لأنها هي المنهج الحق الذي جاء به المصطفى- ﷺ- ، والتزم به صحبه الكرام والتابعون وتابعوهم.

٩- أن معظم الجماعات والأحزاب الإسلامية المعاصرة اليوم قائمة على التفرق والتحزب والعنف وقتل الأبرياء.

١٠- أن السلفية لا علاقة لها البتة ببعض هذه الجماعات، وإن تسمت باسم الإسلام أو السلفية؛ لبعدها عن المنهج الحق الذي جاء به الحق- تبارك وتعالى- وحبيبه محمد- ﷺ- .

١١- أن السلفي هو من درس منهج السلفية، وعرف حقيقته، وأتقنه، وعمل به.

التوصيات: ومن أبرزها:

١- إقامة المزيد من الدراسات والبحوث لتأصيل وترسيخ منهج السلفية وتقريبه للناس.

٢- أن تكون هناك مواد دراسية تعنى بإيضاح السلفية للطلاب والطالبات، وفي سن مبكرة.

٣- إقامة العديد من المؤتمرات وورش العمل عن المنهج السلفي بصورة دورية.

٤- عمل برامج إعلامية عبر القنوات الفضائية المرئية والمسموعة تدافع وتوضح حقيقة السلفية، وتحذر من المناهج والجماعات المخالفة.

٥- طباعة كتب وأشرطة بعد فسحها من جهة الاختصاص وتوزيعها على شرائح المجتمع.

٦- إقامة مهرجانات خاصة في فترة الصيف تستقطب الشباب، وتوضح لهم حقيقة السلفية، وتبرز لهم خطر الأحزاب المخالفة وضررها على الأفراد والجماعات.

٧- استغلال التقنية الحديثة كالجوال والانترنت في عمل برامج تحتوي على أعمال عن سيرة السلف الصالح، وتوضح المنهج الصحيح.

٨- عمل برامج خاصة بالنشء؛ لغرس مفاهيم السلفية لديهم في سن مبكرة، حتى يعتادوا عليها، ولإيضاح أنها هي الإسلام الصحيح.

٩- عمل موسوعة ضخمة عن السلفية وبكل اللغات العربية والأجنبية.

١٠- تصميم وعمل مواقع بالانترنت عن السلفية يشرف عليها علماء معروفون ومتميزون، وتكون بإشراف مباشر من الجهات المعنية، كالشؤون الإسلامية والإعلام.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، (ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار النشر: دار الراية، السعودية، الرياض.

٢- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، ، (١٤٢٢هـ). بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم إتباعها، ط١، إعداد: سعد بن علي بن وهف القحطاني، طبع ونشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

٣- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، الموقع الرسمي لسماحته على الانترنت www.binbaz.org.sa

٤- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (ط٣، ١٩٨٥هـ). مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ط١، ١٤١١هـ). قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة، الناشر: مكتبة قرة عيون الموحدين، الجبيل.

٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، مركز الأسوة للبرمجيات، سلسة العلم النافع ١٢، المدينة المنورة.

٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ط١، ١٤٠٦هـ). منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة.

٨- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

٩- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ب. ت). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار النشر: دار المعرفة، بيروت.

١٠- ابن حميد، عبد الله بن محمد، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، شبكة صيد الفوائد www.saaid.net

١١- السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، (ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

١٢- سنن البيهقي الكبرى، (ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار النشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

١٣- آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز (١٤١٢هـ).شرح العقيدة الطحاوية، شبكة صيد الفوائد www.saaid.net

١٤- صحيح البخاري، (ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

١٥- صحيح مسلم، ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

١٦- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ط ١٤١٠هـ). تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض.

١٧- الطحاوي، أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (ط ١٤٠٤ هـ)، متن العقيدة الطحاوية، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

١٨- الطحاوي، أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (ط١، ١٤١٨ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

١٩- ابن عثيمين، محمد بن صالح، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). رسائل في العقيدة — فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن تيمية، ط٢، الناشر: دار طيبة، الرياض.

٢٠- العثيمين، محمد الصالح (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م). عقيدة أهل السنة الجماعة، ط٣، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض.

٢١- العثـيمين، محمـد بـن صـالح، الموقـع الرسمـي لفـضيلته علـى الانترنـت www.ibnothaimeen.com

٢٢- العـسقلاني، محمـود عبـد الحميـد، الـدعوة الـسلفية، ص ١٠، ٦، شـبكة صـيد الفوائد www.saaid.net

٢٣- الفقيهي، علي بن محمد بن ناصر (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م). الوسطية ونبذ الغلـو، ط٢، وزارة الـشئون الإسـلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشـاد، وكالـة الـوزارة لشؤون المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، الرياض.

٢٤- الفـوزان، صـالح بـن فـوزان (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). مراجعـات في فقـه الواقـع السياسي والفكري على ضـوء الكتـاب والـسنة، إعـداد وحـوار عبـد الله بـن محمـد الرفاعي، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر، الرياض.

٢٥- الفوزان، صالح بن فوزان (١٤١٢هـ). الإرشاد إلى صحيح الاعتقـاد والـرد عـلى أهـل الـشرك والإلحـاد، ط٢، الرئاسـة العامـة لإدارات البحـوث العلميـة والإفتـاء والدعوة والإرشاد، وكالة الطباعة، المملكة العربية السعودية، الرياض.

٢٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مسند جابر)، مؤسسة قرطبة، بمصر.

٢٧- مصطفى، إبـراهيم، والزيـات، أحمـد، وعبـد القـادر حامـد، والنجـار، محمـد، المعجم الوسـيط (١+٢)، (ب.ت)، تحقيـق: مجمـع اللغـة العربيـة، دار النـشر: دار الدعوة.

٢٨- ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، (ط١، ب.ت)، دار صادر، بيروت.



مصطلح السلفية

حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح

إعداد

د . يوسف أحمد محمد البدوي

الأستاذ المشارك في قسم الفقه المقارن - المعهد العالي للقضاء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذا بحث بعنوان: **" مصطلح السلفية حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح"** أتقدم به لندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني.

راجيا العلي القدير العون على تجلية المعاني والحقائق الواردة في هذا البحث، والتوفيق إلى السداد والرشد فيما دون وسطر فيه.

ملخص البحث

يهدف هذا البحث لتعريف السلفية لغة واصطلاحا وبيان صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم توضيح حكم الانتساب إلى السلفية وعلاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

خطة البحث

يشتمل هذا البحث على خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى السلفية في اللغة.

المطلب الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي.

المطلب الثالث: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: حكم الانتساب إلى السلفية.

المطلب الخامس: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

المطلب الأول

المعنى اللغوي للسلفية :

السّلَف - بفتح السين واللام - مادتها (س ل ف) وهو ما مضى وانقضى.

جاء في لسن العرب : (سلف) سلف يسلف سلفا وسلوفا تقدم ، والسالف المتقدم والسلف والسليف والسلفة الجماعة المتقدمون [1] .

فالسلفية : مَصدَرٌ صِناعيٌّ ، والمصدَر الصِّناعيُّ ، تَلحَق بآخِرة ياءُ النِّسبةِ مع اقتِرانها بالهاء ، يُسكَتُ عليها حينَ الوقفِ ، وتُقلَبُ تاءً في الوَصل.

وقال السمعاني السلفي - بفتح السين واللام وفي آخرها فاء - هذه النسبة إلى السلف ، وانتحال مذاهبهم على ما سُعمت منهم[2].

"السَّلَفِيَّة" إنَّما تعني النِّسبة إلى السَّلفِ الصَّالح رضوان الله عليهم ، والسَّلف "كلُّ عمل صالح قدَّمته ، أو فرطٍ فرطَ لك ، وكلُّ من تقدَّمك مِن آبائك وأقربائكَ"[3].

---

١ ابن منظور ، لسان العرب ٩/ ١٥٨ .

٢ السمعاني ، الأنساب ٢٧٣/٣. نقلا عن صول وتاريخ الفرق الإسلامية ، مصطفى بن محمد بن مصطفى.

٣أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، مصطفى بن محمد بن مصطفى .السلفية : حقيقتها ومكانتها في الحركة الإسلامية المعاصرة - بقلم :فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب .

المطلب الثاني

المعنى الاصطلاحي للسلفية :

قال السفاريني : المراد بمذهب السلف :

ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم واعيان التابعين لهم باحسان، واتباعهم وائمة الدين ممن شهد لهم بالامامة وعرف عظم شانهم في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري، والليث بن سعد وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رُمي ببدعة أو اشْتُهِرَ بلقب غير مرضي، مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء[1].

فمصطلح السلف الصالح هو تعبير يُراد به المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام، جاء الثناء عليها عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعد ذلك أناس يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويكون فيهم الكذب"[2].

والمذهب أو المعتقد السلفي : هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه

---

١ السفاريني، لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٠. محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ٣/١.

٢ البخاري، صحيح البخاري ٢٥٨/٥- ٢٥٩، ٣/٧.

في الدين وتلقي الناس كلامهم خلفًا عن سلف. ومن هؤلاء الأئمة: الأئمة الأربعة وسفيان الثوري، والليث بن سعد وابن المبارك، وإبراهيم النخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن.

والسلفيون أو السلفية: الذين يعتقدون معتقد السلف الصالح، وينتهجون منهج السلف في فهم الكتاب والسنة وتطبيقهما.

فيكون المراد بالسلف الصحابة - رضي الله عنهم- وقد تُوسِّعَ في هذا المصطلح فشمل من تبعهم بإحسان من التابعين وتابعيهم من أئمة الدين ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، سواء كانوا من القرون الخيرية أو ممن جاء بعدهم قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا، قال ووضع يده على خده ثم قال: إلا هذه الصلاة.

وعن ميمون بن مهران قال: لو أن رجلا أنشر فيكم من السلف ما عرف غير هذه القبلة[١].

وعن زيد بن أرقم أنه رأى قوما يصلون بعد ما طلعت الشمس فقال لو أدرك هؤلاء السلف الأول علموا أن غير هذه الصلاة خير منها صلاة الأوابين إذارمضت الفصال[١].

---

١ الاعتصام للشاطبي، ١/ ٢٦.

وعن الحسن قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً- قال ووضع يده على خده ثم قال- إلا هذه الصلاة- ثم قال- أما والله ما ذلك لمن عاش في هذه النكراء ولم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله عن ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيماً فكذلك فكونوا أن شاء الله[٢]

فالسلفية إذًا هي المدرسة التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي بعد ظهور الفرق المختلفة طبقًا لفهم الأوائل من الصحابة - رضي الله عنهم- .

والسلفية في مدلولها اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم- والذي كانت سيرته العطرة هي المنهج الذي يتطلع إليه سلفنا الصالح وحولوه إلى منهج حياة وهذا المنهج نزل به الأمين جبريل على صدر رسولنا - صلى الله عليه وسلم- من عند الله - تبارك وتعالى- كما قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى❖إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم: ٣- ٤)[٣]

---

١ - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (٣ / ٦٩)برقم(٤٨٣٢)

٢ - أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ٧٤/١.

٣ الدعوة السلفية. محمود عبد الحميد العسقلاني ١ / ٣. السلفية قواعد وأصول. د. أحمد فريد. محمد إبراهيم شقرة، هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجا٢/ ١٢.

المطلب الثالث

صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم :

أولا : الأصول التي قامت عليها الدعوة السلفية :

الأصل الأول: توحيد الله - سبحانه وتعالى- توحيدًا صافيًا من كل شرك

الأصل الثاني الإتباع : وهو تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهي تعني طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم- مع محبته وتوقيره واتباعه والسير على دربه واقتفاء أثره - صلى الله عليه وسلم-

وتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي أمورًا :

١- الإيمان به - صلى الله عليه وسلم- :

لقوله - تعالى- : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ)(الأعراف: من الآية١٥٨) وقوله - تعالى- : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ❖ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفتح :٨- ٩).

٢- تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من كتاب أو سنة دون تفريق بين ما جاء به فإنه كله من عند الله قال - تعالى- : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم :٣- ٤).

٣- طاعة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة :

أي أنه يطاع فلا يعصى - صلى الله عليه وسلم- كما أمر الله - تبارك وتعالى- قال - تعالى- : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ

مِنْكُمْ)(النساء: من الآية٥٩) فأفرد الله نفسه بطاعة، وأفرد نبيه بطاعة، وجعل طاعة أولي الأمر مقيدة بطاعتهم لله ورسوله.

٤- اتباعه صلى الله عليه وسلم باقتفاء أثره والسير على دربه والاستنان بسنته - صلى الله عليه وسلم- والتعبد بما جاء به - صلى الله عليه وسلم- بغير زيادة محدثة مخترعة وإنما بالاقتصار على ما جاء به - صلى الله عليه وسلم-

٥- محبته صلى الله عليه وسلم:

فمحبته - صلى الله عليه وسلم- أعظم من محبتنا للآباء والأبناء والأموال والتجارة والنفس، قال - تعالى- : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة: ٢٤)

٦- توقير النبي - صلى الله عليه وسلم- بغير غلو فيه:

قال - تعالى- : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفتح: ٩)

٧- تعظيم ما جاء به - صلى الله عليه وسلم- من كتاب أو سنة:

٨- النصح له - صلى الله عليه وسلم- :

قال - تعالى- : (وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)(التوبة: من الآية٩١)

٩- نصرته - صلى الله عليه وسلم- حيًا ونصرة دينه وشريعته وسنته بعد مماته:

قال - تعالى- : (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)(التوبة: من الآية٤٠).وقال - تعالى- : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(الأعراف: من الآية١٥٧)[1].

ثانيا: المصادر الأساسية يعتمد عليها السلفية في تلقي دينهم [2]:

أولا: القرآن الكريم: فالكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه[3].

وهوالمصدر الرئيسي للتلقي عند السلفيين. ويستعينون على فهمه وتفسيره بالآثار المأثورة عن الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأمثالهم، وبالعلوم المساعدة على ذلك، كعلوم اللغة العربية، والعلم بالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وبيان مكيه ومدنيه، وعلم أصول الفقه، وعلم الحديث، ونحو ذلك من العلوم.

ثانيا: السنة الصحيحه:

والسنة عندهم هي كل ما صححه علماء الحديث عن النبي من الأقوال والأفعال والصفات الخَلْقية أوالخُلُقية والتقريرات. والسنة منها الثابت الصحيح، ومنها الضعيف؛ والصحة شرط لقبول الحديث والعمل به عندهم

---

١ محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ١/ ٤.

٢ محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ١/ ٣٠.

٣ الشاطبي، الموافقات ٣/ ٣٤٦.

بحسب قواعد التصحيح والتضعيف. ولا يشترطون أن يكون الحديث متواتراً، بل هم يعملون بالمتواتر والآحاد على السواء.

ثالثا: الإجماع: وهواتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد النبي صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي، فإذا اتفقوا سواء كانوا في عصر الصحابة أو بعدهم على حكم من الأحكام الشرعية كان اتفاقهم هذا إجماعاً

وهذه الأصول الثلاثة هي المصادر الرئيسية في التلقي، والسلفية لا يقرون قولاً ولا يقبلون اجتهاداً إلا بعد عرضه على تلك الأصول. ولا يخالفونها برأي ولا بعقل ولا بقياس. بل يجتهدون بأرائهم في ضوء تلك المصادر من دون أن يخالفوها.

رابعا القياس: الذي لا يتعارض مع نص أو إجماع: وهو حجة عند جمهورهم سواء كان قياساً جلياً أوخفياً.

فمنهجهم تقديم النصوص الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على العقل والذوق والوجد والعاطفة

ويعتقد السلفية ألا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح. وأن النقل مقدم على العقل. فلا يجوز معارضة الأدلة الصحيحة من كتاب وسنة وإجماع بحجج عقلية أو كلامية أو فلسفية أو منطقية[1].

فكان السلف يقدمون الشرع على العقل ويرون أن العقل يوافق الشرع ولا يخالفه، وأن الشرع لا يأتي بما يحال في العقل، ولكن قد يأتي بما يحار فيه

---

١ محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ١/ ٢٤.

العقل وأنه لا تعارض بين نقل صحيح ونظر عقلي سليم، والنقل الصحيح حجة، والنظر العقلي تابع للدليل السمعي ولا يتعارض معه أبدا[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : ولهذا لا يوجد في كلام أحد السلف أنه عارض القرآن بعقل أو رأي أو قياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلاً عن أن يقول: يجب تقديم العقل. والنقل: يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين[2].

وقال شارح الطحاوية: وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة إنما يتلقاه من قول فلان.

وقال أيضًا: وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه فقال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)(الأعراف: من الآية ١٢)[3].

ثالثا: خصائص السلفية:

تتميز الدعوة السلفية بأنها دعوة ربانية؛ لأنها تعتمد على أصلين أساسيين هما: التوحيد والإتباع، وهذا ما يجعلها دعوة ربانية في الغاية والوجهة، وربانية في المنهج والمصدر.

فالأمر الأول - هو ربانية الغاية والوجهة

---

١ ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٢.

٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٩.

٣ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٠٣.

فإن الغاية والهدف هو حسن الصلة بالله - تبارك وتعالى- ، والحصول على مرضاته، وهذه هي غاية الإنسان ووجهته ومنتهى أمله وسعيه فإن الهدف الأكبر هو تحقيق مرضاة الله - تبارك وتعالى- ، وحسن مثوبته فهو هدف الأهداف وغاية الغايات، وإن كان هناك أهداف أخرى إلا أنها تابعة لهذا الهدف الأكبر.

ولذلك أمر الله - تبارك وتعالى- نبيه - صلى الله عليه وسلم- أنه يعلنها للناس واضحة جلية: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ❖ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)(الأنعام١٦١- ١٦٤).

فالقرآن يقرر هذه الحقيقة بوضوح حين يذكر الغاية من خلق الجن والإنس، فيقول - تعالى- : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات ٥٦- ٥٨).

الأمر الثاني ربانية المنهج والمصدر

وهو أن يكون المنهج من عند الله - تعالى- فهم لا يصدرون عن شيء إلا عما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهذا هو المنهج الرباني

لقول الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم٣- ٤)[1].

من السمات التي اكتسبتها الدعوة بكونها ربانية:

١- العموم:

الدعوة السلفية لما كانت ربانية فإنها اكتسبت هذه السمة التي تميز بها المنهج الإسلامي الذي جاء به رسول الله - صلىَّ الله عليه وسلم- ، وهو منهج لجميع البشر على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم وأعرافهم، وليست خاصة بقوم دون قوم أو بشعب دون شعب أو أمة دون أمة.

٢- الشمول:

لما كانت الدعوة ربانية كانت - ولا بد أن تكون- دعوة شاملة لكل مناحي الحياة منظمة لعلاقة الإنسان بربه من الناحيتين العلمية والعملية، وكان لابد أن يكون منهج الدعوة شاملاً لقضايا العقيدة والعبادة، ومنظما لها على أسس علمية وعملية قويمة، وشاملاً كذلك للأحكام المتعلقة بأمور المعاملات، والأخلاق والقيم والمثل العليا، وأسس التعاون والاجتماع على البر والتقوى، كما أنها شاملة لقواعد التربية القويمة، وتنمية روح المراقبة للنفس.

---

١ محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ١/ ١٨.

٣- اليسر ورفع الحرج:

ومن خصائص المنهج السلفي الاتجاه نحو التيسير ورفع الحرج، لأن هذا هو المنهج الذي جاء به رسول الله - صلىّ الله عليه وسلم- في الأحكام والتكليفات، فلا تكليف بما فيه حرج شديد قال - تعالى- : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا)(البقرة: من الآية٢٨٦) وقوله - تعالى- : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)(الحج: من الآية٧٨)، وقوله - تعالى- : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)(البقرة: من الآية١٨٥) وقوله تعالى: (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (طه: ٢)[1].

رابعا: أهداف الدعوة السلفية

الهدف الأول: تعبيد الناس لله عزّ وجل:

ينبغي أن يكون هدف الداعية أن يعبد الناس لله سبحانه وتعالى لأن الله عزّ وجل لذلك خلقهم وبذلك أمرهم فقال - سبحانه وتعالى- : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات: ٥٦- ٥٨)، وقال - تعالى- : (إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ) (يوسف/٤٠)، وقال - تعالى- : (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ) (الرعد/٣٦)، وقال - تعالى- : (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) (النمل/٩١)، وقال - تعالى- : (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي) (الزمر/١٤).

---

١ محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ١/ ٣٣.

الهدف الثاني : البشارة والنذارة

اعلم أن ارتباط الدعوة إلى الله عزّ وجل بالتبشير والإنذار وثيق جدًا فقد قصر القرآن مهمة الرسل عليهما في بعض آياته، فقال - تعالى- : (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأنعام: ٤٨)

الهدف الثالث: إبلاغ الحق إلى الخلق

إن إبلاغ الحق إلى الخلق أحد أهداف الدعوة إلى الله - عزّ وجل- ، وذلك أن الناس لا يكلفون بشيء إلا بعد بلوغهم هذا الأمر، قال الله - تعالى- : (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا (الإسراء/١٥).

وقد أمر الله - عزّ وجل- الرسل وهم الدعاة الأوائل إلى الله أن يبلغوا الحق الذي معهم إلى الناس فقال - تعالى- : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (الأحزاب/٣٩).

وقال - تعالى- مخاطبًا نبينا محمد - صلىّ الله عليه وسلم- : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة/٦٧).

الهدف الرابع: إقامة الحجة وقطع العذر

فمن أهداف الدعوة إقامة الحجة على الخلق بالبراهين الدافعة التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وبالأدلة العقلية التي تدل على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم- وعلى ما جاء به من عند الله- سبحانه وتعالى- ، قال الله - عز وجل- : (رُسُلا

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (النساء : ١٦٥).

قال الحافظ ابن كثير: "أي أن الله تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعذرٍ عذر"[١].

الهدف الخامس: الإعذار إلى الله بأداء الأمانة

لما كانت الدعوة إلى الله واجبا وأمانة في عنق كل مسلم حمل علماً وأمكنه الله من نشره وإبلاغه كان ولابد أن يقوم المسلمون بأداء هذا الواجب وتخلية المسئولية أمام المولى تبارك وتعالى.

فقد قال الله تعالى عن الذين وعظوا إخوانهم من بنى إسرائيل حيث اعتدوا على حرمة السبت محتالين على شرع الله (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(١٦٣).

(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(الأعراف : ١٦٤)

الهدف السادس: إصلاح العباد والبلاد

قال الله - سبحانه وتعالى- عن شعيب أنه قال: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا

---

١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ / ٧٢٦.

أَنْهَـاكُمْ عَنْـهُ إِنْ أُرِيـدُ إِلا الإِصْـلاحَ مَـا اسْـتَطَعْتُ وَمَـا تَـوْفِيقِي إِلا بِاللَّـهِ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(هود : ٨٨)[١].

١ محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية١ / ٧٣.

المطلب الرابع

حكم الانتساب إلى السلفية :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

لاعيب على من أظهرمذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لايكون إلاحقا[1] .

وسئل العلامة ابن بازفيمن تسمى بالسلفي والأثري ، هل هي تزكية ؟ فأجاب : إذاكان صادقا أنه أثري أوأنه سلفي لابأس[2] .

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى :

كيف يكون التمذهب بالسلفية بدعة و البدعة ضلالة ، وكيف يكون بدعة وهواتباع السلف ، واتباع مذهبهم واجب بالكتاب والسنة وحق وهدى[3].

---

١ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ٤/ ١٤٩.

٢ عبد العزيز بن باز ، الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ، ص ١٧.

٣ د. صالح الفوزان ، البيان ، ص١١٦.

المطلب الخامس

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

كان للمنهج السلفي ورواده الأثر الكبير والدور العظيم في تجديد الدين وإعزاز الأمة الإسلامية، وتصحيح كثير من الانحرافات العقدية والتصورات الفكرية، ومن أبرز هؤلاء في الجزيرة العربية:

أولا- الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

فقد كان له أثر كبير على الدعوة الإسلامية حيث أظهر الحق إذ اندرست آثاره، وأخمد الشر بعد أن طار شرره، كما أثرت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية على سائر الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي في مواجهة المستعمر الغربي، والذي بات يشكل تهديدا حقيقيا وخطرا في بلاد الإسلام، ومن ثم ازدهرت الدعوة إلى العودة للأصول التي قامت عليها الحضارة الإسلامية من خلال الدعوة إلى نبذ البدع والخرافات التي أدت إلى حالة الجمود والتخلف[1].

وعندما سمع به الإمام محمد بن سعود رحمه الله قام إليه من فوره، وسار إليه فسلم عليه، ورحب به، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه

---

١ د. صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ١/ ٣٧ ، ٢/ ٢. سياسات السلفية الإحيائية الجديدة بقلم حسن أبو هنية.

د. محمد عمارة، خمسون عامًا على استشهاد حسن البنا، مشروع إسلامي للنهضة الحضارية، المجتمع ،الكويت، العدد، ١٣٣٧ ، ٢٣شوال ١٤١٩هـ، ٩ فبراير ١٩٩٩، ص ٢٢

يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة.

فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين؛ وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها؛ ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجدا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض؛ فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك وهكذا تم اللقاء التاريخي، وحصلت البيعة المباركة[1].

وكان الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعلن بالتوحيد ويدعو إليه، وينادي بإبطال دعاء غير الله، وينكر على من يمارسه جهارا إن لم يكف الإسرار، وينصح من عدل عن الحق بأسلوب سديد، ويزجر الناس عموماً عن الشرك والفساد، وجد واجتهد في تعليم الواجب، وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام، وإقامة سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكشف الشبه، ودحض المفتريات، وتحذير الناس إن داموا على ما هم فيه وقوع النقمة والعذاب، وكل ذلك قياما بأمانة العلم، رغبة فيما عند الله، وما أعده تعالى للقائمين بذلك، وخشية من الوقوع في الوعيد الوارد في

---

١ د.صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ١ / ١٢٦.

القرآن المجيد: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} البقرة: ١٥٩ [١].

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو الذي دعا إلى عقيدة السلف الصالح، وقام معه أنصاره بهذا الدين على حين غربة، فنشره الله في الآفاق، وبارك الله في جهوده وجهاده؛ فكل امرىء أخذ منه حظه وقسمه، وبعثت العمال لقبض الزكاة بعد أن كانوا يسمون قبل ذلك عند الناس مكاسا وعشارا، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت فتنا وقتالا، وعرف الصغير والكبير التوحيد بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص، واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها، وتعلمها الصغير والكبير والقارئ والأمي بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصائص، وانتفع بعلمه أهل الآفاق؛ لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه، فيقال لهم: يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر، ويقال لهم: إن أهل نجد يمقتونكم بذلك؛ فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه، وهدم المسلمون جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعمان والأحساء ونجد وغير ذلك.

وكان الشيخ هو المرجع في أمور الدين وما يتعلق به من الأمور الأخرى؛ فهو المرجع في شئون الإفتاء، وكان هو الذي يختار القضاة ويعينهم، كما كان

---

١ روضة ابن غنام (ج١/٢٨- ٢٩). د.صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ١ / ١٠٤. جزيرة العرب في القرن العشرين، تأليف حافظ وهبة (ص ٣٢٠).

يرسل المرشدين إلى المناطق المختلفة، ويبعث العلماء لمناقشة من يود أن يعرف ما كان يدعو إليه؛ كما طلب الشريف؛ فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين وغيره، وقد شرح لعلماء مكة حقيقة الدعوة، وللشيخ دور كبير في تدريس وتخريج كثير ممن أصبحوا قادة في ميادين العلوم الدينية المختلفة، وقاموا بأدوار إصلاحية هامة، وكان رحمه الله تعالى هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث السرايا، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه، والوفود إليه، والضيوف عنده، والداخل والخارج من عنده[1].

وما زال أثر عقيدة الشيخ يحمله العلماء والزعماء، وكلما مضى علماء وزعماء؛ ورثهم علماء وزعماء آخرون، حتى وصل إلينا عن طريق علمائنا وزعمائنا المعاصرين.

ثانيا- ومن العلماء المحققين المجاهدين ذوي العقول الكبيرة الذين اقتفوا منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب: صاحب السماحة، ذو العقل الراجح، الطود الثابت، والعالم الراسخ، الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، مفتي المملكة العربية السعودية، ورئيس قضاتها، ومرجع علمائها، ورئيس رابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية في زمانه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقد تخرج على يديه أفواج من العلماء كثيرون، شغلوا مناصب القضاء والتدريس والدعوة إلى الله والإرشاد والبحث العلمي، من أبرزهم:

١ابن بشر، عنوان المجد (١/ ٩٠)، والدرر السنية (٣١/١١) .صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ١/ ١٩٦.

١- الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز الذي كان نائبه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم أسندت إليه رئاسة الجامعة بعد وفاة شيخه ورئيسها، ثم أسند إليه منصب رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢- الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله، وكان آخر ما أسند إليه منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء، وقد قضى خمسين عاما من بعد وفاة عمه في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح والجهاد في سبيل الله والذب عن الإسلام بجد وحزم وصبر.

وكذلك من تخرج من الكليات الشرعية في جامعات المملكة وتلقى عقيدة السلف الصالح بالقبول والرضا والعمل.

ويخص بالذكر الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، والتي تحولت إلى جامعة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتعددت فروعها في أنحاء المملكة، خصوصا معاهدها العلمية؛ فقد كان لها أثر طيب في نشر عقيدة السلف الصالح[1].

ومن الذين تأثروا- من خارج الجزيرة العربية- إيجابيا بالسلفية:

١- الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مطبعة المنار بمصر، و "مجلة المنار" بمصر، فقبل الخير، وتجاوب مع الملك عبد العزيز رحمه الله في نشر مؤلفات وآثار علماء الدعوة، وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

---

١ د.صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ١/ ٢٧٩، ٢٦٧.

٢- الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ومطبعتهم.

فقد كان لهما دور في بث العقيدة السلفية، ونشر كتب عقيدة السلف الصالح، وبيان الحق، والرد على طوائف الصوفية المنحرفة عن السنة، وكان لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد الفقي نشاط خاص في هذا المجال، وله كتاب سماه "أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها" كتبه وتحدث به في نادي جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وهذا النادي يحضره كثير من المصريين وغيرهم، وقد نفع الله به، وطبع عام ١٣٥٤ هـ بمطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر.

٣- الشيخ أحمد محمد شاكر أبو الأشبال المحدث الأديب المحقق الفقيه درس العلوم الإسلامية وبرع في كثير منها تولى قضاء المنصورة ،وانتهت إليه رئاسة الحديث في عصره ونصرة مذهب السلف، وحقق جزءا كبيرا من المسند وله نظام الطلاق في الإسلام وحقق الرسالة للإمام الشافعي[1].

٤- الشيخ محمد خليل حسن هراس ،أحد علماء الأزهر الكبار والدعاة البارزين لمذهب السلف، ومن رموز أنصار السنة المحمدية بمصر.له العديد من الإسهامات في العلم والفقه ،رسالته في الدكتوراة :"ابن تيمية السلفي"، وشرح العقيدة الواسطية وشرح النونية لابن القيم.

ولا نغفل ذكر العلامة النواب أمير بهوبال صديق حسن خان، الذي أحيا بمصنفاته السنة، وانتشرت بسببه علومها، المولود سنة ١٢٤٨ هـ، ولما شبَّ،

---

١ أحمد شاكر ، كلمة الحق، مقدمة الشيخ عبد السلام هارون، ص: ٢.

تلقى العلم عن شيوخ جهابذة، كالشيخ أحمد ابن عبد الرحيم المدعو بشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والشيخ حسين بن محسن السبعي الأنصاري اليمني تلميذ الشريف محمد بن ناصر الحازمي تلميذ الإمام الشوكاني، والشيخ عبد الحق بن فضل الهندي تلميذ الإمام الشوكاني أيضا.

وهو الذي استدعى الشيخ بشير السهسواني صاحب كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" سنة ١٢٩٥ هـ من آكره إلى بهوبال، وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال، وكان معجبا بالإمام الشوكاني، ومحصلا لمؤلفاته.وله كتاب "الدين الخالص" في التوحيد والتحذير من ضده. وجرت من بعض مشايخ الدعوة له مكاتبات؛ كالشيخ حمد بن عتيق[١].

---

١ صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ١/ ٣٥٦. ترجمة صديق حسن خان في أول مؤلفه: "الدين الخالص" (ج ١، ص ز - ح). صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (٢٠، ٤٢٠ - ٤٢٢، وص ٤٢٣ - ٤٣١، وص ٤٦٤ - ٤٨٧). الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥ هـ

نتائج البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم وبعد ،

فقد توصلت من خلال بحثي إلى نتائج كثيرة من أهمها :

١- أن المقصود بمصطلح السلفية : ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم واعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد لهم بالإمامة وعرف عظم شانهم في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف.

٢- الأصول التي قامت عليها الدعوة السلفية :

توحيد الله تعالى وتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- المصادر الأساسية التي تعتمد عليها السلفية هي : القرآن الكريم والسنة الصحيحة والإجماع والقياس الصحيح.

٤- منهج السلفية يقوم على تقديم النصوص الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على العقل والذوق والوجد والعاطفة وأن العقل يوافق الشرع ولا يخالفه.

٥- أن خصائص الدعوة السلفية أنها ربانية تعتمد على أصلين أساسيين هما : التوحيد والإتباع ، وهذا ما يجعلها دعوة ربانية في الغاية والوجهة ، وربانية في المنهج والمصدر.

٦- أن الدعوة السلفية تتميز بالعموم والشمول واليسر ورفع الحرج.

٧- أن أهداف الدعوة السلفية هي تعبيد الناس لله عزّ وجل ، و البشارة والنذارة وإبلاغ الحق إلى الخلق وإقامة الحجة على الخلق وقطع العذر و الإعذار إلى الله بأداء الأمانة

وإصلاح العباد والبلاد .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المراجع:

١- لسان العرب، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

٢- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ ه تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي مركز الخدمات والأبحاث الثقافية الجزء الأول دار الجنان.

٣- أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ،المؤلف: مصطفى بن محمد بن مصطفى - مكتبة صيد الفوائد، ٢٠٠٣.

٤- السلفية: حقيقتها ومكانتها في الحركة الإسلامية المعاصرة ،المؤلف: محمد عبد الله الخطيب .

٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية.المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق.الطبعة: الثانية١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٦- الدعوة السلفية، المؤلف: محمود عبد الحميد العسقلاني.

٧- الجامع الصحيح، المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ) حسب ترقيم فتح الباري الناشر : دار الشعب – القاهرة.الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٨- السلفية قواعد وأصول، المؤلف: د. أحمد فريد.

٩- هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجا، المؤلف: محمد إبراهيم شقرة.

١٠- الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي دراسة وتحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١١- تفسير القرآن العظيم المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ)المحقق : محمود حسن الناشر : دار الفكر الطبعة : الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٢- مجموع فتاوى ابن تيمية ،المؤلف :أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام ،الإصدار الثاني دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٣- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، المؤلف فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن باز.

١٤- سياسات السلفية الإحيائية الجديدة المؤلف : حسن أبو هنية

١٥- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المؤلف: د. صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود.

١٦- خمسون عامًا على استشهاد حسن البنا، المؤلف: د. محمد عمارة، مشروع إسلامي للنهضة الحضارية، المجتمع ،الكويت، العدد، ١٣٣٧، ٢٣شوال ١٤١٩هـ، ٩ فبراير ١٩٩٩م.

١٧- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ،المؤلف: الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنام التميمي الأحسائي. - ١٢٢٥ هـ / ؟ - ١٨١٠م

١٨- جزيرة العرب في القرن العشرين ،المؤلف: حافظ وهبة.

١٩- عنوان المجد في تاريخ نجد ،المؤلف: عثمان بن عبدالله بن عثمان، ابن بشر ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣ م ، ط مكتبة الرياض الحديثة.عني بنشره محمد بن عبد العزيز بن ماني النحوي وسليمان الدخيل، بغداد، ١٣٢٨هـ - ١٩١١م.

٢٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف : علماء نجد الأعلام، المحقق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة : السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢١- الدين الخالص ،المؤلف: الشيخ صديق حسن خان.

٢٢- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، المؤلف: الشيخ العلامة محمد بشير السَّهسواني الهندي ١٢٥٢ ـ ١٣٢٦هـ. الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥ هـ

٢٣- العلاقة بين الأنظمة العربية والجماعات الجهادية السلفية، المؤلف: المعرفة شبكة الجزيرة ٢٦أبريل ٢٠٠٦م.

٢٤- السلفية في طريق النهضة. مشكلة أم حل؟ - إسلام أون لاين.

٢٥- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، ، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى ، مصر.

٢٦- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١هـ.

٢٧- البدع والنهي عنها ، المؤلف : محمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق: محمد أحمد دهمان دار النشر : دار الصفا ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

٢٨- مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ه.

٢٩- جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية بنجد. د.عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

٣٠- كلمة الحق للشيخ أحمد شاكر، تقديم الشيخ : عبد السلام هارون.



تأصيل مصطلح السلف والسلفية

إعداد

الدكتور محمد عبد الرزاق أسود

أستاذ الحديث الشريف وعلومه بكلية الآداب بجامعة الدمام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن العلماء المخلصين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الحديث عن تأصيل المصطلحات الإسلامية من الأمور المهمة في حياتنا المعاصرة ؛ لأنه عندما يتم تأصيل المصطلح الإسلامي الشرعي من حيث المدلول اللفظي في اللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والمضمون ، والمنهجية ، والتطور التاريخي ، وآراء علماء المسلمين في كل التخصصات العلمية الإسلامية ، في العقيدة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، عندئذ يظهر ذلك المصطلح إلى النور ، وينكشف عنه اللبس والغموض ، وتستفيد منه الأجيال على مر الأزمان.

خاصة وأن في عصرنا الذي نعيشه حرب مصطلحات في كل الأصعدة ، ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يفهم مضمون المصطلحات الإسلامية الشرعية حتى ينتفع بها انتفاعاً حقيقياً في حياته ، ولا يقع بالخطأ في الفكر والسلوك.

ومن هذا المنطلق جاء بحثنا في تأصيل مصطلح السلف والسلفية ، الذي اتبعت فيه المنهجية العلمية التي ذكرتها قبل قليل ، ومن خلال البحث وجدت بعض العلماء يتكلم في بحوث تمس هذا المصطلح ، ولكنه قد غابت عنه قضايا كثيرة يحتاج إليها في الحديث عن السلف والسلفية.

ويهدف هذا البحث إلى إزالة كل التصورات الخاطئة لمصطلح السلف والسلفية ، ليظهر بمظهره الحقيقي ، المتصل بالإسلام الصحيح ؛ كما أنزل على

رسول الله ﷺ، وفهمه من بعده سلفنا الصالح ﵃، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والمسلمون اليوم هم بحاجة إلى التمسك بالكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح، أكثر من أي وقت مضى، إن هم راموا الإصلاح، والنهضة، والسعادة في الدنيا والآخرة، وقد قال الإمام مالك: " ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وقد تكوّن البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المبحث الأول : تعريف السلف في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثاني: تعريف السلف عند علماء العقيدة والتفسير والحديث والفقه والمصطلحات المتصلة به.

المبحث الثالث: مفهوم السلف عند العلماء المعاصرين.

ختاماً أقول: اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا يداً تكتب سنة رسولك، ولا قدماً تمشي إلى خدمة دينك، آمين آمين، وصلى الله تعالى وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

تعريف السلف في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية

المطلب الأول: تعريف السلف في اللغة العربية:

يطلق السلف في اللغة على عدة معان، وهي ما يلي:

١- الآباء والأجداد والأقارب المتقدمون؛ فالسَلَف: الجماعة المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، أو كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، واحدهم سالف، ولفلان سَلَف كريم، إذا تقدم له كرم آباء، والجمع أسلاف وسُلوف، وقيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح.

٢- العمل الصالح؛ فالسَلَف: كل شيء يقدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه.

٣- التقديم؛ وسُلاّف القوم: متقدموهم في حرب أو سفر، والتَسْليفُ: التقديم، والسالِفُ والسليف: المتقدم، والسلوف: الناقة تكون في أوائل الإبل إذا وردت الماء.

٤- الماضي؛ ومنه: الأمم السالفة: الماضية، وتجمع سوالف.

٥- التتابع؛ ومنه: جاء القوم سُلْفة سُلْفة: إذا جاء بعضهم في إثر بعض، أي متتابعين.

٦- الجماعة، تقول: جاءني سَلَفٌ من الناسِ، أي جماعة.

٧- الانتساب للناس الصالحين ؛ مثل : عبد الرحمن بن عبد الله السَّلَفِيُّ المحدث ، وآخرين منسوبين إلى السَّلَف.

٨- القرابة عن طريق المصاهرة ؛ ومنه : سَلِفُ الرجل : المتزوج بأخت امرأته والقوم متسالفون ، إذا كانوا كذلك ، والسِّلْفانِ : رجلان تزوجا بأختين ، كل واحد منهما سِلْفٌ لصاحبه ، والمرأة سِلْفةٌ لصاحبتها : إذا تزوجت أختان بأخوين ، ويقال : بينهما أُسْلوفَةٌ : أي صهر ، وقد تسالفا.

٩- وصف خاص للنساء ؛ ومنه : المُسْلِف من النساء : التي قد بلغت خمساً وأربعين ، ونحوها ، وهو وصفٌ خُصَّ به الإناث.

١٠- مقدمة عنق الإنسان ؛ فالسالفة : أعلى العنق ومقدمته وصفحته ، والسالفتين ، هما صفحتا العنق ، هذه بحذاء هذه ،

١١- بعض شعر الرأس على الخد ؛ فقد أطلق السالفة على خصل الشعر المرسلة على الخد.

١٢- السرعة ؛ ومنه : والسلوف : السريع من الخيل.

١٣- السوي ؛ ومنه قولهم : أرض مَسْلُوفة ، أي مستوية ، إذا سويتها بالمسلفة ، وهي شيء تُسَوَّى به الأرض.

١٤- تحويل الأرض للزرع ؛ يقال : سَلَف الأرض ، يَسْلُفُهَا ، سَلْفاً : حولها للزرع ، وأسلفت الأرض للزرع : سويتها.

١٥- صورة من البيع ؛ فالسَلَف : نوعٌ من البيوع يعجل فيه الثمن ، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم ، وأصله من التقدم ، سمي بذلك لتقدم رأس المال فيه ، أو هو أن يعطي مالاً في سلعة

إلى أجل معلوم بزيادة في السعر الموجود عند السلف، وذلك منفعة للمسلف، ويقال له: سَلَم عند أهل الحجاز، وسلف عند أهل العراق.

١٦- القرض؛ ومنه: السلف بمعنى إقراض المال؛ أو القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر، وعلى المقترض رده كما أخذه، والعرب تسمي القرض سلفاً.

١٧- وعاء جلدي كبير؛ والسَّلْف: الجِراب، وجمعُه: سُلوف، أو هو أديم لم يحكم دبغه، وقالوا: بل جراب واسع، والجمع سُلوف، والسُّلْفةُ: جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف.

١٨- السهام الطويلة؛ فالسَّلُوف من نصال السهام: ما طال.

١٩- مقدمة الطعام والمدخر منه؛ فالسُّلْفَة: ما تدخره المرأة لتتحف به من زارها، يقال: سلِّفوا ضيفكم، أي أطعموه السِّلْفَة، وهو ما يتحف به الضيف قبل الغذاء.

٢٠- خلاصة العصير؛ فسُلافة الخمر: أول ما يخرج من عصيرها، أو أخلصها وأفضلها، أو السُلافُ: ما سال من عصير العنب قبل أن يُعْصَرَ، وقيل: السلافة أول كل شيء عصر، وقيل: هو أول ما يرفع من الزبيب، وقيل: السلاف من كل شيء خالصه.

٢١- قلة الشجر، يقال: أرض سَلِفَة، قليلة الشجر.

٢٢- الفحل؛ ومنه: السَّلَفُ بمعنى الفَحْلُ.

٢٣- الطير؛ فالسِّلْفان: ضرب من الطير، أو الفرخ، أو ولد الحجل، والواحد سُلَف.

٢٤- حي في بغداد: درب السِّلْفِيِّ، هو في ببغداد سكنه إسماعيل بن عباد السِّلْفِيّ المحدث، وغيره.

٢٥- مدينة في خوزستان؛ وهي سولاف.

٢٦- جلدة الختان؛ ويقال: إن القلفة وغرلة الصبي تسمى سلَفاً[١].

٢٧- قبيلة من القبائل؛ السُّلَفُ: بطن من ذي الكلاع، من حمير، وهو السُّلَفُ بنُ يَقْطُنَ، منهم: رافع بن عقيب السُّلَفِيُّ، وقيس ابن الحجاج السُّلَفِيُّ، وخالد بن معد يكرب.

٢٨- الموت.

٢٩- السلف: هم العلماء المتقدمون في الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباعهم، والخلف: المتأخرون عنهم والقائمون مقامهم في النظر والاجتهاد، ولذا أطلقت محدثات الأمور: على ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها[٢].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهري، مادة سلف، ولسان العرب: ابن منظور، مادة سلف، وجمهرة اللغة: محمد بن الحسن الأزدي، مادة سلف، والقاموس المحيط: الفيروزآبادي، مادة سلف، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة سلف، والمحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، مادة سلف، والغريب المصنف: أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي: ٤٤١، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، مادة سلف.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي: ٦٥/١، ٢١٢/٥، مادة سلف.

٣٠- السَلَفي: من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة، ويهدر ما سواهما[١].

٣١- السَلَفي: يقول السمعاني (ت: ٥٦٢هـ): "السَلَفي: بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذهبهم على ما سمعت"[٢]، وقال ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) عقب كلام السمعاني السابق: "وعرف به جماعة"[٣].

ونلاحظ أن مصطلح السلف ومشتقاته تدور استعمالاتها المتعددة في اللغة العربية حول الدلالة على الشيء الإيجابي؛ كالمتقدم من العمل الصالح، والناس، والحيوان، والطعام، والانتساب للناس الصالحين، والسرعة؛ والسوي، وتحويل الأرض للزرع، ونوع من البيوع، والقرض، والسهام الطويلة، وخلاصة العصير، أو المحايد؛ كالوصف لبعض الأشياء من الماضي، والتتابع، والجماعة، والقرابة عن طريق المصاهرة، والتي قد بلغت خمساً وأربعين من النساء، ومقدمة عنق الإنسان؛ وخصل الشعر المرسلة على الخد، ووعاء جلدي كبير؛ والفحل، ونوع من الطير، وحي في بغداد، ومدينة في خوزستان، وقبيلة من القبائل، أو الشيء السلبي وهو قليل؛ كقلة الشجر، وجلدة الختان، والموت.

---

(١) المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، مادة سلف.

(٢) الأنساب: ١٦٨/٧.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير: ١٢٦/٢.

المطلب الثاني: تعريف السلف في القرآن الكريم:

إذا نحن ذهبنا نتلمس معنى السلف في القرآن الكريم وجدنا أن السلف له ثلاثة معان وهي: الماضي، وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، والمتقدم من الناس، وهناك ثمان آيات تشير إلى هذه المعاني[(١)]:

١- قول الله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾[(٢)]، ومعنى الآية أن من جاءه التذكير والتخويف والوعيد بالعقاب على أكل الربا، ثم انتهى عن ذلك، وارتدع عن العمل به، وانزجر عنه، فله ما أكل وأخذ فمضى قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه في ذلك، وقال السدي: " أما الموعظة فالقرآن، وأما ما سلف؛ فله ما أكل من الربا"[(٣)]، وفي رواية أخرى عن السدي، وسعيد بن جبير: " فله ما سلف؛ ما كان أكل من الربا قبل التحريم"[(٤)]، وبعبارة أخرى: فله ما سلف، أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة[(٥)]، أو لا يسترد منه ما أخذه

---

(١) انظر: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د.مفرّح بن سليمان القوسي: ١٩- ٢٠، وتعريف الخلف بمنهج السلف: د.إبراهيم بن محمد البريكان: ١١- ١٢، وملامح رئيسية للمنهج السلفي: د.علاء بكر: ١١، وطريق الهداية: مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: د.محمد يسري: ٤٣، وتيارات الفكر الإسلامي: د.محمد عمارة: ١٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ٥/ ٤٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ١/ ٥٤٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: ٢/ ١٠٥.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ١١٦.

قبل النهي، أو أخذه من الربا في الجاهلية، وأمره بالعفو عنه، أو بالحكم فيه بالعدل، وإسقاط التبعة عنه يوم القيامة إلى الله تعالى[١].

٢- قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[٢]، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن، وعفا لهم عما كان سلف ومضى منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك؛ لم يؤاخذهم به إن هم اتقوا الله في إسلامهم وأطاعوه فيه، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وعطاء، والضحاك[٣].

٣- قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤]، ومعنى الآية: إلا ما قد سلف؛ أي ما قد مضى منكم فإن الله كان غفوراً لذنوب عباده إذا تابوا إليه منها، ورحيماً بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم، يخبر بذلك جل ثناؤه أنه غفور لمن كان جمع بين الأختين بنكاح في جاهليته وقبل تحريمه ذلك، إذا اتقى الله تعالى بعد تحريمه ذلك عليه فأطاعه باجتنابه، رحيم به وبغيره من

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبه الزحيلي: ٣/٨٤، ٨٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٢.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ٦/٥٤٨- ٥٥٣، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٢/٢١٤- ٢١٥، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: ٢/٤٦٩- ٤٧٠، والتفسير المنير: د.وهبه الزحيلي: ٤/٣١٠- ٣١١، ٣١٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٣.

أهل طاعته من خلقه[1] ، وأن فائدة الاستثناء في الآية ؛ أن العقود المتقدمة على الأختين لا تنفسخ ، ويكون للإنسان أن يختار إحداهما[2] .

٤- قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ ﴾[3] ، وتفسير الآية : عفا الله تعالى أيها المؤمنون عما سلف منكم في الماضي وهو معفو عنه ، وفيها قولان : أحدهما : ما سلف في الجاهلية ، من قتلهم الصيد ، وهم محرمون ، وهو قول أبي ذر ﷺ ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والثاني : ما سلف من قتل الصيد في أول مرة ، والأول أصح ، فعلى القول الأول يكون معنى قوله : ومن عاد في الإسلام ، وعلى الثاني : ومن عاد ثانية بعد أولى[4] .

٥- قول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾[5] ، وفي معنى الآية قولان : أحدهما : إن ينتهوا عن المحاربة وقتال

---

(١) انظر : جامع البيان : الطبري : ٥٦١/٦ ، وتفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ٢٢١/٢-٢٢٣ ، والدر المنثور : السيوطي : ٤٧٧/٢.

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي : ٣٩٠/١ ، والتفسير المنير : د.وهبه الزحيلي : ٣٢١/٤.

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٩٥.

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري : ٧١٢/٨- ٧١٦ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، وزاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي : ٥٨٧/١ ، وتفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ١٧٦/٣ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي : ١٩٥/٣ ، والتفسير المنير : د.وهبه الزحيلي : ٤٩/٧ ، ٥٦.

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٣٨.

النبي ﷺ ومعاداته بالدخول في الإسلام؛ يغفر لهم ما قد سلف من حربهم، فلا يؤاخذون به، والثاني: إن ينتهوا عن الكفر والذنوب والخطايا يغفر لهم ما قد مضى[1].

٦- قول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾[2]، وتفسير الآية: عند موقف الحساب يوم القيامة تتبع كل نفس بما قدمت وعملت في الدنيا التي مضت من خير أو شر، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه، والسدي، وقيل: تختبر، وهو قول مجاهد، وقيل: عملت، وهو قول الحسن البصري، وقيل: تعاين، وهو قول ابن زيد، وقيل: تخبر وتذوق وتعلم[3]، وقيل: تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازي بحسبه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[4].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ١١/١٧٦-١٧٧، وزاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي: ٢/٢١٠، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٤/٤٨، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: ٤/٦٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ٣٢١، التفسير المنير: د.وهبه الزحيلي: ٩/٣٢٠-٣٢١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٠.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ١٢/١٧٣-١٧٥، وزاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي: ٢/٣٢٨-٣٢٩، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٤/٢٣٢، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: ٤/٣٦٢، والتفسير المنير: د.وهبه الزحيلي: ١١/١٦٠.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ٣٦٢.

٧- قول الله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾[(١)]، المقصود بالسلف: المتقدم من الناس أمام القوم، ويحتمل أن يكون مراداً به الجماعة والواحد والذكر والأنثى، فيكون معنى الآية: فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر من الكفار وهم فرعون وقومه؛ مقدمة يتقدمون إلى النار، وقدوة لكفار قومك يا محمد ﷺ من قريش، وهم لهم بالأثر، وهو قول مجاهد، وقتادة، ومعمر[(٢)].

٨- قول الله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[(٣)]، أي بما قدمتم في دنياكم لآخرتكم من العمل بطاعة الله تعالى من العمل الصالح في أيام الدنيا التي خلت فمضت، وهو قول قتادة، وابن زيد[(٤)].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ٦١٨/٢٠- ٦٢٠، وزاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي: ٨١/٤، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٢١٣/٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: ٣٨٣/٧- ٣٨٤، والتفسير المنير: د.وهبه الزحيلي: ١٦٤/٢٥، ١٦٨.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٢٤.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ٢٣٤/٢٣- ٢٣٥، وزاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي: ٣٣٢/٤، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: ٢٧٢/٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ٨٨٣، والتفسير المنير: د.وهبه الزحيلي: ٢٩/ ٩٤- ٩٥.

المطلب الثالث: تعريف السلف في السنة النبوية:

جاء معنى السلف في الحديث على عدة معان، وهي ما يلي:

أولاً: جاء مصطلح السلف بمعنى الأجر والثواب: وهو ما رواه الحسن ﷺ أنه قال: " يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب، ويقول: اللهم اجعله لنا فَرَطاً، وسَلَفاً، وأجراً "[١]، قيل: هو من سلف المال، كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه[٢]، أو اجعله خيراً متقدماً[٣].

ثانياً: جاء مصطلح السلف بمعنى الماضي، وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان:

١- فقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرض موته للسيدة فاطمة رضي الله عنها: "...فاتقي الله واصبري، فإنه نِعْمَ السَّلَفُ أنا لك..."[٤]، فالسلف: الماضون، أي: نِعْمَ ما تقدَّم لك مني، لأن السلف: ما تقدَّم من الآباء والأجداد[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: (الجنائز)، باب: (قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة)، ٨٩/٢.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٣٩٠/٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣٣/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: (الاستئذان)، باب: (من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به)، واللفظ له، (الحديث: ٦٢٨٥)، ٦٤/٨، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب: (فضائل الصحابة ﷺ)، باب: (فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ)، (الحديث: ٢٤٥٠): ١٩٠٤/٤.

(٥) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: ابن الأثير الجزري: ١٢٩/٩، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٧/١٦.

٢- وما رواه حكيم بن حزام ﵁، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث[١] بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: " أسلمت على ما سَلَف من خير"[٢]، وظاهر الحديث: أن الخير الذي أسلفه كتب له، والتقدير أسلمت على قبول ما سلف لك من خير، وقيل: معناه ما تقدم لك من الخير الذي عملته هو لك، وأما من قال: إن الكافر لا يثاب؛ فحمل معنى الحديث على وجوه أخرى؛ منها: أن يكون المعنى أنك بفعلك ذلك اكتسبت طباعاً جميلة، فانتفعت بتلك الطباع في الإسلام، وتكون تلك العادة قد مهدت لك معونة على فعل الخير، أو أنك اكتسبت بذلك ثناء جميلاً فهو باق لك في الإسلام، أو أنك ببركة فعل الخير هديت إلى الإسلام؛ لأن المبادئ عنوان الغايات، أو أنك بتلك الأفعال رزقت الرزق الواسع، أو أراد أنك فعلت الخير، والخير يمدح فاعله ويجازى عليه في الدنيا[٣].

(١) بمعنى أتعبد وأقصد البر. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي: ٦٥/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: (الزكاة)، باب: (من تصدق في الشرك ثم أسلم)، (الحديث: ١٤٣٦)، ١١٤/٢، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب: (الإيمان)، باب: (بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده)، (الحديث: ١٢٣)، ١١٣/١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٠٢/٣.

٣- وما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه لما ماتت زينب رضي الله عنها، ابنة رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "الحقي بسَلَفِنَا الخير عثمان بن مظعون..."[١].

ثالثاً: جاء مصطلح السلف بمعنى إقراض المال، وهو المعنى الشائع في دوائر المال والتجارة:

١- فقد روى أبو رافع ﷺ، أن رسول الله ﷺ اسْتَسْلَفَ من رجل بكراً[٢]، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع ﷺ أن يقضي الرجل بكره، فرجع إليه أبو رافع ﷺ، فقال: لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً[٣]، فقال: "أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء"[٤]، أي استقرض، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض غير الأجر والشكر، وعلى المقترض رده كما أخذه، والعرب تسمي القرض سلفاً[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢١٢٧)، ٤/٣٠-٣١، واللفظ له، وقال الهيثمي: "رواه أحمد، وفيه علي بن زيد، وفيه كلام، وهو موثق". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: له، (الحديث: ٤٠٤٦)، ٣/١٧، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: معرفة الصحابة ﷺ، ذكر مناقب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ﷺ، (الحديث: ٤٨٦٩)، ٣/٢١٠، وسكت عنه هو والذهبي في تلخيصه.

(٢) البكر: الفتي من الإبل. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي: ٤/٣٢.

(٣) الرباعي: الجمل الذي تمت له ست سنين ودخل في السابعة. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي: ٤/٣٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب: المساقاة، باب: من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه، وخيركم أحسنكم قضاء، (الحديث: ١٦٠٠)، ٣/١٢٢٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢/٣٩٠.

٢- وما رواه السائب بن أبي السائب ﵁، أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح جاءه، فقال النبي ﷺ: " مرحباً بأخي وشريكي، كان لا يداري، ولا يماري، يا سائب، قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية، لا تقبل منك، وهي اليوم تقبل منك، وكان ذا سلف وصلة "[١].

رابعاً: ورد مفهوم السلف بمعنى السلم، وهو من أنواع البيوع، وهو بيع موصوف في الذمة ببدل يعطى عاجلاً[٢]:

١- كما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يُسلفون بالتمر السنتين والثلاث، فقال: " من أسلف في شيء، ففي كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم "[٣]، والسلف: هو أن يعطي مالاً في سلعة إلى أجل معلوم، بزيادة في السعر الموجود عند السلف، وذلك منفعة للمسلف، ويقال له سلم[٤]، [٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٥٠٥)، ٢٤/٢٦٣- ٢٦٤، واللفظ له، ورواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ٦٦١٨)، ٧/١٣٩، وقال الهيثمي: " رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: له، (الحديث: ٣٣٧)، ١/٩٤.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: ٢٥/١٩١.

(٣) رواه البخاري في كتاب: (السلم)، باب: (السلم في وزن معلوم)، (الحديث: ٢٢٤٠)، ٣/٨٥، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: (المساقاة)، باب: (السلم)، (الحديث: ١٦٠٤)، ٣/١٢٢٦.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢/٣٨٩- ٣٩٠.

(٥) تعريف الخلف بمنهج السلف: د.إبراهيم بن محمد البريكان: ١٢- ١٣، وملامح رئيسية للمنهج السلفي: د.علاء بكر: ١١.

٢- وما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يحل سَلَف وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربح ما لم تضمن، ولا بيع ما ليس عندك"(١)، والسلف والبيع هو مثل أن يقول: بعتك هذا العبد بألف على أن تسلفني ألفاً في متاع، أو على أن تقرضني ألفاً؛ لأنه إنما يقرضه ليحابيه في الثمن فيدخل في حد الجهالة؛ ولأن كل قرض جر منفعة فهو ربا، ولأن في العقد شرطاً ولا يصح(٢).

خامساً: وقد جاء السلف بمعنى اللين والنعومة والاستواء؛ فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: " أرض الجنة مسلوفة"(٣)، أي ملساء لينة ناعمة(٤)، وقيل: مستوية(٥).

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب: (البيوع)، باب: (في الرجل يبيع ما ليس عنده)، (الحديث: ٣٥٠٤)، ٢٨٣/٣، واللفظ له، وقال الألباني: " حسن صحيح". انظر: صحيح سنن أبي داود: له، ٣٧٤/٢، ورواه الترمذي في سننه في كتاب: (البيوع)، باب: (ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك)، (الحديث: ١٢٣٤)، ٥٢٧/٣- ٥٢٨، وقال: " وهذا حديث حسن صحيح"، ورواه النسائي في سننه في كتاب: (البيوع)، باب: (بيع ما ليس عند البائع)، (الحديث: ٤٦١١)، ٢٨٨/٧،

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٣٩٠/٢.

(٣) رواه أبو عبيد في غريب الحديث: له، ٣٥٥/٤، ورواه ابن الجوزي في غريب الحديث: له، ٤٩٣/١، كلاهما عن عبيد بن عمير، ورواه الخطابي في غريب الحديث: له، ٤٧٣/٢، ورواه الزمخشري في الفائق في غريب الحديث والأثر: له، ١٩٤/٢، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الأزهري الهروي في تهذيب اللغة: له، ٣٠٠/١٢، عن محمد بن الحنفية.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٣٩٠/٢، وقال: " هكذا أخرجه الخطابي، والزمخشري، عن ابن عباس، وأخرجه أبو عبيد، عن عبيد بن عمير الليثي، وأخرجه الأزهري، عن محمد بن الحنفية".

(٥) انظر: غريب الحديث: ابن الجوزي: ٤٩٣/١.

سادساً: ورد معنى السلف بصفحة العنق، كما روى المسور بن مخرمة ﵁، قال: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق...وفيه: فو الذي نفسي بيده؛ لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره..."[١]، فالسالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت، وقيل: أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي[٢].

سابعاً: جاء مصطلح السلف بمعنى الجراب الضخم، وهو الوعاء الجلدي، ويجمع على السلوف[٣]، كما روى عبد الله بن عامر بن ربيعة ﵁، عن أبيه، وكان بدرياً، قال: لقد كان رسول الله ﷺ يبعثنا في السرية يا بني، ما لنا زاد إلا السَّلْفُ من التمر، فيقسمه قبضة قبضة، حتى يصير إلى تمرة تمرة، قال: فقلت له: يا أبت، وما عسى أن تغني التمرة عنكم، قال: لا تقل ذلك يا بني، فبعد أن فقدناها فاختللنا[٤] إليها"[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (الحديث: ٢٧٣١)، ١٩٣/٣.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٣٩٠/٢.

(٣) انظر: غريب الحديث: الخطابي: ٣٦٢/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٣٩٠/٢.

(٤) أي احتجنا إليها فطلبناها، والخلة الحاجة. انظر: غريب الحديث: ابن الجوزي: ٣٠١/١.

(٥) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٦٩٢)، ٤٥٨/٢٤- ٤٥٩، ورواه البزار في مسنده، (الحديث: ٣٨٢٥)، ٢٧٥/٩، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط، (الحديث: ٣٦٩٧)، ٩٦/٤، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، (الحديث: ٧١٩٩)، ١٥٧/١٣، وقال الهيثمي: " رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير، والأوسط، وفيه المسعودي،

وبـذلك تلتقـي معـاجم اللغـة العربيـة ، والآيـات القرآنيـة ، والأحاديـث النبوية ، على أكثر من معنى ، يجمع أغلبها معنى المتقدم ، والسبق ، والماضـي ، وهو معنى أكده المعنى الاصطلاحي للسلفية كما سيأتي ، وإن افترق عنه في الاستخدام المحدث ، والإضافة التي تجعله لفظاً خاصاً بالدعوة ، لا مفردة لغوية عامة[1] .

وقد اختلط ، وكان ثقة". انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : له ، (الحديث : ١٨٢٦٤)، ١٠/ ٣٢٠، ورواه ابن كثير في جامع المسانيد والسُّنَن ، (الحديث : ٥٦٠٦)، ٤/ ٤٧٧- ٤٧٨ ، وقال : " تفرد به ، وإسناده جيد".

(١) انظر : الدعوة السلفية في دولة الكويت : واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ) : عبد الحميد بن خليفة الشايجي : ٥٨ ، والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية : دراسة نقدية : د.مفرّح بن سليمان القوسي : ٢١- ٢٢.

المبحث الثاني

تعريف السلف عند علماء العقيدة

والتفسير والحديث والفقه والمصطلحات المتصلة به

يكثر علماء المسلمين في كل التخصصات العلمية إطلاق مصطلح السلف، وهذا أكثر من أن يعد أو يحصى؛ والفائدة من ذلك هو إتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم، لأنهم قدوة وأسوة للمسلمين في كل زمان ومكان:

فكن على نهج سبيل السلـف   في مجمع عليه أو مختلف[1].

خير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثات البدائع[2].

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف[3].

ويكاد لا يخلو قرن من القرون الماضية من علماء تبنوا فكر وآراء السلف الصالح، ولذلك لا بد من التفرقة بين السلف الصالح الذين عاشوا في خيرية القرون الثلاثة الهجرية الأولى، ومن جاء بعدهم ممن أخذ منهجهم وطريقتهم وتأثر بهم؛ وسموا بعلماء السلف مجازاً، ولذلك نجد أن السلف الصالح لهم

---

(١) متن طيبة النشر في القراءات العشر: ابن الجزري: ٣٢.

(٢) التحف في مذاهب السلف: الشوكاني: ١٧.

(٣) انظر للتوسع: ماذا ينقمون من السلفية؟ شبهات مزعومة حول الدعوة السلفية والرد عليها: د.محمد موسى آل نصر: ٦٥، ومحدث العصر محمد ناصر الدين الألباني: سمير الزهيري: ٦٧، والمنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني: أ.عمرو عبد المنعم سليم: ١٧.

حضور في كل ميدان من ميادين العلم الشرعي، في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، ولهم أقوال وأعمال ترجمت فكرهم ومنهجهم.

المطلب الأول: المصطلحات المرتبطة بالسلف والسلفية:

هناك مصطلحات تلتقي مع مصطلح السلف؛ وهي من أسماء السلف الصالح، ومن جاء بعدهم على منهجهم:

١- أهل السنة والجماعة. ٢- أهل الحديث. ٣- الفرقة الناجية. ٤- الطائفة المنصورة[١]. ٥- السواد الأعظم. ٦- الغرباء[٢]. ٧- أهل الأثر. ٨- أهل الاتباع[٣]. ٩- أنصار السنة المحمدية[٤].

(١) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجيْن في العقيدة: جابر إدريس علي أمير: ١/٤١- ٤٤، وطريق الهداية: مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: د.محمد يسري: ٤٢، ٤٦، والدعوة السلفية في دولة الكويت: واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ): عبد الحميد بن خليفة الشايجي: ٦٤، والعقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية: د.سيد عبد العزيز السيلي: ٢٩- ٣٠.

(٢) انظر: تعريف الخلف بمنهج السلف: د.إبراهيم بن محمد البريكان: ١٩- ٢٥، ونواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف: د.محمد بن عبد الله الوهيبي: ١/١٥- ١٧.

(٣) انظر: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د.مفرّح بن سليمان القوسي: ٢٤- ٢٧.

(٤) انظر: التعليقات السنية شرح أصول الدعوة السلفية للألباني: عمرو عبد المنعم سليم: ١٣- ١٤، ١٨.

١٠- أما كتب الفرق، فغالبية أصحابها يعرفون السلف، وربما ذكروهم باسم الصفاتية، وسموا بهذا الاسم؛ لأنه لما كانت المعتزلة تنفي الصفات والسلف يثبتونها، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة[١].

١١- وفي عصرنا من لقّب ممن يتبع السلف بالوهابية، نسبة لمؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجدد منهج ومذهب السلف في القرن الثاني عشر الهجري في شبه الجزيرة العربية[٢].

المطلب الثاني: تعريف السلف عند علماء العقيدة:

يقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): " ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال، والأقوال، والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة؛ أن خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل"[٣]، ولا بد أن ننبه إلى أن هناك فرقة من متأخري الشيعة الإمامية الإخبارية، كانوا يعتقدون بأصول الإمامية ثم انحازوا عنهم بسبب الخلافات في حق الأئمة، وقد انتسبت إلى السلف زوراً، وأطلقت على نفسها اسم

---

(١) انظر للتوسع: الملل والنحل: الشهرستاني: ٣١/١، ٤٢- ٤٣، ٩٢- ٩٣، والسلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط: الطيب بن عمر بن الحسين: ٢٦.

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه: أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي: ٥٠.

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١٥٧/٤- ١٥٨.

السلفية ؛ وهم يعتقدون ظاهر ما وردت به الأخبار المتشابهة ، وأن ما أراد الله تعالى بالمتشابهات حق بلا شبهة كما عليه السلف ، وهي ملتحقة بالفرق الضالة[١] ، وقد تعددت آراء علماء العقيدة في المراد بالسلف ، وذلك بما يلي :

الرأي الأول : أن المراد بالسلف الصحابة ﷺ والتابعون : وهو رأي أبي الحسن الأشعري (ت : ٣٢٤هـ) فقال : "فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا محمد ﷺ ، وما روى عن السادة الصحابة ، والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل"[٢] ، وهذا ما ذكره بعض العلماء المعاصرين[٣] .

الرأي الثاني : أن المراد بالسلف الصحابة ﷺ ، والتابعون ، وأتباع التابعين : وفي تحديد مفهوم السلف قال الله تعالى عنهم : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ

---

(١) انظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي ، مادة الإمامية ، والملل والنحل : الشهرستاني : ١/١٦٥ .

(٢) انظر : الإبانة عن أصول الديانة : أبو الحسن الأشعري : ٢٠ ، وتذكير الخلف بوجوب اعتقاد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة : وليد بن راشد السعيدان : ١٧ .

(٣) انظر : تذكير الخلف بوجوب اعتقاد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة : وليد بن راشد السعيدان : ١٧ ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي : د.صالح بن عبد الله العبود : ١٥٩- ١٦٠ .

﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]، فهم اسم يجمع الصحابة ﵃، فمن بعدهم ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولقد اعتصم أهل السنة والجماعة بحجية فهم السلف الصالح من الصحابة ﵃، والتابعين، وتابعيهم، فعصمهم هذا من التفرق والضلال، فقالوا بما قال به السلف، وسكتوا عما سكتوا عنه، ووسعهم ما وسع السلف، ولذلك فالسلف في اصطلاح علماء العقيدة هم الصحابة ﵃، والتابعون لهم بإحسان، وتابعوهم[2].

الرأي الثالث: أن المراد بالسلف الصحابة ﵃، والتابعون، وأتباع التابعين، وأتباع تابعي التابعين: وهم أئمة أهل القرون الثلاثة الأولى

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: ابن بَطَّة العكبري: ٢١٣/١، ٢١٥، وشرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث: لأبي عثمان الصابوني، د.خالد بن علي المشيقح: ٩- ١٠، والتحف في مذاهب السلف: الشوكاني: ١٧- ٢٠، وتعريف الخلف بمنهج السلف: د.إبراهيم بن محمد البريكان: ١٣- ١٥، وطريق الهداية: مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: د.محمد يسري: ٤٤- ٤٦، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٣، ٥١٢، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف: عبد الله بن محمد شيخ خادم: ١٩٤- ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٣، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: د.عبد العزيز بن صالح الطويان: ١٢/١، وجهود الشيخ عبد الرحمن الدوسري في توضيح عقيدة السلف والدفاع عنها: يحيى بن محمد سير مباركي: ٧، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية: أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي: ١٦/١، والشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه: أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي: ٤٠- ٤١، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات: محمد بن عبد الرحمن المغراوي: ١٣.

الهجرية ، فقد قال ابن تيمية : " ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا ، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول ﷺ لم نقبله ، وهذه عقيدة محمد ﷺ وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ حيث قال : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم...)[1] ، يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك وعلي أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته ؛ من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، والأشعرية ، وأهل الحديث ، والصوفية ، وغيرهم "[2] ، ثم تكلم ابن تيمية صراحة عن إلحاق تابعي التابعين ، وأتباع تابعي التابعين ، في السلف عند حديثه عن مسألة خلق القرآن فقال : " وكلام الأئمة من أشد الكلام كأحمد بن حنبل ، ومن قبله من أئمة المسلمين من الصحابة ﷺ ، والتابعين لهم بإحسان ، وسائر الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق ؛ مثل : سعيد بن المسيب ، وعلي بن الحسين ، وعلقمة ، والأسود ، والحسن البصري ، وابن سيرين ، وغيرهم من التابعين ، ومثل : مالك ، والثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وأبي

---

(١) رواه البخاري في كتاب : (فضائل الصحابة ﷺ) ، باب : (فضائل أصحاب النبي ﷺ) ، (الحديث : ٣٦٥١) ، ٣/٥ ، واللفظ له ، ورواه مسلم في كتاب : (فضائل الصحابة ﷺ) ، باب : (فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ، (الحديث : ٢٥٣٣) ، ١٩٦٢/٤ .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ١٦٩/٣ .

حنيفة، وابن أبي ليلى، وشريك، وأمثالهم من تابعي التابعين، ومثل: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد، وأمثالهم من أتباع تابعي التابعين، وهم أئمة أهل القرون الثلاثة الذين دخلوا في ثناء النبي ﷺ حيث قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...)"[١]، وهذا ما أيده بعض العلماء المعاصرين[٢].

الرأي الرابع: أن المراد بالسلف من عاش في القرون الخمسة الهجرية الأولى: وهذا رأي بعض الأشاعرة، وبعض العلماء، وهذا القول بعد البحث والتنقيب لم أقف له على دليل يتعضد به[٣].

المطلب الثالث: تعريف السلف عند علماء التفسير وعلومه:

قيل: التفسير: " ما لم يرد فيه من السلف إلا وجه واحد، والتأويل ما ورد فيه وجوه كثيرة"[٤]، وقد كان النزاع بين الصحابة ﷺ في تفسير القرآن الكريم قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة ﷺ فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع

---

(١) المصدر السابق: ١٢/٢١٢.

(٢) انظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية: د.مصطفى حلمي: ٣، والإمام أبو بكر الباقلاني وآراؤه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف: جودي صلاح الدين النتشة: المقدمة، ب، ج.

(٣) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة: د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ٧٣، والدعوة السلفية في دولة الكويت: واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ): عبد الحميد بن خليفة الشايجي: ٥٩، والسلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط: الطيب بن عمر بن الحسين: ٢٣، والإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف: أحمد العوايشة: ٢٣٩.

(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: السيوطي: ٣٩.

والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر، والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد[1]، وقد قال ابن تيمية: " وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة ﷺ والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً، بل مبتدعاً... وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ"[2]، وبعض العلماء المعاصرين تبنى موقف ابن تيمية وأضاف عليه تابعي التابعين[3].

وقد تعددت آراء علماء التفسير وعلومه في المراد بالسلف، وذلك بما يلي:

الرأي الأول: أن المراد بالسلف الصحابة ﷺ، والتابعون: وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء القدامى، وهو المفهوم من كلام الطحاوي (ت: ٣٢١هـ) إذ يقول: " وما دل عليه مما روي عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين المهديين، ومن سواهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وتابعيهم بإحسان رضوان الله عليهم"[4]، وقال النووي (ت: ٦٧٦هـ،) في معرض كلامه عن استحباب تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم: " أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة ﷺ، والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية: ١١، وشرح مقدمة التفسير: لابن تيمية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ١٥١، ومباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان: ٣٥٩، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: د.محمد أبو شهبة: ١١٧.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١٣/٣٦١- ٣٦٢.

(٣) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: د.محمد أبو شهبة: ١١٥- ١١٦.

(٤) أحكام القرآن الكريم: الطحاوي: ١/٦٥.

أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن"[١]، وكذلك قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): " فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنة، ثم انظر ما قاله الصحابة ﷺ، والتابعون، وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكموه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بعلم"[٢]، وقال ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) في معرض كلامه عن أهمية علم التفسير: " وكان السلف صحابة ﷺ، وتابعين، أحرص الناس على تحصيل علمه، والاستنارة بفهمه، والترغيب بالوقوف على معانيه، والتنفير من الجهل بمراميه"[٣]، وهذا ما أكده بعض العلماء المعاصرين؛ أمثال: الشيخ محمد علي السايس[٤]، والشيخ محمد علي الصابوني[٥]، والدكتور فهد الرومي[٦]، والدكتور عبد القيوم السندي[٧]، وغيرهم[٨].

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: النووي: ١٠٩.

(٢) مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي، الألباني: ٨٠.

(٣) العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر العسقلاني: ١/ ٨.

(٤) انظر: تفسير آيات الأحكام: محمد علي السايس: ١٩٦.

(٥) انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني: ٢/ ٣٨٤.

(٦) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ١/٨٦- ٨٩.

(٧) انظر: صفحات في علوم القراءات: د.عبد القيوم عبد الغفور السندي: ٢٤، ٢٦٩.

(٨) شرح مقدمة التفسير: لابن تيمية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ٣٠، وحاشية مقدمة التفسير: عبد الرحمن بن محمد القحطاني النجدي: ٢٠، ودراسات في علوم القرآن: د.محمد بكر إسماعيل: ١٩٤، ٢٠٠، والتفسير والمفسرون: د.محمد الذهبي: ١/١٦١، ١٨٦، ٢١٣، ٢٧٣، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق خان القنوجي: ٧٣.

الـرأي الثـاني : أن المـراد بالـسلف الـصحابة ﭫ، والتـابعون، وأتبـاع التابعين : وقد تشكَّل تفسير السلف، وتحدَّد في طبقاتِه الثلاثِ؛ الصحابة ﭫ، والتابعين، وأتباع التابعين، وصار التفسير المأثور عن السلف مصدراً يجب الرجوع إليه، والاعتماد عليه، وقد كان لهؤلاء السلف اجتهاد واضح في التفسير، وكانوا أصحاب آراء فيه، فمثلاً من المفسرين من جيل الصحابة ﭫ: ابن عباس رضي الله عنهما، (ت: ٦٨)، ومن المفسرين من جيل التابعين: زيد بن أسلم، (ت: ١٣٦)، ومن المفسرين في جيل أتباع التابعين: يحيى بن سلام البصري، (ت: ٢٠٠)، وغيرهم[(١)].

الرأي الثالث: أن المراد بالسلف الصحابة ﭫ، والتابعون، ومن يليهم: وهو المفهوم من كلام الباقلاني (ت: ٤٠٣) عندما قال: " ويوضح ذلك أيضاً ويكشفه أن قوماً من التابعين ومن بعدهم من السلف قد استجازوا كتب التعشير وخاتمة سورة كذا وعدد آياتها كذا وكذا..."[(٢)]، وهذا ما قاله بعض

---

(١) انظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: د.مساعد بن سليمان الطَّيَّار: ٢٨، ٤٩، ٢٠٧، ٢١٠- ٢١١، وتصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي: د.مساعد بن سليمان الطَّيَّار: ٨٠- ٨١، ونواسخ القرآن: ابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري: ٢١، ومن معالم التيسير في تفسير السلف: د.عيسى بن ناصر الدريني: ١٦٥.

(٢) الانتصار للقرآن: أبو بكر الباقلاني: ١/ ٢١٢.

العلماء المعاصرين؛ أمثال: د.مناع القطان[1]، ود.محمد الذهبي[2]، ود.فهد الرومي[3]، ود.شايع الأسمري[4]، ولم يبينوا من هم الذين يلون التابعين.

المطلب الرابع: تعريف السلف عند علماء الحديث:

ورد لفظ السلف في كتب علماء الحديث في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وغيرها، ولكنهم قاموا بتحديد من هم السلف؛ من خلال تفسيراتهم وتأويلاتهم للحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " خير الناس قرني؛ ثم الذين يلونهم؛ ثم الذين يلونهم؛ ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"[5]، وذلك على النحو التالي:

أولاً: اقتضى هذا الحديث أن يكون الصحابة ﷺ أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ اختلف علماء الحديث في ذلك على رأيين:

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان: ٣٩٥.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: د.محمد الذهبي: ١/ ١٧٥.

(٣) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ٢/ ٥٦٠.

(٤) انظر: مع الإمام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره: د.شايع بن عبده بن شايع الأسمري: ٧٥.

(٥) رواه البخاري في كتاب: (فضائل الصحابة ﷺ)، باب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ)، (الحديث: ٣٦٥١)، ٣/ ٥، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: (فضائل الصحابة ﷺ)، باب: (فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، (الحديث: ٢٥٣٣)، ٤/ ١٩٦٢.

الأول: أن المقصود بأفضلية الصحابة ﭫ هو مجموعهم، وليس أفرادهم، فالقرن في الحديث يعني الأمة؛ وهذا التأويل جائز في لغة العرب معروف في لسانها؛ لأن الأمة تسمى عندهم قرناً، والأمم قروناً، وأن الحديث ليس على عمومه، وأنه خرج عن ذلك، ومعناه الخصوص بالدلائل الواضحة في أن قرنه فيه الكفار والفجار، كما كان فيه الأخيار والأشرار، وكان فيه المنافقون والفساق والزناة والسراق، كما كان فيه الصدّيقون والشهداء والفضلاء والعلماء، فالمعنى على هذا كله أن قوله ﷺ: " خير الناس قرني"، أي خير الناس في قرني؛ كما قال الله تعالى: چ ٱ ب ب ٻچ[1]، أي في أشهر معلومات، فيكون خير الناس في قرنه أهل بدر، والحديبية، ومن شهد لهم بالجنة خير الناس إن شاء الله، ويعضد هذا التأويل ما رواه عبد الله بن بسر ﭬ، أن أعرابياً قال: يا رسول الله، من خير الناس؟ قال: " من طال عمره، وحسن عمله"[2]، عد من سبق له من الله تعالى الحسنى، وأصحابه ﭫ[3]، وإنما صار الصحابة ﭫ خير القرون؛ لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب: (الزهد)، باب: (ما جاء في طول العمر للمؤمن)، (الحديث: ٢٣٢٩)، ٥٦٥/٤، وقال: " وفي الباب عن أبي هريرة ﭬ، وجابر ﭬ؛ هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، والحديث صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي: الألباني: ٥٣٦/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٧٦٩٨)، ٢٤٠/٢٩- ٢٤١، وقال الأرناؤوط في هامشه: " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عمرو بن قيس، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة".

(٣) انظر: الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار: ابن عبد البر القرطبي: ١٠٥/١، ١٨٩- ١٩٠.

النبي ﷺ حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام، وقد قيل: إن قرنه ﷺ إنما فضل؛ لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، وإن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين وتمسكوا به، وصبروا على طاعة ربهم عند ظهور الشر والفسق والهرج والمعاصي والكبائر، كانوا عند ذلك أيضاً غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمن كما زكت أعمال أوائلهم، وهو رأي ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)(١)، وذكره النووي، وقال القاضي: " وقد ذهب إلى هذا أيضاً غيره من المتكلمين على المعاني"(٢)، فالمراد بقوله ﷺ: " خير الناس قرني"، الخصوص في قوم منهم لا جميعهم، ومعلوم أن قرنه ﷺ كان منهم أبو جهل ومسيلمة وأضرابهما(٣)، ومن خلال هذا الكلام الذي سبق نستنبط تقييد لفظ السلف بكلمة الصالح، حتى يستقيم الكلام، فإذا ذكرنا السلف فلا بد أن يكون المقصود بهم السلف الصالح.

الثاني: أن من صحب النبي ﷺ ورآه مرة من عمره، وحصلت له مزية الصحبة، أفضل من كل من يأتي بعد، فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، وقد ذهب إلى هذا الرأي معظم العلماء، واحتجوا بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: " لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم، ولا

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر القرطبي: ٢٠/٢٥١- ٢٥٢.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٣/١٣٨- ١٣٩.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٦/٢٦١.

نصيفه"[1]، واتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ؛ والمراد أصحابه ﷺ، وأن الصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه ﷺ، وقوله ﷺ: " خير الناس" على عمومها، والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا أفراد النساء على مريم وآسية رضي الله عنهما، وغيرهما؛ بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته[2]، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ، أو في زمانه بأمره، أو أنفق شيئاً من ماله بسببه، أو اتفق له الذب عنه، والسبق إليه بالهجرة أو النصرة، وضبط الشرع المتلقي عنه، وتبليغه لمن بعده، لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة، والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[3]، وكذلك فإن الفوز بمشاهدة النبي ﷺ، فيها زيادة فضيلة المشاهدة، والتي لا يعادل أحد من الناس الصحابة ﷺ فيها[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذا خليلاً"، (الحديث: ٣٦٧٣)، ٨/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: تحريم سب الصحابة ﷺ، (الحديث: ٢٥٤١)، ١٩٦٧/٤.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٣٩/٣، ٨٤/١٦- ٨٥.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٤) انظر للتوسع: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٦/٧- ٧.

ثانياً: اختلف علماء الحديث في المراد بالقرن الذي جاء في الحديث على أقوال متعددة:

١- قال المغيرة: قرنه أصحابه ﷺ، والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث: أبناء أبنائهم.

٢- وقال شهر: قرنه ما بقيت عين رأت النبي ﷺ، والثاني: ما بقيت عين رأت من رأته ﷺ، ثم كذلك.

٣- وقيل: القرن كل طبقة مقترنين في وقت.

٤- وقيل: هو لأهل مدة بعث فيها نبي طالت مدته أم قصرت.

٥- وقيل: القرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، وهو ترجيح الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)[١]، وبدر الدين العيني[٢].

٦- وقيل: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمع الناس في زمن نبي، أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل.

٧- وقيل: القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد، بمعنى أهل كل عصر يحدثون بعد فناء آخرين، وهو من ترجيح الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)[٣]، والقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)[٤].

٨- وقال ابن الأعرابي: هو الوقت من الزمان.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة قرن.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العيني: ١٦/١٧٠.

(٣) غريب الحديث: الخطابي: ٢/٢٩٦.

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض السبتي: ٢/١٧٩.

٩- وقيل: قد يسمى أهل العصر قرناً؛ لاقترانهم في الوجود.

١٠- وقيل: القرن، الأمة تأتى بعد الأمة، ورجحه ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ)[١]، والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)[٢]، وابن منظور (ت: ٧١١هـ)[٣].

١١- وقيل: هو مطلق من الزمان.

١٢- وقيل: مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على قدر أعمارهم، واشتقاقه من الاقتران، فهو المقدار الذي يقترن فيه بقاء أهل ذلك الزمان في الأغلب، في أعمارهم وأحوالهم، فمثلاً: القرن في قوم نوح عليه السلام: على مقدار أعمارهم، وفي قوم موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، وعاد، وثمود؛ على قدر أعمارهم، وهذا الرأي هو ترجيح ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ)[٤]، وابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)[٥]، وابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)[٦]، وابن منظور (ت: ٧١١هـ)[٧].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، مادة قرن.

(٢) الفائق في غريب الحديث والأثر: الزمخشري: ١٧٢/٣.

(٣) لسان العرب: ابن منظور، مادة قرن.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، مادة قرن.

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي: ٦٥/٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٥١/٤.

(٧) لسان العرب: ابن منظور، مادة قرن.

١٣- والصحيح الراجح: أن قرنه ﷺ الصحابة رضي الله عنهم، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم، وهذا الرأي هو ترجيح النووي (ت: ٦٧٦هـ)[١].

ثالثاً: يطلق القرن على مدة من الزمان، واختلف علماء الحديث في تحديدها ما بين عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، على النحو التالي:

١- قال الحسن وغيره: عشر سنين.

٢- وقيل: مدته عشرون سنة.

٣- والأكثرون على أنه ثلاثون سنة، وهو ترجيح بدر الدين العيني.

٤- وقال النخعي وابن الأعرابي: أربعون سنة.

٥- وقيل: مدته خمسون سنة.

٦- وقيل: مدته ستون سنة.

٧- وقال قتادة: سبعون سنة، وقد رجحه ابن الأعرابي، حيث إنه هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن، وهو أعدل الأقوال.

٨- وقيل: ثمانون سنة، ورجحه الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)[٢].

٩- وقال عبد الملك بن عمير: مائة سنة، فقد روى عبد الله بن بسر رضي الله عنه، قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، فقال: " هذا

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٣٩/٣، ٨٤/١٦-٨٥، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥/٧.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة قرن.

الغلام يعيش قرناً، قال: فعاش مائة سنة"[١]، وهذا الحديث يدل على أن القرن مائة، وهو المشهور، قال أبو العباس: وهو الاختيار لما تقدم من الحديث، ورجحه ابن حجر العسقلاني.

١٠- وقال زرارة بن أبي أوفى: مائة وعشرون.

١١- وقيل: ليس منه شيء واضح[٢].

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر إبراهيم النبي ﷺ خليل الله عز وجل وبينه وبين نوح هود وصالح صلوات الله عليهما، (الحديث: ٤٠١٦)، ٥٩٩/٢، وسكت عنه الحاكم والذهبي في تلخيصه، واللفظ له، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٧٦٨٩)، ٢٣٥/٢٩، وقال الأرناؤوط في هامشه: " إسناده حسن من أجل الحسن بن أيوب الحضرمي"، ورواه الطبراني في مسند الشاميين، (الحديث: ٨٣٦)، ١٧/٢، وقال الهيثمي: " رواه الطبراني، والبزار، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة، وقال أيضاً: رواه الطبراني، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: له، (الحديث: ١٦١١٩- ١٦١٢٠)، ٤٠٤/٩- ٤٠٥، وقال الألباني: " إسناد لا بأس به في الشواهد". انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: له، (الحديث: ٢٦٦٠)، ٣٤٣/٦- ٣٤٧.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٨٥/١٦، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥/٧، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العيني: ١٧٠/١٦، الفائق في غريب الحديث والأثر: الزمخشري: ١٧٢/٣، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٥١/٤، المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، مادة قرن، لسان العرب: ابن منظور، مادة قرن، تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، مادة قرن.

رابعاً: وأما ضبط زمان الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وتابعيهم، فهو كما يلي:

١- بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم: فقد ضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة رضي الله عنهم، وهو على الإطلاق؛ أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه، كما جزم به مسلم، وكان موته سنة (١٠٠هـ)، وقيل: سنة (١٠٧هـ)، وقيل: سنة (١١٠هـ)، وهناك رواية أخرى للحديث رواها عمران بن حصين رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بهذا الحديث: "خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم..."[1]، وقد ظهر أن الذي بين بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وآخر من مات من الصحابة رضي الله عنهم (١٢٠) سنة أو دونها أو فوقها بقليل، على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل رضي الله عنه، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيكون (١٠٠)، أو (٩٠)، أو (٩٧) سنة.

٢- وأما قرن التابعين: فإن اعتبر من سنة (١٠٠هـ) كان نحو (٧٠)، أو (٨٠) سنة.

٣- وأما الذين هم أتباع التابعين: فإن اعتبر منها، كان نحواً من (٥٠) سنة، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان، وأن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله، من عاش إلى حدود (٢٢٠هـ)، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: فضل الصحابة رضي الله عنهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، (الحديث: ٢٥٣٥)، ٤/١٩٦٥.

شديداً ، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن[1] ، ولما كان أهل الخير نادراً في القرن الرابع ، اقتصر على القرون الثلاثة في أكثر الروايات لكثرة أهل العلم والصلاح فيهم ، وقلة السفه والفساد منهم[2].

المطلب الخامس: تعريف السلف عند علماء الفقه:

السلف له دلالتان عند علماء الفقه ؛ إحداهما : أنهم الصحابة ﷺ ، والتابعون ، وتابعو التابعين ، والثالثة : خاصة بالمذهب الحنفي كما سنرى.

أولاً : تعريف السلف عند الحنفية :

١- السلف : من أبي حنيفة (ت : ١٥٠هـ) ؛ إلى محمد بن الحسن الشيباني (ت : ١٨٩ه) ، والخلف : من محمد بن الحسن الشيباني إلى شمس الأئمة الحَلْواني (ت : ٤٤٨هـ) ، والمتأخرون : من شمس الأئمة الحَلْواني إلى عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت : ٧٣٠هـ) ، والمتقدمون هم أبو حنيفة وتلامذته بلا واسطة ، والمتأخرون هم الذين بعدهم من المجتهدين في المذهب ، وقد يطلق المتقدمون على المتأخرين.

٢- وقال بعضهم : السلف شرعاً : " كل من يقلد ويقتفى أثره في الدين كأبي حنيفة وأصحابه ، فإنهم سلفنا ، والصحابة ﷺ فإنهم سلفهم ، وفيه أن أبا حنيفة من أجلاء التابعين"[3] ، فهذا يعني أن السلف هم الصحابة ﷺ والتابعون وتابعو التابعين.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني : ٥/٧- ٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ملا علي القاري : ٣٨٧٧/٩- ٣٨٧٨.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء الحنفي : ٥١١ ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي ، مادة سلف ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً : د.سعدي أبو حبيب : ١٨٠.

ثانياً: تعريف السلف عند المالكية:

١- أن السلف هم الصحابة ﷺ: يقول عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني، المالكي، (ت: ٣٨٦هـ): " إن خير القرون؛ القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ، وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة ﷺ؛ الخلفاء الراشدون المهديون، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وألا يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب، والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم، وعلمائهم، وإتباع السلف الصالح، واقتفاء آثارهم"[(١)]، وأن المقصود بالسلف الصالح هم الصحابة ﷺ، واتباعهم في أقوالهم وأفعالهم؛ سواء تلقوها منه ﷺ، أو كانت باستنباط واجتهاد منهم[(٢)]، وقد أيد بعض العلماء المعاصرين هذا الرأي[(٣)].

(١) متن الرسالة: عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني، المالكي: ٩، ١٦٩.

(٢) الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: صالح عبد السميع الآبي الأزهري: ٢١، الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني: محمد أحمد الدّاه الشنقيطي: ١/٤٤، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات: محمد بن عبد الرحمن المغراوي: ١١- ١٢، وسطية أهل السنة بين الفرق: د.محمد با كريم محمد با عبد الله: ٩٧.

(٣) رؤية الله بين السلف والاعتزال: مريم عبد الرحمن زامل: ٤- ٥.

٢- أن السلف هم الصحابة ﷺ، والتابعون: وبه أخذ أكثر علماء المذهب المالكي[١].

ثالثاً: تعريف السلف عند الشافعية:

هم أوائل هذه الأمة[٢]، وهم الصحابة ﷺ، والتابعون[٣].

رابعاً: تعريف السلف عند الحنابلة:

١- أن السلف هم الصحابة ﷺ، والتابعون، وتابعوهم[٤].

٢- أن السلف هم الصحابة ﷺ، والتابعون[٥].

---

(١) المقدمات الممهدات: ابن رشد القرطبي: ١/٧٨، ٢/٢٩، ٣١.

(٢) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: د.سعدي أبو حبيب: ١٨٠.

(٣) البيان في مذهب الإمام الشافعي: يحيى بن أبي الخير العمراني: ٢/٣٨٠، المجموع شرح المهذب: النووي: ١/٥.

(٤) فضل علم السلف على الخلف: ابن رجب الحنبلي: ٢٨- ٢٩.

(٥) المغني: ابن قدامة المقدسي الحنبلي: ١/٣٥٩، ٤/٢٠٧، ٢٣٥.

المبحث الثالث

مفهوم السلف عند العلماء المعاصرين

أن مصطلح السلف والسلفية قد أثار الجدل والنقاش بين الكتاب والباحثين من المسلمين المثقفين في حياتنا الفكرية الدينية الحاضرة، وفهم هذا المصطلح بحسب تصور عقولهم وثقافتهم، ولهذا تباين تعريف السلف والسلفية بين علماء لديهم.

المطلب الأول: مفهوم السلف عند العلماء المعاصرين من الفكر السلفي:

الجديد لدى المعاصرين من علماء الفكر السلفي تقسيم مصطلح السلفية بالاعتبارات التالية، وهي متضمنة فيما جاء عن السلف وإن لم ترد بهذا التقسيم المعاصر، وإن تحديد مضمون مصطلح السلف والسلفية يدور حول أحد المعاني الخمسة التالية:

أولاً: السلفية الزمانية: وتطلق على المجموعة المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة، وقد انقسم العلماء المعاصرون في تحديد الزمن الذي عاش فيه السلف إلى ستة آراء:

الرأي الأول: السلف: هم الذين عاشوا في القرن الأول من الهجرة: وهم الصحابة ﷺ، فقد عاشوا زمن الرسول ﷺ، وقد نقله الدكتور جمال سيد أحمد محمد شلبي[1]، والشيخ جابر إدريس علي أمير[2].

---

(١) انظر: الاتجاه السلفي بين النص والعقل: د.جمال سيد أحمد محمد شلبي: ١/١٣٠.

(٢) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجيْن في العقيدة: جابر إدريس علي أمير: ١/٣٦.

الرأي الثاني: السلف: هم الذين عاشوا في القرن الأول والثاني من الهجرة: وهم الصحابة ﷺ، والتابعون، وهو رأي الدكتور أحمد بن محمد الخراط[1].

الرأي الثالث: السلف: هم الذين عاشوا في القرن الأول والثاني وجزء من القرن الثالث من الهجرة: وأن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله، من عاش إلى حدود (٢٢٠هـ)، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً[2].

الرأي الرابع: السلف: الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة: وتضم الصحابة ﷺ، والتابعين، وتابعي التابعين، ومتقدمي الأئمة المجتهدين المقبولين، وأما مستند تفضيل هذه الفترة من القرون الثلاثة الأولى وخيريتها، واعتبارها المرحلة المتقدمة الصالحة للاتباع والاقتداء، فهو أنها تمثل التزامن لنزول القرآن الكريم في عصر الصحابة ﷺ، وفهمهم له، وهم يعيشون منهج النبوة، ولتعليمهم التابعين من بعدهم، ثم تعليم التابعين لتابعيهم، ونقاء النبع في زمنهم قبل مرحلة الاختلاط والعجمة بعد انتشار الفتوحات الإسلامية في البلدان، وهذا الرأي هو قول جمهور العلماء المعاصرين، وهو الراجح لما يأتي:

---

(١) انظر: منهج ابن الأثير الجزري في مصنفه النهاية في غريب الحديث والأثر: د.أحمد بن محمد الخراط: ٦٧- ٦٨.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٧/٥- ٦.

١- ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " خير الناس قرني ؛ ثم الذين يلونهم ؛ ثم الذين يلونهم ؛ ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"[١]، [٢].

٢- وما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟ فقال: " أنا والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر"[٣].

٣- وهو القول الجامع للأقوال السابقة فصار موافقاً للحديثين المذكورين.

٤- أنه قول جمهور أهل العلم المحققين القدامى الذين ذكرناهم في المبحث السابق[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: (فضائل الصحابة ﷺ)، باب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ)، (الحديث: ٣٦٥١)، ٣/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: (فضائل الصحابة ﷺ)، باب: (فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، (الحديث: ٢٥٣٣)، ١٩٦٢/٤.

(٢) انظر: الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة: د.راجح الكردي: ٢٢٧، والاتجاه السلفي في الفكر الإسلامي الحديث بإندونيسيا: أمل فتح الله زركشي: ٢- ٣، والسلفية قواعد وأصول: أحمد فريد: ٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ ، (الحديث: ٨٤٨٣): ١٨٦/١٤، وقال الأرناؤوط في هامشه: " إسناده جيد".

(٤) انظر: المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني: أ.عمرو عبد المنعم سليم: ١١، والتعليقات السنية شرح أصول الدعوة السلفية للألباني: عمرو عبد المنعم سليم: ٢١-٢٢، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث: إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: د.ناصر بن عبد الرحمن الجديع: ١٦٠، والدعوة السلفية في دولة الكويت: واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ): عبد الحميد بن خليفة الشايجي: ٦٥، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف: محمد محمود أبو رحيّم: المقدمة، أ،

٥- ويقابل السلف الخلف وهم الذين جاؤوا بعد هذه القرون الثلاثة، وقد اختلفت طريقة السلف عن الخلف في كثير من الأمور؛ فقد ظهر بعد القرن الثالث أمور لم تكن، وكان ذلك بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم ودخول الثقافات الأجنبية على الدولة الإسلامية، فقد دخلت ثقافات النصارى الذين أسلموا، وكذلك اليهود، واليونان، والهنود، والفرس، بعد الفتوحات الإسلامية الهائلة، وهذه الثقافات أثرت في المسلمين؛ وخاصة في الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم، فقد انبهروا بها وأخذوا بها مما أبعدهم عن السلف[١]، وممن مال إلى تحديد السلف بالقرون الثلاثة؛ الهيئة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية[٢]، والدكتور محمد الجليند، والدكتور محمود خفاجي[٣]، وغيرهم من العلماء المعاصرين[٤].

٢٦٧، ومعجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي: ١٩٩، ٢٤٨، وحجية قول الصحابي عند السلف: د.ترحيب بن ربيعان الدوسري: ١، ووقفات منهجية في الذب عن السلفية: عبد الحميد بن أحمد العربي: ١٨٤- ١٨٥.

(١) انظر: الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى: عيد عباسي: ٢٠٥.

(٢) انظر: تعريف الخلف بمنهج السلف: د.إبراهيم البريكان: ١٧- ١٨، ومن معالم التيسير في تفسير السلف: د.عيسى الدريني: ١٦٤.

(٣) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق: د.محمد با كريم محمد با عبد الله: ٩٩- ١٠٠، ١٠٢، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجيْن في العقيدة: جابر إدريس علي أمير: ١/٣٦- ٣٩.

(٤) انظر: الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف: أحمد العوايشة: ٢٣٩، والدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية: عبد الوهاب خليل الرحمن: ١٩٧، والسلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط: الطيب بن عمر بن

الرأي الخامس: السلف: هم الذين عاشوا في القرون الأربعة الأولى من الهجرة: والسبب في تفضيل القرون الأربعة الأولى عند هذا الرأي للأحاديث التي فيها زيادة القرن الرابع، ومنها:

١- ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، - قال عمران فلا أدري: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً - ..."[(١)].

٢- وفي رواية ثانية رواها عبد الله ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثلاثاً أو أربعاً..."[(٢)].

٣- وفي رواية ثالثة رواها بريدة الأسلمي ﷺ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " خير هذه الأمة القرن الذين بعثت أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..."[(٣)].

الحسين: ٢٠، ٢٤، والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د.مفرّح بن سليمان القوسي: ٢٣- ٢٤.

(١) رواه البخاري في كتاب: (فضائل الصحابة)ﷺ، باب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ)، (الحديث: ٣٦٥٠)، ٢/٥- ٣، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: (فضائل الصحابة ﷺ)، باب: (فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، (الحديث: ٢٥٣٥)، ١٩٦٤/٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٤١٣٠)، ١٩٩/٧- ٢٠٠، وقال الأرناؤوط في هامشه: " إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٣٠٢٤)، ١٣٠/٣٨، وقال الأرناؤوط في هامشه: "صحيح لغيره".

٤- وفي رواية رابعة رواها جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "...واختار أمتي على الأمم، واختار من أمتي أربعة قرون: القرن الأول، والثاني، والثالث، والرابع"(١)، حيث يخبرنا رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث؛ أن خير هذه الأمة قرنه، والقرون الثلاثة التي بعده، وذلك لطراوة الإسلام ونضارته وسلامته من دس الملحدين والزنادقة، ثم يقل الخير في هذه الأمة وينتشر الشر قرناً بعد قرن، فيظهر أناس يبتدرون الشهادة قبل أن تطلب منهم، ويخونون من استأمنهم، ولا يوفون إذا نذروا، ويقبلون على الدنيا وزخرفها وشهواتها حتى يظهر فيهم السمن، وهو رأي الشيخ محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي(٢)، والشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان(٣)، وقد أكد بعض العلماء هذا القول وأوردوه في كتبهم(٤)، وهناك

---

(١) رواه البزار في مسنده، انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار: الهيثمي، (الحديث: ٢٧٦٣)، ٣/٢٨٨- ٢٨٩، وقال الهيثمي: " رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: له، (الحديث: ١٦٣٨٣)، ١٠/١٦، ورواه الآجرّي في كتابه الشريعة، (الحديث: ١١٥٣- ١١٥٤)، ٤/١٦٨٠- ١٦٨١، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، (الحديث: ٢٢٨)، ١٧٣.

(٢) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد: محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي: ٤٥٦، ٤٥٨.

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: ١/٢٩٤.

(٤) انظر: تذكير الخلف بوجوب اعتقاد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة: وليد بن راشد السعيدان: ١٠، ١٤- ١٥، والاتجاه السلفي بين النص والعقل: د.جمال سيد أحمد محمد شلبي: ١/١٣٠، ووسطية أهل السنة بين الفرق: د.محمد با كريم محمد با عبد الله: ٩٩، والدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية: عبد الوهاب خليل الرحمن: ١٩٧.

قول متفرع عن هذا الرأي بأن السلف ظهروا في القرن الرابع الهجري، وكانوا من الحنابلة وزعموا أن جملة من آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي دافع عن عقيدة السلف وجاهد دونها[١]، وقد أطلق على السلفيين في بعض المراحل بعد اشتهار مذهب أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) وانتشاره اسم الحنابلة؛ لأنه لم يبق على مذهب السلف في هذا الدور إلا الحنابلة، أتباع الإمام أحمد بن حنبل، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات[٢]، ولعل المقصود بهذا الكلام أن الحنابلة جددوا وأحيوا عقيدة ومنهج السلف، وليسوا هم السلف حقيقة، بل هم من علماء السلف، والفرق واضح في ذلك.

الرأي السادس: السلف: الذين عاشوا في القرون الخمسة الأولى من الهجرة: وهذا رأي بعض الأشاعرة، وبعض العلماء، وهذا القول بعد البحث والتنقيب لم أقف له على دليل يتعضد به[٣].

ثانياً: السلفية المنهجية: ويقصد بها أن المتبعين لسلف الأمة في هذه الفترة من الصحابة ﷺ، والتابعين، وتابعيهم ممن جاء بعدهم، إنما اتبعوهم في

---

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة: ١/ ٢١١، والاتجاه السلفي بين النص والعقل: د.جمال سيد أحمد محمد شلبي: ١/ ١٣٠.

(٢) انظر: السلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط: الطيب بن عمر بن الحسين: ٢٨.

(٣) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة: د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ٧٣، والدعوة السلفية في دولة الكويت: واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ): عبد الحميد بن خليفة الشايجي: ٥٩، والسلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط: الطيب بن عمر بن الحسين: ٢٣، والإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف: أحمد العوايشة: ٢٣٩.

منهجهم، وكأن خللاً ما حصل في أزمنة ما بعد القرون الثلاثة الأولى، تمثل في دخول الفكر الوافد؛ كحصيلة لتوسع رقعة الإسلام ودخول الأعاجم في الإسلام وترجمة الفلسفة؛ وكذلك الابتداع وترك الاتباع، مما شاب النبع الصافي، وأثر في منهجية الفهم للإسلام، ومواجهته لمستجدات الحياة، ومن هذا المنطلق:

١- فقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[١].

٢- وكذلك فقد كان عبد الله بن مسعود ﷺ، يقول: "من كان منكم متأسياً؛ فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، ، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[٢]، [١].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب: (الإيمان)، باب: (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان)، (الحديث: ٥٠)، ١/٦٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر القرطبي: ٢/٩٤٧، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الأصبهاني: ١/٣٠٥.

ولذلك قال ابن تيمية : " لا عيب على من أظهر مذهب السلف ، وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً"[٢] ، وليس التحديد الزمني كافياً في ذلك ، بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة وروحهما ، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي ، وإن عاش بين أظهر الصحابة ﷺ ، والتابعين ، وتابعي التابعين ، ولذلك كل من يخالف منهاج السلف لا يعتبر من السلف ولو عاش في القرون الثلاثة الهجرية الأولى[٣] ، ومما تقدم يمكن القول بأن المقصود بالسلف بهذا الاعتبار ؛ هم خير القرون الثلاثة الأولى ؛ التي شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية دون من وصف ببدعة ؛ كالشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والمرجئة ، والجبرية ، والقدرية ، وغيرهم ، وأن السلفية

(١) انظر : الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة : د.راجح الكردي : ٢٢٨ ، والسلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية : د.مصطفى حلمي : ١٩٧- ١٩٨ ، والسلفية في المجتمعات المعاصرة : د.محمد فتحي عثمان : ١٠ ، والإمام محمد بن نصر المروزي (٢٠٢- ٢٩٤هـ) وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها : موسم بن منير النفيعي : ١٢/١- ١٣ ، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف : عبد الله بن محمد شيخ خادم : المقدمة ، د ، هـ ، وتذكير الخلف بوجوب اعتقاد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة : وليد بن راشد السعيدان : ١٥- ١٦ .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ١٤٩/٤ .

(٣) انظر : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات : محمد بن عبد الرحمن المغراوي : ١٣- ١٤ ، ٢٥٤ ، والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية : دراسة نقدية : د.مفرّح بن سليمان القوسي : ٢٧- ٣٢ ، وطريق الهداية : مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة : د.محمد يسري : ٤٥ .

تعني التمسك بالكتاب والسنة ، والاقتداء بهدي السلف الصالح المشهود لهم بالخيرية ، في فهم الإسلام والعمل به ، فمن خالف ذلك فليس بسلفي ؛ وإن عاش في زمن خير القرون ، وبالتالي لا بد من تقييد لفظ السلف بقيد الصالح ، فهناك سلف غير صالح من المنافقين ، والمرتدين ، والمبتدعة ، وغيرهم[1].

وأن التاريخ الواقعي المطبق لتعاليم الإسلام قد تحقق بصورة تكاد تكون مثالية في العصور الأولى المفضلة ، وظلت تتكرر بصورة أو بأخرى كلما قام المسلمون بالاستمساك بما كان عليه الأوائل في العصور المفضلة ، والمنهج السلفي يحمل طابع المعاصرة الدائمة ؛ لأننا عندما نتبعه عندئذ يمكننا شجب دعاوى التطور في فهم العقيدة ، أو مراعاة روح العصر ، أو المرونة والتآخي مع عقائد الأمم الأخرى ، إلى غير ذلك من شعارات تؤدي إلى تذويب الفوارق بين عقيدة التوحيد الإسلامية ، وغيرها ، ومن ثم نفقد أقوى أسلحتنا لإعادة شخصية الأمة على الأصل الجوهري لحضارتها ، يحول دون التبعية والانقياد وراء حضارة العصر ، والتلاشي في ثقافتها ، وأنماط سلوكها ونظمها

---

(١) انظر : منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجيْن في العقيدة : جابر إدريس علي أمير : ١/٣٩- ٤٠ ، والدعوة السلفية في دولة الكويت : واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ) : عبد الحميد بن خليفة الشايجي : ٦١ ، ٦٣ ، والدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية : عبد الوهاب خليل الرحمن : ١٩٨ ، والسلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط : الطيب بن عمر بن الحسين : ٢٠- ٢٢ ، ٢٤- ٢٦ ، والإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف : أحمد العوايشة : ٢٣٩- ٢٤١.

المخالفة لنا، كما لا نشك في أن الضوابط والمقاييس الثابتة التي تحددها السلفية كفيلة بتخريج طلائع فذة لقيادة الحضارة الإسلامية من جديد[1].

ثالثاً: سلفية المضمون والمحتوى: وهذا يقودنا إلى مفهوم آخر للسلفية؛ وهي اتباع لما أنتجه هذا المنهج السلفي، من فكر في الاعتقاد والفقه، والسلفية هنا أضيق في معناها من المعنى الثاني، إذ أنها أخذ لثمرة المنهج، في حين أن السلفية المنهجية أوسع؛ لأن المنهج الذي أنتج فكراً في زمان يمكن أن يتسع لمواجهة الظروف الجديدة، وينتج فكراً جديداً وفقهاً جديداً ملائماً للظروف الجديدة مع المحافظة على الأصولية المنهجية، وبناء على سلفية المضمون والمحتوى يمكن تعريف السلفية بما يلي:

١- أن السلفية المعاصرة: " هي اتجاه أصولي منهجي يقوم على قاعدة منهجية بالعودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وقواعد الفهم المعتبرة لدى الصحابة ﷺ، والتابعين، وتابعيهم، وهي تقدم مفهوماً أساسياً في العقيدة ومقومات الحياة، وفرعيات النظم، وهي دعوة متجددة معاصرة، مع أصالتها في المصادر والأهداف"[2].

٢- أن السلفية: " تتميز عن غيرها بأنها تدعو إلى فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، فلا يكتفون فقط بدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، بل يزيدون على ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة على منهج

---

(١) انظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية: د.مصطفى حلمي: ١٣- ١٤.

(٢) انظر: الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة: د.راجح الكردي: ٢٢٨- ٢٣١، ملامح رئيسية للمنهج السلفي: د.علاء بكر: ١٣.

السلف الصالح"[1]، ولذلك فإن مدلول السلفية: " أصبح مع التطور التاريخي لظهور الفرق الإسلامية منحصراً في المدرسة السلفية التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي؛ طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقوه جيلاً بعد جيل، وأبرز سماتهم التمسك بمنهج النقل"[2].

٣- أن السلفية: " مصطلح أصبح يطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه، وطبيعة الدعوة إليه، فلم يَعُد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين؛ بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة"[3].

٤- أن السلفية: " هي التعبير عن منهج المحافظين على مضمون الإسلام في ذروته الشامخة وقمته الحضارية، كما توجهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الأولى المفضلة، وفيها تحقق الشكل العلمي والتنفيذ الفعلي، ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها؛ ممثلة في العقيدة خضوعاً للتوحيد، وبياناً لدور الإنسان في هذه الحياة، وتنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية

---

(١) انظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر المنعقدة بالبحرين عام (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م): تعليق محمد ناصر الدين الألباني على بحث الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى: عيد عباسي: ٢٢٢، الدعوة السلفية أصولها، مقاصدها، أسباب النهوض بها: محمد ناصر الدين الألباني: ٨٩، السلفية قواعد وأصول: أحمد فريد: ٧، ١١.

(٢) السلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط: الطيب بن عمر بن الحسين: ٣٠- ٣١.

(٣) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجيْن في العقيدة: جابر إدريس علي أمير: ١/٤٠.

بجوانبها المتعددة، في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وروابط الأسرة، وفضائل الأخلاق"[1].

وأن الأخذ من نصوص الأئمة المبرزين في إطار السلف والسلفيين، يقطع الطريق على أدعياء السلفية الذين حملوا العادات الراكدة لمجتمعاتهم على دين الإسلام، فاستبدلوا هذه العادات بشريعة الإسلام، وحتى نقطع الطريق كذلك على غلاة العلمانيين، الذين استبدلوا البدع الفكرية الوافدة بحقائق وحقيقة الإسلام، والذين يتحسسون مسدساتهم إذا ذكرت مصطلحات السلفية والسلفيين[2].

ومن هنا ظهر الانتساب إلى السلف، أو السلفيين، أو الدعوة السلفية، ولعل المقصود بها سلفية المضمون والمحتوى، وقد أطلق ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) لقب السلفية في مواضع متعددة من مؤلفاته، فقال: " ...فهذهِ الأقيسة العادلة والطريقة العقلية السلفية الشرعية الكاملة"[3]، وقد يوصف بها الرجل من غيره؛ دون أن ينسب نفسه إليها، إخباراً عن حاله، كما وصف الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الدارقطني فقال: " لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً"[4]، وهذا ما فعله

---

(١) السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية: د.مصطفى حلمي: ٤.

(٢) انظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٨٦.

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: ابن تيمية: ٨٢/٥، وانظر للتوسع: مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ٣٧٩/٦، ٣٠٩/١٢، ٤٧١/١٦، ٣٩/١٧، ١٧٧/٣٣.

(٤) سير أعلام النبلاء: الذهبي: ٤١٨/١٢، ٤٥٧/١٦.

الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني[1]، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني[2]، والشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهم من أهل العلم والإتباع سلفاً وخلفاً[3].

رابعاً: وهناك من عرف السلفية بسبب نشأتها وأفكارها وأهم أعلامها حيث إنها: " رائدة الحركات الإصلاحية التي ظهرت إبان عهود التخلف والجمود الفكري في العالم الإسلامي، تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية، وتلح على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك، ويطلق عليها بعضهم اسم الوهابية نسبة لمؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب"[4].

خامساً: وهناك من عرف السلف باعتبار أنه كل عالم مجتهد مستقل، ولا يتبع أحداً من الناس، فالسلف: " اسم لكل من يقلد مذهبه في الدين، ويتبع

---

(١) انظر: القائد إلى تصحيح العقائد: عبد الرحمن المعلمي اليماني: ٤٧، ٥١، ٥٥، ١٩٩.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: الألباني: ٦١.

(٣) انظر: طريق الهداية: مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: د.محمد يسري: ٥١، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية: أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي: ١/١٢- ١٣، ونهاية المطلب في دراية المذهب: إمام الحرمين الجويني، تحقيق: د.عبد العظيم محمود الدّيب: ٩٠، والإمام أبو بكر الباقلاني وآراؤه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف: جودي صلاح الدين النتشة: المقدمة، ج، والدعوة السلفية في دولة الكويت: واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ): عبد الحميد بن خليفة الشايجي: ٦١.

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ٢٧٣، والمناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين: فتحي يكن: ١١.

أثره ؛ كأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وابن حنبل ، فإنهم سلف لنا ، وأما الصحابة رضي الله عنهم والتابعون فإنهم سلف لهم" ، أو " كل من يقتفى أثره في الدين" ، أو " شاملاً للمجتهدين كلهم" ، وهذا القول بعد البحث والتنقيب لم أقف له على دليل يتعضد به[1].

المطلب الثاني : مفهوم السلف عند العلماء المعاصرين من غير الفكر السلفي :

لا بد من ذكر الرأي الآخر في تحديده لمضمون السلف والسلفية ؛ لنتعرف على وجهة النظر هذه ، ونستفيد من تلك الآراء لرأب الصدع ، وتغذية الإيجابيات ، وتلافي السلبيات ، ونحاول أن نتلاقى على كلمة سواء ، وإن الالتفاف حول أصول الإسلام ، وتجاوز الخلافات أمر جوهري لحياة الأمة ، والمدخل إلى ذلك الاتفاق على المنهج السلفي ، وهو منهج علمي مدعم بأدلته وبراهينه الدامجة بين الشرع والعقل ، ومن ثم فإذا وضح ذلك في الأذهان ، والتقت عنده الأفئدة ، أصبح من اليسير التئام الشمل ، وجمع الكلمة[2] ، وها هي مفاهيم بعض هؤلاء العلماء ونقدها :

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي ، مادة سلف ، والاتجاه السلفي بين النص والعقل : د.جمال سيد أحمد محمد شلبي : ١/١٣٠ ، والدعوة السلفية في دولة الكويت : واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ) : عبد الحميد بن خليفة الشايجي : ٥٩ ، والسلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط : الطيب بن عمر بن الحسين : ٢٣ ، والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية : دراسة نقدية : د.مفرّح بن سليمان القوسي : ٢٣ ، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً : د.سعدي أبو حبيب : ١٨٠ .

(٢) انظر : السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية : د.مصطفى حلمي : ١٠٤ .

أولاً: إننا في عصر نتداعى فيه إلى توحيد الكلمة وإلى نبذ الشقاق وإلى تحطيم حواجز الفرقة؛ وكلنا مجمع على أن هذه أقدس رسالة ينبغي أن يضطلع بها المسلمون، فإذا كنا مجمعين على هذا فكيف يجوز لنا أن نخترع سبباً وهمياً من أسباب الفرقة بالوهم والخيال؟ ونقول: إنه موجود في تاريخنا الإسلامي، وأنه يمتد إلى عصرنا اليوم مذهب سلفي ومذهب آخر بدعي، لماذا نخترع من عندنا ما لسنا بحاجة إليه؟ فالمسلمون كلهم فريقان: فريق ملتزم، وفريق غير ملتزم، والملتزم أيضاً قسمان: ملتزم معترف بتقصيره وخطئه ندعو الله تعالى له بالهداية ونشفق عليه، وأما غير الملتزم المتبجح بعدم التزامه فهذا الإنسان هو الضال التائه، أما الطرف الثاني وهم الملتزمون فكلهم سلفيون، كلهم آخذ من رسول الله ﷺ، ونعذر من اتخذ لنفسه طريقاً لم يتفق فيه مع فئة من فئات المسلمين المجتهدين، فالسلفية الحقيقية هي السلفية الزمانية، وهذه السلفية احتوت مسألة واحدة؛ وهي آيات الصفات في كتاب الله عز وجل، فالذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى آثروا أن يفسروها كما هي، وألا يقتحموا إليها بأي تأويل، وأما الذين جاؤوا من بعد فإنهم أوّلوا، وقيل عن الرأي الأول: إنه رأي السلف فكان أصحابه سلفيين، وأما عن الرأي الثاني: فقيل مذهب الخلف وكان أصحابه الخلفيين، وهذه المسألة تخضع للسلفية الزمانية وهي مسألة بسيطة ولا تحتاج إلى الوقوف عندها؛ خاصة إذا أخضعناها للمنهج الموضوعي بأن الأصل في الكلام الحقيقة ويصير إلى المجاز إذا احتمله، وهي مسألة خلافية[1]، وهنا اقتصر الدكتور محمد سعيد

---

(١) انظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر المنعقدة بالبحرين عام (١٤٠٥هـ،

رمضان البوطي في مناقشته على منهج السلف الصالح فقط في مسألة صفات الله تعالى، في حين نرى أن منهج السلف الصالح يتعدى هذا الأمر إلى ما يتصل بكل العلوم الإسلامية الأخرى من العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، واللغة، كما ذكرنا ذلك سابقاً في هذا البحث[1].

ثانياً: مصطلح السلفية من المصطلحات التي يحيط بمضمونها الغموض، أو عدم التحديد، في عدد من الدوائر الفكرية في واقعنا العربي والإسلامي المعاصر، فهناك من يرون في السلفية: التيار المحافظ والجامد، وهناك من يرون في السلفية: التيار الأكثر تحرراً من البدع، ومن ثم الأكثر تحرراً واستنارة في مجال الفكر الديني بالذات؛ وهذا الغموض أو عدم التحديد، الذي يحيط بمضمون مصطلح السلفية لم ينشأ من الوهم أو الفراغ، ذلك أن من الذين ينتسبون إلى السلفية من هم بالفعل محافظون وجامدون، ومنهم من هم في طليعة المنادين بالتجديد الديني، وضرورة فك إسار العقل من قيود البدع والتقليد، وأن القرآن والحديث ومعاجم اللغة قد أجمعت على أن السلف هو الماضي المتقدم، وعلى ذلك فإن السلفيين هم الذين حذو هذا الماضي والمتقدم والسالف، ومع ذلك فإن هذا التحديد الجلي لا يستطيع وحده أن يرفع الغموض عن مصطلح السلفية؛ لأن الماضي المحتذى سيظل غير محدد؛ لأنه متعدد هو الآخر؛ فهل هو الكتاب والسنة؟ أم أن فيه المأثورات المروية عن

١٩٨٥م): مناقشة د.محمد سعيد رمضان البوطي لبحث الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة: د.راجح الكردي: ٢٦٤.

(١) انظر: تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهباً: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: ٩- ١٦.

الصحابة ﷺ؟ وهل هو تلك النصوص وحدها؟ أم أن فيه مذاهب التابعين وتابعي التابعين؟ وحتى إذا كان هذا السلف هو النصوص قرآناً وسنة، فإن تفسيرها ورؤيتها قد تعددت بتعدد المناهج في المدارس الفكرية والتيارات، وكذلك كان الحال مع مأثورات الصحابة ﷺ فقد تعددت، إذاً مصطلح السلفية الإبهام فيه حقيقة موضوعية، مصدرها تعدد الرؤية للمواريث السالفة التي يحتذيها السلفيون[1]، ولعل الدكتور محمد عمارة متأثر بشكل كبير بالتيار السلفي في مصر، بما فيهم الشيخ محمد رشيد رضا الذي كان بآن واحد سلفياً، ويدعو للتجديد، ولذلك وصف الفكر السلفي بالغموض، وأنه غير محدد المعالم، في حين نرى أن هذا الوصف لا يمت إلى السلف الصالح بأي صلة، وإن كانت بعض التطبيقات المعاصرة لهذا المنهج خاطئة فلا يعني أن نصفه بتلك الأوصاف.

ثالثاً: أن السلفية ليست فرقة من الناس تسكن بقاعاً من جزيرة وتحيا على نحو اجتماعي معين، وإنما السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمل ولاءها للكتاب والسنة، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله تعالى، دون نظر إلى عرق أو لون، فهمها للإسلام وعملها يرتفع إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل[2]، وهذا القول فيه تجنٍّ إلى حد ما، وكأن المنهج السلفي مرتبط بمكان ما، أو بناس معينين، وما علاقة العقل والعاطفة عند السلف الصالح؟ وما علاقة العرق واللون في

---

(١) انظر: تيارات الفكر الإسلامي: د.محمد عمارة: ١٢٧، ١٢٥.

(٢) انظر: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين: محمد الغزالي: ١٢٠- ١٢١.

ذلك؟ ولعل ما يقوله الشيخ محمد الغزالي كان نتيجة ردة فعل لما كُتِب في الرد على بعض كتبه التي كان فيها يتبنى بعض أفكار الاتجاه العقلي.

رابعاً: أن السلفية قد ظلمت من أنصارها ومن خصومها على السواء؛ أما من أنصارها أو من يعدهم الناس أو يعدون أنفسهم أنصارها أو كثير منهم؛ فقد حصروها أو كادوا في شكليات وجدليات حول مسائل في علم الكلام، أو مسائل في علم الفقه، أو أخرى في التصوف، وعاشوا نهارهم، وباتوا ليلهم ينصبون المجانيق، ويقذفون بالمقاليع لمن يخالفهم في أي مسألة من هذه المسائل، أو أي جزئية من هذه الجزئيات؛ حتى ظن بعض الناس أن منهج السلف هو منهج المراء والجدل لا منهج البناء والعمل، وأن السلفية تعني الاهتمام بالجزئيات على حساب الكليات، وبالمختلف فيه على المتفق عليه، وبالشكل والصورة على حساب الجوهر والروح...[1]، فإذا ظلمت السلفية من كل الأطراف فمن ينصرها أو ينتصر لها إذاً؟!.

خامساً: السلفية ليست مرحلة تاريخية معينة، تختص بأفراد معينين، وإنما هي إطار عام يجمع كل من اتبع طريقة السلف ومنهجهم في تلقي الإسلام وتطبيقه، كما أنها ليست محصورة في دور تاريخي معين، وإنما تمتد وتصلح لكل زمان ومكان، كذلك لا تعني السلفية الرجوع إلى الماضي، أو الجمود والتحجر، وإنما هي تقدم حقيقي نحو إعادة التمسك بالإسلام، وفهمه كما كان عند نزوله، صافياً نقياً خالصاً من الإضافات والبدع، وليس هناك أدنى

---

(١) انظر: أولويات العمل الإسلامي: د.يوسف القرضاوي: ١٠٤، نقلاً عن وجه جديد للسلفية: كتاب الديوبندية في الميزان: بدر الحسن القاسمي: ١٧.

تعارض بين ذلك وبين الأخذ بكل جديد نافع في أمور الدنيا ومستجدات الحياة[1]، وهذا الذي قاله الدكتور أحمد قوشتي عبد الرحيم فيه موضوعية وحيادية، وخاصة أن كتابه هذا في الأصل رسالة علمية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

---

(١) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: د.أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٦٨.

الخاتمة

أحمد الله جل جلاله على جميع نعمه التي لا تُعد و لا تُحصى، كما أحمده وأشكره على أن يسر لي إتمام هذا البحث، الذي أسأل الله جلّ في علاه أن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وأن يجعله موضع قبول عند كل من قرأه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وقد توصلت بحمد الله تعالى إلى نتائج طيبة أثناء بحثي؛ أجمل أهمها فيما يأتي:

أولاً: لاحظت أن مصطلح السلف ومشتقاته تدور استعمالاتها المتعددة في اللغة العربية حول الدلالة على الشيء الإيجابي؛ كالمتقدم من العمل الصالح، والناس، والحيوان، والطعام، والانتساب للناس الصالحين، والسرعة؛ والسوي، وتحويل الأرض للزرع، ونوع من البيوع، والقرض، والسهام الطويلة، وخلاصة العصير، أو الحيادي كالوصف لبعض الأشياء؛ كالماضي، والتتابع، والجماعة، والقرابة عن طريق المصاهرة، والتي قد بلغت خمساً وأربعين من النساء، ومقدمة عنق الإنسان؛ وخصل الشعر المرسلة على الخد، ووعاء جلدي كبير؛ والفحل، ونوع من الطير، وحي في بغداد، ومدينة في خوزستان، وقبيلة من القبائل، أو الشيء السلبي وهو قليل؛ كقلة الشجر، وجلدة الختان، والموت.

ثانياً: أن السلف في القرآن الكريم له ثلاثة معان وهي: الماضي، وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، والمتقدم من الناس.

ثالثاً: جاء مصطلح السلف في السنة النبوية بمعنى الأجر والثواب، والماضي وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، ونوع من البيوع،

وإقـراض المـال، واللـين والنعومـة والاسـتواء، وصـفحة العنـق، والوعـاء الجلدي.

رابعاً: لاحظت أن عدد المصطلحات المرتبطة بالسلف والسلفية كان أحد عشر مصطلحاً؛ منها ما هو قديم؛ مثل: الصفاتية، وأهل السنة والجماعة، وأهـل الحـديث، والفرقـة الناجيـة، والطائفـة المنـصورة، والـسواد الأعظـم، والغرباء، ومنها ما هو معاصر؛ مثـل: أهـل الأثـر، وأهـل الاتبـاع، وأنـصار السنة المحمدية، والوهابية.

خامساً: وجدت أن هناك فرقة مـن متـأخري الـشيعة الإماميـة الإخباريـة، كـانوا يعتقـدون بأصـول الإماميـة ثـم انحازوا عـنهم بـسبب الخلافـات في حـق الأئمة، وقد انتسبت إلى السلف زوراً، وأطلقـت علـى نفسها اسـم الـسلفية؛ وهـم يعتقـدون ظاهر مـا وردت بـه الأخبـار المتشابهة، وأن مـا أراد االله تعـالى بالمتشابهات حق بلا شبهة كما عليه السلف، وهي ملتحقة بالفرق الضالة.

سادسـاً: توصـلت إلى أن هنـاك أربعـة آراء للعلمـاء في المقـصود بالـسلف الصالح:

١- أن الـسلف هـم الـصحابة ﷺ، وهـو رأي بعـض فقهـاء المالكيـة؛ أمثـال: صـالح عبـد الـسميع الآبـي الأزهـري، ومحمـد أحمـد الـدّاه الشنقيطي.

٢- أن السلف هـم الـصحابة ﷺ، والتـابعون، وهـو رأي بعـض علمـاء العقيـدة؛ كـأبي الحـسن الأشـعري، وبعـض علمـاء التفـسير؛ كالطحاوي، وأكثر فقهاء المالكية، وفقهاء الشافعية، وبعض فقهـاء الحنابلة.

٣- أن السلف هم الصحابة ﷺ، والتابعون، وأتباع التابعين، وهو رأي بعض علماء العقيدة؛ كابن بطة العكبري، وبعض علماء التفسير، وفقهاء الحنفية، وبعض فقهاء الحنابلة.

٤- أن المراد بالسلف الصحابة ﷺ، والتابعون، وأتباع التابعين، وأتباع تابعي التابعين، وهو رأي بعض علماء العقيدة؛ كابن تيمية.

سابعاً: اختلف علماء الحديث في كيفية أفضلية الصحابة ﷺ؛ على رأيين:

١- أن المقصود بالأفضلية هي بالنسبة لمجموع القرن الأول الذي عاش فيه الصحابة ﷺ، وهو رأي ابن عبد البر القرطبي.

٢- أن المقصود بالأفضلية هي بالنسبة لأفراد القرن الأول الذي عاش فيه الصحابة ﷺ، وهو رأي جمهور علماء الحديث.

ثامناً: وجدت ثلاثة عشر رأياً لعلماء الحديث واللغة في تفسيرهم لمعنى القرن، ولعل أرجحها: أنه مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على قدر أعمارهم، وهو المقدار الذي يقترن فيه بقاء أهل ذلك الزمان في الأغلب، في أعمارهم وأحوالهم.

تاسعاً: وكذلك وجدت أحد عشر رأياً لعلماء الحديث واللغة في تفسيرهم للقرن من الناحية الزمانية، ولعل أرجحها: أنه مائة سنة.

عاشراً: وأما ضبط زمان الصحابة ﷺ، والتابعين، وتابعيهم، عند علماء الحديث، فهو كما يلي:

١- بالنسبة للصحابة ﷺ: فإن آخر من مات منهم، هو أبو الطفيل عامر ابن واثلة الليثي ﷺ، وكان موته سنة (١٠٠هـ)، وقيل: سنة

(١٠٧هـ)، وقيل: سنة (١١٠هـ)، وقد ظهر أن الذي بين بعثة النبي ﷺ وآخر من مات من الصحابة ﷺ (١٢٠) سنة أو دونها أو فوقها بقليل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون (١٠٠)، أو (٩٠)، أو (٩٧) سنة.

٢- وأما قرن التابعين: فإن اعتبر من سنة (١٠٠هـ) كان نحو (٧٠)، أو (٨٠) سنة.

٣- وأما الذين هم أتباع التابعين: فإن اعتبر منها، كان نحواً من (٥٠) سنة، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان، وأن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله، من عاش إلى حدود (٢٢٠هـ).

حادي عشر: وجدت لمذهب الحنفية تعريفاً خاصاً بهم للسلف، وهو عندهم: " من أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ)؛ إلى محمد بن الحسن الشيباني (ت: ١٨٩هـ)".

ثاني عشر: كذلك وجدت تعريفاً للسلف بشكل خاص، وهو: " كل من يقلد مذهبه، ويقتفى ويتبع أثره في الدين، كأبي حنيفة، وأصحابه، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل"، وهو رأي الحنفية، وبعض العلماء المعاصرين، وهذا القول بعد البحث والتنقيب لم أقف له على دليل يتعضد به.

ثالث عشر: لاحظت أن هناك ستة آراء في المقصود بالسلف الصالح من الناحية الزمانية؛ وذلك بما يلي:

١- السلف: هم الذين عاشوا بين بعثة النبي ﷺ وحتى نهاية القرن الأول من الهجرة، (١٣ق هـ - ١٠٠هـ).

٢- السلف: هم الذين عاشوا في القرن الأول والثاني من الهجرة، (١٣ق هـ - ٢٠٠هـ).

٣- السلف: هم الذين عاشوا في القرن الأول والثاني وجزء من القرن الثالث من الهجرة، (١٣ق هـ - ٢٢٠هـ)، وهو رأي ابن حجر العسقلاني.

٤- السلف: الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، (١٣ق هـ - ٣٠٠هـ)، وهو رأي أكثر العلماء المعاصرين، والراجح.

٥- السلف: الذين عاشوا في القرون الأربعة الأولى من الهجرة، (١٣ق هـ - ٤٠٠هـ).

٦- السلف: الذين عاشوا في القرون الخمسة الأولى من الهجرة، (١٣ق هـ - ٥٠٠هـ)، وهذا رأي بعض الأشاعرة، وبعض العلماء، وهذا القول بعد البحث والتنقيب لم أقف له على دليل يتعضد به.

رابع عشر: السلفية المنهجية: "تعني المتبعين لسلف الأمة الذين هم خير القرون الثلاثة الأولى؛ التي شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية دون من وصف ببدعة؛ كالشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والمرجئة، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، وبالتالي لا بد من تقييد لفظ السلف بقيد الصالح، فهناك سلف غير صالح من المنافقين، والمرتدين، والمبتدعة، وغيرهم".

خامس عشر: سلفية المضمون والمحتوى: " تعني التعبير عن منهج المحافظين على مضمون الإسلام في ذروته الشامخة وقمته الحضارية، كما توجهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الأولى المفضلة، وفيها تحقق الشكل العلمي والتنفيذ الفعلي، ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها؛ ممثلة في العقيدة خضوعاً للتوحيد، وبياناً لدور الإنسان في هذه الحياة، وتنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة، في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وروابط الأسرة، وفضائل الأخلاق".

سادس عشر: لا بد من التفريق بين السلف الصالح الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، (١٣ق هـ - ٣٠٠هـ) من الصحابة ﵃، والتابعين، وتابعي التابعين، وتابعي تابعي التابعين، وبين علماء السلف الذين جاؤوا من بعدهم أمثال: الباقلاني، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وغيرهم.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : الكتب العلمية :

١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيد الله بن محمد بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، (ت:٣٨٧هـ)، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، ط٢، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، دار الراية، السعودية.

٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط١، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٣) أحكام القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي، (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: د.سعد الدين أونال، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، مركز البحوث الإسلامية، وقف الديانة التركي، إستانبول.

٤) الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د.محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط٤، مكتبة السنة، القاهرة.

٦) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط٣، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧) الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف، أحمد العوايشة، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٨) الإمام أبو بكر الباقلاني وآراؤه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف، جودي صلاح الدين النتشة، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٩) الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، محمد محمود أبو رحيّم، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٠) الإمام محمد بن نصر المروزي (٢٠٢- ٢٩٤هـ) وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها، موسم بن منير بن مبارك النفيعي، دار الوطن، الرياض.

١١) الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد القاضي أبو بكر الباقلاني، (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د.محمد عصام القضاة، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار الفتح، عَمَّان.

١٢) الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، (١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.

١٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية الدمشقي، (ت: ٧٢٨هـ)، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.

١٤) البيان في مذهب الإمام الشافعي، يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني، (ت: ٥٥٨هـ)، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار المنهاج، جدة.

١٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

١٦) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٧) التبيان في آداب حملة القرآن، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد الحجار، ط٣، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار ابن حزم، بيروت.

١٨) التحف في مذاهب السلف، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سيد عاصم علي، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الصحابة ﴿﴾، طنطا.

١٩) تذكير الخلف بوجوب اعتقاد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة، وليد بن راشد السعيدان، بدون بيانات نشر.

٢٠) تعريف الخلف بمنهج السلف، د.إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

٢١) تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهباً، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط٢، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الوطن، الرياض.

٢٢) التعليقات السنية شرح أصول الدعوة السلفية للألباني، عمرو عبد المنعم سليم، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الضياء، طنطا.

٢٣) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، المكتبة العصرية.

٢٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥) التفسير والمفسرون، د.محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

٢٧) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨) تيارات الفكر الإسلامي، د.محمد عمارة، ط٢، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار الشروق، القاهرة.

٢٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٠) الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح عبد السميع الآبي الأزهري، طبع باهتمام الحاج عبد الله اليسّار، بدون بيانات نشر.

٣١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط١، (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م)، مطبعة الملاح، دمشق.

٣٢) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

٣٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار هجر، القاهرة.

٣٤) جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله الدهيش، ط٢، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار خضر، بيروت.

٣٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، ط٥، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة السوادي، جدة.

٣٦) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٧) جهود الشيخ عبد الرحمن الدوسري في توضيح عقيدة السلف والدفاع عنها، يحيى ابن محمد بن أحمد سير مباركي، (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٨م)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٣٨) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د.عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة العبيكان، الرياض.

٣٩) حاشية مقدمة التفسير: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي، ط٢، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، بدون بيانات نشر.

٤٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.

٤٢) دراسات في علوم القرآن الكريم، د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط١٢، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م).

٤٣) دراسات في علوم القرآن: د.محمد بكر إسماعيل، ط٢، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار المنار.

٤٤) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، (١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، دار الأنصار، القاهرة.

٤٥) الدعوة السلفية في دولة الكويت: واقعها ومشكلاتها من (١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ)، عبد الحميد بن خليفة بن محمد الشايجي، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٤٦) الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية، عبد الوهاب خليل الرحمن، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٤٧) الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى، عيد عباسي، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، بحث مقدم في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر المنعقدة بالبحرين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

٤٨) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ط٣، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، مكتبة الغزالي، دمشق.

٤٩) رؤية الله بين السلف والاعتزال، مريم عبد الرحمن زامل، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، فرع مكة المكرمة.

٥٠) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥١) السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، د.مصطفى حلمي، ط٢، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الدعوة، الإسكندرية.

٥٢) السلفية في المجتمعات المعاصرة، د.محمد فتحي عثمان، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، دار القلم، الكويت.

٥٣) السلفية قواعد وأصول، أحمد فريد، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، دار العقيدة، الإسكندرية.

٥٤) السلفية وأعلامها في موريتانيا شنقيط، الطيب بن عمر بن الحسين، ط١، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، دار ابن حزم، بيروت.

٥٥) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني، (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٥٦) سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

٥٧) سنن النسائي أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٥٨) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، ط٣، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٩) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث: أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، د.خالد بن علي المشيقح، بدون بيانات نشر.

٦٠) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار السلام، القاهرة.

٦١) شرح مقدمة التفسير، لابن تيمية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الوطن، الرياض.

٦٢) الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض.

٦٣) الشيخ حمود بن عبد الله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، عبد الله ابن محمد بن يحيى شيخ خادم، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٦٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه: أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٦٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت.

٦٦) صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٧) صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٨) صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د.محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار طوق النجاة، بيروت.

٦٩) صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٠) صـفحات في علـوم القـراءات، د.عبـد القيـوم عبـد الغفـور السـندي، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، المكتبة الإمدادية، السعودية.

٧١) طريق الهداية: مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، د.محمد يسري، ط٢، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، بدون بيانات نشر.

٧٢) العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: د.عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام.

٧٣) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، بدون بيانات نشر.

٧٤) عقيـدة السلف وأصـحاب الحـديث: أبـو عثمـان إسماعيـل بـن عبـد الـرحمن الصابوني، تحقيق: د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، ط٢، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار العاصمة، الرياض.

٧٥) العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية، د.سيد عبد العزيز السيلي، ط١، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، دار المنار، القاهرة.

٧٦) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: د.صالح ابـن عبـد الله بـن عبـد الـرحمن العبـود، مركـز البحـث العلمـي وإحيـاء الـتراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٧٧) عمـدة القـاري شـرح صـحيح البخـاري، محمـود بـن أحمـد بـن موسـى بـن أحمـد العينتابي، بدر الدين العيني، (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٨) غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بـن سلاّم بـن عبد الله الهروي البغـدادي، (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د.محمـد عبـد المعيـد خـان، ط١، (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

٧٩) غريـب الحـديث، حمـد بـن محمـد بـن إبـراهيم البستي الخطـابي، (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، عبـد القيـوم عبـد رب الـنبي، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، دار الفكر، بيروت.

٨٠) الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

٨١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م)، دار المعرفة، بيروت.

٨٢) الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني، محمد أحمد الدّاه الشنقيطي الموريتاني، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م)، المكتبة العصرية، بيروت.

٨٣) فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، دار البخاري، المدينة المنورة.

٨٤) فضل علم السلف على الخلف، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، (ت: ٧٩٥هـ)، المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة.

٨٥) الفكر السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة، د.راجح الكردي، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، بحث مقدم في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر المنعقدة بالبحرين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

٨٦) الفكر السلفي في الفكر الإسلامي الحديث بإندونيسيا: أمل فتح الله زركشي، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٨٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، (١٣٥٦هـ، ١٩٣٦م)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

٨٨) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د.سعدي أبو حبيب، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار الفكر، دمشق.

٨٩) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، ط٨، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٠) القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩١) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار القلم، دمشق.

٩٢) كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٩٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٥) اللباب في تهذيب الأنساب، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

٩٦) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت.

٩٧) ماذا ينقمون من السلفية؟ شبهات مزعومة حول الدعوة السلفية والرد عليها، د.محمد موسى آل نصر، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية، عمان.

٩٨) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ط٣، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٩٩) متن الرسالة: عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني، المالكي، (ت: ٣٨٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٠) متن طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن يوسف، المعروف بابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: محمد تميم الزغبي، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار الهدى، جدة.

١٠١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، مكتبة القدسي، القاهرة.

١٠٢) المجموع شرح المهذب، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٣) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية الدمشقي، (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.

١٠٤) محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني، سمير بن أمين الزهيري، ط٢، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، دار المغني، الرياض.

١٠٥) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٦) مختصر العلو للعلي الغفار، لشمس الدين الذهبي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، الملا الهروي القاري، (ت: ١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت.

١٠٨) المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع، (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٩) مسند أبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى التميمي الموصلي، (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، دار المأمون، دمشق.

١١٠) مسند أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١١١) مسند البزار المعروف بالبحر الزخار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبزار، (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

١١٢) مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١١٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، (ت: ٥٤٤هـ)، دار التراث، القاهرة.

١١٤) مع الإمام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، د.شايع بن عبده بن شايع الأسمري، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة.

١١٥) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

١١٦) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١١٧) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، الدار الهندسية، القاهرة.

١١٨) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار النفائس، عمان.

١١٩) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: د.محمد إبراهيم عبادة، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م)، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٢٠) المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، (ت: ٦٢٠هـ)، (١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م)، مكتبة القاهرة، القاهرة.

١٢١) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢٢) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د.مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، ط٢، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

١٢٣) المقدمات الممهدات، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، (ت: ٥٢٠هـ)، ط١، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٢٤) مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية الدمشقي، (ت: ٧٢٨هـ)، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٢٥) ملامح رئيسية للمنهج السلفي، د.علاء بكر، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار العقيدة، الإسكندرية.

١٢٦) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

١٢٧) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث، د.أحمد قوشتي عبد الرحيم، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

١٢٨) المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين، فتحي يكن، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م).

١٢٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣٠) منهج ابن الأثير الجزري في مصنفه النهاية في غريب الحديث والأثر، د.أحمد بن محمد الخراط، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، بحث مقدم في ندوة عناية المملكة العربية

السعودية بالسنة والسيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

١٣١) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجيْن في العقيدة، جابر إدريس علي أمير، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

١٣٢) المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني، عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة الضياء، طنطا.

١٣٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، الكويت.

١٣٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: د.علي دحروج، ترجمة: د.عبد الله الخالدي، ط١، (١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، مكتبة لبنان، بيروت.

١٣٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، الرياض.

١٣٦) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية، د.مفرّح بن سليمان القوسي، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، دار الفضيلة، الرياض.

١٣٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت.

١٣٨) نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الملقب بإمام الحرمين، (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العظيم محمود الدّيب، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة.

١٣٩) نواسخ القرآن، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، ط٢، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

١٤٠) نـواقض الإيمـان الاعتقاديـة وضـوابط الـتكفير عنـد الـسلف، د.محمـد بـن عبـد الله الوهيبي، دار المسلم.

١٤١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد صديق خان القنوجي، تحقيـق: محمـد حـسن إسماعيـل، أحمـد فريـد المزيـدي، (١٤٢٣هــ، ٢٠٠٣م)، دار الكتـب العلمية، بيروت.

١٤٢) وجـه جديـد للـسلفية: كتـاب الديوبنديـة في الميـزان، بـدر الحـسن القـاسمي، دار الكتاب والسنة، دلهي.

١٤٣) وسطية أهل السنة بين الفرق، د.محمد با كريم محمد بـا عبـد الله، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، دار الراية، السعودية.

١٤٤) وقفـات منهجيـة في الـذب عـن الـسلفية، عبـد الحميـد بـن أحمـد العربـي، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، بدون بيانات نشر.

ثانياً: المجلات العلمية:

١٤٥) تـصحيح طريقـة معالجـة تفـسير الـسلف في بحـوث الإعجـاز العلمـي، د.مـساعد بـن سـليمان الطَّيَّـار، مجلـة معهـد الإمـام الـشاطبي للدراسـات القرآنيـة، العـدد (٢)، (١٤٢٧هـ).

١٤٦) حجية قول الصحابي عند السلف، د.ترحيب بن ربيعـان الدوسـري، بـدون بيانـات نشر.

١٤٧) الـدعوة الـسلفية أصـولها، مقاصـدها، أسـباب النهـوض بهـا، محمـد ناصـر الـدين الألباني، بحث في مجلة الأصالة، العدد (٢٨)، السنة (٥)، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠١م)، عمان.

١٤٨) الفكر السلفي بين النص والعقل، د.جمال سيد أحمد محمد شلبي، بحث في مجلة حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، العدد (٦)، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، جامعة الأزهر، طنطا.

١٤٩) الغريب المصنف، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، العددان (١٠٣- ١٠٤)، السنة (٢٧)، (١٤١٦هـ، ١٤١٧هـ)، المدينة المنورة.

١٥٠) من معالم التيسير في تفسير السلف، د.عيسى بن ناصر الدريني، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد (٣)، السنة (٢).

١٥١) منهج الأشاعرة في العقيدة، د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، العددان (٦٢)، السنة (١٦)، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، المدينة المنورة.



السلفية الحقة
بين قبول الأصيل ونبذ الدخيل
رؤية من منظور إسلامي

إعـداد

د : محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ (م)العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان بجامعة الأزهر بالقاهرة وجامعة الملك فيصل. كلية الآداب بالإحساء. قسم الدراسات الإسلامية

المقدمـة

الحمد لله الذي كتب النجاة في اتباع منهج السلف ، وجعله رافداً للفاهمين من الخلف ، وذب الأدعياء والدخلاء عليه ، وأدنى للأصيل من هدي النبي حتى تكوّن بين يديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـــد :

فإن مما يعكسه المشهد الفكري الآن من أحداث يكسوها الغلو ، ويعلوها الرهب ممن نسبوا أنفسهم للسلفية زيفا وزورا ؛ ليأخذ بالألباب إلى منعطف من الذعر والفزع من شدة هول ما فيه من تطرف وغلو.

ومع تتابع حلقات الأفكار التكفيرية ، وما تبعها من تفجيرات إجرامية بأخطارها التي طارت النفوس منها شعاعاً ، واستطارت الأفئدة منها رهباً ، تحمل منهج السلف المظلوم تبعات هذا الدس الذي سببه الأدعياء ، وأخذت الأصابع الخفية الخبيثة تلقي بوابل من التهم المشينة على كاهل المنهج المظلوم ، واختلط الأمر على الأفهام وأشكل ، وتحملت السلفية الحقة تلك التهم المركبة المعقدة التي تنقبض عند ذكرها الخواطر ، وشاع الترنم بها في مجالات الإعلام والثقافة في الآونة الأخيرة ، وترتب عليه أن راح الأخذ بمنهج السلف في كثير من البلدان ضحية تهمة لا تنبي عن روح السلفية الحقة ، وكثرت البدع والخرافات التي ينقي منهج السلف مجتمعاتنا منها ، وفي نفس الوقت ظهر متسلفون أدعياء ، تخبطت مداركهم في استدراك فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاعتبارات متطرفة تتستر بالدين لأغراض لا علاقة لها بالدين ، أو لدوافع اجتماعية ، أو لاعتبارات طائفية عنصرية متطرفة تميل للعنف والجريمة

للتنفيس عن تشنجات الشعور بالكراهية والبغضاء، وهؤلاء ليسوا بسلفية، وهذا ما يجب توضيحه وبيانه لمن التبس عليه الأمر واختلط، لما ترتب عليه من اتهامات صريحة لعلماء السلف المعاصرين بالعنف والتشدد، وتلك نتيجة حتمية تصل إليها عقول عاشت منغمسة في حياة الإفراط والتفريط.

ولم ينج حتى الأوائل من ملاحقة طعونات الطاعنين ورعونات المنتحلين، حتى أصبح من الضرورة بمكان أن نبين وجهة مصطلح السلفية، وأن نرسيه على قواعده في ظلال منهجية الإسلام الأصيلة، ونجرد هذا المصطلح مما علق به من الأدعياء تحت الحزبية أو المذهبية أو التيارات الفكرية، ونبين أن السلفية الحقة المنشودة هي قالب منهج الإسلام احتواءً وعلما وعملا وسلوكا، وفي هذا البحث يحاول الباحث جاهداً أن يصوغ تصورا يترجم لمفهوم السلفية ويجرده مما يعوق الأخذ بمنهاجه الممتد من لدن رسولنا- ﷺ- ؛ حتى تبدو صورة هذا المنهج واضحة للعيان، بعيدا عن تدابير المغرضين المتشكلين في هيئة نسور متوحشة جارحة، أو سباع ضارية حين تمزق فرائس آمنة وتفتك بها ؛ وعليه قام الباحث ببيان هذه الصورة في هذه الدراسة التي صدر لها بعنوان: (السلفية الحقة بين قبول الأصيل ونبذ الدخيل "رؤية من منظور إسلامي"، وينضوي تحت المحور الأول (مصطلح السلفية- حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح)، وذلك لإثبات براءة السلفية الحقة مما نسبه إليها الدخلاء ؛ لتتجلى للفكر في مفهومها الحق، والذي أشار إليه الشيخ " ابن عثيمين " في قوله:

(السلفية: هي اتباع منهج النبي- ﷺ- وأصحابه ؛ لأنهم هم الذين سلفونا وتقدموا علينا، فاتباعهم هو ما قام عليه منهج السلفية، وأما اتخاذ

السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان، ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق، أو اتخاذها كمنهجٍ حزبي؛ فلا شك أن هذا على خلاف السلفية، فالسلف كلهم يدعون إلى الاتفاق والالتئام حول سنة الرسول- ﷺ- ، ولا يضللون من خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون أن من خالفهم فيها فهو ضال، أما في المسائل العملية فإنهم يخففون فيها كثيراً.

لكن بعض من انتهج السلفية في عصرنا هذا صار يضلل كل من خالفه، ولو كان الحق معه، واتخذها بعضهم منهجاً حزبياً، كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى دين الإسلام، وهذا هو الذي يُنكر ولا يمكن إقراره)[1]، وكلام الشيخ هو نقطة انطلاق فكرة البحث، فقد جمع فيه الشيخ زبدة القول وحكمة الرأي، فما أحوجنا الآن إلى حنو سلفيتنا الأصيلة التي فتح الله بها قلوب العباد والبلاد، فالتكوين العلمي والفقه العملي عند تطبيق توجيهه يمثل آلة التحريك عند إسقاط منهج السلف على واقع الحياة بعيدا عن الغلو وغير ذلك من الألوان التي باتت تمجها[2] الأذواق السليمة.

وهذا ما دفع الباحث ليصوغ لبحثه تعبيرا عن بعض ملامح السلفية الحقة التي بفضلها يتحقق الإيمان، وتنجو الأمة من السقوط في هاوية الشبهة، وفيما يأتي نعرض لأهمية الموضوع ومحتويات البحث:

---

(١) راجع شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" عنوان الموقع في فتوى لشيخنا العلامة "ابن عثيمين" /http://ziyadsafi.maktoobblog.com١٣٤٤٣٦١.

(٢) تمجها: تلفظها، انظر: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد للشيخ إبراهيم اليازجي اللبناني، جـ٢، صـ ٧٠، ط المعارف، سنة ١٩٠٤م.

أهميـة المـوضـوع :

١- كثرة مطاعن الماكرين في سلفنا الصالح ومن تبعهم بإحسان، فكان من الضروري سرد شهادة التاريخ على خلاف هذه المزاعم الموبوءة.

٢- بيان خطورة العقم الفكري عن فقه المنهج السلفي وتبعاته، والذي اتخذه الغرب مطية لتحقيق أغراضه، فكان من الضروري الكشف عن المنهج السلفي الحق بعيدا عن التحزبات التكفيرية، والمهاوي الضلالية المغالية.

٣- بيان أن السلفية الحقة تجديد لوئام الأمة، وتجديد لروح الوسطية والاعتدال، ونبذ للفرقة التي ساقت الدول المسلمة إلى الهزال، والتي مثلت غولا هائجا، لا يترك شاردة ولا واردة إلا أجمع عليها وأزهقها منافذ البقاء

منهـج البـحث :

انتظمت منهجية البحث على الأساس الوصفي التحليلي.

محتويات البحث :

قسم الباحث بحثه إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة :

المبحث الأول : حول مفهوم السلفية.

المبحث الثاني : السلفية منهج إسلامي وامتداد نبوي.

المبحث الثالث : حكم الانتساب للسلفية .. بين الوجوب والمنع.

المبحث الرابع : السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة.

ثم الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ولا يزعم الباحث أن هـذا البحـث يحـوى بـين دفتيـه كـل عناصـر القـضية ، ولكنه جهد المقل ، وعلى الله قصد السبيل.

والله ولي التوفيق والسداد

المبحث الأول

حـول مفـهوم السلفية

إن الـسلفية هـي انتـساب إلى الـسلف، وهـي نـسبة محمـودة إلى مـنهج معصوم، وجيل مرحوم، وهـو مـذهب أثـري سـديد، ولـيس ابـتداع مـذهب جديد.

والـسلفية في اللغـة: نـسبة إلى الـسلف، ولهـا اسـتعمالات لغويـة متعـددة منها:

مـا جـاء في لـسان العـرب: (سـلف: تَقـدَّمَ، ومنـه قولـه- تعـالى-: (فجعلنـاهم سـلفا)[1]، أي جعلنـاهم متقـدمين؛ ليـتعظ بهـم الآخـرون، قـال طفيل الغنوي:

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم   وصرف المنايا بالرجال تقلب

أراد أنهم تقدمونا، وقصد سبيلنا عليهم، أي نمـوت كمـا مـاتوا، فنكـون سلفا لمن بعدنا، كما كانوا سلفا لنا، وقيل: سلف الإنسان مـن تقدمـه بـالموت مـن آبائـه وذوي قرابتـه، ولهـذا سمـي الـصدر الأول مـن التـابعين "الـسلف الصالح")[2].

(والسلف: الجراب الضخم، ومصدر سلف القوم: تقدمهم، والأرض: سواها بالمسلفة، والسلف: أحد السلفين: وهما المتزوجان بـأختين، والأصـل

---

(١) سورة الزخرف: آية ٥٦.

(٢) ابـن منظـور (محمـد بـن مكـرم بـن منظـور الأفريقـي المـصري)، لـسان العـرب، (ط. دار المعارف، د.ت) جـ ٣، صـ ٢٠٦٨ وما بعدها باختصار.

سلف، والسلف- أيضا- : جمع سليف: وهو المتقدم، وجمع سلوف: وهو الطويل من نصال السهم، والناقة التي تكون في أوائل الإبل إذا وردت الماء، والسلف: القرض، وما تقدم من عمل صالح، أو ولد فرط، أو آباء، أو ذوي قرابة، أو ثمن لمشترى مضمون بصفة معلومة)(١).

وفي التعاريف، السلف: (السلف: التقدم، ولزيد سلف كريم أي آباء متقدمون وجمعه أسلاف)(٢).

وقيل: (السَّالِفُ: المُتَقَدِّمُ، والسَّلَفُ والسَّليفُ والسُّلْفَةُ: الجماعةُ المُتَقدِّمونَ، وقولُه- تعالى- : (فجعلناهم سلفا)(٣)، ويُقْرأُ: "سُلُفاً" و"سُلَفاً"، قال الزَّجاج: سُلُفاً جمعُ سَلِيفٍ: أي جميع قد مضَى، ومن قرأ سُلَفاً فهو جَمْعُ سُلْفَةٍ أيْ عُصْبَة قدْ مَضَتْ، والسُّلُوفُ كالسَّلَف، وكلُّها أسْماءٌ للجمع، وجاءني سَلَفٌ من الناسِ: أي جماعة)(٤).

ويقال: (سُلُوفُ العسكر: مُتَقَدِّمُوه وهم السَّلَفُ والسُّلاَفُ)(٥).

---

(١) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، بتحقيق سعد بن حمدان الغامدي (الناشر جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، جـ٢، صـ ٣٠٩.

(٢) محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، بتحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط. دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ) جـ ١، صـ ٤١٢.

(٣) سورة الزخرف: آية ٥٦.

(٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، بتحقيق عبد الحميد هنداوي، باب السين واللام والفاء " سلف "(ط.دار الكتب العلمية بيروت، سنة٢٠٠٠م) جـ٨، صـ ٥٠٠ بتصرف.

(٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال (ط.دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ط. أولى ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) جـ ٢، صـ ١١٨.

مصطلح " سلف " في النصوص القرآنية :

تعددت مفاهيم مصطلح "سلف" في القرآن الكريم، فجاء بمعنى "مضى" في قوله- تعالى- : (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ)[1]، ومعنى: ("فَلَهُ مَا سَلَفَ" أي: ما مضى قبل نزول التحريم من أموال الربا)[2]، وفي قوله: (ولاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً)[3]، فـ(معنى قوله: "إلا ما قد سلف"، إلا ما قد مضى)[4].

وجاء بمعنى "قدَم" في مثل قوله- تعالى- : (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ)[5]، ومعناها: (تخبر وتعلم ما أسلفت، أي ما قدمت من خير وشر)[6].

وجاء بمعنى "السبق"، ومن ذلك ما جاء في قوله- تعالى- : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ)[7]، (فالسلف بفتح السين وفتح اللام في قراءة

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٧.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م) جـ١، صـ ١٥٩.

(٣) سورة النساء: آية ٢٢.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (أبو جعفر الطبري)، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط. مؤسسة الرسالة، ط. أولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م) جـ٨، صـ ١٣٨.

(٥) سورة يونس: آية ٣٠.

(٦) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، جـ ٢، صـ ١٥٤.

(٧) سورة الزخرف: آية ٥٦.

الجمهور: جمع سالف مثل: خدم لخادم، وحرس لحارس، والسالف الذي يسبق غيره في الوجود أو في عمل أو مكان، ولما ذكر الانتقام كان المراد بالسلف هنا السالف في الانتقام، أي أن من بعدهم سيلقون مثل ما لقوا، وقرأ حمزة والكسائي: "سلفا" بضم السين وضم اللام، وهو جمع سليف اسم للفريق الذي سلف ومضى)[1]، ومما سبق نعلم أن مصطلح سلف في القرآن الكريم جاء بعدة معان، تشير إلى مفهوم واحد، فهو بمعنى: مضى وتقدم وسبق، وهذه أبرز الاستعمالات القرآنية لهذا اللفظ.

والسلفية اصطلاحا تعني: التمسك علما وعملا بكتاب اللّه، (وما ثبت من سُنَّة رسول اللّه- ﷺ- تمسكا كاملا بفهم السَّلف)[2]، والدعوة السلفية هي: (الدعوة إلى ما كان عليه الرسول- ﷺ- وأصحابه رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان، بالحكمة)[3].

والسلف الصالح: (هم أهل القرون الأولى منذ عصر النبي- ﷺ- ، ثم الصحابة ثم التابعون، ومن سار على دربهم وفق مناهج ثابتة نلتمسها في مصادرها بكتب العقيدة والفقه وأصول التفسير والسنة والسيرة النبوية

---

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط.الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م) جـ٢٥، صـ ٢٧٣.

(٢) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط. أولى سنة ١٤٢٢هـ)جـ١، صـ ٢٢.

(٣) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، جـ١٢، صـ ٢٤١.

وتراجم الرجال والتاريخ....إلخ)[1]، إنهم الجيل الذي شرب من ذلك المنهج الذي ظل النبي- ﷺ- يدعو إليه، ويغرس جذوره في أعماق النفوس، ويبني أسسه ودعائمه في سويداء القلوب حتى أوقد به مجامرها، وأثبت أركانه في الوجدان، فأضاء بهديه الجنان والأركان؛ فاتضحت سبيله للسالكين، وبلغوا به منزلا لا يبارى، وبلغ به الراغبون سنام المجد، حتى صاروا (النموذج الأكمل للمجتمع الرباني الذي حقق به رسول الله- ﷺ- نموذجا علميا لم يستطع الخلل أن يتطرق إليه إلا حينما اختلت قاعدة البناء في القلوب)[2].

مصطلح " السلفية " المظلوم بين تستر الدخيل وغلو العليل :

إن جملة من أدعياء السلفية والمنتسبين إليها زورا، ولم يأخذوا منها إلا اسمها، قد ألحقوا بها وبعلمائها أضرارا كانت أشد وقعا في مسيرة دعوتهم، فلما فجر هؤلاء الأدعياء الأصاغر بركان التشدد والإرهاب والعنف والتكفير، قذفوا الأكابر بحممه، فكم من حقائق تنير الحنادس شوهوها !! وكم من تعاليم سمحة طمسوها !! لذا أراد الباحث أن يثبت فيما يلي براءة السلفية مما نسب إليها من أدعيائها، فمفهوم السلفية لا ينخرط في المفاهيم التالية :

---

(١) مصطفى حلمي (الدكتور) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، بحوث في العقيدة الإسلامية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. أولى، سنة ١٤٢٦هـ، سنة ٢٠٠٥م) صـ ٨.

(٢) أنور الجندي، إعادة النظر في كتاب المصريين في ضوء الإسلام (مطبعة دار الاعتصام، سنة ١٩٨٥م) صـ ٢٦٠.

أولا : مفهوم السلفية الحقة يلفظ الغلو والتشدد :

قامت السلفية على امتدادها بالوسطية، قال- تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)[١].

والوسطية هي الاستقامة على المنهج، والبعد عن الميل والانحراف، فالمنهج المستقيم، وبتعبير القرآن: "الصراط المستقيم" هو كما عبر أحد المفسرين الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة.

وقد اقتضت هذه الوسطية مرونة في المنهج والتوجيه، وحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال- تعالى- : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[٢]، وذلك روح منهج السلف الصالح الذي فتحوا به أقفال القلوب إلى الإسلام.

وهذا المنهج هو المنهج الرباني بتوازنه واعتداله ووسطيته في عقيدته وشريعته وأخلاقه وعبادته، منهج خالٍ من الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط.

ثانيا : مفهوم السلفية الحقة لا يتضمن عشوائية التكفير والتفسيق :

---

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣..

(٢) آل عمران: آية ١١٠.

إن منهج السلف منهج معتدل يتمثل في روح اعتدال الشريعة، فلم يعتمد التكفير في مسلكه منهجا إلا بإنكار ما جاء في الرسالة، وهو منهج القرون الأولى، ويقول الإمام ابن تيمية[١] عن الامتداد السلفي الضارب بجذوره في منهج الأوائل:

(وأما مَا أَذْكُرُهُ فَأَذْكُرُه عَنْ أَئِمَّةِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ بِأَلْفَاظِهِمْ وَبِأَلْفَاظِ مِنْ نَقْلِ إجْمَاعِهِمْ مِنْ عَامَّةِ الطَّوَائِفِ. هَذَا مَعَ أَنِّي دَائِمًا وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي: أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ، إلَّا إذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً وَفَاسِقًا أُخْرَى وَعَاصِيًا أُخْرَى، وَإِنِّي أُقَرِّرُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَطَأَهَا، وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ، وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرِ وَلَا بِفِسْقٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ)[٢].

والدخلاء على السلفية لما وردوا على العلم هملا تخبطوا، فتفقهوا من الكتب بدون معلم، وزعموا أنهم فقهاء علماء، فاستفاضوا في استخراج

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) ولابن قدامة كتاب في سيرته سماه (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وللشيخ مرعي الحنبلي، كتاب (الكواكب الدرية - ط) في مناقبه، ومثله لسراج الدين عمر بن علي بن موسى البزار، وللشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، راجع الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، جـ ١، صـ ١٤٤، مصدر سابق.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

الأحكام قبل أن ترسخ أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة ؛ فزلت أقدامهم، وأدى قصورهم في العلم إلى قصورهم في الفهم، حتى جنحوا عن منهج السلف، تارة في التبديع، وتارة في التفسيق والتكفير، فهم لا يفرقون – جهلا- بين البدعة والمعصية، والبدعة المكفرة والمفسقة، ومن فعل البدعة عن عمد ومن أخطأ سهوا فيها، بل يحملون الحكم على الجميع بدون تفصيل، وينسبون ذلك لمنهج السلف، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله إلى هؤلاء الأدعياء بقوله:

(فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ نِزَاعِ النَّاسِ سَبَبُهُ أَلْفَاظٌ مُجْمَلَةٌ مُبْتَدَعَةٌ وَمَعَانٍ مُشْتَبِهَةٌ حَتَّى تَجِدَ الرَّجُلَيْنِ يَتَخَاصَمَانِ وَيَتَعَادَيَانِ عَلَى إطْلَاقِ أَلْفَاظٍ وَنَفْيِهَا وَلَوْ سُئِلَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَنْ مَعْنَى مَا قَالَهُ لَمْ يَتَصَوَّرْهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَعْرِفَ دَلِيلَهُ وَلَوْ عَرَفَ دَلِيلَهُ لَمْ يَلْزَمْ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُ يَكُونُ مُخْطِئًا بَلْ يَكُونُ فِي قَوْلِهِ نَوْعٌ مِنْ الصَّوَابِ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا مُصِيبًا مَنْ وَجْهٍ، وَهَذَا مُصِيبًا مِنْ وَجْهٍ، وَقَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ فِي قَوْلٍ ثَالِثٍ)[١].

وذلك هو فقه التعامل ودرك الاعتدال عند السلفية الحقة، حيث يكون اللفظ أحيانا سببا للخصام والعداء، بل قد يؤدي إلى السب والشتم واللعن، فلا يطبق الحكم العام في قضية عين حتى تتوفر فيها عدة شروط، وتنتفي عنها عدة موانع.

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام) مجموع الفتاوى، جـ ١٢، صـ ١١٤.

قال ابن تيمية- رحمه الله- : (كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الزنا والكذب حرام؛ لحق الله- تعالى- ، وكذلك التكفير حق لله- تعالى- ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله، موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر)[1].

وقال أيضا: (وحقيقة الأمر أن القول قد يكون كفرا، فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة)[2].

تلك هي المشارب الصافية من معين منهج النبي- ﷺ- الذي نظم أفئدة أصحابه على أنساق تتناغم مع نظم وتوجيه القرآن، وورثها السلف تواترا، فقد ورد عن أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- : أنه قتل رجلا شهر عليه السيف، فقال: (لا إله إلا الله)، فأنكر عليه النبي- ﷺ- أشد الإنكار، وقال: أقتلته بعدما قال: (لا إله إلا الله)؟ فقال: إنما قالها تعوذا من السيف؟

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، بتحقيق: زهير الشاويش (ط. المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦)جـ ٢، صـ ٤٠٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

فقال : هلا شققت عن قلبه؟! وفي بعض الروايات : كيف لك بـ (لا إله إلا الله) يوم القيامة؟[1].

على هذا المنهج تَكَوّن العقل السلفي الأصيل ، أما عدم الوزانة وفقدان الرزانة في الحكم على بواطن الناس فذلك أول الوهن في الانزلاق إلى هاوية سحيقة ، ومنهج السلف بريء من ذلك .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية[2] رحمه الله : (فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إما إلى تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ؛ كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميمين ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له ؛ هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد)[3].

ويحمل قول الإمام ابن القيم- ترجمان السلفية الحقة- لب المسألة ، فقد أدت العجلة وغياب الفقه إلى الحكم على الآخرين جزافا وهملا بلا ضابط ، وكان لأدعياء السلفية من الدخلاء آثار سيئة على الدعوة السلفية ، حتى اختلط الأمر وأشكل ، ففهم الناس أن السلفية سب وشتم ولعن وتبديع

---

(١) أخرجه البخاري ، راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، كتاب الديات باب (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) ، جـ ١٢ ، صـ ١٩٥ ، (الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ((٦٩١ - ٧٥١هـ=١٢٩٢- ١٣٥٠م) من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق ، راجع الأعلام للزركلي ، جـ ٦ ، صـ ٥٦.

(٣) ابن قيم الجوزية (الإمام) مدارج السالكين ، (المطبعة السلفية بالقاهرة ، الطبعة الثانية) جـ٢ صـ٥١٧.

وتفسيق وتكفير وهجر بلا ضوابط ولا أثارة من علم، فقد رأينا أدلة التكفير تنزل في غير منازلها، وشاهدنا أدلة التفسيق والتبديع والزيغ والضلال توضع في غير مواضعها، وأدلة الشدة والغلظة تطبق على غير حالاتها، وأدلة الهجر والعزلة تلقى في غير مواضعها، فنتج عن ذلك غلو في الآراء والأحكام، وخشونة في المعاملة، وكل ذلك باسم السلفية، والسلفية من هؤلاء الصغار براء، فعلى العلماء وطلاب العلم السلفيين وولاة الأمور التصدي لهؤلاء، والتحذير منهم؛ حتى لا ينخدع الناس بغلوهم وتنطعهم، وليؤد كل واجبه على الوجه الذي أراده الله، بل عليهم مواصلة عملهم والمضاعفة من جهدهم، وتحمل المشقات، والصبر على العقبات، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وكفى علماء السلفية وأصحاب الدراية فيها همَّ الأمة المحمول على عاتقهم، والعمل الدائب في إصلاح المجتمعات بالحكمة والموعظة الحسنة.

يقول فقيه السلف الإمام ابن حجر[1] رحمه الله: إن (لعن المعين والدعاء عليه قد يحمله على التمادي، أو يقنطه من قبول التوبة، بخلاف ما إذا صرف

(١) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩م)، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة، فقصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، راجع الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، جـ١، صـ ١٧٨.

ذلك إلى المتصف، فإن فيه زجرا وردعا عن ارتكاب ذلك، وباعثا لفاعله على الإقلاع عنه)[1].

إن السلفيين الحقيقيين على آثار هؤلاء الأكابر مقتدون، فالسلفية الحقيقية علم وعقيدة، ومنهج واعتدال، ووئام وإخاء، وجمع واحتواء، وحنو وحكمة، وخلق وأدب، ودعوة وصبر، وحلم ورفق، وتربية وتوقير للعلماء والكبار، وعطف على الصغار، وضبط للسان عن السقطات والزلات، إنها جامعة لمكارم الأخلاق، وكل متلبس بها من رسول الله ملتمس، وكل تائه عنها في خضم بحر هواه منطمس، وفي أوحال التيه والغفلة منغمس.

ثالثا: مصطلح السلفية تمسك بالكتاب والسنة علما وعملا:

إن القارئ في منهج السلف لتأخذه هزة من عبادتهم وخوفهم من الله، إنهم علموا فعملوا، فاستحقوا إطلاق مسمى السلف عليهم بجدارة، ومن ملامح استحقاقهم لهذا الإطلاق ما يأتي:

لقد كان تلقى الصحابة- رضوان الله عليهم- للكتاب والسنة بهدف التطبيق، وكانوا يسمعون بهدف الطاعة، قال- تعالى- عنهم: (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)[2]، وهذا يشمل من سار على دربهم على مبدأ السمع والطاعة.

وقد أخذ جيل الصحابة القرآن عن المعلم الأول محمد- ﷺ-، وفهموا معانيه، فتمكن الإيمان من قلوبهم، واستقر في عقولهم؛ فعمرها وأنارها،

---

(١) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ط. دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ) جـ ١٢، صـ ٧٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(يقول أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقْرِؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي- ﷺ- عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة).

وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة سنين)[1].

ويشير هذا الأثر صراحة إلى علم السلف الصالح وعملهم بكتاب الله- تعالى- قوله: " لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل".

وذلك يؤكد أن فهم الآيات وما فيها من المعاني والدروس سيفضي حتماً إلى الامتثال والعمل، فينشأ عنه الإيمان الراسخ، وتلك هي النتيجة الطبيعية لمن قرأ القرآن حق القراءة، وتلاه حق التلاوة، فليس القرآن مجرد أداء خالٍ من العمل؛ ولكنه تعاليم يجب الأخذ بها، ومعانٍ يجب اعتقادها.

قال عبد الله بن عباس عن حال السلف مع القرآن: كانوا (يتبعونه حق اتباعه، يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه)[2].

وفي سيرهم على درب رسول الله يروى مسلم عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال: اتخذ النبي- ﷺ- خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٧، صـ ٣٩٦.

(٢) محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، الإيمان، تحقيق: د. علي الفقيهي (مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦) جـ ١، صـ ٣٦٤.

من ذهب، فقال النبي- ﷺ- : إني اتخذت خاتماً من ذهب، فنبذه، فقال: إني لن ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم[١].

وبينما رسول الله- ﷺ- يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله- ﷺ- صلاته، قال: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ؟ قالوا: رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا، فقال رسول الله- ﷺ- : إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرٌ. أو قال: أَذًى[٢].

والشاهد هو شدة حرص الصحابة على الاتباع.

وامتد عمل السلف وتواتر حتى رئي في كثرة ذكرهم لله- تعالى- ، وشدة خوفهم من الله- تعالى- ، وغير ذلك.

(قال بعض السلف لقيت رجلا في برية، فقلت: من أين؟، فقال: من عند قوم (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)، قلت: وإلى أين؟، قال: إلى قوم (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)[٣].

و(كان بعض السلف يقول: اللهم إن منعتني ثواب الصالحين فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته، وكان آخر يقول: إن لم ترض عني فاعف عني، فكان القوم زينة الدنيا فمذ سلبوا خلت- والله- الديار، وباد القوم،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لُبْسِ النَّبِيِّ- ﷺ- خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَلُبْسِ الْخُلَفَاءِ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، برقم ٥٥٩٨، جـ ٦، صـ ١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصَّلاةِ فِي النِّعَالِ، جـ ٢، صـ ٤٩.

(٣) أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، المدهش، بتحقيق: د.مروان قباني (ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ط. ثانية ١٩٨٥م) جـ١ صـ ١٥٦.

وارتحل أرباب السهر، وبقي أهل النوم، واستبدل الزمان آكلي الشهوات بأهل الصوم، وقال بعض السلف: لقيت غلاما في طريق مكة، فقلت له: أما تستوحش؟ فقال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة، قلت: فأين ألقاك؟ قال: أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي، وأما في الآخرة فإنها مجمع المتقين، قلت: فأين أطلبك في الآخرة؟ قال: اطلبني في جملة الناظرين إلى الله- تعالى- ، قلت: وكيف علمت؟ قال: بغض طرفي عن كل محرم، واجتنابي فيه كل منكر ومأثم، وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه، ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري)[1].

هذا هو منهج السلف المنشود، والذي على دربه نرى أهل السلفية المخلصين الآن سالكين، تكسوهم حلى العبادة، ورزانة الحكمة، فقد ورثوها عن أسلافهم اقتداء واقتفاء، فاستحقوا انتسابهم إلى السلف بلا كلف.

(١) نفس المصدر، جـ١ صـ ٣٥٩، ٥٠٠ بتصرف.

المبحث الثاني

السلفية منهج إسلامي وامتداد نبوي

كثر في الآونة الأخيرة صفير أقلام المأجورين الذين يتهجمون على المنهج السلفي ويصفونه بالطروء على منهج الإسلام بوعي وبغير وعي، وبدراسة وغير دراسة، لتشويه هذا المنهج الذي يدعو إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، والذي يهدف إلى إعادة الأمة إلى المنهج الصافي الذي لم يتكدر بالآراء المجردة والفلسفات الوضعية.

مع أن منهج السلف هو منهج الرسول- ﷺ- وأصحابه- رضي الله عنهم- ، منهج يسعى إلى طمس معالم البدع والشرك التي أحدثها الناس بعد القرون المفضلة، ويرفض تقديم آراء الرجال على الكتاب والسنة، بعد انقضاء مرحلة رجال القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، وقد زاد الحرج العقدي في هذه الآونة حين دب في المسلمين داء التنافس على الرئاسة، وحب الدنيا، فتفرقت كلمتهم، وتبدد شملهم، وفقدوا كل شيء حتى تعاليم دينهم الحنيف، لا سيما توحيد رب العالمين، فاشرأبت أعناق الشرك، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم، فأحلوا البدعة محل السنة، والشرك محل التوحيد، وما زالوا كذلك غارقين في بحار الوثنية والشرك إلا من شاء الله، إلى أن قيض الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويأخذ بأيديهم إلى بر النجاة.

وقد تتوج السلف بتاج المنهج القويم الدقيق المحكم والمتمثل في أمرين لا ثالث لهما، وهما:

الأمر الأول: الاستقامة على منهج الكتاب والسنة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والصراط المستقيم يتضمن معرفة الحق والعمل به كما في الدعاء المأثور: "اللهم أرني الحق حقا، ووفقني لاتباعه، وأرني الباطل باطلا، ووفقني لاجتنابه، ولا تجعله مشتبها علي فأتبع الهوى"، وفي صحيح مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي- ﷺ- كان إذا قام من الليل يصلي يقول: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"[(١)].

فمن خرج عن الصراط المستقيم كان متبعا لظنه وما تهواه نفسه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين، وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم لا يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم لا سيما الرافضة[(٢)]، فإنهم أعظم ذوي الأهواء

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، راجع المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني، بتحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، كتاب الصلاة، (ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، طبعة أولى - ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م) جـ ٢، صـ ٣٦٧.

(٢) الرافضة: من الرفض، والرفض هو الترك، ومنه الرافضة تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن سب الصحابة، فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب، انظر التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط. دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ط. أولى، سنة ١٤١٠) جـ ١، صـ ٣٦٩.

جهلا وظلما، يعادون خيار أولياء الله- تعالى- من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)[1].

والمسلم يهرع إلى رسول الله مستفتيا سنته كلما طرأ له أمر ذو بال؛ لأن حياته المعنوية قائمة بين المسلمين متمثلة في سنته، وعليه أن يرضى بحكم رسول الله الوارد فيها، وهو إن لم يفعل ذلك فهو بحاجة إلى تجديد إيمانه، قال الله- تعالى- : (فلا وربّكَ لا يُؤمِنون حتّى يُحكّموك فيما شَجَرَ بينَهُم ثُمّ لا يجدوا في أنفُسِهِم حَرَجا مِمّا قَضيتَ ويُسَلِّموا تَسليما) [2].

وقال- تعالى- : (قل إن كُنتُم تُحِبّون الله فاتّبعوني يُحببكُم اللّهُ ويغفِر لكُم ذُنوبَكُم)[3]، وقال- تعالى- : (ومَن يُشاقِق الرَسولَ من بعد ما تبيّن لهُ الهُدى ويَتّبِع غيرَ سبيلِ المؤمِنينَ نولّهِ ما تولّى ونُصلِهِ جَهَنّمَ وساءَت مصيرا)[4].

ويتبع بعد سنة رسول الله- ﷺ- سنة خلفائه من بعده، حيث قال- ﷺ- : "عَليكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الراشِدينَ المَهديينَ مِن بَعدي، عَضّوا عَليها بالنواجِذ"[5]، فجل ما ورد من تفسير أو حكم أو قضاء عن الخلفاء

---

(١) أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦) جـ١، صـ ١٩- ٢٠.

(٢)سورة النساء: آية ٦٥.

(٣)سورة آل عمران: آية ٣١.

(٤)سورة النساء: آية ١١٥.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث العرباض بن سارية السلمي، وصححه الترمذي، راجع البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري،

الراشدين- رضوان الله عليهم- ، يفسر السنة، لذا فهو مقدم على اجتهاد من جاء بعدهم، إلاّ إذا تغيرت الظروف، واحتاج المسلمون إلى اجتهاد جديد.

وعلى المسلم أن يتعلم الحديث، ويحفظ ما تيسر منه، ويعمل بما تعلّم، ويعلِّمه غيره، ويعده دليلا عمليا تفصيليا بعد القرآن، وإذا سمع أو قرأ الأمر والنهي من رسول الله- ﷺ- ، فليس له أن يقَدِّم على ذلك رأيا لنفسه أو لأحد من البشر، كائنا من كان، إلاّ أن يعلم حديثا آخر يخصص الأمر أو أكثر انطباقا على تلك الواقعة.

وجمهور السلف أبدوا تمسكهم الذي لا يقبل التعددية في قصر الحكم على نص الكتاب والسنة.

وباب تقديم المعقول على المنقول يفتح بابا للهوي، قال- تعالى- : (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[1].

والاستقامة هي المنهج الذي دل عليه الوحي، قال- تعالى- : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ

تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الحدث السابع عشر (ط. دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية، ط. اولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م) جـ ٩، صـ ٥٨٢.

(١) سورة الشورى آية: ١٥.

وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ)[1]، وقال: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ)[2].

وقد أجمعت الأمة على أن السنة مفسرة لأحكام القرآن، وتتضمن فروضا غير مبينة بالقرآن، لا يمكن الاستغناء عنها، ولا يجادل لتقليل أهميتها إلاّ منافق أو كافر، وعلى المسلم أن يتعلم السنة المطهرة؛ لأنها تفصِّل ما ورد مجملا في القرآن، وتبين التطبيق العملي للأحكام والأخلاق، فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

ولما كثر أدعياء السلفية، وكثر الخلط في المفاهيم، وتكلم باسمهم من تكلم، وتفيهق من تفيهق، كفَّروا بلا ضابط ولا رابط، فكانوا محط ركاب الطاعنين، ومحل هجوم الغائرين، وراحت السلفية ضحية هذا الغث الدخيل على المنهج الأصيل.

لذا يجب بيان منهج السلف الأصيل الذي هو لزوم الطريقة التي كان عليها الصحابة من التمسك بالكتاب والسنة علما وعملا، وفهما وتطبيقا، وهذا المنهج باقٍ إلى يوم القيامة، ويجب الانتساب إليه، أما من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضٍ، فهو خارج من السلفية، بل خارج عليها.

ومن خلال ما تقدم ندرك أهمية المقاصد التي يرمي إليها منهج سلفنا الصالح، فهو يدعو إلى الإسلام الصافي النقي من أدران الشرك والخرافات والبدع والمنكرات، ويعزز في شخصية المسلم مفهوم الولاء والبراء، فالدعوة

---

(١) سورة فصلت آية: ٦.

(٢) سورة الأحقاف آية: ٣٠.

السلفية هي دعوة الكتاب والسنة، وهي اتباع سبيل المؤمنين من السلف الصالح وهم أصحاب النبي- ﷺ- والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والسلفيون في كل عصر هم الفئة الذين قال فيهم الرسول- ﷺ- : (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ)[1].

الأمر الثاني: اجتناب البدع:

البدع جمع بدعة، والبدعة هي: الفعلة المخترعة في الدين على خلاف ما كان عليه النبي- عليه السلام- ، وكان عليه الصحابة والتابعون- رضي الله عنهم- [1]، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله- ﷺ- : (مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منهُ فهو ردٌّ)[2].

وفي الحديث عن جابِرِ بن عبد اللَّه- وهو في الصحيح- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الأُمُورِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)[3].

---

(١) أخرجه البخاري، راجع الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، كتاب الوحي، باب قول النبي- ﷺ- : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، (ط. دار الشعب، القاهرة، ط. أولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٩، صـ ١٢٥.

(٢) إسماعيل حقي، تفسير روح البيان، (ط. دار إحياء التراث العربي، د.ت) جـ ٩، صـ ٢١.

(٣) أخرجه مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، برقم ٤٥٨٩، كتاب الأقضية، باب نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، (ط. دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت) جـ ٥، صـ ١٣٢.

وهـذا مـا درج عليـه الـسلف مـن الـصحابة والتـابعين ؛ لأن الله أمـر بهـذا ، فقـال : (وَإِنْ تُطِيعُـوهُ تَهْتَـدُوا)[٤] ، وقـال- تعـالى- : (يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)[٥] .

---

(٤) سورة النور : من الآية٥٤ .

(٥) سورة محمد : آية ٣٣.

المبحث الثالث

حكم الانتساب للسلفية .. بين الوجوب والمنع

في خضم التشابك والخلط والإشكالات الفكرية، ومع تداخل الصور السلوكية المعبرة عن منهج السلف الصالح، يتجه الحكم على الانتساب للسلفية إلى وجهتين، وذلك لأن الإسقاط التطبيقي للمنهج السلفي على واقع الشخصية، تختلف ملامحه حسب التركيبة العلمية، والخلفية الدينية، والمرونة التكوينية المحكومة بطبيعة الثقافة، وفهم أنماط منهج السلف الصالح، فترتب عليه تفريع الحكم على حكمين:

الأول: وجوب الانتساب للسلفية (الحقة):

بعد عرض فقه تأصيل السلفية وتتبع جذورها ومشاربها ومواردها وروافدها على منهج الكتاب والسنة، يتسنى للبصير المتخرج في فقه النظر والتقويم أن يحكم بوجوب اتباع منهج السلف، والانتماء إليه، والمثول بين يديه، فهو تجسيد لمنهج النبي - ﷺ - ، وعين منهجية خير القرون ممن تخرج في مدرسة النبي على التواتر من نجوم الهداية والاقتداء عبر أفلاك ومنازل أقمار القرون الثلاثة الأولى ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولعلهم المعنيون - كما قال جمع من المفسرين - بقوله - تعالى - : (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآَخِرِينَ)[1]:

كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة، والمراد بالأولين منهم الصحابة، وقيل: هم كلهم من هذه الأمة، والمراد بـ"ثلة من الآخرين": هم من بعد ذلك إلى قيام الساعة.

---

(١) سورة الواقعة: آية ١٤.

والتأصيل يبدأ بالعنعنة عن النبي، ثم عن القرون الأولى، والتي قال فيها قدوة العالمين- ﷺ- : (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ)[1].

هذا التكوين السلفي المتناغم مع المنهج الإسلامي الأصيل يجب وجوبا عينيا الانتساب إليه؛ لأن الانتساب إليه ضربٌ من ضروب الحفاظ عليه خالدٌ أبد الدهر ما بقيت في الأرض الحياة.

إنه المنهج والانتساب الذي استخلف عليه سلفنا من يلونهم، وقامت عليه وصايتهم لأبنائهم ليتابعوا عليه ويتخرجوا في ظلاله، ومن هذه الوصاية قول الإمام ابن الجوزي[2] في وصيته لابنه من رسالة طويلة، يستأنف فيها وعظه ونصحه له: (على قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر، فلا

(١) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي- ﷺ- (ط. دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٣، صـ ١٣٣٥.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ = ١١١٤ - ١٢٠١م) علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، راجع المرجع السابق، جـ ١، صـ ٣١٦.

تعظـن إلا بنيـة ، ولا تمشين إلا بنية ، ولا تـأكلن لقمـة إلا بنيـة ، ومـع مطالعـة أخلاق السلف تنكشف لك الأمور)[1] .

وتلـك الوصـاية لم تكـن بـدعا مـن الـسلف ، ولكنهـا مـستقاة مـن المنـابع الأولى ، فقد سبق بها رسول الله مع ابنته فاطمـة - رضـي الله عنهـا - ، ففـي الحديث قال رسول الله لها : (وَإِنِّي لاَ أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَـرَبَ ، فَـاتَّقِي اللَّـهَ وَاصْبِرِي ، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ)[2] .

الله الله على جمـال مـنهج الـسلف ومـشرب الـسلفية ، يقـول الإمـام ابـن تيمية - رحمـه الله - في مجمـوع الفتـاوى : (لا عيـب على مـن أظهـر مـذهب السلف ، وانتسب إليه ، واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفـاق ، فـإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً)[3] .

و قال الإمام الأوزاعي ناصحا : (اصبر نفسك على الـسنة ، وقـف حيـث وقـف القـوم ، وقـل فيمـا قـالوا ، وكـف عمـا كفـوا ، واسـلك سـبيل سـلفك

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشى (الإمام) ، الموضوعات ، ضبط وتقـديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (الطبعة الأولى ١٣٨٦ – ١٩٦٦) جـ ١ ، صـ ٢٢ .

(٢) مـن حـديث عَائِـشَةَ ، راجـع الحـديث كـاملا في صـحيح الإمـام مـسلم ، كتـاب فـضائل الـصحابة ، بـاب فـضائل فاطمـة - عليهـا الـسلام - ، (دار الجيـل بيروت ـ دار الأفـاق الجديدة ـ بيروت) جـ ٧ ، صـ ١٤٢ .

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بـن تيمية الحراني (الإمام) ، مجمـوع الفتـاوى ، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار ، (ط. دار الوفاء ، ط.ثالثة ، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م)جـ ٤ ، ١٤٩

الصالح، فإنه يسعك ما يسعهم)[1]، وقوله: "وقف حيث وقف القوم" المراد بالقوم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وهم الذين لا يشقى من سلك سبيلهم، فقف حيث وقفوا، ولا تتجاوز خطاهم ومسارهم، تنظر ماذا فعلوا فتفعل، ولا تتجاوز ذلك؛ فإنَّهم لم يقفوا حيث وقفوا عن عجز أو عدم قدرة، بل لتمسكهم بالسنة، ولزومهم لها، وحرصهم عليها، كما قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- : "قف حيث وقف القوم، فإنَّهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصَّر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنَّهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم"، "وقل فيما قالوا"، أي: إذا أردت أن تقول قولاً فقل فيما قال السلف ولا تزد، وقال الإمام أحمد- رحمه الله- : "إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام من السلف"؛ لأنَّهم أهل هدى وحق وبصيرة في دين الله- تعالى- ، "وكف عما كفوا" أي: الشيء الذي كف عنه السلف كف عنه، واعلم أنَّ الخوض فيه مما لا خير فيه؛ لأنَّه لو كان خيراً لسبقونا إليه[2].

والسلف الصالح الذي تنسب إليه السلفية الحقة هم الذين يقوم عليهم الحكم بوجوب الاتباع، فالسلفية الحقة صورة من هؤلاء السلف الصالح، وهم شركاء لهم في وراثة النبي- ﷺ- من المهاجرين والأنصار والتابعين

---

(١) أبو الفضل المقرئ، أحاديث في ذم الكلام وأهله، بتحقيق: د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع (ط. دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦)، جـ٥، صـ ١١٧.

(٢) عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، (غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) جـ١، صـ ٣٩٣ بتصرف.

لهم بإحسان، وأئمة الدين والهدى، والسلفي هو من رضي بهذا الميراث واكتفى به ولزم الكتاب والسنة على فهم علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة، هذا هو السلفي، وتلك هي السلفية الواجب الانتساب إليها.

الثاني: الحكم بمنع الانتساب إلى السلفية المتسلفة:

كل من نسب نفسه للسلفية، ولم تنعكس في مرآة قلبه ولا تصرفاته ولا سلوكه موارد السلف، فليس بسلفي، ولا يصح اتباعه، ولا الانتساب إليه، كأصحاب الهوى والغلو والتكفير والتفجير والإيذاء، قال- تعالى- : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً)[1].

والحكم بالمنع قائم على هوية وطبيعة وفكر المنتمين إلى منهج السلف زورا حتى شوهوه، وتسببوا في كارثة الصد عن السلفية المنشودة بعلم وبغير علم، وهؤلاء أضر على الدعوة إلى اتباع منهج السلف من غيرهم، فقد خيم شبح أدعياء السلفية المتنامي، مما أدى إلى انعكاس مردود موصوم بمعاداة الأسس الفكرية للسلفية الحقة.

ولقد عملت تداعيات ذلك على تفعيل تسويق وصم سيرتهم بنعوت إرهابية غالية، مبنية على تصورات مغلوطة مشكل عليها على نطاق واسع، مما كان له الأثر في تسويغ الحروب العدوانية عليها.

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٥٨.

والسبب المؤدي إلى ذلك هو الفهم المغلوط للنصوص الدينية ؛ إذ لا بد لسلامة استنباط الحكم من الأدلة الشرعية من ضرورة إعمال الأدلة كلها وعدم إعمال بعضها، وإهمال البعض الآخر، عل أساس حمل عامها على خاصها، ومطلقها على مقيدها، ومجملها على مفسرها، ومن الصيرورة إلى الجمع بين الأدلة دون استبعاد أي منها وقد أدى فقدان الثقة في المرجعية الدينية الصحيحة إلى عدم السماع والإصغاء لأي بيان معلن منها، وأصبح لغلاة الفكر مرجعيات خاصة تتناغم مع مضمون المنهج الاستنباطي والقيمي لدى هذه الجماعات.

وقد أدى وجود الفساد في بعض المجتمعات مع غياب فقه الأمر والنهى، إلى المبادرة للقضاء على الفساد بشكل إبادي جماعي إتلافي، وهو أشد خطرا وفسادا من الفساد المستهدف ؛ لأنه يعد مروقا عن منهج المعالجة الحكيمة وفقه أخلاق الأمر والنهي بمحاربة الفساد والتفسخ الأخلاقي من خلال إجراءات عنيفة تأخذ أشكالاً متفاوتة، من ردود الأفعال المتشنجة والمتوترة التي قد تصل ذروتها إلى القتل والدم.

فمثل هذا النقد الجارح الآثم الخارج عن منهج الوسطية في الحكم على الآخرين ليس من أخلاق السلف الصالح في النصح، فهؤلاء متسلفون ومحجوبون شرعا من إرث منهج النبي وأصحابه والتابعين، ففقه الاتباع لمنهج النبي لا يأخذ بعض الأمور ويترك بعضها، ولا يقوم على الدعاية في الرأي مع التفلسف في فقه التسلف، الحق عند استنباط الحكم من موارد السلف، ورحم الله الأوزاعي حين قال: (وما رأي امرئ في أمر بلغه عن رسول الله- ﷺ- إلا اتباعه، ولو لم يكن فيه عن رسول الله- ﷺ- ، وقال فيه

أصحابه من بعده كانوا أولى فيه بالحق منا ؛ لأن الله- تعالى- أثنى على من بعدهم باتباعهم إياهم ، فقال : (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1] ، وقلتم أنتم : لا بل نعرضها على رأينا في الكتاب ، فما وافقه منها صدقناه ، وما خالفه تركناه ، وتلك غاية كل محدث في الإسلام ، رد ما خالف رأيه من السنة)[2].

وعليه فالانتساب لهؤلاء المتسلفين ممنوع شرعا ؛ لأن المعول عليه عند الحكم بالقبول والمنع ، العرض على كتاب الله وسنة رسول الله- ﷺ- ، فمن كان له فيهما قسم فعلى الرأس والعين ، ومن لم يكن له فيهما نصيب ، فالبراءة منه لازمة ، والإعراض عنه واجب ، وما نرى المتبع لهم إلا ضالا (والله أعلم).

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٠.

(٢) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، ذم الكلام وأهله ، بتحقيق : عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، (مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨) جـ٥ ، صـ ١١٧.

المبحث الرابع

علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة

الحِزْبُ في اللغة: جَماعة من الناسِ، والجمع أَحْزابٌ، والأَحْزابُ: جُنودُ الكُفَّار، تأَلَّبوا وتظاهروا على حِزبْ النبيّ- ﷺ- ، وهم قريش وغطفان وبنو قريظة، والأحزاب في قوله- تعالى- : (يا قوم إِني أَخاف عليكم مثلَ يومِ الأَحزابِ) قوم نوح وعاد وثمود ومن أُهلك بعدهم، وحِزْبُ الرجل أَصْحابُه وجُنْدُه الذين على رأْيه، والمُنافِقُونَ والكافِرُون حِزْبُ الشَّيطانِ، وكل قوم تَشاكَلَتْ قُلُوبهُم وأَعْمالُهم فهم أَحْزابٌ، وإِن لم يَلْقَ بعضُهم بَعْضاً بمنزلة عادٍ وَثُمودَ وفِرعَوْنَ، أُولئك الأَحزابُ[1].

وقد وردت كلمة "حزب" في القرآن الكريم بمعنى "جماعة" في مواضع عديدة، منها: قوله- تعالى- : (وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)[2]، وقوله: (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً)[3]، وقوله- تعالى- : (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)[4].

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (دار صادر – بيروت – ط. الأولى – د. ت) جـ ١، صـ ٣٠٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٥٦.

(٣) سورة الكهف: آية ١٢

(٤) سورة المؤمنون: آية ٥٣

وقولـه : (مِـنَ الَّـذِينَ فَرَّقُـوا دِيـنَهُمْ وَكَـانُوا شِـيَعاً كُـلُّ حِـزْبٍ بِمَـا لَـدَيْهِمْ فَرِحُونَ)[1].

ومنه : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[2]، وقوله- أيضا- : (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[3]، وقوله : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[4].

فكلمة "حزب" في الآيات السابقة بكل مشتقاتها تعني "جماعة".

وتوجيه هذا المصطلح على مراد موضوعنا على أن السلفية لم تكن نسبة إلى حزب معين من تصميم جماعة معينة، ولا إلى تيار فكري بعينه، أو مذهب معاصر، وإنما هي منهج وطريق المؤمنين الذي سار فيه الصحابة والخلفاء الراشدون، والأئمة المرضي عنهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم حزب الله الذين صنعهم الله وأعدهم على عينه، وليسوا حزب فلان ولا غيره من الناس.

---

(١) سورة الروم: آية ٣٢.

(٢) سورة فاطر: آية ٦.

(٣) سورة المجادلة: آية ١٩.

(٤) سورة لمجادلة: آية ٢٢ .

نعم! ... إن السلفية على امتدادها لم تكن تدعو إلى حزبية أو مذهبية غير منهج السلف الصالح المتمثل في كلام الله- سبحانه وتعالى- وكلام رسوله- ﷺ- ، وقد صرّح بهذا ترجمان السلفية الإمام ابن تيمية- رحمه الله- ، في مواضع متعددة من كتبه، ومنها: (إني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحداً قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها)[1]، فمع احترام الإمام لكلام العلماء، إلا أنه كان حريصا على الإبقاء على منهجه.

إن السلفية الحقة بدعوتها الموروثة أممية لا حزبية، وشمولية لا تجزيئية، مطيتها الموازنات الشرعية السديدة، وبُوصلتها الكتاب والسنة، وزادها الزهد والعبادة، وشعارها اتقاء الشبهات، ومسلكها ترك ما يريب، وهي بكل حال تعطي ولا تأخذ.

والسلفية هي المدرسة التي تحافظ على العقيدة والمنهج الإسلامي طبقا لفهم الأوائل، والسلفية ليست تأسيس البشر إنما هي الإسلام نفسه بالفهم الصحيح علما وعملا من كتاب الله وسنة نبيه- ﷺ- .

والسلفية تحارب الحزبية والعصبية التي تفرق بين الناس.

والسلفية تدعو للأخوة الإيمانية وتحث على الأخلاق الإسلامية، وتنهى عن الحزبية التي تورث الخلاف والشقاق والبغضاء، وتحل ما أحل الله

---

(١) أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام) مجموع الفتاوى ، تحقيق، أنور الباز - عامر الجزار (ط. دار الوفاء، ط.ثالثة، سنة ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م) جـ ٣، صـ٢٢٩.

ورسوله وتحرم ما حرم الله ورسوله ، ولا تخلع يداً من بيعة ، ولا تشق عصا الجماعة ، ولا تفرح بمصائب المؤمنين ، وتدعو إلى الله بالحكمة.

وأكتفي بتلك الرؤية للمفهوم الصحيح للسلفية الحقة ، فإن أصبت فذاك ما أبغي بفضل من الله ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان ، والله أسأل التوفيق.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخـاتمة

بعـد هـذا التطـواف في شـعاب البحـث حـول مـصطلح الـسلفية وأصـالتها وتكوينها على عين الكتاب والسنة ، ومنهجيتها المنبثقة من خير القرون ، نـصل إلى عدة نتائج ، ونرمي إلى بعض التوصيات ، وذلك فيما يلي :

أهم النتائج :

أولا : أن السلفية المنشودة لها تأصيلها الـضارب في عمـق القـرون الأولى ، وتسقى بماء واحد ، وهو منهج الكتاب والسنة ، بعيدا عن الخلط والدخل ، لها لمعتها وبريقها الذي لا يصدأ ، ولا يغيره غبار الـريح ، ولا بيئـات الانفـلات في ظل الحداثة ، ووبال البدع.

ثانيا : هنـاك سـلفية الأدعيـاء ، وهـي سـلفية المتسلفين ، وهـي لا تلزمنـا في شئ ، ولا نريدها إلا بالذب لهـا عـن طريـق الحقيقـة ، والأخـذ عليهـا بـسواعد الصد والرد لما أحدثته من تشويه انعكس سلبا على دعـوة الـسلفية المظلومـة في هـذا الخـضم الهائـل مـن الغـبش الفكـري الـذي لقـح العقـول في زمـن ملـيء بالإشكال والخلط.

ثالثا : أن السلفية منهج رباني معتدل تزينه روح الوسطية ، بعيد كـل البعـد عن الانخراط في الغلو والتنفير والتـشدد ، يجملـه أخـلاق دعاتـه وحلـم علمائـه الذين حفتهم سرج الأوائل ، واستأنسهم هدي النبي - ﷺ - .

رابعا : أن السلفية ليست حزبية ولا مذهبية ، بل هي منهاج شريعة ومـنهج حياة ، فهي هدي نبوي واقتباس من وضاءة السلوك الأول المجرد مـن تلاعـب الأهواء ، والبعيد عن مطامع الدهماء.

أهـم التوصيات :

يتآلف البحث في زبدة تنبئ عن عدة توصيات ، أهمها :

أولا : ضرورة تشكيل لجان سلفية متخصصة في الحوار الهادئ الذي يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يمزق ، وتقوم هذه اللجان بتبسيط المنهج السلفي ، وإبراز روح وسطيته ونبذه للغلو المذموم.

ثانيا : ضرورة مجابهة المتسلفة من الدخلاء الذين عكروا الصفو ، وعطلوا الصفاء ، وأقلقوا الناس من السلفية حتى أشكل الأمر واختلط على كثير من الناس ، فراحوا ينقدون ويتهمون بلا دراية ولا وعي.

ثالثا : حتمية الترويج الإعلامي لمنهج السلف الصالح ترغيبا وتحبيبا ، وتشكيل حزمة دعوية يتصدرها الفاهمون والعالمون ، بعيدا عن الشباب الذين يأخذ بنواصيهم الغلو في الحماسة والحمية فيهدمون ولا يبنون ، وإن كان ذلك منهم بحسن قصد ، إلا أن الدعوة لها صقلها ورجالها الذين استفرغوا جعبتهم من الاندفاع والثورة ، وهوجاء الصد والرد ، وملؤوها بميذاب الحلم والحكمة والموعظة الحسنة.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهـم المصادر

أولا : القرآن الكريم.

٢ ـ إبراهيم اليازجي اللبناني ، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، ط المعارف ، سنة ١٩٠٤م.

٣ ـ ابن قيم الجوزية (الإمام) مدارج السالكين ، (المطبعة السلفية بالقاهرة ، الطبعة الثانية)

٤ ـ ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، ، تحقيق مصطفى أبو الغيط و عبد الله ابن سليمان وياسر بن كمال ، الحدث السابع عشر (ط. دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية ، ط. اولى ، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م)

٥ـ ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) ، لسان العرب ، (ط. دار المعارف ، د.ت).

٦ ـ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، ذم الكلام وأهله ، بتحقيق : عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، (مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨).

٧ ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، بتحقيق عبد الحميد هنداوي ، باب السين واللام والفاء "سلف" (ط.دار الكتب العلمية بيروت ، سنة٢٠٠٠م).

٨ ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهم جفال (ط.دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ط. أولى ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

٩ ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، (ط. دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ت).

١٠ ـ أبو الفضل المقرئ ، أحاديث في ذم الكلام وأهله ، بتحقيق : د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع (ط. دار أطلس للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦).

١١ ـ أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام) مجموع الفتاوى ، تحقيق ، أنور الباز - عامر الجزار (ط. دار الوفاء ، ط.ثالثة ، سنة ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م).

١٢ ـ أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي، مختصر الشمائل المحمدية، بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن).
١٣ ـ أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، المدهش، بتحقيق: د.مروان قباني (ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ط. ثانية ١٩٨٥م).
١٤ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشى (الإمام)، الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (الطبعة الأولى ١٣٨٦ – ١٩٦٦).
١٥ ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم بتحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، (ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، طبعة أولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
١٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، بتحقيق: زهير الشاويش (ط. المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦).
١٧ ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ط. دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ).
١٨ ـ أنور الجندي، إعادة النظر في كتاب المصريين في ضوء الإسلام (مطبعة دار الاعتصام، سنة ١٩٨٥م)
١٩ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط. دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧).
٢٠ ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام (ط. دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م).
٢١ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط (ط. دار الرسالة، د.ت).
٢٢ ـ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، (غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢٣ ـ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط. أولى سنة ١٤٢٢هـ).

٢٤ ـ عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، كتاب التمسك بالسنن، دراسة وتحقيق: محمد باكريم محمد باعبد الله (الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان ١٠٣ - ١٠٤ - - ١٤١٦ /١٤١٧هـ - ١٩٩٦م/١٩٩٧م).

٢٥ ـ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م).

٢٦ ـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (أبو جعفر الطبري)، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط. مؤسسة الرسالة، ط. أولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

٢٧ ـ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط.الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).

٢٨ ـ محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، بتحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط. دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ).

٢٩ ـ محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، بتحقيق سعد بن حمدان الغامدي (الناشر جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٣٠ ـ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (دار صادر — بيروت — ط. الأولى — د. ت).

٣١ ـ مصطفى حلمي (الدكتور) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، بحوث في العقيدة الإسلامية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. أولى، سنة ١٤٢٦هـ، سنة ٢٠٠٥م).



أوراق العمل

المحور الأول



العَقيدَةُ السَّلفيَّة

تعريفها ـ نشأتها ـ فضلها ـ خصائصها

إعداد

د. محمد حمد الحمود النجدي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه،،،

أما بعد:

فهذا بحثٌ مختصر في تعريف العقيدة والدعوة السلفية المباركة، ونشأتها، وفضلها، وخصائصها.

رجوت به المساهمة في الخير مع إخواني في هذا الملتقى المبارك، والأخذ بنصيبي من الأجر، والدعوة لهذا الطريق الصحيح، والنهج السديد، والله الموفق والهادي للصواب.

تعريفها:

السَّلفية: هي اعتقادُ السّلف ومنهاجهم، والسلف هم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، من الصحابة- رضي الله عنهم- والتابعين وتابعيهم، ممن شَهد لهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- بالخيريّة، وذلك في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: عن عمران بن حصين- رضي الله عنه- قال: إن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "خيرُ أمتي قَرني، ثم الذين َيلونهم، ثم الذين َيلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا؟".

فأصحابُ هذه القرون أفضل الأمة، وأكرمُ الخَلق على الله- تعالى- بعد النبيين والمرسلين، وفيهم الصدّيقون والشهداء والصالحون، وهم أئمة الهدى، ومصابيح الدُّجى، وقد أجمعت الأمةُ على هدايتهم وعلمهم وفضلهم، قال- سبحانه وتعالى- : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (التوبة: ١٠٠).

ولذلك يسمّون: بالسلف الصالح.

كما يسمّون بـ: الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، وأهل الأثر.

والفرقة بكسر الفاء: هي الطائفة من الناس، وأما بالضم فهي الافتراق.

وقلنا: إنها الناجية المنصورة: أخذا من حديث الرسول- ﷺ- : "ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة، وهي: مَنْ كان على مِثلِ ما أنا عليه اليوم وأصحابي" رواه الترمذي.

وقوله: "لا تَزالُ طائفةٌ من أُمتي على الحقّ منصورةٌ، لا يَضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله" متفق عليه.

وقلنا: أهل السنة والجماعة: المراد بالسُّنة الطريقة التي كان عليها رسول الله- ﷺ- وأصحابه، قبل ظهور البدع والمقالات المحدثة.

وسُمّوا أهل السنة: لأنهم متمّسكون بها، مجانبون للبدعة.

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا: سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الصريح من كتاب الله- تعالى- ، وسنة رسوله- ﷺ- ، ولم تفترق هذه الجماعة كما افترقت الجهمية والروافض والقدرية والخوارج والمرجئة وغيرهم.

وأما أنهم: أهل الحديث وأهل الأثر، فلاعتنائهم بأحاديث الرسول- ﷺ- ، واشتغالهم بآثار أصحابه- رضي الله عنهم- ، لا يعدلون عن النص الوارد، اتباعاً لوصية النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "عليكم بسنّتي، وسنّة الخُلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ،

وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة" رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

وإن كان حصل بينهم اختلاف، لكن لم يحصل بينهم افتراق، ولم يضلل بعضهم بعضا.

وقلنا الطائفة المنصورة: أي الطائفة القائمة بنصرة دين الله علماً وعملا ودعوة وجهادا.

والسلفية ليست اسما جديدا ولا مخترعا، بل "هو اصطلاحٌ قديمٌ، لم يكن مِن وَضع مَن أصبحوا يُعرَفون به ابتداءً، وهذا فرقٌ عظيمٌ ما بينَ مَن ينتسبونَ إلى هذه النِّسبة الشريفة، وبينَ مَن يتَسمَّون بأسماءٍ أخرى مِن الجماعات والحَركات الإسلامية، التي وضع أسماءها: مؤسِّسوها.

ولا نظن أن أحداً مِن المُسلمين يَعرف هذه النِّسبةَ على حقيقتها، إلاَّ علِم أنَّها نسبةٌ إلى الإسلامِ كُلِّه، بأحكامه وآدابه، وأخلاقه وعقيدته، كما أمرَ اللهُ- سبحانهُ- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

وكما أمرَ نبيُّه- ﷺ- : "عليكمْ بسُنَّتِي، وسُنة الخُلفاءِ المهدِيِّين الراشدين مِن بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ، وإيَّاكمْ ومُحْدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ"[1].

والسلفية بهذا المَعْنى، ليست حِكراً علَى فئةٍ من النَّاس، عُرفوا بهذه النِّسْبة، إمَّا مِن تلقاءِ أنفُسهمْ، وإمَّا مِن تلقيب غيرِهم لهم بها".

. gȀȪì ȴɆŁäȀæǗ ÆȶȚ ǸɆÎŸö " ĞɆȦŸÊöä ɄŁ " ȧȦǪȭ ȡɳ (Č)

ولذا، فإنه لا يحسن أن يُفاجأَ المُتعصِّبةُ مِن أتباع المذاهب، إذا قامَ الدليلُ على أنّ أئمَّة المذاهب - رحمهم الله - جميعهم سلفيون، وما كانوا ليعرفوا بها - وهم كذلك - إلا لأنهم على قدم المصطفى - عليه السلام - ، وقدم أصحابه - رضوان الله عليهم - ، وقد عرفوا بها قبل نشوء الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة بقرون، وحين كانت بلاد المسلمين تموج بفتن الفرق.

فالأئمة الأربعةُ، وغيرهم مِن أمثالهم، هم سادةُ السَّلفيِّين، وأئمتهم، وهم - أيضاً - سادةُ كلِّ مَن لا يُحبُّ أن يُنسب إلى هذه النِّسبةِ الشريفة، مِمَّن يرَى في عداوة أهلها واجباً شرعياً، وأدباً إسلامياً، وشرفاً دينياً !

و لماذا لا يَكون في استعمال نسبة الشافعية أو الحنفية مثلاً، ما يشعر بالفرقة، ويكون ذلك في استعمال السلفية؟ !! في حين أن السلفية تستوعب أئمة المذاهب ومذاهبهم، وتستغرق أجيالاً وقروناً، بادت أو لم تأت بعد، وتشتمل الزمان كله، والأرض جميعاً(١).

فضلُ السلف والانتساب إليهم:

السَّلفيَّة ليست من الأسماء المحدثة كما قلنا، ولا من الأسماء التي فرّقت الأمة كما ذكرنا، فهي ليست حركة سياسية، ولا جماعة حزبية منغلقة على نفسها، أو متعصبة لغير الحق، ولا تكتلاً متطرفاً أو غاليا.

بل هي تعني النسبة إلى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، وهم: مَن تقدمَنا من هذه الأمة من الرعيل الأول من أصحاب النبي - ﷺ - ومن

(Č) ȸɳ ÄÖɆŸȞǩ ğ ÆȶƮ äÀTä â -ǿþ¢ ä ! -ʒŸꝛ öä ʐèÛɆǦ .

بعدهم من القرون الثلاثة، ومن اتبعهم بإحسان على منهاج النبوة الذي جاء به الوحي الشريف، إنها تربط المسلم بالسلف من الصحابة ومن تبعهم، فتزيده عزة وإيمانا وافتخاراً؛ لأنهم ساداتُ المؤمنين، وأئمة المتقين، كما قال ابن مسعود- رضي الله عنه- : "إنّ الله نَظر في قلوبِ العباد فوجد قلب محمد- صلى الله عليه وسلم- خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد- صلى الله عليه وسلم- ، فوجد قلوبَ أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، فيقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء" رواه الإمام أحمد، وصححه أحمد شاكر.

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: "مَن كان مستناً فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحابُ محمد- صلى الله عليه وسلم- ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه- صلى الله عليه وسلم- ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- ، كانوا على الهدى المستقيم، والله رب الكعبة". رواه أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر جامع البيان.

الطاعنون على السلفية إما طعنوا عليها بظلمٍ أو بجهل، والظلمُ ظلمات، والجهل من المهلكات المرديات، والعاقل يسرع إلى النجاة قبل الفوات.

فإن قيل: إنَّ السلف لَمْ يدعوا الناس إلى الأخذ بأقوالهم وأعمالهم، مع شدة تحريهم للحق، وصدق اتباعهم للكتاب، ويرتبون على ذلك: أن للعالم أو طالب العلم أن يدع أقوال السلف إلى أقوال غيرهم، ممن ليس على منهج السلف ؟!

فنقول لهؤلاء: هل هؤلاء تركوا الأخذ بمذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم، لأنهم أيضاً كانوا ينهون الناس عن كتابة أقوالهم واتباعهم، بل هم لم ينشئوا مذاهبهم أصلاً؟.

إذن لماذا يعاب من يتبع أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علياً أو بقية أصحاب الرسول- ﷺ- ، ومن تبعهم من تلاميذهم المخلصين، ولا يعاب على من أخذ بأقوال أئمة المذاهب ؟!!

نشأة السلفية:

إن الله- تعالى- أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، ففتح الله به أعيناً عُميا، وآذنا صُمّا، وقلوبا غُلفا، بأن قالوا: لا إله إلا الله.

فلما أكمل الله- ﷻ- به الدّين، وأتمَّ به النّعمة على الأمة، استأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، والطريق الواضحة الغراء.

ثم قام بالدين من بعده أصحابه- رضوان الله عليهم أجمعين- ، وهم الرعيل الأول، أبرُّ الأمة قلوباً، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأصدقها إيمانا، وأفصحها بيانا، وأعظمها قياما بما أمر الله- تعالى- ورسوله- ﷺ- ، ففتحوا القلوب بالعلم النبوي الذي حفظوه عن نبيهم، وبالإيمان الخالص الصادق، وفتحوا البلاد بالجهاد الحق العدل.

ثم جرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم، وسلكوا صراطهم المستقيم، وهكذا من بعدهم من أتباع التابعين

❖ **ليست السلفية مرحلة انقضت:**

إذن ليست السلفية مقصورة على الصحابة وحدهم، أو على القرنين التاليين لهم، فإن هذا إجحاف وظلم، وكيل بمكيالين، ووزن بميزانين، وهي دعوى باطلة منكرة، لا دليل عليها، بل السلفية زمانها الزمان كلُّه، ومكانها الأرض كلُّها، لأن كتاب الله محفوظ، وسنة رسوله- ﷺ- كذلك، كما قال الله- تعالى- : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩).

وقوله: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠).

فقوله: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ) يدل على بقائهم واستمرارهم على مر الأيام.

وقال- عليه الصلاة والسلام- : "لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك".

وفي لفظ: "حتى يأتي أمرُ الله، وهم ظاهرون على الناس".

وفي رواية: " ظاهرين على مَن ناوأهم إلى يوم القيامة ".

وفي رواية: " حتى يقاتل آخرُهم الدجالَ" رواه البخاري (٧٣١١) في الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم في الإمارة (٣/١٥٢٣- ١٥٢٥) بألفاظ متعددة عن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- .

وقال- صلى الله عليه وسلم- : "تركتُ فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله" رواه مالك والدارقطني وغيرهما.

فالسلفيون هم الملتزمون منهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا يحيدون عنه قيد أُنملة في أقوالهم أفعالهم، وكتبهم ومؤلفاتهم على مرّ الزمان شاهدة بذلك... فهي سلسلة ذهبية، كتب الله- تعالى- لها البقاء، حفظ الله بهم الدين وحرز العقيدة.

والخلفيون: هم من كان منهم على غير هذا المنهج في الاجتهاد والعلم، كأهل الرأي ومن شاكلهم ممن ليس لهم تمكن من معرفة السنن والآثار، ومن

الذين يتذبذبون بين الرأي وبين السنن والآثار، بدعوى أن الحوادث المستجدة تقتضي توسيع الرؤية استحبابه لروح العصر!!.

نقول هذا مع يقيننا بأن العلماء الأعلام المجتهدين المحققين من المتقدمين والمتأخرين الذين حُفظت مؤلفاتهم، لم يخالفوا منهج السلف في الاجتهاد. بل كان للسلف عندهم منزلة خاصة مكرمة مبجلة، يحرصون على معرفة أقوالهم وحججهم وعقيدتهم ومنهجهم العلمي، وذلك لأن الصحابة هم أفقه الناس، وأعرفهم بكتاب الله- سبحانه- ، ومتى نزل وفيم أنزل، ومحكمه ومتشابهة وحلاله وحرامه، وأبصرهم بالسنة ومواقعها وفقهها واستدلالاتها وأعلمهم بالعربية لفظاً ومعنى وأداء.

فاللهم فاشهد بأنا قد رضينا بكتابك حَكماً، وببلاغ نبيك فصلاً، وبمنهج أصحابه والتابعين لهم بإحسان قولاً وعملاً واعتقاداً.

خَصائصُ المنهج السَّلفي:

هناك جملة من الخصائص الفريدة والمميزة لهذا المنهج، وسنذكر أبرزها وأهمها:

أولا: ثناء الله- تعالى- على أهل هذا الطريق:

السلفية سواء في العقيدة أو في الأحكام هي التي أثنى الله- تعالى- علي أصحابها في كتابه الذي يتلى في الأرض على مرّ الزمان، كما بينا، قال- تعالى- : (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠).

وقال- تعالى- : (فإنْ آمنوا بمثلِ ما آمنتم به فقد اهتدوا) (البقرة: ١٣٧).

ثانيا: سُهولة عقيدة السلف ويُسرها ووضوحها:

العقيدة السلفية تتميز بالسهولة والوضوح؛ لاعتمادها على الكتاب والسنة في الفهم، والتصور بعيداً عن الفلسفات والتعقيدات والتأويلات، والكلام على الله وفي دين الله وفي كتاب الله بلا علم.

و قد قال الله- ﷻ- : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)، (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)، (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)، فلا تكلف هذه العقيدة العقل والتفكير في أمور لا طاقة له بها من الغيبيات، بل تقف حيث وقفت النصوص، وترضى وتصدق بخبر الله- تعالى- ورسوله- ﷺ- ، ولا تتجاوز ما حُدَّ (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا).

ثالثا: تعظيمُ السلف لنصوص الكتاب و السنة:

العقيدة السلفية تجعل المسلم يعظم ويقدس نصوص الكتاب والسنة، فلا يتعرض لها بالردّ، أو التشكيك، أو التحريف أو التعطيل والتأويل، أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

فلا تُرد النصوص بحجة التأويل والتحريف.

ولا يُصرف نصٍّ عن ظاهره، إلا بدليلٍ واضح.

ولا تزعم أن للنصوص باطناً لا يعلمه إلا الخاصة من الناس! أو خاصة الخاصة ؟!!.

ولا ترد حديثاً بزعم أنه من أحاديث الآحاد.

ولا تقدم على النصوص: العقول والآراء والأهواء، بقاعدة: إذا تعارض العقل والنقل، قدَّمنا العقل على النقل!!

ولا تقدم الوجد والذوق والخيالات والرؤى والمنامات، على ما قاله الله- تعالى- ورسوله- عليه الصلاة والسلام- .

ولا تقدم السياسة على النصوص بحجة أن الناس لا يصلحهم إلا هذا! ولا تقوم دولتهم إلا بذاك! بل الخير كل الخير في اتباع نصوص الوحيين، وتحكيمهما على النفوس والأموال والبلاد والعباد. والسعيد من وفق لذلك.

رابعا: دعوةُ السّلف تَجمع الأمة ولا تفرقها:

فبالسّلفية تتوحّد الصفوف، صفوف الدعاة والمصلحين، وجميع المسلمين، وعليها تجتمع الكلمة، وبدونها تتفكك وتتفرق الصفوف، وتكثر الجماعات والفرق والأحزاب.

وذلك أنها عقيدة ومنهج الكتاب والسنة، والجيل الأول من هذه الأمة المباركة، الذين انطلقوا منها للبناء والتربية والتوجيه.

وقول الله- تعالى- : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) (آل عمران: ١٠٣).

وحديث أبي هريرة مرفوعاً: "إن الله يَرضى لكم ثلاثاً، ويَسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أنْ تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولاه الله أمركم..." رواه الإمام أحمد ومسلم.

وسياق الآية السابقة: في شأن قبيلتي الأوس والخزرج بالمدينة، فإنه قد كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة، وضغائن وإحن، طال بسببها قتالهم والحروب بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخلوا فيه، صاروا إخواناً متحابين بجلال الله- ﷻ- ، متواصلين في ذات الله متعاونين، على البر والتقوى، كما قال- تعالى- : (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ❖ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ).

وفي الحديث في الصحيح: أن رسول الله- ﷺ- قال للأنصار يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب عليه منهم، فقال لهم: "يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟! فكانوا يقولون: الله ورسوله أمنّ".

خامسا: طريقُ السلف هو الطريق الوسط العدل:

السلفية هي الطريق الوسط، والصراط المستقيم الذي هو طريق الأمة الوسط كما قال- سبحانه- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، وهو الطريق الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو الحق الذي يجب اتباعه، ولا يصح العدول عنه، ولهذا أمر الله- عز وجل- به، وعلمنا أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة: أي يلهمنا ويوفقنا لسلوكه واتباعه، وأن يثبت أقدامنا عليه حتى نلقاه، فإنه صراط الذين أنعم الله عليهم.

وهكذا السلف هم وسطٌ في فرق الأمة، كما أن الأمة المسلمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله- سبحانه- ، بين أهل التعطيل "الجهمية"، ويدخل فيهم كل من نفى شيئاً من أسماء الله وصفاته من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وأهل التمثيل المشبهة.

فأهل التعطيل: هم الذين حرفوا الآيات والأحاديث عن معانيها الصحيحة، إلى معان أخرى بلا دليل صحيح، ولا عقل صريح، كقولهم- رحمهم الله- : هي إرادته الإحسان؟!، ويده: قدرته؟، واستواؤه على العرش: استيلاؤه؟، ونزوله: نزول رحمته أو ملائكته؟؟...، إلى أمثال ذلك من أنواع النفي والتعطيل، التي أوقعهم فيها سوء ظنهم بربهم، وتوهمهم أن وَصفَ الله بها، تشبيه للخالق بالمخلوق.

فأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هؤلاء، وبين أهل التمثيل المشبهة، الذين شبّهوا الله بخلقه ومثلوه بعباده، وقد ردّ الله على الطائفتين بقوله: (لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السميع البصير) (الشورى : ١١)، فهذه الآية جمعت الرد على الفريقين :

فقوله : (ليس كمثله شي)، ردٌ الله على المشبهة، وقوله : (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) ردٌ على المعطلة.

فأهل السنة والحق أثبتوا الصفات لله - تعالى - إثباتاً بلا تمثيل، ونزهوا الرب تنزيهاً بلا تعطيل، فجمعوا أحسن ما عند الفريقين، وهو التنزيه والإثبات، و تركوا ما أخطؤوا وأساؤوا فيه من التعطيل والتشبيه.

وهم أيضا : وسطٌ في باب أفعال الله - تعالى - بين الجبرية والقدرية وغيرهم، فالجبرية - وكذا الأشعرية - غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلاً، والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة.

وهَدَى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فقالوا : العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال - تعالى - : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات : ٩٦).

وهم وسطٌ - أيضا - : في باب وعيد الله - تعالى - ، بين المُرْجئة، وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم :

(فالمرجئة) قالوا : لا يضرُّ مع الإيمان ذنب ؟! كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرد تصديق بالقلب؟! وإنْ لم ينطق به، وسُمّوا " مرجئة " : لأنهم أرجئوا الأعمال عن الإيمان.

أي : أخروها عن الإيمان، فقالوا : ليست من الإيمان.

ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنى كفر، فإنه لا بدّ في الإيمان من قول باللسان، واعتقاد بالجنان (القلب)، وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد منها لم يكن الرجل مؤمناً.

وأما (الوعيدية)- من الخوارج والمعتزلة- فقالوا: من مات على كبيرة ولم يتب منها، لا يجوز عندهم أن يغفر الله له؟! بل يجب عليه عقلاً أن يعذّب العاصي ؟!

ومذهبهم باطلٌ، ومخالف للكتاب والسنة، قال- تعالى- : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)، وقد استفاضت الأحاديث في خروج عُصاة الموحّدين من النار، ودخولهم الجنة.

"ومذهب أهل السنة والجماعة وسطٌ بين نفاة الوعيد من المرجئين، وبين موجبيه من القدرية: فمن مات على كبيرة عندهم- أي أهل السنة- فأمره مفوِّض إلى الله، إن شاء وعاقبه، وإن شاء عفا عنه.

وإن عاقبه بها فإنه لا يخلده خلود الكفار، بل يخرج من النار ويدخل الجنة.

وهم- أيضا- وسط في أصحاب رسول الله- ﷺ- بين الرافضة، وبين الخوارج، فالمعروف أن الرافضة- قبحهم الله- يسبون الصحابة ويلعنونهم، بل ويكفرونهم ؟؟ وفي الوقت نفسه يغلون في علي- رضي الله عنه- وأولاده.

وأما الخوارج فقد قابلوا هؤلاء الروافض، فكفّروا علياً ومعاوية ومن معهما من الصحابة، وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وأما أهل السنة والجماعة: فكانوا وسطاً بين غلو هؤلاء، وتقصير أولئك، وهداهم الله- تعالى- إلى الاعتراف بفضل أصحاب نبيهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيماناً وإسلاما، وعلماً وحكمة، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قالوا بحقوقهم وأجورهم، لعظيم سابقتهم، وحسن بلائهم في نصرة الإسلام والمسلمين، وجهادهم مع رسول الله- ﷺ- [٢].

سادسا: محاربة البدع:

وهي أبرز صفاتهم منهج السلف: محاربتهم للبدع والمحدثات في الدين، والتحذير منها، ظاهرا وباطنا، قولاً وعملا، لمخالفة البدع لكمال الدين، والاتباع للمصطفى- ﷺ- ، قال- تعالى- : (اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا) (المائدة: ٣).

وقال- ﷺ- : "وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار" رواه أحمد (٤/ ١٢٦) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٤).

وقال- ﷺ- : "من عَمل عملاً ليس عليه أَمرنا، فهو ردٌ" متفق عليه.

وقال ابن عمر- رضي الله عنهما- : "كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة" رواه الدارمي بسند صحيح.

وقال ابن مسعود- رضي الله عنه- : "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم" رواه الدارمي.

قال البغوي- رحمه الله- : وقد مضى الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم " (شرح السنة ١ / ٢٢٧).

ولذا كان من صفات السلف هجر أهل البدع والأهواء، والنهي عن مجالستهم أو سماع كلامهم، إنكاراً للمنكر، وردا للبدع، وزجرا وتأديبا لأصحابها، وحفظا لدين المسلمين، وصيانة له.

وكذا صنفوا المصنفات في ذم البدع وإنكارها، والتحذير منها ومن أهلها، وأفرد أهل الحديث أبواباً مستقلة في كتبهم لذلك.

سابعا: دعوة السلف هي الطريق لإعادة دولة الإسلام:

فالدعوة السلفية هي الطريق الصحيح لإعادة المجد والعز والدولة للإسلام، فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً أنه ما لم تتمسك الأمة الإسلامية بالعقيدة الصافية النقية، الخالية من البدع والشركيات والخرافة، والمبنية على الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، وفهْم سلف الأمة لهما، فلن يتحقق لها موعود الله- ﷻ- بالنصر والتمكين في الأرض، والمذكور في قوله- تعالى- : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً) (النور: ٥٥).

وقال- تعالى- : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء: ١٠٥).

ثامنا : اجتناب الجدال المذموم في الدين :

ومن خصائص منهج السلف- رحمهم الله- : اجتنابهم الجدال والمراء في الدين ، ونهيهم عن ذلك وإنكارهم له.

فعن إسحاق بن عيسى قال : سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ، ويقول : كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي- ﷺ- . (شرف أصحاب الحديث ص ٥).

وعن الإمام أحمد قال : " عليكم بالسنة والحديث ، وما ينفعكم الله به ، وإياكم والخوض والجدال والمراء ، فإنه لا يفلح من أحب الكلام... قال : ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال ، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به ، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ". (الإبانة ص ٥٣٩)

والمقصود بالجدال المنهي عنه : ما يورث الفتنة والشك والشبهات ، ثم الضلال والحيرة.

وكذلك ما يورث العداوة والبغضاء ، ويقسي القلب ، ويفرق بين المسلمين.

وأما الجدل والمناظرة لرد الباطل ، وإظهار الحق ، والتحذير من البدع ، فهذا مطلوب ، بل مأمور به ، كما قال الله : (ادعُ إلى سبيلِ ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل : ١٢٥).

تاسعا : نبذ الجمود والتعصّب المذهبي :

من ميزات ما يميز مذهب السلف نبذهم التعصب المذهبي ، فلا يأخذون بقول ولا رأي بغير دليل من كتاب أو سنة ولا برهان ، ولا يتعصبون لقول إمام معين ، ولا شيخ ، إلا للحق الذي تلقوه من النبي- ﷺ- ، ومن

أخذوا عنه من الصحابة والتابعين، فهم لا يتبعون الرجال، بل قال قائلهم: اعرف الحق تعرف أهله.

كما قال- تعالى- : (فإنْ تَنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى الله والرسول إنْ كنتم تُؤمنون باللهِ واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً) (النساء: ٥٩).

وقال- سبحانه- : (اتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) (الأعراف: ٣).

وقال- سبحانه- : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من الله) قال- ﷺ- : "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا شيئا حرموه" رواه الترمذي (٣٠٩٠) وابن جرير (١٠/ ٨١) وغيرهما.

وهكذا كان سلف الأمة، قال الفاروق عمر- رضي الله عنه- : ثلاثٌ يهدمن الدين: زلّة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون" رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٨٦٧).

وكان الأئمة الأربعة- رحمهم الله- ينهون تلاميذهم عن اتباعهم وتقليدهم، قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يحلّ لأحد أن يأخذ بقولنا، ما لم يعلم من أين أخذناه.

وقال الشافعي- رحمه الله- : أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله- ﷺ- لم يحل له أن يدعها لقول أحد.

وقالوا كلهم: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وقال الإمام أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا.

فهذا مذهبهم جميعا- رحمهم الله تعالى- ، والنقول عنهم في هذا الباب كثيرة.

عاشراً: الثبات والاستقرار:

فمنهج السلف ثابتٌ لا اضطراب ولا تناقض فيه، بل هو ثابت مستقر، وأهله كذلك ثابتون على طريقهم ومنهاجهم على مر الأيام، وذلك أن نهجهم وطريقهم مستمد من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، وهما وحيٌ من الله- تعالى- ، الذي لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

وأهله ثابتون على ذلك، كما قال- تعالى- : (يثبّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياة وفي الآخرة ويُضِلّ اللهُ الظالمين ويفعلُ الله ما يشاء) (إبراهيم: ٢٧).

بخلاف المناهج الأخرى التي تستمد علومها من أقوال البشر وآرائهم، أو تأخذ بتأويلاتهم وتحريفاتهم البعيدة عن النصوص المعصومة عن الخطأ، فإنها كثيرة الاضطراب والاختلاف والتلون، كما قال الله- تعالى- : (ولو كان من عندِ غيرِ الله لوجدُوا فيها اختلافاً كثيرا) (النساء: ٨٢).

ولذا تجد أصحابها متذبذبين مضطربين هكذا، تَعرض لهم الشكوك والشبهات، لا سيما في أواخر حياتهم، أو عند الموت، كما حصل للشهرستاني وإمام الحرمين القائل: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ، ما اشتغلت به".

والرازي القائل: "لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طرية القرآن...". (انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٤/٧٢- ٧٤).

هذه بعض خصائص هذا المنهج المبارك السديد.

نسال الله- تعالى- أن يجعلنا من أتباعه، وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه، إنه سميع مجيب الدعاء ...

والله تعالى أعلى وأعلم،،،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...



مصطلح السلفية

حقيقته ، وصلته بالإسلام الصحيح

إعداد

الدكتور: عبد العظيم بن بدوي

نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلامُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ إِنَّنِي قَدْ تَلَقَّيْتُ بِكُلِّ فَرَحٍ وَسُرُور، دَعْوَةً كَرِيمَةً مِنْ أ.د.سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ أَبَا الْخَيْل. مُدِيرِ جَامِعَةِ الإمَامِ مُحَمَّدٍ بنِ سُعُودٍ الإسْلامِيَّة، لِلْمُشَارَكَةِ فِي النَّدْوَةِ الَّتِي سَتُقِيمُهَا اللَّجْنَةُ التَّنْظِيمِيَّةُ بِالْجَامِعَة، تَحْتَ عُنْوَان: (السَّلَفِيَّةُ مَنْهَجٌ شَرْعِيٌّ وَمَطْلَبٌ دِينِيٌّ)، فَبَادَرْتُ بِالْمُوَافَقَةِ عَلَى إِجَابَةِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ الْكَرِيمَة، بِالْمُشَارَكَةِ بِكِتَابَةِ بَحْثٍ فِي الْمَحْوَرِ الأوَّلِ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ النَّدْوَة، وَهُوَ: (مُصْطَلَحُ السَّلَفِيَّة: حَقِيقَتُهُ، وَصِلَتُهُ بِالإِسْلامِ الصَّحِيحِ).

وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْبَحْثُ خمسة مطالب وهي :

المطلب الأول : مَعْنَى السَّلَفِيَّةِ فِي اللُّغَة.

المطلب الثاني : مَعْنَى السَّلَفِيَّةِ فِي الاصْطِلاحِ الشَّرْعِيِّ.

المطلب الثالث : صِلَةُ السَّلَفِيَّةِ بِالإِسْلامِ الصَّحِيحِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

المطلب الرابع : حُكْمُ الانْتِسَابِ إِلَى السَّلَفِيَّة.

المطلب الخامس : السَّلَفِيَّةُ وَعَلاقَتُهَا بِالْجَمَاعَاتِ وَالأَحْزَابِ الْمُعَاصِرَة.

وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وُفِّقْتُ فِيمَا كَتَبْتُ، كَمَا أَرْجُو أَنْ تَتِمَّ هَذِهِ النَّدْوَةُ عَلَى خَيْر، وَأَنْ يَكْتُبَ اللهُ الأجْرَ وَالثَّوَابَ لِلْقَائِمِينَ عَلَى هَذِهِ النَّدْوَةِ تَحْتَ رِعَايَةِ أ.د. سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ أَبَا الْخَيْل، وَأَنْ يَحْفَظَ اللهُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ وَدُعَاتَهَا، وَأَنْ يَكْتُبَ لَهَا الْقَبُولَ فِي الأرْض، إنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْه.

المطلب الأول

السَّلفِيَّةُ لُغَةً

جَاءَ فِي (لِسَانِ الْعَرَبِ): سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً: تَقَدَّمَ، وَالسَّالِفُ الْمُتَقَدِّمُ. وَالسَّلَفُ وَالسَّلِيفُ وَالسُّلْفَةُ: الْجَمَاعَةُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَقَوْلُهُ عَجَلَّ: ﴿فجعلنهم سلفا ومثلا للآخرين﴾[الزخرف]، وَيُقْرَأُ سُلُفاً وسُلَفاً،

قَالَ الزَّجَّاجُ: سُلُفاً جَمْعُ سَلِيفٍ، أَيْ جَمْعاً قَدْ مَضَى، وَمَنْ قَرَأَ سُلَفاً فَهُوَ جَمْعُ سُلْفةٍ أَيْ عُصْبَةٌ قَدْ مَضَتْ، وَالتَّسْلِيفُ التَّقْدِيمُ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يَقُولُ: جَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً مَتَقَدِّمِينَ لِيَتَّعِظَ بِهِمُ الآخِرُونَ.

قَالَ الَّلَيْثُ: الأُمَمُ السَّالِفَةُ الْمَاضِيَةُ أَمَامَ الْغَابِرَةِ، وَتُجْمَعُ سَوالِفَ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ:

وَلاَقَتْ مَنَايَاهَا القُرُونُ السَّوالِفُ كَذَلِكَ تَلْقَاهَا القُرُونُ الخَوالِفُ

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً، مِثَالُ طلَبَ يَطلُبُ طَلَباً، أَيْ مَضَى، وَالْقَوْمُ السُّلاَّفُ: الْمُتَقَدِّمُونَ. وَسَلَفُ الرَّجُلِ: آبَاؤُهُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَالْجَمْعُ أَسْلاَفٌ وَسُلاَّفٌ. وَيَجِيءُ السَّلَفُ عَلَى مَعَانٍ: السَّلَفُ الْقَرْضُ والسَّلَمُ، وَمَصْدَرُ سَلَفَ سَلَفاً مَضَى، وَالسَّلَفُ أَيضًا كُلُّ عَمَلٍ قَدَّمَهُ الْعَبْدُ، وَالسَّلَفُ الْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي السَّيْرِ.

قَالَ الأَزْهَرِيُّ: كُلُّ مَالٍ قَدَّمْتَهُ فِي ثَمَنِ سِلْعَةٍ مَضْمُونَةٍ اشْتَرَيْتَهَا لِصِفَةٍ، فَهُوَ سَلَفٌ وَسَلَمٌ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَهُ قَالَ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ، فَفِي

كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ))[1]، أَرَادَ مَنْ قَدَّمَ مَالاً وَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ فِي سِلْعَةٍ مَضْمُونَةٍ.

وَلِلسَّلَفِ مَعْنَيَانِ آخَرَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدَّمَهُ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ وَلَدٍ فَرَطٍ يُقَدِّمُهُ، فَهُوَ لَهُ سَلَفٌ، وَقَدْ سَلَفَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَالسَّلَفُ أَيْضًا: مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ آبَائِكَ وَذَوِي قَرَابَتِكَ الَّذِينَ هُمْ فَوْقَكَ فِي السِّنِّ وَالْفَضْلِ، وَاحِدُهُمْ سَالِفٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ طُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ يَرْثِي قَوْمَهُ:

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمُ وَصَرْفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلَّبُ

أَرَادَ أَنَّهُمْ تَقَدَّمُونَا، وَقَصْدُ سَبِيلِنَا عَلَيْهِمْ، أَيْ نَمُوتُ كَمَا مَاتُوا، فَنَكُونُ سَلَفاً لِمَنْ بَعْدَنَا، كَمَا كَانُوا سَلَفًا لَنَا.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: جَاءَ الْقَوْمُ سُلْفَةً سُلْفَةً، إِذَا جَاءَ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْض. وَسُلَّافُ الْعَسْكَرِ: مُتَقَدِّمَتُهُمْ، وَسَلَفْتُ الْقَوْمَ وَأَنَا أَسْلُفُهُمْ سَلَفاً إِذَا تَقَدَّمْتُهُمْ[2].

وَقَالَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ فِي الْمُفْرَدَاتِ:

سَلَفَ: السَّلَفُ. الْمُتَقَدِّمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **فجعلنهم سلفا ومثلا للآخرين**﴾[الزخرف]، أَيْ مُعْتَبَرًا مُتَقَدِّمًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **فله ما سلف**﴾[البقرة]، أيْ يُتَجَافَى عَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿ إلا ما قد سلف ﴾[النساء]، أَيْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِكُمْ فَذَلِكَ مُتَجَافًى عَنْهُ، فَالاسْتِثْنَاءُ عَنِ

١- متفق عليه: خ(٤/٤٢٩/٢٢٤٠)، م(١٦٠٤/١٢٢٦و١٢٢٧/٣)، ت(١٣٢٥/٣٨٧/٢)، ن(٧/٢٩٠)، جه(٢٢٨٠/٧٦٥/٢).

٢- لسان العرب(١٥٨و١٥٩/٩).

الإِثْمِ لاَ عَنْ جَوَازِ الْفِعْل. ولِفُلانٍ سَلَفٌ كَرِيمٌ، أَيْ آبَاءٌ مُتَقَدِّمُون. وَالسَّلَفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الثَّمَنِ عَلَى الْمَبِيعِ. وَالْسُّلْفَةُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الطَّعَامِ عَلَى القِرَى[1].

وَهَكَذَا اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى سَلَفَ: تَقَدَّمَ وَسَبَقَ وَمَضَى.

٢- المفردات(٢٣٩). ومثله في "بصائر ذوي التمييز" للفيروز أبادي(٣/٢٤٨).

المطلب الثاني

السَّلَفِيَّةُ اصْطِلَاحًا

سأبين في هذا المطلب معنى السلفية في اصطلاح أهل العلم ثم أبين مايتعلق به وهو معنى السلف وذلك على النحو التالي :

أولا : المراد بالسلفية :

قَالَ السَّفَارِيني- رَحِمَهُ اللهَ- :

الْمُرَادُ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَأَعْيَانُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَتْبَاعُهُمْ، وَأَئِمَّةُ الدِّين، مِمَّنْ شُهِدَ لَهُ بِالإِمَامَةِ، وَعُرِفَ عِظَمُ شَأْنِهِ فِي الدِّين، وَتَلَقَّى النَّاسُ كَلَامَهُمْ، خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، دُونَ مَنْ رُمِيَ بِبِدْعَةٍ، أَوْ شُهِرَ بِلَقَبٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ، مِثْلِ الْخَوَارِجِ، والرَّوَافِضِ، والْقَدَرِيَّة، وَالْمُرْجِئَة، وَالْجَبْرِيَّة، وَالْجَهْمِيَة، وَالْمُعْتَزِلَة، وَنَحْوِهِم[1].

وهذا التعريف جامع مانع وهو من أفضل التعاريف في بيان معنى السلفية

ثانيا : المراد بالسلف

قَالَ الأَلْبَانِيُّ- رَحِمَهُ اللهُ- :

السَّلَفُ الصَّالِحُ يَشْمَلُ الْقُرُونَ الثَّلاثَةَ، الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِالْخَيْرِيَّةِ، فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَي صِحَّتِهِ، بَلْ الَّذِي وَصَلَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ بِكَثْرَةِ طُرُقِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّ النَّبِيَّ

١- لوامع الأنوار البهية (١/٢٠).

ﷺ قَالَ: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[1]، فَالْقُرُونُ الثَّلاَثَةُ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْخَيْرِيَّةِ هَمُ الْمُقْصُودُونَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ[2].

قلت :

كلام الشيخ ناصر رحمه الله لا يتعارض مع كلام السفاريني رحمه الله لأن إطلاق السلف الصالح على خير القرون هو للدلالة على أنهم هم المقصدون بهذا اللقب الشريف عند الإطلاق والناس تبع لهم في ذلك وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ((الحج عرفه)) لكون الوقوف بعرفة أهم أركان الحج إذ يفوت الحج بفواته دون غيره من الأركان ويؤيد هذا قوله تعالى ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ...)) الأية فقوله تعالى (والذين اتبعوهم بإحسان) فيه عموم إذ يشمل كل من تبع الصحابة الكرام بإحسان واتبع سبيلهم في الاعتقاد والعلم والعمل والفهم .

وَفِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ فَتْوَى رَقَم(١٣٦١): سُؤَالٌ يَقُولُ:

مَا هِيَ السَّلَفِيَّةُ، وَمَا رَأْيُكُمْ فِيهَا؟

فَأَجَابِتِ اللَّجْنَةُ:

السَّلَفِيَّةُ: نِسْبَةٌ إِلَى السَّلَفِ، وَالسَّلَفُ: هُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَئِمَةُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الثَّلاَثَةِ الأُولَى ، الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْخَيْرِ فِي قَوْلِهِ: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[1].

١- متفق عليه: خ(٢٦٥١/٢٥٨و٢٥٩/٥)، م(٢٥٣٥/١٩٦٤/٤)، ت(٢٣٢٠/٣٣٩/٣)، د(٤٦٣٢/٤٠٩- ٤١١/١٢).

٢- سلسلة الهدى والنور شريط رقم(٨٤٨).

وَالسَّلَفِيُّونَ: جَمْعُ سَلَفِيٍّ، نَسْبَةً إِلَى السَّلَفِ، وَهُمُ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى مِنْهَاجِ السَّلَفِ مِنَ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِمَا، وَالْعَمَلِ بِهِمَا، فَكَانُوا بِذَلِكَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ[٢].

وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ (أَهْلُ السُّنَّةِ) دُونَ إِضَافَةِ (الْجَمَاعَةِ) وَهُمُ الْمُلْتَزِمُونَ بِالسُّنَّةِ، الْمُجَانِبُونَ لِلْبِدْعَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِمْ (أَهْلُ الْحَدِيثِ)، وَ(أَهْلُ الأَثَرِ)، وَهُمُ الْمُعْتَنُونَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَالْمُتَّبِعُونَ لِهَدْيِهِ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالْمُشْتَغِلُونَ بِآثَارِ أَصْحَابِهِ ﷺ تَمْيِيزًا وَفَهْمًا وَاحْتِجَاجًا، الَّذِينَ لاَ يَعْدِلُونَ عَنِ النَّصِّ الصَّحِيحِ إِلَى مَا سِوَاهُ، كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ- رحمه الله- : إِذَا وَجَدْتُمْ لِي مَذْهَبًا، وَوَجَدْتُمْ خَبَرًا عَلَى خِلاَفِ مَذْهَبِي، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَذْهَبِي ذَلِكَ الْخَبَرُ.

وَيُوصَفُونَ بِـ (أَهْلِ الاتِّبَاعِ)، لأَنَّ مِنْ طَرِيقَتِهِم اتِّبَاعَ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعِ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَاتِّبَاعِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ))[٣].

وَيُوصَفُونَ كَذَلِكَ بِـ (الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ)، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الْقَائِمَةُ بِدِينِ الإِسْلاَمِ عِلْمًا وَعَمَلاً وَجِهَادًا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ

١- سبق تخريجه.

٢- فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٢٤٠).

٣- صحيح :[ص.د: ٣٨٥١]، د(١٢/٣٥٨/٤٥٨٣)، ت(٤/١٤٩/٢٨١٦)، جه (١/١٥/٤٢).

أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))[1].

كَمَا يُوصَفُونَ أَيْضًا بِـ (الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ)، وَهِيَ الَّتِي تَنْجُو مِنَ النَّارِ بِالْتِزَامِهَا بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْهَجِ أَصْحَابِهِ ﷺ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ((وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))[2].

قَالَ الشَّيْخُ بَكْرُ أَبُو زَيْدٍ - رَحِمَهُ اللهُ- :

وَهَذِهِ الأَلْقَابُ الشَّرِيفَةُ، تُخَالِفُ أَيَّ لَقَبٍ كَانَ، لأَيِّ فِرْقَةٍ كَانَتْ، مِنْ وُجُوهٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّهَا نِسَبٌ لَمْ تَنْفَصِلْ وَلاَ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ مُنْذُ تَكَوُّنِهَا عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوةِ، فَهِيَ تَحْوِي جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى طَرِيقَةِ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ، وَمَنْ يقْتَدِي بِهِمْ فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ وَطَرِيقَةِ فَهْمِهِ، وَبَطَبِيعَةِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَعُدْ إِذَنْ مَحْصُورًا فِي دَوْرٍ تَارِيخِيٍّ مُعَيَّنٍ، بِلْ يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ عَلَى أَنْ مَدْلُولَهُ مَسْتَمِرٌّ اسْتِمْرَارَ الْحَيَاةِ، وَضَرُورَةُ انْحِصَارِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ هَذَا الْمَنْهَجِ، وَهِيَ لاَ تَزَالُ بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))[3].

١- م(١٩٢٠/١٥٢٣/٣)، د(٤٢٣٢/٣٢٢- ٣٢٤/١١)، ت(٢٣٣٠/٣٤٢/٣).

٢- حسن: [ص.ت: ٢٦٤١]، ت(٢٧٧٩/١٣٥/٤).

٣- سبق تخريجه.

الثَّانِي: أَنَّهَا تَحْوِي كُلَّ الإِسْلاَمِ (الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ)، فَهِيَ لاَ تَخْتَصُّ بِرَسْمٍ يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ زِيَادَةً أَوْ نَقْصًا.

الثَّالِثُ: أَنَّهَا أَلْقَابٌ مِنْهَا مَا هُوَ ثَابِتٌ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يَبْرُزْ إِلاَّ فِي مُوَاجَهَةِ مَنَاهِجِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَالْفِرَقِ الضَّالَّةِ لِرَدِّ بِدْعَتِهِمْ، وَالتَّمَيُّزِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادِ الْخُلْطَةِ بِهِمْ، وَلِمُنَابَذَتِهِمْ، فَلَمَّا ظَهَرَتِ الْبِدَعَةُ تَمَيَّزُوا بِالسُّنَّةِ، وَلَمَّا حُكِّمَ الرَّأْيُّ تَمَيَّزُوا بِالْحَدِيثِ وَالأَثَرِ، وَلَمَّا فَشَتِ الْبِدَعُ وَالأَهْوَاءُ فِي الْخُلُوفِ تَمَيَّزُوا بِهَدْيِ السَّلَفِ. وَلَوْ بَقِيَتِ الأُمَّةُ فِي قَالِبِ الإِسْلاَمِ الصَّحِيحِ، خَالِيَةً مِنَ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، كَمَا كَانَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ، وَمُقَدِّمَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، لَغَابَتْ هَذِهِ الأَلْقَابُ الْمُمَيِّزَةُ، لِعَدَمِ وُجُودِ الْمُنَاهِضِ لَهَا.

الرَّابِعُ: أَنَّ عَقْدَ الْوَلاَءِ وَالْبَرَاءِ، وَالْمُوَالاَةِ وَالْمُعَادَاةِ لَدَيْهِمْ هُوَ عَلَى الإِسْلاَمِ لاَ غَيْر، لاَ عَلَى رَسْمٍ بِاسْمٍ مُعَيْنٍ، وَلاَ عَلَى رَسْمٍ مُحَدَّدٍ، إِنَّمَا هُوَ (الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ) فَحَسْبُ.

الْخَامِسُ: أَنَّ هَذِهِ الأَلْقَابَ لَمْ تَكُنْ دَاعِيَةً لَهُمْ لِلتَّعَصُّبِ لِشَخْصٍ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

السَّادِسُ: أَنَّ هَذِهِ الأَلْقَابَ لاَ تُفْضِي إِلَى بِدْعَةٍ وَلاَ مَعْصِيَةٍ، وَلاَ عَصَبِيَّةٍ لِشَخْصٍ مُعَيْنٍ، وَلاَ لِطَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَإِذَا قِيلَ: (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) انْتَظَمَ هَذَا اللَّقَبُ هَذِهِ الْخَوَاصَّ، وَهَذَا لاَ يَكُونَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِرَقِ بِأَسْمَائِهِمْ وَرُسُومِهِمُ الَّتِي انْشَقُّوا بِهَا عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ[1].

١- حكم الانتماء (٣١- ٣٥).

وَهَكَذَا أَصْبَحَ لَفْظُ (السَّلَفُ) عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ عَلَمًا عَلَى أَصْحَابِ هَذِهِ الأَلْقَابِ الْحَسَنَةِ، وَالصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ، مِنَ الصَّحَابَةِ، وَتَابِعِيهِمْ، وَأَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِمْ، مِنْ أَئِمَّةِ الإِسْلاَمِ وَعُلَمَائِهِ الْعُدُولِ الْمَهْدِيينَ، مِمَّنِ اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ عَلَى إِمَامَتِهِمْ فِي الدِّينِ، وَعِظَمِ شَأْنِهِمْ فِيهِ، وَتَلَقَّى الْمُسْلِمُونَ كَلاَمَهُمْ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ، كَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِي، وَابْنِ عُيَيْنَة، وَاللَّيْثِ بِنْ سَعْدٍ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَالنَّخَعِيِّ، وَالْبُخَارَيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ[١].

وَيشمل كذلك كل منْ مَشَى على طَرِيقِ أَوْلَئِكَ الأعلام ممَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ، الذين تَأَدَّبوا بِالأَدَبِ الَّذِي وَرِثُوهُ عَنْ جِيلِ النُّبُوةِ، كَابْنِ تَيْمِيَة، وَابْنِ الْقَيِّمِ، وَالْعِزِّ ابْنِ عَبْدِ السَّلاَمِ، وَمَحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَالصَّنْعَانِيِّ، وَالشَّوْكَانِيِّ، وَصَدِّيقِ حَسَنْ خَان، وَالآلُوسِيِّ، وَجَمَالِ الدِّينِ الْقَاسِمِيِّ، وَمُحَمَّدٍ رَشِيدِ رِضَا، وَمُحَمَّدٍ حَامِدِ الْفِقِيِّ، وَأَحْمَدَ شَاكِرٍ، وَغَيْرِ هَؤُلاَءِ كَثِيرٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ إِمَامًا رَائِدًا فِي زَمَانِهِ، فِي عَقِيدَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَأَدَبِهِ، وَعِلْمِهِ، وَعَمَلِهِ[٢].

وَإِذْ قَدْ عَرَفَنَا أَنَّ السَّلَفَ هُمْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، يَأْتِي سُؤَالٌ: لِمَاذَا الْمَنْهَجُ السَّلَفِيُّ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ والذين اتبعوهم بإحسان ؟

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي (إِعْلاَمِ الْمُوَقِّعِينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٣] - :

١- المنهج السلفي. د.مفرح بن سليمان القوسي(٤٠و٤١).

٢- لا دفاعا عن السلفية. محمد إبراهيم شقرة(٩).

٣- ج (٤)، ص (١٢٣- ١٤٨).

الأَدِلَّةُ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ كَثِيرَةٌ:

أَحَدُهَا: مَا احْتَجَّ بِهِ مَالِكٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ والسبقون الأولون من المهجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنت تجري تحتها الأنهر خلدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة]، فَوَجْهُ الدِّلاَلَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُمْ، فَإِذَا قَالُوا قَوْلاً فَاتَّبَعَهُمْ مُتَّبِعٌ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ صِحَّتَهُ فَهُوَ مُتَّبِعٌ لَهُمْ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَحْمُودًا عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ يَسْتَحِقَّ الرِّضْوَانَ، وَلَوْ كَانَ اتِّبَاعُهُمْ تَقْلِيدًا مَحْضًا كَتَقْلِيدِ بَعْضِ الْمُفْتِينَ لَمْ يَسْتَحِقَّ مَنِ اتَّبَعَهُمُ الرِّضْوَانَ إلاَّ أَنْ يَكُونَ عَامِّيًّا، فَأَمَّا الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدُونَ فَلاَ يَجُوزُ لَهُمْ اتِّبَاعُهُمْ حِينَئِذٍ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ واتبع سبيل من أناب إلى ﴾[القمان]، وَكُلٌّ مِنْ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إلَى اللهِ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ، وَأَقْوَالُهُ وَاعْتِقَادَاتُهُ مِنْ أَكْبَرِ سَبِيلِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ مُنِيبُونَ إلَى اللهِ تَعَالَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ هَدَاهُمْ وَقَدْ قَالَ: ﴿ ويهدى إليه من ينيب ﴾[الشورى].

الثَّالِثُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى شَهِدَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ أُوتُوا الْعِلْمَ بِقَوْلِهِ: ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ﴾[سبأ]، وَقَوْلِهِ: ﴿ حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال ءانفا ﴾ [محمد]، وَقَوْلِهِ: ﴿يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت ﴾[المجادلة]، وَاللاَّمُ فِي ﴿ العلم ﴾ لَيْسَتْ لِلاسْتِغْرَاقِ، وَإِنَّمَا هِيَ

لِلْعَهْدِ، أَيْ الْعِلْمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِذَا كَانُوا أُوتُوا هَذَا الْعِلْمَ كَانَ اتِّبَاعُهُمْ وَاجِبًا.

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وكذلك جعلنكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[البقرة]، وَوَجْهُ الاسْتِدْلاَلِ بِالآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أُمَّةً خِيَارًا عُدُولاً، هَذِه حَقِيقَةُ الْوَسَطِ، فَهُمْ خَيْرُ الأُمَمِ، وَأَعْدَلُهَا فِي أَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَإِرَادَتِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ، وَبِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلرُّسُلِ عَلَى أُمَمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاَللهُ تَعَالَى يَقْبَلُ شَهَادَتَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ شُهَدَاؤُهُ، وَالشَّاهِدُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ بِعِلْمٍ وَصِدْقٍ، فَيُخْبِرُ بِالْحَقِّ مُسْتَنِدًا إلَى عِلْمِهِ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾[الزخرف].

الْخَامِسُ: مَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ، فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ، وَأَصَبْتُمْ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْت أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

وَوَجْهُ الاسْتِدْلاَلِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ جَعَلَ نِسْبَةَ أَصْحَابِهِ إلَى مَنْ بَعْدَهُمْ كَنِسْبَتِهِ إلَى أَصْحَابِهِ، وَكَنِسْبَةِ النُّجُومِ إلَى السَّمَاءِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ يُعْطِي مِنْ وُجُوبِ اهْتِدَاءِ الأُمَّةِ بِهِمْ مَا هُوَ نَظِيرُ اهْتِدَائِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ ﷺ

١- م(٢٥٣١/١٩٦١/٤).

وَنَظِيرُ اهْتِدَاءِ أَهْلِ الأَرْضِ بِالنُّجُومِ ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ جَعَلَ بَقَاءَهُمْ بَيْنَ الأُمَّةِ أَمَنَةً لَهُمْ ، وَحِرْزًا مِنْ الشَّرِّ وَأَسْبَابِهِ ، فَلَوْ جَازَ أَنْ يُخْطِئُوا فِيمَا أَفْتَوْا بِهِ وَيَظْفَرَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُمْ لَكَانَ الظَّافِرُونَ بِالْحَقِّ أَمَنَةً لِلصَّحَابَةِ وَحِرْزًا لَهُمْ ، وَهَذَا مِنْ الْمُحَالِ.

السَّادِسُ : مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الأَعْمَشِ قَالَ : سَمِعْت أَبَا صَالِحٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ))[1] وَفِي لَفْظٍ ((فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)) ، وَهَذَا خِطَابٌ مِنْهُ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَلأَقْرَانِهِ مِنْ مُسْلِمَةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَالْفَتْحِ ، فَإِذَا كَانَ مُدُّ أَحَدِ أَصْحَابِهِ أَوْ نَصِيفُهُ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مِثْلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِنْ مِثْلِ خَالِدٍ ، وَأَضْرَابِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْرِمَهُمْ اللهُ الصَّوَابَ فِي الْفَتَاوَى وَيَظْفَرَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُمْ؟ هَذَا مِنْ أَبْيَنِ الْمُحَالِ.

السَّابِعُ : مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ثنا الْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : ((إنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ ، فَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ ، وَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ قَبِيحٌ))[2] ، وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يُخْطِئَ الْحَقَّ فِي حُكْمِ اللهِ خَيْرُ قُلُوبِ

١- متفق عليه : خ(٧/٢١/٣٦٧٣) ، م(١٩٦٧/٢٥٤١و١٩٦٨/٤) ، د(١٢/٤١٣/٤٦٣٣) ، ت(٣٥٧/٣٩٥٢و٣٥٨/٥) ، جه(١/٥٧/١٦١).

٢- حسن موقوفا (شرح الطحاوية. ت : الألباني((٥٣١)) : أخرجه الطيالسي(٢٤٦) ، وأحمد (٣٦٠٠ / ٦/٨)

الْعِبَادِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَظْفَرَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَيْضًا فَإِنَّ مَا أَفْتَى بِهِ أَحَدُهُمْ وَسَكَتَ عَنْهُ الْبَاقُونَ كُلُّهُمْ فَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ رَأَوْهُ حَسَنًا أَوْ يَكُونُوا قَدْ رَأَوْهُ قَبِيحًا، فَإِنْ كَانُوا قَدْ رَأَوْهُ حَسَنًا فَهُوَ حَسَنٌ عِنْدَ اللهِ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ رَأَوْهُ قَبِيحًا، وَلَمْ يُنْكِرُوهُ لَمْ تَكُنْ قُلُوبُهُمْ مِنْ خَيْرِ قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَكَانَ مَنْ أَنْكَرَهُ بَعْدَهُمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَعْلَمَ، وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ الْمُحَالِ.

الثَّامِنُ: مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1]، فَقَرَنَ سُنَّةَ خُلَفَائِهِ بِسُنَّتِهِ، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا كَمَا أَمَرَ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَبَالَغَ فِي الأَمْرِ بِهَا حَتَّى أَمَرَ بِأَنْ يُعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَهَذَا يَتَنَاوَلُ مَا أَفْتَوْا بِهِ وَسَنُّوهُ لِلأُمَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنْ نَبِيِّهِمْ فِيهِ شَيْءٌ، وَإِلاَّ كَانَ ذَلِكَ سُنَّتَهُ، وَيَتَنَاوَلُ مَا أَفْتَى بِهِ جَمِيعُهُمْ أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ لأَنَّهُ عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَا سَنَّهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَسُنُّوا ذَلِكَ فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَعُلِمَ أَنَّ مَا سَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي وَقْتِهِ فَهُوَ مِنْ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ.

السَّلَفِيُّ هُوَ الْمُتَّبِعُ وَلَوْ كَانَ وَحْدَه:

١- سبق تخريجه.

وَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ لَنَا وُجُوبُ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ وَلُزُومِ جَمَاعَتِهِمْ فَلْيُعلَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِلُزُومِ جَمَاعَتِهِمْ لُزُومِ مَنْهَجِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ فِي فَهْمِ الدِّينَ وَالعَمَلِ بِهِ، كَمَا قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : لَيْسَ لِلِزُومِ جَمَاعَتِهِمْ مَعْنًى إِلاَّ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَتُهُمْ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالطَّاعَةِ فِيهِمَا، فَمَنْ قَالَ بِمَا يَقُولُ بِهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ لَزِمَ جَمَاعَتَهُمْ، وَمَنْ خَالَفَ مَا يَقُولُ بِهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ خَالَفَ جَمَاعَتَهُمُ الَّتِي أُمِرَ بِلِزُومِهَا[1].

وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الطَّالِبِ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَى إِحْدَى الْكُلِيَّاتِ انْتِسَابًا وَلاَ يَنْتَظِمُ بَيْنَ طُلاَّبِهَا، وَإِنَّما يَأْخُذُ الْمَنْهَجَ وَيَدْرُسُهُ ثُمَّ يُمْتَحَنُ فِيهِ فَإِنْ نَجَحَ مُنِحَ الشَّهَادَةَ كَمَا يُمْنَحُهَا الْمُنْتَظِمُونَ، وَهُوَ لَمْ يَجْتَمِعْ بِهُمْ أَثْنَاءَ الدِّرَاسَةِ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَعْيَانَهُمْ، وَإِنَّمَا الْتَزَمَ مَنْهَجَهُمْ.

وَهَكَذَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَلَفِيًّا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ، فَلْيَلْزَمْ الْمَنْهَجَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ الأُولَى جَمَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَمَنِ الْتَزَمَ مَنْهجَهِمْ كَانَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَصْحَبْهُمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ جَمَاعَةِ الْمَسْلِمِينَ:

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمْ أَهْلُ النَّبِيِّ وَإِنْ لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَه أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا

وَلَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَقِرًّا فِي نُفُوسِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَان، وَلِذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ - مَنِ الْجَمَاعَةُ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قِيلَ لَهُ: قَدْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: قَالَ: فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، قِيلَ لَهُ: قَدْ مَاتَ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَقَالَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَأَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ

١- الرسالة (١٣١٩و١٣٢٠/٤٧٥).

جَمَاعَةٌ قَالَ: أَبُو عِيسَى وَأَبُو حَمْزَةَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا فِي حَيَاتِهِ عِنْدَنَا))[1].

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ- رَحِمَهُ اللهُ- : حَيْثُ جَاءَ الأَمْرُ بِالْجَمَاعَةِ فَالْمُرَادُ بِهِ لُزُومُ الْحَقِّ وَاتِّبَاعُهُ، وَإِنْ كَانَ الْمُتَمَسِّكُ بِهِ قَلِيلاً، وَالْمُخَالِفُ لَهُ كَثِيرًا .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ- رَحِمَهُ اللهُ - : لأَنَّ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ الأُولَى مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَلاَ نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ بَعْدَهُمْ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونَ- رَحِمَهُ اللهُ - : صَحِبْتُ مُعَاذًا ﷺ فَمَا فَارَقْتُهُ حَتَّى وَارَيْتُهُ فِي التُّرَابِ بِالشَّامِ، ثُمَّ صَحِبْتُ بَعْدَهُ أَفْقَهَ النَّاسِ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ. ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُو بْنَ مَيْمُونَ تَدْرِي مَا الْجَمَاعَةُ؟ الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الْحَقَّ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ ﷻ.

قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ- رَحِمَهُ اللهُ - : يَعْنِي إِذَا فَسَدَتِ الْجَمَاعَةُ فَعَلَيْكَ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ قَبْلَ أَنْ تَفْسُدَ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْجَمَاعَةُ حِينَئِذٍ.

ودلالة النصوص على أساس التلازم بين الجماعة والإمامة ، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – " إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بسمع وطاعة " ، وكما قرره ابن جرير الطبري – رحمه الله تعالى – وعليه فهذا المعنى لابد من اجتماعه مع المعنى السابق .

١- ص.تغ (٤٥٨و٤٥٩/٢).

وَكَانَ مُحَمَّدُ بنْ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ الإِمَامُ الْمُتَّفَقُ عَلَى إِمَامَتِهِ أَتْبَعَ النَّاسِ لِلْسُّنَّةِ فِي زَمَانِهِ، حَتَّى قَالَ: مَا بَلَغَنِي سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلاَّ عَمِلْتُ بِهَا، وَلَقَدْ حَرِصْتُ عَلَى أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ رَاكِبًا فَمَا مُكِّنْتُ مِنْ ذَلِكَ.

فَسُئِلَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِهِ عَنِ الْجَمَاعَةِ فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِي هُوَ الْجَمَاعَةُ.

قَالَ ابْنُ الْقِيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: وَصَدَقَ وَاللهِ، فَإِنَّ الْعَصْرَ إِذَا كَانَ فِيهِ عَالِمٌ بِالسُّنَّةِ دَاعٍ إِلَيْهَا فَهُوَ الْحُجَّةُ وَهُوَ الإِجْمَاعُ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ، وَهُوَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي مَنْ فَارَقَهَا وَاتَّبَعَ سِوَاهُ وَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلاَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[1].

يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ أَصْحَابُ هَذَا الدِّينِ جَيِّدًا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ هَذَا الدِّينَ دِينٌ رَبَّانِيٌّ فَإِنَّ مَنْهَجَهُ فِي الْعَمَلِ مَنْهَجٌ رَبَّانِيٌّ كَذَلِكَ، وَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ فَصْلُ حَقِيقَةِ هَذَا الدِّينِ عَنْ مَنْهَجِهِ فِي الْعَمَلِ.

١- إغاثة اللهفان(٦٩و١/٧٠) بتصرف.

المطلب الثالث

صِلَةُ السَّلَفِيَّةِ بِالإِسْلَامِ الصَّحِيحِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ

مِنْ خَصَائِصِ الإِسْلَامِ الشُّمُولِيَّةِ، فَهُوَ عَقِيدَةٌ وَعِبَادَةٌ وَمُعَامَلَةٌ، عَقِيدَةٌ تَصِلُ الإِنْسَانَ بِاللهِ، ﴿ **فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزوجا ومن الأنعم أزوجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم** ﴾[الشورى].

وَعِبَادَةٌ يُؤَدِّيهَا الإِنْسَانُ وَفَاءً بِحَقِّ اللهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، يَرْجُو بِهَا رِضْوَانَ اللهِ وَالْجَنَّةِ، وَيَخَافُ إِنْ تَرَكَهَا عِقَابَ اللهِ وَالنَّارِ، فَهُوَ دَائِمًا كَمَا وَصَفَ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ: ﴿ **ساجدا وقائما يحذر الأخرة ويرجوا رحمة ربه** ﴾[الزمر].

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُحْسِنٌ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ ﷻ، شِعَارُهُ دَائِمًا: ﴿ **لا تظلمون ولا تظلمون** ﴾[البقرة].

فَالْعَدْلُ عِنْدَهُ أَسَاسُ الْمُعَامَلَةِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ يَعْفُو عَمَنْ ظَلَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، وَيَحْلُمُ عَلَى مَنْ يَجْهَلُ عَلَيْهِ، لأَنَّ الإِسْلَامَ أَمَرَهُ بِالإِحْسَانِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ، وَأَنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحب الجنة وهم فيها خلدون ﴾[يونس].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي الدِّينِ كُلِّهِ، وَأَنْ يَأْخُذُوا الدِّينَ جُمْلَةً، وَأَنْ لاَ يَجْعَلُوهُ عِضِينَ، يَأْخُذُونَ مِنْهُ مَا يَشَاءُونَ وَيَتْرُكُونَ مَا

يَشَاءُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **يأيها الذين ءامنو ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطن إنه لكم عدو مبين (٢٠٨) فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينت فاعلموا أن الله عزيز حكيم** ﴾[البقرة].

قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ- رَحِمَهُمْ اللهُ- : مَعْنَى ذَلِكَ ادْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ جَمِيعِهِ وَكُلِّهِ ولاَ تَتْرُكُوا مِنْهُ شَيْئًا.

وَمَعْنَى الآيَةِ: ﴿ **ادخلوا في السلم كافة** ﴾ [البقرة]، أَيْ اسْتَسْلِمُوا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْتِسْلاَمًا مُطْلَقًا، وَأَطِيعُوا اللهَ ﷻ فِي كُلِّ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ بِأَنْ تَمْتَثِلُوهُ وَتَفْعَلُوهُ، وَفِي كُلِّ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ بِأَنْ تَتْرُكُوهُ وَتَجْتَنِبُوهُ، وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فِيمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ عَنْ أَمْرِ اللهِ ﷻ بِتَرْكِ مَا بِهِ أَمَرَ، أَوْ فِعَلِ مَا عَنْهُ نَهى وَزَجَرَ.

ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً، اسْتَسْلِمُوا للهِ ﷻ وَأَطِيعُوهُ طَاعَةً مُطْلَقَةً، وَاقْبَلُوا مِنْهُ كُلَّ مَا شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَالأَخْلاَقِ وَالْمُعَامَلَةِ، وَالْجِهَادِ وَالاقْتِصَادِ، وَالسِّيَاسَةِ وَالاجْتِمَاعِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا شَرَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لاَ تَأْخُذُوا الْعَقِيدَةَ وَتَتْرُكُوا الْعِبَادَةَ، وَلاَ تَأْخُذُوا الْعَقِيدَةَ وَتَتْرُكُوا الْعَمَلَ، فَإِنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَل، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتب والنبين وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وءاتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عهدوا والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس إولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (١٧٧)** ﴾[البقرة]،

﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾، فِي قَوْلِهِمْ آمَنَّا، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الْقَوْلِ وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1]، فَإِنَّ الاسْتِقَامَةَ عُنْوَانُ صِدْقِكَ فِي قَوْلِكَ آمَنْتُ بِاللهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَمَلٌ صَالِحٌ فَفِي صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ نَظَرٌ، وَحَوْلَهَا عَلامَاتُ اسْتِفْهَامٍ كَثِيرَةٍ.

وَكَمَا أَنَّه لابُدَّ مِنْ سَلامَةِ الْعَقِيدَةِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ، كَذَلِكَ لابُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمُعَامَلاتُ كُلُّهَا خَاضِعَةً لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلابُدَّ أَنْ تَكُونَ الشَّرِيعَةُ هِيَ الْمُهَيْمِنَةَ عَلَى جَمِيعِ حَيَاتِنَا الْعَمَلِيَّةِ، نِكَاحًا وَطلاقًا، بَيْعًا وَشِرَاءً، سِلْمًا وَحَرْبًا.

هَذَا هُوَ الإِسْلامُ كَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَعَاشَهُ، وَعَاشَهُ مَعَهُ أَصْحَابُهُ ﷺ، وَعَاشَهُ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهَذَا هُوَ الإِسْلامُ الَّذِي يَجْتَهِدُ السَّلَفِيُّونَ أَنْ يَعِيشُوا عَلَيْهِ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ، كَمَا دَعَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ﷺ حِينَ ارْتَدَّ مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، وَمَنَعَ الزَّكَاةَ مِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهَا، فَعَزَمَ ﷺ عَلَى قِتَالِهِم، فَلَمَّا رُوجِعَ فِي ذَلِكَ قَالَ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا(وفي رواية: عِقَالاً) كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا[2]، فَقَدْ رَأَى ﷺ أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ التَّمَسُّكِ بِكُلِّ مَا كَانَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، لأَنَّهُ لا يُصْلِحُهُمْ إلاَّ ذلك، وَهُوَ هُوَ الَّذِي صَرَّحَ بِهِ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ بَعْدَ ذَلِك، حَيْثُ قَال: لا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إلاَّ بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا.

١- م(١/٦٥/٣٨).

٢- متفق عليه: خ(١٣٩٩و١٤٠٠/٣/٢٦٢)، م(٢٠/٥١و٥٢/١)، ت(٤/١١٧/٢٧٣٤)، ن(١٤/ ٥)، د(١٥٤١/٤١٤و٤١٥/٤).

وَفِي هَذِه الْحَقِيقَةِ يَقُولُ والِدُنَا الشَّيْخُ مُحَمَّد إبْرَاهِيمْ شَقْرَة :

وَمَا مَنْ شَكٍّ أنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ (سَلَفِيٌّ) ، لاَ تَكُونُ حَقِيقَةً إِلاَّ إِذَا كَانَ عَمَلُ الْمُدَّعِيهَا مُطَابِقًا لِهَذَا الْمَنْهَجِ النَّبوِيِّ الْعَظِيمِ ، وَهَلْ يُتَصَوَّرُ عَقْلاً أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النِّسْبَةُ مُقِيلَةً عَثْرَةً؟ أَوْ مُزِيلَةً ارْتِيَابًا؟ أَوْ مُحَقِّقَةً فَضْلاً بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهَا ، أَوْ التَّذَبْذُبِ بَيْنَ مِنْهَاجِهَا عُلُوًّا وَاسْتِفَالاً ، أَوْ أَخْذًا أَوْ رَدًّا كَمَا يَهْوَى فَاعِلُهُ؟ !

وَلاَ أَحْسِبُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْرِفُ هَذِهِ النِّسْبَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا ، إِلاَّ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا نِسْبَةٌ إِلَى الإِسْلاَمِ كُلِّهِ بِأَحْكَامِهِ وَآدَابِهِ ، وَأَخْلاَقِهِ وَعَقَائِدِهِ ، كَمَا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ يأيها الذين ءامنو ادخلوا في السلم كافة ﴾ [البقرة].

وَهَذِهِ النِّسْبَةُ تَقْتَضِي مِنْ مُدَّعِيهَا أَنْ يَصْدُقَ مَعَ الإِسْلاَمِ فِي دَعْوَاهُ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُ صَادِقَةً لاَ شِيَةَ فِيهَا ، وَأُسْوَةُ هَذَا الْمُدَّعِي هَذِهِ النِّسْبَةَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي صَدَقَتْ رَبَّهَا فِي إِيمَانِهَا ، ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخرة وذكر الله كثيرا(٣١)** ﴾ [الأحزاب]، ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ))[١].

وَأَيُّ إِنْسَانٍ عَلَى تَوالِي الْقُرُونِ ، وَتَتَابُعِ الأَجْيَالِ لاَ يَصْدُقُ فِي دَعْوَاهُ هَذِهِ النِّسْبَةَ ، إِلاَّ بِأَنْ يَكُونَ فِي تَصَوُّرِهِ وَسُلُوكِهِ ، فِي اعْتِقَادِهِ وَعَمَلِهِ ، بَلْ فِي سَائِرِ شُؤُونِهِ ، مُوَافِقًا هَذَا الْمِنْهَاجَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ ، لاَ يَصْدُرُ إِلاَّ عَنْهُ ، وَلاَ يَفِيءُ إِلاَّ إِلَيْهِ ، لِذَا فَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَوْصُولاً بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَبِالْقُرُونِ الثَّلاَثَةِ

١- سبق تخريجه.

الأُولَى وَصْلاً لاَ يَنْقَطِعُ مِنْهُ سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهِ، حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، وَهَلْ يَجِدُ فِي نَبِيِّهِ ﷺ، وَفِي الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ الثَّلاَثَةِ مِنْ بَعْدِهِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ وَحْيِ رَبِّ السَّمَاءِ، وَهُوَ يُرَبِّي هَذَا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى عَيْنِهِ، وَيَضَعُ دُسْتُورًا شَامِلاً، هَادِيًا لأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ؟!

وَفِي هَذَا رَدٌّ مَاحِقٌ عَلَى مَنْ تَوَهَّمَ أَوْ أَوْهَمَ أَنَّ (السَّلَفِيَّةَ) مَرْحَلَةٌ زَمَنِيَّةٌ، أَخَذَتْ بَرَكَتَهَا وَعِزَّهَا مِنْ مُجَرَّدِ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ زَالَتْ بِزَوَالِهَا! فَهَذَا تَغَافُلٌ عَنْ أَنَّ خَيْرِيَّةَ تِلْكَ الْقُرُونَ الَّتِي سُمِّيَ أَهْلُهَا بِـ (السَّلَفِ) وَانْتَسَبَ السَّلَفِيُّونَ إِلَيْهَا، إِنَّمَا هِيَ خَيْرِيَّةُ مَنْهَجٍ، وَخَيْرِيَّةُ هَدْيٍ، وَخَيْرِيَّةُ سُلُوكٍ[1].

١- لا دفاعا عن السلفية. محمد إبراهيم شقرة(٥و٦).

المطلب الرابع

حُكْمُ الانْتِسَابِ إِلَى السَّلَفِيَّةِ

عَرَفْنَا الأَلْقَابَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي مَيَّزَتِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَالَّتِي يَجْمَعُهَا لَقَبَ (السَّلَفِيَّةِ)، وَالْفَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَيِّ لَقَبٍ كَانَ، لأَيِّ جَمَاعَةٍ كَانَتْ.

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَذِهِ الأَلْقَابَ لَمْ تَظْهَرْ إِلاَّ بَعْدَ ظُهُورِ تِلْكَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ، الَّتِي يَشْمَلُهَا لَفْظُ (أَهْلِ الأَهْوَاءِ) لَغَلَبَةِ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَلَيْهِمْ، وَلَفْظُ (أَهْلِ الْبِدَعِ) لاتِّبَاعِهِمْ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنِ الدِّينِ، أَجْنَبِيٌّ عَنْهُ، وَ (أَهْلِ الشُّبُهَاتِ) لأَنَّهُمْ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، فَيُشَبِّهُونَ بِهِ عَلَى الْعَامَّةِ، لِبِنَاءِ خُرُوجِهِمْ عَنِ السُّنَّةِ عَلَى مَرَضِ الشُّبْهَةِ الفَاسِدَةِ، وَقُدْوَتُهُمْ فِي هَذَا الْعَدُوُّ الأَوَّلُ إِبْلِيسُ- لَعَنَهُ اللهُ- ، فَإِنَّهُ أَوَّلَ مِنَ قَاسَ.

فَلَمَّا حَصَلَتْ تِلْكَ الْفِرَقُ، مُنْتَسِبَةً إِلَى الإِسْلاَمِ، مُنْشَقَةً عَنِ الْعَمُودِ الْفَقَرِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ، ظَهَرَتْ تِلْكَ الأَلْقَابُ الشَّرِيفَةُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، تَمْيِيزًا لأَهْلِ السُّنَّةِ عَنْ أَهْلِ الْبِدَعَةِ، وَلأَهْلِ الْجَمَاعَةِ عَنْ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَلأَهْلِ الْحَقِّ عَنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَلأَهْلِ الْهُدَى عَنْ أَهْلِ الضَّلاَلِ[1].

وَلَمْ يُنْكِرِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا هَذِهِ التَّسْمِيَة، بِلْ صَرَّحُوا بِهَا، وَدَعَوْا إِلَيْهَا:

١- حكم الانتماء. بكر أبو زيد (٣٠و٣١).

قَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ- ، فِي كِتَابِ الْجِهَادِ (بابُ الرُّكُوبِ عَلَى الدَّابَّةِ الصَّعْبَةِ وَالْفُحُولَةِ مِنَ الْخَيْلِ) :

وَقَالَ رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ- رَحِمَهُ اللهُ- : كَانَ السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ الْفُحُولَةَ لأَنَّهَا أَجْرَى وَأَجْسَرُ[١].

وَقَالَ مُسْلِمٌ - رَحِمَهُ اللهُ- فِي مُقَدِّمَةِ صَحِيحِهِ :

وَقَالَ مُحَمَّدُ- رَحِمَهُ اللهُ- : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ شَقِيقٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ عَلَى رُؤوسِ النَّاسِ: دَعُوا حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبُّ السَّلَفَ[٢].

وَقَالَ الْحَافِظُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي الْفَتْحِ (بَابُ الأَذَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) :

وَأَمَّا مَا أَحْدَثَ النَّاسُ قَبْلَ وَقْتِ الْجُمُعَةِ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَيْهَا بِالذِّكْرِ وَالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ فِي بَعْضِ الْبِلاَدِ دُونَ بَعْضٍ، وَاتِّبَاعِ السَّلَفَ الصَّالِحِ أَوْلَى[٣]. وَفِي (كِتَابِ التَّوْحِيدِ): "بَابُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"، قَالَ الْحَافِظُ :

وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي الرِّسَالَةِ النِّظَامِيَّةِ : اخْتَلَفَتْ مَسَالِكُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الظَّوَاهِرِ: فَرَأَى بَعْضُهُمْ تَأْوِيلَهَا، وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي آيِّ الْكِتَابِ وَمَا يَصِحُّ مِنْ السُّنَنِ. وَذَهَبَ أَئِمَةُ السَّلَفِ إِلَى الانْكِفَافِ عَنْ التَّأْوِيلِ، وَإِجْرَاءِ الظَّوَاهِرِ عَلَى مَوَارِدِهَا، وَتَفْوِيضِ مَعَانِيهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَالَّذِي نَرْتَضِيهِ رَأْيًا، وَنَدِينُ اللهَ بِهِ عَقِيدَةً، اتِّبَاعُ سَلَفِ الأُمَّةِ[٤].

١- فتح الباري (٦/٦٦).

٢- صحيح مسلم (١/١٦).

٣- فتح الباري (٢/٣٩٤).

٤- فتح الباري(١٣/٤٠٧).

وَقَدْ كَانَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَة - رَحِمَهُ اللهُ- مِنْ أَشَدِّ الْعُلَمَاءِ حِرْصًا عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَمِنْ أَقْوَالِهِ :

لاَ عَيْبَ عَلَى مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ، وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ، وَاعْتَزَى إِلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالاتِّفَاقِ، فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لاَ يَكُونُ إِلاَّ حَقًّا[١].

وقال السمعاني رحمه الله: **"السَّلَفي - بفتح السين، واللام، وفي آخرها الفاء- هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سمعت منهم"[٢].**

وقال الذهبي رحمه الله: **"فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكيا......سلفيا"[٣]**

وقال رحمه الله عن الإمام الدارقطني رحمه الله تعالى: **"لم يدخل الرجل أبدا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيا"[٤]).**

وَمِنْ أَعْلاَمِ السَّلَفِيَّةِ الْمُعَاصِرِينَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي - رَحِمَهُ اللهُ- ، وَقَدْ كَانَ يَرَى ضَرُورَةَ التَّمَيُّزِ بِهَذَا اللَّقَبِ (سَلَفِيّ)، لِلدِّلاَلَةِ عَلَى الْمَنْهَجِ، وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

يَقُولُ - رَحِمَهُ اللهُ- : وَلاَ بَدَّ مِنْ نِسْبَةٍ مُمَيِّزَةٍ دَقِيقَةٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَلاَ يَكْفِي أَنْ نَقُولَ: أَنَا مُسْلِمٌ فَقَطْ، أَوْ مَذْهَبِي الإِسْلاَم، فَكُلُّ الفِرَقِ تَقُولُ ذَلِكَ: الرَّافِضِيُّ، وَالإِبَاضِيُّ، وَالْقَادْيَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْفِرَقِ، فَمَا الَّذِي يُمَيِّزُكَ عَنْهُمْ؟! وَلَوْ قُلْتَ: أَنَا مُسْلِمٌ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَمَا كَفَى أَيْضًا، لأَنَّ

١- مجموع الفتاوى (٤/١٤٩)

٢- الأنساب للسمعاني : (٣/٢٧٣)

٣ - سير أعلام النبلاء للذهبي : (١٦/٤٧٥)

٤ - المرجع السابق

أَصْحَابَ الْفِرَقِ- مِنْ أَشَاعِرَةٍ، وَمَاتُرِيدِيَّةٍ، وَحِزْبِيِّينَ- يَدَّعُونَ اتِّبَاعَ هَـذَيْنِ الأَصْلَيْنِ كَذَلِكَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّسْمِيَّةَ الوَاضِحَةَ الْجَلِيَّةَ، الْمُمَيِّزَةَ الْبَيِّنَةَ هِيَ أَنْ نَقُولَ: أَنَا مُسْلِمٌ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَهِيَ أَنْ نَقُولَ بِاخْتِصَارٍ: أَنَا سَلَفِيٌّ[١].

وَمِنْ أَعْلامِ السَّلَفِيَّةِ الْمُعَاصِرِينَ **الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز** رحمه الله، وقد سئل هذا السؤال: "**ما تقول فيمن تسمى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية؟**".

فأجاب سماحته رحمه الله: "**إذا كان صادقاً أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس، مثل ما كان السلف يقولون: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لا بد منها، تزكية واجبة**"[٢].

وَمِنْ أَعْلامِ السَّلَفِيَّةِ الْمُعَاصِرِينَ الشَّيْخُ الْفَوْزَانُ - حفظه الله- ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِنَّ الْجَمَاعَةَ السَّلَفِيَّةَ هِيَ الَّتِي عَلَى الْحَقِّ، وَهِيَ الَّتِي يَجِبُ الانْتِمَاءُ وَالْعَمَلُ وَالانْتِسَابُ إِلَيْهَا[٣].

١- سلسلة الهدى والنور شريط رقم(٧٢٥).

٢- من محاضرة بعنوان: "حق المسلم"، ألقيت بالطائف، وانظر: كن سلفيا على الجادة ص ٤١- ٤٤

٣- الإجابات المهمة (٥٥).

المطلب الخامس

السَّلَفِيَّةُ وَعَلاَقَتُهَا بِالْجَمَاعَاتِ وَالأَحْزَابِ الْمُعَاصِرَةِ

إذَا كَانَتِ السَّلَفِيَّةُ تَدْعُو إِلَى لُزُومِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة ، وَاجْتِنَابِ الشُّذُوذِ وَالْخِلافِ وَالْفُرْقَة ، وَتَتَمَنَّى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُه ، إلاَّ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة (١٠) ﴾[الحجرات]، وَيُقِيمُونَ عَلاقَتَهُمْ بِإِخْوَانِهِمْ فِي الْجَمَاعَاتِ وَالأَحْزَابِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّة ، اللَّذَيْنِ يَقُومُ عَلَيْهِمَا مَنْهَجُ السَّلَفِيَّة ، فَعَلاقَتُهُمْ بِإِخْوَانِهِمْ قَائِمَةٌ عَلَى قَاعِدَةِ (الْوَلاءِ وَالْبَرَاءِ) ، الَّتِي هِيَ مِنْ أُصُولِ الدِّين ، وَأَسَاسُهَا قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِين : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنو الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم ركعون ﴾[المائدة]:

قَالَ السَّعْدِي - رَحِمَهُ اللهُ - : لَمَّا نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ وَلايَةِ الْكَافِرِين ، وَذَكَرَ أَنَّ مَآلَ تَوَلِّيهِمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين ، أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ يَجِبُ وَيَتَعَيَّنُ تَوَلِّيه ، وَذَكَرَ فَائِدَةَ ذَلِكَ وَمَصْلَحَتَه ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ ، وَوَلايَةُ اللهِ تُدْرَكُ بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ للهِ وَلِيًّا ، وَمَنْ كَانَ للهِ وَلِيًّا فَهُوَ وَلِيٌّ لِرَسُولِه ، وَمَنْ تَوَلَّى اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَ تَمَامُ ذلك تَوَلِّي مَنْ تَوَلاَّه ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ قَامُوا بِالإِيمَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَأَخْلَصُوا لِلْمَعْبُودِ بِإِقَامَتِهِمُ الصَّلاةَ بِشُرُوطِهَا وَفُرُوضِهَا وَمُكَمِّلاتِهَا ، وَأَحْسَنُوا لِلْخَلْق ، وَبَذَلُوا الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِمُسْتَحَقِّيهَا مِنْهُم.

وَأَدَاةُ الْحَصْرِ ﴿ **إنما** ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنو** ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ قَصْرُ الوَلايَةِ عَلَى الْمَذْكُورِينَ وَالتَّبَرِّي مِنْ وَلايَةِ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ فَائِدَةَ الْوَلايَةِ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين ، فَقَالَ : ﴿ **ومن يتول**

الله ورسوله والذين ءامنو فإن حزب الله هم الغلبون (٥٦) ﴾[المائدة]، أَيْ فَإِنَّهُ مِنَ الْحِزْبِ الْمُضَافِينَ إِلَى اللهِ إِضَافَةَ عُبُودِيَّةٍ وَوَلايَة، وَحِزْبُهُ هُمُ الْغَالِبُون، الَّذِينَ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وإن جندنا لهم الغلون (١٧٣)** ﴾[الصافات][1].

وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ الوَلِيَّ هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ، وَكَانَ الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُص، وَكَذَلِكَ التَّقْوَى، فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ وَلايَةَ الْمُؤْمِنِ تَكْمُلُ وَتَنْقُصُ، حَسَبَ كَمَالِ إِيمَانِهِ وَنُقْصَانِه، فَالْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ لَهُمُ الْوَلايَةُ التَّامَّة، وَالْمُؤْمِنُونَ الْفَاسِقُونَ لَهُمُ الْوَلايَةُ عَلَى قَدْرِ طَاعَتِهِم، وَلا يُمْنَعُونَ الْوَلايَةَ لِمَعْصِيَتِهِم، وَلِذَلِكَ قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ- رَحِمَهُ اللهُ-: "عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَادِيَ فِي الله، وَيُوَالِيَ فِي الله، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مُؤْمِنٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَالِيَهُ وَإِنْ ظَلَمَه، فَإِنَّ الظُّلْمَ لا يَقْطَعُ الْمُوَالاةَ الإِيمَانِيَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداها على الأخرى فقتلوا التي تبقى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما الؤمنون إخوة (١٠)** ﴾[الحجرات]، فَجَعَلَهُمْ إِخْوَةً مَعَ وُجُودِ الْقِتَالِ وَالْبَغْيِ وأَمَرَ بالإِصْلاحِ بيْنَهم، فَلْيَتَدَبَّرِ الْمُؤْمِنُ ذَلِك، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ مُوَالاتُهُ وَاجِبَةٌ وَإِنْ ظَلَمَكَ وَاعْتَدَى عَلَيْك، وَأَنَّ الْكَافِرَ يَجِبُ مُعَادَاتُه وَإِنْ أَعْطَاكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْك، والعداوة المطلوبة هي بغض الدين، ومفارقته في شعائر دينه، وبغض ماهو عليه، وكذا المحبة التي تعد مولاة هي محبة الدين، ولذا أثبت الله – عزوجل – لرسوله ﷺ محبة عمه أبي طالب مع أنه كافر

1- تيسير الكريم الرحمن(٣١٠و٢/٣١١).

فقال تبارك وتعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ ، ولا يمنع من التعايش والتواصل والتعاون ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، فَيَكُونَ الْحُبُّ لأَوْلِيَائِه، وَالْبُغْضُ لأعْدَائِه، وَالإِكْرَامُ لأَوْلِيَائِه، وَالإهَانَةُ لأعْدَائِه، وَالثَّوَابُ لأَوْلِيَائِه، وَالْعِقَابُ لأعْدَائِه، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: ((أَوْثَقُ الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ))[1]، وقالَ ﷺ ((مَنْ أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ للهِ وَأَعْطَى للهِ وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ))[2].

وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الرَّجُلِ الْوَاحِدِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَة، وَسُنَّةٌ وَبِدْعَة، اسْتَحَقَّ مِنَ الْمُوَالاةِ وَالثَّوَابِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْر، وَاسْتَحَقَّ مِنَ الْمُعَادَاةِ وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، فَيَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ مُوجِبَاتُ الإِكْرَامِ وَالإهَانَة، فَيَجْتَمِعُ لَهُ هَذَا وَهَذَا، كَاللِّصِّ الْفَقِيرِ تُقْطَعُ يَدُهُ لِسَرِقَتِه، وَيُعْطَى مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يَكْفِيهِ لِحَاجَتِه))[3].

١- حسن: [س.ص: ١٧٢٨]، طب(١١/٢١٥/١١٥٧).

٢- صحيح: [ص.د: ٣٩١٥]، د(١٢/٤٣٨/٤٦٥٥).

٣- مجموع الفتاوى(٢٠٨و٢٠٩).

الخاتمة

من خلال ما سبق من مباحث عن السلفية يمكن الخلوص إلى أهم النتائج والتوصيات التالية :

أولا : أهم النتائج

١- السلفية في اللغة : نسبة للسلف ، والسلف جمع سالف ، والسالف هو المتقدم ، والسلف هم الجماعة المتقدمون .

٢- السلفية في الاصطلاح الشرعي : هي ما كان عليه الصحابة الكرام ﷺ ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم وأئمة الدين ، ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنهم في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي...

٣- السلف في الاصطلاح : هم الصحابة الكرام ﷺ ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم وأئمة الدين ، ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنهم في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي...

٤- السلفية هي الإسلام الصحيح الخالي من البدع ، وإنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطلقاً على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج ، طبقاً لفهم الصحابة والقرون المفصلة ، ويكون هذا المصطلح السلف أو السلفية ، مرادفاً للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة ، وأن الدعوة إلى

اتباع السلف أو الدعوة السلفية إنما هي دعوة على الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، ودعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على النبي ﷺ، وتلقاه عنه أصحابه الكرام.

٥- منهج السلف الصالح هو المنهج الحق لأنه منهج يقوم على اتباع الكتاب والسنة، والدعوة إليهما، والعمل بهما.

٦- السلفية دعوة حق، والانتساب إليها حق، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه أو اعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه؛ لأنه مذهب السلف لا يكون إلا حقاً".

٧- الدعوة السلفية هي أبعد ما يكون عن الغلو والتطرف وهي أبعد ما يكون عن التكفير والتبديع بغير دليل، إلا أن هذه الدعوة المباركة ألصق بها ما ليس فيها، ونسب إليها من ليس من منهاجها.

٨- الجماعات الإسلامية الحزبية المعاصرة، المخالفة للسنة سبب في فرقة الأمة وضعفها وتخلفها، لكونها مخالفة لمنهج السلف الصالح في الاعتقاد والعمل.

٩- يجب العمل على تصفية الإسلام الحق مما ألصق به مما ليس منه، وتربية النشئ المسلم على الإسلام الصحيح المستقى من النبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق فهم سلف الأمة الصالح، والذود عن هذا الدين، وإظهاره بالمظهر اللائق به

١٠- يجب الحذر من بعض من ينتسبون إلى الإسلام الذين قد يوافقون المنهج السلفي في بعض الأطروحات، وإن كانوا يخالفونه في كثير من مسائل العقيدة والمنهج، ويتكلمون باسم السلف والسلفية، وهم ليسوا كذلك، مما جعل الأمر يلتبس على الكثير من الناس، الذين قد تخفى عليهم حقيقة السلفية الحقة.

ثانيا : أهم التوصيات

١- ضرورة العناية بالمنهج السلفي الحق وتقديمه للناس بصورة علمية مدروسة من خلال المناهج الدراسية سواء في التعليم العام أو الجامعي وكذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال الوسائل الدعوية المتنوعة .

٢- وضع إستراتيجية علمية بعيدة المدى للعودة بالناس إلى الإسلام الصحيح كله : عقيدة وشريعة وسلوكا ومنهجا .

٣- العمل على تبرئة السلفية الحقة مما لحق بها من شبهات باطلة وتهم كاذبة مثل : التكفير بغير حق والغلو والتطرف ومعادة الآخر وظلم المرأة وغير ذلك من التهم .

٤- الإشادة بتمسك المملكة العربية السعودية بالمنهج السلفي السني المبارك القائم على الحق والعدل والوسطية والاعتدال والرحمة بالخلق ، وعلى جهودها الجبارة في خدمة الإسلام والمسلمين في كل أنحاء الأرض.

ندوة

السلفية منهج شرعي ومطلب وطني



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل

المقدمة لندوة

السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم



أوراق العمل

المحور الأول



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

إدريس كوني

مقدمة:

فإنه يقصد بالسلفية الطريق القائم على اتباع سبيل المؤمنين من السلف الصالح، وهم أصحاب محمد- ﷺ- ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم في كل عصر: الفئة التي قال عنها رسول الله- ﷺ- : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك).

والمنهج السلفي يعني أن من انتسب إليه، وسلك سبيله ليس بخارجي يستحل دم المسلم بالمعصية، ولا رافضي يكفر الصحابة، ولا محرف متأول بالباطل ممن ينفي صفات الله، وينفي معانيها، وليس مشبها لله بخلقه، ولا حلوليا ممن يقول بوحدة الوجود، أو أن الله قد حل في خلقه، أو صوفيا ممن يعبدون القبور، ويقدمون لها النذور، فهو- أي: المنهج السلفي- الطريق والنهج الذي سار فيه الصحابة والخلفاء الراشدون، وأما المناهج الأخرى فقد ضلت عن هذا الطريق، فأصابت في أشياء وأخطأت في أخرى، وتختلف فيما بينها قرباً وبعداً من منهج السلف.

وعقيدة السلف الصالح تتمثل في الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه رسول الله- ﷺ- ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خلق كل شيء من أفعال العباد ويراها، وأن ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، وأنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنوب، ما لم يستحلها، وأن الخلفاء بعد رسول الله- ﷺ- هم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي- رضي الله عنهم- ، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبهم في الخلافة، فإن جميع مذاهب السلفية تتمسك بهذه العقيدة.

السلفية في اللغة وفي الاصطلاح:

السلفية في اللغة: مَنْ تقدمك من آبائك وذوي قرابتك، الذين فوقك في السن والفضل، يقول رسول الله- ﷺ- لابنته فاطمة الزهراء- رضي الله عنها- : (فإنه نعم السلف أنا لك).

وعن النبي- ﷺ- قال لابنته زينب- رضي الله عنها- عندما توفيت: (الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن المظعون).

فالسلفية: نسبة إلى السلف، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: سلف، السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: السلف: المتقدم، قال الله- تعالى- : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ)[1] أي معتبراً متقدماً، ولفلان سلف كريم: أي آباء متقدمون، جمعه: أسلاف.

قال ابن منظور: (والسلف والسليف والسلفية: الجماعة المتقدمون)[2].

وقال أبو السعادات ابن الأثير: (وقيل: سلف الإنسان: من تقدم بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح)[3].

١- سورة الزخرف الآية ٥٦

٢- أبو منظور، لسان العرب ٦ - ٣٣٠

٣ - أبو السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث.

وقال عبد الكريم السمعاني : (السلفي : بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم)[1].

وفي **الاصطلاح الشرعي العام**، يراد بالسلف : كل من يُقلَّد مذهبه في الدين ويُقْتَفى أثره فيه ، فهو اتباع منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم من خير القرون ، ومن اقتفى أثرهم من العلماء والأئمة المجتهدين.

ثم أصبح مع التطور التاريخي لظهور الفرق الإسلامية منحصراً في المدرسة السلفية التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي ؛ طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقَّوه جيلاً بعد جيل ، وأبرز سماتهم التمسك بمنهج النقل ؛ ولهذا عرفوا في البداية بأنهم "أهل الحديث" ؛ للتمييز بينهم وبين من انسلخ عن هذا المنهج من الشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ، كما أنهم يعرفون- أيضاً- بأنهم أهل الأثر ، وهذه النسبة إلى الأثر ، تعني : الحديث وطلبه واتباعه[2].

ومن هذا الانطلاق لكلمة السلف نخلص إلى أن هذا اللفظ يشمل : الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ، فأصبح مذهب السلف علما على ما كان عليه هؤلاء ، ومن تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عينة ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن المبارك ، والبخاري ، ومسلم ، وسائر أصحاب السنن ، الذين اتبعوا الأوائل جيلا بعد

١ - عبد الكريم السمعاني - الأنساب ص ١٠٤

٢ - منتدى مصر والشريعة - مصطلحات وتعريف : المرجع السابق.

جيل، دون من وصف البدعة كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة وغيرهم[1].

وهو- أيضا- وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة- رضي الله عنهم- ، ويشاركهم فيه غيرهم تبعا واتباعا[2].

وفي الاصطلاح الآخر: إذا أُطْلِقَ السلفُ عندَ علماءِ الاعتقادِ فإنَّما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أَو الصحابة والتابعين، أَو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأَئمَّةِ الأَعلامِ المشهودِ لهم بالإمامةِ والفضلِ، واتباع السنة، والإمامةِ فيها، واجتناب البدعةِ والحذر منها، وممن اتفقت الأُمَّةُ على إِمامتهم، وعظيم شأنهم في الدِّين، ولهذا سمي الصدرُ الأول بالسلَف الصالح[3].

ومن جانب آخر هم المتمسكون بسُنَّة النَّبيِّ- صلى الله عليه وسلم- وأَصحابه ومَن تبعهم، وسلكَ سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل، والذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع، وهم باقون ظاهرون منصورون إِلى يوم القيامة فاتباعهم هُدى، وخِلافهم ضَلال.

وهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، ولا يجتمعون على ضلالة أصلاً، وقد يقع من سواهم فيها.

---

١ ـ مصطفى حلمي، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي الطبعة الثالثة ص ١٨٧ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية مصر ٢٠٠٨م

٢ - محب أبو إلياس ـ السلفية وشرعية الانتساب إليها - الملتقى

٣ - ملتقى أهل الحديث ـ أصول عقيد السلف الصالح، http://www.ahlalhdeeth.com/

وهـم- أيـضا- القـرون المفـضلة، وعلـى رأسـهم وفي مقـدمتهم سـيدنا وقدوتنا محمد- ﷺ- وأصحابه الكرام الـذين اثـني علـيهم الله- تعـالى- بقوله: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـاء بيـنهم تـراهم ركعا سجدا)، وأثني عليهم رسول الله- ﷺ- بقوله: (خيرُ الناسِ قرنـي، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) رواه البخاري ومسلم.

ولذا فالصحابة والتابعون؛ أحق بالاتباع من غيرهم، وذلـك لـصدقهم في إيمانهم، وإخلاصهم في عبـادتهم، وهـم حـراس العقيـدة، وحمـاة الـشريعة، العاملون بها ؛ قـولاً وعمـلاً، ولـذلك اختـارهم الله- تعـالى- لنشر دينه، وتبليغ سنة نبيه- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- .

وكلمة السلف تعني السلف زمنـاً، والـسلف معتقـداً، فـإن أريـد بالـسلف معتقداً صح أن نقول لمن هم موجودون الآن على مذهب السلف: إن هـؤلاء سلف، وإذا قلنا: إن السلف هم الـسابقون زمنـا فإنـه يختص بـالقرون الثلاثـة المفضلة: الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وكلا الأمرين قد استعمله أهـل العلم، فتارة يريدون بالسلف مـن كـان علـى طريقـة الـسلف وإن كـان متـأخراً زمناً، وتارة يريدون بالسلف القرون الثلاثة المفضلة.

ومن جانب آخر يمكـن أن نعـرِّف الـسلف مـن وجـوه متعـددة، مـن خـلال صفاتهم وسماتهم، ومنهجهم، أي: من خلال تعريفهم هم بأنفسهم، فأهل الدار أدرى بما فيها وأهل مكة أدرى بشعابها.

ومن هذه الوجوه التي يمكن أن نتعرف بها على السلفيين:

أولاً: أنهـم هـم صـحابة رسـول اللَّـه- ﷺ- ، فهـم أهـل الـسنة الـذين عَلموهـا، ووعوهـا وعملـوا بهـا، ونقلوهـا، وحملوهـا، روايـة ودرايـة،

ومنهجًا ، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة ؛ لسبقهم إلى السنة علمًا وعملاً وزمنًا.

ثانيًا : يليهم كذلك اتباع صحابة رسول اللَّه- ﷺ- ، الذين أخذوا عنهم هذا الدين ، ونقلوه وعَلموه وعَملوا به ، من التابعين وتابعيهم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فهم أهل سنة رسول الله- ﷺ- الذين تمسكوا بها ، ولم يبتدعوا ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

ثالثًا : والسلف الصالح أهل الكتاب والسنة العاملون بهدي رسول اللَّه- ﷺ- ، المتبعون لآثار الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ، المقتدى بهم في الدين ، الذين لم يبتدعوا ولم يبدلوا ، ولم يحدثوا في دين اللَّه ما ليس منه.

رابعًا : أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية من بين الفرق ، وهم الطائفة الظاهرة والمنصورة إلى قيام الساعة ؛ لأنهم هم الذين ينطبق عليهم قول النبي- ﷺ- : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك)[١] ، وفي لفظ : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه...)[٢].

خامسًا : هم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع ، وفسد الزمان ، أخذًا من قوله- ﷺ- : (بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود كما بدأ

١ حديث مسلم ص ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣

٢ ـ حديث مسلم ١٠٣٧

غريبًا، فطوبى للغرباء)[1]، وقال- ﷺ- : (طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)[2].

وهذا الوصف إنما ينطبق على أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

سادسًا: وهم أصحاب الحديث رواية ودراية علمًا وعملاً، لذا نجد أن أئمة السلف فسروا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، بأنهم: (أصحاب الحديث)، فقد روي ذلك عن ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأحمد بن سنان، وهذا حق، فإن أصحاب الحديث الجديرين بهذا الوصف هم أئمة أهل السنة والسلف الصالح، قال الإمام أحمد في الطائفة المنصورة: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري مَن هم)؟، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث)[3].

قلت: وعامة المسلمين الذين على الفطرة والسلامة، ولم يسلكوا مسالك الأهواء والبدع، هم على السنة، وهم تبع لعلمائهم بالاهتداء والاقتداء.

لماذا سموا بأهل السنة والجماعة؟

سمي السلف الصالح بذلك؛ لأنهم الآخذون بسنة رسول الله- ﷺ- العاملون بها، العاملون بمقتضاها، والممتثلون لقول الرسول- ﷺ- : (عليكم بسنتي...)[4].

---

١ ـ حديث مسلم ١٤٥

٢ ـ صحيح الجامع الصغير٣٨١٦

٣ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ج٢ - ٢٣٨

٤ - حديث الترمذي ٢٦٧٨

فالسنة هي : ما تلقاه الصحابة عن رسول الله- ﷺ- من الشرع والدين، والهدي الظاهر والباطن، وتلقاه عنهم التابعون، ثم تابعوهم ثم أئمة الهدى العلماء العدول، المقتدون بهم، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين[1].

ومن هنا صار أهل الحق المتبعون للسنة هم أهل السنة، فهم الجديرون بذلك على الحقيقة.

أما تسميتهم بالجماعة : فلأنهم أخذوا بوصية رسول الله- ﷺ- بالجماعة، فاجتمعوا على الحق، وأخذوا به، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة، من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولأنهم أجمعوا على الحق، وعلى اتباع الجماعة، أهل السنة والحق، ولأنهم دائما- بحمد الله- يجتمعون على أئمتهم، ويجتمعون على الجهاد، مع ولاة المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجتمعون على السنة والاتباع، وترك البدع والأهواء والفرق، فهم الجماعة التي عناها الرسول- ﷺ- ، ووصفها، وأمر بالأخذ بها.

وأخيرا نصل إلى نتيجة بينة واضحة، وهي أن : (أهل السنة والجماعة) اسم ووصف استمد مما يلي :

أولا : من سنة الرسول- ﷺ- ، حينما أمر بالسنة، وأوصى بها، فقال : (عليكم بسنتي)، وحينما أمر بالجماعة، وأوصى بها، ونهى عن

---

١ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٣ - ٣٥٨

خلافها ومفارقتها، والخروج والشذوذ عنها، فأهل السنة والجماعة إنما سماهم الرسول- ﷺ- ، ووصفهم بذلك.

ثانيا: استمد من آثار الصحابة والسلف في القرون الفاضلة، من قولهم ووصفهم وحالهم، فهو اسم ووصف أجمع عليه أئمة الهدى، وسموا به أهل الحق، ووصفوهم به، وتلك آثارهم شاهدة ناطقة في مصنفاتهم في كتب السنن والآثار.

السلف في القرآن الكريم

وردت كلمة سلف في القرآن الكريم مرادا بها معنى واحد، وهو السبق والتقدم في الزمن، ومما ورد فيه قوله- تعالى- : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ)[1]، قال الإمام البغوي: (والسلف: من تقدم من الآباء، أي فجعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون)، وقوله- تعالى- : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ)[2] أي يغفر لهم ما تقدم ومضى من الذنب، وقوله- تعالى- : (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ)[3]، وقوله- تعالى- : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)[4] أي بما قدمتم في الدنيا.

السلف في السنة النبوية:

يطلق السلف في السنة النبوية ويراد به خمسة معان، وهي:

---

١ - سورة الزخرف الآية ٥٦.

٢ - سورة الأنفال الآية ٣٨

٣ سورة المائدة الآية ٩٥

٤ ـ سورة الحاقة ٢٤

الأول: القرض.

الثاني: السَلَم.

الثالث: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمّي الصدر الأول من الأمة السلف الصالح.

الرابع: السالفة وهي صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه. لما روي أنه مرّ برجل وهو يجر شاة بأذنها، فقال: (دع أذنها، وخذ بسالفتها).

الخامس: السلف من التمر وهو الجراب الضخم، فعن عبد الله بن عامر ابن ربيعة عن أبيه- وكان بدريا- قال: (لقد كان رسول الله- ﷺ- يبعثنا في السرية- يا بني- ما لنا زاد إلا السلف من التمر، فيقسمه قبضة قبضة، حتى يصير إلى تمرة تمرة، قال: فقلت له: يا أبت! وما عسى أن تغني التمرة عنكم؟ قال: لا تقل ذلك يا بني، فبعد أن فقدناها فاختللنا إليها).

فالسلفية ليست جماعة من الجماعات، كما أنها ليست فترة زمنية من الفترات، مرت وانتهت، وإنما السلفية تعني متابعة السلف الصالح في تعاملهم مع كتاب ربهم وسنة نبيه- ﷺ- ، في فهم الدين والعمل به، والدعوة إليه، وهم أهل السنة والجماعة، مما يعني أن السلفية منهج علمي وعملي شامل ومتكامل تجاه النصوص الشرعية، وليست مجرد موقف علمي، وقد حث الله- تبارك وتعالى- على اتباع السلف الصالح في قوله: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ

الفوز العظيم)[١]، كما قال عنهم رسول الله- ﷺ- : (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، فهي بذلك منهج قابل للتكرار على اتساع الزمان والمكان).

ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ-

هناك عدة مجالات يوجد فيها ربط بين السلفية الحقة والإسلام الصحيح، ولكن قبل ذكر بعض من هذه المجالات البالغة الأهمية، تجدر الإشارة إلى النقاط التالية:

- أن السلفية عقائد، وأخلاق، وآداب، وأعمال، وأقوال، موافقة لما كان عليه سلف الأمة، وهي الامتداد الطبيعي للإسلام الخالي من البدع، والشبهات والشهوات.

فإن قال قائل: ولماذا لا يكفي اسم الإسلام؟ (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)[٢]؟، فالجواب: كان يكفي اسم الإسلام لو لم تفترق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما أخبر المعصوم- ﷺ- ، لكن لما افترقت الأمة، وظهرت فيها البدع التي أخبر عنها النبي- ﷺ- ، كان لا بد لمن تمسك بهدي الجماعة الأولى وما كانت عليه أن يتميز باسم ومنهج، كما قيل للإمام أحمد: (ألا يسعنا أن نقول: القرآن كلام الله ونسكت؟ فقال: كان هذا يسع من قبلنا)، أي: قبل ظهور قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق[٣].

---

١ ـ سورة التوبة: الآية ١٠٠

٢ - سورة الحج الآية ٧٨

٣ ـ أحمد فريد السلفية هي الفهم الصحيح للإسلام، منتديات العنابي ـ www.al٣nabi.com/

- فكان يكفي المسلم أن يقول: القرآن كلام الله، ولكن بعد ظهور البدعة لا يكفيه ذلك حتى يقول القرآن كلام الله غير مخلوق.

- فاسم الإسلام كان يكفي عندما كانت الأمة جماعة واحدة، وقبل ظهور البدع.

وإثباتا لما سبق ذكره قول عبد الله بن مسعود: (إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستُحدِثُون ويُحدَثُ لكم، فإذا رأيتم محدَثةً فعليكم بالعهد الأول)[١].

مجالات ارتباط السلفية بالإسلام الصحيح:

المجال الأول: تقديم الشرع على العقل:

في اتباع السلف الصالح في الفهم والتفسير، ففي الصفات الإلهية: إثباتها بلا كيف، وفي المسائل الكلامية الأخرى: اتخاذ الأوائل قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولا، ثم الاقتداء بالصحابة؛ (لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التالية، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين، لم يفترقوا فيه، ولم يظهر فيه البدع والأهواء)[٢].

ومنها تظهر السمة الغالبة على أصحاب المنهج، فهم أهل الحديث وحفاظه ورواته وعلماؤه المتبعون للآثار؛ لأنها سبيل المؤمنين، مستشهدين بقوله- تعالى- : (ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساء مصيرا)[٣].

---

١ ـ أحمد فريد السلفية هي الفهم الصحيح للإسلام المرجع السابق.

٢ ـ مصطفى حلمي - قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي ص ١٧٨ مرجع سابق

٣ - سورة النساء الآية ٥١١.

فيتميزون عن المتكلمين بأنهم يبدؤون بالشرع ، هم يخضعون العقل له ، ومن ثم فإنهم يقدمون الرواية على الدراية ، والنظر والعقل ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم بالقول أن العقل يتفق مع الشرع ، وأن الأوائل كانوا أكثر فهما ودراية للشرع عن غيرهم[1] .

والسلفيون يتأدبون مع نصوص الكتاب والسنة عاملين بقوله- تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2] ، فهم لا يقدمون قول أحدٍ على الوحي المعصوم وإذا اختلفوا يعالجون هذا الاختلاف باتباع السنة كما وصاهم بذلك النبي- ﷺ- : (عند الاختلاف) ، فقال : (فعليكم بسنتي) ، لا كما يقول أحد المتأخرين : (نجتمع فيما اتفقنا فيه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)[3] .

المجال الثاني :

رفض التأويل الكلامي :

فالتأويل عند المتكلمين بعامة يقتضي اتخاذ العقل أصلا في التفسير مقدما على الشرع ، فإذا ظهر تعارض بينهما فينبغي تأويل النصوص إلى ما يوافق مقتضي العقل ، ولكن السلف على العكس- كما يذكر شيخ الإسلام- : (احتكموا إلى الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية مكتفين بها ، فطوعوا المفاهيم العقلية لها ؛ لأن العقل في كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- هو أمر

---

١ - مصفى حلمي قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي المرجع السابق ص ١٨٨ .

٢ - سورة الحجرات الآية ١ .

٣ - أحمد فريد ، السلفية قواعد وأصول ، منتدى فرسان السنة /www.forsanelhaq.com/

يقوم بالعاقل، سواء سمي عرضا أو صفة، ليس هو عينا قائمة بنفسها كما يعتبره الفلاسفة[1].

والعقل كما يرى الدكتور الغمراوي يعجز عن إحاطة الحقائق التي أوردها الدين؛ (لأن الدين الصادر عن خالق الخلق، وقد تناول جميع الفطرة: ماضيها، وحاضرها ومستقبلها بالإجمال فيما اقتضت الحكمة الإلهية إجماله، وبالتفصيل فيما اقتضت تفصيله، والعقل الذي يمكن أن يحيط بالفطرة لم يخلقه الله بعد[2].

وعلى الضوء السابق ذكره نؤكد بأن السلف المتقدمين والمتأخرين لم يعارض أحد منهم النصوص بمعقوله، فإن أراد معرفة شيء من الدين نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، وعلى العكس من ذلك المنهج يقف على الطرف الآخر أصحاب المنهج الكلامي الذين اعتمدوا على ما رأوه، ثم نظروا في الكتاب والسنة، فإن وجدوا النصوص توافقه أخذوا بها، وإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضا، أو حرفوها تأويلا.

المجال الثالث: **الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية:**

منهج السلف الصالح في الاستدلال هو الاستتار بالكتاب والسنة بفهم السلف، ولا يميلون عن فهم السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم قيد أنملة، ولا يقولون برأيهم ولا بتأويلاتهم في مسائل الاعتقاد، ولا يقدمون

---

١ - ابن تيمية: فتاوى جـ ٩ ص ٢٧٩.

٢ - مصفى حلمي قواعد المهج السلفي في الفكر الإسلامي مرجع سابق ص ١٩٢.

Ȧøɳƺȶʒ ȸɅǼøöä ȮəȦÊɳ Ž ƸŸÊöä ȧȦȦǩä ȿÜ ǦȺÊöä ȿÜ ā ȦǪȮöä ʔŶʒ ȽȾɅÜø
وخصوصا..، وهو معنى قوله- ﷺ- : (الذين على ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

منهج الاستدلال عند السلف الصالح :

منهج الاستدلال عند السلف الصالح هو : الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند السلف الصالح يقوم على القواعد التالية :

١- حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي).

٢- مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣- يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤- يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم ؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردّون ما يخالف ذلك.

٥- يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم ؛ لأنهم أصحاب رسول الله- ﷺ- ، وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وهم أعلم باللغة

ومقاصد الشرع ، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

قال ابن تيمية : إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه من الله من صفاته وأفعاله ، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات).

٦- ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به ، وما اشتبه عليهم علمه ، أو علم كيفيته (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله- سبحانه وتعالى- ، ولا يخوضون فيه.

٧- يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) ؛ لاحتمالها للخطأ والصواب ؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً[1].

وعلى الضوء السابق ذكره نكشف مدى ارتباط السلفية بالإسلام ، وإضافة ذلك ، هناك أيضا مجال هام آخر يتضح لنا قوة ارتباط السلفية بالإسلام الصحيح ، ألا وهو الجانب العقدي.

عقيدة السلف الصالح دليل على إيجاد صلة قوية بين السلفية الحقة والإسلام الصحيح.

وهذه الحقيقة تعرف عبر وصف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني لعقيدة السلف الصالح :

عقيدة السلف الصالح عند الشيخ الألباني

---

١ - ناصر عبد الكريم العقل ، سلامة و منهج الاستدلال عند السلف وفساد منهج المخالفين www.al-saher.net/

ـ هـو الإِيمـان بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخـر والقـدر خـيره وشره.

ـ والإيمان بربوبية الله- تعالى- ، أي بأنّه الرب الخالق الملك المدبِّر لجميع الأمور.

ـ والإيمان بإلوهية الله- تعالى- ، أي بأنّه الإله الحق وكل معبود سواه باطل.

ـ الإيمان بأسمائه وصفاته، أي بأنه له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا.

ـ الإيمان بوحدانيته في ذلك، أي بأنه لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، قال الله- تعالى- : (رَّبُّ السَّمَوَاتِ والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً)[1].

ـ الإيمان بأنه (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)[2].

ـ الإيمان بأنّه (هُوَ اللَّهُ الذي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ❖ هُوَ اللَّهُ الذي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

---

١ سورة مريم الآية ٥٦

٢ ـ سورة البقرة الآية ٢٥٥

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ البارئ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1].

- الإيمان بأنّ له ملك السماوات والأرض (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)[2].
- الإيمان بأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مقاليد السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيء عَلِيمٌ)[3].
- الإيمان بأنه (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[4].
- الإيمان بأنه (عِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأرض وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[5].
- الإيمان بأن الله (عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا في الأرحام وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بأي أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ)[6].

---

١ ـ سورة الحشر الآية ٢٢ ـ ٢٤
٢ سورة الشورى الآية ٤٩ ـ ٥٠
٣ ـ سورة الشورى الآية ١١ـ ١٢
٤ ـ سورة هود الآية ٩
٥ ـ سورة الأنعام الآية ٥٩
٦ ـ سورة لقمان الآية ٣٤

ـ الإيمان بأن الله يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[1]، (وَلَمَّا جاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)[2]، (وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأيمن وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً)[3].

ـ الإيمان بأنّه (لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى)[4]، (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرض مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[5].

ـ الإيمان بأن كلماته أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وحسناً في الحديث، قال الله- تعالى- : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً)[6]، وقال: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)[7].

ـ الإيمان بأن القرآن الكريم كلام الله- تعالى- تكلَّم به حقًّا، وألقاه إلى جبريل، فنزل به جبريل على قلب النبي- ﷺ- : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)[8].

---

١ سورة النساء الآية ١٦٤

٢ ـ سورة الأعراف ١٤٣

٣ سورة مريم الآية ٥٢

٤ ـ سورة الكهف الآية ١٠٩

٥ ـ سورة لقمان الآية ٢٧

٦ سورة الأنعام الآية ١١٥

٧ ـ سورة النساء ٨٧

٨ ـ سورة النحل الآية ١٠٢

ـ الإيمان بأنه- تعالى- مع خلقه وهو على عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبِّر أمورهم، يرزق الفقير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[1].

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم: إنه مع خلقه في الأرض، ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

والسلف الصالح يؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله- ﷺ- من الأسماء والصفات، لكننا نتبرأ من محذورين عظيمين هما:

التمثيل: أن يقول بقلبه أو لسانه: صفات الله- تعالى- كصفات المخلوقين.

والتكييف: أن يقول بقلبه أو لسانه: كيفية صفات الله- تعالى- كذا وكذا.

ـ ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله- ﷺ- ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

وختاما: يرى السلف الصالح أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه، وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه، أو نفاه عنه- سبحانه- فهو خبرٌ أخبر الله به

---

١ ـ سورة الشورى الآية ١١.

عن نفسه ، وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً ، والعباد لا يحيطون به علماً.

وما أثبته له رسوله أو نفاه عنه فهو خبرٌ أخبر به عنه ، وهو أعلم الناس بربِّه وأنصح الخلق وأصدقهم وأفصحهم[1].

وكل ما تم ذكره من صفات الله- تعالى- تفصيلاً أو إجمالاً ، إثباتاً أو نفياً ؛ فإن السلف الصالح يعتمدون ذلك على كتاب الله وسُنَّةِ نبيه محمد- ﷺ- ، وعلى ما سار عليه سلف الأُمَّة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون.

ويرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسُنّة في ذلك على ظاهرها ، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله- عز وجل- .

ويتبرَّأ من طريق المحرّفين لها الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله.

ومن طريق المعطّلين لها الذين عطَّلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ويعلم السلف علم اليقين أنّ ما جاء في كتاب الله- تعالى- أو سُنَّة نبيِّه- ﷺ- فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً لقوله- تعالى- : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً)[2] ، ولأن

---

١ - محمد بن صالح العثيمين عقيدة أهل السنة والجماعة ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية www.ibnothaimeen.com/

٢ ـ سورة النساء الآية ٨٢

التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً، وهذا محال في خبر الله- تعالى- ورسوله- ﷺ- .

ومن ادّعى أن في كتاب الله- تعالى- أو في سُنّة رسوله- ﷺ- أو بينهما تناقضاً، فذلك لسوء قصده وزيغ قلبه؛ فليتب إلى الله- تعالى- ولينزع عنه.

ومن توهم التناقض في كتاب الله- تعالى- أو في سُنّة رسوله- ﷺ- أو بينهما، فذلك إمّا لقلّة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر، فليبحث عن العلم، وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق، فإن لم يتبين له فليوكل الأمر إلى عالمه، وليكفَّ عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)[1]، وليعلم أن الكتاب والسُنَّة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف[2].

حكم الانتساب إلى السلفية:

ضرورة الانتساب إلى السلفية

إن السلفية هي حزب الله حقا، وهي التي تمثل الإسلام الصافي الذي كان عليه الرسول- ﷺ- وأصحابه، ومذهب السلف لا يكون إلا حقا.

والسلفية، هي العودة بالأمة إلي الاتصال المباشر بالكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح في فهمهما، واجتناب ما جد من الآراء المحدثة والمذاهب المنكرة.

---

١ ـ سورة آل عمران الآية ٧

٢ - محمد بن صالح العثيمين عقيدة أهل السنة والجماعة

ولفظة السلفية أو السلفي لا تطلق عند علماء السنة والجماعة إلا علي سبيل المدح، والدعوة السلفية دعوة عريقة أصيلة واسم لا غبار عليه[1].

وسئل الشيخ الألباني عن هذا الموضوع، ونص السؤال: لماذا التسمية بالسلفية ؟ أهي دعوة حزبية أم طائفية أم مذهبية، أم هي فرقة جديدة في الإسلام؟ الجواب: (إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشرع، وما يهمنا هو بحثها من الناحية الشرعية، فقد صح عن النبي- ﷺ- أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة- رضي الله عنها- :(فاتقي الله واصبري، ونعم السلف أنا لك)[2]، ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى.

وهناك من ينكر هذه النسبة، زاعما أن لا أصل لها، فيقول: لا يجوز للمسلم أن يقول: أنا سلفي، وكأنه يقول: لا يجوز أن يقول المسلم: أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك، لا شك أن مثل هذا الإنكار لو كان يعنيه، يلزمه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح، وعلي رأسهم النبي- ﷺ- [3].

والسلفية رسم شرعي أصيل، يرادف (أهل السنة والجماعة)، و(أهل السنة)، و(أهل الجماعة)، و(أهل الأثر)، و(أهل الحديث)، و(الفرقة الناجية)، و(الطائفة المنصورة)، و(أهل الاتباع)[4].

---

١ - محمد بن ناصر الألباني، سلسة مفهوم السلفية www:islamway:com

٢ - محمد بن ناصر الألباني، سلسة مفهوم السلفية

٣ - محمد بن ناصر الألباني، سلسة مفهوم السلفية مرجع سابق

٤ - محمد بن ناصر الألباني، سلسة مفهوم السلفية مرجع سابق

فقد كان من نتائج المنهج السلفي : اتحاد كلمة أهل السُّنة و الجماعة بتوحيد ربهم ، واجتماعهم باتباع نبيّهم ، واتّفاقِهم في مسائل الاعتقاد وأبوابه قولاً واحدا لا يختلف مهما تباعدت عنهم الأمكنة ، واختلفت بهم الأزمنة ، ويتعاونون مع غيرهم بالتعاون الشرعي الأخوي المبني على البرّ والتقوى ، والمنضبط بالكتاب والحكمة)[١].

قال الإمام السفاريني : (المراد بمذهب السلف ، ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف ، دون من رمي ببدعة ، أو اشتهر بلقب غير مرضي : مثل الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء)[٢].

حكم الانتساب إلى السلفية

بناء على السالف ذكره فإنه يصبح الانتساب إلى السلفية أمرا قاطعا ؛ لأن كل خير في اتباع السلف ، وكل شر في ابتداع من خلف ، وذلك استنادا إلى قول العلماء الأفاضل :

يقول الشيخ ابن تيمية في مجموعة الفتاوى : في رده على قول العز بن عبد السلام : ولا عيب على من أظهر مذهب السلف ، وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً ،

---

١ - منتديات تبسة الإسلامية ، ما هي حقيقة السلفية

٢ - لوامع الأنوار- الملتقى المغربي للقرآن الكريم /www.maroc-quran.com

فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته، وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس، ولا نشق بطونه[1].

وسئل الشيخ العلامة ابن باز- رحمه الله- عمن تسمى بالسلفي والأثري هل هي تزكية ؟.

فأجاب إذا كان صادقا أنه سلفي لا باس، مثلما كان السلف يقول: فلان سلفي، فلان أثري؛ تزكية لا بد منها، تزكية واجبة[2].

قال الشيخ محمد الصالح بن عثيمين- رحمه الله- :

السلفيَّة هي اتباع منهج النبي حقيقة السلفية وأصحابه؛ لأنهم سلفنا تقدموا علينا، فاتباعهم هو السلفيَّة، وأما اتخاذ السلفيَّة كمنهج خاص ينفرد به الإنسان، ويضلل من خالفه من المسلمين، ولو كانوا على حق: فلا شكَّ أن هذا خلاف السلفيَّة، فالسلف كلهم يدْعون إلى الإسلام والالتئام حول سنَّة الرسول- ﷺ- ، ولا يضلِّلون مَن خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون من خالفهم فيها فهو ضال.

ولكن بعض من انتهج السلفيَّة في عصرنا هذا صار يضلِّل كل من خالفه، ولو كان الحق معه، واتَّخذها بعضهم منهجاً حزبيّاً كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى الإسلام، وهذا هو الذي يُنكَر ولا يُمكن إقراره، ويقال:

---

١ ابن تيمية مجموع الفتاوى

٢ - أبو عبد الله الحديدي، معنى السلفية منتديات الأجري /www.ajurry.com

انظروا إلى مذهب السلف الصالح، ماذا كانوا يفعلون في طريقتهم وفي سعة صدورهم في الخلاف الذي يسوغ فيه الاجتهاد؟، حتى إنهم كانوا يختلفون في مسائل كبيرة، في مسائل عقديَّة، وفي مسائل علميَّة، فتجد بعضَهم -مثلاً- يُنكر أن الرسول- ﷺ- رأى ربَّه، وبعضهم يقول بذلك، وبعضهم يقول: إن الذي يُوزن يوم القيامة هي الأعمال، وبعضهم يرى أن صحائف الأعمال هي التي تُوزن، وتراهم- أيضاً- في مسائل الفقه يختلفون، في النكاح، في الفرائض، في العِدَد، في البيوع، في غيرها، ومع ذلك لا يُضلِّل بعضهم بعضاً[1].

وسئل الشيخ الفوزان- حفظه الله- هل السلفية حزب من الأحزاب؟ وهل الانتساب لهم مذموم؟

فأجاب: إن السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة ليست حزبا من الأحزاب التي تسمى الآن أحزابا، وإنما هم جماعة على السنة، وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال- ﷺ- : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم) وقال- أيضا- : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه رسول الله- ﷺ- وأصحابه، فهي ليست حزبا من الأحزاب العصرية الآن،

١ ـ عبد الرحمن الأثري ما هي حقيقة السلفية طريق النور http://www.alnorway.com/

وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول- ﷺ- متوارثة مستمرة، لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة[1].

وهناك الكثير من أقوال علماء السنة والجماعة تحث على اتباع المنهاج السليم، ألا وهو منهاج السلف الصالح- رضوان الله عليهم- .

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

قد أَمرَ اللّهُ- تعالى- عباده المؤمنين، وحَثَّهم على الجماعة والائتلاف والتعاون، ونهاهم عن الفرقة والاختلافِ والتَناحر، فقال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[2]، وقال: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)[3]، وقال- تعالى- : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)[4]، وقال النَبي- صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم- : (وَإن هَذهِ الملة سَتفْتَرقُ عَلَى ثَلاث وَسَبعين، ثِنْتانِ وَسَبعونَ في النَّار، وَوَاحِدة في الجنة، وَهي: الجماعَة).

ما موقف السلفية بين الجماعات الإسلامية ؟

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني- رحمه الله- ، لما سئل عن موقف السلفية بين الجماعات الإسلامية المعاصرة.

فأجاب قائلا: أقول كلمة حقٍّ لا يستطيع أي مسلم أن يجادل فيها بعد أن تتبين له الحقيقة: أول ذلك: الدعوة السلفية، نسبة إلى ماذا؟، السلفية نسبة

---

١ - عبد الرحمن الأثري ما هي حقيقة السلفية طريق النور مرجع سابق

٢ - سورة آل عمران الآية ١٠٣

٣ - سورة آل عمران الآية ١٠٥

٤ - سورة الأنعام الآية ١٥٩

إلى السلف ، فيجب أن نعرف من هم السلف إذا أُطلق عند علماء المسلمين : السلف ، وبالتالي تُفهم هذه النسبة ، وما وزنها في معناها وفي دلالتها؟ ، السلف : هم أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله- ﷺ- بالخيرية في الحديث الصحيح المتواتر المخرج في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) ، هم القرون الثلاثة الذين شهد لهم الرسول- عليه السلام- بالخيرية ، فالسلفية تنتمي إلى هذا السلف ، والسلفيون ينتمون إلى هؤلاء السلف ، إذا عرفنا معنى السلف ، فالسلفية حينئذٍ أقول أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن هذه النسبة ليست نسبة إلى شخص أو أشخاص ، كما هي نِسَب جماعات أخرى موجودة اليوم على الأرض الإسلامية ، هذه ليست نسبة إلى شخص ولا إلى عشرات الأشخاص ، بل هذه النسبة هي نسبةٌ إلى العصمة ؛ ذلك لأن السلف الصالح يستحيل أن يجمعوا على ضلالة ، وبخلاف ذلك الخلف ، فالخلف لم يأتِ في الشرع ثناء عليهم ، بل جاء الذم في جماهيرهم ، وذلك في تمام الحديث السابق ، حيث قال- عليه السلام- : (ثم يأتي من بعدهم أقوامٌ يَشهدون ولا يُستشهدون) إلى آخر الحديث ، كما أشار الرسول- عليه الصلاة والسلام- إلى ذلك في حديث آخر فيه مدحٌ لطائفةٍ من المسلمين وذمٌّ لجماهيرهم بمفهوم الحديث ، حيث قال- عليه السلام- : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) ، أو (حتى تقوم الساعة) ، فهذا الحديث خص المدح في آخر الزمن

بطائفة، والطائفة: هي الجماعة القليلة، فإنها في اللغة: تطلق على الفرد فما فوق.

فإذاً إذا عرفنا هذا المعنى في السلفية، وأنها تنتمي إلى جماعة السلف الصالح، وأنهم العصمة فيما إذا تمسك المسلم بما كان عليه هؤلاء السلف الصالح، حينئذٍ يأتي **الأمر الثاني** الذي أشرتُ إليه آنفاً، ألا وهو أن كل مسلم يعرف حينذاك هذه النسبة، وإلامَ ترمي من العصمة[1].

أهم سمات السلف الصالح:

من سمات السلف الصالح الآتي:

ـ هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وكما أن لهم منهجا اعتقاديّا فإن لهم- أيضا- منهجهم وطريقهم الشامل الذي ينتظم فيه كل أمر يحتاجه كل مسلم؛ لأن منهجهم هو الإسلام الشامل الذي أنزله الله- تعالى- على نبينا- ﷺ- .

ـ وأن جماعة المسلمين يهتمون بكتاب الله حفظا وتلاوة، وتفسيرا، والاهتمام بالحديث: معرفة وفهما وتمييزا لصحيحه من سقيمه؛ (لأنهما مصدر التلقي) مع اتباع العلم بالعمل.

ـ ومن سماتهم الاتباع، وترك الابتداع، والاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.

---

١ - ناصر الدين الألباني سلسلة الهدى والنور (شريط مفرغ) www.alalbany.info

ـ والاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، والمقتدي بهم في العلم والعمل والبدعة من الصحابة، ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم.

ـ والتوسط: فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفْرِطِينَ والمُفَرِّطين.

ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق، وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم.

ومن هنا لا يتميزون عن الأمة في أصول الدين باسمٍ سوى السلفية، أو أهل السنة والجماعة، ولا يوالون، ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسنة[1].

موقف السلف الصالح من الجماعات والأحزاب:

موقف السلف من الجماعات والأحزاب ينبني على الأساس التالي:

١ـ **الإنصاف والعدل:** فهم يراعون حق الله- تعالى- ، لا حقّ النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغلون في مُوالٍ، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًّا كان، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال على أنهم معصومون، وقاعدتهم في ذلك: كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي- ﷺ- ، وأنه لا عصمة إلا للوحي وإجماع السلف.

---

١ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ط٥، جـ١ ـ صـ٤٢ ـ الناشر دار الندوة العالمية. الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م

٢ ـ يقبلون فيما بينهم تعدد الاجتهادات في بعض المسائل التي نقل عن السلف الصالح النزاع فيها، دون أن يُضلل المخالف في هذه المسائل، فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم- جلّ وعلا- ، ونبيهم- ﷺ- .

٣ ـ يرون أن أصحاب البدع متفاوتون قربًا وبعدًا عن السنة، فيعامل كلٌّ بما يستحق، ومن هنا انقسمت البدع إلى: بدع لا خلاف في عدم تكفير أصحابها مثل المرجئة والشيعة، وبدع هناك خلاف في تكفير أو عدم تكفير أصحابها مثل الخوارج والروافض، وبدع لا خلاف في تكفير أصحابها بإطلاق مثل الجهمية المحضة.

ـ ولا يجوزون تكفير علماء المسلمين أو تفسيقهم أو حتى تأثيمهم؛ لاجتهاد خاطئ، أو تأويل بعيد، خاصة في المسائل المختلف فيها.

- أنه لا يخرج عن اسم الإسلام مخالف في الرأي، ويقال له: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله- تعالى- ، إن شاء غفر له، وإن شاء عاقبه، ولا يخلد في النار.

ـ يفرقون في المعاملة بين المستتر ببدعته، والمظهر لها، والداعي إليها.

ـ يقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتحذير منهم، وإظهار السنة، وتعريف المسلمين بها، وقمع البدع بما يوجبه الشرع من ضوابط.

ـ يصلون الجمع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال، ما لم يظهر منه بدعة أو فجور، فلا يردون بدعة ببدعة.

ومن أهم سماتهم من حيث التعامل: التوافق في الأفهام، والتشابه في المواقف، رغم تباعد الأقطار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي

ـ الإحسان والرّحمة وحسن الخُلق مع الناس كافةً، فهم يأتمون بالكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم.

ـ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ـ الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكفّ الأذى عنهم.

ـ موالاة المؤمن لإيمانه بقدر ما عنده من إيمان ومعاداة الكافر لكفره، ولو كان أقرب قريب[1].

---

١ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي، عقيدة أهل السنة والجماعة- منتدى صيد الفوائد saaid.ne



مفهوم الوسطية في منظور السلفية

الشيخ / فيصل الجاسم

مفهوم الوسطية

قد جاء وصف الله – تعالى – للأمة بأنها وسط في قوله – تعالى – : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) [البقرة ١٤٣].

وفسَّر النبي – ﷺ – هذا الوسطية بالعدالة، فقد روى البخاري – في صحيحه – عن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – : «يجيء نوح وأمته فيقول الله – تعالى – هل بلغت؟. فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد – ﷺ – وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ، وهو قوله جل ذكره (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) والوسط العدل».

ورواه الطبري بلفظ: «عدولاً».

وهذا التفسير منقولٌ عن كثير من الصحابة والتابعين.

قال الطبري – في تفسيره – : " وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي: متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، وهو وسط في قومه وواسط، .... إلى أن قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل وسط الدار، مُحرَّك الوسط مثقله غير جائز في سينه التخفيف، وأرى أن الله – تعالى ذكره – إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم فى الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب

الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم".

وبالنظر إلى ما جاء في السنَّة، وما أُثر عن السلف، وما حكاه أهل التفسير، نجد أن «وسطية الأمة» تُفسَّر بمعنيين:

الأول: العدالة والخيرية.

الثاني: الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء، وبين التفريط والإفراط.

وهذان المعنيان متداخلان، فإن الأمة الإسلامية هي خير الأمم وأفضلها وأعدلها، وذلك لاعتدالها وتوسطها في عقائدها وشرائعها، ولأجل ذلك استحقوا أن يكونوا شهداء على الأمم، إذ الشهادة مبناها على العدالة، وهم أعدل الناس وأفضلهم.

تحرير معنى «الوسطية»

إن المتأمل في أقوال السلف وكلام أهل العلم واصطلاحاتهم يجد أن مصطلح «الوسطية» بهذا الإطار الذي هو شائعٌ اليوم لم يكن معروفاً بين السلف والعلماء، إذ لا يكاد يوجد له ذكر بهذا الاسم، في حين أننا نجد أن كثيراً من العلماء يستدل بوصف الله - عز وجل - للأمة بكونها وسطاً في أبواب وجوب الاتباع ونبذ الابتداع، وفي بيان وجوب التمسك بالسنَّة وهدي سلف الأمة، وفي بيان وجوب اتباع الصحابة - رضي الله عنهم - ، ووصفهم بالعدالة والخيرية الموجبة لاتباعهم والاقتداء بهم، والتمسك بآثارهم.

فقد بوَّب البخاري على ذلك فقال - في صحيحه - : (باب قوله – تعالى - : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) وما أمر النبي - ﷺ- بلزوم الجماعة وهم أهل العلم.

حدثنا إسحق بن منصور حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - ﷺ- : «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله - ﷺ- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) " .

وذكر البخاري هذا الحديث - أيضاً في كتابه - «خلق أفعال العباد» ، ثم قال: (قال أبو عبد الله: هم الطائفة التي قال النبي - ﷺ- : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم»).

فتراه يستدل بوسطية الأمة على وجوب لزوم السنَّة والجماعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - (فتاوى ٣/٣٧٥) - في تفضيل طريق أهل السنَّة والجماعة: (وكذلك في سائر أبواب السنَّة هم وسط، لأنه متمسكون بكتاب الله وسنَّة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان).

وقال - (الفتاوى ٥/٢٦١)- : "وقد قال –تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً)، والسنَّة فى الاسلام كالإسلام فى الملل".

وقال ابن القيم - في سياق الأوجه الدالة على وجوب اتباع الصحابة وعدم الخروج عن أقاويلهم (إعلام الموقعين ٤/١٣٢)- : "الوجه التاسع:

قوله –تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).

ووجه الاستدلال بالآية أنه –تعالى- أخبر أنه جعلهم أمة خياراً عدولاً ، هذا حقيقة الوسط ، فهم - أي الصحابة- خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم ، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة ، والله –تعالى- يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ، ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم و أثنى عليهم لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء ، وأمر ملائكته أن تصلى عليهم وتدعو لهم وتستغفر لهم".

ومعلوم أن هذه الآية إنما نزلت على الصحابة - ﭫ- ، فهم المخاطبون بها أصالة ، ومن سار على طريقهم تبعاً ، فدل على أن الوسطية التي وصفت بها الأمة إنما هي اتباع السنَّة وطريق الصحابة - ﭫ- .

قال ابن حجر الهيتمي - (الصواعق المحرقة ٢/٦٠٤)- : "ومنها قوله –تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) ، والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله حقيقة ، فانظر إلى كونه – تعالى- خلقهم عدولاً وخياراً ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة".

ومما لا شك فيه أن الصحابة - ﭫ- هم أهدى الناس ، وهم أعلم الناس بدين الله –تعالى- الموصوف بكونه وسطاً ، إذ هم الذين أمر الله بالاقتداء بهم واتباعهم.

قال –تعالى- : (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة١٠٠].

وقال –تعالى- : (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً) [النساء١١٥].

قال ابن قدامة في كتابه - «ذم التأويل» في بيان وجوب اتباع الصحابة - ﵃ - (ص٢٨)- : "الباب الثاني: في بيان وجوب اتباعهم والحث على لزوم مذهبهم وسلوك سبيلهم وبيان ذلك من الكتاب والسنَّة وأقوال الأئمة.

وأما الكتاب فقول الله –تعالى- (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً).

فتوعَّد على اتباع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد متبعهم بالرضوان والجنة فقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ).

فوعد المتبعين لهم بإحسان بما وعدهم به من رضوانه وجنته والفوز العظيم.

ومن السنَّة قول النبي - ﷺ- : «عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فأمر بالتمسك بسنَّة خلفائه كما أمر بالتمسك بسنته، وأخبر أن المحدثات بدع وضلالة، وهو ما لم يتبع فيه سنَّة رسول الله ولا سنَّة أصحابه.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك. إن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ويزيدون عليها ملة، وفي رواية وأمتي ثلاثاً وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: يا رسول الله من الواحدة؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي، وفي رواية: الذي أنا عليه وأصحابي».

فأخبر النبي - ﷺ - أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما كان عليه هو وأصحابه، فمتبعهم إذاً يكون من الفرقة الناجية لأنه على ما هم عليه، ومخالفهم من الاثنتين والسبعين التي في النار".

ثم ذكر - رحمه الله - آثاراً كثيرة في وجوب اتباع طريق السلف والصحابة.

إذا عُلم هذا، صار أقرب المصطلحات المرادفة لمصطلح «الوسطية» المعاصر عند السلف والأئمة، وهو الذي يذكرونه لبيان وجوب الاعتدال والتوسط هو مصطلح «السنَّة».

ولا يُراد بمصطلح «السنَّة» هنا المعني الفقهي أو الأصولي، وإنما المراد به الطريقة العامة للنبي - ﷺ - في العلم والعمل والدعوة، وهو الذي يُذكر في باب الاعتقاد والاتباع، وهو المعني بقول السلف «فلان على السنَّة»، ومنه الكتب المؤلفة في هذا الباب مثل كتاب «السنَّة» لعبد الله بن الإمام أحمد ولابن أبي عاصم وللخلال وللمروزي، وغيرهم.

ومما يدل على ذلك: أمرُ النبي - ﷺ - بالتمسك بسنته عند وجود طرفي الوسط كالغلو أو الجفاء.

ومنه ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فانظر كيف قابل غلو هؤلاء وزيادتهم في العبادة على الحد المطلوب، بذكر سنته القائمة على التوسط والاعتدال.

ومنه -أيضاً- ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن وغيرهم من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: «صلى لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفجر، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة».

وهذه المحدثات التي حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - إما أن تكون في الزيادة على المشروع فتكون غلواً وإفراطاً، وإما بترك بعض المشروع فيكون جفاءاً وتفريطاً، والحق بين هذين، وهو التوسط والاعتدال الذي هو سنَّة النبي -

ﷺ- صلى الله عليه وسلم وسنَّة خلفاءه من بعده، وهم الصحابة - رضي الله عنهم- .

وعلى هذا فالوَسَطيّ: هو المتمسك بالسنَّة وآثار السلف، وهو الأمر الذي صلح عليه أول هذه الأمة، ولا يصلح آخرها إلا به.

قال ابن مسعود - رضي الله عنه- فيما رواه ابن عبد البر - في الجامع (باب ما تكره فيه المناظرة والمجادلة)- : "من كان منكم متأسياً فليتأسَّ بأصحاب محمد - ﷺ- ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه- أيضاً فيما رواه الدارمي وغيره- : "ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق".

وقال الإمام مالك - كما في «العتبية» («المدخل» لابن الحاج/فصل زيارة سيد الأولين والآخرين)- : "ولن يأتي آخر هذه الأمه بأهدى مما كان عليه أولها".

وقال – أيضاً فى («الشفا» للقاضي عياض ٢/٧١)- : "ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلحَ أولها".

فالسنَّة وهدي السلف هو الطريق الموصل إلى رضوان الله، وهو الطريق الذي رسمه النبي - ﷺ- لإصلاح الأمة في كل زمان ومكان، لأنه الطريق الوسط، فهو أعدل الطرق وأفضلها وأقربها إلى الله؛ لأنه سلم من الانحراف، وكان بين الغلو والجفاء، وبين الإفراط والتفريط، ولذلك كان

السلف والأئمة يوصون دوماً بالتمسك بالسنَّة واقتفاء آثار السلف، ويحذرون من مخالفتهم.

والانحراف عن وسطية الأمة واعتدالها لم يظهر إلا لمخالفة طريق السنَّة وهدي السلف، فظهر الغلو من جانب، والجفاء من جانب، وكلا طرفي الأمر ذميم.

ولذلك قال بعض السلف تلك الكلمة المشهورة وهي: (دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه).

ولما ظهر الانحراف عن الوسطية والاعتدال من أهل الغلو والجفاء، أنكر عليهم السلف، وأمروهم بلزوم السنَّة وطريق الصحابة الأولين، وقالوا في بيان مخالفتهم للصواب وانحرافهم عن طريق الحق: «هذا خلاف السنَّة»، أو «هذا خلاف طريق السلف».

فمن ذلك ما ذكره ابن مفلح - في «الآداب الشرعية»- : "قال ابن حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا، يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك، ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه.

فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وقال: ليس هذا صواب، هذا خلاف الآثار".

وهكذا كان الأئمة ينكرون على من خرج عن طريق الوسطية والاعتدال بكونه خلاف السنَّة والآثار السلفية.

وهذا يؤكد بأن مصطلح «السنَّة» عند الأولين هو أقرب مرادف لمصطلح «الوسطية» المعاصر. وهذا يدلنا على جواب سؤال مهم وهو:

من يحدد المنهج الوسط؟ وما هو ميزان الوسطية التي توزن به الأقوال والآراء والأفعال؟

قد تباينت الآراء حول «الوسطية» وتحديدها، واضطرب الناس في الميزان الذي توزن به الآراء والأفعال: أيٌّ منها يُعد من «الوسطية»، وأيٌّ منها خارجٌ عن «الوسطية».

فلقد خاض كثيرٌ من الناس في «الوسطية» واستعملوها بلا ضوابط شرعية، حتى صارت الوسطية تبعاً لآرائهم واختياراتهم من غير ميزان يزنها، ولا ضابط يضبطها، ولا مفهومٍ يحددها، حتى آل الأمر ببعضهم إلى نبذ مسلمات من الدين باسم «الوسطية».

ومعلوم أن وصف الله – تعالى - هذه الأمة بأنها وسطٌ، هو وصف عام للشريعة، فالوسطية سمة لكل الشريعة بكافة جوانبها: الاعتقادية منها والعملية، فهي وسط في العقيدة، كما أنها وسط في الشريعة.

وإذا كنا قد بينا أن مصطلح «السنَّة» عند السلف هو أقرب مرادف لمصطلح «الوسطية»، صارت «السنَّة» وما كان عليه السلف من العلم والعمل هو الميزان الذي توزن به الأمور، ويُعرف به الوسطي من الأقوال والأفعال، مما ليس بوسطي. فما وافق السنَّة وطريق السلف الصالح من الأقوال والأفعال كان من الوسطية، وما خالفها فليس من الوسطية.

وبهذا نضبط «الوسطية» ونحدد مفهومها تحديداً يُعرف به ما هو منها مما ليس منها.

وعلى هذا فشعار الوسطية الحقَّة ينبغي أن يكون:

(ما وَسِعَ السلف من الأقوال والأفعال وَسِعَنا، وما لم يَسَعْهم لم يَسَعْنا)

قال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنَّة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، ولو كان هذا - يعني ما حدث من البدع- خيراً ما خصصتم به دون أسلافكم، فإنه لم يُدَّخر عنهم خيرٌ خُبِّئَ لكم دونهم لفضلٍ عندكم، وهم أصحاب رسول الله - ﷺ- الذي اختارهم الله لصحبة نبيه، وبعثه فيهم ووصفهم به فقال: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً)". [رواه أبو نعيم في الحلية (١٤٣/٦) واللالكائي (١٥٤/١)]

وروى أبو داود أن رجلاً كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر. فكتب إليه: "أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنَّة نبيه - ﷺ- ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكُفوا مؤونته، فعليك بلزوم السنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنَّة إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا، ولَهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقْصَر، وما

فوقهم من مَحْسَر، وقد قَصَر قوم دونهم فجفوا، وطَمَح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم".

وقوله: (عليك بالاقتصاد في أمره) أي التوسط بين الإفراط والتفريط.

فتأمل وصيتهما بلزوم السنَّة، وعدم الخروج عن أقاويل السلف، وترك القول فيما لم يخض فيه السلف، ولزوم طريقتهم فيما وقفوا فيه وفيما كشفوه، وأن المخالف لهم في ذلك مبتدع ضال عن سواء السبيل.

ولنضرب لذلك أمثلة يتضح به المقال:

فمن ذلك أن الصحابة والسلف الكرام قد اتفقت كلمتهم في ما يجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته - الواردة في الكتاب والسنَّة - من وجوب إقرارها والإيمان بها، كما جاءت من غير تَعرُّضٍ لها بتعطيل أو تحريف، ولا تكييف ولا تمثيل، لم تختلف كلمتهم في ذلك. وأنكر السلف على من تعرَّض لها بشيء من ذلك واشتد نكيرهم على الفرق التي خاضت فيه، وهذا أمرٌ معلوم لمن له أدنى اطلاع على كتب السنَّة، مما يعني أن السلف لم يسعهم الخلاف في هذا الباب ولا الخوض فيه بغير طريق الصحابة والسلف، فلا يمكن إذاً أن يسعنا ما لم يسع السلف، ولذلك كان من دعا إلى قبول قول من خاض في مسائل الأسماء والصفات لله - تعالى - بغير ما كان عليه السلف وظن أن قبول مثل هذه الأقوال يعتبر من الوسطية، فهو مخطئ، لأن «الوسطية» لا يمكن أن تخرج عن طريق السلف وهديهم، وإلا لاستلزم ذلك: أن السلف لم يكونوا وسطيين، وهذا باطل.

ومما يؤكد هذا أنه لما خاض بعض الخلفاء العباسيين في ذلك وألزم الناس به كما حصل من الفتنة بمسألة خلق القرآن، ومع كون السلف من أكثر الناس

دعوة إلى السمع والطاعة لولاة الأمور، فإنهم لم يقبلوا الخوض في هذا الباب بغير طريق السلف حتى لو كان الذي تبنَّاه هو خليفة المسلمين الذي تلزمنا طاعته، فكيف بغيره.

ومن المسائل التي وسع السلفَ الخلافُ فيها: مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في المعراج، فقد وقع فيها الخلاف بين الصحابة أنفسهم ومن بعدهم من السلف ما بين مثبت لذلك ونافي، وهذا يستلزم أن يسعنا ما وسعهم من الخلاف فيها، فلا يُنكر على من اختار أحد القولين.

وإذا نظرنا إلى المسائل الفقهية، فمنها أيضاً ما وسع السلف الخلاف فيها لما ورد فيها من الأدلة، ومنها ما لم يسعهم الخلاف فيها كالمسائل التي تخالف النصوص، والتي عدُّوا من خالف فيها شاذاً لا عبرة بقوله ولا خلافه.

وعلى هذا فلا فرق في هذه القاعدة بين ما يُسمّى بمسائل الأصول ولا غيرها من مسائل الفروع، بل العبرة في ذلك هو قبول السلف للخلاف من عدمه. فما قَبِلَه السلف ووسعهم من الأقوال وسعنا، وما لم يقبلوه ولم يسعهم لا يمكن أن يسعنا.

ومسألة قبول السلف - رحمهم الله- وسعة صدرهم للخلاف من عدمه مبني على الدليل، فهم لا يقبلون القول المخالف لنص الكتاب أو السنَّة أو الإجماع، لأنه من المنكر الذي أمَرَنا النبي - ﷺ- بإنكاره في قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره» الحديث، وأما ما ليس فيه نص وللاجتهاد فيه مجال فلا إنكار فيه عندهم.

قال ابن القيم - في «إعلام الموقعين ٣/٢٨٨» - : " وقولهم إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول

والفتوى أو العمل، أما الأول فإذا كان القول يخالف سنَّة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنَّة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقص حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنَّة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء، وأما إذا لم يكن في المسألة سنَّة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً.

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد ، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم.

والصواب ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً؛ مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها، وليس في قول العالم إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعنٌ على من خالفها ولا نسبة له إلى تعمد خلاف الصواب" ا.هـ.

العلم الصحيح الراسخ هو أبرز ما تقوم عليه «الوسطية»

«الوسطية» باعتبار ما تم توضيحه من معناها لا تقوم إلا على علم صحيح راسخٍ، إذ مبناها على اتباع الدليل والأثر، ونبذ التعصب والهوى، فلا يمكن أن توجد وسطية مع الجهل بالشرع والأدلة والآثار، لأن الشرع بكل تشريعاته قائم على الاعتدال والتوسط، وهذا الاعتدال ليس منشأه الآراء المحضة، ولا

الأهواء المختلفة، وإنما هو موجود في أصل التشريع، فالشريعة إنما شرعها الله عز وجل قائمةً على الاعتدال ومراعاة الأحوال والمتغيرات، وهذه الوسطية والاعتدال قد دلت عليها الشريعة في أصولها، وإنما تُعرف هذه الأصول بالعلم الراسخ.

والعلم الراسخ إنما هو: كتابٌ، وسنَّة، وقول صاحبٍ، واجتهاد العلماء الراسخين فيما لم يرد فيه دليل.

قال ابن القيم:

(العلم قال الله قال رسـوله قال   الصحابة هم أولو العرفـان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً   بين الرسول وبين قول فلان).

فكل من ادعى الوسطية في رأي معين، أو منهج معين، نظرنا: فإن كان عليه أثارة من علم قبلناه، وإلا نبذناه. إذ الوسطية لا تعني ابتداع منهج جديد، أو تبني رأي محدث، فما لم تدل عليه أصول الشريعة فليس من الوسطية.

ولهذا كان السلف ينكرون على أهل الانحراف عن الوسطية من أهل الغلو أو الجفاء بلزوم السنَّة واتباع الآثار، ويحذرون من مغبة اتباع الآراء وتبنيها من غير دليل ولا سنَّة ماضية، وآثارهم في هذا الباب كثيرة.

فمنها ما قاله النبي - ﷺ - محذراً من هذا المسلك - فيما رواه أحمد وأهل السنن- : «فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة».

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"[أخرجه اللالكائي].

وقال – أيضاً - : "عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه أن يذهب أهله، وإنكم ستجدون قوماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم وإياكم والبدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق"[أخرجه البيهقي في «المدخل»].

وما من قولٍ أو رأيٍ هو في نفسه حقٌّ إلا ولا بد أن يكون عليه أمارة تبينه ودليل يدل عليه، فكيف بأمور الدين والإسلام، فمن ادعى شيئاً من الوسطية مما ليس عليه أثارة من علم فهو مردود غير معدود من الدين.

قال –تعالى- : (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف٤].

قال الطبري - في تفسيره- : " فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لآلهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك، (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) في دعواكم لها ما تدعون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تغن عن المدَّعى شيئاً".

وهذا يجعل «الوسطية» ليست بالأهواء المختلفة والآراء المحضة.

وإذا كانت وسطية الإسلام تعني الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء، ومراعاة الأحوال والمتغيرات، فإن هذين الطرفين المذمومين المجانبين للوسطية منشأهما أحد أمرين، أو كلاهما:

الأمر الأول: الجهل.

الأمر الثاني: الهوى.

والعلم الراسخ الصحيح يُبرِّئ من هذين الأمرين؛ لأن الجهل ضد العلم، والهوى ضد الاتباع والتسليم والإذعان.

والعلم الصحيح الراسخ يشمل أمرين:

الأول: علمٌ بأحكام الله -تعالى- وشرعه، وهذا يُبرِّئ من الجهل في الأحكام، أو قلة الصبر على المأمور، أو الاستعجال في الثمرات ونحو ذلك من آثار قلة العلم.

الثاني: علمٌ بالله -تعالى- وما له من العظمة والكبرياء والجلال والبهاء الذي يستلزم الاستسلام لأمره، والإذعان لحكمه، والرغبة في طاعته، والرهبة من مخالفته، وهذا يُبرِّئ من الهوى الذي منشأه الجهل بالله -تعالى- وبما عنده، بحيث يُؤثر صاحب الهوى ما يهواه على أمر الله -تعالى-.

قال - تعالى- محذراً من اتباع الهوى في مخالفة أمر الله -تعالى-: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [القصص٥٠].

وقال -تعالى-: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) [الجاثية٢٣].

وجاء في الحديث: «لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» [أخرجه الهروي في «ذم الكلام» وغيره وصححه النووي].

وبـيَّن الـنبي - ﷺ- أثـر الجهـل في انتكـاس الأحـوال، واضـطراب الأمور، واختلال الموازين فقال في بيان علامات الساعة: «من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل»[متفق عليه].

وقال -أيضاً- في بيان تلازم الخيرية بالعلم- : «ومـن يـرد الله بـه خيراً يفقهه في الدين»[متفق عليه].

وهذه الخيرية المرتبطة بالعلم تعم الأفراد والمجتمعات.

سمات «الوسطية»

لوسطية الإسلام واعتداله سمات وخصائص، فمنها:

أولاً: أنه المنهج الذي ارتضاه الله -تعالى- واختاره لأفضل وأكمل وأشرف رسله - ﷺ- ، وخصَّ الله -تعالى- به أمته - ﷺ- ليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة، يشهدون للأنبياء في تبليغهم الرسالة.

قال -تعالى- : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران١١٠].

فرفع الله عن هذه الأمة الأغلال والآصار التي كانت على من سبقهم من الأمم، فجعلهم خير الأمم، معتدلين في شريعتهم، متوسطين في أمورهم.

قال -تعالى- : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف١٥٧].

ثانياً: أن فيها مراعاة الأحوال والمتغيرات، سواءٌ المتعلقة بالأفراد، أو المجتمعات، أو الدول، انطلاقاً من قوله -تعالى- : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) التغابن١٦.

فالوسطية والسنَّة لا تكلف العباد ما ليس في وسعهم ومقدورهم، فهي تراعي اختلاف الأحوال والأزمنة، ولذلك كانت صالحة لكل زمان ومكان.

ومن ذلك مثلاً تشريع الجهاد: فإن الله -تعالى- شرعه على مراحل تناسب حال الناس والوقت والزمان، فشُرع الصبر أولاً لما كان المسلمون في حال ضعف وقلة، كما في قوله -تعالى- : (فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ) [البقرة١٠٩].

ثم أُذن لهم في القتال من غير إلزام لأنهم مظلومون كما في قوله تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج : ٣٩].

ثم أمره الله - عَزَّ وَجَلَّ - بقتال من قاتله والكف عمن كف عنه ، كما في قوله - تعالى - : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).

ثم أمر بقتال الكفار جميعاً وجهاد المشركين مطلقاً وغزوهم في بلادهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، كما في قوله –تعالى- : (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبة : ٥].

وهذه الأحكام يُعمل فيها بحسب الحال والمقام.

فالشريعة قائمة على اعتبار الأحوال والتغيرات ، ولذلك كان من قواعد الشريعة : أن المشقة تجلب التيسير.

وكما أن المشقة تجلب التيسير، فقد يمنع الشرع ابتداءاً بعض الأمور سداً للذريعة وصيانة للتوحيد ، فيبدأ بالأشد ثم الأخف والأيسر ، ومن ذلك منعُ النبي - ﷺ - الانتباذ في الأوعية التي يُسرع إليها الإسكار ، كالحنتم والنقير والمزفت ، كما جاء في الصحيحين من حديث وفد عبد القيس ، وفيه : «ونهاهم عن أربع : عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت. وربما قال : المُقَيَّر».

ثم لما استقرت الشريعة وداخل الإيمان بشاشة القلوب نسخ ذلك ، فقال - ﷺ - : «نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء ، فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكراً»[رواه مسلم].

ثالثاً: أنها تراعي القدرات والإمكانات:

فيختلف التشريع بحسب قدرات الناس وطاقاتهم، ولذلك فإنه أوجب على الرجل ما لم يوجبه على المرأة، ويوجب –أيضاً– على العالم ما لا يوجبه على الجاهل، ويوجب على الحاكم ما لا يوجبه على آحاد الرعية، وهكذا نجد التشريع يناسب قدرات الناس وإمكاناتهم.

ومن ذلك قول النبي – ﷺ– : «من رأى منكم فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه» [رواه مسلم].

وكما في قوله – ﷺ– : «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[رواه البخاري].

رابعاً: أنها مبينية على التيسير والتخفيف، ورفع الآصار والأغلال.

قيل لرسول الله – ﷺ– : «أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة» [ت حم].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ– ، قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» [رواه البخاري].

وعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله – ﷺ– بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ– ، قال: «لن ينجي أحداً منكم عملُه، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، ولكن سددوا و قاربوا، و اغدوا و روحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[متفق عليه].

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة و عشرين جزءاً من النبوة» [رواه أحمد وأبو داود].

و«القصد» المذكور في الحديث وكذا «الاقتصاد» إنما هو الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء.

وهذا التيسير والتخفيف موجود في أصل التشريع، فإن الله تعالى شرع للمسلمين شريعة سمحة سهلة ليس فيها أغلال ولا آصار. ولذلك جاءت الشريعة بالرخص التي تناسب أحوال الناس ومتغيرات الزمان والأحوال.

وهذا يعني أن المراد بالتيسير هو ما جاءت الشريعة لا ما ابتدعه الناس بأهوائهم وآرائهم المحضة، فإن بعض الناس قد نبذ بعض مسلمات الدين بحجة التيسير، فأحل ما حرم الله، وحرم ما أحل الله، وهذا من الجهل والخطأ.

خامساً: إنها تعصم من الفتن.

إذ أن الفتن إنما تنشأ من المبالغة والمجاوزة، سواءٌ كانت في طرف الغلو أو في طرف الجفاء، فما من فتنة وقعت إلا وسببها الغلو ومجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال الذي هو «السنَّة».

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» [رواه أحمد والنسائي وغيرهما].

وكل الفتن التي ظهرت في الإسلام كان منشأها مخالفة السنَّة، والبعد عن الوسطية، كالخوارج الذين غلو في الوعيد، وقابلهم المرجئة الذين غلو في الوعد، ثم الجهمية الذين غلو في التنزيه، وقابلهم المشبهة الذين غلو في

التشبيه، وهكذا كلما ظهرت فرقة تغلو في جانب قابلتها أخرى تغلو في الجانب الآخر، والإسلام وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين.

ولذلك كان النبي - ﷺ - يدعو إلى الاعتدال والتوسط في الأمور، فقال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تُبغِّض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» [رواه أحمد والبيهقي].

سادساً: أن منهج التوسط والاعتدال في الأمور يوافق العقل الصحيح والميزان القويم الذي ركزه الله -تعالى- في الفطر، والذي يميزون به بين الحق والباطل ويعرفون أن هذه الشريعة حقٌّ من عند الله -تعالى- .

قال - تعالى- : (اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) [الشورى: ١٧].

وقال- تعالى- : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - (الفتاوى ١٩/١٧٦)- : "فان الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل، وقد فسَّروا إنزال ذلك بأنْ أَلْهَم العباد معرفة ذلك".

وقال -أيضاً- (الرد على المنطقيين ص٣٣٣)- : "والميزان: قال كثير من المفسرين هو العدل، وقال بعضهم هو ما به توزن الأمور وهو ما به يُعرف العدل، وكذلك قالوا في قوله: (وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ:) الأمثال المضروبة والأقيسة العقلية".

غايات الوسطية

أولاً: تحقيق العبودية لله -تعالى- ، وهي التي خُلق لها الثقلين.

قال –تعالى- : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦].

فالوسطية قائمة على الاعتدال والتوسط ليتمكن العباد من عبادة ربهم على الوجه الأكمل، بحسب قدراتهم وإمكاناتهم، في كل زمان ومكان.

وهذا هو أعظم الغايات وأزكى المقاصد، وعليه قوام الدين، وبه ينال العبد ما عند الله - عز وجل - من النعيم، ويظفر بجنة رب العالمين.

ثانياً: دعوة الناس إلى الإسلام، وإدخالهم فيه. فإن الناس إذا علموا ما في الإسلام من الوسطية والاعتدال الذي يوافق العقل الصحيح رغبوا فيه، وآثروه على غيره. وهو الأمر الذي أدخل كثيراً من الكفار في الإسلام.

قال –تعالى- : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧].

وقال –تعالى- : (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: ١٢٨].

وكان النبي - ﷺ- إذا بعث عماله على الأمصار يوصيهم بالتبشير وترك التنفير، كما روى الشيخان أن أن النبي - ﷺ- بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، فقال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا".

ثالثاً: تحقيق مصالح الناس الدنيوية والتي لا قوام لهم إلا بها. فإن الإسلام لم يهمل ما للناس به حاجة من معاشهم، فأباح لهم ما يتكسبون به ويقتاتون على وجه الاعتدال والتوسط.

قال –تعالى- : (وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: ٣١].

وقال –تعالى- : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) [الفرقان : ٦٧].

وقال : (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً) [الإسراء : ٢٩].

وأبطل الإسلام الرهبانية.

ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أنه قال : «ردَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا».

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)» [رواه أبو داود وغيره].

ورغَّب النبي - صلى الله عليه وسلم - في العمل، فقال : «لأن يحتزم أحدكم حزمةً من حطب، فيحملها على ظهره فيبيعها، خيرٌ له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه»[متفق عليه].

اعتبار التاريخ والنظر في أحداثه وما جرى فيه من الفتن أحد موازين الوسطية.

إذا أردنا أن نتحدث عن «الوسطية» فمن المهم بمكان اعتبار التاريخ واستقراءه، فإن التاريخ مليء بالأحداث الجسيمة والفتن العظيمة، وهذه الفتن لها مبادئ ومقدمات آلت إليها، فكم من أمرٍ يُدَّعى أنه من الوسطية هو في حقيقته من أسباب الفتن عند النظر في سنَّة الله الكونية وتجارب الناس.

فالتاريخ وما فيه من أحداث شاهد لسنَّة الله الشرعية، وقد قال – تعالى- ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

ومن ذلك مثلاً ما يُعرف اليوم بقبول الآخر، ويعنون به كل مخالف، ويزعمون أن الوسطية تستدعي قبول الآراء والاختلافات ولو كانت في أصول الدين، ولو كانت تصادم النصوص الصريحة، ففتحوا بذلك أبواب البدع والمحدثات.

ومن تأمل التاريخ علم أن أحد أكبر أسباب الفتن والمحن التي جرت في بلاد الإسلام كان منشأها هذه الأفكار المبتدعة والأقوال المحدثة، والتي ولَّدت عند أهلها استباحة رفع السيف على الأمة.

ومن أظهر ذلك: بدعة الخوارج والتي كانت أول البدع ظهوراً. فخلاف الخوارج وخروجهم على علي - رضي الله عنه- وشقهم لصف المسلمين مشهور، وما ترتب على ذلك من استباحة الدماء وتكفير المسلمين حتى استحقوا الوعيد الشديد على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- معلوم.

ومثله ما حصل ممن بعدهم من أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم.

ولذلك لما علم السلف ما يترتب على هذه الآراء المخالفة من الفتن والمحن واضطراب الأمور وشيوع الفوضى وطمس الحق والسنَّة حذروا منها ومن أهلها أشد التحذير، ونصوصهم في هذا الباب معلومة مشهورة.

وكان السلف أعرف بهذه الأقاويل والآراء المحدثة وما فيها من الشر ممن بعدهم، فمع كونها تُلبِّس الحقَّ على الناس، فإنها تنتهي بالسيف متى ما تمكن أهلها.

قال أبو قلابة - رحمه الله- : (ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف) [رواه اللالكائي].

وكان كثير من السلف يطلقون على أهل البدع والآراء المنحرفة عن السنَّة وصف «الخوارج»، بجامع خروجهم عن الشريعة وخروجهم بالسيف على المسلمين.

فمن جهل الشرع وجهل التاريخ –أيضاً- ظن بجهله أن فسح المجال لكل رأي وبدعة ولو خالفت النصوص يُعدُّ من الوسطية، وهو الأمر الذي يزعمه بعض الناس اليوم ويَدْعون إليه ويقررونه في تنظيراتهم، بل ويَسِمُون من حذَّر من البدع ومَنَع من إفساح المجال لهم بالرجعية والتطرف والغلو.

قال – تعالى- في أهمية اعتبار التاريخ والنظر في قصص الأمم الماضية والأزمان السالفة- : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف: ١١١].



الدعوة السلفية : مفهومها وآثارها

إعداد

د. أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ –بنغلاديش

ورئيس مؤسسة العلامة فضل الله للأعمال الخيرية والبحوث الإسلامية والنشر

شيتاغونغ – بنغلاديش

من أعظم منة الله على الأمة الإسلامية أن قيض لها في كل زمان من يعيدها إلي المنبع الصافي والدين الصحيح.كلما أصابتها الانحرافات وأحاطت بها الضلالات قامت طائفة من عباد الله يصلحون منها ما فسد، ويقومون منها ما انعرج....على حد قول النبي – ﷺ - : "إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها".(١).من أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله- .

ففي أواخر القرن السابع الهجري ظهرت دعوة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كرد فعل على الإصلاحات العقلية التي أدخلها الإمام الأشعري على عقائد أهل الحديث، واعتبر ابن تيمية - الذي كان من فقهاء الحنابلة - أن تلك الإصلاحات خروج عن السنة، فعمل على إحياء عقائد أهل الحديث مستنكراً التأويلات التي قدمها الأشاعرة للأحاديث التي أخذت منها تلك العقائد، وكان يدعو إلى العودة إلى سيرة السلف الصالح والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وانتشرت هذه الدعوة في مصر والشام، فقبلها من قبل، وتصدى للرد عليها طائفة من العلماء والفقهاء وأهل الفرق المختلفة حتى سجن في مصر لسنة ونصف، ثم سجن ثانية في دمشق حيث أدركته المنية عام٧٢٧هـ، وما لبثت دعوته أن ضعفت وتضاءلت وتعاقبت عليها أيام وأعوام...وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهر الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة إصلاحية عظيمة، وعمل على إحياء الدعوة السلفية التي بدأها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية..وقام يدعو الناس إلي ما كان عليه الرسول – ﷺ - أصحابه والتابعون لهم بإحسان ويقمع البدعات

والخرافات ويفند العقائد الباطلة بما حباه الله من علم وبصيرة.وعرفت دعوته بالدعوة السلفية.

مفهوم السلفية في نطاقها الواسع:

لفظ (سلف) في اللغة يراد به ما مضي وتقدم، كما قال – تعالى- (وأحل الله البيع وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(البقرة: ٢٧٥) كما يراد به القوم المتقدمون، فكل من تقدم من الناس فهو سلف لمن جاء بعدهم، قال الله – تعالى- "فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين "(الزخرف: ٥٦) وقد وردت مادة(سلف)في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، كلها دالة على ما تقدم ذكره.

والملاحظ في اللفظ مطلق التقدم الزمني، دون الاقتصار على قوم معينين أو جماعة محددة من الناس، والسلف بمعنى من سبق، منهم الصالحون ومنهم الطالحون، والنسبة إليه سلفي، والسلف الصالح بالنسبة لنا هم أصحاب رسول الله – ﷺ - والتابعون لهم بإحسان، والنسبة إليهم لا تعني إلا أن المنسوب إليهم سائر على نهجهم وطريقتهم.

وعلى ذلك فالسلفية ليست جماعة من الجماعات، كما أنها ليست فترة زمنية من الفترات مرت وانتهت، وإنما السلفية تعني اتباع السلف الصالح في تعاملهم مع كتاب ربهم وسنة نبيهم – ﷺ - في فهم الدين والعمل به والدعوة إليه، وهم أهل السنة والجماعة.وقد حث الله – عز وجل - على اتباع السلف الصالح في قوله: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم "(التوبة: ١٠٠)كما قال عنهم رسول الله – ﷺ - "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.(٢)

"وقد وردت وصية رسول الله– ﷺ - باتباع السلف الصالح حيث قال: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة "(٣).كما صرح النبي – ﷺ - بأن الطريقة التي سلكها هو وأصحابه هي طريقة الفرقة الناجية، حيث قال: "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا : ومن هي يا رسول الله؟، قال: ما أنا عليه وأصحابي ".(٤)

فالدعوة السلفية هي الدعوة إلى ما كان عليه الرسول – ﷺ - وأصحابه: الفرقة الناجية.

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله – عن الفرقة الناجية فقال: "هم السلفيون، وكل من سار على منهج السلف الصالح من أي جماعة كانت ".(٥)

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن السلفية في لقاءات الباب المفتوح رقم السؤال١٣٢٢ :

"السلفيَّة هي اتباع منهج النبي– ﷺ - وأصحابه، لأنهم سلفنا تقدموا علينا، فاتباعهم هو السلفية.وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق: فلاشك أن هذا خلاف السلفية...." (٦)

السلفية دعوة إصلاحية قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -

لقد اتضح لنا مما سبق أن السلفية ليست بدعوة مبتدعة ولا بفكرة محدثة قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإنما هي دعوة إلي التمسك بطريقة الفرقة الناجية، ودعوة إلى الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ودعوة إلى الإسلام كما كان أول ظهوره من صفاء ونقاء ووضوح بعيداً عن لوثات الفلسفة وأدران الشرك وخرافات التصوف ومحدثات البدع.

يذكر الشيخ الإمام –رحمه الله – حقيقة دعوته في رسالته لعبد الرحمن بن عبد الله السويدي أحد علماء العراق: "أخبرك أني ولله الحمد متبع، ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلي يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة ".(٧) ويبين الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله - في رسالته التي بعثها إلي أهل الحجاز وعسير واليمن معتقدهم وما يدعون إليه "...وبالجملة فإننا نأمر بما أمر الله به في كتابه وأمر به رسوله، وننهى عما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله، ولا نحرم إلا ما حرم الله، ولا نحلل إلا ما حلل الله، فهذا الذي ندعو إليه."(٨)

آثار الدعوة السلفية

لما كانت الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله – مبنية على كلام الله الذي هو خير الكلام و هدي رسوله الذي هو خير الهدي وعلى نهج سلف هذه الأمة الذين هم خير هذه الأمة...فقد حازت نفوذا وتأثيرا قويا وانتشارا سريعا ، عمت الدعوة وآثارها المباركة بلاد نجد ثم امتدت إلي الحجاز ثم سائر بلاد الجزيرة العربية ، بل تجاوزت تلك البلاد.ويطيب لي هنا أن أنقل أسباب تأثير العقيدة التي ذكرها صاحب كتاب "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي " فقال : "ما من شك أن تأثير العقيدة واستمرارها يتم إذا توفرت لها أسباب هي :

أولاً : وقبل كل شيء ، توفيق الله ومنته بالفضل والهداية.

ثانياً : صلاح النية وسمو الغاية وحسن القصد بالأعمال الصالحة التي هي من لوازم العقيدة.

ثالثاً : كون العقيدة حقا ثابتا في نفس الأمر والواقع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

رابعاً : علم صاحب العقيدة وبصيرته.

خامساً : سلامة منهج صاحب العقيدة.سادساً : الإمارة الراشدة والسلطان الوازع"(٩) .

من فضل الله وكرمه أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية تزودت بجميع هذه الأسباب فتمكنت من تطهير الأرض المقدسة التي اختارها الله لتكون مولد النبي الخاتم – ﷺ – ومهبط الرسالة الأخيرة من رجس البدع والخرافات والعقائد الباطلة التي كادت تقضي على مكانتها ومنزلتها في قلوب

المسلمين، وتمكنت من إقامة دولة إسلامية على نهج السلف الصالح.وتأثر بهذه الدعوة كثير من الحركات الدعوية والإصلاحية في مختلف البلاد من الكرة المعمورة واتخذها أسوة ونموذجا لإصلاح المجتمع الإسلامي وتجديد مسيرة حياة المسلمين.

الدعوة السلفية بين شبهات التطرف وحقيقة الوسطية

إن الوسطية من أبرز سمات هذه الأمة وأعظم خصائصها، كما قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "(البقرة: ١٤٣) قال الطبري – رحمه الله- : والذي يمعن النظر في هذه الآية وما يشابهها من النصوص في القرآن والحديث يرى أنها تدل على أن وسطية الإسلام عامة جامعة شاملة للعقيدة والأحكام والعبادات والمعاملات والأخلاق والعادات والعواطف.فقد حافظ السلف من الأمة الإسلامية على هذه الميزة والخصيصة أحسن ما تكون المحافظة مبتعدين عن كل نوع من الإفراط والتفريط في دينهم.فإن الإفراط والتفريط تطرف وطغيان وغلو. فقد نهى الله عن كل ذلك، حيث جاء في محكم تنزيله: "يا أيها الذين آمنوا لا تغلوا في دينكم "و قال – تعالى – "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا "(هود: ١١٢).

وهذا الإمام ابن تيمية يشرح وسطية الإسلام: "المسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصاري ولم يجفوا كما جفت اليهود "(١٠)

وبهذه الوسطية تمسك أهل السنة والجماعة وأصحاب الدعوة السلفية وقاوموا كل نوع من الغلو في الدين وحاربوا كل نوع من البدع في الإسلام. فإنه إذا انتشر الغلو والابتداع في المجتمع غابت الوسطية والاعتدال والسنن بقدر ما انتشر من تلك البدع. يشهد بذلك واقع الناس، فالمجتمع الذي

انتشرت فيه البدع والأهواء والضلالات غابت فيه السنن حتى صار المستن غريبا.وقد دل على هذا المعنى كلام جماعة من السلف – رحمهم الله - :

- قال حسان بن عطية المحاربي : ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة. (١١)
- قال ابن سيرين : ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة.(١٢)
- وقال لقمان بن أبي إدريس الخولاني : ما أحدث أمة في دينها بدعة إلا رفع بها عنها سنة. (١٣)

فأهل السنة والجماعة وبتعبير آخر أصحاب الدعوة السلفية هم وسط في باب الأسماء والصفات بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون صفاته وبين أهل التمثيل والتشبيه الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات ، وأما هم فيؤمنون بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله – ﷺ - من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وهم وسط في سائر أبواب السنة ووسطيتهم فيها راجعة لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله – ﷺ - ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وعلى الرغم من هذه الوسطية في المنهج السلفي يروج المناوئون له بعض المفاهيم الخاطئة عنه ، ويصفونه بالتطرف والغلو والعنف ، وما من أمثالها من تعبيرات وكلمات ، وليس ذلك من الحقيقة في شيء ، إنما هي محاولة تمويه وتشويه لصورة الإسلام الحقيقية التي يتمسك بها وينشرها أهل السنة والجماعة... تحت ستار تعبيرات براقة وكلمات معسولة استوردوها من الغرب.

المصادر والمراجع:

١- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، عن أبي هريرة، باب ما يذكر في قرن المأة، حديث رقم: ٤٢٩١، دار الفكر، بيروت .

٢- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، وأخرجه عن عمران بن حصين أيضا في باب فضائل أصحاب النبي – ﷺ - ، رقم الحديث: ٣٤٥٠ .

٣- أخرجه أبو داود في باب لزوم السنة، رقم الحديث: ٤٦٠٩ (ترقيم وزارة الأوقاف المصرية) طبعة دار الكتاب العربي.

وأخرجه الترمذي في باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث: ٢٧٧٦ (تحقيق/ أحمد شاكر) .

٤- الترمذي، محمد بن عيسي أبو عيسي الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، عن عبد الله بن عمر، باب ما جاء في افتراق الأمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥- محمد بن جميل زينو، مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ج/٣، ط١، الرياض- المملكة العربية السعودية ١٩٩٧م، ص: ٢٨٢.

٦- موقع شبكة المنهاج الإسلامية .

٧- د.عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عرض ونقد، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، ط١، الرياض – المملكة العربية السعودية٢٠٠٦، صفحة: ٢٥- ٢٦.

٨- المصدر السابق، صفحة: ٢٧، بحوالة: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٥هـ..

٩- د.صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ط١، المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ١٤٠٨هـ، ص ٤٧٤.

١٠- موقع طريق القرآن .



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

د. عبد الوهاب الدريويش

التمهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد..

فهناك من يرون في "السلفية" و"السلفيين": التيار المحافظ الجامد، بل والرجعي، في حياتنا الفكرية، وفي جانب الفكر الديني منها على وجه الخصوص.

وهناك من يرون في "السلفية" و"السلفيين": التيار الأكثر تحرراً من خرافات الأفكار والبدع، ومن ثم الأكثر تحرراً واستنارة في مجال الفكر الديني بالذات.

وفي القرآن والحديث ومعاجم اللغة وكشافات التعريفات والمصطلحات قد أجمعت على أن أصل كلمة "السلف" هو: الماضي والمتقدم.. وعلى أن "السلفيين" هم الذين يحتذون حذو هذا الماضي.

لكن هذا التحديد لا يستطيع وحده أن يرفع الغموض عن مضمون مصطلح "السلفية"؛ لأن "الماضي" المحتذى سيظل غير محدد عند الكثير، لا من حيث الأصول والقواعد ولا من حيث الأجيال والقدوات.

إذن.. فهناك ضرورة وأهمية لإلقاء الضوء على هذا المصطلح في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي.

أولاً: معنى السلفية في اللغة

السلف في اللغة: "السين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق"[(١)].

ففي مختار الصحاح: "يقال سلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف"[(٢)]

وفي اللسان: "السلف جمع سالف المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون"[(٣)] .

وفي النهاية: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[(٤)]، ومنه قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ} [(٥)].

وهذا التعريف اللغوي للسلف عام يشمل كل من سبق وتقدم على غيره وهو دون المعنى الاصطلاحي.

وإذا نحن ذهبنا نلتمس معنى هذا المصطلح في كتاب الله فإننا نجد أن "السلف"يعني: "الماضي"وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، قال تعالى: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ} [(٦)]، {وَلَا تَنْكِحُوا

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٣.

(٢) مختار الصحاح : ج٤/ ١٣٧٦ .

(٣) لسان العرب ١٥٨/٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٩٠/٢ ، القاموس المحيط ١٥٣/٣.

(٥)الزخرف: ٥٦.

(٦)البقرة: ٢٧٥.

مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (١)، {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (٢)، {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} (٣)، {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} (٤)، {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ} (٥)، {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} (٦) {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ} (٧).

ونفس هذا المعنى يدل عليه هذا المصطلح في الحديث النبوي الشريف، ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل، عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه لما ماتت زينب ابنة رسول الله - ﷺ - قال رسول الله- ﷺ - : "الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون".

وفيه أيضا عن فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قد قال لها في مرض موته: "ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لكِ"٨

---

(١)النساء: ٢٢.

(٢)النساء: ٢٣.

(٣)المائدة: ٩٥.

(٤)الأنفال: ٣٨.

(٥)يونس: ٣٠

(٦)الحاقة: ٢٤.

(٧)الزخرف: ٥٦ "

٨) البخاري (٣٦٢٣) و (٣٦٢٤)

والسلف الصالح قد تقدمونا وهم قدوتنا ؛ ولهذا فلا منافاة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من تلك الناحية إلا من حيث الخصوص والعموم كما سيتضح هذا عند ذكر التعريف الاصطلاحي.

ثانياً : معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي

يتجاذب مفهوم السلف اصطلاحاً وصفان : الوصف الزمني والوصف المنهجي ، فالمعنى الدقيق للسلفية اصطلاحاً يدور حول هذين المفهومين.

أ- السلفية الزمنية :

تطلق على المجموعة المتقدّمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معيّنة ، وقد حصل خلاف في تحديد هذه الفترة على أقوال منها :

١- إن المراد بالسلف هم الصحابة فقط ، فهو وصف لازم لهم يختص بهم عند الإطلاق ولا يشاركهم فيه غيرهم.[(١)]

٢- إن المراد بالسلف عند الإطلاق هم الصحابة والتابعون وهو ما أشار إليه الغزالي بقوله :

"اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين". [(٢)]

٣- هم الصحابة والتابعون ، وتابعو التابعين ، أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي - ﷺ - الخيرية بقوله في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : "خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين

(١) انظر : مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني ، ص٣- ٥ .

(٢) انظر : إلجام العوام عن علم الكلام ، للغزالي - تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ص٣ .

يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ".[١] وهو قول الجمهور.[٢]

والراجح هو قول الجمهور؛ لأن النصوص تؤيده، فقد مدح النبي - ﷺ - القرون التي عاش فيها الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين، وشهد لهم بالخيرية، وإليه ذهب كثير من أهل العلم، كالإمام الشوكاني[٣]، والسفاريني[٤]، وعليه يدل صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في نحو قوله: "سلف الأمة وخيار قرونها"[٥].

ولربما أدخل مَن بعد تابعي التابعين - كالإمام أحمد - في مفهوم السلف فيقول: "وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف"[٦]، ويحدد ابن رجب السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه فيقول: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدي بهم إلى زمن الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة "[٧].

---

(١) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري ج٢/ ٩٣٨ واللفظ له، صحيح مسلم ج٤/ ١٩٦٣.

(٢) انظر: الشريعة للآجري ص١٤، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ج٧/ ١٣٤.

(٣) انظر: التحف في مذاهب السلف ص ٧- ٨

(٤) انظر: لوامع الأنوار ١/ ٢٠.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٣٤.

(٦) المرجع نفسه ١/ ٢٠٧.

(٧) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف، "بتحقيق يحيى مختار غزاوي"، ص ٦٠.

ولعل سلفه في ذلك الإمام الآجري " ؛ فعند ذكره الأئمة الذي يقتدي بهم، وقف على الإمام أحمد وأقرانه، فقال: "علامة من أراد الله - عَزَّ وَجَلَّ - به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، وسنن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وسنن أصحابه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُم - ، ومن تبعهم بإحسان - رحمة الله عليهم - ، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان عن العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء"(١).

ومن ألحق أئمة الدين في طبقة السلفية زماناً إنما لمنهجهم و إمامتهم واقتدائهم بمنهج السلف ونشرهم له.

وممن مال إلى تحديد السلف بالقرون الثلاثة الدكتور محمد الجليند، حيث قال: "وحسمًا للموقف أرى أن لا نتخطى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وندعي أن هناك آراء سلفية مهما بلغ بنا حسن الظن بالمتقدمين، خاصة وأن تراثنا الإسلامي قد تعرض لهزات عنيفة ابتداء من القرن الثالث الهجري وعبثت به الأهواء". (٢)

وتابعه على هذا الرأي الدكتور محمود خفاجي قائلا: "فإنني أرى أن من يحدد السلف بالصحابة والتابعين، وتابعي التابعين هو الأميل للصواب،

---

(١)انظر: الشريعة ص ١٤.

(٢) الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، ط. الثالثة، ص ٥٢.

لموافقته الأثر [١] من ناحية، ولما نجده من الاتفاق بين من يذكرون السلف بطريق الاسم من عد تابعي التابعين من السلف من ناحية أخرى". [٢]

٤- إن السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة: وهذا قول البيجوري؛ فإنه قال: السلف: وهم من كانوا قبل الخمسمائة ". [٣]

ولعل سبب ذهاب البيجوري إلى ذلك، هو رغبته إدخال أئمة الأشاعرة في مفهوم السلف؛ إذ لا يمكن إدخالهم في مفهوم السلف – زمنيًا – إلا على رأيه هذا، إذ كلهم كانوا بعد القرون الثلاثة، باستثناء الإمام الأشعري الذي توفي سنة ٣٢٤ هـ. والذي أصبح على مذهب الإمام أحمد بعد رجوعه عن الاعتزال وقول ابن كلاب - والمنتسبون إليه - ينتسبون إلى مذهب تركه [٤]

ب- السلفية المنهجية:

هل التحديد الزمني كافٍ لتحديد مفهوم السلف؟ إذا قلنا بأن المراد بالسلف زمنيًا هم أهل القرون الثلاثة المفضلة، استئناسًا بالأحاديث الواردة في تعيين القرون المفضلة، ولأنَّا نرى من يذكر السلف بالاسم لا يخرج عن إطار القرن الثالث كما تقدم في كلام الدكتور خفاجي، فهل نعتبر كل من عاش في هذه القرون سلفًا يقتدي به؟

---

(١) يشير إلى حديث عمران بن حصين وابن مسعود المتقدم

(٢) في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، ط. الأولى ص ٢٠.

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، "ط. الأولى ١٤٠٣، دار الكتب"، ص ٩١.

(٤) كما صرح بذلك في مصنفاته التي ألفها بعد رجوعه كالإبانة، والمقالات: انظر: المقالات ١/ ٣٤٥- ٣٥٠، والإبانة ص ٢٠ وما بعدها.

لا شك أن الإجابة على هذا التساؤل هي النفي ؛ وذلك لما نعلمه جميعًا من وجود الكثير من أئمة أهل البدع والأهواء في تلك الحقبة. ففيها خرجت الخوارج في عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ؛ حيث اعترضوا على التحكيم سنة ٣٧ هـ فكان بداية خروجهم، وفيها ظهر التشيع والرفض على يد ابن سبأ اليهودي الذي ادعى الإسلام وزعم محبة آل البيت، وفيها نبتت فتنة القدرية على يد معبد الجهني، وفيها أيضًا ظهرت بدعة الإرجاء وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان.

ولأنه – كما سبق - قد عاش في القرون الثلاثة المفضلة طوائف خرجت عن منهج السلف كالخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة؛ كان لزاماً أن يضاف إلى السبق الزمني موافقة الكتاب والسنة نصاً ومعنى، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس من السلف، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين.

إذن: "ليس السبق الزمني كافيًا في تعيين السلف؛ بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني الموافقة للكتاب والسنة نصًا وروحًا، أحكاماً ومقاصد، فمن خالفت آراؤه الكتاب والسنة، فليس بسلفي وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين"[1].

ولهذا كان الإمام السفاريني موفقًا أيما توفيق في تعريفه لمذهب السلف؛ حيث احترز فقيد السلف الذي يقتدى به بأن يكون ممن شُهد له بالإمامة، ولم يُرم ببدعة، فقال: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام

(١) الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، محمد الجليند، ص ٥٢ بتصرف.

- رضوان الله عليهم - ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"[١].

لقد أمرنا الله - ﷻ- باتباع سبيل أصحاب رسول الله - ﷺ - واقتفاء آثارهم وسلوك منهجهم، فقال - عز وجل - : {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}[٢].

قال الإمام ابن القيم في بيان وجه الاستدلال بالآية: "وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته "[٣].

فالذي يجب اتباعه هو منهجهم، لا أفراد كلام أحدهم -رضي الله عنهم- ، إلا أن يكون إجماعاً نصا أو سكوتا، إذ لا معصوم إلا رسول الله- ﷺ - .

فقد أخبرنا - تبارك وتعالى - عن رضاه عمن اتبعهم بإحسان، وما أعده لهم من الثواب العظيم فقال: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٤].

---

(١) لوامع الأنوار ١/ ٢٠.

(٢) لقمان: ٣٥.

(٣) إعلام الموقعين ٤/ ١٦٨، بتحقيق: عبد الرحمن الوكيل.

(٤) التوبة: ١٠٠.

وقال الرسول - ﷺ - : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ "[١].

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - : "فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ومنهاج السلف بعد الذين هم موضع القدوة والإمامة ؟ "[٢]

فالسلف اصطلاحا هم الصحابة والتابعون وتابعوهم من الأئمة الذين يقتدى بهم، المهتدون بهدي النبى - ﷺ - الحافظون لسنته علماً وعملاً ومنهجاً وسلوكاً، اختارهم الله - تعالى - لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة للأمة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، واجتهدوا في نصح الأمة ونفعهم، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم[٣].

فليست السلفية مرحلة انقضت، وليست السلفية مقصورة على الصحابة وحدهم، أو على القرنين التاليين لهم، فإن هذا تضييق بجهل وخلطٌ قد يراد منه باطل وهو إبطال المنهج السلفي وهو ترسم الإسلام الصحيح الصافي، بل السلفية زمانها الزمان كلُّه، و مكانها الأرض كلُّها. فالسلفيون هم الملتزمون منهج الكتاب و السنة بفهم سلف الأمة، لا يحيدون عنه في أقوالهم ولا في أفعالهم، وكتبهم و مؤلفاتهم على مر الزمان شاهدة بذلك. .فهي سلسلة

---

(١) ابن أبي عاصم: السنة ١ / ١٨، ١٩، ٢٩، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) الإيمان للقاسم بن سلام ص١٩ .

(٣) المنهج السلفي خصائصه ومفاهيمه وقواعده لصبري محمد خليل .

ذهبيــة ، كتــب الله -   تعــالى -   لهــا البقــاء حفــظ الله بهــم الــدين و أحــرز العقيدة.[1]

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة برقم (٦١٤٩) (١٦٤/٢)

س / أريد تفسيراً لكلمة السلف ومن هم السلفيون... ؟

ج / الـسلف هـم أهـل الـسنة والجماعـة المتبعـون لمحمـد - ﷺ - مـن الصحابة - رضي الله عنهم - ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ، ولما سئل - ﷺ - عـن الفرقـة الناجيـة قـال : "هـم مـن كـان علـى مثـل مـا أنـا عليـه اليـوم وأصحابي".

و جاء في الفتوى رقم (١٣٦١)

س / ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

ج / السلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضي الله عنهم - الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته "[2].

والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف ، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل

---

(١) من مقال للشيخ محمد الحمود العقيدة السلفية تعريفها ـ فضلها ـ خصائصها .

(٢) انظر: صحيح البخاري ج١/ ١٢٣٢ ، صحيح مسلم ج٤/ ١٩٦٢ .

بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.وبالله التوفيق وصلى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلم "[1].

ثالثاً: ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح

الذي جاء به محمد - ﷺ -

شمولية منهج السلف والإسلام:

إن منهج السلف الصالح هو المنهجُ الذي يُمثِّل هذا الدين العظيم في شُموله وصفائه كما يُمثِّل المسلمين في اجتماعهم وائتلافهم، إنه اسمٌ ينتظِمُ الإسلامَ كلَّه، كما ينتظِمُ جميعَ المسلمين الثابتين على الإسلام الذي كان عليه النبيُّ - ﷺ - وأصحابُه، فهو شريعةُ الله في صفائها، وهو عقيدةُ الحق في نقائها، لا يحقُّ لجماعةٍ أو فردٍ أن تحتكرَه؛ فالذي يرسمُ حدودَ هذا المنهج هو القرآنُ الكريم، والذي يُحدِّدُ معالَمه سنةُ النبي الخاتم، وهو الأَمَنةُ من كل خلافٍ واختلاف، بذلك المنهج تُعرفُ الحادثات في الدين فتُتّقى، ويُعرفُ الأدعياء في علم الشريعة فيُحذَرون، ويُعرف الشاقون لصف الأمة ووحدتها فيُجتنَبون، ويُعرف المُخلِصون المُهتَدون فيُتّبعون.

إن أهميةُ نهج السلف الصالح تكمن في كونه التطبيقَ العمليّ الأول للإسلام، تحت سمع وبصر رسول السلام - عليه الصلاة والسلام - ، وتَمثّله التابعون بعد ذلك تحت سمع وبصر الصحابة المشهود لهم بالخيريّة

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى، ج٢/ ٢٤٢.

والاصطفاء، وكذلك تابعوهم، فمن الذي يُزايدُ على ذلك النهج ؟ ومن يجرؤُ أن يدّعيَ أن الحق خلافه ؟ [1].

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " [2]

المنهج السلفي يمثل صفاء وأصالة الإسلام

لا يجوز للمسلمين أن يأخذوا دينهم، ولا هدايتهم، ولا أخلاقهم عن أي أمة أخرى؛ لأن الله - عز وجل - أرسل إليهم الهدى كاملاً، فليسوا بحاجة إلى هدي آخر، فقد أخبرهم الله - عز وجل - بأنه أكمل لهم الدين، وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً "[3]

فالأمور الدينية التي تتضمن العقائد والأخلاق والأفكار والتصورات والقيم، يجب ألا نأخذها إلا من طريق الوحي الصادق الصحيح الذي جاء به النبي - عليه الصلاة والسلام - .[4]

فمنهج السلف الصالح هو الإسلام الأول الذي عرفه أبو بكرٍ وعمر وعثمانُ وعلي، هو النهجُ الذي قاتلَ لأجله خالدٌ وسعد، واستُشهِد في سبيله حمزة ومُصعب، هو الجادّة التي سلَكها ابنُ مسعودٍ وابنُ عباس، وهو السبيلُ

---

(١) انظر: مخالفة الخلف لمنهج السلف للشيخ عيد عباسي .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) انظر: مخالفة الخلف لمنهج السلف للشيخ عيد عباسي .

الذي ترسمه الحسنُ البصري والنخعيٌّ والشعبيٌّ، وهو الفِجاجُ التي طرَقَها أبو حنيفة ومالك والشافعيٌّ وأحمد، وهو الطريق الذي خطا فيه البخاري ومسلم.

حتمية المنهج السلفي

هل السلفية قابلة للأخذ والترك ؟ يعني هل يلزم السير بها وعليها، أم يجوز تركها واتباع منهج آخر ؟

ظهر لنا أن المنهج السلفي يمثل منهج الإسلام نفسه في فهم القرآن والسنة، وهو يمثل أصالة الفكر الإسلامي، التي تعنى بتنمية الذات والهوية الإسلامية [١]. فإذا تركت منهج السلفية الذي هو منهج الإسلام، فإلي أين ستتجه ؟

والسلفية تمثل الإسلام فهي ليست حِجرا على طائفة معينة من الناس، فهي منهج الإسلام، وعلى كل مسلم أن ينتهج نهجها، وهذا هو المقصود بقولنا حتمية المنهج السلفي، فإن اتباع منهج السلف في الإيمان والعمل هو أمر الله وأمر رسوله، لا يجوز الانحراف عن ذلك قيد أنملة.[٢]

ومنهج السلف الصالح، يقوم على أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع، وما بني عليهما، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي - ﷺ - انقطع الوحي، والرسول - ﷺ - قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة.

---

(١) انظر: المنهج السلفي للشيخ مفرح القوسي، ص٩.

(٢) انظر: السلفية منهج ملزم لكل مسلم للشيخ المقدم.

وكذلك الإسلام يقوم على التسليم لله تعالى ؛ والتسليم يرتكز على التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله - ﷺ - وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله - ﷺ - بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين ؛ لأن النبي - ﷺ - قال : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "(١) .

ليست الدعوة السلفية دعوة إلى شعبة من شعب الإيمان، ولا لقضية واحدة من قضايا الإسلام، وإنما هي دعوة الإسلام بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني العزة والسيادة والإصلاح والعدل والفلاح في الدنيا والآخرة. والإسلام دين الله للعالمين ؛ فليس هو دين وطن بعينه، ولا شعب بذاته، وإنما هو دين الأرض كلها والناس جميعاً.(٢)

رابعاً : حكم الانتساب إلى السلفية

مقدمة :

الانتساب إلى السلف فخر وأي فخر، فلفظ السلفية أو السلفي لا يطلق عند علماء السنة والجماعة إلا على سبيل المدح، والسلفية رسم شرعي أصيل يرادف : أهل السنة والجماعة، و أهل السنة، وأهل الجماعة، و أهل الأثر، و أهل الحديث، و الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الاتباع ٣

---

(١) انظر : صحيح البخاري ج٢/ ٩٥٩ ح رقم ٢٥٥٠ ، صحيح مسلم ج٣/ ١٣٤٣ ح رقم ١٧١٨ .

(٢) انظر : الأصول العلمية للدعوة السلفية لعبد الرحمن بن عبد الخالق .

٣ انظر : المنهج السلفي ، تعريفه وسماته ودعوته الإصلاحية ، لمحمد بن عمر بازمول ص٥ .

وقد يتساءل البعض إذا ثبتت هذه الأسماء لديكم فلماذا تفرقون الأمة بالتسمية بالسلفية وهي لم ترد في القرآن ولا في السنة ؟! ولهؤلاء نقول :

أولا : إن إطلاق الأسماء على أي حقيقة لا ضرر منه مطلقا ، سواء في الشرعيات أو المباحات ، والاسم ما دام أنه لم يشتمل علي باطل فليس ممنوعاً شرعاً ، ولا مشاحة في الاصطلاح.

ثانيا : سُمّي بعض المسلمين بالمهاجرين من أجل الهجرة ، وسُمّي آخرون بالأنصار من أجل النصرة ، وسُمّي آخرون بالتابعين لاتباعهم الصحابة ، وسُمّي آخرون بالسلفيين لاتباعهم السلف ومنهجهم ، لتمييز الفرقة الناجية والطائفة المنصورة عن سائر الطوائف المخالفة لهم باسم يتميزون به.

ومع هذا فالسلفيون لا يتعصبون لهذا الاسم ، فهم مسلمون يوالون كل مسلم على قدر اتباعه للإسلام وحسب اعتقاده وإيمانه ، فهم لا ينصرون من اتسم بالسلفي إن كان مبطلاً ، إنما ينصرونه بكفِّه عن باطله.

وقد ظهر مُسمّي السلفية في العصر العباسي كرد فعل لمن عُرفوا بـ الخلف ، وتبلور المسمي

علي يد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأصبح هذا الاسم مما يميز تلك الطائفة التي لم يشب منهجها

شائبة...فالمنهج واحد وإن تعددت أسماؤه.[1]

---

(١) انظر : المنهج السلفي للشيخ ناصر الألباني ، معنى السلفية لمحمد عبد المقصود . نقلا عن مقال بموقع فرسان الحق .

أقوال العلماء في حكم الانتساب للسلفية

حكى الإجماع على صحة الانتساب إلى السلف: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتاوى قال: "ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم".(١)

قال الإمام الذهبي – رحمه الله تعالى - في كتاب السير ج٦/ ٢١ عند ترجمته لأبي طاهر السِّلفي: "فالسَّلَفي مستفاد مع السَّلفي ـ بفتحتين ـ وهو من كان على مذهب السلف ".(٢)

وقال في موضع آخر: "فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون: تقيا، ذكيا، نحويا، لغويا زكيا، حييا، سلفيا "(٣).

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : ما تقول فيمن تسمى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية ؟ فأجاب سماحته: "إذا كان صادقاً أنه أثري أو أنه سلفي، لا بأس مثل ما كان السلف يقول: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لا بد منها، تزكية واجبة "(٤).

---

(١) انظر: الفتاوى ج٤/ ١٤٩ .

(٢) انظر: كتاب التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية ، طبعة الدار الأثرية ، ص٢٢.

(٣) انظر: السير ج١٣/ ٣٨٠ .

(٤) وهي من محاضرة مسجلة بعنوان: "حق المسلم"، في ١٤١٣/١/١٦ بالطائف .

وسئل الشيخ الألباني – رحمه الله تعالى - عن هذا الموضوع ونص السؤال:

لماذا التسمي بالسلفية ؟ أهي دعوة حزبية أم طائفية أو مذهبية ؟ أم هي فرقة جديدة في الإسلام ؟

فأجاب: "إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشرع ؛ وما يهمنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية ، فقد صح عن النبي - ﷺ - أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة - رضي الله عنها - :

"فاتقي الله واصبري ، ونعم السلف أنا لكِ "[1].

ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف ، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى ، وحسبنا مثالاً واحداً وهو ما يحتجون به في محاربة البدع ، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.

ولكن هناك من مدعي العلم من ينكر هذه النسبة زاعماً ألا أصل لها ! فيقول: لا يجوز للمسلم أن يقول أنا سلفي ، وكأنه يقول: لا يجوز أن يقول مسلم أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك .

لا شك أن مثل هذا الإنكار ـ لو كان يعنيه ـ يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح ، وعلى رأسهم النبي – صلى الله عليه وسلم - .

(١) انظر: صحيح البخاري ج٥/ ٢٣١٧ ح رقم ٥٩٢٨ ، صحيح مسلم ج٤/ ١٩٠٤ ح رقم ٢٤٥٠ .

والذي ينكر هذه التسمية نفسه إما أن يكون أشعرياً أو ماتريدياً ، وإما أن يكون من أهل الحديث أو حنفياً أو شافعياً أو مالكياً أو حنبلياً ؛ مما يدخل في مسمى أهل السنة والجماعة ، مع أن الذي ينتسب إلى مذهب ، فهو ينتسب إلى أشخاص غير معصومين بلا شك ، وإن كان منهم العلماء الذين يصيبون ، فليت شعري هلا أنكر مثل هذه الانتسابات إلى الأفراد غير المعصومين ؟

وأما الذي ينتسب إلى السلف الصالح ، فإنه ينتسب إلى العصمة ـ على وجه العموم ـ وقد ذكر النبي - ﷺ - من علامات الفرقة الناجية أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله - ﷺ - وما كان عليه أصحابه.فمن تمسك به كان يقيناً على هدى من ربه.

ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول : أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح ، وهي أن تقول باختصار : أنا سلفي ".[١]

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - : "فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي - ﷺ - وأصحابه فإنه سلفي"[٢]، وقال : "من هم أهل الأثر ؟ هم الذين اتبعوا الآثار ، اتبعوا الكتاب والسنة وأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - وهذا لا يتأتى في أي فرقة من الفرق إلا على السلفيين الذين التزموا طريق السلف ".[٣]

---

(١) المنهج السلفي للشيخ ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة الضياء ، طنطا ، مصر ، ص ١٧ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ج ١/ ٤٥ .

(٣) في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة : ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

الجواب : "السلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسول الله - ﷺ - وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضي الله عنهم - الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ". رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم ، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف ، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم." [(١)]

س / أريد تفسيراً لكلمة السلف ومن هم السلفيون ؟

ج / السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد - ﷺ - من الصحابة - رضي الله عنهم - ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ، ولما سئل صلى الله عن الفرقة الناجية قال : "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي."[(٢)]

وقال الشيخ صالح الفوزان – رحمه الله تعالى - في كتابه البيان : كيف يكون التمذهب بالسلفية بدعة ، والبدعة ضلالة ؟! وكيف يكون بدعة وهو اتباع لمذهب السلف ، واتباع مذهبهم واجب بالكتاب والسنة ، وحق

---

(١) فتوى رقم (١٣٦١) (١/١٦٥) .

(٢) فتوى رقم : (٦١٤٩)(٢/ ١٦٤).

وهدى؟! قال تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم "[1]، وقال النبي - ﷺ- : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ".[2]، فالتمذهب بمذهب السلف سنة وليس بدعة، وإنما البدعة التمذهب بغير مذهبهم"[3].

وقال في محاضرة ألقاها في حوطة سدير عام ١٤١٦هـ بعنوان (التحذير من البدع) الشريط الثاني، وذلك جواباً على سؤال نصه: فضيلة الشيخ. هل السلفية حزب من الأحزاب ؟ وهل الانتساب لهم مذموم؟

قال في الجواب: "السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة، جماعة على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ". [4]

وقال صلى الله عليه وسلم: "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ".[5]

---

(١) التوبة : ١٠٠ .

(٢) صحيح ابن حبان ج١/ ١٧٩ ، المستدرك على الصحيحين ج١/ ١٧٤ .

(٣) البيان للشيخ صالح الفوزان ، ص١٥٤ .

(٤) البخاري ج٦/ ٢٦٦٧ ح رقم ٦٨٨١ ، مسلم ج٣/ ١٥٢٣ ح رقم ١٩٢٠

(٥) سبق تخريجه .

فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول - ﷺ - متوارثة مستمرة لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة كما أخبر - ﷺ - ".[1]

وسئل الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله تعالى - عن حكم الانتساب إلى السلفية والتسمي بها، في شريط التحذير من البدع - الشريط الثاني - فأجاب بقوله: " أمر طيب سواء انتسبت إلى السلفية أم السنة، وهذه النسبة ليست كنسبة الحزبيين "[2].

وقال الشيخ محمد أمان الجامي ـ رحمه الله ـ: "مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين؛ بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة من قوله - ﷺ - : "لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم"متفق عليه[3]".[4]

---

(١) من محاضرة ألقاها في حوطة سدير - عام ١٤١٦هـ - بعنوان : التحذير من البدع ، الشريط الثاني .

(٢) نقلا عن التحفة المهدية ، ص٣٧ .

٣ البخاري ج٣/ ح رقم (١٣٣٠) ، مسلم ج٣/ ح رقم (١٥٢٣) .

(٤) الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ، ص ٦٤ .

وقال سئل فضيلة الشيخ عبيد الجابري - حفظه الله تعالى - :

هل التسمي بالسلفية بديلاً عن التسمي بالإسلام ؟ ألا يكفي اسم الإسلام "هو سماكم المسلمين"[1] ؟ فأجاب بقوله : لا ، ليس التسمي بالسلفية بديلاً عن التسمي بالإسلام ، بل التسمي بالسلفية هو توضيح وتمييز لذلك الإسلام الذي انتهجه الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، فالسلفية هي بوابة فهم الدين ، فالسعيدُ من تمسّك بما كان عليه السلف ، واجتنبَ ما أحدثَه الخلف ، وما أسهل الاتباع وأيسر الاهتداء إن عافَى الله من دعاة الضلالة.

كان اسم الإسلام هذا يسع من كان قبلنا ، قبل ظهور البدع والمبتدعة ، وانتشارهم وسط البلاد وعقول العباد ، فهذا إمام أهل السنة يُسأل : ألا يسعنا أن نقول : إن القرآن كلام الله ونسكت؟ فقال : "كان هذا يسع من كان قبلنا ، أما نحن فلا يسعنا إلا أن نقول : القرآن كلام الله غير مخلوق"[2].

خامساً : السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

مقدمة :

إن الحزبية داء عظيم ، وشر مستطير، ووبال وبيل على أصحابه فى الدنيا والآخرة ، والحزبية فرقت المجتمع الواحد ، بل الأسرة الواحدة ، وهى من أفعال المشركين ، وهي من أعظم الآفات التي أصيبت بها هذه الأمة منذ وقت مبكر[3] ، وقد قال تعالى محذراً منها : "وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ مِنَ الَّذِينَ

---

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) أصول وقواعد المنهج السلفي ، ص٧، ٨ .

(٣) انظر: حقيقة الإخلاص عند شيخ الإسلام ابن تيمية – سند بن علي البيضاني ، ج١/ ٢١ .

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون "[1]، وقال - تعالى - :"إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ "[2] .

فهذه الفرق والأحزاب الموجودة على الساحة اليوم لا يقرها دين الإسلام، بل ينهى عنها أشد النهي، وهى من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة.

والأصل الاجتماع على عقيدة التوحيد، وعلى منهج الإسلام جماعة واحدة، و أمة واحدة، قال تعالى: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون "[3] وقال تعالى :" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا "[4]

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى - : "أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل

---

(١) الروم : ٣١- ٣٢ .

(٢) الأنعام : ١٥٩ .

(٣) الأنبياء ٩٢ .

(٤) آل عمران : ١٠٣ .

نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام ". [1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : "وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي - ﷺ - ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي، غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لها شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون". [(٢)]

ولا يحتاج المسلمون إلى عقد يكتب، أو وثيقة تختم، أو منهج يقرر فيه هذا المبدأ غير الكتاب والسنة، فليس العمل الإسلامي شركة أو مؤسسة أو جمعية أو لجنة ينتظر الناس الإذن بالدخول فيها، أو الموافقة عليهم أن يكونوا من مستخدميها، فلا حاجة إلى بطاقة عضوية، أو انتساب أو ولاء لهذه الأسماء والشعارات.

---

١ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ص١٤٢.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٧هـ، ج١/ ٢٧٢.

هل السلفية حزب؟

أحيانا ما يتبادر إلى الأذهان بانتساب الناس إلى السلف أنهم فرقة أو حزب من الأحزاب، وهذا مخالف للحقيقة فهم بانتسابهم إليهم إنما ينتسبون إلى السلف الصالح الذين هم عموم المسلمين كما هو الأصل.

وهم حريصون على جمع الكلمة، ووحدة الصفِّ، وتنقية الدين من تحريف الغالين، وانتحال المُبطِلين، وتأويل الجاهلين، يتبعون من كانوا أهدى طريقًا، وأقوم مسلكًا، وأتبعَ للكتاب والسنة، وأعلمَ بالوحي؛ فكانوا حقًّا نعم السلف.

والانتسابُ للسلف ليس دعوى يدَّعيها شخصٌ أو جماعة، أو يتبنَّاها حزبٌ أو مُنظَّمة؛ بل هي طاعةٌ واتباع، ووحدةٌ واجتماع، ونبذٌ للفُرقة والابتداع.

ولا يجوز أن تورث هذه التسمية العصبية و الانتماء لحزب دون آخر، لأنهم لا ينتمون إلى أحزاب و عصبيات، انتماؤهم الوحيد يكون للكتاب و السنة على فهم السلف و هذا ما يميزهم عن غيرهم من أصحاب الجماعات و الأحزاب والفرق، فهم يؤولون الكتاب و السنة على فهمهم القاصر و ليس على فهم السلف.

وقد حض العلماء على وجوب الحذر من التحزب ولو بمسمى السلفية أو غيرها؛ لأن العبرة بالمضمون والاجتماع على القرآن والسنة بأفهام سلف الأمة المزكى من الله ورسوله - ﷺ - لا التفرق والتنابز، و التحزب على فروع قد تصرفنا عن أصول القرآن والسنة من توحيد الله - تعالى - واتباع

السنة واجتماع كلمة المسلمين مع اجتناب الشرك ونبذ البدع وإخماد الفتن التي تفسد الدنيا والدين، وقد نبه على هذا العلماء.

يقول الإمام ابن عثيمين - رحمه الله- : "أنه إذا كثرت الأحزاب في الأمة فلا تنتم إلى حزب، فقد ظهرت طوائف من قديم الزمان مثل الخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة، ثم ظهر – أخيراً - إخوانيون وسلفيون وتبليغيون وما أشبه ذلك، فكل هذه الفرق اجعلها على اليسار وعليك بالإمام وهو ما أرشد إليه النبي في قوله: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين"[(١)].

ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتماء إلى حزب معين يسمى السلفيون.

والواجب أن تكون الأمة الإسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزب إلى ما يسمى السلفيون، فهناك طريق السلف وهناك حزب يسمى السلفيون، والمطلوب اتباع السلف "[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والأقوال إذا حكيت عن قائلها أو نسبت الطوائف إلى متبوعها فإنما ذاك على سبيل التعريف والبيان، وأما المدح والذم والموالاة والمعاداة فعلى الأسماء المذكورة في القرآن العزيز، كاسم المسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، والبر والفاجر، والصادق والكاذب، والمصلح والمفسد، وأمثال ذلك. وكون القول صوابا أو خطأ يعرف بالأدلة الدالة على

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان ج١/ ١٧٩ ، المستدرك على الصحيحين ج١/ ١٧٤ .

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية ، ح رقم ٢٨ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

ذلك المعلومة بالعقل والسمع والأدلة الدالة على العلم لا تتناقض كما تقدم"[1]

موقف السلفيين من الجماعات الإسلامية

وموقف الجماعة السلفية من الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة الإسلامية لا يعدو موقف المسلم من المسلم من حيث المناصحة على البر والتقوى ومنه لزوم جماعة المسلمين، وترك التحزبات سريةٍ كانت أو علنية، وحثهم على رفع راية التوحيد الصافي على عقيدة القرآن والسنة وما مضى عليه الصحابة – رضوان الله عليهم - ، والتابعون - رحمهم الله - ، ونشر العلم النافع بتعليم الجاهل علم القرآن والسنة الذي ينجيه عند الله، وعدم إقحامه في السياسات وتلبيسه بالبدع والضلالات، وتحذيرهم من فتح أبواب الفتنة .

وهم مع هذا يقبلون الحق من محسنهم، ويتجاوزون عن مسيئهم ما رأوا إلى ذلك سبيلا، فهم يسعون إلى تأليف القلوب وجمع الكلمة وإخراج الأمة من الحزبيات الضيقة والولاءات المحدودة، إلى فضاء الإسلام وسعته وشموله على قاعدة: يُوالى الرجل ويُحب على قدر دينه، ويُعادى ويُبغض على قدر معصيته.

لكن لا يقرونهم على باطل ولا على فُرقة ؛ لأن يد الله على الجماعة ومن شذَّ شذّ في النار.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج١/ ٢٧٣ .

مع التنبيه على أن هنالك العديد من الفرق و الأحزاب المعاصرة تحاول الانتساب إلى السلف لكن منهجها يفضحها و يبين انحرافها عن الصراط المستقيم ، فيجب أن يعي هؤلاء أن الانتساب إلى السلفية هو انتساب إلى الإسلام الصحيح الصافي الذي جاء به النبي - ﷺ - .

فالتزام الإسلام – كتاباً وسنةً – تعصب مطلوب ، وكون بعض الأفراد يخالف فهو راجع عليه لا على السلفية ؛ لأنه هو الذي خالف السلفية وليست السلفية خالفت.

"فمن الشطط الخروج عن نهج السلف في معالجة القضايا الشرعية ، والدعوة إلى الله عن طريق الأحزاب والجماعات التي تتبع مناهج مخالفة لمنهج السلف ، وتستهدف إثارة الجماهير والتلبيس عليهم ، والتعمية على عقولهم ، والتضيحة بشباب الأمة وبأساليب لا يرضاها دين ولا عقلٌ ، فالنهج السويّ يرفض أن يكون مستنده ومرجعه إلى هوى شخصٍ أو فكر حزبٍ وجماعةٍ أو أكثرية جامحة "(١)

كما قال ابن عباس - رضى الله عنه - : خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع فقال : "يا أيها الناس إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسُنتي "(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : "فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا

(١)أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله إعداد الشيخ : فواز بن هليل بن رباح السحيمي ، ص ١٧١ .

(٢) رواه مالك في الموطأ ، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة.

قول إلا لكتاب الله – عز وجل – ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً "[١].

فالعزة والنصر والسؤدد هو في هذا المنهج الرباني، إذ كل من وافق الرسول – ﷺ – في أمر ولو كثر مخالفوه فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيبٌ من قوله - تعالى - : "لا تحزن إن الله معنا "[٢].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله- :"إنَّ إنشاء أي حزب في الإسلام يخالفه بأمر كلي أو بجزئيات لا يجوز، ويترتب عليه عدم جواز الانتماء إليه، ولنعتزل تلك الفرق كلها، وعليه فلا يجوز الانصهار مع راية أخرى تخالف راية التوحيد بأي وجهٍ كان من وسيلة أو غاية، ومعاذ الله أن تكون الدعوة على سنن الإسلام مِظَلَّة يُدخل تحتها أي من أهل البدع الأهواءَ فيُغَض النَّظر عن بدعهم وأهوائهم على حساب الدعوة "[٣]

وأخيراً فإن المسلم مطالب باتباع سبيل المؤمنين، ومنهج الأنبياء والمرسلين الذي اتّحد في مستنده ومنهجه، غير مكترث بكثرة المخالفين، فالمنهج السلفي يقف على أرض صلبة بعيداً عن التفرقات والحزبيات، أساسه الوحدة والاعتصام على ما جاء عن سلف الأمة، فمن عرف منهج السلف حق المعرفة عرف أنه ذو فضل على الأمة جمعاء من حيث دعوته إلى الوحدة

---

(١) انظر: المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، علوي بن عبد القادر السقاف، ط الأولى - ١٤١٩هـ، ج١/ ١٧٦.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) انظر: حكم الانتماء، ص١٥٣.

والاعتصام، والنأي به عن الفرقة والاختلاف، مما فيه قوة الأمة واجتماعها وسؤددُها ونصرُها .

موقف السلفيين من السياسة

ينكر السلفيون على الأحزاب والجماعات الموجودة اشتغالهم بالسياسة العصرية وإشغال عوام المسلمين معهم وانحراف مقصد دعوتهم عن نهج الرسول - ﷺ - ، والسلفيون مع السياسة الشرعية التي تعني: الإحاطة بالأحكام السلطانية، ومعرفة حقوق الراعي والرعية، وتقويم الحقائق بالموازين الشرعية، إذن فهي رعاية شؤون الأمة الإسلامية بما لا يخالف الكتاب الكريم والسنة النبوية.

فأهم الأوليات: مسائل التوحيد والإيمان، فالعقيدة أول الواجبات وأعظمها، فهذه هي السياسة بمعناها الإسلامي النقي التي ترعى شؤون الأمة الربانية، أما السياسة العصرية التي تعني القدرة على المراوغة والمناورة ونقض العهود والمواثيق، فهذه قرينة النفاق؛ لأنها تمييع للعقيدة، وحل لرابطة الولاء والبراء وخديعة لعامة المسلمين وأئمتهم.(١)

وما تلبست به بعض الجماعات من المظاهرات والاضطرابات هذه ليست من الدين في شيء، بل استوردوها من بلاد الكفر، وزادوا عليها إشعال إطارات السيارات التي تسبب الأمراض، وتخريب المؤسسات التعليمية والاقتصادية والمرافق العامة.

---

(١) نقلا عن منتدى : أصول المنهج السلفي .

والمظاهرات أول نواة الخروج على الحكام الذي نتج عنه سفك الدماء، وهتك الأعراض، والتسلط على السنة وأهلها، وتعطيل دَور المساجد من العلم والتعليم والإصلاح، حتى أصبحت وكراً لدعاة المظاهرات والاضطرابات، وهذا مصدره التهييج السياسي، وهناك أصابع خفية تحاول بث مثل هذه الأمور لإفساد المجتمعات الإسلامية.

والسلفيون من جانبهم ينكرون المناهج الانقلابية الثورية التي يكون وقودها المسلمين، وتتأخر الدعوة بسببها كثيراً، ومع ذلك كله، فإنهم لا ينكرون على العاملين ضرورة التغيير، و لكنهم ينكرون عليهم مناهجهم في التغيير التي لا تسمن ولا تغني من جوع، التي منها المظاهرات والاغتيالات.

وهذا الذي ينكرونه ويحذرون منه، و يبرءون إلى الله من أغلاله وشره، فهو بريد الخداع، وسُلم الذين يعبدون الله على حرف.

موقف السلفيين من العمل الجماعي

والسلفيون من دعاة العمل الجماعي – بمفهومه الشرعي - ، أما العمل الجماعي الحزبي فهذا مرفوض جملة وتفصيلا، فالمفهوم الشرعي للعمل الجماعي هو التعاون على البر والتقوى.[(١)]

فلا حرج لو تخصصت لجنة أو قسم علمي أو مؤسسة دعوية في التوحيد، وأخرى في الحديث، وثالثة في الفقه، ورابعة في التفسير، وخامسة في الدعوة للجاليات، وسادسة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسابعة للشورى وقضايا الأمة وثامنة وتاسعة وعاشرة....، الكل يدعو في تخصصه، لكن

(١) نقلا عن أرشيف موقع الألوكة .

بشرط أن تكون تحت إمام واحد وعلى عقيدة صحيحة ومنهج سليم، عقيدة ومنهج السلف الصالح، وهذا ركن من أركان العمل، والسعي نحو التمكين، ولا يمكن بحال من الأحوال التنازل عنه.

فلا موالاة ولا معاداة إلا على التوحيد وتقوى الله ولا طاعة إلا لله ورسوله- صلى الله عليه وسلم – ولأولي الأمر سددهم الله على طاعته.

موقف السلفيين من العلماء

قال ابن القيم - رحمه الله - عن العلماء : "هم فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال من الحرام".[1]

ومما يعرف به العالم شهادة مشايخه له بالعلم، فقد دأب علماء المسلمين من سلف هذه الأمة، ومن تبعهم بإحسان على توريث علومهم لتلامذتهم، الذين يتبوؤن من بعدهم منازلهم، وتصبح لهم الريادة والإمامة في الأمة، ولا يتصدر هؤلاء التلاميذ حتى يروا إقرار مشايخهم لهم بالعلم، وإذنهم لهم بالتصدر والإفتاء والتدريس فهؤلاء يؤخذ عنهم العلم والتلقي، فلا يجدي الأخذ عن الكتب فقط، بل الاقتصار في التلقي على الأخذ من الكتب بلية من البلايا، وكذا اجتماع الشباب والطلبة على التدارس دون أخذ عن شيخ.

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم – تحقيق طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ، ج١/ ٩.

والسلفيون يحبون علماءهم ويجلونهم ويتأدبون معهم ويدافعون عنهم ويحسنون الظن بهم ويأخذون عنهم، وينشرون محامدهم، إلا أنهم بشر غير معصومين، بل يجوز عليهم في الجملة الخطأ والنسيان إلا أن ذلك لا ينقص من أقدارهم، ولا يُسوِّغ ترك الأخذ عنهم، بل هم الخيار في كل عصر وإن احتاجوا ما يحتاجه المسلمون من التواصي على البر والتقوى، وإن كانوا قد فضلهم الله به.

لكن هناك مشكلة كبيرة يقع فيها البعض ممن ينتسب للسلف، وهو أن بعض المنتسبين للسلف يُضلل بعضهم بعضاً، ويُبدّع بعضهم بعضا؛ بل ويخوضون في بعض العلماء لزلات وقعوا فيها، ونحن لا ننكر هذا إذا كانوا مستحقين، لكننا ننكر معالجة هذه البدع بهذه الطريقة.

والواجب أن يجتمع الجميع ويقولون بيننا كتاب الله- عز وجل – وسنة رسوله، فلنتحاكم إليهما لا إلى الأهواء، و الآراء، ولا إلى فلان أو فلان كلٌّ يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة.

وقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة فتوى رقم(١٦٨٧٣) و تاريخ: ١٢ / ٢ / ١٤١٥هـ:

سؤالا هذا نصه :

"نسمع ونجد أناساً يدعون أنهم من السلفية، وشغلهم الشاغل هو الطعن في العلماء و اتهامهم بالابتداع وكأن ألسنتهم ما خلقت إلا لهذا، ويقولون: نحن سلفية، والسؤال يحفظكم الله : ما هو مفهوم السلفية الصحيح؟، وما موقفها من الطوائف الإسلامية المعاصرة؟

و جزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء إنه سميع الدعاء.

و بعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأنه :

إذا كان الحال كما ذكر فإن الطعن في العلماء ورميهم بالابتداع واتهامهم مسلك مردٍ ليس من طريقة سلف هذه الأمة و خيارها ، وإن جادة السلف الصالح هي الدعوة إلى الكتاب و السنة ، وإلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان بالحكمة و الموعظة الحسنة و الجدال بالتي هي أحسن مع جهاد النفس على العمل بما يدعو إليه العبد ، والالتزام بما علم بالضرورة من دين الإسلام من الدعوة إلى الاجتماع و التعاون على الخير، و جمع كلمة المسلمين على الحق ، والبعد عن الفرقة و أسبابها من التشاحن و التباغض و التحاسد ، و الكف عن الوقوع في أعراض المسلمين ، ورميهم بالظنون الكاذبة و نحو هذا من الأسباب الجالبة لافتراق المسلمين و جعلهم شيعاً و أحزاباً يلعن بعضهم بعضا ، و يضرب بعضهم رقاب بعض ، قال الله – تعالى- : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون "(١).

ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"(٢). والآيات و الأحاديث في ذم التفرق و أسبابه كثيرة.

---

(١) آل عمران : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ج١/ ٥٦ ح رقم ١٢١ - ج٤/ ١٥٩٨ ح رقم ٤١٤١ ، صحيح مسلم ج١/ ٨١ ح رقم ٦٥ و٦٦ .

و لهذا فإن حماية أعراض المسلمين و صيانتها من الضروريات التي علمت من دين الإسلام، فيحرم هتكها، والوقوع فيها، و تشتد الحرمة حينما يكون الوقوع في العلماء، ومَن عَظُم نفعه للمسلمين منهم، لِما ورد من نصوص الوحيين الشريفين بعظيم منزلتهم، ومنها أن الله - سبحانه وتعالى - ذكرهم شهداء على توحيده فقال - تعالى - : " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة و أولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"(١).

والوقوع في العلماء بغير حق تبديعاً و تفسيقاً و تنقصاً، وتزهيداً فيهم كل هذا من أعظم الظلم و الإثم وهو من أسباب الفتن، وصد المسلمين عن تلقي علمهم النافع وما يحملونه من الخير والهدى.

وهذا يعود بالضرر العظيم على انتشار الشرع المطهر، لأنه إذا جرح حملته أثر على المحمول، و هذا فيه شبه من طريقة من يقع في الصحابة من أهل الأهواء، وصحابة رسول الله - ﷺ - هم شهود نبي هذه الأمة على ما بلغه من شريعة الله، فإذا جرح الشاهد جرح المشهود به.

فالواجب على المسلم التزام أدب الإسلام وهديه وشرائعه، وأن يكف لسانه عن البذاءة والوقوع في أعراض العلماء، والتوبة إلى الله من ذلك والتخلص من مظالم العباد، ولكن إذا حصل خطأ من العالم فلا يقضي خطؤه على ما عنده من العلم، و الواجب في معرفة الخطأ الرجوع إلى من

(١) آل عمران : ١٨ .

يشار إليهم من أهل العلم في العلم و الدين و صحة الاعتقاد ، و أن لا يسلم المرء نفسه لكل من هب ودب فيقوده إلى المهالك من حيث لا يشعر.

وبالله التوفيق و صلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ و آله و صحبه و سلَّم "(١)

هذا والله أعلم

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة : فتوى رقم (١٦٨٧٣) .

المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- معجم مقاييس اللغة لابن فارس .

٣- مختار الصحاح .

٤- لسان العرب .

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر .

٦- القاموس المحيط .

٧- مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني .

٨- إلجام العوام عن علم الكلام ، للغزالي .

٩- صحيح البخاري .

١٠- الشريعة ، للآجري .

١١- التحف في مذاهب السلف .

١٢- لوامع الأنوار .

١٣- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية .

١٤- فضل علم السلف على علم الخلف.

١٥- صحيح مسلم .

١٦- الإبانة ، لأبي الحسن الأشعري .

١٧- العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة.

١٨- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد.

١٩- المقالات ، لأبي الحسن الأشعري .

٢٠- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ، محمد الجليند .

٢١- إعلام الموقعين ، بتحقيق : عبد الرحمن الوكيل .

٢٢- السنة ، لابن أبي عاصم.

٢٣- الإيمان ، للقاسم بن سلام .

٢٤- المنهج السلفي خصائصه ومفاهيمه وقواعده ، لصبري محمد خليل .

٢٥- مقال العقيدة السلفية تعريفها ـ فضلها ـ خصائصها ، للشيخ محمد الحمود .

فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى

٢٦- مخالفة الخلف لمنهج السلف ، عيد عباسي .

٢٧- المنهج السلفي ، مفرح القوسي .

٢٨- السلفية منهج ملزم لكل مسلم ، المقدم .

٢٩- الأصول العلمية للدعوة السلفية ، لعبد الرحمن بن عبد الخالق .

٣٠- المنهج السلفي ، تعريفه وسماته ودعوته الإصلاحية ، لمحمد بن عمر بازمول .

٣١- المنهج السلفي للشيخ ناصر الألباني ، معنى السلفية لمحمد عبد المقصود. نقلاً عن مقال بموقع فرسان الحق.

٣٢- الفتاوى ج٤/ ١٤٩.

٣٣- كتاب التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية ، طبعة الدار الأثرية ، ص٢٢.

٣٤- السير ج١٣/ ٣٨٠.

٣٥- محاضرة مسجلة بعنوان : "حق المسلم" ، في ١٤١٣/١/١٦ بالطائف.

٣٦- صحيح البخاري ج٥/ ٢٣١٧ ح رقم ٥٩٢٨ ، صحيح مسلم ج٤/ ١٩٠٤ ح رقم ٢٤٥٠.

٣٧- المنهج السلفي للشيخ ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة الضياء ، طنطا ، مصر ، ص ١٧.

شرح العقيدة الواسطية ج ٤٥/١ .

٣٨- في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول.

٣٩- فتوى رقم (١٣٦١) (١٦٥/١).

٤٠- صحيح ابن حبان ج١/ ١٧٩ ، المستدرك على الصحيحين ج١/ ١٧٤.

٤١- البيان للشيخ صالح الفوزان .

٤٢- من محاضرة ألقاها في حوطة سدير - عام ١٤١٦هـ - بعنوان : التحذير من البدع ، الشريط الثاني.

٤٣- نقلا عن التحفة المهدية ، ص٣٧.

٤٤- الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي، ص ٦٤ .

أصول وقواعد المنهج السلفي، ص٧، ٨ .

٤٥- انظر: حقيقة الإخلاص عند شيخ الإسلام ابن تيمية – سند بن علي البيضاني، ج١/ ٢١.

٤٦- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ص١٤٢.

٤٧- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٧هـ، ج١/ ٢٧٢.

٤٨- صحيح ابن حبان ج١/ ١٧٩، المستدرك على الصحيحين ج١/ ١٧٤.

٤٩- شرح الأربعين النووية، ح رقم ٢٨، ص ٣٠٨ – ٣٠٩.

٥٠- درء تعارض العقل والنقل ج١/ ٢٧٣.

٥١- أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله إعداد الشيخ: فواز بن هليل بن رباح السحيمي، ص ١٧١.

٥٢- رواه مالك في الموطأ، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة.

٥٣- المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، علوي بن عبد القادر السقاف، ط الأولى - ١٤١٩هـ، ج١/ ١٧٦

حكم الانتماء، ص١٥٣.

٥٤- نقلا عن منتدى: أصول المنهج السلفي.

٥٥- نقلا عن أرشيف موقع الألوكة .

٥٦- إعلام الموقعين لابن القيم – تحقيق طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ،

٥٧- انظر: فتاوى اللجنة الدائمة : فتوى رقم(١٦٨٧٣) .



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

جبران بن سلمان سحاري

المعهد العالي للقضاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه ورقة عمل أقدمها لندوة (السلفية ـ منهج شرعي ومطلب وطني) التي تنظمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد قصرت هذه الورقة على المحور الأول الذي هو (مصطلح السلفية ـ حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح).

وقد قسمتها إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

التمهيد في أهمية الموضوع وصلته بالوقت الحاضر.

الفصل الأول: معنى السلفية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى السلفية في اللغة.

المبحث الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي.

الفصل الثاني: ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ - .

الفصل الثالث: حكم الانتساب إلى السلفية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تحقيق الحكم الشرعي في المسألة.

المبحث الثاني: ذكر من انتسب إلى السلفية من الأئمة والعلماء.

الفصل الرابع: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل السلفية وتقديمها على جميع الأحزاب والجماعات.

المبحث الثاني: أسباب ظهور الجماعات والأحزاب المعاصرة.

والخاتمة، وتحتوي أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن ينفع بهذه الورقة كاتبها وقارئها وسامعها إنه خير مسئول، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّدٍ.

تمهيد

لا تخفى أهمية البحث في موضوع السلفية وصلته بالوقت الحاضر؛ خصوصاً أن بعض الجماعات والأحزاب ما فتئت تحاربه حتى الساعة. وسبب محاربته أنه مصطلحٌ مرتبطٌ بالإسلام الصحيح الخالي من الشوائب، ودعوة السلفية منصورة في كل عصر بشهادة النبي - ﷺ - القائل: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها "[1].

وقد بعث الله على رأس المائة الأولى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين العالم العابد عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ) - رحمة الله عليه - ، وعلى رأس المائة الثانية الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) — رحمه الله - ، وعلى رأس المائة الثالثة الإمام أبا العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي (ت: ٣٠٦هـ) كما شهد به جماعة من أهل العلم[2].

وفي ذلك قال شاعرهم:

اثنان قد ذهبا فبورك فيهما ... عمرُ الخليفةُ، ثم حِلْفُ السؤددِ
الشافعيُّ الألمعيُّ محمدٌ ... إِرْثُ النبوةِ وابنُ عمِّ محمدِ
أبشر أبا العباس إنك ثالثٌ ... من بعدهم سقيا لتربة أحمد[3].

---

١ ـ رواه أبو داود في سننه برقم (٤٢٩١) كتاب الملاحم ـ باب ما يذكر في قرن المائة من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ، وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٥٦٧/٤.

٢ ـ انظر: مستدرك الحاكم: ٥٦٨/٤، وتاريخ بغداد: ٤ / ٢٨٩، ووفيات الأعيان: ١/ ١٧، و سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٢٠٢، والأعلام للزركلي: ١٨٥/١.

٣ ـ انظر الأبيات في: مستدرك الحاكم: ٥٦٨/٤، وتاريخ بغداد: ٤ / ٢٨٩، ووفيات الأعيان: ١/ ١٧، وتذكرة الحفاظ: ٣ /٨١٢ ــ ٨١٣، و سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٢٠٢، وطبقات الشافعية للسبكي: ٢/ ٨٧، والبداية والنهاية: ١١/ ١٢٩، وغيرها.

وهكذا تتابع المجددون على خلافٍ في تعيينهم إلى ما بعد القرن السابع، ثم كثر الخلاف في هذه المسألة مع يقين الجميع بوجود مجددٍ في كل عصر. واستمر الأمر على هذا إلى أن ظهر شيخ الإسلام مجدد ما اندرس من معالمه في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ) - رحمه الله تعالى - ، لما جدد الدين، ونشر الدعوة السلفية بالتعاون مع الإمام محمد بن سعود (ت: ١١٧٩هـ) - رحمة الله عليه - .

وسار على منهاجه أئمة كثر إلى عصرنا هذا فمنهم العلامة محمد بن إبراهيم (١٣٨٩هـ) مفتي الديار السعودية – سابقاً - ، وخلفه تلميذه العالم السلفي شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - (١٤٢٠هـ) مفتي المملكة العربية السعودية سابقاً، والأمر على هذه الدعوة السلفية الخالصة - بحمد الله - إلى وقتنا هذا، وينافح عنها العلماء الربانيون من كل من تجرد للحق واقتفى السنن ومن الله عليه بالاتباع وترك الابتداع، ويتأكد التمسك بها والعض عليها بالنواجذ لأنها دين الله الصحيح، وفيها - بتوفيق الله - النجاة من المحن والفتن والقلاقل، والله يتولى الصالحين.

وإلى حين الشروع في فصول هذا البحث ومباحثه يتضح المقصود، ويتحقق المأمول.

الفصل الأول: معنى السلفية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى السلفية في اللغة:

السلفيَّةُ في اللغة مأخوذة من المصدر وهو السلف، وماضيه: سلفَ، والاسم: السالف، وهو المتقدم [1].

قال ابن فارس (٣٩٥هـ): (السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسبْق؛ من ذلك السَّلَف: الذين مضَوا. والقومُ السُّلاَّف: المتقدِّمون. والسُّلاَف: السائل من عصير العنب قبل أن يُعصَر. والسُّلْفَة: المعجَّل من الطَّعام قبل الغَدَاء، والسّلوف: الناقة تكون في أوائل الإبل إذا وَرَدَت. ومن الباب السَّلَف في البيع، وهو مالٌ يقدَّم لما يُشتَرى نَساءً، وناس يسمُّون القَرضَ السَّلَف، وهو ذاك القياسُ لأنَّه شيءٌ يُقدَّم بعوض يتأخّر) انتهى [2].

والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ: الجَمَاعَةُ المُتَقَدِّمون.

وجَمْعُ سَلِيفٍ: سُلُفٌ بضَمَّتَيْن؛ ومنه قراءة حمزة والكسائي: (فَجَعَلْنَاهُمْ سُلُفاً) [3].

ورمز لهما الشاطبي بحرف الشين في (شريف) فقال:

وفي سلفاً ضما شريفٍ وصاده   يصدون كسر الضم في حق نهشلا [4].

---

١ ـ انظر: تاج العروس للإمام الزبيدي: ٢٣/٤٦٣.

٢ ـ مقاييس اللغة: ٣/٩٥ ـ ٩٦.

٣ ـ انظر: التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني ص ١٩٧، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي ص ٤٩٦.

٤ ـ الشاطبية في القراءات السبع ص ٨٢.

قال الفَرّاءُ: وزَعَمَ القاسِمُ أَنَّهُ سَمِعَ وَاحِدَهَا سَلِيفاً [1].

وسالِفٌ وسَلَفٌ مِثْلُ خَالِفٍ وخَلَفٍ.

والسَّلَفُ: القومُ المُتَقَدِّمون في السَّيْرِ، ومنه قَوْلُ قَيسِ بنِ الخَطِيمِ:

لَوْ عَرَّجُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضحِّي جِمَالَهُ السَّلَفُ [2].

وأَسْلَفَهُ مَالاً وسَلَّفَهُ: أَقْرَضَهُ، قال الشاعرُ:

تُسَلِّفُ الْجَارَ شِرْباً وهْي حَائِمَةٌ والْمَاءُ لَزْنٌ بَكِيءُ العَيْنِ مُقْتَسَمُ [3].

واسْتَسْلَفْتُ منه دَرَاهِمَ فأَسْلَفَنِي مِثْلُ تَسَلَّفْتُ؛ نَقَلَهُ الجَوْهَرِيُّ [4].

ومنه الحديث: أَنَّه - ﷺ - اسْتَسْلَفَ من رجلٍ بَكْراً [5].

أَي: اسْتَقْرَضَ.

وجاءَني سَلَفٌ مِن النَّاسِ: أَي جَماعَةٌ.

والسُّلافُ والسُّلافةُ من كلِّ شَيْءٍ: خَالِصُهُ [6].

---

١ ـ انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٣٦.

٢ ـ ديوانه ص ١٠٢.

٣ ـ البيت في لسان العرب: ٩/١٥٨ غير منسوب.

٤ ـ انظر: الصحاح له: ٤/١٣٧٦ بتحقيق العطار.

٥ ـ الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١٦٠٠) كتاب المساقاة ـ باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه، وخيركم أحسنكم قضاء؛ من حديث أبي رافع - ﷺ - .

٦ ـ انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ١٢/٢٩٩، والمخصص لابن سيدة: ٤/٩٤، والمحكم والمحيط الأعظم له: ٨/٥٠٠، والمصباح المنير: ٤/٢٩٦، وتاج العروس: ٢٣/٤٦٣.

المبحث الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي:

السلفية في الاصطلاح الشرعي لها معنيان:

الأول: مأخوذٌ من المعنى اللغوي وهو التقدم بمعنى: السير على منهاج من مضى وسلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين المقتدى بهم في القرون المفضلة كالخلفاء الراشدين والصحابة المقدمين بعدهم كابن مسعود وابن عمر ومعاذ بن جبل وغيرهم، والتابعين كسعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وابن المبارك وغيرهم، والأئمة المهديين كالليث والأوزاعي ومالك وسفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم [1].

الثاني: اتباع هذا المنهج يعد سلفية في كل العصور؛ فالسلفية هنا منهجٌ يُحتذى ويطلق على كل من سلكه وإن تأخر عصره كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة السلفية بعده، ومن بعدهم من العلماء المعاصرين [2].

وتسمى هذه الطريقة طريقة الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية. وقد ورد الحض عليها في الحديث الصحيح؛ أن النبي - ﷺ - قال: " لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" [3].

---

١ ـ انظر: رسالة التمسك بالمنهج السلفي ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع المدخلي: ١/ ٤٩٧.

٢ ـ انظر: تذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث السابقين واللاحقين للشيخ ربيع ضمن مجموع كتبه ورسائله: ٣/ ٥٧ـ ٤١٥.

٣ ـ الحديث متفق عليه من حديث معاوية - رضي الله عنه - ؛ رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) ومن حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - ؛ رواه البخاري (٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢١). ورواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر - رضي الله عنه - (١٥٦) ومن حديث ثوبان - رضي الله عنه - (١٩٢٠).

وفيها يقول الشيخ العلامة محمد الأثيوبي :

طائفةٌ تحملُ علماً قائمهْ حتى تجيءَ الساعةُ الملازمهْ

هم جمعُ كثرةٍ وليسوا قلَّهْ يهدون بالحقِّ حماةَ الملَّهْ

دليلُه : حديث (من يُجدِّدُ) و(لا تزالُ) فالكريمَ نحمدُ [1].

وهي الفرقة الناجية ؛ حيث ورد تعيينها في الحديث الصحيح أن النبي - ﷺ - قال : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمدٍ بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار) قيل : يا رسول الله من هم؟ قال : (الجماعة)" [2].

وَفِي لَفْظٍ : (عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً) [3] وَفِي رِوَايَةٍ : قالوا : وما تلك الفرقة؟ قال : (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) [1] وَلِهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ.

---

١ ـ التحفة المرضيّة في نظم المسائل الأصولية على طريقة أهل السنة السنيّة ص ٢٢٨.

٢ ـ رواه ابن ماجه في سننه (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك - رضي الله عنه - ، واللفظ له ، ورواه أحمد في مسنده (٣٣٢/٢) وأبو داود في سننه (٤٥٩٦) كتاب السنة ـ باب شرح السنة ، والترمذي في جامعه (٢٦٤٠) كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وابن ماجه (٣٩٩١) كتاب الفتن ـ باب افتراق الأمم ؛ جميعاً من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم في المستدرك : ٤٧/١ ، وقال : "هذا حديث كثر في الأصول ، وقد روي عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك عن رسول الله - ﷺ- مثله" اهـ.
وصححه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : ٣٤٥/٣ فقال : "صحيح مشهور في السنن والمسانيد" اهـ.

٣ ـ رواه أحمد في مسنده (١٠٢/٤) من حديث معاوية - رضي الله عنه- ، والحاكم في المستدرك : ٢١٨/١ من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- .

الفصل الثاني

ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح

الذي جاء به محمد ﷺ :

لا ريب في ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الخالص من الشوائب والبدع والمحدثات ؛ لأن هذا الدين قائمٌ على الاتباع لا الابتداع وعلى الجماعة لا على الفرقة والتحزب.

وسلفنا الصالح سائرون على هذا الميراث النبوي الذي لا تغيير فيه ولا تبديل ، ولهذا كانوا ينكرون كل بدعة ومحدثة لم يجدوها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأثر ابن مسعود - رضي الله عنه - قد تكفل بهذا المعنى ، فعن عمرو بن سلمة قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا : لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال : فما هو؟ فقال : إن عشت فستراه قال : رأيت في المسجد قوماً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول : كبروا مئة فيكبرون مئة ، فيقول : هللوا مئة فيهللون مئة ،

---

١ ـ رواه الترمذي في جامعه (٢٦٤١) والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ، وقال الترمذي : حسن مفسر غريب ، وصححه الحاكم.

ويقول: سبحوا مئة فيسبحون مئة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال: أفلا أمرتَهم أن يعُدُّوا سيئاتهم وضمنتَ لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله حصىً نعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم - ﷺ - متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملةٍ هي أهدي من ملة محمد أو مفتتحو بابِ ضلالة قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير؛ قال: وكم من مريد للخير لن يصيبَه إن رسول الله - ﷺ - حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَقِ يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج [1].

فلما أحدث هؤلاء في الإسلام؛ خرجوا عن الإمام، وأتوا بالطوام، وبغوا على أنفسهم وإخوانهم وتركوا سنن الهدى السالفة على الحق والميراث النبوي فضلوا وأضلوا، والله المستعان.

لكأنهم جهلوا أو تجاهلوا أن الجماعة والإمامة أمران مقترنان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولهذا جاء في النصوص الأمر بلزوم جماعة المسلمين

---

١ ـ رواه الدارمي في سننه (٢٠٤) باب في كراهية أخذ الرأي، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده جيد.

وإمامهم [1] ، وجاء هذا الدين بمشروعية صلاة الجماعة والحث عليها والترغيب فيها غاية الترغيب، وفضلها على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة [2] ، ولا صلاة لمنفردٍ خلف الصف [3] ؛ لأنه انفرد عن الجماعة وصلى وحده، والفرد إذا روى حديثاً وخالف جماعة من الثقات لم يُقبل عند المحدثين [4] ، وكل شيءٍ قائمٌ على الجماعة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار [5] .

---

١ ـ هذا طرف من حديث حذيفة رضي الله عنه؛ رواه البخاري (٣٦٠٦) كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

٢ ـ كما في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – المتفق عليه؛ رواه البخاري (٦٤٥) كتاب الأذان ـ باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم (٦٥٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها.

٣ ـ رواه ابن حبان في صحيحه (٢٢٠٢) عن علي بن شيبان قال: قدمنا على رسول الله – ﷺ – ، فصلينا خلف رسول الله – ﷺ – ، فلما قضى رسول الله – ﷺ – ، صلاته إذا رجل فرد، فوقف عليه نبي الله – ﷺ – ، حتى قضى الرجل صلاته، ثم قال له نبي الله – ﷺ – : "استقبل صلاتك، فإنه لا صلاة لفرد خلف الصف".

٤ ـ انظر: التقييد والإيضاح على ابن الصلاح للحافظ العراقي ص ١٠٤.

٥ ـ انظر: رفع أكف الضراعة في جمع كلمة أهل السنة والجماعة للأعظمي ص ١٠.

الفصل الثالث: حكم الانتساب إلى السلفية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تحقيق الحكم الشرعي في المسألة:

الانتسابُ إلى السلفية شرف الانتماء وفضيلة المتابعة، ولكن ذلك لا يتأتى إلا بشروط:

الشرط الأول: اتباع السلف في العلم والعمل والسير على منهاجهم في كل ما يأتي الإنسان ويذر لا يظن أنه آتٍ بما لم يأتوا به في الدين فيفلح؛ لأنه إن فعل ذلك انخرط في سلك أهل البدع الذين أتوا بالمحدثات، والله تعالى يقول: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [1].

ولهذا كان الأصل في العبادات التوقيف والمنع ما لم يدل الدليل عليها[2].

وقال الله تعالى يذم من عمل بغير هديه يحسب أنه على هدى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [3].

الشرط الثاني: الحذر من كل الفرق والأحزاب والجماعات التي لا تسير على منهج السلف لئلا تزل قدمه فيتابعهم في بعض ما يذهبون إليه ويكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

---

١ ـ سورة الشورى، الآية (٢١).

٢ ـ انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧/٢٩.

٣ ـ سورة الكهف، الآية (١٠٣، ١٠٤).

الشرط الثالث: تطبيق أصول أهل السنة والجماعة المقررة عند أهل العلم التي أخذوها من منهج سلف الأمة وعملوا بها ولم يخرجوا عنها قِيد أنملة.

فمن خالف في أصلٍ واحدٍ من هذه الأصول فقد خرج من السلف خروجاً جزئياً فيقال: ليس من السلف في هذه المسألة وليس من أهل السنة في هذا الباب.

فمثلاً: لو كان يرى جواز الخروج على أئمة المسلمين ومنابذتهم السيوف لأدنى فرصةٍ تُتاح له فهذا على مذهب الخوارج في هذه المسألة ومخالفٌ لأهل السنة في أصل طاعة ولاة الأمر في غير معصية.

وبعض أئمة السلف يخرجونه من أهل السنة بمجرد ارتكابه بدعةً واحدة لأن البدع تتجمع وتتوارد على من قبلها وتشربها شيئاً فشيئاً.

وأيضاً لسد الباب على العامة والدهماء لئلا يفتتنوا بهذا المبتدع خاصة إذا كان صاحب عبادة فيغترون به وينصرفون إليه.

فإذا تحققت هذه الشروط جاز الانتساب إلى السلفية وكان فعلُه يصدِّق قوله، وعمله يطابق علمه وشرف بهذا الانتساب وشهد له الناس بذلك.

أما إذا خالفها وانتسب إلى السلفية فهذه تكون دعوى حينئذٍ تفتقر إلى الدليل.

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بيناتٍ أصحابها أدعياءُ.

وكل من ادَّعى أمراً فلابد من البرهان والدليل على صحة دعواه؛ كما قال الله - تعالى- : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [1]

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (١١١).

وقال - جل ذكره- : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) [1].

فمن الأهمية بمكان هذه النسبة أن يُعرف بها المسلم وإن لم ينسب نفسه هو إليها.

وقد كره بعض أهل العلم أن يتسمى الإنسان سلفياً فيقول عن نفسه: (أنا سلفي) أو (أثري) وذلك ورع منهم؛ خشية أن يكون هذا العمل من باب تزكية النفس والله -تعالى- يقول: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [2].

ولكن جمهور أهل الحديث على جواز ذلك إذا تحققت الشروط المطلوب توافرها في المسلم، وذلك من باب الإخبار عن الحقيقة والواقع، وليس من باب التزكية والإطراء، وحسن الانتساب إلى علم الأثر ممن يصنف في فنونه كما قال السخاوي وغيره [3].

وسيأتي نماذج لذلك إن شاء الله تعالى.

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية (٩٣).

٢ ـ سورة النجم، الآية (٣٢).

٣ ـ انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث: ١/٧.

المبحث الثاني: ذكر من انتسب إلى السلفية من الأئمة والعلماء:

لقد انتسب جماعةٌ من أهل الحديث إلى هذا المصطلح فقالوا: (فلان السلفي) أو (الأثري) والسلفي نسبة إلى (السلف الصالح) والأثري نسبة إلى (الأثر) لأن سلف الأمة عرفوا باتباع الأثر والحديث.

ومن هؤلاء العلماء والأئمة:

١ـ الإمام قيس بن الحجاج بن خلي بن معد يكرب الحميري الكلاعي، ثم السَّلَفي [١] المِصْرِي، وقيل الصنعاني؛ من صنعاء دمشق، والصحيح أنه مصري.

روى أحاديث، وكان صالحاً، وذكره ابن حبان في الثقات، واقتفى مذهب السلف [٢].

٢ـ الإمام ابن الأخرم الأثري الحافظ، قال عنه الحافظ الذهبي: (ابن الأخرم الإمام الكبير، الحافظ الأثري، أبو جعفر، محمد بن العباس بن أيوب ابن الأخرم الأصبهاني الفقيه.

ارتحل، وأخذ عن أبي كريب، والمفضل بن غسان الغلابي، وزياد بن يحيى الحساني، وعلي بن حرب، وعمار بن خالد، وعدة.

وعنه: أبو أحمد العسال، وأبو الشيخ، وأحمد بن إبراهيم بن أفرجة، وعبد الله بن محمد بن عمر، وآخرون.

---

١ ـ هكذا هو السَّلَفي نسبةً إلى السلف الماضين؛ لشدة اتباعه لهم، وأما الحافظ أبو طاهر السِّلفي الإمام المشهور فهو بكسر السين نسبة إلى جده إبراهيم سِلَفة؛ لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين، وكان له ثلاث شفاه فسمته الأعاجم لذلك. انظر: البداية والنهاية: ١٢/٣٧٧.

٢ ـ انظر ترجمته في تهذيب الكمال للحافظ المزي: ٢٤/١٩.

وله وصية أكثرها على قواعد السلف، يقول فيها: من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق فهو كافر.

فكأنه عنى باللفظ: الملفوظ لا التلفظ.

توفي سنة إحدى وثلاث مئة [1].

٣ـ الإمام الحافظ عبد الرحيم بن حسين العراقي الأثري صاحب ألفية الحديث ونظم الاقتراح وغير ذلك؛ قال في مقدمة ألفيته في مصطلح الحديث:

يقول راجي ربه المقتدرِ   عبدُ الرحيم بن الحسين الأثري [2].

٤ـ الحافظ صفي الدين البخاري الأثري هو محمد بن أحمد بن محمد بن خير الله، أبو الفضل، صفي الدين الحنفي الأثري الحسيني البخاري: فاضل، من أعلم أهل الشام بالحديث في عصره. أصله من بخارى. سكن نابلس (بفلسطين) وتوفي فيها بالطاعون ستة ١٢٠٠هـ، ومن كتبه: القول الجلي في ترجمة ابن تيمية [3]. غيرهم من الأئمة والعلماء الذين انتسبوا إلى مذهب السلف والأثر وما ذلك إلا لصحة الانتساب إليه عندهم، بل هو الشرف المزيد في ذلك والله الموفق.

---

١ ـ انظر: سير أعلام النبلاء: ١٤٤/١٤.

٢ ـ ألفية العراقي ص ٩٣، المقدمة ـ البيت الأول.

٣ ـ انظر: الأعلام للزركلي: ١٥/٦.

الفصل الرابع

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

وفيه بحثان:

المبحث الأول: فضل السلفية وتقديمها على جميع الأحزاب والجماعات:

ليس للمسلمين من سبيل إلى وحدة جماعتهم إلا بالإسلام الصحيح شريعةً وعملاً ؛ كما قال الله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) [1].

والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي ؛ فهي عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

فالدعوة السلفية إذاً هي محاولة قولية وفعلية لجمع الناس واستمالتهم إلى الحق والصراط المستقيم، أي إلى دين النبي - ﷺ - وشرعه الذي جاء به بفهم السلف الصالح أصحاب رسول الله - ﷺ - ؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله - ﷺ - فالقرآن نزل بلغتهم التي يجيدونها ونزل بين أظهرهم وهم يعلمون متى نزل وفيما نزل مع فهمهم لمعانيه ومقاصده وما خفي عليهم من شيء سألوا عنه رسول الله- ﷺ - فبيَّن لهم ؛ فالدعوة إلى هذا الدين وبهذا الفهم دعوةٌ إلى الحق وإلى صراط مستقيم وإلى دين القيمة.

---

١ ـ سورة الأنبياء، الآية (٩٢).

فقامت الدعوة السلفية على أصلين عظيمين هما: دعوة النبي - ﷺ - والأنبياء من قبل رسولنا - ﷺ - ؛ ولذلك فهي أصول معصومة؛ لأن أصل الدين الذي جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من عند الله تعالى.

فالأصل الأول: هو توحيد الله - سبحانه وتعالى - توحيداً صافيًا من كل شرك.

والأصل الثاني: هو تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله - ﷺ - وهي تعني طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله - ﷺ - مع محبته وتوقيره واتباعه والسير على دربه واقتفاء أثره - ﷺ - ، والحذر من كل بدعةٍ مكفرة أو مفسقة في العقائد أو في العبادات فكل هذه البدع مرفوضة وكلها ضلالات ليس فيها حسن وقبيح بل كلها قبيحة [1].

ومن هذا المنطلق لما رأى بعض المخدوعين أن السلفية قائمة على هذا الاجتماع والمنهج السديد ناصبوها العداء وكونوا جماعاتٍ وأحزاباً شتى مناقضة لمذهب السلف لصالح وتفرقوا فيما بينهم (كل حزبٍ بما لديهم فرحون) [2]. هذه علاقة السلفية بالأحزاب علاقة تباين، والتفرق دائماً قرينٌ للبدع وأصحابها [3].

---

١ ـ انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ص ٢٩٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٦٣٩/٧، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٦١، وحاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص ٥٧، والدعوة السلفية للشيخ محمود العسقلاني ص ٩.

٢ ـ سورة المؤمنون، الآية (٥٣).

٣ ـ انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي: ١٢٤٢/٣.

المبحث الثاني: أسباب ظهور الجماعات والأحزاب المعاصرة:

لما جاءت الجماعات والأحزاب المتفرقة التي لا تريد جمع كلمة المسلمين على السنة، ومنهج السلف؛ لأغراضٍ يضمرونها كطلب الرئاسة والمنصب والشهرة رأوا أنه لا مناص لهم إلا بمعاداة مذهب السلف الذي أغلق عليهم كل باب وسدّ عليهم كل مطمع دنيوي حقير، فتركوا السلفية وصاروا يتسمون بأسماء جماعات وأحزاب وطوائف ظاهرها حق وباطنها باطل محض كالدعوة إلى الثورات والانقلابات وتشتيت صفوف المسلمين والسماح للأعداء بالنصر عليهم بعد تفرقتهم.

رأوا أن السلفية منهجٌ يردهم للكتاب والسنة ويعيدهم على النصوص الصريحة التي هي حجة عليهم فعادوا المذهب السلفي وأضمروا لأصحابه الشر وسموهم بغير هذا الاسم.

نسأل الله - تعالى - أن يحفظ علينا المنهج السلفي الذي هو الدين الخالص والإسلام الصحيح والانقياد لله – تعالى - في شرعه وكل أوامره.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى اللهُ وسلَّم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وصحابته أجمعين ، والسلف الصالحين والتابعين لهم بإحسان، أما بعد:

فهذه خاتمة المطاف في هذه الورقة التعريفية الموجزة عن مصطلح السلفية ومباحثه ذات الصلة الوثيقة به، وتحتوي أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: تجلت أهمية السلفية الحقة وارتباطها بالإسلام الصحيح من خلال النصوص التي تفيد تجديد دين الله على رأس كل مئة سنة بإحياء مذهب السلف القائم على الكتاب والسنة الصحيحة.

ثانياً: السلفية في اللغة: التقدم والسبق، وهي سابقةٌ معنى ومضموناً، ولها في الاصطلاح الشرعي معنيان: سلفية عصرٍ، وسلفية منهجٍ سائرٍ على نهج الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم - رضوان الله عليهم - .

ثالثاً: كل من حاد عن نهج السلف فقد غيَّر وبدَّل وأحدث في الدين ما ليس منه.

رابعاً: الانتساب للسلفية أمرٌ جائزٌ على الصحيح، وعليه عمل جمهور أهل الحديث بشروطه المطابقة لواقع التسمية.

خامساً: انتسب إلى السلفية جماعةٌ من الأئمة والعلماء، وكذلك انتسبوا إلى علم الأثر؛ فيقال: (السلفي) و(الأثري) وهذا منهم إقرارٌ بصحة هذا الانتماء واعتزازٌ به.

سادساً: علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة علاقة مباينة وافتراق؛ حيث إنهم لما حادوا عن السلفية أتوا بجماعاتٍ وتنظيماتٍ محدثة.

سابعاً: من أسباب ظهور الجماعات والأحزاب المعاصرة عدم رضاهم بمنهج السلف لأغراضٍ وأهواءٍ ومطامع دنيوية مقيتة.

ثامناً: أوصي بتدريس هذا المنهج الصافي في مادة مستقلة تسمى (منهج السلف).

تاسعاً: أوصي بالحذر من كل تجمعٍ له أفكارٌ مصادمة للدين الإسلامي الصحيح.

عاشراً: أوصي بتحصين الشباب بالعلم والعمل، وملازمة العلماء الصادقين الناصحين، المقتفين لآثار سلف الأمة، وإبعادهم عن كل محورٍ ومقامٍ قد يؤدي بهم إلى الانزلاق مع الأهواء المنحرفة.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه.

قائمة المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات) لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، ت: أنيس مهرة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢- الأعلام لخير الدين الزركلي ط: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢ م.

٣- ألفية الحافظ العراقي، ت: العربي الدائز الفرياطي، ط: مكتبة دار المنهاج، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام الزبيدي، ت: جماعة من المحققين، ط: دار الهداية.

٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بلا تاريخ.

٧- التحفة المرضية في نظم المسائل الأصولية على طريقة أهل السنة السنّية، للشيخ محمد الأثيوبي، ط: مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٨- تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي، ت: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩- تذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث السابقين واللاحقين للشيخ ربيع المدخلي، طبع ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، ط: دار الإمام أحمد ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٠- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

١١- التمسك بالمنهج السلفي للشيخ ربيع المدخلي، تعليق سماحة الشيخ ابن باز، طبع ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، ط: دار الإمام أحمد ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، ت: د. بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.

١٣- تهذيب اللغة للأزهري، ت: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت - ٢٠٠١م

١٤- تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، بلا تاريخ.

١٥- التيسير في القراءات السبع للإمام المقرئ أبي عمرو الداني، ت: أوتو يرتزل، ط: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، توزيع: مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٣٠هـ.

١٦- جماعة واحدة لا جماعات للشيخ ربيع المدخلي، تقديم الشيخ صالح الفوزان، طبع ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، ط: دار الإمام أحمد ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٧- حاشية الأصول الثلاثة للعلامة ابن قاسم الحنبلي، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ.

١٨- ديوان قيس بن الخطيم، ت: ناصر الدين الأسد، ط: دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

١٩- رفع أكف الضراعة في جمع كلمة أهل السنة والجماعة، تأليف د. محمد محروس المدرس الأعظمي، الطبعة الثانية، بلا تاريخ.

٢٠- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الفكر، بلا رقم ولا تاريخ.

٢١- سنن ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ط: دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بلا رقم ولا تاريخ.

٢٢- سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، بلا رقم ولا تاريخ.

٢٣- سنن الدارمي ط: دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٢٤- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناءوط، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.

٢٥- الشاطبية في القراءات السبع للإمام الشاطبي، ت: محمد تميم الزعبي، ط: مكتبة دار الهدى، المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٢٦- الصحاح للجوهري تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٢٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان البستي، ت: شعيب الأرناءوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٨- صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ- وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، بلا تاريخ.

٣٠- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي و د.عبد الفتاح محمد الحلو، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣١- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني، ت: د. ناصر الجديع، ط: دار العاصمة، السعودية ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٣٢- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٣- لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ط: دار صادر، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأولى، بلا رقم ولا تاريخ.

٣٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع العلامة ابن قاسم وابنه محمد، ط: دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣٥- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ت: د. عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت، ٢٠٠٠م

٣٦- المخصص لابن سيدة، ت: خليل إبراهيم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٧- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط: مؤسسة قرطبة – القاهرة، وهي الطبعة الميمنية المعروفة عند أهل العلم، بلا تاريخ.

٣٩- المصباح المنير شرح غريب الرافعي الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط: المكتبة العلمية، لبنان ـ بيروت، بلا تاريخ.

٤٠- معارج القبول شرح سلم الوصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، ط: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

٤١- معاني القرآن للفراء يحيى بن زياد الفراء، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٤٢- مقاييس اللغة لابن فارس ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.



السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

الطالب: فاديغا محمد محمود

في المعهد العالي للقضاء - قسم الفقه المقارن

مرحلة الدكتوراه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرورر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاَ الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين الحمد لله القائل في محكم التنزيل :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)الآية.[1] والصلاة والسلام على أصدق القائلين((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)) [2] وعلى آله وصحبه ومن اقتفى آثارهم إلى يقوم الناس لرب العالمين.

لقد خلق الله الخلق وفضل بعضهم على بعض فضل الأزمنة بعضها على بعض، كذلك شرف الأمكنة بعضها على بعض، كما ميز بني آدم بعضه على بعض، مما لا يشك فيه أحد و لا يماري مراء على أفضلية السلف على الخلف، وأنهم أكثر عملا وأقل كلاما بخلاف الخلف، وأنهم بذلوا الغالي والنفيس من أجل إيصال هذا الدين إلى الخلف نقيا صافيا دون أن يشوبه أية شائبة وكما

---

(١)الأحزاب/٢١

(٢) فتح الباري/كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب قول النبي(ﷺ) يسأل مما لم ينزل عليه الوحي/ج- ١٣ص/٢٩٢

روي ابن مسعود- رضي الله عنه- ((من كان مستنا فليستن بالسلف فإن الخلف لا يؤمن عليه الفتن). [1]

وأية أمة ترنو وراء المجد ولها طموح الرقي إلى قمم الجبال فلن تحقق هذه الأمنية والوصول إلى هذه الغاية إلا بالاستتار بسير سلفها يقول الإمام مالك- رحمه الله- : ((لايصلح هذه الأمة إلا بما صلح أولها))

وقد قيل قديما : ((أية امة لا تاريخ لها فلا مجد لها)) ويقول الإمام الشاطبي- رحمه الله- ((من أخذ بالأصل الأول واستقام فيه كما استقاموا فطوبى له)). [2]

بدأت بعض المفاهيم الخاطئة حول مفهوم السلفية ، والتصرفات الهمجية من بعض الذين يدعون الانتساب السلفية وناهيك عن وجود بعض الأفكار الهدامة يريدون إلصاقها بالسلفية ؛ لهذا كله أجد الحاجة ملحة إلى عناية بهذا الموضوع ، وإقامة مثل هذه الندوة المباركة ، وإلى توفير الدراسات حول مثل هذه القضية من أجل انجلاء الحق وإبطال الباطل ، وقد قيل : ((يد الحق يصدع رداء الشك)). [3]

وددت الاشتراك قاصدا بذلك ابتغاء الله- عز وجل- ، ولأغترف من معين مشايخي والاستفادة منهم ، ومن ثم وقع اختياري على هذا المحور بين المحاور المدروسة ألا وهو : ((مصطلح السلفية حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح)).

---

(١) شرح السنة للبغوي/باب رد البدع والأهواء /ج- ١ص/٢١٤

(٢) الموافقات/ج- ٤ص/٢٣٩

(٣)المقامات الحريري/ص- ٥٧٤

لقد ارتأيت دراسة هذا الموضوع وفق الخطة الآتية :

مقدمة ، وتمهيد ، وفصل

المقدمة : تشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره.

التمهيد : يشتمل على مفردات الموضوع.وفيه مبحثان :

المبحث الأول/تعريف السلفية لغة.

المبحث الثاني/ تعريف السلفية اصطلاحا.

الفصل يحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول/ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح.

المبحث الثاني/حكم الانتساب إلى السلفية.

المبحث الثالث/السلفية ، وعلاقتها بالجماعات والأحزاب الأخرى المعاصرة.

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف السلفية عند اللغويين:

((سلف))السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك السلف: الذين مضوا والقوم السلاف: المتقدمون والسلاف: السائل من عصير العنب قبل أن يعصر.والسلفة: المعجل من الطعام قبل الغداء. [1]

((سلف)) وقال الليث: الأمم السالفة الماضية أمام الغابرة وتجمع سوالف.

وأنشد في ذلك:

ولاقت مناياها القرون السوالف... [2]

سلفية(مفرد):

١- اسم مؤنث منسوب إلى سلف٢- مصدر صناعي من سلف: قدم وعراقة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة/ج٣/ص/٩٥/باب السين واللام والفاء.

(٢) تهذيب اللغة/ج- ١٢ص/٢٩٩/باب السين واللام.

المبحث الثاني: تعريف السلفية عند الشرعيين:

((ماكان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية....)). [١]

(١) لوامع الأنوار إلهية ج/١ ص/٢٠- ٢١

الفصل الأول

السلفية والإسلام الصحيح، والانتساب إليها وعلاقتها بالأحزاب المعاصرة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/تعريف الإسلام:

لغة: الانقياد وشرعا: استسلام العبد لله ظاهرا وباطنا بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فيشمل الدين كله.[١] والدليل على ذلك من الكتاب والسنة:

١- من الكتاب:

قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينً) [٢] جاء في تفسير الطبري((يعني بذلك جل ثناؤه ورصيت لكم الاستسلام لأمري والانقياد لطاعتي، على ماشرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه(دينا) يعني بذلك طاعة منكم لي.[٣] وقوله تعالى: (إِنَّ

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية /ج/١ص/١٠٧

(٢) المائدة/٣

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن/ج- ٩/ص- ٥٢٢

الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [1] قال الإمام البغوي- رحمه الله- : ((الإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم أي دخل في السلم واستسلم قال قتادة في قوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام)قال: شهادة أن لاإله إلاَ الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياؤه، ولا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به. [2]

وقوله: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)الآية. [3]

٢- من السنة:

روى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال بينما نحن عند رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي(صلى الله عليه وسلم)فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا...))الحديث. [4]

---

(١)آل عمران/١٩

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ج- ١/ص- ٤٢١

(٣) آل عمران/٨٥

(٤) ابن ماجه/كتاب الإيمان وفضل الصحابة والعلم/باب في الإيمان/ج- ١/ص- ٢٤/رقم الحديث- ٦٣- السنن الكبرى /كتاب الحج / باب إثبات فرض الحج على من استطاع

يقول الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد- رحمه الله تعالى- ((والتابعون على منهاج النبوة نسبوا إلى نسبوا إلى سلفهم الصالح ...)). [1]

ويقول الدكتور با كريم محمد با عبد الله: ((والواقع أننا إذا عرفنا أن أتباع السلف أو السلفية كما يعبر البعض إنما هي دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، دعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على رسول الله- صلى الله علية وسلم- وتلقاه عنه أصحابه الكرام- رضوان الله عليهم- ....)). [2]

هذه هي السلفية الحقيقية التي تلقاها السلف الصالح –رضوان الله عليهم- من رسول الله - صلى الله علية وسلم- ؛ لأن السلفية هو العمل بالكتاب والسنة على ضوء ما علَمهم الرسول - صلى الله علية وسلم- فما كان عليه الصحابة الكرام والتابعون وتابع التابعين، وأئمة الدين، ومن اقتفى آثارهم فهو الإسلام الذي جاء به رسول الله- صلى الله علية وسلم- .

ويقول الإمام الشاطبي –رحمه الله تعالى- ((والسلفية بهذا المفهوم الصحيح الذي هو العمل بالكتاب والسنة تحول في تاريخ الإ نسان من حال الهمجية والفوضى، والضلال إلى حال التهذيب والهدي، والإدراك لمعنى

إليه/ج- ٤/ص- ٥٣٢/رقم الحديث- ٨٦١٠- مسند الفاروق لابن الأثير/كتاب الإيمان /ج- ٢/ص- ٦٣١/صححه الألباني.

(١) حكم الانتماء/٣٦

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق/ج- ١/ص- ١٠٩

الحق والواجب، والرعاية لحقوق الله، وذلك كله كان بالشرع، فا نحفظت الأديان والدماء والعقل والأ نساب و الأموال)). [1]

بعد إثبات بأن السلفية الحقة هو الشرع الذي أتى به رسول الله- صلى الله علية وسلم- أود من خلال هذا أن أورد بعض أوجه الارتباط بينهما ؛ليتجلى مدى صلتهما ببعض ، وأنهما من نسيج واحد، ومعين واحد وهو الوحي الرباني.

(١) كتاب الاعتصام/ج١/ص١١٣

المطلب الثاني : بعض أوجه الارتباط بينهما :

١- التركيز على الكتاب والسنة في الدعوة ؛ لأنهما أصلين اللذين لا يأتيهما الباطل ، وأيضا هما مصدران ربانيان لا يشوبهما أية شائبة ، واتى الأمر الرباني بالرجوع إليهما في قوله تعالى(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)[١] وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[٢] قال الإمام الطبري- رحمه الله- : يعني بذلك جل ثناؤه(• يايها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فينما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه ، وأطيعوا رسوله محمد- صلى الله علية وسلم- فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة ، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته.[٣]

والسلف- رضوان الله عليهم- هم الذين عايشوا التنزيل ، وقد أمرنا الرسول- صلى الله علية وسلم- باتباع طريقتهم((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرشدين المهديين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور...).[٤]

---

(١)الأحزاب/٣٦

(٢) النساء/٥٩

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن/ج- ٨/ص- ٤٩١

(٤) فتح الباري/كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب قول النبي(') يسأل ممالم ينزل عليه الوحي/ج- ١٣/ص- ٢٩٢.

ويقول الإمام الشاطبي- رحمه الله- في هذا السدد: ((فالقرآن إنماهو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة مبنية له فالمتبع للسنة متبع للقرآن.والصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا أولى الناس بذلك)). [1]

٢- العناية بالعقيدة قولا وعملا ظاهرا وباطنا؛ لأن من أجلها خلق الجن والإنس، وقال تعالى: (. وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)وأيضا(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) الآية. [2] قال شيخ ابن عطية- رحمه الله- :((اختلف الناس في معناه مع إحماع أهل السنة أن الله تعالى لم يرد أن تقع العبادة من الجميع؛ لأنه لو أراد ذلك لم يصح وقوع المرء بخلاف إرادته، فقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- المعنى: ما خلقت الجن و الانس إلا لأمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية، فعبر عن ذلك بقوله ليعبدون إذ العبادة هي مضمن الأمر. [3]

لقد مكث رسول الله- صلى الله علية وسلم- في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى ترسيخ هذه العقيدة، وقال عليه الصلاة والسلام في هذا((أمرت أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله...)). [4]

٣- نبذ البدعة، الإنكار عليها بأسلوب حكيم؛ لأ ن تركها وتبصير الناس بحقيقتها والنهي عنها فبهذا وحده يتم إحياء الدين الصحيحة ويقضي

(١) كتاب الاعتصام/ج- ٢/ص- ٢٥٢

(٢) الذاريات/٥٦

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ج- ٥/ص- ١٨٢

(٤) البخاري/كتاب الزكاة/باب وجوب الزكاة/ج- ٢/ص- ١٠٥/رقم الحديث- ١٣٩٩

على ما شوهه من الأهواء الباطلة، وعلى رأس ذلك هو أمر رباني ؛لقوله تعالى: (**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**)الآية. [1] قال الإمام ابن كثير- رحمه الله- :((أي اقتفوا آثار النبي - صلى الله علية وسلم- الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شئ ومليكه ولاتخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره)) [2]

وقوله تعالى: (**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)الآية. [3] قال الطبري يقول- سبحانه وتعالى- :((لنبيه محمد- صلى الله علية وسلم- قل: يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء على توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء على طاعة وترك معصيته وطريقتي ودعوتي بذلك ويقين وعلم مني به أنا ويدعو إليه على بصيرة من تبعني وصدقني وآمن به.)) [4] ويقول الإمام محمد بن عبدا لوهاب- رحمه الله تعالى- :((يأمرنا الله سبحانه وتعالى بلزوم ما أنزل إلينا وترك البدع والتفرق والاختلاف، ودعوة إلى الله على بصيرة...)) . [5]

٤- التمسك بشعار الإسلام وأحكامه في العمل والسلوك:

---

(١) الأعراف/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم/ج- ٣/ص- ٣٨٧

(٣) يوسف/١٠٨

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن/ج- ١٦/ص- ٢٩١

(٥) بحوث ندوة دعوة السيخ محمد بن عبد الوهاب/ج- ١/ص- ١٩٨

قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)الآية. (١)

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ترك الحبل على الغارب يؤدي إلى الفوضى بكل أشكاله الديني والإ جتماعي والسياسي والنفسي بالإضافة إلى أن الأمر رباني .قال تعالى: (. وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.)الآية. (٢)

٦- السمع والطاعة لولاة الأمور:

يقول الله- عز وجل- :(...أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..)الآية. (٣) قال الإمام البغوي- رحمه الله- :((اختلفوا في أولي الأمر قال ابن عباس وجابر- رضي الله عنهم- هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وأولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وقال أبو هريرة- رضي الله عنه- :هم الأمراء والولاة، ودليله قوله- صلى الله علية وسلم- :من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني)). (٤)

---

(١) الحج/٤١

(٢) آل عمران/١٠٤

(٣) النساء/٥٩

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ج- ١/ص- ٤٨٦

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى- ((...وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم، والرسول- صلى الله علية وسلم- قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، واخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي...)).[1]

---

(١) بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ج- ١/ص- ١٩٩بتصرف

المبحث الثاني: حكم الانتساب إلى السلفية:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول/حكم الانتساب:

يقول الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد- رحمه الله تعالى- :((والتابعون على منهاج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك فقيل ((السلف والسلفيون والنسبة إليهم سلفي بدليل أن هذا اللفظ عند الإ طلاق يعني كل سا لك في الا قتداء للصحابة- رضي الله عنهم- حتى ولو كان في عصرنا....)). [(١)]

ويقول الدكتور غالب بن علي عواجي((...ومذهب السلف والانتساب إليه أمر لا غبار ولا اعتراض عليه وأنه لا يحق لأحد الانتساب إليه إلاَ إذا كان متبعا قولا وفعلا ظاهرا وباطنا كما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، وأما من حاد عنهم إلى كلام الفلاسفة، وعلماء الكلام، وإلى اتباع العقل دون الالتفات إلى النصوص فهو ليس على طريقتهم وإن انتسب إليهم...)). [(٢)]

ويقول الدكتور محمد باكريم محمد باعبد الله: ((والواقع أننا إذا عرفنا أن اتباع السلف أوالسلفية كما يعبر البعض....فلاشك أن هذه الدعوة حق والانتساب إليها حق فلا ضير في الانتساب إلى السلف والاعتزاء إليهم حينئذ...وهو قول أكثر الأئمة مثل: الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابوبكر محمد بن اسحاق بن خزيمة والإمام أبوبكر محمد بن الحسن الآجري والإمام أبو

---

(١) حكم الانتماء/ص- ٣٦

(٢) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها/ج- ١/ص- ١٠٧

القاسم هبة الله بن الحسن اللآكائي والإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ محمد بن عبد الوهاب وكثير من العلماء المعاصرين مثل : الشيخ عبد العزيز ابن الباز والشيخ محمد ابن عثمين والشيخ الألباني - رحم الله الجميع - ...)). [(١)]

المطلب الثاني : الأدلة على ذلك من الكتاب كثيرة منها :

قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**)الآية. [(٢)]

وقوله تعالى : (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**)الآية. [(٣)]

قال الإمام البغوي : ((والمعنى أن يريد غير ما أراد الله ، أو يمتنع مما أمره الله ورسوله...)). [(٤)]

وقوله تعالى : (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)الآية. [(٥)]

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق/ج- ١/ص- ١٠٩ بتصرف.

(٢) النساء/٥٩

(٣) الأحزاب/٣٦

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ج- ٣/ص- ٥٤١

(٥) آل عمران/٣١

ويقول الإمام ابن كثير- رحمه الله- هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من إدعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله- صلى الله علية وسلم- أنه قال((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)). (١)

وجه الاستدلال من هذه الآيات: هذا أمر من الله- عز وجل- للمؤمنين والمؤمنات بالرجوع إلى كتابه وسنة رسوله في أمور الدين كله وهو منهج السلف الصالح- رضي الله عنهم- فكان الانتساب إلى منهجهم لازما.

المطلب الثالث: من الأدلة على ذلك من السنة:

قوله- صلى الله علية وسلم- :((..ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي...))الحديث. (٢)

وقوله - صلى الله علية وسلم- ((:..عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ...))الحديث. (٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم/ج- ٢/ص- ٣٢

(٢) سنن الترمذي/باب ماجاء في افتراق الأمة/ج- ٥/ص- ٢٦/رقم الحديث- ٢٦٤١ هذا حديث مفسر غريب لانعرفه مثل هذا إلاَ من هذا الوجه- وجاء في تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج/بلب الحادي والستون/ج- ١/ص- ٧٠ هذا سند واه كثير ضعفوه، وعن عبد الله بن يزيد بن آدم قال أحمد: أحاديثه موضوع.

(٣) سبق تخريجه

وقوله- صلى الله علية وسلم- : ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))الحديث.[1]

هذه الأحاديث بمجموعها تدل دلالة واضحة على وجوب إ تباع سنته- صلى الله علية وسلم- وسنة خلفائه ، والاقتداء بهدي أصحابه الكرام- رضوان الله عليهم أجمعين- وتلك طريقة السلف الصالح ؛ فجاز الانتساب إليهم.

المطلب الرابع: من الآثار الدالة عليه:

قول ابن مسعود- رضي الله عنه- ((من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه أولئك أصحاب محمد- صلى الله علية وسلم- كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبته لإ قامة دينه وعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)).[2]

بعد إيراد وسرد هذه الأدلة وأقوال بعض العلماء يتبين لي أن السلفية ليست حزبا ولا جماعة، ولا تعلقا بقوالب متحجرة، بل هي منهج حياة وفكر وعمل على نهج النبوة والسلف الصالح ؛ ولذا كان شعار السلف العمل، وليس بحفظ الأقوال، ولا بكثرة الرواية ، بالدليل أن عمر- رضي الله عنه قرأ قوله تعالى: (وفاكهة وأبا)الآية.فتسأل: هذه الفاكهة فما الأب، ثم استدرك فقال: ما أمرنا بهذا.

---

(١) جامع العلم وفضله/باب ذكر الدليل من أقاويل السلف.../ج- ٢/ص- ٩٢٣ضعيف ؛ لوجود عبد الرحيم بن زيد والكلام منكر وفيه مجهول.

(٢) شرح السنة للبغوي/باب رد البدع والأهواء/ج- ١/ص- ٢١٤

المبحث الثالث: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/حكم الولاء في الإسلام:

الواجب على كل مسلم أن يعطي ولاءه لله ورسوله والمؤمنين بهذا الدين وهذه الصفة الأولى للمؤمنين قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [1] فلا ولاء في الإسلام إلاَ على أساس الإسلام والدين ومنطلقاته النظرية والعلمية، وعليه فإن مبدأ انطلاق العلاقة عند السلفية بهذه الجماعات والأحزاب الأخرى، تنبني على عقيدة السلف- رحمهم الله- في العمل بالكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح، فإن كانوا كذالك فهم إخوان، فالواجب عليهم جميعا مناصحة بعضهم لبعض، وتواصي على الحق؛ لقوله تعالى: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)، [2] وأما إذا لم تلكم الجماعات والأحزاب مؤمنة بالله ورسوله ودين الإسلام، فالواجب هي دعوتهن إلى الإسلام، وبيان حقيقته لهن بأسلوب حكيم؛ لقوله تعالى: (. يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.) [3] ولقوله: (. ادْعُ إِلَى

---

(١) التوبة/٧١

(٢) العصر/١- ٣

(٣) المائدة/٦٧

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). [١]

المطلب الثاني: أبرز مقومات ذلك المنهج السلفي العظيم في التعامل مع المخالف:

١- الرسوخ في العلم فإنصاف المتعلمين يفسدون أكثر مما يصلحون.

٢- تحرير محل النزاع و الابتعاد عن الإجمال و الإبهام والتهويش على المخالف.

٣- العدل في الحكم على المخالف ولو جار عليك وظلمك قال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[٢] هذا مع أهل الملل فما بالك مع الفصائل الإسلامية الدعوية.

٤- حسن الظن بالداعية المسلم وحمل كلامه على ما أراد لا على ما تريد أنت من التشنيع عليه، وتحمل كلامه مالا يحتمل كلامه.

٥- الحرص على أن يكون القصد من الحوار جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم...

---

(١) النحل/١٢٥

(٢) الشورى/١٥

٦- المحافظة على بقاء الولاء والمناصرة، وألا تجعل الردود على المخالف وسيلة للقضاء على هذا الأصل العظيم؛ لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ). [1]

٧- الشهادة والاعتراف بما أحسن فيه المخالف وأجاد، ووافق الحق فيه؛ لقوله تعالى: (. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...) [2] ولا نتعامل مع بعضنا بالمبدأ اليهودي والنصراني الذي حكاه القرآن الكريم قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.) [3]

---

(١) الأنفال/٧٢

(٢) البقرة/١٤٣

(٣)البقرة/١١٢

الخاتمة

لقد توصلت إلى النتائج التالية :

١ - السلفية لغة : هم القوم المتقدمون ، وشرعا : التابعون على منهاج النبوة...

٢ - السلفية الصحيحة : هي الدعوة إلى الإسلام الحق ، وإلى السنة المحضة ، والعودة إلى الإسلام كما أنزل على رسول الله - صلى الله علية وسلم - .

٣ - حكم الانتساب إلى السلفية : لا بأس ولا ضير في الانتساب إلى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، والاعتزاء إليهم ؛ إذا كان سائرا على منهجهم ؛ لأن هذه الدعوة حق.

٤ - السلفية وعلاقتها بالجماعات ، والأحزاب المعاصرة :

تمر تلك العلاقة عبر القنوات التالية :

١ - مولاة كل مؤمن ومؤمنة بالله ورسوله - صلى الله علية وسلم - ودين الحق وحبه وبغضه فيه ، ومناصحة بعضهم لبعض ؛ لسير على الطريق المستقيم.

٢ - هداية وإرشاد غير المؤمنين بالله ورسوله - صلى الله علية وسلم - ودين الإسلام ؛ لإنقاذهم من النار.

٣ - ويتم تعزيز تلك العلاقة عبر ممارسة المقومات الأساسية لمنهج السلفي مع المخالف.

وصلى الله على محمد ، وآله وصحبه وسلَم.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاعتصام/المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي/
- تحقيق/سليم بن عبد الهلال/الناشر/دار ابن عفان- السعودية.ط/١
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب المشهور بابن عطية الأندلسي/تحقيق: عبد السلام بن عبد الشافي محمد/الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/ط- ١
- الموافقات/المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي/تقديم: د- بكر بن عبد الله أبو زيد/الناشر: وكالة شؤون المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/الناشر: مطبعة جامعة الإمام/ط- ١
- تفسير القرآن العظيم/المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي/تحقيق: سامي بن محمد سلامة/الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط- ١
- تهذيب اللغة/المؤلف: محمد بن أحمد الأزهري/تحقيق/محمد عوض مرعب/الناشر: دار إحياء التراث العربي.ط- ١
- جامع بيان العلم وفضله/المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي/تحقيق: أبي الأشبال الزهيري/الناشر: دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية/ط- ١
- جامع البيان في تأويل القرآن/المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري/تحقيق: أحمد محمد شاكر/الناشر: مؤسسة الرسالة /ط- ١
- حكم الانتماء/الؤلف: د- بكر بن عبد الله أبو زيد/الناشر: دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية الرياض.
- سنن ابن ماجه/المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله بن يزيد القزويني/تحقيق: فؤاد عبدالباقي/الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن الترمذي/المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك

- الترمذي/تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة/الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر/ط- ١
- شرح السنة/المؤلف: محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي/تحقيق: شعيب الأرنؤوط/الناشر: دار الفكر عام/١٢٩٩هـ- ١٩٧٩م
- فتح رب البرية بتلخيص الحموية/المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين/الناشر: دار الوطن للنشر- الرياض.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري/المؤلف: زين الدين عبد الرحمان أحمد بن رجب/تحقيق: محمود شعبان بن المقصود مجدي بن عبد الخالق الشافعي..../الناشر: مكتبة الأثرية المدينة المنورة/ط- ١
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها/المؤلف: د- أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة/الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر/ط- ٢
- معالم التنزيل في تفسير القرآن/المؤلف: محي السنة أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي/تحقيق: عبد الرزاق المهدي/الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت/ط- ١
- معجم مقاييس اللغة/المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء/تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون/الناشر: دار الفكر عام/١٢٩٩م- ١٩٧٩م
- معجم اللغة العربية المعاصرة/المؤلف: د- أحمد مختار عبد الحميد عمر/الناشر: عالم الكتب /ط- ١
- لوامع الأنوار البهية، وصوامع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية/المؤلف: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد سالم السفاريني/الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق/ط- ٢
- وسطية أهل السنة بين الفرق(رسالة الدكتوراه)/المؤلف: محمد باكريم محمد باعبد الله/الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع/ط- ١



بحوث المحور الثاني



المنهج السلفي في الجماعة والإمامة وأثره على واقع المملكة العربية السعودية

تأليف وإعداد

أ. د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

رئيس المجلس التنفيذي لاتحاد جامعات العالم الإسلامي

السلفية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ، والعالم عامة والعرب خاصة يعيشون في جاهلية جهلاء وعصبية بغيضة ، فبعث الله رسوله وأخرجهم به من الظلمات إلى النور.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[(١)].

ولقد كانت الإمامة والجماعة واضحتي المعالم، بينتي المنهج، قويتي البنيان، مهابتي الجانب متينتى الأسس في صدر الإسلام، ثم وقع فيهما الانحراف، عبر جماعات متطرفة غالية، كان شرارتها وبدايتها فكر الخوارج، واستمر الأمر على ذلك حتى عصرنا الحاضر، الذي تفاعلت فيه الاتجاهات وتضاربت فيه التيارات وتصارعت فيه الجماعات بصورة لم يعرف لها التأريخ مثيلا ، ورغم هذا وذاك إلا أن الله جل وعلا بفضله ومنته هيأ لنا ولاية راشدة وأقام دولة عزيزة فتية قوية مهابة الجانب هي المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين وقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم تمثل الدولة الإسلامية الحقيقية المنطلقة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلف هذه الأمة بطريقة لا يعرف لها نظيراً في عالمنا المعاصر ورغم ذلك لم تسلم من حسد الحاسدين وحقد الحاقدين وفكر دعاة السوء وأرباب الضلال والفتنة

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٧.

الذين حاولوا ويحاولون جاهدين وبكل وسيلة وأسلوب ومنهج وطريقة النيل من جماعتها وألفتها وإمامتها والمتمثلة بولاة أمرها وحكامها الأماجد الأفذاذ.

وقد منّ الله علي و وفقني أن أكتب في أماكن متعددة وأزمنة مختلفة عن دعوة الإسلام إلى الاجتماع والجماعة وتحذيره من الخلاف والفرقة، وما يجب لولاة الأمر من الحقوق وما عليهم من الواجبات مستمدًا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة وما نقل عن التابعين وعلماء الأمة، ثم نظمتها وجمعتها في كتاب أسميته: (مفهوم الجماعة والإمامة ووجوب لزومهما وحرمة الخروج عليهما في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح) وذلك بياناً للحق والحقيقة في هاتين المسألتين المهمتين، ورداً على أهل الأهواء والتأويل والشبهة.

ثم شرفت هذه الجامعة العريقة جامعة المؤسس الأول لدولة السنة وحامية منهج السلف المملكة العربية السعودية بالموافقة السامية على إقامة الندوة المباركة "السلفية منهج شرعي ومطلب وطني" فلم يكن لي أن أتأخر عن المشاركة فيها، وهي الندوة العلمية التي تؤصل لهذا الأصل العظيم، وتبرز الركائز والمعالم والأسس السلفية التي تقوم عليها دولتنا المباركة ووطننا الحبيب المملكة العربية السعودية، وتجيب عن شبه المعارضين والمناوئين، وتميز المنهج في صورته الحقة، وتنفي عنه دخن الملبسين، وشبه المتطرفين، وتأويل الغالين، وقد وقع اختياري على ما يبرز البعد الشرعي والوطني في صورة الجماعة القائمة والمتمثلة في ولاة أمرنا الأماجد وشعبهم الوفي ورأيت أن يكون عنوانه "المنهج السلفي في الجماعة والإمامة وأثره على واقع المملكة العربية السعودية". سائلاً الله عز وجل أن يجعلها خالصة لوجهه، وأن ينفع

بها ، ويجعلنا ممن لزموا جماعة المسلمين ، وسمعوا وأطاعوا لولاة أمرهم بالمعروف ، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، ويجعل علمنا وعملنا خالصًا له سبحانه ، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

أ.د.سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل

المبحث الأول

مفهوم الجماعة ووجوب لزومها وحرمة الخروج عليها

المراد الشرعي بالجماعة:

قيل: هم القوم الذي يجتمعون على الاستمساك بالكتاب والسنة، ويؤثرون كلام الله تعالى على كلام كل أحد ويقدمون هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد.

وقيل: هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير يسمع له ويطاع.

مفهوم الجماعة:

الجماعة في الإسلام تطلق على مفهومين:

الجماعة الصغرى: جماعة الصلاة، وهي تتألف من إمام ومأمومين مأمورين باتباع الإمام ومتابعته قال رسول الله ﷺ، "إنما جعل الإمام ليؤتم به.."[(١)] كما يتحمل عنهم القراءة، لقوله ﷺ "من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة"[(٢)] ولذلك فإنهم يتبعونه في كل شيء، وهذه الجماعة دليل وتوجيه على الإمامة الكبرى، وتربية شرعية على لزومها، وطاعة ولي الأمر فيها، والالتزام بكل واجباتها.

الجماعة الكبرى:

هي التي ينتظم فيها أفراد الأمة إذا كانت مجتمعة، أو أفراد البلد الواحد فيما سوى ذلك، وهم مأمورون بالقيام بحقوقها وأداء واجباتها والانتظام فيها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إيجاب التكبير، وافتتاح الصلاة رقم الحديث(٧٣٤) ومسلم، كتاب الصلاة، باب أئتمام المأموم بالإمام، رقم الحديث (٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة، باب إذا قرأ الإمام فانصتوا، رقم الحديث (٨٥٠) وأحمد في المسند (٣٢٩/٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

أهمية الجماعة وضرورتها:

الجماعة ضرورة متحتمة؛ لأن الإنسان يوصف بالحرث، وله إرادة، ويحب ويبغض، وهذه الأمور لا يحققها الإنسان لوحده بل لا بد له ممن يعينه عليها، وهذه الجماعة لا بد لها من دين ونظام تجتمع عليه، ولابد أيضاً من وجود من يسير هذا النظام وهو ولي الأمر. والناس لا يستقلون بجلب منفعة ما يحتاجون إليه أو دفع مضرته، وهذا دينهم العام الذي يشتركون فيه، وأما اختصاص كل واحد منهم بمحبة ما يأكله ويشربه فهم يشتركون في نوعه لا في شخصه، ولذا فإن الأمور التي يحتاجونها لا بد أن يوجبوها على أنفسهم إن كانت نافعة ومحققه لمصلحتهم أو يحرموها إن كانت ضارة، وهذا هو دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم على ذلك وهو التعاقد والتعاهد. وهذا قد يكون ديناً باطلاً فاسداً عند رجحان المفسدة، وقد يكون حقاً عند رجحان المنفعة.

وهذا الاجتماع لا يكون إلا باجتماعهم على أمير لهم يسمعون له ويطيعون، و تكون له الغلبة والسلطة عليهم حتى يدفع بعضهم عن بعض، فلا يضر أحدهم غيره بعدوانه.

الجماعة حفاظ على الهوية:

فمبدأ وجود الجماعة يدل على وجود الهوية الإسلامية، وفقدها فقد للهوية، بل إن الإسلام لا يوجد إلا بالمجتمع المسلم، ولا مجتمع إلا بالجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بطاعة.

قال عمر – رضي الله عنه- : "إنه لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلاّ بطاعة".[1]

(١) أخرجه الدرامي في سننه، (١/ ٩١).

أساس الجماعة:

أساس الجماعة وأصل الائتلاف المانع من الوقوع في إرهاب الفتن هو التوحيد وإخلاص العبادة لله المؤدي إلى تطبيق شريعة الله.

حكم لزوم جماعة المسلمين:

واجب شرعي دل عليه الكتاب والسنة والعقل.

حكم الخروج على جماعة المسلمين:

يحرم الخروج على جماعة المسلمين لأي سبب من الأسباب وبأي وسيلة من الوسائل قولية أو فعلية، لأن في ذلك تفريقاً وتمزيقاً للأمة والمجتمع ومخالفة صريحة للكتاب والسنة.

الأدلة على وجوب لزوم الجماعة وحرمة الخروج عليها من القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا.."[١] فقوله" بحبل الله" فسر (الحبل) بالجماعة، وقد جاء في حديث افتراق الأمة: "وما هذه الواحدة؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وقال: الجماعة وقرأ الآية"[٢].

وقوله "ولاتفرقوا" أي التفرق الذي لا يتأتى معه الائتلاف كالافتراق بالفتن وفي العقائد.

٢ - قوله تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين.."[٣].

٣ - قوله تعالى: "ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.."[٤].

---

(١) آل عمران: ١٠٢- ١٠٣.

(٢) سيأتي تخريجه ص ١٢.

(٣) سورة النساء: ١١٥.

(٤) سورة الروم ٣٠- ٣٢.

٤- قوله تعالى: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء"[(١)].

٥- قوله تعالى: "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.."[(٢)].

٦- مخاطبة الله للمؤمنين بلفظ الجمع "يا أيها الذين آمنوا"[(٣)].

الأدلة من السنة النبوية:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الكتاب تفرقوا قبلكم على اثنين وسبعين فرقة في الأهواء وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة"[(٤)] وفسرها صلى الله عليه وسلم بقوله: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"[(٥)].

٢- حديث حذيفة –رضي الله عنه- : "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ . قَالَ: ((نَعَمْ)) .فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ . قَالَ: ((نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ)) . قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ ؟ . قَالَ: ((قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)). فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟. قَالَ: ((نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)).

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٠٢.

(٤) أخرجه أحمد في "المسند" (١٠٢/٣)، وابو داوود في "سنن" كتاب السنن، باب شرح السنه، رقم الحديث (٤٥٩٧)، وأبي عاصم في السنن (٧/١)، وصححه الشيخ الألباني في "ظلال المبنى في تخريج السنة" والحاكم المستدرك: (٢١٨/١).

(٥) أخرجه الترمذي في سنن، كتاب الإيمان، باب ماجاء في افتراق هذه الأمه، رقم الحديث (٢٦٤١)، والحاكم المستدرك: (٢١٨/١) من حديث عبدالله بن عمرو والضبراني في "المعجم الصغير" (٢٩/٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: ((نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)). قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟. قَالَ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمَينَ وَإِمَامَهُمْ)). فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟.قَالَ: ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"(١).

وقفات مع هذا الحديث:

- جواز سؤال الإنسان عما يخافه من الشر والفتنة وذلك لعدم الوقوع فيها.
- جواز اعتراف الإنسان بما كان عليه من الخطأ والجهل، وهذا دليل على حكمته وكياسته وفطنته وحرصه على الحق والعمل به.
- أن الإسلام دين هداية وخير وفلاح "فجاءنا الله بهذا الخير".
- أن الخير والشر يتصارعان ويتجاذبان، فكل منهما يحاول كسب الأطراف، ولكن كما قيل: الحق أبلج والباطل لجلج.
- أن أول هذه الأمة خير من آخرها.
- أن الشر يتمثل في وجود دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، والواقع يصدق ذلك، وما أكثرهم في زماننا هذا؟ دعاة غلو وإفراط، ودعاة جفاء وتفريط.
- وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند ظهور هؤلاء الدعاة الواقفين على أبواب جهنم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوه في الإسلام، رقم الحديث (٣٦٠٦)، ومسلم كتاب الإماره، باب وجوب ملازمه جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعه ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٤٧).

- إن لم يكن ثمَّ جماعة ولا إمام فيجب اعتزال هذه الجماعات المخالفة للكتاب والسنة والحذر من دعاة جهنم.
- أن هذه العزلة ليس هذا زمانها فجماعة المسلمين قائمة وإمامهم قائم في المملكة العربية السعودية.

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية"(١).

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: "من نزع يداً من طاعة لم تكن له حجة يوم القيامة ومن مات مفارقاً للجماعة فإنه يموت موت الجاهلية"(٢).

٥- قوله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة فقد خلع رِبقْةَ الإسلام من عنقه"(٣).

٦- قوله صلى الله عليه وسلم: "إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"(٤).

٧- قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضي لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم"سترون بعدي أمور تنكرونها" رقم الحديث (٧٠٥٤)، ومسلم، كتاب الإماره، باب وجوب ملازمه جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإماره، باب وجوب ملازمه جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٥٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (١٨٠/٥)، وأبو داوود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، رقم الحديث (٤٧٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم الحديث (١٨٥٢).

بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال"[1] وزاد أحمد: "وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم".

٨- قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"[2]. قال الإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله- : "لم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بالإخلال بهذه الثلاث أو بعضها".

٩- قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث وذكر منها التارك لدينه المفارق للجماعة"[3].

١٠- قوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية .. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"[4].

---

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" (٢/٩٩٠)، وأحمد في المسند (٢/٣٦٧)، ومسلم "في صحيحه"، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن صنع وهات، رقم الحديث (١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٥/١٨٣)، والترمذي في "سنن"، كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث (٢٦٥٨)، من حديث ابن مسعود، وابن ماجه في "سننه"، المقدمة، باب من بلغ علماً، رقم الحديث(٢٣٠)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى (أن النفس بالنفس والعين بالعين)، رقم الحديث (٦٨٧٨)، ومسلم كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح من دم المسلم، رقم الحديث (١٦٧٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٤٨).

١١- قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تسأل عنهم وذكر منهم: "رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً.." "[١].

١٢- قوله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله عز وجل ولا وجه له عنده"[٢].

١٣- قوله صلى الله عليه وسلم: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب"[٣].

١٤- قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد"[٤].

الأدلة من الآثار:

١- قال عمر- رضي الله عنه- : "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"[٥].

٢- وقال الأوزاعي رحمه الله : "كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٩/٦)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٠٧/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٣٨٧/٥)، والحاكم في "المستدرك" (١١٩/١)،= =وقال: ((هذا حديث صحيح)) ووافقه الذهبي في "التلخيص": انظر: "تلخيص المستدرك" (١٦٩/١) وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": "رواه أحمد، ورجاله ثقات".

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (٣٧٥،٢٧٨/٤) والشهاب في "مسنده" (٤٣/١) وابن أبي النسب في كتاب "الشكل"، ص٢٥ من حديث النعمان ابن بشير.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (٢٤٣،٢٣٢/٥) والطبراني في "المعجم الكبير" (١٦٤/٢٠).

(٥) أخرجه الترمذي في ، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥) مرفوعتا، وصححه الألباني في "صحح الجامع" برقم (١٧٥٨).

الجماعـة، واتبـاع الـسنة، وعمـارة المـساجد، وتـلاوة القـرآن، والجهاد"[1].

٣- أجاب ابن عمر- رضي الله عنهما- على رجل كتب إليه يسأله عن العلم قائلاً: "إنك كتبت إلي تسألني عن العلم، والعلم أكبر من أن أكتب به إليك، ولكن إن استطعت أن تلقى الله وأنت خفيف الظهر من دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لجماعتهم فافعل"[2].

٤- وقال نعيم بن حماد- رحمه الله- : "إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة"[3].

الدليل العقلي:

يدل العقل السليم على أن الجماعة حق، والفرقة زيغ، وأن الجماعة أمر ضروري لازم لأي أمة؛ لأن الإنسان مهما أعطي من قوة لا يمكن أن يعيش وحده ويحقق مصالحه الدينية والدنيوية بأي حال وأي مكان إلا بوجود جماعة يسند بعضهم بعضاً.

ويكون لزوم الجماعة بأمرين:

١- بالاجتماع على دين الله عقيدة ومنهجاً وعملاً وسلوكاً على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

٢- بلزوم إمام المسلمين، وبذل حقوقه، وعدم نكث البيعة فضلاً عن الخروج عليه، فكل داعية بدعة أو خارج على الجماعة فهو منابذ لها واقع في الفتن.

---

(١) أخرجه اللالكائي في "السنن" (١/ ٦٤).

(٢) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق" (٥٢/ ٢٥٦)، (٣١/ ١٧٠).

(٣) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق" (٤٦/ ٤٠٩).

المبحث الثاني

مفهوم الإمامة ووجوب لزومها وحرمة الخروج عليها

الإمامة: هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به.[1]

أنواعها:

الإمامة الصغرى: وهي إمامة الصلاة، وهي دليل على الإمامة الكبرى وتربية عليها وتوجيه لها.

الإمامة الكبرى: وهي الإمامة التي يوصف بها ولي أمر المسلمين أو الحاكم أو الأمير.

مكانتها في الدين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"[2] فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع".

وقال أيضاً – رحمه الله- : روي: (ستون عاماً بإمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام) والتجربة تبين ذلك.

وحكى ابن حزم – رحمه الله- اتفاق جميع أهل السنة والمرجئة والشيعة والخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي.

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الجهاد، باب على القوم يسافرون يؤمرون أحدكم رقم حديث أبي سعيد الخدري (٢٦٠٨)، ورقم حديث أبي هريرة (٢٦٠٩).

طرق ثبوت الإمامة:

أولاً: الاختيار:

والذي يقوم به هم أهل الحل والعقد، وهم العلماء والرؤساء ووجهاء الناس[1]، وهي الطريقة التي تمت بها تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقصة توليته مشهورة ولها صورتان:

١ - تعدد من اجتمعت فيه شروط الإمامة: فيختار أهل الحل والعقد واحداً منهم يقوم بالأمر كما حصل في بيعة أبي بكر رضي الله عنه، فكانت البيعة الخاصة لما بايعه عُمر رضي الله عنه وأهل الحل والعقد وكانت البيعة العامة على المنبر.

فوائد من البيعة العامة في قصة أبي بكر:

- أنه لا يشترط الاجتماع التام على اختيار خليفة، فلا تضر مخالفة بعض القوم كمخالفة سعد بن عبادة رضي الله عنه.
- أن البيعة تتم من قبل أهل الحل والعقد أولاً ثم تتم البيعة العامة.

٢ - اتحاد من اجتمعت فيه شروط الإمامة: وقد اختلف على قولين في انعقاد الإمامة له دون بيعة.[2]

ثانياً: العهد أو الاستخلاف:

وهو اختيار الإمام عند شعوره بقرب أجله أو لأي سبب شخصاً يراه أهلاً للخلافة والإمامة يعهد إليه بذلك من بعده، وقد حكي الإجماع على جواز الإمامة بعهد من قبله لأمرين:

- أن أبا بكر –رضي الله عنه- عهد بها إلى عمر رضي الله عنه.
- أن عمر –رضي الله عنه- عهد بها إلى أهل الشورى - رضي الله عنهم جميعاً- .

---

(١) أنظر "الأحكام السلطانية" للماوردي، ص٧، و"مآثر الأنافة" (١/ ٣٩).

(٢) انظر "مآثر الأنافة" (١/ ٤٧).

ولها صورتان:

١- أن يتحدد المعهود إليه بأن يعهد إلى واحد فقط، كما فعل أبو بكر – رضي الله عنه-

٢- أن يتعدد المعهود إليه بأن يكون اثنين فأكثر وهو على ضربين:

- أن يجعلها شورى بينهم لا يقوم فيها أحد على الآخر فيختارون من بينهم إماماً.

- أن يرتب الخلافة فيهم فيقول الخليفة بعدي فلان فإذا مات ففلان كما رتب النبي- صلى الله عليه وسلم- أمراء الجيش في مؤتة.[١]

ثالثاً: القهر والاستيلاء والغلبة:

وذلك إذا تصدى للإمامة من غير عهد ولا بيعة فتنعقد له الإمامة إذا استتب له الأمر وإن لم يكن جامعاً لشرائط الإمامة بأن كان فاسقاً أو جاهلاً لينتظم شمل الأمة.[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : "فمتى صار قادراً على سياستهم، إما بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله".[٣]

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- : "الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لايصح إلا بالإمام الأعظم".[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب المغازي"، باب غزوه مواته من أرض الشام، رقم الحديث (٤٢٦١).

(٢) أنظر "الأحكام السلطانية" ص١٢٣، "مأثر الأنافة" (٥٨/١)، "تحرير الأحكام" ص٥٥.

(٣) "منهاج السنن" (١٤٢/١).

(٤) "الدرر السنية" (٢٣٩/٧).

البيعة:

البيعة لغة: المبايعة والطاعة والمعاقدة والمعاهدة[1]. وذلك كأن الشخص يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر في المنشط والمكره.

ولابد منها لتنصيب الإمام من قبل أهل الحل والعقد ثم المسلمين عموماً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوه عنق الآخر".[2]

تحذير الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله- من التهاون في البيعة:

فقد سئل الشيخ - رحمه الله- عن بعض الناس الذين يقولون: إن البيعة للإمام الأعظم فقط وأنا لم أبايع وأن البيعة للملك وليست لإخوته فقال:

الرد على القول بأنها للإمام الأعظم فقط: لاشك أنا هذا خطأ، وإذ مات فإنه يموت موتة جاهلية؛ لأنه ليس في رقبته بيعة لأحد، فمن كان وليَّ الأمر في منطقة فهو ولي أمرها، ولو قلنا بغير ذلك لقلنا بأن الناس ليس لهم خليفة وكلهم يموت موتة جاهلية وهذا ضلال، فالأمة تفرقت من عهد الصحابة فكان ابن الزبير في مكة وبنو أمية في الشام، ومازال المسلمون يعتقدون أن البيعة لمن له السلطة في المكان الذي هم فيه ولا أحد ينكر ذلك، فالقائل بهذا القول "شاق لعصا المسلمين من جهة عدم التزامه بالبيعة، ومن جهة أنه خالف إجماع المسلمين من عهد قديم".

وأما قوله بأنه لم يبايع: فهذه دعوى جاهل، فإن الصحابة بايعوا أبا بكر عن طريق أهل الحل والعقد وليس عن طريق كل شخص، ثم أكد الشيخ رحمه

---

(١) "لسان العرب"، ماده "بيع" (٢٦/٨).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، برقم (١٨٤٤).

الله أنه بايع الملك خالد –رحمه الله- وبايع الملك فهد –رحمه الله- ولياً للعهد.

وقوله بأنه ما بايع لإخوة الملك: فيجاب عنه بأنه إذا بويع الإنسان بالإمرة على بلد ما ثم جعل له ولي عهد فإنه هو ولي عهده من بعده فإذا انتهت ولاية الأول صار الثاني ولي أمر دون مبايعة وإلا صارت فوضى.[1]

علاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم:

علاقة الحاكم بالمحكوم:

على الحاكم أن يراعي أحوال رعيته، وأن يبذل قصارى جهده لتحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية ويرحمهم ويحبهم ويخالطهم ويعاشرهم ويتفقد أمورهم.

علاقة المحكوم بالحاكم:

يجب على المحكوم الطاعة للحاكم في غير معصية، وتعظيم ولي الأمر واحترامه، وأن تكون المحبة والولاء والثقة هي أساس العلاقة فيما بينهم.

حقوق وواجبات الحاكم على الأمة:

١- بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً يقول الله –تعالى- "يأيها الناس أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[2]، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- "السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية".[3]

---

(١) قال الماوردي في "الأحكام السلطانية"، ص ٨ :- (وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الإتفاق على صحته).

(٢) (سورة النساء: ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية رقم الحديث (٧١٤٤) ومسلم، كتاب الإماره، باب وجوب طاعة الأمراء مع غير معصية وتحريمها في المعصية رقم الحديث (١٨٣٩).

٢- بذل النصيحة له سراً وعلانية لقوله صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة ثلاثاً قيل لمن يا رسول الله: قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".[(١)]

٣- نصرتهم ظاهراً وباطناً.

٤- معرفة عظم حقهم، فيعامله بما يجب له من الاحترام والإكرام

٥- إيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته.

٦- تحذيرة من عدو يقصده بسوء.

٧- إعلامه بسير عماله الذين هو مطالب بهم.

٨- إعانته على ما تحمل من أعباء مصالح الأمة.

٩- رد القلوب النافرة عنه إليه وجمع محبة الناس عليه.

١٠- الذب عنه بالقول والفعل والمال والنفس والأهل ظاهراً وباطناً سراً وعلانية.[(٢)]

حقوق الأمة على الإمام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سبعة يظلهم الله في ظله" وذكر منهم "..إمام عادل"[(٣)]، وقال صلى الله عليه وسلم "إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".[(٤)]

أ- الحقوق والواجبات الأساسية:

السعي إلى تحقيق مصالح الأمامة "إقامة الدين وسياسة الدنيا به".

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة رقم الحديث (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(٢) "تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام" لابن جماعة، ص (٦١- ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم الحديث (٦٦٠) .

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الإمارة، باب كراهه الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث (١٨٢٥).

المقصد الأول: إقامة الدين: وتتمثل في:

أولاً: حفظه: ويكون بالتالي:

١- نشره والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان.

٢- دفع الشبه والبدع والأباطيل ومحاربتها.

٣- حماية البيضة وتحصين الثغور.

ثانياً: تنفيذ الدين: عن طريق عدة أمور كذلك، منها:

١- إقامة الشرائع والحدود وتنفيذ الأحكام:

من جباية الزكاة، وتقسيم الفيء، وتنظيم الجيوش، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وإقامة الحدود والتعزيزات.

٢- حمل الناس عليه بالترغيب والترهيب:

المقصد الثاني: سياسة الدنيا بالدين:

والمراد به إدارة وتدبير جميع شؤون الحياة وفقًا لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها وفقًا لقواعد الاجتهاد السليم، وينتج عنه مقاصد فرعية:

١- القيام بحقوق العباد على اختلاف درجاتهم.

٢- جمع الكلمة وعدم الفرقة.

٣- عمارة الأرض لصالح الإسلام والمسلمين.

ب- الحقوق والواجبات الفرعية:

وهي من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به، مثل:

١- استيفاء الحقوق المالية لبيت المال.

٢- الاهتمام بأهل الحق والعدل المتبعين للكتاب والسنة على فهم السلف المبتعدين عن الفتن وإثارة الناس ونشر الفرقة.

٣- الإشراف على تدبير الأمور وتفقد الرعية.

٤- الرفق بالرعية والنصح لهم.

٥- القدوة الحسنة.

المبحث الثالث

منهج السلف الصالح في معاملة ولاة الأمور

إن الطرق والمناهج والأساليب الجديدة والتي اتخذها بعض الناس والجماعات المعاصرة لحل المخالفات الموجودة في المجتمعات بعيدة كل البعد عن منهج السلف الصالح وإذا أخذنا ما جاء في الكتاب والسنة تبين لنا بوضوح كيفية معاملة الحكام فقد ثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: " بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان".[(١)]

وكان الإمام أحمد - رحمه الله- يسمي المأمون أمير المؤمنين ويدعو له رغم ما حصل له منه من السجن والتعذيب، وكذلك تعامل الصحابة كأنس وابن عمر رضي الله عنهما مع الحجاج حيث كانوا يصلون خلفه ولا ينابذونه ولا يؤلبون الناس عليه، وكذلك فعل التابعون والعلماء المحققون من بعدهم.

أحكام أوامر ولاة الأمور:

قال الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - أحكام أوامر ولاة الأمر على أربعة أقسام هي:

الأول: ما لا تجوز طاعتهم فيه، وهو المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم" إنما الطاعة في المعروف"[(٢)]

الثاني: الأمر بما أمر الله به ورسوله من الواجبات فتجب طاعته من وجهين:

أ- أنها واجبة في الشرع.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "سترون بعدي أمورًا تشكرونها" رقم الحديث (٧٠٥٦،٧٠٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي، رقم الحديث (٤٣٤٠).

ب- أنها تزداد تأكيداً إذا أمر بها ولي الأمر.

الثالث:أن يأمر بعبادة غير واجبة لكنها مشروعة كالصيام لأجل صلاة الاستسقاء ؛ إذ إن دعاء الصائم مستجاب ، فطاعته لا تجب لأنها عبادة بين العبد وربه.

الرابع:أن يأمر بما فيه حفظ الأمن وصلاح المجتمع ، فهذه تجب طاعته ومن خالفه يكون عاصياً كأنظمة المرور.

الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - يحذر من الخروج على ولاة الأمر ويبين الموقف الشرعي من المنكرات فيقرر ما يلي :

١- الحذر من إثارة الناس على ولاة الأمر وإيغار صدورهم بسبب المنكرات ولنا فيما حدث في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما عبرة حيث كان بسبب ذلك.

٢- يكون الإصلاح بأن يُحّذر الناس من هذه المنكرات والمجتمع إذا صلح فإن ولاة الأمور جزء من المجتمع لا بد أن يصلحوا اختياراً أو اضطراراً.

٣- كما أن بعض الناس قد يهتم بالمعاصي ويترك الشرك الواقع في بلده وهو أعظم.

٤- أو يحاول بعضهم ترتيب الآيات كآيات الحكم بغير ما أنزل الله على هواه فيكفر كل نظام وهذا خطأ.

٥- حتى لو كان ولي الأمر كافراً فلا يعني ذلك إيغار الصدور عليه حتى يحصل القتل والتمرد والفوضى ؛ لأنه قد يكون أقوى ممن قام ضده فيحصل من القتل والفساد ما هو أعظم وأشد.

٦- يجب أن ينظر الإنسان بعين الشرع من جهة تكامل النصوص ، وبعين العقل والحكمة.

٧- كل مجتمع لا بد أن يكون فيه شيء من الفساد.

٨- يجب أن ينظر إلى محاسن ولاة الأمور وليس إلى مساوئهم فقط، كما أن بعض الأمور قد يكون الحاكم فيها معذوراً.

٩- سبب هذا الخطأ: الغيرة التي لم تتقيد بشرع ولا عقل، وإنما قادها الهوى.

الدعاء لولاة الأمور من النصيحة الواجبة:

قال الإمام البربهاري- رحمه الله- : " إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله".

وقال الفضيل بن عياض– رحمه الله- : "لو كانت لي دعوة مستجابة ماجعلتها إلا للسلطان".

وقال الإمام أحمد- رحمه الله- : "إني لأدعو له بالصلاح والعافية، ولئن حدث به حدث لتنظر ما يحل بالإسلام".(١)

وقال سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله- فيمن يمتنع عن الدعاء لولي الأمر: "هذا من جهله وعدم بصيرته، الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده .. والسلطان أولى من يدعى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة فالدعاء لهم من أهم الدعاء".(٢)

(١) "السنن" للخلال، (١/٨٤)، وقال المحقق: إسناد هذا الأثر صحيح.

(٢) "مجموع فتاوى ومقاولات "لسماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله- الجزء الثامن، السؤال الثامن.

المبحث الرابع

حرمة الخروج على ولي الأمر وخطورته

تجب طاعة ولي الأمر ويحرم الخروج عليه وإن كان فاسقاً أو ظالماً أو جائراً مهما كانت الدواعي والدوافع والأسباب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح وأقوال علماء الأمة.

جاء في الموسوعة الفقهية: " اتفقت الأمة جمعاء على وجوب طاعة الإمام العادل وحرمة الخروج عليه".[(١)]

الدليل من القران:

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" [(٢)] المقصود: بأولي الأمر: هم الحكام والأمراء، والطاعة تستلزم وتوجب عدم الخروج على ولي الأمر.

الأدلة من السنة:

وهي متعددة ومتوافرة منها:

١- قوله صلى الله عليه وسلم :"من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني".[(٣)]

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة".[(٤)]

---

(١) "الموسوعة الفقهيه الكويتية" (٦/٢٢٦).

(٢) (سورة النساء: ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام= =ويكتفى به برقم (٢٩٥٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٢).

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلاسمع ولاطاعة".(١)

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم".(٢)

٥- قوله صلى الله عليه وسلم: " من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية".(٣)

٦- قوله صلى الله عليه وسلم: " من فارق الجماعة شبراً فقد خلع رِبقَة الإسلام من عنقه"(٤).

٧- قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"(٥).

٨- قوله صلى الله عليه وسلم: " من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"(٦).

٩- قوله صلى الله عليه وسلم: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لانبي بعدي وستكون خلفاء

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سترون بعدي أموراً تنكرونها) برقم (٧٠٥٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، (٤٧٥٨).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، (١٨٥٣).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، (١٨٤٤).

تكثر، قالوا فماذا تأمرنا؟ قال: فو ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم"[١].

١٠- قوله صلى الله عليه وسلم: " اسمعوا و أطيعوا فإنما عليهم ماحملوا وعليكم ماحملتم"[٢].

١١- قوله صلى الله عليه وسلم: " من خرج على الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية"[٣].

الأدلة من الآثار:

وهي كثيرة جداً ومنها:

١- قول علي- رضي الله عنه- : " حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، وإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا ويطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا".[٤]

٢- قول أنس- رضي الله عنه- : "نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب".[٥]

٣ - قول الحسن- رضي الله عنه- : "الأمراء يلون من أمورنا خمسة: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، (٣٤٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، (١٨٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (١٨٤٨).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في ((جامع البيان)) (١٦٩/٧) وابن أبي شيبة في "المنصف" (٢١٣/١٢)، برقم (١٢٥٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في "السيب" (٤٧٤/٢)، برقم (١،١٥) وابن عبد البر في "التمهيد" (٢٨٧/٢١).وقال الألباني: "إسناده جيد".

يستقيم الدين إلا بهم و إن جاروا أو ظلموا والله لما يُصلِح الله بهم أكثر مما يفسدون".[1]

٤- قول سفيان – رحمه الله- : "يا شعيب، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل إمام بر وفاجر، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة تحت لواء السلطان جار أم عدل".[2]

٥- قول البربهاري – رحمه الله- : "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي وقد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته جاهلية، ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه وإن جار".[3]

٦- قول النووي – رحمه الله- : "فأما حديث "المفارق للجماعة" فيتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج".[4]

٧- قول ابن تيمية – رحمه الله- : "وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه".[5]

٨- قول الصابوني – رحمه الله- : "ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف".[6]

٩- قول الشوكاني – رحمه الله- : "لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا من الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة ولم يظهر منهم الكفر البواح".[1]

---

(١) ((جامع العلوم والحكم)) (٢/١١٧).

(٢) " شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة " للألكائي (١/١٥٤).

(٣) "شرح السنن" ص (٧٠).

(٤) "شرح النووي على صحيح مسلم" (١١/١٦٥).

(٥) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام" (٣٥/١٦).

(٦) "عقيدة السلف أصحاب المدينة" للصابوني. ص (١٠٦).

١٠- قول الشيخ محمد العثيمين- رحمه الله- : "فإنه يجب علينا طاعة ولاة الأمور وإن كانوا عصاة فنقيم معهم الحج والجهاد، وكذلك الجمع نقيمها مع الأمراء ولو كانوا فجاراً".(٢)

مفاسد الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم:

والمفاسد والأضرار والشرور والفتن المترتبة على الخروج عن طاعة ولي الأمر ومفارقة الجماعة كثيرة جداً نذكر منها الآتي:

١- وقوع الفتنة العامة في جميع طبقات المجتمع.

٢- سفك الدماء.

٣- استباحة الأموال.

٤- انتهاك المحارم والأعراض.

٥- انقطاع السبل.

٦- حصول فساد أعظم من الفساد الحاصل بظلم الأئمة.

٧- حصول فساد وشر بسبب الخروج أعظم من المصلحة المترتبة على الخروج.

٨- نقص الدين وعدم القيام بشرائع الإسلام.

٩ - تسلط الأعداء من الكافرين والمجرمين.

١٠- ضعف المسلمين وهوانهم على الكافرين والمجرمين.

١١- تفرقة المسلمين.

١٢- تفجير الممتلكات والمنشآت، وقتل الأبرياء، وخطف الآدميين والطائرات والسفن والسيارات.

---

(١) انظر بحث " طاعة ولاة الأمر وأثرها على الوقاية من الجريمة" ص (٨٢- ٨٤)حيث أورد الباحث كثيراً من هذه الأقوال.

(٢) "شرح العقيدة الواسطية "، ص (٦٥٩).

١٣- انتشار الجهل، ورفعة الجهال.

١٤- استبدال الأمن بالخوف والشبع بالجوع.

١٥- نقص العلم وغربة أهله.

١٦- ضعف الدين وغربته.

١٧- كل لون من ألوان الفساد العريض.

قال أيوب السختياني- رحمه الله- : "وفي القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث لا أعلم أحداً منهم قتل إلا قد رغب له عن مصرعه ولا نجا فلم يقتل إلا ندم على ما كان منه".[١]

وذكر أبو الحسن الأشعري- رحمه الله- خمسة وعشرين خارجياً كلهم من آل البيت لم ينجح أحد منهم.

أوصاف الخوارج والغلاة:

للخوارج و الغلاه أوصاف يلتقون فيها وتجمعهم يمكن حصرها فيما يلي:

١- يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أي لا يفقهونه، كما انتزعوا "إن الحكم إلا لله"[٢] من القرآن وحملوها على غير محملها.

٢- التكفير واستحلال الدماء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"[٣] وذلك بسبب تكفيرهم بالمعصية.

---

(١) "الطبقات" لابن سعد (١٨٨/٧)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٥١٣/٤).

(٢) (سورة الأنعام: ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٣٤٤)، ومسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٤).

أسباب ودوافع الخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم والوقوع في الغلو:

١- إتباع المتشابه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾[1]، وقال عمر رضي الله عنه: "سيأتيكم أناس يجادلونكم بشبهات القرآن الكريم فجادلوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله".[2]

٢- الجهل بالسنة ومعارضتها بالقرآن وعدم الأخذ بها: يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "لا ألفين أحدكم — لا أجدن أحدكم — متكئا على أريكته — على سريرة أو على كرسيه — يبلغه الأمر عني فلا يعمل به؛ فيقول: لم أجد هذا في كتاب الله، وأنا لا أعمل إلا بكتاب الله ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[3].

من روائع شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من الأئمة الأعلام والمحققين الربانيين الذين كان لهم اليد الطولى والباع المؤثر في التحذير من الفرقة والاختلاف وما ينتج عنه من التكفير والتبديع والتفسيق والفتن والأضرار والأخطار، كما كان يشدد على أهمية الجماعة والاجتماع ووجوب لزومهما والتعاون مع ولاة الأمور وطاعتهم وعدم الخروج عليهم ومما قال في ذلك:

١- كذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر به الله ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم- مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي أو قرفندي؟ فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان .. فيجب

---

(١) (سورة آل عمران: ٧).

(٢) أخرجه الدرامي على"سنن"، باب (١٧) التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنن برقم (١٢١) واللالكائي في "أعتقاد أهل السنة" برقم (٢٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤، ٤٦٠٥).

على المسلم أن يقول: أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- أوصاف أولياء الله: الإيمان والتقوى، والتقوى هي: فعل المأمور وترك المنهي عنه. والتقرب إلى الله يكون بالنوافل بعد الفرائض وهي درجة السابقين، والفرائض وهي درجة المقتصدين.

٣- ليس كل من أخطأ يكون كافراً أو فاسقاً فقد عفي عن الخطأ والنسيان.

٤- سبب تسلط الأعداء على الأمة هو التفريق الحاصل بين الأمة وعلمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها وذلك لتركهم ما أمر الله به حيث تقع البغضاء والعداوة بينهم، ومتى اجتمعوا صلحوا، وجماع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم يجب أن ينهى عن ذلك ويعاقب ولو بالقتل أو القتال.

٦- واجب ولاة الأمر والعلماء تجاه المسلمين أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر.

٧- أعظم المنكرات الشرك بالله، وقد حرم الله القتل بغير حق وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها.

٨- مذهب أهل السنة في التكفير: لايكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ولا يخرجونه من الإسلام بعمل ما لم يتضمن ترك الإيمان، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله الإيمان به فإنه يكفر به.

٩- كان ابن تيمية – رحمه الله- من أشد الناس نهياً عن تكفير المعين أو تفسيقه إلا إذا علم قيام الحجة الرسالية عليه التي من خالفها كان

كافراً تارة وفاسقاً تارة وعاصياً أخرى، وقد غفر الله لهذه الأمة خطأها سواء كان خطأ في المسائل الخبرية القولية أو المسائل العلمية.

١٠- الأعذار المانعة من التكفير هي: أنه قد لا تبلغه النصوص، وقد تكون لم تثبت عنده، وقد لا يكون تمكن من فهمها، وقد تعرض له شبهات يعذره الله بها، وكذا التأويل، والخطأ.

من أصول أهل السنة والجماعة:

١- صلاة الجمعة والأعياد والجماعات ولا يدعونها كما يفعل أهل البدع.

٢- إن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلِّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق.

٣- إن كان الإمام فاسقاً أو مبتدعاً فالصلاة مع غيره أولى، وأكثر العلماء يصححون الصلاة خلفه دون خلاف.

٤- إذ لم يكن إلا المبتدع أو الفاجر في صلاة الجمعة فهذه تصلى خلفه دون خلاف.

٥- يحب بعض أهل العلم إذا كثرت الأهواء ألا يصلي إلا خلف من يعرفه.

٦- لا يجوز تكفير المسلم بالذنب والخطأ كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة.

٧- أمرنا بقتال الخوارج وقاتلهم علي رضي الله عنه ولكن لم يكفرهم، ورغم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم إلا أننا لا نكفرهم فكيف بالطوائف التي اشتبه عليها الحق؟

٨- الأصل حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم قال صلى الله عليه وسلم "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة

يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا .."[1]، وقال " من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله"[2]، وقال: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".[3]

٩- إذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر لحاطب رضي الله عنهما : "دعني أضرب عنق هذا المنافق"، "إنك منافق تجادل عن المنافقين"، وكما قتل أسامة رضي الله عنه الرجل الذي نطق الشهادتين تأولاً منه أنه كاذب فلم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجب دية ولا كفارة، وكما تقاتل أهل الجمل وصفين.

١٠- هجر المظهر لبدعته أو فجوره إن كان في ذلك مصلحة راجحة كهجر المتخلفين عن غزوة تبوك.

١١- كره العلماء إعادة صلاة الجمعة التي صليت خلف الإمام الفاجر، بل قال الإمام أحمد رحمه الله من أعاد فهو مبتدع.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قوله صلى الله عليه وسلم :- (رب مبلغ أوعى من منافع)، برقم (٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبله، برقم (٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء برقم (١٢١) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم..(لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) برقم (٦٥) .



عقيدة السلف الصالح

في ولاة أمر المسلمين

تأليف

أ.د. أحمد بن يوسف الدريويش

وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لخدمة المجتمع وتقنية المعلومات

وأستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء بالجامعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إله الأولين والآخرين، الذي وعد عباده المؤمنين بالنصر والعزة والتمكين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسوله النبي الأمين، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد:

فإن الله أرسل نبيه محمداً - عليه الصلاة والسلام - بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وجعله قدوة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، وجعل أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وسار على نهجه واهتدى بهديه خيرة الخلق من الصحابة والتابعين، والذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته، وتمسكوا بسنته، وعضوا عليها بالنواجذ، وطبقوها في معتقدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم وأدائهم.. فصاروا هم الطائفة المنصورة، والفئة الناجية، لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله - تعالى - وهم على ذلك.

نسأل الله أن نكون نحن وإخواننا المسلمين عامة منهم، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

هذا وإن من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ومقتضياتها: الاعتقاد بوجوب نصب إمام للمسلين يأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، ويطيعونه

بالمعروف فيما هو من حقوقه وخصائصه ولوازم إمامته، ولو تعددت الأئمة في الأقطار، أو كانت إمامته أو ولايته مستندة إلى أسلوب الغلبة والقوة والظفر وحده، لقول الإمام أحمد- رحمه الله تعالى- :(من غلب عليهم بالسيف، حتى صار خليفة، وسمى أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، براً كان أو فاجراً)) أ. هـ[1]، وذلك اتقاءً للفتنة، وخشية من الانقسام والمنازعة والاختلاف بين المسلمين.

ولأهمية موضوع ولاية أمر المسلمين وعظيم شأنه، وبياناً لعقيدة السلف الصالح فيه، أحببت أن أكتب هذا البحث، لعلَّ الله- تعالى- أن ينفع به عموم المسلمين، وأن ينغرس في نفوس ناشئتنا بخاصة حب ولاة أمورهم وطاعتهم، والالتفاف حولهم، وينهجوا في ذلك نهج أسلافهم من سلف هذه الأمة الصالح، ويعتقدوا معتقدهم الحق، حتى يستحقوا نصر الله الذي وعده عباده المؤمنين المخلصين الصادقين، كما في قوله- تعالى- : ((وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)) الروم/٤٧.

وخطة البحث تتكون إجمالاً من مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة وفهارس، وبيانها كالتالي:

التمهيد: بيان أهم مصطلحات البحث.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مصطلح العقيدة.

المطلب الثاني: مصطلح السلف والسلفية

---

١ الأحكام السلطانية لأبي يعلى /٧.

المطلب الثالث: مصطلح السنة.

المطلب الرابع: مصطلح الجماعة.

المطلب الخامس: مصطلح ولاة الأمر.

المبحث الأول: أهمية موضوع ولاية أمر المسلمين وعظيم شأنه.

المبحث الثاني: وجوب تنصيب إمام للمسلمين وعقد البيعة له.

المبحث الثالث: جواز تعدد الأئمة في الأقطار عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الرابع: حاجة الخلق لولاة الأمر وبيان فضلهم ومكانتهم.

المبحث الخامس: حقوق ولاة الأمر على الرعية، وتحته مطالب:

المطلب الأول: وجوب البيعة لولي الأمر والوفاء بها ظاهراً وباطناً.

المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر.

المطلب الثالث: وجوب نصرة ولي الأمر ظاهراً وباطناً.

المطلب الرابع: معرفة عظيم حقه وتعظيم قدره.

المطلب الخامس: بذل النصيحة الخالصة لولي الأمر.

المطلب السادس: حرمة الخروج على ولي الأمر.

المطلب السابع: الذب عن ولي الأمر بالقول والفعل.

المطلب الثامن: الدعاء لولاة الأمر في خطب الجمع وغيرها.

المطلب التاسع: وجوب الصبر على من جار من الأئمة.

المطلب العاشر: جمع محبة الناس عليهم ورد القلوب النافرة إليهم.

المبحث السادس: وجوب لزوم جماعة المسلمين وحرمة مفارقتهم.

المبحث السابع: شبهات تتعلق بموضوع ولاية أمر المسلمين والرد عليها.

أسـأل الله بمنـه وكرمـه وجـوده ورحمتـه أن يجعـل هـذا العمـل صـالحاً، ولوجهه الله خالصاً.. وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.. اللهم آمين.

التمهيد

بيان أهم مصطلحات البحث

المطلب الأول

مصطلح العقيدة:

أولاً: العقيدة في اللغة:

لفظ العقيدة: مأخوذ من العقد نقيض الحل، وهو الربط والإحكام والتوثيق، والشد بقوة، والإثبات واليقين والجزم وجمعها: عقائد، يقال: عقده يعقده عقداً: ربطه وشده بإحكام واستيثاق، ومنه عقد اليمين والنكاح، قال- تعالى- : ((لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان))[1].

واعتقدت عليه كذا: عقدت عليه القلب والضمير، والعقيدة: ما يدين الإنسان به، يقال: له عقيدة حسنة، أي: سالمة من الشك، والعقيدة عمل قلبي وهي: إيمان القلب بالشيء وتصديقه به.

وخلاصة ما تقدم: أن العقيدة في اللغة هي: ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به، فهو عقيدة سواء كان حقاً أو باطلاً[2].

ثانياً: العقيدة في الاصطلاح:

عرفت العقيدة اصطلاحاً بأنها ((الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن عليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك))[3].

---

١ سورة المائدة: ٨٩.

٢ لسان العرب: ، القاموس المحيط:

٣ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ ناصر العقل: ص/٩، الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري: ص/ ٣٠.

ثالثاً: العقيدة الإسلامية:

عرفت العقيدة الإسلامية بأنها: ((الإيمان الجازم بالله- تعالى- وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره))[1].

فتعريف العقيدة الإسلامية يشمل كل ما أجمع عليه سلف الأمة الصالح من أصول الدين وأمور الغيب، مع التسليم التام لله- تعالى- في الأمر والحكم، والطاعة والاتباع لرسوله محمد- ﷺ- .

والعقيدة الإسلامية عند الإطلاق لا يراد بها إلا عقيدة أهل السنة والجماعة، لأنها هي الإسلام الصحيح الذي ارتضاه الله- تعالى- ديناً لعباده، فهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة الكرام، والتابعين لهم وتابعيهم بإحسان[2].

المطلب الثاني:

مصطلح السلفية

السلفية في اللغة:

السين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق[3].

وفي اللسان: "السلف جمع سالف المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون"[4].

---

١ عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان: ص/٣.

٢ انظر: عقيدة التوحيد للفوزان: ص/٢- ٣، مباحث في عقيدة أهل السنة للعقل: ص/٩، الوجيز في عقيدة السلف لعبد الحميد الأثري: ص/٣٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣.

(٤) لسان العرب ١٥٨/٩.

وفي النهاية: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[1] ومنه قوله- تعالى- : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِين ﴾. [سورة الزخرف: ٥٦]. قال البغوي في تفسيرها: ".. والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون"[2].

السَّلَفُ في اللغة: بفتح السين واللام من سلفهم القوم المُتَقَدِّمُوْنَ في السَّير، ولزيدٍ سَلَفٌ كريمٌ، أي آباء متقدمون.

السلفية في الاصطلاح الشرعي:

عرفها الإمام السفاريني- رحمه الله- بأنها: "ما كان عليه الصحابة- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرض، مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"[3].

وقال سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز- رحمه الله- لَمَّا سُئِلَ عن الفرقة الناجية: (هم السلفيون، وكل من مشى على طريقة السلف الصالح).

(١) لسان العرب ٩/١٥٨.

(٢) تفسير البغوي ٧/٢١٨.

(٣) لوامع الأنوار ١/٢٠.

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله تعالى- : "فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي- ﷺ- ، وأصحابه، فإنه سلفي"[1].

شرح العقيدة الواسطية (١/٤٥).

وقال في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول ما نصه: "من هم أهل الأثر؟ هم الذين اتبعوا الآثار، اتبعوا الكتاب والسنة وأقوال الصحابة- رضي الله عنهم- ، وهذا لا يتأتى في أي فرقة من الفرق إلا على السلفيين الذين التزموا طريق السلف.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٦١٤٩) (٢/١٦٤):

"س / أريد تفسيراً لكلمة السلف، ومن هم السلفيون... ؟

ج / السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد- ﷺ- من الصحابة- رضي الله عنهم- ، ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة، ولما سئل- ﷺ- عن الفرقة الناجية قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي....".

وجاء في الفتوى رقم (١٣٦١) (١/١٦٥):

"س / ما هي السلفية؟ وما رأيكم فيها ؟

ج / السلفية نسبة إلى السلف، والسلف هم صحابة رسول الله- ﷺ- وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى- رضي الله عنهم- ، الذين شهد لهم رسول الله- ﷺ- بالخير في قوله: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم

---

١ شرح العقيدة الواسطية: ١/٤٥

الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف، من اتباع الكتاب والسنة، والدعوة إليهما، والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم".

وقال الشيخ صالح الفوزان في كتابه البيان (ص ١٣٠) ما نصه:

(...وإنما تطلق السلفية على الجماعة المؤمنة الذين عاشوا في العصر الأول من عصور الإسلام، والتزموا بكتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ووصفهم الرسول- ﷺ- بقوله: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) الحديث.....

ووصف هذه الواحدة بأنها هي التي تتبع منهج السلف، وتسير عليه، فقال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي...)، فدل على أن هناك جماعة سلفية سابقة، وجماعة متأخرة تتبعها في نهجها، وهناك جماعات مخالفة لها، متوعدة بالنار...".

وقال فضيلته: السلفية هي الفرقة الناجية، هم أهل السنة والجماعة، ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة، جماعة على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال- ﷺ- : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم)، وقال- ﷺ- : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة،

كلها في النار إلا واحدة. قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه الرسول- ﷺ- وأصحابه، وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن، وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول- ﷺ- متوارثة مستمرة، لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة، كما أخبر- ﷺ- ". (المصدر السابق).

وقال الشيخ محمد أمان الجامي- رحمه الله- في الصفات الإلهية ص (٦٤- ٦٥) : "ويتضح مما تقدم أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً، يطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة، وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة من قوله- ﷺ- : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم)".

وعليه فإن السلفية ليست مجرَّد نسبة أو لقب، بل السلفية : تجريد الإخلاص لله وتجريد المتابعة للنبي- ﷺ- .

المطلب الثالث

مصطلح السنة

ورد كثير من النصوص ذكر هذا المصطلح ومن ذلك حديث العرباض ابن سارية المشهور، حيث جاء فيه: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليهم بالنواجذ... الحديث)[١].

ومن ذلك قوله- ﷺ- : **(تركت فيكم ما إن تمسكم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي...)**[٢].

وأخرج اللالكائي بسنده عن ابن عباس- رضى الله عنهما- في قوله- تعالى- : **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه): (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)**[٣]، وأخرج مسلم في صحيحه في مقدمته عن ابن سيرين- رحمه الله تعالى- قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم[٤].

---

١ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة: (٤٦٠٧)، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة: (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب اتباع الخلفاء الراشدين: (٤٢)، (٤٣)، (٤٤). والإمام أحمد في مسنده: ٤/ ١٢٦.

٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ، والنسوي في المعرفة والتاريخ: ١/ ٢٩٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٦١)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية: (٣٩٤٣).

٣ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي:

٤ صحيح مسلم، المقدمة ص/ ٧.

أما السنة في الاصطلاح أهل الأصول فهي:

ما صدر عن النبي - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير.

المطلب الرابع

مصطلح الجماعة:

الجماعة مصطلح معروف، حيث جاء ذكره في نصوص نبوية كريمة وكثيرة، ومن ذلك:

١- حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - ، وهو حديث الفرق المعروف، وفيه: **((إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي: الجماعة....))**[١] الحديث.

٢- ما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ، وفيه قوله - ﷺ - : ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم...))[٢] الحديث.

٣- قوله - ﷺ - : ((وعليكم بالجماعة))[١]، وغيرها من النصوص.

---

١ أخرجه أبو داود، كتاب السنة، وباب شرح السنة: (٤٥٩٧)، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة: (٢٦٤١) وأحمد في مسنده: ١٠٢/٣، والحاكم في المستدرك: ٢١٨/١ وابن أبي عاصم في السنة ٧/١ وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة عن جمع من الصحابة منهم أنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو وغيرهما.

٢ أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (٣٦٠٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: (١٨٤٧).

فالمراد بالجماعة في الأحاديث السابقة كما قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : ((والصواب أن المراد من الخبر - أي حديث حذيفة بن اليمان - : لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة))[٢].

وقال الشاطبي - رحمه الله - : (وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة))[٣].

وقال ابن عبد البر في بيان المقصود بالجماعة الواردة في الأحاديث : **((الجماعة على إمام يسمع له ويطاع))**[٤].

وعليه فمصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح قديم معروف ، جاء ذكره في الأحاديث النبوية في الآثار المروية عن الصحابة الكرام ، وتناقله أهل السنة الذين هم أهل الحديث والأثر في كتبهم.

ويعنون به : **من تمسك بالكتاب والسنة ، بفهم الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان ، ولزموا جماعة المسلمين وإمامهم ، ولم يبتدعوا أو يتبعوا الهوى.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : **((ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي**

---

١ أخرجه أحمد في مسنده : ٢٧٨/٤ ، ٣٧٥ ، والشهاب في مسنده : ٤٣/١ ، وابن أبي الدنيا في كتابه الشكر : ص/٢٥ من حديث النعمان بن بشير.

٢ فتح الباري : ٤١/١٣.

٣ الاعتصام للشاطبي : ٧٧٥/٢.

٤ التمهيد لابن عبد البر: ٢٧٥/٢١.

وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً))[1].

فأهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، وساروا على ما كان عليه الرسول- ﷺ- ظاهراً وباطناً، وتمسكوا بهدي النبي- ﷺ- وأصحابه في العلم والعمل، واجتمعوا على إمامهم المسلم بالسمع والطاعة بالمعروف، وتمسكوا بجماعة المسلمين وإمامهم، فلم يفارقوها، ولم ينزعوا يداً من طاعة لمن وجبت طاعته، خلافاً لأهل الأهواء والبدع والخوارج والروافض ونحوهم.

وهم كذلك الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية التي ورد ذكرها في النصوص.

وهم سلف هذه الأمة الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا وقد اعتنى بهذا المصطلح جمع من الأئمة ممن ألفوا في السنة كالإمام أحمد وابن أبي عاصم واللالكائي والصابوني في عقيدة أصحاب الحديث وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة في نجد وما جاورها وغيرهم..

فهو مصطلح ثابت واضح، لا يخفى إلا على أصحاب الهوى والضلال والبدع من الروافض والخوارج، ومن سار على دربهم في هذا العصر من أهل التكفير والتفجير وغيرهم من الفئات الضالة ذيول الخوارج.

---

١ منهاج السنة النبوية: ٢/٦٠١.

المطلب الخامس

مصطلح ولاة الأمر

مصطلح (ولاية الأمر) أو (الإمامة الكبرى) أو (الخلافة) أو (الملك) يراد بها : (حراسة الدين وسياسة الدنيا به) كما قرر ذلك الماوردي وأبو يعلى وغيرهما من العلماء[١].

والذي يقوم بذلك يطلق عليه : ولي الأمر أو الإمام أو الحاكم أو الخليفة أو الأمير أو السلطان، وكل هذه المصطلحات جاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ومثلها في العصر الحديث : الرئيس والشيخ ونحو ذلك مما يطلق على من يقوم على أمر الناس كافة في قطر أو بلد، ويخول إليه تسيير أمورهم، والنظر في مصالحهم، وحفظ أمنهم وحدودهم، ونشر العدل بينهم، وإقامة شعائر دينهم[٢].

فالمراد بولي الأمر عند الإطلاق هو صاحب الولاية العامة على الناس، أما غيره ممن أنابهم أو استعملهم في أمر من أمور الدولة كأمراء المدن والقضاة والوزراء والقواد والمحتسبين ونحوهم فولايتهم خاصة[٣]، فهي داخلة ضمن الولاية العامة، ومستمدة منها، وطاعة هؤلاء وحقوقهم داخلة ضمن طاعة الإمام، وفي حدود الولاية والصلاحيات الممنوحة لهم.

---

١ الأحكام السلطانية للماوردي : ص/٥، الأحكام السلطانية لأبي يعلي ص/٧

٢ تفسير المنار : ١٨٨/٥

٣ شرح مسلم النووي : ٣٨/٢- ٣٩، معالم السنن للخطابي : ١٢٦/٤

المبحث الأول

أهمية موضوع ولاة الأمر وعظيم شأنه

أولت الشريعة الإسلامية موضوع ولاية أمر المسلمين اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة، حيث لا يمكن أن تستقيم حياة الناس إلا بإمام، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

ولهذا أصبح موضوع الإمامة وما يتعلق به أصلا من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، له مفهوم صحيح مبني على الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة من الصحابة الأخيار، ومن سلك سبيلهم بإحسان، خلافاً لما عليه أرباب الأهواء من المبتدعة والفرق الضالة كالرافضة، ومن سلك سبيلهم من أهل الهوى والرأي الباطل كالخوارج وغيرهم، ولقد رأينا أثر الجهل بهذا الأصل العظيم، حيث وقع جراء ذلك فتن ومحن وبلايا اكتوى المسلمون بنارها أزماناً طويلة، وإلى يومنا هذا.

حيث استحلت الدماء وانتهكت الأعراض، وسلبت الأموال، وتفرق شمل الأمة، وأصبحت فرقاً وشيعاً، وحل بها الضعف والخور، وهانت في نظر عدوها.

وما نراه في هذا العصر من ثالوث مدمر: تأليب ثم تكفير ثم تفجير، ناهيك عن العداء ومنابذة ولاة الأمر، وانتقاصهم من حقوقهم الشرعية، وما حل بالإسلام والمسلمين من ضعف، ما حدث هذا كله إلا بسبب الجهل بهذا الأصل العظيم والأساس المتين.

المبحث الثاني

وجوب تنصيب إمام للمسلمين، وعقد البيعة له

أجمع أهل العلم قاطبة على وجوب تنصيب إمام للمسلمين، يقول الإمام النووي- رحمه الله تعالى- : (وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة)[1].

وحكى ابن حزم- رحمه الله- اتفاق أهل الإسلام على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله- ﷺ- [2].

وفي ذلك يقول ابن حجر الهيثمي: ((اعلم أيضاً أن الصحابة- رضوان الله عليهم- أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات، حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله- ﷺ))[3].

وقال إمام الحرمين الجويني- رحمه الله- : ((الإجماع على وجوب تنصيب خليفة يحكم بين الناس بالإسلام))[4].

وجاءت الأدلة على وجوب الإمام مستفيضة في الكتاب والسنة ومن ذلك:

قوله- تعالى- : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة....**﴾[1] قال القرطبي- رحمه الله- : (هذه الآية أصل في نصب إمام

١ شرح مسلم: ٢٠٥/١٣

٢ الفصل في الملك والنحل لابن حزم: ١٠٦/٣

٣ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ص/١٥

٤ غياث الأمم ص/١٤.

وخليفة يسمع له ويطاع ؛ لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة والأئمة)[٢].

عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال : ((إذا خرج ثلاثة في سفر ، فليؤمروا أحدهم))[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : (فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم ، كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك)[٤].

---

١ سورة البقرة : ٣٠

٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٦١.

٣ أخرجه أبو داوود- كتاب الجهاد ، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ٢٦٠٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٥٠٠.

٤ الحسبة لابن تيمية ص/١١.

المبحث الثالث

جواز تعدد الأئمة في الأقطار

هذه مسألة مهمة تتعلق بواقع المسلمين المعاصر، كما تتعلق بحقبة طويلة من تاريخ المسلمين، ويترتب عليها كثير من الأحكام، وتأصيلها يزيل كثير من اللبس الواقع فيه بعض من غاب عنه فقه ذلك..، فغلب عليه الهوى والجهل، فقال بغير علم، فضل وأضل، وعليه نقول:

الأصل في ولاية أمر المسلمين أن يكون المسلمون جميعاً تحت ولاية إمام واحد، كما كان الحال في عهد النبي- ﷺ- ، وعهد خلفائه الراشدين- رضي الله عنهم- أجمعين، وهذا الأصل مقيد بحال الاختيار والإمكان، أما في حال الاضطرار وتعذر المكان فيصح تعدد الأئمة، ويأخذ كل إمام منهم في قطره حكم الإمام الأعظم.

ومن لم يفرق بين حال الاختيار والإمكان وحال الاضطرار، وتعذر الإمكان، فقد جهل المعقول والمنقول- وهذا كله محل اتفاق بين العلماء[1].

وقد نص على ذلك جمع من الأئمة، ومن ذلك:

قال الإمام الشوكاني- رحمه الله- : ((وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار

---

١ غياث الأمم لإمام الحرمين الجويني: ص/١٧٥، بدائع السلك لابن الأزرق: ١/٧٦- ٧٧ تفسير ابن كثير: ١/٧٢، السيل الجرار للشوكاني: ٤/٥١٢، مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥/١٧٥ سبل السلام للصنعاني: ٣/٤٩٩.

الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر، وأقطاره التي رجعت إلى ولايته.

فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فإن قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته، وبايعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب))[1].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - :

((الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم))[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت على ذلك، لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين، أو غير ذلك، فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق))[3].

فالذي عليه المحققون من أهل العلم هو جواز تعدد الأئمة في الأقطار الإسلامية للضرورة والحاجة، ويثبت لهؤلاء الأئمة ما يثبت للإمام الأعظم

---

١ السيل الجرار للشوكاني: ٥١٢/٤

٢ الدرر السنية: ٢٣٩/٧

٣ مجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٧٥ - ١٧٦

من أحكام، ومن ذلك: وجوب مبايعتهم، وحرمة الخروج عليهم، ووجوب السمع والطاعة والنصرة لهم.

ومما يدل لذلك أن هذا وقع في زمن دولة بني العباس، حيث كانوا بالعراق، وكان الفاطميون بمصر، والأمويون بالمغرب، واستمر تعدد الأئمة إلى يومنا هذا، وقد أقر ذلك العلماء في كل بلد، وبايعوا أميرها، وأظهروا له الطاعة، ولم يخرجوا عليه قط.

وهذا يبطل شبه أهل الزيغ والضلال والجهل، القائلين بالخلافة الواحدة لجميع المسلمين، وهم يعلمون أن ذلك غير ممكن؛ لتباعد الأقطار، واتساع الأقاليم، فقد علمنا أنهم ما أرادوا غير الخروج على ولاة الأمر، ونزع اليد من طاعتهم، واستحلال دماء المسلمين، وإشاعة الفتن بينهم، وهذا يضاد النصوص الشرعية، والمقاصد المرعية للشريعة المحمدية، وما اتفق عليه العلماء والأئمة.

المبحث الرابع

حاجة الخلق لولاة الأمر، وبيان فضلهم ومكانتهم

الإجماع منعقد من الأمة على أن الناس لا يستقيم لهم أمر من أمور دينهم ولا دنياهم إلا بالإمامة، فلولا فضل الله- تعالى- على الناس، ثم وجود الأئمة، لضاع الدين، وفسدت الدنيا.

فحاجة الخلق إلى ولاة الأمر فوق كل حاجة؛ إذ لولا الولاة لأصبحت الحياة غابة، فتفسد على أهلها من كل وجه.

وقد قال الإمام بدر الدين ابن جماعة عند قوله- تعالى- : **((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض))**[1] ما نصه: (لولا أن الله- تعالى- أقام السلطان في الأرض، يدفع القوي عن الضعيف، وينصف المظلوم من ظالمه، لتواثب الناس بعضهم على بعض، فلا ينتظم لهم حال، ولا يستقر لهم قرار، فتفسد الأرض ومن عليها، ثم امتن الله- تعالى- على عباده بإقامة السلطان لهم بقوله: **((ولكن الله ذو فضل على العالمين))**[2]، قال الآلوسي في تفسير هذه الآية: (وفي هذا تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه ما استتب أمر العالم)[3].

وفي هذا المعنى يقول الإمام القلعي الشافعي: (نظام أمر الدين والدنيا مقصود، ولا يحصل ذلك إلا بإمام موجود)[4]، ويدل لهذا ما رواه أبو

---

١ سورة البقرة ٢٥١

٢ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: ص/٤٩

٣ روح المعاني: ١/١٧٤

٤ تهذيب الرياسة: ص/ ٩٤- ٩٥

هريرة- رضي الله عنه- أنه سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: ((إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإنه له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه))[1].

وولي أمر المسلمين أعظم الناس أجراً إذا عدل، وفي هذا يقول الإمام العز بن عبد السلام- رحمه الله- : (وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجراً من جميع الأنام، بإجماع أهل الإسلام؛ لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل، ودرء كل فاسد شامل...)[2].

ومما يدل على عظيم أجر ولاة أمر المسلمين ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل...)) الحديث[3].

قال الحافظ ابن حجر: (المراد به صاحب الولاية العظمى، ويلحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين، فعدل فيه)[4].

وقال ابن جماعة: (ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب)[5].

---

١ أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب يقاتل من وراء الإمام: (٢٩٥٧)

٢ قواعد الأحكام: ١/١٠٤

٣ أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ١٤٣/٢ (٦٦٠) وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة: ٧١٥/٢.

٤ فتح الباري: ١٤٤٠١٤٥/٢

٥ قواعد الأحكام: ص/٥٠

المبحث الخامس

حقوق ولاة الأمر على الرعية

لما كان لولي الأمر هذه المكانة العظيمة عند الله- تعالى- ، ولما كان وجوده له أعظم الأثر في استقامة حياة الناس وسياستهم وانتظام مصالحهم، بل لا تقوم لهم حياة إلا به، ولما كان الدين لا يقوم إلا بحراسة الإمام وقوته، فلما كان ذلك كله علمنا يقيناً أنه لا قيام للدين والدنيا في حياة الناس إلا بالسلطان.

ومن هنا فقد أوجب له الشرع المطهر حقوقاً لا يسع أحدا من الناس التحللُ منها، أو الخروجُ عليها، أو التقصيرُ فيها.

وفي هذا نقل القرطبي- رحمه الله- عن سهل التستري قوله: ((لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين، أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم))[1].

فإذا قامت الرعية بحقوق ولاة الأمر، قويت الأمة، واجتمعت كلمتها، وظهر دين الله في الأرض، قال ابن جماعة بعد أن ذكر حقوق ولاة الأمر: ((وإذا قامت الرعية بهذه الحقوق الواجبة، وأحسنت القيام بمجامعها، والمراعاة لمواقعها صفت القلوب، وأخلصت، واجتمعت الكلمة وانتصرت))[2].

وهذه الحقوق نذكرها إجمالاً في المطالب التالية هي:

---

١ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥/٢٦٠- ٢٦١

٢ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: ص/٦٤

المطلب الأول: وجوب البيعة لولي الأمر والوفاء بها ظاهراً وباطناً

إن من أولى وأهم حقوق ولاة الأمر على الرعية ما يجب على المسلم من وجوب البيعة للإمام والوفاء بها ظاهراً وباطناً، قال الإمام القرطبي- رحمه الله- : ((إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد، أو بواحد على ما تقدم، وجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، ومن تأبى على البيعة لعذر عذر، ومن تأبى لغير عذر جبر وقهر؛ لئلا تفترق كلمة المسلمين))[1].

وقد جاء التحذير الشديد والوعيد لمن ليس في عنقه بيعة للإمام، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: ((من مات ليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية))[2].

والبيعة: أن تبايع الرعية الحاكم أو الراعي أو الوالي المسلم على السمع والطاعة، في مقابل أن يحكمهم بما فيه مصلحة الأمة، وسياستها على أساس من الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة..، وهي إنما تحصل من أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء والوجهاء وغيرهم، ويلزم باقي أفراد الرعية ذلك، ولا يشترط أن يبايع كل فرد بعينه، ويدل لذلك فعل الصحابة- رضي الله عنهم- ، حيث بايع من حضر منهم أبا بكر الصديق- رضي الله عنه- ، ولم ينقل عن الذي لم يبايعوه مباشرة من الصحابة والتابعين أنهم خالفوا ذلك.

---

١ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/٢٧٢.

٢ أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة الجماعة: (١٨٥١)

وعليه فلا يحل لأحد أن يخالف أوامر ولي الأمر بحجة أنه لم يبايعه مباشرة، فإن هذه شبهة باطلة.

المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

أجمع أهل السنة والجماعة في كل عصر وفي كل مصر على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين، وإن جاروا وظلموا، وإن فجروا وفسقوا، ما لم يأمروا بمعصية، وهذا أصل عظيم من أصولهم، خلافاً لأهل الأهواء والبدع[1].

وهذا الحق لولاة الأمر دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أ- القرآن الكريم:

قوله- تعالى- : **((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً))**[2].

والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف: أن المراد بأولى الأمر هنا هم الأمراء والولاة؛ لورود النصوص الصحيحة الصريحة في ذلك، قال ابن جرير الطبري- رحمه الله- : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة؛ لصحة الإخبار عن رسول الله- ﷺ- بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين فيه مصلحة، إلى قوله ((....... كان معلوماً أن الذين أمر بطاعتهم- تعالى ذكره- من ذوي أمرنا

---

١ المغنى لابن قدامة: ٢٣٨/١٢ شرح النووي على مسلم: ٣٢٢/١٢ مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٢/٣٥.

٢ النساء: ٥٩

هم الأئمة، ومن ولاة المسلمون دون غيرهم من الناس))، ثم قال: ((وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر أو نهى فيما لم تقم حجة وجوبه، إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيتهم، مما هو مصلحة لعامة الرعية، فإن على من أمروا بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية))[1].

وهنا نجد أن الإمام الطبري- رحمه الله- ينبه على أمر مهم جداً، ألا وهو طاعة ولاة الأمر مطلقاً، سواء فيما ورد فيه نص من الشارع بأمر أو نهي، أو لم يرد به نص، فأمر الإمام يجب طاعته، كما يجب طاعة أمر الشارع في حالتين:

الأول: إذا كان أمره محققاً للمصلحة العامة، وإن لم يكن في ذلك نص من الشارع.

الثاني: إذا أمر بأي أمر كان، وإن كان من الأمور المباحة أو المندوبة ونحوها ما لم يكن فيه معصية لله- تعالى- .

فأي أمر يصدر عن الإمام تجب طاعته أبداً، إلا في حال واحد، وهو أمره بمعصية.

ب- السنة النبوية:

١- عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي- ﷺ- أنه قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[2].

---

١ جامع البيان للطبري: ٥/١٥٠. انظر تفسير ابن كثير: ١/٥١٧- ٥١٨

٢ أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: ١٢١/١٣ ومسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق: ٣/١٤٦٩ (١٨٤٦).

٢- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك))[1].

قال الإمام النووي- رحمه الله- في معنى الحديثين السابقين: ((معناه: تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره، مما ليس بمعصية، فإن كانت معصية فلا سمع ولا طاعة...، والأثرة: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي: اسمعوا وأطيعوا، وإن اختص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال سببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم))[2].

فإذا أمر ولاة الأمر بأي أمر كان مما هو ليس بمعصية لله، فإن الواجب على الرعية السمع والطاعة في كل أحوالهم، من الرضا والسخط، والعسر واليسر، والخير والشر، وافق طبعهم أو لم يوافقه.

٣- عن حذيفة- رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله! إنا كنا بشرٍ، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل وراء هذا الخير شر؟ قال نعم قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم قلت: فهل وراء الخير شر قال: نعم قلت: كيف؟ قال: ((يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس)) قال: قلت: كيف

---

١ أخرجه مسلم، كتاب الإمارة: ٢/١٤٦٧

٢ شرح النووي على مسلم: ١٢/٣٢٥.

أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: ((تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع))[1].

وهذا من أظهر النصوص على وجوب طاعة الأئمة، وعدم معصيتهم، فإنه أوجب طاعتهم مع كونهم مخالفين لهدي النبي وسنته، ومع كونهم ظلمة للرعية، ومع كل ذلك أوجب على الرعية السمع والطاعة، فعلم من ذلك أن السمع والطاعة واجبان حتى لو كان الإمام ظالماً فاجراً فاسداً، فإن ضلالهم وظلمهم وفسادهم عليهم يحاسبون عليه عند الله يوم القيامة.

فلم يرتب الشارع الحكيم السمع والطاعة للأئمة على عدلهم، بل تجب مع ظلمهم ومخالفتهم هدي النبي - ﷺ - .

هذا، وإن من لوازم وجوب طاعة الإمام، العمل بكل ما سنه وأصدره من أنظمة محققه للمصلحة العامة، وإن لم يكن منصوصاً عليها في الكتاب الكريم أو السنة النبوية المطهرة، وإن لم تكن واجبة بإيجاب الشرع لها.

وعليه، فكل ما يجتهد فيه الإمام، ويراه محققاً للمصلحة فيأمر به أو ينهى عنه، فإنه يلزم الرعية العمل به، ولا يسع أحداً الخروجُ عليه في ذلك.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني))[2].

---

١ أخرجه مسلم كتاب الإمارة: ١٤٧٦/٣

٢ أخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٣٧)، ومسلم، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء: (١٨٣٥).

ففي هذا الحديث دليل على وجوب طاعة الأمير، وأن من عصاه في غير معصية فقد عصى الله ورسوله.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- : ((إن من طاعة ولاة الأمر التي أمر الله بها: أن يتمشى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة، إذا لم تخالف الشريعة، فمتى تمشى على ذلك كان مطيعاً لله ورسوله، ومثاباً على عمله، ومن خالف ذلك كان عاصياً لله ورسوله، وآثماً بذلك))[1].

المطلب الثالث

وجوب نصرة ولي الأمر ظاهراً وباطناً

إذا تم اختيار ولي الأمر، وتمت مبايعته وجب على الرعية نصرته في كل أموره؛ لما في ذلك من نصرة للمسلمين، ورفع راية الإسلام قال الماوردي- رحمه الله- : ((إذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله- تعالى- فيما لهم عليه، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة))[2].

ويجب على الرعية القيام بهذا الحق، سواء أكان الإمام صالحاً أم لا، وسواء كان عادلاً أم لا، لما في ذلك من نصرة المسلمين، وكف أيدي المعتدين[3]، واستقامة أمر الدنيا والدين.

---

١ حقوق الراعي والرعية لابن عثيمين: ص/١٨.

٢ الأحكام السلطانية للماوردي: ص/١٨.

٣ مفهوم الجماعة والإمامة للأستاذ الدكتور/ سليمان أبا الخيل: ص/١٠٨.

المطلب الرابع

معرفة عظيم حقه وتعظيم قدره

الإمام له مكانة عظيمة عند الله - تعالى - وعند رسوله - ﷺ - ، وجاءت النصوص الكثيرة في الحث على إكرامهم، وتعظيم قدرهم، ومن ذلك ما رواه أبو بكرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : ((السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله))[1].

وفي هذا الحديث تنبيه على علو مكانة السلطان، وشرف منزلته، حيث إن الإضافة إلى الله هنا إنما هي إضافة تشريف وتكريم، ولذا قال الإمام ابن جماعة في بيان حقوق ولاة الأمر: (الحق الرابع: أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وجعل الله - تعالى - له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم، مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم)[2].

المطلب الخامس

بذل النصيحة الخالصة لولي الأمر

الإمام هو أولى من تبذل له النصيحة، وذلك لتعلق مصلحة عموم الرعية به، ولهذا وجب على العلماء وغيرهم النصيحة له، وتبصيره بما قد يخفى

---

١ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٤٩٢/٢ وحسنه الألباني في ضلال الجنة في تخريج أحاديث السنة، وأخرجه البيهقي في الكبرى: ١٦٤/٨.

٢ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: ص/٦٣.

عليه، وهذا الأمر جاء النص عليه من كلام النبي - ﷺ - ، كما جاء في حديث تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: ((**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**))[1].

قال الإمام النووي - رحمه الله - في بيان المراد بالنصيحة لأئمة المسلمين: ((وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب الناس لطاعتهم)[2].

ومن الأمور التي يجب التنبيه عليها هنا: أن النصيحة لولي الأمر لا تكون إلا سراً، كتابة أو مشافهة، لا جهراً كما في حديث عياض بن غنم - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا فقد أدى الذي عليه))[3].

المطلب السادس

حرمة الخروج على ولي الأمر

الخروج على ولاة الأمر ومنازعتهم ونزع اليد من طاعتهم حرام بإجماع المسلمين، وبهذا جاءت النصوص الكثيرة المستفيضة عن النبي - ﷺ - ،

---

١ أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة: رقم (٥٥).

٢ شرح مسلم على النووى: ٣٨/٢ وانظر معالم السنن للخطابي: ١٢٦/٤.

٣ أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٥٤٠٨) والبيهقي في الكبرى: ١٦٤/٨ وصححه الشيخ شعيب في تخريجه للمسند.

قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى- : ((وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت النصوص بما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق..، وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين..))[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : ((المشهور من مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي- ﷺ- ؛ لأن الفساد في القتال، والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفاسدين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته))[2].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي- رحمه الله- في عقيدته المشهورة (العقيدة الطحاوية): ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله- عز وجل- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة))[3].

---

١ شرح النووي على مسلم: ١٢/٢٢٩.

٢ منهاج السنة النبوية: ٣/٣٩١.

٣ العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز: ٢/٥٤٠.

فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا يسع أحداً الخروج عليها، ومن خالفها كان من أهل البدع والأهواء، ومن النصوص التي دلت على وجوب الطاعة وحرمة الخروج على ولاة الأمر: ما رواه عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- : قال سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: **((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))**[1].

فهذا الحديث الصحيح الصريح فيه دليل واضح على حرمة الخروج على ولاة الأمر، وأن ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه إذا مات على ذلك كانت ميتته كميتة أهل الجاهلية، نعوذ بالله من ذلك.

المطلب السابع

الذب عن ولي الأمر بالقول والفعل

جاء الشارع الحكيم كما في قوله- ﷺ- : **((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم...))**[2].

وهذا في حق آحاد المسلمين، ويتأكد ذلك في حق ولاة الأمر؛ لعظم شانهم ورفيع مكانتهم ، ووجوب طاعتهم ومحبتهم.

ويدل لهذا ما روي عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: (كان الأكابر من أصحاب رسول الله- ﷺ- ينهوننا عن سب الأمراء)[3].

---

١ أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين: (١٨٥١).

٢ تقدم تخريجه.

٣ أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ٢١/٢٨٧.

وفي رواية عنه: ((لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب))[1].

وعليه فلا يحل لأحد- عملاً بعموم النصوص الدالة على حرمة الأعراض، والنصوص الدالة على وجوب الذب عن أعراض المسلمين- أن يقدم على الطعن في إمامه، أو الإساءة إليه، لا بالقول ولا بالفعل، ويجب على كل أحد أن يذب عنه الإساءة ونحوها؛ لقوله- ﷺ- : **((من رد عن عرض أخيه رد الله عنه النار يوم القيامة))**[2].

المطلب الثامن

الدعاء لولاة الأمر في خطب الجمع وغيرها

اهتم السلف الصالح بالدعاء للسلطان، وهو ولي أمر المسلمين، وقد كان عمل المسلمين على ذلك.

وما ذلك إلا لأن صلاح الأئمة يعود على الناس والوطن بالصلاح والخير، وهذا أمر مشاهد معروف.

ومن أسباب صلاح الأئمة الدعاء لهم من الرعية، لا سيما من أولي العلم منهم[3].

ومن الأدلة على ذلك:

---

١ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٤٨٨/٢.

٢ أخرجه الترمذي وحسنه: حديث رقم (١٩٣٢) وأحمد في مسنده: (٢٨٠٩٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٢٦٢).

٣ ينظر: إعانة الخطباء والأئمة بفقه إمامة الأمة لمحمد بن زيد المدخلي / ٧٨.

١- ما ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه قال: ((اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير ما استقامت لهم ولاتهم وهداتهم))[١].

٢- عن أبي مسلم الخولاني- رحمه الله- قال عن الأمير: ((إنه مُؤَمَّر عليك مثلك، فإن اهتدى فاحمد الله، وإن عمل بغير ذلك فادع له بالهدى، ولا تخالِفهُ فتضلّ))[٢].

٣- وعن الفضيل بن عياض- رحمه الله- أنه قال: ((لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام))[٣].

٤- وعن الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله- إمام أهل السنة قال عن إمام المسلمين: ((وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار والتأييد، وأرى ذلك واجباً عليَّ))[٤].

٥- ويقول العلامة البربهاري- رحمه الله- : ((إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنّة))[٥].

المطلب التاسع

وجوب الصبر على من جار من الأئمة

---

١ المرجع السابق/ ٧٨.

٢ المرجع السابق/ ٧٨.

٣ المرجع السابق/ ٧٨، ٧٩.

٤ المرجع السابق / ٧٩.

٥ شرح السنة، ينظر المرجع السابق /٧٩.

الصبر على جور الأئمة أصل متفق عليه عند أهل السنة والجماعة، وقد دل على هذا الأصل كثير من النصوص، ومن ذلك عن ابن عباس- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته ميتة جاهلية))[1].

وفي رواية لمسلم: ((**من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه..**))[2].

وغير ذلك من النصوص:

قال ابن أبي الأزرق: (فالصبر على السلاطين إذا جاروا من عزائم الدين، ومن وصايا الأئمة الناصحين)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : (الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة)[4].

المطلب العاشر

جمع محبة الناس عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم

ذكر الإمام ابن جماعة- رحمه الله- أن من حقوق ولاة الأمر: (رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة، وانتظام أمور الملة، والذب عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن والسر والعلانية)[5].

---

١ تقدم تخريجه.

٢ أخرجه مسلم: ١٤٧٧/٣.

٣ بدائع السلك في طبائع الملك: ٧٦/١.

٤ مجموع الفتاوى: ١٧٩/٢٨.

٥ تحرير الأحكام: ص/ ٦١ ـ ٦٤.

المبحث السادس

وجوب لزوم جماعة المسلمين وحرمة مفارقتها:

جاء الوعيد الشديد من الله- تعالى- ورسوله- ﷺ- من مفارقة الجماعة.

وقد فرض الله على كل مسلم ومسلمة لزوم الجماعة، قال- تعالى- : ‌‌﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾[1].

قال ابن مسعود- رضي الله عنه- : (عليكم جميعاً بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به)[2].

وقد تقدم مراراً قوله- ﷺ- : ((**من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية**))[3].

وفي رواية: ((**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**)).[4]

قال ابن عبد البر: (الآثار المرفوعة في هذا الباب كلها تدل على أن مفارقة الجماعة، وشق عصا المسلمين، والخلاف على السلطان المجتمع عليه، يريق الدم، ويبيحه ويوجب قتال من فعل ذلك))[5].

---

١ سورة آل عمران: ١٠٣.

٢ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز): ٣/١٨٢.

٣ تقدم تخريجه.

٤ تقدم تخريجه.

٥ التمهيد ٢١/٢٨٢ ـ ٢٨٣.

المبحث السابع

شبهة تتعلق بمصطلح الوطنية والرد عليها

من المفاهيم التي أشكلت على البعض، فظن أنها تتعارض مع مفهوم الجماعة- الذي ورد ذكره في النصوص التي سبق الإشارة إلى بعض منها- : مفهوم **الوطنية**..، فنقول- وبالله التوفيق- : إن مفهوم الوطنية واضح في أذهاننا لا غبش فيه، ولا غبار عليه...، ولا يتعارض مع غيره من المفاهيم والمصطلحات الإسلامية أو غيرها، ولسنا في حاجة عند البحث فيه أو استعماله إلى أن نبحث عن ألفاظ مرادفة له محتملة غير واضحة كلفظ الجماعة أو غيرها..، أو أن نغالي فيه فنقول: إنه من الألفاظ المستوردة الدخيلة على لغتنا ومفاهيمنا، بل إن أصوله ضاربة في القدم في لغتنا العربية، ومصادرنا الإسلامية، وتراثنا التاريخي..، فمصطلح (الوطن) و(البلد) و(الديار) و(الأقطار).. تعج بها اللغة، والتراث الإسلامي، وهي محددة مفهومة لنا بالفطرة والجبلّة، فضلاً عن التعلم والبحث والتنقيب والتأصيل...، ألا ترى إلى إجماع الأمة قاطبة على جواز تعدد الأئمة في الأقطار أو البلدان، وأن من تغلب على قطر أو وطن، وتمت البيعة له وجبت طاعته، ونفذ أمره ونهيه فيه.

فإن قام من ينازعه في القطر أو البلد الذي ثبتت فيه ولايته له، وبايعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب ويعد ويرجع..، كما قرر ذلك الأئمة الأعلام من فقهائنا كشيخ الإسلام ابن تيمية والجويني والشوكاني ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من الأئمة، فيرد عندها لزاماً مفهوم الوطن وحدوده، وكيانه، وحمايته، وموالاته؛ إذ أن ذلك من الطاعة الواجبة لإمامه

وولي أمره التي أمر الله- تعالى- بها في قوله- تعالى- : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ، وأجمع عليها فقهاء الأمة ، ومن ثم لا يرد هنا القول بأن هذا المصطلح ((الوطنية)) يفرق الأمة ، ويعد عائقاً أمام وحدتها ؛ لأننا نقول بأن هذا المصطلح متعلق بالحدود التي اقتضاها القول بتعدد الأئمة والأوطان ، أما الولاة والمحبة للمؤمنين ، فإن ذلك متعلق بعقيدة المسلم ، حيث يلزمه ذلك على الجملة ، وإن تعددت الأوطان ، كما هو مفصل في كتب أهل العلم ، فلا يحول دونه تعدد الأوطان أو الأقطار أو الولايات كما هو واقع المسلمين اليوم ، ومنذ انقضاء الخلافة الراشدة.

وعليه فإن مصطلح الوطنية يتعلق بولي الأمر في وطنه أو قطره الذي ثبتت له فيه الولاية ، ولزم بها حقوق وواجبات على الرعية.

وعليه فإننا نقول بفخر وبلا تردد : إن وطننا (المملكة العربية السعودية) محدد المعالم ، معروف الأماكن ، واضح الميزات والخصائص والفضائل ، غني بخيراته وثرواته منذ وحده المؤسس الباني الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود- طيب الله ثراه- ، نعيش كما عاش أسلافنا تحت ظله عيشة كريمة ، وارفة الظلال ، استغنينا بها- بحمد الله- عن غيرنا ، حيث توفر لنا فيه- بحمد الله وفضله ومنته- كل مقومات الحضارة والحياة الآمنة المطمئنة ، والرعاية اللائقة المستقرة ، وتحصيل العلم بمختلف فنونه وأقسامه ، دستوره الإسلام ، ومصدر الحكم فيه الكتاب والسنة ، تطبق فيه الحدود والتعزيرات ، ويسود فيه العدل والوسطية ، والأمر والنهي ، ويحارب فيه الإرهاب والتشدد والتطرف والغلو.. يجمع بين الأصالة والمعاصرة.. فيحافظ على الثوابت الدينية

والتقاليد العربية الأصيلة ، ويأخذ بكل جديد مفيد من شتى فنون الحضارة والمدنية الحديثة...

فواجب علينا حبه ، والاعتزاز به ، والنصح له وحمايته ، والدفاع عنه ، والذب عنه والموت دونه ، والعمل على رقيه وتقدّمه وتنميته ، والحفاظ على حرماته ، ووحدته وتماسكه وائتلافه ، وأمنه وسلامته واستقراره وراحته.. ، فضلاً عن مكتسباته ومقدراته وممتلكاته.. ، واحترام كل وافد إليه أو مقيم فيه ، مسلماً كان أو غير مسلم وفق الضوابط الشرعية ، والأنظمة والآداب المرعية ، وعدم التعرض لأي من ذلك بأي نوع من أنواع الأذى..

وكل هذا لا يتعارض مع حبنا لله ولرسوله ، وتقديم حبهما على من سواهما مصداقاً لقول الله- تعالى- : ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾[1] ، وتمسكنا بمعتقدنا الحق ، وحبنا حباً شرعياً لكل من ينتمي إليه ويدين به كما لا يتعارض مع انتمائنا لأمتنا الإسلامية ، وانضوائنا تحت لواء أهل السنة والجماعة من أهل الملة والديانة من أبناء أمتنا المسلمة فوق كل أرض وتحت كل سماء ، ومعرفتنا ما لنا وما علينا تجاه ذلك من حقوق وواجبات ، فلكل مكانته وحقوقه وواجباته من غير تداخل أو تناقض ، بل تكامل وتعاون وتكافل ومصالح مشتركة..

---

١ سورة التوبة ٢٤.

الخاتمة

من خلال ما تقدم من مباحث هذا الموضوع وما تم تقريره فيه وما تم من ذكره من كلام أهل العلم نستطيع أن نخلص إلى أهم النتائج التي ظهرت من ذلك، وهي:

١- أن مصطلح العقيدة يعني: الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تصبح يقيناً ثابتاً لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك.

٢- أن العقيدة الإسلامية تعني: الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

٣- أن مصطلح السنة مصطلح معروف، وردت به النصوص والآثار عن الصحابة الكرام، وتداوله علماء الأمة الأخيار، خلفاً عن سلف وإلى يومنا هذا.

٤- أن مصطلح الجماعة مصطلح معروف كذلك، وردت به السنة النبوية في أكثر من حديث، وله مفهوم واضح محدد عند السلف، وهو الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة.

٥- أن مصطلح ولاية الأمر تعني: الولاية العامة على الناس، ويطلق على صاحبها ولي الأمر أو الخليفة أو السلطان أو الملك ونحو ذلك من الألقاب العامة المعلومة.

٦- موضوع ولاية الأمر له أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية؛ إذ لا تستقيم حياة الناس إلا بولي أمر يضطلع بأمرهم، ويقوم على

مصالحهم ولا يستقيم الدين كذلك، ولا تقوم له قائمة إلا بولي أمر، فلا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة.

٧- أن التمسك بمنهج أهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة سبيل النجاة والفلاح.

٨- أن أهل العلم قاطبة أجمعوا على وجوب تنصيب إمام للمسلمين.

٩- نقل بعض أهل العلم الإجماع على جواز تعدد الأئمة في الأقطار، وأن كل إمام تنفذ أحكامه في قطر، ويعطى من الحقوق ما يعطاه الإمام الأعظم.

١٠- حاجة الخلق إلى ولاة الأمر فوق كل حاجه؛ إذ لولا الولاة لأصبحت الحياة غابة، فتفسد على أهلها من كل وجه.

١١- لولاة الأمر حقوق متفق عليها عند أهل العلم، ومن هذه الحقوق السمع والطاعة والبيعة والنصرة وحرمة الخروج عليهم، والدعاء لهم وجمع القلوب على محبتهم وغيرها من الحقوق.

١٢- أن الالتزام بطاعة ولي الأمر والدعاء له والقيام بحقوقه، وتأليف القلوب عليه طاعةً لله وعملاً بهدي الرسول- ﷺ- ، يعد عملاً من أعمال القلوب، وأن الخروج عليه بأي وسيلة من وسائل الخروج سواء أكان بالقول أم بالفعل محرم بنصوص الكتاب والسنة.

١٣- يجب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ويحرم مفارقة الجماعة، ومن فعل فقد حل دمه، وخلع ربقة الإسلام من عنقه.

١٤- أن مصطلح الوطنية مصطلح لا يتعارض مع الشرع، بل يوافقه، وهو لازم من لوازم القول بتعدد الأئمة في الأقطار، وأن لكل منهم كافة حقوق وواجبات الولاية في حدود هذا القطر.

والله أعلم وأحكم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحابته وسلم.

المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية لأبي يعلي الغراء.

٢. الأحكام السلطانية للإمام الماوردي.

٣. إعانة الخطباء والأئمة بفقه إمامة الأمة للشيخ محمد بن زيد المدخلي.

٤. الاعتصام للإمام الشاطبي.

٥. بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق - وزارة المعارف - السعودية.

٦. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام.

٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير - دار طيبة - الرياض.

٨. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

٩. التمهيد للحافظ ابن عبد البر - تحقيق قلعجي - دمشق.

١٠. تهذيب الرياسة للقلعي.

١١. جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت.

١٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الفكر العربي - بيروت.

١٣. الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الفكر - بيروت.

١٤. حقوق الراعي والرعية للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١٥. الدرر السنية - جمع ابن قاسم.

١٦. سبل السلام للصنعاني - طبع جامعة الإمام بالرياض.

١٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني - المكتب الإسلامي.

١٨. السنة لأبن أبي عاصم - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي.

١٩. سنن ابن ماجه القزويني.

٢٠. سنن أبي داود السجستاني.

٢١. سنن الترمذي.

٢٢. السيل الجرار لمحمد بن علي الشوكاني.

٢٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي.

٢٤. شرح الإمام النووي على مسلم.

٢٥. شرح السنة للعلامة البربهاري.
٢٦. شرح العقيدة الطحاوية لابن العز - طبع المكتب الإسلامي.
٢٧. صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل - دار إحياء التراث.
٢٨. صحيح الإمام مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث.
٢٩. عقيدة التوحيد للشيخ الدكتور صالح الفوزان.
٣٠. غياث الأمم للجويني.
٣١. فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني - القاهرة.
٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي - قطر.
٣٣. القاموس المحيط للفيروز أبادي.
٣٤. قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام - دار الفكر - بيروت.
٣٥. كتاب الشكر لابن أبي الدنيا - مكتبة السنة - مصر.
٣٦. لسان العرب لابن متطور الأفريقي.
٣٧. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل.
٣٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق ابن قاسم - الرياض.
٣٩. المحرر الوجيز لابن عطية.
٤٠. مستدرك الإمام الحاكم - دار الكتاب العربي - بيروت.
٤١. مسند الإمام أحمد بن حنبل.
٤٢. مسند الشهاب.
٤٣. المطالب العالية للحافظ ابن حجر - دار الفكر - بيروت.
٤٤. معالم السنن للإمام الخطابي.
٤٥. المعرفة والتاريخ للنسوي.
٤٦. المغني لابن قدامة - دار هجر - القاهرة.
٤٧. مفهوم الجماعة والإمام للدكتور سليمان أبا الخيل.
٤٨. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - جامعة الإمام - الرياض.
٤٩. الوجيز في عقيدة السلف لعبد الحميد الأثري.



الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء

إعداد

الأستاذ الدكتور: صالح بن محمد الحسن

أستاذ الفقه بجامعة القصيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد

فتستمد الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء وترتسم صورتها من خلال الاطلاع على نصوص الكتاب، والسنة. وتطبيقات سلف الأمة.

وبالاطلاع على الكتاب الكريم: (القران المجيد) يدهش المرء من كثرة وجود كلمة (العلم) وما يتصرف عنها من اشتقاقات لغوية، وكلها في مقام التكريم، والدعم للعلم والعلماء. فضلا عن الكلمات التي تضاد هذه الكلمة: كالضلال، والعمى، والجهل التي وردت في مقام الذم والتبكيت، وهي في مفهوم تكريم ودعم للعلم والعلماء. وبنظرة سريعة لمادة علم ومشتقاتها في جزء من القران الكريم: نجد تكرارها في هذا الجزء أكثر من أربعين مرة مما يعني تكرارها في القران الكريم أكثر من ألف و مئتي مرة. وهذا التكريم أصدق دلالة وأوضح إشارة على مكانة العلم والعلماء عند الله عز وجل.

ويكمل رسم ملامح صورة التكريم والدعم للعلم والعلماء: سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية، ومنهج سلف الأمة في تفسير القران الكريم، والسنة النبوية، سواء أكان تفسيرا قوليا أم تفسيرا علميا.

وسنتناول بإيجاز إيضاح صورة الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء، معنويا، وماديا من خلال محورين:

الأول: الدعم المعنوي للعلم والعلماء:

يعجز الباحث عن إيضاح الصورة كاملة لما ورد في القران الكريم من دعم للعلم، وبيان لمكانته، ولكنه قد يوفق في إيضاح بعض معالم هذه الصورة، وإيضاح هذه الرؤية؛ ولهذا سأكتفي بذكر مواضع من المنهج القرآني المبين لمكانة العلم والعلماء؛ تعطي القارئ الكريم صورة جيدة، وإن كان المنهج القرآني المبين لذلك يفوق ما سأذكره بكثير مما يجعل المجال أمام القارئ مفتوحا للاطلاع على بحوث ودراسات في الموضوع ترسم صورة أجمل وأوضح وأكبر وإليك –أخي الكريم– أهم الأمور التي توضح مكانة العلم والعلماء

أ – العلم من صفات الله عز وجل:

ربنا جل وعلا وتقدس موصوف بصفات الكمال والجمال والجلال منزه عن العيوب والنقائص، ومشابهة المخلوقين (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [1]

وقد وصف الله عز وجل نفسه في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين بصفات معلومة مدركة نؤمن بها ونعتقدها ومن ذلك صفة العلم، فالله تعالى عالم بما كان وما يكون، وقد سمى الله نفسه عليما في ثلاثمائة وخمسين آية [2] ومن هذه الآيات قول الله عز وجل (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [3] وقوله سبحانه (وما يعلم تأويله إلا الله) [4] وقوله سبحانه (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) [5] وقوله سبحانه (قل إنما

---

١) الآية ١١ من سورة الشورى .

٢) انظر كتاب الهدى والبيان في أسماء القران ص ٢٢٤

٣) في آيات كثيرة منها ٢١٦ ، ٢٣٢ من سورة البقرة، ٦٦ من سورة آل عمران .

٤) الآية ٧ من سورة آل عمران .

٥) الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

علمها عند ربي)[1] وقوله سبحانه (وهو السميع العليم) [2] وقوله سبحانه (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [3] وقوله سبحانه (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء الله) [4] وقوله سبحانه (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) [5] وقوله تعالى (قل إنما العلم عند الله) [6] وفي حديث الخضر [7] وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام (قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر عليه السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر)

فنسبة علم الخضر وموسى عليهما السلام إلى علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما لا يبلغ في المقدار إلا كما يبلغ أخذ هذا العصفور من البحر فهو جزء يسير وعلم الله لا يدرك قدره[8].

ب – العلم منة الله على أنبيائه ورسله:

اختار الله عز وجل، واصطفى طائفة من بني ادم ليكونوا رسله وأنبياءه إلى قومهم ليبلغوا لهم شرع الله ودينه؛ فاصطفى سبحانه وتعالى هؤلاء

---

١) الآية ١٨٧ سورة الأعراف .
٢) في آيات كثيرة منها ١٣٧ من سورة البقرة .
٣) الآية ١٣٢ من سورة النحل .
٤) الآية ٢٢٥ من سورة البقرة .
٥) الآية ٧ من سورة غافر .
٦) الآية ٢٦ من سورة الملك .
٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير – باب (وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا) – ٤٠٩/٨ ح ٤٧٢٥ .
٨) انظر كتاب الأسماء والصفات ١٨٧/١ .

الأنبياء والرسل واختارهم وخصهم بهذا الفضل والتكريم (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) [1] وعصمهم الله سبحانه من الوقوع في الخطأ، وعلمهم ما فيه صلاحهم وصلاح أممهم. فمنحهم الله سبحانه أكرم المنح، وجملهم بأحسن الأخلاق ؛ ليقوموا بواجب الرسالة والنبوة فكان العلم حيلتهم والذي به يهدون غيرهم من بني قومهم.

وأولهم آدم عليه السلام (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣)) [2]

ويقول سبحانه عن نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) [3]

روى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) [4] قال: بالعلم.

وقال ابن وهب عن مالك: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء.

---

١) الآية ٧٥ من سورة الحج .

٢) الآية ٣١- ٣٣ من سورة البقرة .

٣) الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف .

والذي أوتي إبراهيم من العلم بالحجة – وهي التي تذكر للخصم على طريق المقابلة – كان في الدنيا بظهور دلالة التوحيد، وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى والشك فيه [1].

وقد ذكر يوسف عليه السلام منة الله عليه بالعلم في قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) [2] يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي: وفي تضاعيف القصة – يعني قصة يوسف عليه السلام – فضيلة العلم من وجوه كثيرة، وبيان أنه سبب الرفعة في الدنيا والآخرة وسبب صلاح الدين والدنيا فيوسف عليه الصلاة والسلام لم ينل ما نال إلا بالعلم.

ولهذا قال له أبوه (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) وامتن عليه وقت مكثه عند عزيز مصر بالتجرد للعلم، وحاز مقام الإحسان بالعلم، وخرج من السجن في حال العز والكرامة بالعلم، وتمكن عند ملك مصر، واستخلصه لنفسه حين كلمه وعرف ما عنده من العلم، ودبر أحوال الخلق في الممالك المصرية بإصلاح دنياهم، وحسن تدبيره في حفظ خزائن الأرض وتصريفها وتوزيعها بالعلم، وعند نهاية أمره توسل إلى ربه أن يتولاه في الدنيا بالعلم حيث قال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل

---

١) انظر كتاب أحكام القران ٢/٧٤١ .

٢) الآية ١٠١ من سورة يوسف .

الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) [1]

ويقول سبحانه عن نبييه: داوود وسليمان عليهما السلام (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠)) [2] فقد امتن الله سبحانه على نبييه عليهما السلام بما آتاهما من العلم الواسع والحكم بين العباد.

ويقول الله سبحانه عن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) [3]

قال الشوكاني – رحمه الله – تعالى: والكتاب: الكتابة، والحكمة: العلم.

وروى في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (ويعلمه الكتاب) قال: الخط بالقلم. [4]

وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم

---

١) الآية ١٠١ من سورة يوسف .

٢) الآيات ٧٨- ٨٠ من سورة الأنبياء .

٣) الآية ٤٨ من سورة آل عمران .

٤) انظر كتاب فتح القدير ١/٣٤١ ، ٣٢٣ .

الإنسان ما لم يعلم (٥)) [1] ، وهذه الآيات الكريمة أول ما نزل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في صحيح البخاري [2] ، وفيها أمره صلى الله عليه وسلم بالقراءة، وذكر نعمة الله عليه وعلى أمته بالعلم والقلم الذي يتم به تقييد العلم.

قال ابن عطية – رحمه الله – في تفسيره: ثم عدد تعالى نعمة الكتابة بالقلم على الناس، وهي موضع عبرة، وأعظم منفعة في المخاطبات وتخليد المعارف، وقوله (علم الإنسان ما لم يعلم) [3] قيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: اسم الجنس وهو الأظهر، وعدد تعالى نعمة اكتساب المعارف للإنسان بعد جهلهم بها [4].

وقال ربنا جل وعلا على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين) [5] فقد ذكر الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يدعو إلى الله على طريقة قائمة على العلم واليقين من غير شك ولا مراء ولا مرية [6].

---

١) الآيات من ١ - ٥ من سورة العلق .

٢) انظر صحيح الإمام البخاري مع الفتح كتاب التفسير – سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق – ٧١٤/٨ .

٣) الآية (٥) من سورة العلق .

٤) المحرر الوجيز ٥١٠/١٥ .

٥) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

٦) انظر كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦٣/٤ .

وامتن الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بالهداية إلى الصراط المستقيم والحفظ من الضلال بالعلم والحكمة (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) [1].

ج – العلم طريق السعادة في الدنيا والآخرة:

الإنسان في هذه الحياة – المؤمن والكافر – ينشد السعادة ويبحث عنها ويتفيأ ظلالها سواء طالت هذه الحياة، أو قصرت فهو يأكل ليسعد، ويشرب ليسعد، وينام ليسعد، ويبحث عن المال ليسعد وهكذا بقية سعيه وحركته يبحث عن السعادة والطمأنينة والرضا.

ولا شك أن الإنسان ينال في حياته قسطا من السعادة يقل أو يكثر، متأثرا بعوامل عدة تحيط به، ويتعامل معها.

وإن أفضل الطرق وأقصرها لنيل السعادة إنما هو طريق العلم: العلم الذي يهدي إلى الإيمان.

ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه، والدار الآخرة يدرك أن طريق السعادة إنما هو الصراط المستقيم الذي بينه الله تعالى في كتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى

---

١) الآية ١٦٣ من سورة النساء .

صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)) [1].

والروح – في هذه الآية - : القرآن، وهدي الشريعة سماه روحا من حيث يحيا به البشر والعالم كما يحيا الجسد بالروح [2].

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله - : فجاءك هذا الكتاب الذي جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يستضيؤون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق ويهتدون به إلى الصراط المستقيم [3]

ويقول الله جل وعلا (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) [4]

فمن علم العلم الذي ينفعه، ويهديه إلى الصراط المستقيم جاء يوم القيامة إلى نعيم ربه وما أعده له ولأمثاله من أهل الجنة وهو ممتلئ سعادة وفرحا، وأمنا. وضدهم – والعياذ بالله – وبضدها تتمايز الأشياء: أهل الجهل والضلال والإلحاد فجزاؤهم يوم القيامة الجحيم والخوف والعذاب.

ولهذا قال ربنا جل وعلا عن القران الكريم، وفضل تعلمه والعمل به (قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) [1]

---

١) الآية ٥٣،٥٢ من سورة الشورى .

٢) انظر كتاب المحرر الوجيز ١٣/ ١٩٤ .

٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/ ٦٣١ .

٤) الآية ٤٠ من سورة فصلت .

قال ابن الجوزي – رحمه الله - : قوله تعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) [٢] قال مقاتل: نزلت في أبي جهل.... ثم قال:

قوله تعالى (لا يخفون علينا) هذا وعيد بالجزاء (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) وهذا عام غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال:

أحدها: أنه أبو جهل وأبو بكر الصديق رواه الضحاك عن ابن عباس... والثالث: أبو جهل و رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله السائب ومقاتل، والرابع: أبو جهل وعثمان بن عفان حكاه الثعلبي... والسابع: الكافر والمؤمن حكاه الماوردي ا. هـــ [٣].

ويتضح بالمقارنة في أقوال المفسرين بين أهل الشقاء وأهل السعادة: أن الطريق الحق الموصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة إنما هو في المنهج الذي أنزله الله عز وجل على رسله وأنبيائه، فمن تعلم وعمل بما فيه فقد تعلم ما ينفعه ويسعده في دنياه وأخراه نسأل الله عز وجل الهداية إلى الصراط المستقيم.

ويقول سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله - [٤]: وإنما يعبد الله، ويؤدى حقه، وينشر دينه، وتحارب الأفكار الهدامة، والدعوات المضللة، والأنشطة المنحرفة: بالعلم النافع المتلقى عن كتاب الله عز وجل

---

١) الآية ٤٤ من سورة فصلت .

٢) الآية (٤٠) من سورة فصلت .

٣) زاد المسير ٢٦١/٧ .

٤) انظر مجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد السادس السنة الثانية سنة ١٤١١ هـ ص ٧ .

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهكذا إنما تؤدي الفرائض بالعلم ويتقى الله بالعلم، وبه تكتشف الحقائق الموجودة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال جل وعلا في كتابه العزيز (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) اهـ.

وكذا بين المصطفى صلى الله عليه وسلم في سنته قيمة العلم ومكانته في حياة الإنسان، وكيف يوصله إلى السعادة الدائمة فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين...)[1]

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من تفقه في الدين – والفقه في الدين من أجل العلوم وأنفعها للفرد والأمة – فقد أراد الله به خيرا ومن أراد الله به خيرا فقد أوتي السعادة الحقة لأنه قد استجمع أبواب الخير كلها المادية والمعنوية في حاضره، ومستقبله.

يقول الحافظ ابن حجر[2]: قوله: يفقهه: أي يفهمه كما تقدم وهي ساكنة الهاء لأنها جواب الشرط، يقال: فقُه – بالضم – إذا صار الفقه له سجية، وفقَه – بالفتح – إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقِه – بالكسر – إذا فهم، ونكر خيرا ليشمل القليل والكثير، والتنكير للتعظيم لأن المقام يقتضيه.

ومفهوم الحديث: أم من لم يتفقه في الدين – أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع – فقد حُرم الخير، وقد أخرج أبو يعلي حديث

---

١) صحيح البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ١/ ١٦٤

٢) فتح الباري ١/١٤٦ ، ١٦٥ .

معاوية من وجه أخر – ضعيف – وزاد في أخره (ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به) والمعنى صحيح، لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أراد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم.ا.هـ

وفي الحديث الأخر يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة...) رواه مسلم [1].

ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – [2]: قوله طريقا نكرها، ونكر علماً: لتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل والكثير، قوله (سهل الله به طريقا) أي في الآخرة أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه، لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة، أهـ

وقد بوب الإمام البخاري – رحمه الله – في كتابه الصحيح بقوله: باب الاغتباط بالعلم والحكمة، وأورد فيه حديثا أن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)

---

١) صحيح الإمام مسلم كتاب الدعوات باب فضل الاجتماع على تلاوة القران ١٧/ ١٦٠ .

٢) فتح الباري ١/ ١٦٠ .

والمراد بالاغتباط بالعلم: أن يتمنى المرء أن يكون له نظير ما للآخر من غير أن يزول عنه، وهو المراد بالحسد الذي أطلق في الحديث وهذا يسمى منافسة. فإن كان في الطاعة فهو محمود، وإن كان في المعصية فهو مذموم، وإن كان في الجائزات فهو من مباح.

فدل هذا الحديث على الحث على المنافسة في طلب العلم لنفع الناس والعمل به. وذلك لأن العلم نور يهتدي به صاحبه ويهدي به الخلق إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة [1].

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا) [2].

ومعناه؛ تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالا. فهي وصية للطالب باغتنام الزيادة قبل وصول درجة السيادة، فالعلم يوصل صاحبه إلى السيادة والرفعة في الدنيا والآخرة [3].

وقد مثل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم النبوة وما جاء به من الوحي والحكمة بالغيث في نفعه للأرض وما يؤثر فيها من الحياة والنماء، ومثل المتلقي لهذا العلم بأنواع الأرض من حيث خصوبتها وانتفاعها بالمطر فالخلق كذلك منهم من أوتي فقها ووعيا يحصل به علما كثيرا فينفع نفسه وينفع غيره ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من لا يستفيد شيئاً.

---

١) انظر كتاب فتح الباري ١/١٦٦ ، ١٦٧ .

٢) انظر صحيح الإمام ١/١٦٥ . وقد أورده – منقطعا – في ترجمة الباب ووصله ابن أبي شيبة وغيره وإسناده صحيح كما ذكره ابن حجر في الفتح .

٣) انظر كتاب فتح الباري ١/١٦٦ .

يقول عليه الصلاة والسلام (مثل ما يثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) متفق عليه [1].

والأجادب: الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء.

د – العلماء ورثة الأنبياء:

خلق الله عز وجل الإنسان وكرمه بالعقل الذي به يتميز عن سائر المخلوقات في الأرض مما جعله بعقله سيد الأرض المتصرف فيها، وسائر المخلوقات خدم مسخرة لأجله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم) [2].

ولتأهله بالعقل الذي يميز به بين النافع والضار كلفه الله عز وجل بحمل الأمانة التي هي أمر الله وشرعه (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) [3].

---

١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب فضل من علم وعمل ١٧٥/١ ح ٧٩ . ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى العلم ٤٥/١٥ .

٢) الآية ٢٩ من سورة البقرة .

٣) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

ولأن الله عز وجل الذي خلق الكون كله عالم بما فيه، ما يرى منه، وما لا يرى، وما يدرك منه، وما لا يدرك، كما أن الإنسان بما جبل عليه من الخير والشر، والحب والكره وغرائزه المختلفة ونوازعه المتعددة، ولأن عقله قاصر عن الإحاطة بكل شيء متفاوت في إدراكه من شخص لآخر: اصطفى ربنا جل وعلا فئة من خلقه ليكونوا أنبياءه ورسله يبلغون وحيه، وما يصلح لعمارة هذه الأرض، يبلغهم منهجا يسيرون عليه في عقائدهم، وأعمالهم وما شرعه الله عز وجل لهم من عبادات يحتاجون إليها، ويتقربون بها إلى خالقهم.

ولأن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشر من آدم يجري عليهم ما يجري على غيرهم فيموتون. وما جاؤوا به باق متعبد به إلى يوم القيامة فإن العلماء – وبخاصة علماء الدين – : هم الذين يتعلمون وحي الله القران الكريم بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغوها للناس، ويعلموها للخلق، فيكونوا بهذا ورثة للأنبياء والرسل في إبلاغ وحي الله وشرعه وهداية الخلق ودلالتهم عليه.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [1].

---

١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم – باب الحث على طلب العلم – ٤/٥٧ ح ٣٦٤١ والترمذي في سننه في باب فضل الفقه على العبادة ٤/٣١٢ ح ٢٦٩١ .

فهذا الحديث ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فسائر الناس يرثون المال، ويرثون الجاه، ويرثون المناصب وغير ذلك من حظوظ الدنيا القصيرة. والعالم يرث الأنبياء، ويرث علمهم ويرث أخلاقهم، ويرث فضلهم، ويرث محبتهم للخلق، ونصحهم للخلق، وهدايتهم للخلق، وتيسير سبل الحياة الكريمة والعاقبة الحسنة، ولهذا فإنهم أهل الحظ والوافر الغني الممتد الذي تنال به السعادة في الدارين.

ولهذا قال الحسن البصري، - رحمه الله - : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم [1].

وقال يحي بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم، قيل كيف ذلك ؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة.

وقال الإمام أحمد – رحمه الله - : حاجه الإنسان إلى العلم أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب [2].

يقول سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في بيان فضائل العلم: إنه إرث الأنبياء. فالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام – لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء، فأنت الآن في القرن الخامس عشر – إذا كنت من أهل العلم – ترث محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر الفضائل. [3]

---

١) الرسول والعلم ص ١١ .

٢) الرسول والعلم ص ١١ ، ١٢ .

٣) مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢٠/٢٦ .

د – الرفعة والمكانة في الدنيا والآخرة:

العلم نور، ومعرفة وهداية إلى ما يكون به صلاح الفرد والمجتمع في الأمور الاعتقادية، والفكرية، وفي الأمور السلوكية والعملية، وفي الأمور المهنية، والفنية؛ فمن اعتقد على علم نفعه اعتقاده ودله على ما يجب عليه نحو خالقه ورازقه، ونحو نفسه، وإخوانه المسلمين، وما خلقه الله من ملائكة وجنة ونار وبعث ونشور... الخ ومن نظر إلى القضايا التنظيرية في علم النفس والاجتماع والسلوك وغيرها بعلم وبصيرة تمكن منها، وحكم على الأمور بصدق واعتدال وتوسط، ومن عبد الله على علم وبصيرة قام بما يجب عليه نحو خالقه جل وعلا.

وكذا في الأمور المهنية كالطب، والهندسة، وغيرها: إنما ينفع الناس من يعمل بعلم وخبرة.

وبضدها تتميز الأشياء فالجاهل يتخبط في الظلمات يضر بنفسه وبالآخرين، ويقصر بحق نفسه وفي حق خالقه، وفي حقوق العباد، ويكون وبالا على نفسه، وعلى غيره.

وقد بين ربنا جل وعلا في كتابه الكريم أنه يرفع بالعلم درجات يرتقي فيها العالم نورا وبصيرة وهداية (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) [1].

وروى مسلم [1] في صحيحه أن عمر رضي الله عنه سأل أحد ولاته قائلا: من أستخلف على أهل هذا الوادي؟ يريد مكة قال: استخلف ابن أبي أبزى

---

١) الآية ١١ من سورة المجادلة.

رجل من موالينا، فقال عمر: أستخلف عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين: (إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص) فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: يرفع الله بهذا الكتاب قوما ويضع آخرين.

وروى مسلم [٢] - أيضا – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث... أو علم ينتفع به...)

فالعلم يجعل العمل الصالح النافع مستمرا لصاحبه حتى بعد مماته يزيد به ذكرا حسنا، ودرجات في منزلته عند ربه وكفى بذلك رفعة ومكانة.

وأخرج الإمام البخاري [٣] - رحمه الله – في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) فالمعدن النفيس يزيده العلم نفاسه وخيرية تجعله قريبا من كل خير، وبعيدا عن كل شر، وجاء في كتاب الحث على طلب العلم: فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة، وتلتمس عزا لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من

---

١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه – ٦/٩٨ .

٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الوصية – باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١١/٨٤ .

٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) ٦/٤١٧ ح ٢٣٨٣ .

غير عشيرة، وأعواناً بغير أجر، وجندا بلا ديوان وفرض: فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه... ولأمر ما: اجتهد فيه طائفة من العقلاء، وتنافس عليه الحكماء، وتحاسد فيه الفضلاء [1] أهـــ.

وقد قال علي رضي الله عنه: إن قيمة كل امرئ ما يحسنه.

وقال سليمان بن مهران الأعمش التابعي المشهور: أنا ممن رفعه الله بالقرآن لولا القرآن لكان على رقبتي دن من صحناء أبيعه.

وقال أبو الأسود الدؤلي: ليس شيء أعز من العلم، وذلك أن الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

قال الشيخ أبو هلال العسكري: ولعمري إن شيئا ينزل المملوك منزلة الملوك، ويحل التابع محل المتبوع، ويحكم به السوقة على الملك العظيم لحقيق أن ينافس فيه، ويحسد صاحبه عليه، ويجتهد في طلبه أشد الاجتهاد.

وقال – أيضا – ولفضل العلم ذلت في التماسه الأعزاء، وتواضع الكبراء، وخضع لأهله ذوو الأحلام الراجحة، والنفوس الأبية، والعقول السليمة، واحتملوا فيه الأذى، وصبروا على المكروه. ومن طلب النفيس خاطر بالنفيس وصبر على الخسيس [2].

وانظر – أخي الكريم – لقصة موسى عليه السلام وهو نبي يوحى إليه كيف تواضع مع الخضر وصبر معه، وانتظر حتى نفد صبره من أجل طلب العلم، والزيادة فيه قال تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع

١) الحث على طلب العلم ص ٤٣ .

٢) الحث على طلب العلم ص ٥٤،٥٣،٥١،٤٥ .

البحرين أو أمضي حقبا (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذا سبيله في البحر سربا (٦١) فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢) قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤) فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (٦٥) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا (٦٦) قال إنك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا (٦٨) قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا (٦٩)) [1].

قال القاضي أبو بكر بن العربي [2] - رحمه الله – عند ذكر قصة الخضر: المسألة الثالثة: فيه الرحلة في طلب العلم ليس بفرض، وقد رحلت الصحابة فيه وأذن لهم في الترحل في طلب الدنيا فضلا عن الدين. أهـ

وقال ابن عطية [3] في تفسيره: وفي هذه القصة من الفقه: الرحلة في طلب العلم، والتواضع للعالم.أهـ

وقال ابن الجوزي [4] - رحمه الله - : وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم، واتباع المفضول للفاضل طلبا للفضل، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب اهـ.

---

١) الآيات (٦٠- ٦٩) من سورة الكهف .

٢) أحكام القران ٣/١٢٤٤ .

٣) المحرر الوجيز ٩/٣٤٩ .

٤) زاد الميسر ٥/٣٤٩ .

وإذا كان الحديث عن الرفعة والمكانة العالية للعلم والعلماء في المنهج الإسلامي فلا بد من الإشارة إلى أن الولاة في الدولة الإسلامية كانوا ينزلون العلم والعلماء هذه المكانة، ويرفعونهم إلى هذه المنزلة، عملا بالمنهج الإسلامي، وتهيئة للمناخ المناسب للتنافس في العلم والجد في التحصيل، والبذل لأبناء الأمة تعليماً، وتوجيها ونصحا وإرشادا.

ومن النماذج المشرقة – في تاريخنا الإسلامي – في إكرام العلماء، واحترامهم، وإعلاء شأنهم منهج الدولة السعودية المباركة منذ قيامها في دورها الأول حيث رعت هذه الدولة – مدارس العلم، وشجعت العلماء على التفرغ للعلم، وتعليم الناس، ونشر المعروف ورعت الدولة السعودية المباركة – منذ قيامها – مدارس العلم في بلادنا، وشجعت العلماء على تعليم الناس الخير، ونشر المعروف، والآداب الشرعية في المساجد، والكتاتيب؛ حيث قامت مدارس الدعوة في أكثر المدن والقرى، يتعلم الناس فيها العلم، ويحفظون القران والسنة، كما برز كثير من العلماء بالفقه في الدين والدعوة إليه، وتأليف المؤلفات النافعة والرسائل المفيدة.

وقد كان لعلماء الشريعة – في هذه البلاد – المكانة العالية والتقدير والاحترام من قبل ولاة الأمر مما جعل عامة الناس يحترمونهم ويجلونهم ويصدرون عنهم، ويقبلون على الانتفاع بهم.

ولهذا أقبل الناس على العلم، وفرغ كثير منهم أبناءهم لطلب العلم منذ الصغر يتنقلون من مدرسة إلى أخرى ومن معلم إلى آخر بحسب مستويات هذه المدارس وهؤلاء المعلمين.

ولقد ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – مجموعة من الكتب القيمة النافعة: ككتاب التوحيد، وكشف الشبهات نفع الله تعالى بها في عصره وبعده إلى يومنا الحاضر، كما اختصر كتبا أخرى يرى حاجة الناس إليها: كالسيرة النبوية، والإنصاف والشرح الكبير، وعرف الناس بوجوب التعلق بالكتاب والسنة وكتب سلف هذه الأمة، وبخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (٧٢٨هـ) وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية (٧٥٧هـ) فأكب الناس على هذه الكتب تعليما ونشرا.

يقول المؤرخ عثمان بن عفان بن بشر في ترجمة الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود (١١٧٩- ١٢١٨هـ) [١] وكان متواضعا يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القران، ويعظمهم. وقال عنه أيضا: وكان يوصي عماله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع... وكان مع ذلك كثير العطاء والصدقات للرعية، والوفود، والأمراء، والقضاء، وأهل العلم، وطلبته، ومعلمة القران والمؤذنين وأئمة المساجد.

وقال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى – عند ذكر الإمام بن تركي [٢]: وكان إماما عادلا حليما مهابا وافر العقل سمحا كريما حسن السيرة سهل الأخلاق محبا للعلماء مجالسا لهم.

وفي كتاب عنوان المجد [٣]: وكان الإمام فيصل – متع الله به – له مع ربه سر يلتجئ في الشدائد إليه، وثقة به في كل نازلة يرجوه ويعول عليه، وقد

---

١) عنوان المجد في تأريخ نجد ١٧١/١ .

٢) عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر صـ/٤٩ .

٣) ٧٩/٢ .

كان حفظ القران عن ظهر قلب – وهو صغير – وحافظ على تلاوته والتهجد به شابا وكبيرا، وكان له حظ من الليل والقيام فيه.. إلى أن قال: وكان يحب العلماء ومجالستهم فلهذا أقاموا عنده أي قضاة البلدان النجدية أكثر من شهر فأظفر إعزازهم، وإكرامهم وتوقيرهم، واحترامهم.

وأما الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي وحد هذا الكيان الكبير – المملكة العربية السعودية – فإن العلماء عنده لهم مكانة عالية ومنزلة رفيعة حيث كان رحمه الله تعالى يجالس العلماء ويحترمهم، ويعلي قدرهم، ويشعر بهيبتهم ويستشيرهم فيما يعرض له من قضايا وأمور تستدعي المشورة.

وكان – رحمه الله – يخصص في مجلسه حلقات علم؛ في القرآن والتفسير وسائر العلوم الشرعية، كما خصص – رحمه الله – يوما في الأسبوع وهو يوم الخميس، للالتقاء بالعلماء و المشايخ ؛ للسماع إلى نصحهم وإرشادهم، وإطلاعهم على ما يحتاجون إليه من أمور الدولة وأخبار المناطق [1].

وقد حذا أبناء الملك عبد العزيز –رحمه الله – حذوه، واستنوا بسنته في احترام العلماء وتوقيرهم، والثناء عليهم، والسماع منهم، واتخاذهم مستشارين يشاركون في بذل النصيحة وبيان والمعروف، ولا يزال خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – وسمو ولي عهده الأمين يستقبلان العلماء كل أسبوع تقديرا لهم، ورغبة في سماعهم، والإفادة منهم.

---

١) انظر بحث توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والاجتماعي ضمن بحوث جائزة المدينة للدكتور محمد بن عبد الله السليمان .

الفصل الثاني : الدعم للعلم والعلماء

وإذا كان الإسلام ينزل العلم والعلماء المنزلة التي تمت الإشارة إليها في الفصل السابق، وأنهم ورثة الأنبياء ومكلفون بهداية البشرية ودلالتها على الخير، والأخذ بها إلى مدراج الرقي والسعادة في مختلف مناحي الحياة فإن المال – بلا شك – سيكون أحد الخدم المسخرين لخدمة العلم والعلماء متى وجدت الحاجة إليه. وإذا كان المال خادما والعلم مخدوما، كما أن العلم ينظم الأموال في مواردها، ومصارفها. فهو يحفظها، وينظمها، وينميها.

ولقد ذكر العيني في كتابه الدارس في تاريخ المدارس : أن العلم سبب لسوق الرزق إلى أهله من سائر البشر [1].

ولهذا فإنك ستجد نصوص الكتاب والسنة داعمة وداعية إلى صرف الأموال في أبواب العلم، ومجالاته وكذا نصوص علماء الإسلام كما أن نهج المسلمين قديما وحديثا الصرف بسخاء في مجال العلم والتعليم.

وسأتناول – إن شاء الله – باختصار – إيضاح هذا الأمر في النقاط التالية :

- الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص الكتاب والسنة.
- الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص علماء الإسلام.
- الدعم المادي للعلم والعلماء في منهج السلف.

---

١) انظر كتاب الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥ .

○ الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص الكتاب والسنة :

وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى تحث على الصدقة، وعلى النفقة في سبيل الله، وعلى القرض الحسن لله تعالى وهي وإن لم تنص على العلم والعلماء بشكل خاص فإن ذلك يدخل دخولا أوليا إذا قامت الحاجة إلى المال لإقامة دور العلم، أو الإنفاق عليها، وعلى معاهدها وأبحاثها، أو على طلابها وعلمائها؛ لأن النفقة تطيب بطيب موردها ومصرفها، وأطيب المصارف: ما صرف على العلم ومن هذه الآيات قول الله عز وجل في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) [1].

يقول الإمام الطبري –رحمه الله–: وآتى المال على حبه: وأعطى المال في حين محبته إياه وضنه به وشحه عليه [2].

ثم نقل تفسير ابن مسعود رضي الله عنه: وآتى المال على حبه: أي يؤتيه وهو صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر [3].

---

١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

٢) تفسير الطبري ٣/ ٣٤٠ .

٣) المحرر الوجيز ٢/ ٧٧، ٧٨ .

٤) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

وقال ابن عطية – رحمه الله - : وقوله تعالى (وآتى المال على حبه...) هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة، وبها كمال البر، وقيل: هي الزكاة... والمعنى المقصود: أن يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى ٣.

وقوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين)[٤].

قال الطبري – رحمه الله – تعالى في تفسير هذه الآية: (كتب عليكم) فرض عليكم أيها المؤمنون الوصية (إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية) والخير: المال، للوالدين والأقربين الذين لا يرثون، (بالمعروف) وهو ما أذن الله فيه وأجازه في الوصية مما لم يجاوز الثلث، ولم يتعمد الموصي ظلم ورثته، (حقا على المتقين) يعني بذلك: فرض عليكم هذا وأوجبه، وجعله حقا واجبا على من اتقى الله فأطاعه أن يعمل به [١].أهـ

قال ابن عطية – رحمه الله - : وقال مالك – رحمه الله – وجماعة من العلماء: الوصية ماضية حيث جعلها الميت [٢].أهـ

وقوله سبحانه (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون) [٣].

---

١) تفسير الطبري ٣/٣٨٤ .

٢) المحرر والوجيز ٢/٩٤ .

٣) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .

قال الطبري – رحمه الله - : يعني تعالى بذلك: من ذا الذي ينفق في سبيل الله فيعين مضعفا، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترا وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه [1].أهـ

وقوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) [2].

قال ابن الجوزي – رحمه الله - : وفي المراد بـ (سبيل الله) قولان؛ أحدهما: أنه الجهاد، والثاني: أنه جميع أبواب الخير [3].أهـ

وقال ابن عطية – رحمه الله - : هذه الآية في نفقة التطوع، وسبل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة، وعائد بمنفعة على المسلمين والملة، وأشهرها وأعظمها غناء: الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

وقوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (٢٦٥)) [4].

يقول الطبري – رحمه الله - : ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها ويحملون عليها في سبيل الله، وفي غير ذلك من طاعات الله [5].أهـ

---

١) تفسير الطبري ٥/٢٨٢ .

٢) الآية ٢٦١ من سورة البقرة .

٣) زاد المسير ١/٣١٦ .

٤) الآية ٢٦٥ من تفسير البقرة .

٥) تفسير الطبري ٥/٥٣٠ .

ومثل قول الله تعالى في سورة آل عمران (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) [1].

قال الطبري –رحمه الله– في تفسيره: يعني بذلك جل ثناؤه: لن تدركوا أيها المؤمنون البر، وهو البر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه، وذلك تفضله بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل البر: الجنة، لأن بر الرب بعبده في الآخرة: إكرامه إياه بإدخاله الجنة.

ثم قال أبو جعفر: فتأويل الكلام: لن تنالوا البر أيها المؤمنون جنة ربكم حتى تنفقوا مما تحبون، يقول: حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم [2].أهـــ

ثم روى أبو جعفر الطبري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر...) أو هذه الآية (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قال أبو طلحة رضي الله عنه: يا رسول الله حائطي الذي بكذا وكذا صدقة، ولو استطعت أن أجعله سراً لم أجعله علانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها في فقراء أهلك [3].ا. هـــ وهو حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري وغيره.

وقال ابن الجوزي –رحمه الله – : المراد بالنفقة ثلاثة أقوال: أحدها أنها الصدقة المفروضة قاله ابن عباس والحسن والضحاك، والثاني: أنها جميع

---

١) الآية ٩٢ من سورة آل عمران .

٢) تفسير الطبري ٦/٥٨٧ .

٣) تفسير الطبري ٦/٥٨٩ .

الصدقات قاله ابن عمر، والثالث: أنها جميع النفقات التي يبتغي بها وجه الله سواء كانت صدقة أو لم تكن نقل عن الحسن واختاره القاضي أبو يعلى[1]. أهـــ

وإن الناظر في الآيات السابقة ومثلها كثير في القرآن الكريم: يدرك أن القرآن الكريم يحث المسلمين، ويدعوهم، ويرغبهم في البذل والسخاء في جميع وجوه الخير. ووجوه الخير: باب واسع لا يمكن أن يحد بنوع معين أو أنواع معينة، لكن الضابط: إنما هو الخير.

فمتى كان هذا الإنفاق ينفع المسلمين عامة أو يسد خلة أو حاجة لفئة منهم: فإن ذلك سبيل النفقة والبر والبذل لكل خير ومعروف من القول والعمل، أو المال.

ولا شك أن البذل والعطاء فيما ينفع الأمة في الجانب العلمي؛ سواء كان بتهيئة المعامل والمختبرات، والمكتبات والمباني للمدارس ودور العلم، أو كان ذلك بالبذل والنفقة على المحتاجين من طلاب العلم لإسكانهم وإعاشتهم وتهيئة ما يعينهم على طلب العلم، ويفرغهم لنفع المسلمين: أن ذلك من أفضل البر والمعروف.

كما يلاحظ في الآيات السابقة أنها تحض المسلمين على النفقة بوجه عام سواء ما كان منها واجبا على المنفق؛ كالزكاة ونفقة الزوجة والأقارب، أو كان ذلك مندوبا كالوصية بالثلث فما دون ليكون في أعمال البر بعد الوفاة، والوقف المنجز الذي يوقفه المرء وهو صحيح شحيح فيخرجه من ماله وقفا

---

١) زاد المسير ١/ ٤٢١ .

على أعمال الخير الخاصة والعامة بحسب ما يراه، وكذا الصدقة المنجزة التي يبذلها المسلم من ماله أو بدنه للمحتاجين من إخوانه المسلمين.

ومن نصوص السنة النبوية التي تدل على فضل النفقة، والبذل لدعم العلم، والعلماء:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق... الحديث) رواه البخاري[1].

قال ابن حجر – رحمه الله -: في هذا الحديث حجة على جواز إنفاق جميع المال وبذله في الصحة والخروج منه بالكلية في وجوه الخير ما لم يؤد إلى حرمان الوارث ونحو ذلك مما منع منه الشرع[2].أهـــ

ومن ذلك – أيضا – حديث عبد الله بن معقل رضي الله عنه قال: سمعت عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) رواه البخاري[3].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم

١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب اتفاق المال في حقه ح ١٤٠٩ .

٢) فتح الباري ٢٧٧/٣ .

٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة و القليل من الصدقة ح ١٤١٧ .

أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا) أخرجه الإمام مسلم[١].

قال النووي –رحمه الله– : قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات، ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى إسرافا، والإمساك المذموم: هو الإمساك عن هذا [٥].أهـــ

ومن نصوص السنة النبوية الشريفة في الحث على الوصية وبيان مقدارها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني النبي صلى الله عليه السلام فقلت: أوصي بمالي كله قال: لا، قلت: فالنصف قال: لا.فقلت فالثلث ؟ فقال: نعم والثلث كثير)[٢] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له) رواه الإمام مسلم – رحمه الله – في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

قال النووي – رحمه الله - : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: إن كان الورثة أغنياء استحب أن يوصي بالثلث تبرعا وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص من الثلث [٣]. أهـــ

---

١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب البيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٥/٧ .

٢) أخرجه الإمام مسلم – رحمه الله – في كتاب الوصية .

٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٧/١١ .

وإذا كان الحديث السابق دليلا على الوصية والوقف: فإن من نصوصها في الوقف حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: أصاب عمر رضي الله عنه أرضا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمر فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه، فبم تأمرني به؟، فقال (إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها) قال: فتصدق بها عمر، ألا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يورث ولا يوهب، قال: فتصدق عمر في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل، والضيف ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعمه صديقا غير متمول)[1]

قال النووي – رحمه الله - : وفي هذا الحديث: دليل على صحة أصل الوقف وأنه مخالف لشوائب الجاهلية، وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير ويدل عليه أيضا إجماع المسلمين وعلى صحة وقف المساجد والسقايات... وفيه فضيلة الوقف وهي الصدقة الجارية[2].أهـ

- الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص الفقهاء:

إن من ينظر في كتب الفقه، أو يراجع فهارسها: فإنه سيجد أن جميع هذه الكتب دون استثناء المطولات منها، أو المختصرات: قد تضمنت أبوابا فقهية يعالج من خلالها الدعم المادي للعلم والعلماء؛ بمعنى أنك ستجد في هذه الكتب – كتاب الزكاة – وستجد أن من مصارفها الفقراء، والمساكين، وابن السبيل، وفي سبيل الله.

---

١) أخرجه مسلم في باب الوقف ١١/٨٦ .

٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/٨٦ .

وهذه المصارف الأربعة يدخل فيها العلماء دخولا أوليا إذا كانوا ضمن هذه الأصناف ؛ لأنهم أولى الفئات بصرف الزكاة لهم إذا كانوا من مستحقيها ، كما أن مصرف (في سبيل الله) : مصرف واسع – عند كثير من العلماء – يشمل : كل ما تحتاج الأمة لرفعة شانها ، وحفظ أمنها ، والعلم من أهم الأمور التي توصل بها إلى ذلك.

وسيجد الباحث في كتب الفقه : الحث على صدقة التطوع في جميع وجوه الخير، وما تحتاج إليه الأمة من مساجد ومدارس وغيرها. ولا شك أن العلم والعلماء في مقدمة من يحث الإسلام على بذل الصدقة والمعروف لهم ؛ لما لهم من الأثر الطيب على الأمة بكاملها من حيث تقدمها ورفعة شأنها ، وحفظ دينها وأمنها ، ولأن العلم من أقوى الأسباب التي تحصل بها الأمة مطلوبها ، وتتفوق بها على الأمم التي تعاديها.

ولا تقتصر الأبواب الفقهية التي تنظم الدعم المادي للعلم والعلماء على أبواب الزكاة والصدقة بل ستجد – أيضا – أبوابا خاصة بالوقف ، والوصية ، في جميع كتب الفقه.

ويتناول الفقهاء في الأبواب : من مشروعية الوصية والوقف في المصارف العامة ، والخاصة ، ومن ضمن هذه المصارف ، بل من أولاها ما كان في وجوه العلم وتشجيع العلماء ؛ من المساجد والمعاهد ، ودور العلم ، والمكتبات ، والكتب وغيرها.

ففي كتب الحنفية : يعقدون بابا خاصا بالوقف للوصية ضمن كتب المعاملات ، وإذا نظرت في كتاب المبسوط – من أمهات كتب الحنفية – وجدت السرخسي –رحمه الله- قد خص الوقف بباب ضمن الموضوعات

الفقهية عرف فيه الوقف وبين حكمه وأدلته التي تدل على جوازه ولزومه، وذكر أن أبا يوسف –رحمه الله- لما حج مع هارون الرشيد –رحمه الله- وروى وقوف الصحابة رضوان الله عليهم بالمدينة ونواحيها رجع فأفتى بلزوم الوقف، وقد كان في السابق يقول أبي حنيفة أن الوقف لا يلزم، واستدل بوقف عمر رضي الله عنه وقال: ثم أمر رسول الله عليه السلام بالوقف بقوله: تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث، فهو من حجة من يقول: بلزوم الوقف، ثم ذكر جواز الوقف بالعقار والمنقول، وجواز بيعه إذا تعطلت منافعه لينقل إلى غيره [1].

وفي كتب المالكية يعقدون لذلك أبوابا مستقلة باسم (كتاب الأحباس) وكتاب الوصايا وهكذا فعل ابن عبد البر –رحمه الله – من المالكية في كتابه الكافي، حيث قال: في كتاب الأحباس – الذي عقده في آخر أبواب المعاملات –ثم قال: والحبس، أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ربعه ونخله، وكرمه، وسائر عقاره لتحري غلات ذلك وخراجه، ومنافعه في السبل التي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل، ويكون الأصل موقوفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا من باقي شيء منه [2]. أهـ

وقال ابن العربي –المالكي- رحمه الله- : من سعة كرم الله أن يثيب على ما بعد الحياة كما يثيب على ذلك في الحياة وذلك في ستة: صدقة

---

١) انظر كتاب المبسوط ١٢/٢٧ - ٤٧ .

٢) انظر كتاب الكافي ١٠١٢ .

جارية، أو علم ينتفع به بعد موته، أو ولد صالح يدعو له، أو غراس، أو زرع، أو رباط، فا للمرابط ثواب عمله إلى يوم القيامة [1]

وإذا نظرت في كتاب المهذب –من كتب الشافعية- للشيرازي وجدته قد عقد بابين الأول للوقف، والثاني للوصية في آخر أبواب المعاملات.

وقد ذكر أن الوقف: قربة مندوب إليها وبين جواز الوقف للعقار والمنقول وكل عين ينتفع بها على الدوام، بل يجوز وقف الدراهم والدنانير عند بعض الشافعية، ثم ذكر مصارف الوقف وقال: ولا يصح الوقف إلا على بر ومعروف كالقناطر، والمساجد، والفقراء والأقارب [2].ا. هـ

وفي كتب الحنابلة –رحمهم الله- عقدوا أبوابا للأوقاف، والوصايا ضمن أبواب المعاملات.

ففي كتاب المغني لابن قدامه –رحمه الله- نجده عقد كتاب الوقوف، والعطايا، ثم كتاب الوصايا.

وقد ذكر فيه حكمه، ودليله، وأمثلة لوقف كبار الصحابة ثم قال: وهذا جابر رضي الله عنه: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف ثم قال: وهذا إجماع منهم.ا. هـ

وذكر جواز وقف العقار والمنقول مما يجوز بيعه والانتفاع به مع بقاء عينه.

وقال: لو خص المشتغلين بالعلم من أولاده بوقفه تحريضا لهم على طلب العلم...فلا بأس [3]. ا. هـ

---

١) انظر مجلة دار الحديث الحسينية ص ٣٣٠ .

٢) انظر كتاب المهذب ١/٤٤٨ .

٣) انظر كتاب المغني ٨/٢٠٦ ، ٢٣١ .

ولما سئل الإمام أحمد –رحمه الله– عن الوقوف قال : جائزة، لم يزل المسلمون يفعلونه عمر بن الخطاب و عثمان وطلحة والزبير رضوان الله عليهم وهذه وقوفهم بالمدينة [1].

وهذه إطلالة سريعة على نماذج من كتب الفقه والمذاهب الأربعة توضح أن الوقف في الشريعة الإسلامية عبادة مالية مشروعة ومرغب فيها.

دعا إليه القران الكريم والسنة النبوية الشريفة – كما سبق بيانه – ووقف النبي صلى الله عليه وسلم أرضا له في سبيل الله.

ووقف الخلفاء الراشدون، وحبس معاذ بن جبل، وحبست عائشة وأختها أسماء، وأم سلمة وأم حبيبة وصفية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وحبس سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعا وغيرهم وهذا إجماع على جواز الوقف ولزومه [2].

ففي الوقف تحقيق لأهداف سامية وأغراض خيرية شاملة يمتد نفعها لعموم المجتمع كالوقف على دور العلم، وطلبة العلوم الشرعية وغيرها من العلوم النافعة، وعلى المكتبات، ومراكز البحث التي يعود نفعها على الأمة جمعاء، يكون فيها تنمية المجتمع وتقدمه، وعلو شأنه مما جعله أحد القنوات المالية الثابتة في مجال التكافل الاجتماعي والتقدم الحضاري في النظام الإسلامي.

---

١) انظر كتاب الوقوف من مسائل الإمام أحمد الخلال ١/٢١٤ .

٢) انظر كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف ص ١٣ .

وقـد عقـد أحـد البـاحثين المغاربـة في بحـث بعنـوان الأحبـاس المعقبـة والمشتركة، عقد مبحثا بعنوان: أحباس مشتركة خاصة بنشر العلم ومما قاله فيه: نعم يمكن للمحبس أن يقف ما شاء وبالخصوص في ميدان التعليم... ويستفيد منه بطبيعة الحال القائمون على التعليم من معلمين، وأساتذة وموظفين، وكذا جميع التجهيزات كالبنايات والأثاث والكتب ووسائل التعليم بصفة خاصة[1].ا.هـ

ولم يقتصر عمل فقهاء الإسلام على إدراج أبواب الزكاة، والوصايا والأوقاف في مؤلفاتهم الفقهية مبينة مشروعيتها، وأحكامها ومصارفها. لكنهم –أيضا- ألفوا مؤلفات مستقلة خاصة بهذه الأبواب لبسطها ومزيد العناية بها وبذلها بين المسلمين ليتفقهوا فيها، ويعملوا بمقتضاها ومن هذه المؤلفات:

١- كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (١١٣) – (١٨٢).

٢- كتاب الوقوف والوصايا للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ – ٢٤١).

٣- كتاب الوصايا لمحمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ - ١٩٨)

٤- كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٥- كتاب الأموال لحميد بن زنجويه (١٨٠- ٢٥١).

٦- أحكام الأوقاف لأحمد بن عمر الشيباني (ت ٢١٦).

---

١) مجلة دار الحديث الحسينية ص ٣٤٨.

٧- الإسعاف في أحكام الأوقاف لإبراهيم بن موسى الطرابلسي _ت٩٢٢).

٨- رسالة في جواز وقف النقود لأبي السعود محمد بن محمد الحنفي (ت ٩٨٢).

٩- أحكام الأوقاف لحسن الأعظمي.

١٠- تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١).

١١- أحكام الأوقاف للأستاذ حسن رضا.

١٢- أحكام الأوقاف للأستاذ محمد شفيق العاني.

١٣- أحكام الأوقاف للدكتور مصطفى الزرقا.

١٤- أحكام الوقف للشيخ عبد الوهاب خلاف.

١٥- أحكام الوقف في الشريعة للدكتور محمد عبيد الكلبي.

ومما تقدم على إيجازه يدرك القارئ الكريم أن الشريعة الإسلامية تولي العلم والعلماء ما يستحقون من رعاية وعناية سواء بذلك الجانب المعنوي والمثوبة الأخروية، أو الجانب المادي قال زيد بن ثابت رضي الله عنه (لم نر خيرا للميت ولا للحي. من هذه الحبس الموقوفة؛ أما الميت فيجري أجرها عليه وأما الحي فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها[1]).

---

١) انظر كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف ص ١٥ .

ويحسن الإشارة هنا –أيضا- إلى أن الفيء والكنوز وغيرها من موارد الدولة الإسلامية يجب أن يصرف منها للعلم: معامله ومدارسه ومكتباته وغيرها وعلى العلماء ما يكفي لقيام الأمة بفروض الكفاية في كافة مجالات العلم والتي تحتاجها الأمة.

وفي كتاب الأموال لابن زنجويه عقد باباً خاصا في فرض العطاء من مخارج الفيء ومصارفه وذكر أن أهل الحضارة يفضلون العطاء على أهل البادية[1] وما ذلك إلا حث للمسلمين على الاجتماع والعلم والعمل والتعاون.

- الدعم المالي للعلم والعلماء في نهج المسلمين:

لقد بذل المسلمون قديما وحديثاً من أموالهم وأوقاتهم الشيء الكثير في سبيل دعم العلم والعلماء، بل وفي كافة وجوه الخير التي يأتي العلم والعلماء في مقدمتها.

ومع وجود الدعم المالي للمشروع العلمي لدى الأمة الإسلامية: فإن هذا الدعم يتفاوت من وقت لآخر ومن دولة لدولة ومن بلد لبلد.

وكانت بدايتها وقدوتها وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأوقاف صحابته الكرام، وفي العهدين: الأموي والعباسي اتسعت الوقوف، ورغب الناس في الأحباس، ولم تعد الوقوف قاصرة على الوقوف في جهة الفقراء والمساكين، بل تعدى ذلك إلى تأسيس دور العلم والإنفاق على طلابه، والقائمين عليه من مدرسين وغيرهم، وإنشاء المساجد والملاجئ والمكتبات[2].

---

١) انظر كتاب الأموال لابن زنجويه ٢/ ٥١٠

٢) انظر كتاب أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ١/ ٣٣ .

ولقد بلغ من كثرة الأوقاف في عهد المماليك أن جعل لها ثلاثة دواوين / ديوان لأوقاف المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر المختلفة، وديوان الأوقاف الأهلية[1].

قال النعمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس: وقد استخرت الله تعالى في جمع كتاب في ضبط الأماكن التي وقفها بدمشق من ساق الله تعالى الخير على يديه، وأوقفوا على ذلك أوقافا دارة تدر كل حين على حكم ما أوقفوها عليه إعانة لنشر علم علماء الشرعية الغراء، ومآخذها الزهراء جزاهم الله تعالى أحسن الجزاء [2].أهـ

وقد ألف كتابه هذا في هذا الموضوع الخاص بدعم المسلمين للعلم والعلماء في مجلدين كبيرين.

فالمسلمون يدينون بهذا الدين العظيم، الذي حث على فعل الخير في جميع وجوه الخير ونظم لذلك عبادات يتعبد بها المسلمون بإخراج أموالهم في وجوه الخير بعضها واجب، وبعضها مندوب، وبعض مصارفها خاص، وبعضها عام. وبقدر وعي الأمة في دينها تزداد أعمالها ومشاريعها الخيرية.

وإذا كان التركيز بالبحث على الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء: فإني سأختم هذا البحث بالإشارة إلى نماذج من نهج المسلمين في الدعم المادي للمشروع العلمي.

وسأبدأ بالمساجد باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى في الدولة الإسلامية.

---

١) انظر كتاب محاضرات في الوقف ص ١٤ .

٢) ٥/١

فالمسجد أول بيت بناه المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة، وتأسيس الدولة الإسلامية ليكون بيتاً للعلم والعبادة، تؤدى فيه الصلوات الخمس، ويعلم فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته الهدى والنور الذي جاء به، ويعلم فيه الناس بعضهم بعضا.

فأول مسجد بناه المصطفى صلى الله عليه وسلم مسجد قباء، ثم بنى مسجده عليه الصلاة والسلام، ثم تتابع بناء المساجد لهذا الغرض في بلاد الإسلام، وفي غيرها من البلاد التي يوجد بها المسلمون. وهذه المساجد تبنى وقفا لله عز وجل من بيت مال المسلمين ومن أوقاف المسلمين الخاصة، وهي بحمد الله كثيرة جدا في بلاد المسلمين تعد بمئات الآلاف وكلها مدارس للعلم والعبادة.

ومن أشهرها وأعظمها وأكبرها أثراً: المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة والمسجد الأقصى –فك الله أسره وأعاده إلى حظيرة الإسلام- ، والجامع الأزهر في مصر وجامع القرويين في فاس واستمر معظمها –بحمد الله- مئات السنين يتخرج فيه العلماء في كل فن من فنون المعرفة التي تحتاجها الأمة ويتناوب فيها العلماء وسائر التخصصات التي تنفع الأمة، وبخاصة علوم الشريعة، ويفد إليها طلاب العلم من أهل البلاد ومن غيرهم، ويجدون فيها أحيانا كثيرة الإقامة والسكنى والإعاشة ويقوم على خدمتهم محتسبون وموظفون من أموال الأوقاف التي حبست لذلك.

- المدارس والجامعات:

أنشأ المسلمون قديما وحديثا المدارس، والمعاهد والجامعات: لتعليم أبنائهم أحكام هذا الدين وآدابه وتعليمهم ما تحتاجه الأمة في شؤون الحياة.

أنشئت هذه المدارس والمعاهد والجامعات : من قبل الدول الإسلامية من بيت مال المسلمين ، كما أنشئ كثير منها من أوقاف المسلمين.

جاء في كتاب أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية : وقد قام على الوقف جامعات علمية نشرت نورها على الأرض ، وحملت رسالة الإسلام إلى الناس ، وبسبب الوقف وحده نشطت في البلاد الإسلامية حركة علمية منقطعة النظير غير متأثرة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي سادت بلاد المسلمين ، فوفرت للمسلمين نتاجاً علمياً ضخماً وتراثاً إسلامياً خالداً ، وفحولا من العلماء لمعوا في التاريخ العالمي كله [١].أهـ

ومن أشهر هذه المدارس : المدرسة النظامية ببغداد التي أنشأها نظام الملك السلجوقي سنة ٤٥٧هـ.

والمدرسة النورية بدمشق التي أنشأها نور الدين محمود زنكي سنة ٥٦٣هـ على مساحة تقدر بـ ١٥٠٠ متر مربع ، ولا زالت قائمة إلى وقتنا الحاضر [٢].

والمدرسة الظاهرية القديمة التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ في القاهرة ، وهيأها بما تحتاجه من المدرسين والكتب.

والمدرسة الظاهرية البرقوقية التي أنشئت بالقاهرة سنة ٧٨٦هـ وضمت ما يحتاجه الطلاب من الكتب.

والمدرسة المنصورية التي أنشأها المنصور قلاوون بين عامي ٦٨٣ ، ٦٨٤ بالقاهرة وزودها بما تحتاجه من المدرسين والكتب.

---

١) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ١٣٨/١ .

٢) انظر كتاب تاريخ التربية والتعليم ص ١١٦ .

ومدرسة الأشرفية بالقاهرة التي أنشئت فيما بين عامي ٨٢٦، ٨٢٩ وأنشأها السلطان أبو النصر الدقماقي وألحق بها مكتبة كبيرة [١].

والمدرسة الصلاحية وهي من أعظم المدارس المصرية القديمة بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ وعين لها ناظرا ومدرسين، وكان ممن ولي التدريس فيها الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد –رحمه الله– [٢].

○ المكتبات والأربطة:

ومن الدعامات الأساسية المهمة في الميدان العلمي: المكتبات التي تبنى وتهيأ لجميع الكتب والمؤلفات العلمية فيها، في جميع الفنون، وتهيأ فيها أماكن خاصة للدارسين والمطالعين، وربما تكون مكانا يلتقي فيه الطلاب بالعلماء لسؤالهم والأخذ عنهم، وكذا الأربطة والمساكن التي يقفها القادرون على طلاب العلم والغرباء للسكن فيها، وقد تؤمن لهم الأغذية والملابس.

ولقد كانت بغداد ودمشق والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة من حواضر العالم الإسلامي، ومثابة للعلم والعلماء في مختلف فنون العلوم والمعارف، واستمرت قروناً من الزمان لا يضاهيها بلاد أخرى، فقامت فيها دور الكتب والمكتبات العامة والخاصة، وغصت تلك الدور بالمصنفات النادرة والكتب الكثيرة في شتى فروع المعرفة.

بل كانت المكتبات تقام في كل مدرسة، وجامع، إضافة إلى الدور الخاصة بالمكتبات. ومع ما تعرضت له بغداد في كل مدرسة وغيرها من هجمات التتار

---

١) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٩١،٩٢ .

٢) انظر كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٢٥٧ .

والنصارى وما أتلف فيها من كتب وكنوز علمية : فقد احتفظت بعض المكتبات بكنوزها العلمية النافعة.

ومن هذه المكتبات مكتبة الحرم المكي ، والحرم النبوي ، والجامع الأزهر ، والجامع الأموي ودار الحكمة التي أنشأها هارون الرشيد ببغداد وتابعها ابنه المأمون وظلت قائمة إلى سنة ٦٥٦هـ.

ومكتبة قرطبة بالأندلس جمع فيها أكثر من أربعمائة ألف مجلد [١].

ومن المكتبات الوقفية المهمة –أيضا- : مكتبة الأزهر التي أنشئت بعد عشرين عاما من إنشاء الجامع الأزهر ٣٨١هـ ، ونقل إليها كثير من الكتب والمصاحف ، وقد كلف بشؤونها إمام الأزهر ، واستمرت هذه المكتبة في نفعها وعطائها والعناية بها إلى يومنا الحاضر وعمادها على الأوقاف التي رتبت لها ، والكتب الموقوفة فيها [٢].

بل لقد زودت كثير من المساجد بخزائن الكتب لتوضع فيها المصاحف ، وكتب الأحاديث والتفسير والفقه ، وغير ذلك من العلوم لاستخدامها من قبل المصلين باعتبارها أداة للتعلم والتعليم [٣].

كما أقيمت المكتبات في المدارس التي أنشأها المسلمون في كل قطر من أقطارهم لتكون مرجعا للمدرسين والطلاب يفدون إليها وينهلون من معينها.

---

١) انظر كتاب لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٢٩- ٣٥ .

٢) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٨٣- ٨٤ .

٣) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٨٢ .

ومن أهم المكتبات المدرسية في مصر: مكتبة المدرسة الظاهرية القديمة التي أسسها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ ووقف عليها خزانة كتب جليلة وحمل إليها أمهات الكتب في سائر العلوم والمذاهب.

والمدرسة المنصورية التي أنشأها المنصور قلاوون سنة ٦٨٤هـ وجعل بها خزائن كتب عظيمة في مختلف العلوم والمعارف، ومدرسة الخيل بقلعة مصر التي أنشأها السلطان حسن بن قلاوون سنة ٧٨٥هـ لدراسة المذاهب الفقهية الأربعة والحديث والقراءات، وقد زودها بمكتبه حوت كتبا كثيرة أوقفها السلطان على طلبة العلم [1].

ولقد كان لهذه المكتبات التي أقيم معظمها بأموال الأوقاف التي حبسها المسلمون في كل عصر، ومصر كان لهذا الأثر المبارك في حفظ خزائن الكتب، وتيسيرها للعلماء والمتعلمين مما يعد أكبر دعامة للعلم والعلماء، بقي نفعها إلى يومنا الحاضر وسيبقى –إن شاء الله- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما سيبقى نفعها للواقفين لها، والساعين لوقفها، والحافظين لها عملا صالحا لا ينقطع يجدونه محفوظا لهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

وكذا الأربطة، والمساكن التي يقيمها المحسنون بجوار المدارس والمعاهد والمساجد لسكنى طلاب العلم والمغتربين يستعينون بها على طلب العلم والتفرغ له، وكانت منتشرة في العالم الإسلامي، في مكة والمدينة وبغداد

---

١) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٨٩ – ٩١ .

ودمشق والقاهرة وفارس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي مما يعد مفخرة للمسلمين في دعم العلم والعلماء وتشجيعهم على القيام بدورهم المهم.

ولقد كان لبلادنا –بلاد الحرمين الشريفين– حفظها الله قدحها المعلى في هذا الجانب، وبخاصة بعد النهضة الأخيرة التي قامت على يد الزعماء من آل سعود منذ حصل الاتفاق المبارك سنة ١١٥٧هـ على يد الإمام محمد بن سعود مع الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمهما الله– على نشر التوحيد والعلم ونصرة لا إله إلا الله فقامت دولة العلم والتوحيد، وانتشر الأمن والعلم في ربوع هذه البلاد بجهود العامة والخاصة، ولا زالت بحمد الله في مقدمة دول العالم الإسلامي في هذا المجال المبارك أعني دعم العلم والعلماء بشتى أنواع الدعم المالي والمعنوي من قبل الدولة ومن قبل الولاة والمصلحين والتجار.

وفي مجال الدعم المادي للعلم والعلماء: نجد الشواهد الحية في هذه البلاد المباركة على المستوى الشعبي وعلى المستوى الرسمي منذ تأسيس هذه الدولة المباركة ١١٥٧هـ وإلى وقتنا الحاضر، فقد استمر عطاء الحرمين الشريفين في ظل الدولة السعودية، واستمر دعم العلماء فيها الدعم المادي والمعنوي، واتجه التعليم فيهما نحو الاتجاه السلفي المستمد من الكتاب والسنة.

ولم يقتصر الدعم والتشجيع على علماء الحرمين الشريفين وطلابهما، بل شمل المدارس الأهلية بالحجاز كمدرسة الفلاح، والمدرسة الفخرية بمكة المكرمة وغيرهما من مدارس الحجاز، وكذا نشر الكتب والمكتبات وبلغ التشجيع والعطاء ذروته بإنشاء المدارس والمعاهد والكليات والجامعات في هذه المنطقة المهمة حتى أصبحت تحتضن ثلاث جامعات وعددا من الكليات ومئات المدارس والمعاهد.

وإذا انتقلنا إلى المناطق الأخرى نجد الشواهد -أيضا- في مساجدها ومدارسها التي في المدن والهجر: تعلم الناس الخير، وتؤصل عقيدة السلف منذ ظهور الدعوة السلفية المباركة وتأسيس الدولة السعودية؛ فقد ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه وتلاميذه: المؤلفات النافعة المفيدة لتعليم الناس عقيدة السلف ومنهج الكتاب والسنة، مثل كتاب التوحيد، وشرحه، وكشف الشبهات، والمسائل الثلاث، ومختصر السيرة النبوية، ومختصر الإنصاف والشرح الكبير، فأقبل الناس على العلم وقرؤوا كتب السلف وجلسوا للتعليم في المساجد والمدارس.

ولما وحد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه دولة التوحيد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري: واصل دور أسلافه وتوسع فيه؛ لإدراكه -رحمه الله- أهمية التعليم في حياة الأمة، حتى انتقلت البلاد في عهده، وعهد أبنائه في الجانب التعليمي نقلة نوعية وعددية ففتح في منطقة الرياض سبع جامعات، وعشرات الكليات وألوف المدارس والمعاهد وامتدت الشواهد المباركة إلى بقية مناطق المملكة العربية السعودية بنفس المستوى في سائر مدن المملكة حتى زاد عدد الجامعات الحكومية عن خمس وعشرين جامعة، وفتح الباب لمثلها من الجامعات الأهلية مما يضع المملكة العربية السعودية نموذجاً يحتذى به في تشجيع العلم والعلماء، ماديا ومعنوياً من قبل الدولة، ومن قبل ولاة الأمر بصفتهم الفردية ومن قبل رجالات البلد المبارك. وإن ميدان العلم برجاله، ومعداته، وآلياته: ميدان واسع كبير يفتح للأمة أبواباً من أبواب الخير مشروعة لمن ينافس فيها في البذل والعطاء، وبخاصة أبواب الوصايا، والأوقاف التي تبقى عملاً صالحاً مستمراً لصاحبه لا ينقطع بوفاته، ولكنه

يبقى الانتفاع به ، ولقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لأصحابه الذين قالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم والقيم ، فدلهم المصطفى صلى الله عليه وسلم لما يدركون به من سبقهم وذلك بالتسبيح والتحميد والتكبير أدبار الصلوات ، فرجع الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) [١].

فهنيئاً لأهل الأموال التي استعملوا أبدانهم وأموالهم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهنيئاً لمن أوقف ماله ، أو بذله في سبيل تعليم الناس الخير وتشجيعهم على طلب العلم والاستزادة منه ، فذلك مساهم في رفعة شأن أمته وحري بأن يرفع الله شأنه ويعلي مكانته وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

١) انظر لفظ الحديث كاملاً – في صحيح الإمام البخاري- كتاب الأذان – باب الذكر بعد الصلاة – ٣٢٣/٢ ح٨٤٢ ، وفي صحيح الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب الذكر بعد الصلاة – ٩٢/٥ .

ثبت المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي تحقيق علي محمد البجاوي الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٢. أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد عبيد الكلبي مطبعة الإرث د- بغداد ١٣٩٧هـ.

٣. الإسعاف في أحكام الأوقاف لإبراهيم بن موسى الطرابلسي (ت٩٢٢).

٤. الأسماء والصفات للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي حققه وعلق عليه الدكتور: عبد الرحمن عميرة الناشر دار الجيل بيروت.

٥. الأموال لحميد بن زنجويه تحقيق الدكتور شاكر ذيب فياض الطبعة الأولى الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. سنة ١٤٠٦هـ.

٦. تاريخ التربية والتعليم للدكتور سعد مرسي والدكتور سعيد إسماعيل الناشر عالم الكتب بالقاهرة.

٧. تأريخ المكتبات في مصر للسيد النشار الطبعة الأولى الناشر الدار المصرية اللبنانية سنة ١٤٠٣هـ.

٨. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر الناشر دار المعارف بمصر.

٩. توحد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والاجتماعي بحث ضمن بحوث المدينة للدكتور محمد عبد الله السليمان.

١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي الناشر مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة ١٤٠٧هـ.

١١. الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري تحقيق الدكتور مروان قباني الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت.

١٢. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطي الناشر دار إحياء الكتاب سنة ١٣٨٧هـ.

١٣. الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي تحقيق جعفر الحسنى الناشر المكتبة الثقافية بالقاهرة.

١٤. الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوي الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.

١٥. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي الطبعة الأولى الناشر المكتب الإسلامي.

١٦. شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم للإمام النووي الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ الناشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.

١٧. صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري تصحيح وتحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية.

١٨. صحيح الإمام مسلم مع شرح للإمام النووي الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ الناشر دار إحياء التراث العربي.

١٩. عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر لإبراهيم بن صالح بن عيسى.

٢٠. عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر – الناشر دار المعارف.

٢١. فتح الباري للحافظ ابن حجر تصحيح وتحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٢٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني الناشر محفوظ العلي بيروت.

٢٣. الكافي في فقه أهل المدينة لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي تحقيق محمد محمد أحيد ولد مايك الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ.

٢٤. لمحات في المكتبة والمصادر للدكتور محمد عجاج الخطيب الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٥. المبسوط لشمس الدين السرخسي الناشر دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٦هـ.

٢٦. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. مجلة عملية متخصصة في الفقه الإسلامي تصدر في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية صاحبها ورئيس تحريرها: د.عبد الرحمن بن حسن النفيسة.
٢٧. مجلة دار الحديث الحسنية مجلة تعنى بشؤون الفكر الإسلامي تصدر عن دار الحديث الحسنية في المغرب.
٢٨. مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين – المكتبة الشاملة.
٢٩. محاضرات في الوقف.
٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي تحقيق عبد الله الأنصاري وآخرين الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ على نفقة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.
٣١. مسند الإمام أبي داوود للحافظ أبي داود السجستاني الطبعة الأولى.
٣٢. مسند الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي الناشر دار الفكر.
٣٣. المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض سنة ١٤٠١هـ.
٣٤. المهذب في الفقه الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي وبحاشيته النظم المستعذب في غريب المهذب لابن بطال الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ الناشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٣٥. الوقوف من مسائل الإمام أحمد للخلال تحقيق د. عبد الله بن أحمد الزيد الناشر دار المعارف بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣٦. الهدى والبيان في أسماء القرآن للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.



خصائص المنهج السلفي

إعداد

أ.د. عبدالعزيز بن عبدالله الهليل

الأستاذ بقسم السنة وعلومها

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، فما ترك خيرا إلا ودلَّ الأمة عليه، ولا شرا إلا وحذرها منه، حتى تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركنا على طريق ناهجة[1]: واضحة بينة.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن المنهج السلفي يعني فيما يعنيه: الطريق الواضحة البينة[2] لما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالمنهج السلفي ليس حقبة تاريخية مضت وانقضت، بل هو منهج له أصوله وقواعده وخصائصه، وليس له وقت ينتهي إليه، ولا يتقيد بمكان ينحصر فيه.

---

(١) ورد بمعناه من قول العباس رضي الله عنه: أخرجه الخطابي في غريب الحديث (٢/٢٤١).

(٢) انظر: لسان العرب (٦/٤٥٥٤) مادة: نهج.

وإن معرفة خصائص المنهج السلفي تعين على تحديد معالمه، وتمييز هويته في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعاوى:

فكل يدعي وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا(١).

فأصبحنا نقرأ ونسمع في هذا الزمان من ينسب بعض المناهج المتطرفة التي غلت في دين الله تعالى إلى منهج السلف، فيشوهون صورة هذا المنهج الشرعي المعتدل الذي ارتسم خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان في في فهم القرآن والسنة، والعمل بما دلا عليه في شتى نواحي الحياة.

حتى أضحى المنهج السلفي يمثل حقيقة الإسلام في صورته الصحيحة؛ بعيدا عن جفاء المعرضين، وعن غلو الجانحين.

ومن هنا أحببت أن أشارك في ندوة "السلفية منهج شرعي ومطلب وطني" والذي تنظمه مشكورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتوجيه سديد من معالي مديرها الأستاذ الدكتور/سليمان بن عبدالله أبا الخيل، وذلك بالكتابة في العنصر الرابع من المحور الثاني، وأسأل الله تعالى العون والتوفيق، وسداد القول والعمل.

---

(١) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٧١) ونسبه لمجنون بني عامر.

المبحث الأول: المنهج السلفي امتداد لمنهج النبي ﷺ وأصحابه.

لقد بعث الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالحنيفية السمحة؛ ملة إبراهيم عليه السلام، وسمى هذه الأمة من أتباع نبينا محمد ﷺ: المسلمين، كما قال تعالى: ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ))[١].

فأمر الله تعالى عباده المسلمين أتباع سيد المرسلين، بأن يجاهدوا لله تعالى حق الجهاد وهو أخلصه وأصدقه، وأسلمه من التقصير[٢]. بأموالهم وألسنتهم وأنفسهم[٣].

والجهاد أنواعٌ كثيرة؛ ومنها: الجهاد في بيان منهج الحق، وجهاد المناهج المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم بيَّن الله تعالى في هذه الآية أنه ((هو اجتباكم)) أي اختاركم للذبِّ عن دينه والتزام أمره؛ وهذا تأكيدٌ للأمر بالمجاهدة[٤] ويظهر أن هذا موجّهٌ لأصحاب رسول الله ﷺ أصالة، ويشركهم فيه كلُّ من جاء بعدهم بحكم اتّحاد الوصف في الأجيال، كما هو الشأن في مخاطبات التشريع[٥].

---

(١) سورة الحج: ٧٨

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٤٨/١٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٩٩/١٠).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٠/١٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٣٤٩/١٧).

وبيَّن تعالى في هذه الآية أنه ((هو سماكم)) المسلمين في هذا القرآن وفيما قبله من الكتب التي أنزلها[١] من أجل أن يكون الرسول شهيدا عليكم بأعمالكم: خيرها وشرها[٢].

وفي هذا إشارة إلى أن المسلمين أتباع المنهج الحقِّ هم المتبعون للنبي ﷺ في كل شؤون الدين وأحواله، من غير أن يبتدعوا في شرائع دين الإسلام شيئا لم يكن في دين النبي ﷺ، ولذا جاء التنبيه بكون الرسول ﷺ شهيدا عليهم ليكون أبلغ في الحث على الاتباع والبعد عن الابتداع.

وفي ختام هذه الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالاعتصام به فقال تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِاللَّـهِ)) أي: اعتضدوا بالله، واستعينوا به، وتوكلوا عليه، وتأيَّدوا به، ((هُوَ مَوْلاكُمْ)) أي: حافظكم وناصركم ومُظفركُم على أعدائكم، ((فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)) يعني: نعم الوليُّ، ونعم الناصر من الأعداء[٣].

ولقد مضى هذا الدين بصورته التي أنزله الله تعالى عليها في عهد النبوة، والعصور المفضلة، واستمر بعون الله تعالى ظاهرا إلى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة؛ مصداقا لقول الحقِّ تبارك وتعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

(١) انظر: أضواء البيان (٥/ ٧٥٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٤٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٠/ ١٠١).

لَحَافِظُونَ))[١] : أي : وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ، أو ما ليس منه ، أو أن ينقص منه ما هو من أحكامه ، وحدوده ، وفرائضه[٢].

ولقول النبي ﷺ : لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرُّهم مَن خَذَلهم حتى يأتيَ أمْرُ الله وهم كذلك[٣].

وقد نصَّ غيرُ واحد من الأئمة أنَّ المراد بهم أهلُ الحديث[٤] ، وهم على وجه العموم : أهل الاتباع ؛ الذين عملوا بالكتاب والسنة على وفق فهم سلف الأمة ، ولم يبتدعوا في دين الله شيئا.

وتعدُّ الدعوة السلفية في هذا العصر : دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب التي جاهد من أجل إقامتها الإمام محمد بن سعود رحمهما الله تعالى ، تُعدُّ هذه الدعوة الإصلاحية المباركة امتدادا للدعوة السلفية ؛ حيث انبثقت من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، قائمة على الدعوة إلى اتباعهما على منهاج النبوة وسلف الأمة : فهما وعلما وتطبيقا.

فدين الإسلام قائمٌ بإذن الله تعالى منذ أن بعث الله تعالى نبيه محمدا ﷺ وحتى قيام الساعة ؛ غضاً طرياً ، لا تشوبه البدع والمحدثات ، ولا تؤثر فيه الدعاوى الباطلات.

---

(١) سورة الحجر : ٩

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١٤/١٨).

(٣) رواه جمعٌ من الصحابة منهم : ثوبان رضي الله عنه : عند مسلم (١٩٢٠) ، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه : عند البخاري (٧٣١١) ، ومسلم (١٩٢١) ، وجابر بن عبدالله رضي الله عنه : عند مسلم (١٥٦) ، ومعاوية رضي الله عنه : عند مسلم (١٠٣٧) بألفاظ متقاربة.

(٤) انظر : جامع الترمذي (٢١٩٢).

والسلف الصالح هم: الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم من التابعين وأتباع التابعين من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم ممن سار على الحق، وتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، في باب التوحيد، وباب الأسماء والصفات، وفي جميع أمور الدين[١].

ولذا فليس من الممنوع شرعا الانتساب إلى هذا المنهج، والاعتزاء إليه، لأنه منهج شرعي، يمثل حقيقة الإسلام في نقائه وصفائه ووضوحه.

وفي ذلك يقول شيخ ابن تيمية رحمه الله: لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لايكون إلا حقاً[٢].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/١٤٩).

المبحث الثاني: أهمية معرفة خصائص المنهج السلفي.

من الأهمية بمكان تتبع خصائص المنهج السلفي، ودراستها دراسة عميقة، وإبرازها بشكل أوضح، حتى تتحدد ملامح هذا المنهج، ويتميز عن غيره من المناهج الأخرى التي قد يلبس أصحابها ودعاتها في القول، فيلبسوها لباس الحق والاتباع، وهي في حقيقتها مناهج قائمة على الباطل والابتداع.

وفي وقتنا الحاضر كثرت الدعاوى الباطلة التي تزين الباطل، وتدعوا إليه، وتشوه صورة الحق وتحذر منه بكل الطرق والوسائل.

ويمكن تقسيم تلك الدعاوى الباطلة في دعواها إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: مناهج مبتدعة، تتسمى بأسماء أهل الحقِّ؛ حتى يروج باطلها على عموم المسلمين ومن لا يميز الأمور على حقائقها، فتدعوا إلى البدعة باسم السنة، وتزعم الاتباع وهي أقرب إلى الابتداع، حتى اختلط الحقُّ بالباطل في كثير من بلدان المسلمين، بسبب هذه التسميات التي لا تطابق مسمياتها[1].

وينتظم في سلوك هذا المسلك طوائف كثيرةٌ لا تعدُّ من المنتسبين للسنة والاتباع، وهم في الحقيقة أهل الفرقة والبدعة والنزاع.

وبنظرة سريعة فاحصة، يستطيع المرء أن يتحقق من دعاوى تلك الطوائف المبتدعة، التي تدعي الاتباع، وهي أبعد ما تكون عن سلوك أسبابه.

---

(١) انظر في بيان كثير من هذه الفرق: الفرق بين الفرق للبغدادي.

والقسم الثاني : مناهج مبتدعة، تشوه صورة المنهج الحق، وتصفه بأقبح الصفات وأشنعها، وترسم صورة مشوهة لأتباع المنهج الحق؛ بما ينافر عنها قلوب المسلمين، ويكرس الكراهية والبغضاء لأتباع هذا المنهج المستقيم.

فتجد أرباب هذه المناهج المبتدعة لا يتورعون عن إلصاق كل قبيح من الأقوال والأفعال بالمنهج الحق وأتباعه، فتارة يصفونهم بالغلو والتطرف، وتارة أخرى يلمزونهم بالمداهنة للباطل وكتم الحق والخنوع والخضوع لما يخالف الشرع[1].

وكل هذا منهم من أجل تشويه صورة المنهج الحق، وتصوير أتباعه بأبشع الصور وأشنعها، حتى يُزهِّدوا عامة الناس في دعوتهم، وينفِّروا القلوب عنهم وعن منهجهم.

وفي المقابل تروج تلك المناهج الباطلة، ويكثر أتباعها على غير هدى ولا استقامة.

وينتظم في هذا المسلك كل مخالف للمنهج الحقِّ؛ ممن نصب له العداء، وحاول بكل ما يستطيع دفع الناس عنه، وعن سلوكه.

---

(١) ومن ذلك إلصاق بدعة تكفير المسلمين، والغلو في الدين، واستحلال الدماء المعصومة؛ للمنهج السلفي، وهذه دعوى عريضة لا تروج إلاَّ عند من قلَّ علمه؛ إذ إنَّ قواعد وأصول المنهج السلفي مبنية على اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

المبحث الثالث: خصائص المنهج السلفي.

للمنهج السلفي خصائص تميزه عن غيره من المناهج المبتدعة، وبها يمكن لكل مطلع أن يحكم على هذا المنهج من حيث اتباعه للسنة وقربه منها، أو مخالفته لها وبعده عنها.

ولو أردنا استقصاء خصائص المنهج السلفي لطال بنا المقام؛ لأن هذا المنهج يمثل دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام، بكل ما في هذا الدين من خصائص ميزته عن سائر الأديان.

والمقصود هنا أن نسلط الضوء على أهمِّ خصائص المنهج السلفي التي تميز بها عن غيره من المناهج والدعوات والحركات التي تنتسب إلى الإسلام.

فمن أهمِّ خصائص المنهج السلفي:

أولاً: لزومُ اتِّباع الكتاب والسُّنة الصحيحة الثابتة، والحذر من اتِّباع الأهواء والبِدَع.

امتثالا لقول الحقِّ تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً))[1].

ولقول النبي ﷺ: فإنَّه من يعِشْ منكم فسيَرى اختلافًا كثيرًا.

ثمَّ قال ﷺ: فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة[2].

---

(١) سورة النساء: ٥٩

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسنٌ صحيح.

ثانياً: تقديم النَّقل على العقل، مع الاعتِقاد بعدم تعارُض العقل الصريح مع النَّقل الصحيح، ولا النقل الصحيح مع العقل الصريح.

وقد قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(١).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: توشك أن تَنْزِل عليكم حجارةٌ من السماء! أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر، وقال عمر!(٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))(٣).

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك(٤).

ثالثاً: ثبات أتباع المنهج السلفي على الحقِّ، وعدم تلونهم كما يتلون أهل الأهواء.

كما قال حذيفة رضي الله عنه: إن الضلالة حقَّ الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله تعالى؛ فإن دين الله واحد(٥).

---

(١) سورة الحجرات: ١

(٢) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٣٧٣) بنحوه.

(٣) سورة النور: ٦٣

(٤) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٣٤).

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة (١٢٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة[1].

وقال أيضاً: إنَّ ما عند عوام المسلمين وعلمائهم أهل السنة والجماعة، من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم بالحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه أمر لاينازع فيه إلاَّ من سلبه الله العقل والدين[2].

رابعاً: حرص أتباع المنهج السلفي على نشر العقيدة الصحيحة، وتعليم الناس ونصحهم، والتحذير من البدع والمحدثات، والرد على المخالفين والمبتدعين.

وهذا منهم امتثال واتباعٌ لهدي النبي ﷺ في الدعوة؛ إذ اعتنى رسول الله ﷺ أولا بتحقيق توحيد الله تعالى، وحذر من الشرك والبدع.

وأتباع المنهج السلفي يقتدون بالنبي ﷺ في طريقة دعوته، فيحرصون على ما حرص عليه رسول الله ﷺ أولا.

كما قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ))[3].

خامساً: اتفاق أتباع المنهج السلفي على مسائل العقيدة، وعدم اختلافهم، حتى مع اختلاف الزمان والمكان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥١).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٩).

(٣) سورة الأنبياء: ٢٤

فعقيدة أتباع المنهج السلفي في كل عصر ومصر هي العقيدة الثابتة في الكتاب، والسنة، لا تختلف على اختلاف الأزمان والأماكن؛ لأن مصدرها واحد، ومنهجهم في تلقيها وفهمها لا يختلف باختلاف الأزمان والأماكن.

سادساً: البُعد عن التأويلات الكلامية التي تؤدي إلى نَقْض عُرى الإسلام، وتَمييع عقيدته وشرائعه، فما خرَج الخوارج إلاَّ من هذا الباب؛ فاستحلوا به دماء الصحابة، وقتلوا الأنفس التي حرم الله تعالى.

سابعاً: العناية بلزومُ الجماعة، والسَّمع والطاعة لولاة الأمر في المعروف.

امتثالا لقول الحقِّ تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً))(١).

ولقوله تعالى: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))(٢).

ويرون السمع والطاعة لولي الأمر دينا يتعبدون الله تعالى به، وطاعة لرسوله ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إنا كنا بشر؛ فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم. قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟

---

(١) سورة النساء: ٥٩

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣

قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع[1].

ثامناً: من خصائص المنهج السلفي العناية بالبيعة لولي الأمر على السمع والطاعة.

وفي نفس الوقت يحذر المنهج السلفي من البيعات المبتدعة للجماعات والأشخاص والأحزاب على اختلاف أنواعها وتعدد مسمياتها.

وذلك منهم امتثال لقول الحق تبارك وتعالى: ((مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))((مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ))[2].

ولقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ))[3].

وقوله تعالى: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٧).

(٢) سورة الروم: ٣١، ٣٢

(٣) سورة الأنعام: ١٥٩

(٤) سورة آل عمران: ١٠٣

تاسعاً: أن أتباع المنهج السلفي يرون النصيحة لولاة الأمر سراً، ويرون حرمة إحداث الفرقة بين المسلمين بإشاعة معايب الولاة، وتكثيرها، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم، ولذلك يرون حرمة المظاهرات والاعتصامات، والخروج على ولاة الأمر بأي نوع من أنواع الخروج التي تؤدي إلى الفوضى وإثارة الفتنة في المجتمع الآمن.

وعن عياض بن غنم قال قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلاَّ كان قد أدى الذي كان عليه له[1].

عاشراً: من خصائص أتباع المنهج السلفي أنهم يرون وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على وفق ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، من غير غلو ولا جفاء.

ذلك أن أهل البدع انقسموا في باب الأمر والنهي إلى قسمين:

قسمٌ غلوا في هذا الباب، حتى خرجوا على ولاة الأمر، وقسمٌ تساهلوا فيه حتى تركوه بالكلية.

الحادي عشر: أنَّ أتباع المنهج السلفي هم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ، وأقواله، وأفعاله، وأعلم الناس بصحيح ما روي عنه من ضعيفه، ويتميزون عن سائر الطوائف بشدة محبتهم للسنة النبوية وعلومها التفصيلية، وباتباعهم للسنة وحرصهم عليها.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٩٦)، والطبراني في مسند الشاميين (٩٧٧).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق، وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولا وحالا، لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق[1].

الثاني عشر: اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأعلم، والأحكم، والأسلم، بخلاف ما يدعيه أهل البدع من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخروية على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا، قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل، كثير البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلتهم: أن طَرِيقَةَ الْقَوْمِ أَسْلَمُ، وَإِنَّ طَرِيقَتَنَا أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ! وَلا كَمَا يَقُولُهُ مَنْ لَمْ يُقَدِّرْهُمْ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفِقْهِ: إنهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالا منهم بغيره! والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه!

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٠).

قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمَّرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرا[1].

وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الدعوى بقوله: لقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف بالكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف[2].

الثالث عشر: أن أتباع المنهج السلفي وسط بين الفرق.

لأنهم يمثلون دين الإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ، والذي وصفهم الله تعالى في كتابه بذلك فقال تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))[3].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال بعض السلف: أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام بين الملل[4].

فدين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون وسط بين أهل الملل[5].

فأهل الإسلام كما أنهم وسط بين أهل الملل الأخرى من اليهود والنصارى،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٩).

(٣) سورة البقرة: ١٤٣

(٤) مجموع الفتاوى (٤/١٤٠).

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (١/١٠٥).

فكذلك أهل السنة والجماعة ؛ أتباع المنهج السلفي هم وسط بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : بل هم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ؛ فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة ، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى ، بين القدرية والجبرية ، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية : من القدرية وغيرهم ، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج[1].

الرابع عشر: أن المنهج السلفي منهج يجمع بين الأصالة والمعاصرة ؛ فهو منهج تأصيلي تجديديٌّ ، يقوم على تعظيم نصوص الوحيين ، ويحذر من التقليد الأعمى والتبعية بغير حجة وبرهان ، ويدعو إلى فتح باب الاجتهاد بضوابطه وشروطه.

ولذا فليس من العدل والإنصاف ، ما يرميه به أعداؤه من أنه منهج قائم على الجمود ، أو أنه غير قادر على مواكبة العصر!

وهذه فرية لا أساس لها من الصحة ؛ بل هي مخالفة لأصول ومبادء هذا المنهج التي قام عليها.

الخامس عشر: أن المنهج السلفي منهجٌ قائمٌ على الوضوح والعلانية في الدعوة.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤١/٣).

وهم بذلك يفارقون الفرق الأخرى البدعية، التي تقوم في دعوتها على السرِّ والتكتم؛ حتى يصل تكتمها في بعض مسائلها وشؤونها إلى بعض المنتسبين لها من أتباعها.

وأما المنهج السلفي فهو منهج لا أسرار فيه ولا تكتمٌ؛ كما قال الله تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[1].

وكما قال النبي ﷺ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ؛ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ[2].

(١) سورة يوسف: ١٠٨

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧١٤٢).

المبحث الرابع: حقوق المنهج السلفي على أتباعه.

إنَّ أيَّ دعوة مهما كانت لا يمكن أن تقوم وتظهر إلاَّ بعزيمة أتباعها وصدقهم في انتمائهم إلى هذه الدعوة بعد توفيق الله تعالى.

وإن المنهج السلفي قائم بإذن الله تعالى منذ أن بعث الله تعالى نبيه بهذا الدين العظيم، واعتنقه أصحابه البررة المكرمين، ثم التابعون ومن تبعهم على هذا المنهج إلى وقتنا الحاضر، وإلى قيام الناس لرب العالمين.

لأنَّ الله تعالى رضي لهذه الأمة هذا الدين دون سواه، وجعله خير الأديان وخاتمها، كما قال تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا))[1].

وقد أوجب الله تعالى على أتباع هذا الدين، المتبعين لسيد المرسلين، السائرين على ما سار عليه الصحابة والتابعون: أن يقوموا بحق هذا الدين، ويحافظوا عليه من أن تناله دعاوى المغرضين، أو يشوه صورته ونقاءه وصفاءه كيد المناوئين والمبطلين.

وحثَّ نبيُّ الهدى عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، أتباعه على حمل راية الدين الحنيف، ونشره بين الناس أجمعين.

فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (١٢٥) سورة النحل.

---

(١) سورة المائدة: ٣

وقال تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (١٠٨) سورة يوسف.

وعن أَبي هريرة ﵁: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجُورِ مَنْ تبِعَه، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أجُورِهِمْ شَيئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيئاً[١].

وعن سهل بن سعد ﵁: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لِعَلِيٍّ ﵁: فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[٢].

وعن ابن مسعودٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ[٣].

ومن هنا يمكن أن نستخلص بعض النقاط في حقوق المنهج السلفي على أتباعه:

١- العناية بتعلم العلم؛ أعني علم الكتاب والسنة، والتفقه فيهما؛ لأن هذا الدين قام على العلم ورغب فيه، ولا يمكن المحافظة عليه إلا بمعرفته المعرفة الحقة من كل جوانبه، كما فهمه الرسول ﷺ وأتباعه من بعده.

وفي هذا السبيل رغب الله تعالى في كتابه المبين في العلم وطلبه، فقال تعالى: ((فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا))[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).
(٢) رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٣) رواه الترمذي في جامعه (٢٦٥٧) وقال: حسن صحيح.
(٤) سورة طه: ١١٤

وجعل الله تعالى العلم طريقا لخشيته وتقواه، فقال تعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ))[١].

٢- العناية بالدعوة إلى هذا المنهج الحق، وبيانه للناس، فالحق أبلج، ويكفي أن نعرضه على الناس ليعرفوا مكانته وصدقه، فيكثر أتباع الحق، وتظهر السنة، ويقل أصحاب الباطل، وتندثر البدعة.

٣- ردُّ الدعاوى الباطلة التي قامت ولا تزال للنيل من الحق وأهله، أصحاب المنهج السلفي النقي، القائم على منهاج النبوة، ومن تبعه إلى يوم الدين.

وإنَّ التصدي لتلك الدعاوى الباطلة، التي تشوه صورة المنهج السلفي، وتنفر الناس عنه: لهو من أعظم أبواب الجهاد باللسان، جهاد القلم والبيان، لنصرة سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وكشف زيف الباطل وأتباعه، والردُّ عليهم بالحجة والبرهان.

والباطل لا حجة لديه، ولا تقوم له قائمة أمام حجج القرآن والسنة، وأقوال سلف الأمة، التي تدلُّ على المنهج الصحيح وتبين مكانه، وتصدُّ الباطل وتظهر للناس عواره.

٤- كشف زيف الدعاوى والمناهج المبتدعة، والتي تزعم زورا وبهتانا اتباعها لهذا الدين بصورته الحقيقة، وهي في الحقيقة مناهج مبتدعة مخالفة لهدي الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

---

(١) سورة فاطر: ٢٨

وإن كشف زيف باطل أهل البدع والمحدثات من أهمِّ واجبات الدين، وخصوصا في هذا الزمن الذي زيف فيه أهل الباطل باطلهم، وأظهروه بصورة الحق، وهو في حقيقته أبعد ما يكون عن منهاج النبوة.

٥- الصبر على الأذى في سبيل نشر دعوة السلف الصالح، وكفِّ الباطل وأهله عن النيل من هذا المنهج المستقيم.

فكل دعوة للحق لا بدَّ وأن تجد من يقف في طريقها، ويحاول وضع العراقيل التي تحدُّ من تقدمها.

وإنَّ التسلح بسلاح الصبر في مواجهة أعداء هذا المنهج هو وحده الكفيل - بعد عون الله تعالى - باستمرار ظهور هذا المنهج السلفي النبوي على مرِّ العصور وتعاقب الدهور.

وقد أمر الله تعالى بالصبر في كتابه المبين في غير ما آية؛ ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ))[١].

وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ))[٢].

وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ))[٣].

---

(١) سورة هود: ٤٩

(٢) سورة الروم: ٦٠

(٣) سورة غافر: ٥٥

وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ))[1].

وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً))[2].

وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا))[3].

---

(١) سورة الأحقاف: ٥٥

(٢) سورة المعارج: ٥

(٣) سورة الإنسان: ٢٤

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لأهم خصائص المنهج السلفي يمكن استخلاص النتائج الآتية :

١- ضرورة بيان حقيقة المنهج السلفي ؛ وتجليته أمام المسلمين.

٢- يجب العناية ببيان أن المنهج السلفي يمثل حقيقة دين الإسلام كما جاء به النبي ﷺ.

٣- ضرورة العناية بردِّ الشبهات المثارة حول المنهج السلفي.

٤- ضرورة إبراز خصائص المنهج السلفي بما يحقق معرفة الناس به.

٥- تميز المنهج السلفي بخصائص متعددة تميزه عن غيره من المناهج المبتدعة.

فهرس المصادر والمراجع

١- أبو داود: السنن. لأبي داود؛ سليمان بن الأشعث السجستاني. بإشراف الشيخ/صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية. عام ١٤٢١ هـ . دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. ط ١٤٠٨هـ مكتبة ابن تيمية. القاهرة.

٣- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور. ط ١٩٩٧م. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس.

٤- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء؛ إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق مصطفى السيد، وآخرون. الطبعة الأولى. عام ١٤٢٥هـ. دار عالم الكتب. الرياض.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ. مؤسسة الرسالة. بيروت.

٦- جامع البيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. مكتب التحقيق بدار هجر. الطبعة الأولى. دار هجر. مصر.

٧- جامع الترمذي: الجامع. للإمام أبي عيسى؛ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. بإشراف الشيخ/صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية . عام ١٤٢١ هـ . دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.

٨- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق د/عبدالله التركي. الطبعة الأولى. عام ١٤٢٧هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.

٩- السنة. للحافظ أبي بكر؛ عمر بن أبي عاصم الشيباني. خرجه الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الأولى. عام ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي. بيروت.

١٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. لأبي القاسم؛ هبة الله ابن الحسن اللالكائي. تحقيق د.أحمد سعد حمدان. الطبعة الأولى. عام ١٤٠٩ هـ . دار طيبة. الرياض.

١١- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء. الرايض.
١٢- صحيح البخاري: الصحيح. للإمام أبي عبدالله؛ محمد بن إسماعيل البخاري. بإشراف الشيخ/صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية. عام ١٤٢١ هـ دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.
١٣- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري. بإشراف الشيخ/صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية. عام ١٤٢١ هـ دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.
١٤- غريب الحديث. لأبي سليمان؛ حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. تحقيق عبدالكريم إبراهيم عزباوي. ١٤٠٢هـ جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
١٥- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. لأبي منصور؛ عبدالقاهر بن طاهر البغدادي. الطبعة الثانية ١٩٧٧م دار الآفاق الجديدة. بيروت.
١٦- الفقيه والمتفقه. لأبي بكر؛ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ درا الكتب العلمية. بيروت.
١٧- القول السديد شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. الطبعة الثانية. ١٤٢١هـ وزارة الشؤون الإسلامية. الرياض.
١٨- لسان العرب. لمحمد بن مكرم بن منظور. طبعة عام ١٤٢٤هـ دار عالم الكتب. الرياض.
١٩- مجموع الفتاوى. لشيخ الإسلام أبي العباس؛ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني. جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة النبوية.
٢٠- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. إشراف د.محمد بن سعد الشويعر. نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء. الرياض.
٢١- المسند. للإمام أبي عبدالله؛ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. الطبعة الأولى. عام ١٤٢١ هـ مؤسسة الرسالة. لبنان.
٢٢- مسند الشاميين. لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. تحقيق خمدي عبدالمجيد السلفي. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.
٢٣- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات. تأليف د. محمد بن خليفة التميمي. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ مكتبة أضواء السلف. الرياض.



المنهج السلفي

نشأته واستمراره وخصائصه

إعداد

د. منيرة بنت محمد المطلق

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

بجامعة الأميرة نورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢). ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(النساء: ١). [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(٧١)](الأحزاب: ٧٠- ٧١) (٢)[3].

---

١ - أخرج هذا الجزء من خطبة الحاجة: مسلم ٢/٥٩٣.

٢ - أخرجه أبو داود ج٢/ص٢٣٨، وابن ماجه ج١/ص٦٠٩، و الترمذي ج٣/ص ٤١٣ بزيادة (وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ من شُرُورِ أَنْفُسِنَا من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له) وقال الترمذي: (حَدِيثُ عبد اللَّهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْأَعْمَشُ عن أبي إسحاق عن أبي الْأَحْوَصِ عن عبد اللَّهِ عن النبي- ﷺ- ، وَرَوَاهُ شُعْبَةُ عن أبي إسحاق عن أبي عُبَيْدَةَ عن عبد اللَّهِ عن النبي- ﷺ- ، وَكِلَا الْحَدِيثَيْنِ صَحِيحٌ لِأَنَّ إِسْرَائِيلَ جَمَعَهُمَا).

(٣) أخرجه أبو داود ج٢/ ص٢٣٨، ح/ ٢١١٨ كِتَاب: النِّكَاحِ، بَاب: في خُطْبَةِ النِّكَاحِ وابن ماجه ج١/ ص٦٠٩ ح/ ٢١١٨، كِتَاب: النِّكَاحِ، بَاب: خُطْبَةِ النِّكَاحِ، والترمذي ج ٣/ ص ٤١٣، ح/ ١١٠٥، كِتَاب: النِّكَاحِ، بَاب: ما جاء في خُطْبَةِ النِّكَاحِ بزيادة: (وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ من شُرُورِ أَنْفُسِنَا من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له) وقال الترمذي: (حَدِيثُ عبد اللَّهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ ...).

أما بعد: فالحمد لله الذي أرسل رسوله ليبين للناس العقيدة الصحيحة التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الرسالات السماوية، وتفضل سبحانه بخاتمة الرسالات على هذه الأمة، وهيأ لها من العلماء من يحمل عقيدتها جيلا بعد جيل، ويبذل روحه رخيصة دونها؛ لتصل إلينا نقية كما أنزلت، وهذه هي عقيدة السلف الصالح، وقد أحببت أن يكون لي جهد بسيط في ندوة السلفية التي تقيمها جامعة الإمام بيان (المنهج السلفي نشأته واستمراره وخصائصه)، سائلة الله- عز وجل- الإعانة والتوفيق والسداد، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به وما كان صوابا فمن فضله- سبحانه، وما كان من خطأ فمن نفسي وأسأله العفو والمغفرة.

منهجي في هذا البحث:

اتبعت فيه المنهج الاستقرائي.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: نشأة منهج السلف، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريفات.

المطلب الثاني: نشأة مصطلح السلف.

المطلب الثالث: الأسماء المرادفة لاسم السلف.

المبحث: الثاني المراحل الزمنية لمنهج السلف، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مراحل القوة والضعف.

المطلب الثاني مراحل تدوين المذهب.

المبحث الثالث: استمرار المنهج السلفي.

المبحث الرابع خصائص المنهج السلفي، وفيه:

المطلب الأول: تميز المنهج السلفي بخصائص من ناحية التلقي.

المطلب الثاني تميز منهج السلف بخصائص من ناحية الاسم.

المطلب الثالث: تميز منهج السلف بخصائص من ناحية الأخلاق والمعاملة.

المطلب الرابع: تميز منهج السلف بخصائص من ناحية العقيدة.

المطلب الخامس: تميز منهج السلف بخصائص من ناحية العمل والعبادة.

المبحث الأول: نشأة منهج السلف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريفات:

لا بد قبل البدء بتحديد النشأة من التعرف على بعض المصطلحات لضرورة ذلك لهذا المبحث وهذه التعريفات هي.

أولاً: تعريف المنهج:

معنى المنهج في اللغة: النهج؛ الطريق المستقيم الواضح، والنهج: الربو وتواتر النفس يصيب الإنسان من شدة الحركة، ونهج الثوب: بلي ولم يتشقق[1].

وفي الشرع يقول الطبري[2] عند تفسيره لقوله- تعالى- : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٤٨) (سورة المائدة)...، أما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح...ثم يستعمل في كل شيء كان بينا واضحا يعمل به)[3]. وقال ابن الجوزي[4]: (والمنهاج الطريق المستمر)[5]. (والطريق المستقيم الواضح

---

(١) انظر: لسان العرب/ ابن منظور: ج٢/ ص٣٨٣، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، والمعجم الوسيط/ مجموعة من المؤلفين: ج٢/ ص٩٥٧، دار الدعوة.

(٢) محمد بن جرير الإمام العالم المجتهد أبو جعفر الطبري، من أهل آمل طبرستان، وكان من أفراد الدهر علما، من تصانيفه: جامع البيان، وتاريخ الأمم. ت: ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٤/ ٢٦٧.

(٣) جامع البيان/ الطبري: ج٦/ ص٢٦٩، وانظر: غريب القرآن/ أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني: ج١/ ص٤٥٥، دار قتيبة - ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٤) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي، علامة عصره في التاريخ والحديث من مؤلفاته: تلبيس إبليس وزاد المسير. ت: ٥٧٩م انظر الكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ١٢/ ١٧١، ط/ ١٣٨٦هـ- دار صادر. بيروت.

(٥) زاد المسير/ ابن الجوزي: ج٢/ ص٣٧٢.

يقال: هذا نهجي لا أحيد عنه)[1]، (وفي حديث العباس لم يمت رسول الله حتى تركك على طريق ناهجة) [2]: أي واضحة بينة)[3].

ثانيا: تعريف السلف:

السالف في اللغة هو: المتقدم، والسلف السليف السلفة: الجماعة المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون[4]، وفي الاصطلاح: (السلف المتقدم، ولزيد سلف كريم أي: آباء متقدمون جمعه أسلاف)[5].

ويقصر بعض الناس معنى السلف في الاعتقاد:

١- على الصحابة: (يقول القلشاني[6]: (السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدي النبي- ﷺ- ، الحافظون لسنته، اختارهم الله لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه)[7].

---

(١) المعجم الوسيط/ مجموعة من المؤلفين: ج٢/ ص٩٥٧، وانظر: لسان العرب/ ابن منظور: ج٢/ ص٣٨٣.

(٢) أخرجه الخطابي في غريب الحديث: ٢ /٢٤١، رقم: ٨٤٦ وأورده ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية: ٤/٤٢٨، وقال: :" إسناده صحيح "، والصنعاني في سبل السلام: ١٤٠٣ج٥ص٣٤٣.

(٣) لسان العرب/ ابن منظور: ج٢/ ص٣٨٣.

(٤) انظر: مشارق الأنوار/ القاضي عياض: ج٢/ ص٢١٩، ولسان العرب/ ابن منظور: ج٩/ ص١٥٨، ومقاييس اللغة/ ابن فارس: ج٣/ ص٩٥.

(٥) التعاريف/ المناوي: ج١/ ص٤١٢.

(٦) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي. تولى القضاء بتونس. له: شرح المدونة. توفي سنة ٨٦٣هـ. انظر: نيل الابتهاج/ التنبكتي المالكي: ٧٨.

(٧) تحرير المقالة من شرح الرسالة/ أحمد القلشاني: ٣٦، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٦٠٤، وانظر: عون المعبود ج١٢/ ص٢٤٠، والتوضيح عن توحيد الخلاق/ سليمان بن عبد الله: ٦٤، وحاشية البجيرمي/ لسليمان بن محمد البجيرمي (المتوفى: ١٢٢١هـ): ج١/ ص١٦٧، وإعانة الطالبين/ أبو بكر الدمياطي (المشهور بالبكري المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ: ج٢/ ص٦٩.

٢- على القرون الثلاثة المفضلة:

يقول محمد بن سلوم[١]: (السلف مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأول المباركة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين)[٢]، وهو قول البجيرمي[٣]: (السلف هم أهل القرون الأول الثلاثة الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين)[٤]، وهو المشهور[٥]. فاسم السلف

---

(١) محمد بن علي بن سلوم التميمي النجدي له مختصرات كثيرة منها: مختصر عقيدة شرح عقيدة السفاريني، ت: ١٢٤٦ هـ. انظر: الأعلام/ الزركلي: ٦/ ٢٩٧ – ٢٩٨، ومعجم المؤلفين/ كحالة: ١١/ ١٣.

(٢) مختصر لوامع الأنوار البهية/ محمد بن علي بن سلوم: ١٥، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، وانظر: إلجام العوام عن علم الكلام/ الغزالي ٥٣، وانظر: العقيدة الطحاوية/ الطحاوي: ٤٩، والاعتصام/ الشاطبي: ١/ ٢٣، وحاشية الجمل على شرح المنهج/ لسليمان بن عمر الجمل (المتوفى: ١٢٠٤هـ): ج١/ ص٢٩٦.

(٣) سليمان بن محمد البجيرمي: فقيه مصري. ولد: ١١٣١ هـ في بجيرم (من قرى الغربية بمصر) وقدم القاهرة صغيرا، فتعلم في الأزهر، ودرس. له كتاب التجريد (حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعية)، و(تحفة الحبيب حاشية على شرح الخطيب). ت: ١٢٢١ هـ. انظر الأعلام/ الزركلي: ٣/ ١٣٣.

(٤) حاشية البجيرمي/ لسليمان بن محمد البجيرمي (المتوفى: ١٢٢١هـ): ج١/ ص٣١٧.

(٥) انظر: حاشية البجيرمي/ لسليمان بن محمد البجيرمي (ت: ١٢٢١هـ): ج١/ ص ١٦٧، وقواعد الفقه/ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ١٢٥، الصدف ببلشرز، كراتشي، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، وحاشية الجمل على شرح منهج الطلاب/ سليمان الجمل، ت: ١٢٠٤هـ: ج٢/ ص١٧٦، والإمام ابن تيمية وقضية التأويل/ محمد السيد الجليند: ٥٢، ط/ ٥، ٢٠٠٠م دار قباء للطباعة، القاهرة، وفي العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة/ الدكتور محمود أحمد الخفاجي: ٢٠، طبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩م.

يشمل الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأيضًا من سار على دربهم إلى قيام الساعة يشملهم اسم السلف، لا يطلق عليهم اسم الخلف؛ لأنهم جعلوا القرآن والسنة أصولا لهم وفهموها وفقا لمن سلف من الأئمة.

هل تكفي النسبة الزمنية لِيُنتسب إلى مذهب السلف؟

لا، لا تكفي النسبة الزمنية للانتساب لمذهب السلف، بل لا بد من الموافقة في المعتقد الذي عليه الصحابة، ومن سار على ذلك من أصحاب القرون المفضلة. يقول الإمام الذهبي [1]: (السلفي...هو من كان على مذهب السلف) [2]. ويقول السمعاني[3]: (السلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء: هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذهبهم على ما سُمعت منهم)[4]. ويقول الدكتور محمود أحمد الخفاجي: (ليس هذا التحديد الزمني كافيًا في ذلك، بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة...، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين

---

(١) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي التركماني، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تصانيفه تقارب المائة منها: سير النبلاء، وتذكره الحفاظ. ت٧٤٨هـ. انظر: فوت الوفيات/ الكتبي: ٢/ ٣٧٠ – ٣٧١، ط/ ١٩٥١، مطبعة السعادة – مصر.

(٢) سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج٢١/ ص٦.

(٣) هو: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، أبو سعد: مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث. (بطن من تميم). من كتبه، (الأنساب) و(تبيين معادن المعاني). ت: ٥٦٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٢٢/ ١٠٧ - ١٠٩، والأعلام/ الزركلي: ٤/ ٥٥.

(٤) الأنساب/ السمعاني: ج٣/ ص٢٧٣.

أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين)[1]، فالمقصود بالمنهج السلفي هو: اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح إلى يوم القيامة، والخلف يطلق على من عداهم من أهل المقولات والمعتقدات المبتدعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم، ما دل عليه الكتاب والسنة وهو: الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة)[3]. ويقول السفاريني[4]: (المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- ،

---

(١) وفي العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة/ الدكتور محمود أحمد الخفاجي: ٢٠، طبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩م، وانظر: وسطية أهل السنة/ باعبد الله: ١٠١، ط/ ١، ١٤١٥هـ، دار الراية.

(٢) هو: أحمد بن عبد الحليم النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد: ٦٦١هـ في حران ومات معتقلا بقلعة دمشق: ٧٢٨هـ. فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث، داعية. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها: السياسة الشرعية، ومجموع الفتاوى، ومجموع الرسائل، ومنهاج السنة والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، والواسطة بين الحق والخلق، والصارم المسلول على شاتم الرسول، وغيرها كثير. انظر: مرآة الجنان/ اليافعي: ج: ٤/ ص٢٧٧، والأعلام/ الزركلي: ١/ ١٤٤.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: ج١٢/ ص٣٧.

(٤) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. من كتبه: غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، ولوائح الأنوار البهية. ت: ١١٨٨ هـ. انظر الأعلام/ الزركلي: ٦/ ١٤.

وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو اشتهر بلقب غير مرضي)[1]. ويقول الشيخ ابن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ): (فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقدًا، حتى المتأخر إلى يوم القيامة، إذا كان على طريقة النبي - ﷺ - وأصحابه، فإنه سلفي)[2].

فالمراد من التعبير بالسلفية هو: اتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ، والتابعين ومن سار على دربهم من هذه الأمة المسلمة، الذين هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، على فهم السلف الصالح، وهم أهل السنة والجماعة، أجمعوا واجتمعوا على اتباع سنة رسول الله - ﷺ - وآثاره، باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، واتباع وصية رسول الله - ﷺ - في ذلك، فكل من التزم بعقائد هؤلاء الأئمة وفقههم كان منسوبًا إليهم، وإن

---

(١) لوامع الأنوار البهية/ السفاريني: ١/ ٢٠، وانظر: التمهيد/ ابن عبد البر ج٢٣/ ص٣٢٢، ومجموع الفتاوى/ ابن تيمية ج١/ ص٢٦٥، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل/ محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: ٤٠، دار السلام، ط/ ١، ١٩٩٠.، وأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية/ حمود بن أحمد الرحيلي: ٦- ٧، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (٤٠/ ١٧٥)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٢٢٥، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي: ص١١، ط/ ٢، ١٩٧٠.

(٢) كتب ورسائل الشيخ ابن عثيمين: م١١٢/ ص ٢٦، وشرح العقيدة الواسطية/ ابن عثيمين: ١/ ٥٤.

باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم، وجمع بينهم الزمان والمكان نفسه.

ويكون المراد بالسلف الصحابة- رضي الله عنهم- ، لكن تُوسِّعَ في هذا المصطلح، فشمل من تبعهم بإحسان من التابعين وتابعيهم من أئمة الدين ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، سواء أكانوا من القرون الخيرية أم ممن جاء بعدهم، قال- تعالى- : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠) سورة التوبة، وقال- صلى الله عليه وسلم- : (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[(١)]، وقال- صلى الله عليه وسلم- أيضا: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة)[(٢)(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري: ٢/ ٩٣٨، رقم ٢٥٠٩، ، مسلم: ٤/ ١٩٦٣، رقم ١٩٦٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ج١/ ص١٥، رقم٤٢، والترمذي ج٥/ ص٤٤، وقال: (هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وأحمد ٤/ ١٢٦، رقم: ١٧١٨٢، والحاكم: ج١/ ص١٧٧، رقم: ٣٣٣، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، رقم: ١٦٥.

(٣) انظر: التحفة المهدية/ فالح بن مهدي ص ١٠، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي/ صالح بن عبد الله العبود: ١/ ٩٢١، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٤٠/ ١٧٦، وأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية/ حمود بن أحمد الرحيلي: ٦- ٧، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٤٠/ ١٧٦، ووسطية أهل السنة/ باعبد الله: ١٠١- ١١٤، والدعوة

فالخلاصة هي: أن (السلفية؛ نسبة إلى السلف، والسلف هم صحابة رسول الله- ﷺ- وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى- رضي الله عنهم- ، الذين شهد لهم رسول الله- ﷺ- بالخير في قوله: (...خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[1]...، والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف...، وهم الذين ساروا على منهاج السلف، من اتباع الكتاب والسنة، والدعوة إليهما، والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة)...[2]، وقال الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- (ت: ١٤٢٠هـ): (إن السلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم، وسار على منهجهم فهو سلفي، ومن خالفهم في ذلك فهو من: الخلف)[3]، وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩هـ): (والثابتون على منهج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك، فقيل لهم: (السلف والسلفيون) لا يعني المتأخر، بل لفظ (الخلف)

السلفية/ محمودعبد الحميد العسقلاني: ١/ ١، والناشر: الموقع الرسمي الدكتور. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد: www. m-ismail. com . .www. saaid. net

(١) أخرجه البخاري برقم ٢٦٥١ و٣٦٥٠ و٦٤٢٨ و٦٦٩٥ ومسلم برقم ٢٥٣٥، وأبو داود برقم ٤٦٥٧، وأحمد ٤ \ ٤٢٦ و٤٢٧ و٤٧٩.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية - العدد الرابع والثلاثون - الإصدار: من رجب إلى شوال سنة ١٤١٢هـ - الفتاوى - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - ما هي السلفية (الفتوى رقم: ١٣٦١ جزء: ٣٤ صفحة: ٩٣).

(٣) العقيدة الحموية ص٢٠٣ من كلام المحقق حمد بن عبد المحسن التويجري. دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

يعني (الطالح) في أحد معنييه، إذا كان (بفتح اللام)، أما بإسكان اللام (خلْف) فهو (للطالح) لا غير، ولا تكون (للصالح)، وكما في قوله- تعالى- : {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} ((٥٩) سورة مريم).

وعليه فإن لفظ (السلف) هنا يعني (السلف الصالح)، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعني كل سالك في الاقتداء للصحابة- ﷺ- ، حتى ولو كان في عصرنا وهكذا)[1].

(١) حكم الانتماء/ بكر أبو زيد: ٥٩.

المطلب الثاني: نشأة مصطلح السلف:

تمهيد:

وعلى ما سبق بيانه فإن النشأة تطال الاسم لا المسمى، فيكون المقصود هنا بيان متى بدأ التسمي بالسلف، لا متى بدأ مذهب السلف، فالسلف قديم قدم الإسلام نفسه، فالسلف هم أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وأهل الحديث والأثر؛ لأن منهجهم ومسلكهم واحد، فالاختلاف بالاسم، لكن المسمى والمعنى واحد كما مر، فهذه الطائفة هي التي حافظت بعد ظهور الفرق المختلفة على العقيدة والمنهج الإسلامي الأصيل، وهو التمسك بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، والابتعاد عن كل المدخلات الغريبة عن روح الإسلام وتعاليمه، طبقًا لفهم الأوائل من الصحابة- رضي الله عنهم- الذين عاصروا الرسالة، والسلفية في مدلولها اقتداء بالنبي- صلى الله عليه وسلم- ، والذي كانت سيرته العطرة هي المنهج الذي يتطلع إليه سلفنا الصالح، وحولوه إلى منهج حياة، وهذا المنهج نزل به الأمين جبريل على صدر رسولنا- صلى الله عليه وسلم- من عند الله- تبارك وتعالى- ، كما قال- تعالى- : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى❖إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٤ ٣). وقوله- تعالى- : ﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٥٠) فالسلفية إذًا ليست من تأسيس البشر، إنما هي الإسلام نفسه بالفهم الصحيح علمًا وعملاً وهي تمسك بما كان عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، لا تخرج عما كانوا عليه.

فالدعوة السلفية إذًا هي محاولة قولية وفعلية لجمع الناس واستمالتهم إلى الحق والصراط المستقيم، أي إلى دين النبي- ﷺ- وشرعه الذي جاء به، بفهم السلف الصالح أصحاب رسول الله- ﷺ- ؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله- ﷺ- ، فالقرآن نزل بلغتهم التي يجيدونها ونزل بين أظهرهم، وهم يعلمون: متى نزل؟ وفيم نزل؟، مع فهمهم لمعانيه ومقاصده، وما خفي عليهم من شيء سألوا عنه رسول الله- ﷺ- ، فبيَّن لهم، فالدعوة إلى هذا الدين، وبهذا الفهم دعوة إلى الحق وإلى صراط مستقيم وإلى دين القيمة[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة[2] ومالكا[3] والشافعي[4] وأحمد[5]

---

(١) انظر: قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي/ مصطفى حلمي: في مقدمة طبعة كتابه الثالثة وص ٢٦و٢٠٩و٢١١ دار الدعوة، الإسكندرية، ط/، ١٩٩٦ م، والدعوة السلفية/ محمود عبد الحميد العسقلاني: : ١/ ٣- ٤، الناشر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ د. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد. www. m-ismail. com، www. saaid. net.

(٢) هو الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، لم ير أحدا من الصحابة باتفاق أهل الحديث، وإن كان عاصر بعضهم ولد: سنة ثمانين من الهجرة وتوفي ببغداد ستة مائة وخمسين، وقال البغدادي: إمام أصحاب الرأي وفقيه أهل العراق، انظر/ تهذيب الأسماء/ النووي: ٢/ ٥٠١، ط/ ١.

(٣) هو: الإمام الجليل الحافظ مالك بن أنس الأصبحي عالم المدينة، له كتاب الموطأ، وإليه ينسب المذهب المالكي، ولد عام: ٩٣هـ ت: ١٧٩ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٨/ ٤٨- ١٢٠.

(٤) هو محمد بن إدريس الشافعي القرشي، العالم الجليل، وناصر الحديث، وفقيه الملة، ت: ٢٠٤هـ انظر مناقب الشافعي/ لأبي بكر بن الحسين البيهقي، ط/ ١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، دار التراث.

(٥) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني المرزوي ثم البغدادي، شيخ الإسلام صدقا. قال قتيبة بن سعيد: (أحمد بن حنبل إمامنا، ومن لم يرض به فهو

فإنه مذهب الصحابة الذي تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم)[١].

نشأة اسم السلف وفيه:

الأول: أسباب ظهور هذا الاسم وهي:

١- ظهور الفرق وقوتها وانتشارها:

ظهرت كثير من الفرق وانتشرت البدع بسبب:

أ- توسع رقعة الإسلام، ودخول الناس فيه أفواجا، مع عدم التخلص من كثير من موروثاتهم الاعتقادية، وبعضهم دخله كيدا للإسلام كعبد الله ابن سبأ[٢]، والجهم بن صفون[٣]، والجعد بن درهم [٤]وغيرهم.

مبتدع). أحد الأئمة الأربعة الأعلام. ت: ٢٤١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١/ ١٧٧، حلية الأولياء/ الأصبهاني: ٩/ ١٦١.

(١) منهاج السنة/ ابن تيمية: ٢/ ٦٠١.

(٢) هو: عبد الله بن سبأ، من يهود اليمن، ادعى الإسلام نفاقاً، وكان السبب في معركة الجمل، وهو مؤسس فكرة التشيع والغلوّ في التشيع، وأول من قال بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ، وأظهر قول أن لكل نبي وصيا، وأن عليا وصي الأمة، وادعي ألوهيتة، وتنسب إليه إشعال الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان- رضي الله عنه- ، وهو أول من اظهر الطعن والشتم في الصحابة، وخصوصاً في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة زوج الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، مات بعد٤٠هـ. انظر: تاريخ الرسل والملوك، / لأبي جعفر محمد، الطبري: ٤/ ٢٨٣، ولسان الميزان/ ابن حجر: ٣ / ٢٨٠.

(٣) هو: أبو محرز، الجهم بن صفوان الترمذي، كان صاحب جدال و مراء، صحب الجعد بن درهم بعد قدومه إلى الكوفة وتأثر بتعاليمه، وبعد مقتل الجعد بن درهم عام ١٠٥هـ حمل لواء (المعطلة)، وكان رأس الجهمية، وهو معطل لصفات الله، ويقول بخلق القرآن، وله كلام في القدر والإيمان وغيرها من أصول العقيدة، مخالف لأهل السنة والجماعة، قتل سنة ١٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء٦/ ٢٦ - ٢٧. والبداية والنهاية ٩/ ٣٥١ و١٠/ ٦٤٣.

(٤) هو: الجعد بن درهم، أصله من خراسان، أسلم أبوه، ولد في خراسان، وعاش في دمشق في حي للنصارى، ومذهبه تعطيل الله من صفاته، والقول بخلق القرآن، قال المدائني:

ب- ترجمة كتب الفلسفة والمنطق: بدأ المسلمون بترجمة الكتب في عهد المنصور، وبلغت أوجها في عهد المأمون، وسمي بالعهد الذهبي لها، وقد ترجمت الكتب اليونانية، فدخلت المفاهيم الفلسفية والمناهج العقلية، فزادت العقيدة انحرافا مع غلو الخوارج والشيعة السابق للترجمة، وظهر التصوف بمذاهبه المتطرفة، كالحلول، ووحدة الوجود، وفشت عبادة القبور، والتوسل بأصحابها، واختلط علم الكلام لدى المعتزلة[1] بمصطلح الفلسفة اليونانية، فضعفت العقيدة الصحيحة في قلوب الناس، فرأى أهل الحديث في هذه الفرق خطرًا يهدد صفاء الإسلام ونقاءه، وينذر بتفكك الأمة وانهيارها، فانبروا للدفاع عن العقيدة الصحيحة، فألفوا المؤلفات العديدة حولها[2].

"كان زنديقا"، وقد قتله خالد بن عبد الله القسري والي هشام بن عبد الملك على دمشق عام ١٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٥ /٤٣٠- ٤٣٣هـ٦٤٣.

(١) المعتزلة هي: فرقة من الفرق التي تنتسب للإسلام، وسموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد من رؤسائهم مجلس الحسن البصري، لقولهما بأن الفاسق مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، وهو من أصولهم الخمسة، ومن أصولهم أيضا: التوحيد، ويقصدون فيه نفي الصفات عن الله- تعالى- ، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف. انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، أبو المظفر الإسفرائيني: ١٤٠٣، ٦٣- ٦٧.، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط/ ١، بيروت، عالم الكتب،.

(٢) انظر: التمهيد/ ابن عبد البر ج٢٣/ ص٣٢٢، ومجموع الفتاوى/ ابن تيمية ج١/ ص٢٦٥، وسير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج٦/ ص٢٠٩، ولوامع الأنوار البهية/ السفاريني: ١/ ٢٠، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل/ محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: ٤٠، دار السلام، ط/ ١، ١٩٩٠.، وأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية/ حمود بن أحمد الرحيلي: ٦- ٧، مكتبة

(ولهذا ذكر المحققون أن مصطلح السلف إنما ظهر حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان لا بد من ظهور قواعد واضحة لاتجاه السلف تميزه عن مدعي الانتساب إلى السلفية)[1]، يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (فالدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الصحيح نفسه، دعوة الكتاب والسُنة التي جاء بها محمد- ﷺ - ، وكانت خاتمة الدعوات، وآخر الشرائع وخاتم الأديان...، ولم تكن هناك حاجة في هذه القرون الثلاثة الأولى لإظهار هذا المصطلح، فالمسلمون الأولون كانوا على الإسلام الصحيح، فلم تكن هناك حاجة لذلك، ولم يوجد داع لقول: (الإسلام السلفي)، أو (الدعوة السلفية)، فمثلاً العلوم الأخرى مثل علوم العربية، كان الناس يتكلمون فيها العربية الفصحى دون لحن ودون خطأ، فلم تكن هناك حاجة إلى وضع قواعد النحو. والدعوة السلفية كان الناس يقبلون عليها ولم يكن هناك شذوذ إلا قليلاً؛ ...ولكن صور الانحراف بدأت تظهر شيئًا فشيئًا عندما بدأت الأفكار

العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (٤٠/ ١٧٥)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٢٢٥. انظر: العقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي: ص١١، ونقض أصول العقلانيين: ٢/ ٢٨، وتكوين العقل، : ٢٢٩- ٢٣٥، والأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري/ خالد كبير علال: ١/ ٤٣٩ الجزائر، دار المحتسب، ط/ ١، ٢٠٠٨ م، وقواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي/ مصطفى حلمي٦٧- ٦٨.

(١) قواعد المنهج السلفي/ مصطفى حلمي: ٣٥، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء/ إبراهيم الرحيلي: ١/ ٦٢ - ٦٤، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط/ ١، ١٤١٥هـ.

الأخرى (المستوردة) تظهر للوجود، وعندما بدأت هذه الثقافات الأجنبية تؤثر في المسلمين، فانحرف بعضهم...، وحين ذلك بدأ أئمة المسلمين من صحابة وتابعين ومن بعدهم ينبهون إلى خطورة هذه الدخائل...، وكان من أبرز من ميز هذه الدعوة ووضحها بجلاء (الإمام أحمد بن حنبل)؛ حين ظهرت فتنة خلق القرآن في زمانه)[1]، ويقول الشيخ المحمود: (ولما حدث الافتراق، ونشأت البدع، بدأ يتحدد مصطلح السلف في عرف المتأخرين بأنهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان)[2].

---

(١) مقال (الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى)أ. د عبد الحليم عويس (رئيس تحرير مجلة التبيان- القاهرة)، مجلة الحرس الوطني رقم العدد: ٣٢٧، التاريخ. ١/ ٣/ ٢٠١٠م.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة - (١/ ١٧).

٢- ادعاء كثير من الفرق الإسلامية أن الحق معها[١] :

(ذكر المحققون أن مصطلح السلف إنما ظهر حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان لا بد من ظهور قواعد واضحة لاتجاه السلف تميزه عن مدعي الانتساب إلى السلفية)[٢] ؛ لذا ظهر مسمى السلف وشاع وانتشر حتى يعرف الحق وأهله؛ لأن كثيرا من الفرق كالصوفية وأهل الكلام تدعي أنها هي الفرقة الناجية، وأن النجاة في اتباعها، والحق معها لا مع غيرها، من باب التضليل، أو لأنهم لم يعرفوا أنهم على غير الطريق السوي[٣]. يقول الشيخ محمد بن

---

(١) فالباقلاني جعل الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، انظر كتابه الإنصاف: ١٠٨ والبغدادي أيضا في كتابه الفرق بين الفرق: ٧و١٩، ٢٤ و٢٦وغيرها من الصفحات كثير، وكذلك فعل الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، انظر: ج١/ ص١٣٠، والجويني في لمع الأدلة: ٧٥و٩٢، وأصول الدين/ الرازي: ٦٥، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، وهم مستمرون على ذلك حتى الآن انظر: كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني، وكتاب كبرى اليقينيات الكونية/ محمد رمضان١٢٥، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.، وانظر: التفكير الفلسفي في الإسلام/ عبد الحليم محمود: ١٣٥، ومواقعهم العنكبوتية مثل: http:/ / www. azahera. net/ showthread. php?p=٣٦٧١ ولا يقتصر الأمر على الأشاعرة فقط انظر: كتاب وسطية أهل السنة والجماعة/ محمد باعبد الله: ٥٢ ومابعدها، دار الراية، ط/ ١، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: قواعد المنهج السلفي/ مصطفى حلمي: ٣٥، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء/ إبراهيم الرحيلي: ١/ ٦٢ - ٦٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ج٤/ ص٧١ و١٤٤، وتوحيد الألوهية/ الجميل محمد عبد السميع: ج٤/ ص١٤٤، وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات/ مرعي بن

عبد الوهاب[1]: (كثير من الناس لا يعتقد الحق إلا معه، ولا سيما أرباب المذاهب، يرى كلُّ أهل مذهب أن الدين معه لا يعدوه إلى غيره، وكل حزب بما لديهم فرحون)[2]. ويقول الشيخ صديق ابن حسن بن علي القنوجي[3]: (كل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية، ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهانا أوهنَ من بيت العنكبوت، ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه، ويعمد إلى ما شذت به من الأقوال؛ ليبين بذلك أنها هالكة

يوسف الكرمي المقدسي: ٨٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦، والاعتصام/ الشاطبي: ج١/ ص٢٦٤ – ٢٦٦.

(١) محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ١١١٥ ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها. وزار الشام. ودخل البصرة فأوذي فيها. وعاد إلى نجد، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة. ثم انتقل إلى العيينة، ناهجا منهج السلف الصالح، داعيًا إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. وتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من خلفه وتوفي سنة ١٢٠٦، وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وتفسير الفاتحة، وأصول الإيمان. الأعلام للزركلي - (٦/ ٢٥٧).

(٢) مسائل الجاهلية/ محمد بن عبد الوهاب: ٣٢، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٦، ت: محمود شكري الآلوسي.

(٣) محمد صديق خان بن حسن بن القنوجي، أبو الطيب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين بالهند. له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندية. منها بالعربية: حسن الأسوة، وأبجد العلوم، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر. ت: ١٣٠٧هـ، انظر: الأعلام/ الزركلي: ٦/ ١٦٨.

لاعتمادها على تلك الأقوال، وأنه ناج بخلوصه عنها، ولو فتش ما انطوى عليه لوجد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه، لكن عين المرء كليلة عن عيب نفسه...، وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك الفرقة، فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المؤونة، وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه- ﷺ- وأصحابه، وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي- ﷺ- وأصحابه، ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم، حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم، حتى كأنا رأيناهم رأى اليقين، وبعد ذلك فمن رزقه الله إنصافا من نفسه، وجعله من أولي الألباب لا يخفى عليه حال نفسه؛ أولا هل هو متبع لما كان عليه النبي- ﷺ- أو غير متبع، ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة؛ هل هي متبعة أو مبتدعة، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية، متقيد بها، تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذبها، فإن ما كان عليه النبي- ﷺ- قد ظهر لكل إنسان، فلا يمكن التباس المبتدع بالمتبع)[(١)].

ويقول- أيضًا- : (إنهم لما افترقوا، وكل طائفة لا تقبل من الحق إلا ما قالته طائفتهم، وكفروا بما مع غيرهم من الحق، قال- تعالى- في [سورة البقرة: ١١٣]: ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى

---

(١) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار/ صديق بن حسن بن علي القنوجي: ٢٠٤، مكتبة عاطف - دار الأنصار - القاهرة، ط/ ١، ١٣٩٨ - ١٩٨٧، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، وانظر: افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة/ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: ٧٨، دار العاصمة - الرياض، ط/ ١، ١٤١٥هـ، تحقيق: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان.

ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾. ولا شك أن هذه من خصال الجاهلية، وكثير من الناس لا يعتقد الحق إلا معه، ولا سيما أرباب المذاهب، فيرى كل أهل مذهب أن الدين معه لا يعدوه إلى غيره، وكل حزب بما لديهم فرحون...، والحزم أن ينظر إلى الدليل، فما قام عليه الدليل، فهو الحق الحري أن يتلقى بالقبول، وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء الظهور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا من اصطفاه الله لرسالته)[١].

ǒĺøÀŸǹ ȐøȞ ȷĺõ ǼȪ :(Ď)ǴȺȶȾƨǟş (č)ǴõÂǪȞţǟ ǼŁǾŋ ǥåĺȨè -Ď

الدولة العباسية يميلون إلى مذهبهم، فكان القضاة والوزراء[٤] من المعتزلة،

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر/ محمد صديق: ٢٢٧- ٢٢٨، ط/ ١، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

(٢) انظر البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٠/ ص٢٨٩ – ٣٠٨.

(٣) هم أصحاب جهم بن صفوان، رجل من ترمذ. وهو: من الجبرية الخالصة، ومعطل لأسماء الله وصفاته، وقال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال الذي لا اختيار للناس فيما يجري عليهم ولا استطاعة لهم بحال، وهو: مرجئ، ويقول: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط. ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. انظر: الملل والنحل/ الشهرستاني ج١/ ص٨٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين/: محمد بن عمر ابن الحسين الرازي أبو عبد الله ج١/ ص٦٨،: مقالات الإسلاميين/ أبو الحسن الأشعري: ١/ ٢٣٨، والفرق بين الفرق/ البغدادي: ٢١١.

(٤) فقد ذكر الذهبي أن قاضي القضاة بمصر كان ظالمًا من رؤوس الجهمية، عزله المتوكل. انظر: تاريخ الإسلام/ الذهبي ج١٧/ ص٢٢.

كابن أبي دؤاد[1]، وهؤلاء الخلفاء الذين مالوا للمعتزلة هم على الترتيب الزمني لتولي الخلافة هم:

أ- المأمون (١٧٠_٢١٨هـ)[2].

ب- أخوه المعتصم (١٨٠ - ٢٢٧هـ)[3].

ج- الواثق (١٩٦- ٢٣٢هـ)[4]، يقول ابن كثير[5]: (المتوكل...كان من خيار الخلفاء، لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون، فإنهم أساؤوا إلى أهل السنة، وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة)[6] الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في

---

(١) هو: أحمد بن أبي دؤاد واسمه لقبه، الإيادي المعتزلي. وقد ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وأعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، ومات سنة: ٢٤٠هـ، وعمره يومئذ ثمانون سنة، وابتلاه الله بفالج قبل موته بأربع سنين، حتى بقي طريحا في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئا من جسده، وقد صودرت أمواله، وإن ابنه أبا الوليد محمدا صودر بألف ألف دينار ومائتي ألف دينار، ومات قبل أبيه بشهر. انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير ج١٠/ ص٣١١ - ٣٢٢، والأعلام/ الزركلي: ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير ج١٠/ ص٢٧٤.

(٣) انظر: المصدر السابق: ج١٠/ ص٢٩٦.

(٤) انظر: المصدر السابق: ج١٠/ ص٣٠٨.

(٥) هو: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، حافظ، مؤرخ، فقيه، مفسر، له مصنفات عديدة منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، ت: ٧٧٤هـ، انظر: الطبقات الكبرى/ ابن سعد: ٥/ ٤٤٢، ط/ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، والأعلام/ الزركلي: ١/ ٣٢٠.

(٦) البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٠/ ص٣٠٦.

الآخرة، فعذبوا وسجنوا وقتلوا كثيرًا من العلماء الذين لم يقولوا بقولهم[1]؛ لهذه الأسباب شمر أتباع سنة رسول الله- ﷺ- لبيان الحق وأهله؛ حتى تتضح الرؤيا، ولا يلتبس الأمر على من يريد الاقتداء بالرسول- ﷺ- وصحبه، فظهر هذا الاسم (السلف) والذي يعني مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والطائفة الناجية، في مقابل الفرق الأخرى التي ظهرت؛ لأن بعضها فرق مسلمة من الفرق الاثنتين وسبعين فرقة، لكنها ليست هي الفرقة الناجية، فلا يكفي أن يقال: مسلم، بل لا بد من التمييز.

الثاني: تحديد وقت ظهور اسم السلف:

اختلف العلماء في نشأة مصطلح السلف:

١- فبعض العلماء جعل بداية نشأة هذا المصطلح متزامنا مع محنة القول بخلق القرآن؛ لذا فهم ينسبون المنهج للإمام أحمد؛ لكونه أحيا وجدد ما اندرس من الدين، وذكر السفاريني أنه ظهر بعد المائتين[2].

٢- وقال بعضهم ظهر هذا المصطلح في العصر العباسي في مقابلة الخلف، حيث زعم الأشاعرة والماتريدية أن طريق الخلف أفضل وأحكم، فصار لفظ السلفية يطلق على المتمسكين بمنهج السلف، فلذلك مُيزت السلفية في عصر ابن تيمية، وظهر هذا الاسم (دعوة السلف) و(منهج الخلف)[3]، يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (وقد تألف هذا المصطلح منذ

(١) انظر: المصدر السابق: ج١٠/ ص٢٧٢- ٣١٠.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية/ السفاريني: ١/ ٢٠- ٢١، و http:/ / ejabat. google. com/ ejabat/ thread?tid=٢٣٦٤be٩٧٢f٠٧٦٣٧٨.

(٣) انظر: شرح الواسطية/ خالد الغفيص: ٢٤.

ظهور شيخ الإسلام، ومصطلح السلف لفظ عربي فصيح، وكان من بواعث ظهور السلفية سيطرة الأفكار الصوفية على الناس وطرقها المختلفة، وأفكار علماء الكلام والتعصب المذهبي والبدع في الدين والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وظهرت غربة الإسلام، وظهر أنه بحاجة ماسة إلى أن تتوضح معالمه حتى يعرف الناس الحق من الباطل)[1].

والسؤال: هل نشأ اسم السلف في عهد أحد الإمامين السابقين أو قبلهما؟

ÀøŁÀÀĦŋ ZŸÊøäå ĜŧŸõ ȧŸùǚ Ǩęş ÆÀÆƠ Ž ȢŸǬǹä õÀÀŁ ɉÀõ Àţ

الشرعي؛ بحثت في كتب السلف- رحمهم الله تعالى- بحسب وفياتهم عن هذا المصطلح، متى أطلق بالذات في كتب (عقيدة أهل السنة والجماعة) وكتب (الحديث)، سواء قصدوا بها عمل السلف الفقهي أو الاعتقادي، **فوجدت أن الاسم أطلق:**

أولاً: قبل الإمام أحمد (١٦٥ - ٢٤٢هـ): أول من ذكره[2] هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة المشهورين **(٩٣هـ- ١٧٩ هـ)** في كتابه الموطأ [3] بقوله: (ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك، ويخافون بدعته)، ثم ذكره الإمام محمد بن إدريس الشافعي **(١٥٠- ٢٠٤)**، والذي يطلق عليه مجدد القرن الثاني في كتابه (الأم) بقوله: (قد حَفِظْنَا عن سَلَفِنَا ما وَصَفْت، وما أَعْرِفُ عن أَحَدٍ

---

(١) مجلة الحرس الوطني/ (الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى) عبد الحليم عويس (رئيس تحرير مجلة التبيان- القاهرة) رقم العدد: ٣٢٧، التاريخ: ١/ ٣/ ٢٠١٠.

(٢) بحثت في كتب الإمام أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ) فلم أجد هذا اللفظ عنده.

(٣) ج١/ ص٣١١.

من التَّابِعِينَ أَنَّهُ أَبْطَلَ صَدَقَةً)[1]، وقال: (كان سلفنا لا يدعون التلبية عند أربع...)[2]، كذلك ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤) في كتابه الإيمان[3] فقال: (فإن هذا- رحمك الله- خطب قد تكلم فيه السلف في صدر هذه الأمة وتابعيها ومن بعدهم إلى يومنا هذا...، اعلم- رحمك الله- ، أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين، فقالت إحداهما: الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب، وشهادة الألسنة، وعمل الجوارح، وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوَى وبرٌّ، وليست من الإيمان، وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا). وقال أيضا: (فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة)[4] **بعد الإمام أحمد (١٦٥ - ٢٤٢هـ) وقبل شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٧هـ)**: فقد أورد هذا اللفظ الحافظ محمد بن يحيى بن عمر العدني (ت: ٢٤٣ هـ)[5]، أيضا ذكره الإمام أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ) في

---

(١) ج٤/ ص٥٤.

(٢) وفي الأم ج٢/ ص١٥٦.

(٣) ١/ ١٠، ت: الألباني، المعارف، الرياض، ط/ ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٤) الإيمان: (١/ ٣٤).

(٥) في كتاب الإيمان: ١/ ٩٨.

الجامع الصحيح[1]، وكذلك أورده الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) في صحيحه[2] بقوله: (ما عَلِمْنَا أَحَدًا من أَئِمَّةِ السَّلَفِ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَخْبَارَ وَيَتَفَقَّدُ صِحَّةَ الْأَسَانِيدِ وَسَقِيمَهَا...). وأيضا ذكره الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠ هـ) في كتابه الرد على الجهمية بقوله[3]: (وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء)، وكذلك أورده في كتابه النقض على المريسي[4]، وأورد هذا الاسم الإمام عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) في كتابه السنة[5]، وممن ذكره- أيضًا- الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٩٠ هـ) في كتاب السنة[6]، (وقد روي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا- رحمهم الله- أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله- عز وجل- ، وليس بمخلوق)، وذكره الإمام محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله الشافعي (ت: ٢٩٤هـ)

---

(١) ج١/ ص٩٣ دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٢) ج١/ ص٣٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) ج١/ ص٢٣.

(٤) ج١/ ص٥٢٥.

(٥) ج٢/ ص٤٧٥المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

(٦) ج١/ ص١٣٩، دار ابن القيم - الدمام - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني.

في السنة[1] بقوله: (فإن هذا قول خلاف ما جاءت به الأخبار عن السلف)، وقوله: (روي هذا القول عن جماعة من السلف)[2]، وذكره العالم المجتهد محمد بن جرير الطبري- رحمه الله- (٣١٠ هـ) في كتابه صريح السنة[3]: (وأما الحق في اختلافهم في أفضل أصحاب رسول الله- ﷺ- فما جاء عنه ﷺ- ، وتتابع على القول به السلف)، وأورده أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال (ت: ٣١١ هـ) في السنة[4] بقوله: (نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْيُسْرَ وَالْعَافِيَةَ، عَلَيْكُمْ بِالآثَارِ وَالْعِلْمِ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ مَضَى مِنَ السَّلَفِ)، وذكره الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الحنفي (ت: ٣٢١هـ) في عقيدته المعروفة بالعقيدة الطحاوية[5] بقوله: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)، وقاله الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) في كتابه الإبانة عن أصول الديانة[6]: (أما بعد، فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن

(١) ج١/ ص٦١، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم أحمد السلفي.

(٢) ج١/ ص٩١.

(٣) ج١/ ص٢٣.

(٤) ٥/ ١٠٤، عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية — الرياض، ط/ ٢، ١٩٩٤م.

(٥) ص٥٨.

(٦) ج١/ ص١٤، وانظر: ج١/ ص١٤والإبانة ج١/ ص١٥، دار الأنصار - القاهرة - ١٣٩٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. فوقية حسين محمود.

تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين)، وذكره أبو حاتم البستي (ت: ٣٥٤هـ) في صحيحه[١] بقوله: (ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السنن خلفٌ عن سلف)، أيضا ذكره أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت: ٣٦٠هـ) في الشريعة[٢] بقوله: (سكوتك عنهم، و هجرتك لما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين...)، وكذلك ذكره الإمام أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧ هـ) في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة[٣]، وقوله: (وكان السلف لا يحترمون معبدا[٤]، بل يأمرون بإهانته واحتقاره، وعدم الجلوس معه)، وذكره الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) في كتابه أصول السنة[٥]: (وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: أَنَّ صَلَاةَ اَلْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، مِنْ اَلسُّنَّةِ، وَالْحَقِّ وَأَنَّ مَنْ صَلَّى مَعَهُمْ، ثُمَّ أَعَادَهَا، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ جَمَاعَةِ مَنْ مَضَى مِنْ صَالِحِ سَلَفِ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ)، وكذلك أورده أبو الحافظ القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي (ت:

---

(١) ١/ ١ وانظر: ١/ ص٢٦٣.

(٢) ج١/ ص٤٥٢، دار الوطن - الرياض/ السعودية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.

(٣) ج١/ ص١٤٦، دار الراية للنشر - السعودية - ١٤١٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٤) هو: معبد الجهني٨٤هـ. من أهل البصرة، وهو أول من تكلم في القدر. انظر: النجوم الزاهرة١/ ٨٠- ٨١.

(٥) (١/ ٢٥٩)، وانظر: كتابه الآثار المروية في صفة المعية - (١/ ٤٩).

٤١٠هـ) في كتابه اعتقاد أهل السنة[1] بقوله: (فلم تزل الكلمة مجتمعة، والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين...)، وقاله الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)[2] في كتابه المستدرك: (فإن السلف - رضي الله عنهم - كان يجتمع عندهم الأسانيد لمتن واحد...)، وذكره أَبو إِسماعيل الهروي (ت: ٤٨١ هـ) في كتابه ذم الكلام وأهله[3] بقوله: (...خيار السلف وصالحي المسلمين من الأمة، وصفوة أهل العلم من صدرها، والقائمين بنصرة الدين...)، وأورده الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) في كتابه التحفة المدنية في العقيدة السلفية[4] بقوله: (ثم استوى على العرش، فللناس في ذلك المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح...)، وقاله أَبو القاسم إِسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني (ت: ٥٣٥ هـ) في كتابه الحجة في بيان المحجة[5]: (رأيت أن أملي كتابًا في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع، وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار؛ ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين)[6]،

(١) ج١/ ص١٦.
(٢) ١/ ٦٢٠، دار الكتاب العربي. بيروت.
(٣) ج٣/ ص٣٨.
(٤) ج١/ ص١٦٣، وانظر: ج١/ ص١٦٢، ج١/ ص١٦٣.
(٥) ج١/ ص٩٣ - ٩٤.
(٦) ج١/ ص١ - ٨.

وذكره موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠ هـ) في كتابه ذم التأويل: (فإني أحببت أن أذكر مذهب السلف ومن اتبعهم بإحسان- رحمة الله عليهم- في أسماء الله- تعالى- وصفاته).

فظهر بذلك أن اسم السلف أطلق قبل الإمامين: أحمد وابن تيمية، لكن لكونهما أشد من دافع، وأوذي وصبر على هذا المنهج، ونشره أطلق عليهم وعلى أتباعهم هذا الاسم مع لقب الحنابلة؛ لأن الإمام أحمد (ت: ٢٩٠ هـ) أحد الأئمة الأربعة، وشيخ الإسلام كان على مذهبه الفقهي؛ لذلك (غلب لقب السلف على الإمام أحمد وأتباعه على اعتقاده من أي مذهب فقهي كانوا، فقيل لهم في فن التوحيد: علماء السلف)[1]، يقول ابن تيمية: (وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولا، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علِمَها، ودعا إليها، وصبر على من امتحنه فيها ليفارقها)[2].

---

(١) انظر: أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية/ حمود بن أحمد الرحيلي: ٦- ٧، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - (١/ ٢٢٥).

(٢) منهاج السنة النبوية/ ابن تيمية: ج٢/ ص٦٠١ - ٦٠٢.

المطلب الثالث: الأسماء المرادفة لاسم السلف:

إن للسلف أسماء عديدة، وصفات كثيرة مرادفة لاسم السلف، وهذه الأسماء أخذها العلماء من الأحاديث التي وردت عنه- ﷺ- ، أو استنبطوها بناء على وصفه- ﷺ- لمنهج الفرقة الناجية، أو أخذها العلماء من حالهم وسيرتهم[1]. وهذا تفصيلها:

أولاً: أهل السنة والجماعة وفيه:

١- **السنة: لاتباعهم سنة محمد- ﷺ- .**

٢- **الجماعة:** جاء هذا الاسم في قوله- ﷺ- : (من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد)[2]، وقوله- ﷺ- : (يد الله مع الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة)[3]، وقوله- أيضًا- : (عليكم بالجماعة)[4]، وعندما أخبر- ﷺ- عن وقوع الافتراق، ذكر فيه أن الناجية هي الجماعة، فقال: (إن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة،

(١) انظر: مختصر لوامع الأنوار/ محمد بن سلوم: ٢٠، والهداية والإرشاد إلى طريق الهدى والرشاد/ عبد المحسن العباد: ٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي: ٤/ ٤٠٤، رقم ٢١٦٥ وقال: (حديث صحيح)، وأحمد ١/ ٣٨، والحاكم: ١/ ١٩٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٢١٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي: ٤/ ٤٠٥، رقم ٢١٦٦، والطبراني في الكبير: ١٧/ ١٤٥، رقم ٣٦٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٣٦٢١.

(٤) أخرجه الترمذي: ٤/ ٤٠٤، رقم: ٢١٦٥، والنسائي: ٥/ ٣٨٨، رقم ٩٢٢٥، وأحمد: ٥/ ٣٧٠، رقم ٢٣١٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٢١٦٦.

وهي الجماعة)[1]، وفي رواية: (إلا واحدة، وهي الجماعة)[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وهم يَزِنُونَ بالأصول الثلاثة...)[3]، ولا يقصد بالجماعة الكثرة، يقول عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- : (الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ)[4].

ثانيًا: الطائفة الظاهرة: قال- صلى الله عليه وسلم- : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله)[5]، فهم الغالبون المتمكنون، فلقد جعل الله حجتهم ظاهرة، وكلمتهم هي العليا[6].

---

(١) أخرجه أبو داود ج٤/ ص١٩٨، رقم: ٤٥٩٧ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، رقم: ٤٥٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤/ ١٩٧و١٩٨، رقم ٤٥٩٦ و٤٥٩٧، والترمذي: ٥/ ٢٥، رقم ٢٦٤٠، وابن ماجة: ٢/ ١٣٢١، رقم: ٣٩٩١، وأحمد: ٤/ ١٠٢، رقم: ١٠٢٤، والدارمي: ٢/ ٢٤١، رقم ٢٤٢٣، والحاكم: ١/ ١٢٨. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٣/ ٣٤٥: (الحديث صحيح مشهور)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٣٥٨، رقم: ٥٢٠٣.

(٣) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية ٣/ ١٧٥، وشرح العقيدة الطحاوية/ عبد الغني الميداني الغنيمي: ٤٤، وشرح العقيدة الواسطية/ الشيخ صالح الفوزان: ٢١، ولمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث/ عبد الفتاح أبو غدة: ٥٩.

(٤) أخرجه المزي في تهذيب الكمال: ٢٢/ ٢٦١.

(٥) أخرجه البخاري: ١/ ٣٩، رقم ٦١، مسلم: ٣/ ١٥٢٣ رقم: ١٩٢٠.

(٦) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة/ محمد الحمد: ٨٥ — ٨٦.

ثالثًا: الطائفة الناجية: قال- ﷺ- : (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهن إلى النار ما خلا واحدة ناجية)[١]، فهي تنجو من البدع والضلالات في الدنيا، ومن عذاب الله يوم القيامة[٢].

رابعًا: الطائفة المنصورة: قال- ﷺ- : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)[٣]، فالله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم إلى قيام الساعة[٤].

خامسًا: السواد الأعظم: قال أبو أمامة الباهلي- رضي الله عنه- : (عليكم بالسواد الأعظم)[٥]، والمراد: لزوم الحق واتباعه، ولا عبرة بكثرة الباطل؛ لأن أهل الحق قلة، فهم فرقة واحدة في مقابل اثنتين وسبعين فرقة، قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٨هـ): (الزم طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين)[٦].

سادسًا: الغرباء قال- ﷺ- : (إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)[٧]،

---

(١) أخرجه الربيع بن حبيب، في مسنده في: ج١/ ص٣٦، رقم: ٤١.

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى/ شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣، واعتقاد أئمة أهل الحديث/ الحافظ أبو الإسماعيلي، ت: د. محمد الخميس: ٧٩، وعقيدة أهل السنة والجماعة/ محمد الحمد: ٨٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه ج٢/ ص١٣٠٤برقم: ٣٩٥٢ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٤٠٣

(٤) انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية ٣/ ١٥٩، وعقيدة أهل السنة والجماعة/ محمد الحمد: ٨٥.

(٥) أخرجه أحمد ج٤/ ص٣٧٥ رقم: ١٩٣٧٠ وهو موقوف على أبي أمامة الباهلي.

(٦) الاعتصام/ للشاطبي: ١/ ٨٣، والمجالس الأربعة/ الرومي: ٤٤، انظر عقيدة الموحدين/ جمع عبد الله العبدلي: ٥١.

(٧) أخرجه مسلم: ١/ ١٣٠، رقم ١٤٥ والترمذي: ٥/ ١٨، رقم ٢٦٢٩، بلفظه، وبزيادة: (الذين يصلحون إذا فسد الناس) ٧/ ٢٨٨، رقم ٢٧٦٥.، وقال: (حديث حسن صحيح).

وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم)[1]، فيخفى عليهم كثير من شرائع الدين لتكالب أهل البدع والأهواء على سواد السنة لكثرتهم[2].

أهل الحديث والأثر: لأنهم اتبعوا السنة والآثار، ولم يبتدعوا، بل قد أجمع علماء السلف من المحدثين على أن المقصود بالفرقة الناجية والمنصورة أهل الحديث[3]، يقول الغزالي: (إنا نكتفي بتعديل أئمة الحديث، كأحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٩٠ هـ)، ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت: ١٤٤هـ)، وعلي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ)، ويحيى بن معين (ت: ٣٣٣ هـ)، ومحمد ابن إسماعيل البخاري) (ت: ٢٥٦ هـ)[4]، وقال الإمام أحمد: (إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟)[5]، وسموا بأهل الحديث في مقابل أهل الرأي الذين قدموا آراءهم على السنة، ويقوم مذهبهم على المنطق والفلسفة.

---

(١) الغربة/ الإمام ابن القيم: ٥٩ — ٦١، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع/ السيوطي: ١٤

(٢) مجموع الفتاوى/ شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٨/ ٢٩٨.

(٣) انظر: شرف أصحاب الحديث/ الخطيب البغدادي: ٢٧.

(٤) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم: الوزير اليماني: ١/ ١٢.

(٥) معرفة علوم الحديث/ الحاكم النيسابوري: ٢، اعتقاد أهل الحديث/ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: ٦، شرف أصحاب الحديث/ الخطيب البغدادي: ٢٧، وانظر جواهر الأصول في علم حديث الرسول- ﷺ- : ٦.

المبحث: الثاني المراحل الزمنية لمنهج السلف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراحل القوة والضعف، وفيه:

أولا: المرحلة الأولى:

كانت بداية هذه المرحلة مع بعثة الرسول، وإكمال الله- عز وجل- الإسلام، قال- تعالى- : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (٣) (سورة المائدة)، وقد أمر- صلى الله عليه وسلم- بالمحافظة عليه من البدع، وحث على التمسك بما جاء به، فقال- صلى الله عليه وسلم- : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة)[(١)]، (وخَرَجَ رسول اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- على أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ في الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ في وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ من الْغَضَبِ، فقال: بهذا أُمِرْتُمْ؟ أو لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بهذا هَلَكَتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ)[(٢)]، وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ، أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي- صلى الله عليه وسلم- فغضب، وقال: أمتهوكون[(٣)] فيها يا ابن الخطاب؟، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه ج١/ ص٣٣، رقم: ٨٥، وأحمد: ج٢/ ص١٧٨، رقم: ٦٦٦٨، وقال الألباني في شرح الطحاوية، رقم: ٢٥٩: صحيح.

(٣) أي: متحيرا. انظر: لسان العرب/ ابن منظور: ج١٠/ ص٥٠٨.

بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني)[١].

وكان الصحابة حريصين على الاتباع، لكن مع انتشار رقعة الإسلام ودخول الناس إلى الإسلام أفواجا، والاحتكاك بأمم ذات ثقافات مختلفة وديانات متعددة، ظهرت بذور الفِرق بعد خلافة الفاروق، فقد ظهرت فتنة التشيع، يقول ابن تيمية: (أول ما ابتدعت مقالة الغالية في الإسلام من جهة بعض من كان قد دخل في الإسلام، وانتحل التشيع، وقيل: أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا فأسلم، وكان ممن أقام الفتنة على عثمان، ثم أظهر موالاة علي، وهو من ابتدع الغلو في علي حتى ظهر في زمانه من ادعى فيه الإلهية)[٢]، ويقول ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) عن ابن سبأ: (كان يكثر الطعن على عثمان، ويدعو في السر لأهل البيت ويقول: إن...عليا وصيٌّ رسول الله...، وإن عثمان أخذ الأمر بغير حق، ويحرض الناس على القيام في ذلك، والطعن على الأمراء، فاستمال الناس بذلك في الأمصار، وكاتب به بعضهم بعضا)[٣]، وكان ذلك في عام ٣٤هـ، حتى أغرى وألب على قتل عثمان- رضي الله عنه وأرضاه- عام٣٥هـ[٤]، ثم ظهرت فرقة الخوارج عام٣٧هـ[٥]، فقاتلهم في معركة النهروان[٦]، ثم خرجت الرافضة، فتصدى أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- لها، ثم تتابع ظهور البدع

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٣٨٧ رقم: ١٥١٥٦، وحسنه الألباني في: تخريج كتاب السنة –رقم: ٥٠.

(٢) جامع الرسائل/ ابن تيمية: ج١/ ص٢٦٠.

(٣) تاريخ ابن خلدون ج٢/ ص٥٨٧.

(٤) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج٧/ ص١٦٨- ١٧١.

(٥) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج٧/ ص٢٥٨، والبدء والتاريخ/ المطهر بن طاهر المقدسي: ج٥/ ص٢٢٤، مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد، والملل والنحل/ الشهرستاني: ج١/ ص١٠٣.

(٦) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج٧/ ص ٢٥٨ و٣١٧.

والفرق بعد ذلك، فظهرت بدعة القدر على يد معبد الجهني (ت: ٨٣هـ)[١]، ثم تلتها بدعة الإرجاء، ومن أوائل من قال بالإرجاء غيلان الدمشقي (ت: ١٠٥هـ)، وكان قبطيا قدريا[٢]، وقال ببدعة التجهم الجعد بن درهم (ت: ١٢٤هـ)[٣]، ثم الجهم بن صفوان (ت: ١٢٨هـ)[٤]، ثم خرجت فرقة المعتزلة على يد واصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ)[٥]، فكان السلف أهل الحق ينهون الناس عن بدعهم، ويحذرون منهم، وتسموا بأهل السنة والجماعة واسم السلف؛ ليفرق الناس بينهم وبين أهل البدع.

المرحلة الثانية: في القرن الثالث الهجري نشطت الترجمة من اللغات الأخرى، وصنفت العلوم ما بين علوم النقل وعلوم العقل، حيث اختصت الأولى بعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة، واختصت علوم العقل بالطب والفلسفة وعلم الكلام وعلم الفلك والرياضيات، فبرزت فرق جديدة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة/ يوسف بن تغري بردي: ج١/ ص٢٠٦، وشرح قصيدة ابن القيم/ ابن عيسى ج١/ ص٢٥٦.

(٢) انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية/ أبو المظفر الإسفراييني: ج١/ ص٩٧، والوافي بالوفيات/ الصفدي: ج١٦/ ص١٥٤، والمعارف ج١/ ص٤٨٤.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ج٤/ ص٨٢، وشذرات الذهب/ ابن العماد الحنبلي: ج١/ ص١٧٠، وشرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٣٢٩.

(٤) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٠/ ص١٩، والكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ج٦/ ص١٢١، وشرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ج١/ ص٣٢٩.

(٥) انظر: مرآة الجنان/ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي: ج١/ ص٢٧٤، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ج١/ ص٦٧، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج١/ ص٣٩.

تنتسب إلى الإسلام، ونشطت وتقوت فرق أخرى منها فرقة المعتزلة، فهب علماء أهل السنة والجماعة للدفاع عن الدين، وبيان الحق للناس، وهم السلف وأهل الحديث والأثر[1]، وكان ذلك في العصر العباسي تحت قيادة (أحمد بن حنبل) أحد الأئمة الأربعة، (وهم أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، والشافعي)، فقد كان المعتزلة يتخذون مناهج عقلية في قراءة النصوص وتأويلها، واستمدوا أصولهم المنطقية والكلامية من الحضارة الإغريقية عن طريق الترجمة، ورأى أهل الحديث في هذه المناهج العقلية خطرًا يهدد صفاء الإسلام ونقاءه، وينذر بتفكك الأمة وانهيارها.

وازدادت الخطورة، وذلك لأن بعض خلفاء الدولة العباسية مالوا إلى مذهب المعتزلة، فكان القضاة والوزراء من المعتزلة كابن أبي دؤاد، وهؤلاء الخلفاء على الترتيب الزمني لتولي الخلافة هم:

أ- المأمون (١٧٠- ٢١٨هـ)[2] مدة ولايته (من ١٩٨ إلى ٢١٨هـ)، وهو الذي أعلن القول بخلق القرآن سنة ٢١٢هـ، وأنه المذهب الحق، لكنه لم يلزم الناس على اتباعه، لكن في عام ٢١٨هـ بدأ يدعو الناس إليه بالقوة.

---

(١) يقول محمد عبد الهادي المصري عنهم: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى: ٤٩، دار الإعلام الدولي، ط/ ٤، و١٩٩٢: (هم الذين يعتنون بحديث محمد رواية ودراية، باذلين جهدهم على مدارسة أحاديث النبي ورواياتها وإتباع ما فيها علمًا وعملاً، ملتزمين بالسنة، مجانبين للبدعة، متميزين عن أهل الأهواء الذين يقدمون مقالات أهل الضلالة على أقوال رسول الله- ﷺ-).

(٢) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٠/ ص٢٧٤.

ب- أخوه المعتصم (٢٨٠ - ٢٢٧هـ)[1]، مدة ولايته (من ٢١٨هـ إلى٢٢٧هـ).

ج- الواثق (١٩٦- ٢٣٢هـ)[2] مدة ولايته (من ٢٢٧ إلى ٢٣٢هـ)، لهذه الأسباب شمر أتباع سنة رسول الله- ﷺ- لبيان الحق وأهله؛ حتى تتضح الرؤية، ولا يلتبس الأمر على من يريد الاقتداء بالرسول- ﷺ- وصحبه، فظهر هذا الاسم (السلف)، والذي يعني مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والطائفة الناجية، في مقابل الفرق الأخرى التي ظهرت؛ لأن بعضها فرق مسلمة من الفرق الاثنتين والسبعين فرقة، لكنها ليست هي الفرقة الناجية، فلا يكفي أن يقال: مسلم، بل لا بد من التمييز، وظهر ذلك الاسم وبان في عهد إمام أهل السنة الإمام أحمد- رحمه الله تعالى- ، والذي امتحن بالقول بخلق القرآن في عهد المأمون الذي كان محبا للفلسفة وعلم الكلام؛ لذا كانت السيادة لمذهب المعتزلة على يد قاضي الدولة ابن أبي دؤاد، فأغرى المعتزلة المأمون بالعلماء المخالفين لهم، فعُذِّب وقُتل منهم خلق كثير، وكان ممن أغروه به الإمام أحمد الذي حُمل إليه، لكن المأمون مات (٢١٨هـ)، قبل أن يصل إليه الإمام أحمد، فتولى هذا الأمر بعده المعتصم، فحبس الإمام أحمد، ومكث في سجن ضيِّق مثقلاً بالقيود نحوا من ثلاثين شهرا، وكان يُوَجه إليه كل يوم برجلين، فلا يزالان يناظرانه، فحمل إلى المعتصم، وأمر بمناظرته وكاد أن يميل معه المعتصم لولا وسوسة

---

(١) انظر: المصدر السابق: ج١٠/ ص٢٩٦.

(٢) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٠/ ص٣٠٨.

المعتزلة له، وتأليبه عليه، فأمر بجلده حتى خلعت يداه وأغمي عليه، وأطلق فلم يزل أبو عبد الله بعد أن برئ من الضرب يحضر الجمعة والجماعة ويحدث ويفتي حتى مات المعتصم (٢٢٧هـ)، وولي ابنه الواثق، فسار على طريق المأمون، فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى مذهب أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه، فشغل نفسه بمحنة الناس في الدين، فأفسد قلوبهم، وتسبب في حقد الناس عليه حتى جاءت رسالة الواثق بتأليب من المعتزلة إلى الإمام أحمد جاء فيها: إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد ولا تساكني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله، فاختفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق، وكانت تلك الفتنة، فأقدم الواثق على قتل أحمد بن نصر الخزاعي (٢٢٩هـ) صبرا بيده متقربا بذلك لله، ولم يزل أبو عبد الله مختفيا في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها، حتى هلك الواثق (٢٣٢هـ)، ولما ولي المتوكل جعفر (٢٠٦هـ٢٤٧هـ) أظهر الله السنة، وفرج عن المسلمين، فرفع المتوكل المحنة، ومنع الجدل في الدين[1]، قال ابن المديني (ت: ٢٣٤هـ): أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة)[2]، ويقول السبكي (ت: ٧٧١هـ): قال الناس في عهده: (الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ) في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة)[3]، فأصبحت أقوال الإمام أحمد بن حنبل المستمدة من الكتاب والسنة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج: ١١ ص: ١٩٦ - ٢٦٥.

(٢) المصدر السابق: ج: ١١ ص: ١٩٦.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى/ تاج الدين السبكي: ٢/ ٥٤، ت: محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، ١٤١٣هـ، ط/ ٢.

هي المعبرة عن المنهج والمعتقد السلفي ؛ لصلابته على الحق وصبره على الأذى، يقول ابن كثير[1] : (المتوكل...كان من خيار الخلفاء ؛ لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة، بخلاف أخيه الواثق، وأبيه المعتصم، وعمه المأمون، فإنهم أساؤوا إلى أهل السنة، وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة)[2] الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، فعذبوا وسجنوا وقتلوا كثيرًا من العلماء الذين لم يقولوا بقولهم[3]، فقد مات محمد بن نوح (٢١٨هـ) في فتنة المأمون مضروبا ومقيدا، والمعتصم ضرب أحمد ابن حنبل، والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك (٢٢٩هـ)، وقطع رأسه ورفعه على خشبة وبقي جسده مصلوبا لمدة: ستة أيام، وكذلك مات نعيم بن حماد في السجن مقيدا (٢٢٨هـ)، وكذلك مات عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي: (٢١٨هـ) شيخ أهل الشام ومحدثهم في السجن مكبلاً بالحديد وعمره ٧٨سنة[4]، لكن انتهت هذه المرحلة بعز للمذهب السلفي.

المرحلة الثالثة: أصاب المسلمين الضعف والوهن ؛ لتكالب الأمم عليهم وأصاب السلف من ذلك الشيء الكثير ؛ بسبب الفتن والقتال بينهم وبين بعض الفرق وبالذات الرافضة، لكن تولي خلفاء من الدولة العباسية على

---

(١) هو: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، حافظ، فقيه، مؤرخ، من تصانيفه: (البداية والنهاية)، وتفسير القرآن، ت: ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة/ ابن حجر: ١/ ٣٩٩، والأعلام/ الزركلي: ١/ ٣٢٠.

(٢) البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٠/ ص٣٠٦.

(٣) انظر: المصدر السابق: ج١٠/ ص٢٧٢- ٣١٠.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٢/ ٥٣.

منهج السلف أعاد للمذهب الهيبة بعد استشراء المذاهب الكلامية في المشرق، وغلبة الرافضة على المغرب وكثرة الفتن[1]، وكان ملوك الخلفاء وأمراؤهم في هذه الحقبة على مذهب السلف، وكان ذلك في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، فكان هو المذهب الرسمي للدولة العباسية، تم إصداره في العقد الأول من القرن الخامس الهجري[2]، يقول ابن تيمية: (السلطان محمود بن سبكتكين[3]... كان من أحسن ملوك أهل المشرق إسلاما وعقلا ودينا، وجهادا وملكا في **آخر المائة الرابعة**...، وكانت قد انتشرت إذا ذاك دعوة الملاحدة المنافقين الذين كانوا إذ ذاك بمصر، وقد بنوا القاهرة وغيرها، ولهم دعاة من أقاصي الأرض بالمشرق وغيره، وكان والد ابن سينا منهم...، وفي ذلك الوقت صنف الناس الكتب في كشف أسرارهم...، وكان هذا مما دعا القادر[4] إلى إظهار السنة، وقمع أهل البدع، فكتب **الاعتقاد القادري**

---

(١) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١١/ ص٣٢٤ - ٣٢٩.

(٢) انظر: : الصفدية/ ابن تيمية: ج٢ ص: ١٦٢.

(٣) هو الملك الكبير العادل محمود بن سبكتكين أبو القاسم الملقب يمين الدولة وأمين الملة، وصاحب بلاد غزنة، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفد إليه بالكتب والهدايا؛ لأجل أن يكون من جهتهم، فيحرق بهم، ويحرق كتبهم وهداياهم، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم يتفق لغيره، وكان دينا يكرم العلماء. ت: ٤٢١هـ. انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٢/ ص٢٩، وسير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج١٥/ ص١٣٢- ١٣٦.

(٤) هو: الخليفة العباسي القادر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بن الأمين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور. تولى الخلافة: ٣٨١ ومات: ٤٢٢هـ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوما ولم يعمر أحد من

المنسوب إليه وهو في الأصل من جمع[1] الشيخ أبي أحمد القصار الكرجي[2]، وهو من أجل المشايخ وأعلمهم، وله لسان صدق عظيم، وأمر القادر باستتابة من خالف ذلك من المعتزلة وغيرهم...، واعتمد السلطان محمود بن سبككتين في مملكته نحو هذا، وزاد عليه بأن أمر بلعنة أهل البدع على المنابر فلعنت الجهمية والرافضة[3] والحرورية[1] والمعتزلة والقدرية،

الخلفاء قبل هذا العمر ولا بعده، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وهذا أيضا شيء لم يسبقه أحد إليه، وأمه أم ولد اسمها يمنى مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وقد كان حليما كريما محبا لأهل العلم والدين والصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس... وكان يقوم الليل، كثير الصدقة محبا للسنة وأهلها مبغضا للبدعة وأهلها، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء. انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٢/ ص٣١، سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج١٥/ ص١٢٧- ١٣٧.

(١) لقد ألفها: أبو أحمد الكرجي وكتبها وأظهرها الخليفة القادر بالله. انظر: الصفدية/ ابن تيمية ٢/ ١٦٢، والعلو للعلي العظيم/ الذهبي: ٢/ ١٥٦، والاعتقاد القادري، دراسة وتعليق الدّكتور عبد العزيز بن محمَّد آل عبد اللّطيف: ٢٧- ٢٩ في موقع: http:/ / www. alabdulltif. net، والاعتقاد القادري/ للخليفة القادر بالله، إخراج وترتيب/ أبو يعلى البيضاوي. في موقع: www. ahlalhdeeth. com/ vb/ attachment. php?attachmentid=٧٥٩٤&d.

(٢) هو أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي، المجاهد، والمعروف بالقصاب (وليس القصار) لكثرة ما قتل من الكفار في الغزوات، له عدة مصنفات منها: الاعتقاد القادري. ت: ٣٦٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي: ١٦/ ٢١٣، والوافي بالوفيات/ الصفدي: ٤/ ١١٤.

(٣) سميت رافضة لرفضهم أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- ، وقيل لرفضهم زيد بن علي، وأجمعت الرافضة على الإمامة، والعصمة، والرجعة، وقالوا بتفضيل علي على

ولعنت أيضا الأشعرية...، وجرت لابن فورك[٢] محنة بأصبهان[٣]، وجرت له مناظرة مع ابن الهيصم[٤] بحضرة هذا السلطان محمود، وكان يحب الإسلام والسنة مستنصرا بالإسلام عارفا به، غزا المشركين من أهل الهند وفتح الهند...)[٥].

وذكر الإمام الذهبي في تاريخه أنه في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة أمر الخليفة القائم بأمر الله[٦] بقراءة الاعتقاد القادري السابق ذكره بالديوان، وقال: إن هذا هو اعتقاد المسلمين، فيلزم عدم مخالفته، ومنه (...فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش لا لحاجة إليه، واستوى عليه كيف شاء...، وهو

سائر الصحابة، وإنه الإمام بعد رسول الله- ﷺ- وغير ذلك من الخرافات والأباطيل. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ أبو الحسن الأشعري: ١٦- ٦٤، التبصير في الدين/ أبو المظفر الإسفراييني: ٢٧- ٤٢.

(١) الحرورية: من ألقاب الخوارج. وسبب تلقيبهم بهذا اللقب أنهم لما خرجوا على عليٍّ في أول أمرهم نزلوا مكانا يقال له: "حروراء"، وهو قرية بظاهر الكوفة. انظر: مقالات الإسلاميين/ أبو الحسن الأشعري: ١/ ٢٠٦- ٢٠٧.

(٢) الحسن بن فورك الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من رؤوس الأشاعرة، ومن فقهاء الشافعية. ت: ٤٠٦هـ. من مصنفاته: مشكل الحديث وغريبه، انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: : ١٧/ ٢١٥، والأعلام/ الزركلي - (٦/ ٨٣).

(٣) هي: مدينة بأرض فارس، وهي أرض جبلية يتخللها نهر أصبهان. انظر: معجم البلدان/ الحموي: ج١/ ص٢٠٦ - ٢١٠.

(٤) إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم القبطي، المعروف بالصاحب أمين الدين ابن الهيصم: وزير مصري، تقدم في أيام الجراكسة بمصر، واستوزر عدة مرات. كان يميل إلى أهل العلم وله اشتغال بالفقه الحنفي توفي سنة ٨٥٩. انظر الأعلام للزركلي: ١/ ٤٧.

(٥) بيان تلبيس الجهمية/ ابن تيمية: ج٢/ ص٣٣١ - ٣٣٢، وانظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٢/ ص٢٧ و٢٩ و٦٢.

(٦) هو أبو جعفر الخليفة عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق المقتدر جعفر العباسي، البغدادي. ولد سنة ٣٩١هـ، وأمه بدر الدجى الأرمنية. تولى الخلافة: ٤٢٢هـ، وكان مليحا وسيما أبيض بحمرة، قوي النفس، دينا ورعا متصدقا. له يد في الكتابة والأدب، وفيه عدل وسماحة. ت: ٤٦٧هـ.

القادر بقدرة العالم بعلم، وهو السميع البصير متكلم...)[١]، فكانت هذه المرحلة متميزة بقوة المذهب السلفي.

المرحلة الرابعة: ظهرت كثير من البدع الجديدة، وقويت شوكة الفرق، وشاعت وانتشرت في البلدان كالرافضة والمعتزلة والأشاعرة[٢] والماتريدية[٣] وغيرها، وحورب المذهب السلفي، وانحسر امتداده، وانحصر تقريبًا في علماء الحنابلة؛ لذا عرف بالمذهب الحنبلي، وقد يكون سبب تسمية السلفيين بالحنابلة أن الإمام أحمد جدده بعد أن كاد يندثر على يد المعتزلة[٤].

---

(١) انظر: المنتظم/ ابن الجوزي: ج١٠/ ٢٦١، وتاريخ الإسلام/ الذهبي: ج٢٩/ ص٣٢١- ٣٢٢، والبداية والنهاية/ ابن كثير: ج١٢/ ص٣١- ٥٨، وطبقات الحنابلة/ أبو يعلى: ج٢/ ص١٩٧، وتاريخ المذاهب الإسلامية/ محمد أبو زهرة: ١٨١: ١٨٥، والأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث/ الدكتور خالد كبير علال: ١٢٩- ١٣٢، دار مالك، الجزائر، ط/ ١، ٢٠٠٥.

(٢) هم: المنتسبون لأبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه من الاعتزال، وقبل تصريحه بانتسابه إلى مذهب الإمام أحمد، ومتأخروهم يثبتون سبع صفات فقط، وينكرون علو الذات، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق. انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٦/ ٥٢- ٥٥، وأصول وتاريخ الفرق/ مصطفى بن محمد بن مصطفى: ١/ ٣١٦ - ٣١٧.

(٣) وهم: أتباع المتكلم أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ت: ٣٣٣هـ)، نسبة إلى مدينة صغيرة هي: ماتريد قرب سمرقند. وهي من فرق أهل الكلام، وهي مرجئة وجبرية ومعطلة لأكثر الصفات، وهي قريبة لمذهب الأشاعرة وتنتشر حيث ينتشر المذهب الحنفي في تركيا والهند وباكستان. انظر: تأويلات أهل السنة/ أبو منصور الماتريدي، وبحر الكلام في علم التوحيد/ النسفي، ومجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٧/ ٤ ـ ٤٢١، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٥٥ - ٩٧.

(٤) انظر: الخطط/ المقريزي: ٢/ ٣٥٧- ٣٥٩، مطبعة بولاق.

وانحسار المذهب السلفي كان متزامنا مع سقوط بغداد على يد المغول عام٦٥٦هـ[١]، يقول المقريزي- بعد عرضه لنشأة المذهب الأشعري وانتشاره على يد بعض العلماء والسلاطين- [٢]: (فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه إلا أن يكون مذهب الحنابلة- أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل- رضي الله عنه- ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات، إلى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، فتصدى للانتصار لمذهب السلف، وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية)[٣].

---

(١) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ٧/ ١٦٥.

(٢) فقد انتشر المذهب الأشعري وقوي في عهد وزارة نظام الملك صاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية؛ ولذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة. وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها، ومدرسة نيسابور النظامية، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، كما تبنى المذهب وعمل على نشره المهدي بن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين فقد انتشر بحماية العهد السلجوقي والأيوبي والمملوكي. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ١٣.

(٣) الخطط/ المقريزي: ٢/ ٣٥٨- ٣٥٩، بولاق، وانظر في علم الكلام (الأشاعرة) / أحمد صبحي: ص: ١٤، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

ولا شك أنه كانت لعلماء السلف في كل زمن جهود مشكورة في الدفاع عن عقيدة السلف، والرد على خصومها، ولكن ما قام به شيخ الإسلام كان من القوة والتأثير بحيث أصبح يمثل مرحلة بارزة من مراحل كل من مذهب الأشاعرة ومذهب السلف أيضا، والثاني: أن مجيئه في وقت متأخر- حيث ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ- وَفَّرَ له وسائل الاطلاع على ما انتهى إليه هؤلاء الأشاعرة في شرح مذهبهم، والاستدلال له، ووفر له كذلك القدرة على الرد على خصومه، ومن ثم تميزت ردود شيخ الإسلام ومناقشاته لهم بالقوة والعمق والشمول، وكشف خبايا هذا المذهب وتناقضاته، وتسجيل اعترافات شيوخه وردود بعضهم على بعض. ولا شك أن هذه الأمور لها أثر كبير في بيان فساد أقوال الخصوم، وتهافت أدلتهم؛ لذا ألبوا عليه الأمير، فأمر العلماء أن يعقدوا مجلسًا للوزراء، وجاء ممثل لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة، وبدؤوا يناظرونه ويناظرهم، فانفض المجلس وهم لم ينتصروا عليه، وقال: (أنا أمهل كل من خالفني سنة أن يأتي بحرف عن أحد العلماء في القرون الثلاثة الأولى يخالف ما ذكرته)، وكان مدهش النقل! يقول الإمام الذهبي- رحمه الله- : له اليد الطولى في النقل، لدرجة أن الكل يتعجب من قوة استحضاره، حتى قال الإمام الذهبي- وهو العالم الكبير المشهور المحدث- : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، إذا قال لك ابن تيمية: أنا لا أعلم هذا الحديث، فابكِ عليه، ولن تجد له أصلا...، ومع عدم انتصارهم عليه قاموا بسجنه عدة مرات، ومات سجينا بسجن القلعة بدمشق- رحمه الله تعالى- سنة (٧٢٨)، وعمره (٦٧) عاما، لكن بفضل الله ثم بفضله تم إحياء المذهب السلفي؛ لأنه قام

بشن حملة على من اعتبرهم أهل البدع ، داعيا إلى الرجوع إلى عقيدة السلف ومنهجهم. فانتشر مذهب السلف وقوي وسار على نهجه بعض العلماء وتلاميذه وتلاميذهم من مختلف البلدان والمذاهب الفقهية المختلفة ، ومن أبرزهم : ابن القيم الحنبلي[١] الذي حبس هو أيضًا بسبب اتباعه لمذهب السلف[٢] ، وابن كثير الشافعي الذي (أخذ عن ابن تيمية ، ففتن بحبه وامتحن لسببه)[٣] ، والذهبي الشافعي ، وزين الدين عمر الشهير بابن الوردي[٤] ، والمرداوي الحنبلي[٥] الذي امتحن مرارا بسبب فتياه بمسائل ابن تيمية[٦] ، وأبو

---

(١) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، تلميذ لشيخ الإسلام ابن تيمية من كتبه (أعلام الموقعين) (الكافية الشافية) ت : ٧٥١. انظر : النجوم الزاهرة ج١٠/ ص٢٤٩ ، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة/ ابن حميد : ٢/ ١١٥ ، الأعلام/ الزركلي : ٦/ ٥٦.

(٢) انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ محمد بن أحمد بن قدامة : ج١/ ص٣٤٦ ، دار الكاتب العربي — بيروت.

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ابن حجر : ج١/ ص٤٤٥.

(٤) عمر بن مظفر ، أبو حفص ، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي : كان إماما بارعا في الفقه والنحو والأدب مفننا في العلم ونظمه في الذروة العليا ، فهو : شاعر ، أديب ، مؤرخ. ولي القضاء بمنبج. ت : ٧٤٩. بحلب. انظر : فوات الوفيات/ الكتبي ٢ : ١١٦ ، وبغية الوعاة/ السيوطي : ج٢/ ص٢٢٧.

(٥) هو ولي الدين يوسف بن ماجد بن أبي المجد بن عبد الخالق المرداوي كان فاضلا فقيها. ت : ٧٨٣هـ. شذرات الذهب/ ابن العماد ج٦/ ص٢٨٢ ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ابن حجر : ج٦/ ص٢٤٠.

(٦) إنباء الغمر/ ابن حجر : ٣/ ١٩٨.

العباس أحمد بن الحسن الفارسي المشهور بقاضي الجبل الحنبلي[1]، وشمس الدين محمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي[2]، والمزي الشافعي[3]، وعلاء الدين المقدسي[4] الذي (كان يحب كلام ابن تيمية، ونسخ منه الكثير، وله أشعار على طريقته في الاعتقاد، وامتحن وأوذي بسبب ذلك)[5]، وابن

---

(١) أحمد بن الحسن بن قدامة، جمال الإسلام، شرف الدين، ابن قاضي الجبل: شيخ الحنابلة في عصره. كان يحفظ عشرين ألف بيت من الشعر. له مصنفات، منها: الفائق في فروع الفقه. ت: ٧٧١هـ. انظر البداية والنهاية/ ابن كثير: ١٤/ ٣١١، والأعلام/ الزركلي: ١/ ١١١.

(٢) ابن الشيخ عماد الدين بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي. يقول ابن كثير عنه: (تفنن في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والتاريخ والقراءات، وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة، وكان حافظا جيدا لأسماء الرجال، وطرق الحديث، عارفا بالجرح والتعديل، بصيرا بعلل الحديث، حسن الفهم له، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيما على طريقة السلف، واتباع الكتاب والسنة) ت: ٧٤٤هـ. انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ١٤/ ٢٤٣- ٢٤٤.

(٣) الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي الكلبي القضاعي الدمشقي، كان عالما بالحديث، وعارفا باللغة والتصريف والفقه. ت: ٧٤٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج٧/ ص٢٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى/ تاج الدين السبكي: ج١٠/ ص٢٢١و٣٩٥- ٣٩٩، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، الطبعة: ط٢، والوافي بالوفيات/ الصفدي: ج١/ ص٣٥٩و٣٩٣ و٤١٩.

(٤) هو على بن أيوب المقدسي علاء الدين أبو الحسن الملقب عُليان بالتصغير. الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف. ت: ٧٤٨هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٤/ ص٣٦ - ٣٧.

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ابن حجر: ج٤/ ص٣٦.

رجب الحنبلي[١] الذي أوذي أيضًا لمتابعته ابن تيمية[٢]، وشمس الدين الجزري الحنبلي[٣]، الذي بسبب فتواه بشيء من مسائل ابن تيمية أرادوا ضربه وسجنه، لكن اكتفوا بمنعه من الفتوى[٤]، وزين الدين البلخي[٥]، وهو أيضًا نالته محنة من أجل ذلك[٦]، وكذلك ابن أبي العز الحنفي[٧] الذي عزل من منصبه، وحبس من أجل متابعته لابن تيمية[٨].

وممن استجاب لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية من أفراد الطبقة الحاكمة: الأمير المملوكي سلار نائب السلطنة على مصر[٩]، والسلطان الملك الناصر

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، له عدد من المصنفات، ت: ٧٧٥هـ. انظر ذيل تذكرة الحفاظ/ أبو المحاسن الحسيني: ٢٦٧- ٢٦٨، ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) إنباء الغمر/ ابن حجر: ٣/ ١٧٦،

(٣) شمس الدين محمد بن خليل الجزري الحنبلي المنصفي كان إمام مدرسة الضياء. ت: ٧٨٣هـ. إنباء الغمر/ ابن حجر: ٢/ ٦١.

(٤) إنباء الغمر/ ابن حجر: (٢/ ٦١).

(٥) عمر بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم بن سعيد القرشي البلخي الأصل الدمشقي الكتاني بالمثناة. ت: ٧٩٢هـ. انظر: التنبيه والإيقاظ/ أحمد رافع بن القاسمي الطهطاوي الحنفي ج١/ ص١٦٠.

(٦) إنباء الغمر/ ابن حجر: ٣/ ٤٢.

(٧) هو: صدر الدين علي بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي. ودرس ومهر في ذلك وأفتى وخطب بحسبان مدة، ثم ولي قضاء دمشق. ت: ٧٩٢هـ. انظر: شذرات الذهب/ ابن العماد: ج٦/ ص٣٢٦.

(٨) انظر: إنباء الغمر/ ابن حجر: ٢/ ٩٥ - ٩٨.

(٩) هو الأمير سيف الدين سلار. انظر: البداية والنهاية ج١٤/ ص٤- ١٢.

حسن بن الملك النصار محمد بن قلاوون[١] (ت: ٧٤١هـ)، والأمير بالديار المصرية حسام الدين أبو بكر بن النجيبي[٢].

لقد ضرب الإمام ابن تيمية- رحمه الله- في جهاده وصبره مثلا أعلى لأهل السنة والجماعة، فقد ناظر، وجاهد بلسانه وقلمه أهل البدع، وعندما انتصر عليهم رأوا سجنه، فمات سجينا في قلعة دمشق على يد الأشاعرة، وكذلك (أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له...، وأوذي جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعزر جماعة، ونودي عليهم، ثم أطلقوا سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية، فإنه حبس بالقلعة)[٣]، فكان ذلك سببا لعودة الناس لمذهب السلف؛ لأن موقف الإمام الصلب وحده مع

(١) هو تاسع سلاطين الدولة المملوكية، قاد حروبًا ضد الصليبيين والمغول. انظر: البداية والنهاية ج١٤/ ١٦٨- ١٧٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية ج١٤/ ص٢٣٥، وفوت الوفيات/ محمد الكتبي: ١/ ٣٤، ط/ بدون، دار صادر، بيروت، المنهل الصفي/ جمال الدين الأتابكي: ١/ ٣٣٦، ١٣٥٧ دار الكتب المصرية، القاهرة. النجوم الزهرة/ جمال الدين الأتابكي: ٩/ ٢٧١، ط/ بدون، مصورة من دار الكتب، مصر الدرر الكامنة/ القسطلاني: ١/ ١٥٤، ط/ بدون، دار الكتب الحديثة، مصر، البدر الطالع/ الشوكاني: ٦٣، دار المعرفة، بيروت، وباعث النهضة الإسلامية ابن تيمية/ محمد خليل هراس الجزء الثاني خاص بشيخ الإسلام، مشاهير المجددين في الإسلام/ الفوزان: ١٩- ٥٥، معجم المؤلفين/ كحالة: ١/ ٢٦١: موقف ابن تيمية من الأشاعرة/ المحمود: (١/ ٦)، والبدعة وأثرها في محنة المسلمين (٥/ ١٦).

(٣) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ محمد بن قدامة: ج١/ ص٣٤٦، دار الكاتب العربي - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.

بعض تلاميذه على الحق لفت أنظار الناس إليه، فموقفه مع الأشاعرة الذين كانت السلطة السياسية بجانبهم مثل موقف الإمام أحمد مع المعتزلة، والذين كانت أيضًا السلطة السياسية بجانبهم.

كان- رحمه الله- أمة وحده، فرجل واحد ليس معه عضيد ولا مساند مع كثرة أهل البدع حوله وقوة سطوتهم، فالسلطة بجانبهم، فاجتمعوا على أذيته وسحنه إلى أن مات سجينا- رحمه الله- ، إلا أنه غير وبدل حال الناس من الظلام إلى النور، ومن الشرك والبدع إلى السنة والتوحيد؛ بتجديد الدين، وإحياء ما اندرس وغاب منه، وكتبه إلى الآن تعتبر من أفضل مناهل العلم عند السلف، أليس هذا عجيبا؟.

المرحلة الخامسة: في هذه المرحلة شهد المذهب السلفي انحسارًا كبيرًا مرة أخرى، وغابت معالم الإسلام إلا فيما ندر، فظهرت البدع، وعم الشرك بلاد نجد وغيرها من بلاد المسلمين، فكان الناس يتوسلون بالأولياء والأشجار وغيرها، فظهر المذهب السلفي بقوة مرة أخرى في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) على يد المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية، والتي واكبت عصر انحطاط وأفول نجم الدولة العثمانية، وصعود الاستعمار الغربي، وأحدثت هذه الدعوة تأثيرا كبيرًا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وأحدثت لغطًا كبيرًا بين مؤيديها ومعارضيها[1].

---

(١) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ حمود التويجري: ٢/ ٢٢٥، والرد على الرافضة/ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١/ ٤، وسياسات السلفية الإحيائية الجديدة بقلم حسن أبو هنية: ١٤٠٥. http:/ / www. kwtanweer. com/ articles/ articleforprint. phparticleID=

وهي (بشهادة الخصوم أنها دعوةٌ لتحقيق توحيد الله- جل وعلا- ، وهي على ميراث النبوة، على مثل ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون- عليهم الصلاة والسلام- ، وهذا أمر ظاهر بين، وقد اتبع فيها طريقة السلف الصالح في القول والعمل والاعتقاد وفي العلاقات ونحو ذلك، وجمع فيها بين الفقه والعلم والبصيرة- رحمه الله تعالى، وأجزل له المثوبة - ، ولا يُعلم دعوة من وقته إلى هذا الزمن قاربت دعوته في الدعوة إلى ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون- عليهم الصلاة والسلام- ، إلا من كان متأثرًا بدعوته، أما الدعوات الأخرى ففيها ما فيها، وأكثر أمورها على خلاف طريقة السلف الصالح- رضوان الله عليهم-)[1].

فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قامت على الدين الصحيح، فهي إحياء لما اندرس منه، والقضاء على البدع، وإزالة ما يتخذه ويتمسح به الناس ويتوسلون به، كهدمه للقبة التي كانت على قبر زيد بن الخطاب[2]. (من الثابت في الحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- لم يأت الناس بعقيدة جديدة، بل هو عالم عامل بين عقيدة السلف الصالح، وعمل

---

(١) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق - سليمان بن سحمان: ٣٧، ودراسة وتحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ ٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م، وشرح عدة متون في العقيدة (١٣/ ٢٧٩)، والرد على الرافضة/ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١/ ٤.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد/ ابن بشر ص٣٩.

على تطبيقها، ووفق بأنصار أحرار ينصرون عقيدة السلف الصالح عن وعي وإدراك)[1].

يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (وفي العصر الحديث عندما ظهر شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب)- رحمه الله تعالى- في نجد أنقذ الناس من البدع وغبش الصوفية...، بينما كانت جزيرة العرب في ظلام دامس، وكانت الوثنيات تسيطر على البلاد، وقد ألف كتبًا لبيان حقيقة التوحيد، وأخذ ينشرها، ويدعو إليها، وناله من الأذى الكثير، ولكن وفقه الله- عز وجل- مع من أيدّه من الأمراء السعوديين الأوائل.

وبالتالي ظهرت (الدعوة السلفية) وأثرَّت في المسلمين، ووصلت إلى بلاد كثيرة في العالم كله.

ويقول الشيخ محمد ناصر الألباني- رحمه الله- (ت: ١٤٢٠هـ): لا بد أن نعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- كان سلفيًّا في العقيدة، وله الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام (ابن تيمية)- رحمهم الله جميعًا- في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي بصورة عامة، وفي البلاد النجدية والحجازية فيما بعد بصورة خاصة)[2].

---

(١) نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز/ أمين الريحاني: ٤٣٦، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية/ صالح العبود: / ١٥.

(٢) مقال (الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى) عبد الحليم عويس (رئيس تحرير مجلة التبيان- القاهرة)، مجلة الحرس الوطني، رقم العدد: ٣٢٧، تاريخ: ١/ ٣/ ٢٠١٠.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يركز كثيرًا على بيان ووضوح هدفه وغايته من هذه الدعوة، فهو يدعو إلى الله وحده لا شريك له، مخلصًا له الدين، ويحرص أيما حرص على اتباع الحق مهما كانت الأحوال، يقول- رحمه الله- : (ولست- ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله- ﷺ- ، التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين)[1].

ويقول أيضا: (فنحن- ولله الحمد- متبعون غير مبتدعين، مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل السنة والجماعة، الذي هو على أمر الله ورسوله- ﷺ-)[2]، وهذا واضح لمن قرأ كتب إمام الدعوة ورسائله- رحمه الله- متجردا من الهوى، ككتاب التوحيد وغيره، فقد كان اعتماده- رحمه الله- فيما يقرره الكتاب والسنة[3].

---

(١) روضة الأفكار/ ابن غنّام: ١/ ١٥٣- ١٥٤.

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس: ٣٦ ورقم ٦ ص ٤٠، ٤١، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ صالح العبود: ١/ ٢٩.

(٣) انظر: الدرر السنية في الكتب النجدية/ لمجموعة من علماء نجد: ١٢/ ٢٠، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط/ ٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.، والتوضيحاتُ الكاشفاتُ على كشفِ الشُبُهاتِ/ محمد الهبدان: ١/ ١٦.

وقال ابنه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم، خلافا لمن قال طريقة الخلف أعلم، وهي أننا نقرُّ آيات الصفات وأحاديثها، ونكل معناها مع اعتقاد حقائقها إلى الله تعالى...)[1].

فهذا هو مذهب الشيخ الحق، لا ما ذكره أعداء دعوته من أكاذيب وتهم، و(قد أجاب عن هذه الأكاذيب والمفتريات الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقال- رحمه الله- : (وأما ما يكذب علينا سترًا للحق، وتلبيسًا على الخلق بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة شرح، ولا نعول على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد- ﷺ- بقولنا: النبي رُمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، مع كون الآية مدنية، وأنا لا نعتمد أقواله، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب؛ لكونها فيها الحق والباطل، وأننا مجسمة، وأننا نكفر الناس على الإطلاق من بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه...، ولا وجه لذلك، فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكرنا جوابنا عليه في كل مسألة: سبحانك هذا بهتان عظيم، فمن روى عنا شيئًا من ذلك، ونسبه إلينا، فقد كذب علينا وافترى،

---

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية: ١/ ١٢٦، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد ين عبد الوهاب/ عبد العزيز العبد اللطيف: ١/ ١٤٠.

ومن شاهد حالنا، وحضر مجلسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعًا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداءُ الدين وإخوان الشياطين؛ تنفيرًا للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله- تعالى- بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذي نص الله على أنه لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[1].

ويقول الدكتور ناصر العقل- حفظه الله تعالى- عن دعوة الشيخ محمد: (هي الإسلام على منهج السلف الصالح...، من الحقائق الثابتة الجليلة أن الدعوة الإصلاحية التي قام بها المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي- رحمه الله- (١١١٥- ١٢٠٦هـ)، ونصرها الإمام المجاهد محمد بن سعود- رحمه الله- (ت: ١١٧٩هـ) إنما هي امتداد للمنهج الذي كان عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة على امتداد التاريخ الإسلامي، وهو منهج الإسلام الحق الذي كان عليه النبي- ﷺ- وصحابته الكرام والتابعون وأئمة الدين من الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل الحديث والفقه وغيرهم...، إذاً فهذه الحركة المباركة لم تكن في حقيقتها ومضامينها ومنهجها العقدي والعلمي والعملي، إلا معبرة عن الإسلام نفسه، مستهدفة إحياء ما اعترى تطبيقه من قِبَل كثير من المسلمين من غشاوة وجهل وإعراض، بتصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة، وإحياء السنة، ومحاربة الشركيات والبدع والمحدثات في الدين)[2].

---

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق/ ابن سحمان ١/ ٦٧ - ٦٨.

(٢) إسلامية لا وهابية/ ناصر العقل: (١/ ١)، والرد على الرافضة/ محمد بن عبد الوهاب علق عليها محمد مال الله، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

وقد وفق الله- تعالى- الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، حيث آزره الأمير محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعه المريدي الدرعي العدناني (١١٠٠هـ١١٧٩-) وهو المؤسس الأول لدولة الدعوة[1]، فعندما هاجر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسمع بمقدمه الأمير محمد بن سعود رحب به، وبادره بالقبول والتأييد من العيينة إلى بلدة الدرعية، فنزل في الليلة الأولى على عبد الله بن سويلم، ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعا إليه، ومعه أخواه: ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده[2]، (وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة)[1].

(١) انظر: الدرر السنية في الكتب النجدية/ لمجموعة من علماء نجد: ٢/ ٧٦، والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق - سليمان بن سحمان: ٣٧، ودراسة وتحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ ٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م الدرعية العاصمة الأولى/ عبد الله بن خميس: ١٦١، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ التويجري: ٢/ ٢٢٥، والإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى/ عبد الرحمن العريني: ٥٤، وإسلامية لا وهابية/ بحث علمي توثيقي أعده ناصر عبد الكريم العقل: ١٢ (المكتبة الشاملة).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد/ ابن بشر: ١/ ١١- ١٢، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض، وتاريخ نجد/ ابن غنام: ١/ ٣، مطبعة المدني، ط القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة/ عبد الله التركي: ٣٣-

فمضى الشيخ والأمير في نشر الدعوة في ربوع نجد وغيرها، حتى عم خيرها أرجاء البلاد، وكان لها الأثر الواضح في حركات الإصلاح التي قامت في نواحي البلاد الإسلامية[٢]، وقد كانت الدرعية مركز الدعوة، ونقطة انطلاقها إلى داخل الجزيرة العربية وخارجها[٣].

و(حين ذهب الأمير محمد بن سعود إلى الحرمين الشريفين، وقد قرئ هناك بيان بمذهب الدعوة بمحضر علماء المذاهب الأربعة: ((إن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريق السلف الصالح التي هي الطريق الأسلم؛ بل الأحكم)[٤]، ورد على المفتريات على هذه الدعوة السلفية[٥].

٣٧، ط/ ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.

(١) انظر: عنوان المجد/ ابن بشر: ١/ ١١ ١٢، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة/ عبد الله التركي: ٧٩.

(٢) انظر: عنوان المجد/ ابن بشر: ١/ ١١ ١٢، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة/ عبد الله التركي: ٧٩.

(٣) انظر: الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل (١/ ١٨).

(٤) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية/ أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ): (١/ ٥٥٢)، دار الصميعي، ط/ ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

(٥) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية/ شمس الدين الأفغاني: ١/ ٥٥٣- ٥٥٨.

(وقد اشتهر الأمير محمد بن سعود على وجه الخصوص بحسن السيرة ورجاحة العقل، والحنكة وسداد الرأي، وبالوفاء والكرم والإحسان، والاستقامة والتدين والعبادة، مع قوة العزيمة والشجاعة ورباطة الجأش. وبرهان ذلك: استعداده لاستضافة الإمام الداعية محمد بن عبد الوهاب، وقبوله لاحتضان الدعوة والتزامها، والقيام بأعبائها، في تلك الظروف الحرجة والمخاطر التي تكتنف الدعوة وإمامها، والمسؤوليات التي لم يستطع ابن معمر أمير العيينة تحملها، رُغْمَ ولائه أول الأمر للدعوة، وحماسه في نصرتها، وشروعه في تنفيذ برامجها، قبل أن ترد إليه التهديدات الجادة والكثيرة من جهات عديدة، أخطرها تهديد ابن عرير حاكم الأحساء، ومع ظهور هذه المخاطر فإن ابن سعود تكفل بالنصرة للإمام وطمأنه، وقد صدق ووفَّى، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين عامة، وعن هذه البلاد خاصة خير الجزاء، ولم يتوف- رحمه الله- إلا وقد قرت عينه بنصرة الدين، ونشر السنة، وقيام الدولة، وبأبناء بررة كرام أبطال، ضربوا أروع الأمثلة في الديانة والأمانة والجهاد، والقيام بأعباء الدعوة والدولة بجدارة واقتدار)[1].

ولما توفي الأمير خلفه ابنه عبد العزيز بن محمد ليتابع مناصرة الدعوة مع الشيخ الذي توفاه الله بالدرعية سنة ١٢٠٦هـ يوم الاثنين آخر شهر شوال،

---

(١) انظر: إسلامية لا وهابية/ ناصر العقل: ١/ ١٢ (المكتبة الشاملة)، والإمام محمد بن سعود/ العريني: ٥٧- ٥٩.

وكان يومًا مشهودًا تزاحم الناس على سريره وصلوا عليه في بلدة الدرعية، ورثاه طوائف من العلماء، منهم العالم الجليل: محمد بن علي الشوكاني[1][2].

وكان- أيضا- مما ساعد على نشر الدعوة: وجود أنصار لدعوة الشيخ من بين رجالاتها، مثل إخوة الأمير محمد بن سعود، وهم الأمير ثنيان، والأمير مشاري، والأمير فرحان، والأمير الصغير عبد العزيز بن محمد بن سعود، وآل سويلم فقد سار على ذلك إمام المسلمين في ذلك الزمان، وهو عبد العزيز بن محمد بن سعود- رحمه الله تعالى- ، فبعث جماعة من المسلمين إلى ذي الخلصة في الحجاز، فخربوها، وهدموا بعض بنائها، وبقي بعضه قائمًا[3]، فالله- عز وجل- يهيئ لهذا الدين بعد ختم النبوة بمحمد- صلى الله عليه وسلم- عند انتشار البدع، واندراس معالم الدين، علماء أفذاذا يجددون ما اندرس منه، لكنه لا يأتي بجديد، ولا يبتدع شيئا، فهي سلسلة ممتدة من العلماء، فالسلفية ليست دينا مبتدعا.

---

(١) علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن له١١٤مؤلفا منها: نيل الأوطار، وفتح القدير، وإرشاد الفحول، والتحف في مذهب السلف، ت: ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام/ الزركلي: ٦/ ٢٩٨.

(٢) انظر: الدرر السنية/ أئمة نجد: ١٢/ ٢٠، والرد على الرافضة/ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١/ ٤، والتوضيحاتُ الكاشفاتُ على كشفِ الشُبَهاتِ/ د. محمد بن عبد الله بن صالح الهبدان: ١/ ١٦.

(٣) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ حمود التويجري: ٢/ ٢٢٥.

وأختم هذه المرحلة بقول محمد خليل هراس عنها بأنها (عادت بالناس إلى العقيدة الإسلامية الأولى في بساطتها ونقائها، وحاربت كل ما أحدث في هذا الجانب العقدي من مذاهب ومقالات.

وكانت نشاطاتها في هذه الناحية امتدادا صحيحا لحركة التصحيح الكبرى التي بدأها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -)[(١)].

ومن الكتب التي تكلمت عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، تأليف الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الخامسة ١٩٩٠م، وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، تأليف الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، وروضة الأفكار تأليف ابن غنام، والشيخ محمد ابن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أمر بطباعته الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ١٣٩٥ هـ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعنوان المجد تأليف ابن بشر، ومجدد الدين في القرن الثاني عشر تأليف الدكتور وهبة الزحيلي، ومحمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، تأليف الأستاذ مسعود الندوي، ترجمة وتعليق عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، ١٤٢٠ هجري[(٢)].

---

(١) الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي / محمد خليل هراس: ٣٦.

(٢) انظر: الموقع التالي:

http:/ / ar. wikipedia.
org/ wiki/ %D٩٪٨٥٪D٨٪AD%D٩٪٨٥٪D٨٪AF_%D٨٪A٨٪D٩٪٨٦_%D٨٪B٩٪D٨٪A٨٪D٨٪AF_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٧٪D٨٪A٧٪D٨٪A٨□cite_ref□٧

المرحلة السادسة : لقد وضع الأساس الأمير محمد بن سعود لنشر الدعوة السلفية، وهو أول من لقب بالإِمام من آل سعود، والذي انتقل إِلى رحمة مولاه عام (١١٧٩هـ)، وقد سار من أحفاده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود[١] على ذلك، فتولى إِقامة البناء فوق أساسه المتين، واكتمل في عهده المبارك توحيد المملكة في عصرها الحديث، وغدا مستقبلها المشرق- بحمد الله- أمانة غالية في يد أبنائه وخلفائه[٢].

نعم ففي هذه المرحلة بان أثر الدعوة السلفية المباركة، وبرز بالإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الذي قرب العلماء، ونشر مؤلفات علماء الدعوة وآثارهم، وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب[٣]، وقام بالقضاء على البدع، فإنه لما ولي على الحجاز وما حوله، بعث عاملُه على تلك النواحي جماعةً من المسلمين، فهدموا ذي الخلصة[٤]، وما بقي من بنائها، ، فعفا بعد ذلك رسمها، وانقطع أثرها، ولله

---

(١) هو: مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (الدولة السعودية الثالثة). ولد في الرياض لأسرة آل سعود الحاكمة في نجد١٢٩٣هـ، ولما بلغ العاشرة من عمره انتقل مع عائلته إلى منفاها في الكويت بعد انتصار آل رشيد أمراء حائل على آل سعود، وقضى طفولته فيها إلى أن استرد الرياض سنة ١٣١٩هـ، توفي رحمه الله تعالى: ١٣٧٣هـ. انظر: أسد الجزيرة/ ناصر آل عاصم.

(٢) انظر: الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل/ عبد الله بن عبد المحسن التركي: ١٨، ط/ ١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: ١/ ٣٦٦.

(٤) (كان بَيْتًا في خَثْعَمَ في الجاهلية يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ، وقد أمر الرسول- ﷺ- بهدمه) أخرجه البخاري: ج٣/ ص١١٠٠.

الحمد والمنة، وذلك في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وأربعين أو خمس وأربعين من الهجرة[1].

ومن أقوال الملك عبد العزيز- رحمه الله- التي تبين منهجه السلفي قوله: (من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، إلى جناب الأخوين المكرمين، الشيخ الفاضل: أبي اليسار الدمشقي، وناصر الدين الحجازي- سلمهما الله تعالى- : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛ فإن الله قد أقامكم في آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق، وحجة على الخلق، فاشكروه على ذلك، واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتدِ بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله، فإن الحق منصور وممتحن، والعاقبة للمتقين في كل زمان ومكان، وهذه هدية نهديها إليكم من كلام علماء المسلمين، وبيان ما نحن ومشايخنا عليه من الطريقة المحمدية، والعقيدة السلفية، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه، وما ندعو إليه، نحن وسلفنا الماضون؛ نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية لأقوم منهج وطريق والسلام)[2].

وقوله- رحمه الله- بعد أن ذكر الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فلما رأى أسلافنا [يعني آل سعود] موافقة أقوالهم وأفعالهم [يعني هؤلاء الأئمة] لما جاء في كتاب الله وسنة

---

(١) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم/ حمود التويجري: ٢/ ٢٢٥، ومناهج أهل الحق والاتباع/ الشيخ سليمان بن سحمان: ١/ ٤.

(٢) الدرر السنية في الكتب النجدية ٢/ ٧٦- ٧٨.

رسوله- ﷺ- قبلوا ذلك، وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن- إن شاء الله- على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو الله أن يحيينا ويميتنا عليه)[1].

وتتابع على نصرة المذهب السلفي أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله وأحفاده.

المرحلة المعاصرة: عاد مذهب السلف في القرون المتأخرة في جزيرة العرب للظهور- كما سبق بيانه في المرحلتين السابقتين- على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد انتشر في جميع بلاد العالم. والسلف مذهب يدعو إلى العودة إلى نهج السلف الصالح، باعتباره يمثل نهج الإسلام الأصيل والتمسك بأخذ الأحكام من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ويبتعد عن كل المدخلات الغريبة عن روح الإسلام وتعاليمه، والتمسك بما نقل عن السلف، وأبرز ممثلي هذا الالتزام بمنهج السلف في العصر الحديث، الشيخ ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)[2]، والشيخ عبد العزيز بن باز[3] (ت: ١٤٢٠هـ)، والشيخ محمد بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ)[4]، وغيرهم كثير، سواء داخل المملكة أو خارجها في جميع الدول الإسلامية، وقد انتشر مذهب السلف في ربوع العالم، ولحكومتنا الرشيدة الفضل بعد الله في ذلك؛ فقد قامت بتوسيع بناء الحرمين الشريفين، وبنت المساجد، وأقامت المراكز العلمية والجامعات داخل المملكة وخارجها التي من أهدافها المحافظة على مذهب

---

(١) نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز/ أمين الريحاني: ٤٣٦، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية - : ١/ ٥١.

(٢) انظر جهود الشيخ ومؤلفاته في موقعه: http:// www. alalbany. net/

(٣) انظر جهود الشيخ ومؤلفاته في موقعه: http:// www. binbaz. org. sa/

(٤) انظر: الموقع التالي http:// ar. wikipedia. org/ wiki/ %D٨٪A٥٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥

وجهود الشيخ ومؤلفاته في موقعه: http:// www. ibnothaimeen. com/ index. shtml

السلف، وعلى رأس هذه الجامعات الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والتي أنشئت خصيصا لتخريج الطلاب غير السعوديين، وبالذات من الناطقين بغير العربية على المذهب السلفي، لكنها بعد ذلك فتحت المجال حتى للطلاب من هذه البلاد، وكذلك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، وأيضا حرصت الحكومة في هذه البلاد على تدريس المذهب السلفي في جميع مراحل التعليم العام بكافة تخصصاته، وفتحت كذلك كثيرا من مكاتب الجاليات، وترجمت الكتب السلفية إلى جميع لغات العالم، ولا يغيب عن الذهن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي سد حاجة المملكة والدول الإسلامية.

ولكن كيف استطاعت هذه الدولة الفتية التي كانت فقيرة ومغمورة، ويعد العلماء فيها على الأصابع لقلتهم، أن تفعل ذلك؟ قد يجاب بأن ذلك بسبب البترول، فيقال: لماذا ساق الله لها البترول هي بالذات؟، الجواب- والله أعلم- لنية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود- رحمهما الله- الصالحة؛ لذلك استمر التعاون بينهما حتى الآن، ولا يكاد يخلو جيل من عالم أو أكثر من ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمامُ محمد استمر المُلْك في أحفاده.

يقول محمد خليل هراس: (إن البيت السعودي المالك—حرسه الله- قد وفى بما عاهد عليه مؤسس الحركة، من حمايتها والدفاع عنها ضد أعدائها الكثيرين من المعطلة والقبوريين والصوفية)[1]، وللملك عبد العزيز- رحمه الله- اليد الطولى في نشر كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في العالم، واستفاد منها المسلمون بعد أن كانت ممنوعة لا يسمح لها أهل البدع أن تظهر

---

(١) الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي/ محمد خليل هراس: ٤١.

للناس ولا يجيزون لهم الاطلاع عليها، بل يجيزون لهم الاستنجاء بها[1]، أيضا حرص العلماء من هذه البلاد الطيبة على هذا المنهج تدريسا وتأليفا، فجزى الجميع كل خير[2].

المطلب الثاني مراحل تدوين المذهب:

كان علماء السلف ينقلون العقيدة الصحيحة مشافهة جيلا بعد جيل، محافظين عليها أشد الحفاظ، وقد بدأ السلف في تدوين العقيدة خشية ضياعها ونسيانها، وكذلك بيانها للناس بعد ظهور الفرق المخالفة وانتشارها؛ حتى لا تلتبس عليهم، وقد أوردت المؤلفين وبعض مصنفاتهم، وبينتُ الكتب التي لم تطبع، وقد حرصتُ على ذكر المرحلة نفسها، أما السنوات والعلماء فذكرت بعض ذلك على سبيل المثال للمشهورين من العلماء مع ذكر سنة وفاتهم وكذا مؤلفاتهم، لأني لو قصدت الحصر لتطلب ذلك مني أسفارًا عديدة، فهناك من كتب فيها رسائل علمية، ولقد حرصت على ذكر المذهب الفقهي للمؤلفين ما استطعت؛ لبيان عدم حصر السلفية بالحنابلة وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: في القرن الثاني[3] وفيه:

أولا: السنة الخمسون بعد المائة: كانت بداية تدوين مذهب السلف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فقد صنف الإمام أبو حنيفة (ت:

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٤١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٣٩- ٤١.

(٣) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ١٣- ١٤.

١٥٠هـ) الفقه الأكبر[1]، والفقه الأبسط، ووصية أبي حنيفة، والعالم والمتعلم وغيرها.

ثانيا: السنة السابعة والستون بعد المائة: وفيها دوَّن حماد بن سلمة بن دينار (ت: ١٦٧هـ) كتاب (الصفات).

ثالثا: السنة التاسعة والسبعون بعد المائة: وفيها دون مالك بن أنس **(ت: ١٧٩هـ)** كتابه (الموطأ)، وقد ذكر ابن تيمية أسباب تأليف الموطأ موردا قول الإمام مالك: (جمعت هذا خوفًا من الجهمية أن يضلوا الناس)[2].

المرحلة: الثانية (في القرن الثالث)[3]وفيه:

أولا: السنة الرابعة بعد المائتين:

١- **الإمام الشافعي(ت: ٢٠٤هـ)** ألف كتابه (الأم)، وفيه مباحث عقدية وكذلك الرسالة.

٢- وكذلك ألف سليمان بن داود الطيالسي **(ت: ٢٠٤هـ)** مسنده.

ثانيا: السنة الحادية عشرة بعد المائتين: ألف العالم عبد الرزاق الصنعاني **(ت: ٢١١هـ)** كتابه: (المصنف).

---

(١) وإن كان هناك من يشكك في نسبته إليه، انظر: مناقب أبي حنيفة/ حافظ الدين الكردي: ١٩٩، والرسالة المدنية/ محمد ناصر بن معمر: ٩٦، أصول الدين عند أبي حنيفة/ محمد الخميس: ٣٣، وكتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ١٣.

(٢)التسعينة/ابن تيمية: ١/١٥٨- ١٥٩، وانظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ١٤.

(٣) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ١٦- ٣٢.

ثالثا: السنة الثانية عشرة بعد المائتين: ألف الإمام إسماعيل بن حماد ابن أبي حنيفة (حنفي) (ت: ٢١٢هـ) كتابه: (الرد على القدرية). (مخطوط)[1].

رابعا: السنة التاسعة عشرة بعد المائتين: ألف الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي القرشي صاحب الشافعي (ت: ٢١٩هـ) كتاب (أصول السنة).

خامسا: السنة التاسعة والعشرون بعد المائتين: ألف الإمام نعيم بن حماد الخزاعي (توفي في السجن مقيدًا في عهد المعتصم: ٢٢٩هـ)[2] كتابَه (الصفات والرد على الجهمية). (مخطوط).

سادسا: السنة الرابعة والثلاثون بعد المائتين: ألف العالم علي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ) عقيدته. (مخطوط).

سابعا: السنة الخامسة والثلاثون بعد المائتين: ألف أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥ هـ): (المصنف).

ثامنا: السنة الثامنة والثلاثون بعد المائتين: ألف الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨ هـ) مسنده.

تاسعا: السنة الأربعون بعد المائتين: عبد العزيز بن يحيى بن ميمون الكناني المكي الشافعي (ت: ٢٤٠هـ) ألف كتابه (الحيدة).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٦/ ٣٩٣- ٣٩٨، والطبقات السنية في تراجم الحنفية/ تقي الدين بن عبد القادر الغزي: ١/ ١٧٦.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٢/ ٥٣.

عاشرا: السنة الحادية والأربعون بعد المائتين: ألف الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) كتبه، وهي:

أ- الرد على الزنادقة والجهمية، ب- المسند. ج – السنة.

الحادي عشر: السنة الخامسة والخمسون بعد المائتين: ألف الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي *(ت: ٢٥٥ هـ) (السنن) وهو* من أهم الكتب التي اعتنت بالدفاع عن العقيدة السلفية.

الثاني عشر: السنة السادسة والخمسون بعد المائتين: ألف الإمام البخاري **(ت: ٢٥٦هـ) (الجامع الصحيح)**، وهو من أهم الكتب التي استوعبت أبواب العقيدة السلفية والدفاع عنها، ويتجلى ذلك في: كتاب **(الإيمان)** وكتاب **(التوحيد)** وغيرهما من مسائل العقيدة.

الثالث عشر: السنة الحادية والستون بعد المائتين: ألف الإمام مسلم ابن الحجاج **(ت: ٢٦١هـ)** (الجامع الصحيح)، ويعد من أهم المصادر العلمية للعقيدة السلفية.

الرابع عشر: السنة: الرابعة والستون بعد المائتين: ألف الإمام سيد الحفاظ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرزاي **الحنبلي**[1] (ت: ٢٦٤هـ.) (الاعتقاد)[2].

الخامس عشر: السنة: الثالثة والسبعون بعد المائتين: ألف الإمام ابن ماجة **(ت: ٢٧٣هـ)** السنن.

---

(١) طبقات الحنابلة/ أبو الحسين بن أبي يعلى: ١/ ١٩٨.

(٢) وفيه اعتقاد الإمامين أبي زرعة وأبي حاتم في أصول الدين (وهو رواية أبي حاتم عن أبي زرعة) وقام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن الفريوائي.

السادس عشر: السنة: الخامسة والسبعون بعد المائتين: ألف الإمام أبو داود **(ت: ٢٧٥هـ)** السنن، وقد خصص الإمام أبو داود في كتابه (السنن): كتابًا في الدفاع عن العقيدة السلفية ومن أعظمها: (السنة).

السابع عشر: السنة السادسة والسبعون بعد المائتين: ألف الإمام ابن قتيبة أبو محمد **(ت: ٢٧٦هـ)** في هذه المرحلة كتابه (تأويل مختلف الحديث).

الثامن عشر: السنة السابعة والسبعون بعد المائتين: ألف أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي **الشافعي**(١) **(ت: ٢٧٧هـ)** كتابه التفسير، وكتاباً في الاعتقاد(٢).

التاسع عشر: السنة الثمانون بعد المائتين: ألف الإمام عثمان بن سعيد الدارمي **(ت: ٢٨٠هـ)** كتبه، وهي: (الرد على بشر المريسي) و(الرد على الجهمية).

العشرون: السنة السابعة والثمانون بعد المائتين: ألف الإمام محمد بن وضاح القرطبي **(ت: ٢٨٧هـ)** كتابه (البدع والنهي عنها).

الحادي والعشرون: السنة السابعة والثمانون بعد المائتين: ألف الإمام الحافظ أحمد بن عمر أبو بكر الشيباني المعروف بابن أبي عاصم **(ت: ٢٨٧هـ)**كتابه (السنة).

---

(١) ذكره السبكي في الطبقة الثانية من طبقات الشافعية في الكبرى: ٢/ ٢٠٧.

(٢) وفيه اعتقاد الإمامين أبي زرعة وأبي حاتم في أصول الدين (وهو رواية أبي حاتم عن أبي زرعة)، وقام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن الفريوائي، انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٣٠.

الثاني والعشرون: السنة التسعون بعد المائتين: ألف الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل **(ت: ٢٩٠هـ)** كتابه (السنة).

الثالث والعشرون: السنة السابعة والتسعون بعد المائتين: ألف الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي أبو جعفر **(ت: ٢٩٧هـ)** كتابه: (العرش).

المرحلة الثالثة (في القرن الرابع)[1] وفيه:

أولا: السنة الثالثة بعد الثلاثمائة: ألف الإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي **(ت: ٣٠٣هـ)** كتبه: (السنن الصغرى) أو المجتبي، و(السنن الكبرى)، وغيرهما وهي تشتمل على أمهات العقائد وبالذات السنن الكبرى.

ثانيا: السنة العاشرة بعد الثلاثمائة: ألف إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري **(ت: ٣١٠ هـ)** تفسيره (جامع البيان)، وهو من خير الكتب للدفاع عن مذهب السلف، و(صريح السنة).

ثالثا: السنة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة:

١- ألف الإمام أبو بكر الخلال **الحنبلي (ت: ٣١١ هـ)** كتابه (السنة).

٢- وكذلك ألف الإمام المحدث محمد بن إسحاق بن خزيمة **الشافعي (ت: ٣١١ هـ)[2]** مؤلفات، منها: (كتاب التوحيد)، و(الصحيح).

---

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٣٦- ٥١.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٣/ ١٠٩- ١٢٠.

رابعا: السنة الحادية والعشرون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام أبو جعفر الطحاوي **الحنفي (ت: ٣٢١هـ)** كتبه: مشكل الآثار وشرح معاني الآثار و(كتاب العقيدة الطحاوية)، وكل هذه الكتب تشتمل على نصوص مرفوعة وموقوفة عقدية.

خامسا: السنة الرابعة والعشرون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري **(ت: ٣٢٤ هـ)** كتبه (الإبانة) وغيرها بعد رجوعه إلى مذهب السلف.

سادسا: السنة التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام الحسن ابن علي أبو محمد البربهاري **الحنبلي (ت: ٣٢٩ هـ):** (شرح السنة).

سابعا: السنة الستون بعد الثلاثمائة:

١- ألف الحافظ الكبير أبو القاسم **سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني الحنبلي**[1] **(ت: ٣٦٠هـ)** (السنة)، والموسوعات الثلاث في الحديث: (المعجم الكبير) و(الأوسط) و(الصغير)، وكلها تشتمل على أمهات أحاديث العقائد.

٢- ألف أبو بكر الآجري **الشافعي (ت: ٣٦٠هـ)** كتاب (الشريعة) في العقيدة.

ثامنا: السنة الحادية والسبعون بعد الثلاثمائة: ألف الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم **الإسماعيلي الشافعي**[2] (ت: ٣٧١هـ) (الاعتقاد).

---

(١) طبقات الحنابلة/ أبو يعلى: ٢/ ٤٩.

(٢) سير أعلام النبلاء/ الذهبي: : ١٦/ ٢٩٤، وطبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٣/ ٧.

تاسعا: السنة السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام أبو الحسين محمد الملطي الشافعي **(ت: ٣٧٧هـ)** (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع).

عاشرا: السنة الثالثة والثمانون بعد الثلاثمائة: ألف أبو محمد الأندلسي القحطاني المالكي **(ت: ٣٨٣هـ)** قصيدته النونية في معتقد السلف.

الحادي عشر: السنة الخامسة والثمانون بعد الثلاثمائة:

١- ألف الحافظ أبو الحسن أبو الحسن أبو الحسين علي بن عمر الدارقطني الشافعي **(ت: ٣٨٥هـ)** كتاب: (الرؤية) و(النزول) و(السنن) و(الصفات).

٢- ألف الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ) الكتاب (اللطيف لشرح مذهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين).

الثاني عشر: السنة السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة: ألف ابن أبي زيد القيرواني المالكي (ت: ٣٨٦هـ) مقدمته في العقيدة[1].

الثالث عشر: السنة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام عبيد الله بن محمد أبو عبد الله، والمعروف بابن بطة العكبري الحنبلي **(ت: ٣٨٧هـ):** (الإبانة الكبرى) و(الإبانة الصغرى).

الرابع عشر: السنة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام أبو عبد الله بن إسحاق بن منده **(ت: ٣٩٥هـ)** كتاب (التوحيد) و(الإيمان)، و(الرد على الجهمية).

(١) شرحها الشيخ عبد الرزاق العباد البدر حفظه الله في (قطف الجنى الداني..).

الخامس عشر: السنة التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين **المالكي (ت: ٣٩٩هـ)** أصول السنة.

المرحلة الرابعة (في القرن الخامس)[(١)]، **وفيه:**

أولا: السنة الثامنة عشرة بعد الأربعمائة: ألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي **الشافعي (٤١٨هـ)**[(٢)] شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهو أكبر الموسوعات في العقيدة السلفية.

ثانيا: السنة الثلاثون بعد الأربعمائة: ألف الحافظ أبو نعيم الأصبهاني **الشافعي (ت: ٤٣٠هـ)**[(٣)] (العقيدة).

ثالثا: السنة الرابعة والأربعون بعد الأربعمائة: ألف كذلك الإمام عبيد الله أبو نصر السجزي **الحنفي (ت: ٤٤٤هـ)**[(٤)] كتابه (الرد على من أنكر الحرف والصوت)، وله رسالة إلى أهل زبيد.

رابعا: السنة التاسعة والأربعون بعد الأربعمائة: ألف شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني **الشافعي (ت: ٤٤٩هـ)** مصنف (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)، والأربعين حديثًا، وكتاب (المائتين) حديثًا، وكتاب (الدعوات).

خامسا: السنة الثالثة والستون بعد الأربعمائة:

١- ألف حافظ المشرق والمغرب يوسف بن عبد الله بن عبد البر أبو عمر **المالكي (ت: ٤٦٣هـ):** كتاب (التمهيد)، و(جامع بيان العلم). ٢- ألف

---

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٥٣- ٦٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: : ١٧/ ٤٢٠، وطبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٤/ ٢٠٧.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٤/ ١٨.

(٤) انظر: الجوهرة المضيئة/ أبو الوفاء القرشي: ٢/ ٤٩٥.

الحافظ الكبير الخطيب البغدادي **الشافعي (ت: ٤٦٣هـ)**[١]: (شرف أصحاب الحديث)، ورسالة في (الأسماء والصفات)[٢].

سادسا السنة السبعون بعد الأربعمائة: ألف عبد الرحمن بن منده أبو القاسم **الحنبلي**[٣] **(ت: ٤٧٠هـ)** (كتاب الرد على الجهمية).

سابعا: الحادية والسبعون بعد الأربعمائة: ألف الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي **الحنبلي** (ت: ٤٧١هـ) (المختار في أصول السنة).

المرحلة الخامسة (في القرن السادس)، وفيه[٤]:

أولا: السنة العاشرة بعد الخمسمائة: ألف الإمام الحسين البغوي **الشافعي (ت: ٥١٦هـ)** الإمام المفسر الشهير كتبه (شرح السنة) وقد بدأ بالعقيدة السلفية، والتفسير، (معالم التأويل) وفيه مباحث سلفية.

ثانيا: السنة العشرون بعد الخمسمائة: ألف الإمام المالكي أبو بكر محمد الطرطوشي **(ت: ٥٢٠هـ)** (الحوادث والبدع).

ثالثا: السنة الخامسة والثلاثون بعد الخمسمائة: ألف أَبو القاسم إِسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني **الشافعي** (ت: ٥٣٥ هـ) الملقب بقوام السنة، وهو من أعلام الحفاظ كتابَه (الحجة في بيان المحجة).

---

(١) وهو رحمه الله من أهل السنة والجماعة. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٨٣- ٢٨٤.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٦٦- ٦٩.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة/ ابن أبي يعلى: ٢/ ٢٣٩.

(٤) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٦٦- ٦٩.

رابعا: **السنة السادسة والسبعون بعد الخمسمائة**: ألف أبو الطاهر السلفي **الشافعي** (ت: ٥٧٦ هـ) قصيدة اللامية، وهي تتكوّن من تسعة وعشرين بيتًا، ظهر فيها مذهبه السلفي، ومدحه لأئمة السلف.

المرحلة السادسة (في القرن السابع) [١] **وفيه**:

أولا: السنة الستمائة: صنف الإمام عبد الغني المقدسي الحنبلي **(ت: ٦٠٠هـ)** كتابه (الصفات).

ثانيا: السنة الخامسة عشرة بعد الستمائة: ألف الإمام الكبير ابن قدامة المقدسي **الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)** كتبه: (مسألة العلو)، و(ذم التأويل)، و(مسألة تحريم النظر في كتب الكلام)، و(الاعتقاد).

ثالثا: السنة الخامسة والستون بعد الستمائة: ألف الإمام أبو شامة الدمشقي **الشافعي (ت: ٦٦٥هـ)** كتابه: (الحوادث والبدع).

المرحلة السابعة (في القرن الثامن) [٢]، **وفيه**:

أولا: السنة الرابعة والعشرون بعد السبعمائة: ألف المحدث علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان، أبو الحسن، علاء الدين بن العطار **الشافعي** (ت: ٧٢٤ هـ) (الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد).

ثانيا: السنة الثامنة والعشرون بعد السبعمائة: ألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم أبو العباس بن تيمية **(ت: ٧٢٧هـ)** العديد من المصنفات، منها: (مجموع الفتاوى) و(مجموع الرسائل) و(منهاج السنة)

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٧٠- ٧٤.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٧٥- ٨٨.

و(الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان) و(الواسطة بين الحق والخلق) و(الصارم المسلول على شاتم الرسول) وغيرها كثير.

ثالثا : السنة الثانية والأربعون بعد السبعمائة : ألف الحافظ أبو الحجاج المزي **الشافعي (ت: ٧٤٢هـ)** كتابه (تهذيب الكمال)، وفيه الثناء على السلف، وذم البدع.

رابعا : السنة الرابعة والأربعون بعد السبعمائة : ألف الحافظ محمد بن عبد الهادي **الحنبلي (٧٤٤هـ)** (الصارم المنكي في الرد على السبكي).

خامسا : السنة الثامنة والأربعون بعد السبعمائة : ألف الحافظ والإمام الذهبي **الشافعي (٧٤٨هـ)** كتبه (العلو للعلي الغفار) و(العرش).

سادسا : السنة الحادية والخمسون بعد السبعمائة : صنف الحافظ ابن القيم **الحنبلي (ت: ٧٥١ هـ)** كثيرا من المصنفات منها : (القصيدة النونية)، و(اجتماع الجيوش الإسلامية)، (والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)، و(هداية الحيارى)، و(شفاء العليل).

سابعا : السنة الرابعة والسبعون بعد السبعمائة : ألف الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر المشهور بابن كثير **الشافعي (ت: ٧٧٤هـ)** مؤلفات منها : التفسير، وهو من أهم التفاسير التي تنشر المذهب السلفي، وكتاب (البداية والنهاية)، وهو من أعظم الكتب التي اعتنت بمناقب السلف ودفاعهم عن العقيدة السلفية، وبينت الضالين والمضلين.

ثامنا : السنة التسعون بعد السبعمائة : ألف الإمام الشاطبي أبو إسحاق **الشافعي (ت: ٧٧٢هـ)** مؤلفات منها : (الاعتصام).

تاسعا: السنة السابعة والتسعون بعد السبعمائة: صنف الإمام الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) مؤلفات منها: (فضل علم السلف على علم الخلف)، و(الكلام على لا إله إلا الله)، و(صفة النار).

المرحلة الثامنة: (في القرن التاسع) [1] وفيه:

السنة الخامسة والأربعون بعد الثمانمائة: ألف الإمام الجليل تقي الدين المقريزي الشافعي (ت ٨٤٥ هـ) مؤلفات منها: (تجريد التوحيد)، و(الخطط)، وهو كتاب تاريخ يحوي مباحث في العقيدة السلفية.

المرحلة التاسعة: ((في القرن الثاني عشر)[2]، وفيه:

أولا: السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف: ألف الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) مؤلفاته التي منها: (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد).

ثانيا: السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف: صنف العلامة أبو عون السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) مصنفات منها (المنظومة المشهورة المسماة: الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية).

المرحلة العاشرة: (في القرن الثالث عشر)[3]، وفيه:

أولا: السنة السادسة بعد المائتين والألف: ألف شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ) مؤلفات ورسائل يبين فيها لهم عقيدته السلفية، ورسائل فيها رد لشبه بعض الناس، ورسائل فيها رد على بعض المبتدعة،

---

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٨٩.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٩٢- ٩٤.

(٣) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٩٥- ١٠٢.

وأشهر مؤلفات الشيخ : كتاب (التوحيد) و(كشف الشبهات) وكتاب (أصول الإيمان).

ثانيا : السنة الخامسة والعشرون بعد المائتين والألف :

١- ألف الشيخ حسين بن غنام **المالكي : (ت : ١٢٢٥ هـ)** (العقد الثمين في شرح أصول الدين).

٢- وصنف الشيخ حمد بن ناصر بن معمر **الحنبلي : (ت ١٢٢٥هـ)** (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب).

ثالثا : السنة الثالثة والثلاثون بعد المائتين والألف : ألف الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب **الحنبلي (ت : ١٢٣٣ هـ)** كتاب : (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد).

رابعا : السنة الثانية والأربعون بعد المائتين والألف : ألف عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب **الحنبلي (ت : ١٢٤٢هـ)** (جواب أهل السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والزيدية).

خامسا : السنة الخمسون بعد المائتين والألف : ألف العالم الفقيه العلامة محمد الشوكاني **(ت : ١٢٥٠ هـ)** مؤلفات منها : (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) و(شرح الصدور في عدم جواز رفع القبور).

سادسا : السنة الثانية والثمانون بعد المائتين والألف : ألف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين **الحنبلي (ت : ١٢٨٢هـ)** مؤلفات منها : (تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس).

سابعا: السنة الخامسة والثمانون بعد المائتين والألف: صنف الشيخ عبد الرحمن حفيد شيخ الإسلام **(ت: ١٢٨٥هـ)** مصنفات منها: (فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد) و(قرة عيون الموحدين).

المرحلة الحادية عشرة (في القرن الرابع عشر)[١]، وفيه:

أولا: السنة الأولى بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ حمد بن علي بن عتيق **الحنبلي (ت: ١٣٠١هـ)** مؤلفات منها: (إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد).

ثانيا: السنة السابعة بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة الصديق حسن خان **(ت: ١٣٠٧هـ)** مؤلفات منها: (قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر)، (الدين الخالص).

ثالثا: السنة السابعة عشرة بعد الثلاثمائة والألف: صنف الإمام العلامة نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي **الحنفي (ت ١٣١٧هـ)** مصنفات منها: (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين).

رابعا: السنة السادسة والعشرون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة محمد السهسواني (ت: ١٣٢٦هـ) مؤلفات، منها: (صيانة الإنسان) في الرد على أحمد زيني دحلان.

---

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ١٠٣- ١١٨.

خامسا: السنة التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى **الحنبلي (ت: ١٣٢٩هـ)** (الرد على شبه المستغيثين بغير الله).

سادسا: السنة الثانية والثلاثون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة: جمال الدين القاسمي **الشافعي (ت: ١٣٣٢هـ)** كتاب (إصلاح المساجد من البدع والعوائد).

سابعا: السنة الثانية والأربعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العالم محمود شكري الآلوسي **الحنفي (ت: ١٣٤٢هـ)** عددًا من المؤلفات القيمة في العقيدة السلفية، منها: (غاية الأماني في الرد على النبهاني) (وتعليق على مسائل الجاهلية) للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ثامنا: التاسعة والأربعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ سليمان بن سحمان **الحنبلي (ت: ١٣٤٩هـ)** مؤلفات منها: (الأسنة الحداد في الرد على الحداد) و(الصواعق الشهابية على الشبه الشامية).

تاسعا: السنة السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة والألف: ألف عبد الحفيظ بن الحسن ملك المغرب **(ت: ١٣٥٦هـ)** كتاب (كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع).

عاشرا: السنة الحادية والستون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ علي محفوظ **(ت: ١٣٦١هـ)** (الإبداع في مضار الابتداع).

الحادي عشر: السنة الثالثة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ فوزان السابق الدوسري **(ت ١٣٧٣هـ)** (البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج المختار).

الثاني عشر: السنة السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي **الحنبلي (ت: ١٣٧٦هـ)** مؤلفات، منها: (الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء)، و(توضيح الكافية الشافية)، والتفسير الذي أبدى فيه عقيدته السلفية.

الثالث عشر: السنة السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف:

١- ألف الشيخ عبد الرحمن الإفريقي **(ت ١٣٧٧هـ)** (الأنوار الرحمانية في الرد على الطائفة التيجانية).

٢- صنف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي **(ت ١٣٧٧هـ)** مصنفات، منها: (سلم الوصول)، و(معارج القبول)، و(أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة).

٣- ألف كذلك الشيخ أحمد محمد شاكر **(حنفي) (ت ١٣٧٧هـ)** عددا من المصنفات، وكانت له الأيادي البيضاء في خدمة السنة النبوية، وله تعليقات مفيدة وتحقيقات منها: تحقيق: شرح العقيدة الطحاوية.

الرابع عشر: السنة الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف: من العلماء الذين خدموا العقيدة السلفية شيخ أنصار السنة بمصر حامد الفقي **(ت: ١٣٧٨هـ)**، فهذا الإمام أحيا الله به السنة، وأمات به البدعة، فقد أفنى عمره وقلمه في إخراج كتب السنة، وخصوصًا ما كتبه أئمة الدعوة في نجد، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

الخامس عشر: السنة الثمانون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي **الحنفي (ت: ١٣٨٠هـ)** المشاهد المعصومية عند قبر خير البرية.

السادس عشر: السنة السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ): كتابه (التنكيل).

السابع عشر: السنة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة والألف: ألف محمد بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم السلفي **(ت: ١٣٨٧هـ):** رسالة في زيارة القبور.

الثامن عشر: السنة التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة والألف:

١- ألف العالم محب الدين بن أبي الفتح المعروف بالخطيب **الحنفي (ت ١٣٨٩هـ)** كتابه الخطوط العريضة.

٢- ألف الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ **(ت ١٣٨٩هـ)** كثيرا من الرسائل والردود.

التاسع عشر: السنة الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة والألف:

١- ألف الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي الدوسري **(ت ١٣٩٢هـ)** (التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية).

٢- ألف الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم **(ت ١٣٩٢هـ)** شرح عقيدة السفاريني، و(السيف المسلول).

العشرون: السنة الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة محمد الأمين الشنقيطي **المالكي (ت ١٣٩٣هـ)** تفسير أضواء البيان الذي هو على عقيدة السلف.

الحادي والعشرون: السنة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ محمد خليل الهراس **(ت ١٣٩٥ هـ)** صاحب المواقف التي لا تنسى

للدفاع عن العقيدة السلفية عددا من المؤلفات منها: شرح نونية ابن القيم، وشرح العقيدة الواسطية، و(دعوة التوحيد).

المرحلة الثانية عشرة (في القرن الخامس عشر):[1]، **وفيه:**

وتعد هذه المرحلةُ المرحلةَ الذهبية لتدوين العقيدة السلفية، وازدهار التأليف فيها ونشرها لانتشار هذا المذهب؛ بسبب حرص أهله، وقيام كثير من المراكز العلمية التي تعتني به، وانتشار المطابع، وسهولة الحصول على المراجع، فمثلاً: ألف الشيخ محمد أعظم بن أفضل الجندولي **(ت ١٤٠٥هـ)** وهو من القطر الهندي، رسالة في ختم النبوة، رد فيها على القاديانية.

وكذلك صنف الشيخ إحسان إلهي ظهير **(ت ١٤٠٩هـ)** كثيرا من الكتب التي ترد على الفرق كالرافضة وغيرها)[2]، وألف غيرهم كثيرا من الكتب السلفية، كالشيخ الألباني **(ت ١٤٢٠هـ)**، والشيخ ابن باز **(ت ١٤٢٠هـ)**، والشيخ ابن عثيمين **(ت ١٤٢٤هـ)**، وغيرهم كثير من العلماء الفضلاء في جميع ربوع العالم، حفظهم الله تعالى ووفقهم.

---

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٥٣ - ٦٣.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: من ١٤ — ١٢٣، وكتاب تاريخ تدوين العقيدة السلفية/ عبد السلام برجس، دار الصميعي، ط/ ٢، ١٤٢٨هـ.

http:/ / www. islamselect. com/ mat/ ٣١٢٣٥

ولم أورد أسماء بعض هؤلاء العلماء ؛ لكثرة عددهم ، وخشية أن أقدم المفضول على الفاضل[1].

(١) من أرد الاستزادة عنهم وعن مؤلفاتهم فليدخل مواقع العلماء والمشايخ في الشبكة العنكبوتية.

المبحث الثالث: استمرار المنهج السلفي:

لقد وقع الافتراق في هذه الأمة مصداقًا لما أخبر به- ﷺ- بقوله: (افترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة)[١]، وفي رواية: (هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي)[٢]، وقال- ﷺ- : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله)[٣]، (فقد أخبر النبي- ﷺ- عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته، وسنة أصحابه- رضي الله عنهم-)[٤]؛ وبين- ﷺ- أن الحق ينحصر في فرقة واحدة، وهي المتبعة له ولأصحابه، وما عداها فإن الباطل معها؛ لأنها خالفت المعتقد الذي جاء به الرسول- ﷺ- ، وتابعه عليه أصحابه- رضي الله عنهم- ، وهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة والظاهرة[٥]، فالسلف

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٦، رقم: ٢٦٤١، والحاكم ١/ ٢١٨، رقم ٤٤٤، الطبراني في الصغير ٢/ ٢٩، رقم: ٧٢٤، حسنه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: ٢٦٤١.

(٣) أخرجه الترمذي: ٥/ ٦٦٣، رقم ٣٧٨٨، وابن حبان ١/ ٣٣٠، رقم ١٢٣، والحاكم ٣/ ١٦٠، رقم ٤٧٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وتابعه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي لرقم: ٣٧٨٦.

(٤) هجر المبتدع/ بكر أبو زيد: ٢٧، وانظر: الفتوى الحموية الكبرى/ شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣.

(٥) انظر: شرح السنة البربهاري: ٦٧، وشيخ الإسلام، مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٩، وقطف الثمر/ محمد صديق خان: ١٦١.

مستمرون على الطريق المستقيم إلى قيام الساعة، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

أولاً- الأدلة من الكتاب:

- قوله- تعالى- : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ (سورة: الفاتحة، ٦- ٧).

- وقوله- تعالى- : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة: الأنعام، آية: ١٥٣).

وقد قيل لعبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- : ما الصراط المستقيم؟ فقال: ما تركنا محمد- صلى الله عليه وسلم- في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادٌ وعن يساره جواد، ثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهى به إلى النار، ومن أخذ في تلك الجواد انتهى به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم تلا: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ ((١٥٣) سورة الأنعام)[١]، فالطريق المستقيم هو طريق أهل السنة والجماعة والسلف الصالح الذي هو: الاقتداء والاتباع، وترك الهوى والابتداع، فالطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به الرسل، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحدٌ إلا من هذا الطريق لا عن طريق الناس[٢].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني/ محمود شكري الآلوسي: ٢/ ٣٠٠، والروض البسام/ حسن بن صديق حسن خان: ٢١، والتفسير القيم/ جمع أويس الندوي: ١٤- ١٥.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

ولقد وردت أحاديث عديدة في بيان الطريق الصحيح المستقيم الذي يجب أن يُسلك والطريق المعوج الواجب على المسلم اجتنابه، منها: ما رواه عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- : (إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خط خطًا مستقيمًا، فقال: هذا سبيل الله، وخط من ورائه خطوطًا، فقال: هذه سبل الشيطان، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، من أجابهم إليها قذفوه في النار)(١).

- ومنها ما أخبر به- صلى الله عليه وسلم- **بأن الطائفة الناجية هي التي تحافظ على ما** جاء به- صلى الله عليه وسلم- من الدين، وهي مستمرة إلى قيام الساعة، فقال: (لَنْ يَبْرَحَ هذا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عليه عِصَابَةٌ من الْمُسْلِمِينَ حتى تَقُومَ السَّاعَةُ)(٢)، وفي رواية: (إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(٣).

- ومنها ما أخبر به- صلى الله عليه وسلم- أيضا بأنه **لا يضرهم من ترك معونتهم؛** لأن الله ناصرهم، فقال: (لَا يَزَالُ من أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ، ولا من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ على ذلك)(٤).

- ومنها ما ورد عنه- صلى الله عليه وسلم- **بأنهم ظاهرون،** فقال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ، حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)، وَلَيْسَ في حديث قُتَيْبَةَ: (وَهُمْ كَذَلِكَ)(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة ١/ ١١، وأحمد ١/ ٤٣٥، وابن حبان ١/ ١٨٠، رقم: ٦ قال شعيب الأرناؤوط: (إسناده حسن)، والدارمي ١/ ٦٧، رقم: ٥٧٨، و٢٠٢، والبيهقي في الكبرى ٦/ ٣٤٣، رقم: ١١١٧٤، والبغوي في المصابيح ١/ ١٣٠.

(٢) أخرجه مسلم ج٣/ ص١٥٢٤، رقم: ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ج٣/ ص١٥٢٤، رقم: ١٩٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ج٣/ ص١٣٣١، رقم: ٣٤٤٢.

(٥) أخرجه مسلم ج٣/ ص١٥٢٣، رقم: ٥٣.

وقال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ أو خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ على الناس)[1]، وقال: (من يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، ولا تَزَالُ عِصَابَةٌ من الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ على الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ على من نَاوَأَهُمْ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[2].

- ومنها ما جاء عنه- ﷺ- بأنهم قاهرون لعدوهم، فقال: (لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ على ذلك. فقال عبد اللَّهِ: أَجَلْ! ثُمَّ يَبْعَثُ الله رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فلا تَتْرُكُ نَفْسًا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من الْإِيمَانِ إلا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ الناس عليهم تَقُومُ السَّاعَةُ)[3].

ومنها ما أخبر به- ﷺ- **بأن النصر حليفهم**، فقال: (وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي على الْحَقِّ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ- عز وجل-)[4]، وفي رواية: (وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ من أمتي مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ حتى تَقُومَ السَّاعَةُ)[5].

---

(١) أخرجه مسلم ج٣/ ص١٥٢٤، رقم: ١٠٣٧.

(٢) أخرجه مسلم ج٣/ ص١٥٢٤، رقم: ١٠٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ج٣/ ص٥ ١٥٢، رقم: ١٩٢٤، ورقم: ١٩٢٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ج٢/ ص١٣٠٤برقم: ٣٩٥٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة: ٣٩٥٢.

(٥) أخرجه الترمذي ج٤/ ص٤٨٥، برقم: ٢١٩٢، وقال: (هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وأحمد ج٣/ ص٤٣٦، رقم: ١٥٦٣٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٢١٩٢.

قال النووي: فيه أن الإجماع حجة، ثم قال: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأول، إلى ألا تبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله...، (و) ما حمل عليه بعض الأئمة حديث (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[1] أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى، باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده، فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد، سواء أتعدد أم لا)[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ج٤/ ص١٠٩، ورقم: ٤٢٩١، والحاكم: ج٤/ ص٥٦٨، رقم: ٨٥٩٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٤٢٩١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٣/ ص٦٧، وفتح الباري/ ابن حجر: ج١٣/ ص٢٩٥.

ويقول النووي أيضا : (وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله- تعالى- من زمن النبي- ﷺ- إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث)[1]، لا يضرهم من ترك نصرتهم ومعاونتهم ؛ لثباتهم على دينهم حتى تقترب الساعة، وهو خروج الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة[2].

ففي الأحاديث السابقة الآية العظيمة، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية حتى ولو مر عليهم زمن ضعف[3] ؛ لأن الحق مع السلف، وليس هذا ادعاء كما تدعي جميع الفرق أن الحق معها ؛ لأن الله- تعالى- أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار ؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف، وقرنا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله- ﷺ- ، وأخذه أصحاب رسول الله- ﷺ- عن رسول الله- ﷺ- ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله- ﷺ- الناس من الدين المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقته- ﷺ- ؛ لأنهم رجعوا إلى معقولاتهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٣/ ص٦٧.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي/ المباركفوري: ج٦/ ص٣٦٠ و٤٠١.

(٣) انظر: الدين الخالص/ محمد صديق خان: ٢/ ٥٠٢.

بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله عما يصفون؛ لذا فإن عقائد أهل البدع ينقض بعضها بعضًا، التالي يعارض السالفَ، كما يشاهد في كتب عقائدهم؛ لذلك نرى أن الفرقة من هؤلاء تتشعب إلى شعب عديدة لا حصر لها ولا عد، وتسمى باسم من ابتدع لها الأصول، ورسم لها الآراء، لكن السلف لا ينتسبون إلا إلى الأسماء التي سماهم بها رسول الله - ﷺ - ، وهم متفقون اتفاقا عجيبا، عربا أم عجما، سواء أكانوا في القرون الأولى أم المتأخرة في مسائل الاعتقاد، تنظر في كتبهم فترى أن العقيدة واحدة لا اختلاف فيها، كأن اليد التي خطت هذا الكتاب خطت ذاك الكتاب، فسبحان من جمعهم على الحق! وهذا مصداق حديث رسول الله - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم إلى قيام الساعة)[1]؛ لأن الله وفقهم، فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه وشكروا الله - عز وجل - ، حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، أما رأي الإنسان فقد يرى الحق، وقد يرى الباطل، ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق ما

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٦٦٧، رقم ٦٨٨١، ومسلم: ٣/ ٤، رقم ٢٤٨٤، والترمذي: ٤/ ٤٨٥، رقم ٢١٩٢، ، وابن ماجه: ١/ ٤، رقم ٦.

قاله السمعاني : (إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين[1] من هذا؟ قال الله- تعالى- : {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} ((٨٢) سورة النساء)،

(١) لنأخذ من هؤلاء مثلا : شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يعد زمنه مرحلة من مراحل المنهج السلفي، والذي أوذي وسجن، ومات سجينا على يد الأشاعرة، يقول عنه المحمود في كتابه موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٧): (كان صاحب منهج واضح ومحدد، سار فيه على وتيرة واحدة في جميع كتبه، لم تتغير طريقته، ولم تتناقض أقواله، مع كثرة كتبه، وطولها، وتشعب مسائلها، كانت قناعته بمذهب السلف، وأن الحق كل الحق فيه، وأن ما عداه من الآراء والأقوال المبتدعة إما ضلال أو انحراف، أو في مذهب السلف ما يغني عنه تمام الغنى- لم تتغير أو تضعف؛ ولذلك كانت هناك أهمية خاصة لما كتبه في بيان عقيدة السلف والمنهج الصحيح في تقريرها، وكذلك ما كتبه في الرد على مخالفي عقيدة أهل السنة والجماعة والمنهج الصحيح) لكن لو رجعت لما في كتب الرازي خذ مثلا : كتاب القدر لوجدت آخر الكتاب يناقض أوله أو كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وخصوصا في مسألة التوكل أو ما يخص مسائل التصوف، وأيضا كتاب (روح المعاني) للآلوسي يوجد فيه للآية الواحدة عدة تفسيرات، منها التفسير الإشاري، وغير هذه الكتب كثير؟! ! فأهل البدع لا يخالف اللاحق السابق فقط، بل إن التناقض والاضطراب يوجد في مصنف واحد لمؤلف واحد؟

وقال- تعالى- : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ ((١٠٣) سورة آل عمران)[1]، فاستمرت سلسلة هؤلاء بخط مستقيم، والبدع من حولها خبط عشواء تمشي بطريق معوجة، الأول منها غير الأخير، فما نرى من عقائد بعض الفرق في هذا القرن مخالف لما كان في بداية نشأتها.

يقول السمعاني: (أهل الأهواء والبدع متفرقون مختلفون وشيع وأحزاب، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضا، بل يرتقون إلى التكفير، يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون، أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين؟، والبصريون منهم البغداديين؟، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي (ت: ٣٠٣هـ) ابنه أبا هاشم؟ وأصحاب أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي؟، وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم، إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين، يكفر بعضهم بعضا، ويتبرأ بعضهم من بعض، وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم، وسائر المبتدعة بمثابتهم، وهل على الباطل دليل أظهر من هذا؟ قال- تعالى- : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما

---

(١) الانتصار لأصحاب الحديث/ أبو المظفر منصور السمعاني: ج١/ ص٤٥، ، مكتبة أضواء المنار، السعودية، ١٤١٧هـ، ط/ ١، ت: محمد الجيزاني، والحجة في بيان المحجة/ الأصبهاني: ٢/ ٢٢٤ – ٢٢٥، أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة/ ناصر القفاري: ٧٣.

أمرهم إلى الله)[1]، أما الفرقة الناجية أهل الحديث فمتفقون في أصول الدين ومسائل الاعتقاد[2]، لم يخالف فيها بعضهم بعضا، بل أجمعوا عليها كلها[3]، فأقوالهم فيها متفقة[4]، وكان السبب في اتفاقهم أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبُه غير ما يرى الآخر، وهذا بين والحمد لله[5].

وقد يأتي زمان يضعف فيه أهل المنهج، كما حصل لهم عبر القرون الماضية، لكنهم لا ينقطعون، بل هم مستمرون ولو قلوا، فكل جيل يحرص على مذهب السلف وينقله لمن هو بعده ويتلقاه الجيل الذي بعده، ويعتني به، وهم مستمرون إلى قيام الساعة، يقول الشاطبي بعد ذكره حديث الافتراق: (كان الإسلام في أوله وجِدَّتِهِ مقاوماً، بل ظاهرا، وأهله غالبون وسوادهم أعظم...إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود، وقوته إلى الضعف المنتظر،

(١) الانتصار لأصحاب الحديث/ السمعاني: ج١/ ص٤٦- ٤٧.

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث/ السمعاني: ج١/ ص٤٢.

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث/ أبو إسماعيل الصابوني: ١١١، أصول الدين/ ناصر القفاري: ٧٣.

(٤) انظر: درء تعارض العقل مع النقل/ شيخ الإسلام ابن التميمة/ ٣٠٨٢، أصول الدين/ ناصر القفاري: ٧٤

(٥) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث/ السمعاني: ج١/ ص٤٨.

والشاذ عنه تقوى صولته، ويكثر سواده...، فتكالبت على سواد السنة البدع والأهواء...، ولينجز الله ما وعد به نبيه- ﷺ- من عود وصف الغربة إليه، فإن الغربة لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قلتهم، وذلك حين يصير المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة، فيقام على أهل السنة بالتثريب والتعنيف...، ويأبى الله أن تجتمع حتى تقوم الساعة، فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادة وسمعا، بل لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله، غير أنهم لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء إلى موافقتهم لا يزالون في جهاد ونزاع ومدافعة وقراع آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم)[(١)]، وسبب استمرارهم مع قلتهم إزاء اثنتين وسبعين فرقة هو فضل الله عليهم بتوفيقه لهم، ووعده بحفظهم إلى قيام الساعة، وسبب بقاء هذه العقيدة أنها أخذت من الكتاب والسنة، لا من العقول والآراء، والمناهج الكلامية والفلسفية المختلفة التي تتغير بتغير زمن العقول التي أنتجتها ومكانها، وسبب آخر لاستمرارها هو صبر أهلها، والمذهب السلفي في عصرنا الحالي يُعد في عصره الذهبي ولله الحمد والمنة[(٢)]، والسلفية في المملكة العربية السعودية (هي الحركة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى هذا المذهب السلفي، وتعمل ما وسعها الجهد على نشره، والدعوة إليه

---

(١) الاعتصام/ أبو إسحاق الشاطبي: ١/ ٢٣. المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٢) انظر: المبحث الثاني المطلب الأول: المرحلة المعاصرة ص: ٣٤.

بمختلف الوسائل، ولا سيما عن طريق طبع الكتب والرسائل التي ألفت في مناصرته قديما وحديثا.

وهو يدرس في كل مراحل التعليم بالسعودية، ولا يسمح لأي مذهب آخر بمزاحمته)[1].

(١) الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي/ محمد خليل هراس: ٢٧، دار الكتب، بيروت، ط/ بدون.

المبحث الرابع: خصائص المنهج السلفي، وفيه:

المطلب الأول: تميز المنهج السلفي بخصائص من ناحية التلقي منها:

أولا: الاقتصار على الكتاب والسنة الصحيحة فهما المصدر: قال- ﷺ- : (تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ-)[1]، وطريق السلف هو: اتباع آثار رسول الله- ﷺ- ، باطنا وظاهرا، فهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد- ﷺ- على هدي كل أحد[2]، والسلف لا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم، وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول- ﷺ- [3].

يقول السمعاني (ت ٤٨٩ هـ): (سائر الفرق...طلبوا الدين لا بطريقته- ﷺ- ؛ لأنهم رجعوا إلى معقولاتهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قبلهم، فإذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ٥/ ١٣٢٣رقم: ١٦٢٨، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: ١٨٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ج٣ ص١٥٧، وأهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق، مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٢٠- ١٢١.

(٣) انظر: الفتاوى/ ابن تيمية: ج٣/ ١٥٩ و٣٤٧، ٣٤٨، وأهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٢٠- ١٢١.

عما يصفون، وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولاتهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله- عز وجل- حيث أراهم ذلك، ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة)[١].

ثانيا: تقديم النقل على العقل: وبيان ذلك: أنه إذا حصل ما يوهم التعارض بين العقل والنقل قدموا النقل؛ عملا بقوله- تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (سورة الحجرات الآية: ١)، فالمؤمن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعا لما جاء به الرسول- ﷺ- ، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعا لقوله- ﷺ- ، فليس لأحد أن يعارض النصوص بمعقوله، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه، نظر فيما قاله الله والرسول- ﷺ- ، فهذا أصل السنة[٢].

ثالثا: عدم رد شيء من الكتاب والسنة الصحيحة: حرص السلف على العمل بالكتاب والسنة، ونصروا ودافعوا عن الأحاديث الصحيحة ولم يحرفوها أو يؤولوها[٣] ولو كانت آحادا، بل يرون الانقياد والتسليم المطلق لها، مستدلين بقوله- تعالى- : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

---

(١) الانتصار لأصحاب الحديث/ السمعاني/ ج١/ ص٤٤.

(٢) انظر: الفتاوى/ ابن تيمية: ج١٣ ص٦٠ ـ ٦٣، وأهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق، مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٢٢.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٢٨ - ٤٣٠

ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِينًا﴾. ((٣٦) سورة الأحزاب)، وقوله- تعالى- : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. (سورة الحشر الآية ٧)، ونحوهما من الآيات التي فيها الأمر بالتسليم والانقياد للكتاب والسنة.

يقول ابن تيمية: (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنه ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول- ﷺ- جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم)[1].

ويقول ابن القيم: (وقد كان السلف يشتد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال، ولا يقرون على ذلك)[2].

رابعا: فهم نصوص الكتاب والسنة على مقتضى منهج السلف، ورد المتشابه إلى المحكم في النصوص[3].

خامسا: الالتزام بما كان عليه أصحاب الرسول- ﷺ- :

---

(١) الفتاوى ج١٣ ص ٢٨، وانظر: أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية - (٧٢/ ١٢٤)،.

(٢) مختصر الصواعق ص ١٤٦، وانظر: أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية - (٧٢/ ١٢٥)

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٦، وطبقات الحنابلة/ أبو يعلى: ج١ ص ٢٤١، والفتاوى/ ابن تيمية ج١٠ ص٣٦٣، وأهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٢٦.

ويتميز المذهب السلفي في الأخذ بما ورد عن الصحابة- رضي الله عنهم- في القضايا الإسلامية عامة، وفي قضايا العقيدة خاصة، وتقديمها على أقوال من بعدهم؛ عملا بوصية الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، حيث قال: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، عضوا عليها بالنواجذ)(١).

وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: (من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه- صلى الله عليه وسلم- ، وإقامة دينه، فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)(٢) (٣)؛ ولأن الوحي نزل بين أظهرهم فهم أعلم بتأويله ممن أتى بعدهم، كما أن أذهانهم صافية مما جد من البدع الضالة، فقد كانوا مؤتلفين في أصول الدين لم يتفرقوا فيه، إلى جانب ما يتمتعون به من الفهم اللغوي للنصوص الشرعية؛ لذا فإن طريقتهم هي الأسلم والأعلم والأحكم(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) جامع بيان العلم وفضله/ ابن عبد البر: ج٢ ص٩٧، وذم الكلام وأهله/ الهروي: ٤/ ٢٨٨.

(٣) انظر: أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٢٦.

(٤) انظر: الرد على الجهمية/ الدارمي ص١٠٨، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٥ (المدخل). أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق، مجلة البحوث الإسلامية - (٧٢/ ١٢٧)

سادسا: **عدم الاستدلال بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول العقيدة والشريعة**[1]:

فما ثبت من أصول العقيدة بدليل صحيح لا ينقض بحديث ضعيف.

سابعا: **الاتباع وترك الابتداع**: حرص السلف على الاتباع؛ لأن الله- تعالى- بين أنه أكمل لنا الدين، فلا حاجة للزيادة على ما جاء من عنده، قال- تعالى- : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ ((٣) سورة المائدة)، وقال- تعالى- : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٥٣)، يقول الشاطبي: (الصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو: السنة، والسبل: هي سبل أهل الاختلاف)[2]. وقال- ﷺ- محذرا من البدع: (إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[3]، وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: اتبعوا آثارنا، ولا تبتدعوا، فقد كفيتم)[4]؛ ولذا نهى السلف عن مناظرة أهل البدع إلا لضرورة من عالم لا يخشى عليه أن تنطلي عليه تلك الآراء المنحرفة[5].

---

(١) انظر: خصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٨٧

(٢) الاعتصام/ الشاطبي: ج١ ص ٧٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه المروزي في السنة: ١/ ٢٨، رقم: ٢٩٤.

(٥) انظر: الشريعة/ الآجري: ٥٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١ ص٥٦، وأهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٢٩، وخصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٦٣.

ثامنا: موافقة النقل الصحيح للعقل الصريح: السلف يحترمون العقل، فهو له وظائف كثيرة، لكن في مجاله، لا في أصول الدين والمغيبات؛ مع العلم أن صحيح المعقول يتفق حتما مع صريح المنقول، وقد ألف شيخ الإسلام مؤلفا سماه "درء تعارض العقل والنقل"، وبسبب الاتباع، وعدم البحث في المغيبات وهب الله- تعالى- السلف كثرة العلم، قال- تعالى- : ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، ويقول شيخ الإسلام: (إنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال...)[١].

تاسعا: الحرص على تلقي العقيدة الصحيحة من منابعها الصحيحة والعمل بها[٢].

المطلب الثاني: تميز منهج السلف بخصائص من ناحية الاسم منها:

أولا: عدم الانتساب إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين:

ليس للسلف لقب يعرفون به، ولا نسبة ينتسبون إليها، إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثة وأربابها إلا السلف[٣]، أو الأسماء التي جاء ذكرها بالسنة كأوصاف لهم، وهي (الناجية، والمنصورة، وأهل الحديث، أهل السنة والجماعة، والغرباء، والسواد الأعظم)[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٤/ ٤٣، وانظر: خصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٨٧.

(٢) انظر: كتاب اعتقاد أهل السنة/ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: ٣١، وعقيدة السلف أصحاب الحديث/ أبو إسماعيل الصابوني: ٣ـ ٤، وأعلام السنة المنشورة/ الحكمي: ٧٧، وشرح العقيدة الواسطية/ الشيخ صالح الفوزان: ١١.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٣٠.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٤٢٨.

ثانيا: عدم وجود طريقة معينة لأشخاص يدعون إليها:

فالسلف لا يوجد لديهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول، قال شيخ الإسلام: (وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي - ﷺ - ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يعادون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام ويعادون)[١]، والسلف يعرضون أقوال الناس على السنة، فما وافقها قبلوه، وما خالفها طرحوه[٢].

المطلب الثالث: تميز منهج السلف بخصائص من ناحية الأخلاق والمعاملة منها:

أولا: العصمة من الله لأهله من تكفير بعضهم بعضا والتسرع في إطلاق الأحكام[٣]:

فهم لا يتسرعون في إطلاق الأحكام على المسلمين من التكفير والتفسيق وغيرها، ولا يقدمون عليها إلا بضوابط وشروط.

ثانيا: الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: كل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال؛ لأن لديهم معرفة الحق ورحمة الخلق[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٢٠/ ١٦٤.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٢٨ - ٤٣٢.

(٣) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: (٧/ ١٣))، وخصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٧٧.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٣١، الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ٧/ ١٠.

ثالثا: العدل: فالسلف من أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله- عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (النساء: ١٣٥). وقوله: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ (الأنعام: ١٥٢). حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة[١].

رابعا: الاعتقاد بأن الدين والإيمان قول وعمل:

مع ذلك لا يكفر السلف أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، ولا يؤصلون أصولاً ويحكمون الخصوم إليها، والحكم على من خالفها بالتفسيق والتفكير[٢].

خامسا: الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم: والمراد بذلك الحرص على الحق وأهله، والبعد عن الفرقة والخلاف، سواء في أمر الدين والدنيا؛ امتثالا لقوله- تعالى- : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٠٣)، وقوله- تعالى- : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٠٥). وقوله- ﷺ- : (عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة)[٣]، يقول الإمام الطحاوي: (ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا)[٤].

---

(١) انظر الإيمان بالله/ محمد بن إبراهيم الحمد: ٧/ ١١.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٣٢، وخصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٦٦..

(٣) أخرجه أحمد: ١/ ٢٦ وابن أبي عاصم في السنة: ج١/ ص٤٢، وصححه أحمد شاكر في المسند: ١/ ٩٨.

(٤) انظر: شرح الطحاوية ص٥٧٧، انظر: أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢/ ١٣٢- ١٣٣.

سادسا: **الاهتمام بالأمانة العلمية**: وكُتب السلف خير دليل على ذلك، ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم: الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير وقلب الحقائق وبتر النصوص وتحريفها، كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله(١).

المطلب الرابع: تميز منهج السلف بخصائص من ناحية العقيدة، منها:

أولاً: أنها حق؛ لأنها مأخوذة من الكتاب والسنة:

ثانيا: الوسطية: فكما جعل دين الإسلام وسطا بين الديانات، فقال- تعالى- : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). فكذلك جعل عقيدةَ السلف وسطا بين الفرق في أسماء الله وصفاته، وسطا في أصحاب رسول الله، وسطا كذلك في باب الإيمان، وفي باب القضاء والقدر(٢).

ثالثا: وحدة أصول الاعتقاد: فجميع السلف متفقون على أصول واحدة لا تختلف، منها إمرار آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، ولا تأويل وغيرها من أصول العقيدة(٣).

رابعا: النهي عن الجدل والمراء والخصومات في الدين والخوض في المسائل الاعتقادية: لأنها أمور غيبية؛ وتوقيفية لا مجال للعقل فيها(٤)، قال- تعالى- : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

---

(١) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ٧/ ١١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٣/ ٣٧٣ – ٣٧٥، والعقيدة الواسطية/ محمد خليل هراس: ١٢٥ – ١٣٢.

(٣) انظر: خصائص أهل السنة/ أحمد فريد: . ٨٧.

(٤) انظر: فضل علم السلف على الخلف/ ابن رجب: ٢٢/ ٢٦.

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية ٣٣)، وقوله- تعالى- : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ ((٣٦) سورة الإسراء).

و(سُئِلَ رسول اللَّهِ- ﷺ- عن أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فقال: الله إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ)[١]، وقال الإمام الطحاوي: (ولا نخوض في الله...، ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه...)[٢]، فالسلف الصالح ينكرون الجدال والمراء في الدين، والخصومة في القدر، ويمنعون الاشتغال بالمنطق[٣]، ومن هؤلاء السلف الأئمة الأربعة يقول الإمام أبو حنيفة- رحمه الله- : (لعن الله عمرو بين عبيد؛ فإنه فتح للناس الطرق إلى الكلام فيما لا يعنيهم)[٤]، ويقول الإمام مالك- رحمه الله- : (الكلام أكرهه...، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل)[٥]، أما الإمام الشافعي- رحمه الله- فقد قال: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام)[٦]، وقال الإمام أحمد- رحمه الله- بأنه (لا يفلح صاحب كلام أبدا)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري: ١/ ٤٦٥.
(٢) العقيدة الطحاوية: ٩٨، وانظر: عقيدة الفرقة الناجية ص ١٠١ ـ١٠٧.
(٣) انظر: الرد على الجهمية/ الإمام أحمد بن حنبل: ٢٩، وفضل علم السلف على الخلف/ ابن رجب: ٢٢/ ٢٦، وكتب ليست من الإسلام/ الإستانبولي: ١١٢.
(٤) الرد على الجهمية/ الإمام أحمد بن حنبل: ٢٩.
(٥) المصدر السابق: ٢٨.
(٦) شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز الحنفي: ٢، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام/ ابن قدامة: ٤١.
(٧) تلبيس إبليس/ ابن الجوزي: ٧٥، تحريم النظر في كتب الكلام/ ابن قدامة: ٤١، صون المنطق: السيوطي ٢٢٨، وانظر: الرد على من يقول الم حرف/ الحافظ ابن منده الأصبهاني: ٤٠.

خامسا: الوضوح: فعقيدة السلف سهلة ميسرة حتى للعوام؛ لأنها من الكتاب والسنة، والقرآن ميسر، قال- تعالى- : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ((١٧) سورة القمر).

سادسا: أن المعاداة والموالاة عندهم على أساس الدين(١).

سابعا: سلامة قلوب السلف وألسنتهم لأصحاب الرسول الله- ﷺ(٢).

ثامنًا: العموم والشمول: فهي شاملة وصالحة لكل زمان ومكان وحال وأمة(٣).

تاسعا: الثبات والاستقرار والاستمرار أمام طعنات الفرق والديانات(٤).

عاشرًا: حماية أصحابها من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فالسلف أكثر الناس تسليما، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض(٥)، يقول ابن أبي العز: (كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص، ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم في كتابه تهافت التهافت، ومن الذي قال في الإلهيات شيئا يعتد به، وكذلك الآمدي (ت ٦٣١هـ) أفضل أهل زمانه، واقف في

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٣٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٣/ ١٥٢ –١٥٣.

(٣) انظر: مباحث في العقيدة/ ناصر العقل: ١/ ٢٧ - ٢٨.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ٧/ ٥.

المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي- رحمه الله- (ت: ٥٠٥ هـ) انتهى آخر أمره إلى التوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول- ﷺ- فمات والبخاري على صدره، وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت ٥٤٤هـ) الذي قال: (نهاية إقدام العقول عقال، وغاية سعي العالمين ضلال)[١].

الحادي عشر: تحقيق الحياة الكريمة والأمن لأصحابها: قال- تعالى- : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) سورة الأنعام) [٢].

الثاني عشر: مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات لأتباعها: لأن أساسها وأصلها صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان[٣].

المطلب الخامس: يتميز منهج السلف بخصائص من ناحية العمل والعبادة، منها:

أولا: العمل بالسنة: فالسلف إذا صحت لهم السنة عن رسول الله- ﷺ- عملوا بها، ولم يتوقفوا عن العمل بها واعتقادها[٤].

ثانيا: الاهتمام بالغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها: وهي إقامة العباد على منهج العبودية الحقة لله رب العالمين؛ ذلك أنها أول دعوة الرسل، وأول مقام يقوم به السالك إلى الله؛ ولأجلها خلق البشر، وأنزلت

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ج١/ ص٢٢٧.

(٢) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ٧/ ١٤.

(٣) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ٧/ ١٥.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٢٩.

الكتب، وبعث الرسل، قال- تعالى- : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات الآية ٥٦) وقال- تعالى- : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (سورة الأعراف الآية ٥٩)، وقال- تعالى- : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء الآية ٢٥) وقال- تعالى- : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ سورة النحل الآية ٣٦)[١]، ومن ذلك: المحافظة على الجمع والأعياد والجماعات[٢]، وأيضًا صبر السلف على أقوالهم ومعتقداتهم[٣]، وتورعهم في الفتوى[٤].

---

(١) انظر: أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية (٧٢/ ١٢٨)

(٢) انظر خصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٦٣ – ٨٧.

(٣) انظر المصدر السابق: ٦٣ – ٨٧.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٨٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أما بعد:

أولا: النتائج:

١- أن نشأة مذهب السلف كانت مع بداية الإسلام؛ لأنه هو الدين الحق الذي لم ينحرف؛ لأن المقصود بهذا الاسم هم الصحابة وتابعوهم ومن سار على دربهم.

٢- أن مصطلح السلف نشأ في القرن الثاني بعد ظهور الفرق وانتشارها واستشرائها.

٤- أن منهج السلف مر بمراحل، منها مراحل القوة والضعف في مسيرته الميمونة، وكذلك تدوينه أيضا مر بمراحل متميزة.

٣- أن مذهب السلف مستمر إلى قيام الساعة؛ لورود الأحاديث التي تفيد بذلك.

٥- أن منهج السلف تميز بخصائص عديدة من ناحية: التلقي، والاسم، والأخلاق، والمعاملة، والعقيدة، ومن ناحية العمل والعبادة.

ثانيا: التوصيات:

أن مذهب السلف لا يختص بمذهب فقهي معين كمذهب الحنابلة، بل يشمل جميع المذاهب الفقهية والمجتهدين، فالسلفيون عقيدتهم واحدة، وإن اختلفت مشاربهم الفقهية؛ لذا فعلى طلبة العلم التركيز ببيان ذلك وإظهاره ونشره في مناطق انتشار المذاهب الفقهية كل على حسبه، فهناك مناطق ينتشر فيها المذهب الحنفي، وهناك مناطق ينتشر فيها المذهب المالكي وهكذا؛ ليكون أرجى لقبوله عن طرق:

أ- تأليف المؤلفات لإبراز جهود علماء كل مذهب في نصرة المذهب السلفي.

ب- تحقيق كتب العلماء السلفيين من كل مذهب، وبالذات من غير علماء الحنابلة ونشرها في بلادهم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثبت المراجع

/http:/ / www. binbaz. org. sa :
http:/ / ar. wikipedia. org/ wiki/ %D٨٪A٥٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥
http:/ / ar. wikipedia.
org/ wiki/ %D٩٪٨٥٪D٨٪AD%D٩٪٨٥٪D٨٪AF_%D٨٪A٨٪D٩٪٨٦_%D٨٪B٩
%D٨٪A٨٪D٨٪AF_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٧٪D٨٪A٧٪D٨٪A٨□cite_
ref□٧
http:/ / www. alalbany. net
http:/ / www. ibnothaimeen. com/ index. shtml
http:/ / www. islamselect. com/ mat/ ٣١٢٣٥
http:/ / www. kwtanweer. com/ articles/ articleforprint. phparticleID=
.www. ahlalhdeeth. com/ vb/ attachment. php?attachmentid=٧٥٩٤&d

- الآثار المروية في صفة المعية/ محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط/ ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- الإبانة/ علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار الأنصار – القاهرة.
- الإبانة الكبرى/ ابن بطة العكبري: ، ت: رضا معطي، ط/ ٢، - ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، دار الراية، الرياض.
- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ حمود بن عبد الله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٤هـ.
- أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية/ حمود بن أحمد الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ.
- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث/ الدكتور خالد كبير علال، دار مالك، الجزائر، ط/ ١، ٢٠٠٥.
- أصول الدين/ الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط/ بدون.
- أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة/ ناصر القفاري، دار الوطن، ط/ ١، ١٤١٤هـ.
- أصول الدين عند أبي حنيفة/ محمد الخميس، دار الصميعي، الرياض، ط/ ١، ١٤١٦هـ.
- أصول السنة/ الإمام أحمد بن حنبل، ط/ ١، ١٤١١هـ، دار المنار، الخرج، السعودية.

- أضواء البيان/ محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.، ت: مكتب البحوث والدراسات.
- الاعتصام/ أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/: محمد بن عمر الرازي أبو عبد الله.
- الأعلام/ الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- إعلام الموقعين/ ابن القيم، ط/ ١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ط/ ١٩٧٣م، دار الجيل، بيروت.
- افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة/ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، دار العاصمة، الرياض، ط/ ١، ١٤١٥هـ، تحقيق: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان.
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات/ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦.
- اقتضاء الصراط المستقيم/ ابن تيمية، ط ٢، ١٣٦٩ هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- الأم/ الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣، الطبعة: الثانية.
- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل/ محمد السيد الجليند، ط/ ٥، ٢٠٠٠م دار قباء للطباعة، القاهرة.
- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة/ عبد الله التركي، ط/ ١، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤١٨هـ.
- الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى/ عبد الرحمن العريني.
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع/ السيوطي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط/ بدون.
- إنباء الغمر بأبناء العمر/ شهاب الدين أبو الفضل أحمد حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ط/ ٢.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين المقفطي، ت: أبو الفضل، ط/ ١٣٧٤هـ- ١٩٩٥م، مطبعة دار الكتب المصرية.
- الانتصار لأصحاب الحديث، منصور السمعاني أبو المظفر، مكتبة أضواء المنار - السعودية - ١٤١٧هـ، ط/ ١، ت: محمد الجيزاني.

- الأنساب/ الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، مركز الخدمات والأبحاث.
- الإنصاف/ الباقلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط/ بدون.
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل/ محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، دار السلام، ط/ ١، ١٩٩٠.
- الإيمان/ أبو عبيد القاسم بن سلام: ، دار البيان، الكويت.
- باعث النهضة الإسلامية – محمد خليل هراس، ط/ ٢ – ١٤٠٥هـ- مكتبة الصحابة – طنطا.
- بحر الكلام في علم التوحيد/ أبو المعين النسفي، مكتبة الخوجي، مصر، ١٩٥٠هـ..
- البدء والتاريخ/ المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- البداية والنهاية/ ابن كثير، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت.
- البدر الطالع/ محمد علي الشوكاني، ط/ بدون، دار المعرفة بيروت مطبعة السعادة، مصر ١٣٤٨هـ.
- البدع والنهي عنها/ ابن وضاح، ت: محمد أحمد دهمان، دار الصفا، القاهرة، ط/ ١، ١٤١١هـ.
- بغية الوعاة/ السيوطي. المكتبة العصرية، ط/ بدون.
- تاريخ ابن خلدون/ عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- بيان تلبيس الجهمية/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة قرطبة، ط/ بدون.
- تاريخ الإسلام/ شمس الدين محمد بن أحمد بن الذهبي، دار الكتاب العربي - لبنان/ بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط/ ١، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.
- تاريخ بغداد/ أبو بكر البغدادي، ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ تدوين العقيدة السلفية/ عبد السلام برجس، دار الصميعي، ط/ ٢، ١٤٢٨هـ.
- تاريخ الطبري/ محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠، ط/ ١، ١٤٠٧هـ- ٢٠٠٦م - بيروت، دار الكتب العلمية.
- التاريخ الكبير/ محمد بن إسماعيل البخاري، ط/ بدون، تحقيق: السيد الندوي، دار الفكر.

- تاريخ نجد/ ابن غنام، مطبعة المدني، ط القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.
- تأويلات أهل السنة/ أبو منصور الماتريدي، دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠٥م.
- تأويل مختلف الحديث/ عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، ط/ بدون، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م- دار الجيل – بيروت.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين/ أبو المظفر الإسفرائيني، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط/ ١، بيروت، عالم الكتب.
- تحرير المقالة من شرح الرسالة/ أحمد القلشاني، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- تحفة الأحوذي/ المباركفوري، ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التحفة العراقية/ ابن تيمية، ط٧، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار القلم، بيروت.
- التحفة المهدية/ فالح بن مهدي، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٤م.
- تذكرة الحفاظ – الذهبي، ط/ بدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تذكرة الحفاظ/ محمد بن طاهر بن القيسراني، تـ: حمدي السلفي، ط/ ١، ١٤١٥هـ، دار الصميعي، الرياض.
- التعريفات/ علي الجرجاني، ، ت: الأبياري، ط/ ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- التعليق على مسائل الجاهلية/ محمد بن عبد الوهاب/ محمود شكري الآلوسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٦.
- تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير، ط/ ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت.
- التفسير القيم/ للإمام ابن القيم، جمع أويس الندوي، ت: محمد الفقي، ط/ بدون، مكتبة السنة، مصر.
- تلبيس إبليس/ ابن الجوزي: ، ط/ ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار الجيل، بيروت.
- التمهيد/ ابن عبد البر: ، ط/ ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف، المغرب.
- التنبيه والرد/ أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي، تحقيق: الكوثري، ط/ بدون، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مكتبة المثنى – بغداد.
- تهذيب الأسماء/ أبو زكريا النووي: ، ط/ ١، ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت.
- تهذيب التهذيب/ ابن حجر، ط/ ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الفكر – بيروت.

- تهذيب الكمال/ يوسف بن الزكي المزي، ط/ ١، ١٤٠٠- ١٩٨٠، مؤسسة الرسالة.
- التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، ط: ١، سنة ١٤١٠هـ، بيروت، دمشق.
- تيسير العزيز/ سليمان بن عبد الله، ط/ ٢، ط/ بدون، ١٣٩٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الثمر الداني شرح رسالة القيرواني/ صالح عبد السميع الآبي الأزهري المالكي المكتبة الثقافية – بيروت.
- جامع البيان/ الطبري، محمد بن جرير، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- جامع بيان العلم/ ابن عبد البر، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت.
- الجامع الصحيح/ الترمذي أبو عيسى، ط/ بدون، إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع الصحيح/ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط/ بدون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- جامع العلوم والحكم/ ابن رجب، ط/ ١، ١٤٠٨هـ- دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: القاهرة، ط/ ٢، ١٣٧٢هـ، دار الشعب.
- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية/ أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني دار الصميعي، ط/ ١- ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية/ ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ت: عبد الفتاح الحلو، ط/ ٢، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة.
- حاشية إعانة الطالبين/ أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي، دار الفكر، بيروت، ط/ بدون، ١٩٩٧م.
- حاشية البجيرمي/ سليمان بن محمد البجيرمي،، دار الفكر، بيروت، ط/ بدون،، ١٩٩٨م.
- حاشية الجمل على شرح منهج الطلاب/ سليمان بن عمر الجمل، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
- حاشية على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين/ لزين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري، دار الفكر، بيروت، ط/ بدون.

- الحجة في بيان المحجة/ أبو القاسم إسماعيل ابن محمد التيمي الأصبهاني، الراية.
- الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي/ محمد خليل هراس، دار الكتب، بيروت.، ط/ بدون.
- حلية الأولياء/ أبو نعيم الأصفهاني/ ط/ ٥- دار الكتاب العربي – دار الريان للتراث – بيروت.
- خصائص أهل السنة/ أحمد فريد، مؤسسة قرطبة، ط/ بدون.
- الخطط/ المقريزي: ٢/ ٣٥٧- ٣٥٩، مصورة مطبعة بولاق.
- درء التعارض/ ابن تيمية، ت: محمد رشاد، ط/ ٣، ١٣٩١هـ، دار الكنوز الأدبية الرياض، وجامعة الإمام محمد بن سعود.
- الدرر السنية في الكتب النجدية/ لمجموعة من علماء نجد، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط/ ٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- الدر المنثور/ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي/ ط/ بدون – ١٩٩٣ - دار الفكر – بيروت.
- الدرر الكامنة/ الحافظ ابن حجر، تحقيق: سيد جاد الحق، ط/ بدون – دار الكتب الحديثة – مصر.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف.
- الدعوة السلفية/ محمود عبد الحميد العسقلاني، الناشر: الموقع الرسمي الدكتور. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد:

www. m-ismail. com. www. saaid. net

- الدين الخالص/ محمد صديق خان، تحقيق: محمد النجار، ط/ بدون، دار التراث، القاهرة.
- ذم الكلام وأهله/ أبو إسماعيل عبد الله الهروي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ١٤١٨هـ.
- ذيل تذكرة الحفاظ/ أبو المحاسن الحسيني، ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على الجهمية/ أبو سعيد عثمان الدارمي، دار ابن الأثير، الكويت، ط/ ٢، ١٤١٦هـ.

- الرد على الرافضة/ محمد بن عبد الوهاب علق عليها محمد مال الله، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ..
- الرد على من يقول الم حرف/ الحافظ أبو القاسم ابن منده الأصبهاني، دار العاصمة، الرياض، ط/ ١، ١٤٠٩ هـ.
- الرسالة/ للإمام الشافعي: ، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت.
- الرسالة المستطرفة/ محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٦م.
- روح المعاني/ محمود الآلوسي: ط/ بدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم/ الوزير اليماني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط/ بدون.
- روضة الأفكار (تاريخ نجد) / حسين بن غنّام، دار الشروق، ط/ ٤، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- زاد المسير/ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن أحمد، ط/ ٣، المكتب الإسلامي – ١٤٠٤هـ.
- سبل السلام/ محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد الخولي، ط٤، دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٧٩هـ..
- السحب الوابلة/ محمد بن حميد، ط/ بدون، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م – مكتب الإمام أحمد – مكة.
- السلسلة الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الطبعة: الأولى.
- السنة/ عمرو بن أبي عاصم الضحاك، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، سنة النشر/ ١٤٠٠هـ.
- السنة/ المروزي، ودار العاصمة؛ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- السنن/ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط/ بدون، دار الفكر – بيروت.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين، ط/ بدون، دار الفكر بيروت.
- سنن الدارقطني علي بن عمر، ط/ ١٣٨٦هـ، دار المعرفة بيروت.

- سنن الدارمي/ عبد الله الدارمي، ت: فوزي زمرلي، ط/ ٧، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب النسائي، ت: البنداري، ط١/ بدون، ١٤١١هـ.، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السنن الكبرى/ البيهقي، ط/ ١٤١٤ - ١٩٩٤مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.
- سير أعلام النبلاء/ الذهبي: تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ ط/ ٩ ـ ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت، ج، ٦ـ ١٤١٩هـ.
- شذرات الذهب/ (ابن العماد ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ بدون، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة/ هبة الله اللالكاني، ط/ ١٤٠٢هـ، دار طيبة الرياض.
- شرح السنة: / الحسن بن علي البربهاري، دار ابن القيم، الدمام، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز، ت: بشير عيون، ط/ ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت.
- شرح العقيدة الطحاوية/ عبد الغني الميداني الغنيمي، دار الفكر، دمشق، ط/ ٢، ١٤٠٢هـ.
- شرح قصيدة ابن القيم (توضيح المقاصد) / أحمد ابن عيسى، ت: زهير شاويش ط/ ٣، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي.
- شرح النووي على صحيح مسلم/ أبو زكريا يحيى النووي، ط/ ٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.
- شرف أصحاب الحديث/ الخطيب البغدادي، المكتب الإسلامي للنشر، ١٩٩٦م.
- الشريعة/ الآجري، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨ هـ.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، ط/ ٢، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن ماجه/ الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح أبي داود/ الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح الجامع الصغير/ الألباني، المكتب الإسلامي.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث.
- صفة الصفوة/ ابن الجوزي ت: ٥٩٧هـ، ٢/ ٨١، ط/ ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار المعرفة، بيروت.
- الصفدية/ ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ..
- صون المنطق/ السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / السخاوي، ط بدون، دار مكتبة الحياة الأعلام.
- الضياء الشارق/سليمان بن سحمان، ودراسة ، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط/ ٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م٩٩؟.
- طبقات الحفاظ/ أبو بكر السيوطي: ، ط/ ١، ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات الحنابلة/ أبو الحسين ابن أبي يعلى: ٢/ ٢٣٩، دار المعرفة – بيروت.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية/ تقي الدين بن عبد القادر الغزي: ١/ ١٧٦.
- طبقات الشافعية الكبرى/ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، ط/ ٢.
- الطبقات الكبرى/ ابن سعد: ٥/ ٤٤٢، ط/ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- العقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي قاضي الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ محمد بن أحمد بن قدامة: ج١/ ص٣٤٦، دار الكاتب العربي – بيروت.
- العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة/ الدكتور/ محمود أحمد الخفاجي، طبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- العقيدة الحموية، دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث/ أبو إسماعيل الصابوني، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية.
- العقيدة الطحاوية/ الطحاوي، مكتبة ابن تيمية والقاهرة، ط/ ٢، ١٤١٥هـ.
- العقيدة الواسطية/ ابن تيمية: ، ط/ ٢، ١٤١٢هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض.
- عنوان المجد في تاريخ نجد/ ابن بشر: ١/ ١١- ١٢، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض.
- عون المعبود/ أبو الطيب آبادي: ٩/ ٣٦٢، ط/ ٢، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.

- غريب القرآن/ أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦هـ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران.
- الفتاوى الكبرى، ط/ ١، ١٣٨٦هـ، دار المعرفة، بيروت.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية توى رقم: ١٣٦١ جزء: ٣٤ صفحة: ٩٣.
- فتح الباري/ ابن حجر، ط/ ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.
- الفردوس الديلمي، ط/ ١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٦م.
- فضل علم السلف على الخلف/ ابن رجب: ٢٢/ ٢٦.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية/ محمد اللكنوي، مطبعة السعادة: ١٣٢٩هـ..
- فوات الوفيات/ محمد بن شاكر الكتبي — تحقيق: إحسان عباس، ط/ بدون — دار صادر — بيروت.
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر/ محمد صديق، ط/ ١، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ..
- قواعد الفقه/ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، ١٤٠٧ — ١٩٨٦.
- قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي/ مصطفى حلمي: مقدمته كتابه الثالثة، دار الدعوة، الإسكندرية، ط/، ١٩٩٦
- الكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ، ط/ ١٣٨٦هـ- دار صادر. بيروت.
- كبرى اليقينيات الكونية/ محمد رمضان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ط/ بدون، مكتبة ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم.
- كشف الخفاء/ العجلوني تحقيق أحمد الفلاشي، ط/ بدون، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- كنز العمال/ تقي الدين الهندي، ط/ بدون، مكتبة التراث الإسلامي، وحيدر آباد.
- لسان العرب/ ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ ١، سنة النشر بدون.
- لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية.
- المجتبى/ أحمد النسائي، ط/ ٢، ١٤٠٦هـ، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.

- مجلة البحوث الإسلامية- العدد الرابع والثلاثون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤١٢هـ - الفتاوى.
- مجمع الزوائد/ علي بن أبي بكر الجثمي، دار الريان، للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧، ط بدون.
- مجموع الفتاوى/ ابن تيمية، ط/ بدون، ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، مكة.
- مختار الصحاح/ الرازي، ، ط/ جديدة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت.
- مختصر لوامع الأنوار البهية/ محمد بن علي بن سلوم: ١٥، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
- مرآة الجنان/ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ١٤١٣هـ.
- المستدرك/ الحاكم: ط/ ٧، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية — بيروت.
- المسند/ أبو يعلي: تحقيق: حسين أسد، ط/ ١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث دمشق.
- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، ط/ بدون، سنة النشر بدون.
- مسند البزار، أبو بكر البزار، ط/ ١، مؤسسة علوم القرآن — بيروت، ١٤٠٩هـ..
- المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ١٣الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. الراية للنشر والتوزيع.
- المصنف/ أبو بكر ابن أبي شيبة الكوفي ط/ ١، ١٤١٩هـ - مكتبة الرشد — الرياض.
- معارج القبول/ أحمد بن حافظ الحكمي، ط١، ١٤١٠هـ، دار ابن القيم، الدمام.
- معالم الانطلاقة الكبرى/ محمد عبد الهادي المصري: ٤٩، دار الإعلام الدولي، ط/ ٤، و١٩٩٢.
- معالم التنزيل/ الحسين بن مسعود البغوي، ت: خالد العك، ط/ ٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٧٨م.
- المعتزلة/ محمد العبدة، وطارق عبد الحليم، ط/ ١ — ١٤٠٨هـ — ١٩٨٧م — دار الأرقم — برمنجهام.
- المعجم الأوسط الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، ط/ ١٤١٥هـ، دار الحرمين، القاهرة.

- معجم البلدان/ ياقوت الحموي : ، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت.
- المعجم الصغير/ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت: طارق بن عوض الله، : ط/ ١٤١٥هـ، دار الحرمين، القاهرة.
- المعجم الكبير/ الطبراني، ط/ ٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.
- معجم المؤلفين، رضا كحالة : ، ط/ بدون، دار إحياء التراث بيروت.
- الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن يحيى العيني، ط/ ١٩٦٧، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ ١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الملل والنحل/ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق الكيلاني، دار المعرفة – بيروت.
- مناقب الشافعي/ أبو بكر بن الحسين البيهقي، ط/ ١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، دار التراث.
- مناهج أهل الأهواء/ ناصر العقل: ٩، دار الوطن، ط/ ١، ١٤١٥هـ.
- منهاج السنة النبوية/ ابن تيمية، ط/ ١، ١٤٠٦هـ، مؤسسة قرطبة.، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- المنهل الصفي/ جمال الدين الأتابكي: ١/ ٣٣٦، ١٣٥٧دار الكتب المصرية، القاهرة.
- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء/ إبراهيم الرحيلي، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط/ ١، ١٤١٥هـ.
- النجوم الزاهرة/ جمال الدين الأتابكي، ط/ بدون، مصورة عن طبعة دار الكتب، مصر.
- نقض أصول العقلانيين/ خالد كبير علال، الجزائر، دار المحتسب، ط/ ١، ٢٠٠٨م.
- النونية/ الإمام ابن القيم، ط/ ١٣٤٥هـ، دار المعرفة، بيروت.
- وسطية أهل السنة/ باعبد الله، ط/ ١، ١٤١٥هـ، دار الراية.
- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار/ صديق بن حسن القنوجي: ٢٠٤، مكتبة عاطف– القاهرة، ط/ ١، ١٣٩٨، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا.



خصائص أصحاب المنهج السلفي

إعداد

الدكتور/ محمود عبد الهادي دسوقي علي

السلفية

ما كان عليه الصحابة- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرِف عِظَم شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفًا عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرضٍ.

فهم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، الذين يتمسكون بكتاب الله، وسنة رسوله- ﷺ- على فهم السلف الصالح.

قال- تعالى- : "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"(١).

قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- : "من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد- ﷺ- كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه- ﷺ- ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد- ﷺ- كانوا على الهدى المستقيم"(٢).

١- سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٢ - حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (١/٣٠٥- ٣٠٦) دار الكتاب العربي، ط الرابعة/ ١٤٠٥هـ.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[1] {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}[2] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً}[3].

ابتليت الأمة الإسلامية بأصناف ينتسبون إليها، منهم من يأخذ جانبًا منه، فيشدد على نفسه وعلى غيره، ومنهم من يَنحَى منحى آخر، فيفرط ويقصر ويضيع، وكلاهما ينسب نفسه وعمله إلى السلفية، وهي منهم ومن أعمالهم براء، فمنهج السلفية ليس هذا ولا ذاك، إنما منهجها منهج الإسلام الذي هو دين الله، وقد رسم الإسلام لأتباعه المنهج السديد الذي بينه ربنا في كتابه، وبلغه نبينا- ﷺ- لأمته، وطبقه في واقع حياته وحياة أصحابه- رضي الله عنهم وأرضاهم- .

ومن رحمة الله بخلقه أنه أنزل الكتب، وأرسل الرسل، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتدعوهم لما يحييهم، وتهديهم للتي هي أقوم بما يتفق ويتلاءم مع الفطر السليمة، ولا يشق على الخلق، قال- تعالى- : "وَمَا

١- سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

٢- سورة النساء آية: ١.

٣- سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ"[1]، وقال- سبحانه- : "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[2]. والإسلام أنزله الله شاملًا كاملًا لجميع مصالح الدنيا والآخرة، وحث القرآن على تحقيق التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة، قال- تعالى- : "وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"[3].

ولقد حفظ الله الدين، فقيض له في كل زمان ومكان من يحمل همه، ويدافع عنه، ويبين محاسنه، وممن قيضهم الله لهذا الدين طائفة من الناس عاشت بالإسلام وللإسلام، وسارت على خطا الحبيب، وضحت بكل غال ونفيس من أجل نصرة هذا الدين.

ولقد تميزت هذه الطائفة بخصائص جعلتها في الصدارة، ومن الأهمية بمكان أن نظهر هذه الخصائص؛ لتتجلى واضحة؛ ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

١- سورة الحج، جزء الآية: ٧٨.

٢- سورة البقرة، جزء الآية: ١٨٥.

٣- سورة القصص، الآية: ٧٧.

التمهيد

ويشتمل على ما يلي:

١- التعريف بالخصائص.

٢- التعريف بالسلفية في اللغة.

٣- السلفية في الاصطلاح.

٤- السلفيون ووجوب السير على طريقتهم.

التمهيد

ويشتمل على ما يلي:

١- التعريف بالخصائص

الخصائص جمع خَصِيصَة، وهي: "الصفة التي تميز الشيء وتحدده"[١]، "وما تفرد به الشيء من مزايا تحدد معالمه، وتميزه عن كل ما سواه، وتفضله على غيره بما لا يشاركه فيه"[٢]، وأعني بخصائص المنهج السلفي، ما تفرد به من سمات ومميزات لم يشاركه فيها غيره.

٢- التعريف بالسلفية في اللغة:

السلفية مشتقة من السلف، والسلف في اللغة: يدل على من تقدم وسبق ومضى[٣]، فهي تدور في أغلب استعمالاتها المتعددة في اللغة العربية حول الدلالة على التقدم والمضي والسبق الزمني، وكل من تَقدّم العبد من الآباء، والقرابة، والعمل الصالح. فـ"سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[٤]، ومنه

---

١ - المعجم الوسيط (١/٢٣٨). قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ط الأولى/١٩٦٠م.

٢ - خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، د/ أحمد عبد الهادي شاهين، ص ٩، ط الأولى/ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، (٣/٩٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الأثير (٢/٣٩٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى/ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

قوله- تعالى- : "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآَخِرِينَ"(١)، وقوله: "فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"(٢)، وقوله- تعالى- : "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ"(٣)، وقد وردت كلمة "سلف" في كتاب الله- ﷻ- في ثمانية مواضع(٤)، كلها بمعنى التقدّم والسبق الزمني.

٣- المراد بالسلفية في الاصطلاح:

تدور التعاريف الاصطلاحية على أن المراد بالسلفيين: أتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- والتابعين لهم.

ولهذا فقد عرفت السلفية بأنها: "ما كان عليه الصحابة- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرِف عِظَم شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفًا عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرض"(٥).

فلفظ السلف أصبح اصطلاحًا معروفًا يطلق على رعيل الصحابة ومن يقتدون بهم في طريقتهم، والمراد بالسلفيين أو السلف الصالح: جميع

١- سورة الزخرف، آية: ٥٦ .

٢- سورة البقرة، جزء الآية: ٢٧٥.

٣- سورة النساء، جزء الآية: ٢٢.

٤- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤٥١.

٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (١/ ٢٠)، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

الصحابة- رضي الله عنهم - ، ومن تبعهم بإحسان، دون من مال عن منهجهم من الذين انشقوا عن السلف الصالح.

٤- السلفيون ووجوب السير على طريقتهم

السلفيون: هم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- على فهم السلف الصالح، قال- تعالى- : "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[١].

وقد أمرنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- باتباع سنتهم، والاهتداء بهديهم، والسير على طريقتهم، فقال- صلى الله عليه وسلم- : "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٢]. وقال- صلى الله عليه وسلم- فيهم- أيضًا: "خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم"[٣]. قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- : "من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله

١- سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٢ - رواه أبو داود في سننه، ك السنة، باب في لزوم السنة. (٤/٣٢٩) رقم ٤٦٠٩، ورواه الترمذي في سننه، ك العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٥/٤٤)، رقم ٢٦٧٦، وصححه بن حبان (١/١٧٨) رقم ٥.

٣ - رواه أحمد في مسنده (٤/٤٤٠) رقم ١٩٩٦٧، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

لصحبة نبيه- ﷺ- ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد- ﷺ- ، كانوا على الهدى المستقيم"[1].

فلقد حمل لواء هذا الدين سَلَفُ هذه الأُمَّة وعدُولها من الصحابة والتابعين، فكانوا أئمةَ الهدى، وشُمُسَ الدجى، وحُجَجَ الدِّين، ونقلةَ الوحيين، جمعوا بين الإيمانِ وحسنِ المقال، وبين عملِ الصالحات وموافقةِ الأقوال للفعال، وكانوا قبل ذلك وبعدَهُ لسنةِ نبيهم- ﷺ- مقتفين، ولآثارهِ متبعين، وعلى هدى وبصيرة من رب العالمين.

فالسلف الصالح- رحمهم الله- هم أعرف الناس بمراد الله ومراد رسوله- ﷺ- ، ولهذا كان اتباعهم واقتفاء أثرهم واجبًا؛ لأن السلف علمهم أتم وأحكم، وأبين وأسلم، فلهذا كلّه سار أئمة الهدى على دربهم، ومصابيح الدجى على طريقهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يضل متّبعُهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يهتدي مخالفهم.

---

١ - حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (١/٣٠٥- ٣٠٦) دار الكتاب العربي، ط الرابعة/ ١٤٠٥هـ.

خصائص أصحاب المنهج السلفي

مدخل

إن المتأمل في خصائص المنهج السلفي يعرف عظمة هذا المنهج وعظمة أصحابه، عظماء بإيمانهم، وأخلاقهم، وأعمالهم، وعلمهم، وفكرهم، عظمة مستمدة من فهمهم وتطبيقهم للإسلام، وصلتهم القوية بالله- ﷻ - ، واتباعهم لسنة رسول الله- ﷺ - ؛ لذا كان حريا بالأمة الإسلامية قادة وشعبًا أن تتأسى بهم في هذه الحياة؛ لتنال ما نالوه من رفعة لأنفسهم وعز للإسلام والمسلمين.

فقد كانوا مشاعل من نور، ونجوما من سماء الهدى، وضياء الأرض النقي، ما أفلح من لم يتبع خطاهم، معلمهم رسول الله- ﷺ - ، ومن كان معلمه رسول الله- ﷺ - فهو أحرى أن يتبع.

ولقد انفرد المنهج السلفي بسمات ومميزات لم يشاركهم فيها غيرهم، ويمكن إجمال هذه الخصائص في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

الاهتمام بمعرفة الدليل، والتمسك به، وعدم التعصب للأشخاص، والمرد عند الاختلاف إلى الكتاب والسنة.

مما يمتاز به أصحاب المنهج السلفي: أنهم يهتمون بمعرفة الدليل، والتثبت منه، وفهم النص، فلم يبتدعوا أصولًا وقواعد وأراء فاسدة لم يدلهم عليها كتاب ولا سنة، ولم يحدثوا عقيدة ولا عملًا ولا سلوكًا ولا منهجًا إلا إذا استقوه من نصوص القرآن والسنة، فلا يردون منها شيئا، ولا

يعارضونها بشيء، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص، فمنهجهم قائم على التسليم لنصوص الوحي، فلم يُقدِمُوا على أمر إلا بدليل، ممتثلين قول الله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[1]، وقوله: "وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا"[2].

وقد أصل أئمتهم هذا الأصل، قال ابن مسعود: "مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ- ﷺ- : "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ"[3][4]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْزَمَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- وَسُنَّةَ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ- رضي الله عنهم- وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانِ، وَمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ وَتَفَرَّقَتْ فِيهِ إنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَفْصِلَ النِّزَاعَ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، وَإِلَّا اسْتَمْسَكَ بِالْجُمَلِ الثَّابِتَةِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَأَعْرَضَ عَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، فَإِنَّ مَوَاضِعَ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ عَامَّتَهَا تَصْدُرُ عَنْ اتباعِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَى

---

١ - سورة الحجرات الآية: ١.

٢ - سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٣ - سورة ص، الآية: ٨٦- ٨٨.

٤ - رواه البخاري في صحيحه، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ} الْآيَةَ، رقم الحديث (٤٧٧٤).

الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى"[1]، وهذا الربيع بن خُثَيْم يقول: "يا عبد الله! ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه، ولا تتكلف؛ فإن الله - جل وعز- يقول لنبيه- ﷺ- : "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ"[2][3]، وقد كان الشافعي- رحمه الله- من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة، وأشد الناس أخذًا للدلائل منهما، كان يقول: "عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صوابًا"[4]، وقال: "إذا صح الحديث فاتركوا قولي"[5]، وقال: "حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام"[6]. وقال أحمد بن

---

١ - الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٤٦٣/٦)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢ - سورة ص، الآية: ٨٦- ٨٨.

٣ - جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله النمري، (٢٢٦/٢)، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط١/ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤ - أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، (٢٦/٣)، تحقيق : د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١٩٩٦/١م.

٥ - أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول - عليه الصلاة والسلام- ، علي ابن سلطان محمد القاري، ص ١٣٠، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١/ ١٩٩٣م.

٦ - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، ص ١٢٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

حنبل- رحمه الله- : سمعت الشافعي يقول: أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صح الحديث عن النبي- ﷺ- فقولوا حتى آخذ به"[١]، وقال الشافعي- رحمه الله- : "أجمع المسلمون على أنّ من استبانتْ له سنة رسول الله- ﷺ- لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنًا من كان"[٢].

وقال الإمام مالك- رحمه الله- : "كلنا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر"يعني رسول الله- ﷺ- "، "أَوَ كلَّما جاءنا رجلٌ أَجْدَلَ من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد- ﷺ- لجدل هؤلاء"[٣]. والإمام أحمد - رحمه الله - يقول: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحّته يذهبون إلى رأي سفيان"[٤]، والإمام أبو حنيفة - رحمه الله - يقول: "إذا جاء القولُ عن رسول الله- ﷺ- فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصّحابة فعلى الرأس والعين"[٥].

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن السلف اهتموا بالدليل من الكتاب والسنة على عكس أهل الأهواء الذين لم يهتموا بهذا، بل أصلوا أصولًا مبنية على الأهواء وأراء الرجال، فقال: "السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف، صار أهل التفرق

---

١ - أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، (٣/٢٧).

٢ - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (٢/١١١)، مؤسسة الرسالة، ط٣/ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٣ - المرجع السابق، (٢/١١١).

٤ - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (٢/١١١).

٥ - المرجع السابق (٢/١١١).

والاختلاف شيعًا، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع منازِعَهُ عن الاحتجاج بها"[١]، وبين- رحمه الله- أن ما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه[٢].

فأصحاب المنهج السلفي اهتموا بمعرفة الدليل، والتثبت من صحته وفقهه، وفهم النصوص على وفق مراد الله ومراد رسوله، فلم يبتدعوا أراء لم يدلهم عليها كتاب ولا سنة، بخلاف غيرهم، فإنهم أصلوا لأنفسهم قواعد حاكموا إليها النصوص، فما وافق منها تلك القواعد أخذوا به، وما خالف ردوه: إما بتضعيف أو تأويل، وإنا لله وإن إليه راجعون.

---

١ - الفتاوى الكبرى، (١٣/ ٥٨).

٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ص ٤٣، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢/ ١٣٦٩هـ.

المطلب الثاني:

اتفاقهم على أصول الدين وعدم اختلافهم فيها

فمع اختلاف الزمان والمكان، تجد أن أصحاب المنهج السلفي متفقون على أصول العقائد، لا اختلاف بينهم في هذا، فـ"إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟"[1].

ولا غرابة في أن يتفق أصحاب المنهج السلفي على مسائل الاعتقاد مع اختلاف عصورهم، وتباعد أمصارهم، وهذا دليل على صحة المنهج، لأنه مستقى من منهل واحد، وصدق الله حين قال: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

---

١ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، (٢/٢٣٩)، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمر المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"[1]، وقال- سبحانه- : "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"[2].

المطلب الثالث:

البدء بالدعوة إلى التوحيد والأخذ بمنهج التدرج في الدعوة إلى الله

تميز أصحاب المنهج السلفي بأنهم أولوا اهتمامًا بالغًا بالدعوة إلى التوحيد؛ لأن هذا هو المنهج القويم الذي شرعه الله- تعالى-لجميع أنبيائه ورسله- عليهم السلام- ، وأمرهم به، قال- تعالى- : "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"[3]، وقال- سبحانه- : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"[4]، فكل الرسل- بمن فيهم نبينا- ﷺ- أصل رسالتهم: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه الإله الحق المستحق للعبادة، وما عداه باطل.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنّة لتأكيد على هذا الأصل العظيم والمسلك القويم، قال- تعالى- : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[5].
وأول كلمة افتتح بها دعوته: "يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا،

---

١ - سورة النساء، الآية: ٨٢.

٢ - سورة النجم، الآية: ٣- ٤.

٣- سورة النحل، الآية ٢٥.

٤- سورة الأنبياء، جزء الآية: ٢٥.

٥- سورة الأعراف الآية: ١٥٨.

وتملكوا بها العرب، وتذل لكم بها العجم، فإذا آمنتم كنتم ملوكًا"[1]، وظل- ﷺ- يدعوا قومه عشر سنين إلى التوحيد، يقول لقومه: أيها الناس اعبدوا ربا- تعالى شأنه- ووحدوا.

ثم جاء السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم فالتزموا بهذه الأولويات في دعوتهم، بل انطلقوا في بناء الشريعة ومكارم الأخلاق من منطلق العقيدة وأصول الإيمان، ومن أمثلة ذلك:

- بدء الصحابة في دعوتهم وفتوحاتهم وجهادهم بالدعوة إلى التوحيد أولاً، من أمثال معاذ بن جبل حينما أرسله النبي- ﷺ- داعياً إلى اليمن، فقال له: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- "[2].

- قادة الجيوش الإسلامية كانوا قبل أن يقاتلوا الكفار يدعونهم إلى التوحيد، ومن أمثلة ذلك قول سعد بن أبي عبيد القاري رسول سعد بن أبي وقاص حين قال لقائد العدو: "ونحن ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولكم ما لنا، وعليكم ما علينا"[3].

١- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ومختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، ص ٨١، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، الناشر مطابع الرياض

٢- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، بَاب لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ رقم الحديث (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم الحديث ٣١.

٣- فتوح الشام، أبو عبد الله بن عمر الواقدي، (١٨٦/٢)، الناشر: دار الجيل، بيروت.

- اهتم أئمة السلفية ببيان العقيدة الصحيحة في كل زمان ومكان، فإذا رأوا ما يناقض أصل التوحيد قاموا فحذروا منه بالكلمة وبالتأليف، فألفت مؤلفات كثيرة، من أمثال: السنة للإمام أحمد- رحمه الله- ، والسنة لابن أبي عاصم، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والعقيدة الطحاوية، والعقيدة الواسطية، وأصول السنة، وكتاب التوحيد، وغيرها كثير في القديم والحديث.

- تركيز أئمة السلفية في كل زمان ومكان على الدعوة إلى التوحيد، وبيان ما يناقضها بكل الوسائل والأساليب المشروعة، وذخائر تراث أئمة السلفية التي بين أيدينا خير شاهد على ما نقول.

المطلب الرابع:

ثباتهم على الحق وعدم تقلبهم فيه، واتفاقهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم:

عادة أهل الأهواء أنهم يتقلبون ويتغيرون، أما أصحاب المنهج السلفي فإنهم ثابتون على الحق، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: "وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة"[1]، ومن جميل ما يُذكر في هذا الباب قول حذيفة- رضي الله عنه- : "إياك والتلون في دين الله- تعالى- ، فإن دين الله واحد"[2].

١- مجموع الفتاوى، (٤/ ٥١).

٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، (١/ ٩٠)، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

وتجد من سلك غير مسلك السلف، فابتعد عن نصوص الوحي واتبع مسلك أهل الأهواء، ينتقل من طريق إلى طريق، ويتقلب من مسلك إلى مسلك.

وتحدث بعضهم بعد أن هداه الله فرجع إلى مذهب السلف، فأقر بما أقروا، وأعرض عن المخالفة لمنهجهم في أمور كان يعتقدها، ويقطع بها بعد أن تبيَّن له فسادها وعدم صحتها، فكانوا في نهاية حياتهم من أتباع أهل العلم من السلف، ومن هؤلاء: الرازي، حيث قال: "لقد تأمّلت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[1]، "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ"[2]، وأقرأ في النفي: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"[3]، "وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا"[4][5]، وقال أبو المعالي الجويني: " يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به"[6]، وقال عند موته: " لقد خضتُ البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن؛ فإن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموتُ على عقيدة أمي- أو قال: على عقيدة

١- سورة طه، آية ٥.

٢- سورة فاطر، الآية: ١٠.

٣- سورة الشورى، الآية: ١١.

٤- سورة طه، آية ١١٠.

٥- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ص ٣٠٧، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ط١٤١٥/٣ هـ.

٦- المرجع السابق، ص ٣٠٧.

عجائز نيسابور- ، ومن يصل إلى مثل هذه الحالة، إن لم يتداركه الله برحمته، وإلا تزندق"[1].

أما أصحاب المنهج السلفي فتجد أنهم ثابتون على الحق يوم أن عرفوه والتزموا به إلى أن لقوا ربهم، وما أخبار أئمتهم في كل زمان ومكان عنا ببعيد.

كذلك اتفق أئمة أصحاب المنهج السلفي على أن طريقة السلف الصالح هي الأعلم والأسلم والأحكم، لا كما يدّعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في ردّ هذه الفرية: "وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"[2].

المطلب الخامس:

الوسطية والاعتدال

إن مما يمتاز به الإسلام أنه وسط في عقيدته، وشريعته، وعباداته، وسائر أنظمته بين الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط.

وأغلب الفرق والتيارات تدور في منهجها ودعوتها بين الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط، ولما كان من خصائص الدين أنه وسط كان جديرًا بالبقاء

١- المرجع السابق، ص ٣٠٧- ٣٠٨.

٢- الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د/ أحمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢/ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

والاستمرار على مر الأزمان، والسبب أن الناس لا تستقيم لهم حياة في ظل نظم تتسم بالتفريط أو المغالاة والتشدد.

ومن رحمة الله بخلقه أنه جعل الشريعة تتفق وتتلاءم مع قدرة العباد، فلم تأتِ بتكليف الخلق بما لا يطيقون، قال- تعالى- : "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ "(١)، "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"(٢)، والإسلام دين الله، دعا إلى الوسطية والاعتدال في العقيدة والشريعة والعبادة والسلوك والأخلاق، ومدح الله عباد الرحمن بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"(٣)، فامتدحهم الله لأنهم اعتدلوا، وكانوا وسطًا في الإنفاق، فلم يسرفوا ويبذروا في الإنفاق؛ ولم يبخلوا ويشحوا ويقتروا، ولكن كانوا وسطًا.

والمتأمل في النصوص الشرعية يجد كثرة النصوص التي تدل على أن منهج الإسلام وسط في كل شيء، في التصور والاعتقاد والتعبد والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، وقد فهم السلف هذا، فعاشوا في دنيا الناس بهذا الفهم، ودعوا إليه.

فمما تميز به المنهج السلفي أنه وسط، وأضرب ثلاثة أمثلة فقط في العقائد تدل على وسطيتهم؛ لأن المقام لا يتسع للتفصيل في كل الجوانب:

- توسط منهجهم بين المرجئة الذين غلّبوا نصوص الوعد، فحملوا العباد على التواكل، وترك العمل، وبين الوعيدية الذين غلّبوا جانب

١- سورة الحج، جزء الآية: ٧٨.

٢- سورة البقرة، جزء الآية: ١٨٥.

٣- سورة الفرقان، آية: ٦٧.

التخويف والترهيب، وأهملوا نصوص الرجاء، فحملوا العبد على اليأس والقنوط، ورحم الله ابن تيمية حين قال: "فإن الفقيه كل الفقيه لا ييئس الناسَ من رحمة الله، ولا يجرئهم على معاصي الله، واستحلال المحرمات كفر واليأس من رحمة الله كفر"[1].

- توسّط منهجهم بين المرجئة الذين قالوا بأنّ مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، وبين الوعيدية الذين حكموا بكفر مرتكب الكبيرة، وخلوده في النار[2].

- توسّط منهجهم بين أهل التعطيل الذين عطّلوا أسماء الله وصفاته، وبين أهل التمثيل الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : "ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات، ونفى مماثلة المخلوقات"[3].

فوسطية المنهج السلفي أنتجت شخصية إسلامية متزنة في شمول فهمها واعتدال منهجها، وسلامة سلوكها من الإفراط والتفريط، ومن الشطط في أي جانب من جوانب الدين.

المطلب السادس:

التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، واتباع النبي- ﷺ -، والالتزام بهديه، وتطبيق سنته في واقع حياتهم:

١- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٢/١٩٠)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢- انظر: عقيدة أصحاب الحديث، ص ٧١.

٣- مجموع الفتاوى، (٥/١٩٦).

إن مما يمتاز به المنهج السلفي، وينفرد به عن غيره: أن أصحابه كانوا مثالًا فريدًا في التمسك بالكتاب والسنة، ومتابعة الرسول- ﷺ - ، والسير على هداه، فاتبعوا سنة النبي- ﷺ - ، واقتفوا أثره، والمتتبع لأصحاب هذا المنهج يجد هذا الأمر واضحًا.

وقد أعلن كبار أصحاب هذا المنهج وفقهاء أئمتهم أنهم متبعون لهدي النبي- ﷺ - ، وليسوا مبتدعين، فهذا الصديق- رضي الله عنه- يقول: "إن الله اصطفى محمدًا على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع"[١]، وقال: "أيها الناس، إنما أنا متبع ولست بمبتدع"[٢]، وقال: " لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- يَعْمَلُ بِهِ إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ"[٣]، وقال- أيضا- : "والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله- ﷺ- يصنعه فيه إلا صنعته"[٤].

وقال الفاروق- رضي الله عنه- : "ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر"[٥]، وقال: "إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط

---

١ - تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، (٢/٢٤٤- ٢٤٥)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، (٣/١٨٢- ١٨٣)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى/ ١٩٦٨م. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، رقم ١٤٠٧٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

٣ - رواه البخاري في صحيحه، ك فرض الخمس، باب قول النبي- ﷺ- : "لا نورث، ما تركنا صدقة"، رقم (٣٠٩٣)، ومسلم في صحيحه، ك الجهاد والسير، باب قول النبي- ﷺ - : "لا نورث، ما تركنا فهو صدقة"، رقم (١٧٥٩).

٤ - رواه البخاري في صحيحه، ك فرائض، باب قول النبي- ﷺ - : "لا نورث، ما تركنا صدقة"، رقم (٣٠٩٣)، ومسلم في صحيحه، ك الجهاد والسير، باب قول النبي- ﷺ- : "لا نورث، ما تركنا فهو صدقة"، رقم (١٧٥٩).

٥ - خطب الفاروق عمر بن الخطاب، محمد عبده، ص ٥٨. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

حظه، ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنة، وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النهج[١]؛ ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة، أصاب أمره، وظفر بحظه، وذلك بأن الله- ﷻ- يقول: "وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"[٢][٣]، وقال- رضي الله عنه- : "لوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلمكم إلا بالعمل"[٤].

وقال عثمان- رضي الله عنه- : " ألا وإني متبع، ولست بمبتدع"[٥]، وقال علي- رضي الله عنه- : "وعهد إليَّ رسول الله- ﷺ- عهدا، فلست أحيد عنه"[٦]، وقال- أيضًا- : "ما كنت لأدع سنة النبي- ﷺ- لقول أحد"[٧]، وقال- أيضا- : "ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم"[٨]، وقال- أيضا- : "كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله- ﷺ- حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني"[٩].

---

١ - طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ. لسان العرب (٢ / ٣٨٣). والمراد الطريق البين الواضح.

٢ - سورة الكهف: جزء من آية ٤٩.

٣ - تاريخ الطبري (٢/٤٣٥).

٤ - تاريخ الطبري (٢/٤٣٥).

٥ - تاريخ الطبري (٢/٦٩٣).

٦ - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، (١/٣٥٣)، المكتبة العلمية، بيروت.

٧ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي (٥/١٤٧)، حققه علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

٨ - البداية والنهاية (٧/٣٩٢)، كنز العمال، رقم ٣٦٣٩٩، الشفا للقاضي عياض (٢/٥٥٦).

٩ - البداية والنهاية، (١٠/٢٧٧).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- في رسالته للشيخ السويدي أحد كبار علماء العراق، قال: "إنّي- والحمد لله- مُتّبع، ولستُ بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"[1].

فلقد تميز أصحاب المنهج السلفي وانفردوا عن غيرهم بتسليمهم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، واتباع النبي- ﷺ- ، والالتزام بهديه، وتطبيق سنته في واقع حياتهم، فساروا على هداه، واتبعوا سنته، واقتفوا أثره، وضربوا أروع الأمثلة التي سجلها لهم التاريخ، وتكتب بماء من ذهب في التمسك بالكتاب والسنة ومتابعة الرسول- ﷺ- .

المطلب السابع:

الاهتمام بالعلم تعلمًا وتعليمًا، وعملًا به، ودعوة إليه، وبذل الجهد في نشره.

من خصائص المنهج السلفي: أن أصحابه يولون اهتمامًا بتعلم العلم وتعليمه والعمل به، والدعوة إليه، ونشره بين الناس.

وقد أعلن أصحاب هذا المنهج ذلك قولًا، وطبقوه في واقع حياتهم عملًا، ولن يتسع المقام لاستقصاء نماذج من تاريخ الكثير من أعلام هذا المنهج، لكن سأكتفي بضرب أمثلة من كبار أصحاب هذا المنهج.

١- انظر مؤلفات الشيخ، القسم الخامس الرسائل الشخصية، ص٣٦، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط/ ١٣٩٨هـ.

فالمتأمل في تاريخ كبار أصحاب هذا المنهج يجد أنهم قد حثوا أتباعهم على الاجتهاد في طلب العلم، وكانوا لهم قدوة عملية، فكانوا أول الممتثلين لهذا الأمر.

فهذا الصديق- رضي الله عنه- يحث الرعية على تعلم العلم، وتعليمه ونشره بين الناس، فيقول: "تعلموا العلم، وعلموه الناس"[١]،. وهذا الفاروق- رضي الله عنه- ينصح الرعية بتعلم القرآن بتدبر آياته، والتخلق بأخلاقه، وإتباع الأوامر، والابتعاد عن الزواجر، فيقول: "يا معشر المسلمين! تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، وتعلموا القرآن تعرفوا به، واعملوا بما فيه تكونوا من أهله، فإنه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يطاع في معصية الله"[٢]، وقال: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، وليتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، ولا يقوم علمكم مع جهلكم"[٣].

وقد حث أتباعه على سؤال أهل العلم إذا لم يعلموا؛ فقال رضي الله عنه: " من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله تعالى جعلني له خازنا

---

١ - كنز العمال، رقم ٢٨٨٦٤، وعزاه إلى: آدم بن أبي إياس في العلم، والدينوري في المجالسة، وابن منده في غرائب شعبة، والآجري في أخلاق حملة القرآن، وابن عبد البر في العلم.

٢ - الشيخان أبو بكر وعمر صـ ٢٥٠. كنز العمال، رقم ٤٤١٨٧.

٣ - الزهد لابن حنبل (١/ ١٢٠).

وقاسما"[1]. وقد كان الفاروق قادرًا على توجيه الرعية توجيها مفيدا وتعليمهم ما يجب عليهم، فبعد أن تعلم وعمل وعى ووجه.

ومما يدل على اهتمام الفاروق بتعلم العلم والحرص عليه قوله: "وما أصبحت نادما على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ عنه إلا وقد سألته"[2].

وهذا علي رضي الله عنه كان يحث على العلم والعمل به وكان هو قدوة لهم في ذلك، فقد قال: " تعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما مضلل مثبور"[3]. وقال رضي الله عنه: "تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم"[4].

---

١ - سنن البيهقي الكبرى، ك الفرائض، باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة في علم الفرائض، (٦/٢١٠) رقم ١١٩٦٩.

٢ - كنز العمال، رقم ١٤١٨٤، وعزاه إلى: أبو حسين بن بشران في فوائده، وأبو أحمد الدهقان في الثاني من حديثه، واللالكائي.

٣ - البداية والنهاية (٧/٣٤١).

٤ - البداية والنهاية (٨/٧).

وقد حَصَّل علي ﷺ علمًا كثيرًا في القرآن وعلومه فقال عن نفسه: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا طلقا سؤولا"[١]، وكان علي ﷺ يرى أن العالم لا يسمى عالما حتى يعمل بعلمه، لذلك كان يخاطب حملة العلم قائلا: "يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلاَنِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حِلَقاً فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ أُولَئِكَ لاَ تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ"[٢].

وكان ﷺ يحرص على بذل العلم لصحابته، وكان يقول لأصحابه: "ألا رجل يسأل فينتفع وينتفع جلساؤه"[٣]. "سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم جبل"[٤].

هذه أقوال كبار أصحاب أئمة السلف يظهر منها اهتمامهم بالعلم والتعليم، والعمل بالعلم، وبذل الجهد في نشره.

---

١ - الطبقات الكبرى (٢/٣٣٨).

٢ - سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، (١/١١٨) رقم ٣٨٢، دار الكتاب العربي بيروت، ط الأولى، تحقيق فواز أحمد، خالد السبع.

٣ - مصنف ابن أبي شيبه (٥/٣١٢) رقم ٢٦٤١٩.

٤ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي (٢/٣٧٥)، دار الكتب العلمية.

المطلب الثامن:

بين النظرية والتطبيق

إن كان أصحاب المنهج السلفي قد أصلوا هذه الأصول السابقة نظريًا فإنهم طبقوها في واقع حياتهم عمليًا، ولن يتسع المقام للتفصيل في كل العناصر التي سبقت، لكن سأكتفي بالكلام عن عنصرين فقط يتبين لنا منهما ما ذكرت.

أولا: اتباع النبي ﷺ وتطبيق سنته في واقع حياتهم

إن كان أصحاب هذا المنهج قد أعلنوا اتباعهم لرسول الله ﷺ قولا فإنهم طبقوا ذلك في واقع حياتهم عملًا، ولن يتسع المقام لاستقصاء نماذج من تاريخ أعلام هذا المنهج، لكن سأكتفي بضرب أمثلة من كبار أئمة أصحاب هذا المنهج.

فهذا صديق هذه الأمة يتبع النبي ﷺ في كل شيء، وسأضرب مثالا من حياته العملية على ذلك، وهو إنفاذه جيش أسامة بن زيد امتثالًا لأمر النبي ﷺ رغم معارضة كثير من الصحابة لذلك، ويتبين من فعل الصديق رضي الله عنه أنه متمسك بأوامر رسول الله ﷺ عاضٌّ عليها بالنوجذ، وقد ألزم نفسه بذلك، واتضح هذا من خلال هذه الموقف مرات عدة:

- لما طلب المسلمون إيقاف جيش أسامة نظرًا لتغير الأحوال وتدهورها أجاب بمقولة خالدة: " والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني

لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته"[١].

- لما استأذن أسامة في الرجوع بجيشه من الجرف إلى المدينة خوفًا على الصديق وأهل المدن لم يأذن له، بل أبدى عزمه وتصميمه على تنفيذ قضاء النبي ﷺ بقوله: "لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ"[٢].

- عندما طُلِبَ تعيين رجل أقدم سنًا من أسامة أبدى غضبه الشديد على عمر بسبب جرأته على نقل هذا الاقتراح، وقال له: "ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه"[٣].

- اهتمام أبي بكر بإتباع النبي ﷺ في خروجه لتشييع الجيش ومشيه مع أسامة الذي كان راكبا، ولقد كان أبو بكر مقتديًا بالنبي ﷺ حين بعث معاذ ابن جبل إلى اليمن، "فلما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري، فبكى معاذ جشعًا[٤] لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا"[٥]. وقد فعل

---

١ - تاريخ الطبري (٢/٢٤٥)، البداية والنهاية (٦/٣٣٦).

٢ - تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦).

٣ - تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦).

٤ - أي: فزعا، والجشع: الجزع لفراق الإلف. النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٠٤).

٥ - رواه أحمد في مسنده (٥/٢٣٥) رقم ٢٢١٠٥. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أبو بكر بأسامة مع صغر سنه كما فعل النبي ﷺ مع معاذ، فقد شيع أبو بكر أسامة ماشيا وأسامة راكبًا اقتداء بما فعله رسول الله ﷺ مع معاذ.

- ظهرت عناية أبي بكر رضي الله عنه بالاقتداء بالرسول الكريم ﷺ في قيامه بتوصية الجيش عند توديعهم، حيث كان رسول الله ﷺ يوصي الجيوش عند توديعهم. ومعظم ما جاء في وصية أبي بكر لجيش أسامة كان مقتبسًا من وصايا النبي ﷺ للجيوش.

أما الفاروق رضي الله عنه فقد كان يتبع خطا الحبيب ﷺ ويضرب لنا أروع الأمثلة في اتباع السنة والاقتداء برسول الله ﷺ، فقد ثبت أنه "جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك"[1].

وعن عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا[2]. أي: "لا عامدا ولا مختارا"[3]. وعَنْ عَاتِكَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَأْذِنُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَسْكُتُ، فَتَقُولُ:

---

١ - رواه البخاري في صحيحه، ك الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم في صحيحه، ك الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم في صحيحه، ك الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٦٤٧).

٣ - فتح الباري (١١/٥٣٢).

وَاللَّهِ لَأَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ تَمْنَعَنِي فَلَا يَمْنَعُهَا[١]. وفي رواية أنها: كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قالت: يمنعه قول رسول الله ﷺ "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[٢]. فرغم أن غيرة الفاروق على أهله شديدة إلا أنه أبى أن يخالف أمر رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان لا يغير شيبته في الإسلام فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا تغير؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة وما أنا بمغير شيبتي"[٣].

وأما عثمان رضي الله عنه فكان مثل صاحبيه في الاتباع لقول رسول الله ﷺ يسير على دربه ويهتدي بهديه، وصل اتباعه للنبي ﷺ أنه كان يروي أحاديث النبي ﷺ كُلاًّ في مجلسه ومناسبته، ومن أمثلة ذلك:

---

١ - رواه مالك في الموطأ (٢/٢٧٧) رقم (٦٧٦).

٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، رقم (٩٠٠)، ومسلم في صحيحه، ك الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد رقم (٤٤٢).

٣ - كنز العمال (٦/٦٨٩) رقم ١٧٤٢٤. وعزاه إلى: أبي نعيم في المعرفة، ورواه الطبراني في الكبير، (١/٦٧)، رقم الحدبث (٥٨). المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة الزهراء، الموصل، ط/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. وصحح الألباني الجزء الأول من الحديث وهو قول النبي ﷺ: "من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة". انظر حديث رقم: (٦٣٠٧) في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة، برقم (٢٦٨١).

عن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ﵁ أن عثمان: دعا بماء فتوضأ ومضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا، وذراعيه ثلاثا ثلاثا، ومسح برأسه وظهر قدميه ثم ضحك، فقال لأصحابه: ألا تسألونني عما أضحكني؟ فقالوا: مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بماء قريبًا من هذه البقعة فتوضأ كما توضأت ثم ضحك، فقال: ألا تسألوني ما أضحكني؟ فقالوا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: إن العبد إذا دعا بوضوء فغسل وجهه حط الله عنه كل خطيئة أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإن مسح برأسه كان كذلك، وإذا طهر قدميه كان كذلك[1]. "ودعا عثمان رضي الله عنه بماء وهو على المقاعد، فسكب على يمينه فغسلها، ثم أدخل يمينه في الإناء فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاث مرار، ومضمض واستنشق واستنثر، وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرار، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه"[2]. وهذا يتضح منه تقليد عثمان للنبي ﷺ في الوضوء، وفعله كما كان يفعل.

وروي أن عثمان رضي الله عنه اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه، فلقيه فقال له: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبنتني فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومني، قال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم. قال: فاختر بين

---

١ - رواه أحمد في مسنده (١/٥٨) رقم ٤١٥. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

٢ - رواه أحمد في مسنده (١/٥٩) رقم ٤١٨. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أرضك ومالك. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "أدخل الله عز وجل الجنة رجلًا كان سهلًا مشتريًا وبائعًا، وقاضيًا ومقتضيًا"[١]. فهذا من أروع الأمثلة في السماحة في البيع والشراء، وفعل عثمان رضي الله عنه متابعة لقول النبي ﷺ فهذا هو الدافع له من حسن المعاملة، ويدل على ما جبل عليه عثمان من الكرم وعدم التعلق بالدنيا فهو يستعبد الدنيا لخدمة مكارم الأخلاق التي أهمها الإيثار، ولا تستعبده الدنيا فتجعله أنانيًا يؤثر مصالحه الخاصة وإن أضر بالناس، والأمثلة على متابعة عثمان للنبي ﷺ كثيرة.

أما عن رابع الخلفاء الراشدين فقد كان رضي الله عنه من أحرص الناس على تطبيق كلام رسول الله ﷺ فهو القائل: "كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه "[٢]. وكيف يكون الانتفاع بأحاديث رسول الله ﷺ إلا بتطبيقها والعمل بمضمونها.

لقد كان رضي الله عنه من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ﷺ حتى في أصعب الظروف، حيث علم رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة دعاء ما قبل النوم بقوله: «أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ». قَالَ عَلِىٌّ: مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ، قِيلَ لَهُ وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينِ[٣]. وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

١ - رواه أحمد في مسنده (١/٥٨) رقم ٤١٠. وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

٢ - رواه أحمد في مسنده (١/٨) رقم ٤٧. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٣ - رواه مسلم في صحيحه، ك الذكر والدعاء والتوبة، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم (٢٧٢٧).

شرب قائمًا فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون أن أشرب قائما فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قائمًا، وأن أشرب قاعدًا فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قاعدًا[1]. لقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه شديد الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ، وحياته العملية خير شاهد على ذلك.

ومن خلال ما سبق يتضح أنه من أهم خصائص منهج السلف الصالح متابعة رسول الله ﷺ والسير على هداه، فقد كانوا مثالًا فريدًا في اتباعهم لسنة النبي ﷺ واقتفائهم أثره، ولقد اتضح هذا الأمر من خلال أقوالهم وسيرتهم العملية.

ثانيًا: حرصهم على العلم والعمل به والدعوة إليه.

أعلن أصحاب هذا المنهج اهتمامهم بالعلم تعلمًا وتعليمًا ودعوة إليه قولًا وطبقوا ذلك في واقع حياتهم عملًا، وليس شيءٌ أدلَّ على ذلك من نبوغ كثير منهم في هذا الميدان، من أمثال الخلفاء وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة، ومالك بن أنس، وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد بن حنبل، والزهري والأعمش رحمهم الله، وغيرهم كثير.

ولن يتسع المقام لاستقصاء نماذج من تاريخ الكثير من أعلام هذا المنهج لكن سأكتفي بضرب أمثلة من كبار أئمة هذا المنهج.

إذا تأملنا في سيرتهم العملية وجدنا أنهم كانوا يحرصون على ذلك فالدارس لحياة الصديق الخليفة الأول لرسول الله ﷺ يجد أنه قد حرص على

---

١ - رواه أحمد في مسنده (١/١٠١) رقم ٧٩٥. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

تعلم العلم والعمل به والدعوة إليه ، وقد لازم النبي ﷺ حضرًا وسفرًا يتعلم منه العلم ، ولم يفارق النبي ﷺ حتى توفاه الله حتى صار من أعلم الصحابة.

وقد اهتم الصديق بتعلم العلم فحفظ القرآن الكريم وفهم معانيه ، فقد كان يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه ، قال النووي رحمه الله : "الصديق أحد الذين حفظوا القرآن كله"[١]. وتقديم النبي ﷺ له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وهو دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم ، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال : « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا ، وَلاَ تَؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ وَلاَ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلاَ تَجْلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَكَ أَوْ بِإِذْنِهِ"[٢].

وكان الصديق أعلم الصحابة بالسنة[٣] ، فكان كلما رجع إليه الصحابة في غير موضع بَرَّزَ عليهم بنقل سنة عن النبي ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها وليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة

---

١ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، (١/٢٤٥).

٢ - رواه مسلم في صحيحه ، ك المساجد ومواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم (٦٧٣).

٣ - وربما يتبادر إلى الذهن سؤال : إن كان الصديق من أعلم الصحابة فلماذا لم يروا عنه أحاديث كثيرة كغيره من الصحابة الذين اشتهروا في نقل الحديث؟ والجواب هو : "إنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي ﷺ ، وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدا ، ولم يترك الناقلون عنه حديثا إلا نقلوه ، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته ، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم". الصواعق المحرقة (١/٤٨).

النبي ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة حتى صار أعلم الصحابة وأفقههم لمراد رسول الله ﷺ، ثم بعد أن تعلم العلم عمل به، هذا الخلق الحميد تحلى به الصديق، وقد حرص على تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ، واجتهد في العمل بالعلم، فقد كان سباقًا للخيرات حريصًا عليها، حريصا على العمل بما علم. فقد قال النبي ﷺ ذات يوم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١]. وروي أنه: "ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق ﷺ فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه. فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ فقال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئا"[٢]، والروايات في هذا الباب كثيرة، يتضح منها أن الصديق كان عاملا بعلمه. ورحم الله الشيخ محمود شاكر حين قال: "وعلى الرغم من قصر مدة خلافة الصديق إذ لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، إلا أنها كانت مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها، ولترسيخ معاني الإسلام في قلوب أبنائه إلا أن تطبيقه العملي وإصراره على ما اعتقد. كل ذلك كان يدل على وعي تام بالإسلام وعزيمة ثابتة راسخة كالجبال بالإيمان، وهذه الأمور هي التي

١ - رواه مسلم في صحيحه، ك فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، رقم (١٢٠٨).

٢ - رواه أحمد في مسنده (١/ ١١) رقم ٦٥، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن المؤمل ضعيف.

رسخت الدعائم وأثبتت المفاهيم، وكان بعيد النظر في الأمور كلها، واسع الأفق"[١].

أما الفاروق فقد كان مثل صاحبه يحرص على تعلم العلم من رسول الله ﷺ ليكون على بصيرة بأمر دينه، وحتى يحصل الفاروق العلم من النبي ﷺ أكثر من ملازمته وأكثر من سؤاله وأتقن ذلك.

وقد ضرب الفاروق مثالًا رائعًا في حرصه على طلب العلم والهمة العالية في تحصيله، فقد قال: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[٢].

وقد أصبح الفاروق في مقدمة الفقهاء من الصحابة، وقد أفرد العلماء فقه الفاروق بالتأليف والجمع[٣]. وأفرد بعضهم أوليات الفاروق، أي: ما انفرد به الفاروق دون غيره بناءً على علمه وفهمه. ولقد أصبح الفاروق فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة. وقد شهدت الأمة للفاروق بغزارة العلم وبأنه فقيه

---

١ - التاريخ الإسلامي، محمود شاكر (٦١/٣).

٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، رقم (٨٩).

٣ - منهم: د/ رويعي بن راجح في مؤلفه فقه عمر بن الخطاب، إصدار معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

من فقهاء الأمة في الصدر الأول. وقد تتبع الفاروق رعيته بالتوجيه والتعليم، وأنشأ في المدينة دارا لتعليم العلم وتخريج الدعاة والولاة والقضاة[١].

وقد كان عثمان رضي الله عنه مثل صاحبيه يهتم بتعليم العلم والعمل به ونشره، وكان صاحب قدرة عالية على التوجيه والتعليم. وقد لازم أمير المؤمنين عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم منه العلم حتى كان من كبار علماء الصحابة وفقهائهم. ومما يدل على ذلك ما تركه من اجتهادات فقهية في المجال القضائي، والمالي، والجهادي، فقد ترك الخليفة الراشد أحكاما فقهية في مجال القصاص، والجنايات، والحدود، والتعزير، والعبادات، والمعاملات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على علم عثمان. وقد أُفرد بعض فقه عثمان بالتأليف والجمع[٢]. ذكر فيه ما تركه الخليفة الراشد من أحكام فقهية في جميع المجالات وهي تدل على سعة إطلاعه وغزارة علمه وعمق فهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

وإن كان الخليفة عثمان رضي الله عنه حريصا على تعلم العلم حتى صار من فقهاء الصحابة فإنه كان حريصا على العمل به، يستجيب لأمر الله وأمر رسوله ويسير وفق منهج الله عز وجل. فقد قال عن نفسه: "أما بعد: فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به،

---

١ - من أراد الاستزادة في معرفة الدار التي أنشأها الفاروق في المدينة ونشاط هذه الدار فليراجع في ذلك: المدينة المنورة فجر الإسلام (٢/٤٥ وما بعدها). والمدينة المنورة فجر الإسلام والعصر الراشد (٢/٤٧ وما بعدها).

٢ - ممن أفرد فقه عثمان بالتأليف: د/ محمد رواس قلعجي، في مؤلفه: موسوعة فقه عثمان، دار النفائس، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

وهاجرت الهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل"[1].

وقد كان علي رضي الله عنه يحرص على تعلم العلم والعمل به وتعليمه. فكان يحرص على الاجتهاد في تحصيل العلم والتحري في قبوله وبذل السؤال في طلبه. ومما يدل على ذلك قوله: "ما دخل نوم عيني ولا غمض رأسي على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل من حلال أو سنة أو كتاب أو أمر أو نهي، وفيمن نزل"[2]. وقال أيضا: "لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أو حلفت ألا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن"[3].

وقد كان من أحرص الناس على تطبيق ما يسمعه من رسول الله ﷺ حيث يقول كما مر: "كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني"[4]. والانتفاع لا يكون إلا بتطبيق ما علم والعمل بمضمونها.

ومما يدل على عمل علي رضي الله عنه بما عمل أنه في أصعب المواقف طبق ما تعلمه من رسول الله ﷺ، حيث علمه النبي ﷺ هو وفاطمة زوجة علي وبنت النبي ﷺ دعاء ما قبل النوم.

١- رواه البخاري في صحيحه، ك فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان، رقم (٣٦٩٦).

٢- مسند الإمام زيد بن علي، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، صـ ٣٤٣، دار الكتب العلمية، ط الثانية/١٤٠٣هـ.

٣ - حلية الأولياء (١/٦٧)، الطبقات الكبرى (٢/٣٣٨).

٤ - رواه أحمد في مسنده (١/٢) رقم ٢. والترمذي في سننه، ك الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، (٢/٢٥٧) رقم ٤٠٦، وأبو داود في سننه، ك الصلاة، باب في الاستغفار، (١/٤٧٥) رقم ١٥٢١. وقال الترمذي حديث حسن.

وأحب أن أختم بحثي هذا بقول الدارمي رحمه الله : "فإن كنتم من المؤمنين، وعلى منهاج أسلافهم، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدى في سبيله، وارضوا بهذه الآثار إمامًا كما رضي بها القوم لأنفسهم إمامًا، فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار على ما ترون، فمن لم يقبلها فإنه يريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين وقال الله تعالى، "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"[١][٢]، وقول ابن أبي حاتم رحمه الله : "فكانوا - أي : الصحابة والتابعين- عدول الأمة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم، فقال : "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"[٣][٤].

---

١ - سورة النساء، آية : ١١٥.

٢ - الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، ص ١٢٦- ١٢٧، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر دار ابن الأثير، الكويت، ط٢/ ١٩٩٥م.

٣ - سورة النساء، آية : ١١٥.

٤ - الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ١٢٧١ هـ- ١٩٥٢م.

النتائج

لعل من المتأكد أن أختم هذا البحث بإيراد النتائج التي تم التوصل إليها من خلاله، ثم أتبعها بذكر جملة من التوصيات، أما النتائج فأذكرها على النحو التالي:

١- السلفيون: هم أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية.

٢- لفظ السلفية، يطلق على ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ومن يقتدون بهم في طريقتهم.

٣- المراد بالسلفيين جميع الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

٤- منهج السلفية هو منهج الإسلام الصحيح الذي هو دين الله.

٥- حفظ الله الدين فقيض له من يحمل همه ويدافع عنه ويبين محاسنه، وهم أصحاب المنهج السلفي.

٦- تميز أصحاب المنهج السلفي بخصائص ومميزات جعلتهم في الصدارة.

٧- أصحاب المنهج السلفي متفقون على أصول العقائد لا اختلاف بينهم في ذلك.

٨- يمتاز أصحاب المنهج السلفي باهتمامهم بمعرفة الدليل والتثبت منه وفهم النص.

٩- أصحاب المنهج السلفي وسط في فهم الدين بين الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط.

١٠ - ركز أئمة السلفية في كل زمان ومكان على الدعوة إلى التوحيد وبيان ما يناقضه بكل الوسائل والأساليب المشروعة.

١١ - أصحاب المنهج السلفي ثابتون على الحق لا يتقلبون ولا يحيدون عن منهجهم.

١٢ - اتفق أئمة أصحاب المنهج السلفي أن طريقة السلف الصالح هي الأعلم والأسلم والأحكم.

١٣ - أصحاب المنهج السلفي كانوا مثالًا فريدًا في التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، والتمسك بهما، ومتابعة الرسول ﷺ والسير على هداه.

١٤ - من خصائص المنهج السلفي أن أصحابه يولون اهتمامًا بتعلم العلم وتعليمه والعمل به، والدعوة إليه ونشره بين الناس.

١٥ – أصل أصحاب المنهج السلفي أصولًا نظرية وطبقوها في واقع حياتهم عمليًا.

التوصيات

١- أوصى جميع العاملين في مجال الدعوة بالدعوة إلى أصول المنهج السلفي بمفهومه الصحيح بكل الوسائل المتاحة والأساليب المشروعة، مع الحرص على التمسك به.

٢- أوصي قادة الأمة الإسلامية بتطبيق المنهج السلفي، ففيه سعادة العالم أجمع، وحل لجميع مشاكله.

٣- أوصي جميع المسلمين بالتمسك بالمنهج السلفي، وحث من تحت سلطانهم بذلك.

٤- أوصي جميع المسلمين ونفسي بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتمسك بهما والعض عليهما بالنواجذ، وجعلهما المرجع الأول والأخير في كل شؤون الحياة.

أهم المصادر

Č- أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، تحقيق : د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١٩٩٦/١م.

č- أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، علي بن سلطان محمد القاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١/ ١٩٩٣م.

Ď- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، (١٩٠/٢)، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

ď- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣/ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

Đ- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢/ ١٣٦٩هـ.

đ- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، حققه علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

Ē- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري أبي جعفر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ

ē- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله النمري، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط١/ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

Ě- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ١٢٧١ هـ- ١٩٥٢م.

Čċ- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

ČČ- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، ط الرابعة/ ١٤٠٥هـ.

Čč- خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة ، د/ أحمد عبد الهادي شاهين ، ط الأولى/ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

ČĎ- خطب الفاروق عمر بن الخطاب ، محمد عبده ، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

Čď- الرد على الجهمية ، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر دار ابن الأثير، الكويت ، ط٢/ ١٩٩٥م.

ČĐ- زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط/١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

Čđ- سنن أبي داود ، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي بيروت.

ČĒ- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، هبة الله ابن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق : د/ أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢هـ.

Čē- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

ČĚ- شرح العقيدة الواسطية ، ويليه ملحق الواسطية ، محمد بن خليل حسن هرّاس ، تحقيق : علوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الخبر ، ط٣/١٤١٥هـ.

čċ- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان أبي حاتم التميمي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ١٩٩٣م.

čČ- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، ابن حجر الهيتمي ، دار الكتب العلمية.

čč- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط الأولى/ ١٩٦٨م.

čĎ- الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

24- الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: د/ أحمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢/ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

25- فتوح الشام، أبو عبد الله بن عمر الواقدي، الناشر: دار الجيل، بيروت.

26- فقه عمر بن الخطاب، د/ محمد رواس قلعجي، إصدار معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

27- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

28- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيرون، ط الأولى.

29- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

30- مؤلفات الشيخ، القسم الخامس الرسائل الشخصية ص٣٦ طبع جامعة الإمام، ١٣٩٨هـ.

31- مختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د/ محمد بلتاجي، د/ سيد حجاب، الناشر: مطابع الرياض.

32- المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد حسن شراب، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط الأولى/ ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

33- مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

34- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

35- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ط الأولى/١٩٦٠م.

36- موسوعة فقه عثمان، د/ محمد رواس قلعجي، دار النفائس، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

37- الموطأ، مالك بن أنس، تحيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

Ďē- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى/ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل

المقدمة لندوة

السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الثالث


بسم الله الرحمن الرحيم



بحوث المحور الثاني



أثر اتباع منهج السلف في تحقيق الأمن

إعداد

د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين بالرياض

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - صلى الله علية وسلم- .

أما بعد :

فإن الله تعالى تكفل بحفظ دينه ونصرة عباده المؤمنين وأوليائه المتقين كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات : ١٧٣]، وقال تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩]، وأخبر النبي صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يزال في أمته طائفة منصورة على الحق ظاهرين إلى قيام الساعة ، وهم أهل السنة والجماعة المتبعون للنبي - صلى الله علية وسلم- وأصحابه وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ... ﴾ [التوبة : ١٠٠]، وقال تعالى في وصفهم بعد ما أثنى على المهاجرين والأنصار في سورة (الحشر) بقوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا .... ﴾ [الحشر : ١٠]، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

ومن هنا جاءت أهمية الحديث عن منهج السلف الصالح وتذكير الأمة الإسلامية به في وقت اشتدت فيه الفتن وكثرت وتنوعت ، وحصل اضطراب في الأمن في بعض البلدان ، وصار الأمن يطلب من غير معدنه ومصدره ،

فالأمة الإسلامية لا يتحقق لها الأمن ولا تحصّل الكرامة والسعادة والنجاة إلا بلزوم منهج السلف الصالح والتمسك بالعقيدة الصافية من الشرك والبدع .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١. الحاجة الماسة بل الضرورة إلى إحياء منهج السلف الصالح والتمسك به.
٢. كثرة الفتن التي حصل بسببها انعدام الأمن أو ضعفه في كثير من بلدان المسلمين.
٣. أن اتباع منهج السلف من أعظم أسباب تحقيق الأمن.
٤. الحاجة إلى بيان أوجه آثار تحقيق منهج السلف للأمن في الأرض.

هدف الموضوع :

بيان الركائز التي يعتمد عليها منهج السلف والآثار المترتبة عليها في تحقيق الأمن.

خطة البحث :

مقدمة وتشمل :

تمهيد ، ومبحثين وخاتمة .

المبحث الأول : ركائز ثابتة في منهج السلف يتحقق بها الأمن.

المبحث الثاني : الآثار الحميدة التي تنتج عن الالتزام بمنهج السلف في تحقيق الأمن.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج.

المنهج المتبع فيه :

- جمع أهم الركائز والأصول التي يعتمد عليها منهج السلف الصالح من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.
- بيان الآثار المترتبة على التزام منهج السلف في تحقيق الأمن.
- عزو الآيات وتخريج الأحاديث وعزو النقول.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكتابة ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأسأله تعالى أن يديم علينا نعمته ويرزقنا شكرها والمحافظة عليها.

تمهيد

وفيه :

التعريف بمفردات العنوان : (منهج ، السلف ، الأمن).

أهمية الأمن وحاجة الناس إليه.

أولاً : المراد بمنهج السلف :

المراد بالسلف هم : صحابة رسول الله - صلى الله علية وسلم- وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله علية وسلم- بالخير في قوله : « **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** »[(١)] رواه البخاري ومسلم ، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف ، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة

قال النبي - صلى الله علية وسلم- لابنته فاطمة رضي الله عنها : « **فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ** »[(٢)] ، قال النووي : «السلف المتقدم ، ومعناه : أنا متقدم قدامك فستردين عليّ».

وفي «صحيح البخاري» : «باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل ، وقال راشد بن سعد : كان «السلف» يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر».

قال الحافظ ابن حجر : «أي : مِن الصحابة ومن بعدهم»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٣) «فتح الباري» : (٦/٦٦).

وقال البخاري: «باب ما كان «السلف» يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره»[1].

وقال أيضاً: «قال الزهري في عظام الموتى - نحو الفيل وغيره- : «أدركت ناساً من «سلف» العلماء يمتشطون بها، ويدّهنون بها ولا يرون بأساً»[2].

وأخرج مسلم من طريق محمد بن عبدالله قال سمعت علي بن شقيق سمعت عبدالله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: «دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب «السلف»»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه: «ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم»[4].

وقال: «شعار أهل البدع: هو ترك انتحال السلف الصالح»[5].

---

(١) «فتح الباري»: (٥٥٢/٩).

(٢) «فتح الباري» (٣٤٢/١).

(٣) «مقدمة صحيح مسلم» (١٦/١).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٤٩/٤).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٥٥/٤).

وفي «فتـاوى اللجنـة الدائمـة للإفتـاء» في المملكـة العربيـة الـسعودية (٢٤٢/٢): «السؤال الثاني من الفتوى رقم: (١٣٦١) :

س٢: ما هي السلفية وما رأيكم فيها؟

ج٢: السلفية: نسبة إلى السلف، والسلف: هم صحابة رسول الله - صلى الله علية وسلم- وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله علية وسلم- بالخير في قوله: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[1]... والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة، وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو ... عضو ... نائب رئيس اللجنة ... الرئيس.

عبدالله بن قعود ... عبدالله بن غديان ... عبدالرزاق عفيفي ... عبدالعزيز بن عبدالله بن باز»[2].

---

(١)رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) «مجموع فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء» في المملكة العربية السعودية (٢٤٢/٢).

وفي «فتاوى اللجنة» أيضًا:

«فالسلفية: لقب صالح تعني أنهم على طريق السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم - رضي الله عن الجميع - فهو لقب يتميزون به عن أهل البدعة ممن غير وبدل وحرف»[1].

المراد بالأمن:

يقول ابن فارس: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق..»[2].

والأمن: ضد الخوف.

وقال في «القاموس»: «الأمْنُ والآمِن: كصاحب، ضِدّ الخوف، أَمِنَ كفرح أمناً وأماناً بفتحهما وأمناً وأَمَنَةً محرَّكتين، وإِمناً بالكسر، فهو أَمِنٌ وأمينٌ كفرح وأمير، ورجلٌ أُمَنَةٌ كهمزة ويُحَرَّك يأمنه كُلّ أحد في كُلِّ شيء»[3].

فالأمن: «الطمأنينة وعدم الخوف، والثِّقة وعدم الخيانة».

ويشمل هذا اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على حياة طيبة ومطمئنة على أنفسهم وأموالهم ودينهم وعرضهم ونسلهم وحقوقهم.

---

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢٨ /٤٠٧).

(٢) «مقاييس اللغة» (١/ ١٣٣).

(٣) «القاموس المحيط» (١/ ١١٧٦).

المبحث الأول: ركائز ثابتة في منهج السلف يتحقق بها الأمن:

إن الناظر في منهج السلف الصالح وطريقتهم في العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق والمعاملات وغيرها يجد فيه الثبات على الكتاب والسنة والتمسك بهما، ويجد كذلك الأخوة والمحبة والاتفاق بين أهلها في أمور الدين، وذلك أن هذا الدين جاء بقواعد عظيمة وركائز ثابتة لا تتبدل ولا تتغير فمن لزمها فقد لزم الحق والصراط المستقيم، وهنا أسوق هذه الركائز مبينا أدلتها وما تيسر من كلام أهل العلم عليها وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والسداد.

الركيزة الأولى: إخلاص العبادة لله تعالى:

وهذا أول الواجبات وأعظم أصول الدين على الإطلاق، وهو دعوة جميع الرسل عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ - ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ١٦٢ — ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وفي «الصحيح»[١] عنه - صلى الله علية وسلم- أنه قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»، وقال - صلى الله علية

(١) مسلم (١٩٩).

وسلم- : «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله علية وسلم- قال: قال الله تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢).

وبإخلاص العبادة لله تنتظم أمور الدين الأخرى بل وأمور الدنيا وبتركها أو الإخلال بها تختل أمور الدين، قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ... ﴾ [النور: ٥٥].

وبها يتحقق الأمن والاهتداء كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ...﴾ [الأنعام: ٨٢].

بل هي الغاية التي لأجلها خلق الله الخليقة وبرأ البرية ولأجلها قامت السموات والأرض، وأنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وشرعت الشرائع، وقامت الحدود، وشرع الجهاد، وانقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وفي إخلاص العبادة لرب العالمين تتحقق الموالاة والمعاداة، وبهذا الإخلاص سعد مَنْ عرفه وقام بحقه، وبه شقي مَنْ جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق والأمر به وإليه ولأجله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]،

(١) رواه البخاري (٩٩)، و(٦٥٧٠).

(٢) مسلم (٢٩٨٥).

وقـــال تعـــالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومما يتبع هذا أن العبادة لا بد من تحقيق ركنين عظيمين فيها لأنه لا يُقبل لأحد شيئا من الأعمال إلا بالقيام بهذين الركنين: الإخلاص والمتابعة؛ فالإخلاص: أن يكون لله ؛ والمتابعة : أن يكون متبعًا لأمر رسوله ، قال - صلى الله علية وسلم- : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1] ، وقال: «**من أحدث شيئا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2] ، وما خرج أحد عن طريقته إلا سلك أحد طريقين، إما جفاء وإعراض، وإمَّا غلو وإفراط وهذه مصائد الشيطان التي يصطاد بها بني آدم.

والرسول - صلى الله علية وسلم- جعله الله إمامًا للناس، وقد أنزل الله عليه السنة موافقة للقرآن مبينة له؛ فما وافق هديه فهو الصراط المستقيم وما خالفه فهو البدعة وكل بدعة ضلالة إذ لا طريق إلى الحق إلا من طريقه، قال عمر بن عبدالعزيز : «لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله - صلى الله علية وسلم- »[3].

وقال الإمام الشافعي : «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله - صلى الله علية وسلم- لم يحل له أن يدعها لقول أحد»[4].

---

(١) مسلم (١٧١٨).

(٢) أخرج البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها- ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**».

(٣) أخرجه ابن نصر المروزي في «السنة» برقم: (٩٥)، «طبقات ابن سعد» (٧/١٨٤).

(٤) «إعلام الموقعين» (٢/٢٨٢).

وقال الإمام أحمد: «من رد حديث النبي - صلى الله علية وسلم- فهو على شفا هلكة»[1].

الركيزة الثانية: الاعتصام بحبل الله تعالى وهو القرآن والسنة، كما قال تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...** ﴾[آل عمران: ١٠٣].

وهذا يتضمن التمسك بنصوص الوحيين والثبات على ذلك.

وقوله: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾؛ أي: بعهد الله...، وقيل: ﴿ **بِحَبْلِ ٱللَّهِ** ﴾؛ يعني: القرآن، ... قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- «**كتاب الله، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**»[2].

قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : « **إِنَّ هَذَا الْقُرآنَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِيْنُ، وَهُو النُّورُ الْمُبِينُ، وَهُو الشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ** »[3].

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: «ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١٥/٢).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٨٨)، وانظر: «صحيح مسلم» (٢٤٠٨)، و«السلسلة الصحيحة» (٤ / ٣٥٦- ٣٥٧).

(٣) رواه الدارمي (٣٣٥٨)، وعبدالرزاق (٦٠١٧)، وغيرهما، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٨٤٢).

يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ... ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضًا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي - صلى الله علية وسلم- فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض»[(١)].

الركيزة الثالثة: لزوم الجماعة والسمع والطاعة، وهذا من الأصول الكبار التي يعتمد عليها منهج السلف الصالح:

فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله - صلى الله علية وسلم- قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»[(٢)].

وهذه الركائز الثلاث تنتظم بها مصالح الدين والدنيا.

والشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب يقول في كتاب «مسائل الجاهلية» بعد ما ذكر هذه المسائل: «وهذه المسائل الثّلاث هي التي جمع بينها فيما صحّ عنه

---

(١) «تفسير السعدي» ص: (١٤١)، ط: الرسالة.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٢)، وأحمد (٨٧١٨)، وغيرهم، وهو عند مسلم (١٧١٥) دون قوله: «**وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ**».

في «الصّحيح» أنَّه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ» ولم يقع خلل في دين النّاس ودنياهم إلا بسبب الإخلال في هذه الثّلاث أو بعضها»[1].

وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك وغيره أن رسول الله - صلى الله علية وسلم- قال: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ، إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[2].

ويدخل في هذا السمع والطاعة ولزوم الجماعة، والثبات على البيعة الشرعية، وأداء النصيحة لمن ولاه الله أمر المسلمين، والدعاء له بالصلاح والمعافاة.

قال - صلى الله علية وسلم- : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» - قالها ثلاثًا- قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[3].

ويدخل في هذا اعتقاد ثبوت الإمامة والبيعة لمن بايعه أهل الحل والعقد أو وُلِّي ولاية العهد أو تغلّب فاستتب له الأمر، لقوله - صلى الله علية

---

(١) «مسائل الجاهلية» (ص: ٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٣٠)، والطيالسي (٦١٦)، وأحمد (٢١٥٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٠)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٥٠).

(٣) مسلم (٥٥).

وسلم- : «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»[1].

يقول الإمام أحمد: «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين»[2].

ومما يدخل في هذه الركيزة من منهج السلف الصالح: اعتقاد تحريم الخروج على من ولي أمر المسلمين ولو حصل منه جور أو فسق أو ظلم.

عملا بالأحاديث الواردة في هذا الباب فقد أخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- قال: «بايعنا رسول الله - صلى الله علية وسلم- على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ»[3].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله - صلى الله علية وسلم- يقول: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٤٥٥).

(٢) «اللالكائي» (١/ ١٦٠).

(٣) البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[١].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا: من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله علية وسلم- قال: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قالوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»[٢].

وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٣].

وأخرج مسلم من حديث ابن عمر - رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله - صلى الله علية وسلم- يقول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »[٤].

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ »[٥].

---

(١) مسلم (١٨٥٥).

(٢) مسلم (١٨٥٤).

(٣) البخاري (٧٠٥٤) و(٧١٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) مسلم (١٨٥١).

(٥) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

وعن أنس أن رسول الله - صلى الله علية وسلم- قال: « **اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ** » رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: «**أَوْصَانِيْ خَلِيْلِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيْعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مَجْدُوْعَ الْأَطْرَافِ**» رواه مسلم[2].

وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله - صلى الله علية وسلم- يخطب في حجة الوداع يقول: «**ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا**» رواه مسلم[3]، وفي لفظ: «**عبدًا حبشيًا مجدوعًا**».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : « **كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**أَوْفُوا بَيْعَةَ الْأَوَّلِ وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ** » أخرجاه[4].

وعن ابن عباس - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : « **مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** » أخرجاه[5].

وروى مسلم أيضًا عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد، فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس

---

(١) برقم: (٧١٤٢).

(٢) برقم: (٦٤٨) و(١٨٦٧).

(٣) برقم: (١٢٩٨).

(٤) البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٥) البخاري (٧٠٥٤) و(٧١٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٩).

مجتمعون عليه، فأتيتهم، فجلست إليه، فقال: «كنا مع رسول الله - صلى الله علية وسلم- في سفر، فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله - صلى الله علية وسلم- ، فقال: « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»[1].

والأحاديث في هذا كثيرة.

ويستثنى من ذلك ما إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- أنه كفر بواح؛ أي: ظاهر، وذلك في شروط وقيود قررها أهل العلم منها القدرة وأمن الضرر والمفسدة على المسلمين، وتوفر البديل الصالح الذي تجتمع به الكلمة.

وهم مع ذلك يعتقدون أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى.

وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة ومنها حديث ابن عمر - رضي الله عنه- وقد تقدم أن رسول الله - صلى الله علية وسلم-

(١) مسلم (١٨٤٤).

قال: « السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ »[1].

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله علية وسلم- أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ »[2].

الركيزة الرابعة: اتباع السلف الصالح في تفسير النصوص: وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان خصوصاً أهل القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم رسول الله - صلى الله علية وسلم- بقوله: عن عمران بن حصين - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[3].

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي - صلى الله علية وسلم- قال: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ »[4].

وقال عبدالله بن مسعود: «من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبًا،

---

(١) تقدم تخريجه في الحاشية: (٣١).

(٢) البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).

(٣) البخاري (٣٦٥٠).

(٤) تقدم تخريجه، انظر الحاشية: (٧).

وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم؛ فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[1]، وقال أيضًا: قال عبدالله بن مسعود: «إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمدًا - صلى الله علية وسلم- فبعثه إلى خلقه فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار الله له أصحابًا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه - صلى الله علية وسلم- فما رآه المؤمنون حسنًا فهو حسن وما رآه المؤمنون قبيحًا فهو عند الله قبيح»[2].

و قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨]: «أصحاب محمد - صلى الله علية وسلم- كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن»[3].

والمقصود أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان قد خصهم الله تعالى بالفهم الراسخ للكتاب والسنة فإن الله تعالى حباهم بتوقد الأذهان، وسعة العلم، وحسن القصد، وقلة التكلف، وقرب العهد بالنبي - صلى الله علية وسلم- .

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١١٦١)، و(١٩٨٤)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، وانظر: «مشكاة المصابيح» (١٩٣).

(٢) رواه أحمد (٣٦٠٠)، والطيالسي في «مسنده» (٢٤٣)، والبزار (١٧٠٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٠٢)، وغيرهم، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٥٢٩).

(٣) ينظر: «تفسير البغوي» (٥١٨/٢).

وليس معنى هذا أنهم يعتقدون العصمة فيهم بل يعتقدون أن إجماعهم حجة إذا أجمعوا على أمر من أمور الدين فالعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة، لا يجتمعون على ضلالة، وإذا تنازعوا في شيء رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، والواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله - صلى الله علية وسلم- ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال أهل العلم: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى السنة بعد وفاته، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠].

الركيزة الخامسة: التسليم لنصوص الشرع، وعدم معارضتها برأي أو قياس عقلي، والتحاكم في جليل الأمور ودقيقها إلى الشرع المطهر.

وهذا من الركائز العظيمة التي يعتمد عليها منهج السلف الصالح، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

قال الإمام أحمد بن حنبل: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] الآية، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة إلا الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه، فيهلكه، وجعل

يتلـو هـذه الآيـة : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٥].

قال الشيخ الشنقيطي : «فنفى الإيمان حتى يوجد تحكيمه وحده، وهو تحكيمه في حال حياته وتحكيم سنته فقط بعد وفاته»[١].

وقال الشيخ عبدالعزيز ابن باز : «التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله»[٢].

الركيزة السادسة : رد المتشابه إلى المحكم والجمع بين النصوص والأخذ بها فالسلف الصالح يعتقدون أن النصوص يفسر بعضها بعضًا، والقاعدة عند أهل العلم : أن «المتشابه يرد إلى المحكم».

ولا يتعلق بالنصوص المتشابهة إلا أهل الزيغ كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران : ٧]، وثبت في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « **فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ** »[٣]، وأما أهل الحق فإنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويفسرونه به.

قال الشيخ صالح الفوزان : «فقاعدة أهل السنة والجماعة : أنهم يردون المتشابه إلى المحكم، فيفسرون بعض النصوص ببعض، لأنها كلها كلام الله أو كلام رسوله - صلى الله علية وسلم- .

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٤ /٢٠١).

(٢) «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه»، ضمن «مجموع فتاوى الشيخ» (١/٧٥) .

(٣) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

وأما أهل الزيغ فإنهم يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [آل عمران: ٧]؛ فيردون المتشابه إلى المحكم، ويفسرون كلام الله بكلام الله أو بكلام رسوله - صلى الله علية وسلم- ، وژ ۇ ۋ ۋژ يعني: المحكم والمتشابه، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ ؛ فيفسرون بعضه ببعض، فلا يأخذون المتشابه فقط ويتركون المحكم»[١].

الركيزة السابعة: محاربة البدع والمحدثات في الدين وتحذير الناس منها فالبدع سبب الهلاك والخسارة، ومنهج السلف يتضمن التمسك بالسنن والتحذير من البدع عملا بقول النبي - صلى الله علية وسلم- : «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**»[٢]، وقوله - صلى الله علية وسلم- : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[٣]، وقوله - صلى الله علية وسلم- : « **مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** »[٤] وغير

---

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠)، وابن ماجه (٤٢)، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٤٥٥)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٣) تقدم تخريجه، انظر الحاشية: (١٥).

(٤) رواه أحمد (٦٤٧٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢). انظر: «السلسلة الصحيحة» (٢١٣٠).

ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على خطر البدع وتحريمها ووجوب الحذر والتحذير منها.

قال أبو العالية: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم - صلى الله علية وسلم- والذي عليه أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»[1].

وعن عاصم الأحول قال: «جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه فقلت: لا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض! فقال: «يا أحول أَوَ لا تدري أن الرجل إذا ابتدع فينبغي أن يذكر حتى يُحذَرَ»[2].

وقال أبو شامة المقدسي: «وقد حذر النبي وأصحابه — فمن بعدهم — أهل زمانهم من البدع ومحدثات الأمور وأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محذور، وجاء في كتاب الله من الأمر بالاتباع بما لا يرتفع معه الترك، ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[3].

الركيزة الثامنة: من ركائز المنهج السلفي: الوسطية في كل أبواب الدين؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﮊ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

(١) «مصنف عبدالرزاق» (١ / ١٢٨).

(٢) «ميزان الاعتدال» للإمام الذهبي (٢٧٣/٣).

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٧١.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الزخرف: ٤٣]. ودعوة الإسلام الخالصة هي الوسطية، وليس المراد بالوسطية المعاني المحرفة والمبدلة للشريعة.

ومن الوسطية مفارقة منهج السلف للمناهج المبتدعة من الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والمتصوفة وغيرهم.

والوسطية يتحقق فيها سلوك المنهج الحق والاعتدال في جميع الأمور، ويخرج بها المسلم بل والمجتمع من سلوك مسالك العنف والغلو أو مسالك التساهل والتلاعب بالحقوق والواجبات سواء منها ما كان لله تعالى أو لعباده.

وقد نهى النبي - صلى الله علية وسلم- عن الغلو حتى في الدين، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس أن النبي - صلى الله علية وسلم- قال: « **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ** »[١].

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب أن رسول اللّه - صلى الله علية وسلم- قال: « **لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ** »[٢].

وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول اللّه - صلى الله علية وسلم- قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[٣]. قالها ثلاثًا، والمتنطعون: هم المتشددون المتجاوزون للحدود.

---

(١) رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣).

(٢) البخاري (٣٤٤٥).

(٣) مسلم (٢٦٧٠).

ومن تحقيق الوسطية توسطهم في باب الأسماء والأحكام وتحرزهم في باب التكفير عملا بالنصوص الشرعية، ومجانبتهم لطريقة المرجئة الجهمية وطريقة الخوارج والمعتزلة.

الركيزة التاسعة: من ركائز منهج السلف الصالح: ضبط التعامل مع الآخرين بالضوابط الشرعية المشتملة على إعمال قاعدة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفر والشرك وأعداء الدين، والتعامل بمقتضى النصوص الشرعية مع المخالفين.

فقد عقد الله تعالى الأخوة بين أهل الإسلام وجعلهم أمة واحدة مجتمعة متراحمة.

يقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [التوبة: ٧١]؛ أي: يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في «الصحيح»: « **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** »[١] وشبك بين أصابعه، وفي «الصحيح» أيضًا: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٢].

وحرم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

وهكذا الأمر في ما يتعلق بالمعاهدين والمستأمنين :

عنْ أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه- : عنْ النبيِّ - صلى الله علية وسلم- قالَ: «**ألاَ مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهِدَة لهُ ذمَّةُ الله وذمّة رَسُولِهِ فَقَدْ خْفَرَ**

---

(١) البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٩٦).

(٢) البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

بِذِمَّةِ الله فَلاَ يرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ، وإنَّ رِيحَهَا ليوجَدُ مِنْ مَسِيرةِ سَبْعِينَ خَرِيفاً» رواه الترمذي ، وقال : «حسن صحيح»[1].

عن الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ - رضي الله عنه- ، قال : «نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله علية وسلم- خَيْبَرَ وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِدًا مُنْكَرًا فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله علية وسلم- فقالَ : يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا؟ فَغَضِبَ يَعْنِي النَّبِيُّ - صلى الله علية وسلم- وَقَالَ : **«يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ ثُمَّ نَادِ أَلاَ إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَ لِمُؤْمِنٍ وَأَنِ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاَةِ»**. قالَ : فَاجْتَمِعُوا ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ النَّبِيُّ - صلى الله علية وسلم- ثُمَّ قَامَ فَقَالَ : **«أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنَّ أَنَّ الله لَمْ يُحَرِّمَ شَيْئاً إِلاَّ مَا فِي هذا الْقُرْآنِ أَلاَ وَإِنِّي وَالله قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عن أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ. وَأَنَّ الله تَعَالَى لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ بِإِذْنٍ وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ وَلاَ أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوكُمْ الَّذِي عَلَيْهِمْ»** رواه أبو داود[2].

وهذا الحديث يتضمن عددًا من مسائل العلم وفوائده ومنها ما يتعلق بالتعامل مع غير المسلمين.

---

(١) «سنن الترمذي» (١٤٠٣).

(٢) برقم : (٣٠٥٠).

عـنْ أبـي هُرَيْـرَةَ - رضـي الله عنـه- : عـنْ الـنبيِّ - صـلى الله عليـة وسلم- قالَ: «**ألاَ مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهِدَة لهُ ذمَّةُ الله وذمّة رَسُولِهِ فَقَدْ خْفَرَ بِذِمَّةِ الله فَلاَ يرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَهَا ليوجَدُ مِنْ مَسِيرةِ سَبْعِينَ خَرِيفاً**»[١].

قال المباركفوري: «قال القاضي يريد بالمعاهدة من كان له مع المسلمين عهد شرعي سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «وجدت في قائم سيف رسول الله - صلى الله علية وسلم- كتابين: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عُتُوّاً مَنْ ضَرَبَ غَيْرَ ضَارِبِهِ، ورَجلٌ قَتَلَ غيْرَ قَاتِلِهِ، ورَجُلٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَهْلِ نِعْمَتِهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ كفَرَ بِالله ورَسُولِهِ، لا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفاً ولا عَدْلاً، وفِي الأجْرِ الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وأَمْوَالُهُمْ، ويَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، لا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ، ولا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، ولا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ، ولا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا ولا عَلَى خَالَتِهَا، ولا صَلاةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، ولا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلاَثَ لَيالٍ مَعَ غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ**»[٣].

قال أهل العلم في معنى قوله - صلى الله علية وسلم- : «**وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ**»؛ يعني أنه إذا أَمَّنَ المسلم حربياً كان أمانه أماناً من جميع

(١) رواه الترمذي (١٤٠٣)، وقال: «وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- ». وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٣٥٦).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٤/ ٣١٣).

(٣) رواه أبو يعلى (٤٧٥٧)، والدارقطني (٣/ ١٣١)، والبيهقي في «سننه» (٨/ ٢٦)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤٩)، ووافقه الذهبي.

المسلمين ولو كان ذلك المسلم امرأة بشرط أن يكون مكلفاً فيحرم النكث من أحدهم بعد أمانه.

عن أبي مرة مولى عقيل عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: «أتاني يوم الفتح حموان لي فأجرتهما فجاء عليّ يريد قتلهما فأتيت رسول الله - صلى الله علية وسلم- وهو في قبته بالأبطح بأعلى مكة فلم أجده ووجدت فاطمة فَلَهِيَ كانت أشد عليَّ من عليٍّ فقالت: تؤوين الكفار وتجيرينهم وتفعلين وتفعلين فلم ألبث أن جاء رسول الله - صلى الله علية وسلم- وعلى وجهه رهجة الغبار فقال: «**يَا فَاطِمَةُ اسْكُبِي لِي غُسْلًا**» فسكبت له غسلاً في جفنة لكأني أنظر إلى أثر العجين فيها ثم سترت عليه بثوب فاغتسل ثم صلى في ثوب واحد مخالفاً بين طرفيه ثمان ركعات ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها فلما انصرف قلت يا رسول الله إني أجرت حموين لي وإن ابن أمي عليّ أراد قتلهما فقال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : «**لَيْسَ ذَلِكَ لَهُ إِنَّا قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ**»[1].

الركيزة العاشرة: من ركائز المنهج السلفي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطريقة الشرعية .

وهو من شعائر الدين العظيمة وواجبات الإسلام ومقومات بقاء الخير في الأمة كما قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿**لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟**

(١) البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).

﴿وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩]، وقال النبي - صلى الله علية وسلم- « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ، وَالْمُدَّهِنِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ، فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدَعُكُمْ تَصْعَدُونَ، فَتُؤْذُونَنَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: فَإِنَّنَا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا، فَنَسْتَقِي» قَالَ: «فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَمَنَعُوهُمْ، نَجَوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا »[1]، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: «يَا هَذَا اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ»، «ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ ...﴾ [المائدة: ٧٨- ٨١]، ثـم قـال: « كَلَّـا وَاللهِ، لَتَـأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أو ليَضْربنَّ اللهُ بقُلوب بعضكم بعضًا،

(١) البخاري (٢٤٩٣).

ثـم لَيَلْعنَنَّكُم كمـا لَعَنهم »[1]. معنى تـأطرونهم: أي تحملونهم على الحـق. وتقصروهم: أي تحبسونهم عليه.

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله علية وسلم- يَقُولُ: « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغيرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ »[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند السلف الصالح إنما هو بحسب ما توجبه الشريعة فهم يتقيدون بالضوابط الشرعية والقواعد المرعية فيجانبون فريقين من أهل الباطل، والفريق الأول: هم الغلاة من الخوارج والمعتزلة وأمثالهم فإنهم جعلوا بعض الذنوب موجبة للخروج على الحكام، وسلوا بسبب ذلك السيف على الأمة المحمدية وأراقوا بسبب ذلك الدماء وضيعوا الحقوق والواجبات وانتهكوا الحرمات.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٢/١٧٥)، وابن ماجه (٤٠٠٦)، والبيهقي (٢٠١٩٦- كبرى)، وغيرهما، وإسناده ضعيف لضعف المؤمل بن إسماعيل فهو سيء الحفظ كما في «التقريب» (٧٠٢٩)، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١١٠٥).

(٢) رواه أحمد (١)، أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وغيرهما، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد نحو هذا الحديث مرفوعًا» مختصرًا. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٦٤).

والفريق الثاني : من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعرض عنه ولم يقم له بالاً ، ويدخل في ذلك طوائف من المتصوفة ومن المنحلين عن الدين والمنافقين الكارهين لشعائر الدين وغيرهم.

المبحث الثاني

الآثار الحميدة التي تنتج عن الالتزام بمنهج السلف في تحقيق الأمن

أولاً : سلامة المعتقد:

اجتماع القلوب على الحق بسبب التوحيد وصفاء العقيدة وذلك أن التمسك بمنهج السلف يجعل العبد على التوحيد الخالص فيوالي من يحبه الله ورسوله ويعادي من يبغضه الله ورسوله، وينتج عن ذلك الأخوة الإيمانية الصادقة والمحبة الثابتة والرابطة الإسلامية التي هي أقوى الروابط وأعظمها، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ... ﴾ [التوبة: ٧١].

ويذكرني هذا بالحوار الذي دار بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود - رحمة الله- حيث قال الشيخ محمد: «وأنا أُبشرك بالعز والتمكين، وهذه الكلمة - لا إله إلا الله- مَن تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأوَّل ما دعت إليه الرُّسل مِن أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجدًا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك». عند ذلك قال الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبدالوهاب:

«يا شيخ. إنّ هذا دين الله ورسوله، الذي لاشك فيه، وأبشر بالنُّصْرة لك ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد»[1].

---

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر (١/ ١٢).

والحمد لله على نعمته فالتاريخ شاهد على تحقق الخير والأمن والطمأنينة والعزة والنصرة لمن تمسك بهذا الدين على منهج السلف الصالح.

ومن أقوال الملك عبدالعزيز أمام المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه، وعقد أولى جلساته يوم الاثنين ٢٦ ذي الحجة ١٣٤٤هـ: «أيها الإخوان: إني لا أريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا، ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول، عهد السعادة والقوة، عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، لا شيء يجمع القلوب ويوحدها سوى جعل أهوائها تبعاً لما جاء به الرسول- صلى الله علية وسلم- ».

وقال: «إننا لا نُكْرِه أحدًا على اعتناق مذهب معين، أو السير في طريق معين في الدين ... ولكن لا أقبل بحالٍ من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة، لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته، ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء..»[1].

ثانيًا: ومن الآثار الحميدة أن أحوال الناس تنتظم وتصلح إذا حكم بينهم بالشريعة فتطمئن لها النفوس وتسلم وتنشرح لها الصدور وهذا من أعظم أسباب تحقيق الأمن، فتسكن الدهماء ويرضى الناس بحكم الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا**

(١) كتاب «الملك الراشد» لعبد المنعم الغلامي، ص: (٤٧- ٤٩).

﴿ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ ﴾ [النور: ٥٥]، يقول الإمام ابن كثير عند هذه الآية: «هذا وعد من الله تعالى لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه- بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم»[١].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، فيكونوا هم الخلفاء فيها المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، وارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها، ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم...»، إلى أن قال: «ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلابد أن يوجد ما وعدهم الله»[٢].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٠/٢٦٣).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٧٣- الرسالة).

ويقول الشيخ عبدالعزيز ابن باز : «ذلك أن العبد إذا علم أن الحكم الصادر في قضية يخاصم فيها هو حكم الله الخالق العليم الخبير، قبل ورضي وسلم، وحتى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد، بخلاف ما إذا علم أن الحكم صادر من أناس بشر مثله، لهم أهواؤهم وشهواتهم، فإنه لا يرضى ويستمر في المطالبة والمخاصمة، ولذلك لا ينقطع النزاع، ويدوم الخلاف، وإن الله تعالى إذ يوجب على العباد التحاكم إلى وحيه، رحمة بهم وإحسانًا إليهم»[1].

ثالثا: من الآثار الحميدة للزوم منهج السلف إقامة الحدود والعقوبات الشرعية.

وإن لإقامة الحدود والتعزيرات الشرعية الأثر البالغ في نفوس الناس وفي تحقيق الأمن، كما قال تعالى ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ [البقرة: ١٧٩]، وعن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله علية وسلم- قال: «**حد يقام في الأرض، خير للناس من أن يمطروا ثلاثين، أو أربعين - صباحًا**».رواه الإمام أحمد[2].

والسلف الصالح يعتقدون أن تنفيذ الحدود وإقامتها من اختصاص ولاة الأمور.

---

(١) «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه» ضمن «مجموع فتاوى الشيخ» (١/٧٨). وللشيخ رسالة بعنوان: «في ظل الشريعة يتحقق الأمن والحياة الكريمة للمسلمين» ضمن «مجموع فتاوى الشيخ» (٢/٢٥٨).

(٢) في «المسند» برقم: (٨٧٣٨)، والنسائي (٤٩٠٤)، وابن ماجه (٢٥٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٩٧)، وفي إسناده جرير بن يزيد، وحسنه المنذري والعراقي، وله شواهد، وحسنه الألباني كما في «الصحيحة» (٢٣١)، و«التعليقات الحسان» (٤٣٩٨).

أخرج ابن زنجويه في «كتاب الأموال»: عن مسلم بن يسار، عن أبي عبدالله رجل من أصحاب النبي - صلى الله علية وسلم- ، قال مسلم: كان ابن عمر يأمرنا أن نأخذ عنه، قال: هو عالم فخذوا عنه، فسمعته يقول: «الزكاة والحدود والفيء والجمعة إلى السلطان»، ثم قال: «أرأيتم لو أخذتم لصوصًا، أكان لكم أن تقطعوا بعضهم وتدعوا بعضهم؟»، قال: قلنا: لا، قال: «أفرأيتم لو رفعتموهم إليهم، فقطعوا بعضهم وتركوا بعضهم، أكان عليكم منهم شيء؟»، قال: قلنا: لا، أما نحن فقد قضينا ما علينا، قال: «فهكذا تجري الأمور».

وأخرج بسنده عن عبدالله بن محيريز قال: «الحدود والفيء والجمعة والزكاة إلى السلطان».

وروى أيضاً عن الحسن البصري قال: أنه ضمن هؤلاء أربعًا : الجمعة والصدقة والحدود والحكم»[1].

قال الإمام أحمد: «إقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم».

وحكى الإجماع على ذلك جمع من أهل العلم.

وهذا من أسباب حماية المجتمع من الفوضى في تطبيق الحدود بالافتيات على ولاة الأمور.

رابعًا: ومن الآثار الحميدة للزوم منهج السلف الصالح في الجزيرة العربية: انتظام أمر الجماعة بالسمع والطاعة وانتظام مصالح الناس ومعايشهم.

---

(١) «كتاب الأموال» لابن زنجويه (١١٥٢/٣).

وهذه أحوال أهل الجزيرة العربية من نحو ثلاثمائة عام صلحت واستقامت ولله الحمد والمنة، وقد وقفت على نقول مهمة في كتاب «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وهو أحد العلماء القضاة والمؤرخين، لما تكلم عن أوضاع الجزيرة وما ارتفعت به من الأمن والأمان، وانقطعت العادات المشتملة على الظلم والثأر وأمور الجاهلية فيقول: «وقد انقطعت هذه العادة في هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لأن هذا الملك - حفظه الله- قمع الظالم وأعطى كل ذي حق حقه، وقدم الشرع ...»، وقال أيضًا: «فأما في عهد جلالة الملك عبدالعزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعها، فلا يحتاج أحد إلى (خوي)، ولا إلى (إخاوة)، ولا إلى (جار)، ولا إلى (عاني)، ولا إلى عِلْقه»، جميع تلك العوائد انقطعت، وكلها من الله تعالى، ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف؛ فإنه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر...»، ثم ذكر قصة وقعت في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله- ، وقعت في أوائل القرن الثالث عشر تتضمن أن بعض الأعراب في وادي العقيق يتساجلون في أبيات شعرية وفيها بعض المحذور فخاف بعض الحاضرين من ولي الأمر أن يعاقبهم، ويقول الشيخ ابن بليهد: «لا شك أن هذا دليل الأمان، فقد خاف الشاعر – وهو على ماء عشيرة – من إمام في الدرعية، ولكنه أمان معتدل، وأما أمان عهدنا الزاهر فلم أر مثله، ولم أقرأ عن نظيره في جميع ما قرأت في صفحات التاريخ ... فجميع الأقطار لا يوجد فيها قاطع طريق، وكان اللص يبقى الشهر في قمم

الجبال خشية أن يُرى أثره إذا نزل فيُؤخذ فيُقذف في السجن، فإذا احتاج إلى طعام بعث امرأته، والحمد لله الذي أحيانا حتى رأينا هذه الحال»[1].

وقد وصف الشيخ عثمان بن سند البصري الفيلكاوي - الذي عاصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب- حالة الأمن في المناطق التي كان يحكمها آل سعود إذ ذاك بأنهم - أي آل سعود- قد أمنوا البلاد التي ملكوها، وصار كلُّ ما كان تحت حكمهم، حتى البراري والقِفار، يسلكها الرجل وحده على حماره بلا خفر، وخصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم البعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان، أو أولاد رجل واحد، وهذا بسبب تأديبهم للقاتل والنّاهب والسارق، إلى أن انعدم هذا الشر في زمان ابن سعود».

هذه شهادة من رجل يعد من خصوم آل سعود، فهو من أعوان الدولة العثمانية، وله صلات قوية بولاة بغداد العثمانيين، ولا يمكن اعتباره — بأية- حال- ذا صلة بآل سعود، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقول كلمة الحق، وأن يؤرخ للأمن في شبه الجزيرة العربية، في سياق أحد مؤلفاته، ليثني على ما تحقق منه على أيدي أمراء آل سعود في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة[2].

---

(١)انظر كتاب «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد (٢/١١٠- ١٣٢).

(٢) انظر: «مطالع السعود في أخبار الوالي داوود» اختصار الحلواني (ص: ٨٠)، وكتاب: «الأمن الذي نعيشه» لحسين عبدالحي قزاز (١/٢٥).

والـذي يعـرف أحـوال الجزيـرة العربيـة يـدرك مـدى قيمـة هـذا الكـلام لأن الخـوف كـان شـديدًا، الفوضـى والسلب والنهـب والقتـل يقـع بـين القبائـل في البادية وبـين القـرى في الحاضـرة، وكـانوا يتحـاكمون إلى العـرف، والسـوالف الباطلة، وليس هناك سلطة قويـة تسيطر علـى الأمـور وتـردع الظـالم وتنـصر المظلوم.

وكانت الطرق محفوفة بالمخاطر مـن قطـاع الطـرق والحرامية واللـصوص، والحج لا يكاد يأمن فيه الحاج إلا بعد دفع المبالغ الطائلة والحراسات الشديدة.

فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمـد لله الـذي بـدلنا بعـد الخـوف أمنًا، وبعد الذل تمكينًا، ونسأل الله تعالى أن يتم علينا النعمـة ويرزقنـا شـكرها ويعيذنا من أسباب زوالها.

وما يتأتى هذا الخير والأمن إلا بفضل الله تعالى أولًا ولكـون هـذه الـدعوة دعوة سلفية صحيحة؛ دعوة إلى مـا كـان عليـه رسـول الله - صلى الله علية وسـلم- وأصـحابه؛ فهـي حمايـة للـدين، ورعايـة لـه، وهـذا مـن أعظـم مقومات الأمن ولله الحمد أولًا وآخرًا.

فهـذه الـبلاد نـشرت مـذهب الـسلف الـصالح، وأبانـت معـالم التوحيـد، ورفرفت بفضل الله تعالى فيها أعلام السنة النبوية وظهر إحياء السنن، وعرف الناس الإسلام الخالص من الشركيات والبدع والخرافات.

خامساً: من الآثار الحميدة للالتزام بمنهج السلف الـصالح التعامـل الحـسن مع الآخرين.

ويتضمن هذا حفظ العهد والوفاء به واحترام المواثيق والوفاء بالعقود، فيعلم العالم أجمع أن أهل الإسلام أشد الناس وفاء بالعهد وأعظمهم قيامًا بالمواثيق والعهود والمصالحات.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا..﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ..﴾ [الرعد: ٢١].

سادساً: من الآثار الحميدة التأدب بآداب الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الرفق والحلم والصبر والعلم، وكذلك بمراعاة قاعدة المصالح والمفاسد يحصل للمجتمع المسلم الخير ويكثر ويندفع الشر ويقِلّ.

قال ابن القيم: «إن النبي - صلى الله علية وسلم- شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وان كان الله يبغضه ويمقت أهله وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر وقد استأذن الصحابة رسول الله - صلى الله علية وسلم- في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن

وقتها وقالوا أفلا نقاتلهم فقال: «**لا ما أقاموا الصلاة**» وقال: «**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدًا من طاعته**» ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه».

ثم قال: «فقد كان رسول الله - صلى الله علية وسلم- يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه»[1].

سابعًا: من الآثار الحميدة للزوم منهج السلف تحقق الطمأنينة في المجتمع بوحدة الكلمة وترابط أفراد المجتمع والشعور بالعلاقة الطيبة بين الحاكم والمحكوم وذلك أنه من منهج السلف الدعاء لولاة الأمور بالصلاح والإعانة والتوفيق ومحبة الخير لهم، ومن منهج السلف تحريم الخروج على ولاة الأمور ولو جاروا خلافًا لطريقة الخوارج والمعتزلة كما تقدم، ومما يعد عند العلماء قريبًا من الخروج ما يُسمى بالمظاهرات والاعتصامات والإضرابات والعصيان المدني، وكل هذه الأمور ليست من منهج السلف الصالح كما تقدم وتسبب الاضطرابات والفتن والأمور التي لا تحمد عقباها عند العقلاء والمدركين لعواقب الأمور.

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣ / ٣).

الخاتمة

إنَّ العقيدة الصحيحة هي القاعدة الأساس لهذا الدين، وهي مناط النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن العمل بمنهج السَّلَف الصَّالِح سبيل تحقيق الأمن الدائم والمستمر بإذن الله والسلف الصالح هم قدوة الطائفة المنصورة، وهم أئمة أهل السُنَّة والجماعة، وأتباعهم هم المتمسكون بكتاب الله وسُنَّة رسوله - صلى الله علية وسلم- ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين وأئمة الهدى.

لذا فإنَّه يجب علينا أنْ نتمسَّك بعقيدتنا الصحيحة التي قامت عليها هذه الدَّولَة المباركة، فما نعيشه من أمنٍ واستقرارٍ ورخاءٍ إنَّما هو بفضلٍ من الله تعالى، ثُمَّ بالتمسك بهذه العقيدة، وتطبيق أحكامها. وأن نشكر الله تعالى على ما نحن فيه من نعمةٍ عظيمة، فإنَّ دوام النِّعَم واستمرارها مرهونٌ بشكرها، وذلك بشكر المنعم بها، وهو الله تعالى، ثُمَّ بشكر ولاة الأمر الذين تحقَّقت على أيديهم - بتوفيقٍ من الله وفضل - هذه النِّعَم.

كما أنَّه يجب على كُلِّ مَن يقيم على أرض هذه البلاد الطيبة، أن يجعل من نفسه رجل أمن، سواء كان فلاَّحاً، أو عاملاً، أو تاجرًا أو موظَّفاً، أو معلِّماً، أو طالباً، أو غيره، لأنَّ النعمة التي نعيشها ليست لشخصٍ دون آخر، وإنَّما هي نعمةٌ للجميع. كما يجب علينا أن نصون عقول شبابنا مِنْ آثار الغزو الفكري، والأفكار الهدَّامة، والحفاظ على عقيدتهم صافية نقية.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان .



أوراق العمل

المحور الثاني



التعريف بالمنهج السلفي وخصائصه

إعداد

د . إبراهيم بن ناصر الحمود

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

أولاً: التعريف بالمنهج السلفي (السلفية):

المنهج السلفي: هو المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة، ممن صحبوا رسول الله- ﷺ-، ومن جاء بعدهم- رضي الله عنهم- ، في العقيدة والعمل والسلوك والدعوة، وبعبارة أخرى هو: ما كان عليه الصحابة- رضي الله عنهم- ، والتابعون لهم بإحسان إلي يوم الدين.

والسلفية منهج، وليست حقبة تاريخية من الزمن كما يظن البعض، وتعني بصيغة أخرى: العودة بأصول الفهم والتلقي والاستنباط إلي الكتاب والسنة، وقواعد الفهم المعتبر لدى خير القرون، كما تعني تكوين أسلوب للنظر في كليات الأمور ومهماتها، وإنشاء منهجية للتعامل مع الأحداث، والحكم علي المواقف والأشياء والأشخاص، وضبط المناحي العلمية والعملية كافة بطريقة منهجية، تنبثق من مشكاة الصحابة والتابعين، وسلف الأمة الصالحين...

فالسلفي: هو المسلم الذي يسير على منهج الله ورسوله- ﷺ- ، وصحابته من بعده، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والسلفية منهج إسلامي، وليست من صنع البشر، فهي فهم القرآن والسنة الفهم الصحيح، والسلفية ليست حِجرا علي طائفة معينة من الناس، وليست جماعة، مَنْ دخلها كان منها ومَنْ فارقها فليس منها، لا، فهي منهج الإسلام، منهج أهل السنة والجماعة.

والمقصود بالسنة: أي سنة الرسول- ﷺ- التي قال عنها: (عليكم بسنتي)، ويُقصد بها- أيضا- سنة الخلفاء الأربعة؛ لقوله- ﷺ- :"وسنة

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" ، و يُقصد بها- أيضا- سنة الصحابة التي كانوا عليها في عهد النبي- ﷺ- وبعده.

والمقصود بالجماعة : أي الجماعة المؤمنة الأولي جماعة الصحابة ، وكذا جماعة السلف الصالحين ، وكذا جماعة من تبع هؤلاء بإحسان إلي يوم الدين ، من الأئمة العالِمين العاملين ، والعلماء الربانيين ، والدعاة المخلصين ، وصالحي هذه الأمة الذين هم على المنهج الصحيح.

فالسنة هنا تقابل البدعة ، والجماعة تقابل الفرقة ، وهذا هو المقصود في الأحاديث التي وردت في لزوم الجماعة ، والنهي عن التفرق.

ومن ألقاب الجماعة : الفرقة المنصورة كما قال- عليه الصلاة والسلام- : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتيهم أمر الله ، وهم على ذلك) ، وهم الذين وصفهم الرسول- ﷺ- بقوله : "هم مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

وأهل السنة والجماعة : هم أهل الحق والدين ؛ ليس لهم مكان يجمعهم دون مكان ، أو زمان دون زمان ، بل هم منتشرون في الأرض ، يبلغون دين الله ، وإن حدث أمر عارض فخلي منهم مكان معين لم يخل منهم مكان آخر.

وبناءً على ما سبق فإنه يقصد بالمنهج السلفي المنهج القائم على إتباع سبيل المؤمنين من السلف الصالح ، وهم أصحاب محمد- ﷺ- ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ولكن للأسف قيد بعض الجهلة اسم السلفية ، وضيق الخناق على الناس في المسائل الاجتهادية ، فمن أخذ برأيه فهو السلفي وإلا فلا ؛ وهذا ليس من الدين في شيء.

وأما المناهج الأخرى فقد حادت عن هذا الطريق، فأصابت في أشياء وأخطأت في أخرى، وتختلف فيما بينها قرباً وبعداً من منهج السلف.

ولو نظرنا في واقعنا المعاصر اليوم لوجدنا الساحة تَزخرُ بالعديدِ من الجماعاتِ الإسلاميةِ، العاملةِ في مجالِ الدعوةِ والإصلاح، و التي بذلت ولا تَزالُ تَبذلُ جُهوداً لا يُستهانُ بها في سبيلِ هِدايةِ الناس، وتُحقيقُ استجابتهم إلى ما تطرحهُ من قضايا، وما تُنادي بهِ من مبادئَ وأهدافٍ، ورُبما اشتركت هذه الجماعاتُ في أهدافها العُليا، ومبادِئِهَا الكبرى، والتي من أبرزِها: ضمانُ عودةِ الجماهيرِ التائهةِ إلى الإسلامِ، وضمانُ عودةِ الإسلامِ إلى الصدارةِ من جديد، فالكلُّ مُتَّفقونَ على هذا الهدفِ، متحمسونَ في تحقيقِ هذهِ الغايةِ.

ومن المعوقات التي وقفت، ولا تزالُ تَقفُ أمامَ تحقيقِ ذلكَ الأملِ المنشودِ، والحلمِ الكبير: أنَّ الجميعُ ظلَّ يتشبثُ بطريقتهِ ومنهجهِ الحركي، وينسُبُ الصوابَ لنفسهِ فقط، ويخطئ غيره، ويُحاولُ فرضهُ وإرغامَ الآخرينَ على تبنيه والسيرِ في فلكه، ورُبما ادعى أنَّ منهجهُ هو المنهجُ السلفيُّ بحذافيره، كي يُضفي على منهجهِ مزيداً من الهيبةِ، ويَحظى بمزيدٍ من الاحترام، ويَسلمَ من النقدِ والاعتراض، أو التقويمِ والتسديد.

لذا تبقى قضيةُ الانتسابِ إلى منهجِ السلفِ في الدعوةِ والإصلاح مجردَ دعوى تحتاجُ إلى برهانٍ ودليلٍ من الكتاب والسنة، فليسَ في الأمرِ من غموضٍ أو اشتباهٍ بحمدِ الله، حتى يدعي من شاءَ ما شاء.

من هُنا كانتِ الحاجةُ ماسةً إلى وضعِ النقاطِ على الحروفِ، وذكرِ أهمِّ المعالمِ والخصائص التي قامَ عليها منهجُ السلفِ، في الدعوةِ والإصلاح،

مقروناً بالشواهدِ والأمثالِ، والدليلِ و البُرهان؛ ليتبينَ لكَ وجهُ الحقِّ، فتعضَّ عليهِ بالنواجذِ.

ثانياً: خصائص المنهج السلفي:

إن الناظر في منهج السلف نظر اعتدال بميزان العقل والحكمة، يجد أن المنهج يقوم على أسس وقواعد ومعالم تميز بها عن غيره؛ لتدفع الشك باليقين، وتزيل اللبس عن المفاهيم القاصرة، التي باتت تشكك في السلفية، وتتهمها بما ليس فيها من الشبهات والأباطيل، ومن أهم تلك المعالم والخصائص ما يلي:

Č. منهج رباني:

فالمنهج السلفي من عند الله؛ لأن مصدره القرآن الكريم المنزل من عند الله، أما الشرائع والنظم الوضعية فمصدرها الإنسان، قال- تعالى- : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٦)، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥). وقال تعالى: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾

ومما يترتب على كون المنهج الإسلامي من عند الله: كماله وخلوه من النقائص والعيوب، وحفظ الله له، أما صنع الإنسان فلا يخلو من النقص والهوى والجهل والجور؛ لأنها معانٍ لاصقة بالبشر: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، ويقول- سبحانه- : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

فالمنهج السلفي منهج إلهي محفوظ بحفظ الله له، يستمد تعاليمه من مصادر الشريعة، وفي مقدمتها الكتاب والسنة.

ج. اعتماد المنهج السلفي على الكتاب والسنة:

وهو العنايةُ بالدليلِ من كتابِ الله وسنةِ المعصومِ - عليه الصلاة والسلام - ، وتقديم النقل على العقل، وهو معلمٌ مستمدٌ من قولهِ - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١)، إنَّهُ معلمٌ بالغُ الأهميةِ، واضحُ الدلالةِ، إنَّهُ يَعني باختصار، أَنَّهُ لا يَحقُّ لأحدٍ كائناً من كان، فقيهاً أو مُحدثاً أو مفسراً، كبيراً أو صغيراً، لا يحقُّ له أبداً أن يتكلمَ باسمِ الدين، بعرضِ رأيهِ، وبما يُمليهِ عليهِ هَواه، وليس لأحدٍ حقُّ القوامةِ على هذا الدين، فالدينُ دينُ اللهِ، والحكمُ حكمُ اللهِ، والشرعُ شرعُ الله، و الأمرُ أمرُ الله، فلا يُطرحُ رأيٌّ ولا يُسمعُ قولٌ إلاَّ مقروناً بالدليلِ من كتابٍ وسُنة، ولو فقهَ المسلمونَ وصيةَ رسولِ اللهِ - ﷺ - حيثُ يقولُ: ((تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضلوا بعدي أبداً، كتابَ اللهِ وسنتي))، لو فقهَ المسلمون هذهِ الوصيةِ، لما حدثَ الانحرافُ والضلال، ولما حدثَ الغلوُّ والجفاء، وهكذا كانت دعوة السلفِ ومناهجهم الإصلاحية، تنطلقُ من نصوصِ الوحيين الشريفين.

والسَّلف إنما يُقدِّمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية؛ إيماناً منهم بأنَّ الله أرسل الرُّسل، وأنزل عليهم الكتب من عنده، وكلفهم ببيان ما يحتاج إلى البيان؛ لأمر له شأنه، وهو أن ما جاء في هذه الكتب، وبلغته الرسل يغني عن كلِّ شيء، وأما غيره فلا يغني عنه.

ولا يفهم من هذا أنَّ السَّلف يُنكرون العقل والتوصل به إلى المعارف، والتفكير به في خلق السموات والأرض وفي الآيات الكونية الكثيرة، لا !، ولكنهم لا يسلكون في استعمال العقل الطريقة التي سلكها علماء الكلام في الاستدلال بالعقل وحده في المطالب الإلهية.

ومن منهجهم: أنَّ السُّنَّة تُبين الكتاب وتوضحه وتفسره، بل السُّنَّة خير تفسير يُفسَّرُ به القرآن بعد القرآن، قال- ﷺ- : (إنما أوتيت القرآن ومثله معه)، بل قد يتوقف فهم بعض ما أجمل في القرآن على السنة ...، ولقد رأينا السَّلف كيف استغرقوا في القرآن تلاوةً وحفظاً وعكوفاً على تفسيره وتفهمه، مفسرين أحكامه، ومستنبطين منه القواعد في النظر العقلي.

Ď. وضوح المنهج والهدف ورفض التأويل:

التأويل في اصطلاح المتكلمين يعني: اتخاذ العقل أصلاً، حتى يكون النقل تابعاً له، فإذا ما ظهر تعارض بينهما- في زعمهم- ، فينبغي تأويل النص حتى يوافق العقل، أما أهل السنة والجماعة فهم يحتكمون إلى النصوص في كل شيء، كتاباً وسنة، ويكتفون بها ولا يعارضونها بالأدلة العقلية، فمنهجهم يقومُ على قاعدةٍ متينة راسخةً من العلمِ والفقهِ في الدين، واضحة المعالم، كما قال- تعالى- : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: من الآية١٠٨).

لذا كان عليه الصلاة السلام ينتقي دُعاتهُ انتقاءً، ينتقيهم من العلماءِ الراسخين، وطلبةِ العلمِ النابغين، فها هو يُرسلُ معاذاً وأبا موسى إلى اليمن؛ لما يَعلمهُ من طولِ باعهما في العلم، ورسوخِ قدمهما فيه.

فالمنهج السلفي منهج يتميز بالثبات على الحق، وعدم التلون فيه كما هي عادة أهل الأهواء الذين يجعلون الدين تبعاً لرغباتهم، والحق -عندهم- ما وافق أهواءهم، والله - تعالى - يقول: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾.

فالمنهج السلفي هو الأسلم والأعلم والأحكم، لا كما يدعيه أهل الكلام.

d. العناية بالأصولِ والمُهمات:

وذلك يعني: تقديمها في التلقي قبلَ الانشغالِ بالفروعِ والجُزئيات، فتصحيحُ المُعتقدِ، وترسيخُ أُصولِ الإيمانِ، هو ما ينبغي أن تتجهَ إليهِ هممُ الدُعَاةِ أولاً، فهذا نبيُّ اللهِ محمد - ﷺ - يوصي مُعاذاً، وهو يُحملهُ أعباءَ الدعوةِ في اليمن: ((إنكَ تأتى قوماً أهلَ كتاب، فليكُن أولَّ ما تدعوهم إليهِ شهادةُ أن لا إله إلاَّ الله، و في روايةٍ: إلى أن يوحدوا اللهَ، فإن هُم أطاعُوكَ لذلك فعلِّمهم أنَّ اللهَ قد افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في اليوم والليلة)) إلى آخرِ الحديث.

إنَّ معاذاً يعلمُ مَن هم أهلَ الكتاب؟، إنهم كانوا يتعاطون الربا، ويأكلونَ السُحت، ويقترفون الكبائرَ، ورُغمَ ذلك لم يبدأ مُعاذٌ مشوارهُ معهم بتحذيرهم من تلكَ المُوبقات، ولكن فليكن أولَّ ما تدعُوهم إليه، شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله، أولَّ ما تدعُوهم إليهِ هو التوحيدُ قبلَ الصلاةِ وقبلَ الزكاةِ وقبل كافة الفروع، وهكذا كانت دعوة محمد - ﷺ - في مكة تقريرَ العبودية لله وحدة، الأهم فالأهم، ثم جاءت التكاليف الشرعية بعد ذلك في المدينة، وهذا هو المنهج السلفي في الدعوة إلى الله، وهو منهج التدرج في الأولويات.

إنَّ الدعوةَ إلى أداءِ الواجباتِ ومجانبةِ المنكرات يجبُ أن تكونَ مرحلةٌ تاليةً بعدَ الاطمئنانِ إلى سلامةِ المعتقدِ وصحته، وهي قضيةٌ مهمةٌ يجبُ أن يأخُذها الدعاةُ بعينِ الاعتبار.

Ð. معرفة حال المدعوين:

فتلكَ ركيزةٌ مهمةٌ من ركائزِ الدعوةِ السلفية، وعنصرٌ فاعلٌ في نجاحها، فدعوةُ الكفارِ تختلفُ أسلوباً ومنهجاً، عن دعوةِ عُصاةِ الموحدين، فالكفارُ فيهم علمانيونَ حاقدون، وفيهم قبوريونَ خرافيون، وفيهم ملاحدةٌ وثنيون، وفيهم أهلُ كتابٍ متعصبون، وعُصاةُ الموحدينَ تتباينُ أعمارهم، وتختلفُ ثقافاتُهم، وتتمايزُ عقُولهم، وما يصلحُ في مخاطبةِ الشابِ ذي العشرينَ عاماً، قد لا يُلائِمُ من تجاوزَ الستين عاماً، وإن كانَ خطأُ الاثنينِ واحداً، وما ينفعُ في مناصحةِ الجامعيِّ المُتعلم، قد لا يُفيدُ في محادثةِ صاحبِ الحرفةِ اليدويةِ البسيطة، وطالبُ العِلمِ الذي يُريدُ الحديثَ مخرَّجاً و مصحَّحاً، لا يُجدي معهُ إلقاء الكلام جزافاً، وهكذا فلكل مقام مقال، ولكل حال سؤال، وهذا سر من أسرار نجاح الدعوة السلفية.

đ. التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة:

وهذا من خصائص المنهج السلفي في الدعوة إلى الله، والتي تعني: وضعَ الشيءِ في موضعهِ، ولا تعني الخضوعِ والضعفِ، كما أنَّها لا تعني الرفقَ واللينَ دائماً في كل المواقف كما يتوهمُ البعضُ، فاللينُ والرفقُ ضروريانِ في بعضِ المواقفِ، ولكنَّ الشدةَ والحزمَ أشَدُّ ضرورةً في مواقفَ أُخرى، وهكذا كانَ منهجُ النبي- ﷺ - ، فقد كانَ هيناً ليناً، رحيماً رفيقاً في معاملتهِ للأعرابي يومَ انتهكَ قُدسيةَ مسجدهِ ولوثهُ بنجاستهِ وبوله، لما يَعلمُهُ من جَهلهِ

وجفائه، وحاجَته إلى الرفقِ والتعليم؛ لاستدراكِ ما اعتادهُ من سُلوك، وما نشأَ عليه من طباع، فالرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

وفي موقف الحزم والشدة: ما حصل لأسامة بن زيد لما قتل رجلاً وقد نطق بالشهادة، فبلغَ النبيَّ- ﷺ- خبرُهُ، فأغلظ لأسامةِ وعنَّفهُ، يا أسامةُ، يا أسامةُ أقتلتهُ بعدَ أن قالَ: لا إله إلا الله؟، قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّما قالها خوفاً من السيفِ، قال: هلاَّ شققت عن قلبهِ؛ لتعلمَ أقالها من أجلِ ذلك؟، فما تصنعُ بـ"لا إلهَ إلاَّ اللهِ" إذا جاءت يومَ القيامة، فما زالَ يُرددُها ويُرددُها ويرددُها، حتى تمنى أُسامةُ ألاَّ يكون أسلمَ يومه ذاك، إنَّهُ موقفٌ يستدعي الشدةَ والحزم، فما كان لدمِ المسلمِ أن يُراقُ بغيرِ وجهِ حق، أو يذهبَ ضحيةَ تقديراتٍ خاطئة، وهكذا هو- ﷺ- ، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، وهو الأسوة الحسنة لأمته، في أقواله وأفعاله وفي شأنه كله، والحلم والتواضع من صفات النبوة، قال- تعالى- : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك).

Ē، مراعاةُ المصلحةِ و المفسدة:

وذلك من حيث تقديم درء المفسدة على تحقيق المصلحة مراعاة للمصلحة العامة، وإذا اجتمعت مفسدتان وجب الأخذ بأخفهما، وشواهدهُ أكثر من أن تُحصر، ومن ذلك: قول النبي-ﷺ- : (يا عائشةُ لولا أنَّ قومكِ حديثو عهدٍ بالجاهليةِ لهدمتُ الكعبةَ، وبنيتُها على قواعدِ إبراهيم)، وقوله: (يا عُمر لا يتحدثُ الناسَ أنَّ محمداً يقتلُ أصحابه)، وهذا مقصد عظيم من مقاصد التشريع الإسلامي الذي جاء مراعياً مصالح الأمة في معاشها ومعادها، ولم

تكن السلفية بمنأى عن ذلك، وهذا ما تهدف إليه الدعوات الإصلاحية منذ نشأتها، لأنها سلفية المبدأ والغاية، ومتى تحقق للأمة درء المفاسد وجلب المصالح فهذا يعني نجاحها وفلاحها في شؤون حياتها كلها.

ولا يخفي ما تجره البدع والسلوكيات الخاطئة من شر ووبال على المجتمع بسبب الجهل، والبعد عن المنهج الصحيح.

ē. الكمال والشمول:

لأن المنهج السلفي منهج إسلامي، والإسلام دين الشمول والكمال، صالح لكل زمان ومكان، ولجميع جوانب الحياة، لا يختص بزمن دون آخر، ولا بدولة دون أخرى، بل هو منهج عالمي متكامل في كافة متطلبات الحياة، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، وهذه طبيعة المنهج السلفي الذي هو من عند الله، والذي عليه سلف الأمة، فدين الله واحد فوق كل أرض وتحت كل سماء، والدعوة إلى الله لا تتغير ولا تتبدل في تقرير العقيدة وفيما هو من ضروريات الشريعة، أما ما كان قابلاً للاجتهاد فهذا خاضع لما تقتضيه المصلحة العامة للأمة، فالحق ضالة المؤمن أينما بحث عنه وجده، وهذا دليل على مرونة هذه الشريعة المبنية على مبدأ اليسر والسماحة، وهذه طريقة الدعوة السلفية، فهي مبرأة من تهمة التشدد والتعصب للرأي كما يدعيه أصحاب الأهواء المناوئون لهذه الدعوة المباركة القائمة على الكتاب والسنة.

Ĕ. التوسط والاعتدال:

فالمنهج السلفي وسط في مسائل العقيدة بين الفرق، فهو وسط في باب أسماء الله وصفاته بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهو وسط في باب أفعال الله- تعالى- بين القدرية والجبرية، وفي باب الوعيد بين

المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب النبي - ﷺ - بين الروافض والخوارج.

كما أن المنهج السلفي وسط في الأحكام والسلوك، لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا جفاء، كما قدر الله لهذه الأمة أن تكون (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خيارا عدولا، فهو منهج يحارب البدع بأنواعها؛ امتثالاً لقول النبي - ﷺ - : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، حتى في باب العبادات فالسلفية تمقت الغلو في الدين، وتحذر منه، وتدعو إلى العمل حسب القدرة بلا كلفة ولا مشقة؛ امتثالاً لقوله - تعالى - : (فاتقوا الله ما استطعتم)، وقوله - سبحانه - : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، وقول النبي - ﷺ - : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا)، ومع ذلك لم تسلم السلفية من تهمة التشدد في الدين، ولكن من عرف حقيقة السلفية تمام المعرفة علم براءتها من كل التهم التي وجهت إليها، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته، (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين). وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



المنهج السلفي
نشأته واستمداده وخصائصه

أعداد

د. عبد الوهاب الدريويش

التمهيد:

ابتلي المسلمون خلال تاريخهم الطويل بفتن عظيمة، ونسب إلى هذا الدين كثير من البدع والضلالات، وألقى على الكتاب الكريم كثير من التحريفات والشبهات، وتعرضت سنة الرسول - ﷺ - للانتحال والوضع تارة، والرد والإبطال تارات.

لكن الله هيأ في كل عصر من عصور الإسلام من ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، ولولا حفظُ الله لهذا الدين وبعثه للمجددين والعلماء العاملين؛ لانطمست معالم هذا الدين كما انطمست اليهودية والنصرانية.

لقد حافظ الصحابة على هذا الدين نقياً خالصاً، وردوا عنه كل ضلالة وتحريف، وفهم علماء التابعين منهم المنهج الصحيح فنقلوه بأمانة لمن بعدهم؛ ونقل السلف الأمانة كاملة وبلغوها غير منقوصة، ووقفوا بالمرصاد لكل تأويل باطل وكل انتحال وتحريض.

أولا: نشأة المنهج السلفي

من مؤسس المنهج السلفي؟ يطرح البعض هذا السؤال، ولكن هذا السؤال غير منضبط أصلاً؛ لأن السلفية منهج الإسلام ليست من صنع البشر، فهي فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة وتابعيهم بإحسان إلي يوم الدين، ولمزيدٍ من الإيضاح نقول أن مؤسس المنهج السلفي هو رسول الله-

ﷺ- ؛ لأنه هو الذي وضع الأسس التي يجب أن يسير عليها المسلم في فهم الكتاب والسنة[(١)].

إن السلفية تطلق على الجماعة المؤمنة الذين عاشوا في العصر الأول من عصور الإسلام، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وصفهم الرسول - ﷺ- بقوله: " خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم "[(٢)].

ولقد أصبح مذهب السلف علما على ما كان عليه هؤلاء، ومن تبعهم من الأئمة، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، والذين اتبعوا طريق السلف جيلاً بعد جيل، دون من وصف بالبدعة كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة وغيرهم[(٣)].

فإن اتباع منهج السلف في الإيمان والعمل والتزكية هو أمر الله وأمر رسوله، لا يجوز الانحراف عن تلك الجادة قيد أنملة .

والسلفية تعتمد على الكتاب وما صح من السنة، فقد كان السلف يقولون: " إذا صح الحديث فهو مذهبي "[(٤)]، والفرق المخالفة لا تقول أنها

---

(١) انظر: تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا – للعلامة صالح الفوزان، ص٢١.

(٢) صحيح البخاري ج٢/ ٩٣٨، ومسلم ج٤/ ١٩٣٦.

(٣) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي – لمصطفى حلمي، درا الدعوة، ط الثالثة ص١٨٩.

(٤) التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما، للعلامة ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، ط الأولى ص١٦.

ترفض هذه النصوص ولكن خلافها مع السلفية في منهج تعاملها مع هذه النصوص، ومن ثم في النتائج الموضوعية المختلفة بينهم.[1]

ثانياً: مراحل المنهج السلفي

يمكن أن نميز ثلاث مراحل مرت بها السلفية - بعد نشأتها - كمنهج يمثل الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ - ، ففي كل مرحلة من هذه المراحل يكاد أن يندثر العلم بأصولها، ويكثر من يناوؤها، فيقيض الله من يجدد معالمها وينشر صفاءها، فعلا في كل مرحلة منها منهج السلف الصالح، وبارك الله فيه، وناصرها جمع من العلماء والولاة، وانتفع بها فئام من المسلمين. وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى:

عندما اتسعت دائرة الأمة وكثر الداخلون من الفرس والروم والشعوب الأخرى، وأراد بعضهم أن يُدخل في الدين ما ليس منه، بقصد أو غير قصد، قام هؤلاء العلماء الأجلاء حراسا لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وقد حمل الراية أهل الحديث والأثر، فكانوا حربا للمبطلين، وردا للزيف عن هذا الدين[2].

فها هو الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل الحديث والأثر في القرن الثالث الهجري – وهم الممثلون للمنهج السلفي – يقف في مواجهة المعتزلة في العصر العباسي؛ لأن المعتزلة كانوا يتخذون مناهج عقلية في قراءة النصوص

(١) انظر: السلفية وقضايا العصر، لعبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ص٥٠.

(٢) انظر: الأصول العلمية للسلفية –لعبد الرحمن عبد الخالق، ص٦.

وتأويلها، واستمدوا أصولهم المنطقية من الحضارة الإغريقية عن طريق الترجمة والتعامل المباشر، ورأى أهل الحديث في هذه المناهج العقلية خطراً يهدد صفاء الإسلام ونقاءَه وينذر بتفكك الأمة وانهيارها.

وانتهى هذا النزاع حين تولى الخليفة المتوكل أمر الخلافة وأطلق سراح الإمام أحمد وانتصر لمنهجه ومعتقده، فأصبحت آراء الإمام أحمد هي المعبرة عن المنهج والمعتقد السلفي.

وفي القرن الرابع الهجري نشط الحنابلة وأهل الحديث في الدعوة إلى اتباع منهج السلف ثم أُقر هذا المنهج كمنهج رسمي للدولة العباسية في زمن الخليفة القادر بالله؛ بناء على منشور كتبه الخليفة يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة، والطعن على المعتزلة، وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي- ﷺ- والصحابة، وأمر أن يتلى في المساجد يوم الجمعة وأخذ عليه خطوط العلماء والفقهاء وعرف باسم منشور العقيدة القادرية، وتأكد هذا الاتجاه في زمن الخليفة القائم بأمر الله الذي أقر منشور العقيدة القادرية الذي كتبه الخليفة القادر (١).

المرحلة الثانية:

بعد ذلك شهِدت السلفية انحسارًا ملحوظًا إلى أن ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن السابع بالتزامن مع سقوط عاصمة الدولة العباسية بغداد على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ؛ فعمل على إحياء المنهج السلفي منهج الإمام أحمد بن حنبل، وأغار على أهل البدع والتأويل والجهالات والتعطيل غارات قوية

---

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، دار صادر، ج١٥/ ١٩٧.

مبينا خطورة مذاهبهم وناقش عقائدهم نقاشا علميا قويا مبينا الحق بالدليل النقلي والعقلي وكاشفاً لعوار مذاهبهم.

فحينما جاء الإمام ابن تيمية سعى لإقامة نسق علمي للسلفية، يركز على المناهج أكثر من تركيزه على الموضوعات بحكم أولويته عليها في مثل: درء تعارض العقل والنقل، ونقض المنطق، والرد على المنطقيين، ونظر بعض القواعد العامة في مثل: الرسالة التدمرية ، وامتاز في كتبه بمزايا ثلاث:

الأولى: إثبات اتفاق الدليل العقلي مع الدليل النقلي.

الثانية: النظر في مصطلحات المتكلمين والفلاسفة وإخضاعها للمعاني الإسلامية قبل البت في قبول استخدامها أو رفضها.

الثالثة: هدم المنطق الأرسطوطاليسي... ودعوته إلى المنطق الإسلامي التجريبي.[1]

ولقد أثارت دعوته أثرًا في الأوساط الإسلامية حينها، فتأثر به واستجاب بعض العلماء لدعوته مثل الإمام الذهبي والإمام ابن القيم الجوزية و الإمام المزي، وبعض أفراد الطبقة الحاكمة مثل الأمير المملوكي سلار نائب السلطنة.

المرحلة الثالثة:

ثم شهدت السلفية انحساراً كبيراً مرة أخرى بعد ذلك حيث انتشر الجهل والبدع ومظاهر الشرك في العالم الإسلامي؛ لتعاود الظهور مرة أخرى في القرن الثاني عشر الهجري متمثلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

---

(١) انظر : المنهج السلفي، للشيخ الدكتور مفلح القوسي، دار الفضيلة، ص٨٦.

والإمام محمد بن سعود ؛ حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية في شبه الجزيرة العربية ، فقامت للسلفية دولة فيها .

ولقد جاءت الدعوة بالمنهج السلفي لتنقية عقائد المسلمين ، وللتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في ذلك الوقت والمخالفة لجوهر الإسلام - وهو توحيد الله - مثل التوسل ، والتبرك بالقبور ، وبالأولياء ، والبدع بكافة أشكالها.

وفي مطلع العصر الحديث وأمام عوامل كثيرة تاريخية وسياسية واجتماعية مختلفة ، تقلص تعبير منهج أهل السنة والجماعة ليصبح معبرا في النهاية- عند الكثيرين ولأول وهلة - عن أصل واحد من هذا المنهج وهو العقائد ، وإن كنا لا ننكر أن جانب العقائد – كما يقرر الإمام ابن رجب- خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة - ولكن هل هذا يبرر أن نغمط بقية (الأصول) حقها ونتناسى هذه الجوانب الأخرى المضيئة التي تمثل – مع جانب العقائد – المرتكزات الأصيلة ، والأعمدة الراسخة الثابتة التي يقوم عليها دائما هذا البناء الشامخ ، الذي يجسد تراث هذه الطائفة على مدار تاريخها كله؟ (١).

لأجل هذا كله هب علماء السلفية يبرزون مقومات سلفيتهم ، إما باستعادة ما قرره الأسلاف عن طريق الجمع والتنظيم بحسب حالة العصر الفكرية ، كما فعل الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه : (طريق الوصول

---

(١) انظر : أهل السنة والجماعة- معالم الانطلاقة الكبرى - لمحمد عبد الهادي المصري ، ص١٠.

إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول)، أو من خلال الانطلاق من المنحى الشمولي للسلفية الذي أساء فهمه الآخرون بل وبعض المنتسبين للسلفية، لتصورهم أن السلفية محصورة بتفرداتها في قضايا الاعتقاد، بل وحصرها بعضهم بجزئيات قليلة من هذه الجوانب تميز بها السلف عن غيرهم كإثبات الصفات والرؤية، وإنكار القول بخلق القران، وموقفهم من مسألة الإيمان ومرتكب الكبيرة ونحوها، مما دعا بعض علماء السلفية إلى محاولة إعادة التنظير لمقومات السلفية بصفتها منظومة شاملة لحياة الإنسان الفكرية والسلوكية [١].

ومن هؤلاء العلماء:

علماء الدولة السعودية وولاتها، وتعتبر السلفية السعودية بمثابة الأم و المرجع بالنسبة لباقي المدارس السلفية بمختلف أقطار الوطن العربي، وأحدثت هذه الدعوة تأثيرا كبيراً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن علمائها في هذا العصر:

(محمد بن إبراهيم آل الشيخ، عبد الله بن محمد بن حميد، عبد العزيز بن عبد لله بن باز، محمد بن صالح العثيمين، عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ، صالح بن فوزان الفوزان، ربيع بن هادي المدخلي) بل كل علمائها، وذلك لأنهم رضعوا التوحيد الصافي والمنهج السلفي منذُ نعومة أظفارهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

(١) انظر: السلفية وقضايا العصر، لعبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ص٥٠.

وفي مصر : (محمد حامد الفقي ، أحمد شاكر ، أبو إسحاق الحويني) ، وبلاد الشام : (جمال الدين القاسمي ، محمد ناصر الدين الألباني) ، و في اليمن : (محمد بن إسماعيل الصنعاني ، محمد بن علي الشوكاني ، مقبل بن هادي الوادعي).

وهذا على سبيل الإشارة فقط ، و إلا فعلماء الإسلام الذين هم على جادة الإقتداء ، كثير وكثيرٌ جداً على مر العصور ولله الحمد والمنة.

ولقد كان للدور الذي تقوم به الجامعات والمراكز البحثية والمكتبات في بعث كتب التراث السلفية وتحقيقها ، ومن خلال تأليف الكتب والرسائل العلمية والبحوث وعقد الندوات أكبر الأثر في التعريف بالمنهج السلفي الصحيح ، ونشره إلى أصقاع العالم الإسلامي بل وللعالم ككل.

ثالثاً : استمداد المنهج السلفي

مقدمة :

منهجُ السلف منهجٌ شاملٌ في النظر والاستدلال ، في التلقِّي والاستمداد ، والارتباط بالنصِّ الشرعي ، وفي نبذ المُحدثات في السلوك والتعبُّد.

"ولقد تسرَّب الوهنُ للأمة بقدر ما تسرَّب إليها من البدع والمُحدثات ، والانحراف عن الطريق الحق ، وضعف الاستمداد من الوحييْن ، وإذا كان المسلمون يلتمِسون اليومَ طريقًا للنهوض فليس لهم من سبيلٍ إلا وحدة جماعتهم ، ولا سبيل إلى وحدة الجماعة إلا على الإسلام الصحيح ،

والإسلامُ الصحيح مصدرُه القرآن والسنة، وهذه خُلاصة الاتجاه السلفي. عودةٌ بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله، وسنة رسوله- ﷺ- "[١].

ومن مميزات منهج السلف – رحمهم الله – أنه ينبع من الأصل الأصيل، والأساس المتين، الذي علق الله – تعالى – عليه نجاة الأمة وسؤددها، ألا وهو كتاب الله – عز وجل- ، وسنة رسوله - ﷺ- .

فلا انعقاد للولاء والبراء إلا عليهما، ولنصرتهما، ، فلا حزبية، ولا طائفية في منهج السلف الصالح ولا تتبُع لأنماط ومسارات معينة لم يعهدها سلفنا الصالح – رضي الله عنهم– بل طريقة واحدة واعتصام على كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ- .

وهذه الميزة العظيمة والخصيصة الجليلة دل عليها الكتاب والسنة ودعا إليها سلفنا الصالح؛ لأنها سبب الفوز والنصر وسبب الائتلاف والاتفاق، وسوف نستعرض في الأوراق القادمة الأصول التي استمد السلف الصالح منها منهجهم، واعتمدوا عليها في استدلالهم.

مصادر التلقي والاستدلال عند السلف

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، وما بني عليهما، كالإجماع والقياس وغيرهما؛ لأنه بموت النبي - ﷺ- انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى

---

(١) جزء من خطبة الجمعة للشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - بعنوان: "شرف الانتساب للسلف الصالح."

الـدين ، قـال تعـالى : " الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِيـنَكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَـيْكُمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً " [١]

والرسول - ﷺ - قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ، وقـال - ﷺ - : " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض " . [٢]

والـدين الحـق يقـوم علـى التـسليم لله تعـالى ؛ والتـسليم يرتكـز علـى : التـصديق والامتثـال ، والاتبـاع لرسـول الله - ﷺ - وهـو ديـن الله تعـالى ، أنزلـه علـى رسـوله - ﷺ - بـالوحي وأكملـه فلـيس لأحـد أن يُحـدث شـيئاً زاعماً أنه من الدين ؛ لأن النبي - ﷺ - قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما لـيس منـه فهـو رد " [٣] .ويقـول الله - تعـالى - : " وأطيعـوا الله والرسـول لعلكـم تُرحمـون." [٤] ويقـول : "وأطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول واحـذروا فـإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين." [٥]

ويقول : " إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا واطعنـا وأولئـك هـم المفلحـون " [٦] ، ويقـول : " يـا أيهـا الـذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم" [٧]

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) انظر : المستدرك على الصحيحين ج١ / ١٧٢ ، ج٣/ ١١٨.

(٣) انظر : صحيح البخاري ج٢/ ٩٥٩ ح رقم ٢٥٥٠ ، صحيح مسلم ج٣/ ١٣٤٣ ح رقم ١٧١٨.

(٤) آل عمران : ١٣٢

(٥) المائدة : ٩٢.

(٦) النور : ٥١.

(٧) الحجرات : ١.

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله - : " فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله - ﷺ- في جميع أمورهم، وألا يقدموا بين يدي الله ورسوله، فلا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه (١).

فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي ، وعليه فإن مصادر التلقي عند السلف هي: الكتاب، والسنة ، وما بني عليهما كالإجماع والقياس وغيرهما .

أولاً: القرآن الكريم

وهو المصدر الرئيسي للتلقي عند السلفية، ويستعينون على فهمه وتفسيره بالعلوم المساعدة على ذلك، كعلوم اللغة العربية، والعلم بالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وبيان مكية ومدنية، ونحو ذلك من العلوم.

ثانيا السنة الصحيحة:

و السنة هي كل ما صح عن النبي - ﷺ- من الأقوال والأفعال والصفات الخَلْقية أو الخُلُقية و التقريرات.

والسنة منها الثابت الصحيح، ومنها الضعيف؛ والصحة شرط لقبول الحديث والعمل به عندهم بحسب قواعد التصحيح والتضعيف. ولا يشترطون أن يكون الحديث متواتراً، بل هم يعملون بالمتواتر، والآحاد متى ما صح.

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ص٨٧٧.

والاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة لدى السلف نابع من ثلاثة أمور:

أحدها: إيمانهم الجازم بجميع نصوص الكتاب ونصوص السنة الصحيحة، ويقينهم بأنه الحق وما يعارضه باطل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما خبر الله ورسوله فهو صدق موافق لما الأمر عليه في نفسه، لا يجوز أن يكون شيء من أخباره باطلا ولا مخالفا لما هو الأمر عليه في نفسه، ويعلم من حيث الجملة أن كل ما عارض شيئا من أخباره وناقضه فإنه باطل من جنس حجج السوفسطائية، وإن كان العالم بذلك لا يعلم وجه بطلان تلك الحجج المعارضة لأخباره، وهذه حال المؤمنين للرسول الذين علموا أن رسول الله الصادق فيما يخبر به، يعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره فهو باطل "[1].

الثاني: اقتصارهم في مصدر التلقي للدين على الكتاب والسنة الصحيحة، فهما المصدر الحقيقي الذي ينهلون منه عقائدهم وتصوراتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وأخلاقهم [2].

الثالث: إيمانهم بكمال هذا الدين وبأن أصوله وفروعه ودلائله ومسائله قد جاء بيانها في الكتاب والسنة بياناً شافياً قاطعاً للعذر، قال –تعالى- : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"[3]، وقال – تعالى- : " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج٥/ ٢٥٥.

(٢) انظر: المنهج السلفي لمفرح بن سليمان القوسي ص ٣٥٨.

(٣) المائدة: ٣.

ورحمة وبشرى للمؤمنين "[١]، وقال –تعالى – : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم [٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآيات: " ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبين الله فيه أن كتابه مبين للدين كله، موضح لسبيل الهدى، كاف لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره، يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل "[٣].

ويقول أيضا: " إن رسول الله - ﷺ - بين جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا "[٤].

واستدلالهم بالكتاب والسنة اقتضى منهم أربعة أمور:

أولها: العناية بالكتاب والسنة عناية فائقة لاعتمادهم عليهما، فأما الكتاب فقد تمثل ذلك في حفظه وتدوينه ودراسته وتفسيره وتجويده وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأما السنة فقد تمثل ذلك في حفظها وتدوينها ودراستها متنا وسندا وتمييز صحيحها من سقيمها.[٥]

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) المائدة: ١٥، ١٦.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج١٠/ ٣٠٤.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ج١٩/ ١٥٥، ١٥٦ .

(٥) انظر: المنهج السلفي لمفرح القوسي ص ٣٦٠.

ثانيها : استنباط الأحكام الشرعية منهما من حيث الحل والحرمة والوجوب والاستحباب والكراهة في مسائل العبادات والمعاملات والعقوبات قال –تعالى – :(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .(١)

ثالثها : الرد عند التنازع إليهما امتثالا لقول الله – تعالى – : " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا "(٢)

رابعها : الأدب مع نصوص الكتاب والسنة ، وذلك بأن تراعى ألفاظهما خاصة عند بيان العقيدة ، وأن لا تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية (٣).

ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية :

- إذا اختلف فهم الناس لنصوص الدين ، فإنَّ فهم السلف - الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم - هو الحجة ، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة ، أكملها إيمانا وأعلمها بالوحيين ، أنقاها أفئدة وأسلمها سليقة (٤).

---

(١) النساء : ٨٣.

(٢) النساء : ٥٩.

(٣) انظر : المنهج السلفي لمفرح القوسي ص٣٦١.

(٤) انظر : مقال للدكتور صبري محمد خليل بعنوان : المنهج السلفي خصائصه ومفاهيمه وقواعده. ص٣. موقع أهل السنة.

وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله - ﷺ - بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم ، فهم الأعلم والأسلم و الأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار .(١)

ثالثا : الإجماع

إجماع السلف الصالح عندهم حجة ملزمة لمن بعدهم، فيعتبروهم أعلم الناس بدين الله بعد النبي - ﷺ - ، كما يعتقدون أن إجماعهم معصوم من الخطأ.

ويستدلون بقوله تعالى: " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا "(٢).

يقول الشيخ الدكتور مفرِح القوسي: " وهذه الآية من أقوى الأدلة القرآنية على حجية الإجماع وبها تمسك الإمام الشافعي، فقد توعد الله من اتبع غير سبيل المؤمنين، وجمع بينه وبين مشاقة الرسول - ﷺ - فدل ذلك على حرمته. ومتابعة غير سبيل المؤمنين تقع بمخالفة إجماعهم فتكون حينئذ محرمة ويكون العمل بإجماعهم واجبا " (٣) .

كما يستدلون بقول النبي - ﷺ - : " من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه " (٤) .

---

(١) انظر : أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، للشيخ فواز السحيمي، ص١٧١.

(٢) النساء : ١١٥.

(٣) المنهج السلفي : ص٢٩٥.

(٤) رواه الإمام أحمد ج٥/ ١٨٠ ، وأبو داوود ج٤/ ٢٤١ ، وصححه الألباني في المشكاة ج١/ ٦٥.

والصحابة – رضي الله عنهم – وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة – السلف الصالح – كانوا على هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم.

وهذه الأصول الثلاثة هي المصادر الرئيسية في التلقي، والسلفية لا يقرون قولاً ولا يقبلون اجتهاداً إلا بعد عرضه على تلك الأصول. ولا يخالفونها برأي ولا بعقل ولا بقياس. بل يجتهدون بآرائهم في ضوء تلك المصادر من دون أن يخالفوها .

رابعاً القياس:

وهو حمل حكم أصل إلى فرع لا دليل عليه لاشتراكهما في العلة، وهو جمع بين المتماثلين، وهو عمل عقلي فطري بالتعامل مع الأحكام الشرعية ما لم يأت دليل مفرق، وله شروط يذكرها الفقهاء ليس هنا موضع ذكرها. واستدل العلماء عليه من القرآن والسنة، فمن القرآن قوله تعالى: " فاعتبروا يا أولي الأبصار " (١)

ومن السنة جواب النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن سألته عن حجها عن أمها فقال: " نعم حجي عنها أرأيتِ لو كان على أمك دين أكنتِ قاضيته ؟ قالت: نعم، فقال: اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء ". (٢)

وما ذكرناه من مصادر اجتمع عليه عموم السلف وعلمائهم، وما سواها من مصادر اختلف فيها ومحل تفصيلها ببطون كتب الفقه وليس هنا محلها.

---

(١) الحشر: ٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٨٥٢ .

رابعاً: خصائص المنهج السلفي

السلف أو أهل السنة والجماعة منهجهم هو الإسلام الشامل الذي شرعه النبي - ﷺ- وهم على تفاوت فيما بينهم - لمنهجهم خصائص وسمات تميز بها ويميزهم عن غيرهم منها:

- سلامة مصدر التلقي: وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فهي مستقاة من ذلك النبع الصافي، بعيداً عن كدر الأهواء والشبهات"الفلسفة وعلم الكلام "، فلا يُتعرض لها بالرد أو التشكيك أو التحريف أو التعطيل و التأويل، أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى، فلا ترد النصوص بحجة التأويل و التحريف، و لا يُصرف ظاهرُ نصٍّ عن ظاهره، إلا بدليل واضح، و لا تزعم أن للنصوص باطناً لا يعلمه إلا الخاصة من الناس، أو خاصة الخاصة !![1].

- أن عقيدتهم تقوم على التسليم لله - تعالى- ولرسوله - ﷺ- وذلك لأنها غيب، والغيب يقوم على التسليم فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، كما في قوله- تعالى - : " ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ "[2]

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقوته محدودة فكذلك عقله، فَتَعَيَّن الإيمان بالغيب والتسليم لله - عَزَّ وَجَلَّ- .

---

(١) [بتصرف يسير] من مقال للشيخ محمد الحمود بعنوان : العقيدة السلفية تعريفها – فضلها – خصائصها.

(٢) البقرة : ٣،٢.

- موافقة منهجهم للفطرة القويمة، والعقل السليم، فمنهج أهل السلف ملائم للفطرة السليمة، موافق للعقل الصريح، الخالي من الشهوات والشبهات، فالذي أنزل الوحي هو الذي خلق هذه العقول ولا يعقل أن ينزل ما يخالف العقل الذي خلقه أو الفطرة التي فطرنا عليها.
- اعتماد كل ما صح سنده للنبي - ﷺ- فلا يردون حديثاً بزعم أنه من أحاديث الآحاد، ولا يقدمون على النصوص: الآراء و الأهواء ولا يقدمون الوجد و الذوق و الخيالات و الرؤى و المنامات، على ما قاله الله – تعالى - ورسوله - عليه الصلاة و السلام- .
- ومن منهجهم الاقتصار بما ورد في الوحيين، فليس للناس أن يضيفوا شيئا أو يحذفوا شيئا، وكل إضافة أو تحوير مردود على صاحبه قال رسول الله - ﷺ- : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "[١] ويستحق العقاب إن كان عالماً؛ لأنه خالف الشرع متعمداً؛ أو جاهلاً ؛ لأنه لم يتعلم وقصر في ذلك.
- اتصال سندها بالرسول - ﷺ- والتابعين وأئمة الدين قولاً، وعملاً، واعتقاداً: وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها؛ فلا يوجد بحمد الله أصل من أصول منهج السلف ليس له أصل أو مستند من الكتاب والسنة، أو عن السلف الصالح .

---

(١) رواه البخاري ومسلم

- الوضوح والسهولة والبيان: فهو منهج سهل واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيه، ولا غموض، ولا تعقيد؛ يفهمه العالم والعامي، والصغير والكبير، فهو مستمد من الكتاب والسنة.

وقد قال الرسول - ﷺ- : "تركتم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك "[١].

- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس في ذاته: فلا مكان فيه لشيء من ذلك مطلقاً، كيف لا وهو وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس بل يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً قال – تعالى - : " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً "[٢]

- أنه يمنح أصحابه الراحة النفسية والفكرية: فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذا المنهج يصل المؤمن بخالقه عز وجل فيرضى به رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره لحكمه، ويستنير فكره بمعرفته.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

(٢) النساء : ٨٢.

- الصلاح والثبات: فهو منهج عام، شامل، صالح لكل زمان ومكان، وحال، وأمة، بل إن الحياة لا تستقيم إلا به، قال – تعالى – : " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم "(١).

ولقد ثبت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام من اليهود، والنصارى، والمجوس، وأيضا الفرق المارقة وغيرهم.

- وهو منهج وسط بين الإفراط والتفريط كما قال تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا "(٢)، و لا يتحمل الزيادة ولا النقصان قال – تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا "(٣).

- الاهتمام بكتاب الله: حفظًا وتلاوة، وتفسيرًا، والاهتمام بالحديث: معرفة وفهمًا وتمييزًا لصحيحه من سقيمه، لأنهما مصدرا التلقي، مع إتباع العلم بالعمل.

- الدخول في الدّين كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه ويجمعون بين الإيمان بقدر الله، وإثبات إرادة العبد، ومشيئته، وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القُوّة والرحمة، وبين العمل مع الأخذ بالأسباب وبين الزهد.

---

(١) الأنفال : ٢٤.

(٢) البقرة : ١٤٣.

(٣) المائدة : ٣.

- الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة من الصحابة – رضوان الله عليهم - ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم من أهل البدع والخرافات.
- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحقّ وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم، ومن هنا لا يتميزون عن الأمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة، ولا يوالون ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسنة.
- يتميز أصحاب هذا المنهج بشمولية الدعوة إليه ولجميع جوانبه من العقائد والعبادات وفي السلوك والأخلاق وفي كل أمور الحياة وبيان ما يحتاجه كل مسلم [1]، ويعلمون أن وسائل الدعوة متجددة فيستفيدون من كل ما جد وظهر ما دام مشروعًا، قال – تعالى - : " ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة " [2].
- يهتمون بالسنن وفروع الدين فلا قشور للدين عندهم ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر بما يوجبه الشرع، ويسعون لإحياء السنة، والعمل لتجديد الدين، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة ويحذرون من التحاكم إلى الطاغوت أو إلى غير ما أنزل الله.[3]

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج١/ ٤٢.

(٢) البقرة : ٢٠٨ .

(٣) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج١/ ٤٣.

- يتسم أصحابه بالإنصاف والعدل: فهم يراعون حق الله ـ تعالى ـ لا حقّ النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغلون في مُوالٍ، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًّا كان، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال على أنهم معصومون وقاعدتهم في ذلك: كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي - ﷺ - ، وأنه لا عصمة إلا للوحي وإجماع السلف.
- يسع المنهج السلفي تعدد الاجتهادات في المسائل الاجتهادية ما بنيت على الدليل وكانت ممن هم أهل للاجتهاد، دون أن يُضلل المخالف في هذه المسائل فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم - جلّ وعلا - ونبيهم - ﷺ - .
- يراعي المصالح والمفاسد ويراعونها، فهو حقيقة الشريعة التي جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد وتقليلها، حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.
- يدعو أصحابه بما أوجب الله - تعالى - عليهم عند الفتن فسألون الله العافية ، ويرون أن السلامة لا يعدلها شيء والقعود أسلم إلا إذا تبين لهم الحق جليًا وظهر بالأدلة الشرعية فإنهم ينصرونه ويعينونه بما استطاعوا.، وعند الابتلاء، من الصبر على الطاعة وعن المخالفات والمعصية وعلى أقدار الله.
- يعصم الله — تعالى - أصحاب المنهج السلفي من أهل السنة والجماعة من تكفير المسلمين لأنهم يرون عدم جواز تكفير المسلم إلا بتحقق الشروط وانتفاء الموانع فهم يفرقون بين الحكم المطلق على

أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر وبين الحكم على المعين حتى يبين له مجانبة قوله للسنة وذلك بإقامة الحجة وإزالة الشبهة، منيطين هذا للعلماء الراسخين وللقضاة العادلين، لما يتأتى لهم من معرفة الأحوال ولما يحيط هذه المسألة من خطورة فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة - ﵁ - أنّ رسول الله - ﷺ - قال: " أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلاّ رجعت عليه"[1].

يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله - : " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله "[2].

- و يرون أن أصحاب البدع متفاوتون قربًا وبعدًا عن السنة فيعامل كل بما يستحق ومن هنا انقسمت البدع عندهم إلى بدع مكفرة وبدع غير مكفرة، وهم يفرقون في المعاملة بين المستتر ببدعته والمظهر لها والداعي إليها.

ويقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتحذير منهم وإظهار السنة وتعريف المسلمين بها وقمع البدع بما يوجبه الشرع من ضوابط.[3]

---

(١) متفق عليه انظر: البخاري ج٥/ ٢٢٦٣، ومسلم ج١/ ٧٩.

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية ج١/ ٤٠.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١ / ٤٤).

- يناصر أصحابه إمام المسلمين وينصحون له ويقدمون له النصيحة، فتذكير الحكام ونصيحتهم من أصول منهج السلف وقد روي عن تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " الدين النصيحة؛ قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم " (١).

قال ابن عبد البر - رحمه الله - : " ففي هذا الحديث أنّ من الدين النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون؛ فكل من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك، إذا رجا أن يسمع منه " (٢).

وقيَّد أهل العلم نصيحة الحكّام بضوابط وشروط لا بد من اعتبارها؛ مستقين هذه الضوابط من نصوص الكتاب والسنّة، ومن أقوال السلف رحمهم الله، فمنها أنه ينبغي أن تكون النصيحة سراً بين الداعية والحاكم من غير جهر بها، فإنّ الجهر بأخطاء الحكّام بين الناس، ونشره في المجالس والمحافل، وذكره على المنابر من أعظم مسببات القلاقل والفتن، وهي شرارة الخوارج، وزناد نيرانها. والنصوص في وجوب مسارّة الحاكم بالموعظة كثيرة؛ منها قوله- صلى الله عليه وسلم- :"من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به؛ فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له "(٣)، وكان السلف - رحمهم الله - يكرهون نصيحة الأمراء على

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ج١/ ٧٤.

(٢) انظر: التمهيد ج٢١/ ٢٨٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده ج٢٤/ ٤٨- ٤٩.

رؤوس الأشهاد، ويحبّون أن تكون سراً فيما بين الواعظ والحاكم؛ ويرون أنّ ذلك من علامات النصح[1]، ويترفقون مع الحاكم في النصيحة.

قال سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله - : " لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم "[2].

- ويرى السلف الصالح الصبر على الأئمة المسلمين ولو جاروا، وتحريم إهانتهم أو الخروج عليهم، قال الإمام أحمد - رحمه الله - : " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة"[3]، ويصلون خلفهم وخلف من أنابوه الجُمع والجماعات.

وقد ورد ما يؤيد ذلك، فعن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله "[4].

قال الشوكاني - رحمه الله - : " ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد؛ بل

---

(١) انظر: الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب، ص٧١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج٥/ ٢٦٠.

(٣) انظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي ج٤/ ١٨٢.

(٤) رواه الترمذي ج٤/ ٥٠٢ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح.

كما ورد في الحديث: أنه يأخذ بيده ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله "(١).

- وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: " نهانا كبراؤنا من أصحابه - صلى الله عليه وسلم - قال: لا تسبوا أمراءكم ,ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب "(٢).
- يشيع بين أصحابه التراحم فيما بينهم و الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم والإحسان إليهم، وأداء حقوقهم، وحسن الخلق معهم، وكفّ الأذى عنهم.
- يرسخ عند أصحابه عقيدة الولاء والبراء، فيوالون المؤمن لإيمانه ويحبونه بقدر ما عنده من إيمان ويعادون الكافر لكفره ويبغضونه ولو كان أقرب قريب.
- يزكي نفوس أصحابه، ويهذب أخلاقهم، ويصلح قلوبهم ويركز عليه لأنه عليه مدار صلاح الجسد كله وذلك بأمور أساسها العقيدة الصحيحة والعلم النافع منها: إخلاص التوحيد لله - تعالى - والبعد عن الشرك والبدعة مما ينقض الإيمان أو ينقصه عن أصله، ومنها: التعرف على الله - جل وعلا - بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومدارستها وتفهم معانيها والعمل بمقتضياتها؛ لأنها

---

(١) انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني ج٤/ ٥٥٦.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة ج٢/ ٤٨٨، والبيهقي في الشعب ج٦/ ٦٩.

تورث النفس الحب والخضوع والتعظيم والخشية والإنابة والإجلال لله – تعالى – .

ويسيرون إلى الله – تعالى – بين الخوف والرجاء، ويعبدونه – تعالى – بالحب والخوف والرجاء.

- يدعو أصحابه بلزوم طاعة الله – تعالى – ورسوله – ﷺ- بأداء الفرائض والنوافل كاملة ما استطاعوا، مع العناية بالذكر وتلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي – ﷺ- والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج والعمرة وغير ذلك مما شرع الله – تعالى – ،[1] واجتناب المحرمات والشبهات مع البعد عن المكروهات.

- ومن أهم صفات أصحابه: التآلف في الأرواح، و التوافق في الأفهام، والتشابه في المواقف، رغم تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات التوحيد الصافي و وحدة المصدر والتلقي.

- يدعو أصحابه لعبادة الله على بصيرة بتباع الدليل وترك التقليد، وقد ذم القران التقليد قال – تعالى – : " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا" [2]

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١ / ٤٤).

(٢) لقمان: ٢١.

كما نهى عنه الأئمة

يقول الإمام أبو حنيفة : " حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتى بكلامي، فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا".[1]

ويقول الإمام الشافعي: "من استبان له سنة الرسول لم يحل له أن يدعها لقول أحد "[2].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل: " لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا ".[3].

ويقول الإمام مالك بن أنس: " ليس لأحد بعد النبي إلا يؤخذ قوله ويترك "[4].

_ و السلفية قائمة هنا على الاجتهاد لأن النصوص أمرت به، ولأن السلف الصالح دعوا إليه والتزموا به فاجتهدوا في فروع الدين، غير أن هذا الاجتهاد ليس مقطوع الصلة بماضيه بل يتخذ من اجتهاده الأسلاف نقطة بداية له باعتباره تجسيدا لماضي الأمة وخبرتها[5]، ويرون الاجتهاد في كل زمان ويدعون جهابذة العلماء له.

---

(١) انظر: ابن عبد البر، في فضائل الأئمة والفقهاء، ص١٤٥.

(٢) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٢ /٣٦١.

(٣) انظر: ابن القيم إعلام الموقعين، ج٢/٣٠٢ .

(٤) انظر : ابن عبد البر، الجامع، ص١١٢.

٥) من مقال للدكتور صبري محمد خليل بعنوان ك النهج السلفي خصائص ومقومات ومفهوم وقواعد.ص٣

- ومن خصائص هذا المنهج ترتيبه لمصادر التلقي ، فالنقل ثم العقل ، فيجعلون العقل تابعا للنقل ؛ لأن العقل اجتهاد فرد ، والدليل وحي من الله - جل وعلا- والعقول تختلف ، والمدارك تختلف ، لهذا في المسائل العظيمة التي ذهب إليها من يقولون إنهم أصحاب العقول لما كبروا في السن تغيرت عقولهم ورأوا أنهم لم يدركوا شيئا ؛ والعقل يختلف باختلاف السّن و باختلاف المعلومات وبأنواع الإدراكات ، وفوق كل ذي علم عليم.

فإن الشرع دل على العقل ليُفهم به النص لا أن يكون العقل معارضا لما دل عليه الدليل. [1]

---

(١) من مقال للشيخ صالح آل الشيخ ص٧. موقع معهد الكتاب والسنة .

خاتمة

وأخيراً فإن المسلم مطالب باتباع سبيل المؤمنين وهو المنهج السلفي الذي اتّحد في مستنده ومنهجه، غير مكترث بكثرة المخالفين،.

فالمنهج السلفي يقف على أرض صلبة بعيداً عن التفرقات والحزبيات، أساسه الوحدة والاعتصام على ما جاء عن سلف الأمة، فمن عرف منهج السلف حق المعرفة عرف أنه ذو فضل على الأمة جمعاء من حيث ربطها بالإسلام الصحيح الصافي الذي جاء به النبي - ﷺ- الداعي إلى الوحدة والاعتصام، والنأي عن الفرقة والاختلاف، مما فيه قوة الأمة واجتماعها وسؤددُها ونصرُها (١). وكل من يعتقد أصول أهل السنة والجماعة ويعمل على هديها فهو من أهل السنة والجماعة ما لم يتبع غير سبيل المؤمنين.

هذا والله أعلم، وصلّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) انظر: أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله للشيخ: فواز السحيمي ص١٧١ : ١٧٣.

أهم المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، لمصطفى حلمي .

٥- التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما، للألباني .

٦- تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا، لصالح الفوزان.

٧- الأصول العلمية للسلفية –لعبد الرحمن عبد الخالق .

٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي .

٩- تفسير السعدي.

١٠- أهل السنة والجماعة- معالم الانطلاقة الكبرى - لمحمد عبد الهادي المصري .

١١- السلفية وقضايا العصر، لعبد الرحمن بن زيد الزنيدي .

١٢- "شرف الانتساب للسلف الصالح، خطبة الحرم لصالح آل طالب.

١٣- المستدرك على الصحيحين، للحاكم .

١٤- المنهج السلفي، لمفرح بن سليمان القوسي .

١٥- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية .

١٦- مجموع الفتاوى، لابن تيمية .

١٧- موقع أهل السنة.

١٨- أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، للشيخ فواز السحيمي .

١٩- السنن، لأبى داوود .

٢٠- مقال النهج السلفي خصائص ومقومات ومفهوم وقواعد، للدكتور صبري محمد خليل.

٢١- مقال للشيخ صالح آل الشيخ ، موقع معهد الكتاب والسنة .

٢٢- **أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله للشيخ: فواز السحيمي .**

٢٣- مقال العقيدة السلفية تعريفها – فضلها – خصائصها، للشيخ محمد الحمود.

٢٤- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني.

٢٥- العقيدة الطحاوية، للطحاوي .

٢٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١ / ٤٤).

٢٧- التمهيد، لابن عبد البر.

٢٨- المسند، أحمد .

٢٩- الفرق بين النصيحة والتعيير، لابن رجب .

٣٠- تفسير القرطبي .

٣١- أصول الاعتقاد للالكائي .

٣٢- السنن، للترمذي مشكاة المصابيح، للألباني.

٣٣- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني .

٣٤- السنة، ابن أبي عاصم .

٣٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة .

٣٦- فضائل الأئمة والفقهاء، لابن عبد البر.

٣٧- الشعب، للبيهقي.

٣٨- إعلام الموقعين، لابن القيم.

٣٩- الجامع، لابن عبد البر.



دور المنهج السلفي
في تفعيل الأنظمة والالتزام بها

إعداد

د. تركي بن محمد اليحيى

عضو هيئة التدريس في قسم السياسة الشرعية

المعهد العالي للقضاء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فإنَّ المنهجَ السلفيَّ الشرعيَّ القائم على الفهم الصحيح للإسلام، والمستمد من المصدر الأصيل والمعين الصافي للشريعة الغراء، وارتباطه الوثيق بالنصوص الشرعية وفهم القرون المفضلة وتطبيقهم لها، يعدُّ الامتداد الطبيعي لمحاسن هذا الدين العظيم وخصائصه.

ومن المسلَّم به عند كل مُسلِم أن من عظمة الشريعة، وأسرار سموِّها وتميزها صلاحيتها لكل زمانٍ ومكانٍ من خلال اشتمالها على مصالح الدنيا والآخرة، والمصالح العامة والخاصة، وقدرتها على تنظيم حياة الأمم والمجتمعات.

ومن القضايا الجوهرية التي يكثر الحديث عنها وبحث طبيعتها وحقيقتها ما تصدره الدول من أنظمة وقوانين، وجدلية العلاقة بين هذه الأنظمة والقوانين وبين المخاطبين بها مهما كانت مواقعهم.

وفي هذه الورقة أودُّ أن أوضح مجموعةً من النقاط المتعلقة بدور المنهج السلفي في حفظ الأنظمة وتفعيلها، وأثره في الالتزام بها.

أولاً: أهمية الأنظمة والقوانين وأثرها في الدول والمجتمعات:

من المسلَّم به عند جميع الأمم أن المجتمعات الإنسانية تحتاج إلى قواعد وأسس، ومبادئ تحكم العلاقات فيها، سواءً بين أفراد تلك المجتمعات، أو فيما بينهم وبين من يمثِّلهم أو يتولى شؤونهم من الحكام والزعماء، أو بين مجتمعاتهم والمجتمعات الأخرى.

وتقوم هذه القواعد بتحديد الحقوق الخاصة والعامة، والواجبات والمسؤوليات، ووسائل حماية تلك الحقوق، وبيان السلطات العامة في

المجتمع والدولة، وصلاحيات تلك السلطات ووظائفها، وغير ذلك من العلاقات التي تحتاجها المجتمعات الإنسانية على اختلاف أديانها وثقافاتها وحضاراتها.

وتختلف تلك القواعد المنظمة للعلاقات والروابط والحقوق، فقد تكون شرائع سماوية، وقد تكون قوانين بشرية، وقد تكون أعرافاً قبلية أو محلية، وغير ذلك، وتتفاوت هذه القواعد والأحكام فيما بينها سمواً وانحطاطاً بحسب قربها وبعدها من شريعة الله التي جعلها ضمانةً للحقوق، وراعيةً للمصالح العامة والخاصة، وسبيلاً للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

لكن مهما يكن من أمر أي مجتمعٍ أو حضارة فإنها لا تستغني عن أنظمةٍ وقوانين تحمي الحقوق وتحقِّق المصالح.

ثانياً: خاصية الإلزام في الأنظمة والقوانين:

من أهم خصائص الأنظمة والقوانين أنها يجب أن تكون (ملزمة)[1]؛ لأنَّ النظام أو القانون من غير إلزام الناس به واحترامهم له يكون مجرد توجيهات ونصائح قد يلتزم بها الأفراد وقد لا يلتزمون، ولكن مع خاصية الإلزام تتحقق الغاية من سَنِّ الأنظمة والقوانين، ويضمن المجتمع احترام أفراده لأنظمته والتزامهم بها.

---

(١) انظر: المدخل إلى دراسة الأنظمة السعودية للدكتور/ أيمن سعد سليم والدكتور/ زياد القرشي والدكتور/ عبد الله العطاس والدكتور/ عبد الهادي الغامدي والدكتور/ نايف الشريف ص(١٣)، ونظرات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي للدكتور/ عبد الكريم زيدان ص (٣٦).

ومن أجل تحقيق خاصية (الإلزام) في الأنظمة والقوانين نجد أنها تُقرن أحكامها بما يسمى بـ (الجزاء)، وهي خاصية مهمة من خصائص القاعدة النظامية أو القانونية، وبقدر أهمية القاعدة والإلزام بها، يكون نوع الجزاء ومقداره.

"والهدف من توافر الجزاء في القاعدة القانونية هو حثّ الأفراد على اتّباع حكم القانون؛ تحقيقاً للغرض المقصود من وجود القانون الذي تمثل في كفالة النظام في المجتمع"[1].

فإذا ما خالف أحد المخاطبين بالقاعدة النظامية أو القانونية شيئاً من أحكامها الملزمة ترتَّب على مخالفته تلك الجزاء المناسب، الذي قد يكون جنائيّاً، كالحدود أو التعزيرات أو السجن وغيره، وقد يكون مدنياً، كبطلان العقد أو القرار أو التصرف، أو الإلزام بالتعويض أو الغرامة، أو غيرها من صور الجزاء الذي يحمل على الالتزام بالأنظمة والقوانين.

ولكن لا تعدو أن تكون تلك (الجزاءات) أسباباً خارجية، تحمل الفرد على الالتزام بالنظام متى ما خاف من وقوع تلك الجزاءات عليه، في حين أنها عرضة للتحايل والالتفاف عليها، ويمكن تجاوز آثارها في صور كثيرة؛ لأنها لا تنبع من داخل الإنسان نفسه، بحيث يكون لديه القناعة بالالتزام بها وعدم مخالفتها حتى ولو كان بعيداً عن عين الرقيب، أو كان في مأمنٍ من الجزاء لأي سبب كان.

---

(١) المدخل للعلوم القانونية للدكتور/ أحمد شوقي عبد الرحمن ص(١٠)، وانظر: نظرات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي للدكتور/ عبد الكريم زيدان ص (٣٦) وما بعدها

ولذا، فإن (الجزاء) على مخالفة الأنظمة والقوانين _ رغم أهميته الكبرى _ يظل قاصراً عن تحقيق الغاية من سَنِّها والإلزام بها، وتفعيلها في الواقع العملي[1].

ثالثاً: علاقة سَنِّ الأنظمة والإلزام بها بالسياسة الشرعية:

تُعدُّ الأنظمة في الدولة الإسلامية جزءاً من السياسة الشرعية إذا ما التزمت بضوابطها ومبادئها وأهدافها؛ لأن السياسة اسمٌ للأحكام والتصرفات التي تدبَّر بها شؤون الأمة في حكومتها وتشريعها وقضائها، وفي جميع سلطاتها التنفيذية والإدارية وفي علاقاتها الخارجية التي تربطها بغيرها من الأمم[2].

ولذلك فإن حكم تلك الأنظمة وما يتعلق بها من حدود وضوابط وصلاحيات مرتبطٌ بحكم السياسة الشرعية وضوابطها وشروطها.

وكلُّ ما من شأنه تنظيم أمور المسلمين وحفظ حقوقهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم فهو من السياسة الشرعية التي جاءت بها الشريعة، إذا تحقق من ورائها المصالح الشرعية المعتبرة، "ومَنْ له ذوقٌ في الشريعة، واطِّلاع على كمالاتها وتضمُّنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل

---

(١) وهذا أمر مستقر عند أهل القانون، ولذا يؤكدون على أهمية كون القوانين تمس احتياجات المجتمع وقناعاته، يقول الدكتور/ أحمد شوقي عبد الرحمن: (... مما يدفع الناس طواعيةً إلى اتباعها، وبالعكس فإن ابتعاد القاعدة القانونية عن حاجات الجماعة يدفع الكثير إلى مخالفة أحكامها، حيث يعجز الجزاء عن توفير الاحترام الكافي لها...)، المدخل للعلوم القانونية ص(١٠).

(٢) السياسة الشرعية لعبد الرحمن تاج ص (٧)، وانظر: الاختصاص القضائي في الفقه الإسلامي للدكتور/ ناصر ابن محمد الغامدي ص (٥١).

الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح: تبيَّن له أن السياسة العادلة جزءٌ من أجزائها، وفرعٌ من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها، وحسُن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة.

فإنَّ السياسة نوعان: سياسةٌ ظالمةٌ، فالشريعة تحرمها، وسياسةٌ عادلةٌ تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها"(١).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : "اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك.

وإيضاح ذلك: أن النظام قسمان: إداري وشرعي، أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجهٍ غير مخالف للشرع فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم، وقد عمل عمر - رضي الله عنه - أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط.... وكاشترائه دار صفوان بن أمية وجعله إياها سجناً في مكة المكرمة، مع أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر - رضي الله عنه - .

فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور _ مما لا يخالف الشرع _ لا بأس به، كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص (٨).

وجهٍ لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة...)[1].

رابعاً: رؤية المنهج السلفي للأنظمة التي يصدرها ولي الأمر في الدولة المسلمة:

وتأسيساً على ما سبق الإشارة إليه فإن ما يصدره ولي الأمر _أو من يفوِّضه من عمَّاله_ من الأنظمة التي تحقق المصالح وتحفظ الحقوق يعدُّ جزءاً من السياسة الشرعية التي جاءت بها الشريعة، وهي فرعٌ من طاعة ولي الأمر، وصورة عملية تطبيقية لهذا الأصل.

والمنهج السلفي المستمد من النصوص الشرعية وفق فهم السلف الصالح يرى وجوب طاعة أولي الأمر بالمعروف، وأنهم متى ما أقاموا الشريعة وحكَّموها وانطلقوا منها في أوامرهم وأحكامهم وجبت طاعتهم، وحرمت مخالفتهم والخروج عليهم.

وذلك امتثالاً لقول الله - تبارك وتعالى- : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا)[2].

---

(١) أضواء البيان (٣/٥٣٠)، وانظر: الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه للدكتور عبد الرحمن المحمود ص (٣٦٢)، وقد ذكر ضوابط للتفريق بين ما هو تشريع وضعي مخالف وبين ما هو تنظيم جائز.

(٢) سورة النساء الآية (٥٩).

ومن النصوص التي يستند إليها المنهج السلفي في رؤيته لحكم طاعة أولي الأمر ما روى الإمام مسلم عن أبي ذرٍ - رضي الله عنه - أنه قال: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً مجدّع الأطراف)[1].

وكذلك ما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبيَّ " قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"[2].

وليست الرؤية السلفية في هذا تقوم على تقديس الحاكم أو ولي الأمر، بل هي تقوم بوضع الأمور في نصابها، فتكون الطاعة واجبة بالمعروف، ومرجع الحاكم والمحكوم هو الكتاب والسنة (فردوه إلى الله والرسول).

قال ابن كثير - رحمه الله- : "وهذا أمر من الله - عز وجل - بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يُردَّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال – تعالى - : (وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله)[3]، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!، ولهذا قال – تعالى - : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)، أي: رُدُّوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)، فدلَّ على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر، وقوله: (ذلك

---

(1) رواه مسلم حديث رقم (١٨٣٧).

(2) رواه البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(3) سورة الشورى، الآية (١٠).

خير) أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع في فصل النزاع إليهما خيرٌ، (وأحسن تأويلاً) أي: وأحسن عاقبة ومآلا"[١].

وكذلك فإن الطاعة مؤسسة على موافقة النظام للشريعة وعدم مخالفته لها، وليس لما يحب المرء أو يكره، أو بحسب قناعته بالنظام من عدمها.

فقد روى ابن عمر عن النبي - ﷺ - أنه قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة"[٢].

فالطاعة تكون وفق المنهج السلفي الشرعي المعتدل، الذي ليس فيه تفريطٌ فيما أوجبه الله من الطاعة لولاة أمر المسلمين، وليس فيها إفراطٌ يتحول إلى طاعةٍ عمياء لكل نظامٍ ولكل أمرٍ ولو كانت الأنظمة والأوامر مخالفة لأوامر الله وشريعته.

خامساً: أثر تلك الرؤية على تفعيل الأنظمة والالتزام بها:

من خلال ما سبق فإن الرؤية السلفية للأنظمة والقوانين في الدولة المسلمة تقوم على مقدمات بعضها مسلَّماتٌ لدى أهل الاختصاص في القانون، وبيانها كما يلي:

- إن الأمم والشعوب والمجتمعات لابد لها من أنظمة وقوانين تحفظ بها حقوق الناس وتحقق مصالحهم.

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص (٣٠٣).

(٢) رواه بألفاظٍ متقاربة: البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

- إن الأنظمة والقوانين لابد وأن تكون ملزمة ؛ لكي تتحقق الغاية من ورائها ، ولكي يُضمن التزام الناس بها.
- أن الإلزام من خلال الجزاء _رغم أهميته_ يظل قاصراً عن حمل الناس على التزام الناس بالقوانين والأنظمة ؛ لافتقاره إلى الدافع الذاتي والرقابة الذاتية.
- إن ما يسنّه ولاة أمر المسلمين من الأنظمة التي تحقق المصالح ولا تخالف الأحكام الشرعية من باب السياسة الشرعية التي جاءت بها الشريعة ، وأنها من سمات سمو الشريعة وصلاحيتها لكل زمانٍ ومكان.
- إن طاعة ولاة أمر المسلمين فيما ليس فيه معصية واجبة شرعاً ، ويحرم مخالفة ما يصدرونه من أنظمةٍ جاءت لتحقيق المصالح أو درء المفاسد أو حفظ الحقوق.
- إن الرؤية السلفية القائمة على وجوب الطاعة بالمعروف في غير معصية ، تقتضي الالتزام بما يصدره ولاة الأمر من تلك الأنظمة ، وأن مخالفتها تعرِّض المخالف للإثم ، بغض النظر عن الجزاء الدنيوي الذي تقرره الأنظمة.
- إن وجوب الطاعة وتحريم المعصية وفقاً لشروطها الشرعية تجعل من الالتزام بالأنظمة واجباً شرعياً يستلزم رقابةً ذاتيةً من المسلم ، وبالتالي يدفعه ذلك للالتزام بالأنظمة ديانةً ، وعدم مخالفتها لما يخشاه من الإثم على المخالفة ومعصية ولي الأمر شرعاً ، كما مرَّ في الحديث : (ومن عصى أميري فقد عصاني).

- إن هـذه الرؤيـة لهـا دورٌ كـبير وأثـرٌ مهـم في التـزام الأمـة بالأنظمـة وامتثالهم لها وعدم مخالفتها، حتى ولـو كـانوا في مـأمنٍ مـن الجـزاءات النظامية.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.



بحوث

المحور الثالث



نقض اتهامات حول الدعوة السلفية

بقلم

د. رضا بوشامة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، وبعد:

فإن الله بعث محمداً - ﷺ - على فترة من الرسل، فهدى به الناس من الضلالة، وأخرجهم من أوحال الشرك والبدع إلى نهر التوحيد والاتباع، فأدى الأمانة ونصح الأمة، وفرَّق بين الحق والباطل، والعدل والظلم، وحثَّ أتباعه على اقتفاء الأثر، وبيان الدين ونشره بين الناس في كل مصر ووطن.

فقام الصحابة بإرث الدعوة أحسن قيام، ووفوا بهذا الواجب على أكمل وجه وأتمه، ثم سار على نهجهم من جاء بعدهم من التابعين والأئمة المرضيين والفقهاء والمحدثين، فدعوا إلى دين الله الخالص وأيقنوا أنَّ الدعوة إلى الله من أوجب الواجبات؛ وكانوا على علم ودراية أنَّ الصراع بين الحق والباطل قائم منذ خلق الله البشر، وأنَّ الإسلام صرع باطلَ الشرك والكفر والعناد، وصرع كلَّ ما كان قائماً من الأديان والنحل الباطلة، ومزَّق بنوره وبرهانه الضلالات التي كانت مغطية على العقول حتى استقر في قراره من النفوس والأقطار، وأصبح برهاناً واضحاً وقوة غالبة.

ولم يقف أعداء الدين سواء من الداخل أو الخارج مكتوفي الأيدي، بل عمل أعداؤه من الخارج على رميه بكل نقيصة، وعمل أعداؤه من الداخل برميه بكل معضلة.

فتكوَّن لهذا الدين أعداء من غير المنتسبين إليه، يرمونه بكلِّ نقيصة، وأعداء من المنتسبين إليه يرمونه بكل معضلة، وعداوة الأوَّلين منشؤها سوء

القصد، وعداوة الآخرين منشؤها سوء الفهم، ونقطة التلاقي بين الفريقين هي تعطيل هذا الدِّين إذا قُدر لهم أن ينالوا منه نيلاً.

وهذا كله امتحان للدعاة إلى الله، امتحنهم الله - تعالى - بجماعات يُعارضونها في دعوتها، يسفهون آراءها، ويطمسون حسناتها، ويتنقَّصون جلائل آثارها، ويعارضون بأقوالهم أفعالها، فهم أضدادٌ لها في أعمالها يَقصرون جهودهم على التنقيص منها والزراية بها، يلوون ألسنتهم بانتقادها واتهامها، ويُشيعون عليها قالة السوء والعيب، يقفون لها بالمرصاد في ميادينها العلمية والدعوية.

فلا زالت الدعوة الحقة في صراع دائم مع مجموعة من الأعداء الخارجيين والداخليين.

ومحل النزاع وهدف الصراع مع الأعداء الخارجيين هو الأمة الإسلامية فالدعاة يريدونها أمة مسلمة تنتهج منهج نبيها وصحابته، تريدها كذلك وتعمل على تحقيق ذلك، وأعداؤها يريدونها أمة توجه وجهها إلى الغرب، وهيكلا لا تترابط أجزاؤه، ولا تتماسك أعضاؤه.

ومحل النزاع ومكمن الصراع مع الأعداء الداخليين هو المسلم العامي، الذي أراد الدعاة إصلاحه وتحريره من استعباد بعض الطوائف المنتسبة على الإسلام له، ويريد إطلاق أسره، وتريده الجماعات الأخرى أن يبقى عبداً يستغلون خراجه ولا يستقيم لهم ذلك إلا بجهله وغفلته.

يريد الدعاة من هذا العامي أن يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد - ﷺ - رسولاً، وأن لا يرجو النفع إلا من ربه، ولا يستدفع الضر إلا به،

وأن لا يستعين إلا بالله، وتريد منه الجماعات على اختلاف طرقها ومناهجها صرفه عن أمر دينه إلى أمور إما بدعية أو شركية أو مخالفة لهدي النبوة.

وهذا كوَّن للدعاة إلى الحق أعداء من جميع الجبهات، لكن لا بد من الصبر في سبيل إعزاز دين الله، فيثبتهم الله بالقول الثابت، ويأخذ بأيديهم إلى ساحة اليقين وساحل النجاة، مع كثرة ما يشاع عنهم من أباطيل وأراجيف، وهذه سنة الله في خلقه، بل سنته مع أفضل خلقه قال الله - تعالى - لنبيه - عليه الصلاة والسلام - : ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ (1).

ويقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري - رحمه الله - : « لسنا نجهل هذا من سنن الله، فلم نشك لحظة منذ وضعنا قدَمنا في طريق الإصلاح الديني ورفعنا الصوت بالدعوة إليه في أن الله سيديل للحق من الباطل، وأنه يبتلي أولياءه بالأذى والمحنة ليمحصهم ويكمل إعدادهم للعظائم، ولم نزل على يقين تتجدّد شواهده أن في المصائب التي تصيبنا في سبيل الإصلاح شحذاً لهممنا وإرهافاً لعزائمنا وتثبيتاً لأقدامنا، وإلفاتاً للغافلين عنا إلى موقعنا من الأمة وموقفنا من أعدائها، وقد أَلِفْنا هذه المكائد التي تُنصب لنا حتى ما نبالي بها، وأصبح حظُّنا من (الكشف) أن نعلم من أوائلها أواخرَها، ومن مقدماتها نتائجَها، وإننا لنبتهج بالمصيبة تصيبنا في سبيل الإصلاح أضعاف ما يبتهج غيرُنا بالطيبات والمسارّ، ونعدُّ كبيرَها مهما أعضل وآذى صغيراً هيناً، وخفيَّها مهما أفظع وبَغَت ظاهراً جليًا، ونأسى

(1) [فُصِّلَت: ٤٣].

لإغبابها عنَّا كما يأس الممحِل للجدب، ونرتقب إلمامها بساحتنا كما يرتقب غيرُنا النعم والخيرات، لعلمنا أنَّ المعاني التي تتركها في نفوسنا هي المعاني التي نصبو إليها، وأنَّ تمرُّسنا بها بابٌ من أبواب الرجولة وسبيل من سبلها »[1].

وقال أيضا: «مضت جمعية العلماء[2] خمسة أعوام وهي تدعو إلى الحق والفضيلة، ثابتةَ الخطى في طريقها، متمسكةً بمبدئها، مجادِلةً عنه بالبرهان العلمي، راكبةً متن التسامح مع خصومها، متحليةً بالأدب القرآني الجليل ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[3].

وكم أقام خصومُها حولها من ضجيج، وكم نصبوا في طريقها من عراقيل، وكم بثُّوا لها من مكائد، وما نقموا منها إلا أنها تدعو إلى الفضيلة، والفضيلة غريبة عند هؤلاء، وتدعو إلى الحق، والحق ثقيل عليهم، وتنهض بالإسلام ولسانه وهما لا يُلائمان بعض الأمزجة، وما نقموا من رجالها إلا أنهم لا يلينون لغامز، ولا يُثنيهم الوعيد والتهديد، ولا تستهويهم الوظائف والرتب، ولا يستنزلون عن مبدئهم الحق بالرقى، ولا يتساهلون في واجب، ولو تجلت عليهم الدنيا بألطافها، ولا يعنون لباغ ولو حشد لحربهم مَن بأقطارها.

كبُر على الخرافيين الضالين ما تدعو إليه الجمعية من حقٍّ ديني واضح، ولو كان كعمود الصبح، ورأوا في هذه الدعوة زعزعة لأركان سلطانهم،

---

(١) آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ٢٧٦).

(٢) يقصد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان على رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي - عليهما رحمة الله - .

(٣) [الأعراف: ١٩٩].

وكبر على المستبدين الظالمين ما تدعو إليه من تنقيح الأخلاق التي هي قوام الحياة، ورأوا في هذه الدعوة عناداً لما بيَّتوه من قتل مشاعر هذه الأمة وسد منافذ الحياة في وجهها، فأجمع هؤلاء وأولئك أمرَهم على حربها وتدبير المكائد لها، واتبعوا ما تتلو الشياطين، فشدَّد هؤلاء وضيقوا، وأعنَتوا وأرهقوا، بعد أن صاح أولئك وأعولوا، وبالغوا وهوَّلوا »[1].

وهكذا الدعوة السلفية في كلِّ قطر ومصر يترصد لها الأعداء من الداخل والخارج، ويبثون حولها الدعايات والأراجيف لتضليل الرأي العام وإبعادهم عن هذه الدعوة المباركة الموروثة عن سلف الأمة، فرُميت بأنواع التهم، هذا كله لم يُثنها ولم يثن عزائمها على بيان الحق ودعوة الناس إلى الهدى، تأسياً بالنبي - عليه الصلاة والسلام - ، واقتفاء لآثار من تبعه من الصحابة الكرام والأئمة الأعلام.

وفي الفصول التالية أذكر بعض أنواع التهم التي تُتهم بها الدعوة السلفية في القديم والحديث، وبيان زغلها وكذبها، وأنها بعيدة أشد البعد عن ذلك.

---

(١) آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ٢٦٢).

الفصل الأول

اتهام الدعوة السلفية بأنها دعوة تكفيرية والرد على ذلك.

مما يذيعه المخالفون للدعوة السلفية أنَّها دعوة تكفيرية تنابذ الأمة وتكفرها وتستحل دماءها، وكلُّما وقع خروج على الأئمة والأمة رمي بذلك السلفيون واتهموا.

ولا شكَّ أنَّ هذا ظاهر بطلانه، بل يشهد العقلاء من هذه الملة أنَّ الدعوة السلفية بريئة من التكفير براءة الذئب من دم يوسف، بل هم الذين رووا ويروون ويبلغون أحاديث النبي - عليه الصلاة والسلام - في النهي والتحذير من التكفير، كقوله - ﷺ- في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- : «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[1].

وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ- يقول: «مَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه»[2].

وفي رواية للبخاري: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارْتَدَّتْ عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[3].

وفي حديث ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه- : أنَّ رسول الله - ﷺ- قال: «... ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله»[4].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٨١٤)، والبخاري في الصحيح (٦١٠٤).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٤٥)، وصحيح مسلم (٦١).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٤٥).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٤٧).

وغير ذلك من أقواله - عليه الصلاة والسلام - .

ومن عقائدهم التي ينشرونها ويتذاكرون ويُذكِّرون بها قولهم: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله»(١).

وكتبهم مليئة بإثبات هذه العقيدة وبيان خطر التكفير وخطورته، وأنَّ من يقدم عليه لا بد أن يعلم قواعده وضوابطه وموانعه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «قد تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلا منهيا عنه؛ مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ ما لم يتضمن ترك الإيمان وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به مثل: الإيمان بالله وملائكته؛ وكتبه ورسله؛ والبعث بعد الموت؛ فإنه يكفر به ...»(٢).

وقال أيضا: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية»(٣).

---

(١) انظر رسالة السنة للإمام أحمد (ص ٧٢)، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١٢٤/١ ـ المنيرية)، الاعتقاد للبيهقي (ص ٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٩٠/٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢٩/٣).

وقال: «وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار - لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر.

وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفِّر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة.

ومن ثبت إيمانه بيقين لم يَزُل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[(١)].

وقال الشيخ عبد الله والشيخ إبراهيم ابنا الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن وسليمان بن سحمان - رحمهم الله تعالى -: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولا يكون القول به كفراً، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر، لكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ...»[(٢)].

ويقول الشيخ ابن باز - رحمه الله - في بيان منهج أهل السنة والسلفيين في التكفير وبيان خطر ولوج هذا الأمر: «وأعظم من ذلك وأخطر، الإقدام على التكفير أو التفسيق بغير حجة يعتمد عليها، من كتاب الله أو سنة

---

(١) المجموع (١٢/ ٥٠٠ - ٥٠١).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٢٤٤).

رسوله - ﷺ - ، ولا شك أن هذا من الجرأة على الله وعلى دينه، ومن القول عليه بغير علم، وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح - رضي الله عنهم - وجعلنا من أتباعهم بإحسان، وقد صح عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما».

وقال - ﷺ - : «من دعا رجلا بالكفر، أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه»[1] أي: رجع عليه ما قال.

وهذا وعيد شديد يوجب الحذر من التكفير والتفسيق، إلا عن علم وبصيرة، كما أن ذلك وما ورد في معناه يوجب الحذر من ورطات اللسان، والحرص على حفظه إلا من الخير»[2].

وقال الشيخ الألباني - رحمه الله - : «ليس كل من وقع في الكفر من المؤمنين وقع الكفر عليه وأحاط به»[3].

وسئل الشيخ الألباني أيضاً عمن يطلق لسانه في تكفير الناس، فذكر كلمة توجيهية عن التكفير وضوابطه، فقال - عليه رحمة الله - :

«أولاً: لا يجوز الحكم من عالم متفقه في الكتاب والسنة أن يطلق الكفر على شخص أو على جماعة بالجملة إلا بعد إقامة الحجة، وهذا يتطلب أن يفهم رأي ذلك الذي يريد أن يكفره فهماً صحيحاً ثم يعرضه على أدلة

---

(١) تقدم تخريج الحديثين.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (١/٢٥٦).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت حديث (٣٠٤٨).

الكتاب والسنة، فإذا كانت هذه الأدلة تشهد بأن هذا الإنسان يستحق التكفير، مع ذلك لا يجوز إطلاق الحكم في حقِّه إلا بعد إقامة الحجة عليه.

ولا شك ولا ريب أن طلاب العلم ليس هذا مجالهم، بحسبهم أن يستحضروا في ذوات أنفسهم قوله – تعالى – : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[1] ....

وقوله – ﷺ – : «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» فهذا فيه وعيد شديد للمسلم الذي يتسرع في إطلاق لفظة الكفر على مسلم يشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ...

وخلاصة القول: إن التكفير خطير جداً ولذلك قال العلماء: إذا كان هناك مائة قول في خصوص شخص معين؛ تسعة وتسعون قولاً في تكفيره، وقول واحد في عدم تكفيره، فالحيطة والحذر في أن نتبنى هذا القول الفريد الوحيد ولا نتبنى قول التسعة والتسعين ...

ثم ذكر الشيخ أن سبب التسرع في التكفير هو «الغرور والعجب والافتتنان بهذا العلم الضحل الذي اكتسبه بعضهم فهم يكفرون عباد الله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2] بعملهم ذلك!! ...»[3].

وكلام أهل العلم القدامى والمعاصرين ممن ينتسبون إلى هذه الدعوة السلفية المباركة كثير في بيان خطورة التكفير وأنَّ من منهجهم عدم تكفير الناس إلا من كفر وأقيمت عليه الحجة وبين له بالدليل الواضح فإنهم

---

(١) [المائدة: ١٠٥]

(٢) [الكهف: ١٠٤].

(٣) شريط سلسلة الهدى والنور رقم (٦٣٤).

يكفرونه، وذلك أنَّ مسألة التكفير سواء تكفير عامة الناس أو تكفير المعين من أخطر المسائل، ولا يمكن الحكم على أحد بذلك إلا بشروط، وشروط التكفير بيَّنها أهل العلم وأوضحوها وكتبهم طافحة بذكرها والتنويه بها، فهي أربعة شروط تقابلها أربعة موانع:

- العلم ويقابله الجهل.
- توفر القصد ويقابله الخطأ.
- توفر الرضا ويقابله الإكراه.
- عدم التأويل السائغ ويقابله التأويل السائغ.

وهذه الشروط والموانع ذكرها العلماء في كتبهم وبينوها أشد البيان ونطقوا بها وعلى وفقها دارت أحكامهم على من وقع في أمر مكفِّر، وفي كل هذه الشروط والضوابط والموانع يستدلون بكتاب الله تعالى وبما جاء عن رسول الله - ﷺ - ، مقتفين آثار السلف من الصحابة الكرام والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة الأعلام.

فمن وصمهم بأنهم تكفيريون يحكمون على أهل الإسلام بالكفر ويخرجونهم من دين الله - تعالى - فهو غالط أو مغالط.

غالط لأنَّه قد يسمع من هنا وهناك أنَّ من جماعات التكفير من ينتسب إلى الدعوة السلفية بهتانا وزورا، كالجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر مثلا، فيظن أنَّ الدعوة السلفية قائمة على التكفير.

ومغالط لأنَّه يدرك الأشياء على حقائقها ويقرأ لعلماء الدعوة ودعاتها ويسمع إنكارهم على التكفيريين والخوارج ويرى جهدهم في صدِّ الشباب عن الالتحاق بهذه الجماعات إلاَّ أنَّ قلبه أشرب بغضهم وحقدهم فيصفهم بأنهم

يكفرون الناس ويحكمون على من ارتكب كبيرة أو شيئاً من الشرك بالكفر ولو لم تقم عليه الحجة أو يعلَّم ويبيَّن له.

فمن موانعه مثلاً الجهل، ويقرر العلماء السلفيون بأنَّ الرجل إذا وقع في الكفر وهو يجهل فإنه لا يكفر حتى يبين له ذلك ويعلَّم، ودليلهم في ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ - رضي الله عنه - ، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «ذَكَرَ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَدًا، يَعْنِي أَعْطَاهُ قَالَ - فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا - فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ - وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي، أَوْ قَالَ فَاسْهَكُونِي، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا فَقَالَ اللَّهُ كُنْ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ ثُمَّ قَالَ أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ مَخَافَتُكَ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك وكل واحد من إنكار قدرة الله - تعالى - وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر. لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلا بذلك ضالا في هذا الظن مخطئا. فغفر الله له ذلك. والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك وأدنى هذا أن يكون شاكاً في المعاد وذلك كفر - إذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٨١).

قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره - هو بين في عدم إيمانه بالله تعالى[1].

ويقول الشيخ محمد صالح ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - : «كل إنسان فعل مكفرا فلا بد ألا يوجد فيه مانع من موانع التكفير ... فلا بد من الكفر الصريح الذي لا يحتمل التأويل، فإن كان يحتمل التأويل فإنه لا يُكفَّر صاحبه وإن قلنا إنه كفر، فيفرق بين القول والقائل، وبين الفعل والفاعل، قد تكون الفعلة فسقا ولا يفسق الفاعل لوجود مانع يمنع من تفسيقه، وقد تكون كفراً ولا يكفر الفاعل لوجود ما يمنع من تكفيره، وما ضرَّ الأمة في خروج الخوارج إلا هذا التأويل.

ربما يفعل الإنسان فعلاً فسقاً لا شك فيه لكنه لا يدري، فإذا قلت: يا أخي! هذا حرام. قال: جزاك الله خيراً، وانتهى عنه.

إذا: كيف أحكم على إنسان أنه فاسق دون أن تقوم عليه الحجة؟!»[2].

وأحكام أهل العلم والفضل بمثل هذا الكلام كثير جداً ولولا خشية الإطالة لأوردت نصوصهم في ذلك.

فمن هذا يتبين وهاء هذه التهمة أنَّ السلفية دعوة تكفيرية خارجية، بل الحق الواضح أنَّ الدعوة السلفية هي الدعوة التي قامت في وجه الخوارج من يوم بدو ظهورهم إلى يومنا هذا، فلا نجد من الجماعات الإسلامية من يبين فساد عقائد الخوارج والتكفيريين كالدعوة السلفية قديما وحديثا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٤٠٩).

(٢) لقاء الباب المفتوح (١٢٥/٣. لقاء ٥١ السؤال ١٢٢٢).

فهذه كلمات الأئمة - رحمهم الله - في كتب الاعتقاد تبين وتوضح أنَّ الدعوة السلفية بعيدة كل البعد عن التكفير وأهله، فلا يحكمون على إنسان بالكفر إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع، خلافاً للخوارج الذين يحكمون على المعين بمجرد إتيانه وفعله لا للكفر فقط بل للكبيرة التي لا يكفر بها بإجماع أهل العلم.

قال شيخ الإسلام مبيناً الفرق بين السلفيين وأهل البدع في مسألة التكفير: «والخوارج تكفر أهل الجماعة وكذلك المعتزلة يكفِّرون من خالفهم، وكذلك الرافضة، ومن لم يكفِّر فسَّق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويكفرون من خالفهم، وأهل السنة يتبعون الحق من ربِّهم الذي جاء به الرسول - ﷺ - ، ولا يكفرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحقِّ وأرحم بالخلق»[1].

وكذلك أئمة الدعوة السلفية، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ - رحمهم الله - لما سئل عمَّن يكفر بعض مخالفيه: «الجواب أني لا أعلم مستنداً لهذا القول والتجاسر على تكفير من ظاهره الإسلام من غير مستند شرعي ولا برهان مرضي يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة، وهذه الطريقة هي طريقة أهل البدع والضلال»[2].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/١٥٨).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/٢٠).

الفصل الثاني

اتهام الدعوة السلفية بالغلو والتطرف وعدم الوسطية والرد على ذلك.

ومما وُصمت به الدعوة السلفية أيضاً من بعض خصومها في الساحة الدعوية أنها دعوة تتسم بالغلو في الدين والتطرف، وهي بعيدة عن الوسطية المأمور بها في كتاب الله – تعالى – وسنة رسوله – ﷺ – .

وهذا الغلو حملهم على فعل بعض ما جاء في الشريعة على وجه لا يريده الله تعالى، فحرموا ما أباحه الله، وأوجبوا ما استحبه فقط.

والناظر في كتب الأئمة وكتب الدعوة السلفية يجد أنها أولت موضوع الوسطية والغلو والتطرف عناية خاصة بالغة، فبينت معنى الغلو والتطرف، ومعنى الوسطية، وجمعت لذلك الآيات والأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فالوسطية عند السلفية ليست ترك الشرائع والجري وراء شعارات براقة ولافتات تسلخ هذا الدين من أسسه وقوائمه، بل الوسطية هي إقامة دين الله كما شرعه في كل الميادين، فالإسلام منهج وسط في كل شيء، في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، وينهى عن الغلو والتطرف، فبان بذلك أنَّه دينٌ سمح سهل مرن معتدل متوسط بين الإفراط والتفريط، وليس الإسلام متشدداً ضيقاً حرجاً، فلا إعنات ولا مشقة ولا إحراج في تعاليم الإسلام وأحكامه كلها، سواء منها أحكام العقائد أو العبادات والمعاملات ونظام الأسرة وجميع التكاليف الشرعية، وكذلك مبادئ الاقتصاد في الكسب والادِّخار والتوزيع والإنفاق تقوم على التوسط

بين الإسراف والتبذير، وبين الشح والبخل والتقصير، والأخلاق والسلوكيات فيه - أيضاً - وسط، تتميز بالسماحة والتخفيف واليسر، وترك التنطع والتشدد، والغلظة والاستكبار.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العِباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل»[1].

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2] أي: عدلا خيارًا. وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدّين، وسطًا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كل على الوجه اللائق بذلك.

ووسطًا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطّهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصحّ لهم صلاة إلاّ في بِيَعهِمْ وكنائسهم، ولا يطهّرهم الماء من النَّجاسات، وقد حرّمت عليهم طيِّبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا يُنجسّون شيئًا ولا يُحرّمون شيئًا، بل أباحوا ما دبَّ ودرج، بل طهارتهم - أي هذه الأمة - أكمل

(١) إعلام الموقعين (٣/٣).

(٢) [البقرة: ١٤٣].

طهارة وأتمّها، وأباح لهم الطيّبات من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح، وحرَّم عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمّة من الدّين أكمله، ومن الأخلاق أجلّها، ومن الأعمال أفضلها.

ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كاملين معتدلين، ليكونوا: ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على النَّاس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم»[1].

فمن هذا المنهج النبوي يتبين أنَّ كل مُنتَم إلى هذا الدين سواء كان من الرجال أو النساء، من الشباب أو الشيوخ، فهو ينتمي إلى دين وسط، وأمة وسط، بيَّن وسطيتها الله – تعالى – في كتابه، ورسوله – ﷺ – في سنته، فالوسطية الإسلامية من الثوابت الدينية التي لا تتغير سواء بتغير الزمان أو المكان.

فالدعوة السلفية بينت الوسطية في كل ميادين الدين، ونهت عن الغلو والتطرف، مستندة في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ – ، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – ﷺ – غداة جمع: «هلمّ القط لي الحصى»، فلقطت له حصيات من حصى الحذف، فلمَّا

(١) تفسير كلام المنان (١ / ١٥٧).

وضعهنَّ في يده قال: « نعم بأمثال هؤلاء وإيّاكم والغلوّ في الدّين فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «وقوله: «إياكم والغلو في الدِّين» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك.

والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه فالغلو فيه مثل رمي الحجارة الكبار، ونحو ذلك بناءً على أنه قد بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى.

وذلك يقتضي أنَّ مجانبة هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكًا»[2].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «لا تشدِّدوا على أنفسكم فيُشدِّد الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصَّوامع والدّيار ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[3]»[1].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن (٣٠٥٧)، وابن ماجه في السنن (٣٠٢٩)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١٢٨٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٠٦).

(٣) [سورة الحديد: ٢٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ففيه نهي النبي - ﷺ- عن التشدُّد في الدين بالزيادة عن المشروع، والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات، وعلَّل ذلك بأنَّ الذين شدَّدوا على أنفسهم من النصارى شدَّد الله عليهم لذلك حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة.

وفي هذا تنبيه على كراهة النبي - ﷺ- لمثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة وإن كان كثير من عُبَّادنا قد وقعوا في بعض ذلك متأولين معذورين أو غير متأولين ولا معذورين.

وفيه أيضا تنبيه على أن التشديد على النفس ابتداء يكون سبباً لتشديد آخر يفعله الله إما بالشرع وإما بالقدر.

فأما بالشرع فمثل ما كان النبي - ﷺ- يخافه في زمانه من زيادة إيجاب أو تحريم كنحو ما خافه لما اجتمعوا لصلاة التراويح معه، ولما كانوا يسألون عن أشياء لم تحرم ومثل أن من نذر شيئاً من الطاعات وجب عليه فعله وهو منهي عن نفس عقد النذر وكذلك الكفارات الواجبة بأسباب.

وأما القدر فكثيرا ما قد رأينا وسمعنا من كان يتنطع في أشياء فيبتلى - أيضاً - بأسباب تشدد الأمور عليه في الإيجاب والتحريم مثل كثير من الموسوسين في الطهارات إذا زادوا على المشروع ابتلوا بأسباب توجب حقيقة عليهم أشياء فيها عظيم مشقة ومضرة.

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٤٩٠٤)، وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة (ص ٢٠).

وهذا المعنى الذي دل عليه الحديث موافق لما قدَّمناه في قوله – تعالى - ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] من أن ذلك يقتضي كراهة موافقتهم في الآصار والأغلال.

والآصار ترجع إلى الإيجابات الشديدة، والأغلال هي التحريمات الشديدة، فإنَ الإصر هو الثقل والشدة، وهذا شأن ما وجب، والغل يمنع المغلول من الانطلاق، وهذا شأن المحظور وعلى هذا دلَّ قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2] وسبب نزولها مشهور»[3].

ويقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : «فالاقتصاد في العبادة من سنن النبي - ﷺ- فلا ينبغي لك أيها العبد أن تشقَّ على نفسك، وامش في أمورك رويدا رويدا، وكما سبق في الحديث الذي قبل أن «أحبَّ العمل إلى الله أدومه» وإن قلَّ فعليك بالراحة لا تقصر ولا تزد فإن خير الهدي هدي النبي - ﷺ- جعلني الله وإياكم من متبعي هديه الذين يمشون على طريقته وسنته»[4].

وكثير ممن يتكلم ويفتري على هذه الدعوة يتكلم عن أخلاق بعض أصحابها وأنهم لا يولون مجال الأخلاق اهتماما، فيتطرفون ويعاملون الناس معاملات بعيدة عن الأخلاق الفاضلة والقيم الخالدة.

---

(١) [الأعراف: ١٥٧].

(٢) [المائدة: ٨٧].

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٧٠).

(٤) شرح رياض الصالحين (١/ ١٦٢).

ونسي هؤلاء أو تناسوا أنَّ العلماء هم الذين بينوا ما اشتملته الشريعة من الأخلاق والقيم، وبينوا أيضا ما كان عليه رسول الله - ﷺ- وصحابته من المعاملات، ودعوا الناس إليها بمؤلفاتهم وخطبهم وكلامهم.

والأحاديث في الحث على حسن الخلق، وفي بيان الأخلاق الرفيعة كثيرة جدًّا، ولم تترك شيئا مما يزيد في خلق المسلم ويقوي رباطه مع غيره من أهل مجتمعه إلا ذكره، بل حتى التخلق مع غير أهل ملته، فلم تدع جانبا من جوانب الحياة إلا ذكرته: روحية أو جسمية أو دينية أو دنيوية فردية أو اجتماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل المتكامل الشامل في مجال الأخلاق.

لذا جاءت الأخلاق وسطاً بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والجفاء، من قوله وفعله وتقريراته - ﷺ- .

وقرَّر العلماء أنَّ حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، وركنها الرابع هو الوسطية والاعتدال فيه بين طرفي الإفراط والتفريط، وكلُّ خلق محمود وردت به السنة واقع بين خُلقين مذمومين، فكان وسطاً بينهما، لذا كانت الوسطية في الأخلاق ركن من أركانه الأساسية، وقد ذكر ابن القيم كلاماً نفيساً بيَّن فيه وسطية الأخلاق في السنة النبوية، فقال - رحمه الله - : «وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة .

والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته وتحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنائها ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، كما قال: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. وهو حقيقة الشجاعة وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذُّل والقحة، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصا والنقص كمالا.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويُقدِم في

موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه.

ويتركب من بين كلِّ خُلُقين من هذه الأخلاق أخلاق مذمومة، وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس في الضعف وإفراطها في القوة. ....».

إلى أن قال: «وصاحب الخُلق الوسط: مهيب محبوب عزيز جانبه، حبيب لقاؤه، وفي صفة نبينا: مَن رآه بديهة هابه ومن خالطه عشرة أحبه، والله أعلم»[(١)].

ويقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - في بيان طريقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في دعوة الناس إلى الوسطية في الدين، وإلى التخلق بالأخلاق الفاضلة والعلم النافع: «جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية؛ فهي بالصفة الأولى تُعلِّم وتدعو إلى العلم، وترغب فيه وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تستتر.

وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية؛ لأنهما شيئان متلازمان، وتدعو إليهما وترغب فيهما، وتدعو في الدين منحاها الخصوصي؛ وهو الرجوع به إلى نقاوته الأولى وسماحته في عقائده وعباداته؛ لأن هذا هو معنى

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٢).

الإصلاح الذي أسست لأجله ووقفت نفسها عليه، وهي تعمل في هذه الجهة أيضا بوسائل علنية ظاهرة.

وبمقتضى الصفة الثالثة تدعو إلى مكارم الأخلاق التي حضَّ الدين والعقل عليها؛ لأنها من كمالهما، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها وذم مقترفيها، وسلكت في هذه الطريق أيضا الجادة الواضحة.

وبهذه الصفة تعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت، وترشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية، وتريه ما يتعارض منها مع الدين وما لا يتعارض.

فالجمعية ـ بهذا الوصف الحقيقي لها ـ أداة من أدوات الخير والصلاح، وعامل لا يستهان به من عوامل التربية الصالحة والتهذيب النافع، وعون صالح لأولي الأمر على ما يعملون له من هناء وراحة، تُكر أعماله ولا تُنكر.

ولئن قالوا: إنَّ هذه الجمعية فرَّقت الأمة .. لنقولنَّ: ومتى كانت هذه الأمة مجتمعة حتى يقال إنَّ الجمعية فرَّقتها؟

إنَّ الأمة[1] كانت فرقاً شتى كلها على الباطل والضلال، فجاءت جمعية العلماء فردَّت تلك الفرق إلى فرقتين، إحداهما على الحق والهدى، هذه هي الحقيقة، لا ما يهذي به قصار النظر صغار العقول؟.

والجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي أفراداً وشعوباً بما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم ومظاهره، وهذه ناحية ارتباط طبيعية ذاتية، وصلة اشتباك روحية فطرية، يلتقي عليها المسلمون كلهم في مشارق الأرض

---

(١) يقصد (الأمة الجزائرية) لا أمة الإسلام.

ومغاربها، كما يلتقي العقلاء كلهم على معقول واحد من غير أن تتلاقى الأجسام، أو تتناقل الأقدام أو تتراسل الأقلام»[1].

فهذه هي الدعوة السلفية في بيان الوسطية، والنهي عن الغلو والتطرف، لا كما يصوِّرها أعداؤها ويفترون عليها بين الحين والآخر من أنها دعوة تدعو للغلو في الاعتقاد والغلو في العبادات والتقصير في الأخلاق والمعاملات، ودين الله وسط بين التفريط والإفراط.

فاتضح من هذه الأحاديث والنقول عن الأئمة الأعلام أنَّ ما يُذيعه أعداء الدعوة لا يمت لها بصلة، وأنَّه من الأباطيل والأراجيف التي يستعملونها لإبعاد الناس عن دعوة الحق، بدل رجوعهم هم إلى جادة الصواب، وعين الحق والحقيقة، ثم دعوتهم الجهال والعوام إلى هذا الدين بكل تفاصيله ومجالاتها، العقدية والإيمانية، والعملية، والأخلاقية، من غير تقصير في أي مجال من مجالاتهن ومن غير غلو وتطرف وتَخَرُّف.

(١) آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ١٩٩).

الفصل الثالث

اتهام الدعوة السلفية بعدائها للناس وعدم قبول أعذار العصاة والمذنبين والتائبين والردُّ على ذلك.

هذه الفرية تابعة لما قبلها من أنَّ الدعوة السلفية دعوة فيها تشدد وغلو وعدم إعذار الناس والمخطئين والمذنبين، بحيث أنَّ كل من وقع في المعصية لا ينصح ولا يُرشد بل يُهجر ولا يُقبل رجوعه إلى الحق وجادة الصواب.

ولا شكَّ أنَّ الدعوة السلفية التي تستمد أصولها وقواعد تعاملها مع الناس من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وسيرة السلف الصالح بعيدة عن هذا الاتهام، وإن وقع أفرادها في أفراد ذلك؛ إذ العبرة بالعموم والأصول، لا بالخصوص.

والمذنب والعاصي يُعامل عند دعاة السلفية حسب الأصول المستمدة من الشرع؛ إذ كلُّ فرد من أفراد المجتمع له تعامل خاص بعد النظر إلى هذا العاصي والمذنب من كلِّ الجوانب التي تحيط به عند اقترافه المعصية، فهم على مبدأ النصح لكلِّ مسلم، لا يستثنون من ذلك أحداً، ثم بعد ذلك يتعاملون مع كل أحد بحسب مقامه، وبحسب ذنبه الذي وقع فيه، وبحسب تكرر ذلك منه وعدمه، إلى غير ذلك من الجوانب.

وكذلك ينظر دعاة السلفية إلى المبتدع بمنظار الأصول الشرعية، فيفرقون بين الداعية لبدعته وبين المتأثر بذلك، وبين من كان رأساً في البدعة ومن كان تابعاً، والقول في ذلك كالقول في تكفير المعين من حيث وجود الشروط وانتفاء الموانع.

قيل للإمام أحمد - رحمه الله - : «رجل محدِّث يُكتب عنه الحديث قال: من شهد أنَّ العشرة في الجنة فهو مبتدع، فاستعظم ذلك، وقال: لعله جاهل لا يدري»[1].

وكذلك العاصي والمذنب يعلمون أنه لم يقترف تلك السيئات والمعاصي إلا بجهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «يُبَيِّن ذَلِكَ أَنَّ الْمُحَرَّمَاتِ جَمِيعَهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ إِنَّمَا يَفْعَلُهَا الْعَبْدُ لِجَهْلِهِ أَوْ لِحَاجَتِهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِمَضَرَّتِهَا وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا امْتَنَعَ أَنْ يَفْعَلَهَا وَالْجَهْلُ أَصْلُهُ عَدَمٌ، وَالْحَاجَةُ أَصْلُهَا الْعَدَمُ، فَأَصْلُ وُقُوعِ السَّيِّئَاتِ مِنْهُ عَدَمُ الْعِلْمِ وَالْغِنَى»[2].

وسئل الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن - رحمه الله - عن صلة العاصي؟

فأجاب: «وأما صلة العاصي لقصد ما فيه من الخير، كالإسلام، أو لتأليفه، أو لدفع مفسدة ظاهرة لا تعارض الأصل، وهو المنافرة لأهل المعاصي، فلا بأس به؛ بل ربما يتأكد.

ولك الأسوة الحسنة في أبي بكر - رضي الله عنه - بمسطح بن أثاثة وأم حبيبة، وصلة عمر لأخيه الذي في مكة، وغير ذلك؛ ولكن لا بد مع التحلي بالحب في الله، التحلي - أيضاً - بالبغض فيه ضرورة أن الباعث على الأول كونه مطيعاً لله، وهو مستلزم لبغض العصاة؛ ومعلوم أن من أحب لسبب

---

(١) السنة للخلال (١/٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤ / ٢٢).

أبغض لضده، فاستصحب هذا الأصل تنجو من معرة الطرفين، والله أعلم»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف - رحمه الله- : «وليعلم: أن المؤمن تجب موالاته ومحبته، على ما معه من الإيمان، ويبغض ويعادى على ما معه من المعاصي، وهجره مشروع إن كان فيه مصلحة، وزجر وردع، وإلا فيعامل بالتأليف وعدم التنفير، والترغيب في الخير برفق ولطف ولين، لأن الشريعة مبنية على جلب المصالح، ودفع المضار؛ والله ولي الهداية [2].

وسئل الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - فقيل: «احتار كثير من المسلمين في مسألة إلقاء السلام من عدمه على العاصي المجاهر حال عصيانه كشرب الدخان، هل من قاعدة تبين هذه المسألة وأمثالها أفتونا مأجورين؟

فقال: القاعدة: أولاً: الفسوق لا يخرج الإنسان من الإيمان، ولا يجوز هجر المؤمن أكثر من ثلاثة أيام، لكن إذا كان الهجر دواءً له، بمعنى: أنه إذا رأى أن فلاناً هجره أو أن الناس هجروه، استقام وصلحت حاله فحينئذٍ يكون الهجر محموداً.

الهجر قد يكون مستحباً وقد يكون واجباً بحسب ما يترتب عليه، ولهذا هجر النبي - ﷺ- كعب بن مالك وصاحبيه، وأمر الناس بهجرهم لتخلفهم عن غزوة تبوك، لكن هذا الهجر نفع أم لم ينفع؟ نفع؛ لأنه زادهم لجوءاً إلى الله عز وجل وقوة إيمان، ولا يخفى علينا ما جرى من المحنة على كعب بن مالك - رضي الله عنه- حيث أتاه كتاب من ملك غسان وقال: بلغنا أن

---

(١) الدرر السنية (٥/٢٦٤).

(٢) الدرر السنية (١٠/٤٥١).

صاحبك قد قلاك، فأتنا نواسك، كأنه يشير إلى أنه إذا أتى إليه جعله من ملوك غسان، فماذا صنع؟ ما ازداد بهذا إلا إيماناً، ذهب بالورقة وأحرقها، خوفاً من أن تسول له نفسه في المستقبل أن يذهب إلى هذا الملك، وفي النهاية أنزل الله – تعالى - في قصتهم كتاباً يتقرب إلى الله - تعالى - بقراءته، ويقرأ في الصلاة: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[1] إلى آخره.

فالمهم يا أخي! أن الهجر إذا كان فيه مصلحة بالنسبة للفاسق فاهجره، وإلا لا تهجره، لو مررت بشخصٍ يشرب الدخان والدخان معصية وحرام والإصرار عليه ينزل صاحبه من مرتبة العدالة إلى مرتبة الفسوق، سلم عليه، إذا رأيت أن هجره لا يفيد، سلم عليه ربما إذا سلمت عليه ووقفت معه وحدثته: بأن هذا حرام، وأنه لا يليق بك، ربما يمتثل ويطفئ السيجارة ولا يعود، لكن لو أنك لم تسلم عليه كبر ذلك في نفسه وكرهك وكره ما تأتي به من نصيحة، حتى لو أصرَّ على المعصية سلم عليه وانصحه»[2].

فدعاة السلفية منهجهم واضح في التعامل مع العاصي والمذنب، يستمدون قواعدهم من أصول الشرع، ويفهمون ذلك على وفق منهج الصحابة والتابعين والأئمة المرضيين، على مبدأ النصح لكل مسلم، ثم هم يفرقون بين العاصي المجاهر والخفي، والراجع عن فعله والمصر، وكلام الأئمة في ذلك كثير.

---

(١) [التوبة: ١١٨].

(٢) لقاء الباب المفتوح (شريط ١٦٥).

الفصل الرابع

اتهام الدعوة السلفية بغلوها في طاعة ولاة الأمور وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والردّ على ذلك.

مما ينبز به السلفيون وتنبز به الدعوة السلفية خاصة ممن فارق منهج السلف في مسائل الإمامة والتكفير: أنَّهم يداهنون الحكام، ويغلون في طاعة ولاة الأمور، ولا ينكرون ما هم فيه من المنكرات والمخالفات.

وهذه الفرية يزينها دعاة التكفير لترويج باطلهم، وأنَّ ما هم فيه من الخروج على الحكام الظلمة هو من إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ملبسين على الجهال في ذلك.

ودعاة السلفية متمسكون بالحق في تعاملهم مع الولاة على وفق ما جاء في نصوص الشرع.

فهم يدينون لولاتهم بالسمع والطاعة، في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر، وعلى أثرة عليهم ما لم يُؤمروا بمعصية؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وإنما تكون الطاعة بالمعروف.

كما أنهم يدينون بالنصيحة لولاة الأمور، ويتعاونون معهم على البر والتقوى وإن كانوا فجاراً.

ولذلك فهم يرون إقامة الجمع والجماعات والأعياد معهم، ويرون أن الجهاد ماض إلى قيام الساعة مع كل بر وفاجر، ثم إنهم لا ينزعون يداً من طاعة، ولا ينازعون الأمر أهله، كما أنهم لا يدينون بالخروج على أئمة الجور

ـ فضلاً عن أئمة العدل ـ إلا إذا رأوا كفراً بواحاً عندهم فيه من الله برهان، وكان لديهم قوة ومنعة، ولم يترتب على الخروج مفسدة أعظم.

يقول الحسن البصري - رحمه الله - في الأمراء:

« هم يلون من أمورنا خمساً:

الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود.

والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أنَّ طاعتهم والله لغبطة، وأنَّ فرقتهم لكفر »[(١)].

فالدعوة السلفية تدعو الناس إلى محبة الولاة والحكام وتوقيرهم وتعزيرهم، وأنَّ عدم التوقير هو بداية الخروج عليهم وحمل السلاح في وجوههم، ومستندهم في ذلك سنة النبي - ﷺ - .

بوَّب الحافظ ابن أبي عاصم في كتابه " السنة " باباً في توقير الأئمة وتعزيزهم، حيث قال: باب ما ذُكر في فضل تعزيز الأمير وتوقيره، ثم ساق بسنده عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله - ﷺ - : «خمسٌ من فعل واحدةً منهن كان ضامناً على الله - عز وجل - : مَن عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامِه يريد تعزيزه وتوقيره، أو قعد في بيته، فسلِم الناسُ منه وسلِم من الناس»[(٢)].

---

(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص١٢١)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (١١٧/٢).

(٢) كتاب السنة (٦٩٦/٢) وقد أخرجه - أيضاً - الإمام أحمد في المسند (٤١٢/٣٦)، وصححه الألباني - رحمه الله - في ظلال الجنة في تخريج السنة (٤٩٠/٢- ٤٩١).

ومن تبويبات العلماء في ذلك ما ذكره الإمام أبو القاسم الأصبهاني قوام السنة في كتابه الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: «فصل في فضل توقير الأمير»[1].

وساق بعض الأحاديث في ذلك.

وقال الإمام بدر الدين ابن جماعة: «الحق الرابع: أن يعرف أن له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله – تعالى- له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبون دعوتهم، مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة»[2].

وأما طريقة أصحاب الدعوة السلفية في الإنكار على الولاة والحكام فنصحهم وبيان ما هم فيه من باطل وظلم وطغيان ومخالفة للهدي النبوي بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها سلف هذه الأمة.

قال ابن النحاس: «ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رأس الأشهاد بل يود لو كلمة سراً ونصه خفية من غير ثالث لها»[3].

أما تشهير ما هم فيه من المخالفات والمنكرات فإنَّ ذلك يزيدهم طغياناً وإصراراً عليه.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٠٩).

(٢) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام (ص ٦٣).

(٣) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين (ص ٦٤).

قال أئمة الدعوة: «وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها:

مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع في المجالس ومجامع الناس.

واعتقاد أنَّ ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نوَّر الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في رسالة له نوردها هنا لعظم فائدتها، وقال - رحمه الله تعالى- :

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد بن عبد الوهاب إلي من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد:

يجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكراً، وهو مصيب، ولكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال – تعالي- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون ا [1].

وقال - ﷺ - : « إن الله يرضي لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم »[2].

وأهل العلم يقولون الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يحتاج إلى ثلاث:

أن يعرف ما يأمر به وينهي عنه.

ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهي عنه.

صابراً على ما جاءه من الأذى.

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به؛ فإنَّ الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه.

وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره.

فالله الله! في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه فإنكم لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين والمسلم لا يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه ....»[3].

ويقول العلامة الشيخ عبد العزيز ابن باز - رحمه الله تعالى - :

---

(١) [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣]

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٧٧)، ومسلم في صحيحه (١٧١٥) وليس فيه: وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم.

(٣) نصيحة مهمة في ثلاث قضايا (ص ٤٩- ٥٣).

«ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلي الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف ويفضي إلي الخوض الذي يضر ولا ينفع.

ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلي الخير.

وإنكار المنكر من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا، من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلانا يفعلها، لا حاكم ولا غير حاكم ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان، قال بعض الناس لأسامة ابن زيد - رضي الله عنه - : ألا تنكر على عثمان؟

قال: أأنكر عليه عند الناس؟ لكن أنكر عليه بيني وبينه ولا أفتح باب شر على الناس.

ولما فتحوا الشر في زمن عثمان - رضي الله عنه - وأنكروا على عثمان جهره تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلي اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي بأسباب ذلك، وقتل جم كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب علناً، حتى أبغض الناس ولي أمرهم وحتى قتلوه، نسأل الله العافية»[(١)].

قال الشوكاني: «ينبغي لمن ظهر له غلط في بعض المسائل أن تناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث: أنه يأخذ بيده ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله.

---

(١) فتوى للشيخ مطبوعة في آخر رسالة حقوق الراعي والرعية لابن عثيمين (ص٢٧- ٢٨).

وقد قدمنا: أنه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة ولم يظهر منهم الكفر البواح والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة.

ولكن على المأموم أن يطيع الإمام في طاعة الله، ويعصيه في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

فهذا هو طريق السلف ومن تبعهم في الإنكار على الحكام والملوك، لا يداهنوهم وإنما ينصحونهم في السر للمصلحة العامة، ممتثلين قول نبيهم عليه الصلاة والسلام: «من أراد أن ينصح السلطان بأمر فلا يُبدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيدِه، فيخلو به، فإن قَبِل منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه له»[2].

وهذا أسامة بن زيد أُنكر عليه عدم مناصحته لعثمان، فبين أنّ العالم قد ينكر على الإمام ويبين له الحق من غير أن يشيع ذلك بين العوام؛ مراعاة للمصلحة وعدم فتح أبواب الفتن.

فعن شقيق بن سلمة عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قِيلَ لَهُ: «أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقالَ: أَتُرَوْنَ أَنِّى لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ؟! وَاللَّهِ! لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ»[3].

---

(١) السيل الجرار (١/٩٦٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٤/٤٩)، والحاكم في المستدرك (٣/٢٩٠)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٢/٥٢٣): «فالحديث صحيح بمجموع طرقه».

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٢٦٧)، ومسلم في الصحيح (٢٩٨٩).

قال الحافظ ابن حجر: «أي: كلمته فيما أشرتم إليه لكن على سبيل المصلحة والأدب في السرِّ، بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنة أو نحوها»[1].

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: آمر أميري بالمعروف وأنهى عن المنكر؟ فقال: «إن خفتَ أن يقتلك فلا تعنف السلطان، فغن كنتَ لا بد فاعلاً ففيما بينك وبينه»، وفي رواية: «ولا تَعِب إمامَك»[2].

وعن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: «إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم، فغن قبِل منك وإلا فدعه»[3].

فهذه نصوص سلفية، تبين منهج خير البرية في الوصية بالأئمة وطريقة نصحهم ومعاملتهم، تناقلها السلف المتأخر عن المتقدم من غير أن يجدوا حرجا منها، فيصون المسلم لسانه عن سبهم وشتمهم، ويبايعهم على الطاعة، ويناصحهم وقت النصيحة في السر دون أن يشهر أخطاءهم على الملأ.

فعن عبادة بن الصامت أنه قال: «بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»[4].

---

(١) فتح الباري (٥١١/١٦).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٤٦)، وابن المقرئ في المعجم (١٢٥١) بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٥٧/٣٢)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٩٠٥).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٧٢٠٠)، ومسلم في الصحيح (٤٧٩٦).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «ومن دقيق الفطنة أنك لا تردُّ على المطاع خطأه بين الملأ ؛ فتحمله رتبته على نصرة الخطأ ، وذلك خطأ ثان ، ولكن تلطف في إعلامه به حيث لا يشعر به غيره»[1].

نسأل الله – تعالى - أن يلطف بأحوال المسلمين ، ويصلح أئمتهم وعامتهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الطرق الحكمية (ص ٥٨).

الخاتمة، وفيها نتائج البحث.

بعد استعراض جملة من الاتهامات الموجهة للدعوة السلفية وحماتها والمنتسبين إليها، وبيان خطأ وخطر تلك الاتهامات، وأنها من الأباطيل والأراجيف التي استعملها أعداء هذه الدعوة، ومن خلال كلام الأئمة القدامى والمعاصرين يمكن تلخيص ما سبق في النقاط التالية:

١ ـ إنَّ الاتهامات والأراجيف كانت موجهة منذ أن سطع نور الإسلام إلى نبينا محمد - ﷺ- ثم أتباعه على مر العصور إلى يومنا هذا في كل بلد يحمل أهله راية الإصلاح.

٢ ـ إنَّ هذه الاتهامات والأقاويل لم تثن من عزائم الدعاة المخلصين من الاستمرار في دعوتهم وبيان الحق للناس.

٣ ـ إنَّ هذه الاتهامات لم تكن قاصرة على عصر دون عصر، أو مصر دون مصر، بل اشترك فيها المعاندون في كل وقت وزمن، وبلد ووطن.

٤ ـ إنَّ دعاة السلفية بينوا كل هذه الاتهامات وردوا عليها مستندين إلى كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ- ، على فهم الصحابة ومن تبعهم من العلماء المرضيين.

٥ ـ لا بد من بيان هذه الاتهامات والأباطيل، وتفنيدها ببيان ما كان عليه دعاة السلفية من رشد وحق، حتى يتضح الحق ويظهر، ويزهق الباطل وينمحي.

٦ ـ إنَّ الدعوة السلفية هي امتداد لدعوة الأنبياء، اقتفى أهلها آثار سلفهم من الصحابة والتابعين والأئمة الربانيين، فغمزها ولمزها هو لمز لدعوة مباركة.

٧ ـ إنَّ وقوع بعض الأفراد ممن ينتسب إلى هذه الدعوة في بعض الأخطاء الدعوية والمنهجية لا يخول لأعدائها الطعن في قواعدها ومنهجها، ولا يحكم عليها بأفعال أفرادها بل بكلام علمائها وعقلائها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

فهرس المراجع

١- آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف، دار الجيل.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية تحقيق: د. ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض.

٤- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ط قطر.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن السعدي، تحقيق/ د. عبد الرحمن اللويحق.

٦- جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

٧- جلباب المرأة المسلمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، توزيع دار السلام للطباعة.

٨- الحجة في بيان المحجة في عقيدة أهل السنة، لقوام السنة الأصبهاني، تحقيق/ محمد ربيع المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض.

٩- حقوق الراعي والرعية لابن عثيمين.

١٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٧ه.

١١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، للشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض.

١٢- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق/ باسم الجوابرة، دار الصميعي للطباعة.

١٣- السنن، لأبي داود السجستاني تعليق/ عزّت عبيد الدعاس، دار الحديث (١٣٩٤هـ).

١٤- السنن، لابن ماجه القزويني ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.

١٥- السنن، لسعيد بن منصور، تحقيق/ د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي الرياض (١٤١٤هـ).

١٦- السنن، للنسائي أحمد بن شعيب - دار الريان - مصر.

١٧- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني، دار ابن حزم.

١٨- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

١٩- صحيح البخاري، ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية.

٢٠- صحيح مسلم، عناية نظر الفاريابي، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٢١- فتح الباري للحافظ ابن حجر، تحقيق/ نظر الفارابي دار طيبة للنشر.

٢٢- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية، تحقيق / د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني القاهرة.

٢٣- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تصوير مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

٢٤- مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعه: د. محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٢٥- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، بعض علماء نجد، تقديم الشيخ ابن جبرين رحمه الله،

٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق/ محمد حامد الفقي.

٢٧- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية.

٢٨- المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ مجموعة من الباحثين بإشراف د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة.

٢٩- ظلال الجنة في تخريج السنة، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي.

٣٠- المعجم لابن المقرئ الأصبهاني، تحقيق/ مسعد السعدني، دار الكتب العلمية.

٣١- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٢- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق/ د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي.

٣٣- نصيحة مهمة في ثلاث قضايا، عبد السلام البرجس.



السلفية ودعوى الجمود على الظاهر

إعداد

د. أحمد بوعود

مقدمة

لقد ارتبط في أذهان البعض أن السلفية مرادفة للجمود والتحجر والفهم الضيق للشرع، بل غالباً ما توصف بالجمود على ظواهر النصوص. وما يؤسف له أن هذا التصور يصرح به كثير من مناوئي الإسلام وخصومه وأعدائه، غايتهم في ذلك النيل من الإسلام من خلال النيل من السلفية والسلف، ويدَّعُون أن الإسلام بشريعته وأحكامه جامد على قوالب قديمة لا تساير حياة الإنسان.

كما أن هذا الأمر يُفهم - كذلك - من قبل بعض من يسمون أنفسهم "سلفيين" ويعتقدون أن السلفية إنما هي جمود على ظواهر النصوص والتقيد بحرفيتها.

١- دوافع البحث:

يهدف هذا البحث إلى بحث حقيقة ربط المنهج السلفي بالجمود على ظواهر النصوص، وذلك من خلال الإجابة عن أهم الإشكالات الرئيسة في الموضوع. وهي: هل السلفية مرادفة للجمود على ظواهر النصوص؟ وكيف كان السلف يفهمون النصوص؟ وما المنهج السلفي الأصيل في فهم النصوص؟

٢- منهج البحث:

للإجابة عن هذه الأسئلة يعتزم الباحث سلوك منهج يعتمد:

- الاستقراء: حيث سيستقرى مواقف السلف في فهم النصوص.
- الوصف: حيث سيعتمد كثيراً على الوصف خاصة في عرض نماذج السلف في فهم النصوص.

- التحليل : حيث سيحلّل تلك المواقف والنماذج ؛ لاستخلاص المنهج السلفي الأصيل في فهم النصوص.

٣- خطة البحث :

ولتحقيق ذاك المقصد يقترح الباحث خطة تقوم، بعد المقدمة، على المباحث الآتية :

المبحث الأول : مفهوم السلفية.

المبحث الثاني : نماذج من فهم السلف للنصوص.

المبحث الثالث : المنهج السلفي الأصيل في فهم النصوص.

هذا إضافة إلى خاتمة تجمل أهم النتائج والتوصيات.

والله أعلم بالصواب.

المبحث الأول

مفهوم السلفية

يحاول هذا المبحث تعريف السلفية، وبيان المقصود بهذا المفهوم، وذلك من خلال التعريف اللغوي، وكذلك التعريف الاصطلاحي.

١- السلفية في اللغة:

السلفية في اللغة هي نسبة إلى السلف. وجاء في مقاييس اللغة: "السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسبْق. من ذلك السَّلَف: الذين مضَوا"[١].

وفي لسان العرب: "سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً: تقدَّم.

وقيل: سَلَفُ الإنسان مَن تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قَرابته، ولهذا سمي الصدْر الأَول من التابعين السلَف الصالح"[٢].

من هنا يتبين أن السلفية من حيث اللغة تعني: الانتساب إلى المتقدمين. وهذا الانتساب يستند إلى رابطة معينة، وهو شامل لجميع المجالات.

فما المراد بها في الاصطلاح؟

٢- السلفية في الاصطلاح:

جاء أحاديث النبي - ﷺ- ما يدلُّ على ذلك كما في هذا الحديث عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ - ﷺ- عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ

١- ابن فارس، مقاييس اللغة مادة "سلف".

٢- ابن منظور، لسان العرب مادة "سلف".

شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- ، سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- ، قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِي، مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ يَا فَاطِمَةُ: أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ"[1].

إن النبي - ﷺ- يبين لفاطمة - رضي الله عنها - أنه سلف لها، ومن ثم فهو سلف للمسلمين كلهم.

وقال البخاري: "باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل وقال راشد بن سعد كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر". قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - موضحاً كلمة السلف: " أي من الصحابة ومن بعدهم"[2].

١- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها.

٢- ابن حجر، فتح الباري ٦/٦٦.

وقال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم قل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم"[1].

وقال الغزالي: "السلف: أعنى مذهب الصحابة والتابعين"[2].

وقال الباجوري: "والمراد بمن سلف: من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم، خصوصاً الأئمة الأربعة"[3].

وقال العدوى: "السلف قصره على الصحابة لما قال ابن ناجى: السلف الصالح وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة، ولا يشاركهم غيرهم فيه"[4].

من خلال هذه الأقوال يتبين أن السلف هم الصحابة - رضي الله عنهم- ومن سلك سبيلهم من التابعين ومن بعدهم. مصداقا لحديث النبي- صلى الله عليه وسلم- الذي يرويه العرباض بن سارية قائلاً: "وعَظَنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- موعظةً وجِلَتْ منها القلوبُ وذرَفتْ منها العيونُ، فقلنا يا رسولَ اللهِ كأنها موعظةُ مُودِّع فأوصِنا. قال: "أُوصيكُم بتقوى اللهِ - عز وجل- والسمعِ والطاعةِ، فإنَّهُ من يعِشْ منكم فسَيرى اختلافاً كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديِّينَ من بعدي عضُّوا عليها بالنواجِذِ"[5]. إن هذه وصية رسول الله-

---

١- الشريعة، الآجري ص٥٨.

٢- إلجام العوام عن علم الكلام ص ٦٢.

٣- شرح الجوهرة ص١١١.

٤- حاشية العدوي ١٠٦

٥- المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.

ﷺ- باتباع نهج الخلفاء الراشدين ؛ فهم الذين تقدموا الأمة ورسموا لمن بعدهم سبيل الاهتداء.

لكن، لا يمكن أن يقيد ذلك بزمن، فيضم السلف كل من سلك سبيل الصحابة في القرون الأولى. وعليه تكون السلفية هي الاتباع لسنة النبي - ﷺ- وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهذا الاتباع شامل للسلوك والدين والفهم، وهذا يدفعنا إلى البحث عن فهمهم للنصوص وبحث ما إذا كانوا يجمدون على ظواهرها.

المبحث الثاني

نماذج من فهم السلف للنصوص

لقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يعلمون أسباب التنزيل، ومقاصد الشريعة العامة، وعادات العرب في أقوالها وأفعالها وأحوالها، ودخائل العدو الذي كانوا يجاهدونه، ومراتب التكليف من واجب الفعل أو الترك فما دونه. وهذا ما أعانهم على معرفة مسؤولياتهم وواجباتهم، وحدود أماناتهم، على أساس من إيمانهم وعلمهم بمنهاج الله، وهم يعدون لهذه الواجبات في مدرسة النبوة"[1].

فهذا معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أخذ الثياب اليمنية بدل العين من زكاة الحبوب والثمار، وقال: "ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم مكان الصدقة، فإنه أهون عليكم، وخير للمهاجرين بالمدينة"[2].

انظر مدى اعتبار الواقع وظروف الناس؛ فالثياب أهون على أهل اليمن؛ لأنهم بها اشتهروا، وهي خير للمهاجرين بالمدينة؛ لأنهم في حاجة إليها.

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ضمَّن الصناع ما يكون بأيديهم من أموال، إذا لم يقدموا بينة على أن ما هلك إنما هلك بغير سبب منهم، قائلاً: "لا يصلح للناس إلا ذلك"[3].

١- عدنان رضا النحوي، الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام ص ٧٠.

٢- البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب من أجاز أخذ القيم في الزكوات.

٣- البيهقي، السنن الكبرى كتاب الإجارة، باب ما جاء في تضمين الأجراء.

فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أمرين:

- إما ترك الاستصناع بالكلية، وذلك شاق على الخلق.

- وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهلاك والضياع، فتضيع الأموال ويقل الاحتراز وتتطرق الخيانة، فكانت المصلحة التضمين.

هذا معنى قوله: "لا يصلح الناس إلا ذلك"[1].

انظر كيف جعلتهم المقاصد يفعلون أمورًا لم يفعلها رسول الله - ﷺ- معتبرين في ذلك مصلحة الأمة ومتطلبات واقعها... وهذا ما جعل أبا بكر يستخلف عمر، ويحارب مانعي الزكاة، ويجمع المصحف، وعثمان يكتبه... - رضي الله عنهم- .

وتحدثنا كتب الفقه والسير والتاريخ عن اجتهادات عمر رضي الله عنه المأخوذة من واقع الناس والمكيفة معه.. ولكننا نجد كثيرين يجعلونها قدوتهم فيما يرون أن يجتهدوا طبقًا للواقع.. من هنا ارتأينا الكلام عن أهم اجتهادات عمر - رضي الله عنه- [2]، لنزيل - ما أمكننا ذلك- انتحال المبطلين، وتأويل الغالين، وخطأ الجاهلين وتعصب الجامدين.

١- عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حاطب، "أن غلمة لحاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة، فأتي بهم عمر فأقروا، فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء، فقال له: إن غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من

١- الشاطبي، الاعتصام ٢ / ١١٩.

٢- راجع محمد عمارة، النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية.

مزينة وأقروا على أنفسهم، فقال عمر: يا كثير بن الصلت، اذهب فاقطع أيديهم. فلما ولى بهم ردهم عمر، ثم قال: أما والله أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم، وأيم الله، إذ لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك، ثم قال: يا مزني بكم أريدت منك ناقتك، قال: بأربعمائة، قال عمر: اذهب فأعطه ثمانمائة"[1].

ونستفيد من هذه الواقعة:

- أن عمر - رضي الله عنه - لم يبن حكمه على ظن أو احتمال، بل على علم، وهذا ما يستفاد من قوله: " أما والله أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم ...".
- أن الحالة التي تشخصها هذه الواقعة ليست من الأحوال العامة، وإنما هي حالة استثنائية، وهنا نطرح سؤالاً على أولئك الذين يريدون أن تشمل ما لا تطيقه ويجعلونها عامة: هل وصل لنا أن عمر لم يقم حدًا بعد هذه الواقعة؟

إن من يسبر علم الأصول يستطيع أن يكتشف أن هذه الحالة استثناء من قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة:٣٨)، الذي خصصه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»[2]، والشبهة هنا تجويع الرقيق. وهذا لا يعني أبدًا أن عمر - رضي الله عنه - اجتهد مع وجود النصِّ كما يتوهم بعضهم.

١- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣ / ٨.

٢- السيوطي، الجامع الصغير ٣١٤.

٢- خرج عمر - رضي الله عنه - من الليل فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه فأرقني ألا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله أني أراقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر، فقال: لا أحبس أحدًا في الجيش أكثر من ذلك[1].

إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بفعله هذا يريد أن يجنب نساء المسلمين الوقوع في الفاحشة، والجميل في هذا الأمر أنه لم يبرر وقوعها أو إمكانية وقوعها بحبس الرجال في الجيش، وهو أمر اقتضته مصلحة المسلمين العامة، ولكن درء المفسدة أولى من جلب المصلحة.

٣- وعن وبرة الكلبي قال: أرسلني خالد بن الوليد إلى عمر- رضي الله عنه - فأتيته وهو في المسجد معه عثمان بن عفان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن الزبير- رضي الله عنهم - ، متكئ معهم في المسجد، فقلت: إن خالد بن الوليد أرسلني إليك، وهو يقرأ عليك السلام، ويقول: إن الناس انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة، فقال عمر: هم هؤلاء عندك فسلهم، فقال: علي رضي الله عنه: نراه إذا سكر هذي وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون. فقال عمر: أبلغ صاحبك ما قال.. فجلد خالد ثمانين وجلد عمر ثمانين. وكان عمر إذا أتي بالرجل القوي المنهمك في الشراب جلده ثمانين،

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٣٣.

وإذا أتي بالرجل الضعيف الذي كانت منه الزلة جلد أربعين، ثم جلد عثمان ثمانين، وأربعين[1].

إن العقوبة التي كانت محددة لشاربي الخمر لم تردع هؤلاء عن شربه، فرأى عمر مضاعفة العقوبة، بناء على رأي علي.

ولعله من المناسب القول هنا: إن تقدير الواقع ليس معناه تخفيف التكاليف أو إسقاط العقوبة فقط، بل مضاعفتها أيضًا، ولست أدري لماذا لا يورد الباحثون - العلمانيون- مثل هذه الوقائع، أو ليست من اجتهادات عمر؟ أو ليست متكيفة مع الواقع؟

وأصاب الشيخ علي حسب الله - رحمه الله - حين قال: «إن التدهور الروحي أو الانحدار الخلقي لا يصح أن يعد تطورًا توضع القوانين على أساس الاعتراف به وحمايته، بل ينبغي أن توضع لحماية الإنسان وتوجيهه إلى الكمال الذي أعده الله له»[2].

٤- يقول الله - عز وجل- : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦٠).

١- الحاكم، المستدرك.

٢- علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي ص ١٨٥.

وعن صفوان بن أمية - رضي الله عنه - قال: أعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ[1]. وقد أسلم وحسن إسلامه.

وكان الناس يتألفون بجهات ثلاث:

- إحداها للكفار بدفع معرتهم، وكف أذيتهم عن المسلمين، والاستعانة بهم على غيرهم من المشركين.
- والثانية لاستمالة قلوبهم وقلوب غيرهم من الكفار إلى الدخول في الإسلام، ولئلا يمنعوا من أسلم من قومهم من الثبات والإسلام، ونحو ذلك من الأمور.
- والثالثة إعطاء قوم من المسلمين حديثي العهد بالكفر، لئلا يرجعوا إلى الكفر[2].

وقد فصل الدكتور القرضاوي في أصناف المؤلفة قلوبهم، فجعلها سبعة أصناف[3].

وتأليف القلوب استمر من عهد النبوة إلى عهد عمر - رضي الله عنه - ، فأسقط سهم المؤلفة قلوبهم حيث إن الناس لم يعودوا في حاجة إلى تأليف. يقول الشيخ القرضاوي: «فإن عمر إنما حرم قومًا من الزكاة كانوا يتألفون على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ورأى أنه لم يعد هناك حاجة لتأليفهم وقد أعز الله الإسلام وأغنى عنهم. ولم يجاوز الفاروق الصواب فيما صنع، فإن التأليف

١- سنن الترمذي ٦٦٦.

٢- الجصاص، أحكام القرآن ٣ / ١٨١.

٣- راجع القرضاوي، فقه الزكاة ٢ / ٢٩٥.

ليس وصفًا ثابتًا دائمًا، ولا كل من كان مؤلفًا في عصر يظل مؤلفًا في غيره من العصور. وإن تحديد الحاجة إلى التأليف، وتحديد الأشخاص المؤلفين، أمر يرجع إلى أولي الأمر، وتقديرهم لما فيه خير الإسلام ومصلحة المسلمين»[1].

فعدم الإعطاء ليس تعطيلاً للنصِّ كما يدَّعي بعضهم، وإنما هو تطبيق له بعمق ونظر، واجتهاد دقيق في مدلولاته وصوره، ووقوف على علته ومقصده وجودًا وعدمًا[2].

إن هذه الصور تؤكد لنا الهدف السامي للرسالة الإسلامية، ذلك الهدف الذي أعلن عنه القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، هذه الرحمة التي تبين لنا كيف يتعامل الإسلام مع واقع أتباعه بلطف وحكمة، ويقيم شرعه وأحكامه على ضوئه وبقدر ما يتحمل.

١- نفسه ٢ / ٢٩٦.

٢- نور الدين الخادمي، الاجتهاد المقاصدي ١ / ٩٨.

المبحث الثالث

المنهج السلفي الأصيل في فهم النصوص

بعدما تعرفنا على مفهوم السلفية وتبين لنا أنها اتباع للسلف، وأن هؤلاء السلف هم بالدرجة الأولى صحابة رسول الله - ﷺ- منه استقوا السلوك والفهم، وبعدما تعرفنا على نماذج فهمهم للنصوص وتعاملهم معها، وثبت لنا أنهم لم يكونوا يجمدون على ظواهر النصوص، وبالتالي فإن السلفية لا تعني جموداً على الظاهر، نبحث الآن ما يمكن استخلاصه من كل ذلك مكتشفين المنهج السلفي الأصيل في التعامل مع النصوص. ويمكن أن نتلمس هذا المنهج فيما يلي:

١ - فقه الواقع:

لقد كان اعتبار الواقع حاضرا في سنة النبي - ﷺ- ، والمتتبع لكلامه - ﷺ- يجد أجوبة متعددة للسؤال الواحد بتعدد السائلين واختلاف أحوالهم. مثلاً: فعندما سئل النبي - ﷺ- : أي الأعمال أفضل؟ نجد أجوبة متعددة وكذلك عندما سئل: أي الناس أفضل؟ وحين يقال له: أوصني. أو طلب منه عمل يُنتفع به، وغير ذلك حتى يخيّل إلينا أن في أجوبته وتوجيهاته المختلفة تناقضاً، ولا يصح أن يكون التناقض في رسالة ربانية إلهية هي خاتمة الرسالات، لكن إذا وضعنا في اعتبارنا اختلاف أحوال السائلين زال ما قد يتوهم من تناقض.. لقد كان الرسول - ﷺ- أفقه الدعاة بواقع الناس وأحوالهم. ومن يستعرض السيرة النبوية الشريفة يجد النبي - ﷺ- يخاطب الناس حسب أفهامهم، ويعاملهم ويخاطبهم حسب قدراتهم، كما

كان يراعي أحوالهم في المنشط والمكره، ويعتبر حاجاتهم ويرأف بهم وييسر عليهم، ويرفع عنهم الحرج. وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - ، يعلمون أسباب التنزيل، ومقاصد الشريعة العامة، وعادات العرب في أقوالها وأفعالها وأحوالها، ودخائل العدو الذي كانوا يجاهدونه، ومراتب التكليف من واجب الفعل أو الترك فما دونه، وعن كل هذا كانت تصدر اجتهاداتهم، ومنها اجتهادات عمر بن الخطاب الكثيرة التي راعى الواقعَ في تنزيلها. وعلى هذا المنوال سار العلماء قبيل سد باب الاجتهاد حتى قال أحدهم: "لا يحل لفقيه أن يقول بدرهم في شيء ولا خبرة له بالسوق". لكن بعد سد باب الاجتهاد كما سبقت الإشارة إلى ضعف هذا الوعي بالواقع.

إننا إذ ندعو إلى فقه الواقع، ننبه إلى أن ذلك لن يكون طبعا على حساب تعاليم الوحي وسنة المصطفى - ﷺ- والمبادئ الإنسانية الكلية، بل ندعو إلى حسن تطبيقها مراعاة لمقاصدها، وكما أمر الله عز وجل دون تفريط. ولنا في سيرة النبي - ﷺ- وهدي الصحابة - رضوان الله عليهم - خير مثال وأوضح دليل على حسن الاجتهاد والدعوة بشمول ووعي وعمق فهم لأوامر الإسلام ونواهيه ولواقع التنزيل.

هذا وإن فقه الواقع يتطلب:

١- إدراك التأثيرات البيئية الطبيعية:

ونقصد بالبيئة الطبيعية كل ما يتعلق بالمنطقة التي يعيش فيها الإنسان، من تكوين، وموقع جغرافي، وتضاريس، وما يحيط بها من ظروف طبيعية

ومناخية[1]. وقيَّدنا هذه التسمية بالطبيعية أو الجغرافية تمييزًا لها عن البيئة الاجتماعية أو السياسية... وأما البيئة - على الإطلاق- فهي تمثل كل العوامل الخارجية التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر على الفرد[2]، وعلى مناشط الحياة، بل وتوجه هذه الحياة وفق خصائصها وميزاتها.

ب- فقه الحركة الاجتماعية:

وأقصد بالحركة الاجتماعية كل العلاقات التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، أيّاً كان نوعها: دينية، اقتصادية، سياسية، عائلية، ثقافية... وهي عامل أساس في نجاح أو فشل دعوة ما، ومحدد رئيس لوضع الكثير من التشريعات أو إلغاء أخرى، وتأجيل ما يمكن تأجيله أو تقرير التدرج في أمور..

أولاً: إن الاجتماع الإنساني إنما جعله الله - سبحانه وتعالى- لعمارة الأرض وعبادته – سبحانه - ، يقول الله - عز وجل- (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)(البقرة: ٣٠).. وهذا هو السر في جعل الإنسان مكرمًا من بين سائر المخلوقات والكائنات يقول –تعالى- : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٧٠).

ثانيًا: إن فقه الحركة الاجتماعية هو رصد للعلاقات الاجتماعية على مختلف الأصعدة التي تضطلع فيها التنشئة الاجتماعية بدور أساس؛ وذلك

١- انظر عبد الواحد القاضي، الإسلام والبيئة ص ١١، ٢٥. وعلي عبد الواحد وافي، الوراثة والبيئة ص٨٧.

٢- محمد كامل عويضة، علم النفس الاجتماعي ص ١٦٧.

لأن المعايير الاجتماعية تتكون من خلال تفاعل الجماعة، حيث يكتسبها الفرد ويتعلمها من خلال التنشئة الاجتماعية[1].

وتتحكم في التنشئة الاجتماعية عوامل الوراثة، والتراث الاجتماعي، والدين.

ج- سبر أغوار النفس البشرية:

إن الإنسان ببشريته هو المحور الذي عليه يدور الواقع، منه يبدأ وإليه ينتهي، ولا يمكن أن نتكلم عن واقع بدون إنسان أو إنسان بدون واقع، لعلاقة التحكم بين الطرفين ومن كليهما، فيتكيف الإنسان معه أو يكيفه طبقًا لحاجياته ومقتضيات التشريع بما وهبه الله - عَزَّ وَجَلَّ - من استعدادات فطرية تختلف من إنسان إلى آخر، كل حسب طبعه ومزاجه وخصائصه النفسية. لكن رغم هذا، هناك ما هو مشترك بين جميع البشر وإن اختلفت نسبته من إنسان إلى آخر، وذلك ما اصطلح على تسميته بـ «طبيعة الإنسان»[2].

ولن يحصل هذا الفقه بدراسة الأنظمة والانغلاق في الحجرات على المكاتب والأوراق، ولكن بالانخراط الفعلي في هذا الواقع، ومعرفة آلامهم، واعتبار آمالهم، والاهتمام بمشاكلهم في مختلف مناحي الحياة وفي كل أطوارها.

١- حامد زهران، علم النفس الاجتماعي ص ٥٠.

٢- منصور زويد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ص ١٠٦ وما بعدها.

٢- فقه المقاصد

لعل أهم ما يميز الفكر الإسلامي المعاصر اليوم كثرة الكتابات والأبحاث في موضوع مقاصد الشريعة الإسلامية التي استفادت من جهود وابتكار الشاطبي - رحمه الله - ، وهي كتابات تحاول في مجملها تطوير وتجديد مقاصد الشريعة بما حصل من تقدم في المعارف وتحول في الواقع.

إن من شأن فقه المقاصد إذا تم تحصيله تحصيلاً شمولياً :

ا- التقليل من الخلاف

هذه الوظيفة نجدها عند ابن عاشور - رحمه الله - في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية" الذي أراده أن "يكون نبراساً للمتفقهين في الدين ومرجعاً بينهم عند اختلاف الأنظار وتبدل الأعصار، وتوسلاً إلى إقلال الاختلاف بين فقهاء الأمصار، ودربة لأتباعهم على الإنصاف في ترجيح بعض الأقوال على بعض عند تطاير شرر الخلاف"[1].

ب- بيان صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان وتفوقها على كل قانون

إن تناول علال الفاسي - رحمه الله - لموضوع كتابه لم يكن بالشكل الذي سار عليه الشاطبي في جزء المقاصد، أو ابن عاشور في كتابه الآنف الذكر، وإنما تميز تحليله بعرض الشبهات التي أثيرت وتثار حول بعض مناحي الشريعة، خصوصا من قبل أولئك الذين تشبعوا بالأفكار الغربية. وهنا نتساءل: هل يمكن القول: إن علال الفاسي كتب مقاصد الشريعة الإسلامية

١- ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٥.

ليواجه تيار التغريب الذي بدأ يفد على المغرب أواخر الخمسينات وبداية الستينات؟

إن الجواب بالإيجاب هو الذي تؤكده صفحات الكتاب في مختلف فقراته، حيث لم يغفل عن عرض الآراء المخالفة للإسلام ولنظام الإسلام، وانبرى يقارن الشرائع الوضعية بشريعة الإسلام مستعرضاً آراء أعداء الإسلام الذين يملكون رؤى منصفة لنظام الإسلام، ليختم كتابه بصرخة بها حرقة كبرى يوجهها إلى أبناء بلده ودينه.

ج_ ثم إن المقاصد منهج فكر ونظر

هذه الوظيفة نصَّ عليها مجموعة من المفكرين والباحثين الذين تناولوا قضايا المقاصد. ولعلَّ أول ما يحضرني هنا كلام للأستاذ عمر عبيد حسنه حيث أكد أن "العقل المقاصدي حقق التحول من عقلية التلقين والتلقي إلى عقلية التفكير والاستنتاج والاستدلال والاستقراء والتحليل والنقد والموازنة والاستشراف المستقبلي، وعدم القبول لأي فكر أو اجتهاد بغير سلطان أو بغير برهان تحت شعار (هاتوا برهانكم)، ويمتلك أدوات البحث والمعرفة، وإمكانية النظر في المآلات والعواقب، ويصبح عقلاً مستبيناً يحسن التعامل مع الأسباب والمقدمات والتسخير للسنن، ويمتلك ناصية سنة المدافعة فيستطيع مدافعة قدر بقدر أحب إلى الله...

ثم يضيف: إن بناء العقل المقاصدي يحدث تغييراً استراتيجياً في الثقافة، ونقلة فكرية نوعية في الحياة العقلية والذهنية، ويعيد للوحي عطاءه المتجدد

على يد البشر، وإعادة النظر فيما وضعوا من آليات مجردة للتعامل معه وتنزيله على الواقع، بعيداً عن مصالح الناس[1].

٣ - الوعي بالتاريخ

إن إغفال المسار التاريخي للأمة الإسلامية، له عواقب وخيمة على كثير من مواقف وتصورات الخطاب الإسلامي المعاصر؛ ذلك أنَّ الخلل في قراءة التاريخ ينتج عنه خلل في قراءة الإنتاج الفكري، وفي قراءة الأحداث المعاصرة قراءة صحيحة وشمولية.

فماذا نفعل بالتاريخ إن لم نتدبره ونعتبره ونستثمره في واقعنا ؟!

٤- فقه التعايش

إن كوننا حملة رسالة عالمية يحتم علينا أن نسعى للتعايش مع الآخر، لا أن نقصيه، خاصة مع ما يعيش المسلمون من تدهور وانحطاط على كافة الأصعدة.

إن فقه التعايش مع الآخر غاب عن الخطاب الإسلامي منذ قرون وليس اليوم، وإلا ماذا يعني كلام ابن العربي - رحمه الله - عندما قال عن قوله – تعالى - : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

١- عمر عبيد حسنه في تقديمه لكتاب الاجتهاد المقاصدي ..حجيته.. ضوابطه.. مجالاته للدكتور/ نور الدين بن مختار الخادمي١/١٧. سلسلة كتاب الأمة رقم ٦٥/٦٦. وقد أعاد نشر مقدمتي الكتاب في كتاب يدل عنوانه على الفكرة نفسها وهو التفكير المقصدي، بدار المكتب الإسلامي.

وَجَدتُّمُوهُمْ ‌| (التوبة: ٥) إن هذه الآية نسخت جميع آيات التعامل مع الكفار والمشركين والتواد إليهم، وإن آخرها ناسخ لأولها...[1]

إن غاية المسلمين من التواصل مع الخطابات الأخرى امتثال لأوامر الإسلام الكبرى التي لا يمكن لأي ديانة أو مذهب رفضها، وذلك لاتفاقها مع الفطرة الإنسانية. وهي مقاصد كبرى دعت إليها شريعة الإسلام. وتبقى الغاية الكبرى تعايش الإنسانية كلها في دولة كونية تقوم على الشعور بالمسئولية في إحقاق الحق وضمان حرية الإنسان وكرامته.

وفي نظري، لا يمكن تحقيق تواصل إلا إذا تحققت المقاصد الآتية:

أولاً: التعارف والتعاون والتكامل:

نجد أصلاً لهذا في قول الله - عَزَّوَجَلَّ- : ‌| يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ‌| (الحجرات: ١٣).

يعلق محمد الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - على هذه الآية قائلاً: "والمقصود أنَّكم حرفتم الفطرة وقلبتم الوضع فجعلتم اختلاف الشعوب والقبائل بسبب تناكر وتطاحن وعدوان"[2].

والتعارف مع المخالفين لدين الإسلام والتعاون معهم هو ما لم يمنعه القرآن الكريم حيث يقول الله – تعالى - : ‌| لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ

١- ينظر الإتقان للسيوطي ٤/ ١٤٤٠.

٢- ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٢/ ٢٦٠، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ | (الممتحنة: ٨).

كما أن هذا التعارف والتعاون يمهد له قول الله – تعالى - : || وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ. كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ | (الأنعام: ١٠٨).

ونموذج التعاون والتكامل هو الكلمة السواء، التي ينبغي أن يجتمع حولها المسلمون مع أهل الكتاب كما يقول الله – تعالى - : || قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهُ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون | (آل عمران: ٦٤).

ومن مقتضيات هذا التعارف والتعاون والتكامل حسن الخطاب، كما تحدثنا عنه الآية الكريمة: || أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين | (النحل: ١٢٥).

هذه الآية، كما يقول محمد الطاهر بن عاشور: "جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق. وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات"[١].

ونجد أنموذجاً في خطاب الله - ﷻ- إلى موسى وهارون - عليهما السلام - : || اِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ

١- نفسه ٧ / ٣٣١.

يَخْشَى ‌| (طه: ٤٤). والقول اللين لا يعني الضعف والذلة، أو قول ما ليس بحق.

ثانياً: تحقيق سلام عالميّ قوامه العدل:

بدءاً من الأسرة، الخلية الأولى للمجتمع، إلى العشيرة، إلى القبيلة، إلى الدولة، إلى العالم، وابن آدم لا هم له سوى إقامة العدل في محيطه وإشاعة السلام. وهذا ما تترجمه تلك العقود والمعاهدات في قرون ما قبل الإسلام وبعده. هذه المعاهدات مكنت من تعايش كوني وتبادل اجتماعي وثقافي، وحوار على جميع المستويات.

وكثيرة هي الآيات التي تأمر المسلم بالعدل مع أخيه المسلم أو أخيه الإنسان، منها قول الله – تعالى - : ‖ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمُ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِها. وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْن النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالْعَدْل. إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظِكُمْ به إِنَّ اللهَ كَاَن سَمِيعًا بَصِيرًا | (النساء: ٥٨).

‖ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامين بالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّه وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمُ أَوِ الْوَالِدَيْن وَالأَقْرَبِينَ | (النساء: ١٣٤).

‖ لا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوْم عَلَى أَلاَّ تَعْدلوا. اعْدِلُوا هو أَقْرَبُ للتقْوى | (المائدة: ٩).

ويدعو الإسلام لسلم تنخرط فيه الإنسانية كلها من غير تمييز أو تفريق كما في قوله - ﷻ- : ‖ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْم فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلى الله | (الأنفال: ٦١).

ثالثاً: حماية حقوق الإنسان :

تحرير الإنسان من عبودية العباد ورفع الظلم عنهم غاية أسمى جاءت من أجلها رسالة الإسلام. وهذا ما ينبغي التبشير به للعالمين.

يقول الله - سبحانه وتعالى- : ﴿ وَلَقَدْ كَرمْنا بَني آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم في الْبَر والبَحْر وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطيبات وَفَضَلْنَاهُم على كَثير مِمَّن خَلَقْنا تَفْضيلاً ﴾ (الإسراء: ٧٠).

ويروى أن النبي - ﷺ- قام لجنازة، فقيل له إنها جنازة يهودي. فقال: أليست نفسا[١]؟

٥- الوعي بالسنن:

إن سنن الله في خلقه وكونه بادية. وقد جعلها الله باعثا للإنسان على العمل حتى تتحقق أهدافه. وقد علمنا الله - عز وجل- أن من تخلف في الأخذ بالسنن كان مصيره الفشل، إلا ما كان من معجزة يتدارك بها أنبياءه وأولياءه.

كما أن الله - عز وجل- بين لنا في كتابه الحكيم مصير الأفعال بالتمثيل بالأقوام، فعلمنا أن من فعل فعلهم لقي نفس المصير. يقول الله – تعالى - : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَان عاقِبَةُ الْمُكَذِّبين ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

فمشيئة الله تسير على نظم ثابتة وسنن حكيمة ترتبط فيها الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، وإن كان الله قادراً على كل شيء... ومن سار في الأرض، وتعقب أحوال الأمم، وتدبر التاريخ وعرف الأخبار، يجد

١- مسند ابن أبي شيبة، مَا رَوَاهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْف - رضي الله عنه- ، ٥٤.

مصداق تلك السنة الإلهية الثابتة، وهي الفوز لمن أحسن والخيبة لمن أساء، يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِي إِلاَّ أخَذْنا أهْلَها بالبَأْساءِ وَالضَّراءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُون. ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَة الحسنة حتَّى عَفَوْا وقَالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ فأَخَذْناهُم بَغْتَةً وهُم لاَ يَشْعُرُون ﴾ (الأعراف: ٩٤_٩٥).

خاتمة

كان السؤال الرئيس لهذا البحث هو: هل السلفية جمود على الظاهر؟

والدافع إلى هذا السؤال هو: ما نراه اليوم من نعت للسلفية بالجمود على الظاهر والحرفية والسكون. وهذا نابع من أمرين أساسيين هما:

الأمر الأول: تهمة مناوئي الإسلام؛ لأن في النيل من السلفية نيلاً من الإسلام نفسه، فتكون النتيجة هي أن الإسلام كان مناسباً لزمان ومكان معينين، ولا يستطيع أن يواكب حاجات الإنسان المعاصر.

الأمر الثاني: الفهم الضيق لبعض من يسمّون أنفسهم سلفيين، حيث يجمدون على ظواهر بعض النصوص ويتقيدون بحرفيتها معلنين بذلك أن الإسلام هو هذا.

وبين الفريقين تضيع الحقيقة.

أولاً: نتائج البحث:

وكانت النتيجة التي توصَّل إليها البحث هي أن السلف لم يكونوا يجمدوا على ظواهر النصوص، بل كانوا يجمعون بين النص ومقصده حتى يطبقوا شرع الله على أحسن وجه. وقد رأينا مجموعة من الأمثلة لذلك.

كما أن البحث خلص إلى منهج السلف في فهم النصوص، وهو ما ينبغي أن تسير عليه السلفية اليوم. وهذا المنهج يتمثل أساس في فقه الواقع، وفقه مقاصد الشرع، والوعي بالتاريخ، والوعي بالسنن، وغير ذلك.

ثانياً: توصيات البحث :

بعد تلك النتائج التي توصل إليها البحث يوصي الباحث بما يلي:

- الاهتمام بتراث السلف تنقيحاً وتصحيحاً وإخراجاً.

- البحث في سبل فهم السلف للقرآن الكريم وسنة النبي - ﷺ- واستخلاص قواعد عامة وتفصيلية تساعدنا على معالجة قضايا الواقع المستجدة.
- دراسة اجتهادات السلف المختلفة لمعرفة كيف نجتهد لعصرنا.
- السلفية ليست انتماء بقدر ما هي سلوك على طريق السلف، من هنا تبدو الضرورة ملحة لبحث كيف نسلك طريق السلف ونحن نعيش أوضاعاً معقدة ومختلفة جذرياً عن أوضاعهم؟.

والله يهدي إلى الصواب.

لائحة المراجع المعتمدة

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي.

٢. الاجتهاد المقاصدي نور الدين الخادمي.

٣. أحكام القرآن، لأبى بكر الجصاص.

٤. الإسلام والبيئة، لعبد الواحد القاضي.

٥. أصول التشريع الإسلامي، لعلي حسب الله.

٦. الاعتصام، للشاطبي.

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية.

٨. إلجام العوام عن علم الكلام، لأبى حامد الغزالي.

٩. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

١٠. الجامع الصغير، للسيوطي.

١١. حاشية العدوي علي شرح أبي الحسن علي مذهب مالك عنه لرساله ابن أبي زيد القيرواني، علي العدوي.

١٢. الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام، لعدنان رضا النحوي.

١٣. سنن الترمذي، للإمام الترمذي.

١٤. السنن الكبرى، للبيهقي.

١٥. شرح الجوهرة، لإبراهيم اللقاني.

١٦. الشريعة، للآجري.

١٧. صحيح مسلم، للإمام مسلم النيسابوري.

١٨. الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، لمنصور زويد المطيري.

١٩. علم النفس الاجتماعي، لحامد زهران.

٢٠. علم النفس الاجتماعي، لمحمد كامل عويضة.

٢١. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.

٢٢. فقه الزكاة، ليوسف القرضاوي.

٢٣. لسان العرب، لابن منظور.

٢٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري.
٢٥. المسند، لابن أبي شيبة.
٢٦. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي.
٢٧. مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر ابن عاشور.
٢٨. مقاييس اللغة، لابن فارس.
٢٩. النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية، لمحمد عمارة.
٣٠. الوراثة والبيئة، لعلي عبد الواحد وافي،



مفاهيم خاطئة

حيال المنهج السلفي

إعداد

فلاح بن حمود الدوسري

رئس المحكمة العامة بمحافظة الغزالة بحائل

المقدمة

الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على من لا رسول بعده، محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه واتبع هداه، وبعد:

فإن دراسة المناهج الأصيلة والدفاع عنها من أهم ما ينبغي أن يهتم بها أهل العلم والدعاة. وقد كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر، بينما طبيعة الإنسان هي السؤال عن الخير، وقد بين سبب ذلك بقوله: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني" وبما أن أعداء الدعوة السلفية أوردوا عددا من الشبهات عن المنهج السلفي ووجهوا إليه بعض الاتهامات كان لزاما علينا الرد على هذه الشبه وتفنيدها لكونها من الأخطار التي تتخذ ذريعة للهجوم على الدعوة السلفية والنيل منها، كما كان من الواجب علينا بيان محاسن المنهج السلفي وذلك من واقع الدعوة السلفية وأقوال علمائها ومنتسبيها، وكشف كل المحاولات اليائسة بإلصاق التهم لهذا المنهج، بالإضافة إلى ذلك أن عدم دراسة تلك الشبهات المخالفة للحق وعدم الرد عليها وإبطالها فيه إفساح المجال لأصحابها أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد من الأفكار الباطلة المخالفة لمنهج الكتاب والسنة وأن تلصق التهم بأهل الدعوة.فكتبت عن المفاهيم الخاطئة حيال المنهج السلفي وبينت محاسن هذه الدعوة إحقاقا للحق.

منهج البحث :

بما أن البحث يقوم أساسا على المرتكزات العلمية ، من نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية ، فذكرت النص القرآني أولا ، ثم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقوال العلماء والدعاة السلفيين ، وذلك للوصول إلى الحقائق المراد إبرازها مما فهم من تعاليم الإسلام في موضوع الدفاع عن السلفية ومنهجها المبني على الكتاب والسنة ، بعد ذكر الشبه ثم الرد عليها.

خطة البحث :

جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول : موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف.

المبحث الثاني : ربط المنهج السلفي بالتكفير.

المبحث الثالث : اتهام المنهج السلفي بالعداء للآخر.

الخاتمة.

الهوامش وفهرس المصادر والمراجع.

وصلى الله عليه على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف

الغلو لغة: بمعنى ارتفاع ومجاوزة قدر[١] يقال غلا غلاء فهو غالٍ، وغلا في الأمر غلواً أي جاوز حده، فالغلو: هو مجاوزة الحد، يقال غلا في الدين غلواً تشدد وتصلب حتى جاوز الحد[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الغلو: مجاوزة بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه، على ما يستحق ونحو ذلك"[٣].

وعرفه الحافظ ابن حجر بأنه: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"[٤].

وهذه التعاريف والمعاني كلها متقاربة وتفيد أن الغلو هو تجاوز الحد الشرعي بالزيادة[٥].

والتطرف لغة: بمعنى حد الشيء وحرفه ومنتهاه وغايته يقال تطرفت الشمس أي دنت للغروب، يقال للناقة إذا رعت أطراف المرعى، طرفت الناقة، ومثله تطرفت الناقة[٦].

والتطرف تفعل من الطرف، تطرف فهو متطرف آت الطرف جاء في المعجم الوسيط في معنى التطرف: "تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط"[١].

---

١ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (غلوى).

٢ لسان العرب لابن منظور مادة (غلو) والقاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (غلو).

٣ اقتضاء الصراط المستقيم ج١ ص٢٨٩ .

٤ فتح الباري ج١٣ ص٢٧٨ .

٥ الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، للدكتور عبدالرحمن اللويحق ص٨١- ٨٢.

٦ القاموس المحيط مادة طرف.

يقول الدكتور عبدالرحمن اللويحق : "وبالنظر إلى هذه الألفاظ نجد تقارباً بين لفظي الغلو والتطرف فهما بمعنى واحد إذا قيل إن التطرف إتيان غاية الشيء ومنتهاه وبينهما عموم وخصوص إذا قيل إن التطرف إتيان حد الشيء بإطلاق إذ يصبح التطرف أعم من الغلو"[٢].

موقف السلفية من الغلو :

إن من الحقائق التي تظهر لكل من يقرأ تاريخ دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام أن الأمم تتفاوت في مقدار الاستجابة ، وتتفاوت درجات المدعوين في سلوك طريق الحق :

١- فمن الناس المتمسك بالحق ، المستقيم على طريقه.

٢- ومنهم المفرط الزائغ المضيع لحدود الله.

٣- ومنهم الغالي الذي تجاوز حدود الله.

وكل أولئك وجدوا فيمن سبق أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم في أمته متوافرون. ولذلك جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين ، المضيعين لحدود الله ، والمجاوزين لها وجاءت داعية إلى الاستقامة بأساليب عدة أجملها فيما يلي :

١- تعليم المسلمين أن يدعو الله أن يسلّمهم من كلا الانحرافين ، وتشريح ذلك هم في كل صلاة مرات متعددة.

---

١ المعجم الوسيط مادة طرف.

٢ الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص٢٦ .

(اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[١].

ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم... كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين"[٢].

٢- التحذير من تعدي الحدود، والأمر بلزومها (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)[٣].

والحدود هي النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة، المأمور بها وغير المأمور بها[٤]، وتعديها هو تجاوزها وعدم الوقوف عليها. وهذا التعدي هو الهدف الذي يسعى إليه الشيطان إذ أن مجمل ما يريده تحقيق أحد الانحرافين الغلو أو التقصير" فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيعٌ له، فالغالي فيه: مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد"[٥].

---

١ سورة الفاتحة الآية ٧.

٢ الفتاوى لابن تيمية ج١ ص٦٥.

٣ سورة البقرة الآية ٢٢٩ .

٤ مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٣ ص٣٦٢ .

٥ جامع البيان للطبري ج٢ ص٤٧٢ .

٣- الدعوة إلى الاستقامة ولزوم الأمر، وعدم الغلو والزيادة، (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير)[١]. فالله سبحانه يأمر بالاستقامة التي هي الاعتدال، والمضي على النهج دون انحراف، ويعقب بالنهي عن الطغيان مما يفيد أن الله سبحانه يريد الاستقامة كما أمر بدون غلو ولا مبالغة تحيل هذا الدين من يسر إلى عسر[٢].

٤- النهي عن الغلو وتوجيه الخطاب لأهل الكتاب على وجه الخصوص (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً)[٣].

(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)[٤].

أي: يا أهل الإنجيل لا تغلوا في دينكم فتتجاوزوا الحق، فإن قولكم بأن عيسى ابن الله قول منكم على الله بغير الحق، ولا ترفعوه إلى مقام الألوهية فتجعلوه رباً وإلهاً[٥].

---

١ سورة هود الآية ١١٢.

٢ الغلو في الدين ص٦٥.

٣ سورة النساء الآية ١٧٢.

٤ سورة المائدة الآية ٧٢.

٥ جامع البيان ج٦ ص٤٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٢٨، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ج١ ص٨٢١، والتسهيل لابن جزي ص٢٦٥.

"والغلو في النصارى كثير فإنهم غلوا في عيسى فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله"[١]. ومن هذا الغلو جاءت معظم الانحرافات في الديانة النصرانية[٢].

ومن ذلك غلوهم بابتداع رهبانية تعبدوا الله بها، وهي لم تكتب عليهم، ولم يؤمروا بها (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[٣].

ولم يكن الغلو قاصراً على النصارى، بل هو موجود في اليهود، ولكن الخطاب في الآيتين قصد به النصارى خاصة؛ والسياق يدل على ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنصارى أكثر غلواً فيا لاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن"[٤].

وهذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداءً فإن المراد منها موعظة هذه الأمة لتجنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة[٥].

٥- نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته عن الغلو وذلك لئلا يقع المسلمون فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم التي بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ومع النهي يبين الرسول صلى الله عليه وسلم عواقب الغلو وآثاره فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع: (هلم القط لي الحصى) فلقطت له حصيات من حصى

---

١ تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص٢٦٥.

٢ المرجع السابق ص٢٦٦.

٣ سورة الحديد الآية رقم ٢٧ .

٤ اقتضاء الصراط المستقيم ج١ ص٢٨٩ ، وينظر جامع البيان للطبري ج٦ ص٢٤.

٥ مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن عاشور، ص٦٠ .

الخذف، فلما وضعهن في يده قال: (نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[1].

والنهي هنا وإن كان سببه خاصاً، فهو نهي عن كل غلو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه، مثل: الرمي بالحجارة الكبار بناءً على أنها أبلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم أي هدى من كان قبلنا إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك"[2].

٦- بيان مصير الغالي وعاقبته: حيث وردت أحاديث تبين مآل من غلا وأنه صائر إلى الهلاك، بل برد ذلك مكرراً ثلاث مرات في حديث واحد؛ مما يفيد عظيم الأمر وخطره، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا[3].

قال النووي: "هلك المتنطعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[4].

---

١ رواه أحمد (١/٥١٢، ٣٤٧)، وابن خزيمة (٤/٢٨٦٧- ٢٨٦٨)، والنسائي ٥/٢٦٨ كتاب الحج، باب التقاط الحصى.

٢ نقلاً عن الشيخ سليمان بن عبدالله، تيسير العزيز الحميد، ص٢٧٥، ولم اجده في كتاب شيخ الإسلام الذي بين يدي، إلا بنحوه في الاقتضاء ج١ ص٢٨٩ .

٣ رواه مسلم (٤/٢٠٥٥) كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، وأبو داود (٤٦٠٨) كتاب السنة، باب في لزوم السنة وأحمد (١/٣٨٦).

٤ شرح مسلم ج١٦ ص٢٢٠ .

كما جاء في أحاديث أخر أن التشديد على النفس سبب لوقوع التشديد من الله فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم؛ فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[1].

وهذا التشديدعلى النفس الذي هو ضرب من ضروب الغلو، بينت السنة أن عاقبة صاحبه إلى الانقطاع وأنه ما من مشادٍ لهذا الدين إلا ويغلب وينقطع. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد[2] الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة[3] والروحة[4] وشيء من الدلجة)[5]. وفي لفظ: (والقصد القصد تبلغوا)[6].

١ أخرجه أبو داود (٤٩٠٤)، كتاب الأدب، باب الحسد.

٢ يشاد الدين: أي يقاويه ويقاومه ويكلف نفسه من العبادات فيه فوق طاقته، والمشادة المغالبة، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٢ ص٤٥١، وينظر: فتح الباري لابن حجر ج١ ص٩٤.

٣ الغدوة: من الغدو وهو سير أول النهار، نقيض الرواح، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٣٤٦.

٤ الروحة: من الرواح قال ابن الأثير: يقال راح القوم، وتروحوا إذا ساروا أي وقت كان. وقيل أصل الرواح أن يكون بعد الزوال، النهاية في غريب الحديث ج٢ ص٢٧٣ .

٥ الدلجة قال ابن الأثير: وهو سير الليل، النهاية في غريب الحديث ج٢ ص١٢٩.

٦ سبق تخريجه .

قال الحافظ ابن حجر: "والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب"[1].

وحتى لا يقع ذلك جاء ختام الحديث آمراً بالتسديد والمقاربة "والتسديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط في العبادة، فلا يقصر فيما أمر به ولا يتحمل منها ما لا يطيقه"[2].

أهمية الوسطية في المنهج السلفي:

المتتبع للمنهج السلفي يجد أن الله قد هداهم إلى الوسط فالوسطية من أبرز خصائص المنهج السلفي فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)[3]. وقد ميز الله المنهج السلفي بهذه المزية العظيمة فلا يجد عند صاحب المنهج السلفي المتمسك بالكتاب والسنة إفراطاً وغلواً ولا تفريطاً لأنهما أشد مصادر الهلاك والضلال وبسببهما انتشرت البدع والخرافات بل وعبادة غير الله تعالى والشرك به، كما انتشرت المناهج الغالية والعنف والتطرف بتزيين الشيطان وخدعه المتنوعة. وتظهر وسطية السلفية في جميع مسائل الاعتقاد وادعت كل طائفة أنها هي التي على الحق وغيرها على الباطل، فلا عبرة بادعاء أي طائفة وأن العبرة إنما هي بعرضها على الكتاب والسنة فما وافقهما فهو على الحق وما خالفهما فهو على الباطل كائنا المخالف من كان.

---

١ فتح الباري ج١ ص٩٤ .

٢ المحجة في سير المدجة لابن رجب ص١٥.

٣ سورة البقرة الآية ١٣٤ .

وكان للسلفية بتوفيق الله موقفهم المتميز بين تلك الفرق كلها([1]). فتظهر وسطية السلفية بين أهل الغلو والتطرف، والواقع يشهد بأن السلفية تتميز بالطرح المتزن في محاربة التشدد والغلو وذلك في كل المجالات والأصعدة، ومواقف علماء السلفية وفتاواهم كثيرة وجلية في وجوب الاعتدال والوسطية وتوفي الحكمة والنهي عن الغلو والتطرف، وتحريم الظلم والعدوان مع المسلم وغير المسلم.

ووسائل الإعلام، ومناهج التعليم كلها في المملكة تقوم على منهج الحق، على الاعتدال والرشد والوسطية، أما ما يصدر من بعض التصرفات الشاذة من بعض الأفراد الذين يغويهم الشيطان وتنحرف بهم سبل الضلالة أو تستغلهم بعض الاتجاهات المشبوهة، فهذا خلاف المنهج وخلاف الأصل والواقع.

والمملكة لا تزال حكومة وشعباً علماء ومسئولين، تنكر هذه الاتجاهات الشاذة وتحذر منها، وتبذل جهوداً كبيرة للوقاية منها وعلاجها في كل المستويات، وعلى كل الأصعدة.

هذا والمملكة من منطلق التزامها للإسلام لا تقر المفاهيم الخاطئة للإرهاب والعنف ونحوهما من المصطلحات الحادثة التي تباينت المفاهيم حولها.

---

١ ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجي ج١ ص١٨٥- ١٨٦ .

وكذلك دفع العدوان والاستعداد له حق مشروع، تقره كل الشرائع والنظم والقيم في العالم ليس إرهاباً، كما قال الله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سورة البقرة الآية ١٩٤.

وقال: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) سورة البقرة الآية ١٩٠.

فالدفاع المشروع للشعوب المظلومة كما يحدث في فلسطين ليس إرهاباً ولا عنفاً في أكثر صوره.

كما أن تطبيق الشريعة الإسلامية، والحدود الشرعية، بالضوابط الشرعية ليس عنفاً ولا غلواً ولا تطرفاً.

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس إرهاباً ولا عنفاً كما يزعم الجاهلون، إنما هو منهج إسلامي شرعه الله تعالى يحقق العدل والأمن والفضيلة، ويحارب الظلم والفساد والرذيلة([1]).

---

١ إسلامية لا وهابية ص٤٣٣.

المبحث الثاني

ربط المنهج السلفي بالتكفير

مسألة التكفير من أهم وأخطر المسائل التي أثارها خصوم الدعوة السلفية من أهل البدع والأهواء والافتراق، أو الذين لم تتهيأ لهم الفرصة للتعرف على حقيقة الدعوة السلفية منهجاً وواقعاً، وأثاروا أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه يكفرون المسلمين([1]).

وفي هذا المبحث نرد على هذا الاتهام الخطير ونبين أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وعلماء الدعوة السلفية ملتزمون بمنهج أهل السنة والجماعة في عدم تكفير أي شخص إلا بدليل شرعي([2]). فنرى أن الدعوة السلفية وأهلها تعرضت لمظالم كبرى من خصومها، ومنها الاتهام بالتكفير، فاستوجبت منا ضرورة الدفاع ورد تلك الشبهات والاتهامات.

فمن المعروف أن السلفية ملتزمون بمنهج أهل السنة والجماعة في جميع أمور الاعتقاد وفي مسألة التكفير، الدافع العقدي لدى السلفي هو الذي يحركه إيجاباً، كلما كان صحيح المعتقد سليماً، كما يوجهه سلباً، كلما كان فاسداً يشوبه الانحراف.

ويعد هذا المحرك من أقوى المحركات، وأشدها في توجيه المرء، لاعتقاده بحصول نتائجه إن عاجلاً بتحقيق الهدف المراد، أو دخول الجنة آجلاً في الآخرة، فهو فائز بإحدى الحسنيين.

---

١ إسلامية لا وهابية للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل ص١٤٢.

٢ إسلامية لا وهابية ص١٤٢.

فالسلفيون يرون أن من الأهمية بمكان في مراجعة من تورط في هذا المسلك، والرجوع عما هو قائم عليه من انحراف.

وأهم ما يجب أن يتعلمه المسلم من قواعد عقدية، تضبط تعامله مع الآخرين في مسألة التكفير ما يلي:

- **لا كفر بذنب ما لم يستحله، ولا تخليد في النار بكبيرة:**

قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً)([1]).

يعني ما دون الشرك لمن يشاء بلا عقوبة، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب، ثم يعفو الله عنه، ويدخله الجنة بإيمانه، لقوله تعالى: (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً)([2]). وقوله تعالى: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً)([3]). وقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الموجبتين: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار)([4]).

وروى البيهقي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من أصل الإيمان من قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام)([5]).

وعلى هذا درج من مضى من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل السنة.

---

١ الآية ٤٨ سورة النساء.

٢ الآية ٤٠ سورة الكهف .

٣ الآية ٤٠ سورة النساء.

٤ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٥).

٥ أخرجه البيهقي في كتاب الاعتقاد، ص١٢٣ ، تحقيق الحوت، الناشر عالم الكتب، بيروت، ط٢ سنة ١٤٠٥.

وقالوا في آيات الوعيد: "إن ذلك جزاؤه، فإن شاء الله أن يعفو عن جزائه فيما دون الشرك فعل"([1]).

وأما عن بطلان القول بتخليد المؤمنين في النار، فيقول تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً)([2]).

وروى البيهقي بسنده عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزيد شعيرة أدخله الله الجنة، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزيد ذرة)([3]).

وبإسناده إلى جابر بن عبدالله يقول: "سمعت بأذني هاتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل يخرج قوماً من النار فيدخلهم الجنة)"([4]).

- "لا يكفر المعين إلا بدليل لنا فيه من الله برهان":

والذي تقرر من منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة؛ التفريق بين الإطلاق والتعيين، وكانت هذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وهي مسألة "الوعيد"، فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)([5]).

---

١ انظر البيهقي، المرجع السابق، ٥٢١، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية ٠٢/٨٨٢.
٢ الآيتين ٧١، ٧٢ سورة مريم.
٣ انظر البيهقي المرج السابق ص١٢٦.
٤ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٩).
٥ الآية ١٠ سورة النساء.

وكذلك سائر ما ورد: في "من فعل كذا فله كذا" فإن هذه مطلقة عامة، وهي بمنزلة قول من قال من السلف: من قال كذا فهو كذا، ثم الشخص المعين يلغى حكم الوعيد فيه: بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة، والتكفير؛ من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً([1]).

فالتكفير إذا له شروط، وموانع قد تنتفي في حق المعين، والتكفير المطلق لا يستلزم بأي حال من الأحوال تكفير المعين؛ لذا فإن الإمام أحمد رحمه الله، وعامة السلف، لم يكفروا حتى من نطق، أو تكلم في مسائل كخلق القرآن، ونفي الصفات عن الله تعالى، وغيرها من المسائل العقدية([2]).

- **"من قال لأخيه يا كافر ارتدت عليه":**

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)([3]).

وقد قيل في أحد وجوه التأويل لهذا الحديث: "فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه

---

١ ابن تيمية، المرجع السابق ٢١/٣٢٣.

٢ ابن تيمية، المرجع السابق ١٣/٤٨٨ .

٣ أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٦٣٨).

كفّر نفسه، إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفّر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام"([1]).

وفي رواية أخرى: (فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)([2]). قال المازري رحمه الله تعالى: "وإلا رجعت عليه، يحتمل أن يكون إذا قالها مستحلاً، فيكفر باستحلاله"([3]). قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "والمعنى فيه عند أهل الفقه والأثر والجماعة؛ النهي عن تكفير المسلم في هذا الحديث"([4]).

فانظر إلى هذا الترهيب الشديد من إطلاق اللسان بتكفير المسلمين، وإخراجهم عن دائرة الإسلام، ولعل الشارع الحكيم أراد بمثل هذا الوعيد، إبعاد الناس عن حكم بعضهم على بعض بما يوجب الفرقة، والعداوة واستحلال بعضهم لبعض، وفتح ذرائع الاقتتال فيما بينهم.

وجاء في الصحيحين: ".. ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه"([5]). قال ابن القيم رحمه الله: "فمن الكبائر تكفير من لم يكفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتال الخوارج، وأخبر أنهم شر قتلى تحت أديم السماء، وأنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ودينهم تكفير المسلمين

---

١ النووي أبو زكريا يحيى، شرح صحيح مسلم ٢٥٧/١- ٢٥٨، الناشر مكتبة الإيمان، القاهرة.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٩٣).

٣ تبصرة الحكام، ابن فرحون، ٤٠٣/٢، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ التمهيد لابن عبدالبر ٤٦١/٦.

٥ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٩٣).

بالـذنوب ، فكيـف بمـن يكفـر بالـسنة ، ومخالفـة آراء الرجـال لهـا ، وتحكيمهـا والتحاكم إليها"([1]).

وللآثـار الوخيمـة علـى المكفـر والمكفَّـر والمجتمـع ، علـى الـدين والأنفـس والأعـراض والعقـول والأمـوال ، وأمـن الأوطـان ، وجـدنا علمـاء الـسلفية يحذرون من التكفير أشد التحذير ، ويؤكدون على الاحتراز منه.

إذا تقـرر هـذا ، علمنـا أن علمـاء الأمـة ، قـد وضـعوا للـتكفير حمـى ، ولـم يـأذنوا بدخولـه إلا لأفـراد قلائـل حملـوا مواصـفات معينـة ، يحملـهم موجـب شرعي لذلك ، تترتب عليه أحكام قضائية ، وعلماؤنا يسيرون في هـذه المسألة على خطا أسلافهم في التزام هذا المنهج ، سلوكاً وتربية وتعليماً.

والإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه كانوا ملتزمين لقواعد التكفير المعتبرة عنـد علمـاء الأمـة ، وكـان رحمـه الله كـثير النـصح للمسلمين وحـريص علـى هدايتهم ، والدعاء لهم ، والتماس المعاذير لهم([2]).

وقـد اسـتفاض تأكيـده علـى الـبراءة مـن الـتكفير بالـذنوب - كمـا تفعـل الخـوارج - وقـد ثبـت نفيـه المتكـرر ومـا يـتهم بـه وأتباعـه مـن أنهـم يكفـرون المسلمين بـالعموم وأنهـم يكفـرون كـل مـن خـالفهم ، وكـل مـن لم يـدخل في مذهبهم ونحو ذلك من المزاعم الباطلـة ، وكـان رحمـه الله يعامـل النـاس علـى ظـواهرهم ويكـل سـرائرهم إلى الله ، ولا يحكـم علـى أحـد بمجـرد المـوالاة ولا

---

١ ابـن قـيم الجوزيـة ، أبـو بكـر محمـد ، إعـلام المـوقعين ٣٠٨/٤ ، الناشـر دار الكتـب العلميـة ، بيروت.

٢ إسلامية لا وهابية ص٢٥٠ .

يحكم عنده إلا بعد إقامة الحجة والبرهان وبينات وبعد التثبت ومعرفة الحال([1]).

وقال في رسالة له إلى عامة المسلمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبدالوهاب: إلى من يصل إليه من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: ما ذكر لكم عني: أني أكفر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول من تبع دين الله ورسوله، وهو ساكن في بلده، أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي، فهذا أيضاً من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله، في أي أرض كانت.

ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله، ثم عاداه وصد الناس عنه؛ وكذلك من عبد الأوثان، بعدما عرف أنها دين المشركين، وزينه للناس فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجل معاند، أو جاهل، والله أعلم والسلام".

وسئل أبناء الشيخ وحمد بن ناصر بن معمر: هل تعتقدون كفر أهل الأرض على الإطلاق؟ أم لا ؟

فأجابوا: "الذي نعتقده ديناً، ونرضاه لإخواننا مذهباً، أن من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وقامت عليه الحجة، فإنه يكفر بذلك، ولو ادعى الإسلام، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء"([1]).

---

١ إسلامية لا وهابية ص٢٥٢.

وقال الإمام - أيضاً - في رده على (خصم الدعوة): سليمان بن سحيم، مبيناً أنه لا يكفّر إلا حسب الأدلة الشرعية، وآثار السلف الصالح:

"وأما المسألة الثالثة، وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبّس به على العوام: "أن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب" وهذا حق، ولكن ليس هذا ما نحن فيه، وذلك أن الخوارج يكفرّون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر. وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك؛ ونحن ما كفّرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك"([2]).

ويقول الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب: "ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت؛ ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات، وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته من هذه حاله، ورضاء به ولتكثير سواد من ذكر، والتأليب معه فله حينئذ حكمه في قتاله، ونعتذر عمن مضى: بأنهم مخطئون معذورون، لعدم عصمتهم من الخطأ والإجماع في ذلك ممنوع قطعاً"([3]).

إلى أن قال: "ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته، وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمة،

---

١ الدرر السنية في الأجوبة النجدية مجموعة رسائل ومسائل علماء النجد الأعلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، ١٣١/٠١ .

٢ تاريخ نجد لابن غنام ١٢٩/٢ ، ١٣٠ .

٣ الدرر السنية ١/٢٣٤و ٢٣٥ .

ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة، والتأليف فيها وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيتمي، فإنا نعرف كلامه في الدر المنظم، ولا ننكر سمة علمه ولهذا نعتني بكتبه كشرح الأربعين، والزواجر وغيرها، ونعتمد على نقله إذ نقل لأنه من جملة علماء المسلمين.

هذا ما نحن عليه، مخاطبين من له عقل وعلم، وهو متصف بالإنصاف، خال عن الميل إلى التعصب والإعتساف، ينظر إلى ما يقال، لا إلى من قال"([1]).

---

١ الدرر السنية ١/٢٣٦ .

المبحث الثالث

اتهام المنهج السلفي بالعداء للآخر

إن الاختلاف بين سائر الأمم والشعوب وبين مختلف المناهج والاتجاهات، وتمايزهم في معتقداتهم وثقافاتهم ليس من شك في أنه واقع بإرادة الله تعالى ومشيئته، ووفق حكمته البالغة، مما يقتضي تعارف الناس فيما بينهم، وتعاونهم على ما يحقق مصالحهم، ويحل مشكلاتهم في ضوء القيم المشتركة بين الرسالات السماوية والتي تدعو إلى التعامل بالحسنى، والتنافس في عمارة الأرض التي استخلفهم الله تعالى فيها.

ولما كان كثير من الافتراءات والأباطيل المثارة عن المنهج السلفي من قبل الجاهلين له والحاقدين عليه، سواء في الصحف والفضائيات والمقالات المغرضة الموجهة ضد هذا المنهج، حيث تبرز التعصب والتشدد كأنه صفة من صفات المنهج السلفي.

ولما كان كثير من المناهج والاتجاهات قد وقع في براثن الشرك والبدع والخرافات، وانغمس في الظلم والعدوان، والإفساد في الأرض التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان.

ولما كان المنهج السلفي منهجا عالميا، فإنه من الطبيعي أن يكون في أولوياته بيان منهج التعامل مع عموم البشر على اختلاف معتقداتهم وثقافاتهم واتجاهاتهم.

لهذا كله قصدت في دراستي في هذا المبحث توضيح المشكل والملتبس في الأذهان وكشف هذا الزيف، ودحض هذه الافتراءات التي لا أساس لها من الصحة ومحاولة إبراز الصورة الحقيقية للمنهج السلفي في تسامحه مع الآخرين على

حد سواء حتى لا تهتز الثقة به، ويلمس كل إنسان أن المصلحة الحقيقية، والتماس النجاح أو النجاة، والاطمئنان والراحة النفسية، والأمن والأمان يتجسد كله في هذا المنهج، فإنه ليس متشددا ضيقا حرجا، فلا إعنات ولا مشقة ولا إحراج في تعاليم هذا المنهج الذي يقوم على حسن التعامل مع الآخرين.

وهناك من يزعم أن العداء للآخر من سمات المنهج السلفي وأهله وهذا من أعظم المفتريات التي أثيرت حول الدعوة السلفية.

وللرد على هذه الشبهات التي أثيرت نقول أن من سمات المنهج السلفي وخصائصه التسامح:

التسامح في اللغة:

من الفعل سامحه يسامحه سماحة وهو المصدر، والمراد هنا: المبالغة بالفعل، لأن التفاعل هنا ليس فيه جانبان، وأصل السماحة السهولة في المخالطة والمعاشرة، وهي لين في الطبع في مظان تكثر في أمثالها الشدة[(١)] .

التسامح في الاصطلاح:

وفي الاصطلاح جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله رجلاً سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا اقتضى»[(٢)]، ولكن المراد به هنا في هذا المقام السماحة للمخالفين للمسلمين بالدين، وهو لفظ اصطلح عليه العلماء الباحثون في الأديان من المتأخرين،

---

(١) (لسان العرب) لابن منظور ج٢ ص٣١٩ ، مادة سمح ، مرجع سابق . (مختار الصحاح) أبو بكر الرازي ص٣١٢ ، مادة سمح .

(٢) (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ابن حجر العسقلاني ج٤ ص٣٠٧ حديث رقم ٢٠٧٦.

وخصوصاً في أواخر القرن الماضي ، فقد صار هذا اللفظ حقيقة عرفية في هذا المعنى ، وربما عبروا عن معناه مبالغاً لفظ تساهل ، وهو مرادف له في اللغة ، ولكن الإصطلاح الذي خص لفظ التسامح بمعنى السماحة الخاصة تلقاء المخالفين في الدين[1] ، وهو خلق عام ، وباب كبير ينضوي تحته من الأخلاق الفاضلة كالعدالة والوفاء والعفو والإحسان وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

وإذا كانت كلمة التسامح في القرآن الكريم لم ترد بلفظها فإنها وردت بمعناها ، وهو الصفح والعفو والإحسان واليسر وغيرها ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ [3].

وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [5].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[6].

---

(١)انظر كتابه القيم (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) محمد الطاهر بن عاشور ص٢٢٦ ، نشر الشركة التونسية للتوزيع .

(٢)سورة البقرة من الآية ١٠٩ .

(٣)سورة البقرة من الآية ١٩٥ .

(٤)سورة البقرة من الآية ١٨٥ .

(٥)سورة البقرة من الآية ٢٨١ .

(٦) (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ابن حجر العسقلاني ج١ ص٩٣ ، حديث رقم ٣٩.

وجاء في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أثماً[١].

كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في جزاء هذا الخلق العظيم قوله : « من سره أن يشرف له البنيان ، وترفع له الدرجات ، فليعفوا عمن ظلمه ، ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه »[٢].

وفي القرآن الكريم قاعدة جليلة هي الأساس في التعامل مع غير المسلمين ، بينت أن الأصل أن تكون معاملتهم حسنة ، بل أن يحظوا بالبر والإحسان ، ما لم تبرز منهم مظاهر عملية من العداء الصريح ، حيث قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٣].

قال الإمام القرافي[٤] في بيان المراد به : « هو الرفق بضعفيهم وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ، وكساء عاريهم ، ولين القول لهم – على سبيل التلطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة – واحتمال أذيتهم في الجوار – مع القدرة على إزالته – لطفاً منا بهم لا خوفاً ولا طمعاً ، والدعاء لهم بالهداية ، وان يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع أمورهم ،

---

(١) (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ابن حجر العسقلاني ج١١ ص١٢ ، ٨٦ ، حديث رقم ٦٧٨٦.

(٢) (المستدرك على الصحيحين) الحاكم النيسابوري حديث رقم ٣١٦١ .

(٣) سورة الممتحنة الآية ٨ .

(٤) (الفروق) أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي ج٣ ص١٥ ، نشر دار عالم الكتب ، بيروت .

في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم».

ولم يكن هذا التوجيه من الله تعالى كلاماً يقرأ فحسب، بل تحول إلى سلوك عام لجميع المسلمين، ابتداء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وولاة المسلمين، وانتهاء بعامة المؤمنين وهذا هو المنهج السلفي.

من مظاهر التسامح ما يلي:

الرحمة: وهي الرقة والإحسان، والعطف والحنان، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ** ﴾[1]، فذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم، وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كل ما خالفوا عنه مما فرض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: **ﮋﮆ ﮇﮊ** أي تجاوز عنهم، وهذا منتهى السماحة[2].

السلام: وهو شعار المنهج السلفي، إذ هو من أسمى الأهداف التي بعث صلوات الله وسلامه بهذه الشريعة الإسلامية لتحقيقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَٱعْفُ عَنْهُمْ** ﴾[3] وهو لا يقتصر على المسلمين وحدهم، بل يشملهم وغيرهم من الأمم الأخرى، قال تعالى: ﴿ **وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩** ﴾[4]، وقوله جل شأنه: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦١** ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.
(٢) (السيرة النبوية) ابن هشام ج٣ ص٥٥، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
(٣) سورة الفرقان الآية ٦٣.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٠٨.
(٥) سورة الأنفال من الآية ٦١.

العدل: وهو الميزان الاجتماعي في الإسلام، فعليه يقوم بناء المجتمع، إذ به تستقيم الأمور وتسير في مسارها الصحيح، وبه تطمئن النفوس إلى نيل حقوقها، وكل تنسيق اجتماعي لا يقوم على العدالة سرعان ما ينهار مهما كانت القوة المنظمة له، إذ العدل الدعامة القوية التي يقوم عليها الحكم، والتنسيق السليم لكل بناء، ولذا فقد قيل قديماً: "العدل أساس الملك "[(١)]، وقد أمر الله تعالى به وحث عليه من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[(٢)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[(٣)]، والمراد بالحكم في هذه الآية، هو ما كان عن ولاية عامة أو خاصة على ما ذهب إليه أكثر المفسرين[(٤)].

العفو والصفح والتماس العذر للناس: والعفو ترك المؤاخذ بالذنب، والصفح إزالة أثره من النفس، وعليه فالصفح غير العفو، فقد يعفوا الإنسان ولا يصفح ومن هنا كان الصفح أبلغ من العفو[(٥)]، ولذلك قال تعالى: ﴿

---

(١) (الثقافة الإسلامية وتحديات العصر) د. شوكت عليان ص٢٣٠ ، دار الشواف ، بيروت ١٤١٦هـ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ .

(٣) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٤) (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير ج١ ص٥١٥ ، مرجع سابق.

(٥) (المفردات في غريب القرآن) أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص٢٨٢.

﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[2] أي المشركين، فلتأليفهم ينبغي الصفح عنهم فعلاً وقولاً وهو ما أمر الله به نبيه صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[3]، وفي موضع آخر يقول جل شأنه: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾[4]، و الصفح الجميل هو أبلغ ألوان العفو، وأما التماس العذر فمعناه رفق الإنسان بالمخطئ، وعدم مقابلة سيئة بمثلها، بل يلتمس الإنسان له عذراً، فيعفوا ويصفح، فالتعالي عن مقابلة العدوان بالعدوان، والصفح الجميل عن الهفوات والزلة من فضائل الإسلام، وعظيم أخلاق القرآن الكريم، وجانب عظيم من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو المنهج المتبع عند السلفيين.

كظم الغيظ: وكظم الغيظ معناه كتمانه مع القدرة على إمضاءه وإنفاذه لا عن ضعف وعجز، وإنما لمنزلة عظيمة من منازل التسامح في الدين الإسلامي، تجعل الإنسان يكتم غيظه ابتغاء مرضات الله، وخشية أن يقع في محظور.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

(٤) سورة الحجر من الآية ٨٥ .

الاعتدال وعدم التشدد: قال صلى الله عليه وسلم: « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات»[1].

نبذ التعصب في كل صوره وألوانه: كالتعصب للجنس، أو اللون أو اللغة أو النسب، أو غير ذلك من عصبيات الجاهلية، قال صلى الله عليه وسلم: « ليس منا من مات على العصبية، ليس منا من دعا إلى العصبية، ليس منا من قاتل على العصبية»[2].

هذه أسس عظيمة قويمة، وأخلاق عالية رفيعة يأخذ بعضها ببعض لتشكل بمجموعها مفهوم التسامح في سائر التعاملات، و الذي يحث عليه المنهج السلفي، امتثالا للحديث الشريف فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[3].

ونحن إذا عرضنا تسامح المنهج السلفي مع المخالفين في الدين رأيناه تسامحاً كاملاً وواضحاً في المظهرين معاً، يتضح جلياً فيما يلي:

المظهر الأول: مظهر الانفعالات العارضة عند الانفعالات الدينية نرى بوضوح وصايا القرآن الكريم للمسلمين بالإعفاء عند مشاهدة مزاولة المخالفين في الدين لرموز أديانهم، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن**

(١) أبو داود (سنن أبو داود) حديث رقم ٤٦٠٤ باب الحسد .

(٢) أبو داود (سنن أبو داود) حديث رقم ٥١٣١ باب في العصبية .

(٣) الحديث رواه مسلم ، انظر النووي (رياض الصالحين) ص٢٧٨ ، حديث ٦٦٠ .

﴿دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

المظهر الثاني: مظهر التسامح في المعاملات الدنيوية البحتة، فقد أمر الإسلام بالتسامح في مختلف أحوال المخالطة من المخالطة العائلية التي في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾[3] وهذا في معاملات الصحبة مع المخالفين في الدين.

وجملة القول إن الأساس الفكري لتسامح المنهج السلفيين في معاملة مخالفيهم في الدين يرجع إلى الأفكار والحقائق التي غرسها الإسلام في عقولهم وقلوبهم، والتي من أهمها:

الاعتقاد بكرامة الإنسان، أياً كان دينه أو جنسه أو لونه، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[4]، وهذه الكرامة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ولا ريب أن النصوص الشرعية هي المنطلق للسلفية تقرر أن من سنن الله في خلقه قيام الاختلاف فيه، وتنوع الاهتمامات والمقاصد، وقيام التدافع بين

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٨.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٨.

(٣) سورة الممتحنة الآية ٨.

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٠.

الناس بسبب ذلك، وقد بين الله سبحانه أن هذا ماض في خلقه، ولن يزال في مثل قوله سبحانه: " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون متخلفين" (هود: ١١٨)

أما الاختلافات الظاهرة في الواقع البشري ألواناً وأعراقاً وأشكالاً، فإن غايتها عكس ما يظنه القاصرون من التفريق والتعالي، إن الغاية من هذا الاختلاف هو التعارف، ومن ثم التقارب والتعاون، يقول سبحانه: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات ١٣.

كما ترى السلفية كرامة الإنسان - لإنسانيته - التي فضل بها على المخلوقات المحيطة به جماداً ونباتاً وحيواناً (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فيا لبر والحبر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء: ٧.

وهي كرامة يجدها الإنسان في طبيعته وجبلته، وبها يكون له سياج من الصيانة والحصانة في الإسلام، فهي "ظل ظليل ينشره قانون الإسلام على كل فرد من البشر ذكراً أو أنثى، أبيض أو أسود ضعيفاً أو قوياً من أي ملة أو نحلة، ظل ينشره الإسلام على كل فرد يصون به دمه.

ويرى السلفية أن الإسلام إنساني عالمي من خلال شموليته لجوانب الحياة البشرية كلها، وربطه بين الدين والدولة.

إن الديانات التي توفرت على الجانب العقدي والخلقي والتعبدي تاركة الحياة الاجتماعية دون تشريع، فحصرت الدين في الصلة الروحية بالله تعالى وأخرجت النظم منه - كما في النصرانية الكنسية - قد أفسحت مجالاً للتكتلات الثقافية؛ حيث يقوم رجال الفكر والفلسفة والسياسة برسم نظم الحياة الاجتماعية وفق

أعراف مجتمعهم الخاص وطبيعته المعينة، مما ينتج - وقد أنتج كما نرى ثقافات متعددة، وقوميات متباينة للغربيين الذين يعتنقون جميعاً النصرانية.

أما الإسلام، فإنه بهذه الشمولية التشريعية التي تغطي أمور الحياة الخاصة والاجتماعية يؤدي إلى توحد المسلمين في ثقافة إسلامية وأنماط حياة فردية حيث تصبغ الحياة الإسلامية بصبغة واحدة، أو متقاربة جداً في الاهتمام والفكر والذوق والسلوك والتقاليد.

مما يجعلهم أمة واحدة على الرغم من التباعد والحدود.

- هذا بالنسبة للمسلمين، أما غير المسلمين: فإن الإسلام يقرر الكرامة الأصلية لهم والفطرة الموحدة الخلقية، ثم يتجلى موقفه معهم في ثلاث حالات.

الأولى: دعوتهم إلى تحقيق هذه الكرامة وصيانتها من الاندثار بالإسلام، والتحرر من عبودية الأشياء والأشخاص إلى العبودية لله؛ ليكونوا مسلمين.

الثانية: لكن ذلك لا يعني إكراههم على الدين، فإن لم يرتضوا الدخول فيه، فإن الإسلام يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية التي أشرنا إليها في فقرة (ب) حيث يعيشون في ظل دولة الإسلام لهم ذمة الإسلام التي يحفظها كل مسلم تجاههم تديناً لله سواء كان جاراً أو قاضياً أو حاكماً، إلا من هتك هذه الكرامة بيده، فإنما جنى على نفسه.

الثالثة: الذين ليسوا في ظل دولة الإسلام من الدول الكافرة نصرانية أو يهودية أو مجوسية.. فإن الإسلام يؤيد جهودهم المتجهة للتعايش السلمي على أسس القيم الكبرى التي دعا إليها الإسلام عدلاً ووفاءً وبراً وتعاوناً على إشاعة الحق، ونشر الفضيلة، وحفظ الحقوق، ومكافحة الرذيلة.

قال صلى الله عليه وسلم: (لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت)[١].

وقال في غزوة الحديبية: (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها)[٢].

---

١ حديث صحيح أيضاً: انظر: فقه السيرة - الهامش - ٣٥١.

٢ السلفية وقضايا العصر لعبد الرحمن الزنيدي ص٦٢٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

بعد الفراغ من كتابة هذا البحث يحسن بي أن أذكر أهم النتائج التي برزت لي:

- أهمية الدفاع عن المنهج السلفي إحقاقا للحق والكشف عن الشبهات التي يوردها المخالفون وتفنيدها وبيان أن المنهج السلفي منهج وسطني مبني على الكتاب والسنة.
- المنهج السلفي يدعو إلى الوسطية ونبذ الغلو والتطرف، ويرى أن الغلو والتطرف من مصادر الهلاك والضلال.
- السلفيون ملتزمون بمنهج أهل السنة والجماعة في جميع أمور الاعتقاد وفي مسألة التكفير، الدافع العقدي لدى السلفي هو الذي يحركه إيجاباً، كلما كان صحيح المعتقد سليماً، كما يوجهه سلباً، كلما كان فاسداً يشوبه الانحراف.
- الواقع يشهد بأن السلفية تتميز بالطرح المتزن في محاربة التشدد والغلو وذلك في كل المجالات والأصعدة، ومواقف علماء السلفية وفتاواهم كثيرة وجلية في وجوب الاعتدال والوسطية وتوفي الحكمة والنهي عن الغلو والتطرف، وتحريم الظلم والعدوان مع المسلم وغير المسلم.

من سمات المنهج السلفي وخصائصه التسامح، والمنهج السلفي هو منهج عالمي فإنه من الطبيعي أن يكون في أولوياته بيان منهج التعامل مع عموم البشر على اختلاف معتقداتهم وثقافاتهم واتجاهاتهم، وهو

منهج مبني على التسامح والعدل والإنصاف والدعوة بالحكة والموعظة الحسنة.

هذا وبالله التوفيق، والحمد الله أولا وآخرا وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- إسلامية لا وهابية ، الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ، بدون التاريخ ورقم الطبع.
- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية بيروت.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية والأحكام لابن فرحون المالكي ، دار الكتب العلمية بيروت.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، الدكتور شوكت عليان ، دار الشواف ، بيروت ١٤١٦هـ.
- التمهيد لابن عبد البر، مكتبة ا لثقافة الإسلامية بالقاهرة.
- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بدون تاريخ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية مجموعة رسائل علماء النجد ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.
- السلفية وقضايا العصر ، الدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- السيرة النبوية لابن هشام ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
- صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- صحيح مسلم بشرح النووي ، مكتبة الإيمان بالقاهرة.
- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية ، الدكتور عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ.
- فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني دار السلفية القاهرة.
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، الدكتور غالب بن غلي عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.
- الفروق لأبي العباس القرافي ، دار عالم الكتب ، بيروت.
- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ.

- لسان العرب لابن منظور دار الفكر.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي بدون تاريخ.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. بدون تاريخ.



موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف

" التعامل مع غير المسلمين "(أنموذجاً)

إعداد

أ. د. هيا بنت إسماعيل بن عبد العزيز آل الشيخ

أستاذة العقيدة - قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية

جامعة الملك سعود

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فإن الله قد بعث نبيه محمداً - ﷺ- ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه. ولقد امتن الله - عز وجل- بهذه النعمة العظيمة على هذه الأمة في أكثر من آية؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ووصف الله رسوله - ﷺ- بأنه رحمة للعالمين؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ووصف كتابه الكريم بأنه يهدي للتي هي أقوم، وأنَّ فيه تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وإن من أبرز سمات هذا المنهج الرباني الهادي للتي هي أقوم أنه متسم بالشمول والتوازن والوسطية والعدل ؛ ولذلك امتن الله - عز وجل - على هذه الأمة التي أنزل إليها كتابه الكريم ومنهجه **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٣].

وقد جاء في القرآن الكريم النهي عن الغلو في الدين في أكثر من موضع ؛ ومن ذلك : **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ النساء : ١٧١. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

وقد نشأت مناهج منحرفة ؛ بعضها ينزع إلى الغلو والإفراط ، وبعضها ينزع إلى الجفاء والتفريط. والخير كله والعدل والشمول والتوازن موجود في كتاب ربنا - عز وجل - الذي : **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت : ٤٢ وصدق الله العظيم في وصف المناهج

البشرية، قال - تعالى- : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

ونظرا لما ظهر في حياة كثير من الناس من المخالفة لحد الاعتدال في هذا الدين - سواء إلى الغلو أو إلى التقصير في كثير من جوانب الدين سواء ما كان منه في جانب الاعتقاد؛ كمفهوم الإيمان، والقدر، والأسماء والصفات، والتوكل والخوف والرجاء، أو ما كان منه في جانب العبادة والنسك، أو في جانب الأخلاق والسلوك والتعامل .لذا آثرت أن يكون عنوان هذا البحث (موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف) من خلال عقيدة الولاء والبراء (التعامل مع غير المسلمين أنموذج) الموضوع الأول من المحور الثالث (مفاهيم خاطئة حيال المنهج السلفي) لأسباب أهمها:

١- إن الوسطية والعدل والبينية تقتضي أن يكون هناك طرفان مذمومان يكتنفان الوسط والعدل. أحدهما: ينزع إلى الغلو والإفراط. والآخر: ينزع إلى التفريط والإضاعة والجفاء.قال ابن القيم -رحمة الله- : " ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو.ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين و الهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد "[١]. و يقول في موضع آخر رحمه الله تعالى: "وكلا طرفي الأمور ذميم، وخير الأمور أوسطها،

---

(١) مدارج السالكين٢/٤٩٦

والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراط وتفريط، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين، وكذلك السنة وسط بين بدعتين"(١).

٢- إن الأخلاق قد جاءت في الإسلام متصفة بصفة العدل والتوازن؛ فكل خلق حميد فهو وسط بين خلقين ذميمين: أحدهما ينزع إلى الغلو والإفراط، والآخر ينزع إلى التفريط والتضييع. وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - وهو يتحدث عن الأدب وأنه التوسط في الأمور: "ومثال ذلك - أي التوسط - في حقوق الخلق: أن لا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها، بحيث يشتغل بها عن حقوق الله، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه، وأن لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية؛ فإن الطرفين من العدوان الضار. وعلى هذا الحد، فحقيقة الأدب: هي العدل. والله أعلم"(٢)

٣- إن الأصل في معاملة غير المسلم هي البر والقسط ما دام مسالماً، وآيتا سورة الممتحنة: [٨- ٩]، واضحتان في ذلك.

خطة البحث يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث:

المقدمة: تضمنت ملخص للمعلومات الواردة في هذا البحث، وأسباب اختياره وخطة البحث، وأما المباحث فهي على النحو التالي:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلحات البحث.

(١) روضة المحبين ص٢٢٠

(٢) مدارج السالكين٣/٢١٣

المبحث الثاني: أهل (الغلو والإفراط) و(والتفريط والجفاء) في التعامل مع غير المسلمين من خلال عقيدة الولاء والبراء.

المبحث الثالث: منهج السلف في التعامل مع غير المسلمين من خلال عقيدة الولاء والبراء.

الخاتمة.

فهرس المراجع.

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلحات البحث

من المصطلحات التي لها علاقة بهذا الموضوع ما يلي :

(السلف)- (الغلو والإفراط)- (التفريط والجفاء)- (الولاء والبراء) ولذا لابد من تعريف كل واحد من هذه المصطلحات لغة واصطلاحاً على النحو التالي :

السلف لغة واصطلاحاً :

من ألقاب أهل السنّة والجماعة (السلفيون) لاتباعهم منهج السلف الصالح الذين هم الصحابة والتابعون وأتباعهم على الخير والهدى.

والسلف في اللغة : جمع سالف على وزن حارس وحرس، وخادم وخدم، والسالف : المتقدم والسلف الجماعة المتقدمون[1] ومنه : **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف : ٥٦] قال البغوي في تفسيرها : "السلف : من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين، ليتعظ بهم الآخررن"[2] وقال ابن الآثير : "سلف الإنسان من تقدمه من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[3]

---

(١) أنظر : لسان العرب، لابن منظور ١٥٨/٩.

(٢) معالم التنزيل ١٤٢/٤

(٣) النهاية لابن الثير٢/٣٩٠

السلف في الاصطلاح:

تطلق ويراد بها معنيان الأول: حقبة تاريخية تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدمة لقوله - ﷺ- : "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[١] والسلفية بهذا الإطلاق مرحلة تاريخية انتهت بموت رجالها. الثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما على مقتضي الصحابة والسلف لقوله – تعالى - : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولقوله - ﷺ- : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"[٢].

وبهذا الإطلاق تكون منهاجاً باقياً إلى يوم القيامة يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده ولهذا قال السفاريني: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمى ببدعه، أو شهر بلقب غير مرض، مثل الخوارج والروافض، والمرجئة، والجبرية والجهمية،

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور- وقي الرقاق- باب ما يحذر من زهوة الدنيا والتنافس.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة –باب لا تزال طائفة من أمتي- مسلم في كتاب الإمارة باب قوله - ﷺ- لا تزال طائفة من أمتي

والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"[1] ولهذا اتضح لنا أن السبق الزمني ليس كافياً في تعيين السلف، بل لابد أن يضاف إلى هذا السبق موافقة الرأي للكتاب والسنّة، فمن خالف رأيه الكتاب والسنّة فليس سلفيا وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين[2]، لأنه ظهر في هذه القرون الثلاثة أصحاب أهواء ورواد ابتداع.

فقد خرجت الخوارج في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- وكانت بداية خروجهم حينما اعترضوا على التحكيم سنة ٣٧هـ، وفيها ظهر التشيع والرفض على يد عبد الله بن سبأ، وفيها انبثقت فيه القدرية على يد معبد الجهني (ت٨٠هـ)، ومنها ظهرت بدعة الإرجاء وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان الدمشقي (ت ١٠٥هـ)، وفيها ظهر التجهم والاعتزال حيث كان في هذه الفترة الجعد بن درهم (ت ١٢٤هـ) أستاذ الجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ)، كما كان فيها واصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة (ت ١٣١هـ) ... الخ.

ومن المعلوم بالضرورة أن هذه بدعاً ليست من الدين، فتحت على هذه الأمة أبواب شر عظيم، مازالت الأمة تعاني من آثاره إلى اليوم[3].

ولهذا ذكر المحققون أن مصطلح السلف إنما ظهر حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف

---

(١) لوامع الأنوار ١/٢٠.

(٢) أنظر: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، د. الجليند، ص ٥٢.

(٣) أنظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص ١٠٠، ١٠١.

الصالح فكان لابد من ظهور قواعد واضحة للاتجاه السلفي تميزه عن مدعي الانتساب إلى السلفية.[1]

فإطلاق (السلفيين) إذاً على أهل السنّة والجماعة من كل عصر ومصر موافق تماماً لواقع حالهم وما يقوم عليه مذهبهم من متابعة السلف من الصحابة والتابعين.

وليس من الابتداع في شيء أن يتسمى أهل السنّة بـ (السلفيين) بل إن مصطلح السلف يساوي تماماً مصطلح أهل السنّة والجماعة، ويدرك ذلك بتأمل اجتماع كل من المصطلحين في حق الصحابة فهم السلف، وهم أهل السنّة والجماعة.

فثبت بهذا أن إطلاق هذا الاسم على أهل السنّة شرعي، وأنه يرجع في أصل معناه إلى أسمائهم الشرعية، كأهل السنّة والجماعة، والطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، للتفريق بينهم وبين من ينتسب إلى الإسلام ممن انحرف عن العقيدة الصحيحة، التي ترك الرسول - ﷺ - عليها أمته.

معنى الغلو ولإفراط في اللغة:

يقال للشيء إذا ارتفع: قد غلا، وغلا النبت: ارتفع وعظم، و غلوت في الأمر غلوًّا وغلانية وغلانيًا إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه[2] ومنه قوله -تعالى- : ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: من الآية ١٧١].

(١) أنظر: قواعد المنهج السلفي د. مصطفى حلمي، ص ٣٥، كذلك الصفات الإلهية د. محمد أمان الجامي ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) انظر لسان العرب مادة غلا

الغلو في الشرع:

وقد جاء في القرآن الكريم النهي عن الغلو في الدين في أكثر من موضع؛ ومن ذلك: قوله – تعالى – : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ النساء: من الآية١٧١. قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية: "... والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه: غلا السعر. وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم ... وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة"(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة: ٧٧]. قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : "لا تُفرِطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل. فتقولوا فيه: هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبدالله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"(٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : "والنصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن"(٣) وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – في آية المائدة: "أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تُطْروا من أُمِرْتم بتعظيمه فتبالغوا فيه

---

(١) انظر زاد المسير: (٢/٢٦٠).

(٢) تفسير االطبري١/٣١٦

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم١/٢٨٩

حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله"[(١)].

كما جاء النهي عن الزيادة والتكلف في قوله - تعالى - لنبيه - ﷺ- : (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [سورة ص: ٨٦] قال الإمام ابن كثير - في تفسير هذه الآية - : "أي: قل: يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عَرَض الحياة الدنيا (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أُمِرْتُ به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله - عز وجل- والدار الآخرة"[(٢)].

وأما في السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن الغلو والتشديد في الدين، وذكر بعضها هنا يساعد في فهم معنى الغلو وحدوده.

الحديث الأول: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله - ﷺ- ، غداة جمع: "هلمّ القط لي الحصى)، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلمَّا وضعهنَّ في يده قال: (نعم بأمثال هؤلاء وإيّاكم والغلوّ في الدّين فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين"[(٣)].

الحديث الثاني: عن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: " قال رسول الله- ﷺ- : (هلك المتنطّعون). قالها ثلاثًا"[(٤)]. قال النَّوويُ: "هلك المتنطّعون: أي المتعمِّقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير٢/٩٢.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) رواه النسائي رقم الحديث: ٣٠٥٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ١٢٨٣.

(٤) رواه مسلم رقم الحديث: ٢٦٧٠.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٢٢٠.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الدين يسر ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[١]. قال ابن رجب - رحمه الله تعالى -: "والتسديد: العمل بالسداد؛ وهو القصد والتوسط في العبادة؛ فلا يقصر فيما أمر به ولا يتحمل ما لا يطيقه"[٢].

الحديث الرابع: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن نفرًا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - سألوا أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه وقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؛ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني"[٣].

وعند البخاري: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث: ٢٩.

(٢) المحجة في سير الدلجة ص٥١.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث: ١٤٦.

وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1].

ومن خلال الأحاديث السابقة يتبين لنا معنى الغلو وحده وأنه مجاوزة وتعدي ما أمر الله به، أو فعل ما لم يشرعه الله - عز وجل - ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

وهكذا اتضح لنا من نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن الغلو والإفراط. يشتركان في كونهما مجاوزة لما شرعته الشريعة الإسلامية السمحة التي ينيت على اليسر والسهولة ورفع الحرج عن الأمة الإسلامية.

التفريط في اللغة:

بعد ما تعرفنا على معنى الغلو والإفراط، وأنه مجاوزة للحد الذي شرعته الشريعة الإسلامية، نتقل في هذه الفقرة إلى الطرف الآخر المقابل له، ألا وهو مجاوزة حد الشريعة بالتفريط والتساهل والجفاء.

قال في اللسان: أفرط في الأمر يفرط فرطًا ضيعه حتى فات وكذلك التفريط ،. أي: قصَّر فيه وهو التضييع.ومنه قوله – تعالى - : ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: من الآية٢٨] أي: كان أمره التفريط وهو تقديم العجز[2].

ورود لفظة التفريط في القرآن الكريم:

وقد وردت مادة (فرط) في القرآن في عدَّة مواضع:

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث: ٥٠٦٣

(٢) انظر لسان العرب مادة / فرط.

قال – تعالى – : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام : من الآية ٣١].

قال الطبري : يقول من فرط : يا ندامتنا على ما ضيَّعنا فيها.أي يا حسرتنا وندامتنا على ما فرَّطنا فيها ، فضيَّعنا من عمل الجنة[١].

وقال – تعالى – : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : من الآية ٦١].

قال الطبريّ : قد بيَّنَّا أنَّ معنى التَّفريط : التَّضييع فيما مضى قبل ، وكذلك تأوّله المتأوِّلون في هذا الموضع. قال ابن عبَّاس : «لا يُفرّطون». لا يضيِّعون ، وكذلك قال السّديّ : «لا يفرّطون». لا يضيِّعون[٢].

وفي سورة يوسف : ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ ﴾ [يوسف : من الآية ٨٠].

قال القاسميّ : (فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ). قصَّرتم في شأنه[٣]

ورود لفظة التفريط في السنة :

ومثل ما ورد هذا المصطلح في اللغة والقرآن بمعنى التقصير والتضيع فقد ورد في السنة بنفس المعنى ومن هذه الأحاديث مايلي :

قول الرسول – ﷺ – : "أما إنه ليس في النوم تفريط"[٤].

---

(١) انظر جامع البيان٧/١٧٨

(٢) انظر : المرجع السابق ٧/٢١٧

(٣) انظر تفسير القاسمي٩/٣٥٧٩

(٤) رواه مسلم في كتاب لمساجد- باب قضاء الصلاة رقم ٦٨١ .

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار"[1].

وفي الحديث أيضًا: "من بدا جفاء بدا: بالدال المهلة، خرج إلى البادية، والجفاء غلظ الطبع، وفي صفته - صلى الله عليه وسلم - ليس بالجافي المهين أي: ليس بالغليظ الخلقة ولا الطبع"[2].

إن الغلو والجفاء طرفان مذمومان مخالفان للوسطية والعدل، وأن الميزان العدل وسط بينهما في كل الأمور.

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبينًا منهج السلف القائم على العدل والوسط: "والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرًا - وهما الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسُّنة - فإن الشيطان يَشُمُّ قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضًا عن كمال الانقياد للسُّنة أخرجه عن الاعتصام به؛ وإن رأى فيه حرصًا على السُّنة، وشدة طلب لها لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها؛ فأمره بالاجتهاد والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها، قائلاً له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل؛ فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها؛ فيخرج عن حدها، كما أن الأول خارج عن هذا الحد، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر.

وهذا حال الخوارج الذين يَحْقِر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة –باب ما جاء في الحياء رقم: ٢٠٠٩.
(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٧١/٢، ٤٤٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم١٦٧٣.

السُّنة إلى البدعة ؛ لكن هذا إلى بدعة التفريط ، والإضاعة ، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف.

ولهذا قال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان. إما إلى تفريط ، وإما إلى مجاوزة ، وهي الإفراط. ولا يبالي بأيهما ظفر زيادة أو نقصان"[١]

ويقول - رحمه الله تعالى - في موطن آخر : "وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان فإما إلى غلو ومجاوزة وإما إلى تفريط وتقصير، وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله - ﷺ- وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به ، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم ، وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم ، ولهذا حذَّر السلف منهما أشد التحذير وخوَّفوا من ابتلي بأحدهما بالهلاك. وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال أكثر الخلق ؛ يكون مقصرًا مفرطًا في بعض دينه ، غاليًا متجاوزًا في بعضه ، والمهدي من هداه الله"[٢]

تعريف الولاء والبراء في اللغة والشرع :

تعريف الولاء لغة وشرعاً :

الولاء لغة : قال ابن فارس : "الواو واللام والياء : أصل صحيح يدل على قرب... من ذلك الولي : القريب... ولأصل الذي ترجع إليه بقية المعاني المشتقة في هذا الأصل أن الولي في اللغة : القريب"[٣] وقال الراغب : "الولاء

(١) مدارج السالكين٢/٣٤٢

(١) الروح لابن القيم ٥٤٥

(٣) مقاييس اللغة لابن فاررس٦/١٤١.

والتوالي : أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث النسبة ، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد. والوَلاية : النصرة ، والوِلاية : تولي الأمر"(١) وقال ابن منظور : "والموالاة : ضدّ المعاداة ، والولي : ضدّ العدو ، وتولاه : اتخذه ولياً ، وإنه لبيِّن الوِلاة والولية والتولي والولاء والوِلاية"(٢)

البراء لغة : يطلق على عدة معان أيضاً منها : البعد ، والتنزه ، والتخلص ، والعداوة.قال ابن منظور : "قال ابن الأعرابي : برئ إذا تخلّص ، وبرئ إذا تنزّه وتباعد ، وبرئ إذا أعذر وأنذر ، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة : ١] أي : إعذار وإنذار..."(٣) قال الزبيدي : "وقال البيضاوي : أصل تركيب البرْء لخلوص الشيء من غيره ، إما على سبيل التقصي ، كبَرَأَ المريض من مرضه ، والمديون من دينه ، أو الإنشاء ، كبَرَأَ الله آدم من الطين"(٤)

الولاء والبراء شرعاً : الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً ، والبراء : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

---

(١) مفردات ألفاظ غريب الفرآن ص٨٨٥- ٨٨٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور١ /٤٠٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور١ /٣٤٥.

(٤) تاج العروس١ /١٤٥

قال شيخ الإسلام - في أصل معنى الولاية والعداوة - : "والولاية ضدّ العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. وقد قيل: إنّ الولي سمّي ولياً من موالاته للطاعات، أي: متابعته لها، والأول أصح، والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا أي: يقرب منه"[١].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "أصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال. والوليّ ضدّ العدو"[٢] قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قوله - ﷺ - : ((ووالى في الله)): "هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة، فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرّد الحب، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً".

وقال في شرح قوله - ﷺ - : ((وعادى في الله)): "هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه، أي: إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم، والبعد عنهم باطناً وظاهراً، إشارة إلى أنه لا يكفي مجرّد بغض القلب، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه"[٣].

(١) الفرقان ص٥٣

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية٢/٣٢٥

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢٨٠ .

إن لإسلام دين وسط وعدل وسماحة.و الولاء والبراء من الإسلام ، ولهذا ليس هناك بين معتقد (الولاء والبراء) و مبادئ الوسطيّة والسماحة والرحمة تناقض ، ومع ذلك فقد انقسم الناس في (الولاء والبراء) في تعاملهم مع غير المسلمين إلى ثلاثة أقسام فمنهم من كان من أهل (الغلو ولإفراط)ومنهم من كان من أهل التفريط وبين هذا وذاك أهل الوسط والاعتدال وهذا ما سنوضحه في المباحث التالية.

المبحث الثاني

مذاهب (أهل الغلو والإفراط)و(والتفريط والجفاء)

في التعامل غير المسلمين من خلال عقيدة الولاء والبراء

ممالا شك فيه أن نصوص الكتاب والسنة - الواردة في عقيدة الولاء والبراء عقيدة وسط واعتدال - ليس فيها غلو وإفراط ولا تفريط وجفاء، ومع ذلك مال قوم - خلال تعاملهم مع غير المسلمين - إلى أحد الجانبين المذمومين، إما إلى غلو وإفراط وإما إلى تفريط وجفاء، وقد كان سبب غلوهم وإفراطهم في التعامل، عدم التفرقة بين أصناف غير المسلمين، فهم من حيث موقفهم من الإسلام وأهله أصناف، بل إن كل فريق منهم احتج بنصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك اعتقاداً منه أنها حجة له .

الأصناف على النحو التالي :

قال ابن القيّم : "الكفار : إمّا أهل حربٍ ، وإمّا أهل عهدٍ. وأهل العهد ثلاثة أصناف : أهل ذمّة ، وأهل هُدنة ، وأهل أمانٍ.... ولكن صار في اصطلاح كثيرٍ من الفقهاء (أهل الذمّة) عبارة عمّن يؤدي الجزيّة"[1] .

أهل الحرب : كل من لا ذمة له ولا عهد فهو محارب قال الشوكانِيُّ : "الحربي الذي لا ذمة له ولا عهد"[2]

(١) أحكام أهل الذمة٢ / ٢٧٥ .

(٢) السبل الجرار٤ / ٤٤١.

أما أهل العهد: سيكون ترتيبهم حسب نص ابن القيم السابق على النحو التالي:

١- أهل الذمة: هم الكفّار المقيمون تحت ذمّة المسلمين بدفع الجزيّة[1] وحقهم على المسلمين كما قال الماورديّ: "ويلتزم - أي الإمام - لهم ببذل حقّين: أحدهما: الكفُّ عنهم. والثانِي: الحماية لهم، ليكونوا بالكفِّ آمنين، وبالحماية محروسين"[2]. وقال النوويّ: "ويلزمنا الكفُّ عنهم، وضمان ما نُتلفه عليهم، نفسًا ومالاً، ودفعُ أهلِ الحرب عنهم"[3].

٢ - أهل العهد أوالهدنة: المعاهَد: هو الكافر الذي بينه وبين المسلمين عهد مهادنة[4].

٣- أهل الأمان: المستأمن: والفرق بين أمان الذمِّي وبين المستأمن هو أنّ أمان الذمِّي مؤبد، وأمان المعاهد والمستأمن مؤقت بمدة إقامته التي يصير بتجاوزها من أهل الذمّة، وتضرب عليه الجزية[5].

وقد أخذ طرفي التطرف في (الولاء والبراء) مايناسب مذهبه، جاهلين أو متجاهلين وسطية الإسلام وسماحته في هذا المعتقد.

إن عقيدة أهل (الغلو والإفراط)و(أهل التفريط والجفاء)في الولاء والبراء كانت على النحو التالي:

---

(١) انظر: الدر النقي٢٨٩.

(٢) الأحكام السلطانية ص١٤٣.

(٣) مغني المحتاج٤/٢٥٣.

(٤) جامع الأصول لابن الأثير٧/٤٦٦.

(٥) انظر: بدائع الصنائع٧/١٠٦.

أولا : أهل الغلو والإفراط :- وقد كان غلوهم وإفراطهم في معاملة غير المسلمين يتمثل في (عدم العدل) الذي سيتضح من خلال النقاط التالية :

١- إساءة التعامل باستعمال العنف المسلح ضد غير المسلمين الذين سمح لهم بالدخول في بلاد المسلمين بإجازات دخول وإقامة عمل من قبل حكومات البلاد الإسلامية ، ولا يترتب على إقامتهم وعملهم أي ضرر بالمسلمين ، وهم (الأشخاص الذين دخلوا إلى البلاد الإسلامية بمقتضى إقامة عمل من قبل سلطات تمثل البلاد الإسلامية ذات العلاقة.وبهذا الاعتبار ينطبق عليهم ما ذكره الفقهاء جميعاً ، وأجمعت عليه المذاهب الإسلامية من كونهم أهل العهد وأهل الأمان ، وأهل الذمة وليسوا أهل حرب ، ولهذا أوجب الشارع حمايتهم ، وحفظ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وعصمهم من كل اعتداء عليهم ، وهذا واجب على الدولة وعلى سائر المسلمين ، ومع ذلك نجد أهل الغلو والتفريط يضربون بهذه العهود والمواثيق عرض الحائط محتجين على ذلك بعقيدة الولاء والبراء.

٢- يترتب على ما استعملوه من عنف ، نقض ما يبرمه ولي الأمر من عهود ومواثيق مع غير المسلمين ، وذلك باستحلال قتل أهل العهد والأمان والذمة الذي قال فيهم - ﷺ- " من قتل معاهداً لم يرى رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً"[1] وقوله - ﷺ- : "إنكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإنّ لهم ذِمّةً ورحمًا "[2]

---

(١) رواه البخاري الجزية (٢٩٩٥)، النسائي القسامة (٤٧٥٠)

(٢) رواه مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤٣).

٣-	الغدر باستعمال العنف المسلح ضد الأجانب في بلادهم، من قبيل قتل الأشخاص وأعمال التفجير والنسف ضد المحلات التجارية والمرافق العامة وخطف الطائرات والسفن وما إلى ذلك، باسم الجهاد، متجاهلين في ذلك ما قرره القرآن الكريم من كرامة الإنسانية، قال – تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠).

مع ضرورة أن لا يحملنا بغضنا لقوم على عدم العدل معهم، فالعدل هو الأقرب للحق والتقوى، قال- تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

هذه أبرز مظاهر الغلو والإفراط عند من يعتقد أن الولاء والبراء يتطلبها، والتي اتضح من خلالها عدم اتباع وسطية الإسلام في هذا المعتقد، فمن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن كون هؤلاء الغير مسلمين ينتمون إلى حكومات تتبع سياسات مخالفة لمصلحة المسلمين، لا يجعلهم مسئولين عن سياسة حكوماتهم بنحو يبرر قتلهم أو جرحهم أو أسرهم أو مصادرة أموالهم، ولا شك أن نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة دلت على وجوب حماية وحفظ من دخل وأقام في بلاد المسلمين من الكفار.

وفي المقابل لأهل(الغلو والإفراط) أهل(التفريط والجفاء)والتي سنوضحها في الصفحات التالية:

ثانياً: أهل التفريط والجفاء في موالاة غير المسلمين: ويتضح تفريطهم وجفاءهم لهذا المعتقد من خلال النقاط التالية:

١- محبة الكفار وموالاتهم:

فكل من كان في قلبه ولاية لأعداء الله كانت هذه الولاية دليلا على أنه ليس في قلبه شيء من الإيمان الواجب، لأنه متى وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله[١] قال – تعالى -: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢). يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - "لا شكّ أن الذي يوادّ الكفار أكثرَ من المسلمين قد فعل محرّماً عظيماً، فإنّه يجب أن يحبّ المسلمين وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، أمّا أن يودّ أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم وحرام عليه، بل لا يجوز أن يودَّهم ولو أقلّ من المسلمين"[٢].

٢- التشبّه بهم في الملبس: إن من مظاهر موالاة الكفار التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما؛ لأنّ التشبّه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدلّ على محبة المتشبّه للمتشبّه به، ولهذا قال النبي - ﷺ -: "من تشبه بقوم

(١) أنظر: كتاب الإيمان لابن تيمية ص١٣

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٣/١٤ جمعها فهد السليمان

فهو منهم"[1]، قال شيخ الإسلام: "والموالاة والموادة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعوَن على مقاطعة الكافرين ومباينتهم...، فذلك لا ينفي أن يكون في نفس الفعل الذي خولِفوا فيه مصلحة مقصودَة، مع قطع النظر عن مخالفتهم، فإن هنا شيئين:

أحدهما: أنّ نفس المخالفة لهم في الهدي الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين، لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنوّر قلبه، حتى رأى ما اتّصف به المغضوب عليهم والضالون من المرض الذي ضرره أشدّ من ضرر أمراض الأبدان.

والثاني: أنّ نفس ما هم عليه من الهدي والخلق قد يكون مضراً أو منقصاً، فينهى عنه ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال، وليس شيء من أمورهم إلا وهو إما مضرّ أو ناقص؛ لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعَة والمنسوخة ونحوها مضرّة، وما بأيديهم مما لم ينسَخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم فيه بأن يشرع ما يحصِّله على وجه الكمال، ولا يتصوَّر أن يكون شيء من أمورهم كاملاً قطّ، فإذاً المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كلّ أمورهم، حتى ما هم عليه من إتقان بعض أمور دنياهم قد يكون مضراً بأمر الآخرة أو بما هو أهمّ منه من أمر الدنيا، فالمخالفة فيه صلاحٌ لنا"[2]

---

(١) أخرجه الامام أحمد٢/ ٥٠، ٩٢- أبوداوود في اللباس- باب في: لبس الشهرة رقم٤٠٣١ .وحسن إسناده ابن حجر في الفتح١٠/ ٢٧١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٨٣- ١٩٨.

٣- الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم:- فمن رضي بذلك كان ممن عمل بأحد نواقص الإسلام العشرة لأن: "صفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفّر أهلها، وتعاديهم .. اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض...، وذكر منها: الثالث: من لم يكفّر المشركين أو يشكّ في كفرهم أو صحّح مذهبهم كفر "[١] قال – تعالى – : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقال – تعالى- : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وعن أبي مالك سعد بن طارق عن أبيه قال: سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبَد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله"[٢].

٤- الركون إليهم: أي الاستناد والاعتماد عليهم، يتبع ذلك مودتهم وطاعتهم وفي هذا دليل على الرضا بأعمالهم[٣] قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى

---

(١) انظر: مجموعة التوحيد للشيخ/محمد بن عبد الوهاب ص٣٢.

(٢) رواه مسلم رقم: ٢٣ .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٨/٩.

﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (هود: ١١٣).

٥- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله: لأن "من جنس موالاة الكفار التي ذمّ الله بها أهلَ الكتاب والمنافقين الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله، كما قال – تعالى – : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] ... فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها، مثل إتيانه أهل الباطل، وإتباعهم في شيء من مقالهم وفعالهم الباطل، كان له من الذمّ والعقاب والنفاق بحسَب ذلك، وذلك مثل متابعتِهم في آرائهم وأعمالهم، كنحو أقوال الصابئة وأفعالهم من الفلاسفة ونحوهم المخالفة للكتاب والسنة، ونحو أقوال المجوس والمشركين وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة"[(١)].

٦- اتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء :وذلك بقطع الموالاة بينه وبين المسلمين والدخول في طاعة الكفار والمشركين وموافقتهم على دينهم الباطل، وموالاتهم وإعانتهم عليه بالنصرة والمال،فلاشك أنه من جنود القباب والشرك وأهلها، ولبس من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله، بل ا لا يشكّ مسلم قي كفره وأنه من أشدّ الناس عداوة لله تعالى ورسوله – ﷺ – قال – تعالى – : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

---

(١) مجموع الفتاوى٨/١٩٩- ٢٠١.

﴿ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ولا يستثنى من ذلك إلا المكرَه، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: اكفر أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان[1] قال – تعالى –: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦]. وروى ومسلم "أن النبي – ﷺ – خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردتُ أن أتبعك وأصيب معك، قال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا، قال: ارجع فلن أستعين بمشرك"[2].

ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله –: "إن الله – سبحانه – قد حكم – ولا أحسن من حكمه – أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم: {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم، وهذا عام خُصّ منه من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنّه لا يقَرّ ولا تقبَل منه الجزية، بل إمّا الإسلام أو السّيف، فإنه مرتدّ بالنص والإجماع"[3].

هذه بعض من النصوص التي اتضح من خلالها التفريط والجفاء لعقيدة الولاء والبراء في التعامل مع غير المسلمين من خلال هذه العقيدة وقد حاولت

---

(١) انظر: مجموعة التوحيد للشيخ – سليمان آل الشيخ ص٢٤٥.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير، رقم: ١٨١٧.

(٣) أحكام أهل الذمة ١/ ٦٧.

ترتيبها من لأدنى إلى الأعلى ، والذي اتضح من خلالها أن من أحب الكفار تشبه بهم ومن تشبه يهم فقد رضي بكفرهم ومن رضي بكفرهم ، ركن لهم ، ومن ركن لهم ، آمن ببعض كفرهم ومن آمن ببعض كفرهم اعتمد عليهم واتخذهم أعوانا وأنصارا ، بل انه من هذه النصوص يتبيّن لنا تحريم تولِيَة الكفار أعمالَ المسلمين التي يتمكّنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ، ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم.

المبحث الثالث

منهج السلف في التعامل مع غير المسلمين

من خلال عقيدة الولاء والبراء

الأخلاق والآداب التي يُعامل بها المسلمون غيرَ المسلمين من دين الإسلام، التي حث عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، ولكن أهل (الغلو والإفراط)و(التفريط والجفاء) ظنّوا أن بين تلك (الأخلاق والآداب) و(الولاء والبراء) تعارضًا ، وأنه لا يُمكن أن يجمع المسلم بينهما ، فمال بعضهم إلى (الغلو والتفريط) في تطبيق تلك (الأخلاق والآداب) ومال بعضهم الآخر إلى (الإفراط والجفاء). ودين الله وسط ، بين الغالي والجافي.

وتتحقق الوسطية لهذه العقيدة في عقيدة السلف لعلمهم أن العَدْل فرضٌ واجب لكل أحد، حتى من عادانا وقاتلنا من الكفار. قال – تعالى – : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] ، وقال – تعالى – : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ولهذا كانت معاملة السلف لغير المسلمين من خلال عقيدة الولاء والبراء على النحو التالي:

١- لا يُجبر أحدٌ من الكفار الأصليِّين على الدخول في الإسلام.

قال – تعالى – : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ

﴿ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]وقال – تعالى – : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩].

قال ابن جرير الطبري : "القول في تأويل قوله – تعالى – : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم ، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام[1] وقال ابن كثير – في تفسير قوله : (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)– : قال ابن عباس : نزلت هذه الآية– في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يُقال له الحصين. وكان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجل مسلم ، فقال للنبي – ﷺ– : ألا استكرههما ، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ، فأنزل الله فيه ذلك"[2].

٢– الولاء والبراء عند السلف لا يمنع إطلاقا المعاملة الحسنة مع غير المسلمين لعلمهم ، أن القسط والبر والعدل سمات إسلامية يأمر بها المولى عز وجل في التعامل مع الآخرين ، بل إن المسلم مأمور بذلك لما فيه من المصلحة الكبرى في التعريف بالإسلام ومحاسنه ، بدلالة نصوص القرآن والسنة التي

(١) جامع البيان ١٣/٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم١/٣١١.

تأمر المسلم بحسن المعاملة مع غير المسلم، قال – تعالى - : ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الممتحنة: ٨ – ٩]. قال الطبري : "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم والله عز وجل عَمَّ بقوله (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض"[١]. وقد وضح القرطبي - في تفسيره للآية - أن المعاملة الحسنة لغير المسلمين طريقة خير البشرية محمد - ﷺ- فقال: أي لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم. وهم خزاعة، صالحوا النبي - ﷺ- على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً، فأمر ببرهم والوفاء لهم إلى أجلهم. (وتقسطوا إليهم) أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل (إن الله يحب المقسطين) العادلين المحقين[٢].

٣- إن كفر الكافر لا يبيح دمه ، لعلمهم أن الولاء والبراء في حقيقته إنما يؤكد على أهمية العدل في معاملة غير المسلمين، و يعبر عن حقيقة الإسلام وتسامحه مع الآخرين. قال- تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

(١) جامع البيان ١٧٨/٣.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٨/ ٥٢.

فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ (النساء: ١٣٥)، قال ابن جرير الطبري: "يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل بين أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي واعملوا فيه بأمري"[(١)] وقال - ﷺ- : " أيُّما رجلٍ أمِنَ رجلًا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتولُ كافرًا"[(٢)] وقال - ﷺ- : في حرمة دماء أهل الذمّة والمعاهدين، إذا وَفَّوْا بذمتهم وعهدهم. " من قَتَل معاهَدًا لم يرَحْ رائحةَ الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا"[(٣)] قال - ﷺ- في أهل الذمّة، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وحفظ كرامتهم: "إنكم ستفحتون أرضًا يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإنّ لهم ذِمّةً ورحمًا"[(٤)]. وقد أخبر - ﷺ- عما أعدّ الله - سبحانه وتعالى - للعادلين في حكمهم مع أصدقائهم وأعدائهم فيقول - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي يرويه مسلم، قال: "إن المقسطين عند الله على

---

(١) جامع البيان٦/١٤١.

(٢) والبخاري في التاريخ الكبير (٣ ٣٢٢ - ٣٢٣)، والنسائي في الكبرى (رقم ٨٧٣٩-٨٧٤٠)، وابن ماجة (رقم ٢٦٨٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٥٩٨٢)، والحاكم وصححه (٤ ٣٥٣)، من حديث عَمرو بن الحمق - رضي الله عنه- . والحديث صحيح.

(٣) البخاري الجزية (٢٩٩٥)، النسائي القسامة (٤٧٥٠)، ابن ماجه الديات (٢٦٨٦)، أحمد (١٨٦/٢).

(٤) مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤٣).

منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم إذا ولوا"[(١)] .

٤- أن اختلاف الدين عند السلف لا يُلْغي حقَّ ذوي القربى امتثالاً منهم لنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. قال – تعالى – : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (لقمان: ١٥). "وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما- ، قالت: قَدِمتْ عليَّ أُمّي، وهي مُشركة، في عهد قريش إذْ عاهدهم. فاسْتَفْتَيْتُ رسولَ الله - ﷺ- فقلتُ: يا رسول الله، قدمت عليّ أُمّي وهي راغبة، أفأَصِلُ أُمي؟ قال: صِلِي أُمَّك"[(٢)]. إن محبة الوالد لولده الكافر، أو الوَلَدِ لوالديه الكافرين، أو الرجل لزوجته الكتابيّة، أو المرْءِ لمن أحسنَ إليه وأعانه من الكفار مباح، ما دام لم يؤثر في بُغْضه لكفر الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين. والدليل على أن الحُبّ الطبيعي للكافر قد لا يؤثّر في كمال الإيمان، لكونه مباحًا، في قولُه - تعالى - عن نبيّه - ﷺ- في وصف حاله مع عمِّه أبي طالب الذي مات على الكفر، قال – تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦). فأثبت اللهُ - تعالى- على نبيّه - ﷺ- محبَّةَ عمّه الكافر، ولم يَعْتَبْ عليه هذه المحبّة، ولا لامَهُ عليها؛ فدلّ ذلك على عدم

(١) رواه مسلم في الامارة رقم: ١٨٣٧.

(٢)البخاري الهبة وفضلها والتحريض عليها (٢٤٧٧)، مسلم الزكاة (١٠٠٣).

مخالفتها لكمال الإيمان، وأنَّى تخالفه وقد وقعت من أكمل الناس إيمانًا - ﷺ- .

٥- حفظ العهد الذي بيننا وبين الكفار، إذا وَفَّوْا هُمْ بعهدهم وذمّتهم. إذا كان العدل حق مع كل إنسان فإن من كان بينك وبينه عهد أو ميثاق فإن حقه يكون أوسع وأكبر، فالعهد والميثاق رابط للعلاقات بين الناس لتنظيم شؤون حياتهم، ولا يتناقض ذلك مع الولاء والبراء، إذ الوفاء بالعهد صفه واجبة على كل مسلم، وأما الغدر فهو من الصفات التي ذمها الإسلام ونهى عنها. وقد حثّ القرآن الكريم على الالتزام بالعهود، قال – تعالى :﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

وقال -تعالى- : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] ".

وعن أبي رافع - رضي الله عنه - (وكان قبطيًّا)، قال: بعثتني قريشٌ إلى رسول الله - ﷺ- فلما رأيت رسول الله - ﷺ- أُلقيَ في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله - ﷺ- " إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد. ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع". قال: فذهبتُ، ثم أتيتُ النبيَّ - ﷺ- فأسلمتُ"[1]
ولهذا أقام - ﷺ- علاقاته مع غير المسلمين على عدم الغدر أو الغيلة أو

(١)أخرجه أبو داود (رقم ٢٧٥٢)، والنسائي في الكبرى (رقم ٨٦٢١)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٤٨٧٧). وإسناده صحيح.

الخيانة، بل إنه كان يوصي الجيش بذلك فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: "كان رسول الله - ﷺ- إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: "اغزووا باسم الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً"[(١)] قال النووي: "في هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول"[(٢)]. وحذر - عليه الصلاة والسلام - الغادرين مما أعده الله لهم يوم القيامة من الخزي والعار أمام الخلائق؛ فقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي يرويه أنس - رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ- قال: "لكل غادر لواء يوم القيامة، وينصب- وفي رواية (يرى)- يوم القيامة يعرف به"[(٣)]. وجعل المصطفى - ﷺ- الغدر من صفات المنافقين الذين يبغضهم الله، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر أن النبي - ﷺ- قال: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدّث كذب. وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[(٤)].

بل جعل الله - سبحانه وتعالى - من نفسه خصماً لمن يغدر ويخون تشديداً وتغليظاً لهذا الذنب، وقد أخبر عن ذلك النبي - عليه الصلاة

---

(١) رواه مسلم في الجهاد١٧٣١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم٢/ ٢٧ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد رقم: ١٧٣٧ .

(٤) رواه البخاري في الإيمان رقم: ٣٤ ومسلم في الإيمان رقم: ٥٨.

والسلام - في الحديث الذي يرويه البخاري - في صحيحه - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره"[١].

أما إذا نقض المعاهد والذميُّ العهد، صار عند السلف حربيًا، وجرت عليه أحكام أهل الحرب، وللإمام سبي من أراد منهم، وله المَنُّ على من أراد[٢]. قال – تعالى -: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢].

قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة ابن أبي جهل وسائر رؤساء قريش، الذين نقضوا العهد؛ حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله، فأُمِرَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسير إليهم، فينصر خزاعة[٣].

وقد حارب النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بني قريظة، وأنزلهم على حكم سعد بن معاذ - ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما رجع النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - من الخندق، ووضع السلاح واغتسل؛ أتاه جبريل - عليه السلام- ، فقال: قد وضعت السلاح؟! والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال: فإلى أين؟قال: ها هنا. وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -

(١) رواه البخاري في الإجارة رقم: ٢١١٩.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم١٢/ ٩١.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي٣/ ٤٠٤ .

إليهم[1] . وعن ابن عمر أنّ يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله - ﷺ - ، فأجلى رسول الله - ﷺ - بني النضير، وأقرَّ قريظة، ومَنَّ عليهم؛ حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلاَّ أنَّ بعضهم لحقوا برسول الله - ﷺ - فآمنهم، وأسلموا، وأجلى رسول الله - ﷺ - يهود المدينة كلهم؛ بني قينقاع - وهم قوم عبد الله بن سلام - ويهود بني حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة[2] ، قال النووي وفيه: أنّه إذا مَنَّ عليه ثم ظهرت منه محاربة انتقض عهده، وإنّما ينفع المَنُّ فيما مضى، لا فيما يستقبل، وكانت قريظة في أمان، ثم حاربوا النبيَّ - ﷺ - ، ونقضوا العهد، وظاهروا قريشًا على قتال النبيِّ - ﷺ - "[3].

وهكذا، اتضح لنا مما سبق أن السلف في (الولاء والبراء) أهل الموقف الوسط العدل المتوازن: وهم أهل السنة والإتباع الذين اقتفوا أثر الرسول الكريم محمد - ﷺ - والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، الذين تبرؤا من الكفر وأهله، وأعلنوا بكل فخر واعتزاز عقيدة الإسلام، ودعوا الناس إليها وجاهدوا في سبيلها. فمن أسلم من الكفار فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وهو أخ من إخوانهم المسلمين له حقوق وعليه واجبات. ومن لم يدخل في الإسلام وصالح المسلمين أو عاهدهم أو دفع الجزية مقابل أن يعيش آمنًا داخل الدولة الإسلامية فإن الواجب نحوه العدل والقسط وإن كان قريباً فله البر

---

(١) رواه البخاري في المغازيرقم: ٤١١٧، مسلم في الجهادرقم: ١٧٦٩ .

(٢) رواه البخاري في المغازي رقم٢٠٤٨، مسلم في الجهاد رقم: ١٧٦٦ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم١٢/٩١ .

والإحسان. ولا يجوز ظلمه لكونه كافرًا، وجاز التعامل معه ببيع أو شراء أو إجارة أو غيرها من المعاملات في ضوء الشريعة الإسلامية، بشرط أن لا يكون في ذلك تقوية لاقتصاد الكفار المحاربين.

خاتمة البحث

١. مما لا شك فيه أن نصوص الكتاب والسنة الواردة في عقيدة الولاء والبراء، عقيدة وسط واعتدال، ليس فيها غلو وإفراط ولا تفريط وجفاء، ومع ذلك شذَّ قوم من خلال تعاملهم مع غير المسلمين إلى أحد الجانبين المذمومين، إما إلى غلو وإفراط، وإما إلى تفريط وجفاء.

٢. كان سبب غلوهم وتفريطهم في التعامل مع غير المسلمين، عدم التفرقة بين أصنافهم، فهم - أي غير المسلمين- من حيث موقفهم من الإسلام وأهله أصناف (أهل حرب)أو (عهد)أو(ذمَّة)؛ ولهذا أخذ كل من طرفي التطرف في (الولاء والبراء) ما يناسب مذهبه، جاهلين أو متجاهلين وسطية الإسلام وسماحته في هذا المعتقد.

٣. حثَّ السلف على حفظ العهد الذي بيننا وبين الكفار، إذا وَفَّوْا هُمْ بعهدهم وذمّتهم. إذا كان العدل حق مع كل إنسان فإن من كان بينك وبينه عهد أو ميثاق فإن حقه يكون أوسع وأكبر، فالعهد والميثاق رابط للعلاقات بين الناس لتنظيم شؤون حياتهم، ولا يتناقض ذلك مع الولاء والبراء، إذ الوفاء بالعهد صفه واجبة على كل مسلم، وأما الغدر فهو من الصفات التي ذمها الإسلام ونهى عنها.

٤. إن الحُبّ الطبيعي للكافر قد لا يؤثّر في كمال الإيمان، لكونه مباحًا، في قولُه –تعالى- عن نبيّه - ﷺ- في وصف حاله مع عمّه أبي طالب الذي مات على الكفر: قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى

﴿ مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (القصص : ٥٦). فأثبت اللهُ – تعالى – على نبيّه – ﷺ – محبَّةَ عمّه الكافر، ولم يَعْتَبْ عليه هذه المحبّة، ولا لامَهُ عليها؛ فدلّ ذلك على عدم مخالفتها لكمال الإيمان، وأنَّى تخالفه وقد وقعت من أكمل الناس إيماناً.

٥. إذا نقض المعاهد والذميَّ العهد، صار عند السلف حربيًا، وجرت عليه أحكام أهل الحرب، وللإمام سبي من أراد منهم، وله المَنُّ على من أراد قال – تعالى – : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢].

ملخص البحث

١- إن سلف الأمة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، يرون أن موالاة الكفار تنقسم إلى ولاء مكفر مخرج من الملة؛ وهو تولي الكفار ومحبتهم لدينهم، أو مظاهرتهم ونصرتهم على المسلمين، وولاء غير مخرج من الملة وهو المعاملة الحسنة معهم وعدم إهدار حقوقهم؛ فهم لم يعدوا جميع صور موالاة الكفار كفرًا أكبرًا كالطرف الأول (أهل الغلو والتفريط)، ولم يعدوها جميعها من الأمور غير المكفرة كالطرف الثاني أهل (التفريط والجفاء)؛ فهم وسط بين الطرفين كما أنهم يفرقون بين المداراة والتقية المشروعة وبين المداهنة والتقية المحرمة؛ فلا يلغون المدارة والتقية مطلقًا، ولا يفتحونها على مصراعيها؛ لعلمهم أن الإسلام لا ينهى عن بر كل من لا يعتدي على المسلمين بدلالة نصوص القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة في كثير، فالبر ثابت للمسلم وغير المسلم.

٢- إنه في أثناء الحرب تنقطع العلاقات بين المسلمين والمحاربين بالفعل، أما رعايا الأعداء الذين لا يشتركون في القتال فإن (صلتهم) لا تنقطع وإن قامت أسبابها، ولذلك لا يمنع قيام الحرب وجود مستأمنين يقيمون في الديار الإسلامية ولا يمسون في أموالهم ولا أنفسهم، والمستأمنون هم الذين يقيمون في الديار الإسلامية مدة محدودة بعقد من ولي الأمر للعمل في تجار وتبادل البضائع وغيرها.

فهرس المراجع والمصادر

١- أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية- تحقيق / طه عبد الرؤوف- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٢- الأحكام السلطانية- للماوردي- نسخة الكترونية- مكتبة مشكاة الالكترونية.

٣- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل- د/محمد الجليند- مكتبة عكاظ- جدة- الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٤م.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق الدكتور/ناصر العقل –مكتبة الرشد- الرياض- الطبعة الرابعة١٤١٤هـ١٩٩٤م.

٥- الإيمان شيخ الإسلام بن تيمية –تحقيق الشيخ/ناصر الألباني- المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثانية١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- علاء الدين الكاساني- نسخة الكترونية- من موقع الكتبة الشاملة

٧- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي- نسخة الكترونية- مكتبة مشكاة.

٨- تفسير القرآن العظيم- لابن كثير- دار الكتب العلمية- بيروت.بدون.

٩- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد- سليمان بن عبدالله آل الشيخ- نسخة الكترونية من موقع مشكاة الإسلام.

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- لابن جرير الطبري- تحقيق- محمود شاكر- دار المعارف- مصر- بدون.

١١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- نسخة الكترونية- على موقع المكتبة الإسلامية.

١٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول - لابن الأثير- تحقيق- عبد القادر الأرناءوط- دار الفكر- بيروت - الطبعة الثانية- ١٤٠٣هـ١٩٣م.

١٣- لدرر السنية في الأجوبة النجدية للشيخ محمد بن عبد الوهاب- جمع عبد الرحمن بن قاسم- شبكة مشكاة الإسلامية

١٤- الروح لابن القيم ١٣٩٥هـ١٩٧٥م- دار الكتب العلمية- بيروت.

١٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية- نسخة الكترونية- مشكاة الالكترونية.
١٦- زاد المسير لابن الجوزي الطبعة الثالثة١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي- بيروت.
١٧- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار- للشوكاني- نسخة الكترونية- مشكاة الالكترونية.
١٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المعارف- الرياض- الطبعة الثانية- ١٤٠٧هـ.
١٩- سنن أبوداود- مراجعة وضبط وتعليق- محي الدين عبد الحميد- مكتبة الرياض الحديثة- بدون.
٢٠- سنن الترمذي- تحقيق أحمد شاكر وكمال الحوت- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون.
٢١- سنن النسائي- بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت.
٢٢- شرح النووي على صحيح مسلم- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٢٣- صحيح البخاري مع الفتح- المطبعة السلفية١٣٩٨هـ.
٢٤- صحيح ابن حبان (الإحسان لابن بلبان): تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط(١): ١٤٠٨هـ - ١٤١٢هـ. مؤسسة الرسالة: بيروت.
٢٥- صحيح مسلم- تريب فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث- بيروت- بدون
٢٦- الفرقان بين الحق والباطل- شيخ الإسلام ابن تيمية- تقديم وتعليق حسين الغزال الطبعة الثالثة١٤٠٧هـ١٩٨٧م- دار إحياء التراث –بيروت.
٢٧- لسان العرب لابن منطور- دار صادر- بيروت.
٢٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لابن قيم الجوزية- الطبعة الثانية١٤٠٢هـ١٩٨٢م مؤسسة الخافقين- دمشق.
٢٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم مكتبة ابن تيمية- بدون.
٣٠- مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين جمعها فهد السليمان- الطبعة الثانية١٤١٤هـ١٩٩٤م- الثريا- الرياض.

٣١- مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين- شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق- أحمد فخري- وعصام الحرستاني- دار الجيل- بيروت- بدون.

٣٢- معالم التنزيل للبغوي الطبعة الرابعة١٤١٧هـ١٩٩٧م دار طيبة- المدينة المنورة.

٣٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج- دار الفكر- بيروت- بدون.

٣٤- مسند الإمام أحمدبن حنبل- المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الخامسة١٤٠٥هـ- بدون.

٣٥- مقاييس اللغة لابن فارس- دار الكتب العلمية- إيران- بدون.

٣٦- مفردات ألفاظ غريب القرآن للراغب الأصبهاني. تحقيق/ صفوان الداودي. ط(٢) ١٤١٨هـ. دار القلم: دمشق، والدار الشامية، بيروت.



موقف المنهج السلفي من الغلوِّ والتطرف

إعداد

د. لمياء بنت سليمان الطويل

عضو هيئة التدريس – جامعة الإمام محمد بن سعود

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد،،،

فلقد منّ الله على أمة نبيِّه محمد - ﷺ - بإكمال الدين وإتمام النعمة قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإسلام الذي رضيه الله لعباده وأمرهم بإتباعه هو دين لا غلو فيه ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

ولقد أمر الله - عز وجل - عند التنازع بأن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، قال – تعالى - : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وتوعد الله - عز وجل - من اتبع غير سبيل المؤمنين بنار جهنم وساءت مصيراً، فاتباع سبيل المؤمنين في فهم شرع الله واجب، ولقد أثنى الله على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد أمر النبي - ﷺ - بإتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين وحذر من مخالفتهم فقال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[1].

ويقول الإمام أحمد – رحمه الله – " أصول أهل السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي - ﷺ - والإقتداء بهم وترك البدع"[2].

وإن مما ابتليت به هذه الأمة أمة الإسلام، بل أشد ما ابتليت به اليوم قضية العنف والغلو والتطرف التي عصفت زوابعها بأذهان البسطاء من الأمة وجهالها، وافتتن بها أهل الأهواء الذين زاغت قلوبهم عن إتباع الحق، فكانت النتيجة أن وقع الاختلاف بين أهل الأهواء وافترقوا إلى فرق متنازعة ومتناحرة همها أرغام خصومها على اعتناق آرائها بأي وسيلة كانت، فراح بعضهم يصدر أحكاماً، ويفعل الإجرام بالتكفير ويعيثون في الأرض فساداً، وظهر منهم العنف والتطرف، فكانت فتنة تستوجب التأمل، فالإسلام قد أغلق أبواب الفتنة دون جميع المسلمين، وحذرهم أبلغ التحذير وأمرهم بالتعوذ من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فالإسلام ليأبى كل عمل يقوم به المتطرفون مما يخالف أصول منهج السلف الصالح وأغلق جميع الأبواب

---

١ أخرجه الإمام أحمد، ٥ /١٠٩، رقم الحديث ١٦٨١٧.

٢ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، ١ /١٥٦.

والسبل المؤدية إلى التطرف والغلو، كما حذر الأئمة من الغلو في الدين والتنطع في الأحكام، وبينوا أن الغلو آفة التدين.

فتحريف الغالين كان سبباً في هلاك الأمم السابقة ممن غلوا في عقيدتهم وعبادتهم على حد سواء، فحرموا على أنفسهم ما أحل الله، وحرموا طيبات أحلت لهم، فخرجوا بغلوهم عن الوسطية والاعتدال، التي هي سماحة الإسلام، قال تعالى في وصف أهل الكتاب ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٧٧، وقال - ﷺ- : "إياكم والغلو الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[١]، وقال: "هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً"[٢].

وللإمام ابن القيم – رحمه الله – إشارة مهمة إلى كيفية الأخذ والفهم عن الرسول - ﷺ - حيث يقول: " ينبغي أن يُفهم عن الرسول - ﷺ - مرادُه من غير غلو ولا تقصير، فلا يُحمَّل كلامُه ما لا يَحتمل، ولا يُقصَر به عن مراده وما قَصَده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك، والعدول عنه من الضلال عن الصواب ما لا يعلمه إلا اللهُ؛ بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصلُ كل بدعة وضلالة نشأتْ في الإسلام؛ بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، فيا محنةَ الدين وأهله! حتى صار الدين بأيدي كثير من الناس هو موجب هذه الإفهام، والذي فهمه الصحابة ومَن تَبِعهم عن الله ورسوله فمهجورٌ، لا يُلتفت إليه، ولا يَرفع هؤلاء به رأسًا "[٣]

---

١ أخرجه الإمام أحمد، مسند عبدالله بن عباس، ١ /٥٧٢، رقم الحديث، ٣٢٤٦.

٢ راوه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون ١٦ /١٩٠، رقم الحديث، ٦٧٣٥.

٣ الروح، لابن القيم، ص١١٣

ونجد أن من خصائص منهج الإسلام أنه أغلق جميع السبل المؤدية إلى التطرف والغلو، وسلك طرقاً متعددة، واستعمل أساليب متنوعة للوقوف ضد العنف والتطرف، ومن هنا جاء هذا البحث ليناقش محوراً مهماً من محاور ندوة :-

(السلفية منهج شرعي ومطلب وطني)

وذلك لبيان موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف، وإيضاح حقيقة هذا المنهج الذي يمثل الإسلام الصحيح، ويأبى كل عمل يخالف أصول الدعوة الإسلامية الصحيحة السليمة، والتي جاءت لتطهير حياة المسلمين من آثار وأخطار الغلو والتطرف والتكفير والعنف.

ويكمن بيان موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف من خلال محاور منها :

المبحث الأول :- بيان حقيقة الغلو والتطرف.

المبحث الثاني :- لماذا نهى السلف عن الغلو والتطرف ؟

المبحث الثالث :- من منهج السلف الدعوة إلى الأخذ بمنهج الوسطية.

المبحث الرابع :- بناء الإسلام على اليسر والسماحة.

المبحث الأول

بيان حقيقة الغلو والتطرف

الغلو والتطرف معناهما واحد : وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع ، ويقع من الأفراد والجماعات والدول ، وممن ينتمي إلى الأديان والملل والنحل المختلفة ، فعدم التوسط والاعتدال في الأمر يعد من الغلو والتطرف سواء كان ذلك في الدين أو الجحود أو الإلحاد ، وكلمة التطرف دخيلة على معجم المصطلحات الشرعية ، فلم ترد كلمة التطرف في الكتاب والسنة ، والنصوص الشرعية تعبر عن التطرف بـ (الغلو في الدين).

والغلو في الدين كما عرفه شيخ الإسلام - رحمه الله - بأنه مجاوزة الحد ، ويزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما لا يستحق ونحو ذلك.[1]

والتطرف في اللغة يطلق على من : " تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط "[2].

وبالنظر إلى لفظي الغلو والتطرف نجد تقارباً بينهما ، فهما بمعنى واحد ، وإذا قيل : إن التطرف إتيان غاية الشيء ومنتهاه ، وبينهما عموم وخصوص ، إذا قيل : إن التطرف إتيان حد الشيء بإطلاق إذ يصبح التطرف أعم من الغلو[3].

---

١ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، ٣٢٨/١.

٢ المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ص٥٥٥

٣ انظر : الغلو في الدين ، عبدالرحمن اللويحق ، ص٦٢

والغلو نوعان[1] :-

الأول : غلو اعتقادي : كغلو النصارى في عيسى ابن مريم - عليه السلام ، وغلو الرافضة في الأئمة، وغلو الصوفية في الأولياء، وغلو الخوارج في تكفير أهل الإسلام بالكبيرة والذنب.

والثاني : غلو عمليّ : وهو المتعلق بالأمور العملية التفصيلية من الأقوال والأفعال بما لا يترتب عليه اعتقاد مثل رمي الجمار بالحصى الكبيرة، والزيادة في العبادات كالوصال في الصوم والتبتل بعدم الزواج والرهبنة في الدين.

والغلو لفظة شرعية وردت في الكتاب والسنة وهي من غلا إذ زاد وارتفع وجاوز الحد، وقد جاء ذلك في قوله – تعالى - : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٧٧ وقال – تعالى - ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾النساء: ١٧١، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غداة جمع :- هلم ألقط لي الحصى، فالتقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعنهن في يده قال :- "نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كلن قبلكم الغلو في الدين"[2].

---

١ انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية ، ١ /٢٨٩

٢ مسند الإمام أحمد ، مسند عبد الله بن عباس ، ١ /٣٥٥ رقم الحديث ٨٦٢ .

ولقد ذمت النصوص الشرعية كل اتجاه ينزع إلى الغلو في الدين إذ أنها تدل دلالة قاطعة على أن الغلو خروج عن المنهج الوسط الذي اختاره الله لهذه الأمة.

ولقد نهى الله - عز وجل - في كتابه العزيز عن التطرف الديني المعبر عنه بلغة الشرع بالغلو، وتتجلى الحكمة من النهي عن التطرف في الدين والغلو والتنطع، لأن الله- عز وجل - قد أكمل دينه وأتم نعمته على المسلمين بما أنزل من القرآن الكريم على خاتم النبيين، والقرآن الكريم هو أساس الدين وأصله، وقد بين الله في كتابه كل شيء، حيث قال - تعالى - :

﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

كما أن الغلو في الدين فيه مشقة، وهو يتعارض مع تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر والسماحة ورفع الحرج، والله - عز وجل - جعل الإسلام صراطه المستقيم لتكميل البشر في أمورهم الروحية والجسدية ليكون وسيلة للسعادة والدنيوية والأخروية، ولما كانت الأمور الروحية التي تنال بها سعادة الآخرة من العقائد والعبادات لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، أتمها الله تعالى، وأكملها أصولا وفروعاً، وقد أحاطت بها النصوص، فليس لبشر بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يزيد فيها ولا ينقص منها شيئاً، وما كان التحذير من التطرف والغلو إلا لأن فيه عيوباً وآفات أساسية تصاحبه وتلازمه منها[1].

---

١ انظر : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور/ يوسف القرضاوي ، ص٣٣

إن قضية الغلو في الدين لم تكن وليدة اليوم ، فهي عند اليهود وأحبارهم والنصارى ورهبانهم، وظهرت الخوارج في الإسلام، وظهرت المتصوفة، وظهرت كثير من الفرق التي انتسبت للإسلام.

إن أعدائنا يحاولون إضعاف أمة الإسلام بأي وسيلة ممكنة، فإن عجزوا عن إبعادهم عن دينهم أتوهم بطريق آخر ألا وهو الغلو في الدين، ولا غلو في الدين، بل نحن أمة وسط كما أراد الله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ولابد أن يكون الولاء للإسلام والتعاون على الدين والإيمان، لا على أي مبدأ أو أي حزب وطائفة، فالولاء لله ولرسوله ولدينه قال – تعالى - :- ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٧١.

فمتى ما كان الولاء والمحبة لدين الله ، فإن الأمة تسعد بهذا وتسلم من كثير من المشاكل والاختلافات.

المبحث الثاني

لماذا نهى السلف عن الغلو والتطرف؟

لقد كان السلف الصالح - رضي الله عنهم - من الصحابة والتابعين أشد الناس تمسكاً واقتضاء لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل منهم غلو ولا تشدد إلا في قضايا يسيرة في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها، وعلمهم وبيّن لهم طريق العبادة المعتدل، وما ذلك إلا لحرصهم على التمسك بالعلم الصحيح، والفهم السليم، ولكن لما بعد الناس عن عصر النبوة والصحابة والتابعين، ومن تبعهم حتى أطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، فصار المتمسك بسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - مستهزئاً به في تلك المجتمعات، ويعدونه هؤلاء الغافلين عن حكم الشريعة أنه من أصحاب الغلو التطرف. وقد نهى السلف - رضي الله عنهم - عن الغلو والتطرف لأنه يؤدي إلى كثير من الأمور السلبية منها :-

التشديد على النفس :-

إن التشديد على النفس هو كل عمل أدى إلى مشقة وعنت بالإنسان، "والتشديد يكون تارة باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب بمنزلة الواجب أو المستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم أو المكروه من الطيبات"[1].

---

١ اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١ /٢٨٣

كما نهى الرسول - ﷺ - عن التشديد على النفس والترهيب مما يفعله النصارى فقال : " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم"[1].

تحريم الطيبات :-

إن الله - عز وجل - خلق الإنسان، واستخلفه في الأرض ورزقه من الطيبات وسخر له ما في السماوات والأرض قال - تعالى - :- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠.

يقول الرسول - ﷺ - فيما رواه أبو الدرداء- رضي الله عنه- :- (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فأقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن ينس شيئاً وتلا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤])[2].

ونهى المؤمنين عن تحريم الطيبات فقال :- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ المائدة: ٨٧، قال الأمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية :- "يقول - تعالى ذكره - يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقرّوا بما جاء به

---

١ أخرجه أبو داوود ، كتاب الأدب ، باب الحسد ،١٣ /٢٤٦ رقم الحديث ٤٩٠٠.

٢ رواه الحاكم ،٢ /٤٠٦ ، رقم الحديث ٣٤٦٦ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

نبيهم - ﷺ - أنه حق من عند الله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، يعني بالطيبات اللذائذ التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب فتمنعوها إياها كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم، وساح في الأرض بعضهم، يقول تعالى ذكره فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك، ولا تعتدوا حد الله الذي حدكم فيما أحل لكم، وفيما حرم عليكم فتجاوزا حده الذي حده، فتخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحب من المعتدي حده الذي حده لخلقه فيما أحل لهم وحرم عليهم"[1].

وبهذا يتضح أن تحريم شيء من الطيبات غلو واعتداء لقوله (ولا تعتدوا) والاعتداء هو مجاوزة الحد، فكل من حرم شيئاً مما أحل الله فهو غالي في الدين، وهذا التحريم للطيبات نجد له صوراً في الحياة المعاصرة لدى بعض الغالين والمتطرفين لتحريمهم بعض الأجهزة المصنعة، وكذا تحريمهم ركوب السيارات بدعوى أنها من صنع الكفار.

الابتداع في الدين :-

والغلو في الدين يؤدي إلى الابتداع في الدين ما ليس منه، واعتقاد أن ذلك وسيلة يتقرب بها إلى الله، وقد سدّ النبي - ﷺ - كل الذرائع الموصلة إلى الابتداع في الدين، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال دخل النبي - ﷺ - المسجد، فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال : (ما هذا الحبل ؟) فقالوا

---

١ جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الطبري، ٧ /٨.

هذا حبل لزينب – رضي الله عنها- فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي – ﷺ – : "حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد"[1] .

والابتداع في دين الله، انحراف عن الصراط المستقيم، وانحراف عن الوسطية التي هي دين الله الذي أمر به، إن الابتداع في دين الله الإسلام أفضى إلى الغلوِّ الذي نشاهد آثار دماره عياناً اليوم، أخرج أبو إسماعيل الهروي عن حسان بن عطية: "ما ابتدع قوم في دينهم بدعة إلا نزع الله مثلها من السنة، ثم لا يردّها عليهم إلى يوم القيامة".[2]

وروى أبو نعيم: "ما ازداد مبتدع اجتهاداً إلا ازداد عن الله بعداً ".[3]

تكفير المسلمين وتفسيقهم: -

الغلو في الدين يؤدي إلى تكفير المسلمين، وتفسيقهم وإخراجهم من دينهم ودائرة الإسلام، بل يؤدي إلى قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم كما فعلت الخوارج.

ولقد تقرر عند الأئمة من السلف أن أقوال الناس توزن بالنص والإجماع فمن وافق النص قبل منه ومن خالف رد عليه، ولم يكن منهج السلف تكفير من لا يستحق التكفير من المسلمين من أهل الكبائر، ولا يكفرون أحداً من أهل البدع أو يفسقونه إلا بدليل وقد سار على هذا المنهج صحابة رسول الله

---

١ رواه البخاري ، كتاب التهجد باب مايكره من التشديد في العبادة ،١ /٣٨٥ رقم الحديث ١١٣٣ .

٢ ذم الكلام وأهله، الهروي، ص٢٠.

٣ الحلية ،لأبي نعيم ،ص١٨.

- ﷺ - والتابعون والأئمة من بعدهم، فالإسلام يأبى كل عمل يقوم به المتطرفون مما يخالف أصول منهج السلف الصالح، ويغلق جميع الأبواب والسبل المؤدية إلى التطرف والغلو، كما حذر الأئمة من الغلو في الدين والتنطع في الأحكام، فالغلو آفة التدين، فتحريف الغالين كان سبباً في هلاك الأمم السابقة ممن غلوا في عقيدتهم وعبادتهم على حد سواء، فحرموا على أنفسهم ما أحل الله، وحرموا طيبات أحلت لهم.

قال - تعالى - في وصف أهل الكتاب ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ~ [المائدة: ٧٧]، وقال - ﷺ - : " إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[1]، وقال: "هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً "[2].

والغلو في الدين يؤدي إلى تكفير المسلمين، وتفسيقهم وإخراجهم من دينهم ودائرة الإسلام، بل يؤدي إلى قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم، كما فعلت الخوارج الذين قال النبي - ﷺ - في وصفهم: " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قرأتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"[3].

---

١ مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، ١ /٥٧٢ رقم الحديث ٣٢٤٦.

٢ صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ١٦/١٩٠ رقم الحديث ٦٧٣٥.

٣ صحيح البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ٣ /١٣٢٠ رقم الحديث ٣٥٣٢.

المبحث الثالث

من منهج السلف الدعوة إلى الأخذ بمنهج الوسطية

إن خير من يمثل الوسطية في الأقوال والأعمال والمعتقدات هم أهل السنة والجماعة الذين تمثلوا الإسلام في جميع أمورهم اقتداءً بالنبي - ﷺ - وخلفائه الراشدين اتباعاً للكتاب والسنة وفقا لفهم سلف الأمة.

إن وسطية الإسلام وسماحته لا تؤخذ من العقول البشرية، ولكنها تؤخذ من النصوص الشرعية؛ لأنها من أبرز خصائص ومميزات الإسلام، وهي وسام شرف للأمة الإسلامية.

الوسطية من مميزات هذه الأمة :-

فالإسلام - الذي رضيه الله لعباده وأمرهم بإتباعه - هو دين الوسطية الذي لا غلو فيه ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط، قال - تعالى - :- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي عدلاً خياراً، والوسط هو أعدل الشيء وأخيره وأجوده.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير هذه الآية : " أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط، فالأطراف داخلة تحت الخطر.فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين.وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم. ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، فلهذه الأمة من الدين: أكمله، ومن

الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا(أمةً وسطاً) كاملين معتدلين، ليكونوا(شهداء على الناس) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم"[1].

ولا يخفى على أحد أن الإسلام هو دين الرحمة ودين الوسطية والاعتدال، وأن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس كرمها الله بفضل الإسلام، وجعل خيريتها مرتبة بأداء رسالتها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتمسكاً بالإسلام، كما قال – تعالى - : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

لقد جاء الإسلام، ونبي الإسلام، وأمة الإسلام، بعد أن عمّ الكون ظلام الشرك والشك والكفر، فأنار الله هذا الكون، وخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن ظلم الإنسان إلى عدل الإسلام.

إن الأمة الإسلامية هي أمة الوسط بكل المعاني شرفاً وإحساناً وفضلاً وتوازناً، واعتدالاً وعقيدةً ولفظاً، وشريعةً ومنهجاً.

---

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن سعدي، ١٥٧/١

منهج السلف الصالح قائم على الوسطية :-

لقد كان السلف الصالح من هذه الأمة الشهيدة على الناس أشد الناس تصوراً للتوسط، وفهماً للشريعة والعقيدة على هذا الأساس الراسخ، لما كانوا في حياتهم، توسط بلا غلو ولا انحلال يشهد على ذلك سيرتهم وحياتهم. لقد تميزت الأمة الإسلامية بخاصية منفردة لم تكن لأمة من الأمم السابقة وهي ميزة الوسطية التي جعلها الله - عز وجل - خصيصة لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في القرآن الكريم في قوله – تعالى - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣.

فكمال الوسطية أو وسطية الكمال قد وضع الله - سبحانه وتعالى - لها منهجاً ربانياً شاملاً، وسعى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطية، فهذه الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية بمفهومها الإسلامي المتمثل في لغة القرآن ومعانيه ومواقفه، كما أورده القرآن الكريم وطبقه رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، والهدف من الوسطية هو الوصول إلى الحق ومنهاج الإسلام فيه، منهاج الوسط والاعتدال، وتقدير الأحوال والظروف والنتائج، ومراعاة الاستطاعة والقدرة، إذ قامت الدعوة إلى الله على منهاج الوسطية، وكانت سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً أعلى في تطبيق هذا المنهاج، الذي سار على هديه الخلفاء الراشدون، والتابعون لهم بإحسان، لذلك كان أهل السنة خير فرق هذه الأمة وأوسط طوائفها، فهم الطائفة المنصورة وهم الفرقة الناجية [1].

---

١ انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد با كريم، ص٢٨٧

وهم كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله - : (وسط في النحل كما أن الإسلام وسط في الملل).[1]

من سمات الوسطية العدل الشامل :-

إن وسطية الإسلام في العدل واضحة لا خفاء فيها ، وهدف الشريعة الإسلامية الأساسي هو إقامة العدل المطلق بين الناس جميعاً ، وتحقيق الإخاء بينهم ، وغاية الشريعة تحقيق المصلحة الدنيوية والأخروية ، وليس غايتها تحقيق المصلحة الدنيوية بغض النظر عن المصلحة الأخروية ، وليس غايتها تحقيق المصلحة الأخروية بغض النظر عن المصلحة الدنيوية ، كما هو الشأن في بعض الديانات والنحل التي غلت في الجانب الروحي[2]. إن الوسطية في الإسلام تعني العدل والتوازن والحكمة ووضع الشيء في موضعه في حين انه حذر من كل ما يخالف الوسطية من مفاهيم خاطئة كالإلحاد والشرك والفواحش والتهور والإسراف كما حذر من الرهبنة أو تجاوز الحد.

فالوسطية الإسلامية ترفض لأمتها وأفرادها تلك المظاهر وتحذر منها أشد التحذير ، وتدعو إلى معاني العدل والاعتدال والاستقامة والتوازن واحترام الآخر التي يدعو إليها الإسلام ، وتدعو إلى نبذ صور العنف والقسوة والغضب والانتقام والإرهاب ، ووسطية أهل الإسلام المستقيمين على هديه ، تبدو في الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها ، ومطالب الآخرة والعمل لها ، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك ، دون إفراط أو تفريط ،

---

١ فتاوى ابن تيمية ، ٤ /١٤٠

٢ انظر : الإسلام شريعة الزمان والمكان ، عبد الله ناصح علوان ، ص ٥٨- ٥٩

ودون إسراف أو تقتير، قال الله – تعالى - : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧]، وهذه الغاية جاءت من لدن خلاق عليم، وسع كل شيء رحمة وعلماً، قال – تعالى - ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

المبحث الرابع

بناء الإسلام على اليسر والسماحة

لقد جاء الإسلام خاتم الأديان، وجاءت شريعته السمحة خاتمة الشرائع السماوية، واشتملت عقيدة الإسلام على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبعث رسول الله - ﷺ - خاتماً للأنبياء والمرسلين، ومصدقاً للرسل أجمعين، وأنزل الله - عز وجل - عليه القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

إن مبدأ اليسر والسماحة ثابت في هذا الدين، وهو قصد عظيم لا ينكره إلا الجاهلون بأحكام الإسلام وحقيقة رسالته، ولقد أدرك السلف – رحمهم الله- أن الابتعاد عن المنهج يورث آثاراً سلبية وأضراراً خطيرة على عمل الإنسان وسلوكه في دينه ودنياه، وربما يخرج عن الصراط السوي إلى السبل المتفرقة والأفكار المنحرفة، فتفتح أبواب البدع والمحدثات على هذا الدين، كما فهم السلف أن تقرير مبدأ السماحة والتيسير في الدين لا يعني الإخلال بمقاصد الشريعة والدين، فلا نفهم من مبدإ التيسير أنه تفريط في تطبيق أحكام هذا الدين وتنفيذ أوامره؛ لأن هذا اليسر لا يكون في إثم ولا معصية، كما روت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في حديث: "ما خير رسول

الله - ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه"[1] .

ومن صور يسر وسماحة الإسلام :-

الحذر من التعصب :-

فمن سماحة الإسلام أنه لا يقبل التعصب ضد أي دين من الأديان، أو شريعة من الشرائع، أو أي كتاب من الكتب السماوية، وقد قضت مشيئة الخالق - جل جلاله - أن يكون الناس مختلفين في عقائدهم ومواهبهم، وملكاتهم العقلية وهي الحكمة الإلهية قال – تعالى - : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩]، ولو تأمل أولئك الغلاة والمتطرفون أن من حكمة بعثة محمد - ﷺ - رفع الإصر والأغلال الواقعة بالأمم السابقة من قبلنا، يقول الله - جل جلاله الرحيم - ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

١ صحيح البخاري ، كتاب المناقب باب صفة النبي - ﷺ - ،١٣٠٥/٣، رقم الحديث ٣٤٨٤.

التيسير ورفع الحرج :-

الحرج ليس من مقاصد الشرع، والغلو في الدين فيه مشقة وهو يتعارض مع تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر ورفع الحرج، بل إن يسر الإسلام وتيسيره سمة من سماته التي اختلف بها عمن سواه من الأديان، يقول الله - جل جلاله - في سياق الامتنان على هذه الأمة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج: ٧٨]، ويقول - تعالى - : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول – تعالى - : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"[1].

يقول الدكتور صالح بن حميد: "إن رفع الحرج والسماحة والسهولة راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح وعدم تحقيق مصالح الشرع، فالتوسط هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل"[2].

والتيسير والتخفيف ورفع الحرج في الإسلام، لا يعني هذا التساهل والتهاون بحجة التيسير والتخفيف، فالوسطية منهج متكامل بين الإفراط

---

١ رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ،١ /٢٢ قم الحديث ٣٩ .

٢ رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ، د/صالح بن حميد ، ص١٣

والتفريط ، لا تتعلق بجزئية أو جزئيات كما يتصوره كثير من الناس ، بل هو منهج شامل يدعو الناس إلى الصراط المستقيم في كل الأقوال والأفعال والأحوال ، فلن نستطيع أن ندرك حقيقة الوسطية بدون التيسير وإلا أصبحت الوسطية فارغة من محتواها وحقيقتها ولا وجود لها في الواقع ، وبذلك يفقد الدين أهم خاصية من خواصه وهو دين التيسير لا التعسير والوسع لا الحرج[1] .

إذا أردنا الاسترسال في مبدأ التيسير والسماحة في دين الله فإننا سنجد أنفسنا أمام بحر زاخر من الشواهد والنصوص والأحداث التي تقرّ هذا المبدأ وتحث عليه.

---

١ الوسطية في القرآن ، د/ علي الصلابي ، ص٧٢

الخاتمة

الإسلام دين شامل يضمن للبشرية أعلى المستويات سواء في مناهج الحياة أو النظام أو التصورات أو السلوك ، فلا يجدر بأمة الإسلام أن يتركوا تعاليمه فهو خير الأديان وأعظمها ، وهو دين ومنهج متكامل لحياة الأمة الإسلامية. فقد استخلفها الله - سبحانه وتعالى - لترث العقيدة ، ولتكون شهيدة على الناس ، فوسطية الإسلام تلزم الأمة الإسلامية بمقاومة الغلو والتطرف في الدين ، ورد الغلاة إلى منهج الاعتدال والحكمة ، ورعاية حقوق نفسه وحقوق غيره.

فالإسلام يدعو إلى الوسطية ويحذر من التطرف بجميع صوره وأشكاله ، فمتى تخلت الأمة عن منهج السلف أصبحت ضائعة لا ملامح لها ، فالغلو في الدين فيه مشقة وهو يتعارض مع تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر ورفع الحَرَج.

وأختم هذا البحث بأن أدون أهم النتائج التي توصلت إليها ، وأهم التوصيات التي أرى أهميتها :-

فمن النتائج : -

١- إن الغلو في الدين يتعارض مع تعاليم الإسلام السمحة الداعية إلى اليسر ورفع الحرج.

٢- قضية الغلو في الدين لم تكن وليدة اليوم ، فهي عند اليهود وأحبارهم وعند النصارى ورهبانهم ، وظهرت عند المتصوفة ، وكثير من الفرق المنتسبة للإسلام.

٣- نهى السلف - رضوان الله عليهم - عن الغلو والتطرف ؛ لأن فيه تشديد على النفس ، وتحريم للطيبات وابتداع في الدين.

٤- الإسلام دين العدل والوسطية وأهل السنة والجماعة هم خير من تمثلوا الإسلام في جميع أمورهم.

٥- الإسلام دين اليسر والسماحة ثابت في هذا الدين وهذه سمة واضحة اختلف بها عما سواه من الأديان.

ومن التوصيات :-

١- يجب على المسلم أن يكون صورة لدينه، وألا يغالي أو يتطرف بل عليه أن يتبع التعاليم السمحة التي جاء بها أشرف خلق الله - ﷺ - .

٢- إن أمة الإسلام تمر بمنعطف خطير بمحاولة أعداءها باتهام دينها بالغلو والتطرف، لذلك فإن أبلغ الرد على ذلك هو القدوة الحسنة التي تتمثل في سلوك المسلمين وفي سيرهم على منهج السلف الصالح.

٣- نشر عقيدة السلف، لأن انتشار مظاهر الغلو والتطرف في حياة المسلمين اليوم هو بعدهم عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وعلى المعتقد الشرعي الصحيح الذي يحقق للمجتمع المسلم الحصانة ضد الغلو والتطرف والتكفير والإرهاب.

٤- تمكين العلماء الربانيين المخلصين المشهود لهم بالعلم والإخلاص من توجيه النصح لعموم المجتمع بالتربية والتوجيه ، ولفئة الشباب بالتربية والعناية ، على أن يكونوا مرجعية حقيقة صادقة مخلصه للحاكم والمحكوم.

المراجع والمصادر

- الإسلام شريعة الزمان والمكان ، عبد الله ناصح علوان ، ط ٦ (القاهرة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م) .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، تحقيق : ناصر العقل ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ١٤١٠ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر الطبري ، ط٢ (مصر ، مطبعة مصطفى البابي الجبلي ، ١٣٧٣ هـ).
- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء ، لأبى نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني) ط٤ (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ) .
- ذم الكلام وأهله ، لأبى إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي(المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م).
- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ، د.محمد صالح عبد الله بن حميد ، دار الاستقامة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ.
- الروح ، لابن القيم ، تحقيق ودراسة/ السيد الجميلي ، د.ط ، (بيروت ، دار الكتاب العربي).
- سنن أبي داوود ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي).
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، تحقيق /أحمد سعد حمدان ، د. ط (الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع)
- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، للدكتور/ يوسف القرضاوي ، (القاهرة ، دار الصحوة ، ١٤١٢هـ).
- صحيح البخاري (بيروت ، دار إحياء التراث العربي).
- صحيح مسلم ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م).

- الغلو في الدين ، عبد الرحمن اللويحق ، طبعة خاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه في الحرس الوطني.
- فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، (الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤١٢ هـ =١٩٩١ م) .
- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م).
- مسند الإمام أحمد ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي).
- المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون، د.ط(مصر، دار المعارف، ١٩٨٠ م)
- وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد باكريم ، ط ١ الرياض ، دار الراية ، ١٤١٥ هـ.
- الوسطية في القرآن، د/علي محمد الصلابي (بيروت- لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٦ه = ٢٠٠٥م.



فيض القدير
في تبرئة السلفيَّة من الغلوِّ والتكفير

(مفاهيم خاطئة حيال المنهج السلفيِّ)

إعداد

د.وفاء صالح الفايز

أستاذ (م)العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان المساعد

في جامعة الملك فيصل.كلية الآداب بالإحساء.قسم الدراسات الإسلامية

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمـده ونـستعينه ونستغفره ، و نعـوذ بـالله مـن شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومـن يـضلل فـلا هـادي لـه ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

فإن السلفية هي المنهج الحق الذي يمثّل الإسـلام نقياً كمـا نـزل ، ويـصوره أصـدق تـصوير ، بـالتزام الكتـاب والـسنة منهجاً و طريقـاً ، وفـق فهـم قـرون الخيرية ، سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الـذين بهـم قامـت حضارة الإسلام العظيمـة ، وكانـت لهـم - بفضل توفيـق الله تعـالى لهـم- دفعـة قويـة حافظـت عـلى استمرار الأمـة في علوهـا ، وقيادتهـا للبشرية قرونـا طويلة.

والنـاس اليـوم فـى أشـدِّ الحاجـة إلى التمـسك بـالمنهج الـسلفي بوسـطيته واعتداله ، بعيداً عن المذاهب المندسة التي حملت أظفارها على كواهلها لتقتل وتكفر وتغلظ ، وتخمش قلوبـاً بانـت فيهـا حقيقـة إرادة الهـدى فعطلتهـا ، إنهـا تنقض على كل من سلك حسيسا باحثـاً عـن الإيمـان ليسلك سبيله انقـضاضة البزاة على فرائسها.

ومــن هنــا كــان فهــم مــنهج الــسلف في العقيــدة والعبــادات والعــادات والأخلاق والـسلوكيات ، والتعـرف عـلى موقـف المنهج الـسلفي مـن القـضايا التي تقوم عليها حياة الناس المعاصرة ، من الضرورة بمكان وخـصوصاً في ظـل هـذا اللغـط الفكـري ، واللـبس الثقـافي ، والخلـط والإشـكاليات وسـط أدعيـاء

كثيرين كل منهم يدعي أنه السلفي، وأنه الفرقة الناجية، وأن العلم يؤخذ منه وينتهي عنده.

أهمية الموضوع:

١- الذبّ عن منهج السلف وكشف حقيقة الأدعياء.

٢- رفع الإشكال عن فهم حقيقة السلفية، وبيان خطورة الخلط بينها وبين أدعيائها.

٣- محاولة توضيح مفارقة دقيقة بين وجه السلفي الحقيقي، ووجه الدَّعِيّ.

منهج البحث:

انتظمت منهجية البحث على الأساس الوصفي، حيث يصف الباحث منهج السلف القائم على الاعتدال والوسطية ويثبت براءته من الغلو والتكفير.

محتويات البحث:

لا يزعم الباحث أنه جمع في بحثه كلَّ متطلباته، ولكنه جهد المقل، وما هي إلا رؤية متواضعة ابتغاء وجه الله، وطلباً لإثبات الحق وتبرئة للسلفية مما نسب إليها من غلو وتكفير وتكدير، وقد صدرت لبحثي بعنوان: (فيض القدير في تبرئة السلفية من الغلو والتكفير) والذي ينضوي تحت المحور الثالث، وقد جاء في مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، كالتالي:

المقدمة: وفيها منهج البحث، وأسباب اختياره، وخطته.

التمهيد: وفيه تعريف بمصطلحات العنوان الذي يتكون البحث في مضمونه.

الفصل الأول: موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف.

الفصل الثاني: دفع شبهة ربط المنهج السلفي بالتكفير.

الفصل الثالث: إلجام من وصم السلفية بالعداء.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

تحديد المفاهيم

أولا مفهوم السلفية لغة واصطلاحاً :

السلفية في اللغة : نسبة إلى السلف ، ولها استعمالات لغوية متعددة منها :

جاء في لسان العرب : (سلف : تَقَدَّمَ ، ومنه قوله تعالى (فجعلناهم سلفا)[1]

وقيل : (سلف الإنسان : من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين " السلف الصالح ") [2].

ويقال : (سُلُوفُ العسكر مُتَقَدِّمُوه وهم السَّلَفُ والسُّلاَفُ) [3] ، (ومصدر سلف القوم : تقدمهم ، والأرض : سواها بالمسلفة ، والسلف : أحد السلفين : وهما المتزوجان بأختين ، والأصل سلف ، والسلف ـ أيضا ـ جمع سليف : وهو المتقدم ، وجمع سلوف : وهو الطويل من نصال السهم ، والناقة التي تكون في أوائل الإبل إذا وردت الماء ، والسلف : القرض ، وما تقدم من

---

(١) سورة الزخرف : آية ٥٦.

(٢) ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) ، لسان العرب ، (ط. دار المعارف ، د.ت) جـ ٣ ، صـ ٢٠٦٨ وما بعدها باختصار.

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، المخصص ، تحقيق/ خليل إبراهم جفال (ط.دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ط. أولى ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) جـ ٢ ، صـ ١١٨.

عمل صالح، أو ولد فرط، أو آباء، أو ذوي قرابة، أو ثمن لمشترى مضمون بصفة معلومة)(١).

والسلفية اصطلاحاً: (تطلق على المتمسكين بكتاب اللّه، وما ثبت من سُنَّة رسول اللّه- صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم- تمسكاً كاملاً بفهم السَّلف)(٢).

والدعوة السلفية هي:

(الدعوة إلى ما كان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - وأتباعهم بإحسان، بالحكمة)(٣).

ثانيا: مفهوم الغلو:

لغة: قال ابن فارس: "الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة، وغلا الرَّجلُ في الأمر غُلُوّاً، إذا جاوزَ حدَّه. وغَلاَ بسَهْمِهِ غَلْواً، إذا رَمَى به سَهْماً أقصى غايتِه، وتَغالَى الرَّجُلان: تفاعَلاَ من ذلك، وكلُّ مَرْماةٍ عند ذلك غَلْوَة. وغَلَت الدّابّةُ في سَيرها غَلْواً، واغتلت اغتلاء، وغالت، غِلاء، وفي أمثالهم: "جَرْيُ المذَكِّياتِ غِلاءٌ"، وتَغالَى

---

(١) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، بتحقيق/ سعد بن حمدان الغامدي (الناشر جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، جـ٢، صـ ٣٠٩.

(٢) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط. أولى سنة ١٤٢٢هـ)جـ١، صـ ٢٢.

(٣) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، جـ١٢، صـ ٢٤١.

النَّبتُ: ارتفَعَ وطال، وتَغالَى لحمُ الدابَّةِ، إذا انحسر عنه وَبَره. وذلك لا يكون إلاَّ عن قوّةٍ وسِمَن وعُلُوٍّ. وغَلَتِ القِدْرُ تَغْلِي غَلَياناً. والغُلَواء: أن يمُرَّ على وجهِه جامحاً"[1].

وقال ابن منظور (ت٧١١): " وغَلا في الدِّين والأَمْرِ يَغْلُو غُلُوّاً: جاوَزَ حَدَّه"[2].

فالغلو مجاوزة الحد في الشيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"[3].

ثالثا: مفهوم التكفير:

لغة: جاء في لسان العرب: كَفَرَ يَكْفُر كُفْراً وكُفُوراً وكُفْراناً ويقال لأَهل دار الحرب قد كَفَرُوا أَي عَصَوْا وامتنعوا والكُفْرُ كُفْرُ النعمة وهو نقيض الشكر والكُفْرُ جُحود النعمة، وكَفَرَ نَعْمَةَ الله يَكْفُرها كُفُوراً وكُفْراناً وكَفَر بها جَحَدَها وسَتَرها وكافَرَه حَقَّه جَحَدَه ورجل مُكَفَّر مجحود النعمة مع إِحسانه ورجل كافر جاحد لأَنْعُمِ الله مشتق من السَّتْر وقيل: لأَنه مُغَطًّى على قلبه، وأَما كفر الإِنكار، فهو أَن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من

---

(١) أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة – تحقيق/ شهاب الدين أبو عمرو — مادة غلوي (ط.دار الفكر - طبعة ثانية، سنة١٤١٨)، جـ ٤، صـ ٣٨٧.

(٢) ابن منظور – لسان العرب - مادة (غلا). (ط.دار الفكر - طبعة أولى سنة١٤١٠)جـ ٥، صـ ١٣١.

(٣) تقي الدين ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم- - تحقيق: د. ناصر العقل - مكتبة الرشد - الطبعة الثانية، سنة١٤١١) جـ ١، صـ ٢٩٣.

التوحيد، وأَما كفر المعاندة فهو: أَن يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يَدِينَ به حسداً وبغياً، وأَما كفر النفاق فأَن يقرّ بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد بقلبه" [١].

وفي المصباح المنير: " كفَّره بالتشديد: نسبه إلى الكفر، أو قال له كفرت)[٢]، ولعل المعنى المراد والذي يطوى في مفهومه المقصد من التكفير الذي يعنيه الباحث هو ما ذكر في لسان العرب بمعنى البراءة كما في الحديث أَن رسول الله - ﷺ- قال في حجة الوداع: (أَلا لا تَرْجِعُنَّ بعدي كُفَّاراً يَضْرِب بعضُكم رقابَ بعض)، أي يُكَفِّرُ الناسَ فيَكْفُر، كما تفعل الخوارجُ[٣]إذا استعرضوا الناسَ فيُكَفِّرونهم، وهو كقوله - ﷺ- : (أيما

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (الناشر: دار صادر – بيروت، ط أولى) جـ٥، صـ ١٤٤، ١٤٥ باختصار.

(٢) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، جـ ٢، صـ ٥٣٥، مصدر سابق.

(٣) الخوارج هم الذين خرجوا على " عليٌّ " واجمعوا على كفره وابنيه - رضوان الله عليهم - ، وهم مختلفون هل كفره أشرك أم لا واجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك واجمعوا على أن الله - سبحانه - يعذب أصحاب الكبائر. كما كفروا ابن عباس وأبا أيوب الأنصاري وكفروا – أيضا - عثمان وعائشة وطلحة والزبير، وكفروا كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم وكفروا كل ذي ذنب من الأمة وقد ورد حديث سويد بن غفلة عن علي في قصة الخوارج سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: " يجيء أقوام في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية " وهو صحيح، أنظر (كشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبياء من الناس، لسليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر الفزعي الخثعمي، (ط.دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥) جـ ١، صـ ١١٩، وانظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام علي بن إسماعيل

امرئ قال لأَخيه يا كافر فقد باء به أَحدهما لأَنه إِما أَن يَصْدُقَ عليه أَو يَكْذِبَ فإِن صدق فهو كافر وإِن كذب عاد الكفر إِليه بتكفيره أَخاه المسلم) [1][2].

وأما كلمة تكفير اصطلاحا:

فإنها تدور حول مفهوم الجحود، أو التكذيب لأصول الإسلام، ومن بين جملة التعريفات ما يأتي:

قيل التكفير: (الكفر يكون بتكذيب الرسول - ﷺ- فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم) [3].

وقيل: (التكفير حكم شرعي، سببه جحد الربوبية والرسالة، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر، وإن لم يكن جحداً)[4].

الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر (الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة) ج ١ ص ٨٦ ، وانظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية للشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، (دار الآفاق الجديدة – بيروت ـ ط. ثانية، ١٩٧٧) جـ ١ ، صـ ٣٠٧، وانظر (علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي (لناشر: دار طيبة – الرياض، لطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥) جـ ٣، صـ ٢٢٨.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت)، جـ ١ ، صـ ٧٩.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، جـ ٥ ، صـ١٤٦ بتصرف.

(٣) ابن تيمية أحمد عبد السلام (الشيخ) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط. أولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض) جـ١ ، صـ٢٤٢.

(٤) أبو الحسن علي السبكي الفتاوى الكبرى (ط.دار المعرفة - بيروت- لبنان- د.ت ، جـ٢ ، صـ٥٨٦.

وقيل: (الكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين ضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها).[1]

وبعد هذا التعريج على أهم مفاهيم عنوان البحث، نعرض فيما يأتي لمنهج السلفية الأصيل الذي يذبُّ عن نفسه ما نسب إليه من المغرضين زيفاً وزوراً، والله الموفق.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤١٦هـ) جـ١، صـ١٠٦، و راجع بحث رؤية علاجية لظاهرة التكفير في ضوء الوسائل والأساليب النظرية والتطبيقية، للدكتور/ محمد عبد الدايم الجندي، مجلة مؤتمر ظاهرة التكفير، (إصدار جائزة الأمير نايف، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م) جـ٩، صـ٥.

الفصل الأول

موقف المنهج السلفيّ من الغلوِّ والتطرف

راحت السلفية ضحية اثنين: الذين ينسبون الغلو إلى الإسلام أو إلى اجتهاد "إسلامي"، و طائفة تزعم أنها "إسلامية" أو تنظيم "إسلامي"، من الذين ينسبون إلى الإسلام تطرفهم واستخدامهم العنف، ولا ينبغي للأقلام الإسلامية أن تتيه بين هؤلاء وأولئك من طرفي معركة دائرة؛ السلفية بمنهجها الأصيل فيها ضحية والمسلمون ضحية والبشرية ضحية، وطرفاها يتجاهلان عن سبق إصرار أن الخط الإسلامي العام، المتمثل في العلماء والدعاة والحركيين، قد تصدى بالرفض لخط التطرف والعنف العام منذ بزغ للوجود لأول مرة قبل خمسة عقود، مع أن في الإسلام توجيه للفرد والجماعة للاعتدال واجتثاث نوازع الغلو.

ويحاول الغرب وأذنابه من المنتسبين للإسلام حصر الغلو في أتباع دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، حتى سمعنا من قال: ابن تيمية الوهابي من أكبر أسباب الغلو!! في هذا المثال لا نقصد ترتيباً زمنياً لهذين العلمين، ولكن ذكرته لأثبت - تهكما- ضبابية وعشوائية رؤية الغرب، فالوهابية مدرسة تقوم على منهجية وطريقة السلف في العقيدة وفي كل شيء من أمور الدين.

ويردد البعض أن الأعمال التخريبية في الدول الإسلامية لا يقوم بها إلا أتباع الدعوة السلفية، ومن هنا كانت السلفية محل نيل الحاقدين وادعاء

المغرضين، وفيما يلي نبرئ ساحة السلفية من هذه التهم من خلال ملمحين رئيسين في منهجهم:

الأول: مقتهم الجهالة العلمية الغالبة لدى أدعياء السلفية:

تصدت السلفية الحقة لمنهج الثرثارون أدعياء السلفية، وكان من أول ملاحقاتهم العلمية لهؤلاء الأدعياء، صدهم لادعائهم العلم بغير تلق وتكوين أصيل، ورفضهم إقامة آراء غالية تأمر بالتطرف والقتل، وتحكم بالكفر على أساس اجتهادات أهوائية تجانب الصواب.

وقد تجذر منهج السلف من مشاربه الأصيلة على ضرورة طلب العلم تواتراً عن علماء السلف، يقول العلامة ابن رجب الحنبلي - رحمه الله:

(من سلك طريقة طلب العلم تمكن مِنْ فَهْم جواب الحوادث الواقعة غالباً؛ لأن أصولها توجد في تلك الأصول المشار إليها، ولابد من أن يكون سلوك هذه الطريق خلف أئمة أهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم، كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ومن سلك سبيلهم، فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقتهم وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به وترك ما يجب علمه)(١).

ونذكر من كلام الأدعياء قول شكري مصطفى - مؤسس جماعة التكفير والهجرة في مصر-: (إن الفقيه لا يحمل من العلم أكثر مما يحمله العامة!! ودعوى أن الفقيه يحمل علماً أكثر منا هي دعوى مرفوضة... ونحن

---

(١) الحافظ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: طارق بن عوض الله - دار ابن الجوزي - الطبعة =الأولى، سنة١٤١٥هـ)جـ١، صـ٢٤٢- ٢٤٣.

نناز عهم في ذلك)[1] ، بل إنهم يقعون في عامة العلماء - الذين اتفقت الأمة على علمهم ووقارهم بالثلب بل والتكفير!!.

قال الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله- مبيناً الواجب تجاه العلماء الربانيين: "على كل مسلم موحد النهوض بالحقوق الشرعية عليه للعلماء العاملين، من توقيرهم، وتبجيلهم، وإعطائهم قدرهم، والكف عن أعراضهم، والوقيعة فيهم، والبعد عن إثارة التشكيك في نياتهم، ونزاهتهم، والتعسف في حمل تصرفاتهم بالفتيا والقول على محامل السوء، وتصيُّد المعايب عليهم، وإلصاق التهم بهم، والحط من أقدارهم، والتزهيد فيهم، فإن هذا من أعظم وسائل الهدم، ومواطن الإثم، وتفتيت الأمة، وإضعاف القيادة العلمية، وما هذه إلا وخزة مرجف، وطعون متسرع، وهي مواقف يتشفى بها من في قلبه عِلَّة، وفي دينه رهق وذلَّة، من أهل البدع والأهواء، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين، تُخذّل علماء السنة وتكون بفعلتك هذه تذود الناس عنهم وعن دروسهم وحلقهم ومآثرهم، وتسلمهم غنيمة باردة إلى علماء السوء والبدعة، أو جعلهم هملاً تتصيدهم الفرق والأحزاب"[2].

---

(١) محمد سرور، رسالة الحجيات، (ط. دار الأرقم - طبعة أولى، سنة ١٤٠٧م) جـ ١، صـ ٥٦.

(٢) بكر بن عبد الله أبو زيد، الرد على المخالف، (ط.دار العاصمة، طبعة أولى سنة ١٤١٤هـ)صـ ٩٠.

الثاني : تصديها للحركات الجهادية مدعية السلفية :

إن مما يثبت براءة السلفية من التهم الموجهة إليها بالغلو في الدين والتطرف في الأحكام ، موقفها من الحركات التكفيرية التي تدعو إلى التخريب والتفجير المسماة بالجهادية بمناهجها المغالية المتشددة ، ومن هؤلاء الأدعياء للسلفية على سبيل المثال " جماعة الجهاد المصرية " ، وأول من تجاهد ـ حسب زعمها ـ الحاكم ، حيث ترى ضرورة جهاده والخروج عليه ، وقد نسب شيخ الأزهر الأسبق " جاد الحق علي جاد الحق " فكر هذه الجماعة إلى جملة من أفكار الخوارج"[١] ، فقال مثلاً عن كتابهم ومصدر آرائهم " الفريضة الغائبة " للقيادي "محمد عبد السلام فرج" [٢] :

---

(١) الخوارج : سبق التعريف بهم ص(٦).

(٢) المهندس محمد عبد السلام فرج ، من مواليد سنة ١٩٥١م ، من قرية الدلنجات ، خريج كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، عمل في الإسكندرية في إحدى الشركات ، وهناك انضم إلى تنظيم الجهاد ، ثم انتقل للعمل في إدارة جامعة القاهرة ، وبعد ذلك أخذت أفكار فرج تزداد عمقا نحو الدين ، فسعى في وقت مبكر إلى وضع أفكاره في كتابه " الفريضة الغائبة " وتمكن من طبع خمسمائة نسخة من هذا المؤلف في إحدى مطابع منطقة إمبابة الشعبية في القاهرة ، ويقول هو عن الكتاب " إنني لم أؤلف هذا الكتاب من عندي ، وكل ما فعلته هو أنني جمعت محتوياته بنفسي من كتب السلف " وأعيد طبع الكتاب في كندا ، وفي صيف عام ١٩٨٠ م ، تعرف فرج على المقدم عبود الزمر ، واتفقا على القيام بـ " الثورة الإسلامية " في مصر على شاكلة الثورة في إيران ، ألقي القبض على فرج بعد اغتيال السادات ، وحكم عليه بالإعدام. انظر : السيف الأخضر.. الأصولية الإسلامية المعاصرة ، للدكتور : شكري البدري (ط. دار صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، طبعة أولى ، سنة ٢٠٠٧م) صـ ١٩٣.

" إن مستقى هذا الكتيب ومورده في جملته أفكار طائفة الخوارج، وهم جماعة من أتباع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ خرجوا عليه بعد قبوله التحكيم في الحرب التي كانت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في شأن الخلافة، ثم انقسم هؤلاء إلى نحو عشرين فرقة، كل واحدة منها تكفر الأخرى، وقد سموا بهذا الاسم ـ إما على حسب زعمهم ـ لخروجهم في سبيل الله، وإما للخروج على الأمة والجماعة، وهذا هو واقع التسمية، فقد كفروا علياً وسبطيه الحسن والحسين وابن عباس وأبي أيوب الأنصاري وكفروا كل مسلم ارتكب ذنبا " (١).

ويأتي مفهوم المماثلة بين الخوارج وجماعة الجهاد في مسألة الخروج على الحاكم ومقاتلته ومن والاه وتكفيرهم، وتكفير كثير من أفراد المجتمع، بشكل متعمد أو غير متعمد، يقول القيادي عبد المنعم منيب عن نظرة الجماعة للحكام :

كافرون لاتباعهم غير الإسلام ديناً، وإن زعموا أنهم مستمسكون من الإسلام بشيء، فهم مثل كفار العرب في الجاهلية كانوا مستمسكين من دين إبراهيم - عليه السلام - بشيء إذ كانوا يحجون البيت، وهؤلاء وأولئك من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (٢) ، يعبدون الله بالصلاة والصيام ويعبدون نابليون في الحكم والتشريع، وهم

---

(١) جاد الحق علي جاد الحق (الإمام الأكبر شيخ الأزهر) وعطية صقر (الشيخ)، نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة، (هدية مجلة الأزهر، طبعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ) صـ ٤٩ ـ ٥٠.

(٢)سورة يوسف: آية ١٠٦.

كفار بذلك: ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ ﴾ (١)" (٢).

وفي تبنيه لفكر الخوارج صراحة " بيَّن أمير الجهاد محمد عبد السلام فرج وعضو مجلس شورى الجماعة في كتابه الفريضة الغائبة، أن الحاكم قد كفر وخرج عن الملة، فوجب الخروج عليه وخلعه وتغيير النظام، وأن لتنظيمه تشكيلاته المتفرعة للتخطيط لإقامة الدولة الإسلامية " (٣).

وأصبح تواجد ملامح فكر الخوارج في ثقافة الجهاديين المصريين، يمثل نوعاً من الاستهجان أو الاستنساخ الفكري، وهو ما دفع كثيراً من علمائنا إلى إطلاق مصطلح الخوارج على تلك الجماعات التكفيرية، ومن أمثلة هؤلاء العلماء كما ذكرنا (شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق).

إنهم يغالون في استصدار الأحكام فيزعمون أنه لا سبيل إلا القتال، ومن كلامهم: "لا شك أن الميدان الأول للجهاد هو استئصال هؤلاء القادة الكافرين، واستبدالهم بنظام إسلامي كامل ومن هنا نبدأ "(٤)، وتلك خطوة لعكس وردع قرون من التوسع الجغرافي والثقافي للغرب علي حساب أراضي

---

(١)سورة النساء: آية ٦٠.

(٢) عبد المنعم منيب (الدكتور) التنظيم والتنظير " تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة بين الماضي والحاضر والمستقبل " (مكتبة مدبولي، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٩م)، صـ ١٣٣.

(٣) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، تقرير الحالة الدينية في مصر، إعداد جمع من الباحثين (ط. الأهرام، ط. ثانية، سنة ١٩٩٦م)، صـ ١٨٤ ،

(٤) جون ل. إسبوزيتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، (ط. دار الشروق، طبعة ثانية، سنة ٢٠٠٢م) صـ ٢٠١.

وسيادة دار الإسلام، جراء التحديات العقائدية والسياسية الجمة التي شكلها تفرق وهوان المسلمين خلال القرن العشرين، فإحياء الخلافة الإسلامية بات مشروعاً لا بد منه ، وقد آن الأوان بالقتال المسلح، فهي " لا ترى شرعية أية وسيلة من وسائل التغيير غير الجهاد مثل اعتماد الديمقراطية والعمل النيابي من خلال قنوات الأنظمة الطاغوتية والتي تنافي أصول عقيدة التوحيد "(١).

وقد زعم هؤلاء المدعوون بالجهاديين أن هدفهم من جهادهم "الدعوة إلى دين الله – تعالى - وبيان عقيدة السلف، ونشر العلوم النافعة بين المسلمين التي تبصرهم بحقائق دينهم وبالواقع الذي يعيشونه "(٢)، ومن خلال هذا الهدف يتم" توحيد العالم الإسلامي كله على كلمة لا إله إلا الله، وبالجهاد"(٣)، ولا يتم توحيد العالم الإسلامي إلا من خلال الدعوة إلى منهج السلف.

ورغم ادعاء الجماعة لمنهج السلف، إلا أنهم لم يأخذوا من منهجهم شيئاً، فقد ألحقوا به وبعلمائه أضراراً كانت أشد وقعاً في مسير دعوتهم، فلما فجر هؤلاء الأدعياء الأصاغر بركان التشدد والقتل والإرهاب والعنف والتكفير، قذفوا الأكابر بحممه، فكم من حقائق تنير الحنادس شوهوها، وكم من تعاليم سمحة طمسوها، ويدعي منظرو الجهاد أن منهجهم هو منهج

---

(١) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، دليل الحركات الإسلامية في العالم، العدد الأول، صـ ١٣٤.

(٢) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، دليل الحركات الإسلامية في العالم، العدد الأول، صـ ١٣٤.

(٣) رفعت سيد أحمد، الحركات الإسلامية في مصر وإيران، صـ١١٧..

السلف، فهم يدعون أن منهجهم يجمع بين الدعوة إلى التوحيد بشموليته، والجهاد لأجل ذلك في آن واحد، فهي تيار يسعى لتحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت الكافرين، وهم الحكام ومن والاهم.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - مبرئاً ساحة السلف من غلو هؤلاء الأدعياء الغلاة:

" فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له؛ هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد "[(١)].

المهم... أن هؤلاء الأدعياء للعقل والفهم السلفي، ادعوا أنهم يريدون إحياء عقيدة السلف كهدف رئيس لدعوتهم، فنحن " أمام مدرسة واحدة، أمام فكر يتراكم داخل ذاته وليس خارجه، ومدرسة تبدأ من النص وتنتهي إليه منفصلة تماماً عن الواقع، وعند زعيمهم سيد إمام[(٢)] إحاطة كبيرة جداً

---

(١) ابن قيم الجوزية (الإمام) مدارج السالكين، (المطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثانية) جـ٢ صـ٥١٧.

(٢) هو: سيد إمام الشريف، اسمه الحركي " عبد القادر بن عبد العزيز " والشيخ فضل، من مواليد ١٩٥٠م، وينتمي لمحافظة بني سويف في شمال الصعيد، تخرج من كلية الطب عام ١٩٧٤م، وتخصص في الجراحة، اتهم في قضية الجهاد الكبرى التي تلت اغتيال الرئيس المصري أنور السادات عام ١٩٨١م، والتي تضمنت ٣٠٢ إسلامياً، كان ضمنهم أيمن الظواهري، وقد حصل الاثنان على البراءة مما نسب إليهما من أفعال في تلك القضية، وقد غادر الشريف مصر منذ عام ١٩٨١م قبيل وقوع عملية اغتيال الرئيس السادات، وظل في

بنصوص السلف، لكن بدا كأن لديه فقراً شديداً في فهم الواقع الحالي وطريقة التعامل مع هذا التراث "[١].

ومن هنا فمن الأهمية بمكان بيان منهج السلف على حقيقته وصورته الناصعة المتسمة بالوسطية والاعتدال واليسر، والبعد عن الإفراط والتفريط، والبعد عن الغلو والجفاء، والبعد عن مناهج الانحراف، فمنهج السلف يتخذ من هدي النبي - ﷺ - نبراساً، ويضع نصب عينيه نبذ الغلو بكل أنواعه، إنهم امتثلوا لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين)[٢].

الخارج متنقلا بين بلدان عديدة كان اليمن آخرها، حيث قامت السلطات بالقبض عليه في أكتوبر عام ٢٠٠١م وتسليمه لمصر في فبراير ٢٠٠٤م، ، بدأ الشريف خبرة العمل السري الانقلابي مبكرا، حيث كان عضوا في إحدى الجماعات الجهادية الصغيرة التي تشكلت عام ١٩٦٨م تقريبا في ضاحية المعادي بجنوب القاهرة، وكانت تضم معه أيمن الظواهري ونبيل البرعي وإسماعيل طنطاوي وغيرهم، اختير اسم عبد القادر بن عبد العزيز للأمير الجديد للجماعة للتمويه على الناس، ظل الشريف يقود تنظيم الجهاد من باكستان وأفغانستان حتى نهاية ١٩٩٢م، اعتزل الشريف العمل الحركي وتفرغ للبحث والكتابة حيث أصبح أحد منظري الفكر الجهادي على مستوى العالم. انظر دليل الحركات الإسلامية في العالم، إعداد مركز الدراسات الإستراتيجية والسياسية بالأهرام، صـ ١٣٨ - ١٣٩.

(١) عبد المنعم منيب، مراجعات الجهاديين، صـ ٨٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، انظر مسند أحمد - أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، برقم (١٨٥١) – (ط. مؤسسة قرطبة – مصر، د. ت) والحاكم في مستدركه، انظر المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تعليق: مصطفى عبد القادر عطا- (ط.دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة أولى، سنة١٤١١-

قال ابن تيمية رحمه الله: «قوله: (إياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد.. والنصارى أكثر غلواً في الاعتقاد والعمل من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن، بقوله – تعالى- : ((لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)) [1] [2]، وعليه فإن السلفية بريئة من الغلو بتوجيه وتأكيد أئمتها وعلمائها.

١٩٩٠م) جـ١، صـ ٦٣٧، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ونقل المناوي في الفيض عن ابن تيمية قوله: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، راجع فيض القدير شرح الجامع الصغير - العلامة المناوي - توزيع دار إحياء السنة النبوية) جـ٣، صـ ١٢٦.

(١) النساء: ١٧١.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ ١، صـ ١٠٦.

الفصل الثاني

دفع شبهة ربط المنهج السلفي بالتكفير

إن الحكم بالكفر على الناس بلا حجة ولا برهان ولا اختصاص غير معتبر به عند السلفية، فمنهجهم الاستقامة الفكرية، ومسلكهم الصراط المستقيم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(والصراط المستقيم يتضمن معرفة الحق والعمل به، كما في الدعاء المأثور: " اللهم أرني الحق حقاً ووفقني لاتباعه وأرني الباطل باطلاً ووفقني لاجتنابه ولا تجعله مشتبهاً عليَّ فأتبع الهوى "[1]، وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي كان إذا قام من الليل يصلي يقول: اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم [2]، فمن خرج عن

---

(١) هذا دعاء مأثور عن عمر - رضي الله عنه - بلفظ آخر، ذكره البهوتي في كتابه شرح منتهى الإرادات(٣/٤٩٧)، وعزاه إلى عمر - رضي الله عنه - ، و ذكره ابن كثير في تفسيره عند قوله – تعالى - : "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [البقرة: ٢١٣]، قال: وفي الدعاء المأثور: "اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماما " ابن كثير (١/ ٤٤٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، راجع المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني، بتحقيق/ محمد

الصراط المستقيم كان متبعا لظنه وما تهواه نفسه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين، وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة فإنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ففيهم جهل وظلم لاسيما الرافضة [1] فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلا وظلما يعادون خيار أولياء الله – تعالى – من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)[2].

ولقد بلغ الفهم المغلوط سنام الخطر حين نشر الفكر التكفيري المدسوس في السلفية رداءه الأسود على الكون، حيث تأسست تحزبات فكرية تكفيرية متشددة كلها تدعي السلفية، ونظراً لعدم النظر الدقيق وضعف الفقه في مجال الأحكام والتحقيق، فقد اتسعت دائرة التكفير من الفرد إلى الجماعة، وكثرت الخلايا السرية التي تفرزها قراءات خاصة ومفاهيم خاطئة لا يعرفها أهل العلم.

حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، كتاب الصلاة، (ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، طبعة أولى – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) جـ ٢، صـ ٣٦٧.

(١) الرافضة: من الرفض، والرفض هو الترك ومنه الرافضة تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن سب الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب، انظر التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط. دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، ط. أولى، سنة ١٤١٠) جـ ١، صـ ٣٦٩.

(٢) أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦) جـ١، صـ ١٩ ـ ٢٠.

وليست معاناة المجتمعات من الشتات الفكري إلا من هؤلاء الأدعياء بأفكارهم المغالية التي انعكست عن محصلة أدمغة مفخخة بالشر والعدوان، بعيداً عن وسطية المنهج السلفي، فهم أوقدوا مجامر القلوب بحمية الاعتدال ودرء التكفير (ومعلوم أن موقفهم حاسم وثابت في رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ما دام قائما بحقوق هذه الشهادة، التي هي شعار الإسلام العصمة للدماء والأموال والحقوق) [1].

ويأتي دفع شبهة التكفير عن السلفية من عدة طرق، أهمها:

أولا: الوعي الكامل بمسألة التكفير وخطورتها:

سلم أتباع السلفية تسليماً لكتاب الله - تعالى - وسنة رسول الله - ﷺ - ، فانتهوا عما نهى الله عنه ونفذوا ما أمروا به، وأمسكوا عن التكفير إذعاناً لعدة نصوص منها:

قوله – تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [2].(قال ابن عباس: " كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه، وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿ تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ تلك الغنيمة، و﴿ ألقى إليكم السلام﴾ نطق بالشهادتين أو حياكم بتحية الإسلام، ﴿ لست مؤمنا ﴾ أي تقولون لم

---

(١) محمد عمارة (الدكتور) صيحة نذير من فكرة التكفير- (ط. مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط.أولى سنة١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م) صـ ٢٠.

(٢) سورة النساء: ٩٤.

يؤمن حقيقة إنما نطق بالإسلام تقية)[1] ، وقد نبههم القرآن ونهاهم عن التصدير على ما في القلوب، وأنه من ضروب ركوب الأخطار، وخوض الغمار، ومد إليهم حبلا فاصلا ليعتصموا به عند ورود ما يثير سخائم القلوب ويؤلب المنابذات يقول الإمام القرطبي - في تفسير الآية السابقة - :(إن في هذا التوجيه الإلهي من الفقه باب عظيم، وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر، لا على القطع واطلاع السرائر، فالله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر)[2].

فعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ﴿ لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك ﴾[3]، وذلك أول الوهن، تعود كلمة التكفير على قائلها إن لم يكن في صاحبه ما قال.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (الإمام)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، باب ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا (ط.دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ـ الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٤ ، صـ.١٦٧٦.

(٢) (١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (الإمام)، الجامع لأحكام القرآن، (ط. دار الكتب المصرية، د.ت) جـ ٥ ، صـ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، ، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن ج٥ ، ٢٢٤٧

وتظل موجة التكفير المغرقة العاتية في صورتها جامحة مجنونة ، تلهبها سياط الألسنة الطاغية الشاردة القاتلة المحمومة بعيدا عن السلفية الحقة ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ﴾[1].

وقد عنى المنهج السلفي بضبط النظرة والحكم على الآخرين من خلال الظواهر لصعوبة اختراق ما في القلوب والبصائر ، بحيث لا تضطرب النظرات والقلوب ولا تتأرجح ، ولا يكتنفها الشقاق في زاوية من زواياها ، فـ(إنه لا يسارع إلى التكفير إلا الجهلة ، وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً ، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة ، المصرحين بقول " لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك دم محجمة من دم مسلم) [2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، من حديث ثابت بن الضحاك ، كتاب الأدب ، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، جـ ٥ ، صـ ٢٢٦٤ ، ورواه أحمد (أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني) في مسنده ، مسند المدنيين ، من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاري ، (ط. مؤسسة قرطبة – القاهرة ، د. ت) جـ ٤ ، صـ ٣٣. ، والبيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر) في السنن الكبرى بتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، كتاب النفقات ، باب التغليظ على من قتل نفسه ، (مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤)جـ ٨ ، صـ ٢٣ ، و الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم) في المعجم الكبير ، من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣) جـ ٢٣ ، صـ ١٧٧.

(٢) الغزالي ، محمد بن محمد أبو حامد (الإمام) الاقتصاد في الاعتقاد (القاهرة ، ط. مكتبة صبيح ، د.ت) صـ ١٤٣.

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله - ﷺ - قال : " أيَّما رجل قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما " [١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- مبرئاً ساحة السلف من غلاة التكفير أدعياء السلفية :

" كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعالى ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله وأيضا ، فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر " [٢] ، وقال – أيضاً - :

(١) متفق عليه ، رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، برقم ١٧٧٧ ، جـ ٥ ، صـ ٢٢٦٤ ، ورواه مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري) ، في صحيحة ، بتحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ، برقم ١١١ (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت) جـ ١ ، صـ ٧٩

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، بتحقيق/ زهير الشاويش (ط. المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦)جـ ٢ ، صـ ٤٠٦.

" وحقيقة الأمر أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة [(١)] ".

تلك هي المشارب الصافية من معين منهج النبي - ﷺ - الذي ساق أفئدة أصحابه على أنساق تتناغم مع نظم وتوجيه القرآن وورثها السلف تواتراً، فقد ورد أن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - : أنه قتل رجلاً شهر عليه السيف، فقال: (لا إله إلا الله) فأنكر عليه النبي - ﷺ - أشد الإنكار، وقال: أقتلته بعدما قال: (لا إله إلا الله)؟ فقال: إنما قالها تعوذاً من السيف؟ فقال: هلا شققت عن قلبه؟! وفي بعض الروايات: كيف لك بـ (لا إله إلا الله) يوم القيامة؟! [(٢)].

وهذا المنهج هو عين وراثة السلف الصالح، أما عدم الوزانة وفقدان الرزانة في الحكم على بواطن الناس فذلك أول الوهن في الانزلاق في هاوية سحيقة ومنهج السلف بريء من ذلك.

ثانيا: سلامة السلفية من أسباب التكفير النفسية:

لعل التكفيريين أدعياء السلفية قد أصيبوا ببعض التراكيب المعقدة التي أدت إلى تكوين بؤر نكدة تنعكس على الرؤية والفهم والثقافة والسلوك، فلما شعروا بالنقص الفكري، والعجز المعرفي الشرعي، راحوا يتقمصون

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) أخرجه البخاري، راجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبى الفضل العسقلاني الشافعي، كتاب الديات باب ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، (الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩) جـ ١٢، صـ ١٩٥.

المنهج السلفي لتغليف آرائهم التكفيرية بغطاء مزيف، فادعوا أنهم السلفية، ولعل من أهم مشكلاتهم التي دفعتهم إلى هذا الادعاء حسب تشخيص الخبراء النفسيين:

أولا: حب الظهور والشهرة الناتج عن الشعور بالنقص وإيجاد بدائل تكميلية: حيث لا يكون الشخص مؤهلا فيبحث عما يؤهله باطلا فيشعر بالتفاخر وإكمال النقص بالرأي المخالف ولو على حساب العقيدة فيلجأ إلى التكفير سدا لهذه الفجوة النفسية.

ثانيا: الشعور بالإحباط النفسي وضرورة معالجته: فقد يؤدي شعور الشخص بخيبة أمل في نيل حقه أو الحصول على ما يصلحه ويشفي صدره، ومنع حرية الرأي والتعبير، إلى انتمائه إلى التحزبات السرية وردود الأفعال الغاضبة في صورة التكفير والإرهاب واعتناق الأفكار الهدامة.

ثالثا: التأثر ببيئات التوتر والصراع وحتمية تقنينه: إن الفكر لا يتحرك في فراغ، وإنما هو في كثير من الأحيان يستجيب لمتطلبات الواقع ويعبر عنه، وفي تاريخ الفكر الإسلامي فإن مذاهب التشدد في الالتزام بالنصوص ومذاهب إطلاق حرية الرأي والاجتهاد لم تبرز إلا تلبية لواقع اجتماعي معين ساد في بيئة واختلف في بيئة أخرى [(١)].

ومن المسلم به بدهياً أن لكل شيء مقومات يقوم عليها، وبيئة ينمو فيها، ومناخاً ينشأ عليه ويعيش فيه، وهذه المقومات من بيئة ومناخ هي التي

---

(١) فهمي هويدي، المفترون: خطاب التطرف العلماني في الميزان. (القاهرة، ط. دار الشروق. ١٩٩٦ م) صـ ١٩٦

تهيئ الأسباب لحدوث الأشياء سواء كان الحدث يتعلق بالجماد أو النبات أو الحيوان أو الإنسان.

ويمكن القول: إن الأحداث الاجتماعية والسياسية والفكرية تولد وتحيى من خلال بيئة ومناخ مناسب، وقد تكون هذه البيئات جماعات أو مناطق أو كيانات دولية مستقلة، ولذا يؤمن الباحثون بأن الإبداع والاختراع و الجريمة والصراع ما هي إلا أفكار تنشأ في بيئات معينة وتضعف أو قد تموت في بيئات أخرى، وقد أشارت كثير من الدراسات إلى دور البيئة على الإنسان وتأثيرها في فكره وسلوكه، وفي ظل الانفتاح الثقافي المعاصر تنعكس مردودات البيئات وتمتزج في بعضها بما لا يتناسب مع ظروف الأنساق البيئية المتباينة، وهذا من أخطر الأدوار البيئية المؤدية إلى التكفير كمثال لنتيجة من جملة نتائج تترتب على البيئة.

ويزخر التاريخ – أيضاً - بأمثلة للانحراف الفكري المتسم بالبساطة المخلة في قياس الأمور وإدراكها و(من أبرز تلك الأمثلة ما عرف عن فكر وسلوك الخوارج واتصافهم بالغلظة والجفوة والعنف على المسلمين، فاستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم في حين أنهم يرحمون أعداء الإسلام من أهل الأوثان)[1].

رابعا: الميل الطبعي إلى الخلاف والنزوع إلى الصراع: اقتضت حكمة الله – تعالى - أن تختلف آراء الناس وأفكارهم في أمور الحياة، وسبب ذلك

---

(١) جرجس فواز، الحركات الإسلامية ودورها في الاستقرار السياسي في العالم العربي. (الإمارات: مركز الإمارات للدراسات، ٢٠٠٢) صـ ٤٦ بتصرف.

أنهم خلقوا أساساً مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات، وهذه حقيقة لا يدركها إلا أصحاب العقول السليمة. والإنسان العاقل هو الذي يؤمن ويسلم بالاختلافات بين الآراء والاتجاهات لدى الناس حول مختلف أمور الدين والدنيا، وفي ظل هذا الإيمان تجده يتجه إلى البحث عن نقاط التوافق و الائتلاف ويبتعد ما أمكن عن مثيرات النفور والاختلاف.

وإن الفكر السوي يُسلم بتعدد الأبعاد والرؤى ويعمل على التواصل مع الآخرين والانفتاح على العالم، والإفادة من خبراته وأفكاره دون صراع أو تسفيه، في الوقت الذي ينزع فيه الفكر المنحرف إلى الخلاف والصدام مع الآخرين عند ظهور طيف أي خلاف، ما يسوق إلى التكفير للطرف الآخر، وذلك من خلال ما يلي:

أ. الضلوع في تشويه الحقائق: إذ (يتسم الفكر التكفيري بقدرته على قلب المفاهيم وتشويه الحقائق وطمسها، وتقديم أدلة وبراهين غير كافية أو مناقضة للواقع، و استعمال الكلمات بمعان مُبهمة غير محددة أو بمعان متقلبة ومختلفة)[(١)].

ب. تبرير الغايات: عندما ينحرف الفكر ويعوج فإنه يركب أي وسيلة للوصول إلى غايته، فيتبنى مبدأ الغاية تبرر الوسيلة لعدم تورعه عن تقديم النصح باستخدام أية وسيلة متاحة في الصراع ظنا منه بأنه ينتهي بإقامة دولة مسلمة بديلة عن الدولة الكافرة التي يعيش فيها.

---

(١) جابر سامية، سوسيولوجيا الانحراف، (القاهرة ط. دار المعرفة الجامعية، سنة ٢٠٠٤ م) صـ ٨٩.

(ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء في هذا السبيل من ذلك عندما لقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب، فقالوا: هل سمعت من أبيك حديثا تحدثه عن رسول الله - ﷺ - تحدثناه؟ قال: نعم، سمعت أبي يحدث عن رسول الله - ﷺ - : أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول. قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله - ﷺ؟ قال: نعم. فقدموه على شفير النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده وكانت حبلى، ونزلوا تحت نخل كثير الحمل بالرطب بنهر فسقطت رطبة فأخذها أحدهم، فقذف بها في فيه، فقال أحدهم: أخذتها بغير حقها، وبغير ثمنها، فلفظها من فيه. واخترط أحدهم سيفه، وأخذ يهزه، فمر به خنزير لأهل الذمة، فضربه به، يجربه فيه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه)[1].

خامسا: إلغاء أحادية الوجهة التفكيرية (نظرة البعد الواحد أو إلغاء المرونة الفكرية):

ومعنى أحادية الوجهة التفكيرية: (مجموعة من الخصائص المعرفية والمزاجية التي تشكل سلوكا متسقا يتعارض مع قبول التنوع ويرفض البدائل ويتجنب الجديد ويتحرك وفق مسارات صارمة ويعزل صاحب هذه العقلية نفسه عن مجتمعه ويكرس نفسه لأهداف ضيقة ومحددة، وتتوافق هذه الخاصية

---

(١) عمر عبدا لله كامل. المتطرفون خوارج العصر، (ط. بيسان للنشر، بيروت، سنة ٢٠٠٢م)، صـ ٥٩.

مع خصائص الفكر المنحرف من حيث إنه لا يبحث عن أساليب تفكير جديدة، ولا يتوقف عند تنوع الاختيارات المتاحة، كما أن الفكر المنحرف يتناقض مع ثراء الحياة الإنسانية بما تتضمنه من تنوع وعمق وتفاعل وخصوبة[١] ويترتب على هذا الإعياء التفكيري عدم التنازل عن الحكم بالتكفير حسب ما يراه صاحب هذه العلة العقلية أو النفسية.

وفي هذه الأحادية إغراق لسفينة الأمة بعد اختراق التكفير لهيكلها، وصدق رسول الله - ﷺ - ، حين قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) [٢]بهذا الخرق ينال التكفير من سفينة الأمة، فيسهل من خلاله وأدها من أعدائها الذين استوعب قلوبهم

---

(١) صفوت فرج، الشخصية أحادية العقلية، خصائص النمط ومتعلقاته (جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية سنة ٢٠٠١م العدد ١٥٥) صـ ٧٦.

(٢) أخرجه البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي) في الجامع الصحيح المختصر، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه برقم (٢٥٤٠) بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا (لناشر دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٢، صـ ٨٨٢، وأخرجه الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي) وقال حسن صحيح، راجع الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، برقم (٢١٧٣) (الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ د.ت) جـ ٤، صـ ٤٧٠.

ظلام الحقد والغليل لينال منها على نفس منوال قوله – تعالى - : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) [1].

والفكر التكفيري كذلك يسير بصاحبه نحو متاهات مغلقة ، فيجعله كالفأر الذي يتدرب على السير في متاهة مغلقة ، حيث ينطلق من بدايتها إلى نهايتها بسرعة ودقة دون أن يبحث عن مسارات جديدة أو يتوقف عند تنوع الاختيارات ، فهو ينطلق بتلقائية ولا يحتاج لتغيير اتجاهه فهو لا يخطئ الطريق ولا يبطئ السير إذ لا يرى إلا نفقاً واحداً متصلاً يؤدي به إلى هدفه.

إن أحادية البعد الواحد لا ترى إلا نصف الحقيقة وتحجب عن صاحبها النصف الآخر ، فهي بذلك معوق أساسي للشخصية والتفكير، وصاحب هذه العقلية لا يستطيع أن يدرك ثراء البدائل والتنوع والتباين ، فهو يتبع خطا أحاديا متسقا ومتصلبا في عادات العمل أو أساليب التفكير أو في الابتكار والاتجاهات حول أمور الحياة المختلفة ، وهذا النمط الفكري لا يجدي معه حوار أو نقاش فهو صعب التغيير والتعديل ، لا يستطيع أن يدرك الدرجة الرمادية بين الأبيض والأسود ، فهو فاقد للمرونة والتسامح والتقبل ويسعى جاهداً إلى التكفير والتطرف ، وما شاكل ذلك من المصطلحات الحادة المتصلبة من مظاهر الانحراف الفكري المرتبطة برؤية منغلقة إزاء بعض القضايا والثقافات ، سواء على المستوى الشخصي أو العام.

---

(١) سورة الكهف : آية ٧٩.

الفصل الثالث

إلجام من وصم السلفية بالعداء

تجردت السلفية على امتدادها من كل الصور العدوانية والكيدية، فلم تكن تدعو إلى حزبية أو مذهبية تتعصب لفكرتها وتنافس غيرها من المذاهب، لا إنها خطو على طريق منهج السلف الصالح المتمثل في كلام الله - سبحانه وتعالى - وكلام رسوله - ﷺ - ، وفيما يأتي نورد ملمحين رئيسين لمنهج السلفية بوداعته وسماحته، وتجنبه لما يهوي بالمسلم في مكان سحيق من العداء والشقاق:

أولا: السلفية منهج ربَّانيّ لا مذهبي افتراقيّ:

من المسلم به بديهياً أن نزعة المذهبية والحزبية مدعاة للخلاف والشقاق، فهي تفرق ولا تجمع، وتمزق ولا توفق، والسلفية لم تكن في شيء من ركام تلك الحزبية والمذهبية بتصوراتها الخلافية العدائية، وقد صرّح بهذه الحقيقة ترجمان السلفية " الإمام ابن تيمية " ، في مواضع متعددة من كتبه ومنه:

(إني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحداً قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها) [1].

إذن السلفية الحقة بدعوتها الموروثة أممية لا حزبية، وشمولية لا تجزيئية، مطيتها الموازنات الشرعية السديدة، وبُوصلتها الكتاب والسنة، وزادها الزهد

---

(١) أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام) مجموع الفتاوى تحقيق/ أنور الباز - عامر الجزار (ط. دار الوفاء، ط.ثالثة، سنة ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م) جـ ٣، صـ٢٢٩.

والعبادة، وشعارها اتقاء الشبهات، ومسلكها ترك ما يريب، وهي بكل حال تعطي ولا تأخذ، ولا تطمع أن تأخذ.

إنها المدرسة التي تحافظ على العقيدة والمنهج الإسلامي طبقاً لفهم الأوائل، وليست هي من تأسيس البشر، إنما هي الإسلام نفسه بالفهم الصحيح علماً وعملاً من كتاب الله وسنة نبيه- ﷺ- ، فهي تحارب الحزبية والعصبية التي تفرق بين الناس.

ويفصل ذلك الشيخ " ابن عثيمين رحمه الله" في قوله:

(السلفية: هي إتباع منهج النبي - ﷺ- وأصحابه ؛ لأنهم هم الذين سلفونا وتقدموا علينا، فاتباعهم هو السلفية، وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق، واتخاذ السلفية كمنهجٍ حزبي فلا شك أن هذا خلاف السلفية، فالسلف كلهم يدعون إلى الاتفاق والالتئام حول سنة الرسول - ﷺ- ولا يضللون من خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون أن من خالفهم فيها فهو ضال، أما في المسائل العملية فإنهم يخففون فيها كثيراً.

لكن بعض من انتهج السلفية في عصرنا هذا صار يضلل كل من خالفه ولو كان الحق معه، واتخذها بعضهم منهجاً حزبياً كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى دين الإسلام، وهذا هو الذي يُنكر ولا يمكن إقراره) [1].

---

(١) راجع شبكة المعلومات الدولية " الإنترنت " عنوان الموقع في فتوى لشيخنا العلامة " ابن عثيمين " http://ziyadsafi.maktoobblog.com/١٣٤٤٣٦١.

وبذلك فهي تدعو للأخوة الإيمانية وتحث على الأخلاق الإسلامية، وتنهى عن مسببات الخلاف والشقاق والبغضاء، وتحل ما أحل الله ورسوله وتحرم ما حرم الله ورسوله، ولا تخلع يداً من بيعة، ولا تشق عصا الجماعة، ولا تفرح بمصائب المؤمنين، وتدعو إلى الله بالحكمة.

ثانيا: سلامة منهج السلفية من العدوانية لأصالته التكوينية:

إن منهج السلفية تجسيد لمنهج النبي - ﷺ - ، وعين منهجية خير القرون ممن تخرج في مدرسة النبي على التواتر من نجوم الهداية والاقتداء عبر أفلاك ومنازل أقمار القرون الثلاثة الأولى ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولعلهم المعنيون ـ كما قال جمع من المفسرين ـ في قوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآَخِرِينَ) [1]كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة، والمراد بالأولين منهم الصحابة، وقيل: هم كلهم من هذه الأمة، والمراد بثلة من الآخرين: هم من بعد ذلك إلى قيام الساعة.

والتأصيل يبدأ بالعنعنة عن النبي ثم عن القرون الأولى، والتي قال فيها قدوة العالمين - ﷺ - :

(خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ) [2].

---

(١) سورة الواقعة: آية ١٤.

(٢) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (ط. دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٣، صـ ١٣٣٥.

"ورحم الله الأوزاعي حين قال: (وما رأي امريء في أمر بلغه عن رسول الله - ﷺ - إلا اتباعه ولو لم يكن فيه عن رسول الله - ﷺ - وقال فيه أصحابه من بعده كانوا أولى فيه بالحق منا لأن الله - تعالى - أثنى على من بعدهم باتباعهم إياهم، فقال: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[١] وقلتم أنتم: لا بل نعرضها على رأينا في الكتاب فما وافقه منها صدقناه وما خالفه تركناه، وتلك غاية كل محدث في الإسلام، رد ما خالف رأيه من السنة"[٢].

فالسلفية على درب هؤلاء الأوائل تسير بمنهجها الوادع اللين، بعيدةً عن الفظاظة والغلظة، وذاك مراد الله من خلقه، والمسلم الحق هو من يهرع إلى رسول الله مستفتياً سنته كلما طرأ له أمر ذي بال إذ أن حياته المعنوية قائمة بين المسلمين متمثلة بكتب السنة. وعليه أن يرضى بعد ذلك بحكم رسول الله الوارد في سنته. وهو إن لم يفعل ذلك فهو بحاجة إلى تجديد إيمانه، قال الله — تعالى - : (فلا وربّكَ لا يُؤمِنون حتّى يُحَكِّموك فيما شَجَرَ بينَهُم ثُمّ لا يجدوا في أنفُسِهِم حَرَجا مِمّا قَضيتَ ويُسَلِّموا تَسليما) [٣].

---

(١) سورة التوبة: آية ١٠٠.

(٢) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، ذم الكلام وأهله، بتحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، (مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨) جـ٥، صـ ١١٧.

(٣) سورة النساء: آية ٦٥.

وقال – تعالى – : (قل إن كُنتُم تُحِبّون الله فاتّبعوني يُحببكُم اللّهُ ويغفِر لكُم ذُنوبَكُم)(١) وقال تعالى (ومَن يُشاقِق الرَسولَ من بعد ما تبيّن لهُ الهُدى ويَتّبِع غيرَ سبيلِ المؤمِنينَ نوَلّهِ ما تولّى ونُصلِهِ جَهَنّمَ وساءَت مصيرا) (٢).

ويتبع سنة رسول الله – ﷺ- في الحكم سنة خلفائه من بعده، حيث قال – ﷺ- : (عَليكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الراشِدينَ المَهديينَ مِن بَعدي عَضّوا عَليها بالنواجِذ) (٣)، فما ورد من تفسير أو حكم أو قضاء عن الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم – ، هو مفسر للسنة ومقدم على اجتهاد من جاء بعدهم، إلاّ إذا تغيرت الظروف واحتاج المسلمون إلى اجتهاد جديد.

ثالثاً: قيام منهج السلفية على الوسطية والاعتدال.

مما لا شك فيه أن منهج السلفية ينبعث من روح الوسطية والوسطية هي : (الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق ومعناه أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء فليس فيه مغالاة ولا

---

(١) سورة آل عمران: آية ٣١.

(٢) سورة النساء: آية ١١٥.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة /ن حديث العرباض بن سارية السلمي، وصححه الترمذي، راجع البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الحدث السابع عشر (ط. دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض- السعودية، ط. أولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م) جـ ٩، صـ ٥٨٢.

تتطرف ولا شذوذا في الاعتقاد ولا تهاون ولا تقصير ولا تساهل ولا تفريط وهو معنى الاستقامة) (١).

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في فقه فهم الوسطية التي اعتمد عليها منهج السلف- : (فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيعا له فالغالي فيه مضيعا له؛ هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه عن الحد) (٢).

من خلال قول ابن القيم السابق يفطن اللبيب إلى وسطية منهج السلف الذي أقره شيوخ السلف.

(١) وهبه الزحيلي، مقالة بعنوان: إذا اختلى ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور- مجلة الوعي الإسلامي (إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ٢٠٠٥/١٠/٩، رقم ٤٨١) ص٤٧بتصرف يسير.

(٢) ابن القيم الجوزية مدارج السالكين (المطبعة السلفية بالقاهرة، ط الثانية، د.ت) جـ٢، صـ٥١٧.

الخاتمة

بعد هذه الجولة البحثية حول تبرئة السلفية من الغلو والتكفير وصفاء ساحتها من العداء، وأصالتها وجامعيتها للكتاب والسنة، ومنهجيتها المتواترة من أفضل القرون، نصل إلى عدة نتائج وتوصيات، نوجزها فيما يلي:

أولا: إنَّ السلفية تذبُّ عن نفسها ما نسب إليها من غلو وتكفير وعداء بلسان حالها، فهي تسقى بماء واحد، وهو منهج الكتاب والسنة، وستظل لها لمعتها وبريقها الذي لا يصدأ ببقاء منهج الله في الأرض.

ثانيا: إنَّ مشكلة اللبس الفكري والإشكال عند الحكم على السلفية يكمن في منهج الأدعياء للسلفية من هذه الشرذمة المنتسبة إليها زيفاً وزوراً، مما انعكس سلباً على دعوة السلفية المظلومة في هذا الخضم الهائل من الغبش الفكري الذي لقح العقول في زمن الإشكال والخلط.

ثالثا: إنَّ السلفية منهج وسطي معتدل، بعيد كل البعد عن الانخراط في الغلو والتنفير والتشدد، يجمله أخلاق دعاته المستأنسين بمنهج سيدنا رسول الله - ﷺ - .

رابعا: براءة السلفية من الحزبية والمذهبية، فهي ليست تيارا ولا حزبا، ولكنها منهج ربانيّ سليم قويم لم تتلاعب فيه أيدي البشر ولا أهواؤهم.

أهـم التوصيات:

يصل الباحث في منتهى بحثه إلى عدة توصيات أهمها:

١ ـ أوصي أساتذتي وزملائي بتوضيح منهج السلفية مع تعمد إخراج غيرها من أدعيائها بصورة ميدانية تفعيلية في هيئة ملتقيات فكرية ومنشورات وندوات ومؤتمرات، وحملات توعية، تحولاً من نقطة مجرد النظرية، كي

تعالج مشكلة الانقلاب الثقافي وأحادية النظرة ودسيسة الحكم على السلفية طعناً وتجريحاً.

٢ ـ تفعيل دور الجامعات والهيئات الإسلامية لعمل قناة بث فضائية علمية واقعية عالمية تسرد ملامح السلفية وتعدد أدعيائها، رفعاً للإشكال والخلط بين السلفية وأدعيائها.

والله ولي التوفيق والسداد ؛ ؛ ؛

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين..

فهرس المراجع والمصادر

أولا : القرآن الكريم.

٢ ـ أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام) اقتضاء الصراط المستقيم– – تحقيق: د. ناصر العقل – مكتبة الرشد – الطبعة الثانية، سنة١٤١١).

٣ ـ أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط. أولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض).

٤ ـ أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام) مجموع الفتاوى، (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤١٦هـ).

٥ ـ أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (الإمام)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦).

٦ ـ ابن قيم الجوزية (الإمام) مدارج السالكين، (المطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثانية).

٧ ـ ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، (ط. دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية، ط. أولى، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م).

٨ ـ ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١)، لسان العرب، (ط. دار المعارف، د.ت).

٩ ـ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، ذم الكلام وأهله، بتحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، (مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨).

١٠ ـ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: طارق بن عوض الله – دار ابن الجوزي – الطبعة الأولى، سنة١٤١٥هـ).

١١ ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال (ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط. أولى ـ١٤١٧هـ ١٩٩٦م)

١٢ ـ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، بتحقيق: زهير الشاويش (ط. المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦).

١٣ ـ أحمد (أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني) في مسنده، مسند المدنيين، من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاري، (ط. مؤسسة قرطبة – القاهرة، د. ت).

١٤ ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد (الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩)

١٥ ـ أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة - تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو — مادة غلوي (ط.دار الفكر - طبعة ثانية، سنة١٤١٨).

١٦ ـ البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي) في الجامع الصحيح المختصر، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا (لناشر دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧).

١٧ ـ بكر بن عبد الله أبو زيد، الرد على المخالف، (ط.دار العاصمة، طبعة أولى سنة ١٤١٤هـ).

١٨ ـ البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر) السنن الكبرى بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤).

١٩ ـ الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي) الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ د.ت).

٢٠ ـ جابر، سامية، سوسيولوجيا الانحراف، (القاهرة ط. دار المعرفة الجامعية، سنة ٢٠٠٤م).

٢١ ـ جاد الحق علي جاد الحق (الإمام الأكبر شيخ الأزهر) وعطية صقر (الشيخ)، نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة، (هدية مجلة الأزهر، طبعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ).

٢٢ ـ جرجس، فواز الحركات الإسلامية ودورها في الاستقرار السياسي في العالم العربي. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات، ٢٠٠٢).

٢٣ ـ جون ل. إسبوزيتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، (ط. دار الشروق، طبعة ثانية، سنة ٢٠٠٢م).

٢٤ ـ الحاكم في مستدركه، انظر المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تعليق: مصطفى عبد القادر عطا- (ط.دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة أولى، سنة١٤١١- ١٩٩٠م).

٢٥ ـ أبو الحسن علي السبكي، الفتاوى الكبرى، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت).

٢٦ ـ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر الفزعي الخثعمي (كشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبياء من الناس، ، (ط.دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥).

٢٧ ـ شكري البدري، السيف الأخضر.. الأصولية الإسلامية المعاصرة، (ط. دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٧م).

٢٨ ـ صفوت فرج، الشخصية أحادية العقلية، خصائص النمط ومتعلقاته (جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية سنة ٢٠٠١م العدد ١٥٥).

٢٩ ـ الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم) المعجم الكبير، (مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣).

٣٠ ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (دار الآفاق الجديدة – بيروت ـ ط. ثانية، ١٩٧٧).

٣١ ـ عبد المنعم منيب (الدكتور) التنظيم والتنظير "تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة بين الماضي والحاضر والمستقبل" (مكتبة مدبولي، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٩م).

٣٢ ـ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط. أولى سنة ١٤٢٢هـ).

٣٣ ـ علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر (الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة).

٣٤ ـ علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي (لناشر: دار طيبة – الرياض، لطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥).

٣٥ ـ عمر عبدا لله كامل. المتطرفون خوارج العصر، (ط. بيسان للنشر، بيروت، سنة ٢٠٠٢م)

الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (الإمام) الاقتصاد في الاعتقاد (القاهرة، ط. مكتبة صبيح، د.ت.

٣٦ ـ فهمي هويدي، المفترون: خطاب التطرف العلماني في الميزان. (القاهرة، ط. دار الشروق. ١٩٩٦ م).

٣٧ ـ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٣٨ ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (الإمام)، الجامع لأحكام القرآن، (ط. دار الكتب المصرية، د.ت).

٣٩ ـ محمد عبد الدايم الجندي، رؤية علاجية لظاهرة التكفير في ضوء الوسائل والأساليب النظرية والتطبيقية، مجلة مؤتمر ظاهرة التكفير، (إصدار جائزة الأمير نايف، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

٤٠ ـ محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط. دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط. أولى، سنة ١٤١٠).

٤١ ـ محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، بتحقيق سعد بن حمدان الغامدي (الناشر جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٤٢ ـ محمد سرور، رسالة الحجيات، (ط. دار الأرقم - طبعة أولى، سنة ١٤٠٧م).

٤٣ ـ محمد عمارة (الدكتور) صيحة نذير من فكرة التكفير ـ (ط. مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع،

٤٤ ـ مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، تقرير الحالة الدينية في مصر، إعداد جمع من الباحثين (ط. الأهرام، ط. ثانية، سنة ١٩٩٦م).

٤٥ ـ مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري)، في صحيحة، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط. دار إحياء التراث العربي — بيروت).

٤٦ ـ المناوي فيض القدير شرح الجامع الصغير، توزيع دار إحياء السنة النبوية).



ندوة السلفية

منهج شرعي ومطلب وطني

مفاهيم خاطئة

حيال المنهج السلفي

إعداد

صالح بن خليفة بن صالح الكليب

المرشد الطلابي بالمعهد العلمي بالإحساء

مدير المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالعيون

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن الله – تعالى – تعبدنا بالإسلام ولم يرض به بديلاً ولا عنه تحويلاً، قال – سبحانه –: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣]وقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].

فالإسلام دين كامل شامل ناسخ لكل الأديان قبله، جاء بخيري الدنيا والآخرة، وهو دين وسط بين الأديان وأهله هم الوسط بين الأمم، قال سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣].

وأهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وهم الوسط بين فرق الإسلام؛ رفع الله – تعالى – عنهم الإصر والحرج والأغلال ليحيوا لهم حياة طيبة ملؤها السعادة والاستقرار، قال – تعالى –: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨] وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وما خير النبي - ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهماما لم يكن إثماً؛ فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه.[١]

لذا فقد تظاهرت الأدلة على النهي عن الغلو والتنطع في الدين، قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [النساء: ١٧١]وقال – سبحانه - : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[هود: ١١٢]وقال- ﷺ - : "هلك المتنطعون؛ قالها ثلاثاً" [٢]وقال: "إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" [٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "قوله: (إياكم والغلو) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال"اهـ [٤]

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه؛ كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين؛ فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له؛ فالغالي فيه مضيع له بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد"اهـ [٥]

---

١ - صحيح مسلم: (٢٣٢٧).

٢ - صحيح مسلم: (٢٦٧٠).

٣ - صحيح سنن النسائي: (٣٠٥٧) وانظر الصحيحة: (١٧٧/٥).

٤ - اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥٨/١).

٥ - مدارج السالكين (٤٩٦/٢).

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ؛ فقد رغبت في الكتابة فيه إن شاء الله – تعالى – ، وذلك من خلال هذه الندوة التي تشرف عليها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، صاحبة الجهود المشكورة والأعمال المباركة.

وفي هذا البحث أتحدث عن : {مفاهيم خاطئة حيال المنهج السلفي} ، وذلك حسب الخطة الآتية :

- المقدمة.
- التمهيد.
- الفصل الأول : (موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف).

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : تعريف المنهج السلفي.

المبحث الثاني : تعريف الغلو.

المبحث الثالث : تعريف التطرف.

المبحث الرابع : العلاقة بين الغلو والتطرف.

المبحث الخامس : الجذور التاريخية للغلو والتطرف.

المبحث السادس : من صور الغلو في العصر الماضي.

المبحث السابع : من صور الغلو في العصر الحاضر.

المبحث الثامن : موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف.

- الفصل الثاني : (ربط المنهج السلفي بالتكفير).

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الجذور التاريخية للتكفير.

المبحث الثاني : بيان بعد المنهج السلفي عن التكفير.

المبحث الثالث: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التكفير.

المبحث الرابع: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في التكفير.

- الفصل الثالث: (اتهام المنهج السلفي بالعداء للآخر).

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أنواع الخلاف.

المبحث الثاني: موقف المنهج السلفي من المخالف.

المبحث الثالث: تعريف أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين.

المبحث الرابع: الفرق بين الأمان والذمة والعهد.

المبحث الخامس: حرمة دم المعاهد وماله.

المبحث السادس: من مواقف السلف حيال أهل العهد.

المبحث السابع: شبهة يثيرها أهل الشقاق.

المبحث الثامن: موقف المنهج السلفي من أهل الأهواء والبدع.

- الخاتمة والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع.

سائلاً المولى - عَزَّ وَجَلَّ - أن يوفقني وجميع المسلمين لمرضاته، ويجعلنا ممن يخافه ويتقيه حق تقاته، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه إنه جواد كريم، وأن يجزي القائمين على جامعتنا - وأخص بالذكر منهم معالي مديرها ووكلاءها – والقائمين على هذه الندوة خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمَّد.

تمهيد:

الوسطية والاعتدال والبعد عن الغلو؛ سمة هذه الشريعة السمحة، قال – تعالى – : {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣].

فأهل السنة والجماعة هم العدول الخيار أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين؛ عقيدة وعلماً وعملاً وأخلاقاً وسلوكاً، وقد تركنا رسول الله – ﷺ – على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وحذرنا من الغلو والتنطع والتعمق في الدين، فقال: "إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" [١] وأمرنا بالرفق واللين والأناة وعدم التكلف، فقال: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق" [٢] وقال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه؛ فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" [٣].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – : "ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالتحذير من الغلو في الدين، وأمرت بالدعوة إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولكنها لم تهمل جانب الغلظة والشدة في محلها حيث لا ينفع اللين والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال – سبحانه – : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التحريم: ٩] وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ

---

١ – سبق تخريجه.

٢ – أخرجه أحمد في مسنده (٣/١٩٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (١/٦٧) وانظر الضعيفة للألباني (٢٤٨٠).

٣ – صحيح البخاري (٣٩).

مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[التوبة : ١٢٣] وقال – تعالى – : {وَلاَ تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}[العنكبوت : ٤٦] أما إذا لم ينفع واستمر صاحب الظلم أو الكفر أو الفسق في عمله ولم يبال بالواعظ والناصح، فإن الواجب الأخذ على يديه ومعاملته بالشدة وإجراء ما يستحقه من إقامة حد أو تعزير أو تهديد أو توبيخ حتى يقف عند حده وينزجر عن باطله"اهـ [١]

فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس الذين اتبعوا سنة نبيهم، واقتدوا بهدي سلفهم مقتصدين في ذلك، معتقدين أن كلا طرفي الأمر ذميم، فارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين.

---

١ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٣/٢٠٢- ٢٠٣)

الفصل الأول

موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تعريف المنهج السلفي.

المبحث الثاني: تعريف الغلو.

المبحث الثالث: تعريف التطرف.

المبحث الرابع: العلاقة بين الغلو والتطرف.

المبحث الخامس: الجذور التاريخية للغلو والتطرف.

المبحث السادس: من صور الغلو في العصر الماضي.

المبحث السابع: من صور الغلو في العصر الحاضر.

المبحث الثامن: موقف المنهج السلفي من الغلو والتطرف.

المبحث الأول

تعريف المنهج السلفي

المنهج، والمنهاج: "الطريق الواضح" [1]

والسلفي: نسبة إلى السلف، وهم: "كل من تقدمك من آبائك وقرابتك" [2]

والمراد هنا: ما كان عليه الرسول - ﷺ - ، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالمنهج السلفي: هو الطريق التي يحصل بها تحقيق المتابعة؛ لما كان عليه النبي محمد - ﷺ - ، وأصحابه.

---

١ - الفروق اللغوية للعسكري (١/ ٢٩٨).

٢ - القاموس المحيط للفيروز آبادي (فصل السين).

المبحث الثاني

تعريف الغلو

الغلو: قال ابن دريد: "الغلـو: الارتفـاع في الـشيء، ومجـاوزة الحـد فيـه؛ ومنه قوله - جل وعز - : (لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) [النساء: ١٧١]"اهـ[١]

والمراد: مجاوزة المقدار المعتبر شرعاً؛ في أمر من أمور الدين.

١ - جمهرة اللغة (باب الغين واللام).

المبحث الثالث

تعريف التطرف

التطرف : هو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما ؛ إما الطرف الأدنى ، أو الطرف الأقصى[1].

١ - الصحاح (باب طرف).

المبحث الرابع

العلاقة بين الغلو والتطرف

التطـرف : هـو مجـاوزة الحـد والبعـد عـن التوسـط والاعتـدال إفراطـا أو تفريطـاً ، فهـو بهـذا المعنـى يشمل الغلـو ، لكـن الغلـو أخـص منـه في الزيـادة والمجاوزة ؛ فكل غلو ؛ فهو تطرف ، وليس كل تطرف غلواً.

المبحث الخامس

الجذور التاريخية للغلو، والتطرف

كان الغلو والتطرف في الدين سبباً في بعثة نوح - عليه السلام - إلى قومه حيث فشا فيهم الغلو في الصالحين مما كان سبباً في كفرهم وشركهم مع الله في عبادته غيره، فلقد غلا قوم نوح - قبل بعثته إليهم- في رجال كانوا صالحين حتى عبدوهم من دون الله، ثم إنهم صوَّروا لهم أصناماً تكون رمزاً لعبادتهم، واستمر الأمر كذلك حتى وصل إلى العرب في الجاهلية.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح ؛ في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان، وأما يعوق فكانت لهمذان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت". [١]

ثم وجد الغلو بعد ذلك عند بني إسرائيل من يهود ونصارى، فمظاهر الغلو والتطرف - لاسيما عند اليهود- واضحة جلية ؛ سواء كان ذلك في عقيدتهم، أو في ادعائهم بالباطل ؛ أنهم يمتازون عن الناس، ومن مظاهر غلوهم :

١- قولهم : {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة : ١٨].

---

١ - صحيح البخاري (٤٩٢٠).

٢- زعمهم أنهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم فيما يفعلون في غيرهم من الظلم والبغي والاعتداء؛ حرج وسبيل.

٣- قولهم: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران: ١٨٤].

٤- عيبهم الله – تعالى - بالتعب والإعياء في خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

٥- قتلهم أنبياء الله ورسله إليهم، وفسادهم وإفسادهم في الأرض. إلى غير ذلك من مظاهر تطرفهم وغلوهم.

أما في الإسلام فقد وجد الغلو في حياة النبي - ﷺ- ؛بسبب بعض الاجتهادات الخاطئة، لكنها حالات فردية لا تذكر، سرعان ما زالت عند معرفة الصواب؛ فلم تمثل عقيدة أو منهجاً لهذا الجيل، علاوة على أن ما حدث يعد أمراً وارداً في أي دعوة؛ لا سيَّما دعوةُ الإسلام؛ بسبب التباين والاختلاف في فهم أحكام الشريعة ومقاصدها، وكذلك اختلاف قوة الدافع نحو هذه الدعوة وأحكام شرعها ؛لكن النبي - ﷺ- ؛ استطاع أن يفقه أصحابه ويعلمهم الحنيفية السمحة، والبعد عن الغلو والتشدد.

المبحث السادس

من صور الغلو في العصر الماضي

الغلو عند الخوارج:

أول ما عرف الغلو الحقيقي في الإسلام؛ عرف عن طريق الخوارج، الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ؛ فقتلوه ظلماً وعدواناً وغدراً، ومن ثم ظهرت الفتن، وثارت أعاصير الشبهات؛ وأقبلت تهرول يحمل رايتها؛ الغلو والتطرف. ثم ازداد غلوهم وتشددهم لا سيَّما في قضية التكفير؛ فكفروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وخرجوا عليه.وتمادى بهم الغلو أكثر؛ فكفروا صاحب الكبيرة، واستحلوا دمه وماله، وحكموا عليه في الآخرة؛ بأنه خالد مخلد في نار جهنم.

الغلو عند المعتزلة:

ظهر غلو المعتزلة في أمور، منها:

في باب الأسماء والصفات؛ حيث أنكروها، وعطلوا الباري منها، وهو أصلهم المسمى عندهم بـ (التوحيد).

في باب القدر؛ فأنكروا قدرة الله ومشيئته لأفعال خلقه، وهو أصلهم المسمى عندهم بـ (العدل).

في باب الأسماء والأحكام ؛ حيث حكموا على صاحب الذنب في الدنيا بأنه ليس بمسلم ولا كافر ؛ بل في منزلة بينهما ، وهو أصلهم المسمى عندهم (المنزلة بين المنزلتين).[1]

الخروج على ولاة الأمور إذا وقعوا في معصية خروجاً باليد وبالسيف عند القدرة ، وهو أصلهم المسمى عندهم بـ(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

١- المعتزلة ؛ يوافقون الخوارج في الحكم على الفاسق في الحكم الأخروي ؛ دون حكم الدنيا.

المبحث السابع

من صور الغلو في العصر الحاضر

الغلو له ملامحه التي تظهر على أعمال الغلاة، والتي بها يفارقون أهل الاعتدال، ومن مظاهر الغلو في العصر الحديث:

الغلو في التكفير (تكفير الحكام):

ورد في القرآن الكريم؛ التصريح بأن الحكم بغير ما أنزل الله كفر، قال – تعالى – : {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤]

وقد ذكر أهل العلم أن مسألة الحكم بغير ما أنزل الله فيها تفصيل، فقد يكون الكفر كفر عمل، وقد يكون كفر اعتقاد.

فيكون كفر عمل: إذا حكم الحاكم في القضية بغير ما أنزل الله لشهوة، أو لهوى، أو لرشوة؛ مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ، ومجانبة الهدى.

ويكون كفر اعتقاد؛ في حالة من الحالات الآتية:

١- إذا اعتقد أحقية حكمه عن حكم الله ورسوله.

٢- أو اعتقد أن حكم غير الله أحسن وأشمل.

٣- أو اعتقد أن حكمه مساوياً لحكم الله ورسوله.

٤- أو اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله.[1]

---

١ - انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/٢١٦).

وعليه : فلا يجوز إطلاق القول بتكفير الحكام ؛ دون النظر في التفصيل السابق ؛ لأنه ما من شك في أن إطلاق القول بتكفير الحكام ؛ ينتج عنه مظاهر كثيرة من الغلو ؛ كالقتل والتفجير، وغير ذلك من الأعمال التخريبية التي تبنى على هذا الإطلاق.

الخروج على الحكام :

إن بنى على القول بتكفير الحكام بأعيانهم وجوب الخروج عليهم، ومحاربتهم ؛ مع أن السلف الصالح - رحمهم الله - ؛ قد اتفقت كلمتهم على حرمة ذلك، وعدوا فاعل هذا الفعل المشين خارجاً مارقاً عن جماعة المسلمين.

ولعظم هذه المسألة وخطورتها اهتم بها الأئمة ودونوها في كتب العقائد ؛ لأن طاعة السلطان والجهاد معه خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء.

قال النووي - رحمه الله - : "وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين"اهـ [١]

فهذا مذهب أهل السنة والجماعة ؛ خلافاً لأهل البدع من الخوارج الذين يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي والجور والظلم.

جاء في قرار هيئة كبار العلماء تعليقاً على حادث المسجد الحرام، عام (١٤٠٠) والخروج على ولي الأمر المسلم :

---

١ - شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٣١٤).

"الخروج على إمام المسلمين وولي أمرهم، وهم مع إمامهم وتحت ولايته وسلطانه في حال من الاستقرار والتكاتف والتالف والتناصح واجتماع الكلمة يحسدهم عليها كثير من شعوب العالم ودوله، مستهينين بجريمة الخروج على ولي الأمر، وخلع ما في أعناقهم له من بيعة نافذة جاهلين أو متجاهلين ما في ذلك من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة قال- تعالى- : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء: ٥٩] وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- ؛ قال: دعانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: (إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم فيه من الله برهان) واللفظ لمسلم [١] وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما- ؛ أنه سمع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية) [٢]وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ؛ أن النبي - صلى الله عليه وسلم- ؛ قال: (ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده؛ فليطعه إن استطاع؛ فإن جاء آخر ينازعه؛ فاضربوا عنق الآخر) [٣] وفي صحيح مسلم عن عرفجة بن شريح -

---

١ - البخاري (٧٠٥٥) ومسلم (١٨٤٠).

٢ - برقم (١٨٥١).

٣ - برقم (١٨٤٤).

رضي الله عنه- أن ؛ النبي - ﷺ- قال : (من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم ؛ فاضربوا عنقه كائناً من كان [1])"اهـ [2]

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : "وهذه الدولة - بحمد الله - لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها ، وإنما الذي يستبيح الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالذنوب ، ويقاتلون أهل الأوثان ، وقد قال فيهم النبي - ﷺ- : (إنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) [3] وقال : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة). متفق عليه([4]) والأحاديث في شأنهم كثيرة معلومة ، وقد قال النبي - ﷺ- : (من رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة ؛ فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة الجاهلية) [5] وقال عليه - الصلاة والسلام - في حديث الحارث الأشعري - رضي الله عنه- : (وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن : الجهاد والطاعة والهجرة والجماعة ؛ فإن من فارق

---

١ - برقم (١٨٥٢).

٢ - من الفقرة (٤) ص ٩٣- ٩٤ من بيان هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام.

٣ - البخاري (٧٥٦٢) ومسلم (١٠٦٦).

٤ - البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦).

٥ - البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩).

الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة [١]"اهـ [٢]

ومع ذلك فإن خوارج اليوم الغلاة ؛ خرجوا على حكام المسلمين خروجاً مقترناً بالتكفير، كما في كتاب : (انتقاض الاعتراض على تفجيرات الرياض)وكتاب : (الكواشف الجلية على كفر الدولة السعودية)، وإذا ضلت العقول لم يبق لضلالها حد معقول، فهؤلاء وأمثالهم مبتدعة فاسقون خارجون عن منهج أهل السنة والجماعة، مخالفون للنصوص، فينبغي للمسلم أن يتفطن لأساليبهم ولا يغتر بما يكتبونه وبما يظهرونه من غيرة، فالسمع والطاعة لولاة الأمور واجب وإن حصل منهم تقصير أو خطأ أو غلط في بعض الأشياء ؛ فإنهم ينصحون ويؤمرون ويدلون من قبل أهل الحل والعقد باللين، والأسلوب المناسب فإن امتثلوا فالحمد لله، وإن لم يمتثلوا فقد أدى الناس ما عليهم والله هو الذي يحاسبهم، لكن لا يجوز الخروج عليهم ولو جاروا ولو ظلموا.علماً بأن الخروج لا يقتصر على الخروج بالسلاح، بل الخروج بالكلمة واستغلال وسائل الإعلام والاتصال للتنفير والتحميس والتشديد أشد من الخروج بالسلاح.

---

١ - صحيح الجامع (١٧٢٤).

٢ - فتاوى ومقالات متنوعة ص (٤٩- ٩٢).

قتل الأنفس المعصومة والتفجير والتدمير:

ترتب على غلو البعض في مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله) وعدم التقيد بفهم السلف، والاستماع إلى أهل العلم الموثوق بهم ؛ نتائج وبيلة، وآثار وخيمة ؛ منها :

١- سفك الدماء المعصومة.

٢- تخريب وتدمير المرافق ومنشآت الدولة.

٣- الإساءة إلى هذا الدين وإظهاره أمام الأعداء بأنه دين الإرهاب الذي يحض على قتل الناس وسفك دمائهم واستباحة أموالهم.

وبسبب هذه الأعمال الإجرامية المنسوبة ظلماً وعدواناً لهذا الدين الحنيف ؛ ألصق أعداؤه التهم بالمنهج السلفي ؛ فنسبوه إلى الظلم والعدوان وغير ذلك مما هو منه براء. ولو كان عند هؤلاء الغلاة الذين أساءوا لأنفسهم ومجتمعهم فضلاً عن إساءتهم لدينهم، لو كان عندهم عقل ودين ولزموا غرز أهل العلم الثقات ؛ لعلموا تواتر الأدلة من القرآن والسنة على تحريم قتل المسلم عمداً بغير حق، وعصمة دماء المستأمنين والمعاهدين، وتحريم الإفساد في الأرض والتحذير من مغبته وعاقبة أمره، وترتيب العقوبات المغلظة على ذلك، واقتنعوا أن هذه الأعمال الإجرامية لا تصدر إلامن صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة.

فالإسلام بريء من هذه الأعمال التي يقوم بها هؤلاء المفسدون ورثة الخوارج، وكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منها. فلا يحق لأحد أن ينسبها للإسلام أو يحسبها على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين

بالكتاب والسنة، وإنما هي محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة الإسلامية، والفطر السوية.

قالت هيئة كبار العلماء في بعض بياناتها المنددة بهذه الأعمال: "ومن زعم أن هذه الأعمال التخريبية وما يراد من تفجير وقتل: من الجهاد؛ فذلك جاهل ضال فليست من الجهاد في سبيل الله في شيء"اهـ [1]

وقالت: "إن ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء وتخريب المنشآت، ونظراً إلى خطورة هذا الأمر وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة وإتلاف أموال معصومة وإخافة للناس وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحاً لله ولعباده، وإبراء للذمة وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليهم الأمر في ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله؛ فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله؛ لم يجز أن نكفر إلا من دَل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، ولذلك حذر النبي - ﷺ- من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: (أيما

---

١ - مجلة البحوث الإسلامية – المجلد (٦٩) ص (٣٧٥).

امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [١] وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر مَن اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره. وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها كما في الإرث سببه القرابة مثلا، وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) [٢] أخطأ من شدة الفرح.

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شُبهة. وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي - ﷺ- من منابذتهم، فقال: (إلا أن تَروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان) [٣] فأفاد قوله: "إلا أن تروا". أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة، وأفاد قوله: "كفر" أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر، كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار، والاستئثار المحرم، وأفاد قوله: "بواحاً" أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح أي صريح

١ - البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠).

٢ - صحيح مسلم (٢٧٤٧).

٣ - البخاري (٧٠٥٥) ومسلم (١٨٤٠).

ظاهر، وأفاد قوله: "عندكم فيه من الله برهان". أنه لابد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة. وأفاد قوله: "من الله"أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله؛ أو سنة رسوله - ﷺ- ، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم، لقول الله - عَزَّ وَجَلَّ- : {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]

ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين لما في ذلك مِن هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي - ﷺ- أمته فقال في خطبة حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا؛ ثم قال

- ﷺ - : ألا هَل بلغت؟ اللهم فاشهد) متفق عليه[1] وقال - ﷺ - : (كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه) [2] وقال - ﷺ - : (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) [3] وقد توعد الله – سبحانه - من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد، فقال - سبحانه - في حقّ المؤمن: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣]

وقال - سبحانه - في حق الكافر الذي له ذمة في حُكم قتل الخطأ: {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} [النساء: ٩٣]فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمداً، فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر، وقد صح عن رسول الله - ﷺ - ؛أنه قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة) [4]

ثالثاً: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان مِن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وخطورة إطلاق ذلك - لما يترتب عليه من شرور وآثام - فإنه يعلن للعالم أنّ الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام

---

١ - البخاري (١٧٣٩) ومسلم (١٦٧٩).

٢ - صحيح مسلم (٢٥٦٤).

٣ - صحيح مسلم (٢٥٧٨).

٤ - صحيح البخاري (٣١٦٦).

بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله، قال الله – تعالى – : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤- ٢٠٦]والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢] وقال – سبحانه – : {الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٧١] وقال – عز وجل – : "وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ". وقال النبي – ﷺ – : (الدين النصيحة، قيل: لمن

يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم) [1] وقال - ﷺ- : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتَعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [2] والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله —سبحانه- بأسمائه الحسنى وصفاته العلي أنْ يكشف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه"اهـ [3]

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله- : "ومن العجيب أن هؤلاء المعتدين الخارجين على حكم الإسلام يسمون عملهم هذا جهاداً في سبيل الله، وهذا من أعظم الكذب على الله؛ فإن الله جعل هذا فساداً، ولم يجعله جهاداً"اهـ [4]

تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية:

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة التفريق في أمر التكفير بين الإطلاق والتعيين، فالمعين لا يكفر إلا بعد توافر شروط، وانتفاء موانع.

---

١ - صحيح مسلم (٥٥).

٢ - البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦)

٣ - مجلة البحوث الإسلامية – المجلد (٥٩) ص (٣٥٧- ٣٦٢).

٤ - هامش رسالة (بأَيِّ عَقلٍ وَدِينٍ يَكُونُ التّفجِيرُ وَالتّدمِيرُ جِهَادَاً؟!) للسيخ عبد المحسن العباد ص(٣).

والغلاة المعاصرون يكفرون أناساً بأعيانهم ؛ دون نظر ومراعاة للضوابط الشرعية ، والقواعد المرعية في هذا الباب.

الغلو في قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر) :

أما القاعدة فصحيحة ؛ بيد أن المراد منها الكافر الأصلي ؛ كاليهود والنصارى وبقية المشركين المعلوم كفرهم بنصوص الشرع ، أو من كفر من المسلمين وظهر كفره البواح لكل أحد ، واتفقت كلمة العلماء على تكفيره.فمن لم يكفر من هذا حاله وصفته ؛ فهو كافر.أما ما ابتدعه الغلاة من تكفير أقوام علم إسلامهم ، ولم يصدر منهم قول أو فعل صريح يخرجهم من حظيرة الإسلام ، بل غاية ما هنالك أنه صدرت من بعضهم أمور ظن الجهلة الغلاة أنها مكفرة - وهي ليست كذلك- ومن ثم كفروهم وعقدوا باب الولاء والبراء على ذلك ؛ فمن لم يوافقهم على تكفيرهم فهو كافر ، فهذا من تلبيس الشيطان عليهم وتزيينه لهم سوء عملهم ، نعوذ بالله من الخذلان.

كفعل المدعو (أبو جندل الأزدي من جزيرة العرب) في كتابه : (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث) ، والمدعو (أبو محمد المقدسي)في كتابه : (كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين) فإنهما بنيا كلامهما في كتابيهما على تكفير من ثبت إسلامه بيقين ، مع أن هؤلاء لو كانوا من مرتكبي الكبائر ؛لكان لا يجوز إطلاق وصف الكفر عليهم ، فكيف بمن كفرهم بغير إثم ، ولا جريرة؟! ؛ اللهم إلا لمجرد عملهم في أجهزة الأمن عليه ؛ بل غلا بعضهم ؛ فوصف بلاد الإسلام بأنها بلاد كفر ، وحكم عليها بذلك ، ومن ثم استحل الدماء والأموال ودعا إلى الجهاد على هذه البلاد المسلمة ؛ كجماعة شكري مصطفى ، وجماعة الجهاد المصرية ، وأذناب أبي

القتاد، وغيره كأبي جندل، وأبي بصير، وأبي محمد المقدسي، وغيرهم من رؤوس الغلاة المعاصرين، والخوارج المحدثين.

الفصل الثاني

ربط المنهج السلفي بالتكفير

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الجذور التاريخية للتكفير.

المبحث الثاني: بيان بعد المنهج السلفي عن التكفير.

المبحث الثالث منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التكفير.

المبحث الرابع: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في التكفير.

تمهيد:

نوهت في الفصل السابق عن خطورة التكفير ومآلاته، وغلو الخوارج المعاصرين في هذه المسألة، ولا شك أن التكفير بغير دليل ولا مستند شرعي من أخطر البدع وأشدها على الأمة، وذلك لما يترتب عليه من استباحة للدماء والأموال والأعراض؛ كما سبق، وبينت أن التكفير بغير دليل والغلو في ذلك؛ أول البدع ظهوراً في تاريخ المسلمين.

وكما أساء الخوارج الأقدمون للإسلام وأهله إذ نسبوا إليه هذا المنهج الجائر الظالم؛ أساء الخوارج المحدثون للمنهج السلفي الذي يدعون الانتساب إليه بأفكارهم الضالة وأفعالهم المنحرفة، مما حدا بالكثير من أبناء المسلمين- ممن لم يعرف حقيقة المنهج السلفي- أن ينسبه للتكفير، وأن يعتقد أن أساس ما نحن فيه من بلاء وفتنة؛ هي هذه المسألة الشائكة؛ التي ضلت لها أفهام، وزلت فيها أقدام، وإذا كان هذا اعتقاد من ينتسب للإسلام؛ فكيف بنظرة أعدائه وهم يرون بعض أبنائه يطلق التكفير على عواهنه من غير خطام ولا زمام، ويحكم بموجب هذا المعتقد الفاسد على المسلمين بالكفر - لا سيما حكامهم ومن تعاون معهم - لا شك أنه سيكون لديه انطباع؛ بأن هذا الدين دين التكفير والتفجير والقتل والتدمير.

لقد شوه هؤلاء الإسلام في نظر الغرب، والسلفية في نظر المسلمين، وفتحوا الباب لأهل الأهواء للطعن في السلفية وعلمائها، والاصطياد في الماء العكر.

ولما كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - سلفي المعتقد والمنهج، سائراً على دربهم مقتفياً نهجهم؛ رمي ظلماً وعدواناً بهذه الفرية الجائرة التي ألصقت بالمنهج السلفي الذي ينتسب إليه، ولا شك أن

الشيخ - رحمه الله - من أبعد ما يكون عن ذلك، ومن قرأ كتبه واطلع على دعوته عرف ذلك، وهو - رحمه الله - قد تأثر بمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية وبدعوته، فلأن يتهم الشيخ بهذه التهمة فشيخ الإسلام يتهم بها من باب أولى، وهو كذلك - رحمه الله - من أبعد الناس عن هذا المسلك الظالم، وتلك البدعة الشنيعة التي هي أصل من أصول أول الفرق ظهوراً، وهم الخوارج.

لذا؛ فسأحاول في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى- تجلية موقف الشيخين من هذه المسألة، وبيان أنهما على معتقد السلف فيها، وأن:

١- ليس كل من وقع في الكفر؛ وقع الكفر عليه.

٢- الفرق بين كفر النوع، وكفر العين.

٣- إطلاق القول بكفر من قال كذا أو فعل كذا؛ لا يستلزم بالضرورة كفر القائل، أو الفاعل.

٤- كفر المعين يحتاج إلى توافر شروط وانتفاء موانع.

وذلك بالنقل من كتبهما والاستشهاد بأحوالهما، والأبلغ من ذلك؛ بيان أنهما بذلا جزءاً من دعوتهما المباركة في علاج هذه البدعة، والتحذير منها، والرد على من نعتهما بها، لكني سأعرج قبل ذلك على موقف المنهج السلفي من هذه المسألة، وبيان أنه وسط فيها بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة، وأن التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله، أما التكفير حمية وعصبية وغيرة، أو شهوة؛ فالمنهج السلفي بعيد عن ذلك كل البعد.

المبحث الأول

الجذور التاريخية للتكفير

نشأ الانحراف في التكفير منذ وقت مبكر من تاريخ هذه الأمة ؛ وذلك بخروج الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سنة سبع وثلاثين ؛ إثر تحكيم الحكمين في موقعة صفين ؛ فأنكروا عليه هذا ، وكفروه هو والحكمين ، ومن رضي بالتّحكيم.

قال ابن كثير - رحمه الله- : "لما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على علي وصرحوا بكفره"اهـ [1]

ثم انتقلت هذه البدعة من الخوارج إلى بقية الفرق المبتدعة التي خرجت عن السنة ؛ كالرافضة ، والقدرية ، والجهمية ، وغيرها من فرق الضّلال ، حتى أصبحت هذه البدعة الشنيعة سمة بارزة لعامة الفرق الضالة.

قال عبد القاهر البغدادي : "وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض ، وتبري بعضهم من بعض ، كالخوارج ، والروافض ، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً"اهـ [2]

---

١ - البداية والنهاية (١٠/٥٧٧)

٢ - الفرق بين الفرق ص (٣٦١)

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "وصار كثير من أهل البدع ؛ مثل : الخوارج والروافض والقدرية والجهمية والممثلة ؛ يعتقدون اعتقاداً هو ضلال يرونه هو الحق ، ويرون كفر من خالفهم في ذلك"اهـ[1]

وما زال التكفير ينتشر عبر القرون وينتقل من جيل إلى جيل - تخبو ناره أحياناً ، وأحياناً أخرى تشتعل- إلى أن رأينا آثار المدمرة في عصرنا هذا ، فانتشر التكفير بين أوساط الشباب بغير دليل بسبب تأثرهم بأفكار أهل البدع وضلالاتهم حتى وصل الحال بهم أن كفروا العلماء القائمين بأمر الدين علماً وعملاً ، وفتوى وحسبة ، نصحاً وتوجيهاً لأئمة المسلمين وعامتهم ، بل بلغ تلاعب الشيطان بهم أن كفروا المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

---

١ - مجموع الفتاوى (١٢/٤٦٦- ٤٦٧)

المبحث الثاني

بيان بعد المنهج السلفي عن التكفير

افترق الناس في المسلم الواقع في الكفر إلى فرق ثلاث : طرفان ووسط ، أما الطرفان :

فأحدهما : تكفيره وإخراجه من الإسلام. وهو قول الخوارج.

وثانيهما : نفي التكفير عنه مطلقاً. وهو قول المرجئة.

وأما واسطة الطرفين ، وهو الذي عليه المنهج السلفي ؛ فهو التفصيل التالي :

أولاً : الخطأ في عدم التكفير خير من الخطأ في التكفير.

ثانياً : التحذير من الكفر والوقوع فيه ، وفي نفس الوقت التحذير من الحكم على مسلم بالكفر من غير حجة وبرهان.

ثالثاً : التكفير مسألة خطيرة لا تناط إلا بالعلماء الكبار.

رابعاً : دلالة الشرع على أن تلك المخالفة هي كفر مخرج من الملة.

خامساً : انطباق الحكم بالكفر على الشخص المعين بحيث تقوم الحجة عليه ؛ بتحقق شروط التكفير وانتفاء موانعه.

سادساً : التفريق بين التكفير المطلق الوارد في النصوص وأقوال الأئمة ، وبين تكفير المعين.

فالتكفير من دين الإسلام لا يستطيع أحد أن ينفيه مطلقاً[1] إلا أن ذلك مرتبط بالأصول والقواعد التي ذكرناها.

ولابن القيم - رحمه الله- تلخيص جيد لقاعدة أهل السنة والجماعة في مسألة التكفير وتقرير لها، حيث قال: "وها هنا أصل آخر، وهو: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً، ولا من قامت به معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيماناً، وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً"اهـ[2]

١- لا يكاد يوجد كتاب من كتب الفقه الجامعة؛ إلا وفيه باب (حكم المرتد).

٢ - الصلاة وحكم تاركها ص (٤٠- ٤١)

المبحث الثالث

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التكفير

ظهرت دعوة شيخ الإسلام في زمان اندرس فيه مذهب السلف أو كاد، فأقام الله بدعوته مذهب أهل السنة والجماعة، وأحيا ما اندرس منه، ونشر المنهج السلفي، وألف الكتب، ورد على المناوئين حتى استقر قرار الدعوة، وآتت أكلها. ومن استقرى دعوته - رحمه الله - ، واطلع على أقواله وأحواله؛ عرف أنه بعيد عن التكفير المنفلت؛ حريص على بيان الحجة وتوضيح المحجة؛ فهو دائماً يدندن على أن السلفيين يعرفون الحق ويرحمون الخلق، ويرجعون في إطلاق المسميات الشرعية من (مؤمن وكافر وفاسق) وغير ذلك؛ إلى نصوص الوحيين من الكتاب والسنة؛ فالحكم فيها لله ولرسوله، وأنه لا يسع أحد من الناس أن يجتهد فيها برأي؛ أو أن يحكم فيها بهوى، كما لا يسعه أن يحكم على عمل ما؛ بأنه طاعة أو معصية، أو حلال أو حرام، إلا بنص شرعي.

فمن أقواله - رحمه الله - في هذه المسألة:

قال: "الإيجاب والتحريم، والثواب والعقاب، والتكفير والتفسيق؛ هو إلى الله ورسوله؛ ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرمه الله ورسوله"اهـ [1]

---

١ - مجموع الفتاوى (٥/٥٤٤)

وقال : "هذا ، وأنا في سعة صدر لمن يخالفني ؛ فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية ؛ فأنالا أتعدى حدود الله فيه ؛ بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل ، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس ؛ حاكماً فيما اختلفوا فيه"اهـ [1]

وقال - رحمه الله- : "ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا ؛ فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام ، فكفر أهلها المسلمين ، واستحلوا دماءهم ، وأموالهم"اهـ [2]

---

١ - مجموع الفتاوى (٣/٢٤٥)

٢ - مجموع الفتاوى (١٣/٣١)

المبحث الرابع

منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في التكفير

إن مما منَّ الله به على هذه البلاد في هذه الأزمان المتأخرة ؛ أن قيض لها من يعيدها إلى المنبع الصافي والدين الصحيح بعد قرون من الانحرافات ، والغرق في الضلالات ؛ فقام الإمام محمد بن عبد الوهاب بدعوة الناس إلى التوحيد ، ونبذ الشرك والبدع والخرافات ، واجتمع لدعوته السيف والقرآن ؛ فقامت دولة التوحيد وطبقت شرع الله ونشرت عقيدة السلف في أرجاء الأرض ، واجتمعت الكلمة على هذه الدعوة المباركة - الحكام والعلماء والعامة- على قلب رجل واحد ؛ إلى أن نبغت نابغة من بني جلدتنا تأثروا بالدعوات الوافدة المخالفة لسبيل المؤمنين ؛ فنابذوا هذه الدولة العداء ، ووجهوا سهامهم إليها ، وأخذوا يهيجون الناس ضدها ، ويضخمون الأخطاء ، ويعلنونها على الملأ ، ووجدوا من داخل البلاد وخارجها من يؤزهم على ذلك أزّاً ؛ حتى وصل بهم الأمر إلى أن اتهموا دعوة الشيخ - رحمه الله - ؛ بأنها السبب في التكفير والتفجير والتدمير، ومن ثم دعوا إلى مراجعة كتب أئمة الدعوة ورسائلهم ، بل ووصفها بعضهم بأنها سلفية تقليدية ، وأن فيها جموداً ، وجوانب مظلمة.

والحق - الذي لا مرية فيه ولا شك يعتريه - أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- بريئة من ذلك كله ، فدعوته ؛ هي دعوة من سبقه من أهل الدين والإصلاح ؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله ،

وقبل ذلك هي دعوة السلف الصالح التي ترسم الشيخ طريقها، واقتفى منهاجها، وحذا حذوها، ولم يحد عنها قيد أنملة.

فالشيخ - رحمه الله- كغيره من أهل العلم؛ يكفر من كفره الله ورسوله؛ مراعياً منهج أهل السنة والجماعة في ذلك، فيفرق بين تكفير النوع، وتكفير العين؛ فيطلق الكفر على القول والفعل، ولا يلزم من ذلك تكفير كل من وقع فيه، وقد حذا أئمة الدعوة - رحمهم الله - حذوه في ذلك، ونصوا في أكثر من مقام على أن باب التكفير ليس لكل أحد أن يلجه، بل هو لأهل العلم الراسخين فيه.

فالمتأمل في حقيقة دعوة الشيخ يجد أنه ضيق مجال التكفير جداً، وجعله وقفاً على أهل العلم ووفقاً للنصوص الشرعية، والضوابط المرعية.

يقول - رحمه الله- : "وأما التكفير؛ فأنا أكفر من عرف دين الرسول- ﷺ- ؛ ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى الناس عنه وعادى من فعله؛ فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد؛ ليسوا كذلك"اهـ [١]

ويقول - رحمه الله- : "ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام"اهـ [٢]

ويقول - رحمه الله- : " يذكر لنا من أعداء الإسلام من يذكر؛ أنا نكفر بالذنوب مثل .. شرب الخمر والزنا، أو غير ذلك من كبائر الذنوب، فنبرأ إلى الله من هذه المقالة"اهـ [٣]

---

١ - الدرر السنية (١/٨٣)

٢ - الدرر (١/٣٢)

٣ - الدرر (١٠/١٢٩)

ويقول في رسالة لأحد علماء العراق: "ومنها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة؛ ويا عجباً! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟! هل يقول هذا مسلم أو كافر؟ أو عارف أو مجنون؟"اهـ [١]

ويقول: "وأما القول إنا نكفر بالعموم؛ فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم"اهـ [٢]

ويقول - رحمه الله- في معرض كلامه عن تارك الصلاة كسلاً من غير جحود: "ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم"اهـ [٣]

ويقول ابنه الشيخ عبد الله - رحمه الله- : "ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت، ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً"اهـ [٤]

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله- : "الأصل الخامس: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفر، وأما الشعبة نفسها؛ فيطلق عليها اسم الكفر؛ كما في الحديث: "اثنتان في أمتي هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت" [٥]

---

١ - الدرر (١/ ٨٠)

٢ - الدرر (١/ ١٠٠)

٣ - الدرر (١/ ١٠٢)

٤ - الدرر (١/ ٤٣٣)

٥ - صحيح مسلم (٦٧)

وحديث : "من حلف بغير الله فقد كفر"[1] ولكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق"اهـ [2]

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله- : "فإن الشيخ محمداً - رحمه الله - ؛ لم يكفر الناس ابتداء إلا بعد قيام الحجة والدعوة ؛ لأنهم إذ ذاك في زمن فترة وعدم علم بآثار الرسالة ، ولذلك قال : لجهلهم وعدم من ينبههم ، فأما إذا قامت الحجة فلا مانع من تكفيرهم"اهـ [3]

فمن خلال هذه النقول ؛ يتبين أن دعوة الشيخ ، ومن ثم المنهج السلفي الذي تنسب إليه ؛ بريئة من التكفير غير المنضبط ، وأن الذي انتشر بين الشباب اليوم ؛ هو منهج الخوارج ، وليس منهج السلف الصالح.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله- ؛ محذراً من هذا الفكر الضال ؛ ناصحاً أربابه من مغبته مع كونهم ينتسبون لدعوة جده ، وقد رأى بادرته تظهر في عصره ؛ فأرسل إليهم ينكر عليهم ، ويدافع عن الشيخ ودعوته ؛ قال : "وقد رأيت سنة أربعة وستين ؛ رجلين من أشباهكم المارقين في الإحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة ، وكفرا من في تلك البلاد من المسلمين ، وحجتهما من جنس حجتكم ؛ يقولان : أهل الإحساء يجالسون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت ، ولم يصرح بتكفير جده الذي رد دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها ؛ قالا : ومن لم

---

١ - المسند للإمام أحمد (٢٢٢/٨) وسنن الترمذي (١٥٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٢٩/١٠) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٨٩/٨)

٢ - الدرر (٤٨٤/١)

٣ - الدرر (٤٣٤/١٠)

يصرح بكفره، فهو كافر بالله؛ لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسه فهو مثله. ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين؛ ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام؛ حتى تركوا رد السلام؛ فرفع إلي أمرهم فأحضرتهم وهددتهم وأغلظت لهم القول؛ فزعموا أولاً: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم؛ فكشفت شبهتهم، ودحضت ضلالاتهم بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسوله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر؛ كتكفير من عبد الصالحين، ودعاهم مع الله وجعلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات الإلهية، وهذا مجمع عليه من أهل العلم والإيمان"اهـ[1]

وقد سار علماؤنا الكبار- من لدن عهد الشيخ - رحمه الله- مروراً بأبنائه وتلامذته وأحفاده - رحمهم الله- ووصولاً إلى الشيخين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله ومشايخنا الموجودين الآن - حفظهم الله - على هذه الطريقة السلفية البريئة من الغلو والتطرف، والقول على الله بلا علم.

فمما قالوه وقرروه في هذه المسألة؛ أن: "التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى اللّه ورسوله؛ فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة. ولما كان مرد حكم التكفير إلى اللّه ورسوله؛ لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة؛ فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة

١ - الدرر السنية (٣/٢٠).

والظن؛ لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات؛ مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير؛ فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، ولذلك حذر النبي - ﷺ- من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [1] وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها؛ كما في الإرث: سببه القرابة – مثلاً- وقد لا يرث بها؛ لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر؛ يكره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما؛ فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ أخطأ من شدة الفرح) [2] والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيره مما يترتب على الردة؛ فكيف يسوغ للمؤمن أن يُقْدِم عليه لأدنى شبهة؟ وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد، لما يترتب عليه من التمرد عليهم، وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي - صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم- من منابذتهم، فقال: (إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم فيه

---

١ - البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠).

٢ - مسلم (٢٧٤٧).

من اللّه برهان)[1] فأفاد قوله: (إلا أن تروا) أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة. وأفاد قوله:

(كفراً) أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر، كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار، والاستئثار المحرم. وأفاد قوله: (بواحاً) أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح أي صريح ظاهر، وأفاد قوله: (عندكم فيه من اللّه برهان) أنه لا بد من دليل صريح بحيث يكون صحيح الثبوت صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة. وأفاد قوله: (من اللّه) أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة؛ إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب اللّه، أو سنة رسوله - ﷺ - ، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرُّع في التكفير له خطره العظيم، لقول اللّه - عز وجل - : {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]"اهـ[2]

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية - حفظه الله - : "الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ، أما بعد: فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

---

١ - سبق تخريجه.

٢ - من بيان لهيئة كبار العلماء حول خطورة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت، وقد سبق الاستشهاد به كاملاً.

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣]؛ يقول الإمام الطبري - رحمه الله- : (وأرى أن الله - تعالى ذكره - ؛ إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها) [١] فأهل الإسلام وسط في الملل؛ لا غلو فيهم ولا جفاء، فيعبدون ربهم كما أمرهم الله - سبحانه وتعالى - ، وكما جاء في سنة النبي - ﷺ- ، ويتعاملون مع الخلق بميزان الشرع، ويحسنون إليهم بأنواع الإحسان التي جاء بها الإسلام، ثم إن النبي - ﷺ- وجه أمته توجيهاً حكيماً فقال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) أخرجه الإمام أحمد [٢] ويقول - ﷺ- : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه؛ فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة).متفق عليه [٣] وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- ؛ يقول النبي - ﷺ- : (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين).أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه [٤] والغلو في الشيء هو

---

١ - جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٢/٣)

٢ - أخرجه أحمد في مسنده (١٩٩/٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧/١) وانظر الضعيفة للألباني (٢٤٨٠).

٣ - هو في البخاري برقم (٣٩).

٤ - انظر الصحيحة (١٧٧/٥).

مجاوزة الحد فيه، والغلو في الدين مجاوزة الحد فيه، والغلو في الأشخاص مجاوزة الحد في تعظيمهم وهكذا، وقد بين النبي - ﷺ - أن الغلو في الدين هو مجاوزة الحد فيه بأبلغ بيان حين قال - ﷺ - كما في حديث أبي ثعلبة الخشنى - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - ﷺ - : (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تقربوها، وترك أشياء عن غير نسيان؛ فلا تبحثوا عنها) [1] وفي هذا بيان شاف لوسطية ملة الإسلام وتحذير من أنواع الغلو، ألا وهو الغلو في الدين، فبين أن دين الله إما فرائض واجبة الأداء على الأفراد بأعيانهم أو على مجموع الأمة يجب أن يقوم بها من يتأدى بهم الفرض، فهذا النوع من الدين يجب الحرص على فعله بهيئته في وقته والحذر من تضييعه، وهناك بقية الدين فيما سوى الفرائض وهي إما مستحبات أو مباحات، أو منهيات أو مسكوت عنها، فالمستحب والمباح لهما حد لا يجوز للمسلم أن يجاوزه، ولذا قال: (وحد حدوداً فلاتعتدوها) ومما حده سبحانه المستحبات والمباحات، فإنها وإن كانت مطلقة من وجه، فإن لها حدوداً يجب على المسلم أن يقف عندها ولا يجاوزها وإلا كان غالياً في دينه، وقد وقع هذا في زمن النبي - ﷺ - ؛ فعالجه أبلغ علاج وأنجعه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي - ﷺ - عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش - وهذا منهم على وجه القربة - فحمد الله وأثنى عليه،

---

١ - أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٧٦).

ثم قال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).أخرجه البخاري ومسلم [1]وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هلك المتنطعون قالها ثلاثاً) [2] يقول ابن المنير - رحمه الله- : (رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة)اهـ والغلو أو التطرف، تارة يكون في الدين وهذا منهي عنه، وتارة يكون في محاربة الدين وهذا تطرف مقابل، ومعلوم أن هذين طرفا نقيض والعلاقة بينهما أن كل واحد منهما يغذي صاحبه، فالغلو في محاربة الدين ينتج غلواً في الدين وتنطعاً فيه وكذا العكس. ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وأمة الإسلام وسط بين الأمم، والغلاة ليسوا متمسكين بالدين على الحقيقة وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمثال هؤلاء: (فمن رغب عن سنتي فليس مني).متفق عليه.ويقابلهم من أعرض عن الدين بل وحاربه؛ فهذا تطرف في الجفاء عن الدين وقد ينتج عنه أنواع من الإرهاب الفكري أو المسلح، أو يكون هو سبباً في نمو الإرهاب كردة فعل لهذا النهج

---

١ - البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

٢ - صحيح مسلم (٢٦٧٠).

الخاطئ الضال. والإسلام قد جاء ببيان شافٍ في محاربة الإرهاب بصوره السيئة ويتضح ذلك حين نرى الشرع المطهر قد صنف أعمالاً ضمن أشد الأعمال جرماً وهي الآن تعد من الإرهاب ومن تلك الأعمال:

القتل العمد العدوان لمعصوم الدم: وهذا محرم مؤكد التحريم وجزاؤه في الإسلام القتل. قال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة: ٣٢] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى[}البقرة: ١٧٩]وقال: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا}[النساء: ٩٣]وقال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ}[الأنعام: ١٥١].

الإفساد في الأرض، بقطع الطريق وترويع الآمنين ويدخل فيه التفجيرات واختطاف الطائرات والسفن والقطارات وغيرها: وهذا من كبائر الذنوب وجزاؤه مغلظ إما القتل أو الصلب أو تقطع الأيدي والأرجل من خلاف أو السجن زيادة على عذاب الله يوم القيامة.قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}المائدة: ٣٣].

محاولة تغيير النظام بالقوة مع شرعية الحاكم وهذا من الكبائر وعقابه القتل، يقول النبي - ﷺ- : (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد

يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه).أخرجه مسلم [1] وهذا من حرص الإسلام على المحافظة على النظام العام في المجتمع الإسلامي.

السرقة: وجزاؤها في الإسلام قطع اليد. قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[]} المائدة: ٣٨].

وغير هذا كثير؛ لذا نجد أن هذا التشريع الإلهي هو الصالح فقط لأن يطبق في جميع الأرض على اختلاف الطبقات والدول واللغات والأعراف وأنه متى طبق سعدت البشرية وأمنت.وفق الله الجميع للفقه في الدين والالتزام بسنة سيد المرسلين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين"اهـ [2]

---

١ - برقم (١٨٥٢).

٢ - مجلة البحوث الإسلامية العدد (٧٨) ص (٢٨٦- ٢٩٢).

الفصل الثالث

اتهام المنهج السلفي بالعداء للآخر

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أنواع الخلاف.

المبحث الثاني: موقف المنهج السلفي من المخالف.

المبحث الثالث: تعريف أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين.

المبحث الرابع: الفرق بين الأمان والذمة والعهد.

المبحث الخامس: حرمة دم المعاهد وماله.

المبحث السادس: من مواقف السلف حيال أهل العهد.

المبحث السابع: شبهة يثيرها أهل الشقاق.

المبحث الثامن: موقف المنهج السلفي من أهل الأهواء والبدع.

تمهيد:

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله- : "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه وإلا إذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله، لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لابد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة، فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة"اهـ [1]

فالاختلاف من سنن الله الكونية التي لا بد من وقوعها بين الخلق، قال – تعالى - : {وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود : ١١٨].

قال ابن كثير - رحمه الله- : "ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم، ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم"اهـ [2]

وهو من الخصال المذمومة التي ذمها الله ورسوله. قال –تعالى- : {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}البقرة: ١٧٦] وقال – تعالى - {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا}البقرة: ٢١٣] وقال – تعالى - : {وَلَا

---

١ - الصواعقالمرسلة (٥١٩/٢).

٢ - تفسير القرآن العظيم (٣٦١/٤).

تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}آل عمران: 105].

وقال - ﷺ- : (إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم). (1)

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- : "الخلاف شر"اهـ (2)

وقد حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على نبذ الخلاف والفرقة؛ مع كونه واقع لا محالة، إلا أنهم ضيقوا موارده، وسدوا ذرائعه قدر الإمكان.

لذا ينبغي على المسلم أن يكون على معرفة بالخلاف وأسبابه وأنواعه؛ حتى يحذر من الوقوع في الفرقة والتنافر؛ فإن الخلاف منه ما هو سائغ ومنه ما ليس بسائغ، ويعرف كذلك الموقف الصحيح من المخالف بلا إفراط ولا تفريط، فيبتعد عن الغلو ويعامله بما يستحق أن يعامل، على حسب نوع المخالفة وحجمها.

وقبل الولوج في بيان ذلك نعرج على بيان ماهية (الآخر) الذي يُتهم المنهج السلفي بعدائه.

فأقول مستعيناً بالله: لا شك أن (الآخر) أي: الطرف المقابل؛ إما أن يكون مسلماً، أو كافراً، ولكل حكمه، فإن كان مسلماً فينظر: هل هو على الجادة أم لا؟ فإن كان على الجادة متقيداً بالمنهج السلفي عقيدة ومنهجاً فهذا

---

1 - البخاري (7288) ومسلم (1337).

2 - سنن أبي داود (1960).

مستحق للمحبة والموالاة والنصرة، وإن صدرت منه مخالفة، وبدت منه هنات؛ فإنها تطوى ولا تروى؛ مع تعاهده بالنصح والتذكير.

وإن كان منحرفاً عن الصراط زائغاً عن الحق؛ فينظر: فإن كان انحرافه في باب الشهوات؛ فهذا عاص يوالى بقدر ما فيه من إيمان ويعادى بقدر ما فيه من عصيان، مع بذل النصح له والتذكير وتخويفه بالعلي الكبير، وإن لم يمكن رجوعه وتقويمه إلا بالهجر؛ هجر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا"اهـ [1]

وإن كان انحرافه في باب الشبهات، فهذا يناقش وتبسط له الأدلة حتى يعرف الحق ويعود لصوابه، فإن أقيمت عليه الحجة فأبى واستنكف؛ فهو مبتدع يعامل بما يعامل به المبتدعة من هجرهم وزجرهم.

أما لو كان (الآخر) كافراً، فهذا له أحوال أربعة: إما أن يكون ذمياً أو مستأمناً أو معاهداً أو محارباً.

فإن كان من أهل الذمة أو الأمان أو العهد؛ فقد ذكر أهل العلم أحكامهم، وما لهم وما عليهم؛ بحيث يقطع الناظر بسماحة الإسلام

---

١ - مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٩).

ورحمته العامة بالمخالفين، ولو كانوا كافرين، ونهيه عن الغلو والتطرف ولو في المعاملة مع من يدين بغير الإسلام.

وإن كان محارباً؛ فهذا له أحكام مذكورة في كتب الجهاد في المؤلفات الفقهية؛ على ما سيأتي إن شاء الله –تعالى- .

المبحث الأول

أنواع الخلاف

توطئة :

تقسيم الدين إلى أصول وفروع، ومن ثم تقسيم الخلاف بناء على ذلك، فما كان في الأصول فهو خلاف غير سائغ، وما كان في الفروع فهو خلاف سائغ، تقسيم محدث لا أصل له عند السلف الصالح - رضوان الله عليهم- .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي - ﷺ- وجماهير أئمة الإسلام؛ وما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها، ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها. فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول - أي العقيدة- وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع - أي الفقه- فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع، وهو تفريق متناقض؛ فإنه يقال لمن فرق بين النوعين: ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟ فإن قال: مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل، قيل له: فتنازع الناس في محمد هل رأى ربه أم لا؟ وفى أن عثمان أفضل من علي، أم علي أفضل؟ وفى كثير من معاني القرآن، وتصحيح

بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية، ولا كفر فيها بالاتفاق"اهـ[1]

لذلك يقول الشاطبي - رحمه الله- : "الاجتهاد الواقع في الشريعة ضربان، أحدهما الاجتهاد المعتبر شرعاً، وهو الصادر عن أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفتقر الاجتهاد إليه.والثاني: غير المعتبر، وهو الصادر عمن ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه، لأن حقيقته أنه رأي بمجرد التشهي، فكل رأي صادر عن هذا الوجه؛ فلا مرية في عدم اعتباره، لأنه ضد الحق"اهـ[2]

وعليه فيمكن تقسيم الخلاف؛ إلى:

١- خلاف سائغ: وهو ما كان في المسائل الاجتهادية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل الخبرية والعلمية كما قد بسط في غير موضع كمن اعتقد ثبوت شيء لدلالة آية أو حديث وكان لذلك ما يعارضه ويبين المراد ولم يعرفه؛ مثل من اعتقد أن الذبيح إسحاق لحديث اعتقد ثبوته."[3]

وقال - رحمه الله- : "وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يُرد منها، وإما لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله:

١ - مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٦).

٢ - الموافقات (٤/١٦٧).

٣ - مجموع الفتاوى (٢٠/٣٣- ٣٦).

{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا[]}البقرة: ٢٨٦]وفي الصحيح قال: (قد فعلت)"اهـ[١]

وقال: "فلا يكون فتنة وفرقة؛ مع وجود الاجتهاد السائغ"اهـ[٢]

وقال: "مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه"اهـ[٣]

٢- خلاف غير سائغ: ويكون في ما لا مجال للاجتهاد فيه، كالتوحيد وأصول الإيمان، وحجية السنة، ووجوب الصلاة وعدد ركعاتها، ووجوب الصوم والحج، فأدلة هذه المسائل قطعية الثبوت والدلالة، تضافرت الأدلة الصحيحة الصريحة في الكتاب والسنة على إثباتها.

قال ابن تيمية - رحمه الله- : "من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه؛ فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع"اهـ[٤]

وقال الذهبي - رحمه الله - : "ومن عاند، أو خرق الإجماع؛ فهو مأزور"اهـ[٥]

---

١ - مجموع الفتاوى (١٩/٢٨٦).

٢ - الاستقامة (١/٣١).

٣ - مجموع الفتاوى (٢٠/٢٠٧).

٤ - مجموع الفتاوى (٤/١٧٢-١٧٣).

٥ - سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٣٢٢).

وقال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : "ثم اعلموا وفقكم الله، إن كانت المسألة إجماعاً فلا نزاع، وإن كانت مسائل اجتهاد؛ فمعلوم أنه لا إنكار في من يسلك الاجتهاد"اهـ [1]

[تنبيه] القول بأن الخلاف في مسألة ما سائغ؛ لا يمنع من تحري الحق، وقيام المحاورة والمناظرة بين أهل العلم للوصول إلى مراد الشرع فيها.

---

١ - الدرر السنية (١/ ٤٣).

المبحث الثاني

موقف المنهج السلفي من المخالف

سبق القول بأن التوسط والاقتصاد وعدم الغلو من شعار المنهج السلفي، ولعل طريقة السلف - رحمهم الله - في تعاملهم مع المخالف من أظهر الأدلة التي تبين بعد المنهج السلفي عن الغلو؛ فهم لا يشنعون على المخالف لمجرد المخالفة؛ بل ينظرون؛ فإن كان خلافه مما يسوغ؛ فهذا لا تجوز قطيعته، فضلاً عن أن يجعل الخلاف سبباً لشر أو فرقة أو تشرذم أو تنافر.

قال يونس الصدفي: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة"اهـ [١]

وإن كان خلافه مما لا يسوغ؛ فهذا يعرف وتعرض عليه الأدلة، ويدعى بالتي هي أحسن.

[تنبيه]: قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "ليست كل مخالطة للمخالفين مذمومة كما يظن بعض الجهلة من المتعالمين في هذا الزمان، بل قد تحمد المخالطة إن كانت لأجل الدعوة، وبيان الحق للمخالفين، وإصلاح ما عندهم من فاسد الأفكار، هذه مخالطة محمودة لمن كان أهلاً لذلك من ذوي العلم والخبرة بأحوال أهل الأهواء، وألاعيبهم"اهـ [٢]

---

١ - سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦).

٢ - الأجوبة المفيدة في أسئلة المناهج الجديدة ص (٢١٩).

ولذا يجب التفريق بين هذا النوع من الاختلاف السائغ، وبين غيره من الاختلاف المذموم. وبناء عليه يتحدد الموقف من المخالف؛ فعدم التشنيع على المخالف ما دام الخلاف معه سائغاً من ثوابت المنهج السلفي.

قال سفيان الثوري: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه، وأنت ترى غيره فلا تنهه"اهـ[1]

وقال: "ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً عنه من إخواني أن يأخذ به"اهـ (الفقيه والمتفقه ٢/ ٦٩)

وقال أحمد فيما يرويه عنه ابن مفلح: "لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهب، ولا يشدد عليهم"اهـ[2]

لذا يقول ابن تيمية - رحمه الله - : "مسائل الاجتهاد؛ من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه"اهـ[3]

لكن هذا لا يمنع - كما سبق ذكره- من محاورته للوصول إلى الحق، بل هو الأولى، إذ مازال السلف يرد بعضهم على بعض لاعتقادهم بأن هذا من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين.

فهذه هي أصول المنهج السلفي في التعامل مع المخالف؛ إذا كان خلافه سائغاً، فلا ينكرون عليه إنكاراً يؤدي إلى الفرقة؛ بل يبينون له ما صح في المسألة، وينبهونه على دليلها.

---

١ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٦٩).

٢ - الآداب الشرعية (١/ ١٨٦)

٣ - مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٧).

المبحث الثالث

تعريف أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين

قسم أهل العلم الكفار إلى أربعة أنواع ؛ بحسب ما جاءت به النصوص والآثار، هي :

١- حربيون.

٢- ومعاهدون.

٣- ومستأمنون.

٤- وذميون.

وميزوا كل نوع من هؤلاء بخصائص يعرف بها حتى يعطى ما له من حق ويمنع مما ليس مستحقاً له.

١- فالكافر الذمي : هو الذي يستوطن بلاد الإسلام ويلتزم بدفع الجزية وتجري أحكام الإسلام عليه.

٢- والكافر المعاهد : هو من بين دولة الإسلام ودولته عهد وصلح على وضع الحرب مدة معينة أو مطلقة، كما عاهد النبي - ﷺ - قريشاً على وضع الحرب عشر سنين، فصاروا بهذا الصلح معاهدين.

٣- والكافر المستأمن : هو الكافر الحربي الذي يدخل بلاد الإسلام بأمان وإذن من مسلم، كما دل على ذلك قوله – تعالى- : {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ} [التوبة :

٦] وكما في قوله - ﷺ- : "قد أجرنا من أجرت يا أم هاني". [١]
فالعهد لا يكون إلا من الإمام أو نائبه، أما الأمان فيجوز من آحاد المسلمين.

وهؤلاء الثلاثة - ما داموا على هذه الحال- معصوموا الدم والمال لا يحل التعرض لهم لأنهم داخلون تحت قول الله – تعالى - : {وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ} [الفرقان: ٦٨] فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف يقال فيمن قتل عمداً فلا شك ولا ريب أن الإثم أعظم.

٤- أما القسم الرابع: فهو الكافر الحربي: وهو كل كافر ليس بذمي ولا معاهد ولا مستأمن.

وهذه نصوص للإمام ابن قدامة؛ تبين مدى سماحة هذه الشريعة ورحمتها بالمخالف، ولو كان حربياً، حيث تبين أحكام الجهاد وآدابه وطريقة معاملة المحارب إذا وقع في الأسر.

قال - رحمه الله - :

١- "من أسر أسيراً لم يكن له قتله حتى يأتي به الإمام.

٢- إذا جاء المسلم بمشرك ادعى أنه أسره وادعى الكافر أنه أمنه ففيها ثلاث روايات إحداهن: القول قول المسلم لأن الأصل معه، فإن الأصل إباحة دم الحربي وعدم الأمان، والثانية: القول قول الأسير لأنه يحتمل صدقه وحقن دمه فيكون هذا شبهة تمنع من

---

١ - البخاري (٦١٥٨) ومسلم (٣٣٦).

قتله ، والثالثة : يرجع إلى قول من ظاهر الحال يدل على صدقه فإن كان الكافر ذا قوة معه سلاحه فالظاهر صدقه ، وإن كان ضعيفاً مسلوباً سلاحه فالظاهر كذبه فلا يلتفت إلى قوله.

٣- إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله مسلماً أو ذمياً أو أقرضهما إياه ، ثم عاد إلى دار الحرب نظرنا : فإن دخل تاجراً أو رسولاً أو متنزهاً أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانه في نفسه وماله.

٤- إذا دخل حربي دار الإسلام بغير أمان نظرنا فإن كان معه متاع يبيعه في دار الإسلام وقد جرت العادة بدخولهم إلينا تجاراً بغير أمان لم يعرض لهم.

٥- إذا سبوا لم يفرق بين الوالد وولده ولا بين الوالدة و ولدها ، والجد في ذلك كالأب والجدة فيه كالأم ، ولا يفرق بين أخوين ولا أختين.

٦- لا يجوز تحريق العدو بالنار.

٧- إذا دخل حربي دار الإسلام بغير أمان وادعى أنه رسول قبل منه ، ولم يجز التعرض له.

٨- كل من دخل بلاد المسلمين من أرض الحرب بتجارة بويع ، ولم يسأل عن شيء.

٩- قال الصديق - رضي الله عنه - في وصيته ليزيد ؛ حين بعثه أميراً : "يا يزيد لا تقتل صبياً ولا امرأة ولا هرماً ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شجراً

مثمراً ولا دابة عجماء ولا شاة إلا لم أكلة ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه ولا تغلل". [1]

١ - بتصرف من المغني (١٣/١٠٥- ١١٧).

المبحث الرابع

الفرق بين الأمان والذمة والعهد

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد؛ وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان، وقد عقد الفقهاء لكل صنف باباً فقالوا: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة، ولفظ الذمة والعهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ الصلح، فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد، وقولهم: هذا في ذمة فلان أصله من هذا، أي: في عهده وعقده، أي: فألزمه بالعقد والميثاق، ثم صار يستعمل في كل ما يمكن أخذ الحق من جهته، سواء وجب بعقده أو بغير عقده، وهكذا لفظ الصلح عام في كل صلح، وهو يتناول صلح المسلمين، بعضهم مع بعض وصلحهم مع الكفار، ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء أهل الذمة عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله، بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة، وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رسل وتجار ومستجيرون، حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا

حاجة من زيارة أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهاجروا ولا يقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يعرض له قبل وصوله إليه فإذا وصل مأمنه عاد حربياً كما كان"اهـ [1]

المبحث الخامس: حرمة دم المعاهد وماله:

قتل الذمي والمعاهد والمستأمن عمداً؛ حرام وكبيرة من الكبائر ورد الوعيد الشديد عليها، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ، عن النبي - ﷺ - أنه قال: "من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً". [2]

وقتله عن طريق الخطأ فيه الدية والكفارة، قال - عز وجل - : {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٩٣].

وذهب أبو حنيفة - رحمه الله - إلى قتله؛ لأن من قتل المعاهد الذي له من الإمام عهد بالأمان فقد افتأت على الإمام بنقض عهده مع هذا الذمي، وهذا يدل على خطورة هذا الفعل، ومدى فداحته.

هذا بالنسبة لدمه؛ أما ماله فعن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله - ﷺ - : "ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل

---

١ - أحكام أهل الذمة (٢/٨٧٣)

٢ - البخاري (٣١٦٦).

شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه؛ فله أن يعقبهم بمثل قراه". [1]

قال ابن القيم - رحمه الله- : "أحكام المستأمن والحربي مختلفة، لأن المستأمن يحرم قتله وتضمن نفسه ويقطع بسرقة ماله، والحربي بخلافه"اهـ[2]

المبحث السادس: من مواقف السلف حيال أهل العهد:

صور تطبيق هذه التعاليم والأحكام في تاريخ المسلمين كثيرة ومتنوعة، منها:

١- عن ابن عمر - رضي الله عنهما- ؛أن عمر بن الخطاب - ﷺ- ؛ رأى حلة سيراء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك؛ فقال رسول الله- ﷺ- : "إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة"؛ ثم جاءت رسول الله - ﷺ- ؛ منها حلل، فأعطى عمر منها حلة؛ فقال عمر: يا رسول الله كسوتنيها، وقد قلت في حلة عطارد ما قلت؟ فقال رسول الله - ﷺ- : "إني لم أكسكها لتلبسها"؛ فكساها عمر أخاً له مشركاً بمكة"اهـ [3]

---

١ - سنن أبي داود (٤٦٠٤)

٢ - أحكام أهل الذمة (٢/٧٣٧).

٣ - البخاري (٨٨٦) ومسلم (٢٠٦٨).

٢- وكان عمر - رضي الله عنه- ؛ يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة والمعاهدين ؛ خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى ، فيقولون له : "ما نعلم إلا وفاء" أي : وفاء بمقتضى العقد والعهد الذي بينهم وبين المسلمين"اهـ (١)

٣- ودخل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أسألك كتاب الله. قال عمر : ما ذاك؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي- وكان عدد من رؤوس الناس ، وفيهم العباس بمجلس عمر - فسأله : يا عباس ؛ ما تقول؟ قال : نعم ، أقطعنيها أبي أمير المؤمنين ، وكتب لي بها سجلاً. فقال عمر : ما تقول يا ذمي؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله – تعالى- ؛ فقال عمر : نعم ، كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ؛ قم فاردد عليه ضيعته يا عباس"اهـ (٢)

---

١ - تاريخ الأمم والملوك (٤/٢١٨).

٢- صفة الصفوة (٢/١١٥).

المبحث السابع

شبهة يثيرها أهل الشقاق

ومع ما سبق ذكره ؛ سمعنا من يحتج بإباحة قتل أهل العهد في بلاد الإسلام بأن بلادهم حاربت بعض دول المسلمين، وقتلت رجالها، وهتكت أعراض نساءها، واستباحت أموالها.

وهذا تعليل عليل ؛ لأن كون تلك الدول حاربت المسلمين لا يشفع لهم أن يعتدوا على من أدخلوه بلادهم بإذنهم وأمانهم ففي ذلك نكث للعهد وخيانة للوعد، وهذا يأباه الإسلام وتستقبحه الفطر السوية.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : "لا يجوز قتل الكافر المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً، ولا قتل العصاة، ولا التعدي عليهم ؛ بل يحالون للحكم الشرعي"اهـ [١]

وقال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله- : "أنا أوافق على أنه ليس عندنا أهل ذمة، لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام ويؤدون الجزية وهذا مفقود من زمان طويل، ولكن لدينا معاهدون، ومستأمنون، ومعاهدون معاهدة عامة، ومعاهدة خاصة ؛ فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تجارة وسمح له بذلك ؛ فهو إما معاهد أو مستأمن لا يجوز الاعتداء عليه، وقد ثبت عن النبي - ﷺ- ؛ أنه قال: (من قتل معاهداً لم يرح

---

١ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٨/٢٤٣).

رائحة الجنة)[1] فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ- ، محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمن أخل بذلك فقد أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق؛ فهذا هو الذي يرجى خيره وفلاحه"اهـ[2]

وقالت هيئة كبار العلماء: "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه، أما بعد، فإن مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٣/٣/١٤٢٤ استعرض حوادث التفجيرات التي وقعت في مدينة الرياض مساء يوم الاثنين ١١/٣/١٤٢٤ وما حصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم.

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام قد جاءت بحفظ الضروريات الخمس وحرمت الاعتداء عليها، وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل. ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة، والأنفس المعصومة في دين الإسلام إما أن تكون مسلمة؛ فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة، وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب العظام، يقول الله – تعالى - : {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}[النساء: ٩٣]ويقول – سبحانه- : {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ

---

١ - البخاري (٣١٦٦).

٢ - مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤٩٣/٢٥).

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة: ٣٢]قال مجاهد - رحمه الله- : (في الإثم)[١] وهذا يدل على عظم قتل النفس بغير حق الآية.ويقول النبي - ﷺ- : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة".متفق عليه [٢] وهذا لفظ البخاري. ويقول - ﷺ- : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله". متفق عليه[٣] من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- . وفي سنن النسائي [٤] عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- عن النبي - ﷺ- ؛ قال: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم". ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يوماً إلى الكعبة؛ فقال: "ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك". [٥] كل هذه الأدلة وغيرها كثير تدل على عظم حرمة دم المرء المسلم وتحريم قتله لأي سبب من الأسباب، إلا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فلا يحل لأحد أن يعتدي على مسلم بغير حق، يقول أسامة بن زيد - رضي الله عنهما- : "بعثنا رسول الله -

---

١ - انظر تفسير الطبري (١٠/٢٣٣).

٢ - البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦).

٣ - البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

٤ - برقم (٣٩٩٨).

٥ - ابن ماجه (٧٨٥) وانظر الصحيحة (٣٤٢٠).

ﷺ- إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي - ﷺ- ، فقال يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله!قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم". متفق عليه [١] وهذا لفظ البخاري. وهذا يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك وهم مجاهدون في ساحة القتال لما ظفروا به وتمكنوا منه نطق بالتوحيد، فتأول أسامة - رضي الله عنه- قتله على أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي - ﷺ- عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل على حرمة دماء المسلمين، وعظيم جرم من يتعرض لها. وكما أن دماء المسلمين محرمة، فإن أموالهم محرمة محترمة، بقول النبي - ﷺ- : "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا".أخرجه مسلم [٢] وهذا الكلام قاله النبي - ﷺ- في خطبة يوم عرفة، وأخرج البخاري ومسلم نحوه في خطبة يوم النحر. وبما سبق يتبين تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق، ومن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- ، عن النبي - ﷺ- ؛ قال: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً".أخرجه البخاري [٣] ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد؛ فإن نفسه وماله

---

١ - البخاري (٦٨٧٢) ومسلم (٩٦).

٢ - برقم (١٦٧٩) وهو عند البخاري بنحوه؛ برقم (١٧٣٩).

٣ - برقم (٣١٦٦).

معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله؛ فإنه كما قال النبي - ﷺ- :(لم يرح رائحة الجنة). وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبي - ﷺ- : "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم". [1] ولما أجارت أم هانئ رضي الله عنها رجلاً مشركاً عام الفتح، وأراد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- أن يقتله؛ ذهبت للنبي - ﷺ- ؛ فأخبرته، فقال: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ".أخرجه البخاري ومسلم[2] والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له، ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله.

إذا تبين هذا فإن ما وقع في مدينة الرياض من حوادث التفجير؛ أمر محرم لا يقره دين الإسلام، وتحريمه جاء من وجوه:

١ - أن هذا العمل اعتداء على حرمة بلاد المسلمين وترويع للآمنين فيها.

٢ - أن فيه قتلاً للأنفس المعصومة في شريعة الإسلام.

٣ - أن هذا من الإفساد في الأرض.

٤ - أن فيه إتلافاً للأموال المعصومة.

وإن مجلس هيئة كبار العلماء إذ يبين حكم هذا الأمر ليحذر المسلمين من الوقوع في المحرمات المهلكات، ويحذرهم من مكائد الشيطان، فإنه لا يزال بالعبد حتى يوقعه في المهالك، إما بالغلو بالدين، وإما بالجفاء عنه ومحاربته

---

١ - أحمد (٢/١٩١- ٢١١، ١٩٢) وأبو دواد (٢٧٥١، ٤٥٣١) وابن ماجه (٢٦٥٩، ٢٦٨٥) وانظر الإرواء (٢٦٥/٧)

٢ - البخاري (٦١٥٨) ومسلم (٣٣٦).

والعياذ بالله، والشيطان لا يبالي بأيهما ظفر من العبد، لأن كلا طريقي الغلو والجفاء من سبل الشيطان التي توقع صاحبها في غضب الرحمن وعذابه. وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتل أنفسهم بتفجيرها فهو داخل في عموم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة". أخرجه أبو عوانة في مستخرجه من حديث ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - [1] وفي صحيح مسلم [2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً".وهو في البخاري بنحوه. ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني تسلط الأعداء عليها من كل جانب، وهم يفرحون بالذرائع التي تبرر لهم التسلط على أهل الإسلام وإذلالهم، واستغلال خيراتهم، فمن أعانهم في مقصدهم وفتح على المسلمين وبلاد الإسلام ثغراً لهم فقد أعان على انتقاص المسلمين والتسلط على بلادهم، وهذا من أعظم الجرم. كما أنه يجب العناية بالعلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة، وذلك في المدارس والجامعات وفي المساجد ووسائل الإعلام، كما أنه تجب العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي على الحق، فإن الحاجة بل الضرورة داعية إليه الآن أكثر من أي وقت مضى،

---

١ - هو عند البخاري برقم (٦٠٤٧) والنسائي برقم (٣٨٢٢) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

٢ - برقم (١٠٩).

وعلى شباب المسلمين إحسان الظن بعلمائهم والتلقي عنهم، وليعلموا أن مما يسعى إليه أعداء الدين الوقيعة بين شباب الأمة وعلمائها، وبينهم وبين حكامهم، حتى تضعف شوكتهم وتسهل السيطرة عليهم، فالواجب التنبه لهذا. وقى الله الجميع كيد الأعداء، وعلى المسلمين تقوى الله في السر والعلن والتوبة الصادقة الناصحة من جميع الذنوب، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة. نسأل الله أن يصلح حال المسلمين، ويجنب بلاد المسلمين كل سوء ومكروه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه"اهـ.

المبحث الثامن

موقف المنهج السلفي من المبتدع

أما إذا كان المخالف مبتدعاً، فينظر: إن كان داعية لبدعته أو لا؛ فإن كان ممن يدعو لبدعته هجر وحذر منه بعينه، وإن كان لا يدعو لبدعته نوقش بالتي هي أحسن، وعُرف الصواب حتى يفيء إلى الجادة.

وكذلك يفرق المنهج السلفي بين من كان رأساً في البدعة، ومن ليس كذلك، كل هذا وفق الضوابط الشرعية، والقواعد المرعية، فالسلفيون هم أرحم الخلق بالخلق وأنصح الخلق للخلق، والمنهج السلفي قائم على الاعتدال والوسطية والرحمة بالمخالف، حتى الكافر؛ فمن رحمة الإسلام به أنه قد يقاتل على الإسلام حتى لا يموت على الكفر ويخلد في النار، فإذا كان ذلك كذلك فكيف الحال بالمسلم المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة؛ لابد أن يحتويه السلفيون، ويرفقون به، ويتعاهدونه بالنصح حتى يعود إلى الصراط المستقيم، فإن عاد، وإلا يكون قد جنى على نفسه، وحينئذ يعامل بما يستحق من الهجر والزجر والتعزير.

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - : "السلف لا يبدعون كل أحد، ولا يسرفون في إطلاق كلمة البدعة على كل أحد، إنما يصفون بالبدعة من فعل فعلاً لا دليل عليه يتقرب به إلى الله؛ من عبادة لم يشرعها رسول الله - ﷺ- ؛ أخذاً من قوله - ﷺ- : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛

فهـو رد) [١] وفي روايـة : (مـن أحـدث في أمرنـا مـا لـيس منـه ؛ فهـو رد) [٢] فالبدعة ؛ هي : إحداث شيء جديد في الدين ، لا دليل عليه من كتاب الله ولا سنة رسول الله - ﷺ - ، هذه هي البدعة ، وإذا ثبت أن شخصاً ابتدع بدعة في الدين وأبى أن يرجع ؛ فإن منهج السلف أنهم يهجرونه ويبتعدون عنه ولم يكونوا يجالسونه. هذا منهجهم لكن كما ذكرت بعد أن يثبت أنه مبتدع ، وبعد أن يناصح ولا يرجع عن بدعته ؛ فحينئذ يهجر لئلا يتعدى ضرره إلى من جالسه وإلى من اتصل به ، ومن أجل أن يحذر الناس من المبتدعة ، ومن البدع. أما المغالاة في إطلاق البدعة على كل من خالف أحداً في الرأي ، فيقال : هذا مبتدع ! كل واحد يسمي الآخر مبتدعاً ، وهو لم يحدث في الدين شيئاً ؛ إلا أنه تخالف هو وشخص ، أو تخالف هو وجماعة من الجماعات ، هذا لا يكون مبتدعاً. ومن فعل محرماً أو معصية ؛ يسمى عاصياً ، وما كل عاص مبتدع ، وما كل مخطئ مبتدع لأن المبتدع من أحدث في الدين ما ليس منه ، هذا هو المبتدع ، أما المغالاة في اسم البدعة بإطلاقها على كل من خالف شخصاً فليس هذا بصحيح ؛ فقد يكون الصواب مع المخالف ، وهذا ليس من منهج السلف"اهـ [٣]

فتلخص من كلام الشيخ حفظه الله ؛ ما يلي :

السلف لا يبدعون كل أحد ، ولا يسرفون في إطلاق كلمة البدعة على كل أحد ، إنما يصفون بالبدعة من استحق ذلك.

---

١ - مسلم (١٧١٨).

٢ - البخاري (٤٤١٨) ومسلم (١٧١٨).

٣ - المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان (١٧٨/١).

عدم المغالاة في إطلاق البدعة على كل من خالف أحداً في الرأي.

المبتدع يُناصح أولاً ؛ فإن رجع ؛ وإلا فإن منهج السلف أنهم يهجرونه ويبتعدون عنه.

أن الهجر من الرحمة به حتى يعرف أنه على خطأ، والرحمة بالآخرين لئلا يتعدى ضرره إليهم، وحتى يحذر الناس من المبتدعة ومن البدع.

من فعل محرماً أو معصية يسمى عاصياً، وما كل عاص مبتدع، وما كل مخطئ مبتدع.

ولقد طبق علماؤنا - رحم الله ميتهم وحفظ حيهم - ؛ هذا المبدأ في التعامل مع المخالف الذي قررناه آنفاً في دعوتهم وسيرتهم، فهذا هو الشيخ ابن باز - رحمه الله — يردو على أحد القائلين بقول الأشعري ويخاطبه برفق ولين عساه يرعوي ويوفق للصواب، فيقول في مقدمة رده عليه :

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد : فقد اطلعت على المقابلة التي أجرتها مجلة (......) مع ...... ونشرت في العدد رقم (....) وتاريخ........ وعلى مقالاته الست المنشورة في أعداد المجتمع : رقم (.....) وتاريخ....... ورقم (.....) وتاريخ .... ورقم (.......) وتاريخ .... ورقم (....) وتاريخ .... ورقم (.....) وتاريخ .... ورقم (.....) وتاريخ ....، وقد اشتملت على أخطاء نبه على بعضها صاحب الفضيلة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في مقاله المنشور بمجلة .... في عدد .... رقم (.....) وتاريخ .... وفي مجلة المجتمع بعددها رقم (.......) وتاريخ .... و(.....) في ....وقد أجاد وأفاد وأحسن - جزاه الله خيراً - ونصر به الحق. وقد رأيت التنبيه على ما وقع فيها من أخطاء تأكيداً لما ذكره الدكتور

صالح، ومشاركة في الخير ونشر الحق، واستدراكاً لأخطاء لم يتعرض لها فضيلة الدكتور صالح في مقاليه المشار إليهما، والله الموفق"اهـ.

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ، ، أما بعد :

فبعد كتابة هذا البحث ظهرت لي النتائج الآتية :

١- الغلو داء قديم وجد في مختلف العصور ابتداء من نبي الله نوح عليه السلام ، ومروراً بعصر نبيِّنا - ﷺ- ، وحتى يومنا هذا.

٢- ذمُّ الإسلام للغلو ، وتحذيره منه ، ونهيه عنه بأحوط الأساليب وأردعها.

٣- اختلاف أسبابه ومظاهره ؛ من عصر لآخر ، ومن بيئة لأخرى ؛ ومن ثم تفاوت آثاره وأضراره من عصر لآخر ؛ تبعاً للأسباب الدافعة ، والبيئة المحيطة.

٤- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ؛ بريئة من الغلو والعنف والتكفير ، وما يثيره بعض الجاهلين وأهل الأهواء ؛ من أن العنف والغلو والتشدد صادر عن منهج الدعوة فهو باطل قطعاً ، فلا يجوز بحال نسبة شيء من ذلك إلى الدعوة ومنهجها ، لكنها ظواهر تبتلى بها كل أمة.

٥- رحمة هذه الشريعة ، وسعتها ، وشموليتها ، ورحمتها بالمخالف.

ومن أعظم الأمور التي تعالج الغلو والتطرف وتجتثه من جذوره :

١- التمسك بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة ، والتفاف الشباب حول علماء الأمة الربانيين ، والبعد عن المشبوهين والمفسدين.

٢- التفاف الشعوب حول حكامها المسلمين ، وطاعتهم في المعروف ، وعدم غشهم ، ومناصحتهم سراً ، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد.

٣- تحذير الشباب من الغلو والتطرف، ومن كبار الغلاة بأعيانهم، والتحذير من كتبهم ومؤلفاتهم.

٤- تحذيرهم من القنوات الفضائية المنحرفة، والمواقع المشبوهة التي تدمر الدين، والعقيدة.

٥- تأليف الكتب والردود التي تكشف شبهات الغلاة، وتحصن عقول الشباب من الانسياق وراء تلك الشبهات.

٦- عقد الندوات والمحاضرات والدروس التي تجتث الإرهاب من جذوره، وتكثيف ذلك في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد.

٧- استقراء شبهات الغلاة وتلبيساتهم، أو الأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم، والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم؛ ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والحوار الجاد مع المنظرين، والمتبوعين منهم.

وفي الختام أسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه خير الأمة الإسلامية، وخاصة هذه البلاد المباركة، وأسأل الله أن يكفي المسلمين شرَّ وخطرَ الغلاة والمتطرفين، وأن يديم علينا نعمة الأمن والأمان والإيمان.

المصادر والمراجع

١- أحكام أهل الذمة لابن القيم.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية.

٣- تاريخ الأمم والملوك للطبري.

٤- جامع البيان في تأويل القرآن ؛ المعروف بتفسير الطبري.

٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٦- المغني لابن قدامة المقدسي.

٧- صحيح البخاري مع فتح الباري.

٨- صحيح مسلم مع شرح النووي.

٩- صحيح سنن النسائي.

١٠- سنن النسائي.

١١- سنن ابن ماجه.

١٢- صفة الصفوة لابن الجوزي.

١٣- صحيح الجامع للألباني ،

١٤- ضعيف الجامع للألباني.

١٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ؛ المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم.

١٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٧- مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري.

١٨- المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين.

١٩- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة.

٢٠- الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة.

٢١- موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب لأبي الخيل.

٢٢- مجلة البحوث الإسلامية.

٢٣- مدارج السالكين لابن القيم.

٢٤- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز.

٢٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

٢٦- لسان العرب لابن منظور.

٢٧- الدرر السنية في الأجوبة النجدية.

٢٨- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي.

٢٩- البداية والنهاية لابن كثير.

٣٠- الصلاة وحكم تاركها لابن القيم.

٣١- الاستقامة لابن تيمية.

٣٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم.

٣٣- الموافقات للشاطبي.

٣٤- سنن الترمذي.

٣٥- سنن أبي داود.

٣٦- السنن الكبرى للبيهقي.

٣٧- إرواء الغليل للألباني.

٣٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها للألباني.

٣٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة.

٤٠- سير أعلام النبلاء للذهبي.

٤١- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي.

٤٢- الآداب الشرعية لابن مفلح.

٤٣- المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان.

٤٤- المسند للإمام أحمد.

٤٥- مجمع الزوائد للهيثمي.

٤٦- الفروق اللغوية للعسكري.

٤٧- القاموس المحيط للفيروز آبادي.

٤٨- جمهرة اللغة لابن دريد.

٤٩- مختار الصحاح للجوهري.

٥٠- مجلة البحوث الإسلامية.

٥١- بأَيِّ عَقلٍ وَدِينٍ يَكُونُ التّفجِيرُ وَالتّدمِيرُ جِهَادَاً للسيخ عبد المحسن العباد.



أوراق العمل
المحور الثالث



إبطال تقسيم السلفية إلى تيارات

إعداد

د. عبدالعزيز بن محمد السعيد

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن انقسام السلفية إلى تيارات دعوى يروج لها، كما أن ممارسة عملية تقسيم السلفية واقع لا يمكن إنكاره أوالتغاضي، بقطع النظر عن النشأة والبواعث ومن يقف وراءه.

ويرتبط بذلك طائفتان ؛ إحداهما تتبنى التقسيم بالانتماء إليه من الناحية العملية، بإطلاق لقب عليها ـ باعتبار المنهج لا باعتبار العامل ـ يحصرها في وصف ضيق من مكونات المنهج السلفي، مع عدم التوافق معه في هذه الصفة على الوجه الذي يجب أن تكون موافقة له فيها، كالسلفية الجهادية، والسلفية العلمية.

والطائفة الأخرى تتبنى هذا التقسيم لا من حيث الانتماء إليه، ولكن من حيث إرادة الطعن في المنهج السلفي عموما، أو في الطائفة المنتمية للمنهج السلفي بلقب مخصوص، أو الطائفة التي اخترع لها اسم هي براء منه، بإضافته إلى وصف أوشخص، أو وقت أوحال، أو جماعة، كما يردد: السلفية الوهابية، أوالسلفية الألبانية، أوالسلفية التكفيرية، أو السلفية التراثية، أو السلفية التقليدية، أو السلفية التبليغية، أو السلفية الإخوانية، أو السلفية التحريرية، أو السلفية العقلانية.

والمطلع على الكتابات يرى فيها تجاوزا لتقييد السلفية بأوصاف أوأسماء منها مايفارق السلفية في بعض أصولها، كقولهم: السلفية الشيعية، أو السلفية الإباضية، أو السلفية الزيدية، أو السلفية الطرقية، أو السلفية

المرجئة ، بل ربما قيدها بعضهم بمذاهب ومناهج معاصرة ، وفيها ما يناقض الإسلام أصلا كقولهم : السلفية الماركسية ، أو السلفية الليبرالية ، أو السلفية الاستشراقية ، بقطع النظر عن المراد بالسلفية ، وهذه ليست موضع بحثنا لظهور بطلانها ، وعدم صحة انتسابها للسلف أصلا.

ولما كان هذا التقسيم له خطر بالغ على المنهج السلفي بإيقاع التحريف عليه ، وخطر بالغ على الأمة كذلك في تصوراتها وأحكامها وعلاقاتها ، رأيت أنه من الضروري نقض هذه الدعوى ؛ حفاظا على المنهج السلفي من نسبة ماليس منه إليه ، وبيانا لخطأ أو ضلال من تبني هذه الدعوى نظريا أوعمليا ، وتصحيحا للمفاهيم الخاطئة والتي قد تكون علقت في أذهان كثير ، لاسيما مع كثرة ترديد ذلك في وسائل الإعلام .

وإن كنت لم أر ـ في حدود ما اطلعت عليه ـ من سبقني إلى هذا ؛ فإني أرجو أن يكون ذلك مفتاحا يوجه الأنظار إلى إشباع هذه القضية بحثا ، بدراسة جذورها وأسبابها وآثارها وشبهاتها ومواقف أهل العلم منها ؛ إظهارا للحق ، ودحضا للباطل.

وفي هذه الورقة اقتصرت على إبطال تقسيم السلفية إلى تيارات أو حركات أو طوائف أو اتجاهات ؛ لاقتضاء المساحة الوقتية والكتابية للمؤتمرات ذلك.

وقد انتظمت الورقة محورين ، الأول في بيان حقيقة السلفية ، وهو تمهيد للمحور الثاني الذي هو عنوان الورقة المقصود أصالة بها.

هـذا وأسـأل الله تعـالى لـي وللقـائمين علـى هـذا المـؤتمر والمـشاركين فيـه التوفيق والسداد، والأجر والثواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهـو حـسبنا ونعم الوكيل.

المحور الأول: حقيقة السلفية

قبل الشروع في رد هذه الدعوى أوالفرية أعرج على بيان حقيقة السلفية بأصولها ومكوناتها ؛ حتى يلحظ الفرق بين السلفية الحقة وبين السلفية المدعاة أو المتوهمة.

فالسلفية نسبة إلى السلف الصالح وهم الصحابة رضوان الله عليهم، الذين ورثوا النبي صلى الله عليه وسلم في العلم والعمل والدعوة والمنهاج، ثم التابعون لهم على طريقتهم.

واعتمادها على الكتاب والسنة في أصول الدين والشرائع والأخلاق والسلوك، سواء أكان ذلك في مسائل الإجماع أم في مسائل الاجتهاد.

وهو المبين في قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

فالسلفية ـ إذن ـ ليست حزبا ؛ ولاتيارا ؛ ولا حركة، ولاطائفة مخصوصة بمكان أوزمان، وليست تكتلا سياسيا غطاؤه الدين، وليست تعتمد أو تنفرد بأصول تتجاوز أصول الإسلام أوتخالفه، بل السلفية هي دين الله الذي ارتضاه لعباده إلى قيام الساعة، بجميع شرائعه في التوحيد والإيمان، والصلاة والزكاة والصيام والحج، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي العلاقات والحقوق، والمعاملات، والسياسات، وغيرها، بحقائقها وحدودها وشرائطها، فهي الإسلام كله، وهي وحدة لاتفرق فيها.

وأهلها هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، وأهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، وأهل الأثر والسواد الأعظم، والغرباء، جماعة المسلمين، الجماعة.[1]

قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله تعالى، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا)[2].

وقال الحافظ ابن بطة ـ رحمه الله ـ بعد ذكره جملة من الآثار في التمسك بالسنة (فالذي ذكرته ـ رحمكم الله ـ في هذا الباب من طاعة رسول الله صلى

---

١ انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٣٧٥)، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٩ / ٢٣٨)، فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٤٢)، حكم الانتماء للشيخ بكر أبو زيد (ص٤١) مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا لكتاب صيانة الإنسان (ص٧)، السلفية في المجتمعات المعاصرة د. محمد فتحي عثمان (ص٤ ـ ١٠)، المنهج السلفي عند الشيخ الألباني للشيخ عمرو عبد المنعم سليم (ص١٤).، تعريف الخلف بمنهج السلف للدكتور إبراهيم البريكان (ص١٩ـ٢٤)، أهل السنة والجماعة للدكتور صالح الدخيل (ص٧٥ ـ ٩٥)، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للدكتور إبراهيم الرحيلي (١ / ٣٦ ـ ٣٧)، المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث (ص٢٩ ـ ٣٧).

٢ أخرجه الآجري في الشريعة (٣ / ١١٢٨)، وعبدالله بن أحمد في السنة (١ / ٣٥٧ رقم ٧٦٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ٩٤)، والتيمي في الحجة (١ / ٩٥).

الله عليه وسلم، وحضضت عليه من اتباع سنته، واقتفاء أثره، موافق كله لكتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله، وهو طريق الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين والصحابة والتابعين، وعليه كان السلف الصالح من فقهاء المسلمين، وهي سبيل المؤمنين، التي من اتبع غيرها ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا)[1].

وبهذا يعلم أن السلفية هي الدين الخالص، السالم من شوائب المحدثات، وحبلها موصول بالكتاب والسنة، ليست بدعا في الدين، ولا خروجا عن سبيل المؤمنين، ولم يكن تأسيسها على يد الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، ثم الإمام محمد بن عبدالوهاب (ت١٢٠٦هـ) رحمهم الله، على حدّ زعم بعضهم [2]، بل هم سلفيون مجددون، كانت لهم مواقف مشهودة في الثبات على منهج السلف، والدعوة إليه، والدفاع عنه.

قال قوام السنة رحمه الله: (وأهل السنة والجماعة لم تتعد الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، ولم تتبع المتشابه وتأويله ابتغاء الفتنة، وإنما اتبعوا الصحابة والتابعين، وما أجمع المسلمون عليه بعدهم قولاً وفعلاً).[3]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد؛

---

١ الإبانة (١ / ٢٦٨).

٢ انظر جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لـ ع. أمير مهنا، وعلي خريس (ص١١٤)، وقاموس المذاهب والأديان للدكتور حسين علي حمد (ص١١٧).

٣ الحجة في بيان المحجة (٢ / ٤١٠)

فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة ؛ فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ومتنازعون في إجماع من بعدهم ، وأحمد بن حنبل ـ وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة ـ فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولا ، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله ، علمها ودعا إليها وصبر على من امتحنه ليفارقها ، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة ، فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ، ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله تعالى ، وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخروا الرافضة وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولاة الأمور ، فلم يوافقهم أهل السنة والجماعة حتى تهددوا بعضهم بالقتل وقيدوا بعضهم وعاقبوهم وأخذوهم بالرهبة والرغبة ، وثبت الإمام أحمد بن حنبل على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة ، ثم طلبوا أصحابهم لمناظرته ، فانقطعوا معه في المناظرة يوما بعد يوم ولم يأتوا بما يوجب موافقته لهم بل بين خطأهم فيما ذكروه من الأدلة... ولكن بسبب المحنة كثر الكلام ورفع الله قدر هذا الإمام ، فصار إماما من أئمة السنة وعلما من أعلامها ؛ لقيامه بإعلامها وإظهارها واطلاعه على نصوصها وآثارها وبيانه لخفى أسرارها ، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيا ، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب : المذهب لمالك والشافعي والظهور لأحمد ، يعنى أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد وهو كما قال)[1].

---

١ منهاج السنة (٢/ ٣٦٣ـ ٣٦٥)، وقال في مجموع الفتاوى (٣ / ١٧٠) تعليقا على قول بعض

" وحين دار النزاع في أصول الدين بين الفرق الإسلامية، وحاول الجميع الانتساب للسلف أصبح مدلول السلفية اصطلاحا خاصا، يطلق على من تمسك بالكتاب والسنة واقتدى بالسلف الصالح في فهم الإسلام وتطبيقه"[1] "وإنما تأخرت النسبة إليه لأنه لم يكن ثم في حياة المسلمين غيره، فلما حصلت الفرقة في الأمة برزت الحاجة للانتساب له، رمزا للحق، ودلالة عليه).[2]

وتميز المنهج السلفي عن الفرق الإسلامية بتقديم النقل على العقل، ورفض التأويل الكلامي، والاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والوقوف عند النص.[3]

شيوخ المغرب: (يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض).

١ العقيدة السلفية والمنحرفين عنها للطيب الجكني (ص٢٦).

٢ تعريف الخلف بمنهج السلف (٢٥) باختصار، وانظر الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي (ص٤٧)، وحكم الانتماء للشيخ بكر أبوزيد (ص٤٠)، والمطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر للدكتور مصطفى الشكعة (ص١٦٥).

٣ انظر قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي (ص٢٥٣ - ٢٦٣).

المحور الثاني: نقض دعوى انقسام السلفية إلى تيارات

استقراء هذه الدعوى دال على أنه ليس لها مستند صحيح من حيث الأدلة الشرعية، وهذا يبطل قول المنتمين إلى واحد من أقسامها المزعومة، وغاية ما يمكن قوله أن هناك شبهات تردها النصوص القطعية.

وإبطال هذه الدعوى في أصلها أومستندها من عشرين وجها:

الوجه الأول: إن هذا التقسيم للسلفية قول محدث، لم يشرعه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة وعلمائها، قال الشيخ عبدالقاهر البغدادي رحمه الله: (كان المسلمون عند وفاة رسول الله على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا)[1].

فكان هذا التقسيم إحداثا في الدين، داخلا في عموم قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2].

قال الطوفي رحمه الله على قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس عليه أمرنا): (أي لا يرجع إلى دليل شرعنا).[3]

وقال النووي رحمه الله: (قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود ومعناه، فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد

---

١ الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي (ص١٤).

٢ أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٥)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣).

٣ التعيين (ص٦٢).

الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات).[1]

وقال العيني رحمه الله : (هذا الإحداث في أمر النبي هو اختراع شيء في دينه بما ليس فيه مما لا يوجد في الكتاب والسنة).[2]

وقال قوام السنة رحمه الله : (فأما ما اختلفوا فيه مما لا أصل له في الكتاب والسنة، ولا أجمعت عليه الأمة فهو محدث داخل في قوله : (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)[3].

والواجب الوقوف مع السلف، وعدم التقدم عليهم بقول أو عمل، أو اسم أو رسم ؛ فإنهم أبصر علما، وأقوم عملا، وأهدى سبيلا، لاسيما وأن الجهاد كان قائما، والعلم كان منتشرا، والأئمة كثيرين ؛ فلم يفرق بينهم بإضافة أوتخصيص. قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : (فعليكم بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل لو كان فيه أجري فلئن قلتم : أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما

---

١ شرح النووي على مسلم - (١٢ / ١٦)

٢ عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٢٠ / ٤١٢)

٣ الحجة في بيان المحجة - (٢ / ٤١٠)

فوقهم محسر، لقد قصر عنهم آخرون فضلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم).[1]

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: (فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم).[2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق).[3]

الوجه الثاني: أن الله أمرنا أن نكون مع الصادقين فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: ١١٩]، والصادقون هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم [4]، وهم سلف هذه الأمة، والمعية لهم تكون بالمتابعة لهم في القول والعمل والوقوف، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعا لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه ؛ بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعا لقوله وعمله تبعا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس دينا غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من

---

١ الشريعة للآجري (٢ / ٩١).

٢ الشريعة للآجري (١ / ٣٣٥).

٣ مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٦٢).

٤ انظر تفسير ابن جرير (١٢/ ٦٧).

الدين والكلام فيه نَظَر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة).[1]

وليس في الكتاب ولا في السنة ولا في المأثور عن خير القرون تقسيم السنة وتجزئتها، وعلى ذلك فمن قسم السلفية، وأطلق عليها ألقابا، فقد خرج عن زمرة الصادقين، وإذا لم يكن صادقا فهو كاذب، والبدعة كذب في الدين، وفرية على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان التقسيم بدعة محدثة.

كما أن من صار إلى هذه الألقاب كان مخالفا لأمر الله، فكان مذموما، ولو كان مافعله صوابا لم يلحقه ذم، فدل ذلك على أن التسمي بهذه الاسماء المحدثة للسلفية مذموم وليس محمودا، ويحقق هذا ما في الوجه مابعده.

الوجه الثالث: أن التقسيم يعني التسمي بأسماء لم يرد بها الشرع، والأصل في الأسماء الشرعية التوقيف، ففي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: (فادعوى بدعوى الله الذي سماكم المسلمين، المؤمنين، عباد الله).[2]

وجاء رجل الى مالك فقال: يا أبا عبدالله أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بينى وبين الله عز وجل، قال مالك: ما شاء الله لا قوة الا بالله سل،

---

١ مجموع الفتاوى (١٣ / ٦٢).

٢ أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والترمذي (٥/ ١٣٦) وقال: (حسن صحيح غريب)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤١٢)، وصححه ابن خزيمة (٣/ ١٩٥)، وابن حبان (١٤ / ١٢٤)، والحاكم (١/ ١١٧).

قال: من أهل السنة ؟ قال أهل السنة: الذين ليس لهم لقب يعرفون به لاجهمى ولا قدري ولا رافضي.[1]

الوجه الرابع: أن التسمي بهذه الأسماء المحدثة ترك لاتباع السلف، وموافقتهم فيما ارتضاه الله لهم من الأسماء، قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: (وشعار أهل السنة اتباعهم السلف الصالح، وتركهم كل ما هو مبتدع محدث).[2]

وقال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: (فعلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف. ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: " أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ").[3]

الوجه الخامس: أن هذه الأسماء إما تكون ممدوحة أو مذمومة أو مباحة، والأول والثاني يفتقران إلى الدليل لأنه حكم شرعي، قال شيخ الإسلام: (فإن الذم والحمد من الأحكام الشرعية. وقد قدمنا بيان ذلك، وذكرنا أن الحمد والذم والحب والبغض والوعد والوعيد والموالاة والمعاداة ونحو ذلك من أحكام الدين. لا يصلح إلا بالأسماء التي أنزل الله بها سلطانه. فأما تعليق

١ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص٣٥).

٢ الحجة في بيان المحجة (١ / ٣٦٩).

٣ مجموع الفتاوى (٤ / ١٥٥).

ذلك بأسماء مبتدعة فلا يجوز، بل ذلك من باب شرع دين لم يأذن به الله، وأنه لا بد من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله).[1]

والثالث ممتنع لأن إطلاق الاسم عائد إلى مسمى شرعي وهو منهج السلف، والأسماء توقيفية، فكان مفتقرا إلى الدليل، ولا دليل يدل على ذلك، بل الأدلة على خلافه.

وبهذا التقرير يتبين أن إطلاق هذه الأسماء مذموم لعدم الدليل الدال على ذلك من جهة، ووجود الدليل المانع من جهة أخرى.

الوجه السادس: أن التقييد للسلفية إما أن يكون تعريفا وإما أن يكون تخصيصا وتفضيلا للمقيَّد على ماسواه، وإما أن يكون تحزبا وتعصبا، فإن كان الأول فقد تقدم طرف من أوجه رده وإبطاله، وإن كان الثاني فباطل لعدم الدليل، وإن كان الثالث فأدلة الاجتماع والنهي عن التفرق قاطعة بحرمته.

الوجه السابع: أن هذا التقسيم تفريق للدين، وتفرق فيه، وهو من محرمات الذنوب، وطرائق أهل الأهواء المذمومة، والأدلة القطعية توجب الاجتماع وتنهى عن التفرق والاختلاف كما في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [التوبة: ١٠٣) وقوله سبحانه: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى: ١٣]، وقوله: (إِنَّ

١ مجموع الفتاوى (٤ / ١٥٤).

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [الأنعام: ١٥٩].

وتجزئة السلفية تفرق في الدين فكان مشمولا بالأدلة المحرمة للافتراق، فمن جعل لنفسه لقبا مخصوصا يغاير به أهل السنة فهو خارج عنهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن: من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة: فهو من عزاء الجاهلية ؛ بل لما اختصم رجلان من المهاجرين والأنصار فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)). وغضب لذلك غضبا شديدا)[1]، وقال ـ أيضا ـ: (فهذان الاسمان: المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما، كما سمانا المسلمين من قبل وفي هذا، وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى. ثم مع هذا لما دعا كل واحد منهما طائفة منتصرا بها أنكر النبي صلى الله عليه و سلم ذلك وسماها دعوى الجاهلية).[2]

الوجه الثامن: مما يبطل التقسيم قوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) وهذا السبيل الأوحد عيّنه الله تعالى في قوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

---

١ السياسة الشرعية (ص١١٣)، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٢٩).

٢ اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٧١).

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: ١٥٣] وفي قوله: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠] فمن رام اسما أو وصافا غير ماعيّنه الله فقد خرج عن الصراط المستقيم إلى السبل المفرقة عن سبيل الله.

الوجه التاسع: أن الله تعالى رضي الإسلام دينا، فلا يقبل غيره إلى يوم القيامة، وهذا هو سبيل المؤمنين ومنهاج السلف، وهو الشريعة التي أمر الله باتباعها في قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الجاثية: ١٨] فمن انتسب إلى غيره، أوانتسب إليه مقيدا فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: ١١٥].

الوجه العاشر: حصر السلفية في جانب من الجوانب كالجهاد، أوالعلم، مخالف لما أخبر الله عنه من كمال الدين، وشموليته، في قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣] وقد تقدم في حقيقة السلفية أنها هي الإسلام المحض .

والخروج بهذه الشرائع عن حقائقها وحدودها، أواستنقاص شرائطها، تعد لحدود الله، وقد قال جل شأنه: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٧]،

وقال (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٢٩]، وقال سبحانه: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) [النساء: ١٤].

الوجه الحادي عشر: قصر السلفية على بعض مسماها تشبه ـ ولو في الظاهر ـ بمن أنكر الله عليهم في قوله تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ٨٥] وفي قوله: (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) [الحجر: ٩٣] على أحد التفسيرين في الآية الكريمة[1]، والتشبه بالكفار محرم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا (من تشبه بقوم فهو منهم)[2] ؛ فيكون هذا القصر منكرا، والفعل محرما.

الوجه الثاني عشر: أن من قسم السلفية لم يماثل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الإيمان فانتفت عنه الهداية وثبت لهم الضلال، قال تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: ١٣٧].

قال ابن جرير رحمه الله: (يعني تعالى ذكره بقوله: {وإن تولوا} وإن تولى هؤلاء الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كونوا هودا أو

---

١ انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٨)، أضواء البيان (٣ / ١٧٨).

٢ أخرجه أبوداود (٤ / ٣١٤)، وأحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) وصححه العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٣٤٢)، وذكر ابن حجر في الفتح (١٠ / ٢٨٦) أن إسناده ثابت، وجود إسناده ابن تيمية في الاقتضاء (١/ ٢٣٦).

نصارى، فأعرضوا، فلم يؤمنوا بمثل إيمانكم أيها المؤمنون بالله، وبما جاءت به الأنبياء، وابتعثت به الرسل، وفرقوا بين رسل الله، وبين الله ورسله، فصدقوا بعضا وكفروا ببعض، فاعلموا أيها المؤمنون أنهم إنما هم في عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم)[1].

الوجه الثالث عشر: قصر السلفية على بعض مسمياتها باسم محدث يؤول إلى التفرق في الدين، ولو كان ذلك مقرونا بحسن النية ابتداء، واعتبار المآلات معتبر في الشرع، وسد الذرائع من لوازم حفظ الملة، والواقع الماثل للجماعات المنفصلة بأسماء خاصة برهان قوي على وجوب حظر هذه الأسماء ؛ لما أورثه التسمي بها من التعصب لها دون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومِن عقد الولاء والبراء عليها دون الإسلام والسنة، ومن التهاجر والتدابر بينها وبين مثيلاتها، أو بينها وبين أهل السنة الدارجين على منهاج السلف.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: (فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول. وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا

---

١ تفسير الطبري (٢ / ٦٠١)

أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون)[1].

الوجه الرابع عشر: أن السلف كانوا من أشد الناس نهيا عن التفرق وإنكارا له، ومصنفاتهم مليئة بذلك، والمنقول عنهم في هذا الباب كثير جدا، وإذا علم إنكارهم للتفرق فكيف ينسب إليهم ماينكرونه ؟ فإن هذا لازم لمن قسم السلفية.

الوجه الخامس عشر: أن التفرق جاء وصفا لأهل الأهواء، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة، وإنها ستخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)[2].

فمن قسم السلفية وجعلها أجزاء ؛ فلازمه أن هناك سلفية سنية سلفية بدعية من أهل الأهواء !

الوجه السادس عشر: الانتساب إلى المذاهب الفقهية كمذهب أبي حنيفة مالك والشافعي وأحمد انتساب تعريفي، فلا يصح أن يلحق به تقسيم السلفية ؛ لأن هذه المذاهب لها أصول وقواعد في الاستدلال والاستنباط،

---

١ درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٢).

٢ أخرجه أحمد (١٠٢/٤)، وأبو داود (٤ / ١٩٨)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وحسنه ابن كثير في الفتن والملاحم (١/ ١٨)، وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٢٥).

فكان التسمي بها من جهة التعريف بأن هذا العالم يجري على أصول هذا الإمام، دون تعصب له، وأما مع التعصب فمذموم، وأما منهج السلف فهو دين الإسلام القائم على الكتاب والسنة فلا يقبل التجزئة ثم الانتساب. قال الشيخ عبد القاهر البغدادي على أحاديث التفرق: (وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي عليه الصلاة السلام لم يرد بالفرق المذمومة التي هي من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين)[١]، وقرر ذلك الشاطبي رحمه الله.[٢]

الوجه السابع عشر: وصف السلفي بأنه عالم أومجاهد كوصف المسلم بذلك، كما يقال مسلم مجاهد، مسلم عالم، ولا يعني ذلك تقسيم الإسلام ؛ فيقال: الإسلام العلمي، الإسلام الجهادي ؛ فهناك فرق بين الوصف العائد إلى العامل والوصف العائد إلى الإسلام، وكذلك الحال بالنسبة لمنهج السلف ؛ فيصح وصف المكلف بأنه مجاهد، أو عالم، لتفاوت الناس، ولا يصح قصر المنهج على أحد مكوناته، ثم انتزاع طائفة منه يكون لها هذا اللقب الخاص، الذي تتميز به، وتعرف به ؛ لأن السلفية منهج موضوع لا يختلف في نفسه البتة، ولكن التفاوت في العمل به، كما أن الإسلام كتاب وسنة، والناس متفاوتون في العمل به.

الوجه الثامن عشر: تصيير الاختلاف الحاصل في مسائل الاجتهاد سببا لانقسام منهج السلف وتعدد تياراته، خطأ بينه أهل العلم ؛ فإن الافتراق إنما

---

١ الفرق بين الفرق (ص٩).

٢ الاعتصام (١ / ٤٧١).

يكون في الأصول ، وأما الاختلاف في مسائل يسوغ فيها الاجتهاد ، ولا تعارض الأصول ، فإنه لا يُسوغ الافتراق ، ولا تسمية المختلفين طوائف وفرقا ، قال أبو القاسم التيمي رحمه الله : (وأما ما اختلفوا فيه من المسائل الاجتهادية والفروع الدينية ، فإن الإنسان لا يصير به مبتدعاً ، ولا مذموماً متوعداً).[1]

وقال الشاطبي رحمه الله : (هذه الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات ؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا ، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية ؛ لأن الكليات تقتضي عددا من الجزئيات غير قليل ، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل ولا بباب دون باب ... ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات ؛ فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة ، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضا ، وأما الجزئي فبخلاف ذلك ، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة...ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصل بسببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين بخلاف الكليات).[2]

الوجه التاسع عشر: نسبة خطأ المنتسب للسلف الصالح على أنه منهج للسلف ثم تصنيفه بسبب ذلك إلى تيار أو طائفة خطأ في الحكم ، وجناية على منهج السلف ؛ ذلك أن منهج السلف قائم على الكتاب والسنة وماكان عليه

---

١ الحجة في بيان المحجة (٢ / ٤١١).

٢ الاعتصام (١ / ٤٣٩)

الصحابة والتابعون، وهو واحد غير متعدد، وأما أقوال الآحاد أو الأخطاء ولو كانت عن اجتهاد فلا يجوز معارضتها بمنهج السلف، أوتشعيبها من منهج السلف كتيار من تياراته أوحركة من حركاته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وإن كان من أسباب انتقاص هؤلاء المبتدعة للسلف ما حصل في المنتسبين إليهم من نوع تقصير وعدوان وما كان من بعضهم من أمور اجتهادية الصواب في خلافها، فإن ما حصل من ذلك صار فتنة للمخالف لهم، ضل به ضلالا كبيرا).[1] وقال ـ أيضا ـ: (والخطاب بتصديق الرسول فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به قد شمل جميع العباد ووجب على كل أحد، فأسعدهم أطوعهم لله وأتبعهم لرسول الله، وإذا قدر أن في الحنبلية أو غيرهم من طوائف أهل السنة من قال أقوالا باطلة لم يبطل مذهب أهل السنة والجماعة ببطلان ذلك بل يرد على من قال ذلك الباطل وتنصر السنة بالدلائل)[2].

العشرون: أن هذه الأسماء ليست نظيرة لألقاب السلف التي أشير إليها سابقا للآتي:

أولا: الافتراق في الدلالة ؛ ذلك أن الألقاب التي أطلقت على السلف لا تضيق منهج السلف وتأسره في جانب من جوانبه، بل (تحوي كل الإسلام الكتاب والسنة، فهي لا تختص برسم يخالف الكتاب والسنة زيادة ونقصا)[3] خلافا لهذه الألقاب الحادثة.

---

١ مجموع الفتاوى (٤ / ١٥٥).

٢ منهاج السنة (٢/ ٣٦٥).

٣ حكم الانتماء (ص٤٢).

ثانيا : الافتراق في شمولية الانتماء إليها ؛ فألقاب السلف تحوي جميع المسلمين[1] الذين ائتموا بالكتاب والسنة ، خلافا لهذه الألقاب الحادثة ؛ فإنها لما قصرت نفسها على جانب من جوانب المنهج السلفي كان لازم ذلك قصرها على طائفة من الأتباع الذين تتحقق فيهم الصفة التي قيدوا السلفية بها.

ثالثا : ألقاب السلف أهل السنة (منها ماهو ثابت بالسنة الصحيحة ، ومنها مالم يبرز إلا في مواجهة مناهج أهل الأهواء والفرق الضالة ؛ لرد بدعتهم ، والتميز عنهم ، وإبعاد الخلطة بهم ، ولمنابذتهم)[2]

---

١ انظر حكم الانتماء (ص٤١).

٢ حكم الانتماء (ص٤٢)

الخاتمة

وبعد هذا العرض ظهر أن من قسم السلفية ليس عنده سوى شبه أو مشتبهات تردها الأصول المحكمة، ويأباها منهاج السلف.

وهذا التقسيم يرجع إلى الجهل، أوالغلط، أوالافتراء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولكن كثيرًا من الناس ينسبون ما يقولونه إلى الشرع وليس من الشرع ؛ بل يقولون ذلك إما جهلا وإما غلطًا، وإما عمدا وافتراء، وهذا هو الشرع المبدل الذي يستحق أصحابه العقوبة ؛ ليس هو الشرع المنزل الذي جاء به جبريل من عند اللّه إلى خاتم المرسلين)[1].

وللأسف أن طائفة من المسلمين تعزز هذا التقسيم الذي يذهب بالأمة كل مذهب، ويوردها المهالك، ويشتت عليها أمرها، ويفرق شملها، بتثبيت ذلك على مواقع النت والمنتديات والتواصل الاجتماعي، والقنوات، بل بإنشاء الأحزاب والجماعات والحركات، التي تعقد عليها الولاء والبراء، وتصارع من أجلها، وليس من أجل الدين المحض ؛ بل آل الأمر إلى توالد هذه الأحزاب والجماعات؛ فأنجبت أمثالها، في تسلسل لا يعلم منتهاه إلا الله !! وهذا شأن البدع ؛ فإن البدع تتنادى، كل بدعة تقول لأختها: أختي أختي !! ولهذا ترى في هذه الفرق والأحزاب بدعا كثيرة، بل في الفرقة الواحدة تجد المتناقضات ؛ لخروجها عن سواء السبيل، وصدق الله (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيرا) [النساء: ٨٢] (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ

---

١ مجموع الفتاوى (٣٥ / ٣٦٦).

مِمَّـنِ اتَّبَـعَ هَـوَاهُ بِغَيْـرِ هُـدىً مِـنَ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ لا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الظَّـالِمِينَ) [القصص : ٥٠].

هذا وأسأل أن يحفظ على المسلمين دينهم ، وأن يجمع قلوبهم على الحـق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.



مفاهيم خاطئة حيال المنهج السلفي

ربط المنهج السلفي بالتكفير

إعداد

د. لطيفة بنت عبد الله بن محمد الجلعود

وكيلة المركز لشؤون القبول و التسجيل

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من قال: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[1] وقال"لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار "قيل يا رسول الله من هم ؟قال" الجماعة "[2] ووصف هذه الواحدة بأنها هي التي تتبع منهج السلف وتسير عليه فقال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه أنا وأصحابي) فدل على أن هناك جماعة سلفية سابقة وجماعة متأخرة تتبعها في نهجها، إلا أن هذه الجماعة الواحدة التي تسير على المنهج السلفي، لم تتركها الفرق الأخرى وشأنها، فكادت لها، ومن أبرز مظاهر هذا الكيد ربط المنهج السلفي بالتكفير، ولهذا أسباب من أهمها مع سابقه، أن هناك من تسموا بهذا الاسم – وهم أبعد الناس عنه _ صدرت عنهم أخطاء تخالف مذهب السلف ومن أشنعها تكفير الأعيان، والهدف من ذلك إبعاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن المنهج السلفي، ليبقوا على البدع، فيضمنوا استمرار مذاهبهم الباطلة .وتكمن خطورته في اعتقاد العامة من الناس وأنصاف المتعلمين بصدق دعاوى المضللين، وبالتالي عدم سماعهم للعلماء السلفيين وعدم قبول دعوتهم، وبقائهم على بدعهم، ولذلك استعرضت أبرز أقوال أئمة هذا المنهج مثال الإمام أحمد، وابن تيمية، وابن عبد البر، والقرطبي، وغيرهم ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين والشيخ صالح الفوزان، ومن أمثلة أقوالهم ما

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه ك الشهادات ب لا يشهد على شهادة جور ٤/١٩٦٨ح٢٤٧٠

٢ أخرجه ابن ماجه في سننه كالفتن ب افتراق الامم ٥/٢٠٦٨ح(٣٩٨٩)اسناده متصل ورجاله ثقات

قال ابن عبد البر: قد اتفق أهل السنة – وهم أهل الفقه والأثر – على أن أحداً لا يخرجه ذنبه – وإن عظم – من الإسلام. وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يُكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره.

تمهيد:

تعريف السلفية: جاء في المعجم الوسيط معنى السلفي هو من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة ويهدر ما سواهما[1]

وعرف ابن تيمية السلف بأنهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين بالإمامة كالأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم بالكتاب والسنة. وهذا المفهوم للسلف هو الذي اتفق عليه علماء الاعتقاد من سائر طوائف الأمة.[2]

وعرف الشيخ الفوزان السلفية بأنها تطلق على الجماعة المؤمنة الذين عاشوا في العصر الأول من عصور الإسلام، والتزموا بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ووصفهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث. ولما ذكر - صلى الله عليه وسلم - افتراق الأمة فيما بعد قال عن الفرق كلها أنها في النار إلا واحدة، ووصف هذه الواحدة بأنها هي التي تتبع منهج السلف وتسير عليه فقال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه أنا وأصحابي) فدل على أن هناك جماعة سلفية سابقة وجماعة متأخرة تتبعها في نهجها، وهناك جماعات مخالفة لها متوعدة بالنار، وما ذلك إلا لضلال هذه الفرق المخالفة للفرق الناجية[3]

---

١ المعجم الوسيط١/٤٤٤.

٢ منهج شيخ الاسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد/لابراهيم البريكان

٣ من مولفات الفوزان١٥١/١٠٨المكتبة الشاملة

وقال الشيخ صالح الفوزان : السلفية بمعناها الصحيح المعروف لا تخالف الكتاب والسنة ، وأما السلفية المدعاة فهي محل نظر.[1]

الكفر في الاصطلاح : نقيض الإيمان.

وهو من الألفاظ الشرعية وهو قسمان : أكبر مخرج من الملة ، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحياناً بالكفر العملي[2]

حكم التكفير:

التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة [3]، أقول : بل وهو من أكبر الكبائر : إذا وصف به من لا يستحقه فلا يجوز تكفير مسلم لقول قاله أولفعل ارتكبه ، فلا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه ، في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع.

والتكفير من أخطر الأحكام. فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم ، ومراجعة العلماء الثقات في ذلك.

حقيقة ربط المنهج السلفي بالتكفير:

المنهج السلفي أبعد ما يكون عن تكفير المسلمين ، ذلك أنه التزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسأذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح .

---

١ تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا للشيخ صالح الفوزان ص١٣

٢ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٢٠.

٣ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٢٠.

أسباب ربط المنهج السلفي بالتكفير :

١- أن هناك من تسموا بالسلفية وقد صدرت عنهم أخطاء تخالف مذهب السلف من أشنعها تكفير الأعيان .[1]

٢- أن ممن تسموا بهذا الاسم قاموا بتكفير بعض المجتمعات والممارسين لبعض الأمور المختلف فيها مثل الديمقراطية وخروج المرأة للانتخابات.

٣- أن ممن تسموا بهذا الاسم وانتسبوا له وهم لا علاقة لهم به البتة مثل الخوارج وقعوا في تكفير المسلمين بل والتفجير .

٤- محاربة المنهج السلفي من قبل الفرق المبتدعة مثل الرافضة و الخوارج والصوفية وغيرهم فالصقوا التكفير بالمنهج السلفي حتى لا يسمع الناس للسلفيين وتبقى بدعهم التي يتعيشون منها ومن أمثلة هذا النوع ما قاله د طالب الرماحي : السلفية الوهابية (الإسلامية) التي نصبت نفسها وصية على الأمة الإسلامية وتعتمد تكفير كل من يخالفها في الرأي من كل الفرق الإسلامية الأخرى وتستقي فكرها وفقهها من الناصبي ابن تيمية [2]

---

١ تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا ص٦٨

٢ موقع العراق الجديد

أهداف ربط المنهج السلفي بالتكفير:

يهدف من يربط المنهج السلفي بالتكفير إلى إبعاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن المنهج السلفي ، ليبقوا على بدعهم ، فيضمنوا استمرار مذاهبم الباطلة.

خطورته :

اعتقاد العامة من الناس وأنصاف المتعلمين بصدق دعاوى المضللين ، وبالتالي عدم سماعهم للعلماء السلفيين وعدم قبول دعوتهم ، وبقائهم على بدعهم

الأدلة على أن المنهج السلفي أبعد ما يكون عن تكفير المسلمين :

أولا من القران :

الآية الأولى :

قال ابن عبد البر: القرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه.

ثم قال : وقد قال جماعة من أهل العلم في قول الله – عز وجل – ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿١١﴾ ﴾ [1]

هو قول الرجل لأخيه يا كافر ، يا فاسق[2] أقول : وهذا إذا كان لا يقصد به التكفير وإنما يقولها لغواً.

١ آية ١١ من سورة الحجرات.

٢ التمهيد ١٧/٢١.

الآية الثانية :

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]

أقول : وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من تكفير المسلمين كما سيأتي في الأحاديث التالية ، فالسلفي يتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتي من أقوالهم ، ولذلك فهم أشد الناس حذرا من التكفير .

ثانيا من السنة :

الحديث الأول : رواه البخاري – رحمه الله – في صحيحه ح (٥٦٦٧) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء به أحدهما[2] .

الحديث الثاني : رواه البخاري برقم (٥٦٦٨) عن عبد الله بن عمر رض الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "أيما رجل قال لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما" وزاد مسلم "إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه"[3] .

---

١ آية ٦٥ من سورة النساء.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه ، ك الأدب ب ٧٣ ، من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، ٤٤٢٩/٩ ح (٥٦٦٧).

٣ مثل تخريج الأول ، وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ك الإيمان ب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر

قال ابن عبد البر: قد اتفق أهل السنة – وهم أهل الفقه والأثر – على أن أحداً لا يخرجه ذنبه – وإن عظم – من الإسلام. وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يُكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره[1]

ثم قال في شرحه لهذا الحديث: قوله: فقد باء بها أحدهما فإن لم يكن المقول له يا كافر كذلك، فقد باء القائل بذنب كبير، وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك؛ وهذا غاية في التحذير من هذا القول، والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة يا كافر.

الحديث الثالث:

رواه البخاري أيضاً برقم (٥٦٦٩) عن ثابت ابن الضحاك، عن النبي ﷺ قال: "من حلف بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله"[2]

ثالثا: أقوال السلف من الصحابة والتابعين واتباع التابعين ومن بعدهم من السلفيين إلى وقتنا الحاضر:

عن ابن عمر قال: كنا نشهد على أهل الموجبتين بالكفر حتى نزلت[3] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

١ التمهيد ١٧/٢٢.

٢ أخرجه البخاري، ك الأدب ب ٧٣، من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٤٤٢٩/٩ ح (٥٦٦٩)

٣ التمهيد ١٧/٢٤.

وقيل لجابر بن عبد الله هل كنتم تسمون شيئاً من الذنوب كفراً ؟ أو شركاً أو نفاقاً قال : معاذ الله ولكنا نقول : مؤمنين مذنبين وعن أبي سفيان قال : قلت لجابر : أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة : كافر ؟ قال : لا ، قلت : فمشرك ؟ قال معاذ الله ، وفزع[1]

ومن أكبر الأمثلة من منهج السلف الصالح حذرهم الشديد من التكفير ذلك المثال الشامخ شموخ الجبال ، إنه الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة ، فلأنه إمام مجتهد لم يرض أن ينطق بالكفر - القول بخلق القرآن- ومع أنه حُبس وأُهين وضُرب حتى كادت تخرج روحه ليقول كلمة كفر ، فماذا فعل بعد خروجه من السجن؟ هل شنع عليهم ، أو سبهم أو كفرهم أولعنهم؟ لا وألف لا ، لأنه عالم - وليس بجاهل فإن هذه أفعال الجهلة – فلأنه إمام المسلمين - علماً – في وقته قام بالتالي :

١. حللهم
٢. استغفر لهم
٣. دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه ، نعم دعا لهم[2] وليس عليهم.

قال ابن عبد البر:

عند استنباطه للأحكام من حديث عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ "من سرته حسنته ، وساءته سيئته ، فهو مؤمن"[3] قال : فليت شعري من

---

١ التمهيد ١٧/٢١.

٢ الفتاوى ١٢/٤٨٩

٣ أخرجه ابن حبان في صحيحه ك التاريخ ب إخباره ﷺ عما يكون في أمته في الفتن والحوادث ١٤/٦٥٩٦ ، ح (٦٨٨٣) وأخرجه الترمذي ك الفتن ب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/١٧٨٧

قال لأخيه يا كافر – وهو من تسره حسنته، وتسؤه سيئته، لأي شيء تكون الشهادة عليه بالكفر أولى من الشهادة له بالإيمان ؟[1]

روى قتادة عن العلاء بن زياد بن مطر بن شريح القدوة العابد أبو النصر العدوي البصري أنه قال: ما يضرك شهدت على مسلم بكفر أو قتلته[2]

وهذا القرطبي رحمه الله في المفهم، لما تكلم عن سبب الخلاف في تكفير من يستحق التكفير قال:

سبب الخلاف في تكفير من هذه حاله:

أن باب التكفير بابٌ خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئاً[3]

فلو تأملنا كلام هذا الإمام الجهبذ وحللناه لرأينا أنه: أولاً: وصف باب التكفير بأنه باب خطير. والخطير يُفترض أن لا يقترب منه إلا من هو أهل لذلك وبعناية وبحذر.

ثانياً: أنه وصف من أقدم عليه بلا خوف ولا وجل بأنه سقط، ومعلوم أنه يريد سقوطاً دينياً بمعنى وقوعه في إثم كبير.

وقل من يسقط فيرتفع، ويعود إلى مكانته السابقة، عند الله سبحانه وتعالى أولاً ثم عند الناس.

ح (٢٠٩٢) ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وأخرجه أحمد ١/٧٠ ح (١١١) .

١ التمهيد ١٧/٢٤ .

٢ سير أعلام النبلاء، ٤/٢٠٤.

٣ المفهم ٣/١١١ ك الزكاة، يجب الرضا بما قسم رسول الله ﷺ .

ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" ومن حديث ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ : "من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله".

ثالثاً: أنه وصف من توقف عن التكفير بأنهم الفحول، يعني فحول العلم وأئمته لا من يسارعون إلى التكفير، فهم نقيض ذلك ثم وصفهم بأنه سلموا، ومعناه أن من كفَّر لم يسلم؛ بل سقط سقوطاً ذريعاً ثم قال: ولا نعدل بالسلامة شيئا.

قال ابن عبد البر: فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه.ثم قال: ومن جهة النظر الصحيح التي لا مدفع له، أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنباً، أو تأول تأويلاً: ... فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام. لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة. ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها[1]

أقول: قد اشترط المجتهد العلامة إمام الأئمة ابن عبد البر: اتفاق الجميع على تكفير المعين الذي أذنب ذنباً أو تأول تأويلاً حتى يدخل ضمن من يستحقون التكفير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله –

إن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين، من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين، لما يعتقدون

١ التمهيد ١٧/ ٢١.

أنهم أخطأوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض.

ثم قال: واتفق علماء المسلمين على أنه لا يكفر أحد من علماء المسلمين المنازعين في عصمة الأنبياء والذين قالوا: إنه يجوز عليهم الصغائر والخطأ ولا يُقرون على ذلك، لم يُكفر أحد منهم باتفاق المسلمين. أ. هـ[1]

ثم قال: بل دفع التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطأوا هو من أحق الأغراض الشرعية[2]

أقول: فماذا بعد الحق إلا الضلال: هذا هو شيخ الإسلام يقضي بأن تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وأن دفع التكفير عنهم من أحق الأغراض الشرعية.

وقال: إذا عُرف هذا، فتكفير "المعين" من هؤلاء الجهال أقول: يقصد المبتدعة ومن يخالفون شيئاً من الشرع وأمثالهم – بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار - لا يجوز الإقدام عليه، إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر[3]

ثم قال شيخ الإسلام: وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين، مع أن بعض هذه البدع أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض.

---

١ الفتاوى ٣٥/١٠٠.

٢ الفتاوى ٣٥/١٠٣.

٣ الفتاوى ١٢/٥٠٠.

ثم قال:

فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة.

قال شيخ الإسلام: ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفه، بل ولا يفسق، بل ولا يأثم، مثل الخطأ في الفروع العملية... فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين فيها[1].

وقال: من ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة[2].

وقال شيخ الإسلام:

كان القاضي شريح ينكر قراءة من قرأ: "بل عجبتُ" ويقول: إن الله لا يعجب.

ثم قال شيخ الإسلام: فهذا قد أنكر قراءة ثابتة، وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة، واتفقت الأمة على أنه إمام من الأئمة"[3]

أقول: أيها المتهمون السلفية ويامن تربطونها بالتكفير إن أردتم الحق فهذا أبرز روادالمنهج السلفي، بل أكبر متهم من قبلكم بالتكفير شيخ الإسلام وإمام المسلمين ابن تيمية، يقول: لا يجوز تكفير حتى المبتدعة، وإن كانت بعض مقالاتهم كفر حتى تتوفر الضوابط وتنتفي الموانع.

---

١ الفتاوى ١٢/ ٤٩٤.

٢ الفتاواى ١٢/٥٠٠

٣ الفتاوى ١٢/٤٩٢.

وهذا الذهبي يقول :

ما كل أحد فيه بدعة أوله هفوة أو ذنوب يُقدح فيه بما يوهن حديثه ، ولا من شرط الثقة أن يكون معصوماً من الخطايا والخطأ [1]

وقال الشيخ ابن عثيمين – يرحمه الله – "كما يفعله الخوارج يعني الذين يقولون إن فاعل الكبيرة كافر.

ولهذا خرجوا على المسلمين ، واستباحوا دمائهم ، وأموالهم ويسهل عليهم جداً أن يقولوا للإنسان إنه كافر.

ثم قال :

"بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي" يعني أن الأخوة بين المؤمنين ولو مع المعصية فالزاني أخ للضعيف ، والسارق أخ للمسروق منه ، والقاتل ، أخ للمقتول [2].

قال الشيخ صالح الفوزان :

لأن تقتل شخصاً – مع أن القتل بغير حق جريمة عظمى – أخف من أن تحكم عليه بالكفر ، وقتل المؤمن عمداً فيه الوعيد الشديد ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [3، 4]

---

١ ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٠.

٢ المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية/ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح محمد بن عثيمين ٢/ ٦٤٦

٣ الآية ٩٣ ، سورة النساء.

٤ التكفير وضوابطه للعلامة الشيخ صالح الفوزان ، ص١٠٧

ثم قال الفوزان :

فهذه ظاهرة خطيرة ، وسيئة ، ويجب على المسلم أن يخاف الله عز وجل

ثم قال :

الجهال والمتسرعون وأنصاف المتعلمين فإن أرخص شيء عندهم التكفير، فلا حول ولا قوة إلا بالله وكل من خالف رأيهم أو خالف مذهبهم حكموا عليه بالتكفير، هذه صفة قبيحة وصفة ذميمة[1] .

---

١ التكفير وضوابطه للعلامة الشيخ صالح الفوزان، ص١١٠

الخاتمة

بفضل من الله ومنة أتممت ورقة العمل هذه والتي اتضح من خلالها فرية ربط المنهج السلفي بالتكفير بدلالة أقوال أئمة هذا المنهج والمدونة في كتبهم مما لا يدع مجالا للشك بأن هذا بهتان أراده بعض أتباع الفرق الضالة ليصرفوا المسلمين عن هذا المنهج الصافي فرد الله كيدهم في نحورهم والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.

١- التكفير وضوابطه لفضيلة العلامة: صالح بن فوزان الفوزان، مع مجموعة رسائل ط (الخدمات الطبية للقوات المسلحة).

٢- تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا، بقلم الشيخ صالح الفوزان /دار الوطن الياض ط٢ سنه ١٤١١

٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد البر، دار طيبة – الرياض.

٤- سير أعلام النبلاء: للحافظ محمد أحمد الذهبي: مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٠٩هـ. - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حبان البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٢) ١٤١٤هـ المحقق شعيب الأرناؤوط.

٥- - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لمحمد بن حبان البستي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٢) ١٤١٤هـ المحقق شعيب الأرناؤوط . (جوامع الكلم

٦- صحيح مسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري

- مصدر الكتاب : موقع وزارة الأوقاف المصرية

٧- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت – ١٤٠٧هـ ط (٣) المحقق د. مصطفى البغا (جوامع الكلم).

٨- فتاوى ابن تيمية مجموع الفتاوى المؤلف : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني .المحقق : أنور الباز - عامر الجزارالناشر : دار الوفاءالطبعة : الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٩- المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام ابن تيمية: شرح سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين/ مكتبة طبرية – الرياض.

١٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المؤلف : الندوة العالمية للشباب الإسلاميإشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني

- **الناشر : دار الندوة العالمية**

١١- المعجم الوسيط المؤلف / إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجاردار النشر : دار الدعوةتحقيق / مجمع اللغة العربية

١٢المفهم في حل ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/تأليف الامام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي /حققه محيي الدين ديب مستو وآخرون ط الاولى ١٤١٧دار ابن كثير بيروت – دار الكلم الطيب دمشق

١٣- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد /إبراهيم البريكان

١٤- من مؤلفات الفوزان/ المكتبة الشاملة

١٥- موقع العراق الجديد /الشبكة العنكبوتية



بحوث
المحور الرابع



الخطاب الديني في ضوء المنهج السلفي

إعداد

معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس المجلس الأعلى للقضاء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن الأمة الإسلامية ليست في معزل عن الواقع الذي تعيش فيه، بل إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة جاءا لبيان الحق للناس في كل شؤون الحياة العلمية والعملية، قال- تعالى- : ﴿ [illegible] ﴾[1].

قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله - : "فيه إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم؛ لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان، لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها، تحريضا أو تحذيرا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه، وبتلك الأساليب التي لم تبلغها الكتب السابقة كانت الطريقة التي يهدي إلى سلوكها أقوم من الطرائق الأخرى وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة"[2].

والكتاب العزيز هو خطاب الشارع للمكلفين، وعنه يصدرون، وتبنى عليه كليات الشريعة، قال ابن القيم – رحمه الله- : " ومن تأمل خطاب القرآن وألفاظه، وجلالة المتكلم به، وعظمة ملكه، وما أراد به من الهداية

---

١ سورة الإسراء، آية: ٩.

٢التحرير والتنوير، ١٤/٣٣ - ٣٤.

العامة لجميع الأمم قرنا بعد قرن إلى آخر الدهر، وأنه جعله إنذارا لكل من بلغه من المكلفين، لم يخف عليه أن خطابه العام".

والأمة الإسلامية عزتها تابعة لعزة التزامها بالخطاب الرباني، والسير على معالمه وتوجيهاته، قال ابن تيمية- رحمه الله- : "والذين يتقون الله، ويقومون بما أمرهم به من عبادته وطاعته يعزهم وينصرهم، كما قال- تعالى- : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)، وقال- تعالى- : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)"[1].

وجاء الإسلام ليقيم الحق والعدل، وينشرهما بين الناس في اللفظ واللحظ، قال- تعالى- : ﴿ [illegible] ﴾، قال ابن سعدي –رحمه الله –: "أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكيال الذي تكال به الأشياء والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم، ولهذا قال: ﴿ [illegible] ﴾ أي: أنزل الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم، لحصل من الخلل ما الله به عليم، ولفسدت السماوات والأرض.

---

١ الفتاوى، ٣١٢/٢٦.

﴿ ȘĴĘŁǄã ǄÅãĵ ÂÌÔÊÛ ﴾ أي: اجعلوه قائما بالعدل، الذي تصل إليه مقدرتكم وإمكانكم، ﴿ ȘŁ ǍÁÊÀȘã ãŁÂãĵ ﴾ أي: لا تنقصوه وتعملوا بضده، وهو الجور والظلم والطغيان"[1].

وجاء التوجيه بالعدل في الأقوال كما في الأفعال، قال- تعالى- : ﴿ȘÛã ĽŲ ǄÂǍÔǄ ȘĹǄ ÕÂĵ ãĀ ĘÂøʔ﴾، وجماع ذلك: فعل الطاعات وتجنب المعاصي والهوى، قال ابن السبكي –رحمه الله- : "لا بد عندي في العدالة من وصف آخر لم يتعرضوا إليه، وهو الاعتدال عند انبعاث الأغراض؛ حتى يملك نفسه عن اتباع هواه، فإن المتقي للكبائر والصغائر الملازم لطاعة الله وللمروءة قد يستمر على ذلك ما دام سالمًا من الهوى؛ فإذا غلبه هواه خرج عن الاعتدال وانحل عصام التقوى؛ فقال ما يهواه، وإبقاء هذا الوصف هو المقصود من العدل، كما يشير إليه قوله- تعالى- : ﴿ȘÛã ĽŲ ǄÂǍÔǄ ȘĹǄ ÕøÂĵ ãĀ ĘÂøʔ﴾، وقوله- تعالى- : ﴿ ȘÕøØŨÕ ǄÂÏÕĽ ĨÇȘ ÈÛÂ ÓÔǅǄǅã ÌŁÉÆÁő ǅȝʔ ÁÂã â﴾؛ فكم من صالح لا شك في صلاحه من عصمته ألا يجد، وفي نفسه ألا يعصي؛ فإذا جرت عليه المقادير، وغلب هواه قامت نفسه، فانبعث منها ما لا يبقى مع الصلاح"[2].

والخطاب والمخاطبة من وسائل وقوالب تبليغ الحق، وبث الوعي في الناس، وبقدر ما يتسم به الخطاب من سمو المضمون ينعكس أثره على السامعين.

---

١ تفسير السعدي، ٨٢٨.

٢ الأشباه والنظائر، ٤٧١.

وقد طرأ على طبيعة الخطاب الديني عدد من الدعاوى المناوئة مما جعله محلا للتداول على الأصعدة الشرعية والسياسية كافة ، بل تعدى الأمر إلى تدويل الحديث حياله ، وسوف أتناول في هذه الورقة عددا من المحاور تبين "المنهج السلفي وصلته بالخطاب الديني المعاصر" على النحو التالي :

- **مفهوم الخطاب الديني المعاصر.**
- **الخطاب الديني في ميزان الشرع**
- **نشأة فكرة الخطاب الديني.**
- **حقيقة إصلاح الخطاب الديني وصلتها بمخالف المنهج السلفي.**
- **ضوابط الخطاب الديني في ظل المنهج السلفي.**

سائلا المولى التوفيق و الإعانة.

مفهوم الخطاب الديني المعاصر

الخطاب الديني بهذا التركيب الإضافي مصطلح جديد، ظهر في العصر الحديث، وأول من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى، مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج.... إلخ، وإنما هو مصطلح جديد، اصطلح عليه أهل هذا الزمان.

وقبل ذكر التعريف الاصطلاحي لكلمة (الخطاب) يحسن البدء بالتعريف اللغوي أولا؛ لأن مدلولات اللغة غالبا ما تؤثر في المصطلحات والمعاني التي يصطلح عليها الناس.

أولاً: تعريف الخطاب لغةً: جاء في لسان العرب: (الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب)[1].

وجاءت مادة (خَطَبَ) في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال- تعالى- : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾، وقال- جل شأنه- : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ ãَالُوا سَلَاماً﴾، وقال- ﷻ- : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي 8ِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

---

١ ابن منظور " لسان العرب - مادة "خطب".

ثانياً: تعريف الخطاب اصطلاحاً: عرف بأنه (ما يحمل وجهة نظر محددة من متكلم أو كاتب، مما يؤثر على السامع أو القارئ، مع الأخذ بالاعتبار بالظروف المحيطة)[1].

وفي ضوء ما سبق يمكن أن يعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب تكلماً أو كتابة فهي وعاء الأفكار.

وعندما ينسب الخطاب إلى الدين، فإنه يقصد به الدين الإسلامي، وإن كان يسمى الخطاب الديني غير الإسلامي خطابا دينيا، كالخطاب الديني النصراني، واليهودي...، حتى إنه حينما أطلق الغرب هذا المصطلح، قصد به خطاب الإسلام، والإسلام هو الدين الذي جاء به نبينا محمد- ﷺ- .

وعليه فالإسلام هو رسالة محمد- ﷺ- ، جاءت لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وخطاب القران والسنة هو الذي يحدد المصلحة من المفسدة، والمستقيم من المعوج، والمؤمن من الكافر، والصواب من الخطأ، ويقرر السلم من الحرب، وهو الميزان الذي يفصل في الخلق إلى الجنة أو النار، والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، هذا هو الخطاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو محفوظ بحفظ الله إلى يوم القيامة، قال- تعالى- : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقال- جل شأنه- : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ ، وقال- سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

---

١ أحمد عبد الله الطيار(٢٠٠٥) "تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد"، حولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد (٢٢)، المجلد الثالث، ص ١٢.(بتصرف). ٤-

أقسام الخطاب الديني

ينقسم الخطاب الديني إلى ثلاثة أنواع، وهي:

النوع الأول: (النصوص الشرعية: خطاب القرآن والسنة النبوية):

يراد بالخطاب الديني في إطلاقه الأول النص الشرعي من الكتاب والسنة.

ذلك أن جملة الرسالة التي تنزلت على رسوله الله- ﷺ- تمثلت في القرآن، "وهو: كلام الله المنزل على نبيه محمد- ﷺ- ، والمتعبد بتلاوته المبتدأ بالفاتحة والمختتم بالناس"، وما ثبت في السنة المطهرة، وهي "ما أضيف للنبي محمد- ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية"، وقد تلقاها النبي- ﷺ- عن طريق الوحي، كما قال- سبحانه- : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾.

وقال- تعالى- : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ فتحددت بالآية وسائل خطاب الرسل مع ربهم.

إن **الاحتجاج بالسنة النبوية عند السلف كالاحتجاج بالقرآن**، فالاحتجاج بالأحاديث النبوية كالاحتجاج بالآيات القرآنية سواء بسواء، ولا خلاف بين جمهور العلماء الذين يعتد بهم في أن السنة يحتج بها، وتستقل بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن الكريم سواء بسواء في تحليل الحلال، وتحريم الحرام، وأنها المصدر الثاني لمعرفة أصول الإسلام، بعد القرآن الكريم الذي

هو خير الكلام، وأنه لا يستغنى عنها مطلقا؛ لأنها المفصحة عن معاني القرآن، المفسرة له.

وقد أكد القرآن بوضوح أن السنة وحى من الله، يجب الإيمان به، ويجب اتباع الرسول- ﷺ- في كل شيء، وفي كل وقت في حياته وبعد مماته؛ لأنها نصوص لم تخصص بزمن دون زمن، فيجب تصديق رسول الله- ﷺ- في كل ما ذكره من أخبار، وتنفيذ كل أوامره- ﷺ- عن رضا ومحبة.

يقول ابن حزم – رحمه الله - : "إن القرآن لما كان هو الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الإسلام، وجدنا فيه وجوب طاعة ما أمرنا به رسول الله- ﷺ- ، ووجدناه- عز وجل- يقول فيه واصفاً لرسوله- ﷺ- : ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾، فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله- عز وجل- إلى رسوله- ﷺ- على قسمين:

أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام، وهو القرآن.

والثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف، ولا معجز النظام، ولا متلو لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله- ﷺ- ، وهو المبين عن الله- عز وجل- مراده منا".

ومن الأدلة القرآنية التي تقرر هذه الحقيقة قوله- سبحانه وتعالى- : ﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾

وقوله: ﴿ قُل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحبِبْكُم اللهُ وَيَغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُل أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُول فَإِنْ تَوَلوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِين﴾.

وقوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقوله: ﴿ 8 لَيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَ ضَلالا مُبِينًا﴾.

وأمثال ذلك في القرآن كثير، وكله يدل على أن السنة وحي من الله- تعالى- لرسوله- ﷺ- ، وأنه لا بد من اعتماد السنة في معرفة أصول الأشياء، والإذعان لها، كالقرآن سواء بسواء.

وقد ثبتت روايات كثيرة في السنة تؤكد أن الصحابة- ﷺ- كانوا لا يتهاونون في ذلك، وأن النبي- ﷺ- حذر من الكذب عليه أو التكذيب بسنته، فمن ذلك ما رواه أبو داود، وصححه الشيخ الألباني من حديث المقدام الِمقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ- رضي الله عنه- أن النبي- ﷺ- قال:

(أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُم فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ).

وفي رواية أخرى عند الترمذي، وصححها الشيخ الألباني: (أَلا هَل عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلالًا اسْتَحْلَلنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ- كَمَا حَرَّمَ اللهُ).

وقد روى البخاري ومسلم من حديث علقمة عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه قال: (لعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلقَ اللهِ، فَبَلغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَالُ لهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالتْ: مَا حَدِيثٌ بَلغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لعَنْتَ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلقَ اللهِ، فَقَال عَبْدُ اللهِ: وَمَا لِي لا أَلعَنُ مَنْ لعَنَ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالتِ المَرْأَةُ: لقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَال: لئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وَجَدْتِيهِ، قال- عز وجل- : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾، فَقَالتِ المَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلى امْرَأَتِكَ الآنَ، قَال: اذْهَبِي فَانْظُرِي، قَال: فَدَخَلتْ عَلى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، فَلمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِليْهِ، فَقَالتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، فَقَال: أَمَا لوْ كَانَ ذَلِكَ لمْ نُجَامِعْهَا).

ومعنى لم نجامعها، قال جماهير العلماء: معناه لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلقها ونفارقها، وقيل: يحتمل أن معناه لم أطأها، وهذا ضعيف كما ذكره النووي، والصحيح أن من عنده امرأة مرتكبة معصية كوصل الشعر أو ترك الصلاة أو غيرهما ينبغي له أن يطلقها.

وكلام عبد الله بن مسعود واضح في التزامه بالسنة قولا وعملا، كالتزامه بمقتضى أحكام القرآن.

النوع الثاني: (أدوات فهم نصوص الكتاب و السنة)

يطلق الخطاب الديني، ويراد به خطاب الدلالة المأخوذ من الكتاب والسنة، ويدخل في ذلك أقسام:

القسم الأول- مباحث أصول الفقه المبنية على تعريف الحكم الشرعي حين عرفه أهل العلم بقولهم: "خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الطلب أو التخيير أو الوضع"، وما فرعوه على ذلك من مباحث الأحكام التكليفية من الإيجاب والتحريم والكراهة والاستحباب والإباحة والصحة والفساد، ومباحث الدلالات والأوامر والنواهي، ومصادر الاستنباط من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وما بني عليها من المصلحة، والعرف وغير ذلك من المسائل في بيان معنى الدليل، ومباحث التعارض والترجيح، ومسائل تعريف علم الأصول، ومباحث الحكم وحدِّه وبيان قسميه: التكليفي: المندرج تحته الصيغة الجازمة و غير الجازمة في الطلب من المكلف فعله، وهما الواجب والمستحب، أو الجازمة وغير الجازمة في الطلب من المكلف تركه، وهما المحرم والمكروه، أو التخييرية للمكلف في الفعل أو الترك، وهو المباح، وكذلك الأحكام الوضعية من السبب والشرط والمانع وغيرها.

على أن بينهم نقاشا: هل الحكم التكليفي هو خطاب الله أو مقتضى خطاب الله؟ أي أثر الخطاب وليس الخطاب نفسه.

فعند الفقهاء: "(مدلول خطاب الشرع) قال الإمام أحمد- رضي الله عنه- : الحكم الشرعي خطابُ الشرع وقولُه. قال في شرح التحرير: والظاهر أن الإمام أحمد أراد بزيادة "وقوله" "على "خطاب الشرع" التأكيد ، من باب عطف العام على الخاص ؛ لان كل خطاب قول ، وليس كل قول خطابا. انتهى.

وشمل مدلول الخطاب الأحكام الخمسة، والمعدوم حين الخطاب، ودل على أن الحكم صفة الحاكم، فنحو قوله- تعالى- : ﴿ أقم الصلاة ﴾ فالنظر إلى صدوره من الله - ﷻ- ، فيكون إيجابا ، وباعتبار النظر إلى ما تعلق به ، وهو فعل المكلف يكون وجوبا.

فترى العلماء تارة يعرفون الإيجاب ، وتارة يعرفون الوجوب؛ نظرا إلى الاعتبارين.

وقال كثير من العلماء: إن الحكم الشرعي خطابه المتعلق بفعل المكلف، وهو قريب من الأول، إلا أن هذا أصرح وأخص، فخطاب جنس، وهو مصدر خاطب، لكن المراد هنا المخاطب به ، لا معنى المصدر الذي هو توجيه الكلام لمخاطب. فهو من إطلاق المصدر على اسم المفعول"[١].

القسم الثاني- كتب الفقه: متونه وشروحه وحواشيه:

لا يخفى على من له عناية بالشريعة وعلومها ما بذله أهل العلم من التصنيف والتدوين لعلوم الغاية وعلوم الآلة، كما أشرت إليه آنفا، ÕØ‬ أصبح الفن الواحد يجمع عددا من التنوع في المباحث والتفريعات، فعلى سبيل المثل علم الفقه الذي كان له أوفر الحظ والنصيب من التعدد والتنوع منها:

- كتب الخلاف العالي.
- المتون الفقهية المذهبية.
- المنظومات الفقهية.
- القواعد الفقهية وضوابطها.

---

١ الكوكب المنير شرح مختصر التحرير، لابن النجار، ١/١٣٦- ١٣٧.

- علم الفروق الفقهية.
- علم الأشباه والنظائر.
- الحواشي والتعليقات.

وغيرها من التآليف التي تزخر بها الخزانة الفقهية في دول العالم.

وهذه المباحث من القواعد الفقهية والأصولية والفروق والاستثناء، والأشباه والنظائر وغيرها من المباحث العلمية، فهذه نوع من الخطاب الديني كما أشرت إليه.

القسم الثالث: مباحث علوم القرآن مما يشمل الحديث عن الآيات المكية والمدنية وأسباب النزول وغيرها، فإن علم التفسير الذي موضوعه كما قال الطاهر بن عاشور: "معلوم لك أن موضوع علم التفسير هو القرآن؛ لتبيان معانيه، وما يشتمل عليه من إرشادٍ، وهدىً، وآداب، وإصلاح حال الأمة في جماعتها، وفي معاملتها مع الأمم التي تخالطها: بفهم دلالته اللغوية والبلاغية؛ فالقرآن هو الكلام الذي أوحاه الله- تعالى- كلاماً عربياً إلى محمد، "بواسطة جبريل على أن يبلغه الرسول إلى الأمة باللفظ الذي أوحي به إليه للعمل به، ولقراءة ما يتيسر لهم أن يقرؤوه منه في صلواتهم، وجعل قراءته عبادة"[1].

ولهذه الأهمية في علم التفسير اعتنى علماؤه باستنباط القواعد التفسيرية للقرآن الكريم، ومن نظر لعلم علوم القران وما سطره العلماء فيه من أصول التفسير وعلومه يدرك حجم عناية هؤلاء العلماء بخطاب القرآن الكريم،

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٧٠.

حيث قسموا مدوناتهم في سياق بيان أنواع عدد من المسائل، ويمكن تقسيم هذه الأنواع إلى قسمين[1]:

١ - أنواع من المسائل منبثقة من القرآن، ولا يمكن أخذها ودراستها في غيره؛ كالمكي والمدني، ونزول القرآن، والأحرف السبعة، وعد الآي، والوقف والابتداء، وغيرها من هذه الأنواع التي هذه صفتها.

٢ - أنواع مشتركة بين علوم القرآن وغيرها من العلوم، وهي على نظرين:

الأول: النظر إلى القرآن كنص عربي، فيدخل فيه جملة العلوم العربية التي بحثها علماء العربية بفروعها؛ كالإعراب والتصريف والبلاغة وغيرها، فوجودها في علوم العربية أصل من جهة كونها تبحث في الكلام العربي سواء أكان كلام الله العربي، أم كان كلام البشر؛ كالرسول- ﷺ- ، أو العرب في أشعارهم ونثرهم.

الثاني: النظر إلى القرآن كنص شرعي تستقى منه الأحكام، وتشاركه السنة النبوية في هذه النظرة، وقد نتج من هذا جملة من العلوم؛ منها: الفقه، ونشأ منه دراسة آيات الأحكام، وأصول الفقه الذي أشرنا إلى عدد من مسائله التي تدرس في كتب علوم القرآن؛ كالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وغيرها.

(١) ينظر: المحرر في علوم القرآن، للدكتور مساعد الطيار، ص ٢٣- ٢٤.

القسم الرابع :

مباحث علوم الحديث رواية ودارية ، فإن الأمم السابقة لم تعن في النقل والرواية بالإسناد والتحري في معرفة الرجال ودرجاتهم من العدالة والضبط ونحوها من كواشف العلل الإسنادية ، فكانت الحوادث التاريخية والنقول تُروى على علاتها ، ولكن اختص الله هذه الأمة بأن وفقها لحفظ كتابه وسنة نبيه وصيانتهما ، ومن ذلك علم الحديث بمباحثه ومسائله التي عني أهل الحديث ببيانها وتحريرها ليتضح للمتخصص موارد العلل المتنية والعلل الإسنادية ، قال ابن حزم : "الثالث ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي- ﷺ- ، يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه ، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان ، على أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف ، إما إلى رسول الله- ﷺ- من طرق جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- ، وإما إلى الصاحب وإما إلى التابع ، وإما إلى إمام أخذ عن التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن ، والحمد لله رب العالمين وهذا نقل خص الله- تعالى- به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وبناه عندهم غضا جديدا على قديم الدهر"[١] .

وقال الحافظ أبو علي الجياني : "خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الإسناد ، والأنساب ، والإعراب"[٢] .

---

١ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٢/ ٨٢.

٢ تدريب الراوي ، للنواوي ، ص ٣٥٩.

فهذه قسم من الخطاب الديني الذي يتضمن مباحث تتعلق بالشريعة وأحكامها، وضبط نصوصها وطرق تفسيرها.

وهو خطاب لا يقبل النقاش؛ لأنها مباحث علمية تناقش مناقشة علمية، وليست فهوم العلماء وآراءهم.

وهذا النوع يقبل التجديد من حيث تطور العلوم وتشعبها، مثل تشعب علم القواعد إلى قواعد فقهية وأصولية وفروق واستنباط وأشباه ونظائر، وكذلك ظهرت علوم جديدة، كعلم الاقتصاد الإسلامي والإعلام الإسلامي، وقد يكون منها المصارف الإسلامية والمالية الإسلامية وهكذا.

هذا النوع الثاني يقبل الاجتهاد بمعنى التطوير والتجدد في أقسام العلوم وتنوعها حسب متطلبات البحث والمذاكرة من أهل العلم؛ إذ من المعلوم أن هذه التقسيمات والتعريفات للعلوم والفنون هي وليدة البحث والمذاكرة، فيبدأ القسم صغيراً، ثم يكبر، ثم يتفرع حسب ما تقتضيه المذاكرة والبحث.

فهذا هو التجديد أو التطوير الذي يقبله هذا النوع.

النوع الثالث من إطلاقات الخطاب الديني: إطلاقه على (أقوال العلماء واجتهاداتهم):

وهو ما يصدر عن علماء الشريعة من المحدثين والمفسرين و الفقهاء، وما يصدر عن الدعاة والوعاظ وغيرهم ممن له انتساب إلى العلوم الشرعية وتخصصاتها.

وهذا النوع من الخطاب ميدان للاجتهاد لتحقيق مقاصد الشارع، ومراعاة حاجات المكلفين، والأصل في هذا النوع من الخطاب الاجتهاد وعدم القطع بنتائجه، وإن كانت نتائج تلك الاجتهادات حجة في حق القائلين بها، ومن

اقتنع بها، أو قلد المجتهد فيها، وهي تقبل النقاش والأخذ والرد بين أهل العلم وذوي الاختصاص، كما تقبل التجديد والخضوع لعوامل التغيير بآليته المعتبرة.

وثمة وقفات مهمات ومكملات في طبيعة هذا الخلافات الناشئة عن هذا النوع من الخطاب:

الوقفة الأولى: أن هذه المناقشات وما يترتب عليها من اختلاف وآراء ليست شخصية، بل هي موضوعية يتم البحث فيها، والتحاور من هذا المنطلق.

الوقفة الثانية: أن بعض هذه الخلافات يأتي في إطار تلبية الشريعة لداعي التطور الاجتماعي حق الاختلاف، واحترام الرأي المتبادل، وليس مظهراً من مظاهر الضعف أو الشقاق؛ لأن هذه الخلافات قائمة على أسس مقدمات موضوعية كما تقدم، وهي ثروة تشريعية تعض عليها الأمة الإسلامية بالنواجذ، وتعدها كنزاً تباهي به الأمم، لا سيما أن هذه الخلافات في فروع الشريعة لا في أصولها، لأن الأصول العامة التعبدية منها والاعتقادية والتشريعية واحدة، ولا خلاف فيها، وما تلك الاختلافات إلا في ميدان التطبيق والتفريع على هذه الأصول مما هو داخل في دائرة الاختلاف السائغ، مما سهل على الأمة التمسك بدينها، والعمل بمنهاج ربها- سبحانه- ؛ إذ أباح أن تسلك أي الطرق التي استنبطها الأئمة المجتهدون، وأن تأخذ بأي الأقوال التي قالوها لا حرج عليهم أن يدعوا قول فلان إلى قول فلان، ما دام كل منهما يسير في اجتهاده على منهج واضح وأسس مشروعة.

كما روي عن عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنه- قوله: (ما أحب أن أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- لا يختلفون؛ لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة)، وقد علق الإمام الشاطبي على هذا الكلام بقوله: "ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد، وجواز الاختلاف فيه؛ لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق، فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعي فيهم، فكان فتح باب للدخول في هذه الرحمة"، كما أن الأستاذ الشيخ محمد أبا زهرة يعلق على قول الشاطبي هذا بقوله: "ولقد كان اختلاف الصحابة في الفروع رائده الإخلاص، لذا لم يكن بينهم تنازع في الفقه ولا تعصب، بل طلب للحقيقة، وبحث عن الصواب من أي ناحية أخذ، ومن أي جهة استبان، وأن ذلك الاختلاف كان فيه شحذ للأذهان واستخراج للأحكام من القرآن واستنباط قانون شرعي عام، وإن لم يكن مسطورا..، ونحن لا نرى الخلاف في الفروع إلا ثمرات ناضجة لما بثه القرآن الكريم والسنة النبوية في نفوس الناس، من الحث على البحث بعقولهم وتدبير شؤونهم بالشورى ومبادلة الرأي، مستضيئين بسنة النبي- صلى الله عليه وسلم- ، ومستظلين بأحكام القرآن".

هذا ولا بد بعد ذكر ما تقدم من أقوال أئمة الشريعة الإسلامية، من التنبه إلى أن الكثيرين من علماء القانون والحقوق في العصر الحديث يفاخرون بما انحدر إليهم من تراث تشريعي عن الرومان يضم كثيرا من الآراء والنظريات المختلفة التي نظمها الفقهاء والشراح في العهد الروماني وما بعده، ولا يعدون تلك الآراء المختلفة والنظريات المتباينة أحيانا من النواقص، ولا مظهرا من مظاهر التناقض أو التخلف، مع أن الفقه الروماني على سعته هذه التي

يفخرون بها لا يعد إلا نزرا يسيرا إذا ما قارناه بما يحتويه فقهنا العظيم من نظريات تشريعية، وآراء ومذاهب فقهية، وفروع متعددة، وثروة تشريعية ضخمة.

الوقفة الثالثة: أن الله- تعالى- فضلا منه وكرما- ، لم يحتم علينا الوصول إلى الحق، ومعرفة حكمه القطعي في كل مسألة من المسائل التي شرعها؛ لأن هذا فوق الطاقة، وفيه حرج كبير، والحرج مرفوع في الشريعة الإسلامية بنصوص كثيرة معلومة، ولكن المطلوب بذل الجهد المستطاع للوصول إلى الحق، ولذلك وردت النصوص كلها تدل على أن المجتهد إذا أصاب كان له أجران، وإذا أخطأ كان له أجر واحد، وطبعي أن المجتهد المخطئ لم يصب حكم الله، ولكن هذا الخطأ مرفوع في الشريعة، وأن ما توصلوا إليه من أحكام جائز تقليدهم فيه، والعمل به رخصة من الشارع، وذلك ضرورة أن من غير المستطاع الجزم بالحق الذي قضى به الله- تعالى- في سابق علمه، وبذلك يكون ذلك الاختلاف مأذونا به من الشارع، ومرضيا عنه منه، وهو مظهر من مظاهر الواقعية والاعتراف بالقدرات البشرية المحدودة، فكان للمخطئ من المجتهدين أجر رغم خطئه، وعدم قدرته على الوصول إلى الحق، فحسبه في ذلك أنه بذل جهده الذي منَّ الله- تعالى- به عليه، ولا يمكن أن يقال: إن معنى ذلك أن كل إنسان جاهل يُعْمِل رأيه في فهم النصوص، ثم يقول هذا جهدي وأنا مأجور عليه، فيأتي من الأحكام بما لم تقره شريعة ولا عقل، إذ الجواب على ذلك هو أن الله أمرنا ببذل الجهد قدر الطاقة، وأدار الثواب والعقاب عليه، ولا يعد هذا الجهد مبذولا إلا إذا حصل الإنسان الآلة التي بها يستطيع فهم الأحكام من النصوص، وهذه

الآلة هي ما يسميه الفقهاء والأصوليون بملكة الاجتهاد وشروطه، فما لم يحصل الإنسان هذه الآلة فهو مقصر، ولم يبذل الجهد، وبذلك لا يدخل في زمرة المأجورين.

الوقفة الرابعة: أن الاختلاف في فهم النصوص التشريعية لا بد منه؛ نظرا لطبيعة تلك النصوص وما تتضمنه من احتمالات ومرونة تقتضيها طبيعة التشريع، فإنه إن كان من الأفضل أن تكون الأحكام التفصيلية والمسائل الجزئية واضحةً ومحددةَ المعنى بصورة لا تقبل الاختلاف في فهمها، فإنه من الأفضل – دون شك – في النصوص التشريعية الدستورية أن تكون مرنة في حدود ما تقضي به الحاجة؛ ليمكن أن تصاغ منها تلك المواد الجزئية وتلك الأحكام الفرعية على وفق الحاجة المتغيرة من زمن إلى زمن ومن بيئة إلى بيئة، ولو كانت تلك النصوص محددة بحيث لا تقبل الاختلاف، لكان الناس في عسر شديد وفي ضيق، ولما أمكن الخلود لمثل هذه القواعد والأسس.

وفي هذا القسم يقبل النظر والاجتهاد والتطور والتغير بالضوابط والمعايير التي وضعها أهل العلم المختصون في الاجتهاد وحق التفسير والنظر.

نشأة الكلام عن الخطاب الديني

الكلام عن نشأة الحديث عن الخطاب الديني قد لا يكون له كبير أثر إذا لم يرتبط به دراسة وتحليل للظروف التي نشأ فيها هذا المصطلح.

ومصطلح الخطاب الديني تجاذبته السياقات السياسية والفكرية، وبني على ذلك مشاريع دعت إلى مراجعة مصادر الخطاب الديني.

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١)، أشار الكثير من الكتاب إلى أن هذه الأحداث شكلت نقطة فاصلة في تاريخ العلاقات الدولية، وبدأت الكتابات والتحليلات تتخذ هذا التاريخ كبداية لنمط جديد من أنماط التعامل الدولي والتفاعلات الإنسانية، فهذه الأحداث أعطت دفعة جديدة للخطاب السياسي، حيث يؤكد منظرو هذا الخطاب أن الصراع الدولي القادم هو صراع حضارات، والحضارات في تصورهم تتمحور حول الأديان، فكل دين يمثل حضارة، وصرح من صرح بأن العدو الأوحد للغرب هو الإسلام[١].

لذلك انطلقت دعوات متعددة من جهات كثيرة تدعو إلى إعادة النظر في الخطاب الإسلامي، وقد ترافقت هذه الدعوات مع إعلان الإدارة الأمريكية الحرب على الإرهاب، ولم تقف خطورة الحرب على الإرهاب عند حدود الأبعاد السياسية والأمنية، وإنما امتدت إلى محاولة التأثير على المجتمعات

---

١ ينظر: " الخطاب الديني والصراعات الدولية "، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ص١٤٨.

العربية والمسلمة من خلال تجفيف وتبديد منابع الدين داخل هذه المجتمعات، والعمل على تغيير مناهج التربية والتعليم[1].

وقد شكلت لجنة داخل وزارة الخارجية الأميركية تعرف باسم "لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية"، وأوصت اللجنة بعدة توصيات مرهون تنفيذها بالمعونات الأمريكية، ومن الواضح من الوثائق الأمريكية، ومن آراء بعض الخبراء الأمريكان المتخصصين أنّ الإصلاح الذي يجري الحديث حوله هو تغيير ثقافي في المجتمعات العربية والمسلمة، من خلال استبدال القيم الاجتماعية الأساسية التي تحكم تصورات الناس وسلوكهم[2]، ووسيلتهم لتحقيق هذه الأهداف هي مناهج التربية والتعليم، لكون التربية والتعليم هي وسيلة المجتمع لنقل ثقافته والمحافظة على عقيدته، وإرساء المثل والقيم التي يراد غرسها في النشء، وعن طريق التربية تصوغ الجماعة أفرادها، والدول شعوبها وتوجه سلوكهم وأخلاقهم وفق الأهداف التي يسعى إليها المجتمع.

واتساقاً مع هذا التوجه تعالت أصوات تنادي بالدعوة إلي ما أسمي بتجديد أو تطوير الخطاب الديني الإسلامي، والتي بدأت في بعض البلدان العربية، وسرعان ما تحولت إلي تيار جارف ودعوة مبتذله، يرددها الكثيرون، ولا تكاد تمر مناسبة بدون توجيه لتطوير الخطاب الديني، وتغيير

---

١ ينظر: " 'الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني' دار الشروق الدولية، القاهرة.

٢ ينظر: جريدة الأسبوع القاهرية في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣.

المناهج، مما يفرض على الأمة تحديات كبيرة، لكون السهام موجهة لعمود الأمة الفقري والمتمثل بثقافتها، والتي تميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة، الشهيدة على الناس، وهى بغير هذه الثقافة ضائعة مبهمة الملامح، وكون التربية والتعليم من أهم الضمانات للحفاظ علي ثقافة الأمة ونقلها عبر الأجيال يضع الأمة بمجموعها أمام تحدي تربوي كبير[1].

وفي نظر الباحث فإن تغيير المناهج المطروح هنا غير التطوير المنشود المنسجم مع تطور الأمة في أجيالها وخططها وتطلعاتها المحافظ على دينها وعقيدتها وثوابتها.

---

١ ينظر: تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة، ص ٤.

حقيقة إصلاح الخطاب الديني وصلته بمنهج السلف

وقبل الشروع في مقصود هذا المبحث يحسن بيان معنى السلف:

تعريف السلف

السَّلف في اللغة: ما مضى وتقدم، يُقال: سلَف الشيءُ سَلَفا: أي مضى، والسَّلف: الجماعة المتقدِّمون، أَو القوم المتقدمون في السير.

قال- تعالى- : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ أي: جعلناهم سلفا متقدِّمين لمن عمل بعملهم، وذلك ليَعْتَبِرَ بهم مَنْ بعدهم، وليتعظ بهم الآخرون.

والسَّلَفُ: (من تقدَّمك من آبائك ذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنِّ والفضل، ولهذا سُمي الصدر الأَول من الصحابة والتابعين: السلف الصَّالح)[1].

وفي الاصطلاح:

إِذا أُطْلِقَ السلفُ فتدور التعريفات حول الصحابة، أَو الصحابة والتابعين، أَو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأَئمَّةِ الأَعلامِ المشهودِ لهم بالإِمامةِ والفضلِ واتباعِ السنة والإِمامةِ فيها، واجتناب البدعةِ والحذر منها، وممن اتفقت الأُمّةُ على إِمامتهم وعظيم شأنهم في الدِّين، ولهذا سمي الصدرُ الأول بالسلَف الصالح.

وعليه فالسلف الصالح: ما كان عليه النبي- ﷺ- وأصحابه والأئمة المهديون المرضيون من التابعين ومن تبعهم بإحسان ممن عرف بالإمامة في

---

١ ينظر: معاجم اللغة، تاج العروس، لسان العرب، القاموس المحيط، مادة «سَلَفَ».

الدين والفضل والعلم والصلاح والهدى، سالماً من البدع والسلوك غير المرضي.

وفي بيان هذا المصطلح يحسن التفريق بين منهج السلف والجماعات السلفية، فمنهج السلف هو ما سبق تعريفه، أما الجماعات والجمعيات السلفية من جمعيات تسير على منهج السلف، لكنها اتخذت صفة الجماعة أو الحزب أو المذهب، مثل جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والسودان، وجمعية إحياء التراث في الكويت وجمعيات أهل الحديث في الهند وباكستان، فهذه جمعيات لها تنظيماتها الإدارية والفنية حسب ما تقضي به أنظمة بلادها من قوانين إنشاء الجمعيات والأحزاب، وقد تدخل الانتخابات في بلدها.

فهذه جمعيات سلفية، لكنها حزبية مذهبية، وهذا لا حرج فيه، ولكن الذي ينبغي التنبيه إليه أن الانتساب إليها ليس شرطاً في الانتماء إلى منهج السلف، كما أنه لا يجوز عقد الولاء والبراء لهذه الجمعيات بصفتها جمعيات.

بعد هذا الإيضاح في التفريق بين منهج السلف والجماعات السلفية لعلي أبين منهج السلف فيما يتعلق بالرأي الذي هو قاعدة الخطاب في العموم، وهو الذي يمكن أن يلحظ في أثناء تقويم الخطاب الديني:

قال بن قدامه: (ذم السلف الرأي)، والصحيح أنهم ذموا الرأي الصادر عن جاهل ليس أهلا للاجتهاد.

وتكون الآراء والأقوال غير معتبرة في المسالك التالية:

أ- الرأي المخالف للنص، (وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه).

ب- الكلام في الدين بالخرص والظن، والتفريط والتقصير في معرفة الدليل والنصوص واستنباط الأحكام منها

ج- الرأي المتضمن تعطيل أسماء الله وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلالات.

د- الرأي الذي أحدثته البدع، وغيرت به السنن.

وقال ابن عبد البر: "ونوع آخر مذموم، هو استعمال الرأي في الوقائع قبل أن تنزل، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات".

أما الأقوال والآراء المقبولة المحمودة ففي المسالك التالية:

١- رأى الصحابة: فهم أفقه الأمة، وأبرها قلوبا، وأقلها تكلفا، فقد شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقصد الشريعة.

٢- الرأي الذي تفسر به النصوص، ويبين وجه الدلالة منها ويسهل طرق الاستنباط منها.

٣- الرأي المجمع عليه الذي تواطأت الأمة عليه، وتلقاه خلفهم عن سلفهم، فإنهم ما تواطأوا إلا على ما هو صواب.

٤- الرأي الذي يكون بعد طلب علم الواقعة من القرآن، فإن لم يجد فمن السنة، فإن لم يجد في السنة فبما قضى به الخلفاء الراشدون أو اثنان منهم أو واحد، فإن لم يجد فباجتهاده هو، وفق ما هو أقرب للأدلة.

فإن الإسلام الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة، وهذا من واقع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان، لكن

هناك ثوابت لا تقبل التطوير ولا الاجتهاد ولا الإضافة ولا التغيير، ولا يمكن أن يقول بتغيير هذه الثوابت عالم معتبر.

فمن ذلك على سبيل المثال:

- مسائل الإيمان والعقائد، فصفات الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، والملائكة والجنة والنار واليوم الآخر وعذاب القبر، وغير ذلك من مسائل الغيب لا تقبل الإضافة مطلقاً، وكذلك الصلوات من فرائض ونوافل لا تجوز الزيادة فيها على المشروع، فلا جديد على الصلاة والصوم والزكاة والحج.

- **ومن الثوابت**: أن الإسلام هو خاتم الأديان والرسالات، ولا يقبل الله من الناس غيره. فمن مات على غير الإسلام فهو من أهل النار﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾.

- **ومن الثوابت**: إقامة العدل ومنع الظلم، قال الله- تعالى- : ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.

- **ومن الثوابت**: شمولية الإسلام، فهو نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعاً؛ لقوله- تعالى- : ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾. فلا فصل بين الدين والعلم، ولا فصل بين الدين والسياسة، كما أنه لا فصل بين الدين والاقتصاد.

- **ومن الثوابت في حياة الأمة**: المحرمات اليقينية من السحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات والسرقة والغيبة والنميمة والكذب وغيرها.

- **ومن الثوابت:** أمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد والحياء والكرم والمروءة.

- **ومن الثوابت:** أن الإسلام قد حرص على إقامة مجتمع العفاف والطهر، وقضى على انحرافات الجاهلية، فمنع الاختلاط المحرم ودواعيه، وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وحث على غض البصر، وأمر بلباس شرعي ساتر للمسلمة.

- **ومن الثوابت:** الأحكام القطعية في شؤون الأسرة والمجتمع التي ثبتت بالنصوص المحكمة، مثل إباحة الطلاق، وتعدد الزوجات، وإيجاب النفقة على الزوج، وإعطائه حق القوامة على الأسرة، فلا يسوغ لأحد تقييد الطلاق، وتقييد تعدد الزوجات، والدعوة إلى الاختلاط، وترك الحجاب بحجة تحرير المرأة والتمدن والتحضر والاستنارة، فهذه ثوابت في ديننا لا تقبل المناقشة.

- **ومن الثوابت:** أن الرجل والمرأة في ميزان الإسلام شقيقان، لا تقوم الحياة ولا ترقى إلا في ظل المواءَمة بينهما، فالله خلق المرأة للمهمة التي خلق من أجلها الرجل، قال الله- تعالى- : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

المرأة في ميزان الإسلام كالرجل، فرض الله عليها القيام بالتكاليف الشرعية، مطلوب منها أن تتعلم ما ينفعها من علوم الدنيا والآخرة.

- **ومن الثوابت:** أن الخالق - جل وعلا- زوّد كلاً من الرجل والمرأة بخصائص تتوافق والمهمة التي يقومان بها، وجعل فروقاً بينهما، فالمرأة تختلف عن تكوين الرجل في بنائها الجسمي، وتكوينها الجسدي، ومما تتميز به

خصائص الأنوثة، سرعة الاستجابة، ورقة العاطفة، وغلبة الحياء، وشدة الخجل، وقلة التحمل، والظروف الطارئة الطبعية، اقتضت حكمة العليم الخبير ذلك؛ لتؤدي دورها المرسوم في الحياة بما يتلاءم مع فطرتها وخصائصها.

عنصر الثبات يتجلى في رفض المجتمع المسلم للعقائد والمبادئ والأفكار والقيم والشعارات التي تقوم عليها المجتمعات الأخرى غير المسلمة؛ لأن مصدرها غير مصدره، ووجهتها غير وجهته، وسبلها غير صراطه، ولذلك حرص رسول الله- ﷺ- على تميّز المسلمين في كل شؤونهم عن مخالفيهم، فتميّز المجتمع المسلم أمر مقصود للشارع.

- **ومن الثوابت**: أن الإسلام لا يمكن تجزئته، فلا بد أن يؤخذ كله كما أمر الله، عقيدةً وعبادة، أخلاقاً ومعاملةً، تشريعاً وتوجيهاً، فالإسلام ليس مجرد عقيدة بلا عبادة وعمل، وليس عبادة بلا أخلاق، أو أخلاقاً بلا تعبد، وليس عقيدة وعبادة وأخلاقاً بلا تشريع ونظام يسود الحياة.

ثوابت المسلمين ذات قرار مكين، مستمدة من توجيهات الإسلام وهي صمام الأمان لهم، تقيهم من الضياع والانفلات، وتصل بهم إلى بر الأمان.

نتحدث عن الثوابت في حياة الأمة؛ لأننا في عصر حفل بألوان من العلوم والمعارف، وراجت فيه مفاهيم متنوعة وتصورات مختلفة، عصرٌ يموج بالأحداث الجسام والأطروحات المستجدة، وبرز التأثير فاعلاً، فقد التقى العالم مشرقُه بمغربه، وجنوبه بشماله، ولا يكاد يمر يوم، ولا تمر ساعة، بل ولا تمر لحظة لا يُذكر فيها لفظ التغيير والتقدم والتطور، من أقصى الأرض إلى أقصاها الآخر، وغدت قضية التطوير القضية الكبرى في حياة المسلمين.

إن الثوابت متفق عليها بين جميع المسلمين ، فإن اختلافهم إذا كان نابعا عن الاجتهاد المنضبط ، فهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وقد جعل الشاطبي الاختلاف الذي يؤدي إلى الفرقة والتباغض من علامات كونه اختلافا نابعا من الهوى ، غير مقبول في الإسلام حيث يقول : "ومن هنا يظهر وجه الموالاة والتحاب والتعاطف فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد ، حتى لم يصيروا شيعا ، ولا تفرقوا فرقا ؛ لأنهم مجتمعون على طلب قصد الشارع ، فاختلاف الطرق غير مؤثر."

ثم قال : "وبهذا يظهر أن الخلاف الذي هو في حقيقته خلاف ناشئ عن الهوى المضل ، لا عن تحري قصد الشارع باتباع الأدلة على الجملة والتفصيل ، وهو الصادر عن أهل الأهواء ، وإذا دخل الهوى أدى إلى إتباع المتشابه ، حرصا على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف ، وأدى إلى الفرقة والعداوة والبغضاء ؛ لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها ، وإنما جاء الشرع لحسم مادة الهوى بإطلاق."

ومن المعلوم أن هذه الاختلافات الفقهية الكثيرة داخل الفقه الإسلامي دليل على يُسر الشريعة وسعتها ومرونتها وعظمتها ؛ لأن نصوصها استوعبت كل هذه الخلافات مرونة ورفعا للحرج.

بل الخلافات الفقهية واقعة ما دام الاجتهاد مشروعا ، فتكون الخلافات الفقهية ناتجة من ذلك ، فهي تدور معه وجودا وعدما ، لاختلاف العقول والتصورات والأعراف والتأثيرات الخارجية والداخلية..، ومن هنا فالمسلمون عندما يكون لديهم هذا الوعي فإن الاختلاف لا يؤدي إلى التباغض.

ـ مخاطر الجرأة على الثوابت :

وإضافة إلى ما سبق ، فيمكن القول بأن الجرأة على ثوابت الأمة في محتواها ومضمونها يترتب عليه مخاطر كثيرة منها :

١ ـ إخضاع الدين الذي هو وضع إلهي إلى عقل الإنسان وتفكيره ، مما يجعل الدين عرضة للتغيير والتبديل المستمر ، وهذا يؤدي بدوره إلى ضياع الدين كليةً ، كما حدث مع الذين من قبلنا من أصحاب الملل ، حينما عمد أحبارهم ورهبانهم إلى تغيير بعض الأحكام التي أنزلها الله في كتبهم بزعم المصلحة ، وقد بين الله ذلك في كتابه ، فقال مبيناً سوء صنيعهم وعاقبة فسادهم ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ (٣١) سورة التوبة ، حيث انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراماً ، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً ، وعند ذلك يَدْرس الإسلام وتعود البشرية إلى الجاهلية مرة أخرى ، فهذه دعوة تحريفية تسعى إلى خراب العالم وإفساده ، بإبعاد البشرية عن هداية الله لهم فيما أوحاه الله إلى عبده ورسوله محمد- ﷺ- .

٢ ـ فقد الأمة الإسلامية أهم مصدر من مصادر عزتها وقوتها ، حتى تصير بعد ذلك أمة بلا هوية ، بلا تاريخ ، بلا ثقافة ، وأخيراً بلا دين ، وتصير بعد ذلك نهباً لكل طامع في خيرات بلادها.

٣ ـ إفساح المجال بقوة أمام الحركات وجمعيات التنصير وغيرها التي تنشط في المجتمعات التي تجهل حقيقة الإسلام.

٤ ـ تحويل الأمة من أمة قائدة هادية للحق إلى أمة تابعة ذليلة ضالة.

٥ ـ إماتة روح الجهاد في نفوس الأمة، مما يسهل اختراقها واحتلال بلاد المسلمين من قبل الصليبيين المتربصين.

٦ ـ إيجاد قطيعة مع سلف هذه الأمة، حتى إنك لو نظرت في أقوال المجددين العصريين، وقارنتها بسلف هذه الأمة خُيِّل إليك أنهم يتحدثون عن شريعة غير الشريعة التي يتمسك بها السلف الصالح، ويتحدثون عنها.

- **كيف يتم تجديد الخطاب الديني:**

جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود والحاكم وصححه أن النبي- ﷺ- قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، فذكر النبي- ﷺ- تجديد الدين نفسه، والخطاب الديني جزء من هذا الدين وتجديده، والقائم بهذا التجديد جاء بلفظ (مَن)، فهو يشمل الفرد والجماعة، وفي ظل توسع الأمة، واتساع رقعتها، والانفتاح العالمي، وتضخم الخلل الموجود في واقعها، فإن هذا الواقع يقودنا إلى أن هذا العمل التجديدي قد لا يقدر عليه فرد، بل مجموعات تتكامل فيما بينها، وتؤدي أدواراً مختلفة، وتخصصات علمية متباينة، وحقولاً معرفية كلها تنتهي عند المصب الأصل (الشريعة).

وتجديد الدين إحياء ما اندرس منه، وإزالة ما قد يعلق به من شوائب بسبب الزمن وطول العهد، وليس التجديد بالتغيير والإحداث والابتداع، بل هو إحياء وإعادة بعث وتصويب وتصحيح.

وهناك فرق بين الخطاب الديني والوحي المنزل، بمعنى أن الخطاب الديني يعتمد على الوحي، لكنه يبقى في حدود العمل العقلي البشري أو العمل

الاجتهادي الذي يرتبط بإمكانات الإنسان وقدرته وطاقته، فهو مثل خطاب الفقهاء والوعاظ والمصلحين الذي يمثل اجتهاداً من عندهم- كما سبق إيضاحه- يجب عدم المساس بالضرورات والقواعد الشرعية والمحكمات الدينية الثابتة، وأن يكون التجديد بترتيب سلم الأوليات وتنظيم الأهم، وإبراز المقاصد الكبرى للعلم والدعوة والإصلاح، وإبراز القيم والأخلاق الإسلامية الإنسانية العامة التي يحتاج إليها الناس كلهم دون استثناء.

كما يجب العناية بالنظريات العامة في الإسلام مثل النظريات السياسية والاجتماعية والفقهية الفرعية، وأن تكون النظرة في الأحكام متوافقة مع سعة شريعة الإسلام.

ـ وعليه فإن التجديد المشروع يتمثل في ثلاث دوائر:

١ ـ نشر العلم بين الناس، وإظهار الشرائع التي خفيت في المجالات الشرعية المختلفة بفعل الجهل الذي خيَّم على كثير من مجتمعات المسلمين، أو بفعل التأويل الفاسد الذي أضاع كثيراً من دلالات النصوص، ويكون التجديد في هذه الحالة: هو إظهار ما طمس، وإحياء ما اندرس.

٢ ـ إزالة ما علق بالدين مما ليس منه من أخطاء، أو بدع. أو تصورات وقعت في سلوك بعض الناس، أو أقوالهم أو عقائدهم، ورد الأمر إلى ما كان عليه النبي- ﷺ- وأصحابه، فيكون التجديد في هذه الحالة: هو إزالة ما زيد في الشريعة، أو أضيف إليها.

٣ ـ التمسك بما ورد في الشرع كله، والتقيد به والعمل على وفقه، وعدم ترك جزء منه أو إهماله، فيكون التجديد في هذه الحالة: هو إعادة

ما نزع أو نقص، ومن أهم تلك الأمور في عصرنا الحاضر إعادة التحاكم إلى الدين الذي نُحّي، وأبعد عن الغالبية العظمى من ديار المسلمين، ليكون الحكم في شؤوننا كلها بما أنزل الله، ويدخل في هذه الدائرة أيضا البحث في النصوص الشرعية وأدلة الشريعة الإجمالية، والقواعد الفقهية، للتوصل إلى الأحكام الشرعية للنوازل والمستجدات[1].

٤ ـ النظر في النوازل والمستجدات، وإعطاؤها الأحكام الشرعية المناسبة، انطلاقا من النصوص الشرعية والأصول والقواعد الشرعية، حسب قواعد النظر والاستنباط الشرعيين، والفقرة التالية تبين ضوابط استنباطات هذا الخطاب.

ضوابط الخطاب الديني في ظل المنهج السلفي:

وبناء على ما تم تقريره من أن الخطاب الديني ليس منفصلا عن معنى الحكم الشرعي، وعليه فإن المنهج السلفي في تقريره للأحكام يضع أمام كل راغب في التعرف على ضوابط الخطاب الديني إضافة للأصول المقررة من الثوابت في أول البحث، ما يتعلق بتغير الأحكام، فإن هذه المسألة من الأصول التي لم يدركها المناوئون للمنهج السلفي، لذا سوف أبين ضوابط النظر في تجديد الخطاب الديني، فأقول- وبالله التوفيق- :

---

١ انظر: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، لمحمد بن شاكر الشريف، ط١ ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الضابط الأول: اختلاف العوائد والأعراف:

من الأمور التي يكون بها التجديد الديني: تغيير العوائد والأعراف التي يُبنى عليها الخطاب الديني، سئل الإمام القرافي - رحمه الله - عن الأحكام المدونة في الكتب المرتبة على العوائد والأعراف التي كانت موجودة زمن جزم العلماء بهذه الأحكام، هل إذا تغيرت العوائد، وصارت لا تدل على ما كانت تدل عليه أولاً، هل يُفتي بما تدل عليه العوائد والأعراف الجديدة، أو يفتي بما هو مدون في الكتب؟، والفتوى هي من وسائل الخطاب الديني.

فأجاب – رحمه الله - بقوله: "إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغير تلك العوائد، خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة"، ثم شرع يفصل، فقال: "ألا ترى أنهم لما جعلوا أن المعاملات إذا أطلق فيها الثمن يحمل على غالب النقود، فإذا كانت العادة نقداً معيناً حملنا الإطلاق عليه، فإذا انتقلت العادة إلى غيره عيَّنا ما انتقلت العادة إليه، وألغينا الأول لانتقال العادة عنه"، إلى أن يقول: "بل ولا يشترط تغيير العادة، بل لو خرجنا نحن من تلك البلد إلى بلد آخر، عوائدهم على خلاف عادة البلد الذي كنا فيه، وكذلك إذا قدم علينا أحد من بلد عادته مضادة للبلد الذي نحن فيه؛ لم نفته إلا بعادته دون عادة بلدنا، ومن هذا الباب ما روي عن مالك: إذا تنازع الزوجان في قبض الصداق بعد الدخول؛ أن القول قول الزوج مع أن الأصل عدم القبض، قال القاضي إسماعيل: هذه كانت عادتهم بالمدينة، أن الرجل لا يدخل بامرأته حتى تقبض جميع صداقها،

واليوم عاداتهم على خلاف ذلك، فالقول قول المرأة مع يمينها؛ لأجل اختلاف العوائد، وينبغي أن يعلم أن معنى العادة في اللفظ أن ينقل إطلاق لفظ، واستعماله في معنى، حتى يصير هو المتبادر من ذلك اللفظ عند الإطلاق، مع أن اللغة لا تقتضيه، فهذا هو معنى العادة في اللفظ، وهو الحقيقة العرفية، وهو المجاز الراجح في الأغلب، وهو معنى قول الفقهاء إن العرف يقدم على اللغة عند التعارض، وكل ما يأتي من هذه العبارات "[1].

وقد نقل الإمام علاء الدين الطرابلسي الحنفي كلام القرافي، وأقره.

ومن بعد القرافي قال ابن القيم الحنبلي: «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد».

وهنا يظهر أمران:

الأول: أن الخطاب الديني الاجتهادي هو الذي يتغير، وليس الحكم الشرعي.

الثاني: أن الخطاب الديني الذي يتغير يكون حكمه الشرعي مرتباً على العوائد والأعراف.

ومن الأمثلة التي يذكرها الفقهاء على ذلك: ما يخرج في صدقة الفطر، فإن الحديث جاء بإخراج صاع من تمر أو شعير أو زبيب أو أقط، فرأى العلماء أن هذه الأقوات كانت هي غالب القوت عندما قال رسول الله- ﷺ- ذلك الحديث في ذلك الزمان، فكأنه قال: أخرجوا صاعاً من غالب قوت البلد التي أنتم فيها، وعلى ذلك أفتى العلماء بجواز إخراج صاع من الأرز والذرة

١الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ص ١١١، ١١٢.

ونحوه إذا كان هذا هو غالب قوت البلد في زمنهم، فبالنظر المجرد إلى الفتوى بجواز إخراج الأرز والذرة يقول القائل: قد حدث تغير في الحكم، وبالنظر إلى حقيقة الأمر، وأن المطلوب هو إخراج الصاع من غالب قوت البلد، فليس هناك تغير في الحكم الشرعي، كل ما هنالك أن الذي تغير هو غالب قوت البلد، والحكم باق على ما هو عليه، وهذا المثال ونحوه قد ينظر إليه على أنه تغير للفتوى بتغير الزمان.

والحقيقة أن الزمن بمجرده ليس مسوّغاً لتغيير الخطاب الديني؛ لأن هذا هو النسخ الذي لا يملكه أحد إلا الشارع، وإنما نسب التغيير لتغير الزمان في كلام بعض أهل العلم؛ لأن الزمان هو الوعاء الذي تجري فيه الأحداث والأفعال والأحوال، وهو الذي تتغير فيه العوائد والأعراف، فنسبة تغير الخطاب الديني لتغير الزمان من هذا الباب، وإلا لو ظل العرف كما هو عدة قرون لم يكن أحد مستطيعاً أن يغير الخطاب الديني.

الضابط الثاني: وجود السبب، وتحقق الشرط وانتفاء المانع أو عدم بعض ذلك:

من المعلوم أن الأحكام مرتبة على وجود سببها، فإذا وجد سبب الحكم، وتحقق شرطه، وانتفى المانع، انطبق الحكم على الواقع، فإذا تخلف أحد الشروط أو وجد أحد الموانع انطبق حكم آخر على الواقع.

والناظر من بعيد يرى أن الواقعتين متشابهتان، ولهما حكمان متغايران، فيظن أن الحكم قد تغير، والحقيقة أن الواقعتين وإن كانتا متشابهتين لكنهما غير متماثلتين، فهما واقعتان مختلفتان لكل منهما حكم يخصها، ومن أمثلة ذلك: لو أن رجلاً ملك نصاب الزكاة، ثم استفتى أهل العلم عن وجوب

إخراج الزكاة ؛ فإن المفتي يسأله : هل حال على النصاب الحول؟ فلو قال : نعم. وسأله : هل عليك دين ؟ فقال : لا. هنا يجيبه المفتي بقوله : نعم تجب عليك الزكاة. ويحدد له المقدار الواجب إخراجه حسب نوع المال الذي يملكه ، فلو جاءه الرجل نفسه بعد مدة من الزمان وسأله : هل عليَّ زكاة ؟ فإذا سأله المفتي : هل عليك دين ؟ وقال : نعم ، علي دين يستوعب أكثر مالي حتى لا يبقى منه قدر النصاب. هنا يقول المفتي : ليس عليك زكاة. والرائي غير المتبصر يرى أن الحكم تغير، والأمر ليس كذلك ، فالحالة الأولى وجد السبب ، وتحقق الشرط ، وانتفى المانع ، وأما الحالة الثانية فقد وجد المانع وهو الدين ، فهنا حالتان مختلفتان ، لكل حالة حكم في الشرع ، وليس في هذا اختلاف ، و« إن تلك الواقعة التي تغير حكمها ؛ إما أن تكون هي هي عند تغير الحكم بجميع خصائصها والحيثيات التي تكتنفها ، وإما أن تختلف في بعض خصائصها وحيثياتها ، فإن كانت الأولى فإن تغيير الحكم فيها هو النسخ والتبديل المنهي عنه كما سيأتي بيانه ، وإن كانت الثانية منهما حادثتين مختلفتين من حيث خصائصهما والاعتبارات التي تحفهما لهما حكمان ليس غريباً ولا عجيباً ، ولا يقال له تغير ولا تبدل ».[1]

وبالمثل لو أن شخصاً سرق ، ثم تبين أن شروط إقامة الحد غير مستوفاة ، فلم يحكم عليه القاضي بالقطع ، فإنه لا يقال هنا : قد تغير الحكم ، ولكن شروط إقامة الحد هي التي لم تكتمل ، وهذا هو الذي حدث في عهد عمر- رضي الله عنه- عام المجاعة ، عندما قحط الناس ، وتعرضوا للهلاك بسبب الجدب ،

---

١ الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

أصبح كثير ممن يسرق إنما يسرق لاضطراره إلى ذلك؛ ليدفع عن نفسه الهلاك، وهذه حالة تدرأ عن صاحبها الحد، ونظراً لأن الأمر كان منتشراً واختلط من يسرق للضرورة ومن يسرق لغير ذلك ولم يمكن تمييزهما من بعضهما، فصار ذلك شبهة درأ بها عمر- رضي الله عنه- الحد في عام المجاعة، فلله دره! ما أفقهه وما أعلمه، ولما زالت المجاعة زالت الشبهة، فكان من يسرق يقام عليه الحد، فليس في هذا أيضاً تغيير للحكم الشرعي؛ لأن ما فعله عمر- رضي الله عنه- في عام المجاعة كان هو الواجب في مثل تلك الحالة.

الضابط الثالث: الضرورة الملجئة:

هناك أحوال اضطرار يقع فيها العبد المسلم، يكون معها مضطراً لفعل ما حرم الله، ومن رحمة الله بالعباد أنه في هذه الأحوال لم يجعل عليهم إثماً فيما فعلوه، والناظر غير المتبصر يظن أن الحكم اختلف، وهما في الحقيقة حالان مختلفان، لكل حال حكم، فحال الاختيار له حكم، وحال الاضطرار له حكم، وحالان مختلفان لهما حكمان متغايران لا يقال له: تبدل ولا تغير، ومن أمثلة ذلك، أن الله حرم أكل الميتة، فيحرم على العباد أكل لحوم الميتات (إلا ميتة البحر)، فمن أكل منها فقد وقع في الحرام، وفعل ما يستوجب عقاب الله.

فلو تغير حال أحد الناس، وصار في حالة اضطرار، بحيث إذا لم يأكل من الميتة هلك، فهنا يباح له الأكل من الميتة، والحكم تغير هنا في الظاهر، ولكن في الحقيقة الحكم لم يتغير، وإنما الذي تغير هو الحال التي ترتب عليه الحكم.

ومن أمثلة ذلك ما حصل من غلمان حاطب الذين سرقوا ناقة، ولم يقطعهم عمر، فإنه أحضر عبد الرحمن بن حاطب وقال له: « والله! لولا

أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ؛ لقطعت أيديهم»[1] ، فهذا يبين أن عمر رأى أن هؤلاء في حالة اضطرار تدرأ عنهم الحد ، وأن عقوبتهم القطع لو كانوا غير مضطرين ، وقد عاقب عمر حاطباً على ذلك ، وأضعف عليه الغرم.

الضابط الرابع : تغير الوصف أو الاسم :

هناك أحكام رُتبت على أوصاف أو أسماء ، فإذا تغيرت تلك الأوصاف والأسماء تغير الحكم تبعاً لذلك ، كمن تزوج امرأة ، فإنه يحل له منها ما يحل للرجل من امرأته ، فلو طلقها حرم عليه منها ما كان حلالاً له ، هنا تغيرت صورة الحكم ؛ لأن ما كان حلالاً جائزاً للرجل تغير وصار حراماً ، وفي الحقيقة فإن المتغير هو الصفة أو الاسم ، وليس الحكم الشرعي ؛ إذ الحكم باقٍ على ما هو عليه ، وهو أن الرجل تحل له زوجته ، وأن الرجل تحرم عليه غير زوجته.

ومن أمثلة تغير الاسم أو الوصف الدال على تغير الحقيقة ، تغير الخمر بحيث تصير خلاً ، فالخمر حكمها التحريم ، فإذا تغيرت حقيقة السائل المسكر وصار خلاً ، فقد تغير وصف السائل وتغير اسمه وصار خلاً ، والخل ليس بمحرم (سواء قلنا بجواز تخليل الخمر أم لا) ، وحكم الخمر لم يتغير ، وإنما الخمر نفسها هي التي تغيرت.

وكمثال على ذلك أيضاً أمر الله- تعالى- بصرف الزكاة إلى مستحقيها بقوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ

---

١ ينظر : تنوير الحوالك ، شرح موطأ مالك ، ٢/ ٢٢٠ .

قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾. فالله بعلمه وحكمته وزع الزكاة على هذه الأصناف الثمانية، فإذا كان عامٌ، ولم نجد فقيراً يستحق الزكاة فمنعنا سهم الفقراء لعدم وجودهم، فهذا لا يُعد تغييراً، وإنما فقدنا المستحق، وكذلك إذا كان فلان من الناس يعطى من الزكاة لأنه فقير، ثم وسع الله عليه وصار غنياً ومنعنا عنه الزكاة، فلا يقال: إن الحكم تغير، بل صفة هذا الشخص التي يستحق عليها الزكاة هي التي تغيرت، وهكذا فعل عمر- رضي الله عنه- في سهم المؤلفة قلوبهم، فالمؤلفة قلوبهم هم من يعطون من الصدقات لأجل تألف قلوبهم على الإسلام، أو لأجل ضعف المسلمين حتى يأمن المسلمون شرهم، فهو حكم معلق على وصف، وليس على أشخاص بأعيانهم، فإذا تحقق هذا الوصف في شخص أو عدة أشخاص فأعطيناهم سهم المؤلفة قلوبهم، ثم جاء العام الذي يليه وقد فقدوا وصف المؤلفة (كأن حسن إسلامهم، أو قوي المسلمون، فلم يعد بهم ضعف)، فمنعنا عنهم سهم المؤلفة قلوبهم؛ فليس في هذا تغير للحكم، وإنما الذي حدث أن هؤلاء الأشخاص استحقوا السهم في المرة الأولى لانطباق الوصف عليهم، وليس لأشخاصهم، ثم فقدوا الوصف في العام الذي يليه، ففقدوا ما كان مترتباً على الوصف، وهذا إعمال للحكم الشرعي وليس تغييراً له.

الضابط الخامس: تدافع المأمورات أو المنهيات:

قد يكون هناك أمران مطلوب تحصيلهما، ولكن لا يمكن تحصيل أحدهما إلا بتفويت الآخر، فهما على ذلك متدافعان، كما أنه قد يكون هناك أمران مطلوب اجتنابهما، ولا يمكن اجتناب أحدهما إلا بفعل الآخر، فهنا تُحَصَّل

أعظم المصلحتين، وتُدفع أقبح المفسدتين، فمثلاً: الشهادة يُطلب فيها العدول، فإذا لم نجد العدول صرنا بين أمرين: إما ضياع الحقوق، وإما قبول شهادة غير العدول، وقد أفتى أهل العلم في مثل ذلك أن لكل قوم عدولهم، وعلى القاضي أن يتوسم فيهم، ويقبل أكثرهم صلاحاً وأقلهم فجوراً، فقد ينظر هنا إلى أن هذا من قبيل تغيير الحكم، وذلك بقبول شهادة من لا يعرف بعدالة، والحقيقة أن هذا من باب التعارض، وأنه لا يمكن تحصيل أحدهما إلا بتفويت الآخر، وهي فتوى خاصة بمثل هذه الحالة؛ بمعنى أنه إذا وجد العدول في هذا المكان لم تُقبل شهادة غيرهم.

قال الإمام علاء الدين الطرابلسي الحنفي: "قال القرافي في باب السياسة: نص بعض العلماء على أنه إذا لم نجد في جهة إلا غير العدول؛ أقمنا أصلحهم وأقلهم فجوراً للشهادة عليهم، ويلزم ذلك في القضاة وغيرهم؛ لئلا تضيع المصالح، قال: وما أظن أحداً يخالف في هذا، فإن التكليف شرط في الإمكان، وهذا كله للضرورة؛ لئلا تهدر الأموال، وتضيع الحقوق، قال بعضهم: وإذا كان الناس فساقاً إلا القليل النادر قبلت شهادة بعضهم على بعض، ويحكم بشهادة الأمثل فالأمثل من الفساق، هذا هو الصواب الذي عليه العمل، وإن أنكره كثير من الفقهاء بألسنتهم"[١].

---

١ معين الحكام، ص ١١٧.

الضابط السادس: وجود العارض وزواله:

قد يكون هناك شيء محبوب شرعاً، لكن يخشى من فعله أن يترتب عليه تكليف قد لا يقوم به الناس، فيترك هذا الشيء لذلك العارض، فإذا زال العارض رجع الأمر إلى حاله الأولى، وقد يظن أن هذا تغير للحكم، وليس كذلك، وإنما هو من باب زوال العارض، مثال ذلك امتناع الرسول- ﷺ- عن قيام الليل في رمضان في المسجد بعدما فعل ذلك عدة ليال، وذلك خوفاً من أن يفرض قيام الليل على المسلمين رحمة منه- ﷺ- بالمسلمين، فلما زال هذا الأمر بوفاة الرسول- ﷺ- ، وأُمن عدم فرض قيام الليل؛ جاز الاجتماع في المسجد في رمضان لقيام الليل، وليس في هذا تغيير للحكم الشرعي.

الضابط السابع: تغير الآلات والوسائل:

هناك من الأحكام الشرعية ما يكون تنفيذها عن طريق آلة أو وسيلة، والشريعة لم تحدد في كثير من الأمور الآلات والوسائل التي يتحقق بها الحكم الشرعي، بل تركتها ليختار المسلمون في كل زمان ومكان ما هو أنفع لهم وأصلح وأفضل في تنفيذ الحكم الشرعي؛ إذ ربما لو ألزم المسلمون بآلة أو وسيلة معينة لتعسر عليهم ذلك، ووجدوا في ذلك من المشقة والحرج الشيء الكثير لا سيما أن الوسائل والآلات تتعدد وتتباين، وقد يكون بعضها ميسراً وبعضها غير ذلك، وقد يختلف العسر واليسر بالنسبة للآلة أو الوسيلة نفسها باختلاف الزمان والمكان، والله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، فله الحمد والمنة.

مثـال ذلـك: أمـر الله- تعـالى- المـسلمين بالجهـاد في سـبيله، وقـال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، وقـد كانـت القـوة المستطاعة في ذلـك الزمان هي السيف والرمح والترس ونحو ذلك، فإن المفتي والعالم في ذلك الزمان: يقول يجب على المسلمين إعداد السيوف والرماح والحراب وما أشبه ذلك، ثم بعد الزمن المتطاول الذي أوصل إلى عصرنا يقول المفتي والعالم الآن يجب على المسلمين إعداد المدفع والدبابة والصاروخ والطائرة، ولا يجب إعداد السيف ولا الرمح ولا الحربة، فقد وجب اليوم ما لم يكن قبلُ واجباً، وسقط وجوب ما كان قبلُ واجباً، وهذا قد ينظر إليه على أنه تغير في الحكم الشرعي، والحقيقة أن الحكم لم يتغير؛ لأن الحكم الشرعي هو وجوب إعداد القوة المستطاعة، وكانت القوة المستطاعة في الزمن الأول هي السيفَ والرمحَ ونحوهما، وصارت اليوم المدفع والصاروخ ونحوهما، وقد تكون بعد فترة من الزمن شيئاً آخر، فالحكم الشرعي لم يتغير، وإنما الذي تغير هو الآلة أو الوسيلة التي يتحقق بها الحكم الشرعي في الواقع، وهذه الآلات والوسائل والأساليب المستجدة لا يكفي فيها أن تكون محققة للحكم الشرعي، بل هي محكومة بشروط هي:

١ - ألا تعارض قاعدة كلية من قواعد الشريعة.
٢ - ألا تخالف دليلاً من أدلة الشرع التفصيلية.
٣ - ألا يترتب عليها مفسدة تربو على المصلحة المتحصلة منها[١].

١ ينظر: تحطيم الصنم العلماني، محمد بن شاكر الشريف، ص ٥٩.

من كل ما تقدم يتبين أن مسألة تغير الخطاب الديني ليست مسألة متعلقة بالزمان المجرد، أو المكان المجرد، وكأن الزمان والمكان هما سبب تغيير الخطاب الديني، ولكن لما كان الزمان والمكان أوعية للأحداث والأفعال والتغيرات والعوائد والأعراف نُسب التغير للزمان والمكان، وهذا يطلق عليه في عرف البلاغيين مجاز مرسل، علاقته الظرفية، وقد تبين بما تقدم أيضاً أن الموضوع منضبط، وله قواعد تحكمه، وليس هو مجرد استجابة أو إذعاناً لضغط الواقع، وهذه الأمثلة المتقدمة يمكن أن تندرج تحت قسمين كبيرين:

الأول: خطاب ديني مؤسس على العرف أو المصلحة المرسلة، ثم يتغير العرف أو المصلحة بتغير الزمان والمكان، فيتغير الخطاب تبعاً لذلك.

الثاني: خطاب ديني مؤسس على نصوص، لكن هذه النصوص كانت معللة بعلة، أو راعت عرفاً قائماً، أو كانت مرتبة على صفة أو مقيدة بحالة ونحو ذلك، فإذا زالت العلة أو تغير العرف أو الصفة أو الحالة؛ فإن الخطاب الديني يتغير أيضاً لذلك[1].

ويمكننا أن نلاحظ مما تقدم عدة أمور:

١ - أن تغير الخطاب الديني بتغير ما هو مرتب عليه؛ إنما تهدف إلى إبقاء الأمور تحت حكم الشريعة، وإن تغيرت صورته الظاهرة، وهي ليست خروجاً على الشريعة، ولا استحداثاً لأحكام جديدة.

١ ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى، د / فؤاد عبد المنعم، ص ٧٧، ٧٨.

٢ - أن التغير في الخطاب الديني هو تغير خاص من حيث الزمان والمكان والشخص، حيث يتغير فقط بالنسبة للزمان أو المكان أو الشخص الذي تغيرت في حقه مسوّغات الخطاب الديني، وهذا معناه أن الأمور تكون باقية على ما هي عليه في بقية الأماكن والأزمان والأشخاص.

٣ - أن أهل العلم عندما قالوا بمراعاة الأحوال والعوائد ونحوها؛ إنما قالوا بذلك حتى لا يقعوا في الظلم: ظلم العباد بإلزامهم بما لم يلزمهم به الشرع، أو ظلم أنفسهم بالخطأ في الدين.

٤ - أن الذي يقول في حق هذه العوائد والأعراف: إنها تغيرت، وبالتالي يتغير الخطاب الديني المرتب عليها؛ إنما هم أهل العلم والمعرفة بالشرع.

٥ - أن العرف الذي يتغير به الخطاب الديني ليس هو العرف الحاصل من وقوع الناس في مخالفة الشرع، فإذا صار من عرف الناس اليوم في بعض البلدان خروج المرأة كاشفة صدرها ونحرها، وكذلك إذا صار من عرف الناس التعامل بالربا في البنوك الربوية؛ فإن هذا العرف لا يتغير به الخطاب الديني؛ لأنه عرف قائم على مخالفة الشرع، فلا يعتد به؛ إذ العرف الذي يعتد به هو ما لم يكن مخالفاً للشرع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " ليس لأحد أن يغير شريعته التي بعث بها رسوله ، ولا يبتدع في دين الله ما لم يأذن به"[1].

١ الفتاوى ، ٢٢/١٩٦ .

الخاتمة

هذا بيان ما رأيته مناسباً في هذا المقام، وذلك دعماً للجانب التأصيلي في الموضوع، فإن مصطلح الخطاب الديني كما ظهر من خلال محاور هذا البحث، لا بد أن يفهم في ضوء الشريعة وضوابطها، وتعزيزه بالأصول الحاكمة من نصوص الكتاب والسنة النبوية وفهم السلف الصالح.

سائلاً المولى التوفيق لي ولجميع المسلمين لمعرفة الحق ورحمة الخلق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل

المقدمة لندوة

السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم



بحوث
المحور الرابع



خَصَائِصُ المَنْهَجِ السَّلفِيِّ
وَصِلَتُهُ بتَجْدِيدِ الخِطَاب الدِّينِيِّ

تزكية وتربية وسلوكا وآدابا.... الكتاب والسنة

إعـداد

أ. د. أحمد محمد هليل

قاضي القضاة / إمام الحضرة الهاشمية

المملكة الأردنية الهاشمية

مقدمةٌ

الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ بَدَأَ التَّشْرِيعُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى - ﷺ - وَصَحَابَتِهِ الكِرَامِ - وَهُوَ خَيْرُ العُصُورِ - ، ثُمَّ جَاءَ عَصْرُ التَّابِعِينَ ثُمَّ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَهِيَ العُصُورُ المَشْهُودُ لِأَهْلِهَا بِالخَيْرِيَّةِ؛ كَمَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»[1].

وَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[2].

فَعَلَى مَدَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنْ مَهْدِ الرِّسَالَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ وَمَنْهَجُ التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ كُلَّمَا بَعُدَ عَهْدُهُ مِنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ كَانَ النَّاسُ إِلَى الشُّبُهَاتِ

---

١) حديث صحيح رواه البخاري في كتاب الفتن، الجعفي ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت٢٥٦هـ) ، **صحيح البخاري** ، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٩٨٧، ج ٦، ص ٢٥٩١حديث رقم ٦٦٥٧.

٢) حديث صحيح رواه البخاري في باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، الجعفي ، **صحيح البخاري** ، ج ٢، ص ٩٣٨حديث رقم ٢٥٠٩ ،ومسلم في باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٤، ص ١٩٦٣، حديث رقم ٢٥٣٣.

وَالْمحْدَثَاتِ أَقْرَبَ إِلَى القَبُولِ بِهَا ، وَأَسْرَعَ لِلمُنَاضَلَةِ دُونَهَا ، وَهِيَ مَنُوطَةٌ بِأَحْوَالِ كُلِّ عَصْرٍ مِنْ حَيْثُ الصَّلَاحُ وَالفَسَادُ.

فَأَهْلُ هَذِهِ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ هُمُ السَّلَفُ الصَّالِحُ الْمزَكَّوْنَ ، فَلَا تَحْقِيقَ لِلخَيْرِيَّةِ وَالصَّلَاحِ وَمَعْرِفَةِ الحَقِّ وَالابْتِعَادِ عَنْ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَنْهَجِهِمُ القَوِيمِ وَفَهْمِهِمْ لِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ فقال- تعالى- في محكم التنزيل : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠]، وحسبهم هذه الشهادة والتزكية من رب العالمين- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

ثُمَّ جَاءَتِ العُصُورُ الَّتِي بَعْدَهَا ، وَفِيها طَرَقَ بَابَ التَّشْرِيعِ شَيْءٌ مِنْ أَهْوَاءِ البَشَرِ وَآرَائِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ مَبْلَغَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

وَفِي ظِلِّ مُقْتَضَيَاتِ هَذَا العَصْرِ وَمُتَطَلَّبَاتِهِ ظَهَرَ مَا يُسَمَّى بِالخِطَابِ الدِّينِيِّ ، وَقَدِ اخْتَلَفَتِ المَفَاهِيمُ وَالآرَاءُ حَوْلَهُ ، مَا بَيْنَ التَّجْدِيدِ بِمَفْهُومِهِ الشَّرْعِيِّ الْمُتَمَثِّلِ بِإِحْيَاءِ التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ جَدِيدٍ ، وَذَلِك بِالعَوْدَةِ بِهِ إِلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَتَنْقِيَتِهِ مِنَ الشَّوَائِبِ البِدْعِيَّةِ وَالخُرَافَاتِ ، وَمَا بَيْنَ التَّبْدِيلِ وَالإِعْرَاضِ عِنْ سَبِيلِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

وَلأَهَمِيَّةِ هَذَا الْمَوْضُوعِ فَقَدْ نَشِطْتُ فِي أَنْ يَكُونَ هُوَ مَقْصَدِي فِي هَذِهِ الوَرَقَاتِ ؛ مُبَيِّنًا فِيهِ أَوَّلًا خَصَائِصَ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ ، ثُمَّ صِلَتَهُ بِتَجْدِيدِ الخِطَابِ الدِّينِيِّ.

وَلَا يَسَعُنِي فِي مُقَدَّمَتِي هَذِهِ إِلَّا تَقْدِيمُ خَالِصِ الشُّكْرِ إِلَى جَامِعَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ الإِسْلَامِيَّةِ وَالهَيْئَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِيهَا- وَفِي الْمُقَدِّمَةِ مَعَالِي مُدِيرِ

الجَامِعَـةِ الأُسْـتَاذُ الـدُّكْتُور سُـلَيْمانُ بْـنُ عَبْـدِ اللهِ أَبَـا الخَيْـلِ- عَلَـى إِقَامَـةِ هَـذِهِ النَّدْوَةِ، وَالَّتِي قَامَتِ الإِدَارَةُ الكَرِيمَةُ بِدَعْوَتِي إِلَى المُشَارَكَةِ فِيهَـا، وَأَتَاحَـتْ لِـيَ الفُرْصَةَ فِي تَقْدِيمِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ المُتَوَاضِعَةِ فِي ضَـوَابِطِ الخِطَـابِ الـدِّينِيِّ، وَقَـدْ تَشَرَّفْتُ بِتَلَقِّي الدَّعْوَةِ لِلْمُشَارَكَةِ بِالقَبُولِ وَالامْتِنَانِ.

وَهُـوَ جُهْـدٌ مَـشْكُورٌ جَـاءَ فِـي وَقْـتٍ اقْتَـضَتِ الحَاجَـةُ فِيـهِ إِلَـى تَجْلِيَـةِ الحَـقِّ وَالبَيَانِ فِي هَذَا المَوْضُوعِ، وَلَيْسَ هَذَا بِمُسْتَغْرَبٍ عَلَى هَيْئَاتِ الجَامِعَـةِ التَّعْلِيمِيَّـةِ وَأَسَاتِذَتِهَا الأَجِلَّاءِ، وَبِمَا عُهِدَ عَنْ مَعَالِي الأُسْتَاذِ سُلَيْمَانَ أَبَا الخَيلِ مِـنْ دَعْمِـهِ لِلنَّدَوَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالأَنْشِطَةِ الثَّقَافِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، وَمَا يَتَحَلَّى بِهِ مِنْ عُمْقٍ فِي الفِكْـرِ وَدِقَّةٍ فِي التَّصَوُّرِ.

لَا يَعْزُبُ عَنْ كُلِّ مُتَدَبِّرٍ لِكِتَابِ اللهِ- ﷻ- ، وَمُسْتَقْرِئٍ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ: أَنَّ ثَمَّةَ فَضْلًا اخْتَصَّهُ اللهُ- ﷻ- لِلصَّحَابَةِ- رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- عَمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ إِذِ اصْطَفَاهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ- ﷺ- ، وَشَرَّفَهُمْ بِذَلِكَ.

وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِمُ الخِطَابُ العَامُّ فِي كُلِّ مَا يَخُصُّ أُمَّةَ الإِسْلَامِ مِنْ ثَنَاءٍ وَاجْتِبَاءٍ وَخَيْرِيَّةٍ وَاتِّبَاعٍ، فَكَانُوا هُمْ أَوَّلَ شُهَدَاءِ الأُمَّةِ عَلَى النَّاسِ بِقِيَامِ حُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ قَالَ- تَعَالَى- مُخَاطِبًا إِيَّاهُمْ: **(وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)** [الحج: ١٧٨].

وَقَدْ نَكَتَ العَلَّامَةُ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الآيَةِ وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ شَهَادَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ عَلَى النَّاسِ بِقَوْلِهِ: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ- تَعَالَى- فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَحْرِمَهُمْ كُلَّهُمُ الصَّوَابَ فِي مَسْأَلَةٍ، فَيُفْتِي فِيهَا بَعْضُهُمْ بِالخَطَأِ، وَلَا يُفْتِي فِيهَا غَيْرُهُ بِالصَّوَابِ، وَيَظْفَرُ فِيهَا بِالهُدَى مَنْ بَعْدَهُمْ»[1].

وَكَذَلِكَ أَثْنَى اللهُ- ﷻ- عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: **(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**

---

١) الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ج ٤، ص ١٣٤.

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ا [التوبه: ١٠٠].

وَقَالَ- تَعَالَى- : ا لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ا [الفتح: ١٠].

وَمِمَّا يُشِيرُ- أَيْضًا- إِلَى مَكَانَتِهِمْ وَعُلُوِّ قَدْرِهِمْ: مَا جَعَلَهُ اللهُ- ﷻ- مِنْ تَلَازُمٍ بَيْنَ مُشَاقَّةِ الرَّسُولِ- ﷺ- وَبَيْنَ اتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِهِمْ، وَالعَكْسُ بِالعَكْسِ؛ حَيْثُ قَالَ- سُبْحَانَهُ- : ا وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ا [النساء: ١٥].

فَإِنَّ الصَّحَابَةَ هُنَا هُمْ أَوَّلُ المَعْنِيِّينَ فِي عُمُومِ هَذِهِ الآيَةِ، وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِيهَا مِنْ أُمَّةِ الإِسْلَامِ فَهُوَ مُلْزَمٌ بِعَدَمِ الخُرُوجِ عَنْ سَبِيلِهِمْ وَنَهْجِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ هُمْ أَوَّلُ مَنْ خُوطِبَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَهُمْ فَهُمْ تَبَعٌ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ- أَيْضًا- : مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ- ﷺ- قَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[١].

١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ) **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت) ج٤، ص ١٩٦١، حديث رقم ٢٥٣١.

وَقَدْ عَلَّقَ النَّوَوِيُّ عَلَى قَوْلِهِ- ﷺ- : «فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»، حَيْثُ قَالَ: «مَعْنَاهُ: مِنْ ظُهُورِ الْبِدَعِ وَالحَوَادِث فِي الدِّينِ وَالفِتَنِ فِيهِ...»[1].

وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ، مِنْ حدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[2].

وَقَدْ أَدْرَكَ هَذَا الأَمْرَ الصَحَابَةُ أَنْفُسُهُمْ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ اللهَ- تَعَالَى- جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الوُزَرَاءِ لِلْمُصْطَفَى- ﷺ- مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا سَبِيلَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا بِاتِّبَاعِ نَهْجِهِمْ؛ إِذْ صَحَّ مَوْقُوفًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ- ﷺ- خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ؛ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»[3].

---

١) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٣٩٢ ج١٦، ص ٨٣ .

٢) رواه الترمذي وقال عنه: حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن الضحاك، (ت: ٢٧٩هـ) **سنن الترمذي** تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٥، ص ٢٦، حديث رقم ٢٦٤١.

٣) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد مؤسسة قرطبة، ط١، القاهرة، ج ١، ص ٣٧٩، حديث رقم ٣٦٠٠.

وَهُنَا دَلَّ السِّيَاقُ عَلَى أَنَّ مُرَادَ ابْنِ مَسْعُودٍ بِالْمُسْلِمِينَ هُنَا: الصَّحَابَةُ وَمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ.

وَمِمَّا ذُكِرَ فِي فَضْلِهِمْ: مَا اسْتَدَلَّ بِهِ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ- تَعَالَى- : ﴿ **اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [يس: ٢١]، حَيْثُ قَالَ: (هَذَا قَصَّهُ اللهُ- ﷻ- عَنْ صَاحِبِ يَاسِينَ عَلَى سَبِيلِ الرِّضَاءِ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى قَائِلِهَا، وَالْإِقْرَارِ لَهُ عَلَيْهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَسْأَلْنَا أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ- تَعَالَى- خِطَابًا لَهُمْ: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَ(لَعَلَّ) مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وقَوْلِهِ- تَعَالَى- : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ❖ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٦، ١٧]، وقَوْلِهِ- تَعَالَى- : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ❖ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ [محمد: ٥]، وقَوْلِهِ- تَعَالَى- : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت ٦٩]، وَكُلٌّ مِنْهُمْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَجَاهَدَ؛ إِمَّا بِيَدِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ، فَيَكُونُ اللهُ قَدْ هَدَاهُمْ، وَكُلُّ مَنْ هَدَاهُ فَهُوَ مُهْتَدٍ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُهُ بِالْآيَةِ»[1].

وقد خاطب الله- ﷻ- الصحابة بقوله: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧]. "فَإِنْ آمَنُوا" أَيْ

---

١) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، ج٤، ص١٣٠.

الْيَهُود وَالنَّصَارَى هنا، وإن الله لم يرض إيمانا إلا على نحوٍ يوافق إيمان هؤلاء الصفوة، فان لم يكن كذلك فهو شقاق لا خير فيه؛ وقد زكّى الله منهجهم، وأمر العباد أن يتلقوه بإيمان كإيمانهم، وهو الكتاب والسنة النبوية الصحيحة وإجماعهم.

وَقَدْ شَهِدَ اللهُ- تَعَالَى- بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- ؛ إِذْ قَالَ رَبُّ العِزَّةِ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَهِيَ آيَةٌ عَامَّةٌ تَشْمَلُ أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ- أَيْضًا- هُمْ أَوَّلُ المُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ، فَما وُرِيَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ- ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[١].

فَإِنْ كَانَتْ أُمَّةُ الإِسْلَامِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهَذَا يُفْضِي إِلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ هُمْ خَيْرُ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ- رَحِمَهُ اللهُ- [٢].

وَالخَيْرِيَّةُ هُنَا مُطْلَقَةٌ، تَشْمَلُ الإِيمَانَ وَالعَمَلَ الصَّالِحَ وَالعِلْمَ النَّافِعَ وَالطَّاعَةَ وَالأَخْلَاقَ وَالسُّلُوكَ وَجَمِيعَ ضُرُوبِ العِبَادَةِ، أَمَّا القَوْلُ بِحَصْرِهَا فِي شَيْءٍ

---

١) سبق تخريجه صفحة ٣.

٢) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت : ٧٢٨هـ) **مجموع الفتاوى** تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الجيل ، ط١ ، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص ٨٥ .

دُونَ غَيْرِهِ فَهَذَا قَوْلٌ لَا يَنْهَضُ لَهُ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ وَلَا تَعْضُدُهُ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ، بَلِ النَّقْلُ وَالعَقْلُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الأَدِلَّةِ شَاهِدٌ عَلَيْهِ؛ إِذْ مِنَ المُحَالِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّقَ بِهِمُ الثَنَاءُ وَالاجْتِبَاءُ وَالخَيْرِيَّةُ وَالاتِّبَاعُ أَنْ يُحْصَرَ خَيْرُهُمْ فِي أَمْرٍ، وَيُمْتَنَعَ فِي آخَرَ، وَالأَدِلَّةُ عَلَى فَضْلِهِمْ كَثِيرَةٌ.

وَيُسْتَدَلُّ مِنَ الحَدِيثِ- أَيْضًا- أَنَّ الخَيْرِيَّةَ شَمِلَتْ أَجْيَالًا ثَلَاثَةً بِحَسَبِ دَرَجَةِ خَيْرِيَّتِهَا، وَهِيَ: عَصْرُ النَّبِيِّ- ﷺ- وَصَحَابَتِهِ، ثُمَّ عَصْرُ التَّابِعِينَ، ثُمَّ تَابِعِي التَّابِعِينَ.

وَكَذَلِكَ اسْتَنْبَطَ أَهْلُ العِلْمِ مِنَ هَذَا الحَدِيثِ- وَغَيْرِهِ مِنَ الأَحَادِيثِ- أَنَّهُ كُلَّمَا قَرُبَ العَهْدُ بِعَصْرِ الرَّسُولِ- ﷺ- كَانَ الحَقُّ أَغْلَبَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ- رَحِمَهُ اللهُ- [1].

وَهَذِهِ القَاعِدَةُ هِيَ الأَصْلُ وَالجَوْهَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ المَنْهَجُ السَّلَفِيُّ مُنْذُ أَنْ شَطَّ النَّاسُ عَنْ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَانْقَلَبَتِ القَاعِدَةُ، وَأَضْحَى أَمْرُ الدِّينِ كَالدُّنْيَا؛ يُحْدَثُ فِيهِ مِنَ الأُمُورِ كَمَا يُحْدَثُ فِيهَا؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ المُصْطَفَى- ﷺ-: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[2].

فخصّ الرسول- ﷺ- سنة الخلفاء الراشدين بقوله: "عضوا عليها"، ولم يقل: "عضوا عليهما" حيث إن سنة الخلفاء الراشدين هي عين سُنَّة الرسول- ﷺ- [3].

---

١) ابن قيم الجوزية ، **إعلام الموقعين**، ج٤ ، ص ١٤٣.

٢) حديث صحيح ،رواه أبو داود في باب في لزوم السنة ، السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن (ت : ٢٧٥هـ)سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٤ ، ص ٣٢٩، حديث رقم ٤٦٠٩

٣) مشهور حسن ، السلفية وبراءتها من الأعمال الردية ، ص ٢٣.

مفهوم التجديد في الخطاب الديني

مِنَ المَفَاهِيمِ الَّتِي عَرَضَتْ فِي هَذَا العَصْرِ، وَاخْتُلِفَ فِيهَا: هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى التَّجْدِيدِ فِي الخِطَابِ الإِسْلَامِيِّ.

فَكَمَا هُوَ مَعْهُودٌ لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ أَنَّ الدُّنْيَا وَأَحْوَالَهَا لَا زَالَتْ تَخْرُجُ مِنْ طَوْرٍ إِلَى آخَرَ، وَهِيَ سُنَّةٌ سَنَّهَا اللهُ- تَعَالَى- فِي هَذَا الوُجُودِ؛ إِذْ جَبَلَ البَارِي- عَجَلَّ- الإِنْسَانَ بِمَا خَلَقَ لَهُ مِنْ عَقْلٍ وَقَلْبٍ وَفِطْرَةٍ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى كُلِّ مَا هُوَ حَسَنٌ فِي مَعَاشِهِ وَبِنَاءِ مُجْتَمَعِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا التَّغَيُّرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا قَدْ يَمَسُّ الطَّابَعَ الدِّينِيَّ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَغَيُّرِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَأَفْكَارِهِمْ وَآرَائِهِمْ.

وَلِهَذَا نَزَعَ بَعْضُ أَهْلِ المَعْرِفَةِ فِي هَذَا العَصْرِ إِلَى طَرْحِ أَدَاءٍ جَدِيدٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ؛ مُرَاعَاةً لِلنَّاسِ وَلِمُخَاطَبَتِهِمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ؛ اسْتِئْنَاسًا ā قَوْلِهِ- تَعَالَى- : ا ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ا [النحل: ١٢٥]، حَتَّى بَاتَ يُعْرَفُ هَذَا المَطْلَبُ بِتَجْدِيدِ الخِطَابِ الدِّينِيِّ.

إِلَّا أَنَّ هَذَا الاصْطِلَاحَ قَدْ اخْتُلِفَ فِي تَعْرِيفِهِ وَتَقْيِيدِ حُدُودِهِ؛ حَتَّى أَخْرَجَهُ البَعْضُ مِنْ حُدُودِ التَّجْدِيدِ إِلَى عُمُومِ التَّبْدِيلِ.

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى فَسَادِ هَذَا الاصْطِلَاحِ وَنَبْذِهِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ اسْتِغْلَالِ بَعْضِ النَّاسِ لَهُ فِي مُحَاوَلَةِ طَرْحِ أَفْكَارٍ وَنَشْرِ آرَاءٍ تَمَسُّ أُصُولَ الدِّينِ وَتُخْرِجُهُ عَنْ مَنْهَجِ سَلَفِ الأُمَّةِ، الَّذِينَ أُمِرْنَا بِاتِّبَاعِهِمْ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ العُلَمَاءُ فِي نَبْذِ هَذَا المَطْلَبِ بِالكُلِّيَّةِ صَائِبٌ إِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، لَكِنْ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهَذَا الفَهْمِ؛ فَالخِطَابُ الدِّينِيُّ قَدْ تَتَغَيَّرُ كَيْفِيَّةُ أَدَائِهِ بِتَغَيُّرِ الأَحْوَالِ بِحَسَبِ المَكَانِ وَالزَّمَانِ.

وَلَعَلَّ هَذِهِ المُشَاحَّةَ - الَّتِي حُصِرَتْ مَا بَيْنَ الإِضْرَابِ عَنْ هَذَا الاصْطِلَاحِ بِالكُلِّيَّةِ، وَبَيْنَ اسْتِغْلَالِهِ وَإِخْرَاجِهِ عَنْ قُيُودِهِ - قَدْ أَفْضَتْ إِلَى التَّهْوِيشِ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ قِوَامَ الخِطَابِ الدِّينِيِّ هُوَ الدَّعْوَةُ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَلِهَذَا كَانَ الرَّأْيُ أَنَّ الأَنْفَعَ وَالأَصْوَبَ فِي هَذَا النِّزَاعِ أَنْ نُقِرَّ بِهَذَا المَطْلَبِ، دُونَ أَنْ نُخْرِجَهُ عَنْ قُيُودِهِ.

فَالتَّجْدِيدُ مَنُوطٌ بِالخِطَابِ لَا بِالإِسْلَامِ، فَالخِطَابُ الديني الدعوى وأُسْلُوبُه هُوَ الجَانِبُ المُتَغَيِّرُ، فيتغَّيرُ بتغيّر الأَحْوال، وتَتَأَثَّرُ كيّفيّةِ أدائَه بفقْهِ الواقِع، وَالتَّجْدِيدُ - كَمَا فِي مَصَادِرِ اللُّغَةِ -[1]: هُوَ صِيغَةُ تَفْعِيلٍ مِنَ (الجَدِيدِ)، وَتَعْنِي: الحَثَّ عَلَى إِحْدَاثِ الجِدَّةِ، وَمِنَهُ الجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ؛ لأَنَّهُمَا يَتَجَدَّدَانِ، وَالجَدِيدُ: مَا لَا عَهْدَ لَكَ بِهِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ المَوْتُ بِالجَدِيدِ.

---

١) انظر ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي(ت: ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم** تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٧، ص ١٧٨، ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، ط١، بيروت، ج٣، ص ١٠٧، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر **مختار الصحاح**: تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص ١١٩، باب الجيم

وَ(جَدَّدَ الشَّيْءَ): صَيَّرَهُ جَدِيداً، وَأَعَادَهُ جَدِيداً، وَمِنْهُ جَدَّدَ وُضُوءَهُ، وَجَدَّدَ عَهْدَهُ؛ يَعْنِي: أَعَادَهُ وَكَرَّرَهُ وَأَكَّدَهُ.

وَ(الجَدِيدُ): نَقِيضُ الخَلَقِ؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَتَتْ عَلَيهِ الأَيَّامُ فَأَصَابَهُ البِلَى صَارَ قَدِيماً وَخَلَقاً.

وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ وَالحَاكِمُ- وَحَسَّنَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ»- مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ- ﷺ- قَالَ: «إِنَّ الإِيمانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللهَ- تَعَالَى- أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمانَ فِي قُلُوبِكُمْ»[1].

وقَدْ دَلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ التَّجْدِيدَ هُوَ إِعَادَةُ الشَّيْءِ إِلَى أَصْلِهِ يَوْمَ نَشَأَ عَنْ طَرِيقِ تَنْقِيَتِهِ مِنَ الأَدْرَانِ وَالأَبَاطِيلِ الَّتِي تَعْلَقُ بِهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ أَهْوَاءِ البَشَرِ عِلَى مَرِّ العُصُورِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» وَغَيْرُهُ- بِسَنَدٍ صَحِيحٍ- مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ- ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[2].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ»: «وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ: بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّ الحَدِيثَ يَشْمَلُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ آحَادِ الْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْصَارِ، مِمَّنْ يَقُومُ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ فِي أَدَاءِ الْعِلْمِ عَمَّنْ أَدْرَكَ مِنَ السَّلَفِ إِلَى مَنْ يُدْرِكُهُ مِنَ

---

١) حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته ثقات وإسناده حسن، ورواه الحاكم في باب الإيمان، النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص ٤٥، حديث رقم ٥. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ، ج١، ٢١٢، باب تجديد الإيمان.

٢) رواة أبو داود في كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، ج ٤، ص ١٠٩، حديث رقم ٤٢٩١.

الخَلَفِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُرْسَلَةٍ وَغَيْرِ مُرْسَلَةٍ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ»، وَهَذَا مَوْجُودٌ- وَلِلهِ الحَمْدُ وَالْمِنَّةُ- إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَنَحْنُ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ»[1].

فَالتَّجْدِيدُ- بِمَفْهُومِهِ الصَّحِيحِ- هُوَ مَطْلَبٌ، وَهُوَ ضَرُورَةٌ وَسُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ، فَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ- ﷻ- لِحِفْظِ الدِّينِ مِنْ أَيِّ شَوَائِبَ تَعْتَرِيهِ؛ قَالَ ابْنُ القَيِّمِ- رَحِمَهُ اللهُ- : «وَلَوْلَا ضَمَانُ اللهِ بِحِفْظِ دِينِهِ، وَتَكَفُّلِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَنْ يُجَدِّدُ أَعْلَامَهُ، وَيُحْيِي مِنْهُ مَا أَمَاتَهُ الْمُبْطِلُونَ، وَيُنْعِشُ مَا أَخْمَلَهُ الجَاهِلُونَ؛ لَهُدِّمَتْ أَرْكَانُهُ، وَتَدَاعَى بُنْيَانُهُ، وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ»[2].

وَقَال ابْنُ تَيْمِيَّةَ- رَحِمَهُ اللهُ- : «وَالتَّجْدِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الدُّرُوسِ، وَذَاكَ هُوَ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا الحَدِيثُ يُفِيدُ الْمُسْلِمَ أَنَّهُ لَا يَغْتَمُّ بِقِلَّةِ مَنْ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بِذَلِكَ، وَلَا يَكُونُ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ حِينَ بَدَأَ؛ قَالَ- تَعَالَى- : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ الْإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَغَرَّبَ، يَحْتَاجُ صَاحِبُهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ إِلَى نَظِيرِ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ

---

١) القرشي الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ج٦، ص ٢٨٧.

٢) الزرعي، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) **مدارج السالكين** تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٧٣م، ج ٣، ص ٧٩.

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ❖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❖ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٤- ١١٦] وَقَالَ- تَعَالَى- : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وَقَدْ تَكُونُ الْغُرْبَةُ فِي بَعْضِ شَرَائِعِهِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَمْكِنَةِ؛ فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ يَخْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِهِ مَا يَصِيرُ بِهِ غَرِيبًا بَيْنَهُمْ، لَا يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ، وَمَعَ هَذَا فَطُوبَى لِمَنْ تَمَسَّكَ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ كَمَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ»[1].

وَبِسَبَبِ الفَهْمِ الخَاطِئِ لِمَعْنَى الحَدِيثِ السَّابِقِ: شَطَّ بَعْضُهُمْ، فَظَنَّ أَنَّ الدِّينَ سَيَقَعُ فِيهِ التَّغْيِيرُ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّجْدِيدِ هُوَ التَّبْدِيلُ؛ زَعْمًا بِأَنَّ الأُمَّةَ تَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ بَعْضِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَذَلِكَ لِمُلَائَمَةِ العَصْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، وَأَنَّ ثَمَّةَ أَحْكَامًا لَا تَصْلُحُ لِهَذَا الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَصَرَ تَغْيِيرَ بَعْضِ الأَحْكَامِ بِمَا لَهُ عَلَاقَةٌ فِي الدَّعْوَةِ إِذَا كَانَ مِنْهَا نُفُورٌ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الفِسْقِ وَالكُفْرِ.

وَلِهَذَا ظَهَرَتْ بَعْضُ الدَّعَوَاتِ بِتَجْدِيدِ عُلُومِ الدِّينِ مِنْ عَقِيدَةٍ وَفِقْهٍ وَأُصُولٍ وَحَدِيثٍ، وَيُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِعَادَةَ النَّظَرِ فِيهَا وَتَغْيِيرَهَا وَتَبْدِيلَهَا؛ لِتَتَوَافَقَ مَعَ العَقْلِ وَالعَصْرِ، وَلَا يُقْصَدُ بِذَلِكَ: الاجْتِهَادُ - بِضَوَابِطِهِ وَأُصُولِهِ؛

١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج ١٨، ص١٦٩.

فَإِنَّ الاجْتِهَادَ المُتَعَلِّقَ بِفَهْمِ النَّصِّ - بِحَسَبِ الأُصُولِ المُعْتَبَرَةِ - هُوَ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، لَا يَتَعَلَّقُ بِزَمَانٍ دُونَ آخَرَ.

فَإِعَادَةُ الدِّينِ إِلَى أَصْلِهِ لَيْسَ مَعْنَاهُ الابْتِعَادَ عَنْ عَصْرِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الحُكْمُ عَلَى العَصْرِ الحَدِيثِ طِبْقاً لِشَرِيعَةِ اللهِ - تَعَالَى - بَعْدَ تَنْقِيَتِهَا مِنَ الأَدْرَانِ وَالأَوْهَامِ وَالأَبَاطِيلِ الَّتِي يُحَاوِلُ الظَّالِمُونَ المُفْتَرُونَ إِلْحَاقَهَا بِالشَّرِيعَةِ المُطَهَّرَةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ التَّجْدِيدَ يَشْمَلُ أَيْضاً التَّصْدِيَ لِلمُسْتَجِدَّاتِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي كُلِّ عَصْرٍ؛ لِبَيَانِ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ لِهَذِهِ المُسْتَجِدَّاتِ[1].

كَمَا أَنَّ التَّجْدِيدَ فِي الدِّينِ أَوِ الخِطَابِ الدِّينِيِّ لَا يَعْنِي التَّمْيِيزَ أَوِ التَّحَوُّلَ عَنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛ لأَنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى تَجْدِيداً؛ بَلْ يُسَمَّى انْحِلَالاً وَتَفَكُّكاً وَذَوَبَاناً وَمَوْتاً[2].

فَالدَّعوَةُ إلى الإِسْلَامِ إنْ لَم تَتَطوّر في مَادَتِّها وَأَسْلُوبِها، تُصبِحُ مُتَخَلِّفَةٌ عَنْ العَصْرِ، ضَعِيفَةَ الفَائِدَةِ وَالأَثَرْ؛ فَتَجديْدُ الخِطَابِ وَأُسْلُوبِهِ مَعَ التَمَسّك بِالأُصُولِ الّتي أَرْسَاها السَّلَفُ الصَّالِحُ بِجمْلَتِها ضَرُورَةٌ دَعَوّيَةٌ حَتْمِيَّة.

وَقَدْ عَرّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ - كَمَا فِي «عَوْنِ المَعْبُودِ» وَغَيْرِهِ - بِأَنَّهُ: "إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ العَمَلِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالأَمْرِ بِمُقْتَضَاهُمَا، وَإِمَاتَةُ مَا ظَهَرَ مِنَ البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ"[3].

---

1) عبَّاس حُسْنِي، **الفِقْهُ الإِسْلَامِيُّ آفَاقُهُ وَتَطَوُّرُهُ**، مَجلَّة «دَعْوَةِ الحَقِّ»، عدد ١٠ سنة ١٤٠٢هـ، ص ٨٣.

2) مُصْطَفَى كَمَالَ التَّارزِي، **الاجْتِهَادُ وَالتَّجْدِيد فِي التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ**، ص ٥١.

3) أبو الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ١١، ص ٢٦٠.

وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ العَلَّامَةُ مُصْطَفَى الزَّرْقَا- رَحِمَهُ اللهُ- بِقَوْلِهِ: "إِنَّ التَّجْدِيدَ يَنْحَصِرُ فِي أَمْرَيْنِ: إِحْيَاءُ مَا دُرِسَ مِنْ مَعَالِمِ الدِّينِ، وَتَرْمِيمُ مَا تَوَهَّنَ مِنْ لَبِنَاتِهِ بِسُوءِ الاسْتِعْمَالِ، وَإِزَاحَةُ مَا أُقِيمَ فِي طَرِيقِ مَسِيرَتِهِ البَنَّاءَةِ لِلْحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الكَرِيمَةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ عَوَائِقَ؛ أَيْ: إِعَادَةُ الدِّينِ إِلَى رَوْنَقِهِ الأَصْلِيِّ، وَحَالَتِهِ النَّقِيَّةِ، فِكْراً وَعَمَلاً كَمَا كَانَ جَدِيداً فِي أَوَّلِهِ"[١].

فَثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ تَجْدِيدِ الشَّيْءِ وَتَبْدِيلِهِ؛ فَـ(جَدَّدَ الشَّيْءَ)- كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا- : صَيَّرَهُ جَدِيداً، وَأَعَادَهُ جَدِيداً، وَأَمَّا التَّبْدِيلُ فَهُوَ تَغْيِيرُكَ لِلشَّيْءِ وَاتِّخَاذُكَ بَدِيلًا مِنْهُ وَعِوَضًا.

فَالتَّجْدِيدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ اسْتِهْدَامٍ- كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ[٢]، وَالاسْتِهْدَامُ- كَمَا قَالَ البَعْلِيُّ فِي «المُطْلِعِ عَلَى أَبْوَابِ المُقْنِعِ»- : "(اسْتَهْدَمَ): مُطَاوِعُ (هَدَمَ)؛ تَقُولُ: هَدَمْتُ الحَائِطَ، فَاسْتَهْدَمَ"[٣].

وإن وسائل المعرفة تأبى التقليد والجمود على قول دون سواه، فالعلم بحث لا يقبل الجمود ولا الهمود[٤].

---

١) الزَّرقَا ، مُصطَفى، **الإِسْلَام وتَطوُّرُ المُجتَمَعاتِ**، مجلَّة كُلِّيَّةِ الشَّريعَةِ، الجامِعَة الأردُنيَّةِ، عددا ، عام ١٩٧٢م، ص٥٣.

٢) ابن تيمية **رسالة إلى السلطان الملك الناصر في شأن التتار** (من جامع المسائل: المجموعة الخامسة)، تحقيق محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد ط١ ، مكة، ١٤٢٤هـ ، ٥، ص٢٩٧.

٣) البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (ت٧٠٩هـ) ، **المطلع على أبواب الفقه**، تحقيق : محمد بشير الإدلبي المكتب الإسلامي ، ط١ ، بيروت، ١٩٨١ ج١ ، ص٤٠٢.

٤) آل سلمان، مشهور حسن، **السلفية النقية وبراءتها من الأعمال الردية** ، الدار الثرية، ط١ ، ٢٠١١، ص ٢١.

خصائص المنهج السلفي :

- الفهم :

فسّر النبي - ﷺ - القرآن بتطبيقه وخلقه، فكان هذا أبلغ في البيان، وأقطع للاحتمالات وأنفع للناس، فهذا هو منهج الفهم السلفي، فيجب فهم الكتاب والسنة على الحال التي طُبِّقَتْ فيه، وترجمت إلى أفعال عملية[1]، من خلال فهم السلف الصالح، والاستقاء من علومهم، لذا لا بد من العودة إلى الفهم الأصيل - فهم السلف الصالح - الذي أصبح ضرورة ملحّة.

وكما أسلفت، أَنَّ قِوَامَ الخِطَابِ الدِّينِيِّ هُوَ الدَّعْوَةُ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ فأُمِرَ بالدعاء إلى دين الله - تعالى - ، ولم يفرق بين المرتد وبين غيره، فظاهره يقتضي دعاء المرتد إلى الإسلام كدعاء سائر الكفار[2].

- وضوح المنهج :

إن المنهج السلفي واضح برجوعه إلى القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح، عملا بقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله - تعالى - : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ

---

١) مشهور حسن، **السلفية النقية**، ص ٢٠.

٢) الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، **أحكام القرآن** تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٣، ص ٢٧٥.

اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي إن آمن اليهود والنصارى بمثل ما آمن المؤمنون بالفرقان، من غير تصحيف ولا تحريف، فقد اهتدوا، وإن أتوا من الإيمان بمثل ما أتيتم به، فهم على ملة الدين الحنيف، وهم مهتدون وإن لم يأتوا بإيمان مثل إيمانهم فليسوا من الملة الحنيفية في شيء، وإنما هم في شقاق وعداوة(١).

والعمل على تصفية ما علق بحياة المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، وتحذيرهم من البدع والأفكار الدخيلة الباطلة.

- دقة المصطلحات وضبط معاني ألفاظ العبارات:

لا بد من الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية، والألفاظ المجملة والمحتملة للخطأ والصواب، فعلى الرغم من أن النوازل غير محصورة، والنصوص محصورة؛ إلا أن النصوص: مبانيها ومعانيها، ألفاظها ومقاصدها، كلياتها وقواعدها، تسعف الناس في كل عصر على معرفة أحكام الله- ﷻ- ، ولا يقدر على هذا الاستنباط إلا من كان بيده آلة الاستنباط، وهي الدليل(٢).

- الدعوة:

إن من خصائص المنهج السلفي: الدعوة والصبر عليها رحمة بالناس، وذلك من خلال تربية المسلمين على دينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل رضوان الله- تعالى- ،

---

١) الزرعي، محمد بن أبي بكر بن القيم، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عطا وآخرون مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، مكة المكرمة، ١٩٩٦، ج٤، ص ١٠١١.

٢) مشهور حسن، **السلفية النقية**، ص ٢٥ بتصرف.

وذلك انطلاقا من أصول الدين الثابتة، التي ليس لأحد أن يحدث منها شيئا، فالدعوة في المنهج السلفي دعوة منضبطة في فهمها[١].

وبَعْدَ هَـذَا التَّوْضِيحِ فِـي مَفْهُـومِ التَّجْدِيـدِ كَـانَ لَـا بُـدَّ مِـنْ ذِكْـرِ الـضَّوَابِطِ وَالرَّكَـائِزِ الَّتِـي يَقُـومُ عَلَيْهَـا؛ تَبْيِينًـا لِمَعَالِمِـهِ وَتَقْيِيـدًا لِمُطْلَقِـهِ؛ فالـدِّيْنُ كُلُّـه ثَوَابِـتْ، وَلَـا يـسُوغُ أَنْ يَكُـونَ مَحَـلَّ اجْتِهَـادٍ؛ إذ لا اجتهـاد في مـورد الـنص، والاجتهـاد لا يكـون إلا في الفـروع، ولا يقبـل إلا مـن أهلـه، وهـم الفقهـاء، فالأمر ليس عبثاً، والمطالبة بفتح الاجتهاد ليس باباً من أبواب الفوضى[٢].

إن الشريعة حينما وضعت مبدأ الاجتهاد لما يستجد من أحكام راعت تبدل أحوال الأمم وعوائدهم، حيث لا تدون على وتيرة واحدة على مر الأيام وتوالي الأزمنة، سنة الله التي قد خلت في عبادة، وهذه الحقيقة تستتبع- بلا مراء- تبدل مظاهر المجتمع، وظهور مسائل وقضايا فقهية جديدة، تحتاج إلى اجتهاد فقهي، يراعي الأصول الكلية للشريعة، ويتشح بفقه الواقع وضوابطه، وهو مع ذلك لا يصادر نصا من النصوص أو إجماعا لسلف هذه الأمة الصالح[٣].

أليس حفظ العقيدة من الوثنية والشرك والخرافة، والتوجه لغير الله- تعالى- ، والاستغاثة بسواه، واللجوء لغيره، والاعتقاد بحجر أو شجر أو

---

١) مشهور حسن، **السلفية النقية** ، ص ٢٤.

٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، تحقيق محمد سعيد البدري، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ، جزء١، ص٤٢٣.

٣) حسانين، محمد حسانين، **تجديد الدين** ، ط١، ٢٠٠٧ ، مكة المكرمة ، ص ٢٣٠.

شمس أو قمر أو بشر أو بقر بالنفع والضرر، هو باب عظيم من أبواب التجديد بالمفهوم الذي أسلفنا؟.

أليس حفظ حديث رسول الله- ﷺ- من افتراء الكذابين، وتدليس المدلسين، يحتاج إلى حراس للحدود، كما قال الشيخ أبو إسحاق الحويني- حفظه الله- ، وإمام السنة الإمام أحمد بن حنبل- رحمه والله- وأبو الحسن الأشعري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومن بعدهم ابن باز وابن عثيمين- رحمهم الله تعالى- ، وغيرهم وغيرهم.

وكما فعل الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني- رحمه الله- ، فيقول الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله تعالى- : "لا أعلم تحت قبة الفلك أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث، فهو من المجددين"[1].

كما أن الاجتهاد له شروط منها:

- أن الفقيه المجتهد يجب أن يكون ملما بمسائل الإجماع، حتى لا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه.
- أن يكون الفقيه عالماً بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب.
- أن يكون الفقيه عالماً بعلم أصول الفقه؛ لاشتماله على نفس الحاجة إليه، وعليه أن يطول باعه فيه، ويطلع على مختصراته ومطولاته،

---

١) حسانين، ، **تجديد الدين** ، ص ٢٣١.

فهذا العلم هو عماد فسطاط الاجتهاد، وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه[1].

وَمِنَ الثَّوابِتِ الَّتي يَجِبُ التَّنَبُّهُ لَها حَتّى لا تُفْهَمُ خَطَأً: أنَّ تَجْديدِ الخِطابَ الدّيْنيّ لا يَعْني بِحَالِ المسَاسَ بالعَقيْدَةِ الإسّلَاميَّةِ، أو تَجاهُلَ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ، أو التَغاضِي عَنْ آيَةٍ قُرآنيَةٍ أو حَديْثٍ صَحيْحٍ[2].

واجْتِهَاداتُ العُلَمَاءِ فِيمَا لمَ يَرِدْ فِيه نَصّ مُتَغَيِّرَةُ أيضاً، حَيْثُ يَتَغيّرُ اجْتِهَادُ المُجْتَهِدِ مِنْ حِيْنٍ لِآخَرْ، حَسْبَما يَظْهَرُ لَهُ مِنَ الأَدِلَّةِ إزاءَ كُلَّ مُسّتَجَدٍ، أَمَّا رِعَايَةُ الضَّرُورَاتِ وَالأَعْذَارِ؛ فَذَلِكَ أَنَّ اللهَ - ﷻ - مَا شَرَّعَ حُكْمًا مِنَ الأَحْكَامِ، وَلَا أَوْجَبَ تَكْلِيفًا مِنَ التَّكَالِيفِ إلَّا وَشَرَّعَ إِلَى جَانِبِهِ سُبُلَ التَّيْسِيرِ فِيهِ؛ كَالتَّخْفِيفِ عَلَى المَرِيضِ وَالمُسَافِرِ وَغَيْرِهَا مِنَ التكاليف الشرعية..

أَمّا رِعَايَةُ الشَّرِيعَةِ لِمَصَالِحِ العِبَادِ، فَكَمَا ذَكَرَ الشَّاطِبِيُّ فَإِنَّهَا لَا تَعْدُو ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: الضَرُورِيَّةُ، وَالحَاجِيَّةُ، وَالتَّحْسِينِيَّةُ، وَهِيَ جَارِيَةٌ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالْعَادَاتِ، وَالْمُعَامَلَاتِ، وَالْجِنَايَاتِ

فَالضَّرُورِيَّةُ هِيَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا لِقِيَامِ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَهِيَ: حِفْظُ الدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالنَّسْلِ، وَالْمَالِ، وَالْعَقْلِ.

وَالحَاجِيَّةُ هِيَ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي رَفْعِ الضِّيقِ المُؤَدِّي فِي الغَالِبِ إِلَى الحَرَجِ وَالمَشَقَّةِ؛ كَالرُّخَصِ الْمُخَفَّفَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى لُحُوقِ المَشَّقَةِ بِالمَرَضِ

---

١) الشوكاني، **إرشاد الفحول**، جزء١، ص٤٢٠

٢) هليل، أ. د. أحمد محمد، **نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٦، ص ١٤.

وَالسَّفَرِ، وَإِبَاحَةِ الصَّيْدِ وَالتَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبَاتِ مِمَّا هُوَ حَلَالٌ، وَالْمُسَاقَاةِ، وَالسَّلَمِ، وَالْحُكْمِ بِاللَّوْثِ.

وَالتَّحْسِينِيَّةُ هِيَ الأَخْذُ بِمَا يَلِيقُ مِنْ مَحَاسِنِ العَادَاتِ، وَتَجَنُّبِ الأَهْوَاءِ الَّتِي تَأْنَفُهَا العُقُولُ؛ كَإِزَالَةِ النَّجَاسَةِ، وَسَتْرِ العَوْرَةِ، وَآدَابِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالْمَنْعِ مِنْ بَيْعِ النَّجَاسَاتِ.

فَلَا يُرَادُ مِنَ الخِطَابِ الدِّينِيِّ: الإِسْلَامُ عَيْنُهُ، إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ مَدَى تَوَافُقِ عُقُولِ النَّاسِ مَعَ النَّقْلِ؛ فَإِنَّ القُصُورَ فِي الخِطَابِ الإِسْلَامِيِّ لَا يَعْنِي قُصُوراً فِي الإِسْلَامِ نَفْسِهِ؛ فالدِّينِ كَوَحْيٍ رَبَّانِي وشرع إلهي، يَشْمَلُ نِظَامَ حَيَاةٍ ÛǤÝŊĤÀÒŊ ÛǤÀŸǹ ȸŋ ɍȿ ǤÆÆ ƙǣ ȸŋ ŌùÀĠöã ǤĔüÀ ɍ ÛÂÂʒ ǟÀǬõ Ž ŌǯŁǬÀ تنزيل من حكيم حميد، وسنة نبوية مسددة بوحي الله- تعالى- : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ٣ - ٤

وقد أمر الله- ﷻ- الأمة الأخذ بها، والاقتداء بمبلغها- ﷺ- ، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۝٧﴾ الحشر: ٧ وقال- تعالى- : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۝٢١﴾ الأحزاب: ٢١.

وفرق بين الدين المعصوم بهذا المفهوم، وَبَيْنَ إِخْفَاقِ المُسْلِمِينَ فِي تَرْجَمَةِ هَذَا النِّظَامِ إِلَى وَاقِعٍ مَلْمُوسٍ، فَتَجْدِيدُ الخِطَابِ الدِّينِيِّ- بِضَوَابِطِهِ الصَّحِيحَةِ- لَا يَعْنِي بِحَالٍ المَسَّ بِالعَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، أَوْ بِثَابِتٍ مِنْ ثَوَابِتِ الإِسْلَامِ، أَوْ تَجَاهُلَ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ.

وَأَخْتِمُ بِالقَوْلِ بِأَنَّ كُلَّ الخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ، وَكُلَّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفَ، وَأَنَّ التَّجْدِيدَ فِي الدِّينِ لَا يُرَادُ بِهِ إِعَادَةُ النَّظَرِ فِيهِ؛ بَلِ الرُّجُوعُ إِلَيه، والاحتكام به، والالتزام بهدي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، عَلَى فَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَيْسَ انْقِلَاباً عَلَى أَصْلٍ، أَوْ انْفِلَاتاً مِنْ عِقَالٍ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي التجديد والإِصْلَاحِ : مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» بِسَنَدِهِ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ يَقْعُدُ إِلَيْنَا ، وَلَا يَقُومُ أَبَدًا حَتَّى يَقُولَ لَنَا : «اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهُ» ، قُلْتُ : يُرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : يُرِيدُ في بَادِئِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ قَالَ : يُرِيدُ التَّقْوَى[1] .

وَمَا أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي التَّجْدِيدِ بِأَنَّهُ[2] "شَبِيهٌ بِنَهْرٍ عَذْبٍ أَصَابَتْهُ شَوَائِبُ كَدَّرَتْ صَفْوَهُ ، وَرُبَّمَا أَعَاقَتْ مَسِيرَهُ ، وَأَعْطَتْ انْطِبَاعاً لَدَى الرَّائِي أَنَّ مَاءَ النَّهْرِ آسِنٌ ، لَا يَصْلُحُ لِلشُّرْبِ ، لَكِنَّ الَّذِي يَتَّبِعُ مَجْرَى النَّهْرِ مِنْ بِدَايَتِهِ فَإِنَّهُ يُشَاهِدُ المَاءَ عَذْباً ، وَيَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الشَّوَائِبَ مَا هِي إِلَّا حَالَةٌ طَارِئَةٌ ، وَسُرْعَانَ مَا يَعُودُ النَّهْرُ إِلَى عُذُوبَتِهِ إِذَا تَخلَّصَ مِنْهَا» .

ونسأل الله- تعالى- أن يجعلنا ممن نستن بسنته ، ونهتدي بهديه على طريق الصراط المستقيم ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

---

1) ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت : ٤٦٣هـ) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، تحقيق : مصطفى العلوي و محمد البكري ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط١ ، ج٢٣ ، ص ١٠ .

2) شريف ، محمد إبراهيم ، **اتِّجاهَات التَّجدِيد فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فِي مِصْرَ** ، دار السلام ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، مصر ، ص ١٤٨ ، نَقْلاً عَن الخولي ، «المُجَدِّدُون في الإِسْلَامِ ، ج١ ، ص٣٤ .

المصادر والمراجع

١. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

٢. ابن تيمية رسالة إلى السلطان الملك الناصر في شأن التتار (من جامع المسائل: المجموعة الخامسة)، تحقيق محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد ط١، مكة، ١٤٢٤هـ.

٣. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي و محمد البكري، مؤسسة قرطبة، ط١، القاهرة.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط١، بيروت.

٦. أبو الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧. البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (ت٧٠٩هـ)، المطلع على أبواب المقنع، تحقيق: محمد بشير الإدلبي المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨١م.

٨. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن الضحاك، (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩. الجعفي، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٩٨٧.

١٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح: تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٩٩٥م.

١١. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

١٢. الزرعي، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) مدارج السالكين تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٧٣م.

١٣. الزرعي، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عطا وآخرين مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، مكة المكرمة،١٩٩٦.

١٤. الزَّرقَا، مُصطَفى، الإِسْلَام وتَطوُّرُ المُجتَمَعاتِ، مجلَّة كُلِّيَّةِ الشَّريعَةِ، الجامِعَة الأردُنيَّةِ، عدد١، عام ١٩٧٢م.

١٥. السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن (ت: ٢٧٥هـ)سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ)، مسند أحمد مؤسسة قرطبة، ط١، القاهرة.

١٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق محمد سعيد البدري، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ،

١٨. القرشي الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

١٩. المَوْدُودِي، أبو الأَعْلَىّ، مُوجَز تاريخِ تَجْدِيدِ الدِّينِ وَإِحْيائِهِ، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥م.

٢٠. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢١. النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٠ م.

٢٢. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت .

٢٣. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

٢٤. أمامَة، عَدْنان مُحمَّد، التَّجْدِيد في الفِكرِ الإِسْلامِيِّ، دار ابن الجوزي، ط١، مصر، ١٤٢٤هـ.

٢٥. حسانين، محمد حسانين، تجديد الدين، ط١، ٢٠٠٧، مكة المكرمة.

٢٦. شريف، محمد إبراهيم، اتِّجاهَات التَّجدِيد فِي القُرآنِ الكَريمِ فِي مِصْرَ، دار التراث، ط١، القاهرة، ١٩٨٢.

٢٧. ِعبَّاس حُسْنِي، الفِقْهُ الإِسْلَامِيُّ آفَاقُهُ وَتَطَوُّرُهُ، مَجلَّة «دَعْوَةِ الحَقِّ»، عدد ١٠ سنة ١٤٠٢هـ.

٢٨. مشهور حسن آل سلمان، السلفية النقيّة وبراءتها من الأعمال الرديّة، الدار الاثرية، ط١، عمان، ٢٠١١.

٢٩. مُصْطَفَى كَمَالَ التَّارزِي، الاجْتِهَادُ وَالتَّجْدِيد فِي التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ.

٣٠. هليل، أ. د. أحمد محمد، نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٦م.



الخطاب الديني المعاصر
وواقعه في المملكة العربية السعودية

إعداد

عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

المستشار في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اقتضت سنة الله أن تكون الحياة صراعا بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، منذ أن بعث الله آدم - عليه السلام - ، وإلى قيام الساعة.

وكما بعث الله أنبياءه ورسله حتى ختمهم بمحمد - ﷺ - ؛ لربط الخلق بربهم - سبحانه - ، وإحياء الدين الصحيح؛ فقد جعل الله من أمة محمد - ﷺ - من يجدد على يديه هذا الدين، فيصحح به تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين، ويعيد الدين إلى وجهه الصحيح نقيا صافيا كما جاء عن محمد - ﷺ - ، ولا زال أعداء الحق ومنتحلو الباطل يحاولون إلصاق التهم، وإثارة الشبه بهذا الدين، رغبة في الصد عنه، أو السير خلف كل من ينادي بالتغيير دون تمعن في ذلك ومراعاته.

وكان من أكبر ما كيلت له التهم جزافا: الخطاب الصادر باسم الدين الإسلامي، والمطالبة بتغييره لأن تغييره قد يؤدي إلى تغيير الدين كله.

ولرغبة القائمين على مؤتمر (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) المقام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المشاركة في أحد محاور المؤتمر، رأيت الكتابة في موضوع الخطاب الديني المعاصر، وهجمة خصومه عليه، رغبة في إيضاح ما ألصق بالخطاب الديني من تهم، ورغبة في تصحيح الموقف الشرعي من ذلك.

ومع أن غالب من كتبوا في هذا الموضوع اتصفت كتاباتهم بالإسهاب والإطالة، إلا أني سلكت في ذلك سبيل الاختصار، وذلك وفق العناصر التالية:

- مفهوم الخطاب الديني المعاصر: تكلمت عن معنى الخطاب والدين في اللغة ثم المفهوم الجامع لمعنى الخطاب الديني.

- نشأة فكرة الخطاب الديني: أوضحت فيه تاريخ هذا المصطلح والظروف الداعية لإطلاقه.

- حقيقة إصلاح الخطاب الديني المعاصر: تطرقت لصور المطالبة بإصلاح الخطاب الديني، التي من أبرزها تجديد الخطاب الديني، فأوضحت معنى التجديد في اللغة، ووفق ما ورد في الكتاب والسنة، ومعنى تجديد الخطاب الديني، وذكرت نماذج من معالم تجديد الخطاب الديني عند النبي- ﷺ- ، ثم ختمت بمعالم تجديد الخطاب الديني المطلوب.

- أبرز دعاوى الخصوم حيال الخطاب الديني والرد عليها: سلكت في ذلك سبيل التعداد لأبرز ما وجه إلى الخطاب الديني، ثم ذكرت الأسباب الداعية لذلك، وفق ما ورد عن النبي- ﷺ- ، التي يستقى منها الرد على جميع ما وجه إلى الخطاب الديني.

- واقع الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية: من خلال التمثيل بواقع المملكة من خلال ما نص عليه نظامها الأساسي للحكم، ثم ذكرت أسباب ما يرد على الخطاب الديني فيها من تهم وشبه.

وقد راعيت في جميع ما كتبت أن يكون الكلام في ذلك عاما دون نسبة قول لفرد أو جماعة؛ لأن الرد إنما يكون على القول بغض النظر عن قائله،

ولتعدد القائلين بتلك الأقوال، وتنوع عباراتهم، وحتى لا يصنف البحث بأنه رد على طائفة بعينها.

واسأل الله- تعالى- أن يرزقني التوفيق في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مفهوم الخطاب الديني

معنى الخطاب في اللغة:

الخطاب الديني مركب من كلمتين، فلا بد من معرفة كل كلمة على حدة؛ ليسهل بعد ذلك معناهما مجتمعتين.

فالخطاب في اللغة: كما قال في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان[١].

وقال في الجمهرة: والخطاب: مصدر خاطبته مخاطبة وخطابا[٢].

وقال في تاج العروس: والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، قال الله- تعالى- : ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾[٣]، وفي حديث الحجاج: "أمن أهل المحاشد والمخاطب"[٤]، أراد بالمخاطب الخطب جمع على غير قياس كالمشابه والملامح، وقيل: هو جمع مخطبة، والمخطبة: الخطبة، والمخاطبة: مفاعلة

---

(١) لسان العرب: خطب.

(٢) جمهرة اللغة ١/١٢٣

(٣) سورة هود: ٣٧

(٤) هذا جزء من سؤال سأله الحجاج بن يوسف للنعمان بن ضمرة لما أمسكه به مع ابن الأشعث، فقد دار بينهما حوار قال فيه الحجاج سائلا النعمان: فمن أهل الرس والبس، والدهمسة والدخمسة، والشكوى والنجوى، أم من أهل المَحَاشد والمَشَاهد والمَخَاطب والمَوَاقف؟. انظر القصة كاملة في مجمع الأمثال ١٧٨/٢.

من الخطاب والمشاورة أراد: أأنت من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن؟[1].

قال بعض المفسرين في قوله- تعالى- : "وفصل الخطاب" قال: هو الحكم بالبينة أو اليمين، وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده، أو هو الفقه في القضاء، أو هو النطق بـ"أما بعد"[2].

فيظهر من خلال تفسير علماء اللغة للخطاب أنه يستعمل عموما للدلالة على توجيه الكلام لمن يعقل ويفهم، فالخطاب كلام بين مقصود، يلقى بغرض التواصل والتخاطب، ويستلزم لتحققه طرفين: مخاطِب ومخاطَب، والسمة المميزة له: البيان والإفهام، والبعد عن اللبس والإبهام، وبهذا يشمل جميع تعاليم الدين الإسلامي[3].

الخطاب في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم مشتقات "خطب" تسع مرات، وورد لفظ خطاب ثلاث مرات، وما يناسب المقام منها هو قوله- تعالى- : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[4].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن الخطاب مقرون بالحكمة، مما يلفت النظر في ذلك، والأهمية التي ربط الله بها الخطاب، بأن يكون حكيما

(١) تاج العروس١/٤٦٣.

(٢) انظر تفسير النسفي ٣/١٤٩.

(٣) مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر د. محمد الفران/١٧- ١٨، بتصرف.

(٤) سورة ص: ٢٠

رشيدا؛ لأن "فصل الخطاب" لا يتم على الوجه الأفضل، إلاَّ إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمها[١].

معنى الدين في اللغة:

قال في القاموس المحيط: والدين، بالكسر: الجزاء، وقد دنته، بالكسر، دينا، ويكسر، والإسلام، وقد دنت به، بالكسر، والعادة، والعبادة، والمواظب من الأمطار، أو اللين منها، والطاعة، كالدينة، بالهاء فيهما، والذل، والداء، والحساب، والقهر، والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك، والحكم، والسيرة، والتدبير، والتوحيد، واسم لجميع ما يتعبد الله- عَجَلَّ- به، والملة، والورع، والمعصية، والإكراه[٢].

ولعل قوله: (اسم لجميع ما يتعبد الله- عَجَلَّ- به) هو التعريف الجامع لمعنى الدين المقصود هنا.

المفهوم الجامع للخطاب الديني:

يتضح مما سبق في معنى كل من الخطاب والدين أن المقصود بالخطاب الديني هو كل خطاب صادر من شخص أو جهة يدور مضمونه حول الدين، سواء كان بيانا أو إيضاحا أو تطبيقا أو تعليما أو غير ذلك من وسائل التعبير في جميع مناحي الحياة المختلفة.

---

(١) انظر الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة لعبد العزيز التويجري فصل في مفهوم الخطاب.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/٣٢٦.

ويمكن رسم تعريف موجز للخطاب الديني بأنه هو: كل بيان باسم الدين يوجه للناس كافة، سواء كان ذلك قولا أو فعلا أو كتابة أو تطبيقا، صادر من شخص أو جهة في جميع مناحي الحياة المختلفة[1].

(١) عرف الدكتور محمد الفران في كتابه مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر /٧١- ٧٢ بتعريفات مطولة، رأيت انتخاب التعريف السابق من مجمل ما ذكره.

نشأة فكرة الخطاب الديني

لم أجد أحدا من متقدمي علماء الشريعة خص ما يسمى بالخطاب الديني بحديث محدد، وإنما يفسره كل أهل فن حسب فنهم، فالأصوليون تعاريفهم معروفة في معنى الخطاب وتقسيماته، وأهل التفسير لهم تعريفهم للخطاب في القرآن، وأهل الحديث لهم مدلولاتهم في معنى خطاب النبي - ﷺ - ، إلى غير ذلك من العلوم.

لكني أرى أنه ليس المقصود من إطلاق عبارة (الخطاب الديني) ما يعنيه العلماء المتقدمون حسب كل فن، وليس المقصود به ما تعنيه دلالة الخطابة، فالخطابة تعد شكلا من أشكال الخطاب الكثيرة، بل كما سبق أن ذكرت في تعريفه بأنه بيان باسم الدين يوجه للناس كافة سواء كان ذلك قولا أو فعلا أو كتابة أو تطبيقا صادر من شخص أو جهة في جميع مناحي الحياة المختلفة.

لكني أظن أن نشأة لفظة الخطاب الديني كانت بسبب أحد أمرين[1] :

الأول: وجود خطابات أخرى في المجتمع، ونشوء تنظيمات وأفكار في داخل التيارات الإسلامية، مما أوجد الحاجة إلى إيجاد خطاب ديني مكافئ لها، فهناك الخطاب القومي، والخطاب الليبرالي، والخطاب النفعي المادي، وغير ذلك من الخطابات.

---

(١) توسع الدكتور سعيد بنسعيد العلوي في مقال نشره بمجلة التاريخ العربي الصادرة في المغرب العدد الرابع عشر ربيع ٢٠٠٠م ص/٥٩، بعنوان: التحديث والتجديد في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، في ذلك، وأوضح علاقة نشأة هذه المسميات بنشوء بعض الجماعات الإسلامية، واستشهد بكلام مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا - رحمه الله - ومن جاء بعده، وكثير من التيارات الأخرى.

الثاني : بسبب النظرة اللادينية التي تدعو إلى فصل الدين عن مجريات الحياة، ولذلك جعلوا توصيف الوضع أو الحالة بأنها خطاب ديني، ليسهل بعد ذلك إبعاده ورفضه.

ويمكن أن يورد هنا بأن يكون المقصود بالخطاب الديني ما يسمى بالفكر الإسلامي، فهل يصح الاستعاضة عن لفظة الخطاب بلفظة الفكر؟

يرى بعض الباحثين أن بين الفكر والخطاب تباينا واضحا، فالفكر يمكن أن يوصف به حال المجتمع، أما الخطاب فهو عبارة عما يصدر من أفراد المجتمع ومؤسساته[1].

وإن كان جمع من العلماء لا يوافقون على صحة التسمية بالفكر الإسلامي، لأن فيها جعلا للدين كالأفكار، والأفكار قابلة للأخذ والرد، وقابلة للنقاش، وهذا غير صحيح، ولا يجوز اعتبار الدين كذلك[2].

غير أن مصطلح الخطاب الديني بتعريفنا الذي ذكرناه، يمكن التسليم به، ولا مشاحة في الاصطلاحات.

ورأيت لبعض الباحثين رأيا حول الخطاب الإسلامي[1]، وهو أنه رديف للدعوة الإسلامية، وأرى أن هذا غير صحيح ؛ لأن الخطاب الدعوي هو أحد

---

(١) انظر: تجديد الخطاب الإسلامي د. عبد الكريم بكار /١٣- ١٧، ومظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر /٥٦- ٥٧.

(٢) انظر: المناهي اللفظية للشيخ محمد بن عثيمين الأسئلة ٤٨- ٧٢- ٧٣، ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد /٢٢١، وكذلك محاضرة صوتية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ بعنوان العلم والفكر.

أفراد الخطاب الديني أو الخطاب الإسلامي، على تعدد الإطلاقين، وحصر الخطاب الإسلامي بالخطاب الدعوي فقط هو تحجير له، وإخراج لبقية ما يدخل تحت الخطاب الإسلامي مما بيناه سابقا.

---

(١) انظر: الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة لعبد العزيز التويجري: فصل في دلالة الخطاب الإسلامي، رغم أنه أشار في فصل آخر في البحث في فصل: مستقبل الخطاب الإسلامي، إلى أن الخطاب الإسلامي يجب ألا يكون مقصورا على الوعظ والإرشاد فقط، بل يشمل أكثر من ذلك.

حقيقة إصلاح الخطاب الديني وصلتها بخصوم المنهج السلفي

مما سبق ظهر أن المقصود بالخطاب الديني هو كل ما له علاقة بالدين في جميع شؤون الحياة، والدين ليس محلا للاجتهاد، بل هو مربوط بما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وهذان المصدران باقيان محفوظان إلى يوم القيامة.

صور المطالبة بإصلاح الخطاب الديني:

ومع كل ذلك واستقراره لدى جميع المسلمين، إلا أنه ظهرت المناداة في العصور المتأخرة بإصلاح الخطاب الديني، وهذه المناداة وردت من جهتين:

الجهة الأولى: جهة خارجية، من خارج المسلمين، وغالبا ما تكون من الدول الكبرى في العالم التي تريد تحقيق نفوذها على العالم، أو تريد تبرير بعض المواقف والأخطاء، ونسبتها إلى الدين الإسلامي، رغبة في الصد عنه وتشويه صورته.

الجهة الثانية: جهة داخلية، من أبناء المسلمين، وغالبا ما تكون بسبب عدم فهمهم لدين الإسلام وسماحته، أو أنهم تشبعوا ببعض الأفكار، ويريدون إيصالها عن طريق المطالبة بإصلاح الخطاب الديني.

وقد يكون هناك سبب تشترك فيه الجهتان، كرغبتهم في إلحاق الضرر بالدول المتمسكة بالإسلام، كما هو الحال بالنسبة للدعوة لإصلاح الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية، وهذا هو الهدف المشترك بين الجهتين الخارجية والداخلية.

ولا يمكن الحديث عن قضية الدعوة بإصلاح الخطاب الديني بإطلاق، ولأن غالب الدعوات تجتمع في مسألة واحدة، وهي المناداة بتجديد الخطاب الديني، فسأكتفي بمناقشة هذا المفهوم، وبيان الوجه الشرعي فيه.

تجديد الخطاب الديني:

من أبرز المطالبات التي برزت في السنوات الأخيرة المطالبة بتجديد الخطاب الديني، حيث إنها لم تظهر على ألسنة أعداء الدين الإسلامي فقط، بل برزت على ألسنة بعض المنتسبين إلى الإسلام، بل نادى بها بعض المنتسبين للعلم الشرعي، دون فهم منهم لمعناها، أو تحديد للمقصود بها.

وقبل الإفاضة في إيضاح ومناقشة هذه الدعوى، لا بد من إيضاح حقيقتين، يسهل بعدهما الحديث عن ذلك، وهما:

الحقيقة الأولى: في معنى التجديد كما ورد في اللغة العربية، وما يدل عليه من الكتاب والسنة.

الحقيقة الثانية: في مجيء الأدلة الشرعية بالدعوة إلى التجديد في الدين الإسلامي.

معنى التجديد في اللغة العربية:

كلمة التجديد في اللغة مأخوذة من جدد يجدد، وتجدد الشيء: صار جديدا، ومصدرها الجدة والجد، قال في الصحاح: وتجدد الشيء: صار جديدا. وأجده، واستجده، وجدده، أي صيره جديدا[1].

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري ١/٨٣.

وقال في المخصص: جددته - أعدته جديدا، والجديد من الأشياء: ما لم يكن بعد فوقع حديثا، يقولون موت جديد[1].

ولا يخرج المعنى اللغوي للتجديد عن إحدى ثلاث دلالات:

الأولى: أن الشيء المجدد قد كان في أول عهده مألوفا ومشاعا بين الناس.

الثانية: أن هذا الشيء أتى عليه حين من الدهر، فأصابه البلى والابتذال بالاستعمال.

الثالثة: أن ذلك الشيء المجدد قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق[2].

ولعل الدلالة الثالثة هي أقرب الدلالات لمعنى التجديد في الخطاب الديني؛ لأنها هي المتوافقة مع ما جاء به الكتاب والسنة- كما سيأتي- .

معنى التجديد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة:

بما أن الحديث متعلق بالخطاب الديني، فإن من المؤكد أن ينظر إلى معنى التجديد في الكتاب والسنة؛ لأنهما المصدران الوحيدان للتشريع، وليرتسم بعد ذلك المعنى الشرعي لهذه العبارة.

وردت كلمة الجديد في القرآن الكريم في عدة آيات، منها قوله- تعالى- : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾[3]، وقوله- سبحانه- : ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

(١) المخصص لابن سيده ١/٣٤٢.

(٢) أوسع الحديث في ذلك د.محمد الفران في مظاهر التجديد في الخطاب الديني ٨٣- ٨٥.

(٣) سورة إبراهيم: ١٩.

جَدِيدٍ ﴾ [1] ، والغالب في دلالة هذه اللفظة في القرآن في هذين الموضعين وغيرهما معنى الإحياء والبعث[2].

أما في السنة النبوية فقد ورد لفظ التجديد في الحديث المشهور، الذي رواه أبو داود وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [3]، وجاء حديث آخر هو كالتفسير لهذا الحديث، ذكره غير واحد عن الإمام أحمد قال: يروى في الحديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم- (أن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي، يبين لهم أمر دينهم)[4] وهذا الحديث وإن كان ضعفه ظاهراً عند أهل الحديث[5] إلا أن ذكره هنا من باب الاستشهاد.

---

(١) سورة ق: ١٥.

(٢) انظر مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي، وقد نسب ذلك لأبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين /٨٥.

(٣) رواه أبو داود في سننه٣٧٤٠، والبيهقي في السنن والآثار١/١٢١، والحاكم في المستدرك ٨٧٣٨ وغيرهم، وصحح إسناده غير واحد، منهم الإمام أحمد بن حنبل، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٢/١٥٥.

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٩/٩٧- ٩٨، والهروي في ذم الكلام /٢٤٦، وابن حجر في توالي التأسيس في ترجمة محمد بن إدريس /٤٨، وانظر عون المعبود ٩/٣٢٦.

(٥) انظر طبقات الشافعية للسبكي ١/١٩٩ والانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر /١٢٦.

وبناء على ذلك، فإن التجديد بالمعنى السابق قد ورد في السنة النبوية ما يؤيده، ولكن اختلفت تفسيرات المحدثين لمعنى التجديد الوارد في الحديث، وهي تتوافق في ثلاثة معان[1]:

المعنى الأول: أنه هو إحياء ما اندرس من السنة، أو إحياء الدين، وهذا هو تفسير الزهري وابن حجر[2]، وقال العلقمي في شرحه[3]: معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما.

ويرى ابن الأثير في جامع الأصول: أن المقصود بالتجديد هو حفظ المذاهب الفقهية التي عليها مدار المسلمين[4].

ومن هذا الباب سُمي بعض العلماء بالمجددين، كالإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى- الذين أحيا ما اندرس من السنة وتعاليم الشريعة.

المعنى الثاني: أن المراد بالتجديد هو محاربة البدع، والدعوة إلى التشبث بالسنن، وهذا رأي الإمام أحمد بن حنبل، حيث استشهد بالحديث السابق، على اعتبار أن الإمام الشافعي- رحمهما الله جميعا- أحد من ينطبق عليهم الحديث، لسعيه الدؤوب للعمل بالسنة، ومحاربة البدعة، وهو تفسير

---

(١) انظر كتاب: التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد أمامة /١٦- ٢٠، ومظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي/ ٨٦- ٩٠.

(٢) انظر رأي ابن حجر في توالي التأسيس في ترجمة محمد بن إدريس /٤٨، وفتح الباري ٣٧٠/٢٠، وأشار إلى رأي الزهري.

(٣) انظر عون المعبود ٣٢٦/٩.

(٤) جامع الأصول ٣٢١/١١.

المناوي وصاحب عون المعبود حيث قال: يجدد أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم[1].

المعنى الثالث: أن المراد بالتجديد الاجتهادات الفقهية الجزئية المرتبطة بالفروع لمستجدات الحياة، ولعل من أبرز من يرى هذا المعنى السيوطي- رحمه الله- الذي ألف رسالة في ذلك، عدد فيها المجددين مع كل مائة سنة، وجميعهم من فقهاء الشافعية، فكأنه جعل معنى التجديد: الاجتهاد في المسائل الفقهية.

وغالب من فسره من العلماء المتقدمين لا يخرج تفسيره عن هذه الثلاثة معان.

ويتضح هنا أن النبي- ﷺ- أخبر بأن الله سيهيئ لهذا الدين من يجدده ويعيده إلى ما كان عليه زمن الرسالة، وهذا يدل على أمرين:

الأول: أن التجديد يكون لأمر كان موجودا، ثم نسي أو تقادم العهد به، أو تعرض للتغيير والتبديل، وليس تغييرا لشيء مقر في الشريعة، أو تركه من باب التجديد، كما يفهمه بعض المنادين والداعين للتجديد اليوم.

الثاني: أن الحياة، ومنها الإنسان بطبعه يستهلك الأشياء والنظم والأفكار والأساليب، ويتطلع دائما إلى أن يرى ويسمع أشياء لم يخبرها من قبل، ولذلك جاء في الحديث الذي رواه الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- ﷺ- : (إن الإيمان

---

(١) عون المعبود ٩/٣٢٦ وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، وقد أفاض في ذلك طويلا ١/١٤- وما بعدها.

ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)[1]، فالمسلم مطالب باستمرار بتجديد إيمانه بالرجوع إلى الله- سبحانه- ؛ ليعود إيمانه إلى عهده السابق من القوة.

معنى تجديد الخطاب الديني:

إذا اتضح ما سبق من أن معنى التجديد في الدين مضبوط بكلام الله وكلام رسوله- ﷺ- ، فما هو معنى تجديد الخطاب الديني؟، هذا الموضوع الذي لاكه كثير من الناس على مختلف طبقاتهم، بل حتى على مستوى المجامع والحكومات.

لا بد من العلم بأن الخطاب الديني يشتمل على أمرين:

الأول: على علم و عقيدة و مضمون وتعاليم شرعية.

الثاني: على أسلوب وطريقة يدعى الناس بها إلى هذا العلم و العقيدة والمضمون والتعاليم الشرعية، ويوضح لهم فيها ما استجد من أحكام وأفعال، وفق شعائر الدين الحنيف[2].

أما الأول فهذا ليس لأحد أن يغير فيه، ولا أن يُبدل، إنما يرشد الناس إلى فهم ذلك الدين بلا تغيير فيه؛ لأن الشريعة كاملة، والأدلة متوافرة على منع الزيادة في دين الإسلام أو النقص منه، يقول الله- تعالى- : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٨ وقال: رواته ثقات، ووافقه الذهبي.

(٢) تسجيلة صوتية لمعالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

(٣) سورة المائدة: ٣.

ويقول الرسول- ﷺ- في حديث عائشة: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1].

والأدلة في ذلك كثيرة، ليس هذا موضع تفصيلها.

أما الثاني وهو أسلوب تبليغ هذا الدين من حيث الأولويات وأنواع الفقه التي تراعى، وأسلوب مخاطبة الناس؛ مراعاة لمختلف أفهامهم، فهذا لا شك أنه يختلف باختلاف الزمان والمكان، والعوائد والأحوال، ومن أوضح الأدلة على ذلك الأنبياء- عليهم صلوات الله وسلامه- ، دعوتهم واحدة، هي الدعوة إلى توحيد الله- جل و علا- ، وطاعة الرسل وملازمة التقوى والاستغفار، وأنواع العبادات، لكن أسلوبهم في تبليغ ذلك مختلف؛ لاختلاف الأزمان والأماكن والحالات، يقول الله- تعالى- : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[2]، ويقول- سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[3]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله- ﷺ- : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم

(١) رواه البخاري (٢٤٩٩) ومسلم (٣٢٤٢).

(٢) سورة إبراهيم: ٤.

(٣) سورة النحل: ٣٦.

واحد)[1]، ولذلك فإن عيسى ابن مريم ينزل في آخر الزمان، ويجدد دين محمد- ﷺ- .

فهذا الأمر وهو التجديد في أسلوب إبلاغ الدين الصحيح جاء الشرع به، بل ورد الزجر لمن لم يراع في تبيينه لهذا الدين أفهام الناس ومراتبهم، يقول عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة[2]، وقال علي- رضي الله عنه- : حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟[3].

ومما سبق يتضح بصورة أخرى أن الذي يقع عليه التجديد هو علاقة الأمة بالدين، وتعاملها مع نصوصه، وليس الدين نفسه، فهناك دين وتدين، فالدين هو المنهج الذي بعث الله به رسوله محمدا- ﷺ- ، وأنزل به كتابه، من عقيدة وأخلاق وعبادة وشرائع، وكلها أمر ثابت ليس للإنسان تغييره ولا تبديله كما سبق.

وأما التدين فهو الحالة التي يكون عليها الناس في علاقتهم بدينهم، ولذلك يقال: فلان ضعيف الدين أو قويه، وهو ما دل عليه الحديث السابق: (فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)، ولذلك قال- ﷺ- في الحديث الآخر: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[4]، فجعل التجديد لدين الأمة، وليس لأصل الدين، لأن الدين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٤/٢٠٣(٣٤٤٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/٢١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١/٢١٧.

(٤) سبق تخريجهما.

ثابت، لا يتغير، ولا يحتاج إلى من يعدله، وإنما علاقة الأمة بدينها ومدى تمسكها به هو الذي يحتاج إلى تجديد(١).

صور من معالم تجديد الخطاب الديني عند النبي - ﷺ - :

يمكن أن أذكر هنا صورا لمعالم تجديد الخطاب الديني في سيرة النبي - ﷺ - :

مراعاة أحوال المدعوين، وما لديهم من دين أو علم سابق:

من الصور الظاهرة في تجديده - ﷺ - لأسلوبه في الخطاب الموجه للمدعوين: عدم بقائه على منهج وأسلوب واحد في مخاطبته لمن يريد دعوتهم، بل يدعو كل شخص مراعيا ما لديه من علم سابق أو دين سابق، ومن أوضح الأمثلة النبوية على ذلك: قصة بعثه لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى اليمن، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معاذا قال: بعثني رسول الله - ﷺ - ، فقال: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)(٢).

(١) انظر التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد أمامة /٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع: (١٣٠٨) ومسلم ١/ ١١١، وهذا لفظه.

فقد أرشده النبي- ﷺ- إلى أنه سيأتي قوما أهل كتاب، يعني أهل دين سابق، فينبغي مراعاة أحوالهم، وأن تكون دعوتهم وفق آلية معينة، كل ذلك مراعاة منه- ﷺ- لأحوال الناس.

مراعاة المخاطبين في القيام ببعض الشعائر:

إضافة إلى ما سبق فإن النبي- ﷺ- كان يتنازل عن بعض الشعائر مراعاة لأحوال المدعوين، خاصة إذا كان القيام بها قد يصدهم عن مقصده- ﷺ- من دعوتهم، ومن أظهر الأمثلة على ذلك: قصة بناء الكعبة، فقد روى البخاري وغيره عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله- ﷺ- : (لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، ثم لبنيته على أساس إبراهيم- عليه السلام- ، فإن قريشا استقصرت بناءه، وجعلت له خلفا)[1].

فالنبي- ﷺ- راعى أحوال الناس؛ لاحتمال عدم استيعابهم لهدم الكعبة وتغيير هيئتها التي تعودوا عليها، وتركها على ما كانت عليه.

مخاطبة الناس وإيصال تعاليم الدين إليهم بلغاتهم:

ومن بديع تجديده في خطابه الدعوي- ﷺ- : أنه كان يحدث كل قوم بلغتهم التي يفهمونها، فلم يجمد على لغة أو لفظ واحد، وذلك ليقرّب مفهوم الحديث ومعناه الذي يريد توصيله إليهم، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عاصم الأشعري قال:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١٤٨٢.

سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: (ليس من امبِرِّ امْصِيامُ في امْسَفرِ)[1]، وهذا الكلام في لغة الأشعريين، حيث يقلبون اللام من "أل" التعريف ميماً، والمراد بذلك أصل الرواية، وهي قول النبي- ﷺ- : (ليس من البرّ الصيامُ في السفر)[2].

استخدام الوسائل التعليمية في توضيح بعض الأمور للناس:

كان النبيّ- ﷺ- يحرص على بيان أمور هذا الإسلام الحنيف وتوضيحها للناس بشتى الطرق؛ لذا استخدم الرسول- عليه الصلاة والسلام- وسائل تعليمية إيضاحية، كضرب الأمثلة واستخدام يده أو عصاه ليخطّ بهما خطوطاً على الأرض؛ لتوضيح معنىً أو مفهوم معيّن، مثل ما روى البخاري وغيره من حديث عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: خطّ النبيّ- ﷺ- خطاً مربعاً، وخطّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخطّ خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه، وقال: (هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به -، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض؛ فإنْ أخطأه هذا نهشه هذا، وإنْ أخطأه هذا نهشه هذا)[3]، ووردت أحاديث أخرى استخدم النبي- ﷺ- فيها العصا وغير ذلك.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٥٦٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٨١٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٥٩٣٨.

أهمية تجديد الخطاب الديني:

وبغض النظر عن مطالبة هاتين الجهتين ـ اللتين سبق ذكرهما ـ، ومدى مصداقية ما يطالبان به، إلا أنه ينبغي الإقرار بأن الخطاب الديني يمثل صورة لحال العالم الإسلامي؛ فبقدر ما تتطوّر المجتمعات الإسلامية، وتتغيّر نحو الأحسن والأفضل والأرقى، بالتغلّب على الجهل بالشريعة والتقاتل والتحزب غير الشرعي، وبقضائها على مظاهر البعد عن الله، والوصول إلى الاعتدال في الأمور، وفق ما جاءت به الشريعة، يتجدّد الخطاب الديني ويتغيّر، ويرتقي إلى المستوى الذي يجعله مسايراً للمتغيّرات، مستجيباً للطموحات، ومنسجماً مع هوية الأمة، ومعبّراً عن خصوصياتها ومدافعاً عن مصالحها.

ولذلك ينبغي أن يكون الإنسان ساعيا إلى تجديد خطابه الديني بالمفهوم الصحيح الوارد في الكتاب والسنة، والذي جاء تأكيد السلف وعملهم عليه.

معالم تجديد الخطاب الديني المطلوب:

من خلال ما سبق من تحديد مفهوم الخطاب الديني ومعنى التجديد فيه وأهمية ذلك، يمكن رسم مجالات للخطاب الديني يتم التجديد من خلالها:

١. أن يعود كسابق عهده على مستوى التمسك بالأصول، والالتزام بالضوابط المنهجية المتفق عليها، والحفاظ على نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية.

٢. تأسيسه على أساس العقيدة الصحيحة الصافية التي كان عليها، والإخلاص لله- تعالى- في جميع الأمور، ونبذ ما يخالف ذلك، وتصحيح

الانحرافات التي أحدثها الناس في تطبيقهم للدين الصحيح، سواء في جانب الشبهات أو جانب الشهوات، وحماية الدين والدفاع عنه.

٣. تجديد الأفكار والمفاهيم وأوجه البرهنة والاستدلال التي نستخدمها في إيصال تعاليم الدين للناس، على مختلف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم، وملامسة حاجات الناس، والعمل على تبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم في ظل تطورات الزمن وتغيراته.

٤. الاجتهاد في الأمور المستجدة، وإيجاد الحلول الشرعية لها، للدلالة على شمول الإسلام لجميع حاجات الناس.

٥. استخدام الأساليب الممكنة والملائمة لذائقة الناس المتجددة يوما بعد يوم، ومواكبتها بما يستجد من وسائل(١).

أبرز دعاوى الخصوم حيال الخطاب الديني والرد عليها

من الصعب جدا الإلمام بجميع ما وجه إلى الخطاب الديني من تهم أو انتقادات أو غير ذلك، لكن يكفينا هنا أن نشير إلى بعض الشبه موجزة، ثم الحديث عن أسباب ورود مثل هذه التهم؛ لأن معرفة السبب الذي أدى لتلك التهم يسهِّل علاجها والرد عليها.

ويمكن تقسيم ما ألحق بالخطاب الديني من تهم أو انتقادات على حسب نوعها إلى ثلاثة أنواع(١):

---

(١) انظر: تجديد الخطاب الإسلامي الشكل والسمات: عبد الكريم بكار /١٧- ١٨، والتجديد في الفكر الإسلامي /٣٧- ٤١، وكذلك الدكتور عبد العزيز التويجري في رسالته الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة ـ مقومات الخطاب الإسلامي وخصائصه.

النوع الأول: في ميدان العقيدة:

١. الدعوة إلى تقديس العقل، وتقديمه على النقل.

٢. الدعوة إلى إنكار الغيبيات أو تأويلها.

٣. تذويب الحاجز بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، عبر عدة طرق، منها: الدعوة إلى وحدة الأديان، أو صحة الأديان الأخرى غير دين الإسلام، أو عدم التفريق بين الناس بسبب أديانهم.

٤. التساهل مع الفرق المنحرفة عن العقيدة الصحيحة، والسعي للتوحد معها.

النوع الثاني: في ميدان السنة:

١. الطعن في المحدثين والفقهاء، واتهامهم بالوضع والكذب والاهتمام بالسند دون المتن.

٢. معارضة كثير من أدلة السنة بالعقل، وعدم قبولها لمعارضتها عقولهم.

٣. رفض بعض الأحاديث النبوية؛ لعدم ملاءمتها الزمن، أو لتقسيمهم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية.

النوع الثالث: في ميدان الفقه وأصوله:

١. تقديم المصلحة على النص من الكتاب والسنة، بحجة أن النص لا يمكن تطبيقه على جميع الناس، وتضخيم دور المصالح والعلل والحكم التي

(١) انظر هذه التهم منسوبة بإسهاب إلى قائليها في عدد من الكتب، منها: التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد أمامة، السلفية وقضايا العصر د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، وإسلامية لا وهابية د.ناصر بن عبد الكريم العقل، وغيرهم.

انطوت عليها أحكام الشريعة ؛ ليصل في النهاية إلى أن الأحكام تتبدل وتتغير بتغير هذه المصالح ، فتعطل بعد ذلك النصوص الشرعية المحكمة.

٢. اتهام الفقه والفقهاء بالجمود ، وبعدهم عن حياة الناس ومعايشته حاجاتهم.

٣. التساهل في بعض الأحكام الفقهية ؛ مراعاة لحياة الناس ، وعدم الإنكار عليهم فيها.

٤. إسقاط بعض التعاليم الشرعية التي يصفونها بالقسوة ، مثل الدعوة لإسقاط الحدود الشرعية ، واستبدالها بعقوبة الحبس ، بحجة ما في إقامة الحدود من القسوة ومخالفة حقوق الإنسان.

٥. اتهامهم نظام الحكم في الإسلام بالقصور ، وتضخيمهم مبدأ الديمقراطية ، وأنها أصلح منه ، فنتج عن ذلك : تجويزهم الخروج على الحكام ولو لم يظهر منهم كفر ، وتسويتهم بين المسلم وغيره في الحقوق والواجبات ، وإبطالهم كثيرا من أحكام الجهاد ، كالجزية وقتل المرتد ونحو ذلك.

٦. دعوتهم إلى عدم مناسبة بعض الشعائر الإسلامية للوقت الحاضر ، كالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ لكونها كبتا للحريات ، أو ادعاء ظلم الإسلام للمرأة ، والدعوة إلى مماثلتها للرجل في جميع الأمور.

هذا مجمل لما نسب إلى الخطاب الديني في السابق واليوم ، فالدعاوى واحدة ، وإن اختلفت العبارات أو الهدف منها.

الأسباب الداعية لذلك:

ولأنه لا يمكن الحديث عن كل واحدة من التهم الموجهة إلى الخطاب الديني؛ لأن ذلك يطول، ولن ينتهي؛ لأن التهم كثيرة، غير أن معرفة السبب الذي أوجد مثل تلك التهم يسهِّل الرد عليها.

وقد استوقفني عند البحث عن الأحاديث التي جاءت بالدعوة إلى التجديد حديث عن النبي- ﷺ- ، أرى أنه يجمع غالب الأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف، مع أن الحديث يتحدث عن التجديد في الدين، وكيف يكون.

عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله- ﷺ- : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه **تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين**)[1].

فهذا الحديث مع أنه يتحدث عن منة الله على هذا الدين بأن هناك من سيحمله، فيدافع عنه ويزيل ما يلحق به، ولذلك عد بعض أهل العلم هذا الحديث من الأحاديث الدالة على التجديد في الدين- التي مر ذكر بعضها- ، إلا أن فيه معنى آخر: وهو أنه- ﷺ- حدد فيه أوجه الانحراف

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٠٩)، ورواه غيره، وتكلم بعض أهل العلم على إسناده، وصححه محتجا به جمع، منهم: ابن عبد البر في التمهيد (١/٥٨) وابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/١٦٣)، وابن الوزير في العواصم من القواصم ٣٠٨/١، وكذلك ابن مفلح في الآداب الشرعية، ونقل كلام الإمام أحمد عنه (٢/١٢٥)، وتوقف الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ٢٤٨/١ في تضعيفه، وقد ألف الزبيدي رسالة في تصحيحه، وألف من المتأخرين سليم الهلالي رسالة مسهبة في تصحيحه.

الواردة على الدين الصحيح في ثلاثة أسباب، أرى أن كل ما ذكر من تهم موجهة إلى الخطاب الديني مما سبق ذكره وغيره، لا تخرج عن أحد هذه الثلاثة الأسباب المذكورة في الحديث.

وإن كان بعض أهل العلم قد أعلوا هذا الحديث بكون حمل الدين ليس مقصورا على العدول، فقد يكونون فساقا، كما وقع، لكن جاءت إحدى روايات الحديث بلفظ الأمر: (ليحمل هذا العلم)، فتزيل تلك العلة، وتؤكد الاستدلال بهذا الحديث على المعنى الذي قصدناه هنا، وأن تجديد هذا الدين والدفاع عنه من أحد ثلاثة أسباب:

السبب الأول: تأويل الجاهلين:

وهو أن غالب ما أتى إلى الدين الإسلامي الصحيح هو بسبب الجهل بهذا الدين وعظمته، والجهل بالشريعة يشمل ثلاثة أمور:

١. الجهل بمصادر الشريعة: فالجهل بالقرآن الكريم، وأنه كلام الله- تعالى- محفوظ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والجهل بسنة النبي- ﷺ- الصحيحة، يقود إلى الدعوة إلى تقديم العقل على النص، أو إلغاء بعض ما ورد في الشريعة من أحكام، أو الاعتماد على أحاديث ضعيفة في الزيادة في الدين، وهكذا الأدلة الأخرى التي اعتبرها العلماء، كالإجماع والقياس.

٢. الجهل بقدرة هذه الشريعة وكمالها وشمولها وإحاطتها بجميع النوازل: قاد إلى اعتقاد حاجة الدين الإسلامي إلى مواكبة المستجدات، أو أنه

لا يناسب هذه العصور المتأخرة، وغاب عنهم مثل قول الله- تعالى- : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [1]، وغيره من الآيات والأحاديث.

٣. الجهل بوسيلة فهم النصوص الشرعية، وكيفية استنباط الأحكام منها: أدى ذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه، أو إلى أن تضرب الأدلة بعضها ببعض، أو تفهم على غير مرادها.

٤. الجهل في عدم التفريق بين فعل المنتسبين إلى الإسلام وبين أن يكون ذلك الفعل هو الإسلام: وإن كان هذا النوع من الجهل داخلا في الأنواع السابقة، إلا أنه مهم، وذلك أن غالب من اتهم الإسلام بتهم التشدد والغلو والقسوة أو الإرهاب إنما حكم على فعل بعض أفراد المسلمين، في حين أن الإسلام بريء من تلك الأفعال، فأفعال المسلمين ليست دليلا كافيا في الحكم على تعاليم الدين أو مناقشتها.

إذا تبين هذا، فإن الجهل علاجه العلم، فلا بد من إظهار الدين الصحيح الذي جاء به محمد- ﷺ- ؛ ليتعلم الجاهل، ولتزول الغشاوة عن كثير من الشبه والتهم الموجهة إلى الدين الإسلامي، ويظهر وجه الحق في ذلك.

والمتأمل في التاريخ وما مر به المسلمون من فترات ضعف وقوة، يجد أن تلك الشبه وما ماثلها تأتي في وقت انشغال المسلمين عن تصحيح دينهم، وتعلقهم بأمور الحياة الدنيا التي تزيد من بعدهم عن ربهم- سبحانه وتعالى- ، وبقدر قوة تمسكهم بهذا الدين، وتعلمهم وتعليمهم له تجد ضعفا لتلك الشبه وضعفا في قبولها.

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

السبب الثاني: انتحال المبطلين:

المبطل من أبطل: إذا جاء بالباطل، والانتحال: هو الادعاء[1]، ومعنى ذلك أن مما يكون سببا داعيا للتجديد هو ما يدعيه المبطلون، وهم أهل الضلال في هذا الدين.

ولذلك فإن غالب ما يورد على الدين مصدره يكون من أعداء دين الإسلام، ممن يريدون الإضرار به، ويقلدهم في ذلك بعض من لم يتنور بنور هذا الدين، أو رغب في تقليد غير المسلمين في جميع الأمور، وقد يكون معرفة هذا السبب موضحاً في رد كثير من الشبه التي تثار حول الخطاب الديني، وأن مقصد من يثيرها الرغبة في الإضرار بهذا الدين، أو تقليد سبل أهل الديانات الأخرى.

إذا تبين هذا، فإن الباطل لا بد أن يدحض بالحق، ويظهر زيفه، ويؤكد للناس عامة ما يحمله المبطل من أغراض فاسدة وقول كاذب، وأستذكر هنا قولة أبي جهل عن النبي - ﷺ - حين سأله الأخنس بن شريق الثقفي، وكانا قد استمعا شيئا من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم! فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان؛ قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه.. والله لا

(١) انظر المخصص لابن سيده، ومادة "نحل" في لسان العرب ١١/٦٤٩.

نؤمن به أبدا، ولا نصدقه!، واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول- ﷺ- وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم[1].

ولا زال من هم على نفس قصد أبي جهل من العناد وابتغاء الأذية للإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة.

السبب الثالث: تحريف الغالين:

الغلو هو مجاوزة الحد، وهو أنواع، فمنه: غلو في الفعل وغلو في الترك، ومنه: غلو في الأعمال وتارة في الأشخاص، وتارة في الآراء.

فغلو بعض المسلمين في الدين كمثل تنزيلهم أحكام الجهاد على من شاءوا، قاد إلى اتهام الدين بالعنف والدعوة إلى إغلاق باب الجهاد، وغلو بعض المسلمين في تساهلهم بأحكام الدين وانحلال أخلاقهم، قاد إلى ظهور الدين الإسلامي بأنه دين انحلال وتفسخ، وأوجد من أبناء المسلمين من يحارب الدين الذي ينتسب إليه.

ويعالَج الغلو بإعادة الناس إلى جادة الاعتدال، والمنهج الذي كان عليه النبي- ﷺ- في أموره كلها، والسير على منهاج السلف الأول من الأمة، في معالجتهم للأمور، والرجوع إلى أهل العلم المتبصرين فيه، وتنشئة الجيل المسلم على ذلك، كي لا يكونوا صورة مشوهة للإسلام، فيكونوا حربا على دينهم، بدل أن يكونوا دعاة إليه.

(١) انظر القصة كاملة في سيرة ابن هشام ١/٣١٥، والسيرة النبوية لابن كثير ١/٥٠٦.

هذه في نظري هي الأسباب التي قادت إلى اتهام الخطاب الديني ؛ بل الدين كله بما نسب إليه من تهم أو نقص، أرشد إليها هذا الحديث الموجز عن النبي- ﷺ- .

ومعرفة هذه الأسباب يسهل على الراغب في الدفاع عن الدين طريقة الدفاع عنه ؛ لأنه معرفة السبب كاف في معرفة الرد على القول وقائله.

واقع الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية تمثل منبرا من منابر الإسلام في الوقت الحاضر، والعالم كله مرتبط بها؛ لانطلاق الإسلام منها، ولاحتضانها مكة المكرمة والمدينة المنورة، ورعايتها الحرمين الشريفين، ولذلك لم تسلم من النقد لخطابها الديني، بل لعل كثيرا من التهم إنما وجهت لها تحديدا بسبب مكانتها في العالم الإسلامي، وتأثيرها فيه؛ لأن تغيير نمط خطابها الديني سيؤثر على بقية الدول.

وعند رغبة المنصف في النظر في نوعية الخطاب الديني في أي بلد فإن أول ما ينصرف إليه نظره هو دستورها، ونظامها الذي تسير عليه.

ولا يكون الخطاب متحدثا باسم الأمة، إلاَّ إذا كان لسان حال الأمة الإسلامية، مدافعاً عن مصالحها، ملتزماً بقضاياها، مبشراً بفكرها، فليست أفعال الأفراد واجتهاداتهم، ولا أخطاؤهم هي المقياس في تقييم الخطاب الديني في أي بلد.

ويمكن تقسيم الخطاب الديني في أي بلد إلى نوعين:

النوع الأول: خطاب الدولة بمؤسساتها الرسمية.

النوع الثاني: خطاب الأفراد.

أما النوع الأول فلأن المملكة العربية السعودية قد حددت نوع خطابها الصادر عنها عبر النظام الأساسي للحكم، فمن نافلة القول الاكتفاء بما نصت عليه بعض مواده مما له علاقة بالخطاب الديني، وسأستعرض هنا بعض المواد التي تكلمت عن ذلك:

المادة الأولى: المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله- ﷺ- ، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض.

المادة السادسة: يبايع المواطنون الملك على كتاب الله وسنة رسوله، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة.

المادة الثامنة: يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة، وفق الشريعة الإسلامية.

المادة العاشرة: تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية، ورعاية جميع أفرادها، وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم.

المادة الحادية عشرة: يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله، وتعاونهم على البر والتقوى، والتكافل فيما بينهم، وعدم تفرقهم.

المادة الثانية عشرة: تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

المادة الثالثة والعشرون: تحمى الدولة عقيدة الإسلام..، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر.. وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

المـادة الرابعـة والعـشرون: تقـوم الدولـة بإعمـار الحـرمين الـشريفين وخـدمتهما..، وتـوفر الأمـن والرعايـة لقاصـديهما، بـما يمكـن مـن أداء الحـج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

المادة الخامسة والعشرون: تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسـلامية في التـضامن وتوحيـد الكلمـة..، وعلـى تقويـة علاقاتهـا بالـدول الصديقة.

المادة السادسة والعشرون: تحمى الدولة حقوق الإنسان.. وفق الشريعة الإسلامية.

المادة التاسعة والعشرون: ترعى الدولة العلوم والآداب والثقافة..، وتعنى بتشجيع البحـث العلمـي، وتـصون الـتراث الإسـلامي والعربـي، وتـسهم في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

المـادة الخامـسة والأربعـون: مـصدر الإفتـاء في المملكـة العربيـة الـسعودية كتاب الله- تعالى- ..، وسنة رسوله- ﷺ- ..، ويبين النظام ترتيـب هيئـة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

المـادة الثامنـة والأربعـون: تطبق المحـاكم على القـضايا المعروضـة أمامهـا أحكام الشريعة الإسلامية وفقاً لما دل عليه الكتاب والـسنة، ومـا يـصدره ولـي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

المادة الخامسة والخمسون: يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية، طبقاً لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية والأنظمة والسياسة العامة للدولة وحماية البلاد والدفاع عنها.

المادة السابعة والستون: تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح فيما يحقق المصلحة، أو يرفع المفسدة في شئون الدولة، وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية..، وتمارس اختصاصاتها وفقاً لهذا النظام ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى.

فهذه المواد تمثل في حقيقتها تبيانا لنوع الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية، الذي تسير عليه منذ إنشائها على يد الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود- رحمه الله- ، وإلى اليوم.

ولا زالت جميع هيئات الدولة وجهاتها تسير على وفق ذلك، ويحث عليها الملوك والمسؤولون.

لماذا نقد الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية:

ومع كل ذلك الوضوح في نظام المملكة الأساسي، وجميع ما يصدر عنها من توجيهات، إلا أن هناك نقدا بين فترة وأخرى للخطاب الديني فيها، ولا تختلف التهم الموجهة للخطاب الديني فيها عن التهم الموجهة إلى الخطاب الديني بعامة، غير أني أرى أن ثمة أسبابا[1] غير التي سبق ذكرها، أظن أن لها دورا في صدور مثل تلك التهم، تتمثل في التالي:

السبب الأول: الحسد والخوف على المصالح:

من يتأمل كثيرا مما يطلق من تهم تجاه الخطاب الديني في المملكة يجد أن وراءه حسدا من بعض المناوئين لهذه الدولة، سواء كان ذلك بطريقة ظاهرة

---

(١) انظر إسهابا حول هذه الأسباب وغيرها في كتاب إسلامية لا وهابية للدكتور ناصر العقل ١٥٩- ١٦٨.

من بعض الدول والحكومات، أو من أشخاص وهيئات مدعومة من تلك الدول.

وهذا الأمر عايشته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في بداية نشأتها، ولا تزال هذه الدولة تعيشه من بعض الحاسدين على ما من الله به عليها من علو في الدين والدنيا.

ويزيد من ذلك أن بعض الناس يتضررون كثيرا من بقاء الخطاب الديني في المملكة على حاله التي رسمت له في النظام الأساسي للحكم؛ لتعطل كثير من مصالحهم وأغراضهم، التي قد تكون غير متوافقة مع شريعة الإسلام، أو يرغبون من خلالها إلى صرف الناس عن المنهج الحق.

السبب الثاني: اختلاف الأهواء والمناهج:

الناظر بعين الإنصاف في ناقدي الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية يلحظ وجود اختلاف بين المنهج الذي تسير عليه المملكة في نظامها وتشريعها، وبين ما يسير عليه الناقد، سواء في المعتقد أو التصور.

فإذا ظهر ذلك فلا شك أنه سيسعى الناقد إلى نقد الخطاب الديني في المملكة، لا لأنه خطاب ناقص، بل لأجل أن يتوافق مع معتقده أو تصوره، وهنا يكون النقد غير منطقي وغير مقبول.

ولذلك تجد أن كثيرا من المنصفين إذا تبين لهم منهج المملكة العربية السعودية، وما هي عليه في نظامها وتعاملها، ووقف على براهين ذلك رجع عما سبق أن ذكره من نقد، ولعل الشهادات الكثيرة التي حظيت بها المملكة العربية السعودية من عدد من المنصفين من المسلمين ومن غيرهم أكبر شاهد على ذلك.

السبب الثالث: كشف عوار المخالفين:

لعل من أكبر ما يحمد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- أنها كشفت عوار وخلل الدعوات الأخرى، وما هي عليه من خلل في الاعتقاد والتصور.

ولذلك فإن الخطاب الديني في المملكة بما اكتسبه من قدرة على كشف عوار المخالفين من الدعوات المنتسبة إلى الإسلام، جعل بعض المنتسبين لتلك الدعوات يشكك في مصداقية الخطاب الديني في المملكة أو يثير الشبه حوله.

وقد استعرضت بعض ما كتب في بعض وسائل الإعلام حول الخطاب الديني في المملكة، فلحظت أن غالب من تكلموا فيه قد كانت لهم سوابق مع الخطاب الديني في المملكة، فتظهر لغة الانتقام في كلامهم عنه ويجنحون فيه، فيخرج كلامهم عن العدل والإنصاف[1].

النوع الثاني: خطاب أفراد الناس في المملكة العربية السعودية:

أما النوع الثاني من الخطاب وهو خطاب الأفراد، فإنه مع كون الخطاب الديني للمملكة وفق ما ذكرته آنفا، إلا أنه قد يقع تجاوز من أفراد المجتمع في خطابهم، فقد يتجاوز الناس بشتى طبقاتهم في بعض الأمور، بسبب من الأسباب الذي ذكرناها في أسباب اتهام الخطاب الديني بتلك التهم، ثم يستغل ذلك في نسبة هذا الفعل من الأفراد إلى الخطاب العام للدولة أو مؤسساتها.

---

(١) انظر على سبيل المثال: ما نشرته صحيفة إيلاف الالكترونية على موقعها بعنوان: الخطاب الديني السائد في السعودية يهمش الحضاري، ويعتني بالروحي.

فخرج من أبناء البلد من يدعو إلى جهاد غير شرعي، وخرج منهم من خرج على أهل بلده بالقتل والترويع، وخرج منهم- أيضا- من دعا إلى الانحلال في الدين، أو تبنى بعض التهم التي ذكرنا جزءا منها.

وكان من أثر ذلك اتهام المملكة بأنها مصدر للإرهاب، أو اتهام للدين الإسلامي الذي ينتمي إليه من سبق ذكر تجاوزاتهم.

والحق أن نسبة هذه التجاوزات إلى الدين أو إلى البلد الذي ينتسبون إليه خطأ في التصور، وخطأ في الحكم.

وقد ذكرنا فيما سبق أن ثمة فرقا بين أن يكون النقد موجها للخطاب الديني، وبين أن يكون موجها لبعض الأفراد وما يصدر منهم، ولهذا فإنه من الطبعي جدا أن تحدث أخطاء من بعض المنتسبين للدعوة، لأنهم بشر عرضة للخطأ والزلل، لكن الخطأ أن ينسب خطؤهم للخطاب الديني كله.

التعامل مع الخطأ في خطاب الأفراد:

ويمكن القول بأنه إذا وقع أحد من الأفراد في خطأ في خطابه الديني، فإن التعامل معه يكون بأمرين:

الأول: أن يعلم أن ذلك الخطأ ليس منسوبا إلى الدين، بل يبقى خطأ فرديا وقع فيه صاحبه، إما عن عمد أو جهل، أو حتى عن تقليد.

الثاني: أنه لا بد من علاج هذا الخطأ وبيانه للمخطئ، ومنعه من التمادي فيه.

ولعل أفضل ما يمثل به على هذين الأمرين هو ما حصل في عهد النبي- ﷺ- من بعض الصحابة، من بعض التجاوزات التي صححها لهم رسول الله- ﷺ- ، ولم ينسب ذلك إلى النبي- ﷺ- ؛ لأنه فعل أحد أصحابه،

وسأضرب هنا بمثالين من هديه- ﷺ- ، توضح الموقف الذي وقفه- ﷺ- من قصور في تطبيق الخطاب الديني في عهده- عليه الصلاة والسلام- ، مع أن الأمثلة كثيرة.

المثال الأول: قصة أسامة بن زيد- رضي الله عنه- التي رواها البخاري وغيره، أن أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- قال: بعثنا رسول الله- ﷺ- إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبحنا القوم، فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا، بلغ ذلك النبي- ﷺ- ، قال: فقال لي: يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟، قال: قلت يا رسول الله! إنما كان متعوذا، قال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟، قال: فما زال يكررها عليَّ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

فأسامة- رضي الله عنه- تجاوز الهدي الشرعي في عمله، ولم يرتض ذلك النبي- ﷺ- ، بل تبرأ من عمله وعنفه، فلا يمكن أن ينسب ذلك العمل الذي قام به أسامة إلى الإسلام بعامة، بل هو خطأ وقع فيه أحد المسلمين، بين له خطؤه فتبينه.

وكذلك الحال بالنسبة لمن يقع اليوم من أفراد المسلمين في مخالفات شرعية، لا يجوز بحال نسبة ذلك الفعل إلى الخطاب الديني في المملكة أو في غيرها من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٣٦٤) ومسلم (١٤١).

البلدان، فمهما وقع فيه أفراد من المسلمين من مخالفة للطريق السوي فلا يجوز بحال أن ينسب ذلك إلى الخطاب الديني.

المثال الثاني: قصة قائد السرية التي أمر أتباعه بالدخول في النار، فقد روى البخاري ومسلم عن علي- رضي الله عنه- قال: بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- سرية، فاستعمل رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي- صلى الله عليه وسلم- أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبا؟، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمُّوا، وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون: فررنا إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف)[1].

فهذا القائد الذي بعثه النبي- صلى الله عليه وسلم- وقع في فهمين: الأول: فهمه الأمر بالطاعة للحاكم، وأنها مطلقة في الخير والشر، والثاني: أمره لهم أن يلقوا بأنفسهم في النار، ولا يعذب بالنار إلا رب النار، فهو - رضي الله عنه - طبق الأمر النبوي حسب فهمه، وأراد أن يقذف كل من معه في النار، ولا يمكن بحال وصف الخطاب الديني بأنه كذلك، بل هذا اجتهاد أو فتوى حسب فهم هذا الصحابي، بين النبي- صلى الله عليه وسلم- خطأها.

فكذلك الحال حين يصدر من بعض المنتسبين إلى الإسلام والعلم الشرعي فهم مخالف للفهم الصحيح، فلا ينبغي أن ينقل ذلك إلى الخطاب الديني، بل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٩٩٥) ومسلم (٣٤٢٥)

يبقى اجتهادا مخالفا للصواب، بل قد يكون خطأ صريحا وقع من أحد الأفراد، والخطاب الديني بريء منه، والأمثلة من الواقع على مثل ذلك كثيرة.

وبهذا القدر أكون قد أنهيت ما وعدت بالكتابة عنه حول الخطاب الديني المعاصر، وأسأل الله- تعالى- أن أكون وفقت فيه للصواب، والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

١. الآداب الشرعية لابن مفلح مؤسسة الرسالة
٢. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية د.عبدالرحيم المغذوي دار الحضارة
٣. إسلامية لا وهابية د.ناصر العقل كنوز أشبيليا
٤. الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر
٥. تاج العروس للزبيدي دار صادر
٦. تجديد الخطاب الإسلامي د.عبد الكريم بكار دار المسلم
٧. التجديد في الفكر الإسلامي د.عدنان بن محمد أمامة دار ابن الجوزي
٨. التمهيد لابن عبد البر، وزارة الأوقاف المغربية
٩. توالي التأسيس في ترجمة محمد بن إدريس لابن حجر العسقلاني
١٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير المكتب الإسلامي
١١. حلية الأولياء لأبي نعيم دار الكتب العربية
١٢. الخطاب الإسلامي بين التجديد والمعاصرة د.عبد العزيز التويجري منظمة اليونسكو
١٣. الدروس العلمية العامة في العلم والدعوة والتربية / صالح آل الشيخ مكتبة الطبري
١٤. الدولة والدعوة د. عبد الله التركي بحوث مؤتمر المئوية
١٥. ذم الكلام للهروي المكتب الإسلامي
١٦. السلسلة الصحيحة للألباني مكتبة المعارف
١٧. السلفية بين أهل السنة والإمامية / محمد الكثيري، الغدير بلبنان
١٨. السلفية وقضايا العصر د.عبد الرحمن الزنيدي دار أشبيليا
١٩. سنن أبي داود دار ابن حزم
٢٠. السنن الكبرى للبيهقي المكتب الإسلامي
٢١. السنن والآثار للبيهقي دار الكتب العلمية
٢٢. سيرة ابن هشام مطبعة البابي الحلبي
٢٣. السيرة النبوية لابن كثير ضمن البداية والنهاية دار هجر

٢٤. الصحاح في اللغة للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار
٢٥. صحيح الإمام مسلم، مطبعة البابي الحلبي
٢٦. صحيح البخاري المطبعة السلفية
٢٧. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي دار هجر
٢٨. العواصم من القواصم لابن الوزير مؤسسة الرسالة
٢٩. عون المعبود للعظيم أبادي دار الكتب العلمية
٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية
٣١. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي دار الكتب العلمية
٣٢. القاموس المحيط للفيروزبادي مطبعة البابي الحلبي
٣٣. لسان العرب لابن منظور دار صادر
٣٤. مجلة التاريخ العربي إصدار جمعية المؤرخين المغاربة
٣٥. المخصص لابن سيده دار صادر
٣٦. المدخل إلى علم الدعوة محمد البيانوني مؤسسة الرسالة
٣٧. المستدرك للحاكم دار الكتب العلمية
٣٨. المسند للإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي
٣٩. مشكاة المصابيح بتعليق الألباني، المكتب الإسلامي
٤٠. مظاهر التجديد في الخطاب الديني المعاصر د.محمد الفران، وزارة الأوقاف المغربية
٤١. معجم المناهي اللفظية بكر بن عبد الله أبو زيد دار ابن الجوزي
٤٢. مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية دار ابن عفان
٤٣. المملكة العربية السعودية والدعوة الإسلامية رؤية مستقبلية / صالح الحصين بحوث مؤتمر المئوية
٤٤. المناهي اللفظية محمد بن عثيمين ضمن مجموع فتاواه



أوراق عمل

المحور الرابع



المنهج السلفي
وصلته بالخطاب الديني المعاصر

إعداد

بدر الحسن القاسمي

نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند

وعضو المجلس التنفيذي للملتقى العالمي للعلماء

والمفكرين المسلمين برابطة العالم الإسلامي

المنهج السلفي وصلته بالخطاب الديني المعاصر

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد ومن والاه، وبعد:

فإن مصطلح "الخطاب الديني" قد ظهر في بيئة غير إسلامية على لسان أحد الفلاسفة الفرنسيين، وازداد الضغط على المسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ لتغيير المناهج الدراسية، وتطوير الخطاب الديني، وكما يقال: لا مشاحة في الاصطلاح، فإن للمسلمين فهمهم الخاص للخطاب الديني المعاصر، فالعقائد والأحكام الشرعية الثابتة لا أحد يملك استبدالها أو تغييرها؛ لأنها تشريع إلهي، وتنزيل من حكيم حميد، فهي ليست في حاجة إلى تطويرها، وإن تطوير الخطاب الديني المعاصر مفهومه الصحيح عند المسلمين: تطوير طريقة عرض الإسلام عقيدة وشريعة أمام العالم، وأن أسلوب العرض يتجدد ويتحدد بالمخاطبين، فلا مانع من تطوير لغة الخطاب، وجعلها أكثر تشويقا، وأكثر تأثيرا وإشراقا.

وجزى الله القائمين على هذه الندوة المباركة خيرا، وعلى رأسهم معالي الأستاذ الدكتور/ سليمان أبا الخيل مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اختيار (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) عنوانا لهذه الندوة، واختيار الخطاب الديني المعاصر محورا من محاوره.

أسأل الله العلي القدير أن تتكلل هذه الندوة بالنجاح، وتحقق أهدافها في تجلية الحقائق، ووضع ضوابط المنهج أمام العالم في وقت تشهد فيه المملكة نهضة شاملة وتطورا وانفتاحا تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- ، ويشهد العالم تطورات خطيرة وسريعة في كافة المجالات، وعلى كافة

المستويات وإن ثورة المعلومات ووفرة وسائل الاتصالات جعل العالم كله كقرية صغيرة في تبادل المعلومات وتناقل الأفكار والأيديولوجيات.

لقد وقف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحاربة البدع، ومكافحة أنواع الشرك المستشري في بعض المجتمعات، وإن تلاميذه وأتباعه اهتموا أكثر ما اهتموا بتوضيح العقيدة وترسيخ مفهوم توحيد الإلوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنهم لاحظوا الخلل في هذا الجانب، وشعروا بأن الناس في حاجة إليه.

كما أنه ركز على العودة إلى الكتاب والسنة، مع عدم قطع الانتماء إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل في معظم الأحكام الفقهية، وكان هذا الجزء من الدعوة يهدف إلى القضاء على العصبية لدى بعض أتباع المذاهب الفقهية من المتأخرين، لا بهدف القضاء على ما تركه الأئمة من ثروة فقهيه هائلة وإيجاد مذهب فقهي جديد.

ولكن لا يعني ذلك أن "المنهج السلفي" يقتصر على هذين الجانبين فقط، ولا اهتمام له بالواقع المعاصر، أو القضايا الأخرى في السياسة والاجتماع والاقتصاد، بل إن "المنهج السلفي" له اهتمام بكل هذه الجوانب، وإن التعاون القائم بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأسرة الكريمة الحاكمة في المملكة العربية السعودية منذ نشأة المملكة قد حدد مسار "المنهج السلفي"، حيث إن الدعوة لم تبق معزولة عن القضايا العالمية الكبرى، وكان من طبيعة الحال أن يتوسع الفكر، وألا يبقى عمل الدعوة محصورا على مجتمع نشأت فيه الدعوة، وإن الأسرة الحاكمة قد التزمت بأنها تحكم بما أنزل الله، وأن تكون الشريعة الإسلامية هي دستورها القائم، ومن المعلوم أن الحكومات لا يمكن

أن تعيش بعيدة عما يجري في العالم من تطورات وأحداث، وما يوجد فيه من أفكار وأيديولوجيات، وما يواجهه الناس من تحديات وأزمات، فكانت القضايا العالمية موضع اهتمام المسئولين منذ أول يوم.

وقد شاء الله - سبحانه - أن تكون المرجعية لبلاد الحرمين الشريفين، وأن تقوم بين المملكة وبين كافة دول العالم علاقة التفاهم والتعايش، وقد نمت المملكة وازدهرت، وشهدت تطورا اقتصاديا وعمرانيا شاملا، وإن الحضارات دائما تأتي بمسائل لم تكن معهودة من قبل.

فالمنهج السلفي المتبع في المملكة العربية ظل مواكبا للتطور، واستيعاب كافة قضايا العصر، كما أن هذا المنهج قابل لأن يستوعب ما سيحصل مستقبلا؛ لأن كليات المنهج مستمدة من الكتاب والسنة، ولهما البقاء إلى يوم القيامة، وإن ربط القضايا المستجدة بالنصوص واستنباط أحكامها منها هي مسئولية فقهاء كل عصر.

فالمنهج السلفي يبقى مواكبا للتطورات الفكرية والحضارية في كافة العصور في ظل الشريعة الإسلامية والفهم السليم لنصوص الكتاب والسنة.

كما أن المملكة لما كانت بمنزلة الراعي للمسلمين جميعا، باعتبارها بلاد الحرمين الشريفين، فهي تقف على مسافة واحدة مع كافة المسلمين: عربهم وعجمهم، على اختلاف وجهات نظرهم، وانتماءاتهم المذهبية، ولا شأن لها بأنهم شوافع أو أحناف أو مالكية أو حنابلة، أو أنهم ينتمون إلى حزب ديني أو سياسي معين أو آخر، كما أنه لا شأن لها بترك إحدى المجموعات تقليد الأئمة الأربعة وأخراها بالانتماء إليهم واتباعهم في المسائل الفقهية والقضايا الجزئية في العبادات أو المعاملات، وإنما دورها هو النصح من أجل

توحيد الصف، حتى لا تذهب ريحهم، ولا يستهدفهم أعداء الإسلام، وألا تقضي عليهم التيارات الفكرية العاصفة.

هذه كانت وجهة نظر مؤسس المملكة وظلت هذه السياسة لمن ورثه من أبنائه الملوك في التعامل مع المسلمين عموما على حد سواء، من غير ترجيح كفة مجموعة على أخرى، أو انحياز إلى فئة دون غيرها، وما زال هذا المنهج قائما يتجلى في جهود خادم الحرمين الشريفين من الوساطة بين الفئات والأحزاب المتحاربة، والدول المسلمة المتخالفة، فكم مرة دعا الفرقاء المتخاصمين إلى مائدته؛ لتوحيد الصف، وتقريب وجهات النظر، سواء كان الأمر يتعلق بفلسطين أو أفغانستان أو سوريا أو لبنان.

إن الخطاب الديني المعاصر وفق المنهج السلفي جزء من المشروع الحضاري للمملكة العربية السعودية تحت قيادة خادم الحرمين الوريث لكياسة وسياسة موحد الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود.

ويتكون هذه الخطاب من العناصر التالية:

- الالتزام الكامل بالكتاب والسنة وتطبيق تعاليم الدين الحنيف عقيدة وشريعة.
- التأكيد على توحيد صف المسلمين وإيجاد روح الإخاء والتعاون بينهم على اختلافهم في الانتماء المذهبي واختيار المنهج الفقهي.
- نشر العلم وتوفير كافة وسائل المعرفة، وجعل المملكة ساحة للتطور التقني، وواحة للأنشطة العلمية والتقنية المتنوعة، وجعل التعليم في متناول كافة أبناء المملكة.

- الانفتاح على العالم كله، وفتح باب الحوار مع كافة أهل الديانات والملل؛ لإيجاد مناخ التعايش السلمي بين كافة الأمم والشعوب، ونزع فتيل الاشتباكات والحروب.
- الحرص على التنمية الشاملة للمجتمع في ضوء الخطة الإستراتيجية، وتوفير فرص العمل لكافة فئات المجتمع من خلال منهجية مدروسة في تنمية الموارد البشرية، وتنفيذ برامج التطوير والتدريب.

إن تاريخ الملل والديانات مليء بمثيري الشغب الذين كانوا يكفرون، ويضللون، ويكيلون التهم إلى الناس جزافا.

ومع الأسف الشديد ما زالت في الأمة مجموعات شاذة من هذا النوع، توجه سهام التكفير والتضليل عشوائيا، من غير أن تتأكد من صحة ما تنسبه جماعة إلى غيرها؛ لأسباب ودوافع مادية بحتة، فتورط بعض المشهورين من العلماء من غير أن يعرفوا حقيقة الأمر، وذلك بنقل غير أمين، وترجمة غير دقيقة لمن تريد تشويه سمعته من أفراد أو جماعات، والله المستعان.

ولقد أحسنت جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية صنعا بجمع ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات، وتحقيق نسبتها إليه وتوثيقها، ثم نشرها في طبعه خاصة باسم الجامعة، وذلك بهدف تجلية حقيقة دعوة الشيخ، وتيسير الإطلاع عليها ومراجعتها؛ لإتاحة الفرصة للدارسين المنصفين، والباحثين عن الحقيقة في ذاتها أن يصلوا إليها بأوثق طريق، بعيدا عن كل تزييف أو تشويه أو ادعاء باطل يحاول صاحبه أن يلبسه ثوب الحق، فأصبحت تلك المجموعة في متناول الجميع في طبعة فاخرة، وحلة قشيبة بفضل من الله وتوفيقه.

القسم الخامس من هذه المجموعة يشتمل على الرسائل الشخصية للشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب، وهذه الرسائل تكفي لمعرفة مدى تأثير الدعايات المكثفة التي كانت ضد الشيخ ودعوته، وتقدير أنه كم كانت صورته مشوهة داخل ربوع الجزيرة العربية، فضلا عن البلاد الأخرى كالهند و غيرها، وقد حاول الشيخ من خلال تلك الرسائل إيضاح واقع الأمر، وبيان صحة وسلامة موقفه في كثير من القضايا الحساسة، والدفاع عن التهم التي كانت توجه إليه من أوساط مختلفة، بسبب قلة إطلاع الناس على طبيعة مهمته الإصلاحية.

هذه الرسائل- على عكس ما يحاول بعض الناس من إعطاء صورة الشيخ بأنه كان على حرب دائمة وعداوة مع أتباع المذاهب الأربعة- تعطي الشيخ صورة عالم يقدر ما للأئمة الأربعة من مكانة، وما لهم من دور في الاجتهاد والاستنباط، فيقول في الرسالة الموجهة إلى السويدي العالم العراقي: "وأخبرك أني—ولله الحمد—متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"[1].

ويقول في الرسالة الخامسة الموجهة إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام: "فنحن- ولله الحمد- متبعون غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أني أدعي الاجتهاد، ولا أتبع الأئمة".

---

١) الرسائل الشخصية / ٣٦ .

ويقول موضحا خلاصة دعوته: "وأنا - أشهد الله وملائكته وأشهدكم - على دين الله ورسوله، أني متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل"(١).

ويقول في الرسالة السابعة الموجهة إلى عبد الله بن سحيم: "المسائل التي شنع بها، منها ما هو البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطل كذب المذاهب وقوله: إني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وقوله: إني أدعي الاجتهاد، وقوله عن التقليد، وقوله: إني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وقوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وقوله: إني أكفر البوصيري؛ لقوله: يا أكرم الخلق....، وقوله: إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول - ﷺ - لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبي - ﷺ -، وقوله: إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، و إني أكفر من يحلف بغير الله؛ لهذه اثنتا عشرة مسألة"، جوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم"(٢).

لم يترك هذا الكلام الواضح المبين مجالا لأي مجادل أن يتهم الشيخ بشق عصا الوحدة، أو ينسب إليه أنه كان على تطرف أو غلو في تضليل المسلمين وتكفيرهم وتفسيقهم، ويثبت بوضوح وجلاء أن "المنهج السلفي" الذي اختاره لم يحد فيه عما كان عليه السلف الأقدمون ومن تبعهم بإحسان.

---

١) الرسائل الشخصية / ٤١ – ٤٢ .

٢) الرسائل الشخصية / ٦٤ .

إن روح الخطاب الديني "للمنهج السلفي" لا تختلف باختلاف العصور والأزمان، ولا اختلاف الأمكنة والأمصار؛ لأن أسس الدين من الحقائق الثابتة وجوهر نصوص الشريعة من الأمور الدائمة التي لا تقبل أي تعديل أو تغيير، إنما يكون التغيير في الصياغة و التعبير.

وإن "المنهج السلفي" ليس كل ما تدعيه فرق وجماعات هنا وهناك في مختلف أنحاء العالم بأنها سلفية علمية أو تراثية أو جهادية لأهداف و غايات مختلفة، بل إن "المنهج السلفي" هو القائم على الفهم الصحيح للتنزيل، والتطبيق الوسطي للأحكام الشرعية، والالتزام الكامل بالسنة الصحيحة الثابتة.

نعم هناك حاجة لتحديد مفهوم "السلفية"، وتحديد المراد من "السلف"، حتى لا يبقى المصطلح فضفاضا، يحتمي به كل من هب ودب، ويدخل فيه كل من يزعم أنه سلفي، مع كون البون شاسعا بينه وبين المنهج السلفي الحقيقي، وبتحديد مفهوم "السلفية" وبيان ما هو المراد من "السلف" تتحدد المعالم، وتتعين الحدود والضوابط، فلا تبقى ثغرة يدخل منها من يزعم أنه من " لسلفية الجهادية"، أو السلفية الجارحة التي تفرق وتخاصم، وتجعل بينها وبين جماهير الأمة وعلمائها حواجز مصطنعة، ولا التي تكفر جزافا، وتضلل وتبدع من خالفها، أو انتقد جمودها على ظواهر بعض النصوص.

يقول الإمام الخطابي- رحمه الله- عن السلف: "وكان أرفعهم في العلم درجة، وأعلاهم قدرا ورتبة: أئمة القرون الثلاثة الذين نالتهم الخيرية، ولحقتهم الدعوة في قوله- ﷺ- : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، ومع الصدر الأول والنمط الأفضل ورثة علم السنة،

والحافظون لها على من بعدهم من الأمة، ثم لم يزل أول منهم يلحقه إلى آخره، يتلقاه خالف عن ألسنة سالف؛ ليكون دين الله بعلم محروسا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1].

إن السلفية الحقيقية التي تدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة، والابتعاد عن البدع والأضاليل، نابعة عن الغيرة على عقيدة التوحيد التي هي أصل الدين و أساسه، وينبغي أن تكون منهج كل مسلم عاقل، إنما الإشكالية في كثرة المندسين إلى السلفية من أهل الأهواء الذين جعلوا السلفية شعارا لهم لتنفيذ مخططاتهم، وانضموا تحت ستارها لتحقيق أطماعهم وربما كانت الأغراض المادية والدوافع المالية هي وراء إعلان بعض الجماعات أنها ذات ميول سلفية، ولا يستبعد أن تكون جهات مشبوهة سرية تريد تشويه سمعة السلفية الحقيقية؛ لتفقد أثرها، وتصبح نكرة في المجتمع بين عامة الناس.

فهناك مجموعات قتالية تدعي أنها حركة السلفية الجهادية، ولا يدري من أين تتلقى تلك الحركات دعما ماديا ومعنويا لإحداث مشاكل وقلاقل في عدد من دول العالم، وتحصد أرواح الأبرياء من غير ذنب اقترفوه.

فمن يقتل نفسا بغير نفس، ويفسد في الأرض، ويستهدف الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال بالتفجير والتدمير لا يمكن أن يكون سلفيا حقيقيا.

كما أن هناك مجموعات ليس لها علاقة مباشرة مع حركة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب جعلت السلفية شعاراً لها للطعن في المذاهب الفقهية المعتمدة، والإساءة إلى الأئمة الأعلام الذين حث شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه

---

١ غريب الحديث: ١/٤٦.

الله- على رفع الملام عنهم، وتقدير ما تركوه من ثروة فقهية هائلة، مع أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو رائد السلفية الحقيقية، ويجب أن يكون هو القدوة في هذا الموضوع.

إن السلف الصالح لم يتخذ الطعن والتجريح منهجا، ولا التكفير والتضليل ديدنا لهم، بل كان الإنصاف والاعتدال هو منهجهم في تناول الأمور، وتقدير الأشياء، وتقييم الرجال.

هناك انتقادات كثيرة وجهت إلى التيار السلفي، وأورد هنا ما كتبه بعض المعاصرين وهما الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "الانتساب إلى السلف شرف غالي الثمن؛ لأنه انتساب إلى خير القرون في تاريخنا، ورفض للشهوات والخرافات التي حفت بديننا في عصور الضعف والهزيمة، بيد أن التفكير السلفي المعاصر أعجز من أن يحقق أهدافه المنشودة.

لقد اتسع نطاق البحث في علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والقانون والأخلاق والسياسة، وفي هذه الدراسات الإنسانية جوانب كشافة لأغوار النفس، وطبائع الجماعات البشرية، لا معنى لتجاهلها، وفيها جوانب تتفق مع وجهات النظر الإسلامية، ليست مما يرتضيه السلفيون اليوم، وهذه لا معنى للضراوة في محاربتها، وفيها جوانب محايدة لا ضد الدين ولا معه، فما قيمة مخاصمتها؟".

ويقول في مكان آخر في كتابه: "نصل إلى الحركة السلفية التي قادها في القرن الماضي محمد بن عبد الوهاب، إن كل غيرة على التوحيد مشكورة، وكل جهد لتنقية العقائد من الشوائب والأقذار مقدورة، ونحن نأبى الإغضاء

عن مسلك أقوام يرهبون الأموات غير الأحياء أكثر مما يرغبون الله، ويطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله- سبحانه- .

ومن أبرز تعاليم السلفية-بعد صون العقائد من الدخل-رفض التقليد المذهبي، والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة، وهذا حسن، بيد أن تطبيقه يحتاج إلى تأمل، فإن السلفيين لم يتركوا تقليد أحمد بن حنبل، وإيثار مدرسته، ومن حق غيرهم أن يفعل ذلك مع سائر الأئمة الباقين.

ثم إن الاجتهاد الفقهي ليس كلأ مباحا، فقد دخل في هذا الميدان من لا يؤمن على قراءة ورقة، وصدرت عنه فتاوى وأحكام تؤذي الإسلام، وتنفر الخاصة والعامة منه.

إذاً ليست الإشكالية لدى الناقد في أصل المنهج، إنما الاعتراض على سوء التطبيق من قبل بعض من ينتمي إلى المنهج السلفي، ثم إن واقع الجامعات السعودية وما تحتوي عليه من أقسام وكليات علمية وتقنية خير دليل على أن المنهج السلفي السليم لا يمانع الانفتاح على الحضارات، والاستفادة مما لديها من علوم وحكم.

ويمكن أن يقال على وجه البصيرة بأن هيئة كبار العلماء في المملكة لم تتردد يوما في الاستفادة من كافة المصادر الفقهية على اختلاف مذاهبها، كذلك كليات الشريعة في جامعات المملكة لا تقتصر في مناهجها على تدريس مذهب واحد، بل إن الفقه المقارن جزء من موادها المعتمدة، كما أن رابطة العالم الإسلامي قد عقدت مؤتمرا عالميا لوضع ضوابط الإفتاء، وإن خادم الحرمين الشريفين أصدر مرسوما ملكيا حول حصر الفتاوى في ذوي الكفاءات وتحت إشراف سماحة المفتي العام.

فالمنهج السلفي الذي كان عليه سلف الأمة من الصحابة- رضي الله عنهم- والتابعين وأتباعهم، وهم خير القرون، لا شك أنه منهج شرعي، كما أنه مطلب وطني أيضا.

هو منهج شرعي لأنه منهج خير القرون، وهو مبني على فهم نصوص الكتاب والسنة فهما صحيحا غير مشوب بتأثيرات خارجية وأفكار غير مستوردة من اليونان والرومان.

وهو مطلب وطني لأنه عليه قامت المملكة العربية السعودية، وفيه سر بقائها وازدهارها، وإليه دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- .

لذا ينبغي أن يستمر هذا المنهج، وأن يبقى سائدا مع التغيير في اللغة وأسلوب الطرح أمام العالم، وفق معطيات العصر؛ لأن كل عصر له قضاياه ومعطياته، وكل جيل له بيئته وثقافته.

وأما الدكتور يوسف القرضاوي فيقول: "وإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد وقف ضد الشركيات والمبتدعات في مجال العقيدة والعبادة، فإنه لم يظهر له جانب تجديدي في مجال الفقه وشئون الحياة، ولعل ذلك لأنه ظهر في بيئة بدوية، لم تدخل عليها الحضارة بتياراتها ومشكلاتها بعد، فلم تكن في حاجة ظاهرة أو ماسة إلى إعمال العقل للاجتهاد والتجديد، وغلب على جماعته اتباع النصوص والوقوف عندها.

بل ربما أورثت هذه النشأة الحديثة للسلفية الجديدة نزعتها للحرفية في فهم النصوص الشرعية وإهمال النظر إلى المقاصد والمعاني والعلل التي تبنى عليها الأحكام، على خلاف ما كان عليه إماما المدرسة من قبل: ابن تيمية وابن القيم".

ويقول: "والمطلوب من الجماعات السلفية على اختلافها: أن تتحرر من الجمود على موروثاتها، والنظر إلى تفاصيلها نظرة ناقدة ومتطورة.

وذلك بأن تتحرر من الانشغال بالفروع والجزئيات على حساب الأصول والكليات، ومن النظر إلى المختلف فيه على حساب المتفق عليه... إلخ".

وأقول: إن هذه الملحوظات كلها يردها ويجيب عنها واقع المملكة ووضعها العلمي والاجتماعي والثقافي ووجهها الحضاري المشرق، حيث إن المنهج السلفي لم يكن عائقا في طريق ازدهارها وتطورها وتخريج جامعاتها فقهاء يجمعون بين الأصالة والمعاصرة.

ويقول الدكتور القرضاوي: "وقد ظلمت السلفية من أنصارها ومن خصومها على السواء، أما من أنصارها—أو من يعده الناس أو يعدون أنفسهم أنصارها أو كثر منهم—فقد حصروها أو كادوا في شكليات وجدليات حول مسائل علم الكلام أو مسائل في علم الفقه أو أخرى في التصوف وعاشوا نهارهم، وباتوا ليلهم ينصبون المجانيق ويقذفون بالمقاليع لمن يخالفهم في أي مسألة من هذه المسائل أو جزئية من هذه الجزئيات، حتى ظن بعض الناس أن منهج السلف هو منهج المراء والجدل، لا منهج البناء والعمل، وإن السلفية تعني الاهتمام بالجزئيات على حساب الكليات، وبالمختلف فيه على المتفق عليه، وبالشكل والصورة على حساب الجوهر والروح"[1].

---

١) أولويات العمل الإسلامي / ١٠٤ .

لكن هذه الانتقادات وغيرها موجهة إلى تصرفات بعض من يدعي الانتماء إلى السلفية، وليس إلى المنهج السلفي نفسه؛ لأن المنهج السلفي منهج شرعي لا يختلف فيه اثنان.

و هاهي أبرز سمات المنهج السلفي في خطابه الديني المعاصر:

- دعوة الناس إلى دين الله الخالص، والتركيز على الكليات الأساسية، ورفض كافة أنواع البدع والأضاليل.
  - الإيمان بالله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
  - الإيمان بالرسالة الخاتمة وكافة الرسالات التي سبقتها.
  - والإيمان باليوم الآخر، وما يتبع ذلك من حشر ونشر وجنة ونار.
  - والالتزام بالإيمان المجمل والمفصل المشروح في حديث جبريل - عليه السلام - وغيره.
- جعل الشريعة أساسا للحكم، فتطبيق أحكام الشريعة أمر لازم، وجزء أساسي للمنهج السلفي.
- دعوة المسلمين إلى توحيد الصف، وترك الاختلاف والتشتت، والتعاون على البر والتقوى.
- نشر علوم الكتاب والسنة بين الناس، والتأكيد على منهج سلف الأمة في فهم النصوص والتوفيق بين الأدلة المتعارضة.
- احترام أئمة الإسلام الأعلام، وعدم الإساءة إلى أحد من أئمة الفقه أو الحديث، واعتبار الاختلاف في الفهم والتوفيق بين النصوص أمرا طبيعيا لا يفسد للود قضية.

- فتح باب الحوار مع كافة الأمم والشعوب، ومع جميع أهل الديانات والملل، بهدف تعريفهم بتعاليم الإسلام، وإيجاد مناخ آمن للتعايش، بدل اللجوء إلى الحروب والمنازعات.
- التعامل مع غير المسلمين على أسس شرعية واضحة في التعامل مع أهل الكتاب وغيرهم من أهل الذمة في حفظ الأموال والأعراض والأرواح، شريطة التزامهم بالعهد وعدم خروجهم على النظام القائم.
- عدم إخضاع الناس للفهم الضيق للدين، وعدم إشغالهم بالقضايا الخلافية الجزئية في مسائل الفقه أو العقيدة، والاكتفاء بالإيضاح لما هو الراجح و الصواب.
- فتح باب الاجتهاد لأهله وإغلاقه على غير أهله في حل القضايا المستجدة وفق الأصول المعروفة والضوابط المحددة لدى أهل العلم، واللجوء إلى الاجتهاد الجماعي في القضايا المستجدة والشائكة.
- ضرورة التأهيل الشرعي للراغبين في القضايا والإفتاء وضبط وحصر الفتاوى على أهل الكفاءة.

لقد كان خادم الحرمين الشريفين قائدا عظيما ورائدا حقيقيا—و الرائد لا يكذب أهله—في التعبير عن المنهج السلفي المواكب للعصر من خلال مبادراته الموفقة.

فمشروع الحوار الوطني يساهم في تحقيق الوحدة الوطنية، ويقوى الانسجام الاجتماعي، ويعطي الفرصة لكل مواطن في بناء الأمة، والنهوض

بالرسالة، وتنمية البلد بروح الإخاء والشراكة، ولو على اختلاف في الفكر، أو تباعد في الفقه.

أما مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار مع كافة أهل الملل والديانات فقد كان له صدى واسع على مستوى العالم؛ لأنها مبادرة لها تأثير مباشر في تغيير سلوك الناس، وإيجاد مناخ آمن للتعايش بين الشعوب والأمم.

إن إنقاذ الأمة من مسلسل الفتن والكوارث لا يمكن إلا بالقضاء على ظاهرة الاشتباكات والحروب، والتعامل مع كافة الشعوب بروح التعاون على البر والتقوى، ومكافحة الإثم والعدوان.

إن مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وجدت أذانا صاغية في أوروبا وفي أمريكا وفي كافة أنحاء المعمورة، حتى أصبحت ثقافة الحوار بديلة عن ثقافة إنكار الأخر والهجوم والتخاصم.

لقد قام المسلمون في الماضي ببناء الحضارة الإسلامية، وهي كانت حضارة إنسانية في واقع الأمر؛ لأن الإسلام دين الإنسانية جمعاء.

فقد برز بين المسلمين علماء الطب ورواد علوم الفلك والكيمياء والعلوم التجريبية الأخرى، ونبغ الكثير من العلماء في شتى المجالات، وهم كانوا طليعة الاكتشافات العلمية الحديثة بعد الانقلاب الذي حدث في أذهان الناس منذ نزول القرآن الكريم ومجيء النبي - ﷺ - فاتحا لأبواب العلم والمعرفة، ومنقذا للإنسانية من الأوهام حول الشمس والقمر والنجوم والمجرات السماوية، ومرشدا وموجها إلى أن السماوات والأرض والنجوم كلها مسخرة لخدمة الإنسان وهي مجرد آيات لله - سبحانه - ، وخاضعة لأوامره، لا تملك ضرا ولا نفعا.

إن الحضارة التي أقامها المسلمون في الأندلس ، وقبلها في مكة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة وبغداد يعرفها أهل الغرب جيدا ، ولم تقم الحضارة الغربية المعاصرة إلا على أساس حضارة المسلمين في الأندلس ، وما كانت أوروبا إلا عالة على موائد المسلمين العلمية في الجامعات العربية الإسلامية الرائدة في قرطبة وغرناطة وطليطلة وغيرها.

فكل من كتاب "حضارة العرب" للمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون ، وكتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرقة الألمانية زغريد هونكه ، يلقيان الضوء على ما لعلماء العرب من فضل فيما حققه الغرب من تطور في ميادين العلم وفي بناء الحضارة ، وتشييد العمران واختراع الأجهزة و الآلات.

وإن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حينما أقدم على إنشاء جامعة الملك عبد الله العالمية ، لم يرد إلا استعادة مجد المسلمين الغابر ، وإحياء الدور الريادي للمسلمين في مجال العلم والمعرفة كما كان في زمن السلف وفي عصر ازدهار العلم والثقافة في فجر الإسلام وضحاه.

وإن هذه الخطوة ليست إلا محاولة لاستعادة مجد المسلمين الغابر في مجال البحث العلمي والاكتشافات العلمية والتقنية الحديثة ، ولتحقيق ما كان عليه السلف الأقدمون من الانفتاح على الثقافات الأخرى ، مع المحافظة على العقيدة الصحيحة ، ورفض المعتقدات الدخيلة التي نتجت عن ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية من غير اختيار وانتقاء ، وتسببت في انتعاش الدعوات المنحرفة ، مثل الجهمية والقدرية والمعتزلة وغيرها ، وأدخلت مجموعة كبيرة من المسلمين في دوامة المراء والجدل وبأسلوب سفسطي عقيم.

إن الـدعوة إلى تغـيير الخطـاب الـديني بمعنـى إحـداث تغـيير في تعـاليم الإسـلام ؛ لتكـون مقبولـة لـدى الغـرب ، دعـوة مرفوضـة ؛ لأن تعـاليم الـدين الحنيف سـواء كانـت تتعلـق بالعقيـدة أو العبـادة أو الأخـلاق والمعـاملات هـي منصوص عليها في الكتاب والسنة ، ولا أحد يملك سلطة التغيير فيها أو تبـديل مفاهيمها ، فهي غير قابلة للتغيير أو التبديل (لا يأتيه الباطل مـن بـين يديـه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[1] ، نعم ! هناك مجال للتغيير والتطوير بشكل دائـم ومتواصـل ، ألا وهـو مجـال عـرض تعـاليم الـدين الإسـلامي الحنيـف بأسلوب مؤثر وشيق ، وبلغة العصر وبالأدلة المفهومة لدى المخاطبين ، وبكافة الوسائل المتاحة في كل عصر ومصر.

يقـول الله- تعالى- : (ادع إلى سـبيل ربـك بالحكمـة والموعظـة الحـسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[2].

وهـذه الآيـة ترسـم الإطـار العـام للخطـاب الـديني المعاصـر بأنـه ينبغـي أن يكون مواكبا للعصر ، وأن يتم إعداده بأسلوب حكيم ، وبلغة مؤثرة ، ويكون فيه إيضاح للشبهات التي يثيرها أهل الأهواء ، وأن تكـون لغـة العـرض جاذبـة لا طاردة ، وجالبة لا منفرة ، قائمة على الأدلـة المقنعـة ، ومـصحوبة بـالرفق و اللين.

يقول المصطفى- صلى الله عليه وسلم- : "إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثـوا معسرين" ، ويقول : "بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا" ، و يقول علي- رضي الله عنه- :

---

١) فصلت : ٤٢ .

٢) النحل : ١٢٥ .

"حدثوا الناس بما يعرفون، و دعوا ما لا يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله".

فلا مجال للمساس بثوابت الدين، ولا حظر على استخدام الأساليب الجديدة، والوسائل المستحدثة في عرض تعاليم الدين الإسلامي الحنيف أمام الإنسانية جمعاء لتفهمها، وتهتدي إليها، فإننا مطالبون دوما بمسايرة العصر في اتخاذ الأسباب والوسائل.

إن دعوة "عصرنة" الإسلام أو "عقلنة" الدين بهدف إسقاط بعض ما علم من الدين بالضرورة، أو التخلص من بعض التكاليف الشرعية لا يمكن أن تكون مقبولة لدى من يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد- ﷺ- رسولا؛ لأنها دعوة باطلة.

لكن دعوة تطوير الخطاب الديني وفق مقتضيات العصر مقبولة، بل مطلوبة إذا لم تمس جوهر الدين ونصوص شرع الله المبين، وذلك بهدف الإيضاح لما قد تكتنفه الغموض لدى بعض العقول، حيث إن مراعاة الظروف والأوضاع من صميم تعاليم الإسلام، ومن القواعد المعروفة لدى الفقهاء أن الفتوى تتغير باختلاف الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأحوال.

فالمنهج السلفي هو المنهج القائم على الكتاب والسنة مع الفهم الصحيح للدين الحنيف، والسلفية الحقيقية منهج شرعي ومطلب وطني، نشأت عليها المملكة وترعرعت، وحققت ازدهارا في كافة مجالات الحياة، وإن الخطاب الديني المعاصر ليس يكون خارجا عن السلفية الصحيحة، بل هو نابع من مبادئها، مستنير بتعاليم الكتاب والسنة، ومحقق لآمال الأمة.

إن مبادرات خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- منذ توليه مقاليد الحكم قد ربطت السلفية بتطورات العصر الحديث، وإن خطواته جمعت بين الأصالة والمعاصرة، ورسمت معالم الخطاب الديني المعاصر؛ ليكون المنطلق لمبادئ السلفية الحقيقية، ويكون الخطاب خطابا معاصرا، فهو منهج شرعي ومطلب وطني، وفيه عرض للدين بأسلوب مؤثر، وحماية للشعب وإنقاذ للأمة.

والله من وراء القصد، وبعزته وجلاله تتم الصالحات ،،،

المراجع

١. الاتجاه السلفي بين الأصالة و المعاصرة راجح الكردي
٢. الإسلام بين الشرق و الغرب على عزت بيغوفتش
٣. حسام الحرمين أحمد رضا خان
٤. الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي.
٥. صيانة الإنسان من وساوس الشيخ زيني دحلان الشيخ بشير السهسواني
٦. قواعد السلفية د. مصطفى حلمي.
٧. الملل و النحل عبد الكريم الشهرستاني
٨. مجموعة الفتاوى الإمام ابن تيمية
٩. نزهة الخواطر الشيخ عبدالحي الحسني



بحوث
المحور الخامس



الدولة السعودية، و المنهج السلفي

نشأة و تطبيقا

إعداد

أ.د. محمد بن سعد الشويعر

العناصر:

الأول: نشأة الدولة السعودية.

الثاني: صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي.

الثالث: تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي.

الرابع: حقيقة دعوة الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، و صلتها بالدولة السعودية

الخامس: أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني.

التمهيد:

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله، و بعد:

فإن الجزيرة العربية يسميها بعضهم أرض الديانات، و أرض القداسات، ذلك أن مما ورد في القرآن الكريم، و ما روي عن الديانات التي جاء بها المشهورون من أنبياء الله، بأنهم كانوا في الجزيرة العربية، كنبي الله (هود)، و قومه بأرض مدين، منطقة البدع قرب تبوك، و خاتم الأنبياء محمد عليه و على أنبياء الله و رسله أفضل الصلاة و التسليم: بمكة المكرمة و هاجر إلى المدينة المنورة، و غيرهم ممن قال الله فيهم لنبينا الكريم: (و لقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك) (١).

و يدخل في أرض الجزيرة العربية: بلاد الشام و فلسطين و ما فيها من أنبياء، و جميع أنبياء الله رسالاتهم، و ما جاءوا به من عند الله من تشريعات هو قاعدة السلفية: بإخلاص العبادة لله جل و علا، ولا يقبل سبحانه من الجن و الإنس دينا غيره، كما قال جل و علا: (و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون وما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ([1]).

و قد تفضل سبحانه على هذه البقعة من الأرض، بأن جعل فيها بيته المحرم، الذي هو أول بيت عظمه الله و أمر بتعظيمه، و حماه سبحانه ممن يريد

---

١) سورة الذاريات، الأيات ٥٦ – ٥٨ .

به شرا : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا و هدى للعالمين فيه أيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان أمنا) ([1]).

فكان بعضهم يسميها أرض القداسات، من حيث فيها المساجد الثلاثة، التي لا تشد الرحال إلا إليها : المسجد الحرام بمكة المكرمة، و مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة، و المسجد الأقصى ببيت المقدس.

و لفضل مسجد قباء الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول ما وصل المدينة المنورة، بدلالة هذه الأية الكريمة : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الله يحب المطهرين) ([2]).

و هذا المسجد الذي هو مسجد قباء لما نزلت هذه الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت هذه الآية بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلى عويم بن ساعدة، قال : (ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ما خرج منا رجل و لا امرأة من الغائط، إلا غسل فرجه، أو قال : مقعدته، فقال صلى الله عليه وسلم : " هو هذا "). أخرجه الطبراني، و أبو الشيخ و الحاكم، و ابن مردوية، و يرى كثير من المحققين، أن مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، بني قبله حيث يرى السيوطي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سئل عن ذلك فأفاد بأن المسجد الذي بني على التقوى هو مسجده ([3]).

١) سورة أل عمران، الأيتان ٩٦، ٩٧ .

٢) سورة التوبة، الأية ١٠٨ .

٣) ينظر تفسير الدرر المنثور للسيوطي، ج٤ : ٢٨٩، و فيه روايات أخرى .

و لما جاء وفد بني عبد القيس في السنة الرابعة من الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مسلمين، كان كبيرهم الجارود، و ديارهم هي الأحساء حاليا و كان اسمها هجر، أو البحرين.

و أمرهم صلى الله عليه و سلم، بأربع و نهاهم عن أربع، و قد قال: لأشبح بني عبد القيس: إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم و الأناة.

و لما كان من الخصال الأربع التي أمرهم الرسول صلى الله عليه و سلم بها: الصلاة... فإنهم لما عادوا لبلادهم بنوا في بلدة (جواثا) مسجدا و اعتبره المؤرخون ثالث مسجد في الجزيرة بعد مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و مسجد قباء ([1]).

و ما من نبي إلا زار مكة المكرمة ليحج و يصلي في بيت الله الحرام و يؤدي فريضة الله في أقدس مكان على وجه الأرض، حيث تضاعف الحسنات، و جاء في الحديث الشريف، الصحيح، هذا القول الكريم: (إن الدين ليأزر إلى الحجاز، كما تأزر الحية إلى جحرها) ([2]).

و المدينة المنورة، و مكة المكرمة التي أوجب الله على كل مسلم و مسلمة، حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، ترنو الأفئدة إليهما، و تتشوق النفوس، إلى شد الرحال لهذه الديار، التي يرتبط ذكرها و أسمها بعقيدة

---

١) ينظر تاريخ ابن كثير، في خبر وفادة بني عبدالقيس و إسلامهم، و عند ابن هشام في السيرة النبوية، و غيرهما، أعني البناء في الإسلام لهذه المساجد.

٢) من حديث رواه الترمزي، في الايمان رقم (٢٤٣٢)عن عمرو بن عوف رضي الله عنه وقال : حديث حسن

المسلم، و ما يجد كل مسلم في كتاب الله جل و علا، و سنة رسوله الكريم صلى الله عليه و سلم من دافع ديني يجعل قلبه يشرئب إليهما.

و في أخر حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان يقول: (لقد أيس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب) بمعنى لا يتخذ إلاها من دون الله، أو لا تعاد الأصنام كما كانت في الجاهلية، أو غير ذلك مما يتعلق بإشراك الله في العبادة، و تحقيق التوحيد.

جئت بهذا المدخل، لأن هذه البيئة تربة خصبة للدعوة السلفية، إذ منها خرج صحابة رسول الله، و عنهم تلقى الناس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأمانة و صدق، فكانوا رضوان الله عليهم، مشعل هداية للتعليم و التبليغ.

أولا: نشأت الدولة:

- فالدولة السعودية: و التي قامت مصاحبة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ) الموافق لعام (١٧٠٣ م — ١٧٩١ م) عندما تصافحت يدا الإمامين: محمد بن عبد الوهاب و محمد بن سعود (٠٠٠٠ — ١١٧٩ هـ) الموافق لعام (٠٠٠٠ — ١٧٦٥ م) رحمهما الله، في الدرعية عام (١١٥٧ هـ - ١٧٤٤ م) كانا يهدفان التعاون في حركة دينية تصحيحية لإنقاذ الأمة مما وقعت فيه، من التساهل في شعائر دين الله الحق، سواء كان هذا في العقيدة، أو العبادات، و رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) ([1])، فاختص الله سبحانه بهذا الفضل، الشيخين الإمامين في زمانهما: محمد ابن سعود، و محمد بن عبد الوهاب، مع غيرهما من المخلصين المجددين في كل مكان.

و التجديد المعني في الحديث خصصه العلماء: بأن تكون قاعدته دعوة سلفية مبنية على القرأن و السنة الصحيحة.

و يحدد المؤرخ عثمان بن بشر بداية نشأة الدولة، و عن حال الدرعية وقت قدوم الشيخ فقال: فلما وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلى بلد الدرعية قادما من العيينة نزل عند عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم، و ابن عمه حمد بن سويلم، فضاقت دار ابن سويلم عليه، خوفا على نفسه من

---

١) رواه أبو داود عن أبي هريرة، ينظر جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، ج١١ : ٣١٩ — ٣٢٥، و فيه شرح وافي

محمد بن سعود ، فوعظه الشيخ و سكن جأشه و قال : سيجعل الله لنا و لكم فرجا و مخرجا ، فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية فقرر لهم التوحيد ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود و يشيروا عليه بنزوله عنده و نصرته فهابوه ، و أتوا إلى زوجته موضي بنت أبو وطبان ، و أخيه ثنيان الضرير ، و كانت هذه المرأة ذات عقل و دين و معرفة ، فأخبروهما بمكان الشيخ و صفة ما يدعو إليه و ينهى عنه ، فوقر في قلبهما التوحيد ، و قذف الله في قلوبهم محبة الشيخ.

فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ ، و قالت له : إن هذه الرجل ساقه إليك ، و هو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به ، فقبل قولها.

ثم دخل عليه أخوه ثنيان ، و أخوه مشاري ، و أشاروا عليه بمساعدته و نصرته ، فقذف الله في قلب محمد محبة الشيخ ، و محبة ما دعا إليه ، فأراد أن يرسل إليه ، فقالوا : لو تسير إليه برجلك ، و تظهر تعظيمه و توقيره ، ليسلم من أذى الناس ، و يعلمون أنه عندك مكرم ، فسار إليه محمد بن سعود ، و دخل عليه في بيت ابن سويلم فرحب به ، و قال : أبشر ببلاد خير من بلادك ، و بالعز و المنعة.

فقال الشيخ له : و أنا أبشرك بالعز و التمكين ، و النصر المبين ، و هذه كلمة (التوحيد) التي دعت إليهما الرسل كلهم ، فمن تمسك بها ، و عمل بها و نصرها ، ملك بها البلاد و العباد.

و أنت ترى نجدا كلها و أقطارها أطبقت على الشرك ، و الجهل و الفرقة ، و الاختلاف و القتال لبعضهم بعضا ، فأرجو أن تكون إماما ، يجتمع عليه المسلمون و ذريتك من بعدك.

و جعل يشرح له الإسلام و شرائعه ، و ما يحل و ما يحرم ، و ما عليه النبي صلى الله عليه و سلم ، و أصحابه من الدعوة إلى (التوحيد) و هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، و القيام في نصرة التوحيد و القتال عليه.

فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك ، و تقرر عنده طلب من الشيخ المبايعة على ذلك ، فبايع الشيخ على ذلك ، و أن الدم بالدم ، و الهدم بالهدم – مثلما بايع رسول الله صلى الله عليه و سلم ، الأنصار لما استجابوا له و نصرته ، أخذها أسوة حسنة ، و على أن الشيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله.

إلا أن محمد بن سعود : شرط على الشيخ في مبايعته ، أن لا يتعرضه فيما يأخذه من أهل الدرعية ، مثل الذي كان يأخذه رؤساء البلدان على رعاياهم ، فأجابه الشيخ على ذلك : رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة ، أكثر من ذلك فيتركه رغبة فيما عند الله سبحانه.

فكان الأمر كذلك ، و وسع الله عليهم في أسرع ما يكون ، و كان في السنة السابعة و الخمسين بعد المائة و الألف هجرية و هاجر إلى الشيخ أصحابه ، الذين بايعوه في العيينة ، منهم من هو من رؤساء المعامرة ، المعاكسين لعثمان بن معمر ، فتزايد المهاجرون إليه من كل بلد لما علموا استقراره ، و أنه في دار منعه.

فلما علم عثمان بن معمر أمير العيينة ، أن محمد بن سعود أوى الشيخ و نصره و بايعه على دين الإسلام و نصرته و الذب عنه ، و أن الدرعية صارت

دار هجرة، لمن شرح الله صدره لذلك، و بعضهم قد أوذي في بلده، و أن الشيخ في زيادة من أصحابه.

ندم عثمان على ما فعل من إخراجه، فركب في عدة رجال من كبراء أهل بلده فقدم على الشيخ في الدرعية، و طلب منه الرجوع معه، و ينصره و يؤويه، فقال الشيخ: ليس هذا إلى اليوم، و إنما هو إلى محمد بن سعود.

فأتى عثمان، محمد بن سعود فأبى عليه، و قال: ليس إلى ما أردت من سبيل ([1]).

و رغم أن الدكتور منير العجلاني شكك في رواية ابن بشر، في وصفه الدقيق ([2])، إلا أن دقة ابن بشر (١٢١٠ هـ - ١٢٩٠ هـ / ١٧٩٥ م — ١٨٧٢ م) في نقله الحدث كما هو و باختصار تنفي تشكيك الدكتور العجلاني في وقائع الرواية، إذ أن ابن بشر في سنوات عمره، قريب من الأحداث و ينقل عن معاصرين لها بأمانة، و لو لم يورد ابن بشر روايته لما عرف بالتفصيل عن لقائه، بـ محمد بن سعود، و وقائع الأحداث و ما مر بالشيخ و غيره من المصلحين، إذ لا تخضع هذه الحالة للمقاييس الخاصة، لأن في الواقع ما لا يخطر بالبال، لإنسان بعيد عن الحدث و زمان يختلف عن زمانه.

و لذلك نرى الدكتور العجلاني، يتردد عند تسمية دعوة الشيخ بـ (الوهابية) و حاول أن يجد لها تعليلا غير مقنع.

---

١) عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، ط٤، عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، منشورات دار الملك عبدالعزيز رقم (٢٧) ج١ : ٤١ — ٤٣ .

٢) تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني، الجزأ الأول الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م، ص ٨٧ — ٩٤ .

و لو رجع لفتاوى الأندلس، أيام عز الإسلام و دولته ككتاب: المعيار المعرب في فتاوى أهل المغرب، لأحمد الونشريسي، المتوفى بفارس عام ٩١٤ هـ و لغيره لوجدنا هناك: فرقة خارجية أباضية اسمها (الوهابية) نسبة إلى صاحبها و مؤسسها، و صاحب معتقداتها: عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، أحد زعماء الأباضية في المغرب المتوفى عام (٢١١ هـ - ٨٢٦ م) أي قبل وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي مات عام ١٢٠٦ هـ، بما يقرب من ألف عام بينهما.

و ابن رستم هذا قد كفره علماء الأندلس، و علماء الشمال الأفريقي، لأنه عطل الشرائع الإسلامية، و من ذلك الحج.

أما الشيخ: محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فهو سلفي على منهج أهل السنة و الجماعة في العقيدة، و في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أحد المذاهب الأربعة، المعتبرة عند أهل السنة و الجماعة (السلفيون) الذين يسيرون في أعمالهم و عباداتهم وفق كتاب الله عز و جل، و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما هي وصيته صلى الله عليه و سلم، عندما خطب في أصحابه في أخر أيامه، فقالوا: يا رسول الله كأنها خطبة مودع، فأوصنا؟ قال: (تركت فيكم أمرين لن تظلموا ما تمسكتم بهما: كتاب الله و سنتي) متفق عليه [1].

---

١ - أخرجه مالك في الموطأ كتاب القدر رقم (٣) والحاكم في المستدرك بسند قوي: ٩٣/١

و لو رجع الدكتور العجلاني لكتب المغاربة و تاريخهم لوجد الإفادة الصحيحة عن الوهابية ([1]).

و التعليل الحقيقي لتسمية هذه الدعوة بـ (الوهابية) أن المبتكر لها: هم رجال الغرب، السياسيون في ديار المسلمين، الحريصون على التفريق بين المسلمين، حتى تثبت مطامعهم الاستعمارية، فأخذها عنهم أهل الأهواء و الغايات، لخدمة غاياتهم، و نشروا هذا النعت، و ألبسوه أكاذيب كثيرة، نفاها الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن نفسه بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم، كما جاء في فتاواه و رسائله التي جمعتها جامعة الإمام، و خرجت في عدة مجلدات.

و في هذا فإن أمكن تعليل قرأته جاء عند الشيخ عبدالل البسام، في كتابه: علماء نجد خلال ثمانية قرون، في ترجمة الشيخ: أحمد بن عيسى حيث قال: و حدثني الشيخ الوجيه الأفندي: محمد حسين نصيف – رحمه الله – قال لي: كان الشيخ أحمد يشتري الأقمشة من الشيخ: عبدالقادر بن مصطفى التلمساني، أحد تجار جدة، بمبلغ ألف جنيه ذهبا، فيدفع له (٤٠٠) و يقسط عليه الباقي، و أخر قسط يحل يستلمه الشيخ التلمساني، إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام، لأن الشيخ أحمد صاحب دكان لبيع الأقمشة في مكة.

ثم يبتدئون من أول العام بعقد جديد، و دام التعامل بينهما زمنا طويلا، و كان الشيخ أحمد بن عيسى، يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يختلف، و

---

١) ينظر في هذا كتابنا تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية المترجم إلى (١٥) لغة، و قد طبع عدة طبعات في المغرب، و مصر و المملكة و الكويت و الإمارات.

لا يماطل في أداء الحق، فقال له الشيخ عبد القادر: إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاما، فما وجدت أحسن من التعامل معك – يا وهابي – فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد، مبالغ فيه من خصومكم السياسيين.

فسأله الشيخ أحمد أن يبين له هذه الشائعات، فقال: إنهم يقولون: إنكم لا تصلون على النبي صلى الله عليه و سلم، و لا تحبونه فأجابه الشيخ أحمد بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم إن عقيدتنا و مذهبنا أن من لم يصل على النبي صلى الله عليه و سلم، في التشهد الأخير، فصلاته باطلة، و من لا يحبه فهو كافر، و إنما الذي ننكره نحن – أهل نجد – هو الغلو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، كما ننكر الاستعانة و الاستغاثة بالأموات، و نصرف ذلك لله وحده.

و الشيخ عبد القادر التلمساني، متخرج من كلية أصول الدين بالأزهر، و قد استمر النقاش بين الشيخ أحمد بن عيسى و الشيخ التلمساني، في توحيد العبادة ثلاثة أيام، كما قال التلمساني، حتى شرح الله صدري للعقيدة السلفية، و أما توحيد الأسماء و الصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر، فهو عقيدة الأشاعرة، و كتب الكلام مثل: السنوسية، و أم البراهين، و شرح الجوهرة و غيرها.

فلهذا دام النقاش فيه بيني و بين الشيخ أحمد بن عيسى خمسة عشر يوما، بعدها اعتنقت مذهب السلف، و صرت أخذ التوحيد من منابعه الأصلية: الكتاب و السنة، و أتباعها من كتب السلف، فعلمت أن مذهب السلف، أسلم و أعلم و أحكم، بفضل الله تعالى، ثم بحكمة و علم الشيخ

أحمد بن عيسى ، فصار التلمساني يطبع كتب السلف ، و أصبح من دعاة العقيدة السلفية ([1]).

ثم بدأ ابن بشر في الحديث عن حالة أهل الدرعية بعدما تكاثر عددهم ، مع شدة المئونة ، فكانوا يحترفون في الليل و يأخذون الأجرة ، لمعاشهم ، و في النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث و المذاكرة ، إلى أن أتاه الله بالرزق الواسع بعد الشدة و الامتحان.

و استمر في ذكر أحوال الشيخ محمد مع تلاميذه و أسلوبه في التعليم ، و كفالة التلاميذ ، و اتساع الدولة بعد ذلك ، ووصفه لحالتي البيع و الشراء ، و موارد الدولة ، و فهمه حقيقة السلفية ، التي علمها لتلاميذه[2].

و كان حكام الدولة السعودية ، في عصرها الأول من عام (١١٥٧ هـ - ١٢٣٣ هـ) الذين اعتلوا سدة الحكم ، أربعة و هم :

١- الإمام محمد بن سعود ، الذي قامت الدولة سلفية العقيدة ، و أقامها بعد تعاهده مع الإمام محمد بن عبد الوهاب في عام (١١٥٧ هـ - ١٧٤٤ م) ، على الدعوة السلفية ، و تصحيح العقيدة من كل ما يناقض حقيقة التوحيد ، و قد توفي في عام (١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م) و قام بالأمر بعده ، ولي عهده كما ذكر ابن بشر و مدة حكمه بعد العهد فيما بينه و بين الإمام محمد بن عبد الوهاب ، في التقائهما عام

---

١) ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبدا لله البسام ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ، دار العاصمة الرياض ج٤ : ٤٣٨ – ٤٤٠ .

٢) يراجع عنوان المجد لابن بشر ، ج١ : ٤٤ – ١٦٨ ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز بالرياض رقم (٢٧) الطبعة الرابعة ، ج١ ، عام (١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م) .

(١١٥٧ هـ) بنشر الدعوة الصحيحة لدين الله، و تنقيته من الشوائب و البدع، التي قامت عليها الدولة السعودية، فكانت مدة ولايته (٢٢) اثنان و عشرون عاما.

٢- الإمام عبد العزيز بن محمد تولى بعد وفاة والده، و قد قتل في صلاة العصر، و هو ساجد عام (١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م) و كانت ولادته عام (١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م) و عمره حين قتل ٨٥ عاما، ليصبح حكمه (٣٩) عاما، انتشر في عهده الأمن و اتسعت الدولة، و ازدهر فيها العلم و المال، و قد أثنى المؤرخ ابن بشر، على الإمام عبد العزيز بن محمد و علمه و عدله، و محبته للأعمال الخيرية، و مواعظه التي يرسلها للأفاق، و حثه على الكتاب و السنة.

٣- الإمام سعود بن عبد العزيز تولى بعد مقتل والده في عام (١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م) و كانت ولادته بالدرعية عام (١١٦٥ هـ - ١٧٥١م) و قد توفى عام (١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م) قال عنه ابن بشر في تاريخه إن أول ما قام به، بعث نصيحة لرعاياه، يأمرهم بالتمسك بالكتاب و السنة، و كان عالما بليغا ينصح الأمة بالاجتماع، و بالأخذ بمذهب السلف الصالح: بمكارم الأخلاق، و التحذير من الفواحش، و التعريف بالتوحيد، و مدة حكمه (١١) أحد عشر عاما، و كانت مجالسه عامرة بالذكر، و دروسه في التفسير و الحديث.

٤- الإمام عبد الله بن سعود، بويع بعد وفاة والده، إذ في ٢٩ من شهر رجب عام (١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م) كسفت الشمس، وقت

الضحى كسوفا لم يعهد، و انطمست بالكلية و أظلمت الأرض، و طلعت النجوم كما قال ابن بشر، لكن عساكر محمد علي بدأت تتوافد، بعدها جاء إبراهيم باشا، الذي أنهى الدور الأول من الدولة السعودية، بحملة الإمام عبد الله، و مجموعة أل سعود، و رجال دولته في عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م) إلى القاهرة ثم لعاصمة الدولة العثمانية في تركيا و قتلوهم، كما قال المؤرخ المصري: عبد الرحمن الجبرتي في كتابه عجائب الأثار ([1])، حيث اعتبره الباحثون نهاية الدور الأول.

لكن الدولة استعادت قوتها و نشاطها في الدور الثاني من عام ١٢٣٨ هـ، بظهور الإمام تركي بن عبد الله (.... — ١٢٤٩ هـ /.... — ١٨٣٣ م) و تلاه ابنه الإمام: فيصل (.... — ١٢٨٢ هـ /.... — ١٨٦٥ م) ثم حصلت فتنة تنازع السلطة بين ابنيه: عبد الله و سعود، و انتهى الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية، بتنازل الإمام عبد الرحمن بن فيصل (١٢٦٨ هـ - ١٣٤٦ هـ / ١٨٥٢ م — ١٩٢٨ م) و هو والد الملك عبد العزيز رحمهما الله، في عام ١٣١٠ هـ، و خروجه من الرياض.

أما الدور الثالث فقد استعاد به الملك عبد العزيز من يوم الخميس ٥ شوال عام (١٣١٩ هـ - الموافق يناير ١٩٠٢ م) الرياض، حيث وفقه الله و بعد

---

١) ينظر كتاب عجائب الأثار للجبرتي أخر الجزء الرابع حوادث عام ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م، ص ٣٢٣، المطبعة العامرة الشرفية بمصر و كان يسميه عبدالله بن مسعود و قال: وصلت الأخبار عن عبدالله بن مسعود أنه لما وصل إلى إسلامبول طافوا به البلدة و قتلوه عند باب همايون و قتلوا أتباعه أيضا في نواحي متفرقة فذهبوا شهداء.

مشوار طويل بذل فيه هو و رجاله، فترة من العمر، مع الجهد و الصبر، حتى اكتملت الدولة: بناء و تأسيسا بأطرافها المترامية، و تنظيما و بحدودها: غربا البحر الأحمر، و شرقا الخليج العربي و العراق و الكويت و قطر، و دولة الإمارات المتحدة، و جنوبا صحراء الربع الخالي و عمان و اليمن، و شمالا: الأردن و العراق، و لا يزال أبناؤه يتوارثون العرش، على منهج المؤسس الباني، و على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، في التشريع و العقيدة، و على طريقة السلف في العقيدة.

و في عام ١٤١٩ هـ، صار الاحتفاء بنعمة، على الاستقرار و ثبات الدولة على شرع الله: كتاب الله و سنة رسوله، و السلفية المستقاه منهما، و ذلك بمرور مائة عام على مسيرة الملك عبد العزيز، في لم الشمل، و توحيد الأجزاء في وحدة دينية و وطنية، حيث تتابع أبناء عبد العزيز: سيدا بعد سيد، على النهج الذي تأسست عليه الدولة من أول عهدها عام ١١٥٧ هـ.

و عندما قامت: هيئة الأمم المتحدة، كان للدولة السعودية دور في المشاركة فأرسل الملك عبد العزيز، مندوبا يحمل دستور الدولة ضمن دساتير الأمم و هو نسخة من كتاب الله الكريم القرأن، موضحا أن هذا هو دستورنا الذي نستمد منه التشريع و يعتبر هو الوحيد الذي قدم القرأن الكريم دستورا لبلاده بين دساتير الأمم، معتدا بسلفيته، احتراما لكتاب الله و سنة رسوله، و اعتدادا بإتباعها في الشئون كلها، لأن من اتبعهما بصدق و إخلاص، و طبقهما في شئونه و أحكامه، صار سلفيا.

ثانيا : صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي :

جاء في الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة، الذي أصدرته : الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في عام (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) و مقرها الرياض، تعريف السلفية بما يلي :

الدعوة السلفية : رائدة الحركات الإصلاحية، التي ظهرت إبان عهود التخلف، و الجمود الفكري في العالم الإسلامي، تدعو إلى العودة، بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية.

و تلح على تنقية مفهوم التوحيد، مما علق به من أنواع الشرك، و يطلق عليها بعضهم اسم (الوهابية) نسبة لمؤسسها محمد بن عبد الوهاب ([1]).

و عندي : أن مؤسسها محمد بن عبد الوهاب، و أنها سميت باسمه اعتراض من أمور :

أولا : أن السلفية لم تكن حزبا، و إنما هي منهجية علمية، مستمدة من الكتاب العزيز و السنة النبوية.

ثانيا : نسبة الاسم و التأسيس للشيخ محمد بن عبد الوهاب، خطأ شنيع أريد به تشويه هذه الحركة التصحيحية، خوفا على المصالح الاستعمارية و قبل كل شيء، لأنهم منذ يعود الإسلام على قاعدته الأساسية في نشر الإسلام، و العودة إلى الجهاد الذي شرعه الله وإحياء هذه الفريضة على يد الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، و هذا فيه إشكال كبير لأصحاب الديانات الأخرى، و أهل البدع التي أحدثت في دين الله، كما قال صلى الله

---

١) الموسوعة الميسرة ص ٣٧٣ .

عليه و سلم : (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) [1] ، حيث خاف الجميع على مصالحهم ، و أن المسلمين سيلتئم شملهم و تقوى مكانتهم.

ثالثا : أن التسمية و نسبة التأسيس لمذهب الوهابية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نسبة خاطئة ، لأن عبد الوهاب ، اسم والده فتصير التسمية منسوبة إلى غير أصلها ، لأن اسمه محمد ، و لم يقم بهذه والده.

رابعا : الوهابية موجودة في الشمال الأفريقي ، من القرن الثاني الهجري ، ورد عليها كثير من علماء الأندلس ، قبل نكبة الأندلس و علماء المغرب ، ردودا أيضا ، و متيسرة الردود ، و التكفير على هذه الفرقة من ذلك الزمان ، و قبل ولادة الشيخ بما يقارب الألف عام ، و هذا لم يحصل في التاريخ أبدا ، ولا يعلم الغيب إلا الله ، كما جاء في كتب المغاربة و فتاواهم السابقة لولادة الشيخ محمد رحمه الله.

خامسا : أن الوهابية الأصلية منسوبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، الخارجي الإباضي ، الذي عطل شرائع الإسلام و منها الحج ، و هو من أصل فارسي ، كما جاء في كتب المغاربة عنه ، يقول الفردبل في كتابه الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي : إن أباضية المغرب الوهابية في تاهرت ، هم الذين كانت دولتهم الرستميه في شمال أفريقيا ، و كانوا أشد الفرق تعصبا ، و إتباع عبد الوهاب بن رستم المتوفى عام ٢١١ هـ في نفوسه ، و

---

١ - متفق عليه

سميت فرقته بالوهابية نسبة إليه ، لما أحدثه في المذهب من تغييرات و معتقدات(١).

سادسا : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعتبر مجددا للإسلام ، على المنهج الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم من عند ربه ، و كل المجددين في الإسلام الذين يأتون على رأس كل قرن ، ليجددوا لأمم الإسلام في أي مكان ، شرائع دينهم الإسلامي ، وفق حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و كان ابن رستم هذا يكره أهل السنة.

سابعا : أن الأوائل من المفكرين الغربيين ، المتهمين بهذا الانبعاث التجديدي ، لإصلاح عقائد المسلمين لم يسموها (وهابية) و هم كثيرون ، فكان بعضهم يسميها المحمدية ، أو الدين الجديد ، لكن بان للمستشرقين (المنصرين) الذين يخططون لبني جلدتهم أن هذه التسمية لا تخدم غرضهم ، ووجدوا بديلا ينطلي على بعض الناس ، و أن إلصاق (الوهابية) الرستمية الخارجية على هذه الدعوة الجديدة ، يحقق غرض الاستعمار ليجد من يعينه و يتكيء عليه من أصحاب الطرق و البدع و المصالح و المنافع الدنيوية ، فألبسوا هذا الثوب مع التمهيد بالدعاية و التشويه لهذه الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتحقيق مصالح : سياسية و مطامع مالية ، و أرضية و اسعة لأصحاب الأهداف و الغايات.

---

١) يراجع كتاب الفردبل ترجمة عبدالله بدوي ، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٥٠ ، و قد توسع في حديثه عن هذه الفرقة الوهابية في ١٢ صفحة ، و أخبر أنهم يكرهون أهل السنة .

ثامنا : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما أرسل مكاتيبه قدوة برسول الله صلى الله عليه و سلم للتعريف بدعوته و شرحها كان منها رسالة إلى الملك و سلطان المغرب الأقصى : سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، الذي قال كما جاء في تاريخ أفريقيا الشمالية الذي ترجمه محمد مزالي ، و البشير بن سلامة لما بلغته : آنا وهابي العقيدة ، مالكي المذهب ([1]) ، و هو لا يريد الوهابية الرستمية ، و إنما يريد إتباع منهج الشيخ محمد في الدعوة التي سموها بالوهابية ، و قد قال بمثل مقالته هذه كل من عمران بن رضون من علماء لنجه ، ببلاد فارس ، و الشيخ محمد تقي الدين الهلالي ، من المغرب الأقصى و غيرهم.

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر بأنني و هابي

تاسعا : في عام (١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م) قال مؤرخ المغرب الأقصى : أحمد الناصري : في هذا العام حج جماعة من المغاربة ، صحبة المولى إبراهيم بن السلطان سليمان سلطان المغرب ، الذي خلف والده السلطان : سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، فقال ابنه المولى إبراهيم و من معه : بعد مناظرتهم في مكة مع الإمام : سعود بن عبد العزيز ابن محمد : ما رأينا من ابن سعود ما يخالف ما عرفناه ، من صلاة و طهارة و صيام و نهي عن المنكر و تنقية الحرمين من الأثام.

---

١) ينظر تاريخ أفريقيا الشمالية ، تأليف المؤرخ الفرنسي : شارلي جوليان ، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة ، ج٢ : ٣١١ .

قال المؤلف الناصري : ثم قلت لهم : هل من شهد له و اتباعه المولى إبراهيم بن السلطان سليمان ، و من معه من العلماء و المفتي على الطريقة المتبعة في الركب النبوي ، الذي جرت العادة بخروجه من فاس ، على هيئة بديعة من الاحتفال ، و كانت الملوك تعتني به و تختار له أصناف الناس من العلماء و الأعيان و التجار و القاضي و شيخ الركب و غيره مما يضاهي ركب مصر و الشام ، ثم قال الناصري : و أقول إن السلطان قد حدد خطبة تحث على التوحيد و محاربة البدع ([1]).

عاشرا : هذا الركب بعلمائه و وجهائه ، بعد مناقشتهم مع الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢٦ هـ في الحج ، و علماء المغرب و قناعتهم ، و قولهم جميعا بعد جلسة النقاش الصريح : إن السلطان المولى سليمان كان يرى مثلما قال سعود ، و لأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها عن حال متفقرة الوقت – يعني بهم رهبنة الصوفية – و حذر فيها من غلو العوام في ذلك ، و أغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين ، و حذر من الخروج عن السنة و التغالي في البدعة و بين آداب زيارة الأولياء ([2]).

كما أن المولى سليمان قد حدد خطبة تحث على التوحيد ، و محاربة البدع ، و أمر بتوزيعها على مساجد الجمعة ، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية ([3]).

---

١) ينظر كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، للناصري ، ٨ : ١٢٠ – ١٢٢ ، مع كلامه الطويل عن المناظرة و الانطباع عنها .

٢) ينظر كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى للناصري ، ٨ : ١٢١ – ١٢٣ .

٣) المصدر السابق ، ٨ : ١٢٠ .

أحد عشر : كما يزيد الأمر تأكيد ما ذكر عبد الله البسام رحمه الله ، في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون بترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى و ما أخبره به الشيخ الوجيه محمد نصيف عالم الحجاز ، الساكن جدة ، قال حدثني الشيخ الوجيه محمد حسين نصيف رحمه الله ، قال لي : كان الشيخ : أحمد بن عيسى يشتري الأقمشة من الشيخ : عبد القادر بن مصطفى التلمساني ، أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهبا ، ليبيعها الشيخ أحمد في مكة ، فيدفع له منها (٤٠٠) جنيه و يقسط الباقي ، و أخر قسط يحل يستلمه الشيخ التلمساني إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام.

ثم يبتدئون من أول العام بعقد جديد ، و دام التعامل بينهما زمنا طويلا ، و كان الشيخ أحمد يأتي بالأقساط في موعدها المحدد ، لا يختلف عنه و لا يماطل في اداء الحق ، فقال له الشيخ عبد القادر : إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاما فما وجدت أحسن من التعامل معك - يا وهابي – فيظهر أن ما يشاع عنكم مبالغ فيه من خصومكم السياسيين ، فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات ، فقال : إنهم يقولون إنكم لا تصلون على النبي صلى الله عليه و سلم ، و لا تحبونه ، فأجابه الشيخ بقوله : سبحانك هذا بهتان عظيم ، إن عقيدتنا و مذهبنا : أن من لم يصل على النبي صلى الله عليه و سلم ، في التشهد الأخير فصلاته باطلة ، و من لا يحبه فهو كافر ، و إنما الذي ننكره نحن – أهل نجد – هو الغلو الذي نهى النبي صلى الله عليه و سلم عنه ، كما ننكر الاستعانة و الاستغاثة بالأموات و نصرف ذلك لله وحده.

يقول الشيخ محمد نصيف عن الشيخ عبد القادر التلمساني : فاستمر النقاش بيني و بينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام ، حتى شرح الله صدري

للعقيدة السلفية ، و أما توحيد الأسماء و الصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر فهو عقيدة الأشاعة و كتب الكلام مثل : السنوسية ، و أم البراهين ، و شرح الجوهرة و غيرها ، فلهذا دام النقاش بيني و بين الشيخ أحمد ، خمسة عشر يوما ، بعدها اعتنقت مذهب السلف و صرت أخذ التوحيد من منابعه الأصيلة : الكتاب و السنة ، و اتباعهما من كتب السلف ، فعلمت أن مذهب السلف أسلم و أحكم بفضل الله تعالى ثم بحكمة و علم الشيخ احمد بن عيسى ، ثم إن التلمساني أخذ يطبع كتب السلف في مصر و يوزعها حيث صار من دعاة السلفية و تأثر به كثيرون من أهل جدة و مكة قبل قدوم الملك عبد العزيز عن قناعة.

قال الشيخ محمد نصيف رحمه الله : فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني فالحمد لله على توفيقه ([1]).

كما تأثر بالشيخ أحمد في مكة ، أبو بكر خوقير، الذي أوذي و سجن و كان يطبع الرسائل في العقيدة في الهند ثم يوزعها في مكتبته بمكة لأنه كتبي.

الملك عبد العزيز يبين الحقيقة :

منذ دخل الملك عبد العزيز – رحمه الله – مكة المكرمة عام ١٣٤٣ هـ ، و هو مهتم بلقاء كبار الشخصيات و العلماء من العالم الإسلامي القادمين للحج ، و له كلمات يلقيها في الجموع القادمة ، لأداء شعيرة الحج ، و فيها يبين ما علق بأذهان بعض المسلمين ، من إشاعات مغرضة يقصد منها الإنقاص من

---

١) تراجع ترجمة الشيخ ابن عيسى في كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله البسام ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ، دار العاصمة الرياض ، ٤ : ٤٣٦ .

دولة الملك عبد العزيز و العلماء معه فكان يرى نفي تلك الشائعات، و تصحيح المفاهيم، و أن مذهبهم سلفي يستمد تعاليمه من القرأن الكريم: كتاب الله و من سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، و ما فهمه الصحابة من سنة رسول الله التي نقلوها عنه لمن بعدهم.

فعن تسمية الدعوة التي قامت عليها الدولة سموها (وهابية)، و أن دولته تعتنق مذهبا وهابيا، و أنه مذهب خاص ليبين الخطأ الذي وراءه أصحاب الأغراض و الأعداء.

و كعادته رحمه الله في مواجهة الحقائق و تصحيح الأخطاء نراه في خطابه لكبار الحجاج، يلقي الكلمات و الأحاديث في كل عام لتوضيح حقيقة مذهبه و نفي ما علق ببعض الأذهان عن عقيدته و مصدرها، و أنه على مذهب أهل السنة و الجماعة سلفي العقيدة حنبلي في الفقه، و ليس ما يقال افتراء، بأن مذهبه مذهب خاص، فهو يتحدث في كلمته في القصر الملكي بمكة يوم غرة ذو الحجة (١٣٤٧ هـ - مايو ١٩٢٩ م) و يقول: يسموننا بـ (الوهابيين) و يسمون مذهبنا (الوهابي) باعتبار أنه مذهب خاص، و هذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها اهل الأغراض و الإشاعات.

فنحن لسنا لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة و لم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله و سنة رسوله و ما كان عليه السلف الصالح.

و نحن نحترم الأئمة الأربعة و لا فرق عندنا بين: مالك و الشافعي، و أحمد، و أبي حنيفة، و كلهم محترمون في نظرنا، هذه هي العقيدة، التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، و هذه هي عقيدتنا، و هي

عقيدة مبنية على توحيد الله عز و جل ، خالصة من كل شائعة ، منزهة من كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعوا إليها و هي التي تنجينا مما نحن فيه من محن و اوصاب.

أما (التجديد) الذي يحاول البعض إغراء الناس به ، بدعوى انه ينجينا من ألامنا فهو لا يوصل إلى غاية و لا يدنينا من السعادة الأخروية.

إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله و سنة رسوله و ما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة إننا لا نبغي (التجديد) الذي يفقدنا ديننا و عقيدتنا ، إننا نبغي مرضاة الله عز و جل ، و من عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه و هو ناصره ، فالمسلمون لا يعوزهم التجديد ، و إنما تعوزهم العودة على ما كان عليه السلف الصالح ، و لقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله و سنة رسوله ، فانغمسوا في حمأة الشرور و الأثام فخذلهم الله سبحانه ، و وصلوا إلى ما هم عليه ، من ذل و هوان ، و لو كانوا متمسكين بكتاب الله و سنة رسوله ، لما اصابهم ما أصابهم من محن و أثام و لما أضاعوا عزهم و فخارهم.

لقد كنت لا شيء ، و أصبحت اليوم و قد استوليت على بلاد شاسعة ، يحدها شمالا الشام ، و جنوبا اليمن ، و غربا البحر الأحمر ، و شرقا الخليج.

لقد فتحت هذه البلاد و لم يكن عندي من الأعتاد ، سوى قوة الإيمان ، و قوة التوحيد ، و من (التجديد) غير التمسك بكتاب الله ، و سنة رسوله ، فنصرني الله نصرا عزيزا.

لقد خرجت و أنا لا أملك شيئا من حطام الدنيا ، و من القوة البشرية ، وقد تألب الأعداء علي ، و لكن بفضل الله و قوته تغلبت على أعدائي و فتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله و سنة رسوله ، و من خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة و هذه المصائب.

إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب ، يأتي أجنبي إلى بلد ما ، فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين فيعمل عمله بمفرده ، فهل يعقل أن فردا في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس ، إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه و يمدونه بأرائهم و أعمالهم ؟

كلا ثم كلا.. فهؤلاء الأعوان هم بليتنا و مصيبتنا.. أجل إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله ، أعداء أنفسهم إذا فاللوم واقع على المسلمين وحدهم لا على الأجانب.. إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه ، إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول ، و كذلك المسلمون لو كانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم و تمزيق كلمتهم.

إن المسلمين هم مصدر الباء الذي أصابهم و أكثر ذلك يأتي عن طريق أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة و منافعهم الذاتية فيدوسون في سبيلها كل شيء يعترضهم في الطريق إن هؤلاء الذين يكنزون الذهب و الفضة و ينامون على الوثير من الفراش لا يفكرون إلا في أنفسهم و لم يحسبوا لله حسابا.

إن المسلمين بخير إذا اتفقوا و عملوا بكتاب الله و سنة رسوله ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله و سنة نبيه و بما جاء فيهما و الدعوة على التوحيد الخالص، فإنني – حينئذ – أتقدم إليهم فأسير و إياهم جنبا إلى جنب في كل عمل يعملونه و في كل حركة يقومون بها.

و الله إنني لا أحب الملك و أبهته، و لا أبغي إلا مرضاة الله، و الدعوة إلى التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم، على التمسك بذلك و ليتفقوا، فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم، أو أمير بل بصفة خادم..

أسير معهم أنا و أسرتي و جيشي و بنو قومي، و الله على ما أقول شهيد و هو خير الشاهدين ([1]).

لقد بين في كلمته هذه، أن حل مشكلات المسلمين يكمن بفهم الدين، و حقيقة ذلك أن يكونوا متفقين على المذهب السلفي، و هو ما سار عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و انتهجه المسلمون إبان طهارة الإسلام و خلوه مما ادخل فيه من أمور تقدح في نقاوته، و ذلك خلال القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم: (خير الناس

---

١) كتاب المصحف و السيف، مجموعة من كلمات و احاديث الملك عبدالعزيز جمع و إعداد: محي الدين القابسي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٥٥، و في هذا الكتاب لجلالته كلمات من هذا النوع.

قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ([1])، فهم الذين يقتدي بهم لفهمهم حقيقة الإسلام طاهرا نقيا.

و للملك عبدالعزيز رحمه الله في السنوات الاولى بعد دخوله الحجاز، عادة يستقبل كبار الحجاج: من حكام و علماء و أصحاب فكر، ليحادثهم بكل بساطة، و يجيب على استفساراتهم، و هذا يعتبر إعلاما قبل انتشار الإعلام و يرتاحون له في كلماته الموضحة لمنهجه في مسيرته لتوحيد البلاد و ما وفقه الله إليه، و لإزالة ما علق بالأذهان من أراجيف و دعايات مضللة بلبلت الأفكار.

كما يدعوهم إلى سبب عزهم و توفيقهم، ببيان الخلل في الصفوف، و أنه منهم لا من الأعداء و يضع الحلول التي تسعدهم و ترفع من مكانتهم و تدعو إلى مضمون مثل كلماته حسب هذه العناوين: نريد أن نسير إلى الأمام، نصرنا الله بقوة التوحيد، فخرنا و عزنا بالإسلام، أساس أحكامنا هو الشرع الإسلامي، إلى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين، نحب المسلمين جميعا، على كل مسلم أن يأمر بالتأخي و التآزر، إلى غير هذا من الكلمات التي في تطبيقها قوة للمسلمين، أمام أمم الأرض ([2]).

---

١) رواه البخاري في الشهادات ٥ / ١٩٠ وفي فضائل الصحابة و مسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٥٣٥)و أبو داود و النسائي، عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

٢) يراجع في مثل هذه الكلمات و غيرها كتاب المصحف و السيف، و هو مجموعة من خطابات و كلمات و مذكرات و أحاديث جلالة الملك عبدالعزيز أل سعود، الطبعة الرابعة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) جمع و إعداد : محي الدين القابسي، دار الصحوة السعودية للنشر و التوزيع و هو كتاب في ٣٤٠ صفحة .

و من حكمة الملك عبد العزيز، و بعد نظرة و هو لا يزال محاصرا لجده، أن بعث رسائل يطمئن المسلمين بأن طرق الحج أمنة و أن مينائي الليث و القنفذة مهيئان بكل ما يحتاجه ضيوف الرحمن، من سنابك و خيام، مع الأمن الوارف، الذي تشهده طرق الحج من ميئات السنين، و أن كل ما يهم الحاج الوافد لبيت الله : رجلا أو أمرأة مهيأ.

نموذج ذلك هاتان الرسالتان اللتان بعثهما للمسئولين في بعض البلاد الإسلامية :

١- الرسالة الأولى و هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية و ملحقاتها الرياض ١٦ شوال ١٣٤٣ هـ

عدد ١٤٨

من عبد العزيز بن عبد الرحمن أل سعود، إلى حضرة صاحب الفخامة و الاحترام، حاكم عدن لحكومة صاحب الجلالة البريطانية العظمى... دامت معاليه.

بعد أن أهدي حضرتكم مزيد التحية و الاحترام، أخبر حضرتكم بأنه قد سبق و أظهرنا لسعادتكم، رغبتنا الأكيدة لقبول من يفد على هذه البلاد من حجاج بيت الله الحرام، في الموانى التي تحت إدارتنا، و رجوناكم أنئذ أن تتفضلوا بإبلاغ من يهمه الأمر، و أن تتوسطوا بإيصال الخبر لحكومة الهند، هذا و في الوقت نفسه نخبر سعادتكم أنه قد تم الاستحضار اللازم في مينائي : الليث و القنفذة، من إحضار الزوارق و السنابيك، و ما يضمن راحة النازلين إلى البر من أسباب السكنى و وسائط النقل إلى مكة المكرمة، هذا علاوة على ما تتمتع به هذه البلاد من الأمن التام و السكينة، و الطمأنينة اللاتي يخيم فوق ربوع هذه الديار، الشرط الأول الذي يهم الوافدين إلى هذه الديار، وفق هذا كله قد أخذنا على أنفسنا أن نمد الوافدين إلى هذه البلاد بجميع الوسائل المتمكنة بكل ما يكفل راحتهم، و يسهل مبتغاهم في الحل و الارتحال، أرجو سعادتكم أن تتفضلوا و توصلوا الخبر لحكومة الهند كي تبلغه لمن يهمه الأمر من المسلمين أكون مسرورا أن تقبلوا صميم احترامي.

الختم

٢- **الرسالة الثانية و هذا نصها :**

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية و ملحقاتها ١٦ شوال ١٣٤٣ هـ

عدد ١٤٩

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن أل فيصل السعود إلى حضرة المكرم الأخ في الله : شوكت علي رئيس جمعية الخلافة الموفقة في بومبي المحترم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، أرجو لكم تمام الصحة والعافية ، بعده لقد وصل إلينا أخيرا خطاب من وكيلنا في عدن ، الحاج عبد الله أل فضل يذكر فيه أن جمعيتكم المحترمة ، سألت منه عما إذا كانت الموانى الحجازية : القنفذة و الليث ، و رابغ ، هن على استعداد من حيث وجود السنابك ، و الاستحضارات الضرورية لقبول حجاج الهنود في هذه السنة ، و قد أفادكم بما يقتضي ، و عليه أزيدكم بأن الموانى الأنف ذكرها و خصوصا مينائي القنفذة و الليث ، في الوقت الحاضر ، هن على أتم الاستعداد لقبول ما ينزل فيهن من الحجاج ، و قد توفرت في هذين المينائين جميع ما يحتاج إليه الحاج ، من الوسائط الضرورية ، كوفرة الزوارق ، و السنابيك في الميناء ، و ما يمكن حصوله من وسائط النقل ، من هاتين المينائين إلى مكة المكرمة ، من الجمال و الدواب و غيرهما ، زد عليه ، ما تتمتع به هذه البقعة من الأمن التام ، والسكينة و الطمأنينة ، بالشكل الذي لم تعهده هذه الديار من أمد بعيد ، هذا و نحن على أتم الاستعداد ، لإتمام راحة من يفد على هذه البلاد ، من حجاج بيت الله الحرام بجميع الوسائل ، هذا ما لزم و أرجوكم أن تقبلوا شكري

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته (١).

---

١) هاتان الوثيقتان مصدرهما كتاب : أصدق البنود في تاريخ الملك عبدالعزيز أل سعود ، لعبدالله الزامل ، الطبعة الأولى (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) و من كتاب عبدالعزيز أل

فالملك عبد العزيز – رحمه الله – الذي اهتم به رجال الغرب : ساسة و مفكرون ، و أعجبوا به بل و ألفوا عنه كتبا ، مع غيرهم من العرب ، ما كان ليحوز هذا القبول و يحظى بتلك المكانة إلا بديانته و شيمه ، فهو سلفي العقيدة ، بإخلاص يأسر من يتعرف عليه إلى الإعجاب به ، و من يستمع لأحاديثه إلى القناعة بما يتحدث عنه.

و ذلك لما منحه الله من صفات جعلت خصومه يحبونه ، كرجال الهاشميين الذين أساؤا إليه فعفا عنهم ، ممن أثبت أقوالهم فيه فهد و المعارك ، في كتابه من شيم الملك عبد العزيز.. تلك الصفات التي عرف مثلها في رجال السلف الصالح.

و قد ذكر عن واحد عرفه عن كثب ، بعضا عن صفات الملك عبد العزيز(1) ، التي أعطته مكانة في النبل و الوفاء و محبة الأخرين ، حيث قال : إنه رجل تقي عابد يقوم نصف الليل متهجدا ، متعبدا ربه ، و هو في الوقت ذاته شجاع مقدام ، عندما يجد ألا سبيل للوصول إلى غايته إلا الشجاعة ، و سخي لا يرى للمال أية قيمة ، في سبيل مجده و عزه ، و سمح لين الطباع ، يعامل بالعفو ، ما دام العفو يحول دون الانتقام ، و حازم صارم في بطشه ، عندما لا يفيد المعتدي إلا العقاب ، و البطش ، و متحدث مقنع ، باستطاعته أن يستولي على أفئدة المستمعين ببيانه الفصيح.

سعود ، و عبقرية الشخصية الإسلامية ، للدكتور : عبدالعزيز شرف ، و محمد إبراهيم شعبان ، الطبعة الأولى عام (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ص ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، و لعلهما استفادا من الزامل في ذلك ، و صور الوثيقتين بأخر البحث .

١) لمن يرغب الفائدة ، الاطلاع على هذا الكتاب ، و خاصة الجزء الأول .

كان هذا الوصف من رجل أمي ، لا يقرأ و لا يكتب – كما قال فهد المعارك المؤلف – إلا أنه صادق العهد ، وفي الوعد ، و هو شهم و تقي في أن واحد ، و مقياس الرجال عنده من خلال القيم ، التي يتمتع بها هو ، و هذا الشخص هو : فهيد مولى عبد العزيز المتعب الرشيد.

ثم قال فهد المعارك المؤلف : بأن فهيد هذا وصل حديثه عن فراسته ، قائلا : إن تلك الأخلاق السامية ، التي توفرت لعبد العزيز بن سعود ، سوف تمكنه من التغلب على من يعترض طريقه ، في توحيد أطراف المملكة ([1]).

و إذا أردنا الرجوع على ما جاء من الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة ، و تعريف هذه الموسوعة ، الذي أبنا من قبل القصور فيه.. لأن الوهابية ليست مذهبا و إنما ألصقت في العصر الحاضر ، بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للتنفير ، فالسلفية وجودها سابق للشيخ محمد بن عبد الوهاب و إنما هو مجدد لما أندرس من أثر السلفية في نجد ، و وضعوا هذا الاسم (الوهابية) بعد ما رأوا انتشار هذه الدعوة الواسع و محبة المسلمين لها ، و لأن هذه الحركة الدعوية حركت المسلمين في المستعمرات فوجدوا هذا الاسم (الوهابية) ثوبا جاهزا و مهيأ ضد هذه الدعوة ، فألبسوه دعوة الشيخ محمد لأجل خدمة أصحاب الأهداف و الغايات ، لأن رجال الكنيسة و الضالين في الفكر استاؤا من تبني المملكة : في حرص أئمة أل سعود ثم الملك عبدالعزيز ،

---

١) ينظر هذا الكلام في كتاب : من شيم الملك عبدالعزيز ، تأليف : فهد المعارك ، ج١ : ٩٨ ، ٩٩ ، الطبعة الأولى عام (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ، وكل هذا الجزء خصصه المؤلف عن وفاء عبدالعزيز بن سعود ، و إخلاصه و ما جعله الله له من قبول و محبة لديانته و عبادته و صدقه مع الله .

ثـم الملـك فيـصل ، في حماسـتهم للـدعوة بتـضامن المـسلمين و وحـدتهم ، و تبنوا : فكرا و عمـلا ، التـنفير مـن هـذه الـدعوة التـصحيحية الـتي قـام بهـا أولا الإمام محمد بن عبدالوهاب و الأئمة من أل سعود و قامت عليها دولتهم.

فتبنـوا بحماسـة مقولـة القـس سـيمون : إن الوحـدة الإسـلامية تجمـع أمـال الشعوب الإسـلامية و تـساعد علـى الـتملص مـن الـسيطرة الأوربيـة و التبـشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجـب أن نحـول بالتبـشير (التنـصير) ، اتجـاه المـسلمين عـن الوحـدة الإسـلامية لأنهـم يريـدون مـا يخـدم مصالحهم.

و السلفية بمفهومها المختصر : هي تنطلق من دلالة أية في كتاب الله و هي : (و الـسابقون الأولـون مـن المهـاجرين و الأنـصار و الـذين اتبعـوهم بإحـسان رضى الله عنهم و رضوا عنه و أعـد لهـم جنـات تجـري تحتهـا الأنهـار خالـدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) (١).

و من سنة رسـول الله صلى الله عليـه و سـلم بقولـه الكـريم : (خـير النـاس قرني ثم الذين يلونهم ثـم الـذين يلـونهم) (٢)، و مـن وصيته عليـه الـصلاة و السلام عندما خطب في الناس يوم عرفة في حجة الوداع فقالوا يـا رسـول الله : كأنها خطبة مودع فأوصنا ؟..

---

١) سورة التوبة ، الأية ١٠٠ .

٢) ينظر ما سبق في هذا البحث حول الوهابية ، و سبق تخريجه .

قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله و سنتي[١].

ثم مقولة علي بن أب طالب رضي الله عنه في القرأن: فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و هو حبل الله المتين و صراطه المستقيم، من تمسك به نجا، و من ضيعه خسر، إلى أخر ما قال فيه.

هذه الدلالة تعطينا اختصارا لمفهوم السلفية: بأنها (ما وافق كتاب الله، و سنة رسوله و جاء عن الصحابة و الثقات من التابعين في القرون الثلاثة المفضلة).

و ليست خاصة ببلد دون بلد و لا فئة دون أخرى و إنما بمن إلتزم و ثبت، و هذا ما حرص عليه العلماء و الولاة من أل سعود منذ بدأ العهد الأول للدولة السعودية منذ عهد الإمامين: محمد بن سعود و محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله، و تمسكهما بهذه الدلالة قولا و عملا.

---

١) أخرجه الخمسة البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، و جاء برواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، (خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا) أخرجه مسلم . ينظر في الوايتين جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ج٨ : ٥٥٠ .

الثالث : تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علما و عملا :

لقد بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب و الأئمة من أل سعود في الدور الأول من أدوار الدولة السعودية على تبليغ هذه الدعوة التي حرص الشيخ على تجديدها ببعث الرسائل إلى العلماء و الرؤساء و طلبة العلم في الجزيرة العربية ، ابتداء بمن حولهم في منطقة الدرعية و الرياض ثم اتسعت الدائرة بعد وسط الجزيرة إلى ما حولها ثم امتدت إلى الدول الإسلامية ، و ترسل مع الحجاج.. التي توضح المنهج السلفي الذي تنهجه هذه الحركة الإصلاحية لتطهير العقيدة و محاربة البدع التي تؤثر على سلامة التوحيد ، و هذه المكاتبات تأتي باسم الشيخ مفردة ، و تأتي أحيانا باسم الشيخ و الإمام من أل سعود ، و قد تأتي مع بعض النصائح و التذكير باسم الإمام أل سعود.. لذلك نذكرها باسم الشيخ في الأعم الأغلب.

إذ كتب لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبدالله العلوي الذي تجاوب مع الشيخ و تأثر بدعوته ، و قال كلمته المشهورة : أنا وهابي العقيدة ، مالكي المذهب كما أثبت ذلك المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان في كتابه : تاريخ أفريقيا الشمالية الذي ترجمه إلى اللغة العربية : محمد مزالي ، و البشير بن سلامه ، و هذا هو نصه كما جاء في الجزء الثاني : و كان سيدي محمد بن عبدالله العلوي و هو التقي الورع علم بواسطة الحجيج بانتشار حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب – التي سميت بالوهابية – في الجزيرة ، و تأييد أل سعود لها ، و قد أعجب بعباراتها و كان يؤثر عنه قوله : (أنا مالكي المذهب ، وهابي العقيدة) ، و هو يريد ما قام به محمد بن عبدالوهاب و لا يريد الوهابية المنتشرة عندهم في المغرب و قد أعجب بصرامتها.

ذلك أنه بعدما عرف عن هذه الدعوة و سلامتها ذهبت به حماسته الدينية ، إلى الأذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين ، و المحللة لمذهب الأشعرية ، و تهديم بعض الزوايا مثل زاوية بو جاد ([1]).

كما وجدت في دورية ألمانية رسالة بعثها الإمام سعود بن عبدالعزيز (١١٦٣ هـ - ١٢٢٩ هـ / ١٧٥٠ م – ١٨١٤ م) إلى (باي) و هو ملك تونس ، يشرح له فيها حقيقة دعوته في العقيدة و يدعوه إلى فهم التوحيد مستدلا بأيات كريمات من كتاب الله و أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و بين رسالته هذه ما يجب على المسلم بادئا بالأية الكريمة : (قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين) ([2]).

و قد جاء في بعض فقراتها هذه العبارة (إن الذي قام به شيخ الإسلام ، لا يقال له مذهب ، و إنما يقال له دين و ملة) ([3]).

كما كانا يبعثان – وأعني الشيخ محمد و الإمام عبدالعزيز بن محمد ، أو الشيخ محمد و الإمام سعود بن عبدالعزيز – كما جاء في الجزء الخامس : القسم الخاص بالرسائل الشخصية ، من مؤلفات الشيخ الإمام التي جمعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية و يلاحظ فيما اطلعنا عليه :

---

١) ينظر تاريخ أفريقيا الشمالية المنوه عنه ، ج٢ : ٣١١ ، و هذا الكتاب منقح عن الطبعة الثانية ، باسم الدار التونسية للنشر تونس ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢) سورة يوسف ، الأية ١٠٨ .

٣) مجلة إسلامية دورية ألمانية العدد الأول المجلد السابع (Islamica) ص٧٦ .

أن الرسائل تبعث خارج حدود نجد للعلماء أو الشخصيات البارزة أو القيادية في تلك البلدان، مثل: فاضل أل مزيد رئيس بادية الشام، و السويدي عالم من العراق، و إلى علماء الأعلام في بلد الله الحرام، و إلى عالم من أهل المدينة المنورة، و إلى والي مكة المكرمة، و رسالة إلى البكبلي صاحب اليمن، و رسالة إلى أهل المغرب، و أخرى إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني، و تبادل رسائل بينه و بين إسماعيل الجراعي صاحب اليمن، و غيرهم كثير، حيث تبلغ أكثر من خمسين رسالة.. و يستعمل أسلوبين: اللهجة العامية الدارجة مع العامة، و اللغة العربية الفصحى مع العلماء والحكام.

فقد كتب إليه إسماعيل الجراعي صاحب اليمن يقول: من إسماعيل الجراعي إلى من وفقه الله محمد بن عبدالوهاب: سلام عليكم و رحمة الله و بركاته، أما بعد: بلغني على ألسن الناس عنك ممن أصدق علمه، و ما لا أصدق و الناس اقتسموا فيكم بين قادح و مادح، فالذي سرني عنك الإقامة على الشريعة في أخر هذا الزمان و في غربة الإسلام، أنك تدعو به، و تقوم أركانه، فو الله الذي لا إله غيره، مع ما نحن فيه عند قومنا، ما نقدر على ما تقدر عليه من بيان الحق، و الإعلان بالدعوة.

و أما قول من لا أصدق أنك تكفر بالعموم، و لا تبغي الصالحين، و لا تعمل بكتب المتأخرين، فأنت أخبرني و أصدقني بما أنت عليه، و ما تدعو الناس إليه، ليستقر عندنا خبرك و محبتك.

فأجابه الشيخ بقوله: من محمد بن عبدالوهاب، إلى إسماعيل الجرعي، سلام عليكم و رحمة الله و بركاته.. و بعد:

فما تسأل عنه، فنحمد الله الذي لا إله غيره و لا رب لنا سواه، فلنا أسوة و هم الرسل عليهم الصلاة و السلام أجمعين، و أما ما جرى لهم من قومهم و ما جرى لقومهم فهم قدوة و أسوة لمن تبعهم، فما تسأل عنه من الاستقامة على الإسلام، فالفضل لله، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدأ).

و أما القول إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، و نقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

و أما الصالحون فهم عل صلاحهم رضي الله عنهم، و لكن نقول: ليس لهم شيء من الدعوة إلى الله، قال الله تعالى: (و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) ([1]).

و أما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا فنعمل بما وافق النص منها و ما لا يوافق النص لا نعمل به.

فاعلم رحمك الله أن الذي ندين به و ندعو الناس إليه، إفراد الله بالدعوة، و هي دين الرسل، قال تعالى: (و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) ([2])، فانظر رحمك الله ما أحدث الناس من عبادة غير الله فتجده في الكتب جعلني الله و إياك ممن يدعوا (إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين) ([3])، و صلى الله على محمد ([4]).

---

١) سورة الجن، الأية ١٨ .

٢) سورة البقرة، الأية ٨٣ .

٣) سورة يوسف، الأية ١٠٨ .

٤) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، الجزء الخامس الرسائل الشخصية، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

و إذا كان الملك عبدالعزيز – رحمه الله – في خطبه حريص على تطبيق المنهج السلفي، دعوة و عملا كما سار على هذا أسلافه في الدورين الأول و الثاني من الحكم السعودي، حيث يقول و هو أمام الحجاج في مكة: أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، و عقيدة السلف الصالح هي: التمسك بكتاب الله و سنة رسوله و ما جاء عن الخلفاء الراشدين.

و أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنها لأقوال الأئمة الأربعة فأخذ منها ما فيه صلاح المسلمين ([1]).

فإن أولاده من بعده، ساروا في نفس الطريق لأن الهدف السعي في صالح الإسلام من باب الاهتمام بأمور المسلمين و تلمس ما فيه مصلحتهم.

فهذا الملك سعود رحمه الله يقول: إننا نحن المسلمين لا نهدف بالدعوة إلى وحدتنا و جمع كلمتنا و توحيد صفوفنا شرا ولا عدوانا بأحد لأن الشر و العدوان ليسا من الإسلام في شيء إنما نهدف و نقصد بذلك ان يكون العالم الإسلامي في وضع قوي محترم ليساهم في رفع المستوى الروحي و الثقافي بين الأمم وفق الرسالة الإنسانية التي عرف بها الإسلام و قامت تعليماته على تحقيقها ([2]).

و كل منهم يركز على أهمية إتباع سنة من كان قبلنا من السلف الصالح في الأخذ بما جاء في كتاب الله و في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقديمهما على كل مبدأ و قول.

---

١) من خطبة له في الحج بعنوان هذه عقيدتنا .

٢) قالها في أحد المؤتمرات العربية .

و الملـك فيـصل رحمـه الله مليئـة كلماتـه في دول العـالم الإسـلامي و في المواسم و المؤتمرات بالمملكـة و غيرهـا بـالروح الإسـلامية الـسلفية ، كقولـه لـن يكون للإسلام و المسلمين مكانة تهفو إليها أمم الأرض إلا بتطبيق شرع الله في كـل بلـد إسـلامي ، و التحـاكم إلى الـشرع في حـل الأمـور لأنـه لا أحكـم و لا أعدل من حكم الله.

و الملك خالد رحمه الله يضع أملا كبيرا و رجاء بأن يتعـاون المـسلمون مـع المملكة في العمل الجاد و الجهد المضني على تخطي الصعوبات المعترضة لتطبيـق الـشريعة الإسـلامية الـتي لا فـلاح للمـسلمين إلا في التمـسك بهـا لتـنعم بهـا البشرية جمعاء ، مع نبذ الخلافات بين المسلمين ([1]).

و الملك عبدالله جاءت له كلمة في أحد المؤتمرات الإسلامية عندما كان وليا للعهد فيها قوله : إذا كان من حق كل دولة أن تطلب من مواطنيها الولاء فمن حق الأقليات المسلمة أن تعيش في سلام دون أن تفتن في دينها أو يحـال بينهـا و بـين ممارسـة شـعائرها ، أو تـسلب هويتهـا المتميـزة ، و لقـد كـان للمملكـة شـرف الـدعوة في أول مـؤتمر عـالمي ينعقـد في مكـة المكرمـة ليناقش أوضـاع الأقليـة المـسلمة و يـتلمس لهـا الحلـول المناسـبة ، ولا شـك أن اهتمـام مـؤتمركم بهـذه المشكلة على المستوى الجماعي و اهتمام كـل دولـة بهـا علـى المـستوى الفـردي كفيل بأن يوفر لهؤلاء الأخوة في الإيمان حقوقهم كاملة غير منقوصة بإذن الله([2]).

---

١) عن مجلة رابطة العالم الإسلامي ، و مجلة التضامن الإسلامي جمادى الأول عام ١٤١٠ هـ ، و جريدة الرياض ١١ ربيع الأول عام ١٤١٠ هـ العدد (١١٣١٢) .

٢) مـن كلمـة خـادم الحـرمين الـشريفين الملـك عبـدالله عنـدما كـان وليـا للعهـد في مـؤتمر القمـة السادس الإسلامي المنعقد في دكار بالسنغال عام ١٤١٢ هـ ، مجلة التضامن .

و عمل ولاة الأمر السعوديون بجهودهم و كلماتهم و حماستهم لخدمة المسلمين، و تلمس احتياجاتهم لشعورهم بالأخوة الإسلامية، و تفقد أحوالهم و العمل على ما فيه فائدة لهم على القاعدة الشرعية (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)، كثيرة: قوليا في المؤتمرات و المناسبات، و فعليا بمد اليد و تيسير التعليم لأبنائهم سواء في بلاده أو داخل المملكة كثيرة جدا، ولا ينسون مد اليد بسخاء في الكوارث و المناسبات.

و المنهج السلفي علميا الذي طبقته الدولة السعودية واسع مجاله و متعدد ميدانه، و جهود علماء المملكة بالفتوى و الكلمات و المساهمات واسعة و لها قبول عند أبناء المسلمين، و قد بدأها الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمجالس العلم في الدرعية بمسجد (الطريف) ثم تتابعت المساجد و مجالس العلم في المدن التي تعين فيها قضاة، فقد رتبت المجالس أولا بجلسات متعددة: بعد صلاة الصبح، و في الضحى، و بعد صلاة العصر، لأن الطلبة الوافدين لما تكاثر عددهم زاد العبء على المشايخ في الدرعية فاختار الشيخ مجموعة من كبار الطلبة النابهين للجلوس للتدريس.

كما كلف ولاة الأمر باقتراح من الشيخ: أن يحدد لكل قاضي جلسة عامة في أسواق البيع و الشراء، في ضحى يومي الإثنين و الخميس، يحضره أهل الأسواق التجارية و محلات البيع و الشراء، للقاضي في مكان ثابت و معروف ليلتئم الناس حوله: سماعا و سؤالا، ثم بعد الدرس خصص وقت لإجابة السائلين فيما يسألون عنه فصارت هذه المجالس يحضرها بعض البوادي و أهل القرى المرتبطة بالقاضي و القادمون للاستبضاع.

و ذلك للإجابة على السؤال المطروح : في العبادات و المواريث و الأوقاف و غير ذلك من الموضوعات التي تعن لكل فرد ، كما أن كل مسجد يكلف إمامه بالذكر و القراءة في أحد كتب الحديث ، على جماعته في أوقات : بين الأذان و الإقامة ، و بعد صلاة العصر ، إلى جانب تخول جماعته بالحديث لإفادتهم بين وقت و أخر.

كل هذه الطريقة بما فيها من بساطة هي طريقة السلفيين من أهل السنة و الجماعة بالتدريس و التوعية.

و لما كان كثير من طلاب العلم غرباء ، ولا موارد لهم ، فقد حضهم مشايخهم باديء الأمر بالعمل في المزارع و غيرها ليلا ، و ما يتحصلون عليه يعينهم على طلب العلم نهارا ، فشعر المجتمع و بحث من العلماء أن المجتمع في حاجة للترابط و التعاون ، للطلبة لتسهيل الأمور المريحة ، فبعدما بدأت الموارد المالية على ولاة الأمر تترى و تتزايد ، فقد خصصوا لكل طالب نفقة تعينه على التفرغ لطلب العلم ، لأهميته في بناء المجتمعات و في فهم الأمور الشرعية.

و بالتعاون مع الأهالي توفر السكن بغرف في بيوت بنيت لهم أوقافا.. سميت : بيوت الإخوان.

و المزارعون يجودون ببعض محاصيلهم ، و خاصة محاصيل القمح و التمر تبرعا منهم على طلاب العلم الوافدين إلى حلقات العلم في الدرعية ، ثم في أمهات المدن حبا في العلم و تشجيعا للتفرغ للعلم ، كما سعى القادرون على استيراد الكتب و وقفها.

و بعد تدمير الدرعية انتقلت الحركة إلى الرياض ، حيث تجمع فيها بعض العلماء ، فوفد عليها الطلاب لينهلوا من مجالس العلم و من كبار العلماء.

و قد انتقل من سمت به نفسه إلى الهند لدراسة علوم القرأن و التفسير ، و الحديث لدى السلفيين من مشايخ و علماء أهل الحديث في الهند لأن أهل الحديث : من أهل السنة و الجماعة ، فيسروا أمورهم و أعانوهم للرابطة العلمية ، و قد تعرفت في إحدى زياراتي للهند ، على المساجد التي تعلموا فيها و على الغرف التي أوقفها تجار من الهند بالتعاون مع تجار من أهل نجد و عرب ، على هؤلاء الطلبة.

و قد وجدت في مكتبة (بتنة) خاصة و غيرها من المكتبات في المدن الهندية عامة ، الكبيرة مثل دلهي و بومباي و بنارس كتبا نسخها علماء من نجد أيام دراستهم في الهند ، و مثل هذا في الشام بدمشق و القدس ، لدراسة و نسخ كتب الفقه الحنبلي.

و كانت أوائل الكتب التي طبعتها (حجرى – كما يسمونها) تأتي من الهند حيث يحضرها الطلبة بعد عودتهم ، و أولئك الطلبة هم كبار العلماء في نجد الذي حرصوا على تثبيت السلفية بمؤلفات علمائها ، أمثال الشيخ إسحاق أل الشيخ ، و الشيخ حمد بن عتيق و غيرهم.

و قد كانت بين الملك عبدالعزيز رحمه الله و علماء أهل الحديث رابطة قوية و كان من تعاونهم : أن أول ترميم في المسجد الحرام عهد فيه إلى شخصين من أسرة الدهلوي ، و بهذا التعاون كان أول تبليط للمسعى عرف في التاريخ ، أنفق عليه الملك عبدالعزيز ، و عهد الإشراف و التنفيذ لعبدالستار الدهلوي.

و قد بينت هذا التعاون و الرابطة في كتابي : رابطة ظفر علي خان و مسلمي الهند بالملك عبدالعزيز.

و لما كان أكبر تجمع إسلامي في الهند، حيث يوجد أهل الحديث و هم علماء سلفيون، فإن من المناسب إعطاء نبذة عن علاقتهم بالملك عبدالعزيز، و أهل الحديث يمثلون نسبة عالية من بينهم، و ليس كل المسلمين هناك من أهل الحديث، بل يوجد سلفيون من غير أهل الحديث، و تعود علاقة علماء الهند السلفيين و خاصة السلفيين من أهل الحديث بالملك عبدالعزيز إلى مسارين:

الأول: خلفيتهم عن أل سعود: بداية بالإمام محمد بن سعود، و الشيخ محمد بن عبدالوهاب، منذ ظهرت الدعوة السلفية و ما قاموا به و أحدثوه في الحجاز من إصلاحات و أمن أيام الدولة السعودية الأولى حيث عرفها المسلمون في كل مكان عن طريق النجاح و تأثروا بمنهجها و بدور قادتها الإصلاحي: إجتماعيا و إداريا و عقديا و دينيا، و مراقبتهم لتعاون الأعداء ضد هذه الدعوة في محاولة لإجهاضها قبل التوسع حيث تعاونوا و تضافرت الجهود حتى سقطت الدرعية في عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م)، و لكن الله أعادها ثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله (.... – ١٢٤٩ هـ /.... – ١٨٣٣م) ثم نهضت ثالثة على يد البطل المغوار الملك عبدالعزيز في عام (١٣١٩ هـ - ١٩٠٢ م) لأنها قامت على نصرة دين الله الحق و على منهج أهل السنة و الجماعة، و الله جل و علا تكفل لمن نصر دينه أن ينصره و يمكن

لـه في الأرض : (إن تنـصروا الله ينـصركم و يثبـت أقـدامكم) ([1]) ، و بحـسن التوكل على الله و الصدق التفت الجماهير عليه للوحدة الدينية و الوطنية حتى أسس دولة كبيرة ذات مكانة.

الثاني : ابتهاجهم بدخول الملك عبدالعزيز مع رجاله مكة المكرمة ، محرما عـام (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م) يـسبقه الرعـب الـذي مـلأ بعـض القلـوب ، و السرور من قلوب أخرى تريـد الخير لهـذا الـدين و أهلـه حتـى أن أولادهـم في الهند خرجوا للشوارع يهتفون : ملكنا عبـدالعزيز ، تـلا ذلـك استـسلام حامية المدينة المنورة بيسر و سهولة ، و خروج الشريف من جدة عـام (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م) كما ذكر هـذا الأمير سعود بـن هـذلول في كتابه (تـاريخ ملـوك آل سعود)، و حدد ذلك الحدث بيوم السبت ١٥ جمادى الأولى عام (١٣٤٤ هـ - ١٨ يوينو ١٩٢٥ م) و دخل الأمير محمد ، صباح الأحـد المدينـة فسار مـن فوره لمسجد رسول الله ([2]).

أمـا الزركلــي فـيراه في ١٧ ربيــع الأول ١٣٤٣ هـ ([3])، ذلــك أن الملــك عبدالعزيز سلفي من أهل السنة و الجماعة ، و أهل الحـديث في الـهنـد كـذلك ، فأعجبتهم دعوته السلفية و محاربته البدع و الخرافات.

١) سورة محمد ، الأية ٧ .

٢) تاريخ ملوك آل سعود ، للأمير سعود بن هذلول ، ج١ : ١٤٤ ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٣) شبه الجزيـرة في عهـد الملك عبدالعزيز ، ١ : ٣٣٣ الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، بيروت دار العلم للملايين .

و أهل الحديث في سبه القارة الهندية يخالفون غيرهم من بعض المسلمين في العالم، و في متابعتهم لأخباره، بان لهم أنه حامل لواء السلفية دعوة و تطبيقا، فرابطة عقيدة التوحيد تجمعهم تلك الرابطة التي يجمعها كتاب الله عز و جل، و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم الصحيحة، و حرص الجميع على محاربة كل دخيل على طهارة الإسلام حيث أزال البدع و حارب المنكرات و الخرافات و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و أمن الطرق و حرص على راحة الحجيج الوافدين على الديار المقدسة.

و كان بين الملك عبدالعزيز و علماء الهند رابطة متينة، إذ كان من حديثي مع نخبة من المشايخ في جمعية أهل الحديث لعموم الهند، المركز الرئيسي في دلهي، عرفت بأن لديهم مكاتبات مع الملك عبدالعزيز أيضا، و حبل المودة الذي يربط بين علماء الهند من أهل الحديث و السلفيين موصول، و هو الذي يربط الجميع بدين الله الحق و صفاء عقيدة التوحيد و العلم الموصل لذلك، و هذا يستمد من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، فكانت رابطة عقيدة التوحيد أقوى رابطة لأنها محبة لله و لدينه النقي، و هو ما جعل الوشيجة قوية بين الملك عبدالعزيز و المسلمين في العالم منذ وصل مكة، و لما كان أهل الحديث قد أدركوا منه هذا الاتجاه الصادق مع صدق الحديث، فقد كان أهل الحديث ذلك الوقت منقسمين كل بلد فيها أهل حديث، مثلا: أهل الحديث في دلهي، أهل الحديث في بومباي، أهل الحديث في حيدر أباد، و هكذا.

فقد كتب لهم يطلب اجتماعهم باسم أهل الحديث لعموم الحديث، و ترك الفرقة حتي ترسخ مكانتهم، و يكون لهم ثقل فدعوا بعضهم لاجتماع

كبير في مدينة (أمرتسر) و في مركزها ، فخرج عن اجتماعهم : التسمية السائدة اليوم التي تنبيء عن وحدتهم : (أهل الحديث لعموم الهند) و كبارهم يعتزون بهذا الاجتماع الذي هو ثمرة من نصائح الملك عبدالعزيز.

كما أن المهتمين من علماء الهند بدراسة حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم : شرحا و تأليفا ، عرفوا عن الملك عبدالعزيز محبته للعلم و نشره ، و خاصة ما يتعلق : بعلوم القرأن الكريم و علوم السنة المطهرة التي حرص على نشرها : طباعة و توزيعا و بذلا و مساعدة ، و إكرام العلماء ، و تقديرهم عندما يفدون إلى مكة المكرمة و الديار المقدسة.

فصاروا يهدونه بعض إنتاجهم ، نموذج ذلك الشيخ : محمد عبدالرحمن المباركفوري (١٢٨٣ هـ - ١٣٥٣ هـ) شارع صحيح الترمزي ، الذي سماه تحفة الأحوذي شرح جامع الترمزي ، فقد بعث في شهر ذي القعدة عام (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م) نسخة من الجزء الثالث من هذا الكتاب للملك عبدالعزيز ، كما بعث نسخا لبعض العلماء : الشيخ محمد نصيف ، الشيخ سليمان الصنيع ، الشيخ محمد بن عبدالرحمن أل الشيخ ، الذي كان يقرأه في درسه على المصلين و التلاميذ ، كما كان قد سبق أن بعث للملك عبدالعزيز المجلدين الأول و الثاني من هذا الكتاب مشروحا بتاريخ ٢٠ رمضان عام (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) فأجابه الملك عبدالعزيز برسالة رقمها ٩٣٥ بتاريخ ٢٠ رمضان (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) فكانت الصلة العلمية بينهما متواصلة ، حيث عرض عليه الملك عبدالعزيز أن يكون مدرسا للحديث بالحرم المكي ، إلا أنه اعتذر لزهده و قناعته و كبر سنه ، فأحب البقاء إلى أن توفى في بلده.

و كـان تلاميـذه الـذين بعـثهم الملـك عبـدالعزي للهنـد الـشيخ عبـدالله بـن يابس، و الشيخ محمد تقي الدين الهلالي.

و لا بد أن تتـوفي في مكتبـة الملـك عبـدالعزيز، بعـدما أضيفت للـدارة كتبـه هذه و غيرها من المؤلفات الهندية المتنوعة.

و كان علمـاء المملكـة يحبـون الاجتمـاع بعلمـاء الهنـد مـن أهـل الحـديث و يتناقشون معهم كمـا كـان مـن ثقـة الملـك عبـدالعزيز رحمـه الله بهـم أن كانـت طباعة الكتب الدينية التي على نفقته و خاصة منهـا: كتـب الفقـه و الحـديث و التاريخ و التفسير و غيرها تتم في الهند و بإشرافهم و في مطابعهم.

يقول عبدالعزيز الرفـاعي في بحثه المقدم للمـؤتمر العـالمي عـن تـاريخ الملـك عبدالعزيز المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية عـام (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م): بل إن الملك عبدالعزيز أخذ فعلا في مباشرة طبع الكتب قبـل دخول الحجاز، ثم استطاع أن يتوسع في مهمته بعد ذلك.

بل إننا نعجب حين نعلم أن جهود الملك عبدالعزيز كانت تمتد إلى أبعد من اتـصالات الـسيد محمـد رشـيد رضـا ([1])، و أبعـد مـن القـاهرة و أن المحـاولات الأولى كانت في الهنـد أو في بومبـاي علـى وجـه التحديـد، و صـلة نجـد بالهنـد أقوى من صلتها ذلك الوقت بغيرها من البلاد التي توجد فيها مطـابع و لـذلك كانت أول مطبوعاته في الهند.

و قال الرفاعي نقلا عن الشيخ حمد الجاسر: لعل من أقدمها: تاريخ ابـن غنام، روضة الأفكار لمرتاد حال الإمام، و قـد طبـع أول مرة في بومبـاي سـنة

---

١) كان محمد رشيد رضا، يطبع للملك كتبا في مصر، عند أنصار السنة المحمدية و غيرهم.

(١٣٣٢ هـ)، و ديوان ابن عثيمين ١٣٣٤ هـ، و قد طبعا على نفقة الإمام عبدالعزيز، و لكن لم يذكر فيها اسمه صراحة و إنما ذكرت فيه عبارة: (طبع على نفقة من مقصده الثواب من رب الأرباب)، بمعرفة الساعي في طبع هذا الكتاب عبدالمحسن بن مرشد.. و هذا الرجل من أسرة معروفة في الرياض، و كان يتردد على الهند و قد أورد من الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز ٩٨ كتابا في الهند ([1]).

و مدرسة دار الحديث: كانت من مشورة العلماء بالمملكة و الهند، بإيجاد مدرسة باسم دار الحديث مهمتها رعاية العقيدة الصحيحة و الابتعاد عن البدع و الدخائل على دين الإسلام مما هو بعيد عنه و داخل في مضمون الحديث الشريف: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) [٢].

و لكي تكون هذه الدار مركز إشعاع لتصحيح العقائد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حتى تكون معينة لإعادة صفاء الإسلام و تنقيته من الأمور المحدثة التي نهى عنها رسول الله.

فقد كان من حرص الملك عبدالعزيز، على مثل هذه الدار أن يتعلم فيها أبناء المسلمين الوافدين إلى مكة المكرمة و المدينة المنورة ليحيي بها حلقات المسجد الحرام التي كادت تندثر ليجدد العقيدة السلفية في منبعها: فهما و إدراكا و من المصدرين: كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم

---

١) يراجع بحث الرفاعي المذكور ص ٩،٨ .

٢ - رواه البخاري و مسلم و أبو داود عن عائشة رضي الله عنها

الصحيحة ، اللذين هما المنبع لعقيدة التوحيد السلفية ، و مصدر التشريع في دين الإسلام.

و لتتاح الدراسة فيها لأبناء المسلمين لكي ينفعوا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ([1]).

و من اهتمام الملك عبدالعزيز و العلماء معه في دراسة فكرة مدرسة لدار الحديث ثم الإنشاء قبل أن تفتتح المدارس في التعليم الابتدائي و حرصا بإعطاء مجالس العلم حقها و لإتاحة فرصة لأبناء المسلمين في كل مكان لينهلوا من نبع علوم السلف و ليقوموا بهذا الدور ، في بلادهم متى عادوا و هذا جزء من رسالة الدعوة التي حرص عليها الملك عبد العزيز و حسنة من حسناته نحو أبناء المسلمين في كل مكان و أبناء شعبه ، أيضا لييسر أمامهم فرص النهل ، من ينبوع الشريعة الإسلامية و حقيقة التوحيد.

و قد جعلها مبرة خيرية حيث و ضع في الاعتبار في هذه الدار أن يكون المدرسون

من خيار العلماء المسلمين ، السلفيين في كل مكان ، و الدراسة لأبناء المسلمين فيها ميسرة ، إذ في عام ١٤٣٠ هـ ، بها ما يزيد عن (١٥٠٠) طالب من ٤٢ جنسية و برامجها لجميع مراحل التعليم و هي مبرة خيرية ، له رحمة الله ، و يساعد فيها المشروعات الخيرية و قد نفع الله بها إذ تلاميذها فتحوا في

١) سورة التوبة ، الأية ١٢٢ .

بلادهم باسمها ، و وفق مناهجها و بعضهم كانوا دعاة و في مراكز هامة ببلادهم.

و دار الحديث بمكة هذه كان افتتاحها عام (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) و فكرتها من الملك عبدالعزيز ، فقد أمر باجتماع المشايخ برئاسة الشيخ عبدالله بن حسن أل الشيخ (١٢٨٦ هـ - ١٣٧٨ هـ) مع إمام الحرم الشيخ : عبدالظاهر أبو السمح (١٨٨٧ م — ١٩٥٠ م) الموافق (١٣٠٥ هـ - ١٣٧١ هـ) ولادته و وفاته بمصر و اجتمع معهم الشيخ : عبدالستار الدهلي من علماء الهند (١٢٨٦ هـ - ١٣٥٥ هـ) و الشيخ : محمد عبدالرزاق حمزة ، المتخصص في الحديث ، و استقدمه الملك من مصر ، و أصبح فيما بعد مديرا لدار الحديث الخيرية في مكة من عام ١٣٧٣ هـ إلى أن مرض حتى عام ١٣٨٨ هـ فتركها بعد اشتداد مرضه و كان استقدام المشايخ : محمد بن عبدالرزاق حمزة و عبدالظاهر أبو السمح ، و عبدالمهيمن أبو السمح رحمهم الله بمشورة من الشيخ : محمد رشيد رضا صاحب المنار (١٢٨٢ هـ - ١٣٥٤ هـ).

فتشاور الجميع حول الصيغة المناسبة لهذا الدار : فكرة و منهجا و هدفا و قدمت النتيجة للملك عبدالعزيز ، حيث وافق عليها ، و جعلها خيرية حيث تم إنشاؤها عام ١٣٥٢ هـ.

و الشيخ عمر بن محمد فلاته في ترجمته للشيخ : أحمد بن محمد الدهلوي ، مدير دار الحديث بالمدينة المنورة سابقا ، قال : أن الشيخ : أحمد قد اشتغل بنشر السنة و العقيدة السلفية في الهند ثم هاجر إلى المدينة المنورة قادما من الهند و درس بالمسجد النبوي بإذن الملك عبدالعزيز و سعى في تأسيس دار الحديث بمكة المكرمة و حث عبدالظاهر أبو السمح و من معه من علماء أهل

الحديث بمكة المكرمة على الاهتمام بها و قد ساعده على ذلك الحافظ : حميد الله الدهلوي و أخوة محمد رفيع : السلفيان و هما من كبار أثرياء الهند.

و أما دار الحديث بالمدينة المنورة التي كان تأسيسها عام ١٣٥٠ هـ بعد هجرة الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي و بإذن من الملك عبدالعزيز رحمه الله.

و شيخه في الهند نذير (١٣٢٠ هـ - ١٢٢٠ م) هو صاحب مدرسة : الحديث بالهند التي سعى خصوم السلفية بالهند لإغلاقها عام ١٣٣٨ هـ، و قد ازدهرت حركة السلفية و أهل الحديث في إحياء السنة بالهند، ازدهارا عجيبا بفضل الله ثم بجهود هذا الشيخ الذين انتشر طلابه في الهند و غيرها.

و للشيخ أحمد الدهلوي جهود طيبة في مدرسة دار الحديث بالمدينة المنورة التي أرادها أن تكون على منوال مدرسة الحديث بالهند التي تعلم فيها و أسسها شيخه : حسين الدهلوي.

و هذه الدار ثمرة طيبة من ثمار تعاون أهل الحديث في الهند مع الملك عبد العزيز و علماء المملكة لأن المعلمين يسيرون على منهج أهل السنة و الجماعة في العقيدة و يحرصون على تطبيق ذلك عملا و يتأثرون مع إخوانهم المسلمين، السائرين على هذا الطريق بذلك، رغبة غي إحياء السنة على وجهها الصحيح.

و هذا ما يجده المتابع لكلمات الملك ثم خطب و كلمات ابنائه من بعده، كل من موقعه و في مناسبته من تركيز على منهج أهل السنة و الجماعة في القرون الثلاثة المفضلة، المستمد من كتاب الله جل و علا و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم الصحيحة التي تلقاها صحابته الكرام بأمانة و صدق و

نقلها عن الصحابة الكرام خيار العلماء من التابعين و أتباعهم الذين اتبعوهم بإحسان و هؤلاء هم الذين يقال عنهم : السلف الصالح.

و من تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي : اهتمام الملوك من أل سعود بقضايا المسلمين و زاد هذا في الوقت المتأخر بتعليم أبناء و بنات المسلمين في المدارس و الكليات الشرعية و على المنح الدراسية رأفة بأحوال الفقراء و الغعانة في مدارسهم ببلادهم : كتبا دراسية ، و مرتبات بعض المدرسين و كتبا دينية و إعانات عينية و مالية.

كما أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله يستقدم أعدادا كبيرة للحج ، ضيوفا على الدولة و عمل هذا قبله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد و إخوانه من قبله فكانت المملكة بتوجيهات قيادة أمرها في عيون المسلمين : حصنا و ملاذا.

فالساسة يترددون عليها في أمور دنياهم تشاورا في بعض القضايا التي تطرأ و بحثا في الأمور التي تحدد المصير لتقوية الصلة و الإفادة في وجهات النظر و للإعانة في الحلول لبعض الأمور من منطلق التضامن السياسي.

و في كل ما يتعلق بالحرمين الشريفين يتكشف لكل مسلم تطأ أرض المملكة قدمه ، يرى الجهود الجبارة في الحرمين الشريفين التي يتوالى على تحسينها كل واحد بعد من سبقه ، خدمة ظاهرة للحرمين الشريفين و راحة للحجاج الذين يتضاعف عددهم : عاما بعد عام بالأمن و الخدمات و التحسينات و الرعاية أخذا من قول الشاعر :

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا   نحن الضيوف و أنت رب المنزل

و رعاية العاملين في المملكة و أغلبهم من المسلمين ليعيشوا كأنهم أفرادا من رعايا المملكة و من توفيق الله لمن جاء و هو على غير ملة الإسلام أن تعرف على دين الله الحق و بساطة و سماحة الإسلام بحسن التعامل و مع مكاتب الجاليات في كل بلد من بلدان المملكة فانفتحت نفوسهم و اتسعت صدورهم لمعرفة الإسلام الذي دخلوه عن محبة و قناعة و شعروا بالمودة التي فقدوها في بلادهم، تحوطهم العناية فكسبوا مع العمل الذي يرفع مستوى أسرهم المعيشي دفء الإسلام و بساطة السلفية و مودة أبناء المملكة و الأخوة الإسلامية التي تعتبر أغلا مكسب تحصلوا عليه في الغربة العملية بما بين تعاليم الإسلام و المنزلة الرفيعة لمن استقام على هذا الدين الذي يؤلف الله به بين معتنقيه كما قال سبحانه: (و ألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) ([1]).

---

١) سورة الأنفال، الأية ٦٣ .

الرابع : حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وصلتها بالدولة السعودية.

لقد أوضح الملك عبدالعزيز في استقبالاته العلماء والاعيان ، ايام الحج في كل عام ، عن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وعاضدها ال سعود في ادوار الدولة السعوديه الثلاثية.

وانها ليست حزبا ، ولا مذهبا خاصا او خامسا ، وانما هي دعوة تصحيحية ، لعقائد المسلمين وتنقية عباداتهم حتى تكون مقبولة عند الله ودعوة الى فهم الدين الحق باتجاه القلب في العقيدة الى الله وحده واخلاص العبادة له لان الله سبحانه طيب لا يقبل من الاعمال الا ما كان طيبا وقد مر بنا واحدة من من احاديثه للحجاج بمكه بعنوان هذه عقيدتنا [١] ، وفي عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) بعدما الغيت الخلافة الاسلاميه قصد جلالته وفود كثيرة اسلامية ، وابدى بعضهم امله في مبايعة الملك عبدالعزيز خليفة للمسلمين لانه الوحيد بين سائر الملوك وامراء وحكام المسلمين المؤهل لذلك لتوفير الصفات الشرعية فاعتذر عن ذلك لان خليفة المسلمين يجب ان ينفذ كلمته في سائر الاقطار الاسلامية كما هو الشان من قبل ولان معظم الاقطار الاسلامية تحت الاستعمار الاجنبي ولامور اخرى فانه يكتفي بما حققه الله له[٢].

١) كتاب المصحف والسيف ، لمحي الدين القابسي ، الطبعه الرابعه ، عام (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ص ٤٨ – ٥١ ، الناشر دار الصحراء السعوديه

٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٨ - ٥١

وقد تحدث الشيخ محمد عن عقيدته وتكلم عنها تلاميذه وهذه رسالة منه الى اهل القصيم لما سالوه عن عقيدته فاجابهم قائلا :

اشهد الله ومن حضرني من الملائكه واشهدكم اني اعتقد ما اعتقدته الفرقه الناجيه : اهل السنه والجماعه من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، بل اعتقد ان الله سبحانه وتعالى ، ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير فلا انفي عنه ما وصف به نفسه ولا احرف الكلم عن مواضعه ولا الحد في اسمائه وصفاته واياته ، ولا اكيف ولا امثل صفاته تعالى بصفات خلقه لانه تعالى لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه فانه تعالى اعلم بنفسه وبغيره واصدق قيلا واحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من اهل التكييف والتمثيل : وعما نفاه عنه النافون من اهل التحريف والتعطيل فقال : (سبحان ربك رب العوة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)[1].

والفقرة الناجية وسط في باب افعاله تعالى بين القدرية والجبرية وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيديه وهم وسط في باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئه والجهمية وهم وسط في باب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج.

---

١) سورة الصافات ، الآيات ١٨٠ – ١٨٢ .

واعتقد ان القران كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وانه تكلم به حقيقة وانزله على عبده ورسوله وامينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واومن بان الله فعال لما يريد ولا يكون شئ الا بارادته ولا يخرج شئ عن مشيئته وليس شئ في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ولا محيد لاحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

واعتقد الايمان بكل ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فاومن بفتنة القبر ونعيمه وباعاده الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوازن بها اعمال العباد فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم خالدون وتنشر الدواوين فاخذ كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله.

واومن بحوض محمد صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامه ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل انيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربه لم يظما بعدها ابدا واومن بان الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر اعمالهم واومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وانه اول شافع واول مشفع ولا ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الا اهل البدع والضلال ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال سبحانه : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)[1] وقال تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) [2]

---

١) سورة الانبياء ، الايه ٢٨ .

٢) سورة البقرة ، الاية ٢٥٥ .

وقال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى) [١] وهو لا يرضى الا التوحيد ولا ياذن الا لاهله واما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال سبحانه (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)[٢].

واومن بان الجنة والنار مخلوقتان وانهما اليوم موجودتان وانهما لا يفنيان وان المؤمنين يرون ربهم بابصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته.

واومن بان نبينا محمد صلى الله عليع وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته وان افضل امته: ابو بكر الصديق ثم الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل الشجرة اهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم واتولى اصحاب رسول اللع صلى الله عليه وسلم واذكر محاسنهم واترضى عنهم واستغفر لهم واكف عن مساويهم واسكت عما شجر بينهم واعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى: (والذين جاؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك غفور رحيم)[٣].

واترضى عن امهات المؤمنين المطهرات من كل سوء واقر بكرامات الاولاياء وما لهم من المكاشفات الا انهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا

---

١) سورة النجم ، الاية ٢٦ .

٢) سور الدثر ، الاية ١٤٨ .

٣) سورة الحشر ، الاية ١٠ .

ولا يطلب منهم مالا يقدر عليهم الا اللله ولا اشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني ارجو للمحسن واخاف على المسئ ولا اكفر احدا من المسلمين بذنب ولا اخرجه عن دائرة الاسلام وارى الجهاد ماض مع كل امام برا كان او فاجرا وصلاة الجماعه خلفهم جائزه والجهاد ماض منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم ا ان يقاتل اخر هذه الامة الدجال لا يبطلع جور جائر ولا عدل عادل وارى وجوب السمع والطاعة برهم وفاجرهم ما لم يامر بمعصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه وارى هجر اهل البدع ومباينتهم حتى بتوبوا واحكم عليهم بالظاهر واكلوا سرائرهم الى الله واعتقد ان كل محدثة في الدين بدعه.

واعتقد ان الايمان: قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعين شعبة اعلاها شهادة الا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وارى وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعه المحمديه الطاهرة.

فهذه عقيدة وجيزه حررتها وانا منشغل البال لتتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول وكيل [1].

١) لقد انتقل في رسالته هذه بعد ذلك الى بعض الاشخاص الذين افتروا عليه من هنا والاشياء التي افتروها عليه وبين بعضها .

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها ولم يأت اكثرها على بالي.

فمنها قوله: " إني مبطل كتب المذاهب الأربعة وإني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وإني أدعي الاجتهاد وإني خارج على التقليد وإني أقول أن اختلاف العلماء نقمة وإني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وإني أكفر من توسل بالصالحين وإني لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها وإني لو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب وإني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما وإني أكفر من حلف بغير الله وإني أكفر ابن الفارض وابن العربي وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين".

جوابي عن هذه الأسئلة أن أقول: " سبحانك يارب هذا بهتان عظيم وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور قال تعالى: (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)[1].

١) سورة النحل الآية: ١٠٥.

بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار فأنزل الله سبحانه في ذلك (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهو في ما اشتهت أنفسهم خالدون)[1].

وأما المسائل الأخرى وهي أني أقول لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله وإني أعرف من يأتني بمعناها وإني أكفر الناذر وإذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام.

فهذه المسائل حق وأنا قائل بها ولي عليها من كلام الله وكلام رسوله ومن أقوال العلماء كالأئمة الأربعة وإذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى.

ثم اعلموا وتدبروا قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)[2].

وهذه الأكاذيب كما ذكر الشيخ محمد في هذه الرسالة من سليمان بن سحيم فهو الذي قال عن هذه الأشياء علما بأن في هذا الجزء سبعة عشر رسالة(١٧) كلها يدافع فيها الشيخ عن عقيدته وبيان حقيقة دعوته ورد ما ألصق به من التهم وما خالف كتاب الله وسنة نبيه[3].

---

١) سورة الأنبياء الآيتين: ١٠١ - ١٠٢.

٢) سورة الحجرات الآية: ٦.

٣) مجموع مؤلفات الشيخ ، الرسائل الشخصية القسم الخامس جمع واصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ص: ٨- ١٣.

والـذي ينقـل هـذه الـتهم ويـشيعها بالمراسـلات مـن داخـل نجـد والأحـساء وكثيرون ذكرهم في تلك الرسالة وغيرها من رسائله فمنهم: ابـن فـيروز وابـن مطلق والمويس وابن عبيد وابـن سـلوم وغيرهـم فـصدقهم البعيـدون لأنهـم لا يعرفون الحقيقة وهذا من تحاسد العلماء والافتراءات لقصد الإساءة إلى الـشيخ ودعوته ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشـار إلى أن: (الـشيطان قـد أيـس أن يعبدوه المصلون ولكن في التحريش بينهم)[1].

فإنه يدخل في التحـريش الغيبـة والنميمـة والافـتراء والكـذب والحـسد وقـد تمثل أحد الشعراء لمثل هذه بهذا البيت بالنسبة لأذية الكـذب: لـي حيلـة في مـن ينم وليس لي في الكذاب حيلة

وقـد كـذب هـؤلاء عـلى الـشيخ أمـورا كـثيرة ويكتبـون بهـذا كلـه للأفـاق والبعيدون يصدقونهم لأنهم من البلاد القريبة مـن الـشيخ كـما يلاحـظ في كـل زمان ومكان على تأثير الأعلام في كثير من الأمـور إلى أن الله سـبحانه وتعـالى أيد دعوته بنصره وانتشر في أندونيسيا والهنـد والمغـرب العربـي وبعـض الـدول الأفريقية وغيرها وكان أكثر انتشارها مع الحجـاج الـذين نظـروا وسـمعـوا عـن قرب ومع نشر الكتـب والمـنح الدراسـية لأبنـاء المـسلمين وبنـاء المـساجد في كـل مكان تجلت لهم حقيقة هذه الدعوة وصدقوها وتأثروا بها ونقلوها لبلادهم.

ثـم بحمـد الله بعـدما وحـد الملـك عبـد العزيـز رحمـه الله الـبلاد واسـتقرت الدولة كـان لجهـوده وكلماتـه وجهـود أبنائـه في القـاءات والنـدوات والمؤتمرات

---

١) أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله رضـي الله عنـه، جامع الأصـول في أحاديـث الرسـول ج: ٢/٧٥٤ جمع وتخريج الأرناؤوط.

والاهتمام بشؤون المسلمين دور كبير في إدراك وقائع هذه الدعوة وأثرها في تصحيح كثير من المفاهيم.

والعقيدة في توحيد الله بالعبادة ويعتبر المغرب الأقصى أول من تفاهم هذه الدعوة حيث تناظر الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد في عام ١٢٢٦هـ في مكة المكرمة مع علماء المغرب ومفتيها كما ذكر الشيخ أبو العباس: أحمد بن خالد الناصري في تاريخه كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الذي حققه وعلق عليه ولداه جعفر الناصري ومحمد الناصري[1].

هذا الكتاب الذي ذكر فيه المناظرة بين الركب المغربي وفيه العلماء والمفتي مع الإمام سعود في مكة وما تركته من انطباع حسن على هذه الدعوة ونفي ماقاله المغرضون عنها وقناعة سلطان المغرب وأثر ذلك حيث نفى الإمام سعود الأكاذيب التي نسبت للدعوة والقائمين عليها كما يلي:

فقد جاء بالجزء الثامن قوله: وصول كتاب لصاحب الحاجز عبدالله بن سعود (الوهابي) إلى فاس النابغ بجزيرة العرب المتغلب على الحرمين الشريفين المظهر لمذهبه بهما.

وبدأ الحديث برؤيا نسبت إلى جده سليمان ففسرها له أحد المعبرين بأن: أحد أولاده يجدد دولة قوية فتحققت الرؤية في ابن ابنه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان فلما كبر محمد احترمه أهل بلاده وألف لهم قواعد وعقائد وهي عبادة الله واحد قديم قادر حق الرحمن يثيب المطيع ويعاقب العاصي

---

١) كان والدهما سلفي العقيدة شديد الإنكار على أهل البدع مندداً بالطوائف الصوفيه وكانت وفاته عام ١٣١٥هـ كما بأن من ترجمته في الاستقصاء: ١: ٩- ٥٤.

وأن القرآن قديم يجب إتباعه وأن محمدا رسول الله وحبيبه وأن الله تعالى حيث لم يرض بالإشراك سخره لهدي الناس إلى سواء الطريق ثم قال: ولما استولى ابن مسعود على الحرمين الشريفين بعث كتبه إلى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس إلى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته ولما وصل كتابه إلى تونس بعث مفتيها نسخة منه إلى علماء فاس فتصدى للجواب الشيخ العلامة الأديب أبو الغيض عنه بأمر السلطان وعلى لسانه.

قال صاحب الجيش: وذهب بجوابه ولده المولى إبراهيم بن سليمان حين سافر للحج قلت: والكلام للناصري: وهذا يقتضي أن كتاب ابن مسعود ورد السلطان المولى سليمان بالقصد الأول لا أن نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس والله أعلم.

وفي هذه السنة أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف ١٢٢٦هـ وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأفضل المولى أبا اسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة وكانت الملوك تعتنى بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما.

فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسني الرتبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة.

حكى لي صاحب الجيش : ان المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستحصب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضو مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان والبر والاحسان.

قال : حدثنا جماعه وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة انهم ما راوا من ذلك السلطان يعني ابن مسعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعه وانما شاهدوا منه ومن اتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهى عن المنكر الحرام وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والاثام التي كانت تفعل بهما جهازا من غير نكير وذكروا ان حاله كحال احاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا ركوب ولا لباس وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم اظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم وجلس معه كجلوس احد اصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي : ابو اسحاق ابراهيم الزداغي فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم :

ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنه المحمديه فاي شئ رايتمونا خالفنا من السن هواي شئ سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا.

فقال له القاضي : بلغنا انكم تقولون الاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى فقال لهم : معاذ الله انما نقول : كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه فهل في هذا من مخالفة قالوا : لا وبمثل هذا نقول نحن ايضا ثم قال له القاضي : وبلغنا انكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها

فقال: معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وادابها.

وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ويطلبون من الاموات ان تقضي لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبيه وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع الى الله تعالى ويسال الله تعالى المتفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به.

هذه قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعه فاي مخالفة للسنه في هذا لقدر.

ثم قال صاحب الجيش: هذا ما حدث به اولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سالناهم افرادافاتفق خبرهم على ذلك.

واقول: والقائل الناصري: ان السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئا من ذلك ولاجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على متفقرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنه والتغالي في البدعه وبين فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيراومن كلامه فيها ما نصه: من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمه ☹سبعه رجال) فهل كان لسبعه رجال شيعه يطوفون عليهم الى ان قال فعلينا ان نقتدي بسبعه رجال ولا نتخذهم الهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما ال اليه في يغوث ويعوق ونسرا وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر اصلها الغلو في التعظيم [كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ٨: ١١٩ – ١٢٤].

ومن صلتها بالدولة السعودية فان ال سعود بدء بالامام محمد بن سعود الذي تعاهد مع الشيخ على مناصرة الدعوة لان الدعوة لاي اتجاه في دين الله الحق لابد من مناصرتها بقيادة تتحمس لها وتدافع عنها بالقوة حتى تنتشر.

فما بالك بمثل هذه الدعوة التي مهمتها اظهار الدين الحق وفق كتاب الله وسنة رسوله وما سار عليه السلف الصالح من امة الاسلام في القرون الثلاثة المفضلة فانه لا بد من ولاية ترعاها ليجتمع مع قوة العقيدة في القلب التي يسندها ويقويها مصدرها الشرعي انها قامت لاظهار دين الله ونصر شريعته واقامة حدوده حسبما امر سبحانه وما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله.

ان هذا التعاون بين قيادة حاكمه مخلصه وبين دعوة شرعية مستندها نصر دين الله ، لابد ان تكون مع الصدق والنية والاخلاص ذات قبول وبروز وان اصدمت بمناوئين ومعارضين لان هذه سنهالله يمتحن بها عباده : (ليميز الله الخبيث من الطيب) [1] ، وقد تعهد جل وعلا بنصر من قام لاجل نصر دينه سبحانه ، واقامة شرعه فقال : (انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)[2] ، وقال : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)[3] ، وايات نصر الله لمن نصر دينه كثيرة في كتاب الله العزيز.

يقول ابن خلدون في مقدمته : ان الملك يقوم على ثلاث ركائز : عصبية قبلية وعصبية قومية وعصبية الدين فتذهب كلها ولا تعود ما عدا العصبية

---

١) سورة الانفال ، الاية ٣٧ .

٢) سورة غافر ، الاية ٥١ .

٣) سورة الروم ، الاية ٤٧ .

الدينية التي تقوم لنصرة دين الله واظهاره فانها تنتصر وتدوم وكلما ضعفت هيا الله لها من ينهض بها وهذا مشاهد ومستقر في السير التاريخية.

ويقول في موطن اخر: فصل في ان العرب لا يحص لهم الملك الا بصبغة دينيه من نبوة او لاوية او اثر عظيم من الدين على الجملة ووضح شيئا من ذلك بقوله: ان الدولة في اول امرها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب لانهم لم يالفوا ملكها ومع العصبية الدينيه فيرسخ في العقائد الدين والانقياد لهم [1].

والمراد بالعصبية الدينية: من قام لتكون كلمة الله هي العليا فان الله اذا علم من القائم صدق النية وايد الصدق هذا بالنية المخلصة والصبر فقد تعهد الله لمن يصدق بالنصر اما غير صاحب النبة الصادقة ان يبد له بغيره فقال ☹ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم)[2].

والخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقران فالسلطان اذا علم الله منه الصدق في العمل واقامة شرع الله اذا مكنه الله يوفقه ويجعل في عمله بركة.

وهذا ما يؤيد ما يحصل بين الامامين محمد بن سعود ، ومحمد بن عبدالوهاب بعدما تعاهدا على اقامة دين الله فقد جعل الله لها القبول وانتشرت دعوتهما في الافاق.

---

١) مقدمة ابن خلدون لديوان العبر ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون بمصر الحمزاوي شارع بيبرس .

٢)سورة محمد ، الاية ٣٨ .

وان كبت كما يكبوا الحصان فنها قد انبعثت من جديد على يد الملك عبد العزيز رحمه الله الذي يمد يديه الى ربه بالدعاء في جوف الليل طالبا منه النصر والتاييد فايده الله وقامت دولة في بلاده الواسعه التي جمع الله شملها على حقيقة التوحيد وهو اخلاص الله بالعباده ثم بحرصه هو وابنائه من بعده واحدا بعد الاخر في خدمة بيت الله الحرام وحراسة الاماكن المقدسه وخدمة ضيوف الرحمن ومساعدة المسلمين في كل مكان بالمساجد والدعاة والدعوة الى دين الله سبحانه والبذل لهم في الكوارث وغيرها وهذا من شكر الله على ما انعم به على هذه البلاد من خيرات حيث انتقلت من الفقر والنسيان الى مكانة تستحق الشكر: (واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم)[1] ، فكانت صلة الحاكم بالمحكوم فيها وفق شرع الله واقامة حدوده والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى والحرص على اداء الامانة في تتبع لاثار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للامام محمد بن سعود بعدما اتفقا على مناصرة هذه الدعوة التي لا تعطى ثمارا الا بقوة السلطان والصدق في العهد من الطرفين لانه ميثاق مع الله وعلى سنه رسول الله.

وهذا الميثاق بينهما ماهو: الا من اجل امر دين الله وما صدق احد في هذا الاتجاه الا جعل سبحانه له قبولا لانه هو مسبب الاسباب فكان من دعاء الشيخ للامام: بان يمكن الله الامر لذريته من بعده وهذا ما هو مشاهد الان لان الصلة منذ بداية الدعوة بين القوة السلطانية والقوة العلمية كانت صلة

---

١)سورة ابراهيم ، الاية ٧ .

سداها ولحمتها نصرة دين الله ولم تقم لاغراض دنيوية او مارب شخصية فتحصل بعد ذلك النفع للقريب والبعيد.

يقول احمد عبد الغفور عطار: لا شكان عصر ابن عبدالوهاب كان بالنسبة للمسلمين عصر التاخر والجمود والخمول وشيوع البدع والخرافات والوثنيات التي سيطرت على العقول عصر سيادة الغرب عصر ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم.

وكل اقطار الاسلام كانت تغط في الجهل والبدع ولم يسلم الحجاز وارض الحرمين من الخمول والبدع وانا ادركت اثار الخرافات والبدع ولم يسلم الحجاز وارض الحرمين من الخمول والبدع وانا ادركت اثار الخرافات والبدع الشائعه في مكة حرسها الله وقضى عليها صحو العقل الذي يعود الفضل فيه للدعوة (الوهابيه).

وراى ابن عبدالوهاب ما حل بالمسلمين وراى ما بنجد من الشرك والوثنية ولم تكن نجد خالية من العلماء بل كان فيها منهم عددد غير قليل في مدنها وقراها ولكنهم كانوا ضعفاء ومنهم من لم يفضلوا العامة في معتقداتهم الخرافية ومنهم من كانوا على بصيرة من امرهم ولكنهم لم يكونوا شجعانا ودعاة بل كانوا وعاظا محدودي الاثر.

ولكن ابن عبدالوهاب لم يكن مثلهم فقد كان عالما حقا وكان سلفيا صادقا في عقيدته ومنهجه وكان شجاعا وداعية وليس العلماء ورثة الانبياء في العلم وحده ولكن ميراث النبيين يتحلى في القيام باعباء الدعوةوالتبشير برسالاتهم واستقبال الاذى بعناد واصرار (وصبر)فيسبيل هداية البشر.

وهكذا لقي محمد بن عبدالوهاب الاذى والنفي والترشيد وصابر وصبر حتى مكن الله له بقيام دولة في نجد تطبق شريعه الاسلام حق التطبيق وتعيد للاسلام عزته والى المسلمين كرامتهم التي ضيعها الجهل وكان محمد داعية حقا فارسل الكتب الى الحكام والعلماء يعرض عليهم دعوته ويطلب اليهم الاصلاح العام والقيام بتغيير المنكر ومحو البدع والاعتصام بالكتاب والسنه.

وقام هو نفسه بزيارة بعض الاقطار والمدن: كالاحساء والعراق ومكة والمدينه وارسل رسله الى بعض البلدان: يعرضون دعوته ويبينون حقيقتها وصحا العلماء على دعوة ابن عبدالوهاب كما صحا الحكام والشعوب فمنهم ابدا ومنهم من قاوم وحارب والصحو الذي انبعث في الشعوب افادها فانصار الدعوة افادوا من حيث اقرار الحق وخصومها افادوا ان الدعوة دفعتهم الى الدراسه والتحصيل وتوسعه نطاق اطلاعهم وثقافتهم ليقابلوا دعوة الشيخ بردودهم عليها وعلى صاحبها واتباعه.

ولم يقتصر اثر الدعوة في الجزيرة العربية بل امتد الاثر الى العالم الاسلامي كله فالحرمان كانا في حماية الحكام من ال سعود وكان الحجاج الذين يفدون من مختلف ديار الاسلام يرون في ارض الحرمين مكانا للحياة الاجتماعيهالاسلامية جديدا لم يعهدوه في بلداتهم ولا في علمائهم ولا في حكامهم.

فالحياة الاجتماعيه تسودها العدالة والاخلاق الكريمة والصفاء والعلماء سلفيون متمسكونبدينهم ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمبادرة الى الصلاة في الجماعه واغلاق المتاجر قبيل اوقات الصلاة والتنزه عن الغش

والتدليس في العقـود لا يخافون غير الله والحكـام صـالحون وهـم والعلمـاء يـد واحدة في الخير ولسان واحد في الدعوة الى الله وقلب واحد في الخشية منه.

وكـان بـين الحجـاج علمـاء وحكـام ورجـال فكـر وثقافـة وعلـوم عـصرية واعجبهم الرجوع الى الاسلام الحق فراوا دولة الاسلام الحق واخـلاق القـران واداب السنه فاعجبوا بها كل الاعجاب ونقلوا مـا راوا الى شـعوبهم وبلـدانهم وتـزود العلمـاء مـنهم البعـد عـن التـدليس والغـش في العقـود والبيـوع وصـون اللسان عن السباب والفحش.

فتزود العلماء منهم بالدعوة ولما عادوا الى بلدانهم نهضوا باعبائهـا لكـنهم صـدموا وقـاومهم علمـاء امثـالهم وقـاومهم الحكـام لان الحركـة الاسـلامية الجديده تنـذر الظلـم: ظلـم العلمـاء والحكـام وظلـم التجـار والموظفين الظلـم بكل ضروبه.

واذا كان الدعاة قد اصطدموا مـع الجـور والفساد في الـسلطة والمعتقـد فقـد وجدوا اتباعا ايضا وايقظ الاصطدام النائمين فصحوا وصحت عقلياتهم.

وكل الدعاة وحركات الاصلاح الـذين اعقبـوا ابـن عبـدالوهاب تـاثروا بـه ونهوضـهم يـدي لهـذا المصطلح الاكبر الـذي جـدد شـباب الاسـلام في وقـت بلغت شيخوخته حد الخرف والهذيان [1]

وقد نقل كثير مـن البـاحثين والمؤرخين مـنهم: عبـدالله الرويشد في كتابـه: محمـد بـن عبـدالوهاب في التـاريخ كثيرا مـن اراء العلمـاء والبـاحثين مـن عـرب

---

1) ينظـر صـقر الجزيـرة تـاليف احمـد عبـدالغفور عطـار ، الطبعـه الرابعـه (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م)ج١: ١٢٥ – ١٢٨ ، وفيه ايضا نماذج عن انتشار الدعوة في ديار المسلمين ودولها لراغب الفائده والتوسع .

وغـربيين الـشئ الكـثير ومـن ذلـك قولـه : جـاء في دائـرة المعـارف البريطانيـة : الوهابيـة اسـم لحركـة الـتطهير في الاسـلام واتباعهـا : يتبعـون تعـاليم الرسـول وحـده ويهملـون كـل سـواها واعـداء هـذه الـدعوة هـم اعـداء الاسـلام الصحيح[1].

ومـن اثنـى علـى الـشيخ واثـره ودعوتـه التـصحيحيه ولا يحـصون.. وهـذا البحث يقتضي الاشارة والاختصار.

---

١)ينظـر كتابـه هـذا الناشـر عيـسى البـابي الحلـبي وشـركاه ، القـاهرة (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)ج٣٦٣:٢ ، كله اراء العلماء ورجال الفكر في الشيخ واغلبهم غربيون .

الخامس: اثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني:

المنهج السلفي ليس حزبا سياسيا ولا تجمعا قبليا ، ولا تالفا طائفيا بنعراته الممقوته التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (دعوها فانها منتنه هذه الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سببها كما جاء عند البخاري ومسلم بسندين الى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال الانصاري: يا للانصار وقال المهاجري ياللمهاجرين فقال رسول الله: (ما بال دعوى الجاهلية) فاخبر وقال كلمته هذه)[1].

فليس في الاسلام حمية الا لدين الله ولا حماسة الا للدفاع عن حرمات الله ولا غضبه الا عندما تنتهك حدود الله ، وهذه الامور ترتبط باحاسيس القلب وتتحرك معه مشاعر الانسان حيث تهتم بهذا المنهج كل مسلم حريص على كمال ايمانه وحسن اتباع شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيعرض الامر على شرع الله من مصدريه التي هي سمة منهج السلف الصالح.

فتنقية جانب العقيده وتطهير الاعمال من الاسائه لجناب التوحيد والاخلاص في العمل بان يكون المراد بعوجه الله تعالى ولا يصرف منها لغير الله اشياء مهما صغرت واحتقرها الانسان كما في حديث صاحب الذبابه لانه ارتاح قلبه بتقديم ذبابه لصاحب قبر فدخل النار بذلك.

---

١)اورده البخاري في تفسير القران الكريم برقم (٤٩٠٥)ومسلم في البر والصلة برقم (٢٥٨٤) متفق عليه .

فاهل السنه والجماعه وهم (السلفيون) منهجهم المستمد من كتاب الله وسنه رسول الله ترتبط جميع اعماله بالنيه الصادقه التي محلها القلب كما هو التعريف بالايمان: بانه قول باللسان وتصديق بالجنان (وهو القلب) وعمل بالاركان التي هي جوارح الانسان فلا يخالف أي عمل ما وقر في القلب ويحرصون على تمكين هذا بتطبيق حديث عمر بن الخطاب رضي الله عننه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى) الحديث [1].

ومفهوم السلفيين كما هو منهجهم في التعامل مع الله ومع البشر الوضوح والصدق في النية ويعتقدون ان كل عمل مع اخوانهم يراد به وجه الله لانه سبحانه يعلم السر والنجوى ويعلم ما تكن الصدور ويراقبونه سبحانه في التعامل مع غيريه صدقا في الحديث وامانة في التعامل واجتنابا لما يخالف شرع الله سبحانه سرا او جهرا حتى في تعاملهم مع من يخالفهم في الدين والجنس ويتقربون الى الله باي عمل مع الناس او عباده مع الله بما يحبه ويقربهم اليه بالصدق والصبر والله يحب الصابرين ويحب الصادقين وبالاحسان اللى الناس وغيرهم حت الحيوانات والله يحب المحسنين فكل ما يحبه الله يحرصون عليه ويحبونه ويشكرون الله على ذلك لذا يشكرهم الاخرون علىـت هذا التعامل الذي ينعكس اثره على الانتماء الوطني وعلى التالف بين ابناء الوطن وبينهم وبين ولاة امرهم.

١) رواه البخار ومسلم .

والمنهج السلفي بما فيه من حسنات اختاره اهل السنه والجماعه لانه يحدد العلاقة مع الله باتباع دينه الحق بالاعمال والوجدان فالوجدان بالعقيدة الصافية من كل ما يخدش جناب التوحيد في القلب لانه المخاطب واللب والعقل هما موطن الاحساس المقصود بالمخاطبه في كتاب الله للبشرية اللتي كلفت على السنه الانبياء من الله سبحانه لكي يعقلوا ما جائهم من تشريع وليستعملوا حواسهم في التمعن لما القى اليهم من تشريع فيتبعونه امتثالا ويطبقونه عملا كما يحب الله حيث جاء في الحديث القدسي: (انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه) [1].

وما خالف النصوص فهو عمل مردود على صاحبه عندهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم محذر من البدع: (من احدث في امرنا ماليس منه فهو رد) [2]. يعني: مردود على صاحبه لان الله سبحانه طيب لا يقبل من العمل الا ما كان طيبا والاعمال بالنيات كما في حديث عمر بن الخطاب الذي مر انفا وهو وارد في الصحيحين مطولا.

فالسلفيون يحرصون في منهجهم الايماني على حسن الماخذ في العمل والتوقي مع السؤال في العقيد\ه لانها تعامل مع الله سبحانه في تتبعهم للاثار وتنقيتهم للاعمال ويتواصون بذلك في اخوة دينيه وتعاون على البر والتقوى

١) اورده مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقاق وفي نسخة باب تحريم الرياء برقم (٢٩٨٥) ويسميه المحدثون حديثا قدسيا .

٢) رواه البخاري ومسلم وابو داوود عن عائشه رضي الله عنها ينظر جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير تحقيق ونشر عبدالقادر الارناؤوط ج١ : ٢٨٩ عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

وتناصح وتشاور فيما بينهم وفق شرع الله في امر بالمعروف وحسن الحديث ونهيهم عن المنكر وفق الادله الصحيحه وفق ارشاد يلامس اوتار القلوب خصال تربطهم باخوانهم ليتصافوا ويتحابوا في تمسك بهذا الانتماء واهتمام بالاخوة الايمانيه لان من لم يهتم باموالمسلمين فليس منهم وارادت وجه الله في كل عمل سواء مع ولاة الامور ونصح للاخرين او فيما يعود على الوطن انتماء ومحبة له.

كما قيل في ان حب الوطن من الايمان وجاء في كشف الخفاء عن العجلوني بانه يجري على السنه بعض الناس بانه لم يصح وقال الصاغاني موضوع وجاء في المقاصد لم اقف عليه ومعناه صحيح ورد القارى قوله بان معناه صحيح بانه عجيب قال اذ لا تلازم بين حب الوطن وبين الايمان.

ولكن انتصر له بعضهم بانه ليس في كلامه انه لا يحب الوطن الا مؤمن وانما في ان حب الوطن لاينافي الايمان.

كذا نقله القاري ثم عقب عليه بانه لا يخفى ان معنى الحديث حب الوطن من علانة الايمان وهي لاتكون الا اذا كان الحب مختصا بالمؤمن فاذا وجد فيه وفي غيره لا يصح ان يكون علامة الا ان قال والاظهر في معنى الحديث ان صح مبناه ان يحمل على المراد بالوطن : الجنه فانها المسكن الاول لادم عليه السلام على خلاف فيه انه خلق فيها او ادخل فيها بعدما اتم او المراد مكه لانها ام القرى وقبلة العالم.

او المراد به الوطن المتعارف عليه ولكن بشرط ان يكون سبب الحب صلة ارحامه فيه او احسان الى بلده من فقرائه وايتامه ثم التحقق انه لا يلزم من كون الشئ علامة له اختصاصه به مطلقا بل يكفي غالبا.

الا ترى اللى حديث حسن العهد من الايمان وحب العرب من الايمان مع انهما يوجدان في اهل الكفر ثم قال ويدل على ان المراد به مكه ما روى ابن ابي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي صلى الله علي وسلم وبلغ الجحفه اشتاق على مكه فانزل الله (ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد) [1] يعني الى مكه.

وكل هذا من المحبة الوطنيه التي تستلزم الانتماء الوطني.

ثم اورد حديث اصيل لما قدم من مكه الى المدينه وسالته عائشه رضي الله عنها عن مكه وكيف تركها فمدحها وفيه فقال له رسول الله: (حسبك يا اصيل لاتحزن وفي رواية تدع القلوب تقر) وكل هذا من المحبه الوطنيه المقرونه بالمنظور الشرعي تطبيقا وسلوكا لان مكه وقر حبها في قلبه مع وجدان عائشه وكل من هاجر [2] .

وما ذلك الا انالمنهج السلفي الذي كان هو ادب الصفوة من امة محمد صلى الله عليه وسلم حيث مدحهم رسول الله بالخيريه لانهم من القرون الثلاثة المفضلة قد تاصل هذا المنهج بما توارثوه علما وتوثيقا وورعا وخشية لله مخافة الوقوع في الحرج يزين ذلك ما ثبت في سير رجال الحديث والعلوم الشرعية منهم عبادة وخصال حميده تمثل العداله فكانوا ياخذزن علمهم خيارا من خيار مما اهلهم ليكونوا ثقاتا مؤتمنين يقتدى بهم.

---

١) سورة القصص الاية ٨٥

٢) كشف الخفاء للعجلوني ج١ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ الطبعه الثالثه سنه ١٣٥١ هـ دار احياء الترث العربي .

ولذا يحرص كل من جاء بعدهم وانتمى الى منهجهم ان يترسم خطاهم وان ياخذ عنهم بنفس الطريقة التي اخذوا بها عمن قبلهم تشبها وقدوة كما قال ابن الصلاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

وهم يهتمون بخصال حميده بينها الله في كتابه من حيث الاخوة التي امر الله بها : (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) [1].

ويتخلقون باداب مستمدة من فهمهم لدلالة ما جاء في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ادبه ربه فاحسن تاديبه وكان خلقه القران فيشعرون انهم المخاطبون بقول الله تعالى : (يايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابذوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ، يايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم) [2].

فالمنهج السلفي يزكي الانتماء الوطني لانه ادب واخوه وعمل فالادب والاخزه ماخوذه من هذه الايات الكريمات وغيرها مما يدعوا الى مكارم الاخلاق والله يحب مكارم الاخلاق.

---

١) سورة الحجرات الاية ١٠ .

٢) سورة الحجرات الايتان ١١ ، ١٢

فكلما وقر في اذانهم شئ فيه توجيه كريم في كتاب الله او سنه رسوله او اعمال الصحابه هم السابقون الاولون وفهمه من جاء بعدهم من التابعين قالوا سمعنا واطعنا واهتموا بالتطبيق وتعليم من لا دراية له بالرفق وحسن الادب في العرض لاي فرد انجذب للاخوة الدينية من أي جنس وباي لغة : (انما المؤمنون اخوة) ، لان المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه خاصة لان شعائر الدين تجمعهم والسلام والدعاء اول وشيجه يربطهم ويؤاخي بينهم.

اما الاخوة العقدية بتوحيد الله في القلب والعمل فهي جاذب وجداني جعله الله مؤلفا بين القلوب بدون مطمع مادي او بحث عن منافع ذاتيه لان اخوة العقيده اقوى من اخوة النسب فاذا اتفقت العقيدة مع الانتماء الوطني تحققت المصلحه المرجوه.

واما العمل فانما بينه الله في القران الكريم وما جاء في سنه رسول الله من تشريع وعبادات وما يدعى للعمل به ومالا يصح العمل به وما يباح وما يحرم وغير هذا مما بينته شريعة الله في الكتاب الكريم او ما بلغ رسول الله ثلى الله علي وسلم الامة به فان الالتزام فيه بين بقول الله : (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [1].

فالمنهج السلفي متلازم مع الانتماء الوطني في كل امر شرعي امرا يتبع ونهي يجتنب يقول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا

---

١) سورة الحشر الاية ٧

ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم)[1].

ولا شك ان كل سلفي او من ينتمي الى وطنه يرنو الى الجنه ، فمن كثير من النصوص الشرعية يبرز المنهج السلفي بادراك ان لديه قانونا ربانيا فوق القوانين الارضيه التي وضعها البشر ومحبة جمعت بين القلوب لانها ومن اجل نصر عقيدة التوحيد وانما ياتي في تشريع الاسلام من اوامر فهي ملزمه بالعمل وما يخفى دليله يجب سؤال اهل العلم لقوله تعالى: (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[2].

وهذا ما يدركه السلفيون في منهجهم التربوي والمواطنون في انتمائهم الوطني لما في ذلك من حفظ للمجتمعات من الضياع بمراقبة ذاتية من كل فرد مسلم سلفي ومواطن غيور حتى لا ينفتح باب يدخل معه المغرطون فقد جعل الله السلفيين صمام امان لفهم الامور للتطبيق في النفس لانهم ميزان عدل بين التفريط والافراط ويشعر الفرد منهم بالانتماء للوطن فيحافظ عليه ولا يتعدى على غيره شاعرا بقوة الوازع الايماني من حيث الانتماء للوطن والتعاون ضد من يريد الاخلال بامنه او زحزحه محبته من القلوب والالتزام مع ولاة الامور التزاما بحفظ العهد ودفاعا عن الوطن ومكتسباته لان النيل منه نيل من الجانب الديني حيث انه لا قدر الله لو اتيح لعدو قريب او بعيد ان ينال من كرامة الوطن وامنه فانه ينثلم جانب من الاستقرار الذي يفتح للاعداء مجال يسئ الى

---

١)اخرجه مسلم في كتاب الايمان برقم (٥٤)

٢) سورة النحل الاية ٤٣

الدين ولا يتخلخل الانتماء الوطني الا مع الثورة الثغرة التي اتيح لها ان تعين اعداء الامة على النفاذ منها وقد حكى الله عن ملئ من بني اسرائيل بطلبهم من نبيهم ان يبعث لهم ملكا يدافع عن ديارهم وابنائهم وهذا انتماء وطني[1].

وقد جاء في تفسير الطبري على سورة التكاثر ما يدل على اهمية الانتماء الوطني فقد قال على الاية الاخيرة: (ثم لتسئلون يومئذ عن النعيم)[2] ، اختلف اهل التاويل في ذلك النعيم ما هو؟. فقال بعضهم هو الأمن والصحة، وأورد بالسند عن عّباد بن يعقوب المتسلسل إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال: (الأمن والصحة) وبهذا قال كثير من العلماء، ذكر الطبري منهم: الشعبي ومجاهد، وسفيان، وابن عباس ([3]).

ولأن الانتماء الوطني منهجه يقتضي: السمع والطاعة لولاة الأمر، وعدم منازعتهم الأمور، فإن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يجب التأدب معهم، والرجوع إليهم في كلّ أمر هام بنفس راضية مطمئنة، لأن الحق لا يخضع للأهواء ولا للمزايدات.

والعلماء السلفيون هم أشدّ الناس حرصاً على التّثبت، وهم صمام الأمان عند مراقبة الله في الأداء، لحرصهم على الأمانة العلميّة، وأدائها على وجهها خوفاً من عقاب كتمان العلم، ولحرصهم على حفظ الأمانة، ورعاية الضرورات الخمس: الدين والنفس والنّسل والمال والعقل([4])، التي بمراعاتها

---

١) تقرا الايات (٢٤٣ ، ٢٤٦) وما بعدها من سورة البقرة .

٢)سورة التكاثر الاية ٤

٣) تفسير الطبري، ج ٢٤ : ٦٠٣.

٤) يراجع في هذا الموافقات للشاطبي ج٥ : ٢.

والتعاون بين أصحاب المنهج السلفي، والمهتمين بالانتماء الوطني، يتحقق للأمة الشيء الكثير: تعاوناً ومحبة وأمنا ورخاء.. وغير ذلك من المكتسبات التي تتطلع إليها النفوس، كما حصل في عصور الإسلام المزدهرة: دينياً واجتماعياً، وتقارباً في الأمور كلّها، وصفاء في النفوس، بمثل ما وصّى به الرسول الله الجار لجاره، حتى ظن الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيورثّه، وهذا كله من الآثار الطيّبة، بين المنهجين، وجاء في صحيح مسلم ما يثبت التلازم الوطني، بالسمع والطاعة لولي الأمر، وعدم منازعته، وعند المحدثين أيضاً، في باب الفتن منها: (من مات وليس في عنقه بيعة لولي الأمر، مات ميتة جاهلية) وآخر (من جاء لبفرّق جماعتكم، وأمركم بينكم فاضربوا عنقه)، وأحاديث الفتن التي روى أكثرها، حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مبسوطة عند المحدثين، رسم فيها رسول الله ما يجب على الأمة عمله عندما تبرز الفتن.

ومن اهتمامات ملوك آل سعود، لأنهم سلفيون: خدمة الإسلام والمسلمين المستمرة كرعاية الحج وخدمة ضيوف الرحمن، وتوسعة الحرمين الشريفين، وتطوير الخدمات للأماكن المقدسة، والعناية بها، وتنظيم العمرة، الاهتمام بنشر الإسلام، وبناء المساجد في

العالم والمراكز الاسلامية ودعم التعليم في الدول والمجتمعات الاسلامية وتوفير المنح الدراسية لابناء المسلمين والمساعدات الاغاثية وتوزيع لحوم

الهدي والاضاحي على فقراء المسلمين في ديارهم ودعم القضايا الاسلامية بما فيها الاقتصاد [1] ،

لانهم يشعرون بالاخوة الاسلامية فتراهم يسعون لمصالحهم لان الله استرعاهم شؤون الحرمين الشريفين واخذوا على انفسهم اراحة ضيوف الرحمن وخدمتهم.

ولما بان للمسؤلين من المملكة علماء وحكام ما يعتري بعض طبعات المصحف الشريف من اخطاء وعدم الرعاية الكامله راوا ان تتبنى المملكة وفي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الاهتمام بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه فاوجدوا هيئة كاملة لهذا الغرض بكامل الاستعدادات المطلوبه والعناية الفائقه وهذا الموضوع يحتاج توضيح اشمل ولكن يكفي الاشارة الا ان انتاج المجمع زاد عن ٢٤٣ مليون نسخه من القران الكريم حتى جماد الاول عام ١٤٣٠ هـ مع الترجمة الى خمسين لغة موزعه كما يلي : (٢٤) لغة اسيويه. ١٤ لغة افريقية ، ١٢ لغة افريقيه ، مع ترجمته الى لغات الاشارات وتوزع جميع اصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على المسلمين في الحج وفي ديارهم بواسطة السفارات السعوديه مجانا [2] ، والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.

---

١) يراجع في مثل هذا منشورات كثيرة منها كتاب الملك فهد بن عبدالعزيز في خدمة الاسلام والمسلمين خلال عشرين عاما الاصدار الرابع عام ١٤٢٠ هـ الناشر رابطة العالم الاسلامي.

٢) يراجع تقرير المجمع بمناسبة انعقاد ندوة القران الكريم والتقنيات المعاصرة شوال عام ١٤٣٠ هـ وكتاب الاصدار الخاص عن ترجمات معاني القران الكريم الصادر عن الامانه عام ١٤٢٨ هـ اكتوبر ٢٠٠٩ م .

مصادر البحث:

١- القران الكريم

٢- الحديث النبوي الشريف

٣- تفسير الدرر المنثور للسيوطي الناشر دار الفكر العربي للطباعه والنشر بيروت لبنان ١٩٩٣ م — ١٤١٤ ه

٤- تفسير القران الكريم لابن كثير

٥- تفسير الطبري تحقيق الدكتور عبدالله بن عبالمحسن التركي الناشر دار هجر للطباعه والنشر

٦- انجازات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في خدمة الاسلام والمسلمين من عام ١٤٠٢ ه — ١٤٢٢ ه من اصدارات رابطة العالم الاسلامي عام ١٤٢٢ ه مطابع الرابطة بمكه المكرمه

٧- المصحف والسيف جمع واعداد محيي الدين القابسي الطبعه الرابعه عام ١٤١٨ ه — ١٩٩٧ م نشر دار الصحوة السعوديه للنشر

٨- اصدق البنود في تاريخ الملك عبدالعزيز ال سعود لعبدالله الزامل الطبعه الاولى عام ١٣٩٢ ه — ١٩٧٢ م

٩- بحث الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز المنعقد في جامعه الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٤٠٦ ه — ١٩٨٥ م

١٠- جامع الاصول من احاديث الرسول لابن الاثير تحقيق عبدالقادر الارناؤوط الناشر ثلاث دور ١٣٩٢ ه — ١٩٧٢م

١١- ترجمات معاني القران الكريم والكتب العلمية االاخرى بالمدينه المنوره حتى نهاية عام ١٤٢٨ ه تقرير في كتاب بمناسبة فوز المجمع بجائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة

١٢- تاريخ البلاد العربيه السعوديه للدكتور منير العجلاني الطبعه الثانية ١٤١٣ ه — ١٩٩٣ م

١٣- تصحيح خطا تاريخي حول الوهابية تاليف د/ محمد بن سعد الشويعر الطبعه الثالثة ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩ م نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء

١٤- تاريخ افريقيا الشمالية تاليف المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة الناشر الدارالتونسيه للنشر تونس عام ١٣٩٨ ه – ١٩٧٨ م

١٥- تاريخ ملوك ال سعود تاليف الامير سعود بن هذلول الطبعه الثانية بيروت دار العلم للملايين ١٣٩٧ ه – ١٩٧٧ م

١٦- الموسوعه الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة اصدار الندوة العالمي للشباب الاسلامي بالرياض الطبعه الاولى عام ١٤٠٩ه – ١٩٨٨ ه

١٧- الاستقصاء لاخبار المغرب الاقصى تاليف احمد الناصري مطبعة دار الكتاب المغربي الدار البيضاء ١٩٥٤ م

١٨- دائرة المعارف البريطانيه

١٩- جريدة الرياض ١١ ربيع الاول عام ١٤١٠ ه العدد ١١٣١٢

٢٠- رابطة ظفر على خان ومسلمي الهند بالملك عبالعزيز تاليف الدكتور محمد بن سعد الشويعر الطبعه الاولى ١٤٢٢ ه – ٢٠٠٢ م الرياض

٢١- عبقرية الشخصيه الاسلامية للدكتور عبدالعزيز شرف ومحمد ابراهيم شعبان الطبعه الاولى عام ١٤٠٣ه – ١٩٨٣ م

٢٢- من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب الجزء الخامس الرسائل الشخصيه اصدار جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه الرياض ١٤٠٣ه – ١٩٨٣ م

٢٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام الطبعه الثانيه عام ١٤١٩ ه نشر دار العاصمة الرياض

٢٤- عجائب الاثار لعبدالرحمن الجبرتي المطبعه العامره الشرفيه بمصر الطبعه الاولى بدون تاريخ

٢٥- صقر الجزيره تاليف احمد عبالغفور عطار الطبعه الرابعه ١٣٩٧ ه – ١٩٧٧ م

٢٦- الفرق الاسلاميه في الشمال الافريقي تاليف الفردبل ترجمة عبدالله بدوي

٢٧- من شيم الملك عبدالعزيز تاليف فهد المارك الطبعه الاولى عام ١٣٩٨ ه – ١٩٧٨ م

٢٨- مجلة رابطة العالم الاسلامي جماده الاول عام ١٤١٠ ه

٢٩- مجلة دورية المانيه (islamica) العدد الاول المجلد السابع ١٩٣٥ م

٣٠- مجلة التضامن الاسلامي جماد الاول عام ١٤١٠ ه – وعام ١٤١٢ ه

٣١- مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا تصدر بالقاهرة

٣٢- مقدمة ابن خلدون ديوان العبر مطبوعات مكتبه ومطبعه الحاج عبدالسلام بن محمد شقرون بمصر الحمزاوي بيبرس بدون تاريخ

٣٣- محمد بن عبدالوهاب في التاريخ تاليف عبدالله بن رويشد الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهره ١٣٩٢ ه – ١٩٧٢ م

٣٤- كتاب كشف الخفاء والالباس عما يجري على السنة الناس للعجلاوني الطبعة الثالثه ١٣٥١ ه نشر دار احياء التراث العربي بيروت

٣٥- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينه المنوره صرح اسلامي شامخ كتاب بمناسبه انعقاد ندوة القران الكريم والتقنيات المعاصرة تقنيه المعلومات شوال عام ١٤٣٠ه اكتوبر ٢٠٠٩ م.



مصادر القضاء السلفي

(والقضاء في المملكة أنموذجاً)

أعداد

د. عبدالرحمن بن سلامة المزيني

الأستاذ المشارك بقسم الفقه المقارن

بالمعهد العالي للقضاء

الحمد لله رب العالمين، أمر بالعدل والإحسان والحكم بما أنزل في القرآن، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن منصب القضاء من أجلّ المناصب قدراً، وأعزها مكاناً، وأشرفها ذكراً، به الدماء تعصم وتسفح، والأبضاع تحرم وتنكح، والأموال يثبت ملكها ويسلب، والمعاملات يعلم ما يجوز منها ويحرم[1].

تولاه النبي - ﷺ - ، وخلفاؤه وأصحابه من بعده، فنشروا به العدل، وبددوا به الظلم، معتمدين في هذا القضاء على مصادر التشريع الإسلامي، ولما كانت جامعتنا العريقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرائدةَ في ميادين العلم والمعرفة، والسباقة إلى نشرها تفعيلاً للحراك العلمي الذي تشهده المملكة العربية السعودية، في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، والمتمثل في عقد الندوات والمؤتمرات.

بادرت الجامعة بادرة حكيمة إلى عقد ندوة السلفية، فرغبت أن أشارك فيها ببحث "مصادر القضاء السلفي والقضاء في المملكة العربية السعودية أنموذجاً للقضاء السلفي".

(١) انظر: تبصرة الحكام ١ / ٢.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحثين :

التمهيد وفيه مطلبان :

المطلب الأول.

١. تعريف القضاء لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني.

٢. مفهوم السلف.

المبحث الأول : مصادر القضاء السلفي.

المبحث الثاني : قضاء المملكة العربية السعودية أنموذجاً للقضاء السلفي.

وأسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

المطلب الأول.

تعريف القضاء:

القضاء لغة يطلق على عدة معانٍ، منها: الحكم، والإلزام، والتقدير، والأمر[1].

القضاء اصطلاحاً: فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله[2].

المطلب الثاني.

مفهوم السلفية:

السلف في اللغة يطلق على ما مضي وانقضى، وتقدم[3].

أما السلفية فهو مصطلح يطلق على ما كان على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين[4].

والسلفيون هم الذين يعتقدون معتقد السلف الصالح، وينتهجون منهجهم في فهم الكتاب والسنة[5].

مصادر القضاء السلفي:

تعتبر السلفية امتداداً لمدرسة أهل الحديث[6] الذين اعتدوا بالنصوص، وكانوا أشد تمسكاً بالرواية، والوقوف عند الأثر، فكانت مصادر الأحكام

(١) انظر: لسان العرب ١٥/١٨٦ – ١٨٨، والمصباح المنير / ٥٠٧.
(٢) انظر: مغني المحتاج ٤/٣٧٢، وأنيس الفقهاء / ٢٢٨.
(٣) انظر: لسان العرب ٩/١٥٨، والمصباح المنير ٢٨٥.
انظر: القوانين الفقهية ١/١٧.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٥٥٩.
(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٥٥٩.
(٦) انظر: درء تعارض العقل و النقل ١/٢٠٣.

عندهم مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، فإذا وردت أقضية لا نص فيها من كتاب ولا سنة، فإن كان فيها قضاء أو إجماع سابق قضي به، وإلا اجتهد فيها، هذا هو المنهج الذي سار عليه السلف في قضائهم، وأرشدهم إليه النبي - ﷺ - وخلفاؤه من بعده، قال النبي - ﷺ - لمعاذ حين بعثه إلى اليمن:

كيف تقضي إن عرض لك قضاء ؟

قال: أقضي بكتاب الله.

قال: فإن لم تجد ؟

قال: فبسنة رسول الله.

قال: فإن لم تجد ؟

قال: أجتهد رأيي ولا آلو .

فضرب صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضيه[1].

وكانت طريقة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - على هذا المنوال، قال أبو عبيدة[2] في كتاب القضاء: حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان

---

(١) أخرجه عن الحارث بن عمر يرفعه إلى معاذ أبو داود في كتاب الأقضية باب الاجتهاد والرأي في القضاء، حديث (٣٥٩٢) والترمذي في كتاب (الأحكام) باب القاضي كيف يقضي، حديث (١٣٢٧)، وأحمد في المسند ١/ ٣٧، ٥/ ٢٣٠، ٢٣٦ قال في التلخيص الحبير ٤/ ١٨٣ وقد استند أبو العباس بن القاص على صحته إلى تلقي أئمة الفقه والاجتهاد له بالقبول، قال: وهذا القدر مُغنٍ عن مجرد رواية .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، كان فقيهاً إماماً في القراءات، حافظاً للحديث وعلله رأساً في اللغة، تولى القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، ومات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين، من تصانيفه أدب القضاء، وغريب الحديث، وغريب القرآن وغيرها.

عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله- تعالي- ، فإن وجد ما يقضى به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فإن وجد فيها ما يقضى به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم، فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي- صلى الله عليه وسلم- جمع رؤساء الناس، فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.

وكان عمر- رضي الله عنه- ، يفعل ذلك فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا جمع الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به(١).

وروى عن عمر- رضي الله عنه- أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال والأشباه، ثم أعمد فيها إلى أحبها إلى الله- تعالى- ، وأشبهها بالحق.

قال أبو إسحاق الشيرازي(٢): وهذا كتاب تلقته الأمة بالقبول، وبهذا يتبين أن مصادر الحكم لدى السلف: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والاجتهاد.

انظر: طبقات الفقهاء ٩٢، والفهرست ١٠٦- ١٠٧، شذرات الذهب ٢/٥٤- ٥٥.

(١) انظر: أعلام الموقعين ١/٦٢، والتبصرة في أصول الفقه ١/٤٢٦.

(٢) التبصرة في أصول الفقه ١/٤٢٦، وانظر اللمع في أصول الفقه ١/٩٧.

وسأتكلم عن كل مصدر من تلك المصادر بشيء من التفصيل:

أولاً: الكتاب العزيز:

القرآن الكريم مصدر التشريع الأول، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، وقد اشتمل القرآن على أصول الشريعة وقواعدها في الحلال والحرام، وجاءت أكثر أحكامه مجملة تشير إلى مقاصد الشريعة، وتضع بيد المجتهدين المصباح الذي يستضيؤون في ضوئه أحكام جزئيات الحوادث في كل زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة، وشمول قواعدها الكلية، ومقاصدها العامة لما يحدث في الناس من أقضيات، وإنما فصل القرآن ما لا بد فيه من التفصيل الذي يجب أن يسمو عن مواطن الخلاف والجدل، كما في العقائد وأصول العبادات، أو لأنه ينبني على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، وذلك كما في تشريع المواريث، ومحرمات النكاح، وعقوبة بعض الجرائم[1] ﴿قَالَ تَعَالَىٰ:﴾ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[2].

وجملة ما شرعه الله من أحكام في القرآن: إما معاملة بين الله والعبد، وهي العبادات التي لا تصح إلا بالنية كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وهذه العبادات الأربع مع الإيمان أساس الدين.

وإما معاملات العباد بعضهم مع بعض، وهذه أربعة أقسام:

---

(١) انظر: التشريع والفقه في الإسلام ٣٧ – ٣٨.

(٢) الأنعام آية ٣٨.

الأول: ما شرعه الله لتأمين الدعوة، وهو الجهاد.

الثاني: ما شرعه الله لتكوين الأسرة، وهو ما يتعلق بالزواج والطلاق والأنساب والمواريث.

الثالث: ما شرعه الله للمعاملة بين الناس من بيع وإجارة وغير ذلك.

الرابع: ما شرعه الله ببيان العقوبات على الجرائم وهو القصاص والحدود[٣].

وقد أمر الله- سبحانه وتعالى- بوجوب العمل بما تضمنه القرآن من أحكام في أكثر من موضع في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ

(٣) انظر تاريخ التشريع الإسلامي /٢٩.

(١) المائدة آية ٤٨ .

ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

بل جعل العمل بذلك شرط الإيمان:

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[2].

ثانياً: السنة.

السنة ما أثر عن النبي - ﷺ - متواتراً من قول أو فعل أو تقرير[3].

وهي المصدر الثاني من مصادر الأحكام، بل تعتبر المصدر الأول في كثير من الأحكام، والرسول لا ينطق عن الهوى **قال تعالى:** ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[4].

وأمرنا بإتباعه وطاعته **قال تعالى:** ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[5].

---

(١) المائدة آية ٤٩ – ٥٠.

(٢) النساء آية ٦٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوي ١٩/١٩٥، والبحر الرائق ٦/٤٤٤، وأنيس الفقهاء / ١٠٥.

(٤) النجم آية ٣ – ٤.

(٥) الحشر آية ٧.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ (١).

وطاعة الرسول طاعة لله، وأصل من أصول الإيمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٣).

وجاءت السنة شارحه ومبينه ومفسرة لكثير مما جاء في القرآن من أحكام مجملة أو موجبة لحكم.

قال ابن القيم- رحمه الله- السنة مع القرآن ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمه لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائداً عن القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي- ﷺ- ، تجب

---

(١) النساء آية ٥٩ .

(٢) النساء آية ٨٠ .

(٣) النساء آية ٦٥ .

طاعته، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله، بل امتثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله[1].

هذه منزلة السنة عند السلف، فهي ثروة غزيرة، ومصدر من مصادر الحكم السلفي، لا يحل لمسلم علم ما في كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- أن يقضي بخلافهما، أو أن يكتفي بالقرآن دون السنة.

ثالثاً: الإجماع.

هو اتفاق مجتهدي أمة محمد- ﷺ- من بعده في عصر من الأعصار على حكم من الأحكام[2].

ولا بد أن يستند الإجماع إلى كتاب أو سنة، ولا يخرج عنهما، وهو حجة قاطعة، وهو مذهب الأئمة الأربعة وأتباعهم[3].

وحجية الإجماع مبنية على أصل، وهو عصمة الأمة الإسلامية من اجتماعها على ضلاله في أمر دينها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[4].

وقال- ﷺ- : "إن أمتي لا تجمع على ضلالة"، وفي رواية: "إن الله لا يجمع أمتي- أو قال أمة محمد- ﷺ- على ضلالة"[5].

---

(١) إعلام الموقعين ٢/٢٠٧ – ٢٠٨.

(٢) انظر: البحر المحيط ٣/٤٨٧، وشرح الكوكب المنير ٢/٢١١.

(٣) انظر: التحبير شرح التحرير ٤/١٥٣٠، والمسودة ١/٢٨٢، والمختصر في أصول الفقه ١/٧٤.

(٤) النساء آية ١١٥.

(٥) أخرجه ابن ماجة عن أنس بن مالك في كتاب الفتن باب "السواد الأعظم" حديث (٣٩٥٠)، والترمذي عن ابن عمر في كتاب الفتن باب "ما جاء في لزوم الجماعة" حديث

والإجماع مصدرٌ أساسي من مصادر الحكم عند السلف، تثبت به الأحكام كما تثبت بالنصوص الشرعية، ولكنه ليس مستقلاً بذاته من غير استناد إلى كتاب أو سنة كما سبق ذكر ذلك.

الرابع: القياس.

القياس هو " رد فرع مسكوت عنه عن حكمه إلى أصل منطوق بحكمه؛ لمساواته له في علة حكمه، ولا يكفي وجود المانع بين الأصل والفرع، بل لا بد في اعتباره من دليل يدل عليه من نص أو إجماع[1].

(٢١٦٧) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والحاكم في المستدرك ١/١١٥-١١٧، وقال بعد أن ذكر روايات الحديث: " فقد استقر الخلاف في إسناد هذا الحديث على المعتمر ابن سليمان، وهو أحد أركان الحديث من سبعة أوجه، لا يسعنا أن نحكم أن كلها محمولة على الخطأ بحكم الصواب؛ لقول من قال: عن المعتمر، عن سليمان بن سفيان المدني، عن عبد الله بن دينار، ونحن إذا قلنا هذا القول نسبنا الراوي إلى الجهالة، فوهّنّا به الحديث، ولكنا نقول: إن المعتمر بن سليمان أحد أئمة الحديث، وقد روي عنه هذا الحديث بأسانيد يصح بمجملها الحديث، فلا بد أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد، ثم وجدنا للحديث شواهد من غير حديث المعتمر لا أدعي صحتها، ولا أحكم بتوهينها، بل يلزمني ذكرها لإجماع أهل السنة على هذه القاعدة من قواعد الإسلام، فمن روى عنه هذا الحديث من الصحابة عبد الله ابن عباس .....، وقد روى هذا الحديث عن أنس بن مالك، وقال في المقاصد الحسنة ١/٧١٦ – ٧١٧: "وبالجملة فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره، فمن الأول: "أنتم شهداء الله في الأرض"، ومن الثاني قول ابن مسعود: إذا سئل أحدكم فلينظر في كتاب الله، فإن لم يجده ففي سنة رسول الله، فإن لم يجده فيها فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون، وإلا فليجتهد.

(١) انظر: البحر المحيط ٥/ ٧، وإرشاد الفحول / ١٩٨ – ١٩٩ والفكر السامي في تاريخ الفقه ١/١٢٧.

وهو أصل من أصول الشريعة ، يستدل به على الأحكام قال الشوكاني في إرشاد الفحول (الفصل الثاني) في حجية القياس : اعلم أنه قد وقع الاتفاق على أنه حجة في الأمور الدنيوية.

قال الفخر الرازي : كما في الأدوية والأغذية ، وكذلك اتفقوا على حجية القياس الصادر منه- ﷺ- ، وإنما وقع الخلاف في القياس الشرعي فذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين إلى أنه أصل من أصول الشريعة ، يستدل به على الأحكام التي يرد بها السمع[1] .

وقد دل على اعتباره الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وإليك بعض الأدلة على ذلك :

---

(١) إرشاد الفحول ١٩٩ .

أولاً الكتاب:

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[(١)].

والاعتبار قياس الشيء بالشيء.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[(٢)].

فأولوا الأمر هم العلماء والاستنباط القياس[(٣)].

ثانياً: السنة:

١- عن ابن عباس- رضي الله عنه- أن امرأة أتت إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، فقالت: إن أمي ماتت، وعليها صوم شهر، فقال: أرأيت لو كان عليها، دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم، قال: "فدين الله أحق بالقضاء"[(٤)].

٢- عن ابن عباس- رضي الله عنه- أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم! حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته، اقضوا لله، فالله أحق بالوفاء[(٥)].

---

(١) الحشر آية (٢).

(٢) النساء آية (٨٣).

(٣) انظر: البحر المحيط ٢٣/٥، والفكر السامي في تاريخ الفقه ١٢٧/١.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب " قضاء الصيام عن الميت " حديث (١١٤٨) والبخاري في كتاب الصوم باب من مات وعليه صوم، حديث (٦١).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب الحج والنذر عن الميت، حديث ٢٤٢٦.

٣- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رجلاً أتى إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال هل لك من إبل؟ قال: نعم، فقال: ما لونها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعة عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعة[(١)] [(٢)].

ثالثاً: إجماع الصحابة:

اتفق الصحابة على العمل بالقياس، ونقل ذلك عنهم قولاً وفعلاً، قال الزركشي: "قال ابن عقيل الحنبلي: وقد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة باستعماله وهو قطعي.

وقال الهندي: دليل الإجماع هو المعول عليه لجماهير المحققين من الأصوليين، وقال ابن دقيق العيد: عندي أن المعتمد اشتهار العمل بالقياس في أقطار الأرض شرقاً وغرباً قرنا بعد قرنا عند جمهور الأمة، إلا عند المتأخرين، قال: وهذا من أقوى الأدلة"[(٣)].

وما نقل عن الصحابة- رضي الله عنهم- في العمل بالقياس كثير، يرجع إليه في كتب الآثار والفقه وأصوله.

فالقياس مصدر من مصادر الحكم لا يستغنى عنه كما قال الإمام أحمد- رحمه الله- وغيره[(٤)]؛ لأن النصوص لا تفي بالأحكام؛ لأنها متناهية، والحوادث غير متناهية، فلا بد من طريق شرعي يضاف إليها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب "اللعان" باب "إذا عرض بنفي الولد"، حديث ٤٨ ومسلم في كتاب "اللعان" حديث (١٥٠٠).

(٢) انظر: البحر المحيط ٥/٢٤، ومعالم السنين ٢/٦٩٤.

(٣) البحر المحيط ٥/٢٥.

(٤) انظر: البحر المحيط ٥/١٦، وإعلام الموقعين ١/١٣٠.

فمن لطف الله- سبحانه وتعالى- بنا أن أنزل العمومات لنستنبط منها المسائل الخاصة بالاندراج، وأنزل المسائل الخاصة ليقاس عليها ما يماثلها في علة الحكم وما يشابهها؛ لتكون الشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

رابعاً: الاجتهاد:

عرف الاجتهاد بعدة تعاريف، ولعل أجمعها ما ذكره الآمدي بقوله: استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه[١].

وللاجتهاد شروط لا بد أن توجد في المجتهد، حتى يتمكن من استنتاج الأحكام من مآخذها، وهي:

الأول: أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة، ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة، بل ما يتعلق منهما بالأحكام[٢].

الثاني: أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع، حتى لا يفتى بخلاف ما وقع الإجماع عليه[٣].

الثالث: أن يكون عالماً بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه[٤].

الرابع: أن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ، حتى لا يحكم بالمنسوخ المتروك[٥].

الخامس: أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه[٦].

---

(١) الأحكام ٢١٨/٤ ، انظر إرشاد الفحول /٢٥٠ .

(٢) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥٠ ، والبحر المحيط ١٩٩/٦ .

(٣) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥١ ، والبحر المحيط ٢٠١/٦ .

(٤) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥١ والبحر المحيط ٢٠٢/٦ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٢٠٣/٦ ، وإرشاد الفحول / ٢٥٢ .

(٦) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥٢ ، والبحر المحيط ٢٠٣/٦ .

السادس: أن يعرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه[1].

السابع: معرفه مقاصد الشارع من الأحكام، وهذا من أهم ما يشترط بالمجتهد، فإن أحكام الشريعة دائرة حول مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ورعاية المصالح مقصودة بمراتبها الثلاث الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات[2].

مكانة الاجتهاد:

سبق أن ذكرت أن النصوص متناهية، والحوادث والوقائع غير متناهية، ولما لم يكن بدٌ تعرف حكم الله في الوقائع كان الاجتهاد من فروض الكفايات.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: "الاجتهاد من فروض الكفايات، لا من فروض الأعيان، إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه، وأشرفوا على خطر عظيم، فإن الأحكام الشرعية الاجتهادية، إذا كانت مترتبة على الاجتهاد ترتب المسبب على السبب، ولم يوجد السبب كانت الأحكام عاطلة، والآراء كلها فائلة، فلا بد إذاً من مجتهد"[3].

ويلزم من انتفاء الاجتهاد اتفاق الأمة على باطل، وهذا محال لقول النبي- ﷺ- : "إن أمتي لا تجمع على ضلالة[4]".

وقد اجتهد النبي- ﷺ- في كثير من الوقائع، واجتهد الصحابة- رضي الله عنهم- في حياته وبعد مماته.

---

(١) انظر: البحر المحيط ٦/٢٠٣.

(٢) انظر: الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة تأليف عبد العزيز السعيد مطبوعات الجامعة.

(٣) الملل والنحل ١/٢٥٠ انظر: والبحر المحيط ٦/١٩٨.

(٤) سبق تخريج الحديث في ص ١١.

والشواهد على هذا كثيرة، ليس من مقصود البحث الاستطراد فيها، فهي مبسوطة في كتب الأصول.

وسأكتفي بشاهدين من اجتهاده- ﷺ- ، وشاهدين من الاجتهاد في حضرته- ﷺ- .

أولاً: اجتهاده- ﷺ- :

١. عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي- ﷺ- قال: إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرفٍ، وقال العباس: يا رسول الله: إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا، فقال: إلا الإذخر[١].

ورجوعه لقول العباس دليل على أنه قال ذلك باجتهاده؛ إذ لو كان بوحي لما تغير[٢].

٢. عن جابر- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ- : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لحللت[٣].

قال النبي- ﷺ- ذلك حينما قرن الحج بالعمرة، وساق الهدى، وهذا صريح بأنه- ﷺ- عمل باجتهاده، وإلا كيف يتمنى غير ما أمر الله به.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب لا ينفر صيد الحرم حديث ٤٠٨/ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب التحريم مكة حديث (١٣٥٣).

(٢) الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة /٣١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب "التمني" باب قول النبي- ﷺ- : "لو استقبلت من أمري ما استدبرت" حديث (٤) ومسلم في كتاب "الحج" باب بيان وجوه الإحرام" حديث ١٢/٦ .

ثانياً: الاجتهاد في حضرته.

١. قصة تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة، ولما حكم سعد فيهم بقتل المقاتلة، وسبي الأموال والذراري قال- ﷺ- : "قضيت بحكم الله"[(١)].

٢. قصة تحكيم عمرو بن العاص وهو بحضرته- ﷺ- ، وقوله- ﷺ- له: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر[(٢)]".

أما الشواهد على اجتهاد الصحابة من بعده فهي كثيرة، ليس هنا مجال حصرها.

ويبقى الاجتهاد معينا لا ينضب من الأحكام، يدل على سعة الشريعة وشمولها، وعدم جمودها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

---

(١) أخرجه عن أبي سعيد الخدري، والبخاري في كتاب "المغازي"، باب مرجع النبي- ﷺ- من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة، حديث (١٥٧) ومسلم في كتاب (الجهاد والسير) باب جواز قتال من نقض العهد حديث (١٧٦٨).

(٢) أخرجه عن عمرو بن العاص، البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب "أجر الحاكم إذا أجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث (١٢٠)، ومسلم في كتاب "الأقضية"، باب "بيان أجر الحاكم إذا اجتهد وأصاب أو أخطأ حديث (١٧١٦).

المبحث الثاني:

القضاء في المملكة العربية السعودية أنموذجاً للقضاء السلفي.

تأسست الدولة السعودية عام ١١٧٥هـ، بعد لقاء الأمير محمد بن سعود- رحمه الله- أمير الدرعية بالشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا والدولة السعودية تحمل رسالة الإسلام، وتحكم بشريعته في سائر شؤون الحياة، وقد حدد الملك عبد العزيز- رحمه الله- في خطابه التاريخي المنشور في جريدة أم القرى عدد (٣٢) وتاريخ ١٣٤٤/١/١٦هـ مصادر الأحكام القضائية، فقال: "إن أحكام الإسلام هي الركيزة الأساس للحكم، وستظل السراج المنير التي يهتدي بهديها السائرون، ويستضيء بنورها المدلجون، وأن الإسلام دين جاء لما فيه صلاح الناس في الدنيا والآخرة، وأن من أراد سعادة الدارين من الأفراد والجماعات فما عليه إلا أن يفهم حقيقة الإسلام وأحكامه، ويسعى للعمل بها حتى يكون في هناء وسعادة ورفاه.

ولم يتوجه- رحمه الله- إلى تقييد القضاة بمذهب معين مراعاة لمصلحة القضاء، بل ترك المجال واسعاً للقضاء بأن يختاروا من الأقوال ما يرجحه الدليل، فأعلن- رحمه الله- في خطابه المنشور في ١٣٤٦/٢/٧هـ "بأن النظر في شؤون المحكمة الشرعية وترتيبها على الوجه المطابق للشرع على شرط أن يكون من وراء ذلك إنجاز الأمور، ومحافظة حقوق الناس على مقتضى الوجه الشرعي.

أما المذهب الذي يقضى به فليس مقيداً بمذهب مخصوص، بل يقضي على حسب ما يظهر لها من أي المذاهب كان، ولا فرق بين مذهب وآخر، وقد توجت هذه اللبنات الأولى بصدور النظام الأساسي للحكم الذي أصدره خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- رحمه الله- في ١٤١٢/٨/٢٧هـ، وقد نص في المادة الأولى أن المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، ونص النظام في مادته (٤٦) على أن القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية، ونص النظام في مادته (٤٨) على "تطبيق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية، وفقاً لما دل عليه الكتاب والسنة، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة، لا تتعارض مع الكتاب والسنة".

وبهذا يتبين أن الشريعة الإسلامية هي المرجعية الوحيدة في المملكة العربية السعودية، وأن أحكام القضاء فيها مستمدة من الكتاب والسنة، وما اتفق عليه سلف الأمة، وما تمليه السياسة الشرعية فيما يتفق ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، والمملكة تتميز بهذا، وتعتبر الدولة السلفية الوحيدة في الوقت الحاضر التي تطبق الشريعة الإسلامية.

يقول سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين—رحمه الله—: "والله ما نعلم دولة تطبق شرع الله مثل هذه الدولة، ونحن لا نقول: إن هناك عصمة من الخطأ إذا أن الناس لا يخطئون، أو ولاة الأمر لا يخطئون، حاشا وكلا أن نقول ذلك، فالمعصوم هو من عصمه الله، ولكن كل يخطئ ويصيب".

ويقول المفتي العام للمملكة سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- : "وهذه الدولة السعودية دولة مباركة، نصر الله بها الحق، ونصر بها الدين، وجمع بها الكلمة، وقضى بها على أسباب الفساد، وأمن الله بها البلاد، وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه الله، وليست معصومة، وليست كاملة، كل فيه نقص"[1].

هذا ما يسرّ الله إيراده، وأسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد.

(١) نقلاً من مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام /٧٦ - ٢٧ .

فهرس المصادر والمراجع:

١. الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة تأليف د. عبد العزيز السعيد طبع في جامعة الإمام.

٢. الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي / دار الكتب العلمية بيروت طبع سنة ١٤٠٠هـ.

٣. إرشاد الفحول للشوكاني / دار الفكر / لبنان.

٤. إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية، المكتبة العصرية بيروت.

٥. أنيس الفقهاء للقاسم القوني / دار الوفاء جدة الطبعة الأولى.

٦. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٧. البحر المحيط للزركشي / وزارة الأوقاف بالكويت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٨. تاريخ التشريع الإسلامي تأليف منّاع القطان / مكتبة وهبة / مصر.

٩. تبصرة الحكام لابن فرحون، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٢٢هـ.

١٠. التبصرة في أصول الفقه للشيرازي / دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١١. التحبير شرح التحرير للمرداوي / مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٢. التلخيص الحبير، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الله هاشم، مطبعة دار المعرفة، بيروت.

١٣. درء تعارض العقل و النقل لابن تيمية / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.

١٤. سير أعلام النبلاء للذهبي / مؤسسة الرسالة / بيروت الطبعة الأولى.

١٥. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي / دار المسيرة / بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

١٦. شرح الكوكب المنير لابن النجار / جامعة أم القرى / الرياض الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

١٧. طبقات الفقهاء للشيرازي / دار الرائد العربي / بيروت لبنان.

١٨. الفكر السامي في تاريخ الفقه تأليف محمد بن الحسن الفاسي / دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى.

١٩. الفهرست لابن النديم / دار المعرفة / بيروت، لبنان.

٢٠. القوانين الفقهية لابن جزي الكلبي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٢١. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
٢٢. اللمع في أصول الفقه للشيرازي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.
٢٣. المختصر في أصول الفقه للبعلي / جامعة الملك عبد العزيز.
٢٤. المستدرك، للحافظ أبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت.
٢٥. المسند، تأليف الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة (١٤٠٢هـ).
٢٦. المصباح المنير لمحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية / بيروت.
٢٧. معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داوود دار الحديث / لبنان الطبعة الأولى ١٣٨٩م.
٢٨. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ محمد الشربيني الخطيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩. مفهوم الجماعة والإمامة تأليف معالي الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل / الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.
٣٠. الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني / دار المعرفة / بيروت ١٤٠٤هـ.



المنهج السلفي

في الانتماء للوطن والدفاع عنه

إعـــداد

د. إبراهيم محمد قاسم الميمين

مـسـتـشـار معـالي مدير الجامعة

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

الانتماء للوطن والدفاع عنه في المنهج السلفي

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، وأستغفره لذنوبنا فهو خير الغافرين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، هو أسوتنا وقدوتنا في كل آن وحين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، أما بعد:

السلفية هي الفهم الحقيقي للدين، والمنهج السليم الذي من سلكه نجا، وهي الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ، وصحابته والتابعون لهم بإحسان، فليست داخلة في مفهوم التفرق بناءً على هذا لكن الذي يجب التنبه له هو إدخالها في الفكر، والفكر عمل عقلي، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله[1]: "الإسلام ليس مجموعة أفكار، لكنه وحي منزل من رب العالمين في القرآن العظيم والسنة، أما الفكر فهو قابل للطرح والمناقشة، قد يصح وقد لا يصح، لهذا فلا يجوز أن يطلق عليه فكر، لأن التفكير من خصائص المخلوقين، والفكر يقبل الصواب والخطأ".

ولا تخضع للمرحلية، لأن المرحلية تخضع للتغيير، والتطور، ومحدودية الصلاحية باعتبار ظرف الزمان والمكان، فكأن القائل بذلك يعتبرها دوراً تاريخياً انتهى، وإذا تقرر أنها الفهم الحقيقي للدين، والصورة المثلى في الاتباع فإنها بذلك تبقى مدلولاً مستمراً استمرار الحياة، أخبر ببقائها رسول الله ﷺ في قوله: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من

---

(١) معجم المناهج اللفظية، ص: ٤٣٠.

خالفهم حتى يأتي أمر الله»[1]، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً"[2].

وقال: "فعلم أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف"[3].

والتزام المنهج السلفي على اعتبار أنه التمسك بالدين بروحه وأحكامه ومقاصده وشعائره قائم على معيار الوسطية والاعتدال، بين صور التطرف التي تخرج إلى الطرفين المذمومين، ولهذا فإن سبيل الخروج من الشدة والتطرف ومناهج المفسدين هو التزام منهج السلف الذي يمثل وسطاً بين الطوائف المتطرفة في كل أحكام الدين ومسائله وأحكامه، ولست هنا بصدد التدليل على الوسطية التي يمثلها السلف الصالح في أخذهم بهذا الدين، وقد ألف في هذا مؤلفات مستقلة والذي أقرره هنا بأن النجاة والفوز والصلاح والإصلاح هو في التمسك بالدين بفهم سلف الأمة، ولهذا لما بين رسول الله ﷺ الفرقة التي تنجو من الفرق الهالكة، قال: «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الله برقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي)، برقم (١٩٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٤٩).

(٣) المرجع السابق (٤/١٥٥).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه باب افتراق الأمة، برقم (٢٦٤١)، والإمام أحمد في مسنده (١٤/١٢٤)، وصححه الألباني.

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

فالأخذ بهذا المنهج نجاة وسعادة، وخيرية مطلقة.

وإن أهمية أي بحث تظهر بإبراز مضامينه وأهدافه، وبقدر واقعيته وشموليته، وهذا البحث يستهدف معالجة قضية من أبرز القضايا في السابق واللاحق، إنها قضية تعد بأمس الحاجة إلى تجلية جوانبها، وتسليط الضوء على مفرداتها، لأنها ترتبط برؤية المنهج السلفي للدفاع عن الأوطان، والتضحية بالأنفس والأموال، ومسألة بهذه الأهمية البالغة لم يكن لي أن أتأخر عن الكتابة فيها، وقد أحببت المشاركة فيه في ندوة: السلفية: مطلب شرعي، ومنهج وطني، وقد عنونته بـ: "الانتماء للوطن والدفاع عنه في المنهج السلفي".

ويهدف الموضوع إلى إبراز مفهوم المواطنة من وجهة نظر شرعية في المنهج السلفي تعزز هذه الغريزة والفطرة، وتسليط الضوء على هذه العلاقة التي لا تنحصر في العلاقة العاطفية الغريزية فحسب، بل تتجاوزها إلى حقوق

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٧)، والترمذي وصححه برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد في مسنده (٢٨/٣٧٣).

وواجبات، وتسليط الضوء على جانب واحد منها وهو جانب الدفاع والتضحية عن الوطن، وحكم هذه الصورة الدفاعية، والآثار المترتبة عليها في المنهج السلفي، ويقيني أن الموضوع كبير، والحاجة ماسة لتجلية الموقف الفقهي تجاه مبدأ المواطنة بصورته المعاصرة مع الإفادة من جهود العلماء السابقين، لأن هذه الحقيقة تثير الكثير من الأسئلة والإشكاليات التي تتوزع على قضايا كثيرة، لاستيعاب هذه الظاهرة التي لم تعد علاقتها تنحصر على الارتباط بالوطن، بل هناك علاقة سياسية، واقتصادية واجتماعية وثقافية، وتربوية، كما أن دائرة هذه العلاقة وارتباطها بالانتماءات الأخرى كالعشيرة والقبيلة والجماعة والأمة كل هذه قضايا ملحة لا يمكن الإجابة عنها إلا بصياغة فقهية تراعي الأبعاد كاملة، وتقدم الحلول المتكاملة عن مبدأ وواقع الوطن والمواطنة، والتضحيات التي تقدم لذلك.

- مشكلة البحث: تتركز المعالجة على ثلاثة محاور رئيسة تعد هي مشكلة البحث:

أولها: الرؤية الشرعية تجاه حقيقة المواطنة، والتوفيق بين الانتماء الوطني ودوائر الانتماءات الأخرى، وكيف يمكن تحقيق التوازن الشرعي فيها.

وثانيها: يتأسس على شرعية الانتماء حكم الدفاع عن الأوطان، وصور الدفاع التي تصل إلى التضحية بالنفس والمال.

وثالثها: من قضى دفاعًا عن وطنه، فما حكم وصفه بالشهادة، وهل يعامل معاملة الشهداء في الدنيا، أم ينحصر الحكم على الجانب الأخروي، وما واجب الدولة والمجتمع تجاهه.

- الدراسات السابقة : حسب الاطلاع والبحث لم أجد من طرق موضوع المواطنة من وجهة نظر فقهية حسب المنهج السلفي تستهدف المفاهيم والأحكام والآثار، وإن كانت هناك معالجات كثيرة، بعضها من قبيل المعالجة الفكرية، أو تسليط الضوء على مسألة الانتماء الوطني، وبعضها يسلط الضوء على أحكام الشهادة، ويمكن تصنيف ما وقفت عليه في المجموعات الآتية :

❖ **المجموعة الأولى :** بحوث وأطروحات تستهدف الشبه التي يعتمد عليها أصحاب الفكر المنحرف، في جميع المجالات ومنها شأن المواطنة، ومن أبرزها : -

١- كتب د. محمد بن عمر بازمول التي ألفها نتيجة خبرته في لجان المناصحة، وشملت موضوعات : الجماعة والإمامة، والولاء والبراء، والتكفير، وحقيقة منهج المملكة العربية السعودية.

٢- مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، لمعالي الشيخ ا.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل.

٣- الحجج القوية على وجوب الدفاع عن الدولة السعودية حرسها رب البرية، للشيخ : أسامة بن عطايا بن عثمان.

٤- النذير، للزميل د. ماجد بن محمد المرسال، وهو من أجمع وأنفع ما كتب حسب اطلاعي، وقد اطلعت عليه في صورته الأولى قبل تقديمه للطبع.

❖ **المجموعة الثانية :** بحوث وأطروحات تعالج موضوع المواطنة وقيمها من باب الرؤية الفكرية المعالجة للانحراف في هذا المفهوم، وقد يستصحب فيها جوانب تربوية أو اجتماعية أو تأريخية، وهذا ما استهدفته جامعتنا المباركة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الندوة التي أقيمت برعاية ملكية، وحملت عنوان: "**ندوة الانتماء الوطني في التعليم العام**"، ومن أمثلة هذه المجموعة:

١- الوطن في ضمير الشرفاء، للأستاذ: بدر بن علي العبد القادر.

٢- تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، لفتحي هلال وآخرون.

٣- فلسفة المواطنة، للدكتور: عبد الرحمن الزنيدي.

❖ **المجموعة الثالثة:** مجموعة بحوث فقهية تعالج جزئيات وردت في ثنايا البحث، ومنها مؤلفات في الجهاد في سبيل الله على اعتبار أن الدفاع عن الأوطان صورة منه، ومنها:

١- أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي، تأليف: عبد الرحمن بن غرمان بن عبد الله.

٢- أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله ﷻ في الفقه الإسلامي، تأليف: مرعي بن عبد الله ابن مرعي.

٣- الشهادة والشهداء في الإسلام، تأليف: يوسف كمال خطاب.

وبالنظر إلى هذه الدراسات أجد أن الوفاء بتفاصيل الأحكام الفقهية المرتبطة بالدفاع عن الأوطان لم يتحقق في هذه المعالجات مع التقدير لكل ما طرح، واعتبار أثره الفاعل في إيضاح بعض الجزئيات، لكن الزاوية التي أنظر من خلالها إلى مضامين هذا البحث قد تختلف عما سبق، كما هو ظاهر من الخطة التي اتبعتها في البحث.

- خطة البحث: وتتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة وفهارس.

١- المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه، وما واجهه من صعوبات.

٢- التمهيد، وفيه مسائل:

- المسألة الأولى: مفهوم الوطن والمواطنة.
- المسألة الثانية: حب الوطن غريزة وفطرة.
- المسألة الثالثة: موقف الإسلام يعزز هذه الغريزة ويقويها.
- المسألة الرابعة: ما ورد من المأثور حول الدفاع عن الوطن.
- المبحث الأول: الدفاع عن الأوطان، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: حكم الدفاع عن الأوطان وصوره، وفيه مسائل:
- المسالة الأولى: حكم الدفاع عن الوطن.
- المسألة الثانية: صور الدفاع عن الوطن، وفيه فرعان:
- **الفرع الأول:** الدفاع القولي.
- **الفرع الثاني:** الدفاع الفعلي، وفيه:

أ- التمسك بثوابت الوطن عقيدة ومنهجًا، وأهمها:

١- الأخذ بكتاب الله، والتربية عليه.

٢- الأخذ بسنة المصطفى ﷺ.

ب- القيام بمقومات المواطنة الصالحة.

ج- الالتفاف والاجتماع حول ولاة الأمر.

د- التعاون مع ولي الأمر ضد البغاة والخوارج.

هـ- التعاون مع ولي الأمر في القيام بالولايات، والنصح في أداء الأمانات، وتحمل المسؤولية كاملة فيما يوكل إلى الفرد.

- المسألة الثالثة: الشبه المثارة حول الدفاع عن الوطن والجواب عنها.
- المطلب الثاني: حكم المفاداة بالنفس والمال دفاعًا عن الوطن.
- المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الدفاع عن الوطن، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: في حكم إطلاق وصف الشهيد على من قتل دفاعًا عن وطنه، وفيه مسألتان:
- المسألة الأولى: إطلاق الوصف على العموم.
- المسألة الثانية: إطلاق الوصف على سبيل التعيين.
- المطلب الثاني: حقوق من قتل دفاعًا عن وطنه، وفيه مسألتان:
- المسألة الأولى: حقوق من قتل دفاعًا عن وطنه بعد القتل.
- المسألة الثانية: حفظ حقوق من قتل دفاعًا عن وطنه، ورعاية أسرته.
- الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- منهج البحث:

وقد سلكت في البحث مسلكًا يجمع بين مناهج مختلفة للوصول إلى النتائج الدقيقة، ولتكون المعالجة أدق وأشمل، فثمت إفادة من المنهج التأريخي، والمنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والاستنباطي، وبالجمع بينها يتحقق الهدف المراد بإذن الله، ويمكن تلخيص الخطوات المنهجية في البحث في الآتي: -

١- فهم الجزئيات وإدراك الروابط بينها، ومحاولة ضبط الصور من خلال تلك الروابط.

٢- الإفادة من الدراسات التي عنيت بالمسألة، والاهتمام بالجانب التأصيلي منها، لما له من أثر على دقة الضوابط والأحكام المبنية عليها.

٣- أعتمد على النقل عن المتقدمين، لأن فهمهم للنصوص أقرب من فهم غيرهم، ولأن استنتاجهم أدق، ولا يمنع ذلك من توظيف النقل في الاستنباط، واستقراء مجموعة النقول وصولاً إلى فهم أعمق، وحكم أدق.

٤- أستخدم المنهج العلمي في طريقة الاستنباط والتأصيل والتقعيد والتوثيق والصياغة.

٥- أخرج الأحاديث، وأذكر ما قاله أهل الشأن فيها، إلا إذا كانت في الصحيحين أو أحدهما لاعتمادها من العلماء وتلقيهما بالقبول.

٦- لم أترجم لمن ورد اسمه في البحث، لأن غالبيتهم من المعاصرين، وقد تعوزني المصادر لذلك، وطلبًا للاختصار في هذا المقام.

٧- أتبعت البحث بفهارس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وقد حرصت على الوفاء بهذا المنهج، وبذلت جهدي للوصول إلى رؤية فقهية واضحة، فبالرغم من ضيق الوقت وكثرة الالتزامات، ودقة الاستنتاجات وهي بعض ما واجهني من صعوبات، لكن أعان الله عليها، وإنني إذ أشكر الله على ما منَّ به، فهو أهل المنة والفضل، وما بي من نعمة فمنه وحده، أثني بعد شكره سبحانه وتعالى بشكر من يستحق الشكر، وفي مقدمتهم ولاة أمرنا وقادتنا الأوفياء، وعلى رأسهم مليكنا المفدى خادم الحرمين الشريفين الملك/ **عبد الله بن عبد العزيز** - أيده الله وحفظه- ،

وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير/ **نايف بن عبد العزيز** - أدام الله عليهم نعمه، وأسبغ عليهم فضله، وأجزل لهم الأجر والمثوبة لقاء ما يقدمونه لرعيتهم وأبناء أمتهم، وأثلث بشكر جامعتي العريقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة بمعالي مديرها ومهندس نجاحاتها، معالي الشيخ ا.د. **سليمان بن عبد الله أبا الخيل** على الرؤية التطويرية، والقفزة النوعية التي تشهدها هذه الحقبة الذهبية، ومن صورها تبني مثل هذه المؤتمرات والندوات العالمية التي سيكون لها أبلغ الأثر في معالجة مثل هذه القضايا الحيوية الهامة، وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه مباركًا نافعًا، إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

التمهيد، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: مفهوم الوطن والمواطنة.

الوطن في اللغة هو: محل الإنسان[1]، وهو منزل إقامة الإنسان ومقره؛ ولد به أو لم يولد، وهو مكان الإنسان ومحله، وفي لسان العرب أطلق مفهوم الوطن على المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، فهو وطنه ومحله [2].

وبصفة عامة فاستخدام كلمة وطن في اللغة العربية تعبر وتنم عن الأرض التي ولد فيها الشخص أو اختار أن يعيش فيها.

وارتباط الإنسان بوطنه وبلده مسألة مستقرة في النفوس، فالوطن مسقط الرأس عادة ومحل التربية، على أرضه يحيا الفرد ويعبد ربه ومن خيراته يعيش، والوطن نعمة من الله على الفرد والمجتمع.

أما عند التحدث عن مفهوم المواطنة، فهي في اللغة مأخوذة من الوطن - السابق بيانه- وهو محل الإقامة والحماية، وورد في الموسوعة السياسية: أن المواطنة هي (صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن)[3].

وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطنة: بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، ٦/ ٢٧٨، والمصباح المنير للفيومي ٢/ ٦٣٣.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ص ٢٣٩.

(٣) انظر: الموسوعة السياسية، أسسها: عبد الوهاب الكيالي، ثم أتمها بعد وفاته كامل زهيري، ص ١٠.

العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة [١].

ومن منظور نفسي: فالمواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية[٢]، وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد والدولة، ثم هي تفاعل شعوري وقولي وفعلي، ينتهي كل ذلك إلى ارتباط حقيقي، وانتماء صادق للوطن وفاء له، وقيامًا بحقوقه، وأداءً لواجبات المواطنة.

وهذه المفاهيم لو أردنا تنزيل النظرة الشرعية عليها لتحديد مفهوم شرعي للمواطنة لوجدنا أن الرؤية الشرعية تنظر إلى هذا الجانب في صورته الغريزية على أنه أمر إيجابي، والشريعة لا تصادم الغرائز والفطر بل تهذبها، وهو شعور لا يعارض أخوة الإسلام ولا يصادم أحكامها، بل هي مجموعة من الانتماءات يترتب على كل منها حقوقٌ، ولكل منها دائرة يجب أن تبقى في حجمها المشروع إن حصل الإفراط أو التفريط فيها خرجت إلى الجانب المذموم فيها، وهذه النظرة في ذات الانتماء دون اعتبار خلفيات أخرى للوطن نفسه، فوطن هو أصل الأوطان، ومهد الرسالة، وبلد الوحي والتنزيل، ومأرز الإيمان، ومهوى الأفئدة، ويحوي أعظم المقدسات لاشك أن هذه اعتبارات شرعية، ترفع درجة الحكم في الانتماء، وتجعل الولاء للوطن صورة

---

(١) انظر: قاموس علم الاجتماع، لمحمد عاطف غيث، ص ٥٦.

(٢) انظر: تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، لفتحي هلال وآخرون، ص ٢٩.

شرعية، ولا يعني ذلك الانغلاق أو التعصب المذموم، أو توظيف ذلك في معارضة الأصول الشرعية، فهذه أمور طارئة لا تؤثر على الحكم بل تعد خللاً ممن يقع منه ذلك، ويمكنني بعد هذه الإلماحة الموجزة إلى النظرة الشرعية أن اختار اصطلاحًا يقرب مفهوم المواطنة، ويمكنني التفريق بين مفهوم الانتماء والولاء، وأحدهما نتيجة للآخر، فالانتماء هو ارتباط شعوري غريزي بالوطن الذي نشأ الفرد فيه وترعرع، وعاش فيه.

وأما الولاء فهو التعبير عن هذا الشعور بما يحقق صدق الانتماء، وقوة الارتباط، وإذا أخذنا في الاعتبار المعاني الشرعية المعتبرة في هذا المقام، وهي ما يعبر عنه بمقومات المواطنة الصالحة من إقامة شريعة الله، والحرص على تحقيق العبودية لله، وحماية التوحيد من المؤثرات التي تخدشه أو تخل به، والقيام بحقوق الإمامة والجماعة صار هذا الولاء الذي يؤكد الانتماء مجموعة مكونة للانتماء الصادق، والله أعلم.

المسألة الثانية: حب الوطن غريزة وفطرة.

حب الإنسان لوطنه من الأمور الفطرية التي جُبل عليها، فليس غريباً أبداً أن يُحب الإنسان وطنه الذي نشأ على أرضه، وشبَّ على ثراه، وترعرع بين جنباته، كما أنه ليس غريباً أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يُغادره إلى مكانٍ آخر، فما ذلك إلا دليلٌ على قوة الارتباط وصدق الانتماء.

وإذا كان الإنسان يتأثّر بالبيئة التي ولد فيها، ونشأ على ترابها، وعاش من خيراتها، فإن لهذه البيئة عليه (بما فيها من المكوّنات، وما فيها من الكائنات) حقوقاً وواجباتٍ كثيرةً تتمثل في حقوق الأُخوّة، وحقوق الجوار، وحقوق القرابة، وغيرها من الحقوق الأُخرى التي على الإنسان في أي زمانٍ ومكان أن يُراعيها وأن يؤديها على الوجه المطلوب؛ وفاءً وحباً منه لوطنه. وإذا كانت حكمة الله تعالى قد قضت أن يُستخلف الإنسان في هذه الأرض ليعمرها على هدى وبصيرة، وأن يستمتع بما فيها من الطيبات والزينة، لاسيما أنها مُسخرةٌ له بكل ما فيها من خيراتٍ ومعطيات؛ فإن حُب الإنسان لوطنه، وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته، إنما هو تحقيقٌ لمعنى الاستخلاف الذي قال الله تعالى فيه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [1]، وهذا الحب فطرة الله في الناس، فالإنسان مدني بطبعه، لا يستطيع العيش لوحده، ولابد أن يعيش مع مجموعة، ويحب أن يعيش مع غيره في وطن واحد، ومع هذا التعايش تكون خدمة الناس بعضهم بعضًا، يقول شيخ

---

(١) هود: ٦١.

الإسلام ابن تيمية رحمه الله [(1)] : " كل طائفة من بني آدم لا بد لهم من دين يجمعهم، إذ لا غنى لبعضهم عن بعض، وأحدهم لا يستقل بجلب منفعته ودفع مضرته، فلا بد من اجتماعهم، وإذا اجتمعوا فلا بد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلهم، مثل طلب نزول المطر وذلك محبتهم له، وفي دفع ما يضرهم مثل عدوهم، وذلك بغضهم له، فصار ولابد أن يشتركوا في محبة شيء عام، وبغض شيء عام، وهذا هو دينهم المشترك العام.

وأما اختصاص كل منهم بمحبة ما يأكله ويشربه وينكحه، وطلب ما يستره باللباس، فهذا يشتركون في نوعه لا في شخصه، بل كل منهم يحب نظير ما يحبه الآخر لا عينه، بل كل منهم لا ينتفع في أكله وشربه ونكاحه ولباسه بعين ما ينتفع به الآخر بل بنظيره.

وهكذا هي الأمور السماوية في الحقيقة، فإن عين المطر الذي ينزل في أرض هذا ليس هو عين الذي ينزل في أرض هذا، ولكن نظيره، ولا عين الهواء البارد الذي يصيب جسد أحدهم قد لا يكون نفس عين الهواء البارد الذي يصيب جسد الآخر بل نظيره.

لكن الأمور السماوية تقع مشتركة عامة، ولهذا تعلق حبهم وبغضهم بها عامة مشتركة، بخلاف الأمور التي تتعلق بأفعالهم؛ كالطعام واللباس فقد تقع مختصة وقد تقع مشتركة". ا.هـ.

---

(1) في جامع الرسائل، ٢/٢٢١- ٢٢٣.

وقد قال الشاعر:

النَّاس للنَّاس من بدوٍ وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم[١]

وحب الوطن غريزة متأصلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحن إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجم، ويغضب له إذا انتُقص.

والكلُّ يعلم أن لكل ذي نفسٍ وطناً ومأوى، فسبحان من زرع هذه الفطرة في الناس وركبها فيهم، وليس هذا مقتصرًا على الإنسان فقط، بل حتى الحيوان فيه خاصية حب الوطن، فللنمل قرية وهو موضع اجتماعهن، قال الأصمعي رحمه الله: "قالت الهند: ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعاً" [٢]، ومما يذكر في شوق الحيوانات إلى أوطانها أن زوجة جبهاء الأشجعي قالت له: "لو هاجرت بنا إلى المدينة، وبعت إبلك، وافترضت في العطاء، كان خيرًا لك، قال: أفعل، فأقبل بها وبإبله، حتى إذا كان بحرة (واقم) شرقي المدينة شرعها بحوض واقم ليسقيها، فحنت ناقة منها لموطنها، ثم نزعت وتبعتها الإبل، وطلبها ففاتته، فقال لزوجته: هذه إبل لا تعقل تحن إلى أوطانها، ونحن أحق بالحنين منها، أنتِ طالق إن لم ترجعي معي"[٣]، ومر إياس بن معاوية بمكان،

---

(١) انظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال، لأحمد الهاشمي ص١٠٢.

(٢) حب الوطن من منظور شرعي /٣٨ ، ٣٩ .

(٣) انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، ٢١٨/١.

فقال: "أسمع صوت كلب غريب" فقيل له: بم عرفت ذلك؟ قال: "بخضوع صوته، وشدة نباح غيره"[1]، فإذا كان هذا بالحيوان، فكيف بالإنسان؟

قال بعضهم واصفًا النفس البشرية[2] أنها إذا: "فارقت وطنها الأصلي، ومعهدها الأولي، اشتقات إلى الرجوع إليه، واشتد ولعها بالحنين إليه، والنزوع إلى الأوطان جبلة ثابتة بطبع الإنسان".

---

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، ٢/ ٩٤.

(٢) في تحفة المشتاق شرح أبيات المولى إسحاق، ص ١٢.

المسألة الثالثة: موقف الإسلام يعزز هذه الغريزة ويقويها.

سبق ذكر أن الله ركب في الإنسان غريزة حب الأوطان، وجاء الإسلام ليعزز هذه الغريزة وينميها، ويوظفها فيما يكون فيه الحفاظ على مصالح الوطن بتجسيد المواطنة ومعايشتها واقعًا حيًا وفق رؤية وسطية تراعي التوفيق بين مراعاة هذا الجانب الغريزي والشعور بالأخوة الدينية، واستشعار عالمية الإسلام، ولكي يتحقق حب الوطن بصورته المشروعة عند الإنسان لا بد من تحقق صدق الانتماء إلى الإسلام، إذ إن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تحُث الإنسان على حب الوطن؛ فما ورد من نصوص الكتاب والسنة في هذا الشأن في مواطن عدة يدل على تعزيز هذه الفطرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، فقد عدد الله ﷻ أهم الأمور التي يتعلق بها قلب الإنسان ويحبها لكنه جل وعلا حذر من طغيان محبة هذه المتعلقات الدنيوية على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ والجهاد في سبيله، ومنها الأوطان في قوله: ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾، وفيه دلالة واضحة على مشروعية حب الوطن الذي غالباً ما يضم هذه المحبوبات الثمانية[2]، وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي ١٠/٨٢- ٨٣.

﴿ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2]، هذه الآيات وكل الآيات التي فيها إخراج من الديار تؤكد أن الوطن عزيز وغال، وفراقه مؤلم ومحزن، ومن ثم كانت محبته مشروعة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[3]، ووجه الدلالة: أن الله جعل فقد الأوطان عديلاً لقتل النفس، وما ذاك إلا لمكان الوطن في قلب الإنسان.

يقول الرازي[4]: "فهؤلاء في المرتبة الأولى: تركوا الأديان القديمة لطلب مرضاة الله تعالى، وفي المرتبة الثانية: تركوا الأقارب والخلان والأوطان والجيران لمرضاة الله تعالى".

ومن السنة ما صح عن النبي ﷺ أنه وقف يُخاطب مكة المكرمة مودّعاً لها وهي وطنه الذي أُخرج منه، فقد روى عبد الله بن عباسٍ أنه قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبكِ من بلد، وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أن قومي

(١) الحشر: ٨.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) النساء: ٦٦.

(٤) انظر: التفسير الكبير، ١٥/ ١٦٥.

أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيركِ»[1]، ولولا أن رسول الله ﷺ وهو مُعلم البشرية الخير، والأسوة والقدوة يُحب وطنه لما قال هذا القول الذي لو أدرك كلُ إنسانٍ مسلمٍ معناه لرأينا حب الوطن يتجلى في أجمل صوره وأصدق معانيه، ولأصبح الوطن لفظاً تحبه القلوب، وتهواه الأفئدة، وتتحرك لذكره المشاعر، وهذا توجيه لهذه الغريزة التي أودعها الله في البشر.

وما رواه أبو حميد ﷺ قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»[2]، وهذا دليل أكيد على شوق النبي ﷺ لوطنه وأهله.

وما رواه مقاتل ﷺ أيضًا أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة، نزل بالجحفة، فاشتاق إلى مكة، فأتاه جبريل علية السلام وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال ﷺ: «نعم»، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]، وعن الضحاك ﷺ: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل مكة، برقم: (٣٩٢٦)، وعلق عليه الشيخ الألباني وقال: صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، بتحقيق الشيخ الألباني ١١٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، برقم: (٤١٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، برقم: (١٣٩٢ - ١٣٩٣).

(٣) القصص: ٨٥.

مكة، والشوق لا يكون إلا إلى المحبوب، وفيه دلالة على محبة وشوق النبي ﷺ إلى وطنه[1].

ومما تقدم يتضح أن حب الوطن مشروع وثابت بالكتاب والسنة، تأكيداً لفطريته عند الإنسان، ومن ثم فمن أحب وطنه كان مستقيماً ومتسقا مع الفطرة السليمة، ومن قصد بحب وطنه اتباع النبي ﷺ والاقتداء في هذه المحبة وعمارة الكون التي هي من أهم رسالة الإنسان في الوجود بعد عبادة الله تعالى كان مأجوراً ومثابًا، وعضوًا فعالاً في وطنه ومن ثم أمته الإسلامية.

ومن توجيه هذه الغريزة في الإنسان أيضًا ما ثبت عن النبي ﷺ، فقد دعا النبي ﷺ ربه بأن يرزقه حب المدينة لما انتقل إليها، فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» [2].

ومن توجيه هذه الفطرة أيضًا حنين الإنسان إلى بلده إذا غاب عنها وقدم عليه شخص منها سأله عنها، يتلمس أخبارها، فهذا نبينا محمد ﷺ يسأل أُصيل الغفاري عن مكة لما قدم عليه المدينة، فقد أخرج الأزرقي في "أخبار مكة" عن ابن شهاب قال[3]: "قدم أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي ﷺ، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت له: يا

---

(١) انظر: التفسير الكبير ٢٦/٢٥ وتفسير القرآن العظيم ٣٧٧/٣ والدر المنثور ٥٢١/١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب كراهية النبي ث أن تعرى المدينة، برقم: (١٧٩٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، برقم: (٣٤٠٨).

(٣) انظر: أخبار مكة، للأزرقي ١٤٨/٢.

أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، قالت: أقم حتى يأتيك النبي ﷺ فلم يلبث أن دخل النبي ﷺ، فقال له: «يا أصيل كيف عهدت مكة؟»، قال: والله عهدتها قد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها، وأغدق إذخرها، وأسلت ثمامها، وأمش سلمها، فقال: «حسبك يا أصيل لا تحزنا».

وهذه المشاعر تعد من مثارات الاقتداء الصالح بالنبي ﷺ، وتدل على أن ذلك أمر غريزي، وأن توجيه النبي ﷺ لهذه الغريزة يبين لنا الطريق الأمثل لذلك.

والحديث في هذا يطول، لكن القصد إثبات هذه المشروعية من خلال النصوص الظاهرة.

المسألة الرابعة: ما ورد من المأثور حول الدفاع عن الوطن.

لا شك أن الحجة فيما ثبت من نصوص الكتاب والسنة في إثبات مشروعية هذا الانتماء، ولكن النقل عن السلف لإثبات الجانب العملي، وجوانب التأسي في حياتهم، وقد كان للسلف - رحمهم الله- مواقف في حبهم لأوطانهم وحنينهم لها، والدفاع عنها بما يستطيعون، ومما جاء عن السلف وحنينهم إلى أوطانهم ما أخرجه أبو نعيم في الحلية(١)، أن إبراهيم بن أدهم قال: "ما قاسيت فيما تركت شيئا أشد علي من مفارقة الأوطان".

وأنشد بعضهم:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة   وأهلي وإن ظنّوا عليّ كرام(٢)

وقال الرافعي القزويني: "ولو لا نزوع النفس إلى مسقط الرأس ودائرة الميلاد لم ينزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(٣)، وقد صدق ابن الرومي حيث قال:

وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الفؤاد هنالكـا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا"(٤).

وجاءت أشعار الأدباء في التعبير عن حبهم لأوطانهم، وشغفهم وحنينهم إليها، والدفاع عنها ما استطاعوا، فهذا أبو بكر العلاف أنشد يقول(٥):

---

(١) ٧/٣٨٠.

(٢) انظر: مختارات من كتاب: معجم لآليء الشعر العربي، د. إميل بديع يعقوب، ص٢٥.

(٣) القصص: ٨٥.

(٤) انظر: التدوين في أخبار قزوين ١/١٣١.

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الجديد ٨/٤٥١.

وكنا ألفناها ولم تك مـألـفًا   وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تُؤلف الأرض التي لم يكن بها   هـواء ولا مـاء سوى أنها وطن

وقال بعضهم [1] : "ولو انتقلنا عن وطننا، وتحولنا عن سكننا، وبعدنا عن هذا الجانب، ونزعنا عن الأهل والأقارب، وحاورنا الأباعد، لا يطيب لنا مقام، وتتكدر أوقاتنا على مر الأيام، فلا نزال بين تذكر الوطن المألوف، وتحنن إلى الصاحب المعروف، فيسهل عند هذه الأنكال مفارقة الأطفال"، وذُكر أن أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني كان إمامًا ثقة ثبتًا، وكان مفخرة من مفاخر عصره، قيل: "إنه كان قتيل حب الوطن"، أملى مجلسا في هذا المعنى، وبكى ومرض عقيبه ثم مات منه [2].

ويقـول الـسدي رحمـه الله: "النفـوس تحـن إلى أوطانهـا، وتنـزع إلى مذاهبها، ولها في ذلك نزع عند الموت" [3].

ويقول محمد النوقي رحمه الله: "حضرت درس الإمام أبي حامد الغزالي لكتاب إحياء علوم الدين، فأنشد:

وحبب أوطان الرجال إليهم   مـآرب قضاها الفؤاد هنالكـا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا

فحن إلى وطنه، وبكى وأبكى الحاضرين معه" [4].

---

(١) انظر: فاكهة الخلفاء، لابن عربشاه، ١/١٧٣.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني، ٥/٢٧٩.

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ١٠/ ٤٢٦.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/٢١٧.

وهذا يبين لنا بجلاء ووضوح أن حب الوطن غريزة متأصلة في نفوس الناس على اختلاف أديانهم ومناهجهم وأجناسهم، وأن الدفاع عنه أصلٌ متأصل في نفوس البشر، فهي فطرة أودعها الله فيهم، وأول من طبق ذلك وجسده هم سلف الأمة من العلماء والزهاد والعباد.

المبحث الأول: الدفاع عن الأوطان، وفيه مطالب:

- **المطلب الأول: حكم الدفاع عن الأوطان وصوره، وفيه مسائل:**

- المسالة الأولى: حكم الدفاع عن الوطن.

مما تقدم يتبين أن حب الوطن غريزة متأصلة في النفوس، والدفاع عن الوطن جبلة جبل عليها الإنسان، وهذا الحق من الحقوق الطبيعية الأصلية يشرع الدفاع عنها، والإسلام شرع للإنسان أن يدافع دون ماله ونفسه، وذلك يلزم منه الدفاع عن وطنه، يقول النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد»[1]، ولا يتصور هذا الدفاع إلا إذا كان له وطن يحبه ويدافع عنه.

وبهذا التصور الذي يبنى على جوانب غريزية، ودوافع ضرورية، يمكن للمتأمل أن يجعل الدفاع عن الأوطان دفاعًا عن أمر ضروري ترتبط به الضرورات الخمس المرعية في كل ملة، وهذه الضرورة شرع ما يكملها ويحميها من جانب الوجود ومن جانب العدم، كما ذكر الشاطبي في الموافقات، يقول رحمه الله: " تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث: أن تكون تحسينية، فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل اللصوص، برقم: (٤٧٧٢)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، والحفظ لها يكون بأمرين، أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم... ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة"[1]، وتكييف ذلك أن الحفاظ على الضرورات واستكمالها وبقاءها وحمايتها لا يتم إلا بتصور الأرض التي تتم فيها، فيمكن أن يعد الدفاع واجبًا شرعيًا من جهة ملازمته للضرورات، إضافة إلى ما ورد من نصوص في ذلك، وهذا من حيث كونه وطنًا لا تتعارض محبته والدفاع عنه مع ضرورة الدين، فكيف إذا انضاف على ذلك خصائص وميزات تجعله مطلبًا شرعيًا، ولذا فإنه يتقرر في شأن وطن المقدسات وبلد الإسلام ومأرز الإيمان المملكة العربية السعودية أن الدفاع عنها دفاع مشروع، بل من أوجب الواجبات، والقصد فيه مقصد شريف، إذ أنه رد للمعتدين، وصد للباغين، من الاعتداء على هذا البلد الأمين، وهو صورة من صور الجهاد المشروع الذي ينال به أن تكون كلمة الله هي العليا، يقول شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله موضحًا حكم القتال دفاعا عن الأوطان[2]: "قوله: «في سبيل الله» - في

(١) انظر: الموافقات للشاطبي، ٢/٨- ٩.

(٢) في: القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ٢/٣٠٥.

حديث: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1]، ضابطه: أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا للحمية أو الوطنية أو ما أشبه ذلك، لكن إن قاتل وطنية وقصد حماية وطنه لكونه بلدا إسلاميا يجب الذود عنه، فهو في سبيل الله، وكذلك من قاتل دفاعًا عن نفسه أو ماله أو أهله"، وقال أيضًا رحمه الله [2]: "قال أهل العلم: ويجب على المسلمين أن يكون منهم جهاد في العام مرة واحدة، يجاهد أعداء الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، لا لأجل أن يدافعوا عن الوطن من حيث إنه وطن، لأن الدفاع عن الوطن من حيث هو وطن يكون من المؤمن والكافر، حتى الكفار يدافعون عن أوطانهم، لكن المسلم يدافع عن دين الله، فيدافع عن وطنه؛ لا لأنه وطنه مثلاً، ولكن لأنه بلد إسلامي؛ فيدافع عنه حماية للإسلام الذي حل في هذا البلد"، فمقصود كلام شيخنا رحمه الله أن المقاتل دفاعًا عن وطنه لأنه وطن إسلامي، حينئذٍ يكون دفاعه جهاداً في سبيل الله ﷻ؛ لأنه يقاتل دفاعاً عن الإسلام، وخوفاً من أن يستولي على البلاد أهل الفساد والانحراف أو غير المسلمين فتكون العواقب وخيمة، فمن قاتل من أجل إبقاء الإسلام الذي هو دين وطنه صار مجاهداً في سبيل الله ﷻ، وهذا لا ينافي الدفاع عن الأوطان مطلقًا، لأنه كما قال يكون من الجميع، فيعد من القيم المشتركة كون الأوطان محل الدفاع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا، برقم: (١٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، برقم: (١٩٠٤).

(٢) في شرح رياض الصالحين، ١/٢٢.

فتبين أن دفاع الإنسان عن وطنه يعد أمرًا فُطِرَ عليه الإنسان، وجبله الله عليه، وواجبًا يحتمه عليه بقاؤه في وطنه، وعيشه فيه [1]، ولكنه في التصور الشرعي يكون من الجهاد في سبيل الله، لأن أوطان المسلمين جزء من هويتهم التي تجب الدفاع عنها، والوطن الذي يتميز أهله بالإيثار والتضحية تجدهم قريبين من بعضهم، وأما الوطن الذي انتشر في أهله الأنانية والتخاذل تجدهم غريبين بمشاعرهم، وإن تقاربت أجسادهم، لأن التضحية من أجله لا تكون حتى تتعود النفس البشرية لذة العطاء، كما تتعود لذة الأخذ، ويستدل لهذه المشروعية:

١- بما سبق من أدلة[2].

٢- إضافة إلى التكييف السابق في كونه لازمًا للضرورات[3].

٣- أن غاية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يمكن ذلك إلا بوطن يتحقق فيه الأمن ويمكن إقامة الدين.

٤- أن مقاصد الدفاع المشروع، والجهاد بأنواعه متحققة في شأن الدفاع عن الأوطان.

٥- لأن ترك مثل هذا يفتح للأعداء باب شر عظيم، وفساد عريض، لا يعلم مدى خطورته إلا الله ﷻ.

---

(١) انظر: مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، أ.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ص ٧٣- ٧٧.

(٢) انظر: ص (١٣- ١٦).

(٣) انظر: ص ١٩.

وليست التضحية للوطن والدفاع عنه قولاً فقط ، بل لا بد من قول يصدقه عمل ، وعمل يؤكده عطاء الإنسان ، وسلوك تبرزه تلك المواقف العظيمة التي يقدمها لوطنه ، وما ورد من ذم العلماء للقتال وطنية ليس مرادهم هذه الصورة المشروعة ، بل مرادهم فيما لو تعارض أمر الدين مع شأن الوطن ، بحيث يكون الوطن غير إسلامي وينتمي الإنسان إليه ثم يوجه سلاحه ويقاتل من يرومون الدفاع عن المسلمين أو يقاومون المحتلين ، فيقاتل مع المحتل ضدهم ، فهنا تعارض الدفاع الغريزي مع شأن شرعي ، كما أن ما ورد يتجه إلى ما يقوم بالقلب من قصد ، فالواجب أن يعالج من يشرف بالدفاع عن أوطان المسلمين نيته ، وما يقوم بقلبه ، فلا يجعل قصد الدفاع عن الوطن دفاعًا مجردًا لأجل التراب أو المكتسبات الدنيوية ، بل يجعل الأصل في ذلك كونه يحمل المقومات الشرعية التي هي ملازمة للمقاصد الأخرى الضرورية ، وما من شك أن النية مؤثرة في الحكم ودرجته وآثاره ، ولكن إجراء الأحكام على من قضى يكون بالظاهر ، فإذا قدر أن جنديًا قتل في ميدان الشرف والدفاع عن الوطن عومل معاملة الشهداء بما ظهر ، كما قرر العلماء ، حتى شهيد المعركة الذي وردت النصوص القاطعة بمعاملته معاملة الشهداء ينطبق الحكم عليه ، وإن كان في الباطن بخلاف ذلك ، وهذا ظاهر لمن تأمل ، وسأعرض في المسألة القادمة صورًا من الدفاع عن هذا الوطن.

- **المسألة الثانية: صور الدفاع عن الوطن، وفيه فرعان:**
- **الفرع الأول:** الدفاع القولي.

إن الصور المشروعة في الدفاع عن الوطن ليست محصورة، والوسائل التي يتم بها الدفاع عن الأوطان كذلك ليست محددة، وذكرها من باب المثال من وجه، ولتوسيع دائرة المشاركة، لأنه قد يظن ظان أن الإيجابية في هذه الصورة المشروعة لا تتحقق إلا بفعل، ولكن عندما تذكر بهذه الصورة فإن كل فرد يمكنه أن يعبر عن محبته ودفاعه بما يستطيع، ولذا فإن أول الصور وأهمها: الدفاع القولي، فهو من أعظم ما يدافع به المرء عن وطنه دفاعًا بالبيان، والكلمة والحجة واللسان، وهو نوع من أنواع الجهاد، ورب قول أشد من صول، ويتأكد البيان في حال ظهور الفتن والتلبيس، والتشويش بما يظن أنه معارض لهذه الصورة المشروعة، فإن الفهم الوسطي وبيان الرؤية الشرعية مدعمة بالحجج القوية، ومقاومة الشبه من أبرز وأهم صور الدفاع عن الأوطان، وقد مر أن الدفاع عن وطن الإسلام نوع من الجهاد في سبيل الله، والجهاد كما يكون بالسنان يكون بالبيان واللسان، والله تعالى أمر نبيه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، ومعلوم أن جهاد المنافقين لا يكون بالسيف، فلم يثبت أن النبي ﷺ قاتل المنافقين أو قتلهم، وإنما يكون الجهاد بالحجة، فعن جابر رضي الله عنه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، فقال عمر رضي الله عنه: "ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث"، فقال النبي ﷺ: «لا يتحدث الناس أنه كان

---

(١) التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩.

يقتل أصحابه»[1]، يقول ابن القيم رحمه الله : "النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه وقولهم إن محمدا يقتل أصحابه فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل"[2].

ويمكن تأسيسًا على ذلك أن يقال: إن استهداف الأوطان ولو بالقول عدوان، والدفاع عنها يكون بالبيان الذي يعتمد استقراء الأدلة، وفهمها على ضوء ما ورد عن سلف الأمة، وللدفاع عن الوطن بالقول صور كثيرة، منها:

١- كتابة الكتب التي تؤصل للدفاع عن الوطن، واستخدام القلم السيال في مثل ذلك.

٢- ومنها الخطب، وعقد الندوات والمؤتمرات التي يتحدث فيها أهل الاختصاص، والمشاركة في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بما يقتضي الدفاع عن الوطن ومقدساته ومكتسباته.

٣- ومنها استخدام الشبكة العنكبوتية في الدفاع عن الوطن، والرد على شبه المخالفين.

٤- ولعل من أبرز ذلك برامج المناصحة التي تبنتها الدولة وأثبتت فاعليتها وأثرها في مواجهة هذا الفكر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، برقم: (٣٣٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلومًا، برقم: (٢٥٨٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١٣٨/٣.

وغير ذلك من الصور التي لا يتصور حصرها.

- **الفرع الثاني :** الدفاع الفعلي.

والمراد بذلك الإيجابية الخيرة التي يبديها من شرف بالانتماء إلى الوطن تعبر عن محبته وانتمائه الصادق، ودفاعه عن الوطن بمكوناته، وعن ثوابته وقيمه، وذلك بما يأتي :

أ- **التمسك بثوابت الوطن عقيدة ومنهجًا :** فمما لا مزايدة عليه أن من أعظم خصائص هذا الثرى الطاهر، وأبرز ميزاته قيامه على عقيدة التوحيد الخالص، وحمايته لهذا الأصل، ومن هنا فإن تحقيق التوحيد لله ﷻ، تحقيقًا قائمًا على الكتاب والسنة، وعلى فهم سلف الأمة صورة إيجابية، ومحبة حقيقية، ودفاع عملي، فهذه البلاد - حرسها الله- قد قامت على أساس نصرة التوحيد، وعلى القيام بالكتاب والسنة، وعلى أساس ذلك حصل لها التمكين والغلبة والعزة، وهو أساس متين، وظل قويم، ويعد من أبرز المقومات التي يجب أن يربى عليها الناشئة تربية سليمة صالحة، تحميهم من الانحراف والزيغ والظلال، وتجعل في أنفسهم حصنًا منيعًا منه، لا يمكن اجتثاثه أو تغييره مهما حدث، وأعظم الثوابت وأهمها تحكيم الكتاب والسنة، والأخذ بهما، فمن باب المثال : تتحقق هذه المحافظة بعد المحافظة على عقيدة التوحيد بما يلي :

١- **الأخذ بكتاب الله، والتربية عليه :** فمن فهم كلام الله وأخذ به أخذًا صحيحًا هداه الله إلى أفضل الطرق، وعُصِم من مضلات الفتن، وتدبر هذا الكتاب على ضوء ما فهمه السلف الصالح رضوان الله عليهم، ومعرفة كيفية استنباطهم من النصوص، وفهمهم لها، وتطبيقهم لها في حياتهم العلمية

والعملية، صغيرها وكبيرها، ليصل المرء بعد ذلك إلى فهم قويم، وأساس متين يستطيع أن يدافع به عن وطنه، وأن يساهم في حمايته من الانحرافات الناشئة عن الجهل والتخبط.

٢- **الأخذ بسنة المصطفى ﷺ**: وذلك بالحرص على الأخذ بكل ما جاء فيها من أحكام تنفع المرء في معاشه ومعاده، وفهم السنة على ما فهمه صحابة النبي ﷺ، وجعل ذلك شرعة ومنهاجًا يسير عليه المرء في حياته ليفوز في الدارين، ولست أريد بذلك الاستقلال في الفهم، أو التخبط في الاستدلال، فما من شك أن ذلك يكون بحسب فهم سلف الأمة وفقهائها وعلمائها، والكلام يتجه إلى التطبيق العلمي المستند إلى كلام العلماء ليكون التطبيق تجسيدًا للمقومات، وتعبيرًا صادقًا عن المحبة.

ب- **القيام بمقومات المواطنة الصالحة**: والمقصود بمقومات المواطنة الصالحة: تلك الركائز والأسس والأعمال التي جعلها الله عز وجل حماية للدول والحضارات أن تزول، وأخبر أنها سبب للاستخلاف والتمكين، وهي مقومات شرعية، ذكرها الله سبحانه في كتابه، وبينها رسول الله ﷺ مجموعها يحمي الجماعة الشرعية التي تعد أساس المواطنة الحقة، وتثمر الوحدة والتماسك والتعاضد والتعاون على البر والتقوى من مثل قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (١)، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن

---

(١) النور: ٥٥.

﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1]، وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من يطع الأمير فقد أطاعني»[2]، وقوله ﷺ في حديث تميم الدراي رضي الله عنه: «الدين النصيحة»[3]، وقوله ﷺ في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله»[4].

فهذه المقومات الشرعية يعد القيام بها في بلد الإسلام تجسيدًا حقيقيًا للمواطنة وصلاحًا وإصلاحًا، ويعد أحد الأساليب الناجعة الناجحة في الدفاع عن الوطن، لأنها حفاظ على الوحدة والجماعة، وقيام بمقتضيات البيعة، وتحقيق لمقاصد الإمامة في الشرع، وإذا حصلت هذه المثالية فإن تمسك المسلم المواطن بها يضيق الفرصة على الأعداء أن يجدوا عليه مدخلاً لاستهدافه، والقيام بها من أعظم السبل التي ترفع مشكلة الانحراف الواقع، وبضد ذلك من يخرق هذه المقومات أو يخل بها، فإن المواطنة في حقه مختلة أو ناقصة بحسب ما يقع فيه، فهذه المقومات هي التعبير الصادق، ولا يخفى أنه يندرج في السمع والطاعة لولاة الأمر ما يحصل من تنظيم إداري وسياسي،

---

(١) الحج: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، برقم: (٢٧٩٧)، و مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم: (٥٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، برقم: (٦٧٧٤)، و مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم: (١٧٠٩).

يناط أمره بالمصالح ودرء المفاسد، ويعود إليه غالب الصور التنظيمية التي يحصل بالتزامها والتقيد بها مصالح البلاد والعباد، كما سيرد في الفقرة التالية.

ج- **الالتفاف والاجتماع حول ولاة الأمر:** وهو جزء من المقومات، لكن إبرازه لأهميته، فإن السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، قلّ أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه، وما ذلك إلا لبالغ أهميته وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معًا، وبالتعدي عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا، وقد عُلم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلاَّ بجماعة، ولا جماعة إلاَّ بإمامة، ولا إمامة إلاَّ بسمع وطاعة.

لقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يولون أمر الاجتماع حول ولاة الأمر اهتمامًا خاصًا، لاسيما عند ظهور بوادر الفتنة، نظرًا لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العريض في العباد والبلاد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد، يقول الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله [1]: "فلا ريب أن الله جل وعلا أمر بطاعة ولاة الأمر والتعاون معهم على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، فقال جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2]، هذا هو الطريق طريق السعادة، وطريق الهداية، وهو طاعة الله ورسوله في كل شيء، وطاعة

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله ٩/٩٣.

(٢) النساء: ٥٩.

ولاة الأمور في المعروف من طاعة الله ورسوله، ولهذا قال جل وعلا: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾، فطاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله، فإن أولي الأمر هم الأمراء والعلماء، والواجب طاعتهم في المعروف".

فالواجب أن نكون يدًا واحدة مع ولاة أمرنا، إذ أن الالتفاف حولهم يحمي الإنسان من كل ناعق ينعق بالخروج عليهم، والافتيات على سلطتهم وولايتهم، وإذا حصل الاجتماع والالتفاف كان ذلك دافعًا وحاميًا من الوقوع في الانحراف، واستطاع المرء بذلك المساهمة في الدفاع عن وطنه من كل من يستهدفه من المتربصين به، يقول شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "أوامر ولاة الأمر تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: ما لا يجوز طاعته: وذلك فيما إذا أمره بمعصية الله، مثل: أن يأمره بحلق اللحية، أو يأمره بأشياء منكَرةٍ، فهذا لا يَجوز طاعتهم فيه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، فعطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله ورسوله؛ بدون إعادة العامل، مِمَّا يدل على أن طاعة أولِي الأمر على سبيل التبع...

القسم الثاني: أن يأمر ولي الأمر بما أمر الله به ورسوله ﷺ من العبادات، فهذا إن كان واجباً مثل: أن يأمر بصلاة الجماعة، ويتفقد الناس عليها، فطاعته هنا واجبة...

القسم الثالث: أن يأمر بعبادة غير واجبة؛ لكنها مشروعة :- مثل أن يأمر الناس بالصيام، يقول: أيها الناس! صوموا غداً، فإننا سوف نخرج إلى

---

(١) النساء: ٥٩.

الاستسقاء نستسقي، ودعاء الصائم مستجاب، فصوموا غداً، فهنا لا تلزم طاعتهم؛ لأن هذا عبادة بين العبد وبين ربه فلا تلزم طاعتهم.

القسم الرابع: أن يأمر بما فيه حفظ الأمن وصلاح المجتمع: فهذا تجب طاعته فيه، وإن لم يأمر الله به ورسوله صراحة، ما لم يكن معصية، كالأوامر الآن في النظم التي تقرَّر وهي لا تخالف الشرع، فإن طاعة ولي الأمر فيها واجبة، ومَن عصى وخالف فهو آثم"[١].

د- **التعاون مع ولي الأمر ضد البغاة والخوارج:** ما مر في السمع والطاعة هو جزء من حقوق الراعي على الرعية التي بها تتم صورة المواطنة الصالحة، وتتحقق الحماية التامة، وثمة حقوق ذكرها العلماء كلها لها أثر عظيم في هذا الشأن، لكن إبراز هذه النقاط لأثرها المباشر في حماية الأوطان والدفاع عنها، ولذا فإن التعاون مع ولي الأمر في الكشف عن مخططات المفسدين للقضاء عليها وإراحة المجتمع من شرهم هو واجب شرعي، وعمل دفاعي، يتعاون فيه المسلمون على دفع الشرور التي تحيط ببلادهم، حتى يكونوا في حياتهم كما قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٢].

وهذا التعاون مع ولي الأمر له أثره في اجتماع الكلمة، وتآلف القلوب واستتباب الأمن مطلب ضروري، كي يسعد الناس، وتنتظم مصالح العباد،

---

(١) انظر: لقاءات الباب المفتوح بتصرف يسير، ٥/١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، برقم: (٢٣١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم: (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

ويُكْشَفَ أهل الفساد، ويعلم أن أهل البغي والفساد في الأرض إنما يريدون الإفساد في الأرض، والخروج على ولاة الأمور، والتعدي والظلم واستهداف الصلاح القائم المتمثل في الجماعة الشرعية.

وفي نظري أن هذا أبرز سبب، إذ أن أهل الانحراف ورواد ثقافة التكفير والتفجير من الخوارج، والبغاة عملهم إفساد في الأرض بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، يصدق عليه قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1]، فهو إفساد بعد صلاح عظيم، وهذه الفتن المتمثلة في الانحرافات التي لا تقتصر على مجرد القناعات، وإنما تتحول إلى عواطف عواصف، وفتن قاتلة، وشرور متلاحقة، أعظم ما يهدد أمن الأوطان، وصلاح الأحوال، وخطورتها بناؤها على شبهات تلبسها زورًا لبوس الدين، وتبرر لها باستخدام وتوظيف المصطلحات الشرعية من الجهاد والدفاع المشروع، وإذا تركت دون أن يتكاتف المجتمع، ويتعاضد للقضاء على ضررها وشررها طالت الأخضر واليابس، وأهلكت الحرث والنسل، والتأريخ أعظم شاهد على عظم هذه الفتن، فما وقع زمن عثمان رضي الله عنه، وما حصل لعلي رضي الله عنه كله يشهد بأن خطر الخوارج والبغاة لا يجوز بحال التهاون بشأنه، وقد أخبر النبي ﷺ أن للخوارج فترات يقل فيها ضررهم وفتنتهم كما قال: «كلما خرج قرن قطع حتى يخرج في عراضهم الدجال»[2]، وقطع هذه الفتنة لا يكون إلا

---

(١) الأعراف: ٥٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب ذكر الخوارج، برقم: (١٧٤)، من حديث عبد الله بن عمر ب، وقال عنه الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح وضعيف ابن ماجه ١/٢٦٤.

بقوة السلطان، ومن هنا كان من صور الدفاع التعاون مع ولي الأمر تعاونًا تامًا يعد كل فرد من أفراد المجتمع نفسه فيه رجل أمن، ويدين لله بالسمع والطاعة والنصح، ويتعبد لله بهذه المشاركات الإيجابية التي تشمل: كشف مخططاتهم، والإبلاغ عنهم وعدم التستر عليهم أو إيوائهم، والإبلاغ عن المطلوب منهم سواء كان مطلوبًا بوصفه أو بعينه، والاحتساب في ذلك، وهذا يلزم كل مواطن عمومًا، ولكن لزومه أشد في حق من وكل إليهم ولي الأمر هذه المسؤولية، وأسند إليهم هذه المهمة وهم رجال الأمن في القطاعات الأمنية المختلفة، ومن المهم إثارة هذا الباعث الشرعي لديهم، ليكون قيامهم بعملهم، وأداؤهم لمسؤولياتهم لا ينحصر في صورة أداء المهمة فحسب، بل تكون مؤسسة على اعتبار هذه الخلفيات الشرعية التي لا يخفى أثرها على رفع الروح المعنوية، وقوة التضحية، واحتساب الأجر عند الله، ويتأكد هذا في ظل ما يقرؤونه أو يعرض عليهم أو يسمعونه من تشويش على الأصل الشرعي بما يثار من شبه، وهذه جزئية أساسية يتأكد فيها البيان على من تحمل مسؤولية البيان، ومما لا شك فيه أن حصول هذه الصورة الإيجابية من رجال الأمن والمواطنين يقلل من ضرر من يستهدفون الأوطان، ويقضي على فتنتهم، وهي من أبلغ الصور في الدفاع عن الأوطان.

هـ- التعاون مع ولي الأمر في القيام بالولايات، والنصح في أداء الأمانات، وتحمل المسؤولية كاملة فيما يوكل إلى الفرد.

لأن ولي الأمر لا تتم ولايته وسلطته إلا بتوزيع الاختصاصات، وتسلسل المسؤوليات، واستيعاب مصالح البلاد بهذا التنظيم الإداري، ومن هنا فإن التعاون معه والتكاتف، وقبول الولاية التي تسند إلى الفرد أيًّا كانت، ومن

أي مصدر، باعتبار أن المصالح لا تتم إلا بذلك، والنصح في المهمة التي تسند إلى الفرد، وتغليب المصلحة العامة فيها على المصالح الفردية، والمكاسب الآنية، واستشعار أن هذه أمانة، وأنها كما ورد في الحديث ستكون يوم القيامة خزيًا وندامة إلا على من قام بحقها، فقد قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حينما طلب منه أن يوليه: «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»[1]، فصار هذا الجانب متكونًا من جزأين: قبول الولاية أو المسؤولية متى ما اختير لها شخص، ولاسيما إذا تميز بميزة تجعل أهليته فيها تامة، والثاني: النصح التام، وأداء الأمانة كاملة، والنظر إلى المصالح العليا فيها، وهذا كما أنه من مقومات المواطنة الصالحة فهو من حقوق ولي الأمر على رعيته، كما ذكر ابن جماعة رحمه الله ذلك فقال: " الحق الثاني: بذل النصيحة له سراً وعلانية"، وقال رحمه الله :"الحق الثامن: إعانته على ما تحمله من أعباء الأمة، ومساعدته على ذلك بقدر المكنة"[2].

- **المسألة الثالثة: الشبه المثارة حول الدفاع عن الوطن والجواب عنها.**

والمقصود بهذه الفقرة الجواب عمَّا يشكل مما يظن فيه التعارض أو التناقض، وذلك لأن سلامة الحكم منوطة بسلامة الاستدلال، ومقاومة المعارض، وتسميتها شبهًا باعتبار ضعف مآخذها من وجه، ولأن من يعتمدها لم يقصر استدلاله على فهم أو قناعة، وإنما تحمل انحرافات فكرية،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، برقم: (١٨٢٥).

(٢) في كتابه: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص ٨.

يعارض بها الاستدلالات الصحيحة، بل وربما يتجه النقد إلى العلماء، ومن هنا فلا بد من التعرض لبعض هذه الشبه، ومن باب التركيز على الجزئيات المباشرة فإنني أتجاوز الشبه المرتبطة بالجماعة والإمامة والولاء والبراء وغيرها من أبواب العقيدة والفقه إلى شبهتين رئيستين مرتبطتين بالموضوع مباشرة.

الشبهة الأولى: أن الوطنية جاهلية، لا يجوز الانتماء إليها، لأنها من أمور الجاهلية، فهي وثنية ومن الشرك بالله عز وجل، وقد ورد في الحديث: «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية»[(١)]، ويرى أولئك أن من مظاهر الخروج عن الإسلام الدعوة إليها وتدريسها وربط الناس بها [(٢)].

وفي نظري أن هذه شبهة قديمة حديثة، ويعزى إليها ضعف الانتماء الوطني في نفوس كثير من الشباب خاصة، وكانت سببًا في إحجام بعض من أوكل إليهم التعليم والتربية من تدريس مواد الوطنية، وتوقف بعض الوعاظ من التحدث في مثل هذه القضايا المهمة، والجواب عن هذه الشبهة يكون بأمور:

١- بالتأصيل الشرعي الذي سبق ذكره بأدلة ونصوص لا مزايدة عليها، وهي نصوص مقنعة لطالب الحق، لاعتمادها على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، هذا من حيث صورة الحكم العام.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم: (١٨٤٨).

(٢) انظر: النذير، د.ماجد المرسال ص٣٣١.

٢- ثم إنه في جانب التطبيق العملي يقال: إن المواطنة انتماء، والانتماء يختلف حكمه بحسب الباعث عليه، فما يقصد به مقاصد معتبرة كالتعريف وغيرها يختلف عما يقصد به التفاضل والتدين، فالمقصد الأول الأصل فيه الإباحة، والثاني إن أدى إلى معنى مشروع، ومقصد معتبر فهو محمود، ويدور بين الوجوب والاستحباب كالانتساب إلى الإسلام والسنة، والمهاجرين والأنصار، ومنه الانتساب إلى وطن الإسلام للمعاني الشرعية فهو من هذا القبيل، بل إنه حينئذٍ يكون حبه من الإيمان وليس حبًا طبيعيًا، وتكون حمايته من مقتضيات العقيدة، كيف وقد وردت نصوص كثيرة في فضله وفضل بعض بلدانه، كمكة والمدينة والمشاعر، ووطننا المبارك المملكة العربية السعودية قد جمع ذلك كله ولله الحمد، فالانتساب والانتماء والولاء له من الدين كما تقرر، وما أدى إلى معنى غير مشروع فهو انتساب مذموم يدور بين الكراهة والتحريم[١]، يقول شيخ الإسلام رحمه الله[٢]: "وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار، انتساب حسن محمود، عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة، أو معصية أخرى".

---

(١) النذير - مرجع سابق- / ٣٣١- ٣٣٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٧١.

٣- جعل هذا الانتماء معيارًا للتفاضل هذا شأن آخر، فلا شك أن معيار التفاضل في الإسلام ظاهر واضح بيِّن ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[2]، لكن هذا المعيار لا يعني إلغاء الانتماء أو محاربته، بدليل النصوص الشرعية القاطعة بمحبة الأوطان، وقد مرت، والتوفيق بين الأخوة والانتماء سيأتي جوابه في الشبهة الثانية.

٤- المحظور في الانتماء الوطني هو تقديمه على محبة الدين، وإذا صار بهذه المثابة أصبح غلوًا محرمًا، وعصبية جاهلية، وهو بهذا المعنى مرفوض، وأول من يؤكد على رفض هذا الغلو ولاة أمرنا الذين تتم بيعتهم على الكتاب والسنة، وتقديم الدين على الوطن، وهم يرددون في كل مناسبة: "الدين أولاً والوطن ثانيًا"[3].

٥- اعتبار الوطنية من العصبية التي ورد النهي عنها في الحديث: «من قاتل تحت راية عمية ...»[4]، من الفهم الخاطئ، والتوظيف غير الدقيق للنصوص، لأن المراد بالحديث العصبية لغير الدين، وهذا مذموم كما سبق، أما إذا كان الوطن وطن الإسلام، والتعصب له

---

(١) الحُجُرات: ١٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (٢٣٥٣٦)، من حديث أبي نضرة، أنه حدثه من سمع خطبة النبي ﷺ، وعلق عليه الشيخ شعيب الأرناءوط فقال: إسناده صحيح.

(٣) النذير - مرجع سابق- / ٣٣٦.

(٤) سبق تخريجه ص٣٢.

لأجل المعاني الشرعية، فهذا جانب فطري تعزز بأصول شرعية تجعله ولاء وانتماء من الدين بل من الإيمان[1]، ولو قلب هذا وقيل بأن من يحملون هذه الأفكار، ويتكئون على هذه الشبه، ويمارسون أشد الفساد بالخروج على جماعة المسلمين، ونقض بيعة الإمام وتضليل العلماء بل وتكفيرهم، واستحلال الدماء كل ذلك لصالح جماعات سرية، ورايات ضالة، بل ودول تحارب المسلمين، أليس هذا كله يعد داخلاً فيما ورد في الحديث، لكن كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[2].

الشبهة الثانية: سلمنا أن المواطنة تأخذ جانبًا شرعيًا، وجانبًا غريزيًا فطريًا، إلا أنه لا يمكن تحقيقها، لأن مفاد ذلك منافاة مبدأ الأخوة وعالمية الدين الإسلامي، لاسيما أنها نتاج حركات قامت في البلاد العربية لإحياء هذه النعرات، وتغليبها على الرابطة الأساس وهي رابطة الدين، ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

١- لا شك أن القومية العربية التي وفدت كفكرة أوربية مبدأ منحرف، يراد من خلاله جمع الناس تحت هذه المضلة كبديل عن الإسلام، وجعل الولاء والبراء والتضحية لأجلها، ولذا قاومها علماء المسلمين، ووقفوا منها موقفًا واضحًا[3]، والإشكالية هنا أنه تم الربط بين مفهوم القومية العربية والوطنية على اعتبار أن مفهومهما

---

(١) النذير - مرجع سابق- / ٣٣٦- ٣٣٧.

(٢) فاطر: ٨.

(٣) انظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، للشيخ/ صالح العبود، ص ٢٥٤.

واحـد، وأن كـلا منهمـا منـاقض للإسـلام، وفي نظـري - والله أعلم- أن هذه القضية نوقشت في وقت طغت فيه تلك المفاهيم، وتعـددت الـردود، فـلا بـد مـن مراعـاة ظـرف القـضية وزمنهـا عنـد الإفـادة مـن تلـك الأطروحـات، وهـذا خلـل يقـع فيـه كـثير مـن المتحمـسين لا في خـصوص هـذه المـسألة، بـل في عمـوم الإفـادة مـن كلام العلماء والمتخصصين، وقد تطـور مفهـوم المواطنـة، ولا نعـني طغيان هذه العلاقة على رابطة الدين أو المذهب، ولابد مـن مراعـاة هذا التطور عند مناقشة هذه القضية الهامة[1].

٢- أن ما وقع أخذ في بعضه طبيعة ردود الفعـل، وردود الفعـل تـؤول إلى طرفين مذمومين، فالفكرة القومية كانت مخالفـة لمبـادئ الـدين في صورتها المذمومة التي يراد منها إحلالها بـديلاً عـن الرابطـة الدينيـة، لكن ذلك لا يلغي فضل جنس العرب على غيرهم، وما حبـاهم الله من خلال وخصال يفضلون بها على غيرهـم، كمـا أن الوطنيـة لهـا صـورتها المذمومـة إذا طغـت وصـارت مجـالاً للتعـصب المـذموم، أو الحزبيـة الممقوتـة، لكنهـا كارتبـاط غريـزي فطـري يعـزز بـالموقف الـشرعي الـذي يعتمـد في التعـبير عـن الارتبـاط بمقومـات المواطنـة الصالحة فإنه حينئذٍ لا يعارض الروابط الأخرى ولا يقاومها.

---

(١) انظر: الفقه الإسلامي ومفهوم المواطنة، مقـال للكاتـب/ محمـد محفـوظ، عـلى الـشبكة في موقع: التجديد العربي.

٣- أن أي فرد في مجتمع يكون ممارساته وتصرفاته الاجتماعية ضمن دوائر عدة، تتكامل هذه الدوائر في حياته دون تناقض أو التباس، ومنها هذه الدائرة الوطنية، فيمكنه الانتماء إليها دون أن تتعارض مع دائرة الجماعة أو العشيرة أو الأخوة الدينية، فتبتدئ بمحبة الأسرة والعشيرة ثم الجماعة، ثم الوطن، ثم كل مسلم، ولا تلغي الدرجة العليا ما دونها، والمنهي عنه التعصب الذي يؤدي إلى الفرقة والانقسام، ويحرض على الظلم[1]، ويؤكد هذا المعنى أن رسول الله ﷺ جسد هذه المعاني كلها، فعبر عن محبته لوطنه وحنينه إليه، وأكد على حق قرابته، وأرشد إلى معاني الأخوة الإسلامية وطبق ذلك عمليًا صلوات الله وسلامه وعليه.

٤- ويمكن أن يقال: أنه كما كان للعلماء موقف ظاهر وقت طغيان القومية العربية بمفهومها المخالف، فإننا نعاني من انحراف سبب تصرفات منكرة واجه بها المنحرفون مجتمعهم، وواجهوا ولاة أمرهم، وصرحوا بأنهم لا يربطهم بوطنهم رابط، بل أوردوا الكلام السابق لدعم انحرافهم، ومن هنا فإن مقاومة هذا الانحراف يستدعي إبراز الموقف الشرعي من الانتماء إلى الوطن، من خلال النقاط السابقة، وقد ثبت أن ثمت علاقة قوية بين قوة الانتماء والسلامة من الانحراف الفكري، والعكس بالعكس.

---

(١) انظر: المقال السابق، نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة.

المطلب الثاني: حكم المفاداة بالنفس والمال دفاعًا عن الوطن.

إذا تقرر أن الدفاع عن الأوطان مشروع، وأن المشروعية تتأكد في الدفاع عن أوطان المسلمين، ومن خلال التقرير السابق يتبين أنه من الجهاد في سبيل الله، لأنه إعلاء لكلمة الله، وحفاظ على وحدة المسلمين، ودفاع عن حرماتهم، وحماية لحوزة الإسلام في بلد الإسلام، وكلها مقاصد شرعية تجعل المفاداة بالنفس والمال دون الوطن من المجالات المشروعة، بل المقدسة، وأن المسلم إذا اعتدي على وطنه واستهدف بسوء فإن من واجبه أن يدافع ويقدم ما يملك فداء لوطن الإسلام، وما يقدمه من تضحيات في هذا السبيل تدخل في صور الجهاد المشروع، ومما يؤكد الحكم ويقويه: -

١- أن الله جعل الإخراج من الأوطان عديلاً لقتل النفوس، وإذا كان الأعداء لو استهدفوا المسلمين وجب عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم فكذا أوطانهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[1].

٢- أن الله سبحانه وتعالى جعل من أسباب الجهاد، ودوافع مشروعيته اعتداء الكفار على الأوطان، وإخراج أهلها منها، قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[2]، وقال سبحانه:

---

(١) النساء: ٦٦.

(٢) الحج: ٣٩- ٤٠.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١)، فدل على أن الأوطان يجب الدفاع عنها، وأن الاعتداء عليها سبب مشروع للقتال.

٣- قوله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد» (٢)، وفي رواية: «من قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد» (٣)، وورد أيضًا بلفظ عام: «من قتل دون حقِّه فهو شهيد» (٤)، وورد بلفظ آخر: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد» (٥)، ومعلوم أن المال والنفس والعرض كلها من الضرورات، ومرتبطة بالمكان الذي يقيم فيه الشخص، فكيف يمكن الدفاع دون التمسك بالوطن؟

---

(١) الحشر: ٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، برقم: (٢٣٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد، برقم: (١٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، برقم: (٤٧٧٢)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ١٢/١٤٦، برقم: (٦٧٧٥)، من حديث زيد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده.

(٥) أخرجه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله، برقم: (٤٠٩٣)، من حديث أبي جعفر رضي الله عنه.

٤- سيرة رسول الله ﷺ وهديه حينما يقع الهجوم والاعتداء فإنه يُحصِّن أولاً الوطن، ويفعل كل ما بوسعه لصد الأعداء عنه، ولذا جعل الفقهاء من الحالات التي يكون الجهاد فيها فرض إذا هاجم العدو بلدًا إسلاميًا وجب على أهله الدفاع عنه، ووجب على من يليهم نصرتهم إذا طلبوا ذلك منهم بالضوابط الشرعية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ...﴾[1]، وهذا يؤكد أن الدفاع عن الأراضي والأوطان من المطالب الشرعية، يقول الجصاص رحمه الله من علماء الحنفية: "ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو، ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة"[2]، ومقصوده بقوله: "كافة الأمة" أي: أمة هذا البلد الذي وقع الاعتداء عليه كما هو صريح كلام غيره من العلماء، والقرطبي رحمه الله يقول: "إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته"[3]، ويقول النووي رحمه الله: " الضرب

---

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/١١٤.

(٣) تفسير القرطبي ١/١٤٢.

الثاني: الجهاد الذي هو فرض عين، فإذا وطئ الكفار بلدة للمسلمين، أو أطلوا عليها، ونزلوا بها قاصدين، ولو لم يدخلوا صار الجهاد فرض عين"[1]، وهذا القول كسابقه، ففرضية العين هي على من اعتدي عليهم، وللحدود السياسية أثر في استقلال كل بلد بأحكامه في هذا المجال كما قرر العلماء، ويقول ابن قدامة: "ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع: ... الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم"[2]، وكلام الفقهاء في ذلك كثير مشهور.

---

(١) روضة الطالبين، وعمدة المفتين، ١٠/٢١٤.

(٢) المغني ٩/١٧٩.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الدفاع عن الوطن، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حكم إطلاق وصف الشهيد على من قتل دفاعًا عن وطنه، وفيه مسألتان:**

- المسألة الأولى: إطلاق الوصف على العموم.

الحديث عن إطلاق الوصف على سبيل التعيين سيأتي الخلاف فيه، لكن أذكر هنا أن العلماء حذروا من التساهل الشديد في إطلاق الأوصاف أو إضافة قيود أو أوصاف لم ترد في الشرع، قال شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وأما ما ينشر في الصحف وما أشبه ذلك من مثل هذه الألقاب التي قد تقال لمن يجزم الإنسان بأنه ليس من المؤمنين فضلاً عن الشهداء؛ فإن الواجب أن يتحرّى الإنسان فيما يقول، سواء كان صحفيًا أم غير صحفي لأنه سيُسأل عما قال، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]"[2]، كما أن من الأمور التي يجب الحذر منها إطلاق البعض أوصافًا لنيل الشهادة غير الأوصاف التي ذكرها النبي ﷺ، كشهيد الحرية أو شهيد العلم، وغير ذلك من الأوصاف التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا يخفى أن مرتبة الشهادة مرتبة عظيمة، جاء الإسلام برفع مكانتها وإعلاء شأنها، فيجب الوقوف عند الأصول الشرعية في التسميات، كما هو حال المؤمن في جميع شأنه أنه يرجع إلى الحق، ويلتزم بالنص، وهذا في الجزم، أما إطلاق الوصف، وقول: الشهيد، فهذا على نوعين:

---

(١) ق: ١٨.

(٢) فتاوى إسلامية، جمع محمد بن عبد العزيز المسند: ٤/ ٢٦٢.

الأول: وصف العموم: كأن يقال: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص؛ لأنه شهادة بما أخبر به رسول الله ﷺ، ونعني بقولنا: جائز أنه غير ممنوع، وإن كانت الشهادة بذلك واجبة تصديقًا لخبر رسول الله ﷺ" [١].

فإطلاق لفظ الشهيد لمن قتل وهو يدافع عن وطنه من باب الإطلاق على العموم جائز، لأن المجال مشروع، وهو من ميادين الجهاد التي تدخل في المعيار الذي جعله النبي ﷺ للوصف بالشهادة فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[٢]، وكما سبق فإن المقاتل دون أوطان المسلمين دفاعًا عنها، وحماية لحوزة الإسلام فهو من هذا القبيل، وعليه فوصفه بالشهادة على سبيل العموم لا على سبيل التعيين جائز وسائغ.

وهنا لابد من تسليط الضوء على المصطلح الذي استعمل كعنوان للندوة ألا وهو "شهيد الواجب" فإنه عند التدقيق والنظر لا يخرج عمَّا ذكرت، لأن الدفاع عن الأوطان واجب، والنفير إلى ذلك متعين، فيعد من الحالات التي تجب المشاركة فيها وجوبًا عينيًا كما سبق، والوجوب درجة عالية من المشروعية، فمن قتل دون الوطن الذي يجب الدفاع عنه فهو شهيد هذا الواجب، فالتسمية مراعى فيها هذا البعد الذي يحصل به استثارة النفوس لطلب هذا الشرف، ولا تعني أنها خروج عن الوصف الشرعي، أو إثبات

---

(١) المناهي اللفظية، محمد بن صالح العثيمين، جمع فهد السليمان، ص٨٠.

(٢) سبق تخريجه في ص ٢١.

وصف لم تدل النصوص عليه، وإذا قيل بجواز وصف المقتول دون وطن الإسلام بالشهادة على سبيل العموم فإنه يسوغ أن يطلق هذا على من حصلت له هذه المنزلة باعتبار العموم، بمعنى أن من قتل دفاعًا عن وطنه فلا يمنع أن يقال شهيد الواجب، وليس المراد الشهادة له بعينه، وإنما المراد أن المجال الذي قتل فيه، والهدف الذي قاتل لأجله مشروع، فينطبق عليه هذا الحكم بهذا الاعتبار، كما أن من قتل في المعركة يعامل معاملة الشهداء ولا يعني له الشهادة بعينه، لأنه قد يتخلف شرط أو يوجد مانع، على أن الإطلاق المعين محل خلاف كما سيأتي، والله أعلم.

- **المسألة الثانية: إطلاق الوصف على سبيل التعيين.**

سبق الكلام أن من قتل مدافعًا عن وطنه فهو شهيد، ولكن اختلف أهل العلم - رحمهم الله- في مسألة إطلاق وصف الشهيد على المعين، وكان اختلافهم فيها على قولين:

❖ القول الأول:

أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد، حتى لو قتل مظلومًا، أو قتل وهو يدافع عن الحق، إلا من شهد له النبي ﷺ، أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك .

وقال بهذا جماعة من أهل العلم - رحمهم الله- ، منهم: الإمام البخاري رحمه الله[1]، ورجحه شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله[2]،

---

(١) فقد بوب لذلك فقال: (باب لا يقال: فلان شهيد)، انظر: صحيح البخاري، ٨٩/٦.

(٢) انظر: المناهي اللفظية، للشيخ: محمد بن الصالح العثيمين، جمع: فهد السليمان، ص٨٠، وانظر: فتاوى إسلامية، جمع: محمد بن عبد العزيز المسند ٩١/١.

وهو رأي العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله[1] فقال: "(تنبيه): بوب البخاري في "صحيحه": (باب لا يقال: فلان شهيد)، فهذا مما يتساهل فيه كثير من الناس فيقولون: الشهيد فلان، والشهيد فلان" ا.هـ [2].

- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١- ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله»[3].

❖ **وجه الدلالة:** في قول النبي ﷺ: «الله أعلم...»، قالوا: إن هذا الحكم ليس على الظاهر، فمن كان يقاتل في صفوف المسلمين فلا يتعين أن يكون ممن يقاتل في سبيل الله، ويكلم في سبيل الله؛ لأنه قد يكون في صفوف المسلمين ويقاتل حمية، وما أشبه ذلك، ولا يكون لأحد الفضيلة حتى يقاتل في سبيل الله [4]، ولا يمكن اطلاع ذلك إلا بالوحي، فمن ثبت أنه في سبيل الله أعطي حكم الشهادة، ولا يعلم ذلك إلا من علمه الله، فلا ينبغي إطلاق كون كل مقتول في الجهاد أنه في سبيل الله [5].

---

(١) كما في: أحكام الجنائز، ص ٥٩.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، رقم (٢٧٨٧).

(٤) انظر: المنتقى، للباجي: ٢٠٥/٣.

(٥) انظر: فتح الباري: ١٠٦/٦.

٢- عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع للعدو شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه...، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[١].

❖ **وجه الدلالة:** أن الصحابة رضي الله عنهم شهدوا أن هذا الرجل محسوب على الجهاد في سبيل الله، فلو كان قُتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله وإنما قاتل غضبًا لقومه، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد، لاحتمال أن يكون مثل هذا[٢].

٣ – قال أصحاب هذا القول: إننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة.

وهناك أدلة أخرى، ولكن هذه أهمها.

❖ مناقشة الأدلة:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب لا يقول: فلان شهيد، برقم: (٢٨٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري: ٦/١٠٦.

اعترض بعض العلماء على تبويب البخاري رحمه الله، فقال الحافظ ابن حجر على تبويب البخاري [(١)]: "أي على سبيل القطع ... وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب، والله أعلم" ا.هـ

ونقل الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية [(٢)] عن الطاهر ابن عاشور في ترجمة البخاري، فقال: "هذا تبويب غريب، فإن إطلاق اسم الشهيد على المسلم المقتول في الجهاد الإسلامي ثابت شرعا، ومطروق على ألسنة السلف فمن بعدهم، وقد ورد في حديث الموطأ، وفي الصحيحين: أن الشهداء خمسة غير الشهيد في سبيل الله، والوصف بمثل هذه الأعمال يعتمد على النظر إلى الظاهر الذي لم يتأكد غيره، وليس فيما أخرجه البخاري هنا إسناد وتعليق ما يقتضي منع القول بأن فلانا شهيد، ولا النهي عن ذلك.

فالظاهر أن مراد البخاري بذلك أن لا يجزم أحد بكون أحد قد نال عند الله ثواب الشهادة؛ إذ لا يدري ما نواه من جهاده، وليس ذلك للمنع من أن يقال لأحد: إنه شهيد، وأن يجرى عليه أحكام الشهداء، إذا توفرت فيه، فكان وجه التبويب أن يكون: باب لا يجزم بأن فلانا شهيد إلا بإخبار من رسول الله ﷺ مثل قوله في عامر بن الأكوع: "إنه لجاهد مجاهد" [(٣)]، ومن هذا

---

(١) في: فتح الباري، ٦/١٠٦.

(٢) ص ٣٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب غزوة خيبر، برقم: (٣٩٦٠)، ومسلم في صحيحه، باب غزوة خيبر، برقم: (١٨٠٢.)

القبيل زجر رسول الله ﷺ أم العلاء الأنصارية حين قالت في عثمان بن مظعون: "شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: "وما يدريك أن الله أكرمه؟" [1].ا.هـ.

❖ القول الثاني:

جواز تسمية المقتول في سبيل الله وغيره ممن مات بسبب من أسباب الشهادة بشهيد ولو على سبيل التعيين، وذلك بناء على الحكم الظاهر على الشخص المبني على الظن الغالب لدى الناس، قال ابن عبد البر رحمه الله: «إن الحكام إنما يقضون في التعديل والتجريح عند الشهادات بما يظهر ويغلب، ولا يقطعون على غيب فيما به من ذلك يقضون، ولم يكلفوا إلا العلم الظاهر، والباطن إلى الله ﷻ»[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «قد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن يكتم إيمانه، ممن لا يعلم المسلمون حاله، إذا قاتلوا الكفار، فيقتلونه، ولا يغسل، ولا يصلى عليه، ويدفن مع المشركين، وهو في الآخرة مع المؤمنين أهل الجنة، كما أن المنافقين تجري عليهم في الدنيا أحكام المسلمين، وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، برقم: (١١٨٦).

(٢) الاستذكار: ١٤/٢٤٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل: ٨/٤٣٢- ٤٣٣.

وذهب بعض أهل العلم إلى هذا القول ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]، وكذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[٢]،

- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

- الأدلة الكثيرة على تسمية بعض الصحابة نفسه بالشهيد، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: لما طعن حرام بن ملحان ﷺ - وكان خاله- يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: "فزت ورب الكعبة"[٣]، فقوله: "فزت ورب الكعبة" أي بالشهادة[٤]، وكان هذا شهادة لنفسه، ولم ينكر عليه النبي ﷺ.

- وعندما قُتل النعمان بن مقرن ﷺ في معركة نهاوند قال أخوه معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة[٥].

هذه بعض الآثار المروية عن الصحابة ش، وروي مثلها عن التابعين ومن بعدهم، وبمثلها قال كثير من العلماء المُحققين[٦].

---

(١) انظر: الفتاوى ٢٤/٢٩٣.

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ١٢/٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، برقم: (٤٠٩٥).

(٤) فتح الباري: ٧/٤٤٩.

(٥) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي، ص٤٢٣.

(٦) انظر مثلاً: قول يحيى بن معين في أحمد بن نصر المروزي - عندما قتل في فتنة القرآن- : "ختم له بالشهادة"، انظر: سير أعلام النبلاء: ١١/١٦٧، وانظر مثلاً أقوال كل من: شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه: ٢٤/٢٩٣. وابن عبد البر في الاستيعاب: ٣/٣١٢،

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم إطلاق لفظة "الشهيد" على المعين فأجاز ذلك، وقال: كل من سماه النبي ﷺ شهيدًا فإنه يسمى شهيدًا[1].

- الترجيح:

يظهر لي - والله أعلم- أن من مات بسبب من أسباب الشهادة التي ثبتت عن النبي ﷺ، فلا يمنع من إطلاق الوصف عليه ولو على سبيل التعيين، لأن السبب قد ثبتت به الشهادة، وكذلك من أسباب حصول الفضل له شهادة المؤمنين بذلك، فلا مانع من إطلاق لفظ شهيد عليه، ولا محذور في ذلك، وإن كان فيه شهادة بالجنة، فعن أنس رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال: «وجبت»، ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شرا أو قال غير ذلك فقال: «وجبت»، فقيل: يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت، قال: «شهادة القوم المؤمنون شهداء الله في الأرض»[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[3]: " قال الداودي: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا

٥٤٣، ٦٥٤، ٦٥٥. وانظر إلى ابن حجر في الإصابة في عدة مواضع من كتابه. وابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٠/٧.

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم ٩٢٤٨، جمع: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ٢٣/١٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، برقم: (١٣٦٧).

(٣) في فتح الباري، ٢٧٣/٣.

من بينه وبين الميت عداوة لأن شهادة العدو لا تقبل ، وفي الحديث فضيلة هذه الأمة ، وإعمال الحكم بالظاهر" .ا.هـ.

- **المطلب الثاني: حقوق من قتل دفاعًا عن وطنه، وفيه مسألتان:**

- المسألة الأولى: حقوق من قتل دفاعًا عن وطنه بعد القتل.

من أحكام الشهداء عدم التغسيل والتكفين والصلاة عليه، وفي كل هذه المسائل خلاف يسير، وسأعرضه كما يأتي - بإيجاز- :

أولاً: تغسيل الشهيد: اتفق الأئمة الأربعة [1] على أن شهيد المعركة لا يغسل إذا لم يكن جنبًا، وحكاه بعضهم إجماعًا [2]، واستدلوا بعدة أدلة منها ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ: ادفنوهم في دمائهم، يعني يوم أحد، ولم يغسلهم» [3]، لكن إن علق به شيء من النجاسات فيجب أن يزال ما عليه، لأن الآثار وردت في إبقاء دمه خاصة، وإن أدى ذلك إلى زوال بعض دمه، لأن دفع المفسدة وهي غسل النجاسة، أولى من جلب المصلحة وهي إبقاء أثر العبادة [4].

ثانيًا: تكفين الشهيد: اتفق الأئمة الأربعة [5]، والظاهرية [6] على مشروعية تكفين الشهيد في ثيابه التي أصيب فيها، وذلك استنادًا إلى الأحاديث الدالة على ذلك، ومنها حديث جابر المتقدم في تغسيل الشهيد، لكن إذا سلبت عنه

---

(١) انظر: المبسوط: ٤٩/٢، والمدونة: ١٨٣/١، وحاشية الدسوقي: ٤٢٥/١، والأم: ٤٤٦/١، وروضة الطالبين: ١١٨/٢، والمغني: ٤٦٧/٣.

(٢) انظر: الإفصاح: ١٣٩/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من لم ير غسل الشهداء، برقم: (١٣٤٦).

(٤) انظر: مواهب الجليل: ٢٤٩/٢، وروضة الطالبين: ١٢٠/٢، والإنصاف: ٤٤٩/٢.

(٥) انظر: المبسوط: ٥٠/٢، والمدونة: ١٨٣/١، والأم: ٤٤٦/١، والمغني: ٤٧١/٣.

(٦) المحلى، لابن حزم: ٣٣٦/٣.

ثيابه في المعركة، وعراه العدو فإنه يجب تكفينه، لأنه بذلك يكون كغيره من الموتى، قال ابن رشد: "قوله في تكفين من عراه العدو من الشهداء أن ذلك حسن، لفظ فيه تجاوز وتسامح، بل ذلك لازم، لا رخصة في تركه"[(١)]، وينزع عن الشهيد سلاحه، كالسيف، والدرع، وغيرها مما تسمى سلاحًا وقد اتفق الأئمة الأربعة على ذلك وأنه ينزع عن الشهيد[(٢)]، وحكى النووي ذلك إجماعًا، فقال: «وأجمع العلماء على أن الحديد والجلود تنزع عنه»[(٣)].

ثالثًا: الصلاة على الشهيد: فقد اختلف العلماء في حكم الصلاة على الشهيد على أقوال هي:

❖ القول الأول: أنه لا يصلى على الشهيد، وهذا مذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة[(٤)].

- الأدلة:

استدلوا بعدة أدلة، منها:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟

---

(١) البيان والتحصيل: ٢/ ٢٢٩.

(٢) انظر: المبسوط: ١/ ٥٠، والمدونة: ١/ ٤٨٣، ونهاية المحتاج: ٢/ ٥١١، وكشاف القناع: ٢/ ٩٩.

(٣) المجموع: ٥/ ٢٦٧.

(٤) انظر: المدونة: ١/ ١٨٣، والأم: ١/ ٤٦٦، والإنصاف: ٢/ ٥٠٠.

فإذا أشير له على أحدهما قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم»[1].

٢- أن الصلاة على الميت شفاعة له، ولا يشفع إلا للمذنبين. والشهداء قد غفرت ذنوبهم، وصاروا إلى كرامة الله ورحمته أجمعين، فارتفعت حالتهم عن أن يصلى عليهم، كما يصلى على سائر موتى المسلمين[2].

٣- أن الغسل متعلق بالصلاة، فإذا كان الشهيد لا يغسل ثبت أنه لا يصلى عليه[3].

٤- أن الصلاة إنما شرعت في حق الموتى، والشهداء أحياء عند ربهم[4].

❖ القول الثاني: أنه يصلى عليه، وهذا مذهب الحنفية[5]، ورواية عن أحمد[6].

- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾[1]، فأمر بالصلاة ولم يفصل، وعلل بأن الصلاة سكن لهم أي أنس ورحمة، والشهيد أولى من غيره.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، برقم: (١٣٤٣).

(٢) انظر: الأم ١/٤٤٧.

(٣) انظر: المجموع: ٥/٢٦٦، وتهذيب السنن، لابن القيم: ٤/٢٩٦.

(٤) انظر: المغني: ٣/٤٦٩، بتصرف.

(٥) تبيين الحقائق: ١/٢٤٨.

(٦) المغني: ٣/٤٦٧، الإنصاف: ٢/٥٠٠.

٢- ما رواه عقبة بن عامر «أن النبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت»[٢]، وغير لك من الأدلة التي بينت أن النبي ﷺ صلى على الشهداء.

❖ القول الثالث: أن الصلاة على الشهيد بالخيار للمصلي: فإن شاء صلى، وإن شاء ترك، وهو رواية عن الإمام أحمد[٣] رجحها ابن القيم[٤]، وهو مذهب ابن حزم[٥]، فهم جمعوا بين أدلة القولين.

- الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح - والله أعلم- هو القول الأول، لقوة أدلته، وصلاة النبي ﷺ على شهداء أحد ليست استدراكًا للصلاة عليهم، لأنه لم يحصل هذا في شهداء المعارك غيرهم، ولكن لو حصل التردد في صورة كما سيأتي في قتال البغاة والخوارج والمحاربين فإن الصلاة عليهم تترجح، لأنه إذا كان شهيد المعركة محل خلاف، فإذا قوي الخلاف بقي الأصل وهو الصلاة، والله أعلم.

ولكن من هو هذا الشهيد؟ وهل من يقتل في الثغور أو في مدافعة البغاة أو الخوارج ينطبق عليه حكم الشهيد الآنف، وهو حكم دنيوي، وأما الأخروي فإلى الله، وهذه المسألة من مسائل الخلاف، ووقع الخلاف فيها على أوجه

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، برقم: (١٣٤٤).

(٣) المبدع: ٢/٢٣٦، والإنصاف: ٢/٥٠٠.

(٤) تهذيب السنن: ٤/٢٩٥.

(٥) المحلى: ٣/٣٣٦.

كثيرة، والمؤثر في حكم المسألة أمور، أولها: تحديد شهيد المعركة هل المراد بالمعركة أمر مكاني أو زماني، وقد اختلف في ذلك، فذكر القاضي عبد الوهاب - من المالكية- أن الشافعية[1] اعتبروا في ذلك: زمن الحرب وبقاءها، ورجح أن المعترك ليس بقاء الحرب وتقضيها، وإنما عبارة عن الموضع الذي يكون فيه القتال[2].

كما أن الشافعية ذهبوا في تحديد المعركة إلى اعتبار الحال أيضًا، أي أن المجاهد إذا قاوم وقاتل وحصل منه عراك لعدوه ثم قتل أثناء ذلك يصح اعتباره من قتلى المعركة، أما إذا قتل وهو غافل أو قتل صبرًا[3] فإنه لا يكون من قتلى المعركة[4]. ولعلهم أخذوا ذلك من فهمهم للمعنى اللغوي من المعاركة التي هي على وزن مفاعلة، وأنها لا تكون إلا من اثنين، ولا بد من فعلين لفاعلين في الغالب.

والذي يظهر - والله أعلم- هو ما رجحه القاضي عبد الوهاب من أن المعركة هي أرض الحرب والموضع الذي يكون فيه القتال؛ لأن هذا هو المعروف في دلالة اللغة، وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر "مسرح العمليات"،

(١) قال أبو إسحاق الشيرازي: "إن جرح في الحرب ومات بعد انقضاء الحرب غسل وصلى عليه، لأنه مات بعد انقضاء الحرب"، المهذب: ١/١٣٥.

(٢) الإشراف على نكت مسائل الخلاف: ١/٣٥٨ - ٣٥٩.

(٣) صبرًا: قال ابن الأثير: كل من قتل في غير معركة، ولا حرب، ولا خطأ، فإنه مقتول صبرًا. النهاية: ٣/٨.

(٤) انظر: روضة الطالبين: ٢/١١٩، تحفة المحتاج: ٣/١٦٤.

وهو يرادف "أرض المعركة" ، فكل من قتل في "مسرح العمليات" يطلق عليه قتيل المعركة.

ثم إن أحكام الشهيد الدنيوية من كونه لا يغسل ولا يصلى عليه ويكفن في ثيابه تطبق على المسلم المقتول في معركة الكفار بلا خلاف بين المذاهب الأربعة[1] في أنه شهيد يأخذ الأحكام الخاصة من عدم الغسل، والدفن بثيابه، وغير ذلك من الأحكام التي اختلف في بعضها، لكن صور الشهادة الأخرى التي منها: الشهادة في قتال البغاة والخوارج، والمدافعة عن الثغور وقع الخلاف فيها، فقد اختلف العلماء - رحمهم الله- فيمن قُتل في معركة البغاة.

قال ابن رشد[2]: "وسبب اختلافهم هو الموجب لرفع حكم الغسل هل هي الشهادة مطلقًا أو الشهادة على أيدي الكفار؟ فمن رأى أن سبب ذلك هو الشهادة مطلقًا، قال: لا يغسل كل من نص عليه النبي ﷺ أنه شهيد ممن قتل"، وقد اختلفوا في ذلك على قولين:

❖ القول الأول:

أن من قتله أهل البغي كمن قتله أهل الحرب، فيأخذ الأحكام الخاصة بالشهيد، وهذا مذهب الحنفية[3]، والحنابلة[4]، وقول عند الشافعية[5].

---

(١) الحجة لمحمد بن الحسن ٣٥٦/١- ٣٥٧، الذخيرة ٤٧٦/٢، مغني المحتاج ٣٥٠/١، الفروع لابن مفلح: ٢١٣/٢.

(٢) بداية المجتهد: ٢٦٧/١.

(٣) حاشية رد المحتار: ٢٤٩/٢.

(٤) المغني: ٤٧٤/٣، الشرح الكبير: ٥٤٩/١.

(٥) الحاوي: ٢٠٧/٣.

- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، أشهرها:

الآثار التي وردت عن بعض الصحابة المقتولين ظلمًا أنهم يدفنون في ثيابهم، ومن ذلك: قول عمار بن ياسر رضي الله عنه: «ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم»[(١)]، وكان قد استشهد بصفين تحت راية علي رضي الله عنه، فكان قتيل أهل البغي، ومع ذلك فإنه أمر أن يدفن في ثيابه[(٢)].

وكذلك فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه دفن في ثيابه بدمائه ولم يغُسل[(٣)].

❖ القول الثاني:

أن من قتله أهل البغي يكون كسائر الموتى، ولا يأخذ حكم شهيد المعركة مع الكفار، وهذا مذهب المالكية[(٤)]، والشافعية في الأظهر[(٥)]، ورواية عن الإمام أحمد[(٦)].

- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، أشهرها:

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٤/١٧، كتاب الجنائز، باب المقتول بسيف البغي، وقال عنه ابن حجر في التلخيص الحبير ٥/٢٧٥: "حديث أن عمار بن ياسر أوصى أن لا يغسل: البيهقي من حديث قيس بن أبي حازم عنه وصححه ابن السكن".

(٢) بدائع الصنائع: ١/٣٢٣، بتصرف.

(٣) المسند لعبد الله بن أحمد، الفتح الرباني: ٧/١٥٩، قال ابن الملقن: إسناده لا أعلم به بأسًا. خلاصة البدر المنير: ١/٢٨٠.

(٤) الذخيرة: ٢/٤٧٦.

(٥) الأم: ١/٤٤٩، روضة الطالبين: ٢/١١٩.

(٦) الشرح الكبير، لابن قدامة: ١/٥٤٩، الإنصاف: ٢/٥٠٣.

١- عمومات أحاديث غسل من سوى الشهداء، وقالوا: إن الشهداء المقتولين في المعركة مع الكفار خرجوا عن أمر النبي ﷺ بالكفن والغسل، والصلاة، وبقي سائر من قتله مسلم أو باغ أو محارب على حكم سائر الموتى[1]، فكأنهم يريدون أن الأحكام العامة أصل، وشأن الشهداء استثناء، فيقتصر فيه على النص، ويؤكد ذلك ورود تسمية الشهيد لمن مات في حادث عام كغرق وحريق ومرض طاعون ونحوه، ولم يستثنوا في هذه الأحكام، ولكن يمكن أن يجاب بأن صورة الاستثناء تنطبق على قتيل المعركة سواء في مواجهة الكفار أو البغاة والخوارج، فكله يجمعه أنه قتال مشروع مأمور به.

٢- عن ابن أبي مليكة قال: «دخلت على أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها بعد قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قال: وجاء كتاب عبد الملك بن مروان أن يدفع إلى أهله، فأتيت به أسماء من الخشبة، فغسلته وكفنته وحنطته ثم دفنته»[2]، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه قتل مظلومًا، ولم ينكر أحد على أمه فعلها[3].

- الترجيح:

الذي يظهر في هذه المسألة - والعلم عند الله- أن الراجح هو القول الأول، لأن الله تعالى كما أمر بقتال المشركين أمر بقتال البغاة في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) المحلى: ٣/٣٣٧.

(٢) انظر الاستيعاب: ٢/٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) مغني المحتاج: ١/٣٥٠.

ﵟٱلۡمُقۡسِطِينَﵞ[1]، فكان قتالهم امتثالاً لأمر الله تعالى، فكان جهادًا، وبذلك قال الصنعاني رحمه الله في تعريف الجهاد[2]: «بذل الجهد في قتال الكفار أو البغاة».

- **المسألة الثانية: حفظ حقوق من قتل دفاعًا عن وطنه، ورعاية أسرته.**

حث الإسلام على رعاية حقوق الشهداء وحفظ حقوقهم، ورعاية أهليهم وذراريهم، وجعل لذلك الأجر العظيم، حتى إنه ساواهم في الأجر بأجر الغزاة في سبيل الله، قال النبي ﷺ: «من خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا»[3]، وقد كان النبي ﷺ يزور أسر الشهداء، ويواسيهم، فقد روى أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له؟ فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي»[4]، فالنبي ﷺ كان يجبر قلب أم سليم بزيارتها، ويعلل ذلك بأن أخاها قتل معه، ففيه أنه خلفه في أهله بخير بعد وفاته، وذلك من حسن عهده ﷺ[5].

---

(١) الحُجُرات: ٩.

(٢) سبل السلام: ٤/ ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير، برقم: (٢٨٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، برقم: (١٨٩٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير، برقم: (٢٨٤٣).

(٥) فتح الباري: ٦/ ٦٠.

وقد روي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر ﷺ: «أنه لما قتل جعفر جاءها النبي ﷺ فقال: ائتيني ببني جعفر، قالت: فأتيته بهم، فشمهم وذرفت عيناه»[1].

وروي أنه لما جاء جيش المسلمين من معركة مؤتة ودنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الصبيان فاحملوهم، واعطوني ابن جعفر، فأتى بعبد الله، فأخذه فحمله بين يديه»[2].

وكان صحابة رسول الله ﷺ من بعده يولون الشهداء اهتمامًا كما هي سيرة المصطفى ﷺ، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يدخل عليه رجل فيجد بنت سعد بن الربيع ﷺ على بطنه وهو يشمها، فقال: يا خليفة رسول الله! ابنتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني، قال الرجل: من هذا الرجل الذي هو خير منك بعد رسول الله ﷺ؟! قال: سعد بن الربيع، كان من النقباء، وشهد بدرًا، وقتل يوم أحد[3]، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ كان يكرم أبناء الشهداء ويفضلهم على غيرهم، فقد روي أنه لما فرض للناس، فرض لعبد الله بن حنظلة الغسيل ألفي درهم، فأتاه طلحة بابن أخ له ففرض له دون

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤/ ٣٨٠، وأخرجه أحمد في المسند، الفتح الرباني: ٢٢/ ٢١٥ - ٢١٦. قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه امرأتان لم أجد من وثقهما، ولا من جرحهما، وبقية رجاله ثقات. المجمع: ٦/ ١٦١.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤/ ٣٨٢.

(٣) سنن سعيد بن منصور، ٢/ ٣٠٣، رقم ٢٨٤٢، بتصرف يسير.

ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين فضلت هذا الأنصاري على ابن أخي! قال: نعم لأني رأيت أباه يستن يوم أحد بسيفه كما يستن الجمل[1].

ولذا فقد ذكر الفقهاء - رحمهم الله- أن من مات أو قتل من جنود المسلمين فإنه ينفق على امرأته حتى تتزوج، وعلى ابنته الصغيرة حتى تتزوج، وعلى ابنه الصغير حتى يبلغ، ثم يجعل من المقاتلة إن كان يصلح للقتال، لأن في هذا تطييبًا لقلوب المجاهدين، فإنهم متى علموا أن عيالهم يكفون المؤنة بعد موتهم تحمسوا للجهاد والقتال[2].

وكل هذا إزاء ما قدموه دفاعًا عن الإسلام وعن الأوطان، فكافأهم بأن حفظ لهم حقوقهم ورعى أسرهم، حفظًا لهم، ورعاية لحقوقهم.

ومن هنا فإن هذه مسؤولية يتحملها ولاة الأمر باعتبار أن هذا جزء من مسؤوليتهم وأمانتهم التي حملهم الله إياها، أن يقوموا برعاية أسر الشهداء، والعناية بأبنائهم من بعدهم، والحرص على توفير الأمان لهم بعد غياب من يرعاهم، وقد قامت المملكة العربية السعودية بهذا الواجب خير قيام، وأولت شهداء الواجب وأبناؤهم اهتمامًا كبيرًا، بل يعد قيامهم بهذا الأمر صورة مثالية تحتذى، وتعكس الرؤية الشرعية لهذا الأمر، وولاة الأمر - أيدهم الله- يقومون بذلك من منطلق استشعارهم لأهمية العمل الذي قاموا به، وأهمية التضحيات التي قدموها لدفاعهم عن هذا الوطن، وهم في ذلك يطبقون سنة المصطفى ﷺ حينما رعى أبناء وأسر الشهداء، ولكن هذا لا يعني

---

(١) الحاكم في المستدرك: ٣/٢٠٥.

(٢) انظر: الشرح الكبير، لابن قدامة: ٥/٥٨٩، وفتاوى ابن تيمية: ٢٨/٩٨٦.

أن المجتمع لا يتحمل شيئًا من هذه المسؤولية، بل عليهم أن يقفوا بجانب من يحمون بلادهم، ويسعون على أمنهم وسلامتهم، ويدفعون عنهم وعن بلادهم من يريد بها شرًا وسوءًا، ويرعون أسرهم من بعدهم، فهم قضوا ليحموهم، واستشهدوا ليدفعوا عنهم ما يحل بهم، فيجب عليهم حفظ حقوقهم من بعد موتهم من خلال التعاون مع ولاة الأمر، واستشعار هذه المسؤولية في عمل مؤسسي، وتخطيط استراتيجي يبقى صورة متجسدة للأجيال، ولعل في هذا المؤتمر ما يؤسس لهذه الخطوة المجتمعية بإذن الله.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى على ما منَّ به من إتمام هذا البحث، والوفاء بمتطلباته، وقد خلصت إلى نتائج كثيرة، ومعالم في هذه المسألة الهامة بارزة، أهمها:

١- أن الانتماء إلى الوطن ومحبته غريزة وفطرة، والدين لا يقاوم الغرائز بل يهذبها، ولكن هذا الشعور الفطري، والمحبة الغريزية تنمى بالمقومات الشرعية، التي هي أساس قوة الأوطان وعزتها.

٢- الانتماء الوطني دائرة من دوائر الانتماء التي يمكن تحقيقها مع رعاية ما هو أعلى منها وهو الدين، والنصوص الشرعية من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ القولية والعملة تدل على مشروعية محبة الأوطان والحنين إليها.

٣- إذا وجدت خصائص ومقومات للبلد فإنها ترفع درجة هذه المشروعية لتكون محبتها من الإيمان، والدفاع عنها حماية للعقيدة والدين، وهذا شأن وطننا المبارك ومملكتنا الغراء.

٤- وبهذه الخصائص يكون الدفاع عن الوطن واجبًا وجهادًا في سبيل الله، المقاتل فيه مجاهد لإعلاء كلمة الله، والتضحية فيه بالنفس والمال جهاد بالأنفس والأموال.

٥- كما أن الدفاع عن الأوطان الإسلامية لا يقتصر على الجهاد والمفاداة بالنفس والمال، بل يمتد ليشمل الدفاع القولي، وهو مجال رحب واسع، ومهم في هذا الوقت على وجه الخصوص.

٦- الدفاع عن الأوطان بالفعل لا يشمل القتال فقط، بل إن تمسك الإنسان بثوابت وطنه عقيدة ومنهجًا، ومنها الأخذ بكتاب الله، وبسنة المصطفى ﷺ يعد دفاعًا عن وطنه.

٧- وكذلك فإن من طرق دفاع المرء عن وطنه بالفعل القيام بمقومات المواطنة الصالحة التي توجبها عليه انتماؤه لهذا الوطن، والتفافه حول ولاة الأمر.

٨- تعاون المرء مع ولي الأمر ضد البغاة والخوارج، وتعاونه مع ولي الأمر في القيام بما يوكل إليه، وتحمل المسؤولية، والنصح لعباد الله من المقومات البارزة المهمة التي تجسد محبة الوطن الصادقة.

٩- ثمت شبه يشوش بها حول الدفاع عن الوطن، من أن الانتماء إلى الوطن جاهلية، وأنه إثارة للعصبية، وهذا محرم، وتبين أنها شبه لا تقاوم النصوص الظاهرة.

١٠- أن إطلاق وصف الشهيد على الفعل لا على المعين سائغ وجائز، لأنه قيامه بالدفاع عن وطنه جهاد في سبيل الله، فصح إطلاق لفظ الشهيد على الفعل.

١١- أن إطلاق وصف الشهادة على الأشخاص بأعيانهم كذلك جائز فيما يظهر، لأن السبب قد ثبتت به الشهادة، ونال به المرتبة العالية.

١٢- الراجح أن الشهيد في معركة البغاة مع المسلمين يعد شهيدًا لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه.

١٣- أن للشهيد الذي قضى دفاعًا عن وطنه حقوقًا كثيرة، تتجه إلى فئات المجتمع، سواء فيما يتعلق بالإشادة بهم وبتضحياتهم، وإبرازهم كقدوات، وكذا العناية بأبنائهم، وأسرهم، وتعويضهم عن فقد عائلهم.

- **أما أبرز التوصيات:**

١- أهمية دراسة هذه الموضوعات، وإبراز الرؤية الفقهية المتوازنة، وتحرير المصطلحات، للإجابة على كثير من التساؤلات التي تطرح، وحرصًا على تنشئة الشباب وحمايتهم من عوامل الانحراف.

٢- أهمية تحرير مصطلح "شهداء الواجب" لمعرفة دائرة هذا المفهوم وما تشمله، وأوصي بأن يتم ذلك بالتعاون مع الجهات الأمنية.

٣- المؤتمر يعد نقطة تحول في الدراسات الوطنية، وأوصي بأن ينبثق عنه فعاليات مصاحبة، وأخرى ممتدة، ليعد بمثابة ترسيخ بعض المفاهيم والتصورات الشرعية.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، ويجعله خالصًا لوجهه، وأداء لحق ولاة أمرنا ووطننا، ورجال أمننا البواسل الذين قضوا، والذين بقوا، حمى الله من بقي، وتقبل الله من قضى في الشهداء، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - أحكام القرآن، للجصاص، دار المعرفة، بيروت.

٣ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، للإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة - دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.

٤ - الاستذكار، لابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت - دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت - دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦ - الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت - دار الجيل، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

٨ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت.

٩ - الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة الشيباني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.

١٠ - اقتضاء الصراط المستقيم: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ، دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

١١ - الأم: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، طبعة ١٤١٠ هـ، مطابع دار الفكر، بيروت.

١٢- الأنساب، للإمام: أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، لعلي بن سليمان المرداوي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة - دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة العاشرة ١٤٠٨ هـ.

١٥- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي، طبعة دار هجر – ١٤١٩هـ.

١٦- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد ابن رشد، تحقيق: سعيد أعراب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، عام ١٤٠٨هـ.

١٧- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للعلاَّمة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، مصر- المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٨- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر: دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر، قطر- الدوحة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٩- تحفة المشتاق إلى شرح أبيات الموسى إسحاق، الحسين بن أحمد بن الحسين السياغي، بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٤م.

٢٠- التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

٢١- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وغيرهما، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، صحح بإشراف: الشيخ خليل الميس، بيروت - دار القلم، الطبعة الثانية.

٢٣- تفسير المراغي: الشيخ مصطفى المراغي، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٩٧١م.

٢٤- تلخيص أحكام الجنائز، المحدث محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

٢٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٦- تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، فتحي هلال وآخرون.

٢٧- جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨- جامع الرسائل: لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت — ١٤٠٨هـ.

٣٠- حاشية ابن عابدين: المسماة بحاشية رد المحتار على الدر المختار، للشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٣١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للعلامة شمس الدين الشيخ محمد عرفه الدسوقي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٢- حاشية تحفة المحتاج بشرح المنهاج: للشيخين: عبد الحميد الشرواني وأحمد قاسم العبادي، طبعة دار الكتب العربية، ١٣١٥ هـ.

٣٣- الحاوي الكبير، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ.

٣٤- حب الوطن من منظور شرعي، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٧هـ.

٣٥- الحجة على أهل المدينة، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٦- الحجج القوية على وجوب الدفاع عن الدولة السعودية حرسها رب البرية: أسامة بن عطايا بن عثمان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.

٣٧- خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٩- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٠- الذخيرة: لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: د. محمد حجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٤١- ربيع الأبرار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٤٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين، محيي الدين شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٤٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تخريج: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٤- السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت.

٤٥- سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٦- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، عادل السيد، حمص - دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٤٧- سنن البيهقي الكبرى، للحافظ أبي بكر البيهقي، وبذيله الجوهر النقي، طبعة دار المعرفة، بيروت — ١٤١٣هـ.

٤٨- سنن النسائي الكبرى : لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.

٤٩- سنن سعيد بن منصور ، سعيد بن منصور ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت.

٥٠- سير أعلام النبلاء : لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة.

٥١- السيرة النبوية : ابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا وغيره ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٢- الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف تحقيق الدكتور : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، طبعة دار هجر ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٣- شرح رياض الصالحين ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، مدار الوطن للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ.

٥٤- شرح نهج البلاغة ، - أبو حامد عز الدين بن هبة الله ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٨هـ.

٥٥- الصحاح للجوهري المسمى : تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو ، طبعة دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٥٦- صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ضبط وترقيم : د. مصطفى البغا ، طبعة دار ابن كثير ودار اليمامة — دمشق.

٥٧- صحيح مسلم ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٥٨- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه ، المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، دار المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ.

٥٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، د.عبد الفتاح محمد الحلو ، نشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ.

٦٠- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، أحمد بن محمد عربشاه الحنفي، الطبعة الأولى، : دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٦١- فتاوى إسلامية، جمع محمد بن عبد العزيز المسند. الطبعة الأولى، الرياض، دار الوطن، عام ١٤١٣هـ.

٦٢- الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، بيروت - عالم المعرفة، ط: الأولى، ١٣٨٦هـ.

٦٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، اعتنى بها: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، نشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٦٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، شرح وتصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمود فؤاد عبد الباقي- طبعة دار الرياض، القاهرة ١٤٠٧ هـ.

٦٥- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، الناشر : دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٦٦- الفروع، لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، راجعه: عبد الستار أحمد فراج، بيروت - عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٦٧- الفقه الإسلامي ومفهوم المواطنة، مقال للكاتب/ محمد محفوظ، على الشبكة في موقع: التجديد العربي.

٦٨- فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام: للشيخ صالح العبود، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠١هـ.

٦٩- قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

٧٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، طبعة دار بن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢١ هـ.

٧١- كشاف القناع عن علة متن الإقناع: للشيخ: منصور البهوتي، مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٤ هـ.

٧٢- لسان العرب لابن منظور الإفريقي، طبعة دار الفكر- بيروت- ، ودار صادر، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ

٧٣- لقاءات الباب المفتوح، الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله نسخة صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٧٤- المبدع في شرح المقنع، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، نشر: بيروت - المكتب الإسلامي، ١٣٩٤هـ.

٧٥- المبسوط للسرخسي، طبعة دار المعرفة لبنان- الطبعة الثالثة- تحقيق الشيخ: خليل الميس.

٧٦- المجموع شرح المهذب للشيرازي: النووي، حققه وعلق عليه: محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي ١٤١٥ هـ.

٧٧- مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن باز: أشرف على جمعه وطبعه الشيخ: محمد بن سعد الشويعر، طبعة دار الإفتاء.

٧٨- المحلى بالآثار، لابن حزم الظاهري، تحقيق: عبد الغفار البنداري. بيروت، دار الكتب العلمية.

٧٩- مختصر سنن أبي داود، ومعه معالم السنن وتهذيب ابن القيم، زكي الدين المنذري وكامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٨٠- المدونة الكبرى، رواية عن الإمام مالك، دار صادر— بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ.

٨١- المستدرك، للحاكم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت — ١٤١١هـ.

٨٢- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة، نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٨٣- مسند أبو يعلى: لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨٤- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.

٨٥- مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٨٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، لبنان- بيروت.

٨٧- معجم لآليء الشعر- أجمل الأبيات وأشهرها: إعداد: د. أميل يعقوب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

٨٨- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للنووي تأليف: الشربيني- الناشر: مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، مصور عن طبعة ١٣٧٧ هـ.

٨٩- المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله التركي ود. عبد الفتاح الحلو، طبعة دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية — ١٤١٣هـ.

٩٠- مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢١هـ.

٩١- مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، معالي الشيخ ا.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، الطبعة الأولى، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٩٢- المناهي اللفظية، محمد بن صالح العثيمين، جمع: فهد السليمان. الطبعة الأولى، الرياض، دار الثريا للنشر، عام ١٤١٥هـ.

٩٣- المنتقى شرح الموطأ، للباجي، الطبعة الثانية، مصر: دار الكتاب الإسلامي، مصورة عن طبعة السعادة عام ١٣٣٢هـ.

٩٤- المهذب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبعة دار الفكر بيروت.

٩٥- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، بيروت - دار الكتب العلمية.

٩٦- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرح وتعليق الشيخ/ عبد الله دراز، طبعة دار المعرفة- بيروت- لبنان.

٩٧- مواهب الجليل شرح مختصر خليل، للحطاب، مكتبة النجاح، ليبيا.

٩٨- الموسوعة السياسية، أسسها عبد الوهاب الكيالي، ثم أتمها بعد وفاته كامل زهيري، نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

٩٩- النذير، مناقشة لأبرز الشبهات المتعلقة بالتكفير والجهاد والإمامة، د.ماجد المرسال، نسخة قبل الطباعة.

١٠٠- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لأبي العباس أحمد الرملي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

١٠١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

١٠٢- الوطن في ضمير الشرفاء، مذكرات في حب الوطن والانتماء إليه، بدر بن علي العبد القادر، مطبعة النرجس، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٨هـ.



جُهُود
الإِمَامِ / عبْد العَزِيْز بن محمَّد بْن سُعُود
في نَشْر العَقِيْدة السَّلفية

إعداد

أ.د. محمود بن عبد الرحمن قدح

أستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، أما بعد :

فإن من نعم الله ﷻ العظيمة على الجزيرة – في هذا العصر- ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ، التي دعا فيها إلى عقيدة السلف والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ولقد ناصره الإمام محمد بن سعود وبايعه على نصرة الدعوة ونشرها وتطبيق الشريعة الإسلامية ، فانضم إلى قوة الحجة والدليل والبرهان ، قوة السنان والسلطان ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ومنذ ذلك الحين حمل آل سعود على عاتقهم مسؤولية نشر هذه الدعوة السلفية المباركة ، فجاهدوا تحت لوائها ، وبذلوا النفس والنفيس في سبيلها ، وعليها تأسست الدولة السعودية الأولى والثانية والمملكة العربية السعودية ، وما زالوا – بحمد الله وعونه- سائرين على هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية إلى زمننا هذا ؛ عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود – حفظه الله ورعاه - .

((إن سير أئمة دعوة التوحيد هي في الواقع لوحة مضيئة ، تنضح بالصدق والإخلاص والإيمان بالله والعمل لمرضاته ، وتجسد الحياة الإسلامية في صورة بهية ، تعطي من ذاتها القدوة الحسنة والسيرة الحميدة)) [(١)] .

ومن أئمة آل سعود والأعلام المبرزين الذين حملوا لواء نشر الدعوة الإصلاحية والدفاع عنها : الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود – رحمه الله- ، الذي نشأ في مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وشارك في تأسيس الدولة السعودية الأولى مع أبيه ، فاجتمعت فيه ملكات الإمارة ومواهبها ، مع سلفية في العقيدة ، ورسوخ في العلم ، فكان أميراً ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان ، مع السيف والسلطان.

لقد كان عهد الإمام محمد بن سعود عهد البيعة والنصرة والتأسيس ، أما عهد ابنه الإمام عبد العزيز فهو عهد الانطلاق والتوسع ؛ فقد انطلق بحماس شديد وإخلاص في نشر الدعوة السلفية ، وبذل في سبيلها النفس والنفيس ، فبارك الله له في جهده وجهاده ، فدانت له البلاد والعباد ، واتسع ملكه من الخليج إلى الحجاز ، ومن حدود العراق إلى عسير وتهامة وعمان.

تلك شخصية أحببت دراستها ، وإبراز جهودها في نشر العقيدة السلفية ؛ في بحث عنوانه " جهود الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في نشر العقيدة السلفية " ؛ (لأن من الدلائل التي تعرف بها عافية الأمة ، ورجحان عقلها ، ويقظة قلبها ، ووعيها : موقفها من المؤسسين الأوائل لكيانها ونهضتها. فالأمة

---

(١) رسائل أئمة دعوة التوحيد (ص٢٣٤- ٢٣٥)، صاحب السمو الملكي الدكتور/ فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز.

الحية المحترمة هي التي تنصف روادها وأئمتها وبُناتها وصانعي مجدها ؛ تنصفهم بأن تذكرهم دوما كما يذكر المرء الوفي – بالحب والتقدير- والديه، ومعلميه، وذوي الفضل عليه ؛ وتنصفهم بأن تحدد –دوما- المعاني والمبادئ الحية التي عاشوا من أجلها، وماتوا في سبيلها. وتنصفهم بأن تعصم نفسها من مثلب الجحود، وتطهر روحها من الاستغراق في الحاضر وحده. وتنصفهم بأن تدعو لهم بالرحمة والمغفرة وحسن الثواب، وبأن تردد مع الخلف المؤمن الوفي: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحشر /١٠]) [١].

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث منهج الاستقراء التاريخي مع التحليل، إلى جانب المنهج الوصفي والاستنباطي، ومراعاة القواعد والأصول العلمية المتبعة في البحث العلمي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، كالتالي:

- التمهيد ؛ ويشتمل على مطلبين، هما:

المطلب الأول: الحالة الدينية والسياسية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى.

المطلب الثاني: نبذة عن حياة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

- المبحث الأول: جهود الإمام عبد العزيز في توضيح العقيدة من خلال بعض رسائله.

(١) مقدمة معالي الدكتور عبد المحسن بن عبد الله التركي (وزير الشؤون الإسلامية سابقاً) (ص٥- ٦)، لكتاب الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة.

- المبحث الثاني : جهود الإمام عبد العزيز في نشر العقيدة من خلال بعض أعماله.

- الخاتمة.

- الفهارس.

سائلاً المولى عَزَّ وَجَلَّ أن أكون قد وفقت فيما كتبت، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: التعريف بالإمام عبد العزيز وعصره

المطلب الأول: الحالة الدينية والسياسية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى.

عاشت نجد مقفرة من المعتقد الصحيح في القرون المتأخرة، حتى ظهور مجددي الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود.

ومرت قرون عديدة كاد الناس ينسون خلالها الإسلام الصحيح، فعادت الجاهلية بعاداتها ومعتقداتها إلى هذا الجزء من الجزيرة العربية، وانتشر الشرك، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة من الجن، والذبح لها [(١)].

وقد صوّر لنا هذه الحالة الشيخ حسين غنام[(٢)] في تاريخه المشهور، فقال[(٣)]:

((...ولقد انتشر هذا الضلال، حتى عمَّ ديار المسلمين كافة؛ فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، وهول مقيم؛ كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في (الجبيلة)، يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أن في (قريوة) في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، فتقربوا إليهم، وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله...، وكانوا

---

(١) ينظر: عنوان المجد (٦/١)، لابن بشر.

(٢) حسين بن غنام النجدي الأحسائي، مؤرخ شاعر، له مصنفات، توفي بالدرعية سنة ١٢٢٥هـ. (انظر: الأعلام ٢٥١/٢ للزركلي).

(٣) تاريخ نجد (١١/١- ١٩).

يأتون في شعيب (غبيراء) من المنكر ما لا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار ابن الأزور، وذلك كذب محض، وبهتان مثّله لهم إبليس، وصوَّره، ودلَّس عليهم من غير أن يشعروا.

وكان النساء والرجال يأتون بليدة (الفدا)، حيث يكثر ذكر النخل – المعروف بالفحل- ، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به، ويعتقدون فيه؛ فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، فتضمه بيدها، ترجو أن يفرج عنها كربها، وتقول: يا فحل الفحول! أريد زوجاً قبل الحول !!.

وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت، ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا...وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج)، سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً...)).

ويقول ابن بشر [1] ما نصه [2]: ((...وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار، والأحجار، والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن والذبح لهم، ووضع الطعام

---

(١) عثمان بن عبد الله النجدي، مؤرخ نجد وآل سعود، له مؤلفات، توفي سنة ١٢٩٠هـ. (انظر: الأعلام ٤/٢٠٩ للزركلي).

(٢) عنوان المجد (٦/١).

لهم، وجعله لهم في زوايا البيوت؛ لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر...)).

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله- [1]: ((كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد، حتى عبدت القباب والأشجار، وعبدت الغيران، وعبد من يدعي الولاية، وهم من المعتوهين أو المجانين، واشتهر في نجد السحرة والكهنة، وسؤالهم وتصديقهم، وليس هناك مُنْكِرٌ إلا من شاء الله، وغلب على الناس الإقبال على الدنيا وشهواتها، وقلّ القائم لله، والناصر لدين الله)).

وعلى الرغم من ذلك كله، لم تخل نجد من علماء في الفقه الحنبلي، حيث أشار ابن بشر إلى كثير منهم [2].

وأما الحالة السياسية: فإن إقليم نجد لم يحظ باهتمام الدولة العثمانية، نظراً لبعده عن المناطق الإستراتيجية، ومن ثم لم يدخل في قائمة التقسيمات الإدارية التي وضعتها الدولة العثمانية في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، وظلت معتمدة حتى القرن الثالث عشر الهجري، وترتب على ذلك أن خلا إقليم نجد من الولاة العثمانيين، ومن النفوذ العثماني.

لذا اتسمت الأوضاع السياسية في نجد بالتفكك السياسي، وبالصراع على السلطة بين عدد من الأسر كانت تحكم هذا الإقليم، فكل أمير كان يحكم بلدة معينة مستقلاً بذاته عن غيره، وعلاقته بجيرانه كانت سيئة في أغلب الأحيان،

---

(١) محاضرة للشيخ عبد العزيز بن باز، بعنوان (محمد بن عبد الوهاب...دعوته وسيرته)، ص٢٣- ٢٤. الدار السعودية للنشر.

(٢) ينظر: عنوان المجد (١/ ٢٢، ٣١، ٨٦).

وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بينهم من نزاع، وكانت تلك الإمارات دائماً في صراع مستمر، وتنافس على السلطة، ومرابطة دائمة، وثأر لا ينقطع.

وكان من أشهر الإمارات الموجودة بنجد والمناطق المحيطة به، هي:

١- إمارة آل معمر في العيينة.

٢- إمارة آل سعود في الدرعية.

٣- إمارة آل زامل في الخرج.

٤- إمارة دهام بن دواس في الرياض [1].

---

(١) الإمام محمد بن سعود "دولة الدعوة والدعاة" (ص٢٩- ٣٩)، جامعة الإمام محمد بن سعود.

المطلب الثاني: حياة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود [1].

١- اسمه ونسبه:

هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن ربيعة بن مانع بن ربيعة بن مريد، وينتهي نسبه إلى بني حنيفة، من بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة.

٢- مولده ونشأته:

ولد بالدرعية عام ١١٣٣هـ، وتعلم القراءة والكتابة مبكراً، وكان له من مجلس والده، وما يدور في شؤون البلدة وما جاورها، وأحوال نجد، ما يعدّ كمدرسة لمن هو في ذكائه ومنشئه [2].

---

(١) وردت ترجمته في المصادر التالية:
- تاريخ نجد (٢٢٢/١)، (٧٤/٢)، لابن غنام (روضة ابن غنام).
- عنوان المجد في تاريخ نجد (٩٩/١- ٢٩٧)، عثمان بن عبد الله بن بشر.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٤٧/١- ١٥٢)، جمع عبد الرحمن بن قاسم.
- تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله الصالح العثيمين.
- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود (ص٦٨- ٧٠)، محمد بن أحمد العقيلي.
- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه (ص٧٤- ٩٠)، مسعود الندوي.
- تاريخ البلاد العربية السعودية (ص٢١٣- ٢٧١)، د. منير العجلاني.
- ملوك آل سعود (ص٧)، الأمير سعود بن هذلول.
- تاريخ الدولة السعودية (ص٥٥- ٧٤)، أمين سعيد.
- الدرعية (ص١٧٥- ١٨٩)، عبد الله بن محمد بن خميس.
- قلب جزيرة العرب (ص٢٢٦- ٣٣٩)، فؤاد حمزة.
- صقر الجزيرة (ص٥٠- ٥٤)، أحمد بن عبدا لغفور عطار.
- الأعلام (٢٧/٤)، خير الدين الزركلي.
- الموسوعة العربية العالمية (١٠٢/١٦).

(٢) تعليق الشيخ محمد العقيلي، في تحقيقه لكتاب " نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود " (ص٦٨- ٦٩).

٣- طلبه العلم:

كان للإمام عبد العزيز اهتمام بعلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منذ أن كان صغير السن، فلقد كتب للشيخ –وقد كان في العيينة عند ابن معمر- يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ لأجل ذلك تفسير سورة الفاتحة، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز، وقد ناهز الاحتلام [(١)].

((وبعد وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية، واتفاقه مع الإمام محمد بن سعود، كان عبد العزيز من الملازمين لحلقة الشيخ والحضور لتلقي دروسه، فتوسعت معارفه، واستفاد علمياً، مما جعله من نجباء من تلقى عن الشيخ، وقد حاز على ثقة الشيخ وحبه وإعجابه، وكان الشيخ يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة، وينوّه بمزاياه، ويشيد بتقواه وشجاعته. ويفيدنا (رينو) وهو أوروبي وصل إلى الدرعية، وقابل عبد العزيز قال عنه جملة مختصرة، ولكنها واسعة الدلالة: إنه على حظ كبير من الثقافة والعلم))[(٢)].

٤- صفاته:

كان الإمام عبد العزيز معروفاً بالشجاعة والإقدام، صبوراً على المكاره، كريماً سخياً، عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد، يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم، ويشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والأحاديث الصحيحة، وكان كثير

---

(١) تاريخ نجد (١/٢٢٢) لابن غنام.

(٢) من تعليق الشيخ محمد العقيلي، في كتاب " نفح العود " (ص٦٩).

الخوف من الله والذكر، كثير العبادة والتهجد [١]، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلي فيه صلاة الضحى.

وكان رحمه الله متواضعاً لا يكترث في لباسه وسلاحه، بحيث إن بنيه وبني بنيه محلاة سيوفهم بالذهب والفضة، ولم يكن في سيفه شيء من ذلك، إلا قليلاً [٢].

وكان الإمام عبد العزيز –رحمه الله– عادلاً، حازماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته [٣]، ساهراً على مصالح الرعية والبلاد، كثير الرأفة والرحمة بالرعية، والدعاء لهم، فكان يقول: اللهم أبق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها. ويعطي الضعفاء والمساكين حقهم من الصدقات، ويكثر لهم العطاء ولأهل العلم وطلبته ومعلمي القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد، وكان يوصي عماله بتقوى الله –عز وجل– ، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال [٤].

وكان – رحمه الله– مع رأفته بالرعية، شديداً على الجناة وقطاع الطرق والسارقين؛ لذلك كانت جميع البلاد التي تحت يده آمنة مطمئنة في

---

(١) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣٨٩)، حسين خلف الشيخ مزعل.

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٦).

(٣) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص٣٨٩).

(٤) عنوان المجد (١/ ٢٦٦، ٢٧٥).

عيشة هنية، بحيث كان المسافر يجوب البلاد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، ومعه الأموال الكثيرة، لا يخشى أحداً إلا الله [١].

٥- توليه الإمامة:

بعد وفاة الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- سنة ١١٧٩هـ، بويع ابنه عبد العزيز بن محمد -وكان في السادسة والأربعين من العمر- إماماً، فبايعه الخاص والعام، وتتابع على البيعة الحضر والبدو، والشيخ محمد بن عبد الوهاب هو رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه، وملأ قلوب العِدا هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار، وملأت هيبته قلوب ملوك الأقطار[٢].

٦- أعماله:

لقد كان الإمام عبد العزيز الساعد الأيمن لوالده قبل توليه الإمامة، فقد كان - رحمه الله- يتمتع بشخصية قيادية، وحنكة سياسية، وشجاعة حكيمة، لذا اشترك مع أبيه محمد بن سعود في تأسيس الدولة وإدارة الأمور وتولي قيادة الجيش، فكان جُل الغزوات التي تمت في عصر والده بقيادته، وجل المهمات أنيط حملها به [٣].

وبعد توليه الإمامة، سار على نهج والده في مناصرة الدعوة السلفية، ونشرها، والجهاد في سبيلها، فقد حكم الإمام عبد العزيز من سنة ١١٧٩هـ

(١) المرجع السابق (١/ ٢٦٧، ٢٦٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ٩٩، ١٠٠)، تاريخ الدولة السعودية (١/ ٥٥)، أمين سعيد.

(٣) الدرعية (ص١٧٥)، عبد الله بن محمد بن خميس.

إلى سنة ١٢١٨هـ أي مدة تسعة وثلاثين عاماً، ومضى أكثر عهده تحت إشراف مباشر من شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب نفسه [١].

ويعتبر الإمام عبد العزيز أول من حكم نجداً من أقصاها إلى أقصاها، واتسع ملكه من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج إلى أطراف الحجاز وعسير [٢].

ويعد الإمام عبد العزيز الباني الثاني للدولة السعودية الأولى لما أنجزه من أعمال كبيرة في سبيل نشر الدعوة السلفية الإصلاحية، وتطبيق مبادئها من جهة، وفي سبيل بناء الدولة من جهة ثانية، فكانت الأقطار والرعية مطمئنة في عيشة هنيئة، وتأمنت السبل والطرق، وأبطل الأموال التي تؤخذ من الحجاج وغيرهم وكذلك العطايا التي تؤخذ على المجتازين، فارتقت البلاد تجارياً واقتصادياً وعلمياً في أيامه، مما مهد السبيل لمن بعده من الحكام[٣].

٦- وفاته:

توفي - رحمه الله- يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ، إثر طعنة وهو ساجد أثناء صلاة العصر في مسجد الطريف بالدرعية، فقد طعنه رجل رافضي من أهل العمارة في العراق، كان قد انتحل زي درويش[٤]، انتقاماً لما قامت به قوات الإمام بقيادة ابنه سعود من هدم

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه (ص٩٠)، مسعود الندوي.

(٢) قلب جزيرة العرب (ص٣٣٩)، فؤاد حمزة.

(٣) انظر: عنوان المجد (١/٢٦٩)، الدرعية (ص١٨٨).

(٤) الدرويش: الراهب والمتعبد والزاهد، واللفظة فارسية معناها: فقير، جمعه: دراويش. انظر: المنجد (ص٢١٤) مادة (دروش)، المعجم الوسيط (ص٢٨٠).

للمزارات والقباب والأضرحة في المناطق السنية والشيعية، فمات الإمام من يومه، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وكان عمره يوم أن توفي خمساً وثمانين سنة، وكان له ثلاثة أبناء، هم: الإمام سعود، وعبد الله، وعمر[1].

(١) عنوان المجد (١/٢٦٤، ٢٦٥)، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣٨٨)، تاريخ الدولة السعودية (١/٧٣).

المبحث الأول

جهود الإمام عبد العزيز بن محمّد بن سعود

في توضيح العقيدة من خلال بعض رسائله

لقد اجتمع في الإمام عبد العزيز مؤهلات الإمارة وملكاتها ومواهبها، مع طلبه للعلم، ورسوخه فيه، وسلامة العقيدة، منذ نعومة أظفاره، فهو ليس أميراً يناصر الحق بقوة السلطان والسنان فحسب، بل إنَّه كذلك ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان.

فلقد نشأ وتتلمذ منذ صغره في مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فحاز على ثقة الشيخ وحبه وإعجابه، وكان الشيخ يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة، وينوّه بمزاياه ويشيد بتقواه وشجاعته [(١)].

((فكان عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد، وقد كان يشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة، كما كان كثير الخوف من الله، كثير العبادة والتهجد والطاعة له)) [(٢)].

لذا فقد امتازت خطابات الإمام عبد العزيز ورسائله ببيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والرد على التهم الباطلة عليها، وبالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك والبدع، والرد على شبه المخالفين المبتدعين،

---

(١) تعليق الشيخ محمد العقيلي على كتاب نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود (ص٦٩)، للعلامة عبد الرحمن البهكلي.

(٢) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣٨٩)، للشيخ حسين خلف الشيخ خزعل.

كما تميزت رسائله بكثرة الاستدلال بالنصوص الشرعية، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبساطة الأسلوب ووضوحه وقوته.

وقد اطلعت على بعض رسائل الإمام عبد العزيز -رحمه الله-، وهي كالتالي:

١- رسالته إلى أهل بلدان العجم والروم.

٢- رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (جازان).

٣- رسالته إلى أحمد بن علي القاسمي.

٤- رسالته إلى ياقوت الصغاني.

٥- رسالته إلى السيد علي.

٦- رسالته إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق، وسائر علماء المغرب والمشرق.

٧- رسالته إلى محمد بن أحمد الحفظي[1].

٨- رسالة أخرى إلى محمد بن أحمد الحفظي.

٩- رسالة في ا لرد على سؤال [2].

---

(١) وهذه الرسائل جمعت في ملحق الجزء الأول من تاريخ البلاد العربية السعودية ١/٢١٣-٢٦٠، د. منير العجلاني، علماً بأن الرسالة السادسة قد طبعت مستقلة عدة مرات، وحققها مؤخراً الأستاذ عبد الله بن زيد آل مسلم ونشرها بعنوان (الرسالة الدينية في معنى الإلهية).

(٢) وردت الرسالتان في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/١٦٦- ١٧٠، جمع الشيخ سليمان بن سحمان.

وسأورد من هذه الرسائل نماذج من أقواله، التي تدل على جهوده في نشر العقيدة وتوضيحها والدفاع عنها، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: بيانه الحكمةَ من خلق الإنس والجن.

قال الإمام عبد العزيز – رحمه الله - : ((فإن الله عز وجل شأنه، وتعالى سلطانه، لم يخلق الخلق عبثاً، ولا تركهم سدى، وإنما خلقهم لعبادته، فأمرهم بطاعته، وحذرهم مخالفته، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة، إما في ناره بعدله، أو في جنته بفضله ورحمته، قد أخبر عز وجل بذلك في كل كتاب أنزله، وعلى لسان كل رسول أرسله، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات/٥٦] وقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[النساء / ٣٥] وقال سبحانه ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء /٢٣].

فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال مختصة بجلالته وعظمته، فهي الغاية المحبوبة له - تعالى شأنه- والمرضية له، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف/٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب، وغيرهم من الرسل، كلٌّ قال لقومه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ

هُودٍ ﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود/ ٥٠، ٦٠، ٨٤]، وذلك أن الإله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل، والإله الحق هو: (الله)، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[النحل/٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥] [1])).

المطلب الثاني: حرصه على بيان معنى ((لا إله إلا الله)).

لقد كان الإمام عبد العزيز حريصاً كل الحرص على بيان معنى (لا إله إلا الله)، وتوضيح معناها الصحيح، مكرراً ومؤكداً ذلك في جميع رسائله، فقال رحمه الله: ((فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله، وكلام الأئمة الأعلام رضي الله عنهم كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أنّ لِـ(لا إله إلا الله) معنى يخصها، وهي ترك كل معبود مع الله، وإخلاص الإلهية له تعالى وحده، وأن العبادة بأفعالهم مما أمرهم به في كتابه وعلى لسان رسوله، إذا جعلت لغيره تعالى، صار ذلك الغير إلها مع الله، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى[2].

(١) رسالته إلى العلماء والقضاة في المشرق والمغرب (ص٢٣٢)، د/ منير العجلوني، وكرره في رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢٨١).

(٢) رسالته إلى العلماء في المشرق والمغرب ١/ ٢٣٣.

وقال أيضاً: فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومعنى لا إله إلا الله نفي الإلهية عما سوى الحق جل جلاله، وإثباتها له وحده لا شريك له، والإلهية فعل العبد[(١)].

وقال: وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو المعبود بحق أو باطل، فمن عبَد الله وحده لا شريك له، وأخلص الدعوة كلها لله، وأخلص التوكل على الله، وأخلص الذبح لله، وأخلص النذر لله، فقد وحّد الله بالعبادة، وجعل الله إلهه دون ما سواه[(٢)].

المطلب الثالث: بيانه أنواع التوحيد

قال الإمام عبد العزيز مبيناً توحيد الربوبية: ((الإيمان بأفعال الله تعالى وتقدس، كخلقه السموات والأرض، والليل والنهار، ورزق العباد وتدبير أمورهم؛ لأن هذا يسمى (توحيد الربوبية)، الذي أقرّ به الكفار الأولون في سورة يونس[(٣)] والزمر[(٤)] والزخرف[(٥)] وغيرها))[(٦)].

---

(١) رسالته إلى السيد علي ١/٢٢٩.

(٢) رسالته إلى الفرس والترك ١/٢١٣.

(٣) قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس: ٣١].

(٤) قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٣٨].

(٥) قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة الزخرف: ٩].

(٦) رسالته إلى المشرق والمغرب ١/٢٣٣، وذكره في رسالته إلى السيد علي ١/٢٢٩.

وحرص الإمام عبد العزيز في جميع رسائله على بيان توحيد الألوهية، ويسميه أيضا (توحيد الله بالعبادة)؛ لأنه التوحيد الذي وقع النزاع فيه بين الأنبياء ومخالفيهم، فقال - رحمه الله- :

((وإخلاص الدين هو صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، وذلك بألا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا بالله، ولا يذبح إلا لله، ولا يخشى ولا يرجى سواه، ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه، وأن كل ما هنالك لله تعالى، لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما. وهذا هو بعينه توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه، وانفرد به المسلم عن الكافر، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله)) (١).

وذكر بعض الأدلة على توحيد الألوهية، وأنه أصل دين رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فقال: ((فإن أصل دين رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هو توحيد الله بجميع أنواع العبادة، لا يدعى إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يخاف خوف السر إلا منه، ولا يتوكل إلا عليه، كما دل على ذلك الكتاب العزيز، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن /١٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد /١٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ

---

(١) رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/٢١٨- ٢١٩)، ورسالته إلى الفرس والترك (١/٢١٣)، رسالته إلى القاسمي (١/٢٢٢)، ورسالته إلى ياقوت (١/٢٢٥)، ورسالته إلى الحفظي (الدرر السنية ٢/١٦٧)، وجوابه لسؤال (الدرر السنية ٢/١٧٣)

ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النحل/٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]. فهذا التوحيد هو أصل دين أهل البيت عليهم السلام، من لم يأتِ به فالنبي ﷺ وأهل بيته براء منه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة /٣] [1].

كما بيّن العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فقال: ((ولا يغني أحد التوحيدين عن الآخر، بل صحة أحدهما مرتبطة بوجود الآخر)) [2].

وأشار إلى توحيد الأسماء والصفات، فقال: ((وكسؤال الله بأسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]، وكالأدعية المذكورة في السنن: ((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**[3]، وأمثال ذلك)) [4].

المطلب الرابع: تحذيره من الشرك.

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٣).

(٢) رسالته إلى القاسمي (١/٢٢٢).

(٣) أخرجه أحمد ح ١٣٦٠٥، والبخاري في الأدب المفرد ح ٧٠٥، وأبو داود ح ١٤٩٢، وابن ماجة ح ٣٨٥٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٥٩.

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب ١/٢٤٨.

قال الإمام عبد العزيز - رحمه الله- محذراً من الشرك ودواعيه: ((ومن أشرك مع الله إلها غيره في الدعوة أو في الاستغاثة أو في التوكل أو في الذبح أو في النذر، فقد اتخذ مع الله إلهاً آخر، وعبد معه غيره، وهو أعظم الذنوب إثما عند الله، كما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﵁، قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، الحديث[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/٤٨]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة/ ٧٢]. وهذا هو سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيانا، لـمّا أخلصنا العبادة لله وحده، ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها، مع البدع المضللة والمنكرات المغوية))[2].

وقال: ((واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين؛ كودّ وسواع ويغوث، وتماثيل طلاسم الكواكب، ونحو ذلك؛ يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم. والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا تجد أهل الشرك كثيرا ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في

---

(١) أخرجه البخاري ح ٤٧٦١ ومسلم برقم ح ٨٦.

(٢) رسالته إلى الفرس والترك (١/ ٢١٥).

الصلاة، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم، والاستغاثة بهم، وسؤال النصر على الأعداء، وتكثير الرزق، وإيجاده، والعافية، وقضاء الديون، ويبذلون لهم النذور لجلب ما أمّلوه، أو دفع ما خافوه، مع اتخاذهم أعياداً، والطواف بقبورهم، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها، وغير ذلك من أنواع العبادات، والطلبات التي كان عليها عباد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم. فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريج كربته، ويهتفون عند الشدائد باسمه، كما يهتف المضطر بالفرد الصمد، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران، والنجاة من النيران، وأنها تجب ما قبلها من الآثام، بل قد وجد هذا الاعتقاد في الأشجار والغيران، ويهتفون باسمها واسم من ينسبون إليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه إلا رب ا لعالمين، وأكثر ما يكون ذلك عند الشدائد)) [١].

وأوضح أقسام الشرك، فقال:

((والشرك: شركان، أكبر: وله أنواع، ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً، وشرك أصغر: كالرياء والسمعة، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه**)) [٢]، ومنه الحلف بغير الله لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: ((**من حلف بغير الله فقد**

---

(١) رسالته إلى الشرق والغرب (١/٢٤١- ٢٤٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم ح ٢٩٨٥.

أشرك))[1] أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان. وقال ﷺ: **((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت))** أخرجه الشيخان[2]، وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: **((أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده))**[3]، والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه ومن كل ذنب))[4].

وبيّن حكم الشرك الأكبر، فقال: ((إنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه، وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر/ ١٤]. والآيات في أن دعوة غير الله تعالى الشرك الأكبر كثيرة واضحة شهيرة))[5].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٢١٥)، وأبو داود ح ٣٢٥١، والترمذي ح ١٥٣٥، والحاكم (١/ ١٧٢) وابن حبان ح ١١٧٧، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري ح ٦٦٤٦، ومسلم ح ١٦٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وأحمد في المسند ح ١٨٣٩، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٣٩).

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٤٧).

(٥) رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢١٩)، (١/ ٢١٥).

المطلب الخامس: بيانه حقوق النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وأوليائه.

قال الإمام عبد العزيز: ((وحق أنبيائه عليهم السلام: الإيمان بهم وبما جاؤوا به، وموالاتهم وتوقيرهم، واتباع النور الذي أنزل معهم، ومحبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين، وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم، والإيمان بما جاؤوا به من عند ربهم. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران/٣١]. والإيمان بمعجزاتهم، وأنهم بلغوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبتها الله في كتابه، وهي من بعد إذنه لمن رضي عنه من أهل التوحيد. وأما المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه وعظّم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ)) [(١)].

وقال: ((وحق الرسول ﷺ التصديق والطاعة في جميع ما يأمر به وجميع ما ينهى عنه، ويكفيك ما ذكر الله في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/١١٠])) [(٢)].

وقال أيضاً: ((فنقول بل الله سبحانه افترض على الناس محبة النبي ﷺ وتوقيره، وأن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم والناس أجمعين، ولكن لم يأمرنا بالغلو فيه، وإطرائه، بل هو ﷺ نهى عن ذلك فيما ثبت عنه

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٤).

(٢) رسالته إلى ياقوت (١/٢٢٦).

في الصحيح، أنه قال: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**[1]))))[2].

وقال مثبتاً الشفاعة العظمى للنبي ﷺ وأنواع الشفاعة الأخرى، بشروطها: ((وحقيقة قولنا: إن الشفاعة – وإن كانت حقاً في الآخرة- فلها أنواع مذكورة في محلها، ووجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ، بل وغيره من الشفعاء، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص، ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة، وليس منها ما يقصدون؛ فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً، كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لكل نبي دعوة مستجابة، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً** [3])))[4].

وبيّن حقوق صحابة النبي ﷺ، فقال: ((ومن مذهب أهل البيت محبة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الراشدون، كما ثبت ذلك عن علي من رواية ابنه محمد بن الحنفية، وغيره من الصحابة أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو

---

(١) أخرجه البخاري ح ٣٤٤٥.

(٢) رسالته إلى القاسمي (١/٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري ح ٧٤٧٤، ومسلم ح ٣٣٨.

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٥، ٢٣٦، ٣٣٧، ٢٣٨) وفي رسالته إلى السيد علي (١/٢٣١).

بكر ثم عمر. والأدلة الدالة على فضيلة الخلفاء الراشدين أكثر من أن تحصر))[1].

وقال: ومن المحرمات التي نهى الله عنها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ سب أفاضل الصحابة كأبي بكر و عمر، وغيرهما من الصحابة [2].

وبيّن الإمام عبد العزيز صفات أولياء الله والإيمان بكراماتهم، فقال: ((وكذلك حق أوليائه: محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان بكراماتهم، لا دعاؤهم ليجلبوا لمن دعاهم خيرا لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى، أو ليدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر على دفعه إلا هو ﷻ؛ لأن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس. هذا إذا تحققت الولاية أو رجيت لشخص معين كظهور اتباع سنة، وعمل بتقوى في جميع أحواله، وإلا فقد صار الولي في هذا الزمان من أطال سبحته، ووسّع كمه، وأسبل إزاره، ومد يده للتقبيل، ولبس شكلاً مخصوصاً، وجمع الطبول والبيارق، وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاءً، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه))[3].

المطلب السادس: دعوته إلى الالتزام بالكتاب والسنة وتطبيق شرائع الإسلام.

قال الإمام عبد العزيز – رحمه الله - : ((ونأمر رعايانا باتباع كتاب الله وسنة رسوله، وإقام الصلاة في أوقاتها والمحافظة عليها، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ونأمر بجميع ما أمر الله به

(١) رسالته إلى القاسمي (١/٢٢٢).

(٢) المرجع السابق (١/٢٢٣).

(٣) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٤، ٢٣٥).

ورسوله من العدل، وإنصاف الضعيف من القوي، ووفاء المكاييل والموازين، وإقامة حدود الله على الشريف والوضيع، وننهى عن جميع ما نهى عنه الله ورسوله من البدع والمنكرات، مثل: الزنا والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وظلم الناس بعضهم بعضاً، ونقاتل لقبول فرائض الله التي أجمعت عليها الأمة، فمن فعل ما فرض الله عليه، فهو أخونا المسلم وإن لم يعرفنا ونعرفه)) (١).

وقال: ((فنحن إنما ندعو إلى العمل بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، الذي فيه الكفاية لمن اعتبر وتدبر، وبعين بصيرته نظر وفكر، فإنه حجة الله وعهده، ووعده ووعيده، وأمانه وقدره، ومن اتبعه عاملاً بما فيه جدَّ جدُّه، وعلا مجده، وأنار رشده، وأبان سعده))(٢).

المطلب السابع: تجليته بعض المفاهيم الخاطئة وردُّه على المخالفين.

لقد ناقش الإمام عبد العزيز في رسائله مسائل عقدية، أوضح فيها الحق بالأدلة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ورد على المخالفين المبتدعين الذين استدلوا بشبه سموها أدلة، ليروجوا بضاعتهم ويجادلوا بالباطل، ومن تلك المسائل العقدية ما يأتي:

● الشفاعة. بيّن الإمام عبد العزيز حقيقة الشفاعة، فقال: ((فنحن نقول: ليس للخلق من دون الله من ولي ولا نصير. وسائر الشفعاء محمد ﷺ سيدهم وأفضلهم فمن دونه، لا يشفعون لأحد إلا بإذنه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا

---

(١) رسالته إلى الفرس والترك (١/٢١٦).

(٢) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٥).

تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ البقرة/ ٢٥٥]، ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ [الكهف/١٠٢]، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء /٢٨]. وإذا كان كذلك، فحقيقة الشفاعة كلها لله، فلا تسأل في هذه الدار إلا منه سبحانه وتعالى، وأن يشفع فيه[١] نبيه ﷺ، فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق، في جلب الخير أو دفع الشر، ولا يجعل لهم من حقه شيء؛ لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم، فإن حقه عبادته بأنواعها، بما شرع في كتابه، وعلى لسان رسوله)) [٢].

●التوسل. أوضح رحمه الله أنواع التوسل الصحيح، فقال: ((فلم يبقَ إلا التوسل بالأعمال الصالحة، كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/١٩٣]، وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم، وهم ثلاثة نفر توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة – الحديث في صحيح البخاري[٣] –، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله، وكسؤال الله بأسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) أي في السائل.

(٢) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٤، ٢٣٧)، وناقش هذه المسألة في رسالته إلى السيد علي (١/ ٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري ح ٣٤٦٥، ومسلم ح ٢٧٤٣.

[الأعراف/١٨٠]، وكالأدعية المأثورة في السنن: ((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**. وأمثال ذلك وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة/٣٥])) [١].

وردَّ على المخالفين استدلالاتهم الباطلة في التوسل بالمخلوق، فقال: ((وليست الوسيلة بمخلوق يبتغى ليحصل واسطة بين الله وبين خلقه، يشفع لهم ويتقربون إليه؛ لأن هذا عين ما نهى الله عنه في الآيات، وأنزل بقبحه الكتب، وأرسل الرسل، وهو ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف/١٣٨]؛ لأن قصدهم أن يتقربوا به)) [٢].

- زيارة قبر النبي ﷺ. أرشد الإمام عبد العزيز إلى الزيارة الشرعية لقبر النبي ﷺ، ورد على المخالفين في ذلك، فقال: ((وإذا جاء السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه، دخلت زيارة القبر تبعاً؛ لأنها غير مقصودة استقلالاً، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها، بشرط عدم فعل محذور عند القبر، كما تقدم عن مالك، وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر، فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده، بل يصلي ويسلم عليه، ويسأل له الوسيلة، ثم يسلم على أبي بكر، ثم عمر، ولا يقصد الصلاة عند القبر؛

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٤٧- ٢٤٨).

(٢) وانظر ردوده على شبهات المتوسلين بالنبي ﷺ، في رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٤٩- ٢٥٥).

للعنه ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد، واللعنة في كلام الله وكلام رسوله لا تجامع إلا الحرمة والإثم، لا مجرد الكراهة، قوله: ((**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[1]، وقال ابن حجر[2] رحمه الله في "الإمداد" الموسوم بشرح الإرشاد: ينوي الزائر المتقرب السفر إلى مسجده ﷺ، وشدّ الرحل إليه، لتكون زيارة القبر تابعة. انتهى))[3].

المطلب الثامن: بيانه مسألة التكفير وشروطه.

قال الإمام عبد العزيز: ((والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد، فلا تقليد فيه ولا عناد، ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا، فلم يحكم بما أ نزل الله في التوحيد، بل يحكم بضده الذي هو الشرك الأكبر، الذي لا يغفر، كما سنذكر أنواعه، فجعله ديناً وسماه الوسيلة عناداً وبغياً، ووالى أهله وظاهرهم علينا، ولم يقوّم أركان الدين ممتنعا أن دعوناه، وأمرهم أن يبدؤوا بقتالنا ليرجعونا عن دين الله - الذي وصفنا- ، إلى ما هم فيه وكانوا عليه من الشرك بالله، والعمل بسائر ما لا يرضي رب العباد ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة/٣٢]. وما حجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعا ووسيلة. ونحن نقول: هؤلاء الداعون الهاتفون بذكره، المعتقدون في الأحياء الغائبين المدعوين والأموات، يطلبون كشف

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (ح٨٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/٤٣)، وصححه من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) هو ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي الهيتمي الأنصاري، أبو العباس، فقيه مصري، له تصانيف كثيرة. توفي بمكة المكرمة، سنة ٩٧٤هـ. الأعلام (١/٢٣٤) للزركلي.

(٣) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٤١).

شدتهم، وتفريج كربتهم، وإبراء مريضهم، ومعافاة سقيمهم، وتكثير رزقهم، وإيجاده من العدم، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً، لم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة، وهما من أعظم المخاصمة الجارية علينا ممن قاتلنا وبدّعنا، وجعل اليهود والنصارى أخف شرا منا ومن أتباعنا...)) [1].

وقال موضحاً: ((ونحن لا نكفر إلا من عرف التوحيد وسبّه وسماه دين الخوارج [2]، وعرف الشرك، وأحبه وأحب أهله، ودعا إليه وحض الناس عليه، بعدما قامت عليه الحجة، وإن لم يفعل الشرك، أو فعل الشرك وسماه التوسل بالصالحين، بعدما عرف أن الله حرمه، أو كره بعض ما أنزل الله، كما قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد/٩]، أو استهزؤوا بالدين أو القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة / ٦٥- ٦٦]. قال العلماء في هذه الآية: الاستهزاء بالله كفر مستقل بالإجماع، والاستهزاء بالرسول كفر مستقل بالإجماع.

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٥)

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه بعد قضية التحكيم، وهم فرق شتى، يجمعهم القول بتكفير علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، ومرتكب الكبيرة، والخروج على الأئمة إذا ظلموا. انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٦٧) لأبي الحسن الأشعري، الفرق بين الفرق (ص٤٩) للبغدادي، والملل والنحل (٢/١١٤) للشهرستاني.

وهذه الأنواع التي ذكرنا أننا نكفر من فعلها، قد أجمع العلماء كلهم من جميع أهل المذاهب على كفر من فعلها، وهذه كتب أهل العلم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم موجودة، ولله الحمد والمنة، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم)).[1]

المطلب التاسع: إيضاحه مفهوم الجهاد وشروطه.

قال الإمام عبد العزيز – رحمه الله - : ((وأما الجيوش والأجناد الذين نجهزهم من الوادي وأتباعهم، فنأمرهم بقتال كل من بلغته الدعوة، وأبى عن الدخول في الإسلام، والانقياد لتوحيد الله وأوامره وفرائضه، واستمسك بما هو عليه من الشرك بالله وترك الفرائض والأحكام الجاهلية المخالفة لحكم الله ورسوله، ومثل هؤلاء لا يحتاجون إلى الدعوة إذا كانت الدعوة قد بلغتهم قبل ذلك بسنين، وأبوا وأعرضوا عن دين الإسلام وإخلاص العبادة لله، وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم ترعى، فسبى رسول الله ﷺ النساء والذرية والنعم والشاء، مع أن الدعوة قبل القتال مستحبة، ولو كانت الدعوة قد بلغتهم، لأن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب حين بعثه لقتال أهل خيبر: **((فادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**[2])).

---

(١) رسالته إلى الفرس والترك (١/٢١٦- ٢١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨)، وقال الترمذي : حديث حسن.

وأجاب بعضهم: شرع الله الجهاد، وأمر بالقتال، وبين لنا الحكمة في ذلك، وموجبه وما يحصل به الكف، قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة / ١٩٣]. قال المفسرون: الفتنة الشرك، والدين اسم عام لكل ما بعث الله به محمدا ﷺ. وقال ﷺ ((**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله ولا يشرك به شيء**))[١] . وقال ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً** رسول الله، **ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**))[٢]. وقد عمل بهذا أبو بكر، ووافقه الصحابة ﭫ في قتال مانعي الزكاة، فدل الحديث وعمل الصحابة على أن من ترك شيئا من شرائع الدين الظاهرة، وكانوا طائفة مجتمعة على ذلك، أنهم يقاتلون، قال شيخ الإسلام رحمه الله: كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المعلومة فإنه يجب قتالها، فلو قالوا نشهد ولا نصلي، قوتلوا حتى يصلوا، ولو قالوا نصلي ولا نزكي، قوتلوا حتى يزكوا، ولو قالوا نزكي ولا نصوم ولا نحج البيت، قوتلوا حتى يصوموا ويحجوا البيت، فلو قالوا نفعل هذا كله، لكن لا ندع الربا وشرب الخمر ولا الفواحش، ولا نجاهد في سبيل الله، ولا نضرب الجزية على اليهود والنصارى، ونحو ذلك، قوتلوا حتى يفعلوا ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة / ١٩٣] انتهى.

---

(١) أخرجه أحمد (برقم ٥٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٨٣١.

(٢) أخرجه البخاري ح ٣٤.

فاعلم أن المقاتلين أنواع؛ منهم من يقاتل على الدخول في الإسلام، وهو الإقرار لله بالوحدانية والاعتراف له بذلك، والعمل به، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، فهذا إذا التزم بذلك التزامًا ظاهرًا، كف عن قتاله على ذلك، ووكلت سريرته إلى الله، إلا إن قام به ناقض ينقض ما التزمه، وأظهر الناقض، وترك شريعة من شرائعه كالصلاة والزكاة وغيرهما من الشرائع، فيجب على ولي الأمر أن يقاتل هذا، وأن يبعث عماله على هذا المنوال. وما كان من نقص، فهو نقص في الراعي والرعية)).(١)

(١) رسالته إلى محمد الحفظي ١/ ٢٥٩

المبحث الثاني:

جهود الإمام عبد العزيز بن محمَّد بن سعود

في نشر العقيدة السلفية من خلال بعض أعماله

انطلقت الدعوة الإصلاحية في عهد الإمام عبد العزيز وتوسعت، وصار لها كثير من الأنصار والمؤيدين، وازدادت قوتها وتجمع لديها الخيل والسلاح والرجال، فقد تمّ له بعد جهاد طويل - في إعلاء كلمة الله، وإخلاص العبادة لله، وتنفيذ أحكام شرع الله- إخضاع أواسط الجزيرة العربية والأحساء وعسير وتهامة، واستقر سلطانه على شواطئ الخليج، ووصلت جيوشه إلى حدود الحجاز.

وبذلك تأسست له دولة لها مسؤولياتها وواجباتها وحقوقها، فوطّد أركانها، وشيّد بناءها، وأحكم سياجها، ووحّد رعاياها تحت راية التوحيد وشعار الإسلام.

وسيطول الحديث بنا عن منجزات وأعمال الإمام عبد العزيز –رحمه الله- ولكن حسبنا أن نسلط الضوء على بعض أعماله الجليلة المتعلقة بنشر العقيدة السلفية، وهي في المطالب التالية:

المطلب الأول: تأسيسه نظام الحكم والإدارة:

لقد كان النظام السائد في تلك الفترة أن يحكم الأمير طبقاً للعرف والتقاليد التي يفرضها النظام القبلي، وكانت تلك السمة البارزة في معظم إمارات ومناطق الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

إلا أن هذا النظام بدأ يهتز ويطرأ عليه التغيير والتطور منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أي منذ تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على نشر دعوة التوحيد، وتنفيذ أحكام الشرع التي نص عليها القرآن والسنة واجتهادات السلف [1].

((إن الدعوة بمعناها الشامل تنتظم: تمكين عقيدة التوحيد، وترسيخها، وإقامة الحدود، وتوفير الأمن، وصون الأعراض والدماء والأموال، ولا يتحقق ذلك إلا بسلطان الحكم والدولة))[2].

وحينما اتسعت حدود الدولة السعودية، وضع الإمام عبد العزيز نظاماً للحكم وإدارة شؤون الدولة، ترسيخاً لدولة التوحيد، ونشراً للعقيدة. ومن ذلك ما يأتي:

١- **تعيين عمال وأمراء نيابة عنه في حكم الأقاليم الخاضعة له**، وخولهم سلطات واسعة في حكمهم، بشرط ألا يحيدوا عن نظام الدولة، وأن يسيروا وفقاً لما يصدره لهم من تعاليم وأوامر، فكان عامله وأميره على تهامة وما يليها من اليمن عبد الوهاب المعروف بكنيته أبو نقطة، وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، وعلى عمان صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة، وعلى الأحساء ونواحيه سليمان بن ماجد الناصري، وعلى الزبارة والبحرين سلمان بن خليفة، وعلى ناحية الخرج

---

(١) الدولة السعودية الأولى (ص٢٢٥)، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن. باختصار

(٢) مقدمة معالي د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (ص١٠) لكتاب " الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة ".

إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، وعلى جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي في بلد حائل، وغيرهم من الأمراء والعمال[(١)].

فكان الإمام عبد العزيز يرسل كتبه إلى عماله في الأقاليم، يوضح لهم فيها سبل السير في حكم رعاياه، ويوصيهم بتقوى الله، ويحضهم على الجهاد، ويزجرهم عن جميع المحظورات، ويوضح لهم ذلك كله بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف[(٢)].

((وكان الإمام السعودي يقوم باختيار هؤلاء الحكام الذين ينوبون عنه من العناصر المخلصة لآل سعود، والمؤمنة بمبادئ الدعوة السلفية إيمانا عميقا، حتى يطمئن إلى تنفيذ نظم الدولة على خير وجه))[(٣)].

٢- اتخاذه ولياً للعهد:

قال ابن بشر: في سنة ١٢٠٢هـ أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبد العزيز، فبايعوه جميعهم[(٤)].

٣- تطبيقه نظام الشورى:

بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، كان الأمير يستشير الشيخ في كل الأمور، ويستشير ابنه عبد العزيز الذي كان ساعده الأيمن في إدارة شئون الدرعية، وظل الأمر ذلك طوال فترة حكم

---

(١) عنوان المجد (١/٢٧٨).

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص٢٢٧) د/عبد الرحيم.

(٣) المرجع السابق (ص٢٣٤).

(٤) عنوان المجد (١/٦٢).

الأمير محمد بن سعود، ولكن في عهد عبد العزيز بن محمد اتسعت أملاك الدولة وتعقدت شؤونها، وفوض الشيخ محمد بن عبد الوهاب كل أمور الدولة إلى عبد العزيز، وانقطع هو للأمور الدينية، إلا أن عبد العزيز لم يكن في مقدوره أن يبت في كل الأمور بمفرده، ولذا فإنه كان دائماً يلجأ إلى استشارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا ينفذ حكماً إلا بإذنه، بالإضافة إلى استشارته للأمراء من أفراد أسرته، والعلماء، وأصحاب الرأي[1].

٤- تعيينه القضاة:

كان يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة بعلوم الشريعة، وكان الإمام عبد العزيز أول من أرسل قضاة إلى الأقاليم[2]، وكان القضاة لا يعينون إلا بمشورة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن منصب القضاء منصب مهم له تأثير كبير، فبالإضافة إلى القضاء يتولون الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد، ويكونون أصحاب الكلمة الفاصلة في البلد الذي يتولون القضاء فيه، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- [3].

وكان من القضاة في عهد الإمام عبد العزيز في الدرعية بعد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ابنه حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي ناحية الوشم عبد العزيز بن عبد الله الحصين، وعلى ناحية سدير حمد بن راشد

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٦، ٤٧)، الدولة السعودية الأولى (ص٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص٢٣٨).

(٣) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية (ص٥٢٦، ٥٢٧)، د/ صالح عبد الله العبود.

العريني، وعلى ناحية الخرج محمد بن سويلم من أهل الدرعية، وعلى ناحية الجنوب سعيد بن حجي، وغيرهم من القضاة في غير ذلك من النواحي[1].

٥- توفير الأمن:

كان الإمام عبد العزيز –رحمه الله- حريصاً على نشر الأمن، وتوفير الأمان والطمأنينة لرعيته في جميع الأقطار، فكان مع رأفته بالرعية، شديداً على من جنى جناية من الأعراب، أو قطع سبلاً، أو سرق شيئاً من مسافر أو غيره، بحيث من فعل شيئاً من ذلك، أخذ ماله نكالاً أو بعض ماله أو شيئاً منه، على حسب جنايته، وأدبه على غير ذلك أدباً بليغاً[2].

لذا كانت البلاد من جميع الأقطار في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنية...، لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة في أي وقت شاء، شتاءً وصيفاً، يميناً وشمالاً، شرقاً وغرباً، في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك، لا يخشى أحداً إلا الله، لا سارق ومكابر[3]. وليس يؤخذ من المسافرين شيء من القوانين والجوائز التي يأخذها الأعراب على الدروب يحيون بها سنن الجاهلية، فبطلت جميعها، ولله الحمد، وصار بعض العمال إذا جاؤوا بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد، يجعلون مزاود الدراهم أطناباً لخيمتهم وربطاً لخيلهم بالليل، لا يخشون سارقاً ولا غيره[4]، ونمت المواشي والثمار وساد الأمن جميع البلاد. وهذا من أثر عقيدة السلف الصالح التي

---

(١) عنوان المجد (١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٦٩).

أظهرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. قال الله -تعالى- : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام /٨٢].

٦- تطبيقه النظام المالي الإسلامي:

كان الإمام عبد العزيز يرسل عماله الذين يوكل إليهم أمر جمع الزكاة بمختلف أنواعها، ويحاسبهم عليها، ويقدّر لهم رواتبهم، وكان يوصي عماله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الأمر الشرعي، وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجرهم من الظلم وأخذ كرائم الأموال. كما كان من مصادر الدخل للدولة السعودية الأولى خمس الغنائم التي كانت الجيوش السعودية تحوزها من سائبة وأموال أثناء غزوها، فكان على قائد كل جيش أن يقوم بعزل خمس ما غنمه جيشه، ويرسله إلى بيت المال في الدرعية، ويقوم بتوزيع الأخماس الأربعة الباقية على أفراد الجيش، الذين اشتركوا في المعارك.

وكان من الأموال التي تضم إلى بيت المال، الأموال التي تصادر من الخارجين على الأمن، والعابثين به، والمتخلفين عن الغزو[(١)].

وكانت الدولة تقوم بالإنفاق من بيت المال الذي تتكون حصيلته -مما ذكرناه- على المساكين والفقراء وباقي الأصناف الثمانية الذين لهم حق في الزكاة طبقاً لأحكام الشرع، كما ينفق أيضاً على إقامة المساجد والأئمة والمؤذنين، وعلى أهل العلم وطلبته، وعلى المحتاجين، ورواتب القضاة وغيرهم[(٢)].

---

(١) عنوان المجد (١/٢٦٩- ٢٧٧) بتصرف واختصار.

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص٢٢٩، ٢٤٢- ٢٥١) باختصار.

المطلب الثاني: جهوده في تعليم التوحيد ونشر العلم الشرعي:

قامت الدولة السعودية على أساس الدعوة الإصلاحية التي كان منهجها الالتزام بكتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهدي السلف الصالح، عقيدة وشريعة وسلوكاً، ولا يتم ذلك إلا بالعلم. لذا كان الإمام عبد العزيز -يرحمه الله- حريصاً كل الحرص على تعليم التوحيد، وغرسه في رعيته وأتباعه، ونشر العلم الشرعي فيهم، حتى إنه كان يكثر الدعاء لشعبه في ورده، ويقول: اللهم أَبْقِ فيهم كلمة لا إله إلا الله، حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها[1].

ولما كان الحكام هم القدوة، فقد حرص أئمة آل سعود كل الحرص على حضور مجالس العلم، والتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذته من بعده. وقد طلب الإمام عبد العزيز من الشيخ محمد، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الإسلام، ليتعلمها الناس، فكتب الشيخ ثلاثة الأصول، وهي معرفة الرب المعبود، والرسول -صلى الله عليه وسلم-، ودين الإسلام بالأدلة، مبنية على مسائل القبر الثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وأرسلها الإمام عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها في المساجد على يد أئمتها وطلبة العلم، وأن يعملوا بها جميعاً بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول، وقد كتب بصيغ مختلفة مطولة ومختصرة وباللغة الفصحى وبالعامية على حسب طبقات الناس، وعلى مستوى كل طبقة وما

(١) عنوان المجد (١/٢٦٦).

يناسبها، وكان الشيخ يعلمها الناس في الدرعية ويأمرهم بتعلمها[1]، وألحق بها شروط الصلاة وأركانها، ونحو ذلك من أمور الدين التي لا يسع أحداً من المسلمين جهله. وأصبحت الدرعية مركزاً للعلم، ومقصداً لطلبة العلم الشرعي، للتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذته من بعده. وكان الطلبة يتلقون تعليمهم دون مقابل، بل كانت تصرف لهم نفقة جارية من بيت المال، ويعطى المتفوقون جوائز سخية[2]، كما كان القضاة الذين يعينهم الإمام عبد العزيز بمشورة من الشيخ محمد في الأقاليم الخاضعة له، يتولون بالإضافة إلى القضاء الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد...، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح[3].

وكانت المساجد وبيوت المعلمين هي أماكن الدراسة، وكان التعليم مركزاً بدرجة كبيرة على التوحيد وما يتعلق بالعبادة، ويشمل أيضاً دراسة التفسير والحديث والسيرة النبوية وكتب الفقه الحنبلي[4].

كما كان الإمام عبد العزيز والشيخ محمد إذا وفد عليهم وفود المناطق والأقاليم وبايعوهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ورجعوا إلى

---

(١) المرجع السابق (١/١٤، ٩٠)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية (ص٥١٦)، د/ صالح عبد الله العبود.

(٢) عنوان المجد (١/١٨٦، ٢٧٥).

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٥٢٧).

(٤) الدولة السعودية الأولى (ص٢٥١) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن، تاريخ المملكة العربية السعودية (١/١٨١) د/ عبد الله العثيمين.

بلادهم، كانوا يرسلون معهم العلماء وطلبة العلم، ليعلموهم التوحيد وأصول الدين، ويفقّهوهم في ذلك[١] .

وكذلك إذا فتحوا البلاد ودانت لهم، أمَّروا فيها أميراً وإماماً، وجعلوا فيهم علماء يعلمونهم التوحيد، ويذاكرونهم فيه، ويعلمونهم أصول الإسلام[٢].

المطلب الثالث: جهاده في نشر العقيدة:

بعد الدعوة والإرشاد والتعليم، يأتي الجهاد حماية للحق ونشره، ودفعاً لأهل الباطل وقمعه.

والجهاد في الشرع له تعريفات عديدة، أشملها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ، حيث قال: والجهاد: هو بذل الوسع –وهو القدرة– في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه.

وقال أيضاً: وذلك لأن الجهاد حقيقته: الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان [٣].

وللجهاد أنواع مختلفة ومراتب متفاوتة، هي: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والمنافقين، وجهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات[٤].

---

(١) عنوان المجد (١/١٢٩، ١٦٦).

(٢) عنوان المجد (١/٧٦، ٢٠٢، ٢٠٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/١٩١، ١٩٢، ١٩٣).

(٤) زاد المعاد (٢/١٠) لابن القيّم.

وقد تظاهرت آيات الكتاب، وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه، ومدح أهله والإخبار عمّا لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات، ويكفي في ذلك قوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصف/ ١٠- ١٢][(١)]. ومن الأحاديث النبوية: حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**))[(٢)]. قال الإمام ابن تيمية: والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان -باتفاق العلماء- أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة...، وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه، وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة[(٣)].

ووسيلة الجهاد في سبيل الله شرعت من أجل نشر الدعوة وتبليغها للناس، ولا بد للتبليغ من قوة تُخْضع الطواغيت للإسلام؛ وذلك لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله -عز وجل- ؛ لأن أعداء الدعوة لن يتركوا الدعوة تسير في طريقها، يسمعها من شاء، ويهتدي بها من شاء، ويتركها من شاء، بل

---

(١) طريق الهجرتين (ص٥٨٢- ٥٨٤) لابن القيم (بتصرف).

(٢) رواه الترمذي (ح ٢٦١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥٢/٢٨- ٣٥٣).

يصدون دعاة الإسلام، ويصدون الناس عن سماع دعوتهم، فإذاً لا بد أن تظهر الدعوة في أمة مهيبة الجانب، عندها قوة تحمي نفسها، وتحمي من استجاب لها، وتؤدب من اعتدى عليها أو صدها، وإلا فإن العالم سيُحرم من تبليغ هذه الدعوة، والتمتع بهذا الدين، بدون الجهاد في سبيل الله [١].

وقد كان للإمام عبد العزيز -يرحمه الله- النصيب الأوفر من هذا الأمر، منذ أن أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، وحضهم عليه فامتثلوا [٢].

وكان في مقدمة من استجابوا لدعوة الشيخ محمد بالجهاد: الإمام عبد العزيز الذي كان يتولى المشاركة في المعارك وقيادة جيوش الدعوة في عهد والده الإمام محمد بن سعود، منذ عام ١١٦١هـ إلى عهد ولايته الإمامة، ثم إلى وفاته سنة ١٢١٨هـ، فلم تخل سنة من تلك السنوات من معركة أو غزوة قادها الإمام عبد العزيز بنفسه، أو كانت بأمره وتحت رايته، وهي كثيرة جداً يصعب حصرها [٣].

وقد حقق الإمام عبد العزيز من خلال جهاده ومعاركه في نصرة دعوة التوحيد أهدافاً جليلة، منها:

١- كسر شوكة من لم يقبل مبادئ الدعوة بعد وصولها إليه، ومجاهدة من أساء إلى الدعوة ودولتها أو تحرش بهما وتأديبه، وإثبات تفوق أنصار الدعوة عليهم.

---

(١) الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته (٥٢١/٢) د/ عبد الله أحمد قادري.

(٢) عنوان المجد (٤٥/١، ٤٦، ٤٨).

(٣) انظر للتوسع في معرفة معارك الإمام: عنوان المجد (٥٦/١- ٢٧٧).

٢- استرداد القرى والمدن التي نكصت عن الدعوة بعد قبولها، ومعاقبة أهلها، وجعلهم عبرة لغيرهم.

٣- بناؤه الحصون قرب المدن والقرى التي يستعصي فتحها على أنصار الدعوة، ووضع بعض المرابطين فيها، حتى يحكموا الحصار على أهلها، مما يضطرهم في النهاية إلى الاستسلام والدخول في دولة الدعوة.

٤- توسيع نفوذ الدعوة خارج نجد، لتشمل دولة التوحيد من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج العربي إلى أطراف الحجاز وعسير.

المطلب الرابع: إزالته المظاهر الشركية والبدعية:

لقد قام الإمام عبد العزيز -رحمه الله- وأتباعه بالدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك والبدع، كهدم الأوثان والأحجار المعظمة، وقطع الأشجار المتبرك بها، وهدم القباب على القبور، ومحاربة أعمال الرافضة[1] المنكرة، كإقامة المشاهد والمقدسات الشركية.

وكل ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر به الإسلام، فعن أبي الهياج قال: قال لي علي -رضي الله عنه-: **((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))**[2]. لذلك أمر الإمام عبد العزيز أمراءه وعماله وجنده بإزالة معالم الشرك والبدعة، فاستجابوا لأمر الله ورسوله.

ومن صور ذلك ما يأتي:

- في سنة ١٢٠٦هـ حينما غزا الأمير سعود بن عبد العزيز القطيف، أزال جميع ما في القطيف من الأوثان والمتعبدات والكنائس، وأحرق كتبهم القبيحة، بعد ما جمع منها أحمالاً[3].

---

(١) الرافضة: من فرق الشيعة، وهم فرق شتى. سموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين حينما تولى أبا بكر وعمر، ويجمعهم القول بالنص على استخلاف علي رضي الله عنه، وأنها في ذريته من بعده، والبراءة من أبي بكر وعمر، وعصمة أئمتهم، وغير ذلك من العقائد الباطلة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩)، لأبي الحسن الأشعري، الفرق بين الفرق (ص٢١)، للبغدادي.

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٢٨٧).

(٣) عنوان المجد (١/ ١٧٨).

- وفي سنة ١٢٠٧هـ حينما دخلت الجيوش السعودية الأحساء بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز، هدموا جميع ما فيها من القباب والمشاهد التي على القبور والمواضع الشركية، فلم يتركوا لها أثراً [1].

- وفي سنة ١٢١٦هـ سار الأمير سعود بن عبد العزيز بجيوش التوحيد إلى أرض كربلاء في شهر ذي القعدة، وهدموا القبة الموضوعة على القبر المزعوم للحسين -رضي الله عنه- [2].

- وفي سنة ١٢١٧هـ دخل الأمير سعود بن عبد العزيز مكة المكرمة وأعطى أهلها الأمان، وبذل من الصدقات والعطاء لأهلها شيئاً كثيراً، وأمر بهدم القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً [3].

المطلب الخامس: نشره العقيدة خارج دولته:

اعتنى الإمام عبد العزيز -رحمه الله- بالدعوة إلى العقيدة السلفية خارج حدود سلطته ودولته -بل إلى علماء الشرق والغرب وبلدان العجم والروم- ، بالنصيحة وإقامة الحجة والبيان، وإرسال الرسائل والدعاة والمبعوثين، وذلك من منطلق حمله لأمانة الدعوة إلى الله التي أمر الله بها نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأمته من بعده، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ

---

(١) المرجع السابق (١/٢٠٢).

(٢) المرجع السابق (١/٢٥٧).

(٣) المرجع السابق (١/٢٦٣) بتصرف بسيط.

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/١٢٥].

ومن جهوده –رحمه الله– في هذا المجال ما يأتي :

١- إرساله الرسائل العامة للدعوة إلى التوحيد والعقيدة السلفية. ومن تلك الرسائل :

أ- رسالة إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم، أرسلها مع رجل منهم اسمه محمد خلفا النواب، وفد عليهم مع الحاج، وأقام عندهم مدة طويلة، وعرف ما هم عليه من الحق، وقال فيها : ((من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم...)) وبعد الثناء والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، بيّن في رسالته العقيدة السلفية الصحيحة، ودَفَع الشُّبَه المثارة حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه [(١)].

ب- رسالته إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب، أبان فيها عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القويمة والبراهين العظيمة، كما بيّن - رحمه الله- الأمور التي أنكرها الناس على أصحاب الدعوة الإصلاحية المباركة، وأوضح أدلتها وكشف الشبه التي تعلق بها عباد الأنبياء والأولياء،

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/٢٥٨- ٢٦٤) جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

فجاءت بحمد الله رسالة كافية شافية في بيان حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأتباع الكتاب والسنة، والرد على المخالفين المبتدعين [1].

ج- رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (منطقة جازان). وهي أيضاً في بيان عقيدة السلف الصالح [2].

د- رسالته إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد نصيحة له، مصحوبة بنسخة من (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وطلب منه أن يجمع علماء بغداد للنظر في كتاب الشيخ، والإيمان بما جاء فيه [3].

٢- إرساله الرسائل الخاصة، وفيها بيان التوحيد والعقيدة السلفية وما يضادها، والدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة، كرسالته إلى أحمد بن علي القاسمي، وإلى الأخ ياقوت الصنعاني، وإلى أحمد بن محمد العويلي، ومحمد بن أحمد الحفظي وغيرهم [4].

٣- إرساله الدعاة والعلماء لبيان التوحيد وعقيدة السلف الصالح وما يضادها، والدعوة إلى تحكيم كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله -ﷺ- ، والردَّ على الشبهات، ومناظرة المخالفين والخصوم. ومن ذلك:

---

(١) انظر: الهدية السنية (ص٥- ٢٩) ابن سحمان.

(٢) انظر: الدرر السنية (١/٢٦٥- ٢٦٨).

(٣) الدولة السعودية الأولى (ص١٩١، ١٩٢) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن.

(٤) انظر: الدرر السنية (١/٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٩)، (٢/١٦٦، ١٧٠).

- في حوادث سنة ١١٨٥هـ - أن الإمام عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسلا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد ابن سعيد الشريف، وأرسلا معه رسالة للتفاوض والمناظرة مع بعض علماء مكة، فتفاوضوا في ثلاث مسائل؛ الأولى: ما نسب إلى الدعوة الإصلاحية من التكفير بالعموم، والثانية: هدم القباب التي على القبور، والثالثة: إنكار دعوة الصالحين للشفاعة؛ فبيَّن الشيخ عبد العزيز لهم الحق في تلك المسائل، وأقام عليها الأدلة والحجج والبراهين، فأقروا واقتنعوا [1].

- وجاء في أخبار سنة ١٢٠٤هـ أن الإمام عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسلا القاضي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ومعه كتاب، بناءً على طلب الشريف غالب، ليبين له حقيقة دعوتهم وما هم عليه. وعندما قدم الشيخ عبد العزيز الحصين مكة المشرفة، عرض عليه رسالة الشيخ محمد فأذعن الشريف وأقر بذلك، وطلب الشيخ عبد العزيز حضور العلماء للمناظرة في التوحيد، فأبوا [2].

- وفي سنة ١٢١١هـ تكرر الطلب من غالب بن مساعد –شريف مكة- إلى الإمام عبد العزيز أن يرسل إليه علماء يناظرون علماء مكة في أصل الدين والتوحيد، فأجاب الإمام عبد العزيز طلبه، وأرسل إليه جماعة من العلماء كبيرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، فلما وصلوا إلى مكة قابلهم الشريف بالإكرام، وأحضر لهم علماء يناظرونهم عدة ليال، وجرت

---

(١) روضة ابن غنام (ص١٢١) طبعة المدني، حاشية عنوان المجد (١/١١٧)، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ.

(٢) عنوان المجد (١/١٧١، ١٧٢).

المناظرة في مسألتين، إحداهما: مسألة قتال الموحدين الناس، والثانية: مسألة دعاء الأموات؛ فكان الشيخ حمد بن ناصر يأتي لبيان حجته بالدليل القاطع والبرهان الواضح، من كتاب الله، وأحاديث رسوله الصحيحة، وأقوال الأئمة وأتباعهم المتقدمين الأخيار، فاضطرهم بذلك إلى التسليم له في المسألة الأولى، والاعتراف بالحقّ، بعد أن لجوا في المغالطة والعناد حيناً. ولكنهم أنكروا وجود ما ذكره لهم من مظاهر الشرك، بدعوة الأموات، وجحدوا أن يكون ذلك واقعاً في البلاد، مع أنه عندهم كثير، مشهود، يرونه كل ساعة. ا. هـ [1].

---

(١) روضة ابن غنام (ص٢٠٠) بتصرف بسيط.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و الصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسالات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

في نهاية هذا البحث الموجز أود أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

١- أن الدولة السعودية الأولى قامت على العقيدة السلفية، وامتد سلطانها في عهد الإمام عبد العزيز من الخليج شرقا إلى حدود الحجاز غرباً، ومن حدود العراق شمالاً إلى عسير وتهامة وعمان جنوباً.

٢- أن الإمام عبد العزيز كان من تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ صغره، مما كان له الأثر الكبير في حماسه وجهاده في الدعوة الإصلاحية.

٣- أن الإمام عبد العزيز قد اجتمعت فيه مواهب الإمارة وملكاتها، مع تمسك بالعقيدة السلفية، ورسوخ في العلم، فكان أميراً ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان، مع قوة السيف والسلطان.

٤- عناية الإمام عبد العزيز بتوضيح التوحيد وشرح العقيدة السلفية في جميع رسائله العامة والخاصة، وعنايته بإيراد الشواهد والأدلة من الكتاب والسنة، والرد على المخالفين.

٥- لقد بذل الإمام عبد العزيز جهده في نشر العقيدة، والدعوة إليها، وحماية جناب التوحيد في داخل دولته وخارجها بشتى الوسائل

والإمكانات المتوفرة لديه، فبارك الله له في عمله وجهاده، ورزقه دولة آمنة مطمئنة رغيدة، يأتيها رزقها من كل مكان، فرحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم، بيروت، ١٩٨٠م.
- الإمام سعود بن عبد العزيز وجهوده في الدعوة إلى الله- محمد بن عبد الرحمن التركي، ط١، دار الأندلس- جدة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة – اعتنى بإصداره وقدم له د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي- طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.
- تاريخ البلاد العربية السعودية- د/منير العجلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ الدولة السعودية –أمين سعيد، دار الكاتب العربي.
- تاريخ المملكة العربية السعودية- د/عبد الله الصالح العثيمين، ط٩، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- تاريخ نجد، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام –الشيخ حسين بن غنام، ط١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٦٨هـ.
- الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، إشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته- د/ عبد الله أحمد قادري، ط١، دار المنار، جدة – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –حسين خلف الشيخ خزعل، ط١، مطابع دار الكتب- بيروت، ١٩٦٨م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع عبد الرحمن بن قاسم، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- الدرعية –عبد الله بن محمد بن خميس، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الدولة السعودية الأولى، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط٢، دار نافع للطباعة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- رسائل أئمة دعوة التوحيد- جمع د.فيصل بن مشعل بن سعود آل سعود، ط٢، مطابع الحميضي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- السنن، أبو عبد الله محمد يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، (د.ت).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدا لباقي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- صقر الجزيرة – أحمد عبدا لغفور عطار، ط٢.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي –د/صالح بن عبد الله العبود.
- عنوان المجد في تاريخ نجد –الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، تحقيق عبد الرحمن بن عبدا للطيف آل الشيخ، ط٤، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الفرق بين الفرق- عبدا لقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبدا لحميد، دار المعرفة، بيروت.
- قلب جزيرة العرب- فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه- الأستاذ مسعود الندوي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، ط الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. (د.ن).
- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، إستنبول.
- مقالات الإسلاميين – لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدا لحميد، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدا لكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ملوك آل سعود – الأمير سعود بن هذلول، ط١، ١٣٨٠هـ.
- المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٦، دار المشرق، بيروت.

- الموسوعة العربية العالمية- مؤسسة أعمال الموسوعة، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود- للعلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية –جمع الشيخ سليمان بن سحمان، ط٢، المنار سنة ١٣٤٤هـ، وط مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام ١٣٩٣هـ.



عناية
الملك سعود بن عبد العزيز بالعقيدة السلفية

إعداد

أ.د. محمود بن عبد الرحمن قدح

الأستاذ في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفُره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

" ففي تاريخ الأمم والشعوب مناسبات وأحداث ترسم لها الطريق، وتوضح المعالم في خط سيرها نحو إدراك أمجادها وتحقيق أهدافها، ومن الجدير بكل أمة ناهضة أن تستذكر في هذه المناسبات ما قطعت من أشواط، وحققت من مراحل، وأن تستعرض ما أصابت من نجاح، وما صادفت من عقبات في سعيها الدائب نحو أداء رسالتها؛ لتتخذ من تجارب ماضيها عظة وعبرة لمستقبلها، وتستمد منها طاقة متجددة في منطلقها نحو أهدافها"[1].

وإننا في هذا العهد الزاهر الميمون بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، لجدير بنا أن نزداد حمداً وشكراً على ما أولانا به ربنا - عز وجل - من نعم لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها نعمة الأمن والأمان ورغد العيش في ظلّ الشريعة الإسلامية الغرَّاء في دولة وطّد أركانها المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بالتوحيد والعلم، وجاء أبناؤه من بعده يتأسون به ويواصلون مسيرة البناء والتقدم.

---

(١) من خطاب جلالة الملك سعود - رحمه الله- في عام ١٣٨٣هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/ ٢٧٧.

وقد كان الملك سعود ولي عهد الملك عبد العزيز وخليفته من بعده، وممن رافقوه في مرحلة التأسيس والبناء، وعايشوه في إدارة شؤون مملكته الدينية والدنيوية، وممن عاهدوه على الوفاء والسير على نهجه وهديه في جميع الأمور الدينية والسياسية والإدارية وغيرها.

ومن هنا تأتي أهمية موضوع هذا البحث ليحاول إبراز جانب مهم من جوانب تاريخ الدولة السعودية وهو التمسك بالعقيدة السلفية وعناية ملوك المملكة العربية السعودية بها قولاً وعملاً، والتأكيد على تمسك الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - بالعقيدة السلفية والتزامه بها، وبيان بعض جهوده في العناية بها والدعوة إليها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد، ومبحثين كالتالي:

تمهيد: عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية وأثرها في أبنائه.

المبحث الأول: عناية الملك سعود بالعقيدة السلفية من خلال بعض أقواله وخطبه.

المبحث الثاني: عناية الملك سعود بالعقيدة السلفية من خلال بعض أعماله ومنجزاته.

سائلاً الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن أكون وفقت فيما كتبت، والله أعلم بالنيات والمقاصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى وسلم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

عناية المؤسس الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية وأثرها في أبنائه.

إن السلفية هي اتباع طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المسلمة، الذين هم أهل السنة والجماعة، ومعنى ذلك: هو الإجماع والاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره، باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[١].

و قد قامت الدعوة الإصلاحية على العقيدة السلفية التي دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[٢] وناصره عليها الإمام محمد بن سعود[٣] - رحمهما الله- .

---

(١) انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية": ١/٢٦٤، ٢٦٥، د/ صالح العبود.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي، الإمام المجدد، صاحب الدعوة الإصلاحية ولد سنة ١١١٥هـ، في العيينة في نجد، له مؤلفات عدة منها: "كتاب التوحيد"، توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ. (انظر ترجمته: في "عنوان المجد في تاريخ نجد": ١/٨٩-٩٦لابن بشر، و"روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام والغزوات البيانية والفتوحات الربانية": ٢٥- ٥٠للشيخ حسين ابن غانم، و"الأعلام": ٦/٢٥٧ للزركلي).

(٣) الإمام محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود، ولي الإمارة في الدرعية سنة ١١٣٩هـ، وفي سنة ١١٥٧هـ يتابع الإمام محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتمكين الدعوة الإصلاحية وبذلك انطلق تأسيس الدولة السعودية الأولى، توفي - رحمه الله- بالدرعية سنة ١١٧٩هـ. (انظر ترجمته: في "عنوان المجد": ١/٤٩، وروضة ابن غانم": ٢/٥، و"الأعلام": ٦/١٣٨، للزركلي).

وقصة البيعة المباركة بين الإمامين معروفة عند المؤرخين. (انظر: "عنوان المجد": ١/١١، ١٢، و"روضة ابن غانم": ١/٣).

فمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو منهج السلف الصالح وعقيدته هي عقيدتهم التي أجمعوا عليها ونقلت عنهم، وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "فنحن - ولله الحمد- متبعون غير مبتدعين، مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل السنة والجماعة، الذي هو على أمر الله ورسوله - ﷺ - ، وعليه الرسول - ﷺ - وصحابته والتابعون وأتباعهم وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرايتهم، مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقه، كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد ابن إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله وتعالى ورضي عنهم أجمعين- ، وكذلك ما درج عليه الأعلام من اتباع هؤلاء الأئمة، فنحن على ذلك، وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث، لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة، الذين هم الفرقة الناجية، وهم سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان، وإن صرنا غرباء، فطوبى للغرباء"[١].

على هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية تأسست الدولة السعودية الأولى[٢]، ثم الدولة السعودية الثانية[٣].

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٨ ص: ٢٥٢، ٢٥٩، - والقسم الثالث، الفتاوى ص: ٣١- ٣٥، ٨٨- ٨٩، و"مجموع الرسائل النجدية": ١/٣٢، و"عنوان المجد": ١/٩١، لابن بشر) نقلاً من "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب": ١/٣٦٩- ٣٧٠، - د/صالح بن عبد الله العبود.

(٢) تأسست الدولة السعودية الأولى بإمامة الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ، وانتهت بسقوط الدرعية في عهد الإمام عبد الله بن سعود في عام ١٢٣٤هـ.

(٣) تأسست الدولة السعودية الثانية بإمامة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود عام ١٢٤٠هـ، وانتهت في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٩هـ. (راجع "تاريخ

ثـم قـيض الله - ﷻ - للعقيـدة الـسلفية إمامـاً راشـداً وسـلطاناً نـصيراً وملكـاً حاميـاً ، ألا وهـو أبـو الملـوك الملـك عبـد العزيـز بـن عبـد الـرحمن آل سعود[١] - رحمهم الله جميعـاً- ، الـذي سـار عـلى سـنة آبائـه وأجـداده في نصرة العقيدة الـسلف الـصالح وإعـزاز أهـل الـدين الحـق ، واسـتعادة مكاسـب آبائه من ذلك ، وتجديد مجدهم وإحياء سنتهم الراشدة[٢].

وسوف نذكر إشارات ولمحـات لـبعض جهـود الملـك عبـد العزيـز في العنايـة بالعقيدة السلفية وأثرها في أبنائه من خلال العناصر التالية :

أولاً : بعض أقواله في نصرة العقيدة السلفية.

قـال المؤسـس الملـك عبـد العزيـز ـ طيـب الله ثـراه- بكـل فخـر واعتـزاز وصراحة : "إنني رجـل سـلفيّ ، وعقيـدتي هـي الـسلفية الـتي أمـشي بمقتـضاها على الكتاب والسنة ، وإنّ أكثر ما يهمّني هو المحافظة على كلمة التوحيـد ، ثـم على محارم المسلمين ، وأودّ أن نفنى - أنا وأولادي- في سبيل الله "[٣].

المملكة العربية السعودية" تأليف د/ عبد الله الصالح العثيمين ، و"المملكـة العربيـة الـسعودية في مائة عام" : ٢١- ٣٢ ، دارة الملك عبد العزيز).

(١) وُلد الملك عبد العزيز في مدينة الرياض سنة ١٢٩٣هـ ، صقر الجزيـرة العربيـة وموحـدها ، ومؤسـس المملكـة العربيـة الـسعودية ، تـولى الحكـم سـنة ١٣١٩هــ ، وبـدأ مرحلـة التأسـيس والبنـاء والعنايـة بجميـع الجوانـب الدينيـة والإداريـة والعـسكرية والاقتـصادية والاجتماعيـة والتعليميـة وغيرهـا ، تـوفي - رحمـه الله- سـنة ١٣٧٣هــ ، وعمـره ثمـانون عامـاً. (انظـر "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - للزركلـي ، و"تـاريخ المملكـة العربيـة الـسعودية" - د/عبد الله الصالح العثيمين)

(٢) انظر : "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" : ٢٩٥/٢ ، - د/صالح العبود.

(٣) انظر : "المصحف والسيف" ص : ٨١ ، - محي الدين القابسي.

وقال - رحمه الله- : "أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح... وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما جاء عن الخلفاء الراشدين"[1].

وقال موضحاً عقيدته ومصدرها: "إن أصل الدين كتاب الله –تعالى- ، وسنة نبيه محمد - ﷺ - ، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ فهم السلف الصالح، ثم الأئمة الأربعة من بعدهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، - رضي الله عنهم- وعن سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم إلى يوم القيامة، فإن هؤلاء الأئمة المقتدى بهم عند جميع المسلمين من أهل الكتاب والسنة، فإنه لا خلاف بينهم في أصل الدين، من توحيد الله – تعالى - في ربوبيته وفي ألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا- والحمد لله - ثابت في كتبهم الموجودة بين أيديكم، وإن حصل بينهم اختلاف في الفروع، فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم وما صحّ عن نبيهم - ﷺ - ، واستخراج معانيهما، كلّ منهم على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم في دينه، وكلهم - إن شاء الله تعالى - على حق ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم إلى يوم القيامة.

فهذا الذي ندين الله به، وهو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا وأسلافنا، وهو الصراط المستقيم، والميزان العدل، فمن استقام عليه، فهو المتبع

---

(١) نقل هذه الكلمة الملك فهد بن عبد العزيز عن والده وذكرها في افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بالرياض في ١٩/٣/١٤٠٦هـ، ونقلها الزركلي في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" ص: ٢١٦.

المهتدي، ومن حاد عنه وهو جاهل، فيجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله - تبارك وتعالى - "[١].

وكان الملك عبد العزيز حريصاً كل الحرص على دعوة إخوانه المسلمين في كلّ مكان من أرجاء العالم إلى العناية بالعقيدة وتصحيحها والعمل بها، فلا يدع مناسبة تمر إلا واغتنمها في الدعوة إلى التوحيد وخاصة في موسم الحج، ومن أقواله في ذلك: "إني أدعو المسلمين جميعاً إلى عبادة الله وحده والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح؛ لأنه لا نجاة للمسلمين إلاّ بهذا"[٢].

ثانياً: بعض جهوده في العناية بالعقيدة السلفية.

إن المنطلق والدافع لأعمال الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وإنجازاته الجليلة كانت العقيدة السلفية، فعندما وحد هذه البلاد المترامية الأطراف ولمَّ شملها أسس دولة إسلامية جعل شعارها ورايتها كلمة التوحيد الخالدة، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ومنهجها هدي السلف الصالح.

---

(١) انظر: "تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها": ١٥٣/٢، - صلاح الدين المختار.

(٢) "عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية" ص: ٢٧٧، د/عبد العزيز شرف.

وأقوال الملك عبد العزيز في بيان عقيدته السلفية وتوضيحها والعمل بها والدعوة إليها والتحدث بنعمها وفضلها، مبثوثة في كتب عديدة منها: - مختارات من الخطب الملكية، - المصحف والسيف، إعداد محي الدين القابسي، - عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية والدفاع عنها ص: ١٧- ٢٣، د/محمد الخميس، وغيرها من الكتب.

لذا، اعتنى الملك عبد العزيز بترسيخ العقيدة ونشرها عن طريق التعليم النظامي بمختلف مراحله وأنواعه، كما أرسل المعلمين والدعاة إلى القرى والهجر؛ لتعليم الناس أمور دينهم والعقيدة الصحيحة، وتحذيرهم من البدع والمنكرات، بل إنه أرسل بعض الدعاة إلى خارج البلاد وأمدهم بالمال والكتب لنشر العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع، وطبع ونشر كتب السلف وخاصة كتب العقيدة مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وشرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي وغيرها

وحرص - رحمه الله - على القضاء على كل مظاهر الشرك والبدعة في المملكة، وأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيانة للعقيدة ومحافظة على الشعائر الإسلامية ومحاربة للبدع والمنكرات والرذائل وحفظاً لأخلاقيات المجتمع وأفراده.

كما حرص الملك عبد العزيز أشدّ الحرص على تحكيم الشريعة الإسلامية في بلده في كلّ الأمور، والرجوع والتحاكم إليها، والدعوة إلى لزومها.

فتحقق من ذلك كله - بفضل الله وعونه - الأمن والأمان والنعمة في هذه البلاد المباركة من آثار تحكيم الشريعة السمحة والقضاء بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وهدي السلف الصالح[١].

---

(١) للتوسع: انظر "عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية والدفاع عنها" - د/محمد الخميس، وكتاب "توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي - د/محمد بن عبد الله السلمان.

ثالثاً: أثر عقيدة الملك عبد العزيز في أبنائه:

لقد اعتنى الملك عبد العزيز عناية بالغة بتربية أبنائه على العقيدة السلفية، وغرسها في نفوسهم، وإعدادهم لتحمل المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقهم من بعده تجاه دينهم ووطنهم وأمتهم الإسلامية، يوضح لنا ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز[1] - رحمه الله- بقوله - عن والده الملك عبد العزيز- : "هو القائد الوالد الذي أعدّ بنيه وربّى فيهم الإحساس الصادق الواضح بالمسؤولية العظيمة الدقيقة تجاه العقيدة والشريعة والدعوة والمقدسات والوحدة ومصالح الوطن والمواطنين والأمة الإسلامية جمعاء "[2].

كما قال - رحمه الله- : "الشيء الذي تأثرت به من الملك عبد العزيز - هو ما فيه شك - أنه مرب كبير، ودائماً عندما نكون في حضرة الملك عبد العزيز التركيز الأساسي هو كيف يوضح لنا مفهوم العقيدة الإسلامية؟ وكيف ممكن إذا تمسكنا بهذه العقيدة أن الخير والسعادة والبركة سوف تكون دائماً حوالينا؟ وإذا - لا سمح الله- خرجنا عن نطاقنا فلن يكون لنا أي

---

(١) الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، ولد بمدينة الرياض عام ١٤١٣هـ، كان أول وزير للمعارف عام ١٣٧٣هـ، ثم وزيراً للداخلية ثم نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ثم ولياً للعهد، تولى الحكم عام ١٤٠٢هـ، بعد وفاة أخيه الملك خالد، حفل عهده الزاهر بالعديد من المنجزات داخلياً وخارجياً، توفي - رحمه الله- في ١٤٢٦/٦/٢٦هـ. (انظر ترجمته في "المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص: ٨٣- ٨٩، دارة الملك عبد العزيز، و"الموسوعة العربية العالمية": ١٧/ ٥٨٠- ٥٨٢).

(٢) انظر: "المصحف والسيف" ص: ٣٢.

نصيب من الحياة التي ممكن أن يتمتع بها الإنسان... كانت نصائحه دائماً تنصب على العقيدة الإسلامية ويقول: هي الخير والبركة، ولولا أن هذه البلاد متمسكة بالعقيدة الإسلامية ما كان وصلت إلى ما وصلت إليه، وإن توجيهاته أو حديثه معنا كأبناء له ينصب على إيضاح مفهوم العقيدة الإسلامية إذا تمسك بها الإنسان أو تركها الإنسان "[1].

ولذلك كانت وصية الملك عبد العزيز لولي عهده الأمير سعود - يرحمهما الله- إبان مبايعته ولياً للعهد في ١٣٥٢/١/١٨هـ بإعلاء كلمة التوحيد وتقوى الله - ﷻ - وبيان مسؤولياته وأسس تعامله في الحكم ومع الناس[2].

ولقد اجتهد الملك سعود في تنفيذ تلك الوصية الثمينة، وقام بما عاهد الله - ﷻ - عليه وبما تعهّد به لوالده الملك عبد العزيز في إعلاء كلمة التوحيد ونصرتها والدعوة إليها.

وقد جاءت أقوال وأفعال ملوك المملكة العربية السعودية بعد الملك سعود من أبناء المؤسس الملك عبد العزيز - رحمه الله- تأكيداً وتوثيقاً للسير على

---

(١) من كلمة له مع منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١٤٠٤/٨/١هـ. (انظر كتاب "شباب العقيدة الإسلامية" - مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- ص: ٤٢، ٤٣، - إعداد محمد سعيد مبارك).

(٢) انظر: "عهد الملك سعود": ٣٢٤/٢، ٣٢٥، - أمين سعيد، و"تاريخ الملك سعود": ٨١/١، ٨٢.

نهج والدهم العظيم في العناية بالعقيدة السلفية، فهذا الملك فيصل[1] الذي تولى الحكم بعد أخيه الملك سعود يقول: "ولهذا السبب فنحن عندما نكرر في كل مناسبة أننا يجب أن نجعل العقيدة الإسلامية، حينما نكرر قولنا بأن نجعل العقيدة الإسلامية هي الركيزة التي يجب أن ننطلق منها لتحرير أنفسنا ولرد الظلم عنا وعن أبناء مواطنينا في كل الأنحاء وفي كل الأقطار، هذا هو الذي يدعونا إلى أن نجعل هذه الدعوة هي ديدننا"[2].

ثم الملك خالد[3] - رحمه الله - الذي قال: "وإنها لفرصة طيبة أن نتذكر فضل الله علينا، ونذكر به أبناءنا وأجيالنا الحاضرة وأن نعمل بكل إخلاص، ونلتف حول عقيدتنا ونلتفت إلى تربية أبنائنا ليكونوا مواطنين صالحين مؤسّسين على أسس صحيحة من العقيدة الإسلامية ومتربّين تربية إسلامية تمكنهم من القيام بمسؤولياتهم وحمل الأمانة الملقاة على عاتقهم في المستقبل فنضمن بذلك اتصال الماضي بالحاضر واتصال الحاضر بالمستقبل"[4].

---

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ولد بالرياض سنة ١٣٢٤هـ، وتولى الحكم سنة ١٣٨٤هـ، يعتبر رائد التضامن الإسلامي، قام بإنجازات عديدة في مجال الاقتصاد، والصناعة، والزراعة، والتعليم، توفي - رحمه الله- سنة ١٣٩٥هـ. (انظر ترجمته في "الأعلام": ٥/١٦٦- ١٦٨، للزركلي، والمملكة في مائة عام" ص: ٧١- ٧٦).

(٢) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٣٦٨.

(٣) الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٣١هـ، وتولى الحكم سنة ١٣٩٥هـ، تميّز عهده بالرخاء الاقتصادي العميم الذي أسهم في رقي النهضة الحضارية في شتى المجالات، توفي - رحمه الله- سنة ١٤٠٢هـ. (انظر ترجمته في "المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص: ٧٧- ٨٢).

(٤) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢/٥٤.

ثم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رحمه الله- الذي قال مؤكداً تمسكه بهدي السلف الصالح: "لقد جاء موحد هذه الجزيرة وجامع شملها الملك عبد العزيز - رحمه الله - ليقيم دولة التوحيد والشريعة الإسلامية والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي ومظهره العلمي... حيث يلتحم الدين بالدنيا، وتسير الأمة كلها في طريق الله، طريق الجهاد الصادق والعمل المثابر"(١). رحم الله الجميع رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته، آمين.

ثم جاء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز(٢) - حفظه الله وأيّده- ليواصل المسيرة المباركة ويؤكد تمسكه بالعقيدة الإسلامية والاعتزاز بها، فقال - رعاه الله وأعزّه ونصره- : "المملكة العربية السعودية - أعزّها الله ونصرها - بتمسكها بالعقيدة الإسلامية، وأنتم وآباؤكم وأجدادكم وأبناؤكم أعزكم الله بتمسككم بالعقيدة الإسلامية وهو شرف وعزّ لكم، وأنتم ونحن - إن شاء الله بخير- ما دمنا متمسكين بهذه العقيدة، وإن شاء الله لن يأتينا إلا كل خير"(٣).

---

(١) انظر: "كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين" ص: ٤، إعداد عبد الرحمن ابن سليمان الرويشد، وانظر فيما سبق كتاب "عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بعقيدة السلف" د/ محمود قدح - بتصرف.

(٢) الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٤٣هـ، تولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك فهد سنة ١٤٢٦هـ، كان ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني، ملك القلوب بعطفه وحبه للخير، أمدّ الله في عمره ومتعه بالصحة وبارك في عمله وأيّده ونصره. (انظر ترجمته في "الموسوعة العربية العالمية": ١٦/ ٨٣، ٨٤).

(٣) من كلمة ارتجلها الملك عبد الله في استقباله لأمير منطقة المدينة المنورة سمو الأمير عبد لعزيز بن ماجد ووفد أهالي منطقة المدينة المنورة في ٢٥/ ٤/ ١٤٢٧هـ. (انظر: جريدة المدينة العدد (١٥٧٣٦) في ٢٦/ ٤/ ١٤٢٧هـ).

وقال- أيّده الله- : "أيها الإخوة المواطنين... سبق لي أن قلت وأكرر أمامكم الآن: إن هناك أمرين لا يمكن التساهل فيهما وهما شريعتنا الإسلامية ووحدة هذا الوطن...[1]".

---

(١) من خطابه في حفل أهالي منطقة القصيم احتفاء بزيارته الكريمة للمنطقة في ١٩/٥/١٤٢٧هـ. (انظر: جريدة عكاظ، العدد (١٤٥٣٩) في ٢١/٥/١٤٢٧هـ).

المبحث الأول

عناية الملك سعود بالعقيدة من خلال بعض خطبه وأقواله

إن المتأمل في رسائل وأحاديث وخطب الملك سعود يتبين له بجلاء أنه - يرحمه الله - كان مقتفياً خطى والده العظيم الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في ضرورة تبليغ كلمة الله والدعوة إلى الإسلام الصحيح والتمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسيرة السلف الصالح، يوضح ذلك الملك سعود بقوله: "إننا منذ أن شاءت العناية الإلهية، والبيعة العامة، أن تؤول إلينا مقاليد الأمور، ما زلنا عاملين على تصريف شؤون البلاد مهتدين بكتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح، فهل هناك مبادئ ندين بها في علاقاتنا، وتحكم سلوكنا أسمى من الإسلام الذي يمثل الحق والعدل في أروع صورهما.

فنحن نتبع خطى منشئ المملكة جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله- في إعلاء كلمة الحق والدين ونشر ألوية العدل بين الناس وتحقيق الأمن والاستقرار لهم، وتهيئة أسباب الرفاهية والتقدم للبلاد في كافة الميادين"(١).

فمن الطبيعي أن نجد العناية البالغة من جلالة الملك سعود بأمور العقيدة والتمسك بها، والتركيز على أنها من الثوابت التي لا يمكن التفريط بها بأي

---

(١) من خطاب جلالته بمناسبة مرور (١٠) عشر سنوات على توليه الحكم في عام ١٣٨٣هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/ ٢٧٨.

حالٍ من الأحوال أو التهاون في شيء منها، وأنها مصدر العزة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وسنورد مقتطفات من أقواله الحكيمة التي تدل على شدة اهتمامه بأمور العقيدة وبالغ عنايته بها إيماناً وعملاً وتطبيقاً ودعوة إليها ودفاعاً عنها بالنفس والنفيس، وتلك المقتطفات هي أمثلة ونماذج وشواهد من كلماته وخطبه - رحمه الله - وليس القصد الحصر والاستيعاب:

المطلب الأول: بيانه لأهمية العقيدة وأنها أساس كل شيء.

قال - رحمه الله- مبيناً أهمية العقيدة وأنها أعزّ وأغلى وأقوى ما يملكه الإنسان: "أيها الإخوان، إن مدينة الرسول - ﷺ - لها في نفوسنا من الحب والحرمة ما لا تقوى عوادي الدهر على النيل منه، فهو حب متصل بالعقيدة والروح، والعقيدة أعزّ وأقوى ما يملكه الإنسان، لقد اشتدّ ساعد الإسلام وانتشر في سائر الآفاق من هذه المدينة المنورة"[1].

وقال - رحمه الله- موضحاً أن إخلاص العبادة لله هو أساس كل شيء: "يا إخواني، النية الصالحة وعبادة الله والإخلاص له في السر والعلانية هو أساس كل شيء، وقد عاهدنا الله أن دستورنا هو القرآن، وشريعة نبينا محمد - ﷺ - ، فأرجو - وأزمة الأمور بيده- أن يريني فيكم ما يسرني في دينكم ودنياكم، وأن يحفظ هذا الدين الحنيف، وأن نتكاتف على ما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وأن يهلك من فيه شر على الإسلام والمسلمين، وأن

---

(١) من خطاب الملك سعود في الحفل الكبير الذي أقيم بمناسبة الانتهاء من عمارة المسجد النبوي الشريف في عام ١٣٧٥هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢١٣، - جمع ونشر دارة الملك عبد العزيز.

يحمينا بالتوحيد، وأن يحفظنا بالقرآن ويهدينا لما فيه خير الدنيا والآخرة. والسلام عليكم"[1].

المطلب الثاني: حرصه على توضيح التوحيد والدعوة إليه.

لقد حرص الملك سعود على توضيح أهم أمور العقيدة السلفية ولبّ دعوتها ألا وهو توحيد الله - ﷻ - وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فلا تمر مناسبة عامة - خصوصاً في خطابه لحجاج بيت الله من مشارق الأرض ومغاربها - إلا ويكون محور حديثه - رحمه الله - عن هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الله الثقلين، قال الله – تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن أجله بعث الله الرسل والأنبياء قال الله – تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

لذا حرص الملك سعود على غرس التوحيد في قلوب شعبه فقال - رحمه الله - : "إن أول ما يهمنا جميعاً، هو الاعتصام بحبل الله المتين، وأن نتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده. "[2].

---

(١) من كلمته في حفل افتتاح المعاهد العلمية الجديدة في يوم الأحد ١٣٧٨/٤/١٩هـ، المرجع السابق: ٢٣٦/١.

(٢) من خطابه في حفل افتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض عام ١٣٧٣هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١٧٧/١، وتكرر ذلك في: ١٨٥/١.

وقال - رحمه الله- : "فإن سياستنا في ديننا أن نحافظ على كلمة التوحيد، ونعمل على بثها في ديارنا وفي أنحاء العالم بقدر ما نستطيع"[(١)].

كما يدعو الملك سعود إخوانه المسلمين إلى التوحيد مبيناً لهم أنه دعوة الأنبياء والمرسلين، فقال مخاطباً حجاج بيت الله الحرام: "ولقد بعث الله رسله يدعون البشر لعبادة ربنا، وإفراده - سبحانه - بالعبادة، فدعا إلى هذا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -

لقد اعترف العرب بجاهليتهم أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت إلا الله، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولكن كانوا يشركون بعبادة ربهم، ويدعون معه غيره، فالفرق بين الإسلام والكفر، وبين من استجاب لدعوة رسول الله ومن خرج من شريعته هو إفراد الله في العبادة وحده، أو إشراك غيره معه، ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وآيات القرآن الكريم التي تدعو إلى إفراد الله بالعبادة أكثر من أن تحصى.

إخواني المسلمين إني في هذا الموقف في هذا الحج الأكبر أجدد الدعوة إلى عبادة الله وحده، وأدعوكم وأدعو المسلمين جميعاً للرجوع إلى دين الله، وتنظيف عقيدتنا من الشرك، وإخلاص العبادة لله وحده"[(٢)].

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٢٤٤.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٢٠٦، وتكرر ذلك في مناسبات عديدة انظر: ١/ ٢٢٤، ٢٥٦.

ويوضح أن التوحيد يقتضي: "توحيد الله - سبحانه وتعالى - في أسمائه وصفاته وإلوهيته؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[1].

ويؤكد أن هذا التوحيد "هو الجوهر، هو روح الإسلام، وأساس الدعوة المحمدية التي شرف الله بها الأمة العربية لحملها ونشرها في مشارق الأرض ومغاربها"[2].

المطلب الثالث: تحذيره من الشرك والبدعة.

لما كان التوحيد والشرك نقيضان لا يجتمعان، وكانت البدعة طريقاً وبريداً للشرك، قال – تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] حرص الملك سعود - يرحمه الله- على التحذير من الشرك والبدعة، ومن أقواله في ذلك: "فإذا ما حققنا هذا الركن الركين من توحيد الله - سبحانه وتعالى - في أسمائه وصفاته وألوهيته نجونا، وإن اتبعنا هوى الشيطان في ابتداع ما ابتدعه المبتدعون من دعاء شجر أو حجر أو رِمَم بالية، فقد ضللنا سواء السبيل وخالفنا الهدي الذي بعث الله به رسله"[3].

---

(١) نشرة أخبار المملكة العربية السعودية، العدد (٥٩٢) في ١٣٧٧/٩/٢هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٧١/١.

(٢) انظر: "الخطب الملكية" ٢٢٤/١، من خطابه إلى الحجاج في عرفات حج عام ١٣٧٥هـ.

(٣) انظر: نشرة أخبار المملكة العربية السعودية، العدد (٥٩٢) في ١٣٧٧/٩/٢هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٧٢/١.

وقال – أيضاً – : "إخواني، لقد أتيتم من ديار بعيدة وتجشمتم مشقة السفر إلى هذا البيت العتيق، فأدعوكم ونفسي أن نتوجه إلى الله بقلوب صادقة تائبين من ذنوبنا، مخلصين العبادة لله وحده، تاركين دعاء غيره أو التوسل بغيره، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] وأن نعقد العزم بعد ذلك على أن نبتعد عن هذه المذاهب المبتدعة في الدين والاجتماع، ونرجع للمذهب الذي أنزله رب السماء، الذي ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، على نبينا محمد – ﷺ – ، ففي ذلك الخير كله"[(١)].

وقال: "كلنا يعلم المساعي المبذولة بأساليب شيطانية للقضاء على هذه الروح الإسلامية بمبادئ وبدع وضلالات زخرفوها للناس؛ ليجتذبوا بها عقولاً عميت عن الهدى، ولقد بعد الناس عن الهدى وتفرق المسلمون قبائل وشيعاً، ولكنه ما دام هذا القرآن بين أيدينا وسنة رسوله واضحة فلن يعدم ذلك أن تقوم فئة بنصرة الحق ونشر مبادئه، والدعوة إلى جمع كلمة المسلمين في صعيد واحد"[(٢)].

ودعا ربه قائلاً: "وأسأل الله أن يثبتنا على دينه، وأن يأخذ بنواصينا إلى الإيمان الصادق، ويحجزنا عما نهانا عنه من شرك أو ضلال أو بدعة"[(٣)].

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٠٦/١.

(٢) المرجع السابق: ٢٦٣/١، من خطابه في الحفل السنوي الكبير للحجاج عام ١٣٨٠هـ.

(٣) المرجع السابق: ٢٥٣/١، من خطابه في الحفل السنوي الكبير للحجاج عام ١٣٧٩هـ.

المطلب الرابع:

بيانه أن هذه الدولة قامت على أساس العقيدة والدعوة إلى الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح

قال الملك سعود في خطابه الملكي لشعبه بمناسبة توليه مقاليد الحكم في ١٣٧٣/٣/٦هـ: "شعبي الكريم، أما وقد قضت عليّ البيعة الشرعية التي في عنقي، أن أرتقي الملك، وأتقلد مسؤولية الحكم؛ فإني سأجعل نصب عيني سيرة والدنا المغفور له، وآراءه ومزاياه المجيدة في إدارة البلاد وتصريف شؤونها، متبعاً أحكام الدين المبين، معتصماً بحبل المتين. وأعاهد الله بالتمسك بكتابه الكريم، وسنة رسوله - ﷺ - ، وسأكافح دونهما بلساني وعناني، باذلاً قصارى جهدي في إسعاد شعبي العزيز ورفاهيته، والعمل على رقي البلاد سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ساهراً على مصالح البلاد، وتأمين حقوق أبنائها، مذللاً كل عقبة تعترض سيرنا في هذا السبيل"[(١)].

وأكد ذلك بعد مرور سنة على توليه الحكم في خطابه لشعبه في عام ١٣٧٤هـ، فقال: "الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه. وبعد، فقد تولينا حكم المملكة العربية السعودية منذ سنة كاملة، معتزين بهذا التراث المجيد الذي ورثناه كابراً عن كابر، والذي أسس على تقوى الله وطاعته. دستوره القرآن الكريم، وعماده سنة محمد - ﷺ - ، فعلى أسسه نحن ماضون، وعلى دستوره نحن ثابتون بحول الله وقوته"[(٢)].

---

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/١٧١، ١٧٢.

(٢) المرجع السابق: ١/١٩٦.

وقال في البيان الذي ألقاه في مفتتح أول جلسة لمجلس الوزراء: "إنكم تدركون ولا شك أن الدعامة الأولى التي يقوم عليها كياننا هي تمسكنا بتعاليم ديننا الحنيف وسنة نبينا محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - وعروبتنا المجيدة"(١).

كما أوضح جلالته - رحمه الله- أن المملكة لا قوام لها ولا عزّ لها إلا بالدعوة والعقيدة السلفية فقال: "إن المدرسة السلفية التي أسست في بلجرشي من قبل ناصر بن مغرم ومحمد بن جماح، والتي مناهجها تعليم الدين الإسلامي والعقيدة السلفية، وإفهام الناس الحق من الباطل، واجتناب ما حرم الله وتحليل ما أحل الله...... وبعد زيارتنا لهذه المنطقة وتفقدنا لهذه المدرسة، رأينا ما سرنا من أساتذتها وطلابها مما تحلوا به من العقيدة الصالحة والدعوة إلى الله، وإقبال الناس على هذه المبادئ الشريفة السليمة، التي نرجو أن تزداد وتمتد إلى جميع أنحاء المملكة، التي لا قوام لها ولا عز لها إلا بهذه الدعوة والعقيدة الصالحة، والعمل بكتاب الله وشريعة نبيه - ﷺ- ، وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرّم الله"(٢).

---

(١) انظر: "عهد الملك سعود": ٢٤٧/٣، - أمين سعيد.

(٢) انظر: أم القرى، العدد (١٥٧٢) في ١٣٧٤/١١/١٨هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٧٨/١.

المطلب الخامس:

بيانه أن ما تحقق لهذه الدولة من نعم كثيرة فمرده إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف الصالح

إن الإيمان الصادق للملك سعود - يرحمه الله- بالإسلام والتمسك به يبرزه إعلانه أن ما تحقق لبلاده من الأمن والخير فمرده إلى التمسك بهذا الدين فقال:

"إن من دواعي سروري أن أتحدث إليكم بمناسبة انسلاخ العام الرابع من تولينا مقاليد الأمور في بلادنا العزيزة - شاكرين المولى - عَزَّ وَجَلَّ- على ما أولانا من نعم جزيلة في هذه الحقبة من الزمن، وعلى ما وفقنا إليه فيها من أعمال شاملة رفعت مستوى المعيشة داخل البلاد، وأحلت مملكتنا المكانة اللائقة بها في الخارج. وما كان هذا ليتحقق لنا لولا تمسكنا بأهداب الدين الحنيف، كما فعل آباؤنا من قبل، وجعلنا كتاب الله دستورنا، وسنة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سبيلنا الممهد وهدفنا المسدد منهما نستمد الهداية من الله العزيز القدير، وبالمحافظة على شريعتهما وشعائرهما، ونرجو الخير والسلامة في الدارين"[(١)].

ويقول متحدثاً بما أنعم عليه وعلى بلاده من الخير، ويدعو إخوانه المسلمين إلى التمسك بأحكام الشريعة:

"إن الأمن والسلامة الذي يرفرف على بلادي، لم يكن إلا نتيجة لطاعة الله والسير على هدي كتابه وسنة نبيه الكريم، والتمسك بأحكام الشريعة

---

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢٢٧.

وأوامر الله. وإني لوثيق الأمل بأن مندوبيكم بالجمعية الدستورية سيعملون على وضع دستور لباكستان قوامه تعاليم القرآن الكريم، وأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك مما سيجعل طريقكم سهلاً ميسوراً، ويجنبكم المتاعب الاجتماعية والاقتصادية ويحل مشكلاتها"[١].

كما يُذكِّر جلالته إخوانه المواطنين بما هم عليه من النعم بسبب التمسك بالكتاب والسنة وتنفيذ الشريعة مقارنة بالأمس وبالغير، فقال - رحمه الله- :

"وما هي إلا نظرة عابرة ليرى الإنسان الفروق الهائلة التي تقوم بين حاضرنا اليوم وماضينا بالأمس، من رفاهية وأمن ووفر في المال وصحة في الأبدان مما لا ينكره إلا ذو غرض، ولا يجهله إلا ذو جهالة.

وإن من يلقي نظرة إلى عالمنا المضطرب وما تجري فيه كل يوم من أحداث جسام من تقويض للمبادئ السامية، وتهديم للنظم المألوفة، وتجاهل للقيم الإنسانية، فيقابل ذلك فيما نحن عليه من بحبوحة في العيش، ورضى بما يحيط بنا من رفاهية ونمو في جميع وسائل حياتنا، وتآخ فيما بيننا وبين الناس، ليقدر حق التقدير ما نحن فيه من نعم جزيلة، لم تكن لتحصل لنا لولا تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ، وتنفيذنا للشريعة الغراء.

ونحن - بحول الله وقوته - باقون في هذا النمو والتقدم ما دام هذا دستورنا وتلك شريعتنا"[٢].

(١) من خطبة ألقاها جلالته في أثناء زيارته لباكستان، انظر: "عهد الملك سعود": ٣/٤٧، أمين سعيد، تاريخ الملك سعود: ١/٤٦٣.

(٢) من كلمته إلى المواطنين في عام ١٣٧٩هـ. انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢٥٠- ٢٥١.

المطلب السادس

التزامه بالدعوة إلى الإسلام

لقد أعلن الملك سعود - رحمه الله- التزامه بالدعوة إلى الإسلام صراحة فقال:

"فنحن نعلن على رؤوس الأشهاد أننا لسنا ملوكاً فحسب، بل نحن دعاة لهذا الدين، ونعاهد الله أن نعزّ دعوة الدين بأموالنا وسيوفنا وأنفسنا، فسيروا على بركة الله، ونحن أمامكم ووراء ظهوركم، ففي الحديث " إن عرض بلاء بنفسك فافد بمالك دون نفسك، فإن تجاوز البلاء فافد بنفسك دون دينك" "[1].

وأوضح - رحمه الله- أن ذلك من فضل الله عليه في اتباع سنة الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى فقال: "وإني أذكر فضل الله عليّ وعليكم أن جعلني من السلالة التي تدعو إلى الله، متبعاً في ذلك سنة أبينا إبراهيم - عليه السلام - ، وسنة الأنبياء من بعده - عليهم السلام- ، وسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- ، وخلفائه الراشدين في الدعوة إلى الله، وعلى الأخص في هذا الموسم العظيم. كذلك كانت سنة آبائي الذين شرفهم الله بخدمة الدين وهذا البلد الأمين"[2].

كما بين منهجه - رحمه الله- في الدعوة فقال: "إن أهدافنا في سياستنا الداخلية وسياستنا الخارجية، هي المبادئ التي جاء بها الإسلام، لا أهداف لنا غيرها، عليها نسير، وإليها ندعو، لا نبتغي بها بديلاً لأنها كفلت لنا سعادة

---

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٣٥/١.

والحديث أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان": ٣٥٨/٢ (٢٠٣٢)، وقال: "عبد القدوس ابن حبيب الشامي هذا ضعيف مرة وقد أخطأ في إسناد هذا المتن إن لم يتعده والله أعلم".

(٢) المرجع السابق: ٢٠٥/١.

الدنيا والآخرة، ولا نسمح أن يكون في بلادنا غير مبادئ الإسلام، وندعو إليها في خارج بلادنا، وكما أمر الله بالحكمة والموعظة الحسنة لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها والله سميع عليم، هذه مبادؤنا، وهذه أهدافنا، لا مبادئ لنا سواها ولا أهداف لنا غيرها"[١].

---

(١) من كلمته أمام هيئة الوزارة الجديدة في ١٣٨٠/١٠/٩هـ، انظر: "عهد الملك سعود": ٢٥٣/٣، آمين سعيد.

المطلب السابع:

بيانه أن الإسلام جاء بالمبادئ السامية التي كفلت للبشرية خيري الدنيا والآخرة

قال الملك سعود في خطابه إلى العالم الإسلامي بمناسبة شهر رمضان المبارك لعام ١٣٧٨هـ: "إخواني، لقد جاءنا الإسلام بأعلى المبادئ الدينية من التوحيد الخالص، وبأعلى المبادئ الاجتماعية التي تكفل للبشر سعادتهم وهناءهم، كما رسم لنا أوضح المناهج والسبل في كل أمر نحتاج إليه لسعادتنا في دنيانا وأخرانا، وكلنا يعلم ما لقيت هذه الدعوة الإسلامية من النجاح حتى دان لها نحو نصف الأرض في أقل من عشرين عاما، وعاش الناس في ظلالها في عدل ورخاء وهناء، لا يعرف البشر مثله في عصر من عصور التاريخ"[(١)].

وقال - يرحمه الله- : "إخواني، إنه لا يوجد أي مبدأ من المبادئ السامية العالية الكفيلة بسعادة البشر لم يكفلها ديننا، من أجل ذلك رضينا بالله رباً، وبمحمد - صلوات الله وسلامه عليه - نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن دستوراً، لا دستور لنا سواه، ولا هدي لنا إلا هدي نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - . انظروا ما فعل الإسلام بمتبعيه، قال: " بعثت للأسود والأحمر"[(٢)]، وبلال الحبشي وصهيب الرومي لهما من الحقوق وعليها من الواجبات ما لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

---

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢٣٧، ١٣٨.

(٢) رواه أحمد: ٥/١٤٧ (٢١٣٥٢)، والدارمي: ٢/٢٩٥ (٢٤٦٧)، وابن حبان: ١٤/٣٧٥ (٦٤٦٢) من حديث أبي ذرّ - رضي الله عنه - بلفظ ((بعثت إلى الأحمر والأسود)).

وقال - أيضاً - مؤكداً أن كتاب الله والشريعة المطهرة كفلت خيري الدنيا والآخرة:

"كما أجدد في هذا الموقف وفي كل موقف الدعوة للعمل بكتاب الله وبالشريعة المطهرة التي جاءتنا من عند الله، والتي كفلت لنا خيري الدنيا والآخرة، ورسمت لنا سياستنا الدينية والاقتصادية والاجتماعية بما عجزت، وستعجز عنه في الحاضر والمستقبل، أفكار فلاسفة العالم وعلمائه، فأي مبادئ يمكن أن تكون أعلى وأرقى من العدالة التي أعلنها رسول الله - ﷺ- في حجة الوداع؟ فقد أخرج ابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله - ﷺ- في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فليبلغ الشاهد الغائب"[1].

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٠٦/١، ٢٠٧.

والحديث رواه البيهقي في "شعب الإيمان": ٢٨٩/٤ (٥١٣٧)، وقال: "في إسناده بعض من يجهل"، ورواه أحمد: ٤١١/٥ (٢٣٥٣٦) من حديث أبي نضرة - رضي الله عنه - ، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". (مجمع الزوائد: ٢٦٦/٣)

المطلب الثامن

إدراكه لمكائد الأعداء ومخططاتهم في محاربة الدعوة والكيد للمسلمين وبيانه كيفية مواجهتهم وإبطال مكائدهم

لقد كان الملك سعود مدركاً لما يحاك للإسلام وأهله من مكائد ومخططات، فكان حريصاً على تحذير مواطنيه وإخوانه المسلمين وتوعيتهم من تلك المكائد والمخاطر، فقال - رحمه الله- : "إخواني المسلمين ممن حضر مجلسنا هذا ومن غاب عنا، إنه مما يحز في نفسي أن أشعر أن الإسلام بدأ يكون غريباً في مواطن كثيرة، فإذا لم يتنبه المسلمون لما يراد بهم من إفساد دينهم وعقائدهم فالخطر محيط بهم وبنا لا محالة، إلا إن يشاء الله، أقول هذا قول عالمٍ بما هناك، وبما يدس في الأقطار والمسالك من تشكيك الناس في دينهم، وتزيين شياطين الإنس مبادئ اختلقوها وأسماء أسموها ما أنزل الله بها من سلطان؛ ليشككوا الناس في شريعتهم التي شرعها الله في كتابه، وعلى لسان نبيه، وليظهروا للناس أن شرع الله ناقص لا يكفي لكل زمان ومكان: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

إخواني، إن حبائل الاستعمار كحبائل الشيطان وجنود الاستعمار كجنود الشيطان، إذا سدّ عليهم باب سلكوا باباً آخر، فإن أعيتهم قواهم عن الوصول لأغراضهم من هدم الإسلام ومبادئه، راحوا يكيدون له بأساليب وطرق تكاد تعجز إبليس وجنوده، فإذا عجزوا عن الفساد أخذوا للوقيعة بين المسلمين والتفرقة بينهم بطرق شتى، فإذا لم يتنبه المسلمون لما يراد بهم ذهبت ريحهم وضاعوا في هذه الدنيا، وكانوا أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام،

والضر واقع بهم دنيا وآخرة، إن الله في غنى عن سائر المخلوقات فهو الغني ونحن الفقراء ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨][1].

وبيّن بعض أساليب الأعداء في محاربة الدعوة إلى الله والكيد للمسلمين فقال: "ولقد كان من المبادئ الرئيسة التي هدفنا إليها عندما حصل التفكير في تأسيس المؤتمر الإسلامي تنظيم الدعوة إلى الله، ونشر التعاليم الدينية، ومبادئ الإسلام الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، ونرجو من الله أن يوفقنا وإياكم لنشر دعوته والعمل بكتابه، وإنه غير خاف أنه ليس من السهل على أعداء العرب والمسلمين أن يروا طائفة من المسلمين على هذا المنهج في الدعوة إلى الله والعمل بكتاب الله، ولما لم يجدوا سبيلاً لصدهم عن ذلك لم يروا إلا استعمال الحيل والمكر وأساليب مختلفة، وطرق متعددة أحياناً بالعمل لإفساد جامعة العرب، وأحياناً بالطعن علينا في ديننا، وأحياناً بنشر الأكاذيب والدعايات، وأحياناً بالتفرقة بين صفوف العرب والمسلمين ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وسنكون - بحول الله وقوته- مصداقاً لقوله- تعالى-: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣١][2].

---

(١) من خطابه للحجاج في عام ١٣٧٨هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١/٢٠٧.

وقال - رحمه الله- : "يا إخواني، الظروف كما تعلمون، وتيار الفساد كما تعلمون، والملحدون يحيطون بكم من كل جانب، يريدون هدم هذا الدين الحنيف لكننا لا والله، سنقاتل عن ديننا بأنفسنا وأموالنا وأولادنا، حتى نقتل شهداء في سبيل الله"[1].

كما يوضح جلالته - رحمه الله- كيفية مواجهة الأعداء، فقال: "وإن المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية ليرى الجهود المتنوعة التي بذلت لطمس معالم تلك المبادئ، وهدم أسسها الراسخة، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وليس في مبادئ الإسلام وأسسه إلا ما يجعل المسلم في أعلى الدرجات وأسماها، ولكن بُعد المسلمين عن فهم حقيقة دينهم أحدث الفجوات في صفوفهم، وأخلى المجال لمن يعملون على تغطية نور الشمس بسحب الشكوك. وإذا رجع المسلمون إلى كتابهم وسنة رسولهم وسيرة الخلفاء الراشدين، وجدوا فيها الرائد الراشد، لبلوغ أسمى الغايات في التوحيد الخالص وفي حياتهم الاجتماعية ورفع مستواهم، ولجعلهم الأعلين في كل مكان.

إخواني، كل ما أدعو إليه هو الرجوع لكتاب الله وسنة رسوله وسنة خلفائه الراشدين، نقتفي آثارهم، ونهتدي بهديهم، ونتناصح فيما بيننا للعمل لذلك، سائلين الله أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر البطر والأشر، وأن

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١/٢٣٦.

يمنَّ علينا بعفوه ورضوانه، ويعيننا على صيام هذا الشهر الفضيل وقيامه، وأن يجعل عملنا خالصاً مخلصاً لوجهه، حتى نفوز برضوانه في الدنيا والآخرة"[١].

ويرسم خطة الدفاع لمكائد الأعداء وسبيل النجاة من مخططاتهم فقال - رحمه الله- : "... ولا يمكن حفظ كيان أو دفاع عدو إلا بالتمسك بدين الله وبأحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ... فإن قمنا بهذا قولاً ونطقاً باللسان وعملاً بالأركان وعقيدة بالجنان، فقد أدينا الرسالة وحصلت لنا المنعة وكافحنا العدو بالسلاح القوي... ألا وهو السلاح الرباني الذي لا يعادله أي سلاح أو أي قوة... قال الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]... فإذا دافعنا عن دينه دافع عنا... وإذا أهملناه أو تكلمنا مجرد كلام وتمنٍّ، فهذا لا ينفعنا شيئاً، كما في الحديث " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[٢]... فنرجو أن نكون ممن قال واعتقد بقلبه وصدقته أعماله... والذي أوصي به نفسي وشعبي هو تقوى الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية والميسرة والعسرة... والاعتصام بدين الله... وتطبيق سنة رسول الله - ﷺ- ... وعدم الميل إلى ما يخل بالدين وبتقاليد الإسلام ومبادئنا العربية الشريفة التي يؤيدها الإسلام، فإن عملنا بهذا نجحنا في أمر ديننا ودنيانا وإن تركناه - لا سمح الله- فما أهوننا على الله... كما قال الله في كتابه العزيز: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١/٢٣٨.

(٢) رواه مسلم: ٤/١٩٨٧ (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

﴿دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[الرعد: ١١]... وهذا لا يمنع عن اتخاذ كل قوة في البلاد عسكرياً أو مادياً أو معنوياً... وكل ما فيه رقي للبلاد والنهوض بها في شتى مرافق الحياة التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي"[١].

---

(١) جريدة أم القرى، العدد (١٥٧٢) في ١٨/١١/١٣٧٤هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ١/٢٧٩، ٢٨٠.

المطلب التاسع:

يقينه وبيانه أن التمسك بالعقيدة أهم أسباب العز والكرامة، وأن التفريط فيها من أعظم أسباب الفرقة والهزيمة

قال الملك سعود: "إخواني، لا يزال المسلمون بخير ما تواصوا بينهم وتناصحوا بالبر والتقوى، وما أصابهم من غلبة عدوهم لهم إلا حين نسوا وتناسوا ما جاءهم به نبينا - صلوات الله وسلامه عليه- إن التوحيد الخالص وجمع كلمتنا عليه هو الجامع الذي يجمعنا للجهاد في سبيله، وهو الذي يوحد صفوفنا، ويرفع من شأننا، وقد كتب الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فإذا عقدنا العزم في قلوبنا على الإيمان بالله، وعبدناه حق عبادته، وتناصحنا بالتآخي بيننا، أمكننا الوصول إلى أهدافنا التي نسعى إليها من السعادة في الدنيا والآخرة"[(١)].

وقال أيضاً: "إن المسلمين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه يوم قادوا أمم الدنيا ونشروا العدل والسلام والحق بين الشعوب إلا بالعقيدة والصدق والإخلاص ونكران الذات والتضحية في سبيل توحيد كلمة المسلمين، وهذه وصيتي لنفسي ولإخواني المسلمين في كل مكان، وعليها تقوم أسس كل نهضة وتقدّم ونجاح، فليكن شعارنا وشعاركم، وهدفنا وهدفكم في السر والعلن، وفي السراء والضراء"[(٢)].

---

(١) من خطابه إلى المسلمين في موسم الحج لعام ١٣٧٧هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) راجع: "كتاب رحلات في ميادين العمل والجهاد" ص: ٣٧٣، فؤاد شاكر، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ١/٢٦٩، ٢٧٠.

ولقد بيّن جلالته أسباب الهزيمة والتخلف والفرقة التي أصابت المسلمين وأوضح طريق العز والكرامة بقوله: "والذي أوصيكم به ونفسي، تقوى الله - سبحانه وتعالى- في السر والعلانية، وتحليل ما أحلّه الله وجاء في سنة نبيه محمد - ﷺ- ، وتحريم ما حرّم. وليس بخاف على أحد منكم ما أصاب المسلمين وحلّ بهم، ولا شكّ عندي أن ذلك كان بسبب تخليهم عن مبادئهم الدينية، وأعظم هذه المبادئ هو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، واعتقاد ما اعتقده السلف الصالح الذين تعرفون ماضيهم، وقد نالوا العزّ والكرامة، وما ذاك إلا بقوة إيمانهم، ومحافظتهم على شرائع الإسلام وشعائره، فنالوا ما نالوا من النصر والتأييد بهذا السبب، وهذا المبدأ الشريف. فعليكم - أيها المسلمون- بالرجوع إلى الله في سرّكم وعلانيتكم، وتحليل ما أحلّ الله وتحريم ما حرّم، والصدق فيما بينكم، وصفاء القلوب بعضكم لبعض، وتوحيد كلمتكم، وجمع صفوفكم في هذا الجو المكفهر الذي حير كل عاقل من تعقده"(١).

كما أكده بقوله – أيضاً- : "أجل، لن يتم لنا جميعاً النهوض الحقيقي إلا بالرجوع إلى تعاليم ديننا الحنيف وتفهم مبادئه الحكيمة وأسسه القويمة وأوامره السامية. وفي كتاب الله العزيز نبراس يضيء لنا معالم الطريق مهما ادلهمت الخطوب، وتكالبت الأزمات، ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ

(١) نداء من جلالة الملك إلى المسلمين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك في عام ١٣٧٣هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١٨٢/١.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج : ٤٠][1].

وقال الملك سعود - رحمه الله- متحدثاً بنعم الله الكثيرة على بلاده بسبب المحافظة على الإسلام والعقيدة السلفية، ومحذراً من إزالة النعم وجلب النقم بسبب ضياع الدين والأخلاق: "بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك، وبما أنعم الله علينا من نعمة الإسلام وتحكيم الشريعة المحمدية، وشرف التمسك بها، مضافاً إلى ذلك ما أسداه الله علينا من النعم الغزيرة من الأمن والطمأنينة ورغد العيش وعافية الأبدان، كل هذه يا إخواني نعم عظيمة ومنن من الله جسيمة، نلتفت إلى من حولنا ونرى كل ما ذكرناه معدوماً، وذلك من عدم مبالاتهم بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد - ﷺ- مع أنهم أقوى منكم عدة، وأكثر عدداً، ولكن أنتم أقوى منهم ليس بجهودكم ولا بعددكم إنما ذلك بتمسككم بدين الإسلام، والعمل بشرائعه والمحافظة على شعائره.

فإن استقمتم على هذا، وعلم الله من نيتكم المحافظة على دين الإسلام والعقيدة السلفية، والتمسك بآداب القرآن والسنة وتحليل ما حلله، وتحريم ما حرماه، وصرفتم جهودكم في هذا، وفيما يصلح الله به أحوالكم في هذه الحياة مما أحلّه من الحلال، وصرفتم أنظاركم عن كل أمر يغضب الله عليكم ويضيع مبدأكم الديني والخلقي، فماذا تريدون يا إخواني غير ما أنتم فيه من العزّ والكرامة والاستقلال التام، دستوركم فيه القرآن. هذا - والله- هو

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٢٣٠، ١٣١.

الشرف، وهو العصمة لمن أراد العصمة. أما ما يضيع الدين ولا ينطبق مع المبادئ الإسلامية والمثل العليا للأخلاق العربية، فإن ذلك هلاك وذلّ في الدنيا والآخرة وذهاب الأمم، لأن الأمة أخلاق، إذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا. وتعرفون أنه ما حلّ بغيركم ما حلّ بهم إلا بسبب انتهاكهم حرمات الله، وإضاعتهم دينهم وأخلاقهم. فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله - سبحانه وتعالى- في السر والعلانية، والاعتراف بالنعم الجليلة، وما أسداه على هذه البلاد من النعم الكثيرة، فلا تكونوا سبباً لإزالة هذه النعم وغضب الله وجلب النقم. فأنا - بحول الله وقوته- سأمضي قدماً إلى ما فيه عزّ هذا الدين الحنيف، وإقامة شعائر الإسلام، والضرب على يد كل من تزين له نفسه شيئاً من الإخلال بهذا الدين أو مقدسات المسلمين. "[١].

---

(١) نصيحة جلالة الملك سعود إلى جميع المسلمين بمناسبة إقبال شهر رمضان المبارك لعام ١٣٧٥هـ، المرجع السابق: ١/٢١٥، ٢١٦.

المبحث الثاني

عناية الملك سعود بالعقيدة السلفية من خلال بعض أعماله

لقد أكرم الله الملك سعود - رحمه الله- ومنّ عليه بإيمان راسخ بعقيدة سلفية، وسجايا حميدة، وصفات قيادية، مكّنته - بتوفيق الله وعونه- من القيام بإنجازات عظيمة وأعمال جليلة في داخل المملكة وخارجها، ومن أبرزها: توسعة المسجد الحرام، وتوسعة المسجد النبوي الشريف، وعمارة المسجد الأقصى، وإصدار الكثير من أنظمة الدولة ومن أهمّها: نظام مجلس الوزراء، إلغاء الرق، إنشاء العديد من الوزارات كوزارة المعارف، ووزارة الإعلام، ووزارة البترول والثروة المعدنية، وغيرها، وتوثيق أواصر المحبة والتعاون مع كافة الشعوب وخاصة الدول الإسلامية، ومناصرة القضية الفلسطينية ووقوفه إلى جوار الجزائر في نضالها ومساندته لتونس وغير ذلك من الأعمال والمنجزات الحضارية.

وسيطول بنا الحديث عن تلك المنجزات والأعمال الكثيرة، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض تلك الإنجازات والأعمال التي لها صلة مباشرة بموضوعنا، وهو العناية بالعقيدة السلفية، وهي كالتالي:

المطلب الأول: العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أولاً: القرآن الكريم - المصدر الأول للعقيدة- :

إن القرآن الكريم مصدر العقيدة ومنبعها، ودستور الأمة وقدوتها ومصدر هدايتها وتشريعاتها، قال- تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن الكريم مشتمل على بيان العقيدة الصحيحة وتجليتها، والناظر فيه يجد أن معانيه - كما قال الإمام ابن القيم- : "دائرة على التوحيد وبراهينه، وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوقهم، وحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جُعلوا عليه من أمر العلم العلوي والسفلي...، وعلى الإيمان باليوم الآخر، وما أعدّ الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد ولا تنغيص، وما أعدّ لأعدائه من دار العقاب الوبيل التي لا يخالطها سرور ولا رخاء، ولا راحة ولا فرح، وفصّل ذلك أتمّ تفصيل وأبينه، كما اشتمل على تفاصيل الأمر والنهي والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات في خلقه وأمره"[1].

لذا، كانت العناية بالقرآن الكريم من أولويات الملك سعود - رحمه الله- واهتماماته، فكان يعلن تمسكه بالقرآن الكريم والسنة المطهرة والعمل

(١) انظر: "مدارج السالكين": ١/ ٤٥٢.

بهما في خطبه وكلماته، ويكرره دائماً - ومن ذلك قوله في خطابه الموجه إلى المواطنين: "وجعلنا كتاب الله دستورنا، وسنة رسوله سبيلنا الممهّد وهدفنا المسدد منهما، نستمدّ الهداية من الله العزيز القدير، وبالمحافظة على شريعتهما وشعائرهما، ونرجو الخير والسلامة في الدارين"(١).

وقال الملك سعود في خطابه إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٣٨١هـ: "إخواني بين أيدينا وأيديكم، بين صدورنا وصدوركم كتاب الله الذي أنزل على رسوله محمد - عليه الصلاة والسلام - ، فليكن كتاب الله وما جاء فيه دستورنا نعمل به ونسير في هداه، فيرفع من شأننا ويقوي في عزيمتنا، ويوحد بين قلوبنا وينظم من شؤوننا. ولا خير في أمة بين أيديها كتاب الله وسنة رسوله، ولا تعمل بهما، ولا تسير طبقاً لما جاء به. نادى القرآن بالحق ونحن نريد الحق، نادى القرآن بالعدل ونحن نريد العدل، نادى القرآن بالوحدة بين المؤمنين ونحن نريد الوحدة مع المؤمنين"(٢).

ومن مظاهر عناية الملك سعود بالقرآن الكريم نذكر ما يأتي:

- إصداره مرسوماً ملكياً رقم: (٢٧٤/٣/٢) يدعو فيه الملك سعود رعيته إلى الاهتمام بحفظ كتاب الله - عز وجل - والحرص على تلاوته بالتجويد والضبط، والتشجيع على ذلك بالمكافآت المادية والمعنوية، ونص المرسوم الملكي كالتالي(٣):

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٢٧/١.

(٢) انظر المرجع السابق: ٢٧٣/١.

(٣) انظر: "تاريخ الملك سعود": ٢٩٧/١- ٢٩٩، ١٣٧/٣- ١٤٠، د/ سلمان آل سعود.

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز إلى من يراه من رعايانا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فكلنا يعلم أن كتاب الله القرآن الكريم العظيم المنزّل على رسوله الكريم هو قدوتنا ، وهو الهدى والنور الذي أنزله الله على رسوله ليكون للناس بشيراً ونذيراً ، وقد تداوله أصحاب رسول الله - ﷺ- بالحفظ والمدارسة ، وتبعهم السلف الصالح ومن بعدهم. فمن أنار الله بصيرته رغّبه في كتابه.

وقد رأينا انغماس الناس بالدنيا وإعراض الكثيرين عن مدارسة هذا الكتاب الكريم ، حتى قلّ حفظ القرآن ، ويخشى أن يتمادى الناس في هذا التغافل ؛ ولذلك رأينا أن ندعو أبناء رعيتنا إلى الاهتمام بهذا الكتاب وحفظه عن ظهر قلب ، ومن أجل ذلك أمرنا بما هو آت :

أولاً : تعيين جائزة ألفي ريال لكل شخص يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، تسلم له بعد استيفاء الشروط المذكورة في بياننا هذا.

ثانياً : كل من يرغب أن يبدأ بحفظ كتاب الله ، سواء من أبناء المدارس أو من عامة الشعب ، عليه أن يسجل اسمه عند قاضي البلدة أو عند إدارة المدرسة التي يدرس فيها.

ثالثاً : عندما ينتهي حفظ القرآن ، على مدير المدرسة أو القاضي أن يسمّع له كتاب الله من أوله إلى آخره ، ليرى أنه قد أتمّ حفظه أم لا.

رابعاً : يشترط في الحفظ أن يكون حفظاً متقناً بالتجويد والضبط.

خامساً : عندما يأخذ الشهادة بحفظه ، يتناول الجائزة من إدارة المالية في البلاد التي يقيم بها.

سادساً: يكتب أسماء الحفاظ وينشر، ويكون لهم مركز خاص ممتاز في أي حفل من الحفلات التي يقيمها الحكومة ليكونوا موضع التكريم والاحترام.

سابعاً: على رئيس وزرائنا ووزير المعارف ووزير ماليتنا إنفاذ أمرنا هذا.

سعود بن عبد العزيز.

ويرجع افتتاح أول مدرسة ابتدائية نظامية لتحفيظ القرآن الكريم للبنين إلى عام ١٣٦٧هـ بالمدينة المنورة، كما افتتحت أول مدرسة متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم عام ١٣٨٤هـ بمدينة الرياض، باسم "مدرسة تحفيظ القرآن الكريم لتلاميذ المرحلة المتوسطة".

- كما حرص الملك يعود - رحمه الله- على نشر كتاب الله - عز وجل - وتوزيعه ليكون في متناول طلبة العلم وجميع المسلمين، ومن الأدلة على ذلك:

أمره الكريم الذي أصدره في عام ١٣٧٤هـ بشراء خمسة عشر ألف نسخة من القرآن الكريم (مصحف مكة) الذي يطبع في مهبط الوحي، لتوزيعها على المساجد والمدارس في عموم قرى المملكة.

كما أرسل - رحمه الله - عدداً من نسخ المصحف الشريف إلى المدارس الإسلامية في لبنان[1].

ثانياً: المصدر الثاني للعقيدة ـ السنة النبوية المطهرة:

إن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، فهي تفسر مبهمه، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتشرح أحكامه وأهدافه قال - عليه الصلاة والسلام - : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه..." [2].

(١) انظر: "تاريخ الملك سعود": ١/٢٩٧- ٢٩٩، ٣/١٣٧- ١٤٠، د/ سلمان آل سعود.

(٢) انظر: المملكة العربية في مائة عام ص: ٦٧، إصدار دارة الملك عبد العزيز.

قال الملك سعود: "إن النبي - ﷺ- قد أوضح في سنته الحكيمة كل شيء، ومن سار على سنة النبي الكريم فقد استلم طريق النجاح والعلاج، وأنه القدوة الحسنة للمسلمين، وهذه أحاديثه الصحيحة تبين للناس مكارم الأخلاق، وحسن معاملاتهم بين أنفسهم وبين ربّهم وبينهم وبين إخوانهم جميعاً"[1].

لذلك أولى الملك سعود - يرحمه الله- السنة النبوية الشريفة عنايته البالغة ودعا شعبه إلى الاهتمام بالسنة وشجّع على حفظ الأحاديث ووضع جائزة لمن يحفظ أحاديث متنوعة، وقد كان ذلك سبباً في تأليف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي المملكة كتابه "تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ"، جمع فيه ألف حديث، وقد رفع سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم خطاباً بذلك إلى رئيس ديوان جلالة الملك سعود، ونصه كالتالي:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم رئيس ديوان جلالة الملك - سلمه الله تعالى-

وبعد: نعيد لكم المكاتبة الواردة إلينا منكم رقم ١٣- ١٧- ٧١٦٧ وتاريخ ٢٢- ٥- ١٣٧٤هـ بخصوص الاقتراح المقدم بجعل جائزة لمن يحفظ بعض الأحاديث.

---

(١) أخرجه الترمذي: ٣١٠/٧، أبو داود: ١٠/٥- ١١، والإمام أحمد: ١٣٠/٤، وابن ماجه: ٧/١، وابن حبان: ١٤٧/١، وصححه الألباني. (ر: مشكاة المصابيح: ٥٧/١، وصحيح سنن ابن ماجه.

أفيدكم أن هذه الاقتراح طيب، ولكن يلاحظ أن يكون ذلك المطلوب حفظه على الأقل ألف حديث، وأن يكون ذلك الحفظ تاماً، وأن يكون مقامة ألفاظ تلك الأحاديث في الحفظ من حيث الرواية ومن حيث العربية، والاعتبار في إشكال هذه الشروط المطلوبة بإثبات من يعتبر إثباتهم شرعاً. أما انتخاب تلك الأحاديث فيكون من عندنا - إن شاء الله - . والسلام عليكم[1].

- كما أمر الملك سعود - يرحمه الله- بطباعة كتب السنة ومنها: صحيح أبي عبد الله البخاري ـ طبع عام١٣٧٦هـ، و مختصر سنن أبي داود - للإمام المنذري، طبع عام ١٣٦٧هـ.

---

(١) انظر: "فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ": ١٣٢/٨، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

المطلب الثاني: العناية بطباعة ونشر كتب السلف.

عُرف عن الملك سعود - رحمه الله- حب القراءة والاطلاع في الكتب الدينية والأدبية والتاريخية والعلمية، فلذلك اهتمّ - رحمه الله- بالكتب والمكتبات.

وعن ذلك قال جلالته: "وكذلك أنشأت مكتبة كبيرة في الرياض ستملأ بأمهات الكتب النافعة في كل علم، وتبلغ ما بلغته خزائن الكتب في التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث، وقد تعاونت بلدية الرياض التي أنشأتها مع جامعتها على إمداد هذه المكتبة بأنواع الكتب في شتى العلوم لتكون مثابة للراغبين في القراءة الطامحين في الاستزادة من العلم"[(١)].

فانتشرت في عهده مكتبات عامة علمية موزعة على المدن البارزة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبالرياض وبريدة وجدة والظهران والهفوف وغيرها[(٢)].

كما اعتنى الملك سعود - رحمه الله تعالى- عناية بالغة بطباعة ونشر كتب السلف التي أولاها اهتماماً خاصاً منذ أن كان ولياً للعهد فساهم في طباعة الكثير من كتب السلف وتوزيعها على طلبة العلم، نذكر من جملة الكتب التي أمر - رحمه الله- بطباعتها على سبيل المثال لا الحصر[(٣)]:

---

(١) خطاب الملك سعود بمناسبة ذكرى جلوسه في الحكم صحيفة (أم القرى) عدد خاص في ١٣٨٧/٣/٢٩هـ، نقلاً من تاريخ الملك سعود: ٢٩٢/٣.

(٢) للتوسع انظر: المرجع السابق ٢٩٠/٣- ٢٩١.

(٣) انظر موقع الدارة على الإنترنت (www.darah.org.sa)، وتاريخ الملك سعود: ٢٩٣/٣، ٢٩٤، ومكتبة الملك سعود بن عبد العزيز الخاصة - إعداد د/فهد السماري

١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد –للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع سنة ١٣٦٢هـ، على نفقة سمو الأمير سعود بن عبد العزيز.

٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ويقع الكتاب في (٣٧) سبعة وثلاثين مجلداً، وهو كتاب غني عن التعريف به لشهرته بين العلماء وطلبة العلم في بلادنا، فهو موسوعة شاملة في علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه، ويقع مسائل العقيدة في مجموع الفتاوى في (١٢) اثني عشر مجلداً منها، وقد طبع الكتاب في مطبعة الحكومة في الرياض سنة ١٣٨٦هـ.

٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

٤- المجموعة العلمية السعودية من نفائس الكتب الدينية والعلمية، راجعها وصحح أصولها الشيخ محمد بن إبراهيم، واحتوت المجموعة على الكتب التالية: كتاب ثلاثة الأصول وأدلتها، وكتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد، وكتاب كشف الشبهات، وكلها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومتن الرحبية في علم الفرائض، ومتن الأجرومية في علم العربية، وطبعت المجموعة بمطبعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٦٥هـ.

٥- مجموع بقلم حافظ بن أحمد الحكمي، فيه: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ـ في التوحيد، وسلم الوصول إلى

علم الأصول ـ في التوحيد ، والقصيدة الميميّة ـ في الآداب العلمية ، والسبل السوية ـ في الفقه ، ووسيلة الحصول ـ في أصول الفقه ، إشراف الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبعة البلاد السعودية — مكة المكرمة.

٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد - للشيخ حافظ أحمد الحكمي ، المطبعة السلفية ، القاهرة عام ١٣٦٦هـ.

٧- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب - للشيخ حسين بن مهدي النعمي اليمني ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، عام ١٣٦٩هـ.

٨- الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، عام ١٣٦٥هـ.

٩- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس ، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، عام ١٣٦٦هـ.

١٠- الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق ، للشيخ سليمان بن سحمان ، الطبعة الثانية ، الرياض ، عام ١٣٧٥هـ ، وأعيد طبعها عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

١١- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ، للشيخ سليمان بن سحمان ، طبع عام ١٣٧٦هـ.

١٢- الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد، للشيخ سليمان بن سحمان، الطبعة الثانية، عام ١٣٧٦هـ.

١٣- مجموعة: الصواعق المرسلة، تبرئة الشيخين، كشف شبهات عبد الكريم البغدادي، الجهر بالذكر بعد الصلاة ـ للشيخ سليمان بن سحمان، طبعت عام ١٣٧٦هـ /١٩٥٦م

١٤- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، للشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع بأمر سمو الأمير سعود بن عبد العزيز[١].

١٥- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل –لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٤- ١٣٨٧هـ.

١٦- العدة حاشية الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد ـ حققه علي بن محمد الهندي، المطبعة السلفية، القاهرة، عام ١٣٧٩هـ.

١٧- رسالة النور الفائض في علم الفرائض –للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، مطابع البلاد السعودية، مكة المكرمة عام ١٣٧٢هـ.

---

(١) انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" ١/٣٥٨.

١٨- دليل أرباب الفلاح لتحقيق فنّ الاصطلاح –للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، مطابع البلاد السعودية ، مكة المكرمة عام ١٣٧٤هـ.

١٩- صحيح أبي عبد الله البخاري ـ مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، طبع عام ١٣٧٦هـ

٢٠- مختصر سنن أبي داود –للمنذري ، طبع عام ١٣٦٧هـ.

٢١- المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل –لمجد الدين أبي البركات ، ومعه النكت والفوائد السنية لمجد الدين ابن تيمية ، مطابع السنة المحمدية ، القاهرة عام ١٣٦٩هـ.

٢٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء –لأبي حاتم محمد السبتي ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق عفيفي ومحمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، عام ١٣٦٨هـ.

وغير ذلك من كتب السلف القيِّمة.

المطلب الثالث: قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعمه لهيئاتها.

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قواعد الدين الهامة التي ينبغي تحقيقها ومراعاتها، وهي دعامة هامة من دعائم المجتمع الإسلامي، ومن أجلها كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس قال الله - تعالى - : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال - عليه الصلاة والسلام- : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[١].

وقد كان - ولا يزال بحمد الله تعالى- نظام الحسبة من أهمّ ركائز الدولة السعودية منذ نشأت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ومرورا بأدوارها الثلاثة، ومما تميّزت به عن غيرها من الدول الإسلامية المعاصرة.

وقد كانت بداية تأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهازاً مستقلاً في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله- بإصدار الأمر الملكي بتاريخ ١٨/١/١٣٤٧هـ[٢].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٩/١ عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: "الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص: ٤٨٣، ٤٨٤، د/عبد الرحيم المغذوي.

وحين تولى الملك سعود مقاليد الحكم، كان عهده عهد نهضة وقفزة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد تمّ في عهده افتتاح فروع عديدة للهيئة في جميع أنحاء المملكة[1]، بعد أن كانت هذه الهيئات مقصورة على المدن الرئيسة.

ومن هنا - وبناءً على رغبته- تمّ إنشاء حوالي مائة وواحد وعشرين مركزاً لهيئات الأمر بالمعروف في الحجاز وتهامة، وأسند جلالته منصب رئاسة جميع هيئات الأمر بالمعروف في هذه المناطق إلى فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم.

ومن المراكز الرئيسة في هذه المناطق: مكة، المدينة، جدة، الطائف، أبها، جيزان، نجران، تبوك، بلجرشي، القنفذة، أملج، بيشة.

أما مقر الرئاسة لهذه ا لهيئات فهو مكة المكرمة، وبلغ عدد الموظفين التابعين لجميع هذه الهيئات سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م تسعمائة موظف، عدا الجنود والعرفاء التابعين لها[2].

كما تميّز عهد الملك سعود بتركيز أعمال الهيئة، وتخصيصها في الأمور الدينية، وبالأخص فيما يتعلق بالمحافظة على سلامة العقيدة، والعبادات وما

---

(١) انظر: "الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ص: ١٢٤.

(٢) انظر: "هذه المملكة العربية السعودية" –المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، ص: ٢٤٩.

يتعلق بأدائها وشعائرها، وكثير من المعاملات والأخلاقيات التي أمر بها الإسلام ونهى عن غيرها[1].

وقد حرص الملك سعود على أن يقدم توجيهاته السديدة وإرشاداته المفيدة إلى القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موجهاً إلى الأسس التي ينبغي أن يتعاملوا بها مع الناس، حتى يستطيعوا أن يؤدوا رسالتهم على أفضل وجهٍ دون إفراط أو تفريط.

ويهمنا هنا أن نورد إحدى الوثائق المهمة، وهي خطاب من الملك سعود إلى القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يتبيّن منه المنهج الذي ارتضاه الملك في ممارسة هذا المبدأ الإسلامي العظيم[2]:

من سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى كل من يراه من بيده سلطة تنفيذية في مملكتنا من آمر بالمعروف، وناهٍ عن المنكر، ومن أمير أو مسؤول نوجه خطابنا هذا:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإننا نحمد الله - سبحانه وتعالى - بما منّ الله به علينا وعلى المسلمين في أرجاء مملكتنا المترامية الأطراف من أمن شامل، وانقياد تام من الرعية، وسمع وطاعة منهم، نحمده أن وفقنا لإقامة العدل، وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي حفظت لكل فرد حقه كاملاً غير منقوص، نحمد الله على هذه النعمة، ونسأله المزيد منها،

---

(١) انظر: "التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية" ص: ١١٧ - طامي البقمي، نقلاً من تاريخ الملك سعود": ١/ ٨٩.

(٢) "تاريخ الملك سعود": ١/ ٢٩٠.

وأن يوفقنا لشكر نعمائه بالقيام بالواجب الذي ألقاه على عاتقنا فيما ولاّنا إياه.

ولهذا رأينا أن نلفت نظر سائر المكلفين بتنفيذ الأحكام أن يراقبوا الله في تصرفاتهم بأن يأخذوا الرعية بالحسنى، وأن يلتزموا حدود الله في تصرفاتهم ولا يتعدوها قيد شعرة، فالشعب - ولله الحمد- كما قلنا سامع ومطيع، ولا يحتاج الغافل أو الجاهل إلاّ إلى تنبيه أو زجر بالحسنى لينقاد ويسمع، ويطيع لكل ما يؤمر به؛ ولهذا ينبغي أن لا تستعمل القسوة في معاملة الناس حيث ينفع لين الجانب، كما أنه لا يتمادى في لين الجانب إذا لم ينفع في الأمر إلا كبح الجماح بالشدة.

وقد بُلّغت عن تصرفات بعض الموظفين في استعمال القسوة والشدة في الأمور التي لا تحتاج لقسوة أو تدبير شديد، فعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا مثالاً حسناً للناس في الدعوة إلى الله ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]..."[(١)].

بل إننا نجد أن الملك سعود - رحمه الله- تولى بنفسه الحسبة في خطابه الذي يحذر فيه المتهاونين في أمور العقيدة والشرع، فيقول الملك سعود- رحمه الله- :

---

(١) انظر نص الخطاب في "الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". مرجع سابق ص: ١٢٧- ١٢٨.

"وقد نمى إليّ بعض الغلاة المتطرفة الجهال يرون في التنكب عن هذا الصراط المستقيم خيراً، وأن التمسك به والثبات فيه جمود. وقد أعماهم الله عن حقائق الأمور؛ فلم يروا أن هذا المُلك لم يقم إلا على الدين، وأن هذه الأمة لم يلم شعثها، ويلتئم صدعها إلا بالدين، وأن الأمة العربية كانت في جاهليتها تائهة في بيداء التردي والجهالة والفرقة والضعف، حتى منّ الله عليها بهذا الدين الحنيف، فأرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، فظهرت على الأمم ونهضت في شتى شؤون الحياة، ثم عادت فهزلت وهوت، واستعبدت عندما تخلى الكثير من أبنائها عن هذا الدين الحنيف وعن العقيدة الصحيحة.

وها نحن اليوم، وقد جمع الله شملنا ويسر لنا وسائل المنعة والقوة وفتح لنا أبواب الرزق، راح أعداؤنا يستغلون جهالة جهّالنا وخساسة المتنطعين منّا، لإفساد عقيدتنا فيأتون ما حرم الله وينتهكون حرمة ما حرم الله، ويقدحون في عقيدتنا من هنا وهناك. فإلى هؤلاء خاصة وإلى جميع أبناء شعبي عامة أوجه قولي وأخص إنذاري... فمن والانا في ذلك واليناه، وعرفنا له حقه وقربناه، ومن شذّ عنا في ذلك واتخذ السفه والجهالة والمروق مركباً، فليأذن من الله، ثمّ منّا بحرب لا هوادة فيها ولا رحمة، فلا نعترف بقربى قريب أو كبر كبير. فمن اختزن جهالته لنفسه في صدره، فالله حسبنا عليه وهو نعم الوكيل، ومن جهر بالمعصية وجاهر بها فأحكام الشريعة تكفينا شره، وحكم الردة معروف، والحلال بيّن والحرام بيّن"(١).

---

(١) انظر نص الخطاب في "الملك سعود من أحاديثه وخطبه" - فؤاد شاكر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٦٥٥م- ص: ٣٩- ٤٠، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ١/ ٢٩٥، ٥٨٠- ٥٨١.

كما وجّه الملك سعود تحذيراً إلى الذين يترددون على الخارج وينفقون أموالهم في غير طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - فقال - رحمه الله- : "وقد اتصل بنا أيضاً أن الكثيرين من الذين نعموا في بحبوحة من العيش بما منّ الله عليهم من الرزق يكثرون التردد إلى الخارج، فينفقون أموالاً طائلة في غير طاعة الله، ثم يعودون وقد تزعزعت عقيدتهم وتهلهلت القيم الخلقية العربية في نفوسهم، وفي ذلك خطر على مجتمعنا وعقيدتنا، وإسراف في أموالنا، في حين أنّا أحوج ما نكون إلى تقوية سياجنا الديني والخلقي لصدّ هذه التيارات المتضاربة التي تجتاح عالم اليوم، وتكاد تقضي على قيمه الاجتماعية"[(١)].

ووجه الملك سعود أمره الملكي الكريم رقم ١٤٨٧/١/١٧ في ١٣٧٤/٨/٣٠هـ إلى الأمير فيصل - ولي العهد- بشأن تلقي أبناء البلاد العلوم خارج البلاد فقال: "بما أن التعليم في شتى العلوم وأنواع الدراسات واجب علينا لأبنائنا، ولما كان خروج أبنائنا في الآونة الأخيرة إلى الخارج باسم تلقي العلوم قد ضيّع الشيء الكثير من مبادئهم الدينية والخلقية، ولذلك اعتزمنا بحول الله وقوته تهيئة جميع الأسباب المؤدية إلى نجاح الطالب وتكملة دروسه وتعليمه في البلاد فأمرنا بفتح المدارس اللائقة، وفعلاً جهزناها وهي على وشك الانتهاء... ونأمر بأن لا يبقى أحد من أبنائنا ورعيتنا في المدارس الابتدائية والثانوية في الخارج حفظاً للمصلحة وللعقيدة، ولا يستثنى من هذا أحد، لا كبير، ولا صغير، إلا من أراد التخلي عن الجنسية السعودية فهذا حرّ في نفسه، ولا نسمح لأيّ شخص أن يعلم ولده خارج البلاد إلا إذا دخل

---

(١) انظر: "الملك سعود في أحاديثه وخطبه" ص: ٣٩، ٤٠، - فؤاد شاكر.

إحدى الجامعات الخارجية ليتلقى العلوم العالمية التي ليس لدينا منها مقابل، على أن الجامعيين يجب أن يتحقق من أمر أخلاقهم وعقيدتهم قبل خروجهم..."[1].

كما أصدر - رحمه الله- أمراً ملكياً حذر فيه رعاياه من إدخال أبنائهم في مدارس الإرساليات التبشيرية حفاظاً على عقائدهم وتقاليدهم الإسلامية الموروثة، فأرسل إلى أخيه الأمير فيصل - ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء- خطاباً برقم ٢٢٩٢/٢٣/٣/٥ في ١٣٧٤/١٢/١١هـ بشأن البعثات الخارجية والمحافظة على جانب العقيدة الإسلامية والأخلاق لدى الطلاب من أبناء موظفي الحكومة في الخارج، فقال: "نحن نوافق أن يستمر في الصرف عليهم كما كان سابقاً على شرط أن تكون دراستهم في مدارس إسلامية أو غير تبشيرية، فإذا خالف أحدهم هذا الشرط فانتسب إلى مدرسة غير إسلامية أو تبشيرية يقطع المخصص له، كما يخصم رواتب سنة واحدة من رواتب الموظف الذي كان السبب في الإخلال بهذا الشرط"[2].

من هذه الشواهد وغيرها نجد أن الملك سعود - رحمه الله- قد قام بنفسه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة في الحفاظ على العقيدة والقيم الإسلامية والأخلاق، كما نجده - يرحمه الله- يتابع القضاة والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات في قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) انظر: جريدة أم القرى ١٣٧٤/٩/٦هـ، نقلاً من تاريخ الملك سعود: ٤٢/٣.

(٢) تاريخ الملك سعود: ٤٢/٣، ١٨٥، د/سلمان آل سعود.

عن المنكر وينصحهم ويذكرهم بواجبهم إذا رأى منهم فتوراً أو تساهلاً في القيام بهذا الواجب[1].

---

(١) راجع خطابه في ذلك إلى القضاة والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات، المرجع السابق ص: ٢٩٢، ٢٩٣.

المطلب الرابع: العناية بإنشاء المعاهد العلمية وتطويرها.

اهتمّ الملك سعود - يرحمه الله- بنشر الدعوة إلى العقيدة السلفية عن طريق التعليم الشرعي وتعليم شعبه أمور دينهم الذي فيه خير الدنيا والآخرة، يوضح ذلك قوله: "إن أول ما يهمنا هو الاعتصام بحبل الله المتين، وأن نتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده، وسنسير في ذلك بهدي كتاب الله في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال، وعلى الأخص في المدارس، ونحرص - بحول الله - على مراقبة ذلك، وحثّ الناس على ما يأمر به الشرع الإسلامي، ومنعهم من كل ما ينهى عنه، لأن في ذلك خيري الدنيا والآخرة، ولأنه ليس شيء من الخير إلا دعا له الإسلام، وليس شيء من الشرّ إلا ونهى الإسلام عنه"(١).

كما قال - رحمه الله- : "ولقد أولينا عنايتنا الخاصة لنشر علوم الدين وإخراج أكبر عدد من العلماء الأخيار كي يبسطوا مناهج الحق والعدالة بين الناس، وينيروا أفئدة الرعية بالعلوم الإلهية الوضاءة، فأسسنا المعاهد الدينية في المدن وأقمنا مساجد الله في كلّ مجتمع"(٢).

ولذلك حظيت المعاهد العلمية في المملكة بعناية خاصة من الملك سعود ودعم متواصل منه، فحينما تولى الملك سعود الحكم، لم يكن بالمملكة إلا

---

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية" ١/١٧٧.

(٢) من خطابه - يرحمه الله- إلى المواطنين بمناسبة مرور أربع سنوات على توليه الحكم، انظر: "مختارات من الخطب الملكية" ١/٢٢٧.

المعهد العلمي بالرياض الذي افتتح عام ١٣٧٠هـ، وبدأت الدراسة فيه في مطلع عام ١٣٧١هـ.

وبتشجيع من الملك سعود وبتوجيه منه بدأت هذه المعاهد في الانتشار، ففي عام ١٣٧٢هـ، افتتح معهدان علميان في كلّ من بريدة وعنيزة.

وفي عام ١٣٧٤هـ، افتتح معهد إمام الدعوة بالرياض، ثم افتتحت معاهد جديدة في كلّ من الإحساء وشقراء وسامطة والمجمعة.

وفي عام ١٣٨١هـ، افتتحت معاهد جديدة في كلّ من أبها وحائل والمدينة المنورة.

وفي عام ١٣٨٣هـ، افتتحت معاهد بلجرشي وحوطة بني تميم والزلفي ومكة المكرمة.

وفي عام ١٣٨٤هـ، تمّ افتتاح معاهد جديدة في كلّ من الأفلاج وتبوك وجدة والدلم والدمام[١].

وهذا يعني أن هذه المعاهد قد ارتفع عددها من معهد واحد إلى عشرين معهداً في عهد الملك سعود.

وحرصاً من الملك سعود على تشجيع أبناء هذه الأمة على الإقبال على التعلم بصورة عامة، وعلى العلم الشرعي بصفة خاصة، فقد جعل لجميع

---

(١) انظر: "الفقه الإسلامي في عهد أبناء الملك عبد العزيز ص: ٢٢٠، ٢٢١. –د/ سليمان أبا الخيل (من إصدارات المئوية).

الطـلاب مكافـآت شـهرية يتقاضـونها مـن هـذه المعاهـد علـى حـسب الـسن والحاجة[١]، إضافة إلى السكن والإعاشة للطلاب المغتربين[٢].

وقد أثمرت هذه السياسة الحكيمة من لـدن الملك سعود عـن ارتفـاع عـدد الطـلاب في هـذه المعاهـد مـن (١٧٥) طالبـاً في عـام ١٣٧٠هــ، حتـى بلـغ (٤٦٧٨) طالباً في العام الدراسي ١٣٨٤/١٣٨٥هـ.

وقد دعم التعليم الشرعي بافتتاح كليتي الـشريعة واللغـة العربيـة بالريـاض في عامي ١٣٧٣/١٣٧٤هـ.

ونظراً إلى أهمية الدور الـذي تؤديه هـذه المعاهـد والكليات في نـشر العلـم الشرعي، فقد أصدر الملك سعود توجيهاته بإنشاء إدارة مركزيـة تـشرف علـى هذه المعاهد والكليات، وتوجه سياستها وتنظم أمورها، فكانت إدارة المعاهـد العلمية والكليات برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وقـد تـولى النيابـة عنه في الإشراف على هذه المؤسسة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وبعد سنوات قليلة تحولت إلى رئاسة عامة، وأطلـق علـى المسؤول عنهـا اسـم "نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية"[٣].

---

(١) معلومـات عـن المملكـة العربيـة الـسعودية. المديريـة العامـة للإذاعـة والـصحافة والنـشر. (١٣٧٣- ١٣٧٨هـ) ص: ٢١.

(٢) موسـوعة تـاريخ التعلـيم في المملكـة العربيـة الـسعودية في مائـة عـام. وزارة المعـارف. ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م. ص: ٣٢٧.

(٣) "موسوعة تاريخ التعليم في المملكة في مائة عام": ٣/٣١٧.

وكانت تلك المعاهد العلمية مع كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، التي أنشأت رسمياً في شعبان عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م[١].

ومما ينبغي ذكره والإشادة به أن الملك سعود - يرحمه الله- قد حدد لهذه المعاهد العلمية سياستها التعليمية وأهدافها الدينية والتربوية، وذلك في خطابه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم (المشرف على المعاهد)، ونصها كالتالي:

من سعود بن عبد العزيز إلى صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، سلّمه الله، السلام عليكم ورحمة الله. وبعد: فإنا نبعث إليكم برفق هذا ما رأيناه من تسيير إدارة المعاهد الدينية بإشرافكم عليه في تعليم الدين ونشره، لتأمروا بتنفيذه في سائر المعاهد الدينية. نسأل الله أن يتولانا وإياكم بتوفيقه والسلام.

بيان عن السياسة التعليمية في المعاهد الدينية:

إن السياسة التي رسمناها لتعليم أبناء شعبنا في المعاهد الدينية ترمي إلى الأهداف الآتية:

أولاً: تعليم الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية لنشر ذلك في المملكة والقيام بالدعوة للإسلام، التي أمر الله بها في سائر أرجاء المعمورة.

ثانياً: نشر العلوم وتعميمها في البلاد لإعمارها.

---

(١) "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً" ص: ١١، (من إصدارات الجامعة بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية عام ١٤١٢هـ)، و"تاريخ الملك سعود": ١/٢٧٥-٢٧٨.

ثالثاً: إن دراسة سائر العلوم التي تحتاج إليها البلاد لرفع مستواها الديني والمعيشي والاجتماعي، ينبغي أن تتلازم مع المبادئ الإسلامية والأخلاق الإسلامية والروح الوطنية الصادقة، بعيدة عن النزغات الشيطانية والمبادئ التي تتنافى مع ديننا الحنيف، الذي جاء بأرقى ما يمكن أن يصل إليه التفكير البشري في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

رابعاً: تنفيذاً لهذه السياسة، أمرنا بتنشيط المعاهد الدينية وتشجيعها في مملكتنا، مع مراقبة حياة الطلاب لتكون حياتهم دينية علمية بالمعنى الصحيح، بحيث يكون التدين خلقاً للتلميذ، ومحافظته على الشعائر الدينية وعباداته كعمل طبيعي يأتيه الطالب من تلقاء نفسه عن رغبة وطواعية، ولذلك نرى جعل أقسام داخلية في المعاهد الدينية يعيش الطلاب فيها عيشة كاملة في محيط بعيد عن اللهو، ويروّضون فيها أنفسهم بالإقبال على الله، ومراقبته حتى يتولد في نفوسهم، ويتأسس فيها روح الإسلام وتعاليمه.

خامساً: ولما كان تحقيق أهدافنا من التعليم يتوقف على حسن اختيار الأساتذة، ولما كانت بلادنا تعاني فقراً كبيراً في الأساتذة المختصين، نرى تشكيل هيئة خاصة في المعاهد الدينية لتعيين عدد الأساتذة الذين تحتاج إليهم هذه المعاهد، وتعمل على استقصاء أسماء الأشخاص الذين تريدهم، وتتصل بمن تثق بهم ديناً وعلماً في البلاد الإسلامية والعربية، بحيث تنصرف هذه الهيئة طوال السنة بأكملها في مراعاة ما يلي:

أ- تتبع سيرة كل أستاذ منتدب بهذه البلاد من الناحية الدينية والأخلاقية والعلمية.

ب- تقوم بدراسة أخبار كل شخص يتقدم لها أو تخبر عنه، لتتوخى أحسن الناس ديناً وخلقاً وعلماً لتعيينه في الوظائف الشاغرة.

ج- عدم التقيد باختيار الأساتذة من أي بلد إسلامي، سواء كان ذلك عن طريق الانتداب أو طريق التعاقد الحر. ووزارة خارجيتنا وممثلياتنا في الخارج تلتزم بكل مساعدة لتحقيق مهمة الهيئة.

وأخيراً فإن المهم هو الرقابة والتوجيه منذ البداية. فقد جاء في الحديث الشريف "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[1]. والله ولي التوفيق[2].

---

(١) رواه البخاري: ١/٤٦٥ (١٣١٩) مسلم: ٤/٢٠٤٧ (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: نص الوثيقة في "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً" ص: ١٣- ١٥.

المطلب الخامس: إنشاء الجامعة الإسلامية.

إن إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مكرمة جليلة ومنقبة عظيمة لجلالة الملك سعود - يرحمه الله- إذ كانت الحاجة إلى إنشاء مثل هذه الجامعة ملحة وضرورة في ذلك الوقت الذي راجت فيه أنواع من الفتن والشرور والأفكار الهدامة والمعادية للإسلام والمسلمين.

وقد كانت الجامعة الإسلامية قبل تأسيسها حلماً يراود أذهان المخلصين من أبناء العالم الإسلامي بعامة، وأبناء هذه البلد الكريم (المملكة العربية السعودية) بخاصة، فتصدى لإبراز فكرة هذا المشروع العظيم عدد من الكتاب والمفكرين، من أبرزهم وأولهم الأستاذ أحمد بن عبد الله الفاسي في مقالاته الكثيرة عن الموضوع، وكانت صحيفة المدينة المنورة سباقة لإبراز أهمية إقامة هذا المشروع في طيبة الطيبة، تلك آمال وتطلعات المخلصين من الكتاب والمفكرين وإرهاصات إنشاء الجامعة.

ولما عرف من جلالة الملك سعود - يرحمه الله- وعُهد عنه حبه للخير، وحرصه عليه، وحبه الكبير لشعبه، وغيرته الصادقة على الدين الحنيف، فقد أعلن الملك سعود عن رغبته في إنشاء الجامعة الإسلامية، وأسباب ذلك في الحفل السنوي الكبير للحجاج في حج عام ١٣٨٠هـ في يوم ١٨/١٢/١٣٨٠هـ إذ قال - رحمه الله- :

"... إخواني، لقد رأيت من واجبي أن أخدم هذين الحرمين الشريفين، وأن أبدأ العمل في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة، فأمرت بإنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة، وهيأت لها من الأسباب والوسائل ما يكفل لها أداء الرسائل السامية المرجوة منها، فاستقدمت عدداً من علماء المسلمين

من بعض الأقطار الإسلامية، وضعوا لذلك برامج ونظماً ومناهج، وستضم هذه الجامعة طلاباً من سائر أنحاء العالم، وسأحرص على أن يكون فيها عدد غير قليل من إخواننا الأفريقيين والآسيويين، الذين يتشوقون لمعرفة الإسلام من منابعه، وبذلك ستحوي طلاباً من أقصى البلاد، حتى إذا أكملوا دروسهم وتفقهوا في الدين، رجعوا إلى الدين القويم، وهذا عمل يحتاج إلى أمد طويل، ولكنه الطريق السوي لبث الدعوة وتوصيلها إلى أقصى المعمورة عن طريق هذه الجامعة والمنتسبين إليها، حتى إذا تفرقوا في الأقطار جمعتهم دعوة الحق، وكانوا سبباً في اجتماع كلمة المسلمين وتعاضدهم وتعاونهم في كل قطر وفي كل حين..."[1].

ثم تلا ذلك صدور الأمر الملكي رقم ١١ في ١٣٨١/٣/٢٥هـ بإنشاء الجامعة الإسلامية، ونص المرسوم كالتالي:

بعون الله – تعالى- نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

تقديراً منا لما لنشر العلوم الإسلامية من أثر نافع في تثبيت دعائم الدين والنهوض بالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ورغبة في إبلاغ الرسالة الإسلامية.

ومن حيث إننا - استهدفنا لهذه الغاية- ما زلنا عاملين على تشجيع التعليم ونشر المعارف، وحرصاً منا على السير على هدي القرآن وسنة رسول الله وسيرة السلف الصالح، ابتغاء مرضاة الله وثوابه.

---

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١/٢٦٥.

أمرنا بما هو آت:

١. إنشاء جامعة إسلامية بالمدينة المنورة تسمى الجامعة الإسلامية.

٢. تعتمد جامعة إسلامية في مواردها على الأموال التي تتقرر لها من خاصتنا الملكية.

٣. تقررت ميزانية الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٣٨١/١٣٨٢هـ بمبلغ ٠٠٠، ٠٠٠، ٣ (ثلاثة ملايين) ريال تؤدى من خاصتنا الملكية.

٤. يكون قبول الطلاب السعوديين وغير السعوديين في الجامعة الإسلامية، وسير الدراسة ومناهج العلوم التي تدرس فيها حسب الشروط والأوضاع الواردة في النظام الأساسي للجامعة الإسلامية ولوائحها.

٥. يعمل بأمرنا هذا من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية"[١].

وقد بدأت الدراسة في الجامعة الإسلامية في الثاني من جمادى الآخرة سنة ١٣٨١هـ، وصدر الأمر الملكي رقم ١٧ بتاريخ ١٣٨١/٤/٩هـ بالمصادقة على النظام الأساسي للجامعة، وتلاه إصدار مرسوم ملكي برقم ٢١، تاريخ ١٣٨١/٤/١٦هـ يتضمن المصادقة على المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة.

ولما تضمنته تلك المراسيم الملكية من تحديد هوية الجامعة الإسلامية وأهدافها ومعالمها ونظامها الأساسي ومنهجها الدراسي، فإنه يجدر بنا الإشارة إلى أبرز تلك الأمور على النحو التالي:

---

(١) انظر: "الكتاب الوثائقي للجامعة الإسلامية" ص: ٤٦.

١. أن الجامعة الإسلامية : مؤسسة إسلامية ، عالمية من حيث الغاية ، عربية سعودية من حيث التبعية ، ذات شخصية اعتبارية مستقلة.

٢. أن أهداف الجامعة : تبليغ رسالة الإسلام ، ونشر العلوم الإسلامية التي لها أثر نافع في تثبيت دعائم الدين والنهوض بالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، تشجيع التعليم ونشر المعارف ، السير على هدي القرآن وسنة رسول الله - ﷺ - وسيرة السلف الصالح ابتغاء مرضاة الله وثوابه.

كما نصت المادة الأولى من نظامها الأساسي على أن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤسسة دينية علمية سعودية ، تتمتع بالشخصية الاعتبارية العامة ، الغرض منها تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم في المملكة العربية السعودية ، ومن البلاد الإسلامية ليتفقهوا في الدين ، ويفقهوا العلوم الشرعية والعربية ، ويتعلموا بعض اللغات الأجنبية ليبصروا بأصول الدين وفروعه ، ويتمرنوا على طرائق البحث والمناظرة ليكونوا دعاة للدين وأنصاراً للحق ، وليقوموا بإلقاء المحاضرات ، والكتابة في الردّ على الملحدين ، والذود عن حوزة الدين ، وحل ما يعرض من المشاكل للمسلمين في شؤون دينهم ودنياهم.

٣. نصت المادة الرابعة من نظامها على أن جلالته هو الرئيس الأعلى للجامعة وكفيل بتأمين مواردها ، كما ألحق جلالته ميزانية الجامعة بخاصته الملكية ، وأهدى الجامعة جزءًا من قصره على وادي العقيق.

٤. ونصت المادة السابعة من نظامها على أن الجامعة الإسلامية تتكون من قسمين: قسم عال[1]، ومدة الدراسة به أربع سنوات، وقسم ثانوي، ومدة الدراسة به ثلاث سنوات.

٥. نصت المادة التاسعة على أن تدرس العلوم الآتية في الجامعة بقسميها:

أولاً: من العلوم الدينية: التوحيد، الفرق الإسلامية، التفسير وأصوله، الفقه وأصوله، الفرائض، التاريخ الإسلامي، القرآن، التجويد.

ثانياً: من العلوم العربية: النحو، الصرف، الإنشاء، المطالعة، الخطابة، الخط، البلاغة، أدب البحث والمناظرة، مختارات من النصوص الأدبية.

٦. نصت المادة الثانية عشرة على أن كل من يعرف عنه من الطلاب أو غيرهم إلحاد في الدين وزيغ في العقيدة أو انحراف في الأخلاق يشطب قيده ويطرد من الجامعة.

٧. نصت المادة الرابعة عشرة على تحديد مناهج الدراسة في كل من القسمين الثانوي والعالي بالجامعة، ونشير إلى أن مادة التوحيد - في القسم الثانوي - تخصص له ثلاث حصص في الأسبوع في كلّ سنة من السنوات الثلاث، يدرس فيها في السنة الأولى النصف الأول من كتاب " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " مع حفظ المتن من كتاب

---

(١) المرحلة الجامعية.

التوحيد ، وفي السنة الثانية يدرس النصف الآخر منه ، وكذلك في السنة الثالثة العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأما القسم العالي : فلمادة التوحيد ثلاث حصص في كلّ من السنة الأولى والثانية والثالثة يدرس فيها شرح الطحاوية موزعاً على السنوات الثلاث.

الفرق الإسلامية : لها ثلاث حصص في السنة الرابعة فقط ، يدرس فيها مذاهب الفرق التي تنتسب إلى الإسلام ، ونشأة كل فرقة وأصولها التي لأجلها ينسب إلى أهلها من وافقهم فيها ، ويرجع في ذلك إلى كتاب المذاهب الإلحادية الحديثة وأصولها مع بيان بطلانها بالأدلة العقلية والنقلية.

٨. نصت المادة الخامسة عشرة على تعليمات عامة تتصل بدراسة المواد التي ذكرت في المنهج ، ونشير إلى أنه يراعي في مادة التوحيد إيضاح أقسم التوحيد الثلاثة وهي توحيد الألوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، والعناية بإيضاح كل قسم ، كذلك يراعي ربط ما ظهر من الآراء الإلحادية وأنواع الزيغ الحديث بالمذاهب الإلحادية القديمة التي تذكر في دراسة الفرق القديمة وبيان بطلانها.

٩. نصت المادة الثامنة عشرة على أنه يقبل في الجامعة طلاب من كل دولة في حدود ميزانية الجامعة مع مراعاة التوزيع الجغرافي في السكان لعالم المسلمين بحيث تحدد نسبة لكل دولة.

١٠. تكليف جلالة الملك سعود أبرز شخصيتين علميتين للقيام على أمر الجامعة وتنفيذ مراحل إنشائها ومتابعة مسيرتها والإشراف على

منهجها الدراسي والإداري ومسؤوليتها العلمية والدعوية وهما: سماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - الذي عيّنه رئيساً للجامعة، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - الذي عيّنه نائباً للرئيس، رحم الله الجميع رحمة واسعة[1].

من ذلك ندرك حرص مؤسس الجامعة جلالة الملك سعود - رحمه الله- على أن تنطلق الجامعة لأداء رسالتها السامية على أسس راسخة، واضحة المعالم والأهداف، فكان لهذا كله أكبر الأثر في انطلاقة الجامعة الإسلامية بخطى واسعة إلى الأمام فتحقق لها - بفضل الله وعونه- مكانة علمية رفيعة وشهرة واسعة على مستوى العالم.

تلك الجامعة الإسلامية بذرة طيبة أخرى وغرسة مباركة غرسها الملك سعود - يرحمه الله- وتعاهدها من بعد إخوانه البررة الميامين الملك فيصل والملك خالد والملك فهد - يرحمهم الله جميعاً- بالرعاية والدعم المتواصل مادياً ومعنوياً- وتواصل الجامعة مسيرتها المباركة لتحقيق أهدافها السامية في ظلّ رعاية ودعم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله وأيده- .

وتضم الجامعة الإسلامية - حالياً- بين جنباتها الكليات التالية:

---

(١) انظر: "الكتاب الوثائقي للجامعة الإسلامية" ص: ٤٩- ٥٨.

١. كلية الشريعة أنشئت عام ١٣٨١هـ، بموجب الأمر السامي الكريم رقم: ١١ بتاريخ ١٣٨١/٣/٢٥هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم الفقه، قسم أصول الفقه، وقسم القضاء والسياسة الشرعية.
وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في العلوم الشرعية، ودرجة الدبلوم العالي في القضاء والسياسة الشرعية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٢. كلية الدعوة وأصول الدين، أنشئت عام ١٣٨٦هـ، بموجب الأمر السامي رقم: ٣٣٢/م بتاريخ ١٣٨٦/٥/٤هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم العقيدة، قسم الدعوة، قسم التاريخ الإسلامي، وقسم التربية.
وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في الدعوة وأصول الدين، ودرجة الدبلوم العالي في الدعوة، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٣. كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، أنشئت عام ١٣٩٤هـ، بموجب الأمر السامي رقم: ٦٥١١ بتاريخ ١٣٩٤/٩/٦هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم القراءات، قسم التفسير.
وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٤. كليــة الحــديث الــشريف والدراســات الإســلامية، أنــشئت عــام ١٣٩٦هــ، بموجــب الأمــر الــسامي رقــم: ١٥٦٥٣ بتــاريخ ١٣٩٦/٦/٢٣هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم فقه السنة ومصادرها، قسم علوم الحديث.

وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٥. كلية اللغة العربية، أنشئت عام ١٣٩٥هـ، بموجب الأمر السامي رقم: د/م/٧٠ بتاريخ ١٣٩٥/٨/٧هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم اللغويات، قسم البلاغة والأدب.

وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في اللغة العربية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٦. عمادة الدراسات العليا، وقد افتتحت الدراسات العليا بالجامعة عام ١٣٩٥هـ، وأنشئت عمادة الدراسات العليا بالجامعة بالموافقة السامية الكريمــة بالتوجيــه البرقــي رقــم: ٧/ب/٩٠٤٥ بتــاريخ ١٤١٦/٦/٢٧هـ.

وتتولى العمادة الإشراف على جميع برامج الدراسات العليا في الجامعة.

٧. المعهد الثانوي، أنشئت عام ١٣٨١هـ.

٨. المعهد المتوسط، أنشئت عام ١٣٨٦هـ.

٩. دار الحديث المدنية، كانت مدرسة أهلية أنشئت عام ١٣٥٠هـ، وفي عام ١٣٨٤هـ صدرت الموافقة السامية على ضمها إلى الجامعة الإسلامية، وتشتمل الدار على مرحلة التعليم الموسط.

١٠. دار الحديث المكية، كانت مدرسة أهلية أنشئت عام ١٣٥٢هـ، وفي عام ١٣٩١هـ صدرت الموافقة السامية على ضمها إلى الجامعة الإسلامية، وتشتمل الدار على مرحلة التعليم الموسط والثانوي.

١١. معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، افتتحت عام ١٣٨٦هـ.

إن هذه الكليات والمعاهد قد أثمرت وأينعت ثمارها وانتشر خرجوها في كل صقع من بقاع الأرض، وأصبحوا دعاة علمٍ وخيرٍ، ومشاعل هداية ونور ونظرة سريعة لمخرجات الجامعة من الخريجين منذ تخريج أول فوج فيها حتى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ توضح أن دعم ولاة الأمر لهذه الجامعة قد حقق أهدافها - بعون من الله وفضل- :

- بلغ عدد الخريجين الإجمالي في كليات الجامعة الحاصلين على درجة العالمية العالية (الدكتوراه) منذ تخريج الدفعة الأولى حتى عام ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ٥٤٨ خريجاً من ٤٧ بلداً من مختلف بلدان العالم.
- بلغ عدد الخريجين الإجمالي في كليات الجامعة الحاصلين على درجة العالمية (الماجستير) منذ تخريج الدفعة الأولى حتى عام ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ٨١٧ خريجاً من ٦٤ قطراً من مختلف أقطار العالم.

- بلغ عدد الخريجين في كلية الشريعة الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ٩١٩٧ خريجاً من ١٣٢ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية الدعوة وأصول الدين الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ٣٩١٩ خريجاً من ١٢٤ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية القرآن والدراسات الإسلامية الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ١٠٣١ خريجاً من ٦٩ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ٢٤٦٠ خريجاً من ١٠٣ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية اللغة العربية الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ٢٥٣ خريجاً من ٨١ قطراً.

- بلغ عدد الخريجين الإجمالي في كليات الجامعة الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشاء الجامعة إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ: ١٨٦٦٠ خريجاً من ١٣٨ قطراً من مختلف أنحاء العالم.
  - بلغ عدد الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعهد الثانوي بالجامعة منذ افتتاحه حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ: ٨٧٤٧ طالباً.

- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة من المعهد المتوسط بالجامعة منذ افتتاحه حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ: ٣٣٥١ طالباً.
- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة من دار الحديث المدنية منذ ضمها إلى الجامعة حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ: ١٥٤٢ طالباً.
- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة من دار الحديث المكية منذ ضمها إلى الجامعة حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ: ١٦٦٢ طالباً[١].

بلغ مجموع الخريجين في جميع المراحل (٣٣٩٦٢) خريجاً موزعين على (١٥٢) قطراً.

ومن الجدير بالذكر والإشادة أن من جهود الجامعة الإسلامية العلمية إقامة الدورات الشرعية تحت مسمى "الدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية" وقد بدأت الجامعة في إقامة هذه الدورات منذ عام ١٣٩٥هـ إلى عام ١٤٢٢هـ وفق منهج دراسي متكامل، استفاد من هذه الدورات منذ بدايتها إلى عام ١٤٢١هـ (٤٦١٢٢) طالباً في ٢٩ دولة من مختلف أرجاء العالم[٢].

كما تجدر الإشارة -أيضاً- إلى الجهود العلمية التي تقوم بها الجامعة الإسلامية من خلال عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات كالمؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في الفترة من ٢٤- ١٣٩٧/٢/٢٩هـ، والمؤتمر

---

(١) انظر: "التقرير الموجز لعام ١٤٢٦/١٤٢٧هـ" إصدار إدارة التطوير الإداري في الجامعة الإسلامية.

(٢) انظر: "عناية خادم الحرمين الشريفين بعقيدة السلف" ص: ٦٨- ٧٢.

الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات في الفترة من ٢٨- ١٤٠٢/٥/٣٠هـ، والمؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في الفترة من ٢٨- ١٤٠٤/٣/٣٠هـت، وغيرها من الندوات الإقليمية والمحلية[1].

وهناك جهود دعوية للجامعة –أيضاً- من خلال مجلس شؤون الدعوة، ومركز الدعوة سابقاً، وحالياً "عمادة خدمة المجتمع" يتم عن طريقها تقدم الجامعة خدمتها للمجتمع الداخلي والخارجي العالمي حسب الإمكانات المتوفرة –أيضاً- .

وهناك جهود بحثية علمية تقدمها الجامعة من خلال عمادة البحث العلمي، وعمادة شؤون المكتبات، ومركز السنة والسيرة النبوية.

تلك إشارات وإضاءات لبعض إنجازات الجامعة الإسلامية التي لا تألوا جهوداً في العمل على تحقيق أهدافها السامية التي بيّنها مؤسسها الملك سعود - يرحمه الله- ورعاها بدعم مستمر وعناية بالغة إخوانه البررة ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة، سائلاً الله - ﷻ - أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يرفع درجاتهم في علّيين، آمين.

ولا نبالغ إن قلنا: إنه لا يكاد يوجد بلد في أنحاء الأرض، مغاربها ومشارقها إلا وفيه من خريجي هذه الجامعة المباركة الذين نهلوا من معين علومها الشرعية ومعارفها الإسلامية من منابعها الصافية لا كدر ولا شوائب،

(١) انظر: "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية" ص: ٢٣٥- ٢٦٨.

فرجعوا إلى أوطانهم علماء متمكنين، ينشرون الإسلام ويدعون إليه على بصيرة وحكمة.

ويمكن إجمال أهم الجهود التي يقوم بها الخريجون بعد تخرجهم وعودتهم إلى بلدانهم فيما يلي:

١. إنشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم والمدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات الإسلامية التي تساعد على نشر التعليم الإسلامي.
٢. إعداد المناهج الإسلامية الدراسية السليمة التي تساعد على نشر الإسلام.
٣. القيام بالتربية والتعليم والتوجيه في الجامعات والمعاهد والمدارس الأهلية والحكومية.
٤. المشاركة في العمل الإسلامي من خطابة وإمامة ومحاضرات وندوات في المساجد والمراكز الإسلامية.
٥. المساهمة في العمل الإداري في بلدانهم من قضاء ووزارة، وتعليم وإشراف على الجمعيات والهيئات الإسلامية البناءة الرسمية منها والشعبية.
٦. الإسهام بفاعلية في ترجمة وطباعة الكتب الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغات العالمية والمحلية.
٧. المشاركة الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة للتعريف بالإسلام وتعاليمه السمحة وأهدافه النبيلة.
٨. التصدي بقوة للغزو الثقافي الذي يستهدف الإسلام والمجتمعات الإسلامية.

٩. التعاون البناء مع المؤسسات الإسلامية الحكومية والأهلية في المملكة للقيام بتقديم أفضل الخدمات للمجتمعات الإسلامية.

١٠. المساهمة في دعم أواصر التعاون والتآخي بين أفراد مجتمعاتهم والجمعيات والهيئات المحلية في بلدانهم ونبذ الخلاف والشقاق[١].

---

(١) جهود خادم الحرمين الشريفين في تعليم أبناء المسلمين من خلال المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية ص: ٤٤٦، - د/سعيد بن فالح المغامسي، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١٨) عام ١٤٢٣هـ.

المطلب السادس: رعايته رابطة العالم الإسلامي.

تعدّ الدعوة إلى خدمة قضايا الإسلام والمسلمين إحدى ركائز ومبادئ السياسة السعودية في الداخل والخارج منذ عهد الملك عبد العزيز - يرحمه الله- الذي أرسى دعائم التضامن الإسلامي، وعمل على مناصرة قضايا المسلمين.

قال الملك عبد العزيز: "أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل الله"[(١)].

وحين تولى الملك سعود - يرحمه الله- مقاليد الحكم تابع تلك السياسة، وبذل جهوداً كبيرة في الدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وإرساء دعائم التضامن الإسلامي فيما بينهم، وعن ذلك قال الملك سعود: "ونحن اليوم في هذا المكان ندعو مسلمي العالم في كلّ بقاع الأرض أن يتعاونوا ويتكاتفوا يداً واحدة لإقامة رابطة إسلامية قوية عملاً بقول الله - تعالى -: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]"[(٢)].

ودعا الملك سعود إلى عقد مؤتمر إسلامي بمكة المكرمة في موسم الحج من عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، وذلك لبحث أوضاع المسلمين ومشكلاتهم وتفعيل

---

(١) "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" ص: ٢١٦، للزركلي.

(٢) "مختارات من الخطب الملكية" ص: ١٨٣.

التضامن الإسلامي، وحضرت المؤتمر وفود من الدول الإسلامية المختلفة، وانتهى المؤتمر بإصدار توصيات عديدة منها: إنشاء سكرتارية عامة للمؤتمر، وتشكيل مجلس أعلى يرأسه الملك سعود.

ثم دعا الملك سعود - رئيس المؤتمر الإسلامي- في عام ١٣٨١هـ/١٩٦٢م إلى مؤتمر إسلامي كبير بمكة المكرمة، افتتحه الملك سعود في يوم الجمعة الموافق ١٣٨١/١٢/١٤هـ بحضور وفود كثيرة من بلاد إسلامية عديدة، وألقى جلالته كلمة افتتاح المؤتمر جاء فيها:

"أفتتح هذا المؤتمر الإسلامي بكل اعتزاز وافتخار لأن الإسلام مبدأنا ومنتهانا. قال الله - سبحانه وتعالى- : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

وجاء في الأثر: فإن عرض بلاء فقدّم مالك دون نفسك، وإن تجاوز البلاء فقدّم نفسك دون دينك، فإن المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب دينه.

أيها الإخوة:

إنكم تعلمون ما نحن فيه من الاتجاهات الخبيثة ضد الإسلام وأهل الإسلام، ونحن ولله الحمد أعوان الإسلام وفداء للإسلام بأموالنا وأرواحنا وكل ما أوتينا من حول وقوة... أوصيكم أيها الإخوة بالذب عن دينكم.

علماء المسلمين يقولون ما الله سبحانه وتعالى ألهمهم إياه، ونحن من ورائهم سنذود عن هذا الدين بكل ما أوتينا من حول وقوة. والله الموفق، أن ينصر دينه ويعلي كلمته وينصر ما فيه نصر الإسلام والمسلمين ويذل أعداء الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[١].

وكان من أبرز القرارات التي اتخذها المؤتمر الإسلامي إنشاء أول مؤسسة توفر الإطار التنظيمي للتواصل الإسلامي، ودعم كلمة المسلمين ورعاية قضاياهم، وتقرر أن تتخذ تلك المؤسسة من مكة المكرمة مقراً لها، وتسمى بـ"رابطة العالم الإسلامي"، وبعد تلاوة قرارات المؤتمر نهض سمو الأمير خالد بن سعود - رئيس الديوان الملكي- وزفّ إلى الحاضرين البشرى الغالية: إن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أمر ببناء دار للرابطة بمكة المكرمة على نفقة جلالته، كما أمر بصرف مبلغ مليون ريال عزلي مشاركة من جلالته في ميزانية الرابطة[٢].

ورابطة العالم الإسلامي: هي مؤسسة إسلامية شعبية محضة، لا ترتبط بأيّ حكومة، بل هي هيئة مستقلة تحاول كل جهدها أن تجمع بين قوى الخير العاملة في الحقل الإسلامي في جميع البلدان وتنسق جهدها، وترشد طاقتها في تضامن وتعاون إسلامي من أجل إعلاء كلمة الله ورفع شأن الإسلام والمسلمين، ومناهضة الأفكار الدخيلة والقوى المعادية التي تعمل ضدّ عقيدة المسلمين وأوطانهم.

وأما أهدافها: فتتركز أهداف الرابطة في تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات، والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة، والدفاع عن القضايا الإسلامية، بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم، وحل

(١) "اجتماعات المؤتمر الإسلامي" ص: ٨، نقلاً من تاريخ الملك سعود: ١/ ٤٢٨.

(٢) "اجتماعات المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة حج ١٣٨١هـ" ص: ٩، إعداد رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٣٨١هـ.

مشكلاتهم، وتقديم الخدمات لهم في مختلف المجالات التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والصحية وغيرها.

وتتكون الرابطة من أجهزة رئيسة هي:

١. المؤتمر الإسلامي العام.
٢. المجلس التأسيسي للرابطة.
٣. الأمانة العامة للرابطة.

وقد انبثقت عن رابطة العالم الإسلامي عدة هيئات ومؤسسات إسلامية لها جهود وأعمال جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين، [1]تلك هي رابطة العالم الإسلامي وبعض إنجازاتها في سطور قليلة، وهي شجرة طيبة غرست بذرتها يد الملك سعود بن عبد العزيز - يرحمه الله- ورعاها من بعده إخوانه البررة فآتت أكلها وثمارها وانتفع بها القاصي والداني من أبناء الأمة الإسلامية، والحمد لله.

---

(١) انظر: رابطة العالم الإسلامي: أهدافها، مجالها، أنشطتها، - من إصدارات الأمانة العامة للرابطة بمكة، ١٩٩٩هـ.

- "الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية" (حقائق ووثائق) ص: ٤٤ وما بعدها.
- "من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله" ص: ٢٣٦ وما بعدها.
- "المملكة العربية السعودية مائة عام في خدمة الإسلام والمسلمين" ص: ١٢١ وما بعدها.

المطلب السابع: دعوته للعقيدة عن طريق الإعلام.

قدّر الملك سعود - يرحمه الله- أهمية وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام، وتحصينه ضدّ الأفكار والأيديولوجيات التي تتناقض والثوابت التي قامت عليها المملكة العربية السعودية.

كما قدّر الدور الفاعل لتلك الوسائل في دعم مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، تلك التنمية التي أرسى دعائمها الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه- وجاء من بعده الملك سعود، فعمل على ترسيخها والنهوض بها خطوات كبرى إلى الأمام.

لذلك كله، رأينا أن عهد الملك سعود قد شهد من الإنجازات - في مجال الإعلام- ما يجعلنا نقول إنها إنجازات كبيرة وعظيمة، إذا نسبت إلى زمانها، وظروفها المادية والتقنية. فالملك سعود هو صاحب فكرة إنشاء الإذاعة السعودية، حينما كان ولياً للعهد، ولما تولى مقاليد الحكم عمل على تقوية الإرسال الإذاعي ودعم العمل الإذاعي بالطاقات الفنية والبشرية، وفي عهده تبلورت الملامح الرئيسة للإعلام السعودي بعامة، والإذاعي بخاصة.

وفي عهده أنشئت مؤسسات صحفية عديدة، وصدر العديد من الصحف والمجلات التي أخذت بأساليب العمل الصحفي الحديث. كما كان الملك سعود وراء فكرة إنشاء التليفزيون السعودي، وبدء الخطوات التنفيذية لإقامته.

وسنحاول أن نعرض ومضات لعناية الملك سعود - يرحمه الله- للعقيدة السلفية ودعوته لها ودفاعه عنها بوسائل الإعلام المتوفرة في عهده.

أولاً: الصحافة.

شهد عهد الملك سعود - يرحمه الله- نهضة صحفية كبيرة، اتسمت بتعدد الإصدارات الصحفية وتنوعت موضوعاتها، والجوانب التي تغطيها، والجهات التي تصدر عنها، ومن الإصدارات الصحفية الدينية التي تعنى بالدعوة الإسلامية وشؤون المسلمين التي ظهرت في عهد الملك سعود، ما يلي:

١. مجلة راية الإسلام: وهي مجلة شهرية اهتمت بالقضايا الإسلامية وشؤون الدعوة إلى دين الله، وقد صدر العدد الأول منها في مدينة الرياض في غرة ذي الحجة عام ١٣٧٩هـ، وكان صاحب امتيازها والمشرف عليها حين صدورها فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، كما رأس تحريرها فضيلة الشيخ صالح اللحيدان.

٢. في مرحلة إنشاء المؤسسات الصحفية الأهلية - التي كانت مرحلة أخرى من مراحل تطور الصحافة السعودية في عهد الملك سعود- أنشئت "مؤسسة الدعوة الإسلامية للصحافة والنشر" في شهر محرم عام ١٣٨٤هـ، وقد صدر عن المؤسسة فيما بعد مجلة "الدعوة الإسلامية".

ثانياً: الإذاعة.

يبين لنا الملك سعود - يرحمه الله- أهمية الإذاعة ورسالتها ومبادئها فيقول: "للإذاعة رسالتها العالمية، ورسالتها الوطنية... وهي – بحقٍ - المذياع الذي تنادي منه الجهات الرسمية والهيئات المختلفة مواطنيها إلى ما يحسن أن يتمسكوا به من الأخلاق الفاضلة، والصفات الحسنة، وتعرفهم

على أمجادهم وتاريخ بلادهم، وعلى ما كانوا عليه في ماضيهم العظيم من العزة والقوة والاتحاد.

كما تطلب منهم التمسك بالصالح من القوانين، وما يجب أن يراعوه من الأنظمة والتعليمات التي تضمن حقوقهم، وترعى سلامتهم في أمور دينهم ودنياهم.

والإذاعة هي الوسيلة التي يتلقون منها بأقصى السرعة ما يجري في العالم من حولهم من حوادث وأنباء، وخطوات في العلم ووسائل التقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي... والإذاعة إذا اعتمدت على الصدق والحق، فهي أقوى دعامة يقوم عليها السلام، - بدل الخصام- بين الناس.

وهي في كلّ البلاد أداة تصور بلادها في الصورة الحسنة التي يجب أن تبرز فيها، وتضع الحقائق في نصابها، حتى لا تشوّهها الدعايات المعادية أو الأنباء المغرضة أو الجهل بالواقع أو المبادئ الهدامة والمتطرفة... ولقد خطت الإذاعة السعودية حتى الآن خطوات جعلتها - والحمد لله- في مكان يحترم بين إذاعات العالم العربي والإسلامي، فكانت بذلك موضع رضانا وغبطتنا، فلها منا كل تأييد وتعضيد بذلناه لها في الماضي وسنتابعه في المستقبل - بإذن الله- "[1].

---

(١) من كلمة لصاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز (ولي العهد) بمناسبة مرور أربع سنوات على نشأة الإذاعة السعودية، راجع: "مجلة المنهل": ١/١٦٢، السنة (١٤) محرم/ ١٣٧٣هـ.

وقد كان جلالة الملك سعود - يرحمه الله- أول من فكّر في إقامة محطة للإذاعة عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م حيث عرض الأمر على والده جلالة الملك عبد العزيز الذي وافقه على الفكرة، وكلف وزير ماليته بمتابعة تنفيذها[١].

وقد بدأ البثّ الفعلي للإذاعة السعودية يوم الأحد ١٣٦٨/١٢/٩هـ بكلمة للأمير فيصل ألقاها نيابة عن والده جلالة الملك عبد العزيز - يرحمهما الله- تضمنت تهنئة الحجيج بمناسبة الحج، والترحيب بهم في الأراضي المقدسة[٢].

وحين تولى الملك سعود الحكم بعد أبيه جلالة الملك عبد العزيز - يرحمهما الله- جعل من جلّ اهتماماته وضع تنظيم تشريعي يوضح أهداف الإذاعة السعودية وغاياتها، ويحدد الأسس العامة لسياستها وإستراتيجيتها في العمل الإذاعي وذلك "حتى يأخذ الإعلام الإذاعي في المجتمع السعودي مساره في إطار القيم الدينية والاجتماعية النابعة من العقيدة الإسلامية كتاباً وسنة"[٣].

لذلك، فقد أصدر جلالته في يوم ١٣٧٤/٤/١٧هـ مرسوماً ملكياً برقم ١٠٠٧/١٦/٣/٧، تضمن اثنتي عشرة مادة تناولت نظام الإذاعة السعودية ومنهجها وتشكيلاتها الإدارية.

---

(١) انظر: "تاريخ الملك سعود": ٣٥٠/٣، د/ سلمان آل سعود.

(٢) وسائل الإعلام السعودية والعالمية ص: ٣٤٧، محمد فريد عزت، دار الشروق –جدة عام ١٤١٠هـ.

(٣) نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي ص: ٥٨، بدر أحمد كريم، مطابع تهامة، الطبعة (١) عام ١٤٠٢هـ.

ولأهمية هذا المرسوم - الذي يعتبر السياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية- نقتطف منها بعض المواد التي لها علاقة بموضوعنا في العناية بالعقيدة السلفية، وهي كالتالي[1]:

- المادة الرابعة (٤): مهمة هيئة الإذاعة السعودية هي:

أ- بث تعاليم الدين الإسلامي في الداخل والخارج، بنشر ثقافته في الداخل، بأساليب مختلفة، يفهمها العامة، وترفع مستواهم وتوسع مدارك المثقفين، وتحقق مطالب الخاصة، والدعاية لتعاليم الإسلام في العالم الآخر، بإحداث إذاعات بلغات مختلفة، بالأساليب التي تتفق مع طبيعة كل أمة توجّه إليها تلك الإذاعة.

ج- تركيز مكارم الأخلاق في النفوس، والترغيب عن سيئ العادات والتقاليد.

ك- توثيق عرى صلات الأخوة بين البلاد العربية، والعمل على ما من شأنه ربط أواصر الصلات، وتوحيد كلمة العرب، وجمع شملهم على ما فيه مصلحتهم، حاضراً ومستقبلاً.

ل- العمل على تحقيق الفكرة الإسلامية، في وحدة العالم المسلم وتعاونه على البر والتقوى.

م- المحافظة على شعور الصداقة والتعاون بين البلاد السعودية والبلاد العربية كافة، والبلاد الإسلامية، وبين جميع دول العالم، كلّما أمكن لتحقيق الفكرة الإسلامية في حياة العالم حياة مطمئنة آمنة.

---

(١) جريدة "أم القرى" العدد (١٥٦٣) في ١٣٧٤/٩/١٦هـ.

- المادة الثامنة (٨): محظور على الإذاعة السعودية إذاعة أي مواد يترتب عليها أمر من الأمور التالية:

أ- مخالفة كتاب الله وسنة رسوله.

ب- إحداث تفرقة بين المواطنين، أو الإضرار بمصالحهم، والإساءة إلى سمعة البلاد.

د- إحداث أية فرقة بين العالم الإسلامي، أو إضعاف عرى العلاقة الأخوية بين شعوبه.

وقد ألقى الملك سعود كلمة بمناسبة افتتاح المرسلة الإذاعية ذات الخمسين كيلو وات في يوم الثلاثاء ١٣٧٧/٢/٨هـ جاء فيها قوله:

"أسأل الله – تعالى- ، وأنا أفتتح هذه المحطة الإذاعية اليوم، أن يجعلها مناراً هادياً إلى الحق والعدالة ومكارم الأخلاق، وأن يجعلها مشعلاً للتوحيد والدعوة السلفية المحمدية، وأن يجعلها أداة صالحة مصلحة تجمع قلوب العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الأخوة الإسلامية الصحيحة وعلى توحيد كلمتهم، وجمع شملهم، لما فيه مجد ونهضة وحرية العرب والمسلمين في كل مكان"(١).

وقد بدأ الملك سعود عهده وساعات الإرسال للإذاعة ثلاث ساعات وربع الساعة، وقد زادت هذه الساعات حتى وصلت في نهاية حكمه إلى إحدى عشرة ساعة وربع الساعة، بزيادة قدرها ٢٥٠٪.

---

(١) نشرة أخبار المملكة العربية السعودية حذا؛ العدد (٤٦٢) إصدار المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.

أما بالنسبة للبرامج فقد حدث تطور واضح في نوعية البرامج التي كانت تقدمها الإذاعة السعودية، ومن ذلك دعم البرامج الموجهة وزيادة فاعليتها لخدمة الدعوة إلى الإسلام، حيث رغب المسئولون في الإذاعة في التواصل مع الجمع العظيم من حجاج بيت الله الذي يفدون إليه من أصقاع الأرض، حيث يمكن توجيههم إلى تعاليم الإسلام وآدابه، ودعوتهم إلى العقيدة الصحيحة والنهج القويم وفق ما كان عليه السلف الصالح.

لذلك نشأت فكرة البرامج الموجهة، وكان ذلك على وجه التحديد في موسم الحج من عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، حيث اختيرت اللغتان الإندونيسية والأوردية كلغتين تقدم بها الإذاعة السعودية برامج موجهة إلى الناطقين بهاتين اللغتين[1]، وقد بدأ البثّ التجريبي بهاتين اللغتين في ١٣٦٩/١٢/١هـ لمدة خمس عشرة دقيقة يومياً، وفي غرة محرم عام ١٣٧٠هـ زادت مدة الإرسال حتى أصبحت أربعين دقيقة.

وحين تولى الملك سعود الحكم زادت مدة الإرسال باللغتين الإندونيسية والأوردية من أربعين دقيقة إلى ساعة كاملة يومياً، وذلك بدءًا من غرة محرم عام ١٣٧٦هـ.

كما استحدثت برامج جديدة استهدفت مناطق أخرى واسعة من العالم الإسلامي وهي:

---

(١) البرنامج الموجه باللغة الإندونيسية يستهدف مناطق إندونيسيا وماليزيا وبروناي، وأما اللغة الأردية فتستهدف مناطق باكستان وبنغلادش ووسط الهند وشمالها.

١- البرنـامج الموجـه باللغـة الفارسـية ، ويـستهدف منـاطق إيـران وأفغانستان وبدأ بثه التجريبي في غرة رجب عام ١٣٨٣هـ ، لمدة نصف ساعة يومياً ، ثم بدأ البثّ المنتظم في غرة شوال ١٣٨٣هـ ، لمدة ساعة واحدة يومياً.

٢- البرنامج الموجه باللغة السواحلية ، ويستهدف مناطق تنـزانيا وكينيا وأوغندا وموزمبيق ، وقد بدأ البثّ التجريبي في غرة رجب عام ١٣٨٣هـ ، لمدة نصف ساعة يومياً ، ثم أصبح البثّ المنتظم في غرة شوال ١٣٨٣هـ ، لمدة ساعة واحدة يومياً.

ثالثاً : تأسيس إذاعة نداء الإسلام.

- النشأة والتطور

في يوم الجمعة السابع من ذي الحجة عام ١٣٨١هـ (١/٥/١٩٦٢م) ، أصغى العالم كله إلى صوت ناطق بالحق والعدل عبر موجات "إذاعة صوت الإسلام من مكة المكرمة" "نداء الإسلام حالياً" حيث بدأت تبثّ برامجها إلى العالمين العربي والإسلامي.

وقد كان إنشاء هذه الإذاعة سعياً من المملكة إلى التعريف بالإسلام وحقائقه ، ونشر نور الهداية في بقاع الأرض ، والردّ على أعدائه ، وما يرجفون به من ترّهات وأباطيل ، كما كان إنشاؤها تأكيداً على مكانة المملكة ، ودورها في بثّ التوعية الإسلامية ، وغرس روح العقيدة السمحة ، والقيم

الفاضلة للإسلام بين المجتمعات الإسلامية ، والأقليات المسلمة أينما وُجدت[1].

وكان من أهدافها - أيضاً- مقاومة الغزو الفكري الإلحادي الذي يحاول النيل من الإسلام وعقيدته بمختلف الوسائل.

والحق أن إنشاء إذاعة هذه ورسالتها - في هذا الوقت الذي أخذ يشهد امتداد الحركات المناهضة للإسلام- لدليل على إدراك جلالة الملك سعود وحكومته لضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه الإسلام والمسلمين.

ومهما يكن من أمر ، فقد كان هذا الوليد الجديد حدثاً إعلامياً له أثره في العالمين العربي والإسلامي. وقد أقيم احتفال بهذه المناسبة تحت رعاية الملك سعود ، حيث وجّه جلالته إلى العالم الإسلامي كلمة رحّب فيها بالمسلمين جميعاً ، وأوضح أن إذاعة "صوت الإسلام" انطلقت من مكة داعية ، وأنها صوت للمسلمين جميعاً ، وليس للمملكة خاصة ، ثم دعا الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته. ومما جاء في كلمة جلالته في افتتاح إذاعة صوت الإسلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون ، أحيّيكم جميعاً بتحية الإسلام ، وأتمنى لكم طيب الإقامة. وإننا جميعاً ، في هذه البقعة المباركة الطاهرة ، نتجه بقلوبنا وأفئدتنا إلى مرضاة الله - سبحانه وتعالى - ، وتعزيز كلمته.

---

(١) انظر : "الإعلام السعودي" النشأة والتطور ص : ١١٣ ، د/ساعد الحارثي.

وإننـا لعـازمون، - بحـول الله- ، أن نـضع برنامجـاً نـسميه "صـوت الإسلام"، وإني أتحدث إليكم من صوت الإسـلام مـن مكـة المكرمـة، داعيـاً، مهلّلاً.

وهـذا هـو صـوتكم جميعـاً، لـيس لنـا خاصـة، ونـدعو الله - سـبحانه وتعالى - ، أن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم"[١].

وقـد حرصـت إذاعـة صـوت الإسـلام (نـداء الإسـلام - فيمـا بعـد) منـذ نشأتها على أن تكون صوت الإسلام لجميع المسلمين، فشارك في برامجها عدد من كبار العلماء في سوريا ولبنان والعراق ومصر وفلسطين وباكستان والهند والـيمن والنيجـر... إلخ، بالإضـافة إلى علمـاء المملكـة، وكـل هـؤلاء سـاهموا بنصيب وافر في إثراء هذه الإذاعة بمختلف البرامج والأحاديث الدينية.

وبدأت إذاعة صوت الإسلام برامجها لمدة ساعتين تقريباً كـل يـوم، وبدايـة من شهر رمضان عام ١٣٨٢هـ، بـدأت الإذاعـة فـترة إضـافية خـلال مـوسمي رمضان والحج من كـل عـام، وكـان ولا يـزال الاتجـاه الـسائد في هـذه الإذاعـة التركيز على المادة الدينيـة فقـط، حـديثاً كانـت أو برنامجـاً أو تمثيليـة تاريخيـة أو إسلامية[٢].

---

(١) راجع: مجلة الإذاعة العدد (٨٢) عام ١٣٨٢هـ.

(٢) نـشأة وتطـور الإذاعـة في المجتمـع الـسعودي ص: ٨١، ٨٤ - بـدر أحمـد كـريم، مطابع تهامة، الطبعـة (١) عـام ١٤٠٢هـ، وانظـر فيمـا سـبق في هـذا المطلـب كتـاب "تـاريخ الملـك سعود": ٣/٣١١- ٣٦٦ للسمو الملكي الأمير د/سلمان بـن سـعود آل سـعود، بتـصرف واختصار.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسالات، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

في نهاية هذا البحث الموجز أودّ أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها كالتالي:

١- إن الدولة السعودية قامت على المنهج والعقيدة السلفية، وستظل كذلك - إن شاء الله- إلى ما شاء الله - عَزَّ وَجَلَّ- .

٢- عناية المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته- بالعقيدة السلفية والتزامه بها عقيدة وقولاً وعملاً ودعوة ودفاعاً، وحرصه على غرسها في أبنائه البررة.

٣- تعدد المواهب الشخصية والجوانب الإسلامية الرفيعة في شخصية الملك سعود ابن عبد العزيز - يرحمه الله- وما يتمتع به من خصال قيادية عظيمة.

٤- اعتناء الملك سعود بالعقيدة السلفية في أغلب خطبه وكلماته بتوضيح العقيدة وبيان أهميتها وفضلها والدعوة إليها والتحذير من مخالفتها، كما يلاحظ عنايته بالاستدلال بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة في خطبه ورسائله.

٥- إن العقيدة الإسلامية كانت المنطلق والأساس للملك سعود في أعماله الجليلة ومنجزاته الحضارية في مختلف المجالات الدينية والتعليمية والسياسية وغيرها.

إن من واجبنا الحمد والشكر والثناء لله وحده لا شريك له على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها أن جعل في أعناقنا بيعة شرعية لولاة أمورنا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - بهدي السلف الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- الأصول العلمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، إصدار الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة ١٤٢٢هـ.
- الإعلام السعودي - النشأة والتطور- ، د/ساعد الحارثي.
- الأعلام - خير الدين الزركلي، ط: ٥، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.
- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، - د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لـ(ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ /١٤٢١/٧هـ بالمدينة المنورة.
- اجتماعات المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة حج ١٣٨١هـ"، إعداد رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٣٨١هـ.
- البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للتوزيع والطباعة.
- تاريخ الدولة السعودية - أمين سعيد، الطبعة (١) ١٣٨٥هـ، دار الكتاب العربي، - بيروت.
- تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة)، - د/سلمان بن سعود بن عبد العزيز آل سعود، ط ١، ٢٠٠٥م، دار الساقي، بيروت.
- تاريخ المملكة العربية السعودية —د.عبد الله صالح العثيمين، ط ٩، ١٤١٩هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.
- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- التقرير الموجز عن العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٥هـ، - إدارة التطوير الإداري، - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، - مطابع الجامعة الإسلامية.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً، (من إصدارات الجامعة بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية عام ١٤١٢هـ).
- جريدة "أم القرى" العدد (١٥٦٣) في ١٣٧٤/٩/١٦هـ.

- جريدة المدينة العدد (١٥٧٣٦) في ١٤٢٧/٤/٢٦هـ.
- جريدة عكاظ، العدد (١٤٥٣٩) في ١٤٢٧/٥/٢١هـ.
- جهود خادم الحرمين الشريفين في تعليم أبناء المسلمين من خلال المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية، - د/سعيد بن فالح المغامسي، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١٨) عام ١٤٢٣هـ.
- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها، أعمالها - إصدار الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط- ١، الرياض ١٤١٩هـ.
- رابطة العالم الإسلامي، أهدافها، مجالها، أنشطتها، - إصدار الأمانة العامة للرابطة بمكة المكرمة، عام ١٩٩٩م.
- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام والغزوات البيانية والفتوحات الربانية، للشيخ/ حسين ابن غانم، المطبعة الأهلية ١٣٦٨هـ.
- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢- ٢٧٥هـ)، تحقيق/ عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧مـ) نشر دار ابن حزم ببيروت، ودار المغني بالرياض.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩- ٢٧٩هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (١٨١- ٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.
- سير أعلام النبلاء - للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د/شعيب الأرناؤوط، ط- ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية (حقائق ووثائق) - إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة المساعدة للشؤون الإسلامية، ط ١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٩هـ.

- شباب العقيدة الإسلامية –مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - إعداد المستشار/ محمد سعيد مبارك، ط ١، دار الدراسات الاقتصادية، ١٤١٢هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للإمام الحافظ أبي القسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ت ٤١٨هـ، تحقيق/ د.أحمد سعد حمدان، ط ١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ.
- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، تحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، ، ط/ الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- صحيح ابن حبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- صحيح سنن ابن ماجة" للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) مكتبة المعارف، الرياض.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦- ٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
- طبقات الحنابلة –لابن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، - د/صالح بن عبد الله العبود، صدرت بمناسبة المئوية عام ١٤١٩هـ.
- عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها - د.محمد بن عبد الرحمن الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
- عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بعقيدة السلف، د/محمود بن عبد الرحمن قدح، إصدار وزارة التعليم العالي، الجامعة الإسلامية، بمناسبة مرور ٢٠ عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، ١٤٢٢هـ.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، مكتبة الرياض الحديثة.
- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، - جمع وترتيب/ محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم، ط ١، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣- ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الفقه الإسلامي في عهد أبناء الملك عبد العزيز، د/ سليمان أبا الخيل (من إصدارات المئوية).
- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧هـ، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسين الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣مـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - إصدار الجامعة الإسلامية، ط- ١، ١٤١٩هـ.
- كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود —إعداد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، الرياض.
- لسان العرب للإمام العلامة محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ، تحقيق/ أمين محمد بن عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧مـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، - لبنان.
- مجلة المنهل، السنة (١٤) محرم/ ١٣٧٣هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- مختارات من الخطب الملكية - جمع دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" للإمام ابن قيم الجوزية (ت٧٥١) تحقيق/ محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) دار الكتاب العربي، بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، المحقق الشيخ / شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- مشكاة المصابيح للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) المكتب الإسلامي، بيروت.
- المصحف والسيف، - جمع وإعداد محي الدين القابسي، ط: ٢، دار الناصر للنشر والتوزيع، - الرياض.
- معلومات عن المملكة العربية السعودية. المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر. (١٣٧٣- ١٣٧٨هـ).
- الملك سعود من أحاديثه وخطبه، - فؤاد شاكر، ط ٢، عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- المملكة العربية السعودية في مائة عام –إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة - دارة الملك عبد العزيز، مكتبة العبيكان –الرياض –١٤١٩هـ.
- من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله من إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة، الرياض ١٤١٩هـ.
- الموسوعة العربية العالمية - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الرياض.
- موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام. - وزارة المعارف، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، لبدر أحمد كريم، مطابع تهامة، الطبعة (١) عام ١٤٠٢هـ.
- نشرة أخبار المملكة العربية السعودية حذا؛ العدد (٤٦٢) إصدار المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.
- هذه المملكة العربية السعودية، –المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.
- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز – خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- وسائل الإعلام السعودية، لمحمد فريد عزت، دار الشروق –جدة عام ١٤١٠هـ.



عناية خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد - رحمه الله -

بعقيدة السلف

تأليف

أ.د. محمود بن عبد الرحمن قدح

الأستاذ بقسم العقيدة

كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[(١)]

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[(٢)]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[(٣)]

أما بعد :

"إن في تاريخ البلاد السعودية سيرة أمة تحولت من الركود إلى النشاط، ومن الفرقة إلى الألفة، ومن الفتنة إلى الوئام، ومن نزعات العصبية الجاهلية والفوضى إلى الإيمان والنظام، ومن الفاقة إلى اليسر، ومن النوم والغفلة إلى الأخذ بأسباب الحياة.

---

(١) سورة آل عمران، آية : ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية : ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٧٠- ٧١.

إمارات تتوحد، وأمة تتكون، ودولة تبنى، وحضارة تشاد، مئات السنين مرت بالجزيرة والحكم فيها لمن غلب، غزو ونهب، لا أمن لضعيف ولا سلامة لأعزل.

لقد خضع العَصيُّ، وأمن الخائف، فكان الاستقرار، وكان الأمن من الذي لم يألفه أهل هذه الأقطار"(١).

إن الأساس الذي حقق كل ذلك، والرابط الذي جمع ذلك كله، هو الإسلام الذي تمسّك به ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية اعتقاداً وقولاً وعملاً، منذ تأسيسها على يد صقر الجزيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله- ، بل إن المملكة العربية السعودية هي امتداد للدولة السعودية الأولى التي نشأت وقامت على العهد الذي كان بين الإمام محمد بن سعود والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله- في نصرة الدعوة الحقة، دعوة التوحيد.

ولا زال الأئمة من آل سعود ينصرون التوحيد في عهودهم جميعاً بدءاً من الدولة السعودية الأولى واستكمالاً في الدولة السعودية الثانية واستمراراً في المملكة العربية السعودية الثالثة - حرسها الله وأعزها- "ولئن كانت العقيدة والشريعة هي الأصول الكلية التي نهضت عليها هذه الدولة، فإن تطبيق هذه الأصول يتمثل في التزام المنهج الإسلامي الصحيح في العقيدة

(١) "اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية" ص: ١٠، د/صالح بن عبد الله بن حميد.

والفقه والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي القضاء، وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وبذلك كانت الدولة السعودية نموذجاً متميزاً في السياسة والحكم في التاريخ السياسي الحديث"[(١)].

ومن هنا تبرز أهمية موضوع هذا البحث في التأكيد على تمسك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه الله- بالعقيدة السلفية، وبيان بعض جهوده في العناية بها ودفاعه عنها ودعوته إليها.

تحدثاً بنعمة الله ﷻ بالعيش في ظل إمامة السنة والجماعة وبالأمن والأمان والاستقرار والرفاهية، وتنبيهاً للغافل، وتذكيراً للناسي، وموعظة للمتقي، وإرغاماً للحاقد الجاحد والكافر.

فيزداد المحسن شكراً وحمداً وثناءً لله تبارك وتعالى على ما وفقه من الطاعة، ويزداد اجتهاداً وحرصاً على الخير والحسنات وليقتدي به المتسابقون في الخيرات.

ويزداد الشاكرون المخلصون حمداً لله ﷻ وثناءً ودعاءً لولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وحكومته الرشيدة بأن يجزيهم الله خير الجزاء، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويسبغ عليهم الصحة والعافية، ويتقبل منهم أعمالهم خالصة لوجهه الكريم، ويجعلها في ميزان حسناتهم.

---

(١) من كلمة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد إلى المواطنين بمناسبة صدور أنظمة الحكم الثلاثة. (انظر "مختارات من الخطب الملكية" : ٢/ ٢٦٢).

ومن هنا جاء هذا البحث المختصر بياناً للحقائق وتوثيقاً لها ، وعرفاناً بالفضل لأهله ليغتبط الموفق بتوفيق الله ، ولتزول الغشاوة عن بعض العيون.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث كالتالي :

المبحث الأول : المنهج والاعتقاد السلفي الذي قامت عليه الدولة السعودية.

المبحث الثاني : عناية خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة من خلال خطبه وكلماته.

المبحث الثالث : عناية خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة من خلال بعض أعماله.

و في ختام هذه المقدمة أود التنويه إلى أن هذا البحث قد تم إعداده في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وفي حياته بمناسبة مرور ٢٠ عاما على توليه – رحمه الله - مقاليد الحكم في المملكة العربية السعودية ، داعيا الله العلي القدير أن يرحمه ويغفر له ويدخله فسيح جناته ، آمين.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير البالغ والدعاء بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة لكل من أعانني في إكمال هذا البحث بمعلومة أو مشورة أو إعارة كتاب ، وأخص بالذكر أخي وزميلي فضيلة الدكتور محمد باكريم بن محمد باعبد الله - وفقه الله- .

سائلاً الله ﷻ أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، وأن يتقبل مني هذا العمل ، وسائر أعمالي ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وألا يحرمني ووالدي وأهلي أجرها إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

نبذة عن حياة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد

- يرحمه الله-

هو فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، من بني حنيفة.

ولد الملك فهد في مدينة الرياض عام ١٣٤٣هـ/ الموافق ١٩٢٤م، نشأ وتربى في كنف ورعاية والده الملك عبد العزيز –رحمه الله- فتأثر بشخصيته تأثراً كبيراً، واكتسب منه الكثير من الصفات كالكرم، والشجاعة، والحكمة، وبعد النظر.

تلقى تعليمه الأول بمدرسة الأمراء التي أنشأها الملك عبد العزيز في قصره، ثم التحق بالمعهد السعودي بمكة المكرمة، ثم أخذ ينهل من أمهات الكتب والمراجع في مختلف فنون العلم والمعرفة، مما وسَّع أفقه، ونمَّى معارفه، وصقل شخصيته، هذا بالإضافة إلى تأثره بشخصية والده واكتسابه الكثير من خبراته وتجاربه.

وقد لاحظ الملك عبد العزيز النباهة والنبوغ في الأمير فهد فضمّه إلى مجلسه الخاص الذي كان يضم نخبة من كبار العلماء ورجال السياسة، وتقلّد العديد من المناصب والمهام الرسمية منذ وقت مبكر.

ومن أبرز المناصب التي تولاها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - أيده الله- تعيينه أول وزير للمعارف للمملكة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله- عام ١٣٧٣هـ، فوضع الأسس العامة لسياسة

التعليم ، مستمدة من العقيدة الإسلامية الصحيحة والمنهج القرآني والسنة النبوية المطهرة ، فأصبح بذلك رائداً للتعليم المنهجي المنظم ، وراعياً للنهضة التعليمية الحديثة.

ثم عيِّن وزيراً للداخلية في عام ١٣٨٢هـ ، فأعاد تنظيمها وهيكلتها ، وأنشأ عدداً من المعاهد المتخصصة لتخريج الكوادر الوطنية المؤهلة لقوى الأمن المختلفة.

وفي عام ١٣٨٧هـ عيَّنه الملك فيصل بن عبد العزيز –رحمه الله- نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، بالإضافة إلى منصبه وزيراً للداخلية.

وعندما تولى الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله- الحكم عام ١٣٩٥هـ ، تمّ اختياره ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء.

كما ترأس المجالس والهيئات الرسمية ومنها ؛ المجلس الأعلى للبترول والمعادن ، المجلس الأعلى للجامعات ، المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، اللجنة العليا لسياسة التعليم ، اللجنة العليا لشؤون الحج.

كما مثّل المملكة العربية السعودية في العديد من المحافل الدولية بصفته رئيساً لوفد المملكة.

ومنذ أن بايع شعب المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد عام ١٤٠٢هـ بعد وفاة أخيه الملك خالد بن عبد العزيز – رحمه الله- ، وهو يعمل بكل تفان و إخلاص من أجل خدمة هذه البلاد ومواطنيها ، وهو في ذلك يعمل مسترشداً بالقيم الدينية والأخلاق الإسلامية النبيلة.

وقد أكّد خادم الحرمين الشريفين في خطابه التاريخي الذي افتتح به عهده على التزامه بالمنطلق الإسلامي في الحكم، وترسيخ قواعد الشريعة الإسلامية، والحكم بما أنزل الله، والعمل على إكمال خطط التنمية لما فيه ازدهار البلاد ورفاهيتها.

اتصف الملك فهد بقوة الشخصية والحكمة والحنكة السياسية وبعد النظر، التي مكنته بالارتقاء بالمملكة في كافة الميادين والجوانب إلى مصاف أرقى الدول العالمية.

ويحفل سجل أعمال خادم الحرمين الشريفين بالعديد من المناقب والمنجزات العظيمة داخلياً وخارجياً، ويأتي في مقدمتها توسعة الحرمين الشريفين، وتأسيس مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وإصدار الأنظمة الثلاثة، نظام الحكم في المملكة، ونظام الشورى، ونظام المقاطعات، وتحرير الكويت، ودعم القضية الأفغانية، ونصرة البوسنة والهرسك، وحل القضية اللبنانية، ودعم القضية الفلسطينية [١].

توفي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في يوم الاثنين ١٤٢٦/٢٦ ه الموافق ٢٠٠٥/٨/١م بالرياض، ودفن في مقبرة العود - رحمه الله تعالى - وتغمده بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته، آمين.

---

(١) انظر: "هذه بلادنا" ص: ٣٠ - وزارة الإعلام، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص: ٨٣- ٨٩ - دارة الملك عبد العزيز، و"الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عشرون عاماً من العطاء" ص: ٣٣- ٣٥ - وزارة الإعلام، و"فهد الوطن والحدث" -حامد عباس، و"فهد بن عبد العزيز قائد ومسيرة" -خالد بن محمد القاسمي.

المبحث الأول

المنهج والاعتقاد السلفي الذي قامت عليه الدولة السعودية

من المعلوم أن لكل دولة أسساً ومبادئ تقوم عليها وتدعو إليها وتدافع عنها، ولها غايات وأهداف تسعى لتحقيقها.

وإن مما يميز الدولة السعودية عن غيرها في - العصر الحديث- أنها تأسست على دعوة التوحيد، فاتخذت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دستوراً لها، والعقيدة السلفية منهجاً وطريقاً، وتحكيم شريعة الإسلام ونشره مطلباً، وابتغاء مرضاة الله - عَزَّ وَجَلَّ - غاية وهدفاً، وهذا ما سنبيّنه - بعون الله تعالى- في المطالب التالية :

المطلب الأول:

تعريف العقيدة

- **العقيدة لغة :**

من (العَقْد) : نقيض الحل، وهو الربط والشَدّ بقوة، ومنه ؛ الإحكام والإبرام، والإلزام، والتمسك والمراصة، والإثبات والتوثق، والعهد، وتأكيد اليمين.

يقال: اعتقد فلان الأمر: صدقه، وعقد عليه قلبه وضميره.

والعقيدة أو المعتقد: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[1].

(١) انظر: "لسان العرب" مادة (عقد) : ٩٦٥/٣- ٣٠٠، لابن منظور، و"القاموس المحيط" : ٣٨٣، للفيروزآبادي، و"المعجم الوسيط" : ٦١٤.

- **العقيدة اصطلاحاً :**

العقيدة الإسلامية اصطلاحاً : الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح،[1].

وقد ورد عن بعض السلف الصالح - رحمهم الله تعالى- إطلاق هذا الاسم على عدد من مؤلفاتهم في هذا العلم ومن ذلك ؛ كتاب "اعتقاد أهل السنة" للإمام الحافظ أبي بكر الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ[2]، وكتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للإمام الحافظ اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨ هـ[3]، وكتاب "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" للإمام الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ[4]، وكتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" للإمام الحافظ أبي محمد

---

(١) انظر: "مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة": ٩، أ.د. ناصر العقل، باختصار بسيط.

(٢) شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي، شيخ الشافعية.

(انظر ترجمته في "سير الأعلام": ٢٩٢/١٦ للإمام الذهبي، و"البداية والنهاية": ٢٩٨/١١ للإمام ابن كثير).

(٣) هبة الله بن الحسن الرازي الطبري اللالكائي، من أئمة أهل السنة، صاحب التصانيف الكثيرة. (انظر ترجمته في "تاريخ بغداد": ٧٠/١٤، و"البداية والنهاية": ٢٤/٢).

(٤) شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، الواعظ، المفسر، المصنف. (انظر ترجمته في "طبقات الشافعية": ٢٧١/٤ للسبكي، و"سير الأعلام": ٤٠/١٨).

المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ[١]، وكتاب "لمعة الاعتقاد" للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ[٢]، وغير ذلك.

المطلب الثاني:

مفهوم لفظ السلف.

- **السلف لغة :**

جمع سالف، على وزن حارس وحرس، والسلف : الجماعة المتقدمون، والأمم السالفة، الماضية، ومن تقدمك من آبائك وذوي قرابتك[٣].

- **السلف اصطلاحاً :[٤]**

اختلف في تحديد مفهوم السلف على عدة أقوال منها :

١- إنهم الصحابة فقط.

٢- إنهم الصحابة والتابعون.

٣- إنهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، أي : القرون المفضلة الثلاثة التي أثبت لها النبي - ﷺ - الخيرية بقوله في حديث

---

(١) الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي المقدسي. (انظر ترجمته في "سير الأعلام": ٢١/٤٤٣، و"البداية والنهاية": ١٣/٣٨).

(٢) الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. (انظر ترجمته في "سير الأعلام": ٢٢/١٦٥، و"البداية النهاية": ١٣/٩٩).

(٣) انظر: "لسان العرب" مادة (سلف) : ٩/١٥٨، ١٥٩، و"القاموس المحيط": ١٠٦٠، و"المعجم الوسيط": ٤٤٣، ٤٤٤.

(٤) للتوسع راجع : "وسطية أهل السنة بين الفرق" : ٩٧- ١١٦، د. محمد باكريم محمد باعبد الله.

عمران بن حصين - رضي الله عنهما- : (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ...)[١].

والقول الأخير ذهب إليه كثير من أهل العلم، وهو قول المحققين منهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "مذهب "أهل الحديث" وهم السلف من القرون الثلاثة

ومن سلك سبيلهم من الخلف ..."[٢].

فالسلف إذا أطلق انصرف - زمانياً- إلى القرون الثلاثة المفضَّلة، وأما مذهب السلف : فهو ما كان عليه أصحاب رسول الله - ﷺ - ، وكل سالك في الاقتداء بهم حتى ولو كان في عصرنا هذا.

قال العلامة السفاريني : "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (انظر: "فتح الباري": ٣٣/٧، ح ٣٦٥٠)، وبمثله من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - (انظر: "فتح الباري": ٣/٧، ح ٣٦٥١).

(٢) انظر "مجموع الفتاوى": ٣٥٥/٦، و"درء تعارض العقل والنقل": ٢٠٣/١.

(٣) انظر "لوامع الأنوار البهية": ٢٠/١.

فالدعوة إلى اتباع السلف، أو الدعوة إلى عقيدة السلف، أو إلى السلفية إنما هي الدعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، دعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على الرسول - ﷺ - وتلقاه عنه أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم- .

فلا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق، فلا ضير في الانتساب إلى السلف والاعتزاء إليهم حينئذ، قال الإمام ابن تيمية: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً"[(١)]. اهـ.

وقد ثبت عن النبي - ﷺ - استعمال لفظ "السلف"، فقد جاء عنه أنه - ﷺ - قال لابنته فاطمة - رضي الله عنها- ، - وهو في مرض موته- : (اتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك)[(٢)].

المطلب الثالث:

منهج السلف في العقيدة.

قال الإمام الحافظ أبو القاسم اللالكائي: "فإن أوجب ما على المرء؛ معرفة اعتقاد الدين وما كلّف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى": ٤/ ١٤٩.

(٢) أخرجه البخاري (انظر "فتح الباري": ٤/ ١٤٩)، ومسلم (٤/ ١٩٠٤).

وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول : كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله- ﷺ - ، وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون ... فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرائق الحق المسلوكة، والدلائل اللائحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة، التي عمل عليها الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين، واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله ربّ العالمين"[1]. اهـ.

وقد أشار الحافظ اللالكائي في كلامه السابق إلى أبرز خصائص منهج السلف في العقيدة، والذي يتبيّن من خلال كتبهم والآثار الواردة عن السلف بما يلي :

١- تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة، وما أجمع عليه السلف الصالحون في كل قضية من قضايا العقيدة، وعدم ردّ شيء منهما أو تأويله.

٢- **الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية بعامة، وفي قضايا العقيدة خاصة.**

٣- **عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.**

٤- **عدم مجادلة أهل البدع أو مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم.**

---

(١) انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": ١/ ٩.

٥- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم[1].

لذا، كان الناظر والمتتبع لما أثر عن سلفنا الصالح في العقيدة من أقوال ومصنفات، يجد اتفاقاً في مسائلها، واهتماماً بها في التعليم والدعوة إليها، مع اختلاف بلدانهم وأجناسهم وزمانهم.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني: "إنك لو طالعت جميع كتبهم - يعني أئمة أهل السنة- المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، وقولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد[2]". ا.هـ.

ولهذا أجاب الإمام ابن تيمية –حينما سئل عن اعتقاد الإمام الشافعي- بقوله: "اعتقاد الشافعي - رضي الله عنه- واعتقاد سلف الأمة كمالك

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق الكتاب السابق للدكتور. أحمد سعد حمدان: ٥٣- ٦٣، وللتوسع انظر "الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية": ٥٧- ٦٨، د. محمد أمان بن علي الجامي، و"قواعد المنهج السلفي"، د. مصطفى حلمي، و"منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة": ٥٦- ٦٨، د. محمد بن عبد الوهاب العقيل.

(٢) نقله عنه الإمام الأصفهاني في كتابه "الحجة في بيان المحجة": ٢/٢٢٤، ٢٢٥، بتحقيق محمد أبو رحيم، وأكده الشيخ عدي بن مسافر الأموي في كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة": ٤٢- ٤٥ بتحقيق حمدي السلفي.

والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية هو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة –رحمه الله- فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء، واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة"(١).

المطلب الرابع:

مجمل اعتقاد السلف.

لقد اعتنى السلف - رحمهم الله تعالى- عناية بالغة بنشر عقيدتهم "عقيدة أهل السنة والجماعة" بطرق متنوعة متعددة منها: تلقين تلامذتهم العقيدة بالإسناد، وتدوينها في كتبهم تارة بالإيجاز والاختصار، وتارة بالشرح والتفصيل، وتارة بالشعر والنظم، وتارة بالرد على المخالف من أهل الأهواء والبدع، كل ذلك حرصاً من السلف على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ونشرها بين الناس، ومحاربة العقائد الباطلة لأهل الأهواء والبدع، ومن فضل الله - عز وجل - وكرمه أن حفظ للمسلمين تلك المؤلفات في عقيدة السلف المطولة منها والمختصرة، والتي سننقل منها مجمل عقيدة السلف "عقيدة الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة" التي أجمعوا عليها، ونقلها عنهم أتباعهم سلفاً بعد سلف، وهي كالتالي(٢):

---

(١) انظر "مجموع الفتاوى": ٥/٢٥٦.

(٢) اختصرت هذه العقيدة من كلام وكتب أئمة السلف المتقدمين والمتأخرين أذكر منها الآتي:

- "عقيدة الإمام أحمد بن حنبل" برواية تلميذه عبدوس بن مالك العطار. (انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": ١/١٥٦- ١٦٤، للحافظ اللالكائي، و"طبقات الحنابلة": ١/٣١١).
- "كتاب السنة" للإمام عمرو بن أبي عاصم ت: ٢٨٧هـ.
- "كتاب السنة" للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ت: ٢٩٠هـ.
- "كتاب السنة" للإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي المشهور بالخلال ت: ٣١١هـ.
- "العقيدة الطحاوية" للإمام أبي جعفر الطحاوي ت: ٣٢١هـ.
- "اعتقاد أهل السنة" للإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ت: ٣٧١هـ.
- "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للإمام أبي القاسم اللالكائي ت: ٤١٨هـ.
- "الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة" للإمام عبيد الله محمد بن بطة ت: ٣٨٧هـ.
- "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة" للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ت: ٥٣٥هـ.
- "منازل الأئمة الأربعة" للإمام أبي زكريا يحي بن إبراهيم السلماسي ت: ٥٥٠هـ.
- "العقيدة الواسطية"، و"الرسالة التدمرية"، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ت: ٧٢٨هـ.
- "كتاب التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب التيمي -رحمه الله تعالى-، و"عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" تأليف د/صالح بن عبد الله العبود.
- "العقيدة الصحيحة وما يضادها" للإمام عبد العزيز بن باز - مفتي المملكة العربية السعودية السابق- رحمه الله تعالى.
- "عقيدة أهل السنة والجماعة" للشيخ محمد بن صالح العثيمين -عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، - رحمه الله تعالى- .
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد" للشيخ أ.د/ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله- ، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

- الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.
- فمن الإيمان بالله: الإيمان بأنه - عَزَّوَجَلَّ - رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه تبارك وتعالى المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه سبحانه متصف بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أن له يدين وعينين ووجهاً، وبأنه مستو على عرشه، بائن من خلقه، إثباتاً بلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، منزه عن كل عيب ونقص، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[١]
- وهذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.
- والإيمان بالملائكة: بأنهم عباد مكرمون، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره، والإيمان بأصنافهم وأوصافهم وأعمالهم التي يقومون بها حسبما ورد في الكتاب والسنة.
- والإيمان بالكتب الإلهية: بما سمَّى الله منها كالتوراة والزبور والإنجيل، وبما لم يسَمِّ منها، وأنها حق وصدق، وأن منها ما ضاع واندثر، ومنها ما حُرّف وبدل.

والإيمان بالقرآن الكريم إيماناً مفصلاً، بالإقرار به وأنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وبالتعبد بتلاوته، والعمل

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

بأوامره والابتعاد عن نواهيه وزواجره، وأنه ناسخ لما سبقه من الكتب الإلهية ومهيمن عليها.

- والإيمان بالأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- : بأنهم أفضل الخلق وأكملهم، لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله، وبأنهم معصومون عن الذنوب، قد بلغوا رسالات الله ونصحوا أقوامهم، وأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله - ﷻ - ، أيّدهم الله بالمعجزات وأنزل عليهم كتبه، وأنهم منصورون مؤيدون من الله وأن العاقبة لهم ولأتباعهم، وأن نبينا محمداً - ﷺ - أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، لا نبي بعده، بعثه الله إلى الثقلين الجن والإنس، إلى الناس كافة.
- والإيمان باليوم الآخر : هو التصديق بما أخبر به النبي - ﷺ - من أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى كظهور المهدي وخروج المسيح الدجال ونزول المسيح عيسى بن مريم- عليه السلام - .
- **والإيمان بما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير، وبالبعث بعد الموت، والحساب، والصحائف، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة.**
- والإيمان بالقدر خيره وشره : وأن الله بكل شيء عليم جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، وبأنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه - ﷻ - ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى خالق كل شيء، خلق المخلوقات وأفعالها.

- ومن أصول عقيدة السلف أهل السنة والجماعة ؛ أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأن مرتكب الكبيرة في الدنيا فاسق وعاص، وفي الآخرة أمره إلى الله تعالى، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ولا يخلد في النار.
- وأن أمة محمد - ﷺ - أفضل الأمم، وأن أفضل هذه الأمة صحابة رسول الله- ﷺ - ، وأن أفضلهم الخلفاء الأربعة أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي أبو السبطين، وبعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم بقية الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين- ، وحبّ آل بيت رسول الله - ﷺ - وتوليهم، والرضي عن أزواج رسول الله - ﷺ - أمهات المؤمنين، والكفّ عما شجر بين الصحابة - ﷺ- ، وأنهم مجتهدون في ذلك، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.
- ولزوم الجماعة، ووجوب السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف ما لم يأمروا بمعصية الله، وتحريم الخروج على الأئمة والولاة وإن جاروا ما لم يعلنوا كفراً بواحاً، وصلاة الجماعة والجهاد مع الإمام - براً كان أو فاجراً- ، وأن الجهاد قائم إلى يوم القيامة، والموالاة في الله والمعاداة في الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجانبة أهل البدع والأهواء، وقول الحق وفعل العدل.

المطلب الخامس:

قيام الدولة السعودية على المنهج والاعتقاد السلفي.

إن المنهج والاعتقاد السلفي - الذي سبق بيانه- هو الذي قامت عليه الدعوة الإصلاحية التي دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[1] - رحمه الله- وناصره عليها الإمام محمد بن سعود[2] - رحمه الله- .

فمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو منهج السلف الصالح - رحمهم الله- وعقيدته هي عقيدتهم التي أجمعوا عليها ونقلت عنهم، وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "فنحن - ولله الحمد- متبعون غير مبتدعين، مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي، الإمام المجدد، العلامة الفهامة، صاحب الدعوة الإصلاحية ولد سنة ١١١٥هـ، في العيينة في نجد، ونشأ في بيت علم ودين، وارتحل لطلب العلم، له مؤلفات عدة منها : "كتاب التوحيد"، و"الأصول الثلاثة"، توفي –رحمه الله- سنة ١٢٠٦هـ. (انظر ترجمته في "عنوان المجد في تاريخ نجد" : ٨٩/١- ٩٦، لابن بشر، مكتبة الرياض الحديثية، و"روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام والغزوات البيانية والفتوحات الربانية": ٢٥- ٥٠، للشيخ حسين ابن غنام، المطبعة الأهلية ١٣٦٨هـ، و"الأعلام": ٢٥٧/٦، للزركلي).

(٢) الإمام محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان، من بني مانع المنسوب إلى مرة بن ذهل بن شيبان، من عدنان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود، وولي الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ١١٣٩هـ، واتسعت إمارته فشملت أكثر نجد، توفي –رحمه الله- بالدرعية سنة ١١٧٩هـ. (انظر ترجمته في "عنوان المجد": ٤٩/١، و"روضة ابن غنام": ٥/٢، و"الأعلام": ١٣٨/٦، للزركلي).

وقصة البيعة المباركة بين الإمامين معروفة عند المؤرخين (انظر "عنوان المجد": ١٢/١، ١١، و"وروضة ابن غنام": ٣/١).

السنة والجماعة، الذي هو على أمر الله ورسوله - ﷺ - ، وعليه الرسول - ﷺ - وصحابته والتابعون وأتباعهم وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرايتهم، مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقه، كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين- ، وكذلك ما درج عليه الأعلام من اتباع هؤلاء الأئمة، فنحن على ذلك، وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث، لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة، الذين هم الفرقة الناجية، وهم سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان، وإن صرنا غرباء، فطوبى للغرباء".

وكان كثيراً ما يتمثل بثلاثة أبيات هي :

بأيّ لسانٍ أشكر الله إنّه ... لَذو نعمةٍ قد أعجزتْ كلَّ شاكرِ
حبانِيَ بالإسلام فضلاً ونعمةً ... عليَّ وبالقرآن نورِ البصائرِ
وبالنعمة العُظْمَى اعتقادِ ابن ... عليها اعتقادي يوم كَشْفِ

(١) انظر "مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧ ص: ٢٥٢٠٢٥٩، والقسم الثالث، الفتاوى ص: ٣١- ٣٥، ٨٨- ٨٩، و"مجموع الرسائل النجدية": ٣٢/١، و"عنوان المجد": ٩١/١، لابن بشر) نقلاً من "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية": ٣٦٩/١- ٣٧٠، د/صالح بن عبد الله العبود.

وعلى هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية تأسست الدولة السعودية الأولى[1]، ثم الدولة السعودية الثانية[2].

وورث هذه العقيدة السلفية ونشأ عليها الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود[3] - رحمه الله- ودعا إليها وأعلنها صراحة بكل فخر واعتزاز وأكّد عليها كثيراً في كلماته وخطبه العديدة، ومن أقواله - رحمه الله- في ذلك: "أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح ... وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما جاء عن الخلفاء الراشدين"[4]. وقال: "هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد

---

(١) تأسست الدولة السعودية الأولى بإمامة الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ، وانتهت بمقتل الإمام عبد الله بن سعود في عام ١٢٣٤هـ.

(٢) تأسست الدولة السعودية الثانية بإمامة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود عام ١٢٤٠هـ، وانتهت في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل سنة ١٣١٠هـ. (راجع "تاريخ المملكة العربية السعودية" تأليف د/ عبد الله الصالح العثيمين، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام": ٢١- ٣٢، دارة الملك عبد العزيز).

(٣) ولد الملك عبد العزيز في مدينة الرياض سنة ١٢٩٣هـ، صقر الجزيرة العربية وموحدها، مؤسس المملكة العربية السعودية، تولى الحكم سنة ١٣١٩هـ، وبدأ مرحلة التأسيس والبناء والعناية بجميع الجوانب الدينية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، توفي -رحمه الله- سنة ١٣٧٣هـ، وعمره ثمانون عاماً ٠انظر "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز -للزركلي، و"تاريخ المملكة العربية السعودية" -الجزء الثاني عهد الملك عبد العزيز، - د/عبد الله الصالح العثيمين).

(٤) نقل هذه الكلمة الملك فهد بن عبد العزيز عن والده وذكرها في افتتاح المؤتمر العالمي عن تأريخ الملك عبد العزيز بالرياض في ١٤٠٦/٣/١٩هـ، ونقلها الزركلي في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" ص: ٢١٦.

الوهاب يدعو لها، وهذه هي عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله - ﷻ - خالصة من كل شرك منزهة عن كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها".

كما قال الملك عبد العزيز أيضاً في خطابه الذي ألقاه بمكة المكرمة يوم الأربعاء ١٣٥١/١١/٣٠هـ : "يسموننا الوهابيين ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاسد، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد وعقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، وكلهم محترمون في نظرنا"[١].

وقد اقتدى أبناء الملك عبد العزيز البررة بأبيهم ملوكاً وأمراء في العناية بالعقيدة السلفية والتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً ودستوراً للحياة، فقد ربّى الملك عبد العزيز - رحمه الله- أبناءه على العقيدة السلفية وغرسها في نفوسهم، يوضح ذلك قول خادم الحرمين الشريفين : "الشيء الذي تأثرت به من الملك عبد العزيز - هو ما فيه شك أنه مرب كبير- ودائماً عندما نكون في حضرة الملك عبد العزيز التركيز الأساسي هو كيف يوضح لنا مفهوم العقيدة الإسلامية وكيف ممكن إذا تمسكنا بهذه العقيدة

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢١٦، وللمزيد من تلك الأقوال يراجع كتاب "عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية": ١٧- ٢٣، تأليف د/محمد بن عبد الرحمن الخميس.

أن الخير والسعادة والبركة سوف تكون دائماً حوالينا ، وإذا لا سمح الله خرجنا عن نطاقنا فلن يكون لنا أي نصيب من الحياة التي ممكن أن يتمتع بها الإنسان ... كانت نصائحه دائماً تنصب على العقيدة الإسلامية ويقول هي الخير والبركة ، ولولا أن هذه البلاد متمسكة بالعقيدة الإسلامية ما كان وصلت إلى ما وصلت إليه ، وإن توجيهاته أو حديثه معنا كأبناء له ينصب على إيضاح مفهوم العقيدة الإسلامية إذا تمسك بها الإنسان أو تركها الإنسان، وكان موجهاً عظيماً - رحمه الله- ، وحريصاً دائماً على أن تؤدي الواجبات التي فرضها رب العزة والجلال علينا ومن أهمها الصلاة وما يتفرع منها ، والصيام والخلق الطيب ، بطبيعة الحال لا يستطيع أي إنسان أن يواجه ابنه أو أخيه أو محبه أكثر من أن يسدي له النصح له أم لا ، فلذلك أدى واجبه - رحمة الله عليه- من هذه الناحية وأوضح لنا الطريق

والأساليب التي على أساسها يستطيع الإنسان أن يكيف نفسه ويكونها"[1].

فجاءت أقوال وأفعال ملوك المملكة العربية السعودية من أبناء الملك عبد العزيز - رحمه الله- تأكيداً وتوثيقاً للسير على نهج والدهم ، بدءاً من الملك سعود[2] - رحمه الله- الذي قال : "لقد كان همنا منذ تولينا مقاليد

---

(١) من كلمة له مع منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١٤٠٤/٨/١هـ. (انظر كتاب "شباب العقيدة الإسلامية" –مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- ص: ٤٢ ، ٤٣ الملك فهد بن عبد العزيز- ص: ٤٢ ، ٤٣ - إعداد محمد سعيد مبارك).

(٢) الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، ولد بمدينة الكويت سنة ١٣١٩هـ ، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٣٧٣هـ ، أنشئ في عهده عدد من الوزارات كالزراعة ، والمعارف ،

الأمور أن نعتصم بكتاب الله، ونهتدي بهدي رسول الله، وسنة خَلَفه من السلف الصالحين، ثم نتبع سيرة والدنا العظيم في السياسة والإدارة وفي كل مجال من مجالات الإصلاح سلك سبيله، وفتح لنا طريقه، لنتعهد ما شيّد، ونتمّ ما بدأ فيه من أعمال، ونقوم بكل ما نستطيعه لما فيه مصلحة بلادنا وشعبنا"[١].

ثم الملك فيصل[٢] - رحمه الله- الذي قال: "ولهذا السبب فنحن عندما نكرر في كل مناسبة أننا يجب أن نجعل العقيدة الإسلامية، حينما نكرر قولنا بأن نجعل العقيدة الإسلامية هي الركيزة التي يجب أن ننطلق منها لتحرير أنفسنا ولرد الظلم عنا وعن أبناء مواطنينا في كل الأنحاء وفي كل الأقطار، هذا هو الذي يدعونا إلى أن نجعل هذه الدعوة هي ديدننا"[٣].

ثم الملك خالد[٤] - رحمه الله- الذي قال: "وإنها لفرصة طيبة أن نتذكر فضل الله علينا، ونذكر به أبناءنا وأجيالنا الحاضرة وأن نعمل بكل

والتجارة، والمواصلات، توفي -رحمه الله- سنة ١٣٨٨هـ. (انظر "الأعلام": ٣/٩٠، للزركلي، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام، ص: ٦٥- ٦٩).

(١) انظر "مختارات من الخطب الملكية": ١/١٧٦.

(٢) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ولد بالرياض سنة ١٣٢٤هـ، وتولى الحكم سنة ١٣٨٤هـ بعد تنازل الملك سعود له، يعتبر رائد التضامن الإسلامي، قام بإصلاحات عديدة في مجال الاقتصاد، والصناعة، والزراعة، والتعليم، توفي -رحمه الله- سنة ١٣٩٥هـ. (انظر ترجمته في "الأعلام": ٥/١٦٦- ١٦٨، للزركلي، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام"، ص: ٧١- ٧٦).

(٣) انظر "مختارات من الخطب الملكية": ١/٣٦٨.

(٤) الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٣١هـ، وتولى الحكم سنة ١٣٩٥هـ، تميز عهده بالرخاء الاقتصادي العميم الذي أسهم في رقي النهضة الحضارية في شتى المجالات، توفي -رحمه الله- سنة ١٤٠٢هـ. (انظر "المملكة العربية السعودية في مائة عام": ٧٧- ٨٢).

إخلاص، ونلتف حول عقيدتنا ونلتفت إلى تربية أبنائنا ليكونوا مواطنين صالحين مؤسَّسين على أسس صحيحة من العقيدة الإسلامية ومتربِّين تربية إسلامية تمكنهم من القيام بمسؤولياتهم وحمل الأمانة الملقاة على عاتقهم في المستقبل فنضمن بذلك اتصال الماضي بالحاضر واتصال الحاضر بالمستقبل"[1].

- رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته- .

ثم جاء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - ليكمل المسيرة المباركة ويؤكد سيره وتمسكه بهدي السلف الصالح واقتفاءه أثر والده الملك عبد العزيز - رحمه الله- في خطبه وكلماته والتي منها قوله: "لقد جاء موحد هذه الجزيرة وجامع شملها الملك عبد العزيز - رحمه الله- ليقيم دولة التوحيد والشريعة الإسلامية والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي ومظهره العلمي ... حيث يلتحم الدين بالدنيا، وتسير الأمة كلها في طريق الله، طريق الجهاد الصادق والعمل المثابر"[2].

وقوله - يرحمه الله- : "يقول الله في محكم كتابه العزيز﴿وأما بنعمة ربك فحد ث﴾[3] ويقول جلّ وعلا ﴿ ... لئن شكرتم لأزيدنّكم...﴾[4] ونحن إذ نذكر نعم الله علينا في كلّ حين إنما نواصل الشكر والحمد لله وحده آناء

(١) انظر "مختارات من الخطب الملكية": ٢/٥٤.

(٢) انظر "كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين" ص: ٤، إعداد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد.

(٣) سورة الضحى، آية: ١١.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٧.

الليل وأطراف النهار، ونحن أيها الإخوة لو نظرنا اليوم من حولنا لأدركنا تماماً ما نحن عليه من قيم كريمة وما نحن فيه من نعم عميمة.

فمنذ أن قام والدنا المجاهد الملك عبد العزيز - يرحمه الله- بتثبيت دعائم ملكه على الكتاب والسنة مكَّنه الله من ضم شتات أجزاء الوطن الكبير تحت راية التوحيد وعلى الطريق الواضح والمستقيم فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأرسى قواعد العدل في الحكم بين الناس فأحبوه وأطاعوه ووثقوا في قيادته وأيقنوا حسن نواياه.

فاقتفينا أثره من بعده ملكاً بعد ملك وواصلنا مسيرته على الدرب وسيرته بين الناس وحرصنا ما استطعنا على التطوير والتحسين لما فيه مصلحة المواطن وبما لا يخرج عن إطار العقيدة الإسلامية أو يتعارض مع مفاهيمها وجندنا أنفسنا وكل طاقاتنا لخدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام"[1].

وقال الملك فهد في كلمة ارتجلها خلال استقباله جموعاً من المواطنين : "إذاً وطنكم يسير على قاعدة ليست قاعدة قانون، ولا هي قاعدة فلسفة، ولا هي قاعدة نَفَرْ أو نفَرَيْن، يشرعون وتشريعهم هو الذي يطبق، لا، إنها تسير على تشريع رب العزة والجلال، وعلى ما أبانه رب العزة والجلال، وعلى ما أجازه رسول الله - ﷺ - وعلى ما كان عليه الخلفاء الراشدون أئمة المسلمين"[2].

---

(١) انظر "المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود" ص: ٢١٧، وزارة الإعلام.

(٢) انظر "المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين" ص: ٨٠، ٨١.

وقال أيضاً في كلمة مرتجلة في قصر السلام بجدة في ١٧/٩/١٤٠٧هـ :
"إن سبب انحسار المسلمين يعود إلى انحراف البعض عن مذهب السلف الصالح"[١].

وقال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في افتتاح المؤتمر الطبي السعودي الثامن في ٢٤ محرم ١٤٠٤هـ الذي عقد بإشراف الحرس الوطني : "أشكر أخي الأمير عبد الله على تبني هذا المؤتمر العظيم داعياً الله أن يسدد خطانا على هدي كتاب الله وسنة نبيه سيدنا محمد- ﷺ - ، وأن هذه الدولة ستبقى على هذه الدعوة إلى قيام الساعة"[٢].

تلك نماذج من الكلمات الكثيرة التي تؤكد وتوضح بجلاء تمسك ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية - حرسها الله- بعقيدة السلف وعنايتهم بها، ونشرهم لها، ودفاعهم عنها.

---

(١) انظر كتاب "شباب العقيدة الإسلامية" ص : ٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص : ٤١.

المبحث الثاني

عناية خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله- بالعقيدة من خلال خطبه وكلماته.

إن المتتبع لحديثه - رحمه الله- سواء كان في خطبه في المناسبات، أم في حديثه للصحافة ورجال الإعلام، أم في لقاءاته مع شرائح عدة من أبنائه ومواطنيه يجده - حفظه الله- شديد العناية بأمور العقيدة، لهجاً بذكرها والتركيز على أنها من الثوابت التي لا يمكن المساس بها، أو التفريط أو التهاون في شيء منها.

وفي هذا المبحث، نورد مقتطفات من كلماته المضيئة الدالة على مدى عنايته بأمور العقيدة، وشدة اهتمامه بها، وحرصه على التذكير بها، فلا يكاد يخلو حديث له - حفظه الله- من ذلك، واستقصاء كلماته في هذا الباب يصعب، ويضيق المقام عن حصرها، وحسبنا أن نورد مقتطفات وأمثلة من حديثه وكلماته في ذلك نَدُلُّ بها على ما سواها، إذ ليس القصد الحصر والاستيعاب وإنما المراد إيراد ما يدل على مدى عنايته بالعقيدة ومباحثها من خلال كلامه وخطبه - حفظه الله- ، وقد جعلنا ذلك مرتباً في عدة مطالب كل مطلب يوضح جانباً من جوانب عنايته واهتمامه بالعقيدة في حديثه وخطبه - رحمه الله وغفر له- .

المطلب الأول:

بيانه - رحمه الله- أن كيان هذه الدولة - حرسها الله- قام على أساس العقيدة، والدعوة إلى التوحيد الذي هو دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال - رحمه الله- : "لقد جاء موحد هذه الجزيرة وجامع شملها الملك عبد العزيز - رحمه الله- ليقيم دولة التوحيد، والشريعة الإسلامية، والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي ومظهره العلمي ... ومن قبل عبد العزيز ومن بعده حمل راية التوحيد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"[(١)].

وقال: "قامت هذه الدولة على منهاج واضح في السياسة والحكم والدعوة والاجتماع، هذا المنهاج هو الإسلام عقيدة وشريعة"[(٢)].

ثم وضح - رحمه الله- أن سبيل هذه الدولة في تطبيق الإسلام هو التزام المنهج الصحيح في أمور الدين عقيدة وشريعة إذ يقول: "ولئن كانت العقيدة والشريعة هي الأصول الكلية التي نهضت عليها هذه الدولة، فإن تطبيق هذه الأصول يتمثل في التزام المنهج الإسلامي الصحيح في العقيدة،

(١) من كلمة وجهها خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- بمناسبة عيد الفطر المبارك، في ١٤٠٢/١٠/٣ هـ. (انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١٣١/٢، جمع ونشر دارة الملك عبد العزيز).

(٢) من كلمة له -رحمه الله- بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق، في ١٤١٢/٨/٢٧ هـ. (انظر: المصدر السابق: ٢٦٣/٢).

والفقه، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي القضاء، وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم"[1].

ولخص - رحمه الله- المنهج الذي قامت عليه هذه الدولة في تسعة ركائز، أولاها وأهمها : عقيدة التوحيد، التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له، ويتحررون من الخرافة والوهم، ويعيشون أعزة مكرمين.

والركيزة الثانية : شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدماء، وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

وثالثها : حمل الدعوة الإسلامية ونشرها، حيث إن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها[2].

المطلب الثاني:

التزامه - رحمه الله- بالسير على ما سار عليه أسلافه من اتخاذ هذه العقيدة أساساً وقاعدة ينطلق منها في قيادته - حفظه الله- وسياسته لرعيته.

يقول في تقرير ذلك في صراحة ووضوح لا لَبْسَ فيه : "وعلى هذا الأساس أريد أن أوضح بصفتي كلفت أو وجدت نفسي في هذا المركز الذي أنا فيه،

---

(١) انظر المصدر السابق : ٢/٢٦٣.

(٢) الكلمة السابقة والمصدر السابق : ٢/٢٦٤.

فأقول: أعاهد الله - عز وجل - أن تكون العقيدة الإسلامية هي الأساس والقاعدة، والمنطلق، وما خالفها لن نهتم به، ولن نتبعه، ..."[1].

ولذا نراه - رحمه الله- يؤكد على مكانة العقيدة وتقديمها على كل شيء فيقول - حفظه الله- في كلمة وجهها إلى بعض منسوبي القطاعات العسكرية: "أما بعد: فإن الكلمة التي أوجهها لأبنائنا العسكريين، هي أولاً قبل كل شيء: التمسك بالعقيدة الإسلامية نصاً وروحاً.

ثانياً: وطنهم أمانة في أعناقهم"[2].

المطلب الثالث:

بيانه - رحمه الله- أن التمسك بالعقيدة مصدر فخر واعتزاز لهذه الدولة السنية.

يقول - رحمه الله- في بيان ذلك: "إن دولتكم التي قامت منذ أكثر من مائتين وخمسين عاماً، وتوحدت منذ ما يزيد على سبعين عاماً اتخذت كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أساساً للحكم وإدارة شؤون البلاد، وصبغت ذلك في تعاملها وعلاقاتها مع الدول المختلفة، وسنظل - بمشيئة الله تعالى - متمسكين بمبدأ العقيدة الإسلامية، لأننا نعرف أن في ذلك عزتنا، وسؤددنا، ونصرتنا، وصدق الله، حيث يقول: ﴿ ولينصرن الله من

---

(١) من كلمة له في حفل وفد التهنئة بتحرير الكويت، في ١٤١١/٨/١٩ هـ. (المصدر السابق: ٥٦/٢).

(٢) من كلمة له - رحمه الله- في افتتاح مدينة الملك خالد العسكرية في حفر الباطن، في ١٤٠٥/٧/١٦ هـ. (المصدر السابق: ١٧٤/٢).

ينصره ﴾[1] وإن من نعم الله أن وفق هذه البلاد للتمسك بالعقيدة وإرساء قواعد الأمن وتوفير وسائل الرخاء والاستقرار"[2].

ويقول في ذلك : "نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية ، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس ، وسوف نجعلها هي القدوة سواء كان شريعتنا أو تنظيماتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم ، وفي حياتنا اليومية ... أو الشهرية أو السنوية"[3].

ويقول أيضاً : "هناك أمور تميزنا من أهمها احتفاظ المملكة بعقيدتها الإسلامية ، وبأخلاقها العربية ، وبعاداتها الحميدة"[4].

المطلب الرابع:

يقينه وبيانه - رحمه الله- أن التمسك بالعقيدة أهم أسباب النصر والقوة،

وأن التفريط فيها من أعظم أسباب الخذلان.

يقول - رحمه الله- : "وما دمنا متمسكين بهذه العقيدة فلن يضرنا أحد بحول الله بأي حال من الأحوال ... ولهذا نجد أنفسنا بحمد الله أقوياء بالله ثم

---

(١) سورة الحج ، آية : ٤٠.

(٢) من كلمة له في افتتاح أعمال السنة الثانية لمجلس الشورى في دورته الثانية ، في ١٤١٩/٣/٥ هـ. (المصدر السابق : ٣٦٧/٢- ٣٦٨).

(٣) من كلمة له أثناء زيارته لجامعة الملك سعود ، في ١٤٠٣/٨/٢٠ هـ. (المصدر السابق : ١٤٨/٢).

(٤) من كلمة له في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، في ١٤٠٣/١/١٦ هـ. (انظر : محمد سعيد مبارك / "شباب العقيدة الإسلامية" : ٣٠، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الدراسات الاقتصادية.

بما نلتزم به من مقومات في حياتنا الاجتماعية فضلاً عن التزامنا الكامل بالعقيدة الإسلامية"(١).

ويقول : "كما أن النصر لا يتأتى إلا بإعداد القوة التي أمرنا بها ، والقوة لا تستمد إلا من عند الله ، ومن أبرز صفاتها : الإيمان بالله وحده ، وتوحيد ربوبيته ، والتمسك بتعاليم دينه الحنيف"(٢).

وبين - رحمه الله- أن التفريط في التمسك بالعقيدة الصحيحة من أسباب ضعف الأمة وهوانها.

فقال : "وكلنا يعلم ما حصل في السنين الماضية من استعمار الأمة الإسلامية سواء أكانت في البلاد العربية ، أم في إفريقية ، أم في آسيا ، أم في أي مكان آخر ، والسبب هو أنه تغلبت الرغبة في الحياة ، والرغبة في متاع الدنيا على التمسك بالعقيدة ، بينما العقيدة الإسلامية باقية - إن شاء الله- إلى أن تقوم الساعة"(٣).

---

(١) من كلمة له في اجتماع اللجنة الوزارية لتنمية المدينة المنورة ، في ١٤١١/٦/٤ هـ. ("مختارات من الخطب الملكية" : ٢٥٢/٢).

(٢) من كلمة له إلى الحجاج في جدة في ١٤٠٦/٢/١٥ هـ. (المصدر السابق : ١٧٩/٢).

(٣) من كلمة له في استقبال وفد التهنئة بتحرير الكويت ، في ١٤١١/٨/١٩ هـ. (المصدر السابق : ٢٥٥/٢).

المطلب الخامس:

بيانه - رحمه الله- أن العقيدة الإسلامية هي الخيار الصحيح الذي يحقق الخير للبشرية جميعاً.

يقول - رحمه الله- في ذلك : "العقيدة الإسلامية لم تترك خيراً إلا وأبانته، ولم تترك شراً إلا وأبانته حتى يجتنبه المسلم، العقيدة الإسلامية خلاصة للعقائد السماوية، وأتت في مصلحة البشر عموماً، ليس فقط الأمة العربية"[1].

ويقول مبيّناً أن العقيدة الإسلامية تحقق للإنسان كل الأهداف الخيرة التي يطمح إليها، "العقيدة الإسلامية فيها جميع المبادئ والأهداف التي يريدها الإنسان في حياته، ما دام أنه موجود في هذه الدنيا، حفظت له حقوقه الشخصية وحقوقه العامة، وأعطته من القوة في الوقت الذي يجب أن يستعمل فيه القوة"[2].

وقال مبيناً إدراك كثير من الخلق لحقيقة هذا الدين وأنه السبيل المستقيم: "نرى الآن في جميع أنحاء العالم وفي كل مكان تقام المساجد، وتقام المكتبات الإسلامية، وتنتشر الدعوة الإسلامية.

وأعتقد أن هذا دليل قوي على أن العالم جرب جميع المبادئ، والتنظيمات التي لها علاقة بحياة الإنسان العامة والخاصة، ومن ثم أدرك مَن

---

(١) من كلمة له في زيارته لجامعة الملك سعود، في ١٤٠٣/٨/١٢ هـ. (المصدر السابق: ١٤٩/٢).

(٢) من كلمة له لدى استقباله العلماء والمشايخ والمواطنين الذين توافدوا لتهنئته بتحرير الكويت، في ١٤١١/٨/١٩ هـ، (المصدر السابق: ٢٥٤/٢).

أدرك أن العقيدة الإسلامية هي خير سبيل، لأنها تجمع فضائل الدنيا والآخرة، فمن أراد الخير له في دنياه وفي آخرته فليتمسك بكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - "[١].

وقال - رحمه الله- : "يدعون الديمقراطية، أو الحرية، ما أعتقد أن فيه ديمقراطية أو حرية ممكن أن تعود على البشر بالخير مثل ما في العقيدة الإسلامية من حرية وديمقراطية، ورأفة ورحمة وقوة، وهي عقيدة تجمع جميع الفضائل، وتبعد الإنسان عن جميع الرذائل، لذلك نحن فخورون بعقيدتنا، ونبقى مدافعين عنها مهما كانت الظروف والأسباب ..."[٢].

المطلب السادس:

بيانه - رحمه الله- أن العقيدة الإسلامية تقدم الحلول الناجعة لمشاكل الأمة، والقوة اللازمة للمحافظة عليها، وإدراك الأعداء لهذه الحقيقة وعملهم على زعزعتها.

يقول - رحمه الله- : "إن بعض النظم الأخرى تستطيع إيجاد بعض الحلول لبعض المشكلات في بعض الأحيان، لكن قيمة عقيدتنا الإسلامية ليست في كونها تمدنا بالحلول الشاملة فحسب، وإنما قيمتها في أنها تقدم لنا هذه الحلول وتقدم معها أيضاً القوة الكفيلة بتحقيقها وحمايتها"[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق والكلمة نفسها: ٢/٢٥٦- ٢٥٧.

(٢) من كلمة له في جامعة الملك سعود، في ١٤٠٣/٨/٢٠ هـ. (المصدر السابق: ٢/١٤٩).

(٣) من كلمة له في مؤتمر الفقه الإسلامي، في مكة المكرمة، في ١٤٠٣/٨/٢٦ هـ. (المصدر نفسه: ٢/١٥٢).

ويقول : "وهكذا سمت بنا الأخوة الإسلامية فوق كل اعتبار، واتضحت أبعاد المسؤولية الملقاة على عاتقنا، وأصبح الطريق واضحاً جلياً من خلال هذه العقيدة العظيمة، ومن خلال العودة إليها، والتمسك بها وتطبيقها نستطيع أن نحل مشكلاتنا ونرتفع بعد انكسار، ونتوحد بعد فرقة، وننتصر بعد تراجع واندحار"[1].

وقال مبيناً حرص أعداء الإسلام على ابتعاد هذه الأمة عن مصدر قوتها وعزها، ومنعتها ألا وهو عقيدتها الإسلامية الصافية : "لكن الابتعاد عن صعيد الإسلام كان العامل الأول، والفاعل المؤثر لما تقاسي منه أمة الإسلام اليوم من تحديات شر من جانب أعدائه الذين يعملون باستمرار، وإصرار على انتزاع الأمة الإسلامية من أحضان عقيدتها، لأن أعداء الإسلام يدركون أنه لا قوة للمسلمين إلا بتمسكهم بمعطيات هذه العقيدة، وأن عدم التمسك بالعقيدة هو مصدر الخطر الذي يهدد ديار الإسلام، ويحيط بأمة محمد - ﷺ - "[2].

المطلب السابع:

التزامه - رحمه الله- بنبذ كل ما يتعارض مع العقيدة أو يخالفها.

يقول -رحمه الله- : : ونحن لا يمكن - بحول الله- أن ننصاع لأي مبادئ كانت، ولن نقبل أي مبادئ تختلف مع العقيدة الإسلامية، سواء

---

(1) من كلمة له وجهها إلى الحجاج في منى، في ١٤٠٢/١٢/١٠ هـ. (المصدر نفسه: ١٤٢/٢).

(2) من كلمة له - رحمه الله- في مؤتمر الفقه الإسلامي في مكة المكرمة، في ١٤٠٣/٨/٢٦ هـ. (المصدر السابق: ١٥١/٢- ١٥٢).

أكانت تتعلق بالدولة بدءاً من رئيس الدولة وانتهاء بأي مواطن كان في الأمور العامة أم في الأمور الخاصة، لم ولن نقبل بأي حال من الأحوال أن ندخل شيئاً من الأمور مهما كان يقال: إنه مفيد، وهو يختلف مع كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - "[1].

ويحرص - رحمه الله- على تنقية المجتمع من كل انحراف عن المنهج السوي، يقول - حفظه الله- في ذلك: "وعلينا في الوقت نفسه أن نطهر دولتنا، ومجتمعاتنا من الانحرافات الضارة بهذه الأمة، وبعقيدتها الإسلامية الخالدة ..."[2].

ومع هذا الحرص على تنقية العقيدة، ونبذ كل ما يخالفها من المبادئ فإنه - حفظه الله- بيَّن أن ذلك لا يعني الاعتزال عن التعامل مع الأمم والأديان لاختلافنا وإياهم في العقيدة والدين، يقول - حفظه الله- : "إن العقيدة الإسلامية الخالدة - أيها الإخوة- لا تدعو للعزلة، ولا تشجع على زرع الحقد والكراهة بين الدول والشعوب، ولا توصد الأبواب أمام التعامل مع الآخرين لمجرد أنهم يختلفون عنا في عقائدهم وتوجهاتهم وأفكارهم"[3].

---

(١) من كلمة له - رحمه الله- لدى استقبال العلماء والمشايخ الذين توافدوا لتهنئة بتحرير الكويت، في ١٤١١/٨/١٩ هـ. (المصدر نفسه: ٢٥٧/٢).

(٢) من كلمة وجهها إلى الحجاج في منى، في ١٣١٢/١٢/١١ هـ. (المصدر نفسه: ٢٨٠/٢).

(٣) من خطبة له في منى في ١٤١٤/١٢/١١ هـ. (المصدر نفسه: ٣٠١/٢).

وهذا منه - رحمه الله- سعة أفق وبعد نظر، وفهم صحيح لحقيقة هذه العقيدة، يدل على ما تميّز به - حفظه الله- من سعة اطلاع وعمق في فهم العقيدة.

المطلب الثامن:

عنايته - رحمه الله- بدعم الأقليات الإسلامية في مختلف دول العالم للحفاظ على عقيدتها.

يقول - رحمه الله- : "لقد تبنت المملكة منذ وقت بعيد - ولا زالت- سياسة داعمة للأقليات الإسلامية المنتشرة في مختلف أنحاء العالم وبالذات في الدول غير الإسلامية، لشعورها القوي بأن تمكين هذه الجماعات الإسلامية من المحافظة على عقيدتها داخل مجتمعات تأخذ بأنظمة أخرى هو مسؤولية إسلامية يستوجب على جميع المسلمين القيام بها، ومواصلتها حفاظاً على كينونتهم، وتمكيناً لهم من التواصل الإيجابي مع أمتهم الإسلامية"(١).

المطلب التاسع:

التزامه - رحمه الله- بالدفاع عن العقيدة الإسلامية.

قال خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- : "نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس"(٢).

---

(١) من خطبة له في منى في ١٤١٤/١٢/١١ هـ. (المصدر السابق: ٣٠٩/٢).

(٢) من كلمة له في جامعة الملك سعود في ١٤٠٣/٨/٢٠هـ. (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص: ٣٠).

ويقول: "إن الكلمة التي أوجهها لأبنائنا العسكريين هي :

أولاً : وقبل كل شيء التمسك بالعقيدة الإسلامية نصاً وروحاً،

ثانياً : وطنهم أمانة في أعناقهم، العسكريون أو المدنيون مطلوب منهم حماية عقيدتهم ثم وطنهم"[(١)].

وقال الملك فهد - رحمه الله- : "لقد كنا ولا نزال دعاة أمنٍ وسلامٍ، وطالما سعينا لرأب الصدع بين الأشقاء، وبذلنا في سبيل استقرار هذه المنطقة من الجهود المتواصلة المخلصة ما هو معلوم لدى الجميع، وأملي أن يكون هذا هو رائد كل الدول ... ولكننا إذا ابتلينا في عقيدتنا وأوطاننا فإن حكومة هذا البلد الآمن وشعبه قد عاهدوا الله على الفداء في سبيل الله دينهم ووطنهم بالأرواح وحتى آخر قطرة من دمائهم، ونسأل الله أن يعلي كلمته وأن يحفظ علينا ديننا وينصرنا على الظالمين والمعتدين"[(٢)].

---

(١) من كلمة له في افتتاح المنشآت الجديدة لكلية الملك عبد العزيز بالعيينة في ١٤٠٤/٨/١٤هـ (انظر المصدر السابق ص: ١٣٢).

(٢) من كلمة له في جلسة مجلس الوزراء في آخر جمادى الثانية ١٤٠٦هـ (انظر المصدر السابق ص: ٥١).

المبحث الثالث

عنايته بالعقيدة من خلال بعض أعماله.

لقد حبا الله- عز وجل - قائد مسيرتنا خادم الحرمين الشريفين بخصائص قيادية متميزة، وسجايا حميدة، وخصال جميلة، وقد قامت تلك الفضائل على عقيدة راسخة بالله - عز وجل - وإيمان قوي بالإسلام، واعتزاز وافتخار بتطبيق تعاليم الإسلام وشرائعه، لذلك كانت أعمال خادم الحرمين الشريفين وإنجازاته موفقة وجليلة وكثيرة في سبيل الله- عز وجل- وفي خدمة الإسلام والمسلمين والوطن، نذكر بعضاً منها فيما يأتي :

المطلب الأول:

عنايته بالعقيدة من خلال نظام الحكم.

يتمتع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - بمواهب قيادية عظيمة وفكر ثاقب، وحنكة سياسة وخبرة إدارية كبيرة ورؤية شاملة للمواقف، لذا فقد تميزت العشرون عاماً السابقة من حكم خادم الحرمين الشريفين بالعديد من الإنجازات الحضارية المتميزة ومن أبرزها التنمية بمفهومها العام الشامل للتنمية البشرية والتعليمية والصحية والاقتصادية وغيرها مما تشمل جميع جوانب الحياة.

ونريد التركيز هنا على التنمية السياسية - ورائدها خادم الحرمين الشريفين- وهي عملية حتمية وضرورية للتنمية الشاملة، فقد أضاف خادم الحرمين الشريفين إنجازاً مهماً في ذلك وهو صدور الأنظمة الأربعة للحكم

التي تعد الركيزة الأساسية لبناء هذه الدولة، وهي النظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق، ونظام مجلس الوزراء.

وإن هذه الأنظمة الأربعة وغيرها من أنظمة الدولة وقوانينها مستمدة من الشرع الحنيف ولا تخالف كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وهو ما يؤكد عليه خادم الحرمين الشريفين في خطبه وكلماته حيث قال - حفظه الله- في كلمته إلى وفود حجاج بيت الله الحرام عام ١٤١١ هـ: "لقد تأسس الحكم في هذا البلد العزيز علينا وعلى كل مسلم في العالم على تقوى الله، وإقامة حدود الله، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً قولاً وفعلاً، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونقيم العدل بين الناس، نفشي السلام، ونصل الأرحام، ونسعى ما استطعنا إلى الإصلاح بين الناس وحل الخلافات بالكلمة الطيبة وبالتي هي أحسن، على هذه الأسس القويمة والدعائم الكريمة قامت المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –يرحمه الله- "[1].

وقد جاءت نصوص النظام الأساسي للحكم لتوثيق هذه الحقيقة وتأكيدها "لأن نظام الحكم فيها يستمد مبادئه وجوهره من "الشريعة الإسلامية" فالحكم السعودي والحاكم السعودي مقيدان بأحكام هذه الشريعة الغراء، تقيُّداً يجسد مسؤولية الحاكم في حفظ الدين، وحراسة الملة، ويطبق شرائع الإسلام تطبيقاً عملياً في كل مناحي الحياة، وجميع أوجه النشاط الإنساني؛ في العقيدة،

(١) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد: ١٤١٢/١٠هـ، ص: ١٦٦، نقلاً من كتاب (الوثائق الملكية عن الدعوة الإسلامية للملك عبد العزيز آل سعود، ص: ١٧٩، د/ عدنان الوزان).

والعبـادة، والآداب، والـسلوك، والأخـلاق، والعـادات، والتقاليـد، والاقتـصاد، والاجتمـاع، والثقافـة، والتربيـة، والتعلـيم، والـصحافة، والإعـلام، والأجهـزة الرسميـة والـشعبية، والمـصالح الحكوميـة، والـدوائر والمؤسسات، والهيئات، والوزارات، والإدارات، وسائر المرافق"[(١)].

وتتجلى عناية خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خلال منهج الحكم في المملكة العربية السعودية حيث صرّح الملك فهد بذلك المنهج في خطابه إلى المواطنين في أعقاب صدور أنظمة الحكم الثلاثة، فقال: "واستمر الوفاء للإسلام، عقيدة وشريعة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله- حيث بنى المملكة العربية السعودية وَوَحَّدها على ذات المنهج على الرغم من أنه واجه ظروفاً تاريخية صعبة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهته في أثناء توحيد البلاد فقد حرص الملك عبد العزيز على إنفاذ منهج الإسلام في الحكم والمجتمع مهما كانت الصعوبات والتحديات.

ويتلخص هذا المنهج في إقامة المملكة العربية السعودية على الركائز التالية:

أولاً: عقيدة التوحيد التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له ويعيشون أعزة مكرمين.

ثانياً: شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق و الدماء، وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

---

(١) اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية ص: ٤٢٣، أ.د/ صالح بن غانم السدلان، بحث مقدَّم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

ثالثاً : حمل الدعوة الإسلامية ونشرها حيث إن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعاً : إيجاد "بيئة عامة" صحية صالحة مجردة من المنكرات والانحرافات تعين الناس على الاستقامة والصلاح وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامساً : تحقيق "الوحدة" الإيمانية التي هي أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية.

سادساً : الأخذ بأسباب التقدم وتحقيق "النهضة الشاملة" التي تيسر حياة الناس ومعاشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام ومقاييسه.

سابعاً : تحقيق "الشورى" التي أمر الإسلام بها ومدح من يأخذ بها إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ثامناً : أن يظل الحرمان الشريفان مطهرين للطائفين والعاكفين والركع السجود - كما أرادهما الله- بعيدين عن كل ما يحول دون أداء الحج والعمرة والعبادة على الوجه الصحيح وأن تؤدي المملكة هذه المهمة قياماً بحق الله وخدمة للأمة الإسلامية.

تاسعاً : الدفاع عن الدين والمقدسات .. الوطن والمواطنين والدولة.

هذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها المملكة العربية السعودية ، وقد استدعى تطور الحياة الحديثة أن ينبثق عن هذا المنهج أنظمة رئيسية في عهد الملك عبد العزيز.

ونظراً لتطور الدولة وتكاثر واجباتها فقد أصدر الملك عبد العزيز - رحمه الله- عام ١٣٧٣ هـ أمره بتأسيس مجلس الوزراء والذي يعمل الآن

وفقاً لنظامه الصادر في عام ١٣٧٣ هـ وما طرأ عليه من تعديلات، لقد استمر العمل بهذا المنهج حتى يومنا هذا - بحمد الله وتوفيقه"[١].اهـ

كما تتضح تلك العناية بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خادم الحرمين الشريفين من خلال مواد ونصوص نظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي بالرقم أ/٩٠ بتأريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ، والتي سنعرض مختارات منها كالآتي :

- **المادة الأولى :**

المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض.

- **المادة الثانية :**

عيدا الدولة .. هما عيد الفطر والأضحى .. وتقويمها هو التقويم الهجري.

- **المادة الثالثة :**

يكون علم الدولة كما يلي :

أ- لونه أخضر.

ب- عرضه يساوي ثلثي طوله.

ج- تتوسط كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، تحتها سيف مسلول .. ولا يُنكّس العلم أبداً، ويبين النظام الأحكام المتعلقة به.

---

(١) "مختارات من الخطب الملكية" : ٢/٢٦٥، ٢٦٤.

- **المادة الخامسة :**

أ- **نظام الحكم في المملكة العربية السعودية .. ملكي.**

ب- يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء .. ويبايع الأصلح منهم للحكم على كتاب الله – تعالى - وسنة رسوله - ﷺ - .

ج- يختار الملك ولي العهد .. ويعفيه بأمر ملكي.

د- يكون ولي العهد متفرغاً لولاية العهد .. وما يكلفه به الملك من أعمال.

هـ- يتولى ولي العهد سلطات الملك عند وفاته حتى تتم البيعة.

- **المادة السادسة :**

يبايع المواطنون الملك على كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره.

- **المادة السابعة :**

يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - .. وهما الحاكمان على هذا النظام وعلى جميع أنظمة الدولة.

- **المادة الثامنة :**

يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية.

- المادة التاسعة :

الأسرة هي نواة المجتمع السعودي ..ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله - ﷺ - ولأولي الأمر .. واحترام النظام وتنفيذه وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد.

- المادة العاشرة :

تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ورعاية جميع أفرادها وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم.

- المادة الحادية عشرة :

يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله وتعاونهم على البرّ والتقوى والتكافل فيما بينهم وعدم تفرقهم.

- المادة الثانية عشرة :

تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

- المادة الثالثة عشرة :

يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء واكتسابهم المعارف والمهارات وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم محبين لوطنهم مهتزين بتاريخهم.

- **المادة السابعة عشرة :**

الملكية ورأس المال والعمل مقومات أساسية في الكيان الاقتصادي والاجتماعي للمملكة، وهي حقوق خاصة تؤدي وظيفة اجتماعية وفق الشريعة الإسلامية.

- **المادة الحادية والعشرون :**

تجبى الزكاة وتنفق في مصارفها الشرعية.

- **المادة الثالثة والعشرون :**

تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

- **المادة الرابعة والعشرون :**

تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما .. وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما بهما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

- **المادة الخامسة والعشرون :**

تحرص الدولة على تحقيق أمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة .. وعلى تقوية علاقتها بالدول الصديقة.

- **المادة السادسة والعشرون :**

تحمي الدولة حقوق الإنسان .. وفق الشريعة الإسلامية.

- **المادة التاسعة والعشرون :**

ترعى الدولة العلوم والآداب والثقافة .. وتعنى بتشجيع البحث العلمي وتصون التراث الإسلامي والعربي وتسهم في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

- **المادة الثالثة والثلاثون :**

تنشئ الدولة القوة المسلحة وتجهزها من أجل الدفاع عن العقيدة والحرمين الشريفين والمجتمع والوطن.

- **المادة الرابعة والثلاثون :**

الدفاع عن العقيدة الإسلامية .. والمجتمع والوطن واجب على كل مواطن ويبين النظام أحكام الخدمة العسكرية.

- **المادة الثامنة والثلاثون :**

العقوبة شخصية ، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على نص شرعي أو نص نظامي ، ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل بالنص النظامي.

- **المادة الخامسة والأربعون :**

مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله - تعالى - .. وسنة رسوله - ﷺ - .. ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

- **المادة السادسة والأربعون :**

القضاء سلطة مستقلة ، ولا سلطان على القضاء في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية.

- **المادة الثامنة والأربعون :**

تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية وفقاً لما دلّ عليه الكتاب والسنة وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

- **المادة الخامسة والخمسون :**

يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية طبقاً لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية والسياسة العامة للدولة وحماية البلاد والدفاع عنها.

- **المادة السابعة والخمسون :**

أ- يعين الملك نواب رئيس مجلس الوزراء، والوزراء، والأعضاء بمجلس الوزراء، ويعفيهم بأمر ملكي.

ب- يعتبر نواب مجلس الوزراء، والوزراء الأعضاء بمجلس الوزراء مسؤولين بالتضامن أمام الملك عن تطبيق الشريعة الإسلامية والأنظمة والسياسة العامة للدولة.

ج- **للملك حل مجلس الوزراء وإعادة تكوينه.**

- **المادة السابعة والستون :**

تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح فيما يحقق المصلحة أو يرفع المفسدة في شؤون الدولة وفقاً لقواعد الشرعية الإسلامية .. وتمارس اختصاصاتها وفقاً لهذا النظام ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى.

- **المادة الثامنة والستون :**

ينشأ مجلس للشورى .. ويبين نظامه وطريقة تكوينه .. وكيفية ممارسته لاختصاصاته واختيار أعضائه.

وللملك حل مجلس الشورى ومجلس الوزراء إلى اجتماع مشترك وله أن يدعو من يراه لحضور هذا الاجتماع لمناقشة ما يراه من أمور"[1].

إن القارئ لنصوص المواد السابقة يلحظ جلياً مدى العناية الفائقة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رحمه الله- بالإسلام عقيدة وشريعة، وأن أحكام الإسلام دستور الدولة ومصدر أنظمتها. وإن مما ينبغي أن يذكر فيشكر، وينبَّه فيظهر، أن المادتين (٢٣)، (٣٤) من النظام الأساسي للحكم قد نصّتا على حماية العقيدة الإسلامية "ولا شك أن حماية العقيدة ونقاءها وصفاءها يعد ثمرة من ثمار الدفاع عن الدين والمحافظة عليه ولهذا كان الإلزام بذلك والالتزام به واضحاً جلياً في النظام الأساسي للحكم وهو إلزام يبين دور ولي الأمر في وجوب متابعة أحوال المسلمين، لكي ينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة ؛ فأمور المسلمين هي الهم الأول من هموم ولي الأمر، وهي تتسع لبحث أحوال الناس وأوضاعهم بحثاً مباشراً، ينبثق من تعاليم الدين ويدور في فلك تقوى الله، فلا يشغله عن ذلك شاغل، ولا ينسيه إياه طارئ، فالناس هم العنصر الجوهري في أمة الإسلام، والبحث عن مشكلاتهم وحلها هو أول معالم صلاح النظام.

ولا شك أيضاً أن الدولة التي تنص في النظام الأساسي للحكم على أنها مسؤولة عن حماية العقيدة تجعل الحكم تكليفاً عقدياً لا تشريفاً دنيوياً،

---

(١) انظر : "الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية"، الجزء الأول، — إعداد المحامي/ سليمان بن عبد اللطيف الشايقي.

والجانب الشرعي في ذلك هو الذي يحكم الضمائر، ويصون الأفئدة، فما من إمام للمسلمين إلا ودار واجبُه في فلك أمرين أساسيين؛

أولهما: سياسة المجتمع الإسلامي سياسة عقدية، تكفل استقرار حياة كل من يعيش في محيطه.

وثانيها: حراسة الدين من أي محاولة للنيل منه.

ولكن ما صفات العقيدة التي تحتاج إلى حماية؟.

إن العقيدة التي تحتاج إلى الحماية والدفاع عنها هي عقيدة التوحيد التي لا يتطرق إليها دعاوى الفرق الهدامة، أو الطرق (الصوفية) التي لم يكن لها أي وجود في عهد رسول الله - ﷺ - أو الخلافة الراشدة.

وهذه الحماية ضرورة لأنها سبيل نهضة الأمم، وارتقاء الحضارات، وإعلاء الأخلاقيات، ونبذ الجهل والتخاذل والتواكل، وكل هذا لا يمكن أن يحدث في ظل إسلام مشوه، تهدمه الفرق الضالة، وتمزقه الطرق المبتدعة من المتصوفة والمرتزقة إذ ليس في الإسلام سوى فرقة واحدة هي الفرقة الناجية التي تتمسك بالكتاب والسنة، وليس في الإسلام طرق سوى طريق الكتاب والسنة، فالدولة عندما تحمي عقيدة التوحيد فإنها تحمي حق الإنسان في الاطمئنان إلى عدل الديان، وشكر المنعم، وعدم الركون إلى مُتِع الحياة الدنيا، والتوكل على الله وابتغاء رحمته والارتقاء في مدارج كمالات التوحيد، حيث الأمن من كل خوف، وسكينة النفس، واستراحة الخاطر، وصحو الضمير، وصفاء السريرة، واستقامة العزيمة، وزوال القلق، والإنابة إلى الله، وحيث تتحقق بالصلاة، الصلة الكاملة بين العبد وربه، وحيث تكون الزكاة إقراراً ثابتاً بحق الفقير في مال الغني في إطار الإيمان بأن الله وحده

هو الرزاق ذو القوة المتين، وحيث يجسد الصوم الإخلاص المطلق في العبادة، وحيث يؤكد الحج كل معاني التوحيد وحقائقه، وصولاً إلى حقيقة الإيمان وتمسكاً بحبل الله المتين الذي يؤكد وحدانية الديان، وحيث يكون الإحسان جزءاً لا يتجزأ من ضمير الإنسان"(١).

لهذه المعاني وغيرها كثير - لا يتسع له هذا المجال المحدود- تلتزم الدولة في المملكة العربية السعودية بحماية العقيدة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر والإشادة والثناء أن خادم الحرمين الشريفين - مقتفياً أثر من سبقه من ولاة الأمر- قد جعل الدعوة إلى الله - ﷻ - من أهمّ مهمات هذه الدولة، ونص على ذلك في نظامها الأساسي للحكم (المادة الثالثة والعشرون).

وقد هيأت المملكة العربية السعودية للدعوة الإصلاحية السلفية المباركة أجهزة ومؤسسات خاصة، من أبرزها :

- المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية(٢).

---

(١) انظر : "التزام الدولة بحماية عقيدة الإسلام وفقاً للنظام الإسلامي للحكم"، د/محمد شتا أبو سعد، ص : ١٩، ٢٠، و"الدعوة في عهد الملك عبد العزيز" د/محمد ناصر الشثري، جـ ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٥، نقلاً من بحث "اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة السعودية" ص: ٦٣، ٦٤، أ.د/صالح بن غانم السدلان –بتصرف بسيط- ، مقدم إلى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٢) بتاريخ يوم الأربعاء الموافق ١٤١٥/٤/٣٠هـ صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز على إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، ويضم المجلس في عضويته عدداً من أصحاب السمو

- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء[1].
- رابطة العالم الإسلامي[2].
- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[3].
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[4].
- جامعة أم القرى[1].

والمعالي ذوي الخبرة الواسعة والمكانة الرفيعة والجهود المباركة في المجالات الإسلامية. (انظر "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية" ص: ١٥٥- ١٥٨، ٢٠٦ –أ.د. صالح السدلان).

(١) أُنشِأت الرئاسة العامة تحت اسم (دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية والمعاهد) في شهر رمضان عام ١٣٧٤هـ في عهد الملك سعود بن عبد العزيز –رحمه الله- ، ثم صدر الأمر السامي الكريم رقم: أ/١٣٩ بتاريخ ١٣٩/٧/٨هـ في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز –رحمه الله- بتسميتها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإسلامية)، وبعد إنشاء وزارة الشؤون الإسلامية أصبح مسماها (الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء). (انظر المصدر السابق ص: ٢٠١- ٢٠٦).

(٢) أُنشِأت في عهد الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله- عام ١٣٨١هـ. (انظر المصدر السابق ص: ٢٢١).

(٣) أُنشأت في عهد الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله- بالمرسوم الملكي رقم: ١١ بتاريخ ١٣٨١/٣/٢٥هـ. (انظر "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية" ص: ٣٨).

(٤) بدايتها كانت بافتتاح معهد الرياض العلمي سنة ٣٧٠هـ في عهد المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود –رحمه الله- ، ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية تحت مسمى (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية)، وفي ١٣٩٤/٨/٢٣هـ صدر المرسوم الملكي رقم: م/٥٠ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (انظر "الأنشطة الدعوية": ص: ١٠١).

وقد حظيت هذه الأجهزة والمؤسسات وغيرها بدعم غير محدود من ولاة الأمر منذ نشأتها ومسيرتها المباركة.

المطلب الثاني:

إنشاؤه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

لقد جاء إنشاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لتعكس اهتمام خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- بأمر الإسلام والمسلمين في العالم أجمع حيث تختص هذه الوزارة كما هو واضح من مسماها بالشؤون الإسلامية ويأتي في مقدمتها توضيح العقيدة الإسلامية والدعوة إليها ونشرها والدفاع عنها في داخل المملكة وخارجها.

لذا صدر الأمر الملكي السامي بإنشاء الوزارة كالتالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ١/٣ التاريخ : ١٤١٤/١/٢٠هـ.

بعون الله تعالى ،

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ؛ ملك المملكة العربية السعودية ؛ بعد الاطلاع على المادة (٥٧) من النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم ١/٩٠ وتأريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

---

(١) بدايتها كانت بإنشاء كلية الشريعة بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله- عام ١٣٦٩هـ، ثم سميت كلية الشريعة والتربية عام ١٣٨٠/١٣٨١هـ، ثم ضمتا إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٠/١٣٩١هـ، وفي ١٤٠١/٦/٢٢هـ صدر قرار مجلس الوزراء رقم (٩٦) بإنشاء جامعة أم القرى بناء على التوجيه السامي الكريم. (انظر المصدر السابق ص: ٩٧).

وبعد الاطلاع على المادة الثانية في نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم الملكي رقم (٣٨) وتأريخ ١٣٧٧/١/٢٢هـ المعدّلة بالمرسوم الملكي رقم (١٤) وتأريخ ١٣٨٤/٧/١٤هـ.

وبناء على ما عرضه علينا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بكتابه رقم ١٦٢/خ وتأريخ ١٤١٤/١/١٢هـ من ضرورة إيجاد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد والدعوة إلى الله سبحانه، وتأييدنا لذلك.

أمرنا بما هو آت :

أولاً : تنشأ وزارة تسمى "وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد".

ثانياً : تتولى هذه الوزارة كل ما له علاقة بالشؤون الإسلامية وشؤون الأوقاف والمساجد والإرشاد والدعوة إلى الله.

ثالثاً : تشكل لجنة من الجهات المعينة لتحديد الاختصاصات التي تزاولها الوزارات والمصالح الحكومية مما يدخل ضمن عمل هذه الوزارة وترتيب نقلها إلى هذه الوزارة.

رابعاً : يعين الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزيراً لشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

خامساً : على سمو نائب رئيس مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه تنفيذ أمرنا هذا[1].

فهد بن عبد العزيز آل سعود.

---

(١) "جريدة الندوة"، العدد (١٠٥١٣) بتأريخ ١٤١٤/١/٢١ه.

وتتلخص رسالة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فيما يأتي :

(دعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتوعية المسلمين بأمور دينهم ، ونشر القيم الإسلامية وترسيخها ، وإنشاء المساجد ورعايتها ، والعناية برسالتها ، والإسهام في تحقيق التضامن والتكافل الإسلامي ، وكل ما من شأنه خدمة الإسلام والمسلمين ، والتصدي لما يثار حول الإسلام من

الشبهات من قبل أعداء الإسلام ، والمحافظة على أملاك الأوقاف ، وحسن إدارتها ،

واستثمار غلاتها)[1].

وتسعى الوزارة إلى تحقيق أهدافها العامة التالية :

١- العناية بكتاب الله تلاوة وتجويداً وحفظاً وفهماً ونشراً.

٢- دعوة الناس إلى الإسلام وتوجيههم.

٣- المحافظة على القيم الإسلامية.

٤- العناية ببيوت الله وتعميرها.

٥- إبراز جهود المملكة في دعم العمل الإسلامي.

٦- دعم الأقليات والجاليات الإسلامية ودراسة أوضاعهم.

٧- ضبط أعيان الأوقاف وحصرها ، والعناية بها وبالمكتبات الموقوفة.

---

(١) كتاب "إنجازات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للعام المالي ١٤١٧/١٤١٨هـ، ص: ١١ ، إصدار وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير والبرامج –الإدارة العامة للتخطيط –الرياض ١٤١٩هـ.

٨- تنمية غلال الأوقاف واستثمارها والعمل على تحقيق شروط الواقفين.

٩- العناية بالأربطة والساكنين بها.

١٠- رفع كفاية الأداء وتحسين الإنتاجية.

١١- معالجة قضايا المجتمع والظواهر السلبية في ضوء أصول الشريعة الإسلامية.

١٢- تطوير الخدمات الإدارية.

١٣- إنشاء المرافق الإدارية والعناية بها[1].

وقد جنّدت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد كافة إمكاناتها لتحقيق الأهداف المرسومة لها والقيام بالأمانة المسندة إليها من ولي الأمر في هذه البلاد المباركة.

"- فمن خلال وكالة الوزارة للشؤون الإسلامية، تسعى الوزارة لدعم العمل الإسلامي بكافة صوره على مستوى العالم، ورعاية الأقليات والجاليات الإسلامية مادياً وثقافياً، بدراسة أوضاعها ومساعدتها، والسعي إلى حل مشكلاتها، وعقد المؤتمرات والندوات وإنشاء المراكز والمدارس الإسلامية والمكتبات وعونها، وبناء المساجد وملاجئ الأيتام ومؤسسات الرعاية الاجتماعية، وإصدار الكتب والنشرات المتعلقة بالأمة الإسلامية والجاليات والأقليات الإسلامية.

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٤- ١٦.

- ومن خلال وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف، تهتم الوزارة بحماية الوقف الخيري العام، وصيانته، واستثماره، وإنفاق ريعه على وجوه الخير والبر.
- أما وكالة الوزارة لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد فهي منبر الدعوة الإسلامية، المعنية ببيان عقيدة الإسلام الصحيحة، من خلال كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وعمارة المساجد والجوامع حساً ومعنى وصيانتها، وبيان الأحكام الشرعية للناس في العبادات والمعاملات، وما يتصل بذلك من وعظ وإرشاد وتوجيه مما يقرب الإنسان إلى الله تعالى ويحض على الالتزام بأحكام الإسلام، وترسيخ رسالة المساجد باعتبارها مراكز إشعاع وتوجيه، ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.
- ومن خلال وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر تقوم الوزارة بنشر الكتاب الإسلامي في مختلف العلوم الإسلامية، وبطباعة المواد العلمية التي تخدم الدعوة الإسلامية وترجمتها"(١).

المطلب الثالث:

أقسام العقيدة بالجامعات السعودية.

يرجع الفضل - بعد الله ﷻ - في وضع اللبنات الأولى للجامعات والانطلاقة الكبرى للتعليم العالي لخادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز

---

(١) انظر: كلمة التقديم لكتاب (الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية - حقائق ووثائق-) ص: ٩،١٠ لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (السابق) أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

- رحمه الله- حينما كان وزيراً للمعارف فقد عايش حُلم الجامعة منذ كانت فكرة إلى أن تحوّلت إلى حقيقة واقعة، فكانت جامعة الملك سعود بالرياض أول ثمرة من ثمار غرسه في عام ١٣٧٧ هـ، وكان أكثر الناس فرحاً بذلك الحدث والإنجاز الكبير في شبه الجزيرة العربية كلها، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "إن هذه اللحظة لحظة هامة وحدث عظيم في تاريخ المملكة فهو يمثل نقطة انطلاقة جديدة في حقل التعليم، ولا شك أن تأسيس هذه الجامعة سوف يجعل ناشئة هذه البلاد يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه، وسوف تتيح لهم هذه الجامعة أنواعاً من الدراسات العميقة التي تستهدف الحق والعدل في دراستها الأدبية، وتستهدف السلم والرفاهية في دراستها العلمية، ولا شك أن هذه وتلك تستهدفان المثل العليا التي تسعون إليها جاهدين، وسوف يسجل التاريخ الخالد هذا اليوم العظيم من تاريخ هذه البلاد، وسوف تذكر الأجيال القادمة يوم الأربعاء عشر من شهر ربيع الثاني"(١).

وقد شكّلت تلك الجامعة الانطلاقة الحقيقية للتعليم الجامعي وشهد التعليم العالي من وقتها تقدماً وتطوراً، وأثمرت مجهودات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في نهضة تعليمية عليا تتمثل الآن في (٨) جامعات تضاهي أعرق الجامعات تعليماً وتنظيماً وتجهيزاً.

---

(١) من كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف في حفل افتتاح جامعة الملك سعود سنة ١٣٧٧ هـ. (انظر: "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عشرون عاماً من العطاء"، ص: ٨٨- ٨٩، الوكالة الأهلية للإعلام.

ويبين لنا خادم الحرمين الشريفين فخره واعتزازه بالمسيرة التعليمية الجامعية حينما يعقد مقارنة بين بدايات التعليم وما وصلت إليه الآن - بفضل الله ﷻ - فيقول : "إنه مما يثلج الصدر ويدعو إلى الاعتزاز، أن نجد مسيرة التعليم الجامعي وما بعد الجامعي قد وصلت إلى ما وصلت إليه من مستويات عالمية، وبعد أن بدأ التعليم الجامعي منذ ثلاثين سنة بجامعة واحدة، وبكلية واحدة أصبح لدينا الآن سبع[(١)] جامعات وعشرات الكليات ومئات التخصصات، الأمر الذي جعل أعداد الخرجين السعوديين تتدفق لتشغل مكانها في مختلف المشاريع المنتشرة في أرجاء الوطن، وقد تسلحوا بالعلم والإيمان وبادلوا سخاء الدولة بعطاء مخلص واثق الخطى، ثابت الأركان"[(٢)].

وسياسة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية تقوم على أسس راسخة ورؤى عميقة ذات مضامين وغايات جوهرية كبرى باعتبار التعليم عاملاً مهماً في ترسيخ الجانب العقائدي وربطه بالعمل منذ أن أمر الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - بافتتاح أول كلية للشريعة في مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م[(٣)].

---

(١) أصبحت الآن - ولله الحمد - ثمان جامعات.

(٢) "الجامعات في ثلاثين عاماً" -كتاب أصدرته جامعة الملك سعود عام ١٤٠٧هـ، نقلاً من "كتاب شباب العقيدة الإسلامية" ص: ١٥٥.

(٣) انظر : "التعليم العالي في المملكة العربية السعودية"، ص: ١٧، وزارة التعليم العالي- الرياض- ١٤٠٢ هـ.

ونظراً لضروريات التحديث والتطور صدر أمر ملكي بإنشاء وزارة التعليم العالي في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م لتتولى مسؤولية التعليم العالي بعد أن كان من اختصاصات ومسؤوليات وزارة المعارف.

وأصبحت وزارة التعليم العالي تقوم بمسؤولية الإشراف والتخطيط والتنسيق والمتابعة والربط بين الاحتياجات التنموية الحالية والمستقبلية بما يحقق الاستخدام الأمثل لهذه القوى من جانب ويهيئ لتغطية الحاجات الفعلية في المستقبل من الكوادر والتخصصات الفنية والإدارية السعودية من جانب آخر.

ويتبين لنا من خلال سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية بعامة، ومن خلال التعليم العالي وأهدافه بخاصة مدى الاهتمام بالعقيدة الإسلامية، وسنذكر مختارات من مواد السياسة التعليمية في بيان ذلك على النحو التالي :

المادة الأولى : السياسة التعليمية هي الخطوط التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم، أداءً للواجب في تعريف الفرد بربه ودينه وإقامة سلوكه على شرعه، وتلبيته لحاجات المجتمع، وتحقيقه لأهداف الأمة وهي تشمل حقول التعليم ومراحله المختلفة، والخطط والمناهج والوسائل التربوية والنظم الإدارية والأجهزة القائمة على التعليم وسائر ما يتصل به، والسياسة التعليمية في المملكة تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشريعة وحكماً ونظاماً متكاملاً للحياة، وهي جزء أساس من السياسة العامة للدولة.

- **الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم :**

المادة الثانية : الإيمان بالله رباً والإسلام ديناً وبمحمد - ﷺ - نبياً رسولاً.

المادة الثالثة : التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته، دون خلل أو اضطراب.

المادة الحادية عشرة : العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه، والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي.

- **غاية التعليم وأهدافه العامة :**

المادة الثامنة وعشرون : غاية التعليم فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا، واكتسابه المعارف والمهارات المختلفة، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه.

- **أهداف التعليم العالي :**

المادة التاسعة بعد المائة : تنمية عقيدة الولاء لله ومتابعة السير في تزويد الطالب بالثقافة الإسلامية التي تشعره بمسئوليته أمام الله عن أمة الإسلام لتكون إمكانيته العلمية والعملية نافعة مثمرة.

المادة العاشرة بعد المائة : إعداد مواطنين أكفّاء مؤهلين تأهيلاً علمياً وفكرياً عالياً لأداء واجبهم في خدمة بلادهم، والنهوض بأمتهم في ضوء العقيدة السليمة ومبادئ الإسلام السامية[1].

ومن الجدير بالذكر والإشادة ما صرّح به خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- أن القاعدة الأساسية والمنطلق الأساسي للدولة وبخاصة في التعليم هي العقيدة الإسلامية من بداية التعليم في الصغر إلى نهايته في الجامعة وفي جميع مراحل التعليم والحياة، حيث قال الملك فهد - رحمه الله- : "تبصير علمائنا للمواطنين هو لصالح المواطن السعودي الذي منذ أن يولد طفلاً ووالداه يذكرانه بـ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحينما يلحق بالمدارس يجد أن الدراسة تبدأ بتقديم القاعدة الأساسية، وهي إفهامه العقيدة الإسلامية، ويستمر ذلك معه إلى أن تنتهي دراسته الجامعية[2].

وقال - رحمه الله- أيضاً - : "الجامعات في المملكة العربية السعودية تبدأ المنهج مع الطالب من البداية حتى يتخرج الطالب من الجامعة وهو يعلم ما يتعلق بمفهوم العقيدة الإسلامية.

---

(١) تمّ اعتماد السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية بقرار مجلس الوزراء الموقر رقم ٧٧٩ بتاريخ ١٦- ١٣٨٩/٩/١٧هـ، (انظر : "الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية" : ٢٢٥/١- ٢٨٠ إعداد سليمان الشايقي).

(٢) في افتتاح مستشفى الملك فهد التخصصي بالقصيم في ١٤٠٨/٨/١٩هـ، (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص: ١٩٤).

والعقيدة الإسلامية كما هو معروف لها استيعاب .. استيعاب[1] الطالب الذي عمره سبع سنوات أو عشر أو خمس عشرة أو عشرين أو خمس وعشرين سنة حتى يكون استيعابه استيعاباً متكاملاً.

هذا من الناحية الإجمالية العامة، .. وهناك كليات متخصصة في فروع العقيدة الإسلامية التي نحن بعد الله نعتمد عليها ونعتبرها القاعدة الأساسية والمنطلق الأساسي.

وفي بلادنا فإن الطالب مهما تخصص في فرع من الفروع العلمية الأخرى إن كانت طبية أو صناعية أو عسكرية فإنه لابد أن تكون لديه ثقافة متكاملة ومعرفة وإدراك متكامل بعقيدته الإسلامية أولاً وقبل كل شيء لأنها هي الأساس وهي القاعدة"[2].

إن هذه الكلمات المضيئة تأكيد لحقيقة قائمة وملموسة في التعليم، تربينا، ونشأنا عليها من مرحلة الحضانة ومروراً بالمراحل الإبتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية، - ولله الحمد والمنة- ونسأل الله - عز وجل - دوامها أبداً لنا وللأجيال القادمة بإذن الله تعالى.

وسوف نقتصر في دراستنا الموجزة على ذكر الجامعات التي قصد من إنشائها خدمة العلوم الشرعية، ومنها العقيدة بصفة رئيسة، وهذا لا يعني

---

(١) نجد أن المناهج التعليمية في المراحل المختلفة قد روعي فيها أن العقيدة يستوعبها الطالب ويفهمها حسب عمره وقدراته العقلية، فكل مرحلة لها استيعابها وقدراتها، فيُتدرج فيها الطالب حتى يستوعبها كاملاً.

(٢) في لقاء مع منسوبي وطلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع القصيم بتاريخ ١٤٠٨/٨/٢٠هـ، (انظر "شباب العقيدة"، ص: ١٥٥).

عدم وجود جهود للجامعات الأخرى وكليات المعلمين وكليات البنات، لكنها ليست متخصصة في ذلك.

أولاً : جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

كان لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية الريادة في مجال الدراسات العليا بعد أن كان لها شرف السبق من حيث النشأة على يد الملك عبد العزيز آل سعود - تغمده الله بواسع رحمته- في عام ١٣٦٩هـ، ثم بعد تأسيس الكلية بتسعة عشر عاماً ظهرت الحاجة الماسة إلى إنشاء أقسام الدراسات العليا لتخريج الكوادر الوطنية التي تتولى مهام التدريس والبحث في مؤسسات وهيئات المملكة المختلفة، فصدر الأمر الملكي الكريم رقم م/١١ في ١٣٨٨/٥/٤ هـ بالموافقة على افتتاح قسم الدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة لمنح درجة الماجستير في فرعين هما :

١- الكتاب والسنة.

٢- الفقه وأصوله.

وفي عام ١٣٩٢/ ١٢٩٣ هـ أنشئ الفرع الثالث : وهو فرع العقيدة، وفي عام ١٣٩٤/ ١٣٩٥ هـ تمت الموافقة على برنامج الدكتوراه بقسم الدراسات العليا الشرعية.

وفي بداية عام ١٣٩٦/ ١٣٩٧ هـ تمّ افتتاح فرع الدراسات العليا الشرعية بقسم الطالبات في التخصصات السابقة.

وفي تاريخ ١٨/١٢/١٤٠٧ هـ صدر قرار معالي مدير الجامعة بنقل فرعي العقيدة والكتاب والسنة إلى كلية الدعوة وأصول الدين[١].

وبإحصائية سريعة للرسائل الجامعية[٢] المقدمة من الطلاب والطالبات في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة منذ إنشائه إلى الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/ ١٤٢٣ هـ، فإننا نتوصل إلى النتائج التالية :

أ- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة العالمية العالية "الدكتوراه" (١٢٥) مائة وخمساً وعشرين رسالة، منها : (١٠١) مائة وإحدى رسالة تمت مناقشتها، و (٢٤) أربع وعشرون رسالة مسجلة لم تناقش بعد.

ب- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة العالمية "الماجستير" (٢٢١) مائتين وإحدى وعشرين رسالة، منها : (١٨٣) مائة وثلاث وثمانون رسالة تمت مناقشتها، و (٣٨) وثمان وثلاثون رسالة مسجلة لم تناقش بعد.

ج- بلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة لمرحلتي الدكتوراه والماجستير منذ إنشاء القسم في عام ١٣٩٥ هـ إلى عام ١٤٠١ هـ كالآتي :

- (٦) ست رسائل جامعية لمرحلة الدكتوراه.
- (٤٩) تسع وأربعون رسالة جامعية لمرحلة الماجستير.

---

(١) انظر : دليل الرسائل الجامعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ص: د، هـ، إصدار عام ١٤٢٢ هـ، جامعة أم القرى.

(٢) انظر : المصدر السابق، ص: و، ح، ط، ٣٦- ٥٣، و"قوائم الرسائل المناقشة والمسجلة في قسم العقيدة، بإدارة الدراسات العليا، بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

د- بلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة لمرحلتي الدكتوراه والماجستير من عام ١٤٠٢هـ (بداية تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم) إلى عام ١٤٢٢ هـ كالآتي :

- (٩٥) خمس وتسعون رسالة جامعية لمرحلة الدكتورة.
- (١٧٤) مائة وأربع وسبعون رسالة جامعية لمرحلة الماجستير.

ثانياً : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

بدأت الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥ هـ، وكان باكورة نِتَاج المعهد من الرسائل عام ١٣٨٩ هـ، إذ أجاز (٢٢) رسالة ماجستير في ذلك العام وحده. وبعد ذلك بثماني سنوات بدأت الدراسات العليا تؤتي ثمارها، فأجازت كلية الشريعة عام ١٣٩٧هـ رسالتين، وفي عام ١٣٩٨ هـ انضمت كلية أصول الدين، وكلية العلوم الاجتماعية ثم توالت الوحدات الجامعية الأخرى في إجازة الرسائل العلمية بصفة منتظمة[1].

ويوجد قسم (العقيدة والمذاهب المعاصرة) في كلية أصول الدين في الرياض، وفي كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام- في القصيم، وفي كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام- في الجنوب في أبها (والتي ضمت مؤخراً إلى جامعة الملك خالد في الجنوب).

---

(١) انظر : دليل الرسائل الجامعية ١٣٨٩- ١٤١٣ هـ، ص: د، إعداد د.أحمد بن علي تمراز، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤١٤ هـ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قسم الدراسات العليا تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة يوجد في كلية أصول الدين في الرياض فقط، ولا يوجد في الفروع الأخرى المشار إليها.

وبنظرة سريعة في دليل الرسائل الجامعية المقدمة في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة منذ إنشائه إلى عام ١٤١٣ هـ[١]، وإلى قائمة عناوين رسائل قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لمرحلتي الماجستير والدكتوراه حتى عام ١٤٢٢هـ[٢] نتوصل إلى النتائج التالية:

أ- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة الدكتوراه (١٢٩) مائة وتسعاً وعشرين رسالة، منها: (٨٧) سبع وثمانون رسالة تمت مناقشتها، و(٤٢) اثنتان وأربعون رسالة لم تناقش بعد.

ب- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة الماجستير (٢٢٠) مائتين وعشرين رسالة، منها: (٢١٢) مائتان واثنتا عشرة رسالة تمت مناقشتها، و(١٨) ثمان عشرة رسالة لم تناقش بعد.

ج- لم تناقش رسائل جامعية في مرحلة الدكتوراه منذ إنشاء القسم إلى عام ١٤٠١هـ.

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢، ٣، ١١٢- ١٢٣، ٢٠٩- ٢١٤.

(٢) صدرت القائمة من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، واقتصرت القائمة على ذكر عناوين الرسائل الجامعية مرتبة حسب الأحرف الأبجدية، وأسماء الباحثين، والمرحلة العلمية، ولم يميز في القائمة بين الرسائل التي تمت مناقشتها والتي لم تناقش بعد.

د- تمت مناقشة (١٩) تسع عشرة رسالة في مرحلة الماجستير منذ إنشاء القسم إلى عام ١٤٠١هـ.

هـ- بلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة لمرحلتي الدكتوراه والماجستير من عام ١٤٠٢ هـ (بداية تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم) إلى عام ١٤٢٢هـ كالآتي :

- (٨٧) سبع وثمانون رسالة جامعية لمرحلة الدكتوراه.
- (١٨٣) مائة وثلاث وثمانون رسالة جامعية لمرحلة الماجستير.

ثالثاً : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

افتتح قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية يوم الأربعاء الموافق ٢٣ ذي القعدة عام ١٣٩٥هـ بعدد من الطلبة بلغ (١٦) ستة عشر طالباً في شعبة واحدة هي شعبة السنة.

وفي عام ١٣٩٧ / ١٣٩٨هـ افتتحت شعبة العقيدة، وكان عدد طلابها (٩) تسعة طلاب.

ثم تدرج قسم الدراسات العليا في النمو حتى أصبح عدد الشعب عام ١٤١١هـ عشر شعب، في التخصصات المختلفة.

وفي العام نفسه ١٤١١هـ دمجت جميع الشعب القائمة في قسم الدراسات العليا بالأقسام التي تنتمي إليها في كليات الجامعة بناء على قرار مجلس الجامعة

رقم (١١٨/١٤١٠)، وتمّ تعديل ما يلزم تعديله من لوائح الدراسات العليا[1].

وأصبحت شعبة العقيدة في الدراسات العليا مدمجة في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين من عام ١٤١١هـ.

وبالنظر إلى دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية[2] (المناقشة والمسجلة ١٣٩٦- ١٤٢٠هـ) وإلى فهرس الرسائل المقدمة في قسم العقيدة منذ إنشائه إلى نهاية الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ١٤٢٢- ١٤٢٣هـ سنجد النتائج التالية :

أ- بلغ عدد الرسائل العلمية المقدمة لمرحلة الدكتوراه (٧٧) سبعاً وسبعين رسالة، منها : (٦٥) خمس وستون رسالة تمت مناقشتها، و (١٢) اثنتا عشرة رسالة مسجلة لم تناقش بعد.

ب- بلغ عدد الرسائل العلمية المقدمة لمرحلة الماجستير (١٥٧) مائة وسبعاً خمسين رسالة، منها : (١١١) مائة وإحدى عشرة رسالة تمت مناقشتها، و (٤٦) ست وأربعون رسالة لم تناقش بعد.

ج- لم تناقش رسائل جامعية في مرحلتي الدكتوراه والماجستير منذ إنشاء القسم إلى عام ١٤٠١هـ.

---

(١) "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، ص: ٢٨٢- ٢٨٣، صدر عن الجامعة الإسلامية عام ١٤١٩هـ، بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

(٢) انظر : "دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية"، ص:١٢٣- ١٧٣، ٤٣٥- ٤٤٩ إعداد: قاعدة المعلومات في عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية عام ١٤٢٠هـ.

د- بلغ عدد الرسائل العلمية المناقشة لمرحلتي الدكتوراه والماجستير من عام ١٤٠٢هـ إلى نهاية الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/ ١٤٢٣هـ كالتالي :

- (٦٥) خمس وستون رسالة علمية لمرحلة الدكتوراه.
- (١١١) مائة وإحدى عشرة رسالة علمية لمرحلة الماجستير.

هـ- حصل على درجة العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في تخصص العقيدة طلاب من (٤٣) ثلاث وأربعين دولة من مختلف قارات العالم.

مما سبقت الإشارة إليه فإننا نتوصل إلى نتائج مهمة نذكر منها :

إن الرصد التاريخي لحركة الدراسات العليا في أقسام العقيدة بالجامعات السعودية يظهر أن بداية مرحلة الدراسات العليا في التخصصات الشرعية كانت في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله- الذي وسّع دائرة التعليم العام والتعليم الجامعي، وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله- الذي تميز عهده بالرخاء الاقتصادي فقامت نهضة شاملة في عهده شملت جميع الميادين ومنها أقسام الدراسات العليا في الجامعات، ثم نجد أن الدراسات العليا قد نضجت في عطائها وتطورت في مناهجها وأعداد طلابها في الفترة ما بين عام (١٤٠٢هـ) إلى عام (١٤٢٢هـ) أي خلال الفترة المباركة لتولي خادم الحرمين الشريفين – رحمه الله - مقاليد الحكم في هذه البلاد الغالية، (وهي فترة ذهبية من عمر الدراسات العليا، ففيها كانت الموافقة على استحداث برامج جديدة لمرحلتي الماجستير والدكتوراه، وفيها تنامى عدد الخرجين والخريجات في مختلف التخصصات، وفيها تم تطوير

اللوائح والأنظمة الخاصة بالدراسات العليا، وفيها أتيحت الفرصة لأعضاء هيئة التدريس للاحتكاك العلمي والإشراف والإرشاد الأكاديمي، وفيها - من خلال الدراسات العليا- قدّمت الجامعات يد العون لكثير من قطاعات الدولة لتنمية كوادرها الإدارية والفنية والأكاديمية(١).

المطلب الرابع:

عنايته بعقيدة السلف في المملكة.

لقد اعتنى خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- عناية بالغة في ترسيخ العقيدة السلفية في المملكة العربية السعودية ونشر العلوم الشرعية، وقد أشرنا إلى طرف من ذلك فيما سبق من المطالب السابقة، وسنورد هنا بعض الأمور الأخرى التي تتجلى فيها عنايته - رحمه الله- بالعقيدة في داخل المملكة، ومنها:

أولاً: العناية بالقرآن الكريم، المصدر الأول للعقيدة.

إن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية ومصدر هدايتها وعقيدتها وتشريعاتها وعزها وفخرها، قال - تعالى -: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾(٢)

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله- في تفسير قوله تعالى-: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾(٣) "إن

---

(١) مقال عن "الدراسات العليا في عهد خادم الحرمين الشريفين" -أ.د. صالح الكريم -جريدة عكاظ -العدد: ١٢٨٦٦.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٨.

القرآن الكريم قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله، وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبيّن الأدلة والبراهين عن ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلمهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعث بها الرسل كلهم ... ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين والعلوم الإلهية وأمور المعاد، والنبوات، والأخلاق والسياسات والعبادات، وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات، ومن أهل الرأي كالمتفلسفة وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر فضلاً عن أن يحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره"[1]

ولما كان القرآن الكريم أساس الوحدة وقوام الملة، ولن يستعيد المسلمون مكانتهم إلا بتمسكهم بهذا الكتاب العظيم وسنة المصطفى - ﷺ - ، ولن يتحقق التمكين الموعود إلا بالعمل على خدمة كتاب الله العزيز وحفظه ونشره وحسن تدبره وصدق العمل به.

كانت العناية بالقرآن الكريم في مقدمة أولويات واهتمامات خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- ، وتتجلى تلك العناية في مظاهر عديدة، من أبرزها ما يلي:

أ- إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في عام ١٤٠٣هـ، وبدأ تشغيله في شهر صفر عام ١٤٠٥هـ، ليكون تأكيداً عملياً وصادقاً لعناية خادم الحرمين الشريفين بالقرآن الكريم، فقد قال - حفظه

(١) "مجموع الفتاوى" : ٤٥/١٧، ٤٤، باختصار.

الله- عند وضع حجر الأساس للمجمع : "بسم الله الرحمن الرحيم، وعلى بركة الله العلي القدير، إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، والإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله العلي القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية، وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله، وهو القرآن الكريم لينتفع به المسلمون ويتدبروا معانيه"[1] اهـ.

ويهدف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- طباعة المصحف الشريف بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي.

٢- ترجمة وطباعة معاني وتفسير القرآن الكريم إلى أهم وأوسع اللغات انتشاراً.

٣- تسجيل تلاوة القرآن الكريم بأصوات مشاهير القرّاء.

٤- إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والسنة والسيرة النبوية المطهرة.

٥- نشر إصدارات المجمع على الشبكة العالمية.

٦- تلبية حاجة المسلمين في الداخل والخارج من إصداراته المختلفة.

وقد بلغ إنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف منذ تشغيله حتى عام ١٤٢٠هـ، أكثر من مائة وثلاثة وخمسين مليون نسخة (١٥٣,٠٠٠,٠٠٠

---

(١) كان ذلك في السادس عشر من شهر محرم عام ١٤٠٣هـ. (انظر "تطور كتابة المصحف الشريف"، ص: ٧٢، - أ.د محمد سالم العوفي).

نسخة) من مختلف الإصدارات، وزع منه على المسلمين في مختلف أنحاء العالم أكثر من مائة وواحد وعشرين مليون نسخة (١٢١,٠٠٠,٠٠٠ نسخة) هدية دون مقابل من حكومة المملكة العربية السعودية، إيماناً منها برسالتها، وإدراكاً لمسئوليتها تجاه كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وخدمة للدين ونشره في أرجاء الأرض[١].

ب- دعم وإقامة مدارس خاصة بتحفيظ القرآن الكريم: ابتدائية، ومتوسطة، وثانوية، بل وكليات وأقسام متخصصة في بعض الجامعات، بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ج- العناية بإذاعة القرآن الكريم: التي أنشأت عام ١٣٩٢هـ، وبدأت بثّها لمدة ست ساعات يومياً على فترتين للإرسال، ثم أخذت ساعات الإرسال في التطور السريع حتى وصل إرسالها في بداية شهر جمادى الأولى لعام ١٤١٧هـ إلى (٢٠) عشرين ساعة يومياً[٢].

د- العناية بالجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وتطويرها ودعمها مادياً ومعنوياً، ونشرها في كافة أرجاء المملكة العربية السعودية في المدن والقرى والهجر، وتكليف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالإشراف على الجمعيات

---

(١) انظر "تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه" ص: ٧٢، ٧٣، ١١٠، أ.د. محمد سالم العوفي.

(٢) انظر "جهود إذاعة القرآن الكريم وعلومه"، ص: ٩٢٨، محمد سعيد الصفار (تقرير)

الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، فشَكَّلت الوزارة مجلساً أعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وله أمانة عامة ترتبط بوزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد مباشرة[1].

هـ- العناية بتنظيم المسابقات في تلاوة وحفظ وتفسير القرآن الكريم، ليس على مستوى المملكة وحدها فقط، بل وعلى مستوى العالم، وتم تكوين أمانة عامة للإشراف على المسابقتين تتبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد[2].

و- إصدار خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله وأيّده- أمره الكريم بتخفيف مدة السجن عمّن يحفظ كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - تشجيعاً على حفظه والعمل به والتزامه.

ثانياً: العناية بالمصدر الثاني للعقيدة وهو : السنة النبوية المطهرة.

إذا كان القرآن الكريم المصدر الأول للإسلام في العقيدة والشريعة والمعاملات والأخلاق، فإن السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني التطبيقي والبياني الموضح والمتمم للقرآن الكريم في جميع أحكامه وتشريعاته.

ومن هنا جاء اهتمام خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- بالسنة والسيرة النبوية، مكمّلاً لاهتمامه بكتاب الله- عَزَّ وَجَلَّ - ، فصدر الأمر السامي الكريم في ١٤٠٦/٤/٢٠هـ برقم ٧٩٣/٥/م بالموافقة السامية على إنشاء مركز خدمة السنة والسيرة النبوية تحت إدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة

(١) انظر "الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وجهودها في المملكة العربية السعودية، ص: ١٣- ١٧، د. بدر بن ناصر البدر.

(٢) انظر "تطور كتابة المصحف الشريف وطباعة" ص: ٦٦، أ.د. محمد سالم العوفي.

المنورة، بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ويهدف المركز إلى خدمة السنة والسيرة النبوية في مجالاتها الواسعة وعلى الأخص :

١- جمع وحفظ الكتب المخطوطة والمطبوعة والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية وتيسيرها للباحثين.

٢- إعداد موسوعة في الحديث النبوي وموسوعات أخرى في خدمة السنة والسيرة النبوية وفقاً للخطط التي يضعها مجلس المركز.

٣- تحقيق ما يمكن من كتب السنة والسيرة النبوية وإعداد البحوث العلمية التي تخدم السنة والسيرة النبوية.

٤- ترجمة ما تدعو الحاجة إليه من كتب السنة والسيرة النبوية وما يتعلق بها.

٥- رد الأباطيل ودفع الشبهات عن ساحة السنة والسيرة النبوية.

٦- نشر الأعمال المنجزة في المركز في مجال التأليف والتحقيق والترجمة.

٧- التعاون مع المراكز والهيئات والمؤسسات العلمية التي تعمل في خدمة السنة والسيرة النبوية داخل المملكة وخارجها فيما يخدم المركز وتحقيق أهدافه.

٨- الاستفادة من خبرات ذوي الشهرة العلمية في السنة والسيرة النبوية.

٩- الاستفادة من الحاسوب في جمع السنة وبرمجة المعلومات المتعلقة بها وبعلومها.

وتتلخص أهم إنجازات المركز فيما يلي :

- إصدار أربعة كتب وهي :

١. "فضائل المدينة" - د. صالح الرفاعي، في مجلد واحد.

٢. "بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث" –للحافظ علي بن سليمان الهيثمي، في مجلدين.

٣. "السيرة النبوية والمستشرقون" – د. محمد مهر علي، باللغة الإنجليزية، في مجلدين.

٤. "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف الكتب العشرة" –للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، وصدر منه "١٧" مجلداً[١].

- إصدار برامج موسوعية وهي :

موسوعة الرواة، موسوعة المتون، موسوعة السيرة النبوية.

كما تتجلى عناية خادم الحرمين الشريفين بالسنة النبوية في طباعته ونشره لكتب السنة الشريفة على نفقته الشخصية، ومن تلك الكتب :

- "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، بتحقيق مجموعة من العلماء، ونشر مؤسسة الرسالة، وهو موسوعة حديثية صدرت في (٥٠) خمسين مجلداً، في طبعة متميزة فاخرة، أمر الملك فهد - أجزل الله مثوبته- بتوزيع الكتاب على نفقته خدمة للعلم وطلابه.

- "تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله - ﷺ- من الأخبار"، تأليف الإمام محمد بن جرير الطبري، بتحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد، وطبع الكتاب في مطابع الصفا بمكة المكرمة، سنة ١٤٠٤هـ.

(١) انظر "نبذة تعريفية عن مركز خدمة السنة والسيرة النبوية وإنجازاته، وكتاب "تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته"، ص: ٩٩- ١٠٤، أ.د محمد سالم العوفي.

- "مجموعة الحديث" المعروف بـ (مجموعة الحديث النجدية) ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، الرياض –سنة ١٤١٩هـ.

ثالثاً : العناية بطباعة ونشر كتب السلف.

اعتنى خادم الحرمين الشريفين بطبع كتب السلف ونشرها بين الناس على نفقته الشخصية ، حرصاً منه - رحمه الله- على نشر العقيدة السلفية وتثبيتها في نفوس الناس ، ونشر العلم النافع ، واقتداءً بوالده الكريم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله- الذي كان كثير الاحتفاء

بالعلماء وطلبة العلم ، قوي الحرص على نشر كتب العقيدة السلفية والعلم النافع.

ويؤكد الملك فهد - رحمه الله- حرصه على ذلك بقوله : "أؤكد لكم أن المملكة العربية السعودية من واقع تطبيقها لأحكام الشريعة الإسلامية تحرص - بعون الله ومدده - على نشر علوم القرآن والسنة النبوية المطهرة"[(١)].

ولو أردنا أن نستقصي مظاهر تلك العناية لطال بنا الحديث واحتاج الأمر إلى مؤلف مستقل فيه ، ولكن حسبنا أن نشير إلى نماذج من تلك العناية الكريمة من خلال الأمور التالية :

---

(١) من كلمة له في المسابقة الدولية (١١) لتلاوة القرآن الكريم وتفسيره وتجويده في ١٤/٦/١٤٠٩هـ، (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص : ٥٠)

أ- الكتب التي أمر خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- بطباعتها على نفقته الشخصية.

وهي كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية" - رحمه الله تعالى- ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، ويقع الكتاب في (٣٧) سبعة وثلاثين مجلداً، وهو كتاب غني عن التعريف به لشهرته بين العلماء وطلبة العلم في عصرنا، فهو موسوعة شاملة في علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه والشريعة بصفة عامة، وتقع مسائل العقيدة في مجموع الفتاوى في (١٢) اثني عشر مجلداً منها.

وقد أمر بطباعة هذا السفر القيّم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - أجزل الله مثوبته- عدة مرات منها : طبعة عام ١٣٩٨هـ، حينما كان الملك فهد ولياً للعهد، وآخر طبعة أمر بها الملك فهد في عام ١٤١٦هـ، في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، فصدرت في طبعة متميزة فاخرة أمر الملك فهد بتوزيعها على العلماء وطلبة العلم.

٢- "كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة"، إعداد نخبة من العلماء، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة ١٤٢١هـ.

٣- "مجموعة التوحيد" المعروفة بـ(مجموعة التوحيد النجدية) وهي مجموعة كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في مجلد واحد، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

٤- "عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث" لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

٥- "اقتضاء الصراط المستقيم"، للإمام ابن تيمية، وقد طبع في مطبعة السنة المحمدية، في القاهرة سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٦- "الورد المصطفى المختار من كلام الله تعالى وكلام سيد الأبرار" — اختيار الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وثق نصوصه/ محمد بن عبد الله آل فهيد، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

٧- "خطب الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعض أحفاده" —رحمهم الله تعالى- ، في مجلد واحد، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

٨- "الداء والدواء" للإمام ابن القيم، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

٩- "منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب" للشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمّر المتوفى سنة ١٢٤٤هـ، تحقيق د. محمد بن عبد الله السَّكاكر، ويقع في مجلدين، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٠- "جامع العلوم والحكم" للحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٣هـ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١١- "الآداب الشرعية" للإمام عبد الله محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة ٧٦٣هـ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٢- "الإقناع لطالب الانتفاع" للعلامة شرف الدين موسى بن أحمد أبو النجا الحجاوي المقدسي المتوفى سنة ٩٦٨هـ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٣- "المغني، شرح مختصر الخِرقي"، للإمام موفق الدين أبي حمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ويقع الكتاب في (١٥) خمسة عشر مجلداً، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٤- "عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة"، للإمام ابن شاس، وقد وجه خادم الحرمين الشريفين أمره إلى مجمع الفقه الإسلامي بجدة بطباعة الكتاب ليكون باكورة إنتاج المجمع[١].

١٥- "تحفة الناسك بأحكام المناسك" للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

---

(١) "جريدة الندوة"، العدد: ٩٤٦٧، الصادرة في ١٤٢٠/٨/١٤هـ.

١٦- الإيضاح والتحقيق لكثير من مسائل الحج والعمرة" للشيخ عبد العزيز بن باز، طبع مرات عديدة منها طبعة المكتب السعودي التعليمي في المغرب سنة ١٤٠٠هـ.

١٧- "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٢٦هـ، ويقع في ثلاثة مجلدات، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

ب- الكتب التي طبعت ولا تزال تطبع على نفقة أصحاب السمو الملكي الأمراء.

ويأتي في مقدمتهم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني – حفظه الله وأيده - ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - رحمه الله- ، وقد دأب أصحاب السمو الملكي الأمراء على طباعة ونشر كتب العلم وتوزيعها على طلبة العلم ابتغاءً للأجر والثواب من الله- ﷻ- ، واقتداءً بوالدهم الكريم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله- .

ج- الكتب التي طبعت ونشرت عن طريق المؤسسات الحكومية.

إن مما يميز المملكة العربية السعودية وجود أجهزة ومؤسسات حكومية تتعهد كتب العلم - وخاصة فيما يتعلق بكتب العقيدة والعلوم الشرعية- طباعة ونشراً وتوزيعاً بعشرات الآلاف من النسخ، ومن أبرز تلك المؤسسات الحكومية:

١- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وفيها وكالة الوزارة للمطبوعات والنشر.

٢- وزارة التعليم العالي، ممثلة في جامعاتها، وبخاصة الجامعات المتخصصة في العلوم الشرعية، كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وفروعها، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٣- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

٤- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٦- الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

٧- إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع، وجهاز الإرشاد والتوجيه في رئاسة الحرس الوطني، وغيرها من القطاعات.

ويصعب حصر أسماء وأعداد الكتب المطبوعة في مجال العقيدة والعلوم الشرعية لمؤسسة واحدة من هذه المؤسسات أو جامعة من الجامعات، فهي - ولله الحمد والمنة- تطبع بعشرات الألوف وتوزع مجاناً لطلبة العلم ومستحقيها من الناس وخاصة في موسم الحج.

د- الكتب التي طبعت ونشرت عن طريق المنظمات والجمعيات.

إن المملكة العربية السعودية خاصة لكل عمل فيه نشر الإسلام وخدمة للمسلمين، فمن المأمول أن يكثر فيها المنظمات والمؤسسات الدعوية والجمعيات الخيرية، وأن يكون من عملها طباعة ونشر الكتب الإسلامية، ومن أبرزها :

١- رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وهيئاتها التابعة لها وفي مقدمتها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

٢- الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض.

٣- المؤسسات الخيرية والدعوية كمؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ومؤسسة الحرمين الخيرية وغير ذلك.

وقد طبعت هذه المنظمات والهيئات عدداً كبيراً يصعب حصره من الكتب التراثية والمؤلفات ، وخاصة في مجال العقيدة والعلوم الإسلامية وتوزيعها.

هـ- الكتب التي طبعت عن طريق المكتبات والمطابع التجارية أو عن طريق الأفراد.

شهدت المملكة العربية السعودية نهضة شاملة في العهد الزاهر لخادم الحرمين الشريفين – رحمه الله- في جميع المجالات ، وبخاصة النهضة التعليمية الجامعية والثقافية ، مما كان لها دور كبير في دفع حركة التأليف وطباعة ونشر الكتب وخاصة في مجال العقيدة والعلوم الإسلامية ، فطبع العديد من كتب التراث والمؤلفات في علم العقيدة - وكثير منها رسائل جامعية- عن طريق المكتبات والمطابع التجارية أو عن طريق الأفراد ومن تلك الكتب :

- "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ، للإمام الحافظ اللالكائي.
- "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة" ، للإمام الحافظ إسماعيل بن محمد الأصبهاني.
- "صريح السنة" ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

- "الشريعة"، للإمام أبي بكر الآجري.
- "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"، للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي.
- ومن المؤلفات: "أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة"، تأليف د.محمد بن عبد الرحمن الخميس.
- "منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة"، تأليف د.سعود بن عبد العزيز الدعجان.
- "منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة"، د.محمد بن عبد الوهاب العقيل.
- "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة"، جمع ودراسة د.عبد الإله بن سلمان الأحمدي.

وغير ذلك من الكتب والمؤلفات، ولله الحمد والمنة.

رابعاً: دعوة المسلمين لهذه العقيدة عن طريق الإعلام المباشر.

لقد أصبح الإعلام بجميع وسائله من الأمور الأساسية في حياة الأمم، حيث إنه يعكس حياة الأمة ويمثل عقيدتها وأفكارها وتطلعاتها وتاريخها ومبادئها.

ويبين لنا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد أهمية الإعلام ووظيفته وعلاقته بالعقيدة فيقول: "إن الإعلام أصبح شيئاً أساسياً في حياة الأمم .. ربما كان الاهتمام بالنواحي الإعلامية في السابق قليلاً أو ربما لم نكن نهتم - كبلدان إسلامية- اهتماماً كبيراً بالإعلام كما هو حاصل الآن، ويجب أن نهتم بالإعلام حتى نوضح للعالم أجمع أن العقيدة الإسلامية هي عقيدة

سلام واستقرار وبنيت على أسس وقواعد أنزلها رب العزة والجلال في محكم كتابه وبيَّنها رسول الله - ﷺ - "[1].

ويقول - رحمه الله- أيضاً- : "لا شك أن العاملين والقائمين على محطات التلفزيون أو الإذاعة أو المجلات أو الصحف هم عاملون في وطن يحتاج دائماً إلى إبراز العقيدة الإسلامية بشكل واضح، لأن هذا البلد قيادي بالنسبة للعقيدة الإسلامية، وهذا أمر شرفه به رب العزة والجلال لأنه يحتوي على بيت الله الحرام في مكة المكرمة ومسجد نبيه في المدينة المنورة"[2].

انطلاقاً من هذه الكلمات الإيمانية والتوجيهات السامية فقد صدرت السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية من مجلس الوزراء برقم ١٦٩ وتاريخ ١٤٠٢/١٠/٢٠هـ منبثقة من الإسلام الذي تدين به هذه الأمة عقيدة وشريعة ودستوراً، وسنعرض ما يوضح ذلك بمختارات من السياسة الإعلامية كالتالي :

"**المادة الأولى** : يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام في كل ما يصدر عنه، ويحافظ على عقيدة سلف هذه الأمة ويستبعد من وسائله جميعها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس.

المادة الثانية : يعمل الإعلام السعودي على مناهضة التيارات الهدامة، والاتجاهات الإلحادية والفلسفات المعادية ومحاولات صرف المسلمين عن

---

(١) من كلمة له في افتتاح مؤتمر وزراء إعلام الدول الإسلامية في ١٤٠٩/٣/١هـ (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص: ٨٦).

(٢) من كلمة له في رعاية حفل افتتاح مبنى تلفزيون القصيم في ١٤٠٨/٨/١٥هـ (انظر المرجع السابق ص: ١٨٤).

عقيدتهم، ويكشف زيفها ويبرز خطرها على الأفراد والمجتمعات والتصدي للتحديات الإعلامية المعادية بما يتفق مع السياسة العامة للدولة.

المادة الثالثة : تدأب وسائل الإعلام على خدمة المجتمع وذلك عن طريق تأصيل قيمه الإسلامية الثمينة، وترسيخ تقاليده العربية الكريمة والحفاظ على عاداته الخيرة الموروثة، ومقاومة كل ما من شأنه أن يفسد نقاءه وصفاءه، وتعنى في دفع التنمية والتعاون من المؤسسات المختلفة في هذا المجال.

المادة الرابعة : تعمل وسائل الإعلام على خدمة سياسة المملكة القائمة على صيانة المصالح العليا للمواطنين خاصة، والعرب والمسلمين عامة، وذلك بتبني هذه السياسة وعرضها عرضاً موضوعياً مدعماً بالوثائق مؤيداً بالمواقف والحقائق.

المادة الخامسة : تهتم وسائل الإعلام داخلياً وخارجياً بإبراز شخصية المملكة العربية السعودية الفريدة المتميزة، وتكشف عما حباها الله من نعمة الاستقرار والأمن، وما يسّر لها من التقدم في شتى المجالات باعتمادها الإسلام دستوراً للحكم وشريعة في الحياة، كما تبرز ما منّ الله به عليها من خدمة مقدسات المسلمين وما تنهض به من أعباء كبار في هذا المجال.

المادة الثانية والعشرون : يؤكد الإعلام السعودي أن الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكاً في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة معتمداً على مخاطبة الفكر، ومبتعداً عن كل ما من شأنه أن يثير حفائظ الآخرين.

المادة الثالثة والعشرون : تعمل المؤسسات الإعلامية السعودية مع نظيراتها في العالم الإسلامي عامة والعربي منه خاصة على تبني منهج إعلامي موحد يخدم مصالح المسلمين الدينية والدنيوية، ويمثل وحدتهم الفكرية والحضارية ويؤلف بين قلوبهم"[1] .

ولذلك نجد أن الصحافة السعودية قد عمدت إلى نشر الوعي والثقافة الإسلامية بين المواطنين،

ونشر توجيهات إسلامية في صفحات وملاحق خاصة بالثقافة الإسلامية، وفي المجلات المتخصصة ،

كمجلة الدعوة ومجلة البحوث الإسلامية[2] .

أما الإذاعة فتوجد بها العديد من القنوات الإذاعية وهي :

أ- البرنامج العام من الرياض، ونسبة البرامج الدينية فيه ٣٠ ٪.

ب- البرنامج الثاني من جدة، ونسبة البرامج الدينية فيه ٥ ٪.

ج- إذاعة التوعية في الحج، وتبث إرسالها الإذاعي في موسم الحج كل عام بدءاً من شهر ذي القعدة وحتى نهاية شهر ذي الحجة، ويبدأ إرسالها من الساعة السادسة صباحاً وحتى الساعة الثانية عشرة ليلاً.

---

(١) انظر : "الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية" : ١/١٦٦- ١٧٦، إعداد المحامي سليمان الشايقي.

(٢) "الإعلام السعودي في خدمة القرآن" بتصرف واختصار، تقرير مقدم من د.محمد بن مخلف الخلف، في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم في الفترة من ٣- ٦ رجب ١٤٢١هـ.

د- إذاعة نداء الإسلام، وهي إذاعة دينية تهدف إلى خدمة الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم أجمع، وغرس روح العقيدة السمحة والقيم الفاضلة للإسلام، ومن برامجها (العقيدة والحياة).

هـ- إذاعة القرآن الكريم، - وقد سبق الحديث عنها- وتمثل التلاوات القرآنية ٧٥ ٪ من بثّها، أما النسبة الباقية فهي لعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويصل بث إذاعة القرآن الكريم عن طريق الأقمار الصناعية إلى أنحاء القارات الخمس كافة تقريباً، ومن برامجها (تأثر السلف بالقرآن الكريم)، و(نور على الدرب)، و(السنة والبدعة) وغيرها[١].

وأما التلفزيون السعودي فإن نسبة البرامج الدينية والثقافية فيه تبلغ ٢٥٪، وترتفع النسبة في شهر رمضان المبارك إلى ٧٠ ٪، ومن البرامج الدينية في التلفزيون (دين ودنيا)، و(فتاوى على الهواء) وغيرها[٢].

خامساً: عنايته ودعمه للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نظام الحسبة من أصول دين الإسلام، ومن أجلها كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، قال الله – تعالى- : ﴿ ولتكم منكم أمة يدعون

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢١- ٣٢ باختصار، وانظر: "جهود إذاعة القرآن الكريم"، تقرير مقدم من الشيخ محمد بن سعيد الصفار في الندوة السابقة.

(٢) انظر "الإعلام السعودي في خدمة القرآن الكريم" ص: ٣٣- ٤٢ باختصار.

إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1]، وقد تولاّه الرسول- ﷺ - بنفسه ثم تبعه خلفاؤه من بعده، وكانوا يعيّنون على الأسواق وأمور الناس من يراقبها، ثم تطور حتى أصبح علماً مستقلاً وولاية لها شأنها في الإسلام.

وقد كان - ولا يزال بحمد الله تعالى- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركيزة من أهم ركائز الدولة السعودية منذ نشأت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري • ومروراً بأدوارها الثلاثة[2]، ومما انفردت به عن غيرها من الدول الإسلامية.

وقد كانت بداية تأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كجهاز مستقل في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله- بإصداره الأمر الملكي بتاريخ ١٨/١/١٣٤٧هـ[3].

ثم تتابع الملوك من أبناء الملك عبد العزيز –رحمه الله- في الاعتناء بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، ودعمها، وتهيئة كل السبل لنجاح أعمالها.

---

(١) سورة آل عمران، آية : ١٠٤.

(٢) "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية"، ص: ١٩٢، أ.د صالح السدلان.

(٣) "الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص: ٤٥١، ٤٨٣، ٤٨٤، - د. عبد الرحيم المغذوي.

(٤) تغيّر مسمى الهيئة إلى (الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، في عهد الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله- بتاريخ ١٣٩٦/٩/٣هـ. (انظر "نظام الحسبة في الإسلام"، ص: ٢٠٦، عبد العزيز المرشد).

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- بلغت العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن احتوى النظام الأساسي للحكم –في المادة الثالثة والعشرين[1]- على قيام الدولة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويؤكد ذلك خادم الحرمين الشريفين بقوله : "ولهذا فإن الحكم في هذا البلد بني على أسس وقواعد من مئات السنين وليس بشيء جديد، وأهم شيء من الأمور التي تفتخر بها البلاد والمسؤولون فيها هي أنها البلد الوحيد الذي تطبق فيه شريعة الله ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذه من القواعد الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية"[2].

ويعتبر عهد الملك فهد - رحمه الله- الفترة الذهبية لتطبيق نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولوائحه التنفيذية التي صدرت بقرار معالي الرئيس العام ذي الرقم ٢٧٤٠ وتاريخ ١٤٠٧/١٢/٢٤هـ، المبني على موافقة صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم ٥٢٠٤٨/١٦ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٤هـ، تمشياً مع المادة (١٩) من نظام الهيئة[3].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى ما ورد في اختصاصات الهيئة وواجباتها في اللائحة التنفيذية في مجال العقيدة، حيث جاء فيها : "إرشاد الناس ونصحهم لاتباع الواجبات الدينية المقررة في الشريعة الإسلامية وحملهم على أدائها،

---

(١) انظر : المطلب الأول من المبحث الثالث.

(٢) انظر: "مجلة الدعوة" ١٤١٣/٦/٣هـ، وكتاب "الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تاريخها أعمالها"، ص: ١٥٩ ، إصدار الرئاسة العامة للهيئة.

(٣) انظر: "كتاب "الرئاسة العامة"، ص: ١٤٦.

وكذا النهي عن المنكر بما يحول دون ارتكاب المحرمات والممنوعات شرعاً، واتباع العادات والتقاليد السيئة أو البدع المنكرة، ويكون باتباع الآتي :

مراقبة الأسواق العامة والطرقات والحدائق وغير ذلك من الأماكن العامة والحيلولة دون وقوع المنكرات الشرعية والتي منها :

- إظهار غير المسلمين لمعتقداتهم، أو شعائر مللهم، أو إظهارهم عدم الاحترام لشعائر الإسلام وأحكامه.
- عرض أو بيع الصور، والكتب، أو التسجيلات المرئية، أو الصوتية المنافية للآداب الشرعية، أو المخالفة للعقيدة الإسلامية اشتراكاً مع الجهات المعنية.
- عرض الصور المجسمة أو الخليعة، أو شعارات الملل غير الإسلامية كالصليب أو نجمة داود، أو صور بوذا أو ما ماثل ذلك.
- البدع الظاهرة كتعظيم بعض الأوقات، أو الأماكن غير المنصوص عليها شرعاً، أو الاحتفال بالأعياد، والمناسبات البدعية غير الإسلامية.
- أعمال السحر والشعوذة، والدجل لأكل أموال الناس بالباطل[(١)].

ومن مظاهر الدعم والمؤازرة من لدن خادم الحرمين الشريفين - وفقه الله- للهيئة ما يلي :

---

(١) انظر "نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللائحة التنفيذية، ص: ٢١- وما بعدها، و"الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها أعمالها"، ص: ١٤٦، ١٤٧.

- صدور أوامر خادم الحرمين الشريفين بمنح الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقر إدارة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض (سابقاً) ليكون مقراً لإدارتها.
- صدور التوجيهات الكريمة بدعم الرئاسة بعلماء أكفاء من حملة العلم الشرعي والكفاءات العالية.
- صدور التوجيهات الكريمة للجهات المختصة باعتماد مقرات لمراكز الهيئة في جميع المخططات التي يتم إعدادها وتوزيعها من قبل الدولة[1].

سادساً : مراكز الدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

تنتشر مراكز الدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في جميع مدن المملكة العربية السعودية وفي قراها وهجرها، ويشرف على نشر العقيدة السلفية فيها والدعوة عموماً علماء وطلبة علم، عن طريق إلقاء الكلمات التوجيهية والنصائح الدينية بعد الصلوات في المساجد والمدارس والإدارات الحكومية والشركات وغيرها، كما تقوم المراكز بالتعاون مع الجامعات والكليات الشرعية بتنظيم الدروس العلمية الدينية في المساجد، وإلقاء المحاضرات، وتنظيم الندوات في المساجد والمراكز العلمية والثقافية، وتقوم المراكز بإرسال الدعاة وطلبة العلم إلى القرى والهجر النائية لإلقاء خطبة الجمعة وعقد الدروس والدورات الشرعية وإلقاء

(١) انظر "الأنشطة الدعوية في المملكة"، ص: ١٩٩٤، ١٩٥، أ.د صالح السدلان.

الكلمات والنصائح التوجيهية، مما كان لهذه الجهود الطيبة أثر مبارك عند الناس في تعليمهم العقيدة السلفية وتثبيتها وتعليمهم أمور دينهم ومحاربة الجهل والبدع.

وقد أنشأت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد إدارة مسؤولة عن توعية المسلمين في المملكة العربية السعودية والدول المجاورة لها في الخليج العربي والجنوب، وتسمى (الإدارة العامة للدعوة في الداخل ودول الجزيرة العربية) ويتفرع عنها خمس إدارات وهي :

١. إدارة الدعوة في الجنوب.
٢. إدارة الدعوة في المنطقة الغربية.
٣. إدارة الدعوة في المنطقة الشمالية والشرقية.
٤. إدارة الدعوة في المنطقة الوسطى.
٥. الإدارة العامة للدعوة في الخليج العربي.

وتقدم الإدارة العامة للدعوة في الداخل برسالة الدعوة إلى الله من خلال الإدارات الفرعية، وبواسطة دعاتها التابعين لها، والبالغ عددهم (٢٦٠) داعية، والموزعين على ما يزيد على (٣٠) ثلاثين مركزاً في الداخل ودول الجزيرة العربية[١].

---

(١) انظر "من جهود المملكة العربية في الدعوة إلى الله"، ص: ٢١٠، - إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد جهوداً دعوية في الداخل - أيضاً- من خلال مراكز الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج (رئيسية وفرعية ومتجولة) والبالغ عددها (٥٧) مركزاً منتشرة بمنافذ وموانئ عبور الحجاج والمواقيت المكانية، وبمناطق المشاعر المقدسة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، تعمل من خلال الدعاة المتواجدين بها على نشر العقيدة الإسلامية وتوضيحها، وتوعية الحجاج بمناسك حجهم وعمرهم، وتوجيههم لتلافي الأخطاء التي تؤثر في مناسكهم، كما تعمل على تذكير ضيوف الرحمن بمراعاة حرمة المكان والزمان، والالتزام مع إخوانهم في الدين بمبدأ الأخوة الإسلامي وأهميته في توثيق عرى الصلة بين المسلمين[١].

سابعاً : مراكز توعية الجاليات.

إن مما تتميز به المملكة العربية السعودية عن غيرها من الدول انتشار مكاتب الدعوة والمراكز التعاونية لتوعية الجاليات في كافة ربوع المملكة، وهي تقوم بجهود مباركة وأعمال دعوية مشهودة، يرشدون ويدعون ويوجهون وينصحون، ويستفيد من تلك المكاتب والمراكز أعداد كبيرة من الوافدين من المسلمين وغيرهم، فكم من حائر قد هدوه، وكم من قتيل لإبليس قد أحيوه[٢].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص: ٢١٣، ٢١٤.

(٢) من كلمة لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بمناسبة معرض الدعوة بالمنطقة الشرقية. (انظر "الجاليات"،

وتهدف هذه المراكز إلى الدعوة إلى التوحيد، وبيان حقيقته، ودحض شبه الخرافيين حوله، وكشف أساليبهم التي يلبسون بها على الدهماء الذين لا بصيرة لديهم من العلم، وتختص هذه المراكز بما يلي :

١. دعوة غير المسلمين من الجاليات وغيرهم إلى الإسلام بالوسائل المشروعة والمتاحة.
٢. محاربة البدع والضلالات والقضاء على الخرافات وإزالة الشبه التي تعترض بعض من دخل حديثاً في الإسلام، وتبصيرهم بأمور دينهم.
٣. تقوية الروابط بين المسلمين عموماً، وإعداد الدعاة لنشر دين الله في الداخل والخارج.
٤. توعية المواطنين بأهمية دور الجاليات[1].

ومن أبرز برامج المراكز لتحقيق أهدافها :

١. إقامة الدروس الشرعية والعربية.
٢. القيام بزيارات ميدانية للشركات والمؤسسات لإلقاء المحاضرات والدروس والكلمات التوجيهية وفق ترتيب مسبق مع إدارة تلك الشركات والمؤسسات.
٣. طباعة الكتب والنشرات وتسجيل الأشرطة وترجمتها إلى عدد من اللغات.

ص: ٢، نشرة داخلية تصدر عن مركز دعوة الجاليات بالجبيل، العدد الرابع –ربيع الأول ١٤٢٢هـ).

(١) "الأنشطة الدعوية"، ص: ٣٦٣، أ.د صالح السدلان، بتصرف بسيط.

٤. تنفيذ البرامج المساندة كالمخيمات ورحلات العمرة والحج للمستفيدين والمسلمين الجدد.

وهذه المراكز تعمل تحت مظلة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ووفق توجيهاتها[١].

وتتولى شعبة الجاليات في الإدارة العامة للدعوة في الداخل ودول الجزيرة العربية في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الإشراف على مكاتب ومراكز توعية الجاليات، والتي تربو على مائة مكتب[٢] - ولله الحمد والمنة- ونذكر بعضاً منها :

١. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالرياض.
٢. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجدة.
٣. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالقصيم.
٤. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة.
٥. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحائل.
٦. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجيزان.
٧. مركز دعوة الجاليات بالجبيل.

---

(١) من كلمة معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ –وزير الشؤون الإسلامية. (المرجع السابق)

(٢) "من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله"، ص: ٢١١- ٢١٣، و"الأنشطة الدعوية في المملكة"، ص: ٣٦٣- ٣٦٧، أ.د صالح السدلان.

المطلب الخامس:

عنايته بالدعوة إلى العقيدة السلفية في خارج المملكة.

لقد اهتم خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- بالدعوة إلى الله - ﷻ - ابتغاء مرضاة الله – تعالى - وقياماً بواجب المسؤولية، وبيّن ذلك بقوله: "المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام، هي منهم ولهم، ونشأت أساساً لحمل لواء الدعوة إلى الله، ثم شرفها الله بخدمة بيته وحرم نبيه، فزاد بذلك حجم مسؤوليتها، وتميزت سياستها وتزايدت واجباتها، وهي إذ تنفذ تلك الواجبات على الصعيد الدولي تتمثل ما أمر به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة"[1].

ولذلك نصّ الملك فهد في النظام الأساسي للحكم (المادة ٢٣) على أن من وظائف الدولة القيام بواجب الدعوة إلى الله[2].

ولم تقتصر الدعوة إلى الله في داخل المملكة وخارجها في الدول الإسلامية بل تعداها إلى الأقليات الإسلامية والدول غير الإسلامية في شتى أنحاء العالم.

ومن مظاهر تلك العناية الكريمة من خادم الحرمين الشريفين بالدعوة إلى العقيدة السلفية في خارج المملكة ما يأتي:

أولاً: الاهتمام بتوزيع القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغات العالمية.

لقد تقدمت الإشارة إلى الجهود المباركة والكبيرة للملك فهد في طباعة المصحف الشريف وتوزيعه، [3]ونودّ الإشادة هنا بجهد آخر كبير ومتميز في هذا

---

(١) من كلمة له في عيد الفطر المبارك عام ١٤٠٢هـ. (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص: ٤٠، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص: ٨٨).
(٢) انظر المطلب الأول من المبحث الثالث.
(٣) انظر المطلب الرابع من المبحث الثالث.

المجال، وهو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف لغات العالم والتي بلغت حتى عام ١٤٢٠هـ ثلاثين لغة[١] من لغات العالم المختلفة، فأنشأ لذلك مركز متخصص للترجمات في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وقد تمّ توزيع تلك الترجمات في داخل المملكة وخارجها إلى نهاية عام ١٤٢٠هـ على النحو التالي :

- قارة آسيا : (١٠,٨٦٤,٤٣٩) نسخة.
- قارة أفريقيا : (١٠٤٩٣٩٨) نسخة.
- قارة أوروبا : (٢٠٨٣٤٠٨) نسخة.
- قارة أمريكا : (٤٠٥٨٥٤) نسخة.
- قارة أستراليا : (٥٤٨٠٠) نسخة.

---

(١) وهي ؛ الأردية، والأسبانية، والألبانية، والإندونيسية، والإنجليزية، والأنكو، الأورمية (صوتية)، والإيغورية، والبراهوئية، والبشتو، والبنغالية، والبورمية، والبوسنية، والتاميلية، والتايلندية، والتركية، والزولو، والصومالية، والصينية، والفارسية، والفرنسية، والقازاقية، والكشميرية، والكورية، والمقدونية، والمليبارية، والهوسا، واليوربا، واليونانية، والتغالوغ. (انظر "عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه"، ص: ٣١، أ.د محمد سالم العوفي).

وأضيفت ترجمات جديدة إلى عام ١٤٢٢هـ وهي ؛ الأمهرية، والإيرانونية، والألمانية، والروسية، والسندية، والشيشوا، والغجرية، والمندرية، وبذلك بلغ عدد ترجمات معاني القرآن الكريم الصادرة عن المجمع (٣٨) لغة. (انظر "جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة" –تقرير أعده مركز الترجمات بالمجمع، ضمن بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل في الفترة من ١٠- ١٢ صفر ١٤٢٣هـ).

- معارض المملكة في الخارج : (٢٧٨٦٦) نسخة.
- هدية حجاج بيت الله الحرام : (١٣٧٧٦٦٧) نسخة.

وقد بلغ المجموع الإجمالي مما تمّ توزيعه من الترجمات : (١٥٨٦٣٤٣٢) نسخة[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً من الجهود المبذولة في مجال ترجمة كتب العقيدة الصحيحة ونشرها ما تقوم به وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، والندوة العالمية للشباب الإسلامي في ترجمة الكتب الشرعية وخاصة في مجال العقيدة باللغات العالمية المختلفة وتوزيعها على الناطقين بها في مختلف أنحاء العالم، ومن الكتب المترجمة في العقيدة : "كتاب العقيدة الواسطية" للإمام ابن تيمية، و"الأصول الثلاثة وأدلتها، و"كتاب التوحيد" للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و"كتاب العقيدة الصحيحة وما يضادها" لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وغيرها.

ثانياً : إيفاد الدعاة والمدرسين إلى الخارج.

قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين من خلال جهات متعددة ببعث وإيفاد مدرسين ودعاة إلى الله عز وجل إلى بلدان مختلفة في أنحاء العالم، لتحقيق هدف نشر العقيدة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وبيان أحكام الإسلام وشريعته وآدابه.

---

(١) انظر "تطور كتابة المصحف وطباعته" ص: ٩٠- ٩٢، ١٣١، أ.د.محمد سالم العوفي.

و قد بلغ عدد الدعاة (٥٠٠٠) داعية موفدين إلى مختلف أنحاء العالم، يشرف على معظمهم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد[١].

و تقوم وزارة المعارف بندب المدرسين السعوديين والمتعاقدين للعمل في عدد من الدول الإسلامية، وقد بلغ عددهم أكثر من (٢٣٧٢) مدرساً[٢].

ثالثاً : الملتقيات الدعوية.

لقد أولى خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- عناية خاصة بعقد الملتقيات الدعوية في خارج المملكة العربية السعودية بإشراف جهات متعددة في المملكة وتهدف تلك الملتقيات إلى (حث المسلمين على التمسك بالعقيدة الصحيحة، والثوابت الإسلامية، واستنهاض همم الأقليات الإسلامية، وحثها على المحافظة على القيم الإسلامية، ودعمها في سبيل تقوية استمساكها بسماتها المميزة لها، والاستفادة من الجمعيات والمراكز الإسلامية في الحفاظ على انتمائها لدين الإسلام، وإبراز الجهود المباركة التي تقدمها المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم، وكذلك ربط مجتمعات الأقليات المسلمة في كل مكان، وخاصة في بلاد الغرب بالمجتمع المسلم في البلاد المسلمة، ومدِّ جسور التواصل فيما بينهم، تعميقاً لمبدأ الأخوة الإسلامية)[٣].

---

(١) انظر "الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية (حقائق ووثائق) ص: ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) "المملكة العربية السعودية" (تاريخ وإنجاز) ص: ٢٨٢.

(٣) من حديث معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. (انظر "مجلة اقرأ"، العدد: ١٣٢٤ في ١١/٥/١٤٢٢هـ).

وقد تمّ عقد عشرين ملتقى دعوياً في الفترة من عام ١٤١٥هـ إلى عام ١٤٢٢هـ في الدول التالية : بريطانيا، إندونيسيا، كينيا، إثيوبيا، ماليزيا، جبل طارق، أوغندا، باكستان، ألمانيا، تايلاند، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، الهند، بنجلاديش، غانا، بلجيكا، المجر، الدنمارك، البوسنة والهرسك، نيجيريا[١].

رابعاً : إقامة الدورات الشرعية.

إن من وسائل حكومة خادم الحرمين الشريفين في نشر العقيدة الإسلامية وآدابها وتحصين أبناء المسلمين من التيارات الفكرية الهدامة، إقامة الدورات الشرعية والتعليمية للمسلمين في مختلف بلدان العالم.

ويقوم على تنفيذ تلك الدورات الشرعية والتعليمية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ووزارة التعليم العالي ممثلة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كما يقوم بتنفيذ الدورات الشرعية -أيضاً- رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة الحرمين الخيرية.

وفي هذا البحث الموجز أود الإشارة إلى بعض جهود الجامعة الإسلامية في هذا المجال لتكون أنموذجاً للجهود الأخرى المبذولة فيها.

(١) "الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية" (حقائق ووثائق) ص: ٢٤١.

ولما تتميز به الجامعة الإسلامية من كونها جامعة إسلامية عالمية من حيث الغاية والأهداف، وعربية سعودية من حيث التبعية[1].

وتفخر الجامعة الإسلامية بما قاله خادم الحرمين الشريفين في حفل إزاحته الستار عن اللوحة التذكارية لمشروع المدينة الجامعية في ١٤٠٥/٢/٨هـ فقال – رحمه الله- : "فالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لها مكانة في نفسي خاصة، وهذا طبعاً ما هو إقلال بالنسبة للجامعات الأخرى"[2].

كما بيّن - رحمه الله- هدف الجامعة الإسلامية فقال : "هذه الجامعة عندما أسست قصد بها شيء معين في الواقع، هو المساهمة في بثّ روح العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب"[3].

وخاطب الملك فهد طلاب الجامعة الإسلامية قائلاً : "وأرجو أن تكونوا الرسل للعقيدة الإسلامية في بلدانكم عندما تعودون إليها بمفهوم العقيدة الإسلامية الصحيحة"[4].

لذا، فسأوجز الحديث عن جهود الجامعة الإسلامية في الدورات التدريبية في الأمور التالية :

- بدايتها : بدأت الجامعة في إقامة الدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية منذ عام ١٣٩٥هـ مع بعض المنظمات

---

(١) "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة" ص: ٦٣ ، صدر بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

(٢) المصدر نفسه ص: ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه ص: ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه ص: ١٣٢.

والهيئات الإسلامية، ثم استقلت الجامعة بتنظيم هذه الدورات وإقامتها في مختلف دول العالم وفق منهج دراسي متكامل، منذ عام ١٤٠٣هـ إلى الآن –ولله الحمد- .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الدورات لم تعد إقامتها مقتصرة على خارج المملكة، وإنما أصبحت تقام في داخل المملكة في مختلف المدن والقرى لتثبيت العقيدة ونشر الوعي الإسلامي في المجتمع السعودي.

- أهدافها : تهدف هذه الدورات إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- نشر العقيدة الصحيحة والتحذير مما يخالفها.

٢- الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - حسب فهم السلف الصالح.

٣- نشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

٤- فضح وبيان زيف الإدعاءات والشبه التي تثار ضد المملكة السعودية، وإظهار جهود المملكة ومواقفها الإسلامية والإنسانية في خدمة الإسلام والمسلمين[1].

- منهجها الدراسي : لقد وضعت الجامعة منهجاً دراسياً متكاملاً لهذه الدورات، يدرس الطلاب فيها كتباً ومذكرات مقررة في المواد التالية :

١- العقيدة، ونسبة المحاضرات فيها ٣٥ ٪ على الأقل من الجدول الأسبوعي بالنسبة للمواد الأخرى.

---

(١) المصدر السابق ص: ٢٢٩.

٢- التفسير.

٣- الحديث وعلومه.

٤- السيرة النبوية.

٥- النحو والصرف.

٦- الأدب والنصوص.

٧- التربية الإسلامية وطرق التدريس.

وعلوم أخرى مساندة، علماً بأن مناهج المواد المذكورة وموضوعاتها ومفرداتها تهدف إلى خدمة العقيدة الإسلامية وتقريرها.

- الدول التي أقيمت فيها الدورات وعدد المستفيدين منها :

يوضح الجدول التالي الدورات التي أقامتها الجامعة الإسلامية[1] من حيث عددها وأماكنها وعدد الطلاب المستفيدين منها إلى عام ١٤١٨/١٤١٧هـ :

---

(١) المصدر السابق ص: ٢٣٠.

م	اسم الدولة	عدد الدورات	عدد الأساتذة	عدد الطلاب	مدة أيام الدورة	عدد الكتب
١	أفغانستان	١٣	١٠١	١٧٩١	٤٦٥	
٢	إندونيسيا	١٦	١٠٥	١٩٦٠	٢٦٠	
٣	باكستان	١٦	١١٤	١٧٢٥	٥٢٥	
٤	البرازيل	٣	١٣	٢٢٨	٦٣	
٥	بريطانيا	٧	٢٧	٧٩٦	١٥٥	
٦	بنجلاديش	١٧	١٢٤	٢٤٧٠	٥٦٥	
٧	تايلاند	١١	٣٨	١٢٩٢	١٠٥	
٨	تركيا	١٤	٩٤	١٨٢٦	٢٨٦	
٩	روسيا	٣	١٠	٤٠٠	٦٣	
١٠	السنغال	١٣	١٥٣	٣٢٢٧	٥٢٥	
١١	سيراليون – غينيا	٨	٣٣	٨٨٠	١٠٥	
١٢	سيرلانكا	٥	٢٤	٣٤٤	١٠٥	
١٣	الصين	٥	٢٣	٨٥٨	٩١	
١٤	غانا	٥	٢٦	٤٦٨	١٠٥	
١٥	ماليزيا	٣٠	١٣٥	١٧٤٧	٣٥٠	
١٦	نيجيريا	٢٨	٢٤٥	٨١٤٦	٤٨٠	
١٧	الهند	١٢	٩٧	١٥٦٨	٣٨٥	
	المجموع	١٩٦	١٣٦٢	٢٩٧٢٥	٤٦٣٣	٢٥١,٠٠٠

وقد زاد عدد الدول التي أقيمت فيها الدورات من عام ١٤١٩هـ إلى عام ١٤٢٢هـ إلى (٢٩) دولة، فأضيفت الدول التالية : أوغندا، كينيا،

موريشيوس، الولايات المتحدة الأمريكية، أستراليا، جنوب إفريقيا، المالديف، جزر القمر، ساحل العاج، مالي، النيجر، البوسنة والهرسك.

وبلغ عدد الطلاب المستفيدين من الدورات إلى عام ١٤٢١هـ (٤٦١٢٢) طالباً[١].

ومن الجدير بالذكر والإشادة أنه في صيف عام ١٤٢٠هـ أضيفت على الدورات التي تقوم بها الجامعة الإسلامية (٦) ست دورات خارج المملكة، و(٣) ثلاث دورات في داخل المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الشخصية.

وفي صيف عام ١٤٢٢هـ أضيفت - أيضاً - (٨) ثمان دورات في خارج المملكة، و(١٠) عشر دورات في داخل المملكة على النفقة الشخصية لخادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - .

خامساً: إنشاء المؤسسات التربوية (الأكاديميات)[٢].

لقد بلغ من حرص خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- في غرس العقيدة الإسلامية في أبناء وناشئة العاملين في السفارات السعودية والمبتعثين السعوديين وأبناء الجاليات الإسلامية والعربية في خارج المملكة، وحمايتهم من الذوبان في المجتمعات غير الإسلامية وتعليمهم في جو تربوي إسلامي، والحفاظ على خصائص الطفل المسلم والعربي، وربطه بلغته ودينه خارج وطنه، لقد بلغ من حرصه - أيده الله- في تحقيق ذلك إلى إنشائه للعديد

---

(١) "تقرير عمادة خدمة المجتمع" بالجامعة الإسلامية عن عام ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٣٥- ١٣٧، بتصرف واختصار.

من المؤسسات التربوية (الأكاديميات) في العواصم المهمة من العالم، ولتحقق توثيق أواصر العلاقات الثقافية والصلات الفكرية والتربوية والعلمية مع الهيئات والمؤسسات ذات الصلة في تلك البلدان، ومن أبرز تلك المؤسسات التربوية (الأكاديميات) :

١- الأكاديمية الإسلامية في واشنطن، وتأسست في عام ١٩٨٤/١٩٨٥م.

٢- أكاديمية الملك فهد في لندن، وتأسست في عام ١٩٨٥م.

٣- أكاديمية الملك فهد في موسكو.

٤- أكاديمية الملك فهد في بون، وتأسست في عام ١٩٩٥م.

٥- أكاديمية بيهاتش الإسلامية.

٦- المعهد الإسلامي في مدينة "لوغا" بالسنغال[١].

٧- معاهد وكليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خارج المملكة وهي[٢] :

أ- كلية الشريعة واللغة العربية في رأس الخيمة، بالإمارات العربية المتحدة.

ب- معهد العلوم الإسلامية والعربية في نواكشوط في موريتانيا.

ج- معهد العلوم الإسلامية والعربية بجاكرتا في إندونيسيا.

د- المعهد العربي الإسلامي في اليابان.

---

(١) "الشؤون الإسلامية في المملكة" (حقائق ووثائق) ص: ٢٢٤.

(٢) انظر "دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية".

هـ- المعهد الإسلامي في جيبوتي.

و- معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية.

سادساً : تأسيس الكراسي العلمية[1].

لم تتوقف جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على إقامة المدارس والمؤسسات التربوية والأكاديميات الإسلامية في مختلف قارات العالم فحسب، وإنما ارتادت المملكة في عهده آفاقاً أرحب وأوسع بإنشائها كراسي للدراسات الإسلامية في أعرق الجامعات الغربية، في هارفارد، ولندن، وموسكو، كخدمة جليلة تقدمها المملكة للعلم والمعرفة، وزيادة للتواصل بين الحضارات، وتعميق للحوار الهادف والعلمي الجاد عن الإسلام، ولتقديم المفهوم الإسلامي الصحيح لغير المسلمين، ودعم تمويل الدراسات الإسلامية، والسعي لتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة في الغرب عن تطبيق الشريعة والتعريف بها تعريفاً صحيحاً، والعناية بشرح العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتقديم المنح للطلاب في تلك الجامعات ليتعرفوا عن قرب على المفاهيم الشرعية، والعقيدة الإسلامية، والتراث الإسلامي العظيم وأثره في الحضارة الإنسانية.

ويأتي إنشاء الكراسي العلمية كشاهد آخر على الاهتمام المتميّز بالإسلام والدعوة الإسلامية، ودليل على نجاح السياسات التي تنتهجها حكومة المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للانطلاق

---

(١) انظر "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٣٧- ١٣٩، باختصار.

بالإسلام إلى مسافات أرحب، وتأسيساً لنهج الإسلام الأصيل، الإسلام المبني على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، الذي يحمل كل الخير والسلام للبشرية والنجاح والفلاح، ومن أهم هذه الكراسي العلمية :

- كرسي الملك عبد العزيز بجامعة كاليفورنيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، وتأسس في عام ١٩٨٤م.
- كرسي الملك فهد في جامعة هارفارد، في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي أنشئ في عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- كرسي الملك فهد في جامعة لندن، بريطانيا، وتأسس في عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- كرسي الأمير نايف في جامعة موسكو، روسيا، وتأسس في عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

سابعاً : إنشاء المساجد والمراكز الثقافية والإسلامية.

إن الحديث عن إنشاء المساجد والمراكز الثقافية والإسلامية التي أقامها المملكة العربية السعودية في مختلف قارات العالم يعتبر تعبيراً صادقاً عن الجهود العظيمة التي بذلها - ولا يزال يبذلها- خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله- للتعريف بالإسلام عقيدة وشريعة تعريفاً صحيحاً، ونهوضاً منه بخدمة ودعم جميع المسلمين أينما كانوا على وجه الأرض.

وعن ذلك قال الملك فهد - رحمه الله- : "إن جهود هذه البلاد تواصلت، وستتواصل حثيثة بعون الله في إنشاء المساجد والجوامع داخل

وخارج المملكة، لتساهم في رفع راية الإسلام ونشر دعوته، وثبات المسلمين والأقليات المسلمة على هذا النهج[1].

ونتيجة لتلك الرعاية الكريمة من خادم الحرمين الشريفين فقد بلغ عدد المساجد - التي رعتها المملكة- أكثر من (١٥٠٠) مسجد في جميع قارات العالم[2].

أما المراكز الثقافية والإسلامية فهي مؤسسات إسلامية قائمة بذاتها، يضم كل مركز منها مسجداً، ومصلى للنساء، ومرافق للوضوء ومدرسة، ومكتبة، وقاعة للمحاضرات، ومكاتب عامة، وبعض المحتويات الأخرى.

وأبرزت تلك المراكز نماذج حية في نشر تعاليم الإسلام عقيدة وشريعة، وأصبحت منابر ومنارات علم وهدى، ومؤسسات للتربية والتعليم، وكان لها دورها الكبير في نشر العقيدة الإسلامية والشريعة السمحة، والثقافة العربية والإسلامية.

وقد أنفقت المملكة العربية السعودية ملايين الريالات في بناء تلك المساجد والمراكز الإسلامية، ونتيجة لتلك الجهود فقد بلغت المراكز التي شيدتها المملكة وساهمت في بنائها في مختلف أنحاء العالم نحو (٢١٠) مركز.

---

(١) "الشؤون الإسلامية في المملكة" ص: ١٥٢.

(٢) "المملكة العربية السعودية تاريخ وإنجاز" ص: ٢٧٥، والأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٤٣، و"عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية في الداخل والخارج" ص: ٣٢، بحث للدكتور عبد الرحيم المغذوي، مقدم للمؤتمر العالمي عن خادم الحرمين الشريفين بجامعة الملك سعود.

ومن أهم تلك المساجد والمراكز الإسلامية التي اعتنى بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله- وذلك إما بتمويلها بالكامل، أو الإسهام في إنشائها، أو مساعدتها والاهتمام بها ورعايتها ما يأتي :[1]

- قارة إفريقيا :
  - جامع الملك عبد العزيز في تونس.
  - مسجد الملك فيصل في نجا مينا في تشاد.
  - المركز الإسلامي في أبوجا في نيجيريا.
  - مركز ومسجد الملك فيصل في غينيا كوناكري.
  - مسجد باماكو في مالي.
  - **جامع ياوندي الكبير في الكامرون.**
  - **المسجد الجامع في مدينة سوكودي في توجو.**
- قارة آسيا :
  - مركز الملك فهد الإسلامي في جزيرة "مالي" بالمالديف.
  - المركز الإسلامي في طوكيو باليابان.
  - المركز الإسلامي الإندونيسي السعودي في إندونيسيا.
  - مساجد الصين الشعبية في تايبية، وتايجون، وكاوتسونج.
  - المركز الإسلامي في سيئول بكوريا.

---

(١) "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص:١٤٣- ١٥٠، بتصرف واختصار، و"الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية"، ص: ١٥٤- ٢١٠.

- المركز الإسلامي في راجشاهي ببنغلاديش.

- قارة أوروبا.

- مسجد الملك فهد في مدينة اليانوفيك بروسيا.
- المركز الإسلامي في دلفت بهولندا.
- المركز الإسلامي في فيينا بالنمسا.
- المركز الإسلامي في ميونيخ بألمانيا.
- المركز الإسلامي في إيفري بفرنسا.
- المركز الإسلامي في جنيف بسويسرا.
- المركز الإسلامي في مدريد بأسبانيا.
- المركز الإسلامي في روما بإيطاليا.
- المركز الإسلامي في أدنبرة في بريطانيا.
- مسجد خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق.

- قارة أمريكا الشمالية.

- المركز الإسلامي في واشنطن.
- المركز الإسلامي في نيويورك.
- المركز الثقافي في هاريسون بنيويورك.
- مسجد عمر بن الخطاب في لوس أنجلوس.
- المركز الإسلامي الثقافي في شيكاغو.
- المركز الإسلامي في لوس أنجلوس.
- المركز الإسلامي في تورنتو بكندا.
- المركز الإسلامي في مدينة كيوبك بكندا.

- **مسجد أوتاوا في كندا.**
- **مسجد كلجري في كندا.**

● قارة أمريكا الجنوبية.

- **المركز الإسلامي في برازيليا بالبرازيل.**

وهناك مراكز عديدة في مدن البرازيل ساهمت المملكة في إنشائها.

- المركز الإسلامي في بيونس إيرس

● قارة أستراليا.

- المركز الإسلامي في ولاية كوينـزلاند بأستراليا.
- **المركز الإسلامي في ولاية فكتوريا بأستراليا.**

تلك بعض الشواهد المضيئة لمجهودات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله- في نشر العقيدة السلفية والدعوة في سبيل الله وحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى شتى بقاع الأرض، وخدمة المسلمين في مختلف قارات العالم وأينما كانوا على وجه البسيطة، سائلين الله - عَزَّ وَجَلَّ - بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يرحم خادم الحرمين الشريفين، ويسبغ عليه واسع رحمته، وأن يتقبل منه جهوده المباركة في خدمة الإسلام والمسلمين، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته ، ويجزيه وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني وحكومته الرشيدة خير الجزاء في الدنيا والآخرة، آمين.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسالات، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

ففي نهاية هذا البحث الموجز أود أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها كالتالي:

١- أن المنهج والعقيدة السلفية هي الإسلام المستمد من كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وما أجمع عليه السلف من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان.

٢- أن الدولة السعودية قامت على المنهج والعقيدة السلفية، وستظل كذلك - إن شاء الله- إلى ما شاء الله - عز وجل - .

٣- اعتناء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله- مؤسس المملكة العربية السعودية بغرس العقيدة السلفية في أبنائه البررة الكرام وفي شعبه الوفي الكريم.

٤- تعدد جوانب المواهب الشخصية في خادم الحرمين الشريفين، وما يتمتع به - رحمه الله- من خصال قيادية فذّة.

٥- اعتناء خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة الإسلامية والتركيز عليها في أغلب خطبه وكلماته، فلا تكاد تمر مناسبة أو تلقى كلمة إلا وللعقيدة السلفية إشارة بها وبأهميتها.

٦- إن خادم الحرمين الشريفين ترجم عنايته بالعقيدة السلفية إلى تطبيق عملي ملموس في إنجازات حضارية قائمة في داخل المملكة وخارجها كأنظمة الحكم ووزارة الشؤون الإسلامية وإنشاء المؤسسات التربوية والمراكز الإسلامية وغير ذلك.

٧- ازدهار وتطور الدراسات العليا كماً وكيفاً في الجامعات السعودية، وخاصة في أقسام العقيدة في أثناء الفترة الذهبية لتولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم منذ عشرين عاماً.

وأود في الختام أن أتوجه باقتراح وتوصية إلى كافة المسؤولين في القطاعات الحكومية والأهلية والخيرية بمختلف تخصصاتها ومجالاتها بأن تقوم بتوثيق تاريخها وتطوراتها وإنجازاتها منذ نشأتها إلى العهد الزاهر - الذي نعيشه- في عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله- فإن تجربة مسيرة المملكة العربية السعودية وإنجازاتها في الداخل والخارج جديرة بكل تقدير، وجديرة بأن تكون محل عناية الباحثين والدارسين والمسؤولين، لتبقى وثائق رسمية شاهدة على العصر، وحجة ناطقة بالحقائق الملموسة المدعمة بالأدلة والأرقام والمنجزات، وهي كذلك تأصيل إسلامي لمعالم النهج السعودي المبارك في البناء والتحديث والتمسك بالثوابت والمنطلقات وهي رسالة الإسلام الخالدة.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه، ومن تبعه ووالاه،

إلى يوم نلقاه،

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، - د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لـ(ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ /١٤٢١/٧هـ بالمدينة المنورة.
- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، - أ.د صالح بن غانم السدلان، بحث مقدم لـ(ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ /١٤٢١/٧هـ بالمدينة المنورة.
- الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (عشرون عاماً من العطاء) –وزارة الإعلام، ط ١، الوكالة الأهلية للإعلام، بنراس، الرياض، ١٤٢١هـ.
- الأصول العلمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، إصدار الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة ١٤٢٢هـ.
- الأعلام - خير الدين الزركلي، ط ١٩٨٠، ٥م، دار العلم للملايين، بيروت.
- إنجازات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للعام المالي ١٤١٨/١٤١٧هـ، - إصدار وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير والبرامج، الإدارة العامة للتخطيط، الرياض ١٤١٩هـ.
- الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية - أ.د صالح بن غانم السدلان، ط –١، دار بلنسية للنشر، الرياض ١٤١٧هـ.
- البداية والنهاية - للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر العربي، القاهرة.
- تاريخ المملكة العربية السعودية –د.عبد الله صالح العثيمين، ط ٩، ١٤١٩هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.
- الجاليات –نشرة داخلية نصف سنوية تصدر عن مركز دعوة الجاليات بالجبيل –المنطقة الشرقية.

- جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه –للشيخ محمد بن سعيد الصفار، تقرير مقدم لـ(ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ /١٤٢١/٧هـ بالمدينة المنورة.
- جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة –تقرير أعده مركز الترجمات بالمجمع، ضمن بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم الماضي وتخطيط للمستقبل في الفترة من ١٠- ١٢ صفر ١٤٢٣هـ بالمدينة المنورة.
- الحجة في بيات المحجة وشرح عقيدة أهل السنة –للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ت ٥٣٥هـ، تحقيق محمد ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم، ط ١، دار الراية، الرياض - ١٤١١هـ.
- دليل الرسائل الجامعية بالجامعة الإسلامية (١٣٩٦- ١٣٢٠هـ) إعداد قاعة المعلومات، عمادة البحث العلمي، ١٣٢٠هـ.
- دليل الرسائل الجامعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- دليل السائل الجامعية (١٣٨٩- ١٣١٣هـ) بجامعة محمد بن سعود الإسلامية - إعداد د.أحمد بن علي تمراز، عمادة البحث العلمي ط١، ١٤١٤هـ.
- دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - إدارة الدراسات والمعلومات، ١٤٠٩هـ.
- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها، أعمالها - إصدار الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط- ١، الرياض ١٤١٩هـ.
- سير أعلام النبلاء - للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د.شعيب الأرناؤوط، ط- ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية (حقائق ووثائق) - إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة المساعدة للشؤون الإسلامية، ط ١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٩هـ.

- شباب العقيدة الإسلامية –مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - إعداد المستشار محمد سعيد مبارك، ط ١، دار الدراسات الاقتصادية، ١٤١٢هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للإمام الحافظ أبي القسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ت ٤١٨هـ، تحقيق د.أحمد سعد حمدان، ط ١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ.
- طبقات الحنابلة –لابن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي.
- طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، ط الحلبي.
- عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها - د.محمد بن عبد الرحمن الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
- الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - إصدار الجامعة الإسلامية، ط-١، ١٤١٩هـ.
- كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود –إعداد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، الرياض.
- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة - د. ناصر العقل، ط ١، دار الوطن، الرياض.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- مختارات من الخطب الملكية - جمع دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- المملكة العربية السعودية (تاريخ وإنجاز) - إصدار وزارة الإعلام، ط ١، القمم للإعلام، الرياض ١٤٢٢هـ.
- المملكة العربية السعودية في مائة عام –إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة - دارة الملك عبد العزيز، مكتبة العبيكان –الرياض –١٤١٩هـ.
- من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله من إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة، الرياض ١٤١٩هـ.

- المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (المواقف) - إصدار وزارة الإعلام، الوكالة الأهلية للإعلام، ط ١ ، ١٤٢١هـ.
- الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية –إعداد المحامي سليمان بن عبد اللطيف الشايقي، ط- ٣، الرياض ١٤٢٢هـ.
- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز –خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- وسطية أهل السنة بين الفرق –د.محمد باكريم محمد باعبد الله، ط ١ ، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل
المقدمة لندوة
السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم



بحوث
المحور الخامس



الإرهاب
وموقف المملكة العربية السعودية منه

إعداد
أ. د. بدر بن ناصر البدر
أستاذ الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه
كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(آل عمران : ١٠٢) ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)(النساء : ١) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)(الأحزاب : ٧٠- ٧١).

أما بعد :

فإن أعظم نعمة يمن الله بها على عبده هي نعمة الإسلام والإيمان ، كما قال تعالى (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) ، هذا الدين العظيم الذي حوى كل خير واشتمل على كل ما يصلح أحوال البشر في صغير الأمور وكبيرها ، وحرم عليهم ما يعود عليهم بالسوء والضرر في العاجل والآجل ، وجعل شريعته كاملة صالحة لكل زمان ومكان ، مصلحة لأحوال الأفراد والمجتمعات ، تدعو إلى الصلاح والاستقامة والعدل ، وتنبذ الشرك والشر والظلم والجور والغدر .

لقد أبان رسولنا عليه الصلاة والسلام ما نزل عليه من ربه بيانًا كاملاً شاملاً ، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فهو المنة المسداة والرحمة المهداة ، يقول تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث

فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

وإن من نعم الله علينا أن قيض لنا دولة مباركة تأسست على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى تنهل من هذا المعين الصافي، والمورد العذب، وتسير على المنهج الصحيح والمبدأ السامي إلى يومنا هذا، بوسطية واعتدال، وموضوعية واتزان، وبصيرة وحكمة، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، صافية نقية طرية غضة، وشرع الله بيننا يطبق في صغير الأمور وكبيرها، وأحكامه وحدوده تقام وتنفذ على المجرمين والمخالفين على اختلاف أنواعهم وأجناسهم وجنسياتهم بصورة فريدة فاعلة لا يعلم لها مثيل في العالم كله.

وجاء موقف المملكة العربية السعودية الواضح والصريح الرافض للإفساد في الأرض والإرهاب والتطرف بجميع أشكاله وصوره، والإجرام الظاهر والباطن، ولم يكن هذا الموقف وليد الأحداث الحالية والفتن الآنية، بل كان مواكبًا لقيام هذه الدولة المباركة وناشئًا مع نشأتها حيث إنها تأخذ بمنهج الإسلام الصارم في محاربة الفساد والإفساد والبغي والبغاة، وكل عمل فيه اعتداء ومنكر وإثم وشر ماديًا كان أو معنويًا، قليلاً كان أم كثيرًا بصورة قطعت دابر ذلك كله، وقضت عليه برمته، الأمر الذي معه صارت مضرب المثل ومحط النظر في الأمن والإيمان والطمأنينة مع ما هيأه الله لها من رغد العيش والاستقرار.

لقد وقفت المملكة العربية السعودية من الإرهاب والعدوان والبغي والفساد موقفًا حاسمًا وحازمًا، تردعه ردعًا قويًا، منطلقة في ذلك من مبادئ الشريعة الإسلامية، محذرة العالم من هذا المرض الخطير والشر العظيم والداء العضال، منادية دوله للحذر منه واجتثاثه من جذوره، واقتلاع نبتته قبل أن تشتد وتستفحل وتعم، والوقوف في وجه مروجيه، والحزم مع صانعيه، والتضييق عليهم وعدم إيوائهم ودعمهم، فوقعت الرزية، وحدثت الفتنة، واتسعت دائرتها، وعمت وطمت آثارها المدمرة، وهانحن نرى نتائجها الخطيرة، وشرها المستطير يطال الصغير قبل الكبير، والمسلم قبل غيره، والنساء والرجال، مع ما يواكب ذلك من إهلاك الحرث والنسل، والأنفس والعقول، وتدمير للأموال والممتلكات، بطريقة موغلة في الحقد والكره، والشناعة والإجرام(١).

لقد جاء دين الإسلام محققاً مقاصد عظيمة يجب أن يتعلمها كلّ مسلمٍ ومسلمةٍ، هي حفظ الضرورات الخمس، والتي يُسميها العلماء مقاصد الشريعة: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وما فتئ العلماء العارفون يبينون الأحكام والمسائل المرتبطة بهذه المقاصد العظيمة، فلّما غاب العلم وتفشى الهوى والجهل وكثرت الشبهات، ظهرت الفتن والهرج والقتل، دون مراعاة لهذه المقاصد، ومن أجل ذلك فإنّ كلَّ عملٍ تخريبي يستهدف الآمنين مخالف لأحكام شريعة ربّ العالمين، والتي جاءت بعصمة دماء المسلمين والمعاهدين، فكيف إذا كان ذلك في بلدٍ مسلمٍ

(١) ينظر: مقدمة كتاب موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب.

آمن ، هو مهبط الوحي والرسالة والنور الذي يشع في جنبات الأرض كلها !! لا شك أن ذلك أشدّ حرمة بإجماع علماء المسلمين العارفين ، فضلاً عمّا في ذلك من هتك لحرمة الأنفس والأموال المعصومة ، وهتك لحرمة الآمنين المطمئنين في مساكنهم ، وإشاعة الفوضى وعدم الاستقرار .

إن ظاهرة الإرهاب بجميع أنواعه وصوره ليست مقتصرة على بلد دون بلد أو مختصة بزمن دون زمن ، لذا كان من الواجب بيان حقيقته ومفهومه الصحيح حتى لا تختلط المفاهيم ، كما أنه من الواجب بيان براءة الإسلام مما يلصق به من تهمة الإرهاب بهذا المعنى ، كيف لا وهو الذي حرمه وبين خطره وجرمه وكان له من الموقف الواضح ، الرادع الزاجر.

وهذا ما أحببت بيانه في بحث بعنوان (الإرهاب وموقف المملكة العربية السعودية منه) وذلك استجابة للدعوة الكريمة من معالي مدير الجامعة للمشاركة في ندوة (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني)، في المحور السابع ، في العنصرين الثاني والثالث منه ، أداء للواجب وقياماً بأمانة العلم تجاه هذه الظاهرة الخطيرة المتجددة .

وقد جاءت الخطة كما يلي :

- المقدمة.
- الفصل الأول : حقيقة الإرهاب وحكمه ، وفيه ثلاثة مباحث :
- المبحث الأول : تعريف الإرهاب في اللغة.
- المبحث الثاني : تعريف الإرهاب في الاصطلاح.
- المبحث الثالث : حكم الإرهاب .

- الفصل الثاني : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب وجهودها في مكافحته، وفيه ثلاثة مباحث :
- المبحث الأول : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب في الماضي والحاضر
- المبحث الثاني : موقف ولاة المملكة العربية السعودية وعلمائها من الإرهاب والتطرف
- المبحث الثالث : جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والتطرف
- الخاتمة .
- ثبت المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

وقد سرت في كتابته حسب المنهج التالي :

- عزوت الآيات إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.
- خرَّجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرَّجته باختصار من غيرهما.
- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، خشية الإطالة، ولئلا أتجاوز ما حُددت به كتابة البحوث في هذه الندوة .
- عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثقتها من كتب أصحابها، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.
- ذكرت تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور والخلل، ثم لتشعب الموضوع وسعته.

كما أنني أعترف بفضل وجهد من سبقني في الكتابة في هذا الموضوع فقد استفدت منهم.

جعل الله تلك الجهود في ميزان الجميع، رفعة للدرجات وتكفيرًا للسيئات وزيادة في الحسنات، كما أسأله تعالى أن يمنحنا الفقه في الدين واتباع سنة سيد الأولين والآخرين، عليه الصلاة والسلام، وأن يقي بلادنا وبلاد المسلمين الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يحفظ ولاة أمرنا وعلماءنا من كل سوء ومكروه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول : حقيقة الإرهاب

المبحث الأول : تعريف الإرهاب في اللغة :

قال ابن دريد (رَهَبَ الرجل يَرْهَبُ رَهْبَاً ورَهَباً : إذا خاف.. ومنه اشتقاق الراهب والاسم الرهبة... والرَهَبُ : الفزع [1])، وقال ابن منظور (رَهِبَ يَرْهَبُ رَهبَةً ورُهْباً : أي خاف، وأرهبه ورَهَّبه واسترهبه : أخافه وفزَّعه)[2].

فكلمة (إرهاب) مشتقة من الفعل المزيد (أرهب) ؛ يقال أرهب فلانا : أي خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رَهّبَ). أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رَهِبَ)، يَرْهبُ رَهْبَةً ورَهْبًا ورَهَبًا فيعني خاف، فيقال : رَهِبَ الشيء رهبا ورهبة أي خافه. والرهبة : الخوف والفزع. أما الفعل المزيد بالتاء وهو (تَرَهَّبَ) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية ... إلخ، وكذلك يستعمل الفعل ترَهَّبَ بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا : أي توعده(٣).

أما المعنى اللغوي لهذه الكلمة في المعاجم الحديثة فقد جاء في المعجم الوسيط أن الإرهابيين (وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية)(٤) .

---

(١) الاشتقاق ، ٤٣١ .

(٢) لسان العرب ، (رَهَب) ٤٦٣/١ ، وانظر : الصحاح ، (رَهَب) ١٤٠/١ .

(٣) لسان العرب، (رهب) ٤٦٣/١ ، وانظر: القاموس المحيط ١/ ١١٨.

(٤) المعجم الوسيط ، ٣٧٦/١.

والإرهاب في الرائد (هو رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب ، والإرهابي هو مَنْ يلجأ إلى الإرهاب بالقتل أو إلقاء المتفجرات أو التخريب)(١) .

وتجدر الإشارة إلى أن المعاجم العربية القديمة قد خلت من كلمتي (الإرهاب) و (الإرهابي) لأنهما من الكلمات حديثة الاستعمال ، ولم تعرفهما الأزمنة القديمة بهذا المصطلح(٢) .

كما أنه قلّ وجود صيغة (الإرهاب) في المصادر اللغوية بعدها ، فقد ذكر الزبيدي في تاجه : (الإرهاب بالكسر : الإزعاج والإخافة)[٣] .

(١) الرائد معجم لغوي عصري ، ص ٨٨.

(٢) الإرهاب والعنف السياسي ، كتاب الحرية ، العدد ١٠ ، ص ٢٠.

(٧)تاج العروس ٢ / ٥٣٨ .

المبحث الثاني : تعريف الإرهاب في الاصطلاح

لم أقف على تعريف شرعي لمصطلح [الإرهاب] لا في النصوص الشرعية، ولا في كلام أهل العلم من المفسرين والشراح، بعد النظر في كتبهم والبحث فيها .

وأما المدوَّنات الفقهيَّة القديمة، فإنها لم تعن بذكر أدنى تعريفٍ لهذا المصطلح الذي لم يكن له حضور عند الأقدمين من الفقهاء والمفسرين وغيرهم، وإنما جاء حديثهم في أبواب مستقلة ومباحث مفردة عن البغاة والمحاربين والخوارج ونحوهم، مما يدل على أنّ هذا المصطلح بذاته لم يحظ بتعريفٍ من لدن العلماء القدامى، وما يجده المرء في هذا العصر من تعاريف له لا تخلو من أن تكون اجتهاداتٍ معاصرة من لدن بعض الفقهاء المعاصرين أو المجامع الفقهية أو المؤتمرات العلمية .

وأقرب هذه التعاريف وأجمعها لكلمة الإرهاب ما ذكره المجمع الفقهي الإسلامي في اجتماعه الذي عُقِدَ في ٢٦شوال ١٤٢٢هـ (الموافق ١٠ يناير ٢٠٠٢م) في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في دورته السادسة عشرة، حيث جاء في البيان الذي أصدره المجمع في ختام هذه الدورة، تعريف الإرهاب بأنه (ظاهرة عالمية، لا ينسب لدين، ولا يختص بقوم، وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة.. وهو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه ودمه وعقله وماله وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو

جماعي ، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر ، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة ، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر ، فكل هذا من صور الفساد في الأرض ، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (القصص : ٧٧) ، وقد شرع الله الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد وعده محاربة لله ورسوله في قوله الكريم ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ (المائدة : ٣٣). ولا توجد في أي قانون بشري عقوبة بهذه الشدة نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذي يعد في الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله وضد خلقه).

المبحث الثالث : حكم الإرهاب

اتخذ الإسلام موقفاً حازماً من الإرهاب ، فحرم دم المسلم وماله وعرضه ، كما حرم الاعتداء على الأموال والممتلكات العامة ، وفي الوقت نفسه حرم الاعتداء على المعاهدين والمستأمنين وحفظ لهم حقوقهم وأمر بالتزامها ، ولم يحرم على المسلمين التعاون معهم في الأمور العامة والاستفادة من خبراتهم وعلومهم الدنيوية فيما هم محتاجون إليه .

فالإرهاب الذي يحمل في طياته التدمير والتفجير والاعتداء على الآخرين وترويعهم وإخافتهم محرم وممنوع شرعاً ، لأنه عدوان على الناس ، وسعي في الأرض بالفساد ، وقد جاء الوعيد الشديد لمن اقترفه ووقع فيه في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ومن الأدلة على ذلك :

١- قال تعالى : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)(المائدة : ٣٢) .

٢- وقال تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(المائدة : ٣٣) .

٣- وقال تعالى : (وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا)(الأعراف : ٥٦)، قال القرطبي : (نهى – سبحانه – عن كل فساد قل أو كثر

بعد صلاح قل أو كثر، فهو على العموم على الصحيح من الأقوال)[1].

٤- وقال تعالى: (وَإِذَا تَولَى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْل وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ)(البقرة : ٢٠٥).

٥- وقال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلعَنَهُ وَأَعَدَّ لهُ عَذَابًا عَظِيمًا)(النساء : ٩٣).

وقد ذهب بعض السلف إلى أَنَّهُ لا تَوْبَة لمن قتل نفساً بغير حق مِنْهم زَيْد بْن ثَابِت، وَأَبُو هُرَيْرَة، وَعَبْد الله بْن عُمَر، وَأَبُو سَلمَة بْن عَبْد الرَّحْمَن وَعُبَيْد بْن عُمَيْر وَالحَسَن وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك بْن مُزَاحِم نَقَلهُ اِبْن أَبِي حَاتِم واستدلوا بما رواه الإِمَام أَحْمَد بسنده عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِليْهِ فَقَال أَرَأَيْت رَجُلًا قَتَل رَجُلًا عَمْدًا ؟ فَقَال " جَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِدًا فِيهَا الآيَة. قَال لقَدْ نَزَلتْ مِنْ آخِر مَا نَزَل مَا نَسَخَهَا شَيْء حَتَّى قُبِضَ رَسُول الله صَلى الله عَليْهِ وَآله وَسَلمَ وَمَا نَزَل الوَحْي بَعْد رَسُول الله ﷺ قَال أَرَأَيْت إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِل صَالِحًا ثُمَّ اِهْتَدَى قَال وَأَنَّى لهُ بِالتَّوْبَةِ وَقَدْ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول : " ثَكِلتْهُ أُمّه رَجُل قَتَل رَجُلًا مُتَعَمِّدًا يَجِيء يَوْم القِيَامَة آخِذًا قَاتِله بِيَمِينِهِ أَوْ بِيَسَارِهِ أَوْ آخِذًا رَأْسه بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ تَشْخَب أَوْدَاجه دَمًا مِنْ قِبَل العَرْش يَقُول يَا رَبّ سَل عَبْدك فِيمَ قَتَلنِي "(٢). وذهب

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/٧.

(٢) (٤٤/٤) وهو حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحي بن المجبر ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أحمد وابن عدي ليس به بأس.وأخرجه الحميدي

آخرون إلى أنه من جنس الذنوب سوى الشرك إذا تاب صاحبه تاب الله عليه قال ابن كثير (وَالَذِي عَلَيْهِ الجُمْهُور مِنْ سَلَف الأُمَّة وَخَلفهَا أَنَّ القَاتِل لهُ تَوْبَة فِيمَا بَيْنه وَبَيْن الله عَزَّ وَجَل فَإِنْ تَابَ وَأَنَابَ وَخَشَعَ وَخَضَعَ وَعَمِل عَمَلًا صَالِحًا بَدَّل الله سَيِّئَاته حَسَنَات وَعَوَّضَ المَقْتُول مِنْ ظُلامَته وَأَرْضَاهُ عَنْ طِلابَته قَال الله تَعَالى :(وَالَذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ الله إلهًا آخَر – إِلى قَوْله – إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِل عَمَلًا صَالِحًا) الآيَة. وَهَذَا خَبَر لا يَجُوز نَسْخه وَحَمْله عَلى المُشْرِكِينَ وَحَمْل هَذِهِ الآيَة عَلى المُؤْمِنِينَ خِلاف الظَّاهِر وَيَحْتَاج حَمْله إِلى دَلِيل وَالله أَعْلم. وَقَال تَعَالى :(قُل يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسهمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَة الله) الآيَة وَهَذَا عَامّ فِي جَمِيع الذُّنُوب مِنْ كُفْر وَشِرْك وَشَكّ وَنِفَاق وَقَتْل وَفِسْق وَغَيْر ذَلِكَ كُلّ مَنْ تَابَ أَيْ مِنْ ذَلِكَ تَابَ الله عَلَيْهِ قَال الله : (إِنَّ الله لا يَغْفِر أَنْ يُشْرَك بِهِ وَيَغْفِر مَا دُون ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء) فَهَذِهِ الآيَة عَامَّة فِي جَمِيع الذُّنُوب مَا عَدَا الشِّرْك وَهِيَ مَذْكُورَة فِي هَذِهِ السُّورَة الكَرِيمَة بَعْد هَذِهِ الآيَة وَقَبْلهَا لِتَقْوِيَةِ الرَّجَاء وَالله أَعْلم. وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ خَبَر الإِسْرَائِيلِيّ الذِي قَتَل مِائَة نَفْس ثُمَّ سَأَل عَالِمًا هَل لِي مِنْ تَوْبَة فَقَال : وَمَنْ يَحُول بَيْنك وَبَين التَّوْبَة ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلى بَلد يَعْبُد الله فِيهِ فَهَاجَرَ إِليْهِ فَمَاتَ فِي الطَّرِيق فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَة

---

(٤٨٨)، وعبد بن حميد (٦٨٠) والطبري (٢١٨/٥) ويشهد له ما أخرجه أحمد مختصرا (٤١٣/٣) برقم(١٩٤٢) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

الرَّحْمَة، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي بَنِي إِسْرَائِيل فَلأَنْ يَكُون فِي هَذِهِ الأُمَّة التَّوْبَة مَقْبُولة بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى لأَنَّ الله وَضَعَ عَنَّا الآصَار وَالأَغْلال التِي كَانَتْ عَليْهِمْ وَبَعَثَ نَبِيّنَا بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَة). (١).

أما الأدلة من السنة فكثيرة، منها:

١- أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما). (٢)

وأخرج بسنده عنه قال: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله). (٣)

٢- أ خرج الإمام مسلم عن أبي موسى: (أن رسول الله ﷺ قال إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها). قال أبو موسى: " والله ما متنا حتى سددناها بعضنا في وجوه بعض." (٤)

---

(١) ينظر ابن كثير (١/ ٧١٠)وحديث الإسرائيلي أخرجه البخاري كتاب الأنبياء / باب حدثنا أبو اليمان (٦/ ٥١١)و مسلم - كتاب التوبة/ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (١٧/ ٨٢).

(٢) كتاب الديات / باب قول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم(١٢/ ١٨٧) برقم(٦٨٦٢).

(٣) في الباب نفسه (٦٨٦٣) .

(٤) كتاب البر والصلة والآداب/ باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع(١٦/ ١٦٩) برقم (٢٦١٥) .

ففي هذا الحديث الترهيب من الإشارة بالسلاح للمسلم دون قصد لما في أسلوب تكرار الأمر من شدة النكير على المخالف، فكيف بمن أشار بالسلاح عمدا ! وكيف بمن استعمل الأسلحة المدمرة كالقنابل والمتفجرات.

٣- أخرج أبو داود بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ :(لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) (١).

فإذا كان الترويع للمسلم بأخذ شيء من أمتعته حراما فكيف بتخويفه بالسلاح والتفجير وإتلاف ممتلكاته.

٤- أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي عنه أن نبي الله ﷺ قال :(لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار) (٢).

قال ابن حجر (هو كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار، قال ابن بطال : معناه إن أنفذ عليه الوعيد، وفي الحديث النهي عما يفضي إلى المحذور وإن لم يكن المحذور محققا سواء كان ذلك في جد أو هزل)(٣)

---

(١) كتاب الأدب /باب من يأخذ الشيء على المزاح (٣٠١/٤)برقم (٥٠٠٤) .

(٢) غاية المرام (٤٤٧) .

(٣) فتح الباري (٢٥/١٣) .

٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً) رواه البخاري.([١])

٦- وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس ؛ فأنا حجيجه يوم القيامة)([٢])

وقد جاء في بيان مكة المكرمة الصادر عن المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في دورته السابعة عشرة التي عقدت في مكة المكرمة ، في الفترة من ١٩–٢٣/١٠/١٤٢٤هـ الموافق ١٣–١٧/١٢/٢٠٠٣م .

في الفقرة السادسة في بيان الحكم الشرعي في الأعمال الإرهابية : (

الحكم الشرعي في الأعمال الإرهابية من تخريب وتهديد وتفجيرات :

الأعمال الإرهابية التخريبية من تفجير للمنشآت والجسور والمساكن الآهلة بسكانها الآمنين معصومي النفس والمال من مسلمين وغيرهم ممن أعطوا العهد والأمان من ولي الأمر بموجب مواثيق ومعاهدات دولية ، وخطف الطائرات والقطارات وسائر وسائل النقل وتهديد حياة مستخدميها وترويعهم وقطع الطريق عليهم وإخافتهم وإفزاعهم ، هذه الممارسات تشتمل

---

(٢٣) رواه البخاري – كتاب الجزية والموادعة – باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ٦/ ٢٦٩ .

(٢٢) رواه البيهقي في سننه ٥/ ٢٠٥ .

على عدد من الجرائم المحرمة التي تعد في شرع الإسلام من كبائر الذنوب، وموبقات الأعمال، وقد رتب الشارع الحكيم على مرتكبيها المباشرين لها والمشاركين فيها تخطيطاً ودعماً مالياً وإمداداً بالسلاح والعتاد، وترويجاً إعلامياً يزينها ويعدها من أعمال الجهاد وصور الاستشهاد، كل ذلك قد رتب الشارع عليه عقوبات رادعة كفيلة بدفع شرهم ورده خطرهم، والاقتصاص العادل منهم، وردع من تسول نفسه سلوك مسلكهم.

قال تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) [سورة المائدة: ٣٣]) .

أما عقوبة من قام بشيء من تلك الأعمال فتختلف ولكنها قد تصل إلى القتل، فقد صدر عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٩هـ " قرار رقم ١٤٨ " بيان لعقوبة من قام بأعمال تخريبية جاء فيه: " من ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض التي تزعزع الأمن بالاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك، فإن عقوبته القتل لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد، ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية وضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع

الطريق فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله ، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة)([1]) .

---

(١) مجلة البحوث العلمية العدد الرابع والعشرون ١٤٠٩هـ ، ص ٣٨٦ .

الفصل الثاني:

موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب وجهودها في مكافحته

المبحث الأول : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب في الماضي والحاضر

اتخذت المملكة العربية السعودية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منهجا ونظاماً وسلوكا لها، فعملت على تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة، كما جاء في المادة الأولى من نظام الحكم التي تقرر بأن : (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة دينها الإسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ)[(١)].

وبحكم أن الإرهاب والعنف والتطرف ضد تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، فبالتالي موقف المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد موحدها الملك عبد العزيز يرحمه الله، ثابت ضد هذه الظواهر المنحرفة، وهي تبذل قصارى جهدها لاستئصالها والحد منها، وذلك على جميع المستويات الداخلية والإقليمية والدولية، بهدف استتباب السلم والأمن الدوليين، وكانت المملكة من الدول المؤسسة لجامعة الدول العربية بمشاركتها في إعداد ميثاق جامعة الدول العربية في ١٣٦٤/٤/٨هـ، والأمم المتحدة بمشاركتها في مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥م، ومن أهم أهداف ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة استتباب السلم والأمن الدوليين وحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية واحترام قواعد القانون الدولي، فكان تفاعل المملكة مع المجتمع الدولي واضحا، فقد شجبت المملكة العنف بجميع صوره وأشكاله، وكل ما يؤدي إلى الإخلال بالسلم والأمن الدوليين، وتؤكد المملكة دوماً نبذ

---

(١) النظام الأساسي للحكم ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

الإرهاب داخلياً كان أم دولياً، أيا كان نوعه ومصدره وتشجع الجهود الوطنية والإقليمية والدولية للقضاء على الأنشطة الإرهابية، وتعاقب مرتكبيها بغض النظر عن جنسياتهم، وفي الوقت ذاته ترفض المملكة ربط الإرهاب بالإسلام وقد أكدت في أكثر من محفل أنه لا مجال على الإطلاق للتنازل والمساومة حول الأسس الدينية التي تعتبر أساس الشرعية في البلاد، كما جاء في الخطاب الذي ألقاه الملك عبد العزيز –رحمه الله– في الطائف في الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٣٢م، حيث أكد على أن (الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به)[1].

وامتدادا لذلك الدور الطليعي واصلت المملكة العربية السعودية حربها على الإرهاب بلا هوادة وكان لها القدح المعلى في مكافحة الإرهاب والعنف والتطرف، وأسهمت في جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بهدف اجتثاث الإرهاب من جذوره بشتى صوره وأشكاله، محليا وإقليميا ودوليا، ولها الجهود المشكورة في مكافحة الإرهاب والتطرف والقضاء عليهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

(١) عزت مراد، المملكة العربية السعودية ومكافحة الإرهاب من وراء احداث١١سبتمبر، الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ ص ١٩٦.

المبحث الثاني : موقف ولاة المملكة العربية السعودية وعلمائها من الإرهاب والتطرف

لقد دأب ولاة الأمر في المملكة العربية الإسلامية على بيان نعمة الإسلام ووجوب التمسك به وتحكيم الكتاب والسنة في صغير الأمور وكبيرها، ولا فخر ولا عزة إلا بذلك، وبيان سماحة الدين ووسطيته وشموله لجميع مناحي الحياة وصلاحيته لكل زمان ومكان، وأكدوا في كلماتهم وتوجيهاتهم ولقاءاتهم على تجريم الإرهاب بجميع صوره وأشكاله الذي يتضمن صنوف الأذى والتخويف والترويع والتدمير، فهو محرم في دين الإسلام بل هو من أعظم المنكرات وأشد الجرائم، ومن الزور والبهتان أن تلصق هذه التهمة بالإسلام الذي هو براء منها بل هو المحارب لها القاضي عليها، كل هذا وغيره تضمنته كلمات قادتنا – وفقهم الله تعالى – وأيضاً علماؤنا الأفاضل – جزاهم الله خيراً – والأمثلة على هذا كثيرة، واضحة ناصعة لا تحتاج إلى تعليق أو توضيح، ومن ذلك :

١- جاء في كلمة للإمام المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى قوله (إن نعم الله على خلقه لا تحصى، ومن كمال نعمه بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد جاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى والبينات، جاء بأفضل الأديان، ألا وهو دين الإسلام، إن الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه، اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضله على جميع الملل.

دين الإسلام، دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بأشرف الكتب لخير الأمم وهو كتاب الله، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد، دين الله مكتوب في الكتاب والسنة، فكل عمل اتفق مع الكتاب والسنة فهو الحق، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو باطل، إن الفرقة أول التدهور والانخذال، بل هي العدو الأكبر للنفوس والغاوية للبشر.

الاتحاد والتضامن أساس كل شيء، فيجب على المسلمين أن يحذروا وأن يصلحوا ذات بينهم، ويبذلوا النصيحة لأنفسهم)([1]).

٢- من كلمات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد – رحمه الله تعالى – ما جاء في بيان مجلس الوزراء المنعقد يوم الاثنين الموافق ١٤/ رجب / ١٤٢٢ هـ وفيه (إن مجلس الوزراء جدد دعم المملكة وتعاونها الكامل مع الجهود الدولية الهادفة إلى محاربة الإرهاب، مشيرًا إلى أن المملكة كانت من الدول السباقة التي وقفت ضد الإرهاب ومنذ سنوات عدة، ودعت العالم أجمع إلى مكافحته بكل حزم، وما زالت تناشد المجتمع الدولي بمحاربة هذه الظاهرة، وتحديد مفهومها، ومعالجة جوانبها المختلفة، وآثارها السلبية على الاستقرار العالمي.

---

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢١٢- ٢١٧.

وإن مجلس الوزراء يعبر عن رفض المملكة المطلق لمحاولات إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، مؤكدًا أن الدين الإسلامي الحنيف دين ومحبة وسلام وتسامح، ونبذ للإرهاب بكل صوره وأشكاله)(1).

وجاء في حديثه لوكالة الأنباء العمانية (إن الإرهاب في المصطلح السياسي الإعلامي المعاصر هو في حقيقته إفساد في الأرض، وديننا يحرم ذلك وليس له وطن ولا دين ولا جنسية، لذا فمن الطبيعي التعاون من أجل اجتثاث جذوره تفاديًا لشروره، وهذا ما كنا وما زلنا نطالب به ونلح في طلب التعاون لمعالجته حتى لا يستفحل خطره، والمملكة العربية السعودية وأخواتها في دول المجلس تسهم بكل ما تستطيعه لدعم وتعزيز الجهود الدولية في هذا الصدد على شرط أن يتوافق ذلك مع شريعتنا الإسلامية السمحة، ومع ما توصي به الشرعية الدولية ليتسنى المضي قدمًا لما فيه خير البشرية.

إن تحقق الأمن والسلام والاستقرار لشعوب المنطقة رهن بتطبيق السياسات الرشيدة التي تتجنب الوقوع في الأخطار الناجمة عن سوء التقدير أو الرغبة الجامحة للهيمنة والتسلط وغمط حقوق الآخرين، لذلك لا بد من التعاون على كافة المستويات إقليميًا وعربيًا وإسلاميًا ودوليًا من أجل إيجاد الصيغ المنطقية والموضوعية لمعالجة المشكلات القائمة حتى تعود الحقوق لأصحابها بعيدًا عن ازدواجية المعايير وبذلك تعيش المنطقة، بل ويعيش العالم أجمع في أمن وأمان واستقرار وحياة هانئة كريمة)(2).

---

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الأرهاب ١/ ٢٣٨ .

(٢) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢٤٢ .

٣- من كلمات خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله تعالى ما جاء في كلمته في حفل افتتاح ندوة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والتي هي بعنوان (صورة الإسلام في الإعلام المعاصر) : (إن الإسلام رسالة تتضمن منهجًا متكاملاً للحياة، يُعَرِّف الإنسان سبل النجاة، ويوصل بين الناس مبادئ التعاون والتكافل وسبل السلام، وهو دين يفرض على جميع أتباعه التقيد بالحق، ويأمرهم بالعدل بين الناس والإحسان إليهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)(النحل : ٩٠).

هذا هو الإسلام - أيها الأخوة ـ ومن منهاجه استمدت المملكة العربية السعودية دستورها، وأقامت عليه نظامها، ولذلك فإن المملكة تجد نفسها أمام التزامات تفرض عليها الدفاع عن الإسلام ومواجهة ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من حملات ثقافية وإعلامية ظالمة، حرفت مقاصده، وألصقت به تهمًا باطلة لا صلة له بها، ومن ذلك لصق تهمة العنف والإرهاب به، وهو رسالة الله إلى الناس لتحقيق العدالة وتأصيل معاني الرحمة بين الناس، ونشر الإسلام في المجتمعات الإنسانية.

لقد أعلنت المملكة العربية السعودية إدانتها لجميع عمليات الإرهاب، منطلقة في ذلك من توجيهات الإسلام الذي يحرم قتل النفس البشرية (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)(الأنعام : ١٥١)، فالإسلام الذي نظم العلاقة بين الأفراد والمجتمعات حرم قتل النفس الإنسانية بلا حق، واعتبر قتل النفس جريمة تعادل في بشاعتها قتل أبناء الإنسانية كلها (

أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا)(المائدة : ٣٢) .

إن المملكة إذ تدين الإرهاب أيًا كان مصدره، وتدعو إلى إزالة أسبابه، وتنقية البيئة التي ينشأ فيها، ومعاقبة مرتكبيه، وتتعاون مع المجتمع الدولي لاجتثاثه ترفض في الوقت والسياق نفسه إلصاقه بالإسلام أو المسلمين، فالإرهاب لا دين له، وتستنكر الهجمات الإعلامية المغرضة التي بدوافع غير إنسانية، من شأنها تأجيج الصراع بين الحضارات والأمم.

والمملكة العربية السعودية ترى أن من واجبها تقديم العون والدعم لكل عمل إسلامي رشيد، يهدف إلى توحيد الرأي بين المسلمين، وإخلاص عملهم لله سبحانه وتعالى وحده وأن ما تواجهه الأمة المسلمة اليوم من حملات تطاولت على دينها وعلى مقدساتها، وعلى رموزها، وعلى منهاجها، يحتاج إلى معالجة حكيمة وتعامل بصير، يعتمد على توجيه شريعة الإسلام، وهو سبيلنا في المملكة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)(يوسف : ١٠٨))[١] .

وجاء في كلمته – حفظه الله تعالى – أمام قمة مسقط (إن أمتنا العربية والإسلامية تضررت أبلغ الضرر بسبب تصرفات رعناء لقتلة رفعوا شعارات الإسلام، والإسلام منهم براء... وادعوا نصرة الأمة العربية والإسلامية، والأمة هي الضحية الأولى لإجرامهم وعبثهم، لذلك فواجب المسلمين جميعًا في هذه الظروف إدانة الأعمال الإرهابية كافة دون لبس أو غموض، وإدانة

---

(١) موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢٥١ – ٢٥٤ .

من يؤازرها بقول أو فعل ، وأن يبينوا الفرق الشاسع والواضح بينها وبين النضال الوطني المشروع في سبيل تقرير المصير.

إن الإسلام هو دين التسامح والمحبة ، والإسلام يدعو إلى أن يكون التعامل مع الآخرين بالمجادلة الحسنى لقوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالهم بالتي هي أحسن)(النحل : ١٢٦)، بل إن الله جلت قدرته خاطب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حينما بعثهما إلى فرعون فقال (فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى)(طه : ٤٤).

لذلك علينا أن نتعامل مع الآخرين بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة لنعكس من خلال تصرفاتنا سلوك المسلم الحقيقي الذي قال عنه نبي الرحمة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))(١).

٤- من كلمات صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام سابقا رحمه الله تعالى :

بين سموه تعريف الإرهاب وحرمته في الإسلام بقوله (أما نحن المسلمون فنرى أن الكلمة الإنجليزية (Terrorism) التي تعني الإرهاب الشائع في وسائل الإعلام والمقترن دائماً بالذم يجب أن تُعرف بالآتي : القيام بكل عمل يقصد به ترويع الأبرياء أو الإفساد في الأرض أو التخطيط لذلك ، وهذا في رأينا تعريف شامل لكل ما حرمه الإسلام من أنواع الإرهاب سواء أكان في السلم أم في الحرب.. إلى أن قال : مما سبق يتضح لكل ذي عين بصيرة وعقل

---

(٢) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢٧٧ – ٢٧٨ .

منير أن دين الإسلام يحرم الترويع والإرهاب ، وأن من يفعل ذلك باسم الإسلام هو جاهل بالدين الحنيف وأن من يصم الإسلام وأهله بالإرهاب هو مفترٍ بلا شك ، ومتجنٍ بلا حق ؛ لأن الإسلام لا يُقرُّ ذلك ، ومن اقترفه من المسلمين فهو مثل غيره ممن يفعله من أهل الديانات الأخرى)[١].

وقال سموه أيضاً موضحاً موقف المملكة من الإرهاب في الكلمة التي ألقاها بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس هيئة الأمم المتحدة (إن بلادي تمثل قلب العالم الإسلامي لكونها منبع الإسلام الذي يجعل السلام في مقدمة مبادئه السامية ، كما ينبذ العنف والإرهاب ، ومن هذا المنطلق يكرس الملك فهد كل جهوده لكي تستمر المملكة في أداء رسالتها تجاه قضايا السلام)[٢].

٥- من كلمات صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية :

بين سموه موقف الإسلام من الإرهاب بقوله (الإرهاب نقيض للإسلام تماما حيث إن الإسلام يعظم من حياة الإنسان والإرهاب يسترخصها ويبيحها.. والإسلام يؤسس أمن المجتمعات وطمأنينتها والإرهاب يقوض ركائز الأمن وطمأنينة النفوس ولهذا كان من المهم الإقرار بأن الإرهاب لا وطن ولا عقيدة له)، وأضاف سموه قائلا (إن الإرهاب بكل صوره وأشكاله يعد حربا خطيرة على المجتمعات وخطورته تشتد من واقع كونه حربا يتحرك مجرموها في الظلام ، ويهدمون أمن الناس من حيث لا يتوقعون

---

(١) انظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ، (د.ن) ط. الثانية ، ١٤٢٢هـ ، ص ١٣٤ ، ١٣٧.

(٢) مجلة المجلة ، العدد (٨٢٠) في ١٤٠٧/٢/٢٢هـ.

ويستبيحون أرواحهم وأموالهم دون ذنب اقترفوه)[1]، وقال أيضاً مبيناً حقيقة الإرهاب (فالمدافع عن حق ليس إرهابياً والمحارب في مواجهة الظلم والباطل واغتصاب الحقوق ليس إرهابياً، الإرهاب في مفهومنا هو: صفة الفعل الخارج عن الشرع والقانون والمنتهك لحرمات الآخرين، وهو الفعل الشيطاني الذي لا يُقره دين ولا تؤيده الأعراف ولا القيم الإنسانية. فعل يهدف إلى الإضرار بالآخر؛ لأهداف ذاتية ضيقة أو لمفاهيم جاهلة منغلقة، كما أن الإرهاب عبر التاريخ البشري لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مرتبطاً بعقيدة أو جنسية أو وطن، فهو في كل مكان يبرز فيه الأشرار والحاقدون والجهلة ومرضى النفوس بصرف النظر عن عقائدهم أو أوطانهم.. إلى أن قال: ويلحظ أن ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية يقفون على رأس قائمة الدول الإسلامية الساعية إلى محاربة الإرهاب الذي لا يعبر عن دوافع إسلامية وإنما من منطلقات سياسية وعدوانية أفرزها الجهل بالإسلام دين السماحة والوسطية والحضارة، الذي جاء ليخرج العالم من الظلمات إلى النور لا ليعيدها إلى الظلمة وغياهب الديجور، فالإسلام دين علم وفكر وثقافة، وسلوكيات المسلم إذا انطلقت من فهم إسلامي صحيح فإنها تعكس قيماً أخلاقية رفيعة يعزُّ نظيرها بين شعوب العالم، وعلى أي حال فإن الإرهاب والإسلام نقيضان، فالإسلام يدعو إلى الحوار والسماحة والأخذ بالحسنى.. وفي الوقت نفسه فهو ليس دين ضعف وذل ومهانة واستسلام)[2].

---

(٣) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٧٠٨٦، في ١٩٩٨/٤/٢٣م.

(٤) ينظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ١٣٨، ١٤١.

وأوضح براءة الإسلام من الإرهاب بقوله (إن التطرف والإرهاب كلمتان يكثر استخدامهما في نشرات الأخبار ، ولا تعد مشكلة الإرهاب قاصرة على دولة بعينها وإنما هي مشكلة دولية بكل معنى الكلمة ، ومما يؤسف له أن تربط بعض وسائل الإعلام بين الإرهاب والإسلام ، أو يتم استغلال الفزع العالمي من الإرهاب لأغراض سياسية غير مشروعة تسيء إلى الإسلام أو تشوه الأعمال المشروعة لمقاومة الاحتلال ، ونحن إذ نميز بين الإرهاب الذي تجب إدانته وشجبه وبين حق الشعوب المشروع في مقاومة الاحتلال والاستعمار نؤكد أن الإسلام نقيض الإرهاب ، وينبذه ويوقع أقصى العقوبات على مرتكب ذلك العمل المشين)([1]).

٦- من كلمات صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية :

أوضح سموه موقف المملكة من الإرهاب في كلمة المملكة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السابعة والخمسين حيث قال (إن موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب كان ولا يزال واضحا وموضوعيا ومسؤولا وليس هناك غرابة في ذلك ، لأن هذه الدولة قد شرفها الله بأقدس مقدسات المسلمين وجعلها موطن الرسالة السماوية السمحة والحريصة على تطبيق أحكام الدين الإسلامي الحنيف) مؤكدا التقيد بقرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣لعام ٢٠٠١م وموضحا أن المملكة العربية السعودية سنّت الأنظمة

---

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٣٥١- ٣٥٢ .

اللازمة لمكافحة الإرهاب الذي عانت منه، وأنها من أوائل الدول الموقعة على اتفاقيات مكافحة الإرهاب على المستويين الإقليمي والدولي.

وأوضح أيضاً موقف المملكة من الإرهاب في الكلمة التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٩٧/١٠/٨م، حيث قال (لقد دأبت حكومة المملكة العربية السعودية على إدانة ظاهرة الإرهاب المستشرية في عالمنا الراهن في كل المناسبات والمحافل الدولية، وضمت صوتها إلى جانب كل الجهود الدولية المبذولة للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، وقد تجلى هذا الموقف على نحو جماعي من خلال البيانات الصادرة عن مجلس التعاون لدول الخليج العربي، والتي تضمن إدانة صريحة وواضحة للإرهاب بجميع صوره وأشكاله، لآثاره الخطيرة على أمن الأفراد ومصالح الشعوب والمجتمعات. وقد جرى التأكيد في هذه البيانات على أن التطرف والعنف والإرهاب ظواهر عالمية غير مقصورة على شعب أو عرق أو ملة معينة، وبالنظر لعالمية هذه الظاهرة وشموليتها، فإن أمر التصدي لها ومكافحتها يستدعي جهوداً دولية مشتركة يكون التركيز فيها على دوافع وأسباب هذه الظاهرة والنتائج المترتبة عليها)[1].

أما جهود مشايخنا الأفاضل، فهي على نوعين :

أولاً : إصدار بيانات مشتركة، وهي كثيرة منها :

١- أصدر مجلس هيئة كبار العلماء القرار رقم ١٤٨ بتاريخ ١٤٠٩/١/١٢ هـ، الذي جاء فيه (إن مجلس الهيئة وبعد وقوع عدة حوادث

---

(٢) انظر : حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ، ١٧٧- ١٧٨.

ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء وتلفت بسببها الأموال والممتلكات والمنشآت العامة قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع هذه الأعمال فقد رأى المجلس ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً. وانطلاقاً مما ذكره أهل العلم من أن أحكام الشرع إنما تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضرورات الخمس والتي هي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وما تسببه تلك الأعمال من إخلال بالأمن العام ونشوء حالة من الفوضى والاضطراب فقد قرر المجلس:

من ثبت شرعاً أنه قام بأعمال التخريب والإفساد والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن والمساجد والمدارس والمستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة كأنابيب البترول أو نسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك فإن عقوبته القتل.

يؤكد المجلس على ضرورة استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من المحاكم وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى براءة للذمة واحتياطاً للأنفس وإجراءً لما عليه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم)[1].

---

(١) انظر: خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، ص ١٠٢.

٢- جاء في بيان هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة في الطائف ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ إثر ما وقع من التكفير والتفجير والتخريب ما يلي :

(أولاً : التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله ، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة ، ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة ، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن ، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة ، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات....

ثانياً : ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطىء من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض وسلب الأموال الخاصة والعامة وتفجير المساكن والمركبات وتخريب المنشآت ، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة وهتك لحرمة الأموال وهتك لحرمات الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم ، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها ، وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم ، وحرم انتهاكها وشدد في ذلك......

ثالثاً : إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخطورة إطلاق ذلك ، لما يترتب عليه من شرور وآثام فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطيء ، وأن

ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي والإسلام بريء منه ، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه ، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة ، فهو يحمل إثمه وجرمه ، فلا يحتسب عمله على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة ، المستمسكين بحبل الله المتين ، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة....)([1]) .

٣- فتوى هيئة كبار العلماء في التفجيرات التي وقعت مؤخراً بالرياض :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه ، أما بعد ، فإن مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٣/٣/١٤٢٤هـ استعرض حوادث التفجيرات التي وقعت في مدينة الرياض مساء يوم الاثنين ١١/٣/١٤٢٤هـ وما حصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم.

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام قد جاءت بحفظ الضروريات الخمس وحرمت الاعتداء عليها ، وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل. ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة ، والأنفس المعصومة في دين الإسلام إما أن تكون مسلمة فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة وقتلها بغير حق ، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر

---

(١) موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٣٠ – ٤٣٧ .

الذنوب العظام، يقول الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما).

ويقول سبحانه (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا.. الآية) قال مجاهد رحمه الله (في الإثم)، وهذا يدل على عظم قتل النفس بغير حق.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي سنن النسائي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم)، ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال (ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك).

كل هذه الأدلة وغيرها كثير تدل على عظم حرمة دم المرء المسلم وتحريم قتله لأي سبب من الأسباب، إلا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فلا يحل لأحد أن يعتدي على مسلم بغير حق، يقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال لا إله إلا الله،

فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله، قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

وهذا يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك وهم مجاهدون في ساحة القتال لما ظفروا به وتمكنوا منه نطق بالتوحيد، فتأول أسامة رضي الله عنه قتله على أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل على حرمة دماء المسلمين، وعظيم جرم من يتعرض لها.

وكما أن دماء المسلمين محرمة، فإن أموالهم محرمة محترمة، بقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) أخرجه مسلم، وهذا الكلام قاله النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم عرفة، وأخرج البخاري ومسلم نحوه في خطبة يوم النحر.

وبما سبق يتبين تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق، ومن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما) أخرجه البخاري.

ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (لم يرح

رائحة الجنة)، وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم).

ولما أجارت أم هانئ رضي الله عنها رجلا مشركا عام الفتح وأراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله ذهبت للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال صلى الله عليه وسلم (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) أخرجه البخاري ومسلم.

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له، ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله. إذا تبين هذا فإن ما وقع في مدينة الرياض من حوادث التفجير أمر محرم لا يقره دين الإسلام، وتحريمه جاء من وجوه:

١ / أن هذا العمل اعتداء على حرمة بلاد المسلمين وترويع للآمنين فيها.

٢ / أن فيه قتلا للأنفس المعصومة في شريعة الإسلام.

٣ / أن هذا من الإفساد في الأرض.

٤ / أن فيه إتلافا للأموال المعصومة.

وإن مجلس هيئة كبار العلماء إذ يبين حكم هذا الأمر ليحذر المسلمين من الوقوع في المحرمات المهلكات، ويحذرهم من مكائد الشيطان، فإنه لا يزال بالعبد حتى يوقعه في المهالك، إما بالغلو بالدين، وإما بالجفاء عنه ومحاربته والعياذ بالله، والشيطان لا يبالي بأيهما ظفر من العبد، لأن كلا طريقي الغلو والجفاء من سبل الشيطان التي توقع صاحبها في غضب الرحمن وعذابه. وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتل أنفسهم بتفجيرها فهو داخل في

عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم (من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا) وهو في البخاري بنحوه.

ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني تسلط الأعداء عليها من كل جانب، وهم يفرحون بالذرائع التي تبرر لهم التسلط على أهل الإسلام وإذلالهم، واستغلال خيراتهم، فمن أعانهم في مقصدهم وفتح على المسلمين وبلاد الإسلام ثغرا لهم فقد أعان على انتقاص المسلمين والتسلط على بلادهم، وهذا من أعظم الجرم.

كما أنه يجب العناية بالعلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة، وذلك في المدارس والجامعات وفي المساجد ووسائل الإعلام، كما أنه تجب العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي على الحق، فإن الحاجة بل الضرورة داعية إليه الآن أكثر من أي وقت مضى، وعلى شباب المسلمين إحسان الظن بعلمائهم والتلقي عنهم، وليعلموا أن مما يسعى إليه أعداء الدين الوقيعة بين شباب الأمة وعلمائها، وبينهم وبين حكامهم، حتى تضعف شوكتهم وتسهل السيطرة عليهم، فالواجب التنبه لهذا. وقى الله الجميع كيد الأعداء، وعلى المسلمين تقوى الله في السر والعلن

والتوبة الصادقة الناصحة من جميع الذنوب ، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة ، نسأل الله أن يصلح حال المسلمين ، ويجنب بلاد المسلمين كل سوء ومكروه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه) .

٤- ومما يوضح موقف العلماء تلك التوصيات التي أصدرها المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء ، في دورته السادسة عشرة في مكة المكرمة بعد أسبوع من البحث والنظر والمناقشات بين أعضائه وخبرائه في الموضوعات المطروحة على جدول أعماله خلال هذه الدورة وذلك في الفترة من ٢١- ٢٦ شوال ١٤٢٢هـ.

حيث أكد المجمع الفقهي الإسلامي (أن التطرف والعنف والإرهاب ليس من الإسلام في شيء ، وأنها أعمال خطيرة لها أثار فاحشة ، وفيها اعتداء على الإنسان وظلم له ، ومن تأمل مصدري الشريعة الإسلامية كتاب الله الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلن تجد فيهما شيئًا من معاني التطرف والعنف والإرهاب ، الذي يعني الاعتداء على الآخرين دون وجه حق).

وجاء فيه تعريف الإرهاب بأنه (ظاهرة عالمية ، لا ينسب لدين ، ولا يختص بقوم ، وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة.. وهو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه ودمه وعقله وماله وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق ، وما يتصل بصور الحرابة ، وإخافة السبيل ، وقطع الطريق ، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد ، يقع تنفيذا

لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر. فكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله: ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (القصص: ٧٧). "وقد شرع الله الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد وعده محاربة لله ورسوله في قوله الكريم ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ (المائدة: ٣٣). ولا توجد في أي قانون بشري عقوبة بهذه الشدة نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذي يعد في الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله وضد خلقه.

لقد سبق الإسلام جميع القوانين في مكافحة الإرهاب، ـ وحماية المجتمعات من شروره، وفي مقدمة ذلك حفظ الإنسان، وحماية حياته وعرضه وماله ودينه وعقله، من خلال حدود واضحة منع الإسلام من تجاوزها، قال ـ سبحانه ـ : (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون). وهذا توجيه لعموم البشر.

وتحقيقًا لهذا التكريم منع الإسلام بغي الإنسان على أخيه الإنسان، وحرم كل عمل يلحق الظلم به، فقد قال الله تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق).

وشنع على الذين يؤذون الناس في أرجاء الأرض ، ولم يحدد ذلك في ديار المسلمين ، كما في قوله تعالى : (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد).

وأمر بالابتعاد عن كل ما يثير الفتن بين الناس ، وحذر من مخاطر ذلك ، قال ـ سبحانه ـ : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)([1]) .

ثانياً : الفتاوى والتوجيهات الخاصة :

١- من توجيهات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى :

إجابة سماحته على سؤال لجريدة المدينة ، حول جزاء من يستهدف ترويع أمن الناس الآمنين ؛ كما حدث في حادث التفجير بالرياض ، الذي قام به مجرمون تسببوا في ترويع الآمنين ، وقتل الأبرياء ، وتخويف عباد الله جل وعلا ، وهذا نصه :

(لا شك أن هذا الحادث أثيم ، ومنكر عظيم ، يترتب عليه فساد عظيم ، وشرور كثيرة وظلم كبير ، ولا شك أن هذا الحادث إنما يقوم به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانًا صحيحًا يعمل هذا العمل الإجرامي الخبيث ، الذي حصل به الضرر العظيم والفساد الكبير ، إنما يفعل هذا الحادث وأشباهه نفوس خبيثة ، مملوءة من الحقد والحسد والشر والفساد وعدم الإيمان بالله ورسوله ، نسأل الله العافية والسلامة ، ونسأل الله

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٤٠ – ٤٥٠ .

أن يعين ولاة الأمور على كل ما فيه العثور على هؤلاء، والانتقام منهم، لأن جريمتهم عظيمة، وفسادهم كبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف يقدم مؤمن أو مسلم على جريمة عظيمة يترتب عليها ظلم كثير، وفساد عظيم، وإزهاق نفوس، وجراحة آخرين بغير حق، كل هذا من الفساد العظيم، وجريمة عظيمة، فنسأل الله أن يعثرهم، ويسلط عليهم، ويمكن منهم ونسأل الله أن يخيبهم ويخيب أنصارهم ونسأل الله أن يوفق ولاة الأمر للعثور عليهم، والانتقام منهم، ومجازاتهم على هذا الحدث الخبيث، وهذا الإجرام العظيم.

وإني أوصي وأحرض كل من يعلم خبرًا عن هؤلاء أن يبلغ الجهات المختصة، على كل من علم عن أحوالهم وعلم عنهم أن يبلغ عنهم ؛ لأن هذا من باب التعاون على دفع الإثم والعدوان وعلى سلامة الناس من الشر والإثم والعدوان، وعلى تمكين العدالة من مجازاة هؤلاء الظالمين، الذي قال الله فيهم وأشباههم سبحانه (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيدهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

إذا كان من تعرض للناس بأخذ خمسة ريالات أو عشرة ريالات أو مائة ريال مفسدًا في الأرض، فكيف من يتعرض بسفك الدماء، وإهلاك الحرث والنسل، وظلم الناس، فهذه جريمة عظيمة، وفساد كبير.

التعرض للناس بأخذ أموالهم، أو في الطرقات، أو في الأسواق جريمة، ومنكر عظيم، لكن مثل هذا التفجير ترتب عليه إزهاق نفوس، وقتل نفوس، وفساد في الأرض، وجراحة للآمنين، وتخريب بيوت ودور وسيارات، وغير ذلك، فلا شك أن هذا من أعظم الجرائم، ومن أعظم

الفساد في الأرض، وأصحابه أحق بالجزاء بالقتل والتقطيع ؛ بما فعلوا من جريمة عظيمة نسأل الله أن يخيب مسعاهم، وأن يعثرهم، وأن يسلط عليهم وعلى أمثالهم، وأن يكفينا شرهم وشر أمثالهم، وأن يسلط عليهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرًا لهم وتدميرًا لأمثالهم، إنه جل وعلا جواد كريم.

ونسأل الله أن يوفق الدولة للعثور عليهم ومجازاتهم بما يستحقون، ولا حول ولا قوة إلا بالله)([1])

٢- من توجيهات فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى :

أجاب رحمه الله تعالى على مجموعة من الأسئلة، منها :

س : هل حقٌ أن التكفير متروك لآحاد الناس ؟

ج : ليس لأحد لا للعلماء ولا لغيرهم أن يكفروا أحدًا، ليس ذلك إلا الله ولرسوله، لكن يجب فهم النصوص على ما دلت عليه.

س : في حال الحكم بكفر شخص معين تأتي مسألة الخروج عليه إذا كان من أصحاب الشوكة أو السلطان، لأهل السنة والجماعة ضوابط حتى في هذه المسألة ـ حفظك الله ـ، ويقول بعض الناس : لنا أن نحمل السلاح ؛ لأن القسم الأول متوفر، هل نحمل السلاح مباشرة، أم أن هناك خطوات أيضًا تؤخذ ؟

---

(١) ينظر : فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ٤٧ – ٤٩ .

ج : الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجز منابذة الولاة إلا بشروط وقال (إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان) وهذه الشروط يصعب جدًا تحقيقها بمجرد النظرة الأولى.

لأن قوله (إلا أن تروا) أي : تعلموا ، والعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا ، فينتفي بذلك الشك أو الظن ، فلا يكفي في ذلك غلبة الظن ، ولا الشك المتردد بل لا بد من العلم بأنه كفر.

أي : لا بد أن يكون الشيء الذي تلبس به ولي الأمر كفرًا لا فسقًا ، فالفسوق مهما كان لا يبيح الخروج على ولاة الأمور وإن عظم.

الشرط الثالث : أن يكون بواحًا أي : ظاهرًا صريحًا لا يحتمل التأويل ، هو كفر بالدلالة القطيعة من الكتاب والسنة ، لا يكفي الظن ولا يكفي ما يحتمل التأويل ، ولا بد من شيء بواح.

والشرط الرابع : أن يكون عندنا فيه من الله برهان أي : دليل يكون حجة لنا عند الله ـ عز وجل ـ فيما ننابذ به ولي الأمر ونخرج به عليه.

فإذا تمت هذه الشروط فلا بد من شرط آخر دلت عليه النصوص ، وهو القدرة على إزالة هذا الوالي بدون سفك دماء الأبرياء ، وانتهاك الأعراض واستحلال الأموال ؛ لأن هذا (أعني شرط القدرة) ثابت في كل واجب من واجبات الشرع لا بد فيه من القدرة ، لقول الله تعالى (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها).

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما نهيتكم عن فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) أما مجرد ظن الإنسان أن ما قام به ولي الأمر كفر بدون تحقق الشروط الأربعة ، ثم لو

تحققت الشروط الأربعة يخرج على الإمام أو ولي الأمر، وليس عنده القدرة التي تحسم الموقف بدون سفك دماء واستحلال أموال، فهذا خطأ في التصرف، والإنسان العاقل البصير يعتبر بما مضى في سلف هذه الأمة من العواقب الوخيمة التي ترتبت على الخروج على ولي الأمر، حتى مع كون الخارج ظاهره الصلاح والاستقامة ؛ لأن الفوضى في المجتمع فساد عظيم يجب على المرء أن يتحاشاه ما استطاع(1).

٣- من توجيهات سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء :

في جواب سماحته ـ حفظه الله ـ على سؤال نصه :

(ما رأي سماحتكم فيما تردده وسائل الإعلام الغربية حول وجود علاقة بين التطرف والإرهاب وبين الإسلام، وكيف يمكن تبصير هؤلاء الناس بحقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ؟).

قال (١ـ إن نسبة قول أو فعل إلى التطرف إنما تقبل عند محاكمته إلى معيار ثابت هو الوسط والعدل، وهذا المعيار مفقود في هذه التهمة إنما هو الأهواء والشهوات، والعداوة

الدينية، والمصالح السياسية، تتجاهل الحقائق، وتبني أحكامها على تصرفات شاذة منبوذة في الإسلام نفسه، كما تبينه أصوله ومصادره وعلماؤنا المعتبرون....

---

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٦٠٠- ٦٠٢ .

وإن من أهم ما جاءت به شريعة الإسلام حفظ الضرورات الخمس وهي : حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ العقل، وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في أكبر تجمع للمسلمين شهده الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر حياته، وذلك في حجة الوداع قال (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا).

هذه هي دعوة الإسلام لمن أراد الحقيقة، اعتدال وسمو ويسر ووسطية، لا تطرف ولا غلو.

٢ـ إن الإرهاب الذي يتمثل في التفجير العشوائي، وسفك الدماء البريئة، وتخريب المنشآت، وإتلاف الأموال المعصومة، وإخافة الناس والسعي في الأرض بالفساد أمر لا يقره شرع ولا عقل سليم، وإن نسبة الإرهاب بهذه الصورة إلى الإسلام هو تهمة للإسلام بما ينافي شرائعه ويناقض أحكامه ؛ ذلك أن الله تعالى قد عظم حرمة الدم المعصوم، وحرم قتل الإنسان بغير حق، وقد جاء الوعيد الشديد على من اقترف هذا الجرم، حتى حمل ذلك بعض علماء الإسلام على استثناء هذا الفعل من الذنوب التي تقبل فيها توبة المسلم، قال تعالى (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا)، وقال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)، وقال تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا).

وعظم قتل النفس ، فقال تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا).

وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم الوعيد لمن قتل من ارتبط مع المسلمين بعهد أو ميثاق بغير المسلمين فقال (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة) ، وفي حديث آخر (ألا من قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ، ولا يرح رائحة الجنة) ، وجاء في الحديث (لا يزال المرء في فسحة في دينه ما لم يصب دمًا حرامًا).

والسعي في الأرض بالفساد والعدوان على الناس من أقبح الصفات ، وأعظم المحرمات في الإسلام ، قال تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق) ، وقال تعالى في ذلك (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد).

وقال تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

إلى أن قال : وقد صدر من كبار علماء المملكة العربية السعودية بيان في ١٤١٩/٤/٦هـ يؤكد ما ذكرته ويعلن موقف علماء المسلمين في المملكة من هذه الأعمال الإرهابية وقد ورد فيه ما نصه : إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله وخطورة إطلاق ذلك لما يترتب

عليه من الشرور والآثام فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك الدماء البريئة وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي والإسلام بريء منه ، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه ، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة فهو يحمل إثمه وجرمه فلا يحتسب على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة المستمسكين بحبل الله المتين وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة)[1] .

وقال أيضاً (يجب أن يعلم الجميع دولاً وشعوباً ، مسلمين وغير مسلمين أموراً :

أولها : أن هذه الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة وما كان من جنسها من خطف لطائرات أو تر ويع لآمنين أو قتل أنفس بغير حق ما هي إلا ضرب من الظلم والجور والبغي الذي لا تقره شريعة الإسلام بل هو محرم فيها ومن كبائر الذنوب .

ثانيها : أن المسلم المدرك لتعاليم دينه العامل بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ينأى بنفسه أن يدخل في مثل هذه الأعمال لما فيها من تعرض لسخط الله وما يترتب عليها من الضرر والفساد .

---

(١) ينظر : حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ١٥١ ، ١٥٢.

ثالثها : أن الواجب على علماء الأمة الإسلامية أن يبينوا الحق في مثل هذه الأحداث ويوضحوا للعالم أجمع شريعة الله وأن دين الإسلام لا يقر أبداً مثل هذه الأعمال .

رابعها : على وسائل الإعلام ومن يقف وراءها ممن يلصق التهم بالمسلمين ويسعى في الطعن في هذا الدين القويم ويصفه بما هو منه براء سعياً لإشاعة الفتنة وتشويه سمعة الإسلام والمسلمين وتأليب القلوب وإيغار الصدور عليه أن يكف عن غيه ، وأن يعلم كل منصف عاقل يعرف تعاليم الإسلام أنه لا يمكن أن يصفه بهذه الصفات ولا أن يلصق به مثل هذه التهم ، لأنه على مر التاريخ لم تعرف الأمم من المتبعين لهذا الدين الملتزمين به إلا رعاية الحقوق وعدم التعدي والظلم)([1]) .

٤- من توجيهات معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء :

(إن مثل هذه الجرائم التي تقع ولا تفرق بين رضيع وامرأة ومسن ومسنة ومريض وصحيح وتأتي على المال وأهل المال تعد من الجرائم العظام والفواحش الخطيرة لأن هذا ينظر إليه في شريعة الإسلام بأنه من الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل ، وهذا أمر حرمه الإسلام ، حرمه الله وحرمه رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، إن من يحدث مثل هذه الجرائم يعد في نظر الإسلام من أخطر الناس جرماً وأسوؤهم عملاً ، ومن يظن أن أحداً من

---

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٦٣ – ٤٦٤ .

علماء الإسلام العارفين بمقاصد شريعة الإسلام المطلعين على مقاصد القرآن وسنة المصطفى أن يجيز مثل هذه الأعمال فإنما يظن سوءاً.

إن هذا العمل الذي تعرضت له الولايات المتحدة بهذه الفظاعة والوحشية المتناهية التي هي أبعد من عمل الوحوش وأبعد من عمل ما قد يسمى جماعات إرهاب أو فصائل إجرام هو عمل بالغ الخطورة....

إن من يدعون أن الإسلام يقر مثل هذا العمل فإنما هم واهمون، إن هذه المناظر المرعبة التي شوهدت من آثار ذلك الإجرام مناظر لا يقرها عقل مسلم ولا يعتد بفعل من فعلها، ولو كان نابتاً منبتاً إسلامياً في بلد إسلامي، العبرة بما يقوله أهل العلم، والعبرة بما تقرر في أحكام الشريعة الإسلامية، وإن أمثال هذه الجرائم لهي من الجرائم الخطيرة...)([1]) .

٥- من توجيهات معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء :

إجابة فضيلته عن هذه الأسئلة :

س : القضاء على الإرهاب حديث الناس اليوم فكيف نعرف الإرهاب من منظور شرعي ؟ وما أفضل السبل للقضاء عليه ؟

ج : الإرهاب هو التخويف وترويع الآمنين من خلال التفجيرات والتخريب واختطاف الطائرات، وقطع السبل مما لا يترتب عليه مصلحة شرعية ولا نصر للدين، وهو أمر ممنوع في الإسلام لما يترتب عليه من المضار والشرور، والمشروع في الإسلام هو الجهاد في سبيل الله بضوابطه الشرعية

---

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٦٦ – ٤٦٧ .

المذكورة في كتب العقائد وكتب الفقه على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

س : هناك من يقرن الإسلام بالإرهاب ظلمًا للمسلمين، وجهلاً بالإسلام، فهل من توجيه ؟

ج : الإسلام لا يقر الإرهاب الذي لا يترتب عليه مصلحة للمسلمين ولا نصرة للدين، والمشروع إرهاب الكفار بإعداد العدة للجهاد في سبيل الله. قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم).

س : هناك جماعات إسلامية تدافع عن بلدانها المحتلة من قبل عدوها، وقد صنفتها بعض الأنظمة بأنها : جهات إرهابية ما تعليق فضيلتكم على هذه التسميات ؟

ج : الدفاع عن البلد المسلم إذا داهمه العدو هو من الجهاد في سبيل الله، بشرط أن يكون هذا الدفاع تحت قيادة إسلامية، وأن يكون منضبطًا بالضوابط الشرعية المذكورة في باب الجهاد من كتب العقائد والفقه.

س : يتسرع بعض طلاب العلم في إصدار فتاوى دون نظر لما يترتب عليها من مفاسد تدفع بعض الشباب لتصرفات هوجاء فهل من توجيه لهؤلاء يا فضيلة الشيخ ؟

ج : الواجب الرجوع في الفتوى إلى الجهة المختصة بها، ولا يجوز لأحد التدخل فيها خصوصًا الفتاوى العامة التي يترتب عليها أمور مهمة والإنسان في عافية مما هو ليس من اختصاصه، ومجال الفتوى خطير ؛ لأنه إخبار عن الله أنه أحل كذا أو حرم كذا أو شرع كذا ؛ وكان السلف الصالح يتدافعون

الفتوى لعلمهم بخطورتها، وإيثار السلامة منها، مع أنهم مؤهلون لها، والغالب في وقتنا هذا قلة العلم وفشو الجهل وقلة الورع ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

س : يوجد لدى بعض الشباب حماس واندفاع دون تأصيل شرعي، أو ارتباط بالعلماء فيترتب على ذلك من المفاسد ما الله به عليم، فضيلة الشيخ هل من توجيه لهؤلاء الشباب، وبيان لضرورة ارتباطهم بالعلماء والصدور عنهم ؟

ج : الحماس والاندفاع إذا لم يكن معهما انضباط في الأمور فإنهما يضران الفرد والمجتمع ضررًا بينًا، ويحدثان فيه انقسامات وآثاراً عكسية، والواجب على أفراد الأمة شبابًا وكبارًا أن يكلوا الأمور إلى أهلها بالرجوع إلى أهل الحل والعقد من أهل العلم وولاة الأمور ؛ لأنهم أدرى بالضوابط الشرعية وما يصلح الأمة ؛ ولأن هذا أبعد عن الاختلاف والانقسام قال الله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلاً).

س : هناك من يروع الآمنين وربما يقتلهم ويرى هذا نوعاً من الاستشهاد في سبيل الله، فهل بينتم لنا من هو الشهيد ؟ وهل تلك العمليات تعد استشهادًا ؟

ج : الشهيد من قتل في المعركة في الجهاد في سبيل الله، وهو يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا كما جاء في الحديث، والجهاد في سبيل الله لا يكون إلا تحت راية وقيادة إسلامية ؛ لأنه من صلاحيات الإمام، وأما التهور من

الأفراد والجماعات من غير راية إسلامية، ومن غير قيادة ولي الأمر المسلم فإنه يجر من المفاسد أكثر مما يترتب عليه من المصالح)[١] .

(١) ينظر : موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٩٣ – ٤٩٦ .

المبحث الثالث : جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والتطرف

لقد بذلت المملكة الكثير من الجهود المتنوعة لمكافحة الإرهاب والتطرف على المستوى الوطني والعربي والإسلامي من سنين طويلة ، ووقفت بحزم ضد المخربين والمفسدين بإيقاع العقوبات الرادعة عليهم ، والقضاء على الإرهاب والإرهابيين أينما كانوا واجتثاثهم من جذورهم ، وما الجهود المكثفة التي تقوم بها إلا خير دليل على ذلك ، ومن أبرز تلك الجهود :

أولاً - فيما يتعلق بالنواحي القضائية

اعتماد العقوبة المغلّظة للإرهاب حسب فتوى هيئة كبار العلماء في فتوى الحرابة رقم (١٤٨) لعام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م الصادرة بالطائف والتي أكدوا فيها بأن الشريعة الإسلامية

ترى الإرهاب عدواناً وبغياً وفساداً في الأرض لأنه حرب ضد الله ورسوله وخلقه استناداً إلى قوله تعالى(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[المائدة : ٣٠]

وقد جاء في نص قرار المجلس (إن مجلس الهيئة وبعد وقوع عدة حوادث ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء وتلفت بسببها الأموال والممتلكات والمنشآت العامة قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع هذه الأعمال فقد رأى المجلس ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب

عملاً تخريبياً. وانطلاقاً مما ذكره أهل العلم من أن أحكام الشرع إنما تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضرورات الخمس والتي هي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وما تسببه تلك الأعمال من إخلال بالأمن العام ونشوء حالة من الفوضى والاضطراب فقد قرر المجلس:

من ثبت شرعاً أنه قام بأعمال التخريب والإفساد والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن والمساجد والمدارس والمستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة كأنابيب البترول أو نسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك فإن عقوبته القتل.

ويؤكد المجلس على ضرورة استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من المحاكم وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى براءة للذمة واحتياطاً للأنفس وإجراءً لما عليه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم)[1].

ثانياً - فيما يتعلق بالنواحي الإرشادية والفكرية:

تأصيل منهج الوسطية ومعالجة الغلو والتطرف والتعصب الديني، مع تنمية الوازع الديني لدى أفراد المجتمع والاهتمام بالنشء عن طريق وسائل كثيرة منها: المحاضرات العامة والندوات والمشاركات المتنوعة وغيرها، وتتولى وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد مهمة تنسيق هذه المحاضرات والندوات في جميع أنحاء المملكة، فمن أبرز مهام هذه الوزارة: الاهتمام

---

(١) ينظر: خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، ص ١٠٢.

بطباعة كتاب الله الكريم وترجمة معانيه وتوزيعه في الداخل والخارج، وتدعم هذه الوزارة الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وتشجع الشباب والناشئة على تعلم وحفظ كتاب الله، وتعمل على إعداد واختيار الدعاة الأكفاء ونشرهم للدعوة إلى الله بالأسلوب الأمل، وتهتم كذلك بالمساجد والأوقاف الإسلامية وتوفر الأئمة والخطباء لجميع المساجد والجوامع. وتعمل كذلك على إقامة المؤتمرات والندوات التي توصل المنهج الحق وتنبذ التطرف والإرهاب.

تساهم كذلك هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نشر الخير وتحقيق مبدأ الوسطية كما جاء في نظام الهيئات في المادة التاسعة ما نصه (من أهم واجبات هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الناس ونصحهم لاتباع الواجبات الدينية المقررة في الشريعة الإسلامية، وحمل الناس على أدائها)[(١)]. ولأهمية الأمر جاء في بيان لوزارة الداخلية مانصه (كما تهيب الوزارة بعلماء الشريعة والمختصين في العلوم الإنسانية والثقافة والإعلام والمواطنين كل على قدر استطاعته بالعمل على كل ما من شأنه استئصال هذا الفكر المنحرف –الفكر الإرهابي المتطرف- وتوعية المجتمع بجميع شرائحه بالمقاصد الشرعية العليا الهادفة إلى إشاعة العدل والتسامح والمحافظة على حق الإنسان في الحياة ومكافحة الغلو والتطرف والاعتداء والإجرام)[(٢)].

(١) المادة التاسعة من نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الصادر بالمرسوم الملكي رقم(م/٣٧) في ١٤٠٠/١٠/٢٦هـ.

(٢) نشر البيان في الصحف ومنها: صحيفة الوطن، عدد (١٢٠١) وتاريخ ١٤٢٤/١١/٢١هـ.

ومن تلك الجهود المباركة ما تقوم به لجان المناصحة التابعة لوزارة الداخلية من دور فاعل في توجيه من وقعوا في هذا الفكر المنحرف إلى المنهج السليم منهج أهل السنو والجماعة، وقد أثمرت تلك اللجان استصلاح مجموعة من أولئك فأعلنوا توبتهم وندمهم على ما فعلوا، ليعودوا بعد ذلك أعضاء نافعين لأنفسهم ولأسرهم وبلادهم .

وتقوم الدولة من خلال مؤسساتها وأفرادها بالتصدي لتهمة إلصاق الإرهاب بالإسلام وتدافع عن الحق بشتى الوسائل، مقابل الحملات الإعلامية الباطلة ضد العرب والإسلام، فمن الواجب نشر الثقافة المعتدلة من خلال وسائل الإعلام بالأساليب المناسبة لتصل الرسالة الإعلامية الهادفة لشرائح المجتمع كافة، وتشارك الدولة أيضاً في المؤتمرات والندوات التي تسهم في مكافحة الإرهاب.

كما أنشأت المملكة مراكز ومعاهد إسلامية في مختلف أنحاء العالم هدفها نشر ديننا الحنيف بشكله وجوهره الصحيح، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام كدين اعتدال وتسامح وتآخي بعيداً عن العنف والقسوة والإرهاب وكل ما يدعو إلى ذلك.

ثالثاً - فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية:

ترعى الدولة الأسرة وتهتم بها لكي تكون أساساً في صلاح الفرد وبالتالي صلاح المجتمع، وقد سبق أن من أبرز أسباب الإرهاب هو التفكك الأسري ولذا فقد جاء الباب الثالث من النظام الأساسي للحكم بعنوان (مقومات المجتمع السعودي) وجاء في المادة التاسعة منه ما نصه (الأسرة هي نواة المجتمع السعودي، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من

الولاء والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر، واحترام النظام وتنفيذه، وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد)[1]، وإداركاً من المسؤولين بأهمية الأمر جاء في بيان لوزارة الداخلية ما نصه (تهيب الوزارة بأولياء الأمور المحافظة على أبنائهم من استغلال الجماعات الإرهابية لهم ليكونوا وقوداً لنار الجريمة والعدوان)[2].

وتدعم الدولة كذلك توثيق الأواصر الاجتماعية، الأمر الذي يقلل فرص انحراف الشباب إلى المنظمات الإرهابية، وقررت ذلك في المادة العاشرة من النظام الأساسي للحكم، فقد جاء فيها ما نصه (تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ورعاية جميع أفرادها وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم)[3].

وفي المادة الحادية عشر ما نصه (يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله وتعاونهم على البر والتقوى والتكافل فيما بينهم وعدم تفرقهم)[4].

وتهتم الدولة بالشباب وتعمل على تسهيل الزواج لحصانته وحمايته من الانحراف وملء وقت فراغه حتى لا يصبح ضحية سهلة لمنفذي العمليات الإرهابية، وتحثه على حسن اختيار الزوجة الصالحة التي تهتم بتنشئة الطفل على الفضائل، وعدم إكراه الفتاة أو الفتى على الزواج، لأن الإكراه قد

---

(١) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم (أ/٩٠) وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.
(٢) نشر البيان في الصحف ومنها: صحيفة الوطن، عدد (١٢٠١) وتاريخ ١٤٢٤/١١/٢١هـ.
(٣) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم (أ/٩٠) وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.
(٤) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم(أ/٩٠) في ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

يؤدي إلى تفكك الأسرة ويصبح أبناء هذه الأسرة هم الضحية، وشجعت قيام الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تهتم بالمساهمة في تزويج الشباب وإعانتهم بكل ما يمكن.

وتدعم الدولة الأسرة في الأحوال الخاصة وتنظم أمور الضمان الاجتماعي بما يحقق الرفاه للمواطن وأبنائه وأسرته، الأمر الذي يصونهم من الوقوع في حمأة الجريمة أو الأعمال الإرهابية، وقد جاء في النظام الأساسي للحكم في المادة السابعة والعشرين ما نصه (تكفل الدولة حق المواطن وأسرته في حالة الطوارئ والمرض والعجز، والشيخوخة وتدعم نظام الضمان الاجتماعي وتشجع المؤسسات والأفراد على الإسهام في الأعمال الخيرية)[1].

رابعاً - فيما يتعلق النواحي الأمنية :

تفعيل وتقوية الأجهزة التي تعنى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد المجرمين، لأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل من مكّنه الله من الأرض من أولي الأمر، وأبرز تطبيقاتها في المملكة هي هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تؤدي دوراً في متابعة المنحرفين وتوجههم لإعادتهم إلى جادة الصواب، كما تعمل على التضييق على الجماعات المنحرفة ومنع أساليب تجنيدها وإبعاد الشباب عنها[2].

وأيضاً إنشاء أجهزة أمنية مرتبطة بوازرة الداخلية متخصصة في مكافحة الإرهاب، من مسؤولياتها التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات مع مثيلاتها من

---

(١) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم(أ/٩٠) في ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

(٢) انظر: جرائم الإرهاب وتطبيقاتها المعاصرة، د. احمد بن سليمان الربيش، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ،ص١١١، ١٢٩.

الأجهزة على المستوى الثنائي والإقليمي والدولي، وتزويدها بأحدث التقنيات وتدريب منسوبيها بأعلى مستويات التدريب،

وتطوير التنظيمات والأساليب والقوانين الخاصة بمكافحة الإرهاب.

لقد أثبتت المملكة للعالم أجمع جدّيةّ مطلقةّ، وحزماً وصرامة في مواجهة العمليات الإرهابية، ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذت على الصعيد المحلي هو انتشار فرق الأمن ووضع نقاط تفتيش عند مداخل ومخارج بعض الطرق والأحياء لما لهذا الإجراء من فائدة كبيرة في ضبط الإرهابيين وإكساب المواطنين الراحة والشعور بالأمن لوجود الفرق الأمنية بينهم[١].

ومن الإجراءات كذلك وضع الأنظمة التي تمنع استغلال الزي العسكري وكلفت الجهات المعنية بالقيام بجولات ميدانية للتأكد من انضباط المحلات بهذه الضوابط، وكذلك وضع ضوابط مشددة لتغيير لون السيارت حتى لا يتمكن الإرهابيون من التمويه على الجهات الأمنية[٢].

وانتهجت الدولة أسلوباً فريداً في علاج ما ظهر من بعض أبنائها من أعمال إرهابية فقد طالبتهم بالتوبة والإنابة وتسليم أنفسهم وقبلت منهم عودتهم إلى الحق كما نشر التلفزيون السعودي في عدة حلقات مقابلات أجريت مع بعض أولئك العائدين إلى الحق، وقد أيد العلماء والمفكرون هذه الخطوة المباركة التي تعمل على رأب الصدع وتوحيد الأمة وعدّوا هذه المراجعات تقدماً كبيراً في مجال مكافحة الإرهاب، وكان هذا الأسلوب جمعاً

---

(١) انظر: التغطية الصحفية عن هذا في صحيفة الجزيرة، عدد (١١٤٧٠) وتاريخ ١٤٢٥/١/٣هـ.

(٢) انظر: صحيفة عكاظ، عدد (١٣٥٩١) وتاريخ ١٤٢٤/٩/١٧هـ.

بين الحل الأمني والحل الفكري لقضية الإرهاب على المستوى المحلي، والدولة بهذه السياسة الحكيمة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قد تقدمت على كثير من دول العالم في المزج في معالجة الظواهر الإرهابية بين الحل الفكري والحل الأمني، وهي سياسة ناجحة على المدى القريب والبعيد بإذن الله[1].

---

(٥) انظر تحقيق صحفي في: صحيفة الوطن، عدد (١٢٥٥) وتاريخ ١٤٢٥/١/١٦هـ.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فهذه أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي بعد الفراغ من الكتابة :

ـ خلت المعاجم القديمة من تعريف كلمتي إرهاب وإرهابي بهذا المصطلح، وتعد كلمة (إرهاب) من الكلمات الغامضة المثيرة للجدل والنقاش، ولهذا كثر الخلاف في بيان معناها وتحديد مدلولها، ومع هذا الاختلاف في تحديد معناها فإن الجميع متفق على نبذ كل عمل تخريبي مفسد في الأرض، يدمر المنشآت والممتلكات ويزهق الأنفس ويروع الآمنين.

ـ اتخذ الإسلام تجاه الإرهاب موقفًا حازمًا فحرم دم المسلم وماله وعرضه، وحرم الاعتداء على الأموال والممتلكات العامة، كما حرم الاعتداء على المستأمنين والمعاهدين وحفظ لهم حقوقهم وأمر بالتزامها، والأدلة على هذا من الكتاب والسنة كثيرة.

ـ اتخذت المملكة العربية السعودية منهجًا واضحًا تجاه ظاهرة الإرهاب قديمًا وحديثًا، فهي تبذل قصارى جهدها لاستئصاله والحد منه، وذلك على جميع المستويات الداخلية والإقليمية والدولية.

وسلكت في محاربته جميع الطرق والوسائل الممكنة، فوقعت الكثير من الاتفاقيات ضده بجميع أنواعه وأشكاله، وجندت جميع الأجهزة الأمنية والقضائية والعلمية وغيرها للقضاء عليه.

ـ تضمن البحث العديد من الكلمات والتوجيهات من قادة هذه البلاد — حفظهم الله تعالى - التي تؤكد رفضها للإرهاب وإدانته وبراءة الإسلام

منه، واجتهد علماؤنا ـ رحم الله أمواتهم ووفق أحياءهم لكل خير ـ في محاربة العنف والتطرف والإرهاب، والتأكيد على حفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، كما بينوا حرمة الاعتداء على المستأمنين والمعاهدين في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم أو تخويفهم وترويعهم.

ـ اجتهدت المؤسسات العلمية والمجامع الفقهية والدوائر البحثية في دراسة ظاهرة الإرهاب والتطرف، فبينت أسباب نشأته وعوامل انتشاره وطرحت الكثير من الحلول والطرق للقضاء عليه واجتثاثه من جذوره واستئصاله، عبر دراسات ميدانية وبحوث عليمة، مقدمة في كثير من المؤتمرات والندوات وغيرها.

ثبت المصادر والمراجع

ـ أثر المعاصي على الفرد والمجتمع ـ محمد بن صالح بن عثيمين – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١١ هـ .

ـ أحكام القرآن – محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي – دار الفكر – بيروت – بدون .

ـ أدب الطلب ومنتهى الأرب – محمد بن علي الشوكاني – تحقيق محمد عثمان الخشت – مكتبة القرآن – القاهرة – بدون .

ـ الإرهاب وانعكاساته على الشرق الأوسط خلال أربعين عامًا – حسين شريف – الهيئة العامة للكتاب – ١٩٩٧ م .

ـ الإرهاب والعنف السياسي – أحمد جلال ـ كتاب الحرية ـ العدد ١٠ – دار الحرية – رجب ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- الإرهاب والغلو دراسة في المصطلحات والمفاهيم – عبد الرحمن معلا اللويحق - بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١- ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ .

ـ الإرهاب والفهم المغرض ـ علي الجحني ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض الأولى.

ـ الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج – محمد الهواري - بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١- ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ .

ـ أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية – أسماء عبد العزيز الحسين – بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١ - ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ .

ـ أسباب ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلامية رؤية ثقافية – عبد الله محمد العمرو – بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١- ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ .

ـ الاستهزاء بالدين وأهله – محمد بن سعيد القحطاني – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ .

ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق ناصر العقل – الطبعة الأولى – ١٤٠٤ هـ.

ـ الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام - ناصر العقل – دار الوطن – الطبعة الثانية – ١٤١٧ هـ .

ـ تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي – تحقيق عبد العزيز مطر – دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون .

ـ التطرف في الدين دراسة شرعية – محمد عبد الرزاق الطبطبائي – بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١- ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ .

ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون .

ـ جامع بيان العلم وفضله ـ يوسف بن عبد البر ـ دار الفكر ـ بيروت ـ بدون .

ـ جرائم الإرهاب وتطبيقاتها المعاصرة ـ أحمد سليمان الربيش ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض ١٤٢٤ هـ.

ـ حقيقة موقف الإسلام من الإرهاب والتطرف ـ سليمان الحقيل ـ الثانية ـ ١٤٢٢هـ.

ـ خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية – مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين – غيناء للنشر – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٤ هـ.

ـ الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام – ناصر العقل – دار الوطن – الطبعة الثانية – ١٤١٧هـ

ـ الرائد معجم لغوي عصري – مسعود جبران – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٦٧ م .

ـ سنن ابن ماجه ـ محمد بن يزيد بن ماجه ـ تحقيق محمد الأعظمي ـ شركة الطباعة العربية السعودية ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ عناية محيي الدين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ بدون .

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – هبة الله بن الحسن الالكائي – تحقيق أحمد حمدان – دار طيبة – الرياض – بدون .
- شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – تحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثامنة – ١٤١٦ هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الفكر - بيروت -.
- شعب الإيمان - أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق محمد بسيوني زغلول - دار الفكر العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) – إسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة - خالد عبد الرحمن العك.
- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة – محمد حسين القحطاني – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ترقم محمد فؤاد عبد الباقي - إشراف الشيخ عبد العزيز بن باز - دار الفكر - بيروت - بدون.
- الفوائد - محمد بن أبي بكر ابن القيم – دار الفكر – بيروت – بدون .
- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروز آبادي - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- القانون الدولي للبحار وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية - الثانية - ١٤٢٣ هـ.
- قضايا الإرهاب والعنف والتطرف – حسن إدريس عزوزي – بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١- ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ .
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - دار صادر - بيروت - بدون.
- مجلة البحوث الإسلامية - العدد ٥٦ - والعدد ٢٤ -.
- مجلة المجلة - العدد ٨٢٠ ٢٢ / ٢/ ١٤٠٧ هـ.

ـ مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مكتبة ابن تيمية – بدون .

ـ مدارج السالكين - محمد بن أبي بكر ابن القيم – دار الفكر – بيروت – بدون .

ـ المسند - أحمد بن حنبل – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الخامسة – ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- المعجم الأوسط - سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق محمود الطحان – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

ـ المعجم الكبير ـ سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـ مطبعة الوطن العربي ـ العراق ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٠هـ.

ـ معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – تحقيق عبد السلام هارون – الطبعة الثانية – ١٣٩٢ هـ.

ـ المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٧٢ م.

ـ مقاصد الشريعة الإسلامية – الطاهر بن عاشور – الشركة التونسية للتوزيع – بدون .

ـ المملكة العربية السعودية ومكافحة الإرهاب من وراء أحداث (١١) سبتمبر ـ الأولى ١٤٢٣ هـ.

ـ مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع أصولهم وسماتهم – ناصر العقل – دار الوطن – الطبعة الثانية – ١٤١٧ هـ.

ـ المنجد في اللغة – دار المشرق – بيروت – ١٩٨٦ م .

ـ الموافقات في أصول الشريعة – أبو إسحاق الشاطبي – دار الباز – مكة المكرمة – بدون .

ـ موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ـ دراسة شرعية علمية وثائقية – سليمان أبا الخيل – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .



جهود المملكة العربية السعودية
في خدمة الدعوة السلفية

إعداد

أ.د. محمد حافظ الشريدة النابلسي السلفي

خريج الجامعات السعودية

وأستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة النجاح الوطنية / نابلس

ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفلسطين

وعضو عشرين جمعية محلية وعربية وعالمية

مقدمة

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالهداية للأنام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد كثرت في الآونة الأخيرة الأحاديث إما بجهل جاهل، أو بسوء قصد جائر عن السلفية والسعودية، حتى صارت بهذه الأحاديث موضع شك وريبة لدى كثير من الناس، وزاد من هذا الشك ما وقع في بعض الأقطار الإسلامية وغيرها من أحداث نسبت زوراً وبهتاناً إلى دعاة السلف، وهم منها براء براءة الذئب من دم يوسف- عليه السلام- ، وقد ظلمت السلفية والسعودية حاملة لوائها قديماً وحديثاً ظلماً شديداً، من بعض الأقارب والأباعد، والأصدقاء والجيران، بيد أنه لا بد من دفع الظلم بالحجة والبرهان، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، فإن نصرة الحق واجبة، ومظاهرة أهل الحق أوجب وأوجب، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

إن البيت- كما يقول العلامة محمد إبراهيم شقرة- لا يخرب بالفؤوس والمعاول التي تعمل فيه هدما من الخارج، بل من المسامير والأوتاد الصغيرة التي تدق فيه من الداخل، وبناء عليه فلا ينبغي أن يعيب السلفيون على من يحمل في قلبه الفتن والبغضاء لهم، بل ينبغي لهم أيضا أن يفتشوا عن العيوب في داخلهم- إن وجدت- فيصلحوها، فذلك أحرى أن يصد عنهم حقد الحاقدين.

إن السلفية- والحق يقال- هي دعوة الإسلام النقية الشاملة العالمية الثابتة الكاملة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء، صالحة لأي زمان أو مكان أو مجال أو أمة، وقد يسر الله لهذه الدعوة المباركة على مدار التاريخ قيادات تحميها وتعمل لها، وعلماء أكفاء ينشرون الدعوة، ويحملون هموم الدعاة، ويدافعون عن حياض الدين، فالسلفية لغةً تعني: من تقدم من السلف أو من كان في عمل صالح، واصطلاحا: من كان على هديِ مَنْ تقدم من القرون الثلاثة الأولى المفضلة من السلف الصالح عقيدة وشريعة ونظام حياة.

يقول العلامة محمد إبراهيم شقرة[1]: (لماذا لا يكون في استعمال نسبة الشافعية أو الحنفية مثلا ما يشعر بالفرقة، ويكون ذلك في استعمال السلفية؟، في حين أن من السلفية أئمة المذاهب، وتستغرق أجيالاً وقرونا بادت أو لم تأت بعد، وتشمل الزمان كله والأرض جميعا؟.

إن العالم كله ينظر إلى السعودية باعتبارها البلد الوحيد في العالم الذي يقوم نظام الحكم فيه على أساس مبادئ الإسلام، ولم يتوان القادة السعوديون لحظة واحدة عن إقرار مفهوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة هما دستور البلاد، فحين طلبت هيئة الأمم المتحدة من ممثلي الدول تقديم نسخة الدستور الذي يتم بموجبه حكم البلاد أرسل لهم الملك الراحل عبد العزيز- رحمه الله- نسخة من القرآن الكريم، وبعد حوالي ربع قرن

---

١ انظر كتاب هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجاً، مكتبة ابن تيمية – مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ، ص ١٩.

تقريباً أكد آنذاك نجله الملك فهد- رحمه الله- المقولة نفسها، مضيفاً أن الشريعة الإسلامية تنفذ في المملكة نصاً وروحاً[1].

إن تمسك آل سعود الكرام بالكتاب والسنة مصدرا للتشريع في البلاد، راية عالية يلتف حولها علماء السلف، وعموم المسلمين في بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية.

ويرى العلماء ومن تتلمذ على أيديهم من دعاة السلف أن أولى واجبات أولياء الأمور: السهر على تطبيق الشريعة وإقامتها، والعمل بها، وهذا ما يحرص ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية على القيام به.

ومن جهة أخرى، لا يقتصر دور السلطات التنفيذية على مراعاة الشعائر الإسلامية فحسب، بل إنها تحرص على العمل بها، وإضفاء الطابع الإسلامي على جميع برامجها وخططها الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية...، وإخراجها إخراجاً إسلامياً.

ومن موقع المعرفة والاطلاع التام بهذه الدعوة الإسلامية السلفية المباركة، والاقتباس من نورها، حيث إني تخرجت في الجامعات السعودية، وتتلمذت على أئمة وعلماء ودعاة السلف في الحرمين الشريفين وخارجهما، ومن خلال علاقاتي الشخصية بصاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز - حفظه الله- ، ومشاركتي- أيضاً- في مؤتمر نبي الرحمة محمد- ﷺ- ، وتشرفي بلقاء صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير

---

١ انظر بحث السلفية والسلطة (السعودية نموذجا) للدكتور أحمد علي، ص ٩٤و٩٥ في كتاب السلفية لمجموعة من الباحثين، معهد المعارف الحكمية ط١ ، ١٤٢٥ه، لبنان.

منطقة الرياض –حفظه الله- ، ومعالي مدير جامعة الإمام محمد ابن سعود الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ومن خلال علاقاتي المتينة مع الإخوة: رئيس وأعضاء الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها في الرياض، وعلاقاتي الأخوية مع زملائي في الدراسات الشرعية العليا، وعلى رأسهم معالي الدكتور صالح بن حميد (رئيس مجلس القضاء الأعلى)، ثم لكوني رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فلسطين، ولكوني أحد دعاة السلفية في فلسطين منذ عقود، فقد أحببت المشاركة في هذه الندوة العلمية العالمية عن السلفية، وأحببت أن يكون بحثي عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الدعوة السلفية في الداخل والخارج (محلياً وعربياً وإسلامياً وعالمياً)، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة:

مقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث، وقد شكلت مدخلاً للدراسة.

الفصل الأول: السلفية دعوة ودعاة: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف السلفية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية.

الفصل الثاني: السعودية حاملة لواء السلفية، وجهودها المباركة عالمياً، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تاريخ المملكة العربية السعودية.

المبحث الثاني: جهود السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين، محلياً وعربياً وإسلامياً وعالمياً.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث والتوصيات والنتائج.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

السلفية دعوة ودعاة

المبحث الأول: معنى السلفية

السلفية لغة[1]: السلف في اللغة: هو من تقدم وسبق من الكبراء والآباء بالفضل والإحسان والعلم والإيمان، والسلف كذلك: من تقدم بالموت من ذوي قرابة الإنسان، وقد سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح.

ومنه قوله- ﷺ- لابنته فاطمة- رضي الله عنها- في العام الذي قبض فيه: "إنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك"[2].

أما السلفية اصطلاحاً[3] فهي ما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، ممن عرفوا بالإمامة والعلم والتقوى والاتباع والدين، وتلقى الناس منهجهم بالقبول؛ لأنهم اقتفوا هدي الرسول- ﷺ- في إحياء السنة، وإماتة البدعة، والدعوة إلى الله، فالسلفية بشكل مختصر: هي مذهب الصحابة والتابعين المقتفين هدي سيد المرسلين.

أما من حيث الزمان فقد استعمل هذا المصطلح للدلالة على خير الناس والقرون وأحقها بالاتباع، وهي القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية من

١- لسان العرب لابن منظور الإفريقي، مادة سلف

٢- جزء من حديث أخرجه مسلم تحت رقم ٢٤٥٠

٣- تعريف بالدعوة السلفية: رائد مهداوي ص ٤، والجماعات الإسلامية: سليم الهلالي ص ٥٤٠ فما بعدها

الرسول سيد البرية- ﷺ- ، كما جاء في الحديث الشريف : "خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم...."[1].

ومعلوم أن الخيرية ليست في الزمان كزمان ، وإنما هي في الأنام الذين يعيشون تلك الأوقات الطيبات المباركات ، يقول الشيخ سليم الهلالي ما ملخصه : وجود الإنسان في ذلك العصر لا يكفي للحكم عليه بأنه على منهج السلف ما لم يكن موافقا للصحابة- رضي الله عنهم- في فهم الكتاب والسنة ، ولذلك يقيد العلماء هذا المصطلح بالسلف الصالح ؛ لأن بعض الفرق الضالة والبدع أطلت برؤوسها في تلك الفترة الزمنية.. ، وهكذا استقر مصطلح "السلف" على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج على ما كان عليه الرسول- ﷺ- وأصحابه قبل الاختلاف والافتراق.

فالسلفية : نسبة إلى السلف الصالح ، وهي انتساب محمود إلى منهج سديد ، وليس ابتداع مذهب جديد[2].

ويقول الإمام ابن تيمية : ولا عيب على من أظهر مذهب السلف ، وانتسب إليه ، واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا[3].

فالسلف : هم الصحابة والتابعون وتابعوهم من أهل القرون الثلاثة الأولى ، سوى أهل البدع وفرق الضلال من الخوارج والروافض والمعتزلة والقدرية والجهمية.

١- قال الإمام ابن حجر في الإصابة : "إنه حديث متواتر" ١٢/١.

٢- الجماعات الإسلامية ص ٥٤٢

٣- مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٩/٤.

والسلفيون هم الذين يعتقدون مذهب السلف الصالح، وينتهجون منهج السلف الصالح كذلك في فهم الكتاب والسنة (قولاً وعملاً واعتقاداً في أي زمان أو مكان أو مجال).

وقد يقول قائل: لماذا نتسمى بالسلفيين؟ ولماذا نبتدع أسماء جديدة؟ ألا يكفي التسمي بالإسلام كما قال- تعالى- : "هو سماكم المسلمين من قبل[1]"؟.

ويجيب عن هذا التساؤل الدكتور أحمد فريد، فيقول ما ملخصه: نجيب عن هذه الشبهة بما أجاب به الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة لما قيل له: ألا يسعنا أن نقول: إن القرآن كلام الله ونسكت؟، قال: كان هذا يسع من كان قبلنا، أما نحن فلا يسعنا إلا أن نقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، فكان يسع المسلمين قبل ظهور بدعة المعتزلة بخلق القرآن أن يقولوا القرآن كلام الله، ويسكتون، ولكن لما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن كان لا بد لأهل الحق من أن يصرحوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، فكان يكفي المسلم اسم الإسلام، عندما كان المسلمون جماعة واحدة على اعتقاد واحد "اعتقاد السلف" للكتاب والسنة[2].

قال رسول الله- ﷺ- : "إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ[3]"، وقال- أيضا- : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين

١- سورة الحج آية ٧٨

٢- السلفية قواعد وأصول د. أحمد فريد ص٤

٣- رواه أحمد ٤/١٢٧، وأبو داود ١٢/٣٦٠، والترمذي ١٠/١٤٤

فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هم يا رسول الله؟ فقال: هم الجماعة[1]"، وفي رواية: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

فالجماعة أو السلفية: هي كل من كان على فكر ومنهج ومعتقد الجماعة الأولى، لأن الله- تعالى- جعل معتقد الصحابة الكرام هو المقياس للعقيدة السليمة، فقال- تبارك وتعالى- : "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا[2]".

فالذي دعا إلى ظهور اسم السلفية من جديد هو ما حدث من افتراق هذه الأمة، كما أخبر بذلك النبي- ﷺ- ، وما حدث من ظهور البدع كذلك، ومن ظهور التكفير والتفجير والتبرير والتطرف والإرجاء، واختلاف المناهج والأهواء والآراء....، فكان لا بد لأهل الحق أن يتميزوا عن غيرهم باسم ومنهج معين واضح ومعروف، فالسلفية ليست اجتهادات وفهم عمرو أو زيد- كما يقولون- ، وإن كان شيخ الإسلام ابن تيمية أو الإمام المجدد محمد عبد الوهاب أو العلامة المحقق ابن باز أو العلامة ابن عثيمين أو ناصر السنة الألباني- رحمهم الله- .

١- رواه أبو داود ٢/٥٠٤، وأحمد ٤/١٠٢ والحاكم ١/٢١٢٨ وصححه ووافقه الذهبي

٢- سورة البقرة آية ١٣٧

السلفية باختصار: فهم وتعلم ونشر وتطبيق معتقدات السلف الصالح ومنهاجهم، في كل شؤون الحياة، في ضوء الكتاب والسنة، في أي زمان أو مكان، والمحافظة عليها، والدفاع عنها.

وستبقى دعوة السلف ترفع راية السنة الصحيحة، وتدعو للمصدرين الرئيسين: الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول الرسول- ﷺ- : "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك[1]".

وقد يسر الله- تعالى- أئمة الحرمين الشريفين، والقيادة الحكيمة للمملكة العربية السعودية، والعلماء الأجلاء؛ لرفع راية الدعوة السلفية ونشرها، والدفاع عنها بالحوار الهادئ، والأسلوب الحكيم، والمنطق الرصين، والمجادلة بالحكمة واللين.

قال رسول الله- ﷺ- : "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها"، وقال- أيضا- : "لا هجرة بعد الفتح"، وهذا يعنى أن الحرمين الشريفين سيبقيان دار الإسلام والإيمان، ودار سنة ودعوة إلى قيام الساعة، كما ذكرت ذلك في بحثي (الإيمان بالنبي- ﷺ-) في مؤتمر نبي الرحمة، الذي عقد في رياض العروبة والإسلام، قبل فترة وجيزة.

فالسلفية هي الطائفة المنصورة الظاهرة، وهي منهاج ودعوة، ولا معنى لمنهاج بلا طائفة، ولا طائفة بلا منهاج. وخرج من صفة الطائفة المنصورة كل

١- متفق عليه، رواه البخاري حديث ٧٣١١ ومسلم ٣/ ١٥٢٣

من تجمع على غير عقيدة السلف ومنهاجها، كأن يجتمعوا على السياسة، أو فرعية دينية او دنيوية[١].

دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية[٢]

تعتبر دعوة شيخ الإسلام الإمام المجدد، محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- رائدة الدعوات الإصلاحية التي ظهرت إبان التخلف والجمود الفكري الذي ران على العالم الإسلامي في زمن غربة الإسلام الأخيرة؛ ففي الحديث الصحيح عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي- ﷺ- قال: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما كان، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في حجرها[٣]" أي أن الإيمان ينضم إليهما، ويجتمع بعضه إلى بعض فيهما.

وقد نادت هذه الدعوة الإسلامية السلفية النقية بالرجوع إلى هدي السلف الصالح في جميع شؤون الحياة، وإنه لمن الأخطاء الشائعة تسميتها بالوهابية؛ فهي دعوة للعودة إلى الأصول والمنابع الإسلامية الصافية، وتنقية التوحيد من الشرك، وتنقية العبادات من البدع والخرافات، فهي ليست مذهباً جديداً أو طريقة مبتدعة، وإنما هي امتداد لدعوة السلف الأولى، وتجديد لها بترسم

١- صفات الطائفة المنصورة ومفاهيمها: لعدنان بن محمد آل عرعور ص ٦١٣، والسلفية في المجتمعات المعاصرة لمحمد فتحي عثمان، ص فما بعدها ط١٤٠١، ٢ه دار القلم / الكويت

٢- انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: إشراف د مانع الجهني ط٣، ١٤١٨ه، الناشر دار الندوة العالمية- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١/ ١٦٤

٣- رواه مسلم انظر: فضل المدينة لعبد المحسن بن حمد العباد، دار المفتي السعودية ط٣، ١٤٢٣ه ص١٠

خطاها النقية، والسير على منوال من سار عليها من السابقين الأولين وتابعيهم بإحسان، امتثالاً لقوله- تعالى- : "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم"[(١)].

لمحات من حياة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب[(٢)]:

هو علم الدعوة الإسلامية (السلفية) المعاصرة وإمامها وشيخها، ولد ببلدة العيينة القريبة من الرياض عام ١١١٥هـ، وتلقى علومه الأولى على يد والده- رحمه الله- ، وحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، وذهب إلى مكة المكرمة حاجاً، ودرس على علمائها، ثم سافر إلى المدينة النبوية المنورة، ليزداد من العلوم الشرعية، والتقى بالعلامة محمد حياة السندي، والعلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي، وأخذ عنهما العلم، وعاد إلى العيينة، ثم توجه إلى العراق، فأخذ عن علماء البصرة وبغداد والموصل، وبعد مناظرات وجد واجتهاد في الدعوة إلى الله- تعالى- وإلى كتابه وسنة رسوله—صلوات الله وسلامه عليه—غادر البصرة، بعد قيام بعض علمائها عليه إلى الإحساء، ثم إلى حريملاء، حيث انتقل إليها والده الذي كان يعمل قاضياً، وفيها بدأ ينشر الدعوة إلى التوحيد، لكنه غادرها بسبب مؤامرات السفهاء.

١- سورة التوبة آية ١٠٠

٢- المصدر السابق، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١/ ١٦٥- ١٧٠ (بتصرف)

ثم توجه إلى العيينة وعرض دعوته على أميرها فقبلها في البداية، ولكنه قلب له ظهر المجن بعد ذلك، وأعرض عن نصرتها، فتوجه الشيخ بعد ذلك إلى الدرعية، مقر إمارة آل سعود الكرام، وقد علم الأمير محمد بن سعود بمقدم الشيخ، فأتاه مرحباً به، مجلاً لعلمه ودعوته، وعاهده على حمايته ونصرته، وكما جاء في الأثر: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، فلا بد للحق من قوة تحميه، فمضى الشيخ والأمير في نشر الدعوة في ربوع نجد، وقاما بها حق القيام، ولما توفي الأمير محمد عام ١١٧٩هـ- رحمه الله- ، خلفه ابنه عبد العزيز ليتابع مناصرة الدعوة مع الشيخ الإمام الذي توفاه الله تعالى في الدرعية عام ١٢٠٦هـ.

وللشيخ مصنفات عديدة أكثرها في التوحيد منها: كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد، وكتاب الإيمان، ومسائل الجاهلية، وآداب المشي إلى الصلاة، ومختصر السيرة النبوية، ومختصر زاد المعاد.

وأهم تلامذة الشيخ الإمام: أولاده: إبراهيم وحسين وعلي وعبد الله، وسعود بن عبد العزيز، ومحمد بن سعود وغيرهم...، أما أهم علماء الدعوة السلفية في الجزيرة العربية بعد شيخ الإسلام من غير من ذكرنا فهم: عبد الرحمن بن خميس، وحسين بن غنام، وعبد العزيز الحصين، وحمد بن ناصر، وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن سمحان، وحمد بن عتيق، والعلامة محمد بن إبراهيم (آل شيخ)- مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس القضاء السابق- ، وشيخ الإسلام في عصرنا هذا الإمام ابن باز، والعلامة الفقيه الأصولي المحقق ابن عثيمين،

ومن تأثر بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب: الإمام الشوكاني والصنعاني وصديق حسن خان والآلوسي وجمال الدين القاسمي ومحمد بشير السهواني.

مذهبه وفكره ومعتقداته:

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب حنبلي المذهب، لكنه كان يقف مع الدليل، ولو خالف المذهب.

١. أكد على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، واعتماد منهج أهل السنة والجماعة في فهم الدليل.

٢. دعا إلى تنقية التوحيد مما ران عليه من الشوائب، وأكد على إثبات الأسماء والصفات من دون تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، وركز على عبادة الله وحده، واجتناب الطاغوت، ومحاربة البدع والخرافات والعادات الجاهلية.

٣. إحياء فريضة الجهاد: بالجنان والسيف واللسان: للنفس والكفار والشيطان.

والحق يقال: إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- السلفية لا الوهابية- هي امتداد لما كان عليه سلف الأمة والقرون المفضلة الأولى، وهي في الواقع دعوة إلى اتباع تعاليم الكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح بالحكمة والإقناع....، وهي الدعوة الإصلاحية الوحيدة في العصر الحديث التي نجحت في تأسيس دولة تحكم بالإسلام في كافة نواحي الحياة.

تاريخ المملكة العربية السعودية

الدولة السعودية الأولى (١١٣٧- ١٢٣٣هـ)[١]:

ينتسب آل سعود الكرام إلى جدهم الأمير سعود بن محمد بن مقرن، وقد استقر مقرن في منطقة حنيفة بنجد، وقد جاء من بلدة (دارين) على ضفاف وادي حنيفة، وقد عرفت بعد ذلك بالدرعية، وبدأ سعود بتوسيع إمارته، وقد توفي بحدود ١١٣٧هـ- ١٧٢٥م، ثم جاء ابنه الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى والذي ظهر في عهده الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فرحب الأمير محمد بدعوة الشيخ الإمام، وعاهده على نصرته وحمايته، وعملا معاً على نشر الدعوة السلفية، وبذلك قامت الدولة السعودية الأولى، واستطاعت أن تضم جهات في الجزيرة العربية، وواصل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ما سار عليه أبوه، فاتسعت رقعة الدولة في عهده، حتى بلغت أقصى اتساع لها في عهد سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير)، حيث شملت كافة مناطق الجزيرة العربية.....، وفي نهاية عهده بدأ والي مصر محمد علي، بإيعاز من الأتراك العثمانيين يرسل حملاته العسكرية للسيطرة على الجزيرة العربية، وتمكن من ذلك في عهد عبد الله الأول حيث دخلت جيوشه الدرعية عام ١٢٣٣هـ، وقضى على الدولة السعودية الأولى.

١- انظر الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي إشراف الدكتور قاسم إبراهيم ومحمد صالح وتقديم الدكتور راغب السرجاني ٢/٢٣٥- ٢٣٨ (بتصرف) ط٧، ٢٠٠٧م مؤسسة اقرأ القاهرة — مصر

الدولة السعودية الثانية (١٢٣٤ – ١٢٨٩هـ)[١] :

بدأ الوجود المصري يتضاءل في الجزيرة ، واكتفوا بوجودهم في الحجاز بينما انسحبوا من نجد ، ثم أرغمت الجيوش المصرية على الانسحاب من الحجاز عام ١٢٤٠هـ ، وتولى حكم الحجاز أسرة الأشراف التابعين للأتراك العثمانيين ، بينما تولى حكم نجد الأمراء السعوديون ، ونشب شقاق بين الأمراء فاستغل آل ابن الرشيد ذلك ، مما أدى إلى الاستيلاء على أملاكهم ، بيمنا لجأ من بقي من الأسرة السعودية إلى آل الصباح في الكويت ، وبذلك انتهت الدولة السعودية الثانية.

الدولة السعودية الثالثة "المملكة العربية السعودية الحديثة" (١٣١٩هـ) :[٢] :

الملك عبد العزيز الثاني - رحمه الله - :

تطلع الأمير عبد العزيز الثاني بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى استعادة ملك آبائه ومركزهم في الجزيرة ، وكانت سيادة الجزيرة آنذاك موزعة بين العثمانيين والإنجليز ، وبدأ الأمير بالهجوم على الرياض ، واستطاع انتزاعها من آل ابن رشيد ، وكانت بداية قيام الدولة السعودية الحديثة الثالثة ، وعلى رأسها المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود ، الذي مد نفوذه إلى الأحساء عام ١٣٣٢هـ ، وتمكن من ضم حائل عام ١٣٤٠هـ ، وضم إليه إمارات عسير التي كان يحكمها الأدارسة وآل غائض ، وقد طلب أمير الأدارسة عام ١٣٤٩هـ من الملك عبد العزيز الانضمام إلى دولته ، فوافق على

١- المصدر السابق نفسه بتصرف.

٢- المصدر السابق

ذلك، وكان الصراع على أشده بين آل سعود والأشراف- حكام الحجاز، ونشبت الحرب بينهما وانتهت بانتصار السعوديين، وضم الحجاز إليهم، وفي عام ١٣٥١هـ أعلن عن قيام المملكة العربية السعودية، وفي عام ١٣٧٣هـ توفي الملك عبد العزيز- رحمه الله- ، وتولى بعده ابنه الملك سعود—رحمه الله- ، ثم الملك العظيم فيصل[1] الذي كلف عدة مرات بتشكيل الوزارة، وظهر تفوقه في إدارة البلاد حتى قرر العلماء والأمراء توليته، وفي عهده تأسست جامعة الدول العربية، وكانت السعودية أحد مؤسسيها، وكان للملك فيصل مكانة كبيرة على الصعيد المحلي والعربي والإسلامي والعالمي، واتجه إلى التصنيع كي لا يكون البترول هو المصدر الوحيد للإيرادات، وأنشأ الكثير من المدارس والجامعات، وكان له دور كبير في حرب العاشر من رمضان.....، واغتيل- رحمه الله- عام ١٣٩٥هـ، وتألم المسلمون في العالم لفقده.

وتولى الحكم من بعده شقيقه الملك الصالح خالد بن عبد العزيز الذي توفي عام ١٤٠٢هـ- رحمه الله- ، وتولى الحكم من بعده الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين، ومنشئ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، و تم في عهده- رحمه الله تعالى- توسعة كبيرة للحرمين الشريفين، وعمل على رفعة البلاد وتطويرها وازدهارها، وقد تولى الحكم من بعده خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز- حفظه الله ورعاه- ؛ ليقود مسيرة المملكة، ويعمل على زيادة رفعتها وريادتها،

١- المصدر السابق

ويعمل مع إخوانه من العلماء والأمراء على خدمة الإسلام والمسلمين والسلفية في مشارق الأرض ومغاربها—تقبل الله تعالى منه ذلك، ورعاه بعنايته- .

المبحث الثاني

جهود المملكة العربية السعودية

في خدمة الدعوة السلفية محلياً وعربياً وعالمياً

أحببت في هذا البحث أن اذكر على وجه الاختصار جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين على الصعيد المحلي والعربي والعالمي، فوجدت كلاماً رائعاً، يسجل بماء الذهب لشيخ الإسلام في هذا العصر الإمام العلامة المحقق ابن باز- رحمه الله- يتحدث عن هذا الموضوع، فلخصته في هذه الكلمات:

قيض الله- تعالى- للإسلام منذ عهد الرسالة إلى اليوم علماء مصلحين نقلوه إلى الناس، وبينوا أحكامه، ونافحوا عنه، وعالجوا به قضايا الناس وشؤونهم، واستنبطوا الأحكام لكل ما جد من الوقائع التي لا نص فيها، وكان لهؤلاء العلماء المصلحين أثرهم البارز في تقوية وازع الدين لدى الناس، وإزالة الشبهات والشكوك عنه، ومحاربة المعاصي والبدع، ودعوة الناس إلى ما كان عليه الرسول- ﷺ- وأصحابه الكرام، وكان لهؤلاء الدعاة أثرهم القوي في ذلك مما نتج عنه قوة المجتمع المسلم وتقدم المسلمين واجتماع كلمتهم.

ومن أبرز هؤلاء الدعاة المصلحين الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر الهجري، الذي وفقه الله للقيام بدعوة إصلاحية عظيمة، أعادت للإسلام في الجزيرة قوته وصفاءه ونفوذه، فطهر به الله الجزيرة من الشرك والبدع والجهل، وهداهم به إلى الصراط المستقيم،

وامتدت هذه الدعوة المباركة إلى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي ، وتأثر بها عدد من العلماء والمصلحين ، وكان من أقوى أسباب نجاح هذه الدعوة أن هيأ الله لها حكاماً آمنوا بها ، ونصروها ، وآزروا دعاتها ، ذلكم هم الحكام من آل سعود الكرام ، بدءاً من الإمام المجاهد محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية ، ثم أولاده وأحفاده من بعده.

وهذه الدعوة المرتبطة بمذهب السلف الصالح السابق لها ، والتي تسير على خطاهم ، تستحق المزيد من الدراسة والعناية وتبصير الناس بها ، لأن الكثير من الناس لا يزال يجهل حقيقتها ، وقد أثمرت ثمرات عظيمة لم تحصل على يد مصلح قبله - بعد القرون المفضلة الأولى - ؛ لما ترتب على ذلك من قيام مجتمع يحكمه الإسلام ، ووجود دولة تؤمن بهذه الدعوة ، وتطبق أحكامها تطبيقاً صافياً نقياً في جميع أحوال الناس في العقائد والأحكام والعادات والحدود والاقتصاد والسياسة وغير ذلك ، مما جعل بعض المؤرخين يقول : إن التاريخ بعد عهد الرسالة والراشدين لم يشهد التزاماً بأحكام الإسلام كما شهدته الجزيرة العربية في ظل الدولة السعودية ، التي أيدت هذه الدعوة (السلفية) ، ودافعت عنها.

ولا تزال هذه البلاد - بحمد الله - تنعم بثمرات هذه الدعوة أمناً واستقراراً ورغداً في العيش ، وبعيدا عن البدع والخرافات التي أضرت بكثير من البلاد الإسلامية التي انتشرت فيها.

والمملكة العربية السعودية حكاماً وعلماء يهمها أمر المسلمين في العالم كله ، وتحرص على نشر الإسلام في ربوع الدنيا ؛ لتنعم به كما تنعم به هذه البلاد ، ومن هنا فإن الدولة السعودية منذ قيامها وحتى الآن تتحين الفرص

والمناسبات لبيان حقيقة هذه الدعوة التي تعتمد على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ، وقد فتحت المعاهد العلمية ثم الكليات ثم الجامعات التي خرجت الكم الغفير من دعاة السلف ، مما كان له الأثر الكبير في نهضة الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج.

إن حكومة المملكة العربية السعودية السنية السلفية- وفقها الله لما فيه رضاه ، ونصر بها الحق- تدعم كل عمل يؤدي إلى رفعة الإسلام وخدمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وإن من جهودها المباركة منذ عهد الملك عبد العزيز- رحمه الله- نشر كتب السلف والعناية بها وتدريسها ، ومعاونة الجماعات والأفراد الذين يهتمون بها ، ويحرصون على انتشارها.

وإن للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد- بحمد الله تعالى- جهوداً عظيمة مشكورة في مختلف البلاد الإسلامية والبلاد التي فيها أقليات مسلمة ، وتشاركها في ذلك رابطة العالم الإسلامي وبعض الدول والمؤسسات الإسلامية المدعومة من حكومة خادم الحرمين الشريفين ، فقد قامت إدارات البحوث العلمية بمواصلة نشر رسالة الإسلام في ربوع إفريقيا وأوروبا وأمريكيا وآسيا وأستراليا ، لإيصال كلمة الحق والدين إلى الناس ، بما تنشره من مصاحف ومراجع وكتب ومطبوعات ، بوساطة الدعاة والمرشدين والعلماء ، وما يعقدون من محاضرات وندوات ودروس ولقاءات لشتى الطبقات ومختلف الثقافات ، من خلال المساجد والمدارس والجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي تدعمها وتساهم في تأسيسها وبنائها بواسطة دعاتها المنتشرين في سائر أرجاء الأرض.

فالرئاسة العامة للإفتاء توجه نشاطاتها فيما يقرب من خمسين بلداً في إفريقيا وحدها، ولها أكثر من ألف داعية هنالك يبلغون كلمة الإسلام، ويدعون إلى دين الله في المساجد والمجتمعات في مختلف المناسبات، ويقومون بالتدريس والوعظ والإرشاد، وقد نفع الله بهم وبجهودهم، وآثار أعمالهم ظاهرة بادية بحمد الله- تعالى- ، حيث أسلم على أيديهم الجم الغفير ممن أراد الله هدايتهم.

أما في أمريكا وأوروبا وأستراليا، فقد قامت الرئاسة بفضل الله ضمن جهود أخرى بإرسال العديد من الوفود إلى هناك، وذلك لمعايشة هذه الأقليات المسلمة، وتقصي الحقائق عن أوضاع المسلمين هناك، وتقويم أعمالهم ومعرفة ما يستجد بشأنهم، وإيجاد الحلول المناسبة لما يعترضهم من مشكلات، وبيان ما ينقصهم وما يحتاجونه في عملهم الإسلامي.

وقد تمخض عن ذلك إرسال الكثير من الدعاة والمدرسين إلى البلدان المحتاجة التي يوجد فيها أقليات مسلمة، ودعم الجمعيات والمراكز الإسلامية في بناء منشآتها مادياً ومعنوياً، مع تزويدهم بالمصاحف وبأمهات الكتب والمراجع العلمية، والنصح والإرشاد لهم، أما في قارة آسيا: فتقوم الرئاسة بدعم من الحكومة الرشيدة بتوفير عدد لا بأس به من الدعاة في البلدان التي تيوجد فيها أقليات إسلامية؛ لنشر الدعوة الإسلامية، كما وضعت مكاتب ومشرفين لمتابعة أعمال الدعاة إلى الله- تعالى- ، وتوزيعهم حسب حاجة تلك البلدان، وبحث ما فيه المصلحة لدعم الجمعيات الإسلامية المعروفة بسلامة الاتجاه والعقيدة والمقصد، ومعرفة حاجتهم للكتب الإسلامية المعتبرة، ومن ثم الكتابة إلى المؤسسات التعليمية في المملكة لتزويدهم بالمقررات المدرسية.

كما تقوم بالمساهمة في إكمال مشروعاتهم التي تعود على الإسلام والمسلمين بالنفع في دينهم ودنياهم ؛ كالمساهمة في بناء المساجد وترميمها وتزويدها بالمصاحف، وتوثيق المؤسسات الإسلامية للاطمئنان على سلامة عقيدة القائمين على العلم وصدقهم، وذلك بإعطائهم توصيات خاصة لمحبي الدعوة، لمساعدتهم على الخير، وإرسال الوفود من الرئاسة العامة لتفقد أحوال الأقليات الإسلامية ومعرفة احتياجاتهم، وكل ما ذكر آنفا من عمل الرئاسة العامة ودعمها للجمعيات والمراكز الإسلامية وإرسال الدعاة وغير ذلك من أعمال ؛ إنما تم ويتم بفضل الله- تعالى- ، ثم بفضل الحكومة السعودية الرشيدة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله ورعاه- [1].

وتجدر الإشارة إلى أن مهام الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد قد أصبحت من مهام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد منذ إنشائها عام ١٤١٤هـ.

وأختم هذا البحث المتواضع بذكر خلاصة بحثي عن جهود الملك الراحل الملك عبد العزيز آل سعود في خدمة قضية المسلمين الأولى : القضية الفلسطينية من خلال اتصالاته بالحكومة البريطانية[2].

١- انظر كتاب مختارات من كناب : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة : للإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، ط١ ، ١٥١٨ه، ص ٤٨- ٤٩٣

٢- جهود الملك عبد العزيز في خدمة القضية الفلسطينية للباحث الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة مقدم لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة النجاح الوطنية بنابلس فلسطين بمناسبة انعقاد المؤتمر العلمي : السعودية وفلسطين ١٩٢٥- ١٩٤٨م

إن موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية قام على قاعدة عظيمة صلبة متينة هي (العقيدة الإسلامية)، ومعلوم أن قضية فلسطين هي قضية المسلمين الأولى خلال المائة عام الماضية، ففلسطين قبلة المسلمين الأولى، وهي موئل الطائفة الظاهرة المنصورة، وهي أرض الإسراء والمعراج، وفيها المسجد الأقصى المبارك ثالث المساجد الكبرى في الإسلام، وقد اتسم موقف الحكومة السعودية- منذ ظهور مشكلة فلسطين- بالوضوح والصدق والأمانة والصراحة والشجاعة والمنطق والواقعية. واتخذت المملكة السعودية منذ تأسيسها على يد الملك الراحل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود- رحمه الله- اتخذت خطاً واحداً تجاه قضية فلسطين، ألا وهو تقديم كل أشكال الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني. يقول المؤرخ العلامة الكاتب الشهير خير الدين الزركلي- وهو الذي عاصر القضية الفلسطينية، ولازم الملك عبد العزيز- ، يقول عن صقر الجزيرة بالحرف الواحد: (لقد ألف الناس الإعلان عن أعمالهم، وكان الملك عبد العزيز لا يعلن عن ذلك، وأدى هذا في بعض الأحيان إلى قوارض من النقد وجهت إليه وإلى حكومته في بعض الصحف، فكان يقول: نحن لا نعمل للناس، نحن نعمل لمرضاة رب الناس).

وقد رفض العاهل السعودي الملك عبد العزيز بشدة أخذ رشوة من بريطانيا (عبارة عن مليون جنيه إسترليني) مقابل الموافقة على توطين اليهود في فلسطين! وها هو ذا يقول بصراحة: "إن ما طلبه تشرتشل لا يتعلق بمساعداتنا لبريطانيا، إنه خيانة لله ولرسوله وللمسلمين، ولا أستطيع الإذعان أو اتخاذ أي خطوة في هذا المجال)!

والحق يقال: إن الملك عبد العزيز لم يترك سبيلاً اهتدى إليه، إلا سلكه لدفع الكارثة عن أندلس المسلمين في القرن العشرين ؛ الشهيدة فلسطين! فقد بذل المال والرجال، وقابل الأقطاب ممن بأيديهم زمام السياسة العالمية، وعلى رأسهم دهاقنة السياسة البريطانيين، وراسلهم ومت إليهم بصداقات وعلاقات، وجال معهم في كل ميدان، ولكن قدر الله نافذ لا محالة، وللسياسة أذن صماء، ولا يفل الحديد إلا الحديد!

وبعد: فقد خصص العلامة الزركلي في كتابه الشهير: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز أكثر من مائة صفحة للحديث عن جهود الملك عبد العزيز في خدمة القضية الفلسطينية من خلال اتصالاته بزعماء بريطانيا وأمريكا، ولكن قدر الله نافذ لا محالة!

رحم الله الملك عبد العزيز، ويسر الله لأمتنا من يعيد لها مجدها التليد بالعلم والإيمان والسيف والقرآن، إنه سميعٌ مجيب.

كلام حكام الدولة السعودية في طلب الطريقة السلفية، والانتماء إليها:

إن أصدق الناس مواطنة هم ولاة الأمر، لأنهم هم المعنيون بالحفاظ على كل ما يحقق الأمن والطمأنينة للوطن وأهله، وتحقيق كافة المصالح المرجوة، وقد رسم ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية أوضح صورة في بيان أن (الوطنية السعودية) إنما قام أساسها على (سلفية المنهج)، فدل ذلك على مدى الترابط بين السلفية كمنهج ديني وكواجب وطني، وسأنقل من كلام ولاة الأمر في هذه البلاد ما يدل على هذا الأصل.

أولا : من كلام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود :

قال- رحمه الله تعالى- في الخطاب الذي ألقاه في منى ، يوم عيد الأضحى ، في حج عام ١٣٦٥هـ : « إنني رجلٌ سلفي ، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة ».

وقال في الخطاب نفسه : « يقولون : إننا (وهابية) ، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا ، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، ولقد صدق القائل :

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب»[١]

وقال في نصيحة له أخرى : «وإني على ثقة تامة بأن يرى كل صاحب إنصاف ، أن واجبي يدعوني لأن أوجه هذه النصائح لشعبي المحبوب ، ولكل مسلم ، لأني مسلم محافظ على إسلاميته ، عربي غيور على عربيته ، متبع لما جاء به محمد- ﷺ- ، مقتد بمذهب السلف الصالح[٢].

وقال في موطن آخر : «أنا داعية لعقيدة السلف الصالح ، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين ، أما ما كان غير موجود فيها ، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة ، فآخذ منها ما فيه صلاح للمسلمين ، أنا مسلم ، وأحب جمع كلمة المسلمين ، وليس أحب عندي من أن تجتمع عندي كلمة المسلمين ، ولو على يد عبد حبشي ، وإني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك»[٣].

١- المصحف والسيف ، ص١٣٥- ١٣٦.

٢- المصدر السابق ، ص٢٨٧.

٣- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي ص ٢١٦

وقال في خطبة له بمكة المكرمة: «يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعاية الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح، نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا»[1].

ثانيا: من كلام الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود:

قال- رحمه الله تعالى- في خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء في الرياض: «لقد كان همنا، منذ تولينا مقاليد الأمور، أن نعتصم بكتاب الله ونهتدي بهدي رسول الله- ﷺ- ، وسنة خلفائه من السلف الصالحين[2].

وقال- أيضا- : «الذي أوصيكم به هو اتباع الشريعة المحمدية، فيما بين الخلق من حقوق واختلاف ومشاكل»[3].

وقال- أيضا- في خطابه إلى شعبه بمناسبة الذكرى العاشرة لجلوسه على العرش: «إننا... ما زلنا عاملين على تصريف شؤون البلاد، مهتدين بكتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح، فهل هناك مبادئ ندين بها في علاقاتنا،

١- المصدر السابق ص ١١٤

٢- صحيفة أم القرى العدد ١٥٠٦ في ٧ رجب ١٣٧٣هـ الموافق ١٢ مارس ١٩٥٤م.

٣- من كتابه للشعب ١٨ رمضان ١٣٧٣هـ نقلا عن كتاب آل سعود لأحمد علي ص

وتحكم سلوكنا، أسمى من الإسلام الذي يمثل الحق والعدل في أروع صورهما»[١].

وقال- أيضا- في نداء إلى المسلمين بمناسبة حلول شهر الصوم المبارك: «أعظم هذه المبادئ هو التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه- ﷺ- ، واعتقاد ما اعتقده السلف الصالح، الذين تعرفون ماضيهم، وقد نالوا العزَّ والكرامة»[٢].

ثالثا: من كلام الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

قال- رحمه الله تعالى- في الحفل الذي أقامته الملكة إليزابيث الثانية بلندن في ١٩٦٧/٥/٩م: «إننا يجب علينا- جميعا- أن نتمسك بعقيدتنا الإسلامية، وأن نوحد صفوفنا؛ لخدمة ديننا وأمتنا ووطننا، لأن شريعتنا الإسلامية فيها- ولله الحمد- من مقومات العدل والدفاع عن الحق، وإثبات الحقوق، والحرية، والتقدم، والبناء في جميع المجالات، ما يغنينا عن التلقي أو الاستماع إلى أي تيارات تتجاذب العالم»[٣].

رابعا: من كلام الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.

قال- رحمه الله تعالى- : «من نعم الله على هذا البلد وأبنائه: أن مَكَّنَ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا، وعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً، ولذلك كان القرآن الكريم، وكانت السنة النبوية

١- صحيفة أم القرى عدد ١٩٩٦ في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٨٣هـ الموافق ١٥ نوفمبر ١٩٦٣م.

٢- صحيفة أم القرى العدد ١٥١٥ في ١١ رمضان ١٣٧٣هـ الموافق ١٤ مايو ١٩٥٤م.

٣- صحيفة أم القرى، العدد الرقم ٢١٧٠، الصادر في ٣ صفر ١٣٨٧هـ، الموافق ١٢ مايو ١٩٦٧م، ص١.

المطهرة، وما زالا مصدر الحكم والتشريع في هذه البلاد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ لإيماننا الكامل بأن في التمسك بهما قولا وعملا نجاحنا وفلاحنا ورقينا وتقدمنا وتطورنا وازدهارنا، ومنذ أن مَنَّ الله على جلالة الملك عبد العزيز- رحمه الله- بنعمة توحيد هذه المملكة، وجمع شتاتها، تحت راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وضع نصب عينيه: إقامة العدل، ونشر الأمن والرخاء، والدعوة إلى الله، والسير على نهج الرسول العظيم، والسلف الصالح؛ معتمدا في ذلك على إيمانه بالله، والجهاد في سبيله ونصرة كلمته»[1].

خامسا: من كلام الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود:

قال- رحمه الله تعالى- في كلمة ألقاها في جامعة الملك سعود يوم الخميس من شعبان ١٤٠٣هـ: «نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس، وسوف نجعلها هي القدوة، سواء كان في شريعتنا أو تنظيماتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم، أو في حياتنا اليومية أو الشهرية أو السنوية، فلذلك المملكة العربية السعودية- بالذات- عليها واجبات، ولها واجبات، عليها واجبات كبيرة بالنسبة للإسلام والمسلمين في أي مكان كان، ولها واجبات على المسلمين أن يقدروها؛ لأنها لا تلتفت لشيء، ولا تنظم إلا ما تقره العقيدة الإسلامية، العقيدة الإسلامية لم تترك خيراً إلا وأبانته، ولم تترك شرا إلا وأبانته، حتى يجتنبه المسلم، العقيدة الإسلامية خلاصة للعقائد الإسلامية، وأتت في

١- صحيفة أم القرى العدد ٢٧٩٠ في ٧ ذو القعدة ١٣٩٩هـ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩م.

مصلحة البشر عموما، ليس فقط في الأمة العربية، يَدَّعُونَ الديمقراطية أو الحرية، لا أعتقد أن هناك ديمقراطية أو حرية من الممكن أن تعود على البشر بالخير مثل ما في العقيدة الإسلامية؛ من حرية وديمقراطية ورأفة ورحمة وقوة، هي عقيدة تجمع جميع الفضائل، وتبعد الإنسان عن جميع الرذائل، لذلك نحن فخورون بعقيدتنا، وسوف نلتف حولها، ونبقى مدافعين عنها، مهما كانت الظروف والأسباب، لا نريد الإنصاف إلا من ربِّ العزة والجلال، ولكننا لا نهتم بأي حال من الأحوال، بمن يريد أن يعكر صفو العقيدة الإسلامية، أو صفو التماسك في هذا الوطن، أي المملكة العربية السعودية»[1].

سادساً: من كلام الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود:

قال- حفظه الله تعالى ورعاه- في كلمته التي ألقاها في افتتاح دورة مجلس الشورى: «لقد أعز الله هذه الدولة؛ لأنها أعزت دين الله، وسارت على نهج ثابت، يتوارثه خلف عن سلف، وسوف تبقى عزيزة لا يضرها من عاداها: ما دامت ترفع راية التوحيد، وتحكم شرع الله.

أيها الإخوة: إن منهجنا الإسلامي يفرض علينا نشر العدل بين الناس، لا نفرق بين قوي وضعيف، وأن نعطي كل ذي حق حقه، وألا نحتجب عن حاجة أحد، فالناس سواسية عندنا، فلا يكبر من يكبر إلا بعمله، ولا يصغر من يصغر إلا بذنبه.

١- من مقال: السيرة العطرة للملك الراحل للكاتب: وليد شيرة، بصحيفة الرياض الاثنين ١٠ رجب ١٤٢٦هـ.

إن ديننا الإسلامي يعلمنا أن المؤمنين إخوة، وسوف نسعى- بإذن الله- إلى ترسيخ روابط هذه الأخوة، آملين أن تجتمع كلمة العرب والمسلمين، وتتوحد صفوفهم، ويعودوا قادة للحضارة وللبشرية، وما ذلك على الله بعزيز.

أيها الإخوة: إن الإسلام يدعو إلى توفير الحياة الطيبة لأبنائه، وسبيلنا إلى تحقيق ذلك هو التنمية الشاملة التي سنسعى- بإذن الله- إلى استكمالها، متلمسين خير المواطن وسعادته، آملين أن نحقق له أسباب السكن والعمل والتعليم والعلاج، وبقية الخدمات والمرافق، وسنحرص على مكافحة الفقر، والاهتمام بالمناطق التي لم تحصل على نصيبها من التطور، وفقا لخطط التنمية المدروسة.

إننا لا نستطيع أن نبقى جامدين، والعالم من حولنا يتغير، ومن هنا سوف نستمر- بإذن الله- في عملية التطوير، وتعميق الحوار الوطني، وتحرير الاقتصاد، ومحاربة الفساد، والقضاء على الروتين، ورفع كفاءة العمل الحكومي، والاستعانة بجهود كل المخلصين العاملين من رجال ونساء، وهذا كله في إطار التدرج المعتدل المتمشي مع رغبات المجتمع المنسجم مع الشريعة الإسلامية.

وتعلمون أن التنمية لا يمكن أن تتحقق إلا في جو من الأمن والأمان، ولهذا فنحن نجدد العزم على القضاء على الفئة الضالة من الإرهابيين القتلة، ومكافحة الفكر التكفيري، بالفكر السليم، فلا مكان في بلاد الحرمين الشريفين للتطرف! فنحن- ولله الحمد- أمة وسط، بعيدة عن الإفراط والتفريط.

أيها الإخوة الكرام: أقول لكل مواطن ومواطنة: لقد عرفتكم خلال السنين، كما عرفتموني، وقد كنتم على الدوام مخلصين صادقين أوفياء للعهد، وستجدونني - إن شاء الله - مخلصا لديني ثم لوطني، صادقا معكم، وفيا للعهد، ستجدونني معكم في السراء والضراء، أخا وأبا، وصديقا صادقا، وسأكون بينكم في المسيرة الواحدة نرفع كلمة الإسلام، ونعمل لرفعة الوطن»[1].

وقال - أيضا - في كلمته التي ألقاها نيابة عنه سمو الأمير خالد الفيصل في افتتاح دورة المجمع الفقهي التاسعة عشرة: «إن نهج المملكة العربية السعودية، يلزمها رعاية العلم وأهله، والاستفادة من علم العلماء والفقهاء، فمنذ أن تمّ توحيد المملكة، على يد المؤسس الملك عبد العزيز - رحمه الله - وبلادنا مستمرة في العمل بهذا النهج، فالعلماء هم فقهاء العقيدة، وهم الدعاة إلى الصراط المستقيم، وسوف تواصل تعاونها - إن شاء الله - معكم ومع علماء الأمة، وقد أحسنت رابطة العالم الإسلامي، في إقامة الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين، من أجل متابعة قضايا الأمة، وما تتعرّض له من تحدّيات، وإن المملكة ستدعم هذا الملتقى الذي يمثل علماء الأمة الإسلامية، تحقيقاً لنهجها في الاستفادة من ورثة الأنبياء، وتعلمون أن دستور هذه البلاد، قائم على تحكيم الشريعة والعمل بها، ولا نقبل المساس بها من أحد»[2].

١- صحيفة "الشرق الأوسط" الأحد ٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ ٢ ابريل ٢٠٠٦ العدد ٩٩٨٧.

٢- صحيفة "الشرق الأوسط" الأحد ٢٣ شوال ١٤٢٨ هـ ٤ نوفمبر ٢٠٠٧ العدد ١٠٥٦٨.

وقال- أيضا- في كلامه لأهالي عسير عندما دعوه لزيارتهم: «هذه دعوة أهلي، وآبائي، وإخواني، وأبنائي، وكل بيت من بيوتكم هو بيت لي، وأنتم- ولله الحمد- ماضيكم جيد، وأبيض، - وإن شاء الله- أنتم وأبناؤكم على سيرة السلف الصالح، ودعوتكم هذه باقية- إن شاء الله- ، وأنا- والله- أعزكم، وأعز كل ابن من أبناء المملكة العربية السعودية. وشكراً لكم»[1].

وقال- أيضا- مشاركة مع الملك فهد بن عبد العزيز في كلمة وجهاها إلى حجاج بيت الله الحرام في عيد الأضحى من حج عام ١٤٢٥هـ: «ليكن لنا في رسول الله- ﷺ- أسوة حسنة، والتمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، واتباع آثار السلف الصالح من هذه الأمة»[2].

سابعاً: من كلام صاحب السمو الملكي سلطان الخير الأمير سلطان ابن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام- رحمه الله تعالى، وأجزل له العطاء- :

قال- رحمه الله تعالى- في كلمة ألقاها أمام قادة القوات المسلحة: «نحن محسودون ومحاربون على نعمة الله التي أعطاها لنا، وكل ذي نعمة محسود"، وأوضح الأمير سلطان أن بلاده تواجه حربا في دينها، وتتهم فيما تعده شرفا لها وهي "السلفية"، وقال مدافعا: "السلف الصالح هم القدوة لنا، و إذا كنا سلفيين فنحن نتبع السلف الصالح»[3].

١- صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ٤٢٧ هـ ٢٤ مايو ٢٠٠٦ العدد

٢- صحيفة "الشرق الأوسط" الخميس ٩ ذو الحجة ١٤٢٥هـ ٢٠ يناير ٢٠٠٥ العدد

٣- صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء ٢ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

ثامناً: من كلام صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ولي العهد ووزير الداخلية وأسد السنة والسلفية:

قال- حفظه الله ورعاه، وسدد خطاه- : «إنه لا شرف لهذه البلاد- أمة وقيادة- ما لم تَنْهَ عن المنكر، وتأمر بالمعروف، وإن الدولة هي التي تقوم على هذا العمل، والتي تحقق هذا الأمر، وتعمل من أجله، وهذا ليس بجديد!، بل إنه منذ أن قامت الدولة على يد المصلح محمد بن سعود، وحتى اليوم.

يجب أن يعرف الجميع—داخل المملكة أو خارجها- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن أساسي لدولة الإسلام، ويكفي أن نأخذ من هذا الاسم معناه...، يجب أن نثق أننا أقوياء بالإسلام، وما يهمنا هو أن يكون الإسلام بخير، وأكرر: إنَّ الله شرفنا في هذه البلاد بكتاب الله وسنة نبيه- ﷺ- ، وقامت على ذلك دولةٌ سلفيةٌ صحيحةٌ، ولكن أعداءنا لا يريدون لهذه الدولة أن تقوم أو أن يكون لها وجود.

وإسلامنا يدعو دائما إلى القوة والتماسك، ونحن في وسط هذا العالم بخيره وشره.

وليعلم الجميع: أن بلادنا- ولأنها دولة الإسلام، وتطبق كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- فهي المستهدفة في هذا العالم، فلندرك جميعا أننا مستهدفون في كل أمورنا، وهناك من يريدون هدم هذه الدولة، وتفتيت شملها، حتى إن هناك من قال: كان للغرب عدو أول، وهي الشيوعية، وأنهوها، وقالوا: لنا عدو ثان؛ وهو الإسلام؟!.

أقـول- أمـام العلمـاء، وبكـلِّ جـدٍ- : نحـن مـستهدفون في العقيـدة، والـوطن؛ لـذلك دافعـوا عـن دينكم، ووطنكم، وأبنـائكم، وعـن الأجيـال القادمة! فمن هـم قبلنـا سـلمونا الأمانـة سليمة، ويجـب أن نـسلمها للأجيـال القادمة، ولا نتركهم للشيطان...، يجب أن تبقى دولتنا سلفية»[1].

تاسعاً: من كلام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع:

قـال- حفظـه الله تعـالى- في افتتاحـه للحفـل الـسنوي للجمعيـة الخيريـة لتحفيظ القرآن الكريم: «يقول متقولون: الدعوة تسمى الوهابية، من قـال أو من أتى بكلمة واحدة فليطلعني عليها أن الشيخ عبد الوهاب قال كلمة واحدة تخالف كتاب الله أو سنة رسوله أو نهج الـسلف الـصالح؟"، إلى أن قـال: «بـل هـي دعـوة- والحمـد لله- عـلى نهـج الـسلف الـصالح، وكـل مـن يتبـع هـذه الدعوة ومناهجها يعرف ذلك إلا مكابرا أو مغالطا»[2].

إن هذه العبارات النيرات من هؤلاء القادة العظمـاء تـدل عـلى أن قيـادتهم للوطن بُنيت على انتهاج مـنهج الـسلف، وأنهـم (سـلفيون) معظمـون لطريقـة السلف، سائرون عليها، زادهم الله من فضله، وثبتهم على الحق، ونـصرهم بالكتاب والسنة، ونصرهما بهم.

وفي ذلك أن (وطنيتهم) لم تُذهب (سـلفيتهم)، كـما أن (سـلفية العلمـاء) لم تُذهب (وطنيتهم) كما تقدم في ذكر مقالاتهم من كتب أصول الاعتقاد.

١- صحيفة المدينة، عدد ١، ١٤٢٧/٨/٢٨هـ.

٢- صحيفة "الشرق الأوسط" الاثنين ٢٦ شعبان ١٤٢٥هـ.

وهذه أبيات من قصيدة في مدح عقيدة السلف نظمها الباحث الدكتور محمد بن حافظ الشريدة الفلسطيني.

الكــون أظلــم أيهــا الــثقلان ... من سوء ما فعلت يد الطغيان
لا تستمع يوماً لأصحاب الهوى ... فهمو لعمري من ذوي البهتان
أعيـتهم الآثـار عـن فهـم لهـا ... فاســـتبدلوا الآراء بـــالقرآن
يـا طالـب العلـم الـشريف بهمـة ... هـذي وصـية ناصـح معـوان
العلــم قــال الله قــال رســوله ... قـال الـصحابة يـا أخَـا الإيمـان
ما الدين نصبك للخلاف جهالة ... بين الحديث ومذهب السلطان
ما الفقه نصبك للخلاف سفاهة ... بـين الحـديث ومـذهب النعمـان
فأئمـــة الفقهـــاء قـــالوا حكمـــة ... قـد صـغتها شـعرا بـسحر بيـاني
الـشافعي ومالــك وأبــو حنيفــة ... وابــن عبــد الــبر والــشيباني
إن صـحت الآثـار فـاترك قولنـا ... القـول: قـول رسـولنا العـدنان
لا تعبـــد المـــولى بـــدون أدلـــة ... فالدين نقل عن أولي العرفان
واحرص على هدي النبي وصحبه ... خير القـرون بـذا أتـى الوحيـان
مــا أيــسر الإســلام لــو يخلــو ... من التقليد أو من منطق اليونان
ما أيسر الأحكام لو تخلو من البدع ... التي هي في الحقيقة مرتع الشيطان
إيـاك والأهــواء والفــرق الــتي ... قاما عليها: الجعد والـصفوان
عضوا على سنن الهدى بنواجذ ... ودعـوا بنيـات الطريـق الثـاني
ثـم الـصلاة علـى الـنبي وآلـه ... مـا دارت الأفـلاك في الملـوان

خاتمة البحث (نسأل الله حسنها)

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه خلاصة هذا البحث العلمي المتواضع المركز عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة المسلمين والدعوة السلفية محلياً وعربياً وعالمياً سائلاً المولى- ﷻ- أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، إنه سميع قريب.

١. السلفية هي الإسلام نفسه (عقيدة وشريعة ونظام حياة): تعاليم الكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة بفهم السلف الصالح (أئمة القرون المفضلة الأولى من الصحابة والتابعين وتابعيهم- رضوان الله عليهم-).

والسلفية هي دعوة التوحيد والكفر بالطاغوت وهي الحنيفية السمحة، والفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وهي موافقة لكل عصر ومصر، وصالحة لكل قضية وأمر، وتسقط عن أتباعها رواسب البدع والجهل وخرافات البشر.

وقد ظلمت السلفية قديماً وحديثاً من الأعداء والمستشرقين والمستغربين والجهلة والمبتدعة والروافض وفرق الضلال وغلاة التطرف من التكفير والتفجير والإرجاء والتبرير.

٢. يأبى الله- تعالى- إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون والضالون والمتطرفون والمفرطون والمبطلون والمنتحلون والجافون والضالون والحاقدون والمبتدعون، حيث يسر الله- ﷻ- لهذه الأمة- خير

أمة أخرجت للناس- في أي زمان أو مكان، من يعيدها إلى جادة الصواب والهدى والاستقامة، فالطائفة المنصورة ظاهرة على من ناوأها إلى قيام الساعة، والحق أبلج، والباطل أعوج، والنفاق يتلجلج، والجاهل أهوج، ولهذا كانت دعوة شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب نبراساً يضيء للأمة الإسلامية الطريق، وكان أبناؤه وأحفاده وتلامذته وتلامذتهم هم خير رفيق على الطريق (طريق الدعوة السلفية).

٣. حين التقى شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب مع الإمام الأمير المجاهد محمد بن سعود الذي تحمل هذه الجامعة العريقة اسمه، وتحتضن هذه الندوة العالمية المباركة، وقد تعاونا وتعاهدا على نصرة الإسلام والمسلمين بالجنان واللسان والسنان، لنشر تعاليم السنة والقرآن، وقام أحفاد هذين الإمامين من أئمة آل الشيخ وأمراء آل سعود، ومعهم كافة المخلصين والعلماء الأجلاء بمجمل هموم الدعوة والدعاة، وقامت دولة التوحيد في الجزيرة العربية، مهد الإسلام ومنبعه الصافي تدعو إلى الإسلام بحكمة ورفق وتدافع عنه بحق وصدق....، والدولة السعودية السلفية المعاصرة هي الوحيدة حاملة لواء الإسلام، والمدافعة عنه مادياً ومعنوياً وداخلياً وخارجياً في أرجاء العالم كله.

٤. إن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الدعوة السلفية (في الداخل والخارج) يحتاج شرحها وبيانها لعدة رسائل دكتوراه، ولكنني أجملها فيما يأتي :

أ. عمارة ورعاية الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة (على مدار الساعة).

ب. خدمة الحجاج والمعتمرين والزوار(على مدار السنة).
ج. أسلمة وأسلفة (إذا صح التعبير) المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات والمؤسسات الرسمية والشعبية والجمعيات الخيرية.
د. تدريس الطلبة وابتعاث الدعاة على حساب حكومة خادم الحرمين الشريفين.
هـ. بناء المساجد في شتى أنحاء العالم والمراكز الإسلامية.
و. طباعة ونشر كتاب الله- تعالى- الهادي للبشرية ، وطباعة ونشر الكتب والمطبوعات الدينية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ، ورابطة العالم الإسلامي).
ز. المجلس الأعلى العالمي للمساجد.
ح. مجمع الفقه الإسلامي.
ط. الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
ي. التوعية الإسلامية في الحج.
ك. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
ل. البنك الإسلامي للتنمية.
م. المؤتمر الإسلامي العالمي.
ن. جائز الملك فيصل العالمية—وجائزة سمو الأمير نايف العالمية.
س. توزيع لحوم الأضاحي على الفقراء المسلمين في العالم.
ع. مؤتمر الطائف (المصالحة اللبنانية) ومؤتمر مكة المكرمة (المصالحة الفلسطينية).

ف. الجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة وأم القرى بمكة المكرمة والإمام محمد بن سعود في الرياض.

ص. مناصرة القضايا الإسلامية ومسلمي العالم، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

ق. وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة وعلى رأسها إذاعة القرآن الكريم والفضائيات الإسلامية السلفية.

ر. إيواء المطاردين من الدعاة إلى الله من الحركات الإسلامية.

ش. عقد المؤتمرات العلمية الدينية في الجامعات السعودية وكان من أهمها مؤتمر نبي الرحمة- ﷺ- الذي تشرفت بالمشاركة فيه.

ت. دعم الجمعيات والمؤسسات والهيئات الخيرية والثقافية والاجتماعية في العالم.

ث. مساعدة الأقليات الإسلامية في العالم مادياً ومعنوياً.

خ. فتح الأمراء أبوابهم للمواطنين و الوافدين.

ض. إقامة الحدود كما أراد الله- تعالى- ، وتحقيق الأمن في الجزيرة، بما لم تشهده منذ عهد عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- حتى الآن.

التوصيات والمقترحات:

١. عقد مؤتمر إسلامي سنوي في إحدى الجامعات السعودية للحديث عن هموم الدعوة والدعاة و عن أعلام الدعوة السلفية على مدار التاريخ الإسلامي.

٢. تسمية أو إنشاء جامعة إسلامية في السعودية باسم الجامعة السلفية، أو جامعة الإمام ابن تيمية أو جامعة الإمام محمد عبد الوهاب، أو جامعة الإمام ابن باز، أو الإمام ابن عثيمين أو الإمام ابن جبرين، أو الإمام ابن حميد، أو الإمام بكر بن عبد الله أبو زيد.

٣. إنشاء مجمع آل سعود لطباعة وترجمة ونشر كتب السلف على غرار مجمع مصحف الملك فهد في رياض العروبة والإسلام.

٤. إنشاء مجلة أسبوعية سلفية بمختلف لغات العالم توزع مجاناً تتحدث عن مبادئ السلفية وجهود المملكة في خدمة الدعوة والدعاة.

٥. استمرار محاربة الفكر المتطرف بالحجة والعلم والمنطق والإقناع والحوار الهادئ والمجادلة بالتي هي أحسن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم

٢. الإصابة للإمام ابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة، بيروت، لبنان.

٣. تعريف بالدعوة السلفية: رائد مهداوي، ط١، فلسطين.

٤. الجماعات الإسلامية للشيخ المحدث سليم الهلالي، طبعة مصورة، عمان، الأردن.

٥. جهود الملك عبد العزيز في خدمة القضية الفلسطينية للباحث الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة مقدم لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة النجاح الوطنية بنابلس فلسطين بمناسبة انعقاد المؤتمر العلمي: السعودية فلسطين ١٩٢٥- ١٩٤٨م

٦. السلفية في المجتمعات المعاصرة لمحمد فتحي عثمان، ط٢، ١٤٠١هـ، دار القلم/ الكويت

٧. السلفية قواعد وأصول، د. أحمد فريد، ط١، مصر.

٨. السلفية والسلطة (السعودية نموذجاً) للدكتور أحمد علي، في كتاب السلفية لمجموعة من الباحثين، معهد المعارف الحكمية ط١ ١٤٢٥هـ لبنان.

٩. السلفية والعقيدة: سنة وعقيدة ومنهجاً، مكتبة ابن تيمية مكة المكرمة ط١، ١٤١٣هـ

١٠. السيرة العطرة الملك الراحل: للكاتب وليد شيرة بصحيفة الرياض الاثنين ١٠ رجب ١٤٢٦ هـ.

١١. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا ١٩٧٩م

١٢. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الإفتاء، السعودية، ١٤٠٠هـ

١٣. صحيفة "الشرق الأوسط" الاثنين ٢٦ شعبان ١٤٢٥هـ.

١٤. صحيفة "الشرق الأوسط" الأحد ٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ ٢ ابريل ٢٠٠٦ العدد ٩٩٨٧.

١٥. صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء ٢ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

١٦. صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ ٢٤ مايو ٢٠٠٦.

١٧. صحيفة "الشرق الأوسط" الخميس ٠٩ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ ٢٠ يناير ٢٠٠٥.

١٨. صحيفة المدينة تاريخ ٢٨- ٨- ١٤٢٧هـ العدد ١٥٨٥٦ – السنة ٧٢
١٩. صحيفة المدينة، عدد ١، ١٤٢٧/٨/٢٨هـ.
٢٠. صحيفة أم القرى العدد ١٥٠٦ في ٧ رجب ١٣٧٣ الموافق ١٢ مارس ١٩٥٤م.
٢١. صحيفة أم القرى العدد ١٥١٥ في ١١ رمضان ١٣٧٣ الموافق ١٤ مايو ١٩٥٤م.
٢٢. صحيفة أم القرى العدد ٢٧٩٠ في ٧ ذو القعدة ١٣٩٩ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩.
٢٣. صحيفة أم القرى عدد ١٩٩٦ في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٨٣ه الموافق ١٥ نوفمبر ١٩٦٣م
٢٤. صحيفة أم القرى، العدد ٢١٧٠، الصادر في ٣ صفر ١٣٨٧هـ، الموافق ١٢ مايو ١٩٦٧م.
٢٥. صحيفة "الشرق الأوسط" الأحد ٢٣ شوال ١٤٢٨ هـ ٤ نوفمبر ٢٠٠٧ العدد ١٠٥٦٨.
٢٦. صفات الطائفة المنصورة ومفاهيمها: لعدنان بن محمد آل عرعور، ط١، لبنان.
٢٧. فضل المدينة لعبد المحسن بن حمد العباد، دار المفتي السعودية ط٣، ١٤٢٣هـ.
٢٨. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، السعودية.
٣٠. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ.
٣١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. مانع بن جمال الجهني ١٤١٨هـ، الناشر دار الندوة العالمية – للشباب الإسلامي.
٣٢. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي إشراف الدكتور قاسم إبراهيم ومحمد صالح وتقديم الدكتور راغب السرجاني، ط٧، ٢٠٠٧م مؤسسة اقرأ القاهرة – مصر
٣٣. هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجاً، للشيخ محمد إبراهيم شقرة، مكتبة ابن تيمية – مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣ هـ.
٣٤. الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، طبعة لبنان.



مصادر الأحكام القضائية عند السلفية

(المملكة العربية السعودية أنموذجًا)

إعداد

الدكتور/ يوسف بن عبدالله بن محمد الخضير

قسم السياسة الشرعية - المعهد العالي للقضاء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

علم القضاء من أجلّ العلوم قدرًا، وأعزها مكانًا وأشرفها ذكرًا، لأنه مقام عليّ ومنصب نبوي، وقد أولت الشريعة الإسلامية القضاء عناية خاصة وأهمية بالغة، ولا غرو أن يكون أحد دعائم الدولة في كل زمان ومكان، إذ به تحقن الدماء، وتصان الأعراض، وتحمى الحقوق والأموال.

يتميز القضاء في الشريعة الإسلامية أنه يستوعب كافة الوقائع والنوازل، فلا تقع نازلة إلا ويتصدى لها القضاء بأحكام عادلة، ذلك لأنه قضاء ينهل من مصادر سماوية، فالقاضي في الدولة الإسلامية لا يعاني من وقائع خالية من نصوص يحكمها، بخلاف القاضي في الدول الأخرى الذي كثيرًا ما يجد في نفسه حرجًا من قضايا لا يجد لها نصًا في المدونات القانونية.

لذلك تلوح أهمية البحث في مصادر الأحكام القضائية، ومن أجل ذلك اصطفيته لبحثه ودراسته وتجلية مسائله.

المملكة العربية السعودية دولة تطبق الشريعة الإسلامية، وتجعل من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- منهاجًا تسير عليه في كافة القضايا والشؤون، ومنذ تأسيسها وهي تسير على منهج السلف الصالح، حقيق بأن تُنعت بالدولة السلفية.

هذه الدراسة ستتناول بحث موضوع مصادر الأحكام القضائية في الشريعة الإسلامية، وفي المنظومة القضائية للمملكة العربية السعودية وذلك من خلال

استنطاق النظام الأساسي للحكم، الصادر بالأمر الملكي رقم أ/٩٠ وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ وغيره من أنظمة القضاء.

ارتضيت أن يكون عنوان البحث (مصادر الأحكام القضائية عند السلفية - المملكة العربية السعودية أنموذجًا).

وقد اقتضت الصناعة البحثية أن ينتظم البحث في تمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

التمهيد: التعريف بالسلفية والمصادر.

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة النبوية.

المبحث الثالث: الإجماع.

المبحث الرابع: القياس.

المبحث الخامس: الأنظمة.

المبحث السادس: الاجتهاد.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة.

التمهيد

التعريف بالسلفية والمصادر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

تعريف السلفية

السلفية في اللغة :

السلف ما مضى وتقدم ، يقال : سلف يسلف سلفًا وسلوفًا أي : تقدم ، والسالف المتقدم ، والسلف والسلفة الجماعة المتقدمون ، أو القوم المتقدمون في السير.

قال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١] أي : جعلناهم سلفًا متقدمين لمن عمل بعملهم ، وذلك ليعتبر بهم من بعدهم ، وليتعظ بهم الآخرون.

وسلف الرجل : أباؤهم المتقدمون[٢].

وقد حصر ابن فارس – رحمه الله– هذا المعنى بقوله : « السين واللام والفاء ، أصل يدل على تقدم وسبق ، فالسلف الذين مضوا »[٣].

وقال ابن الأثير : « سمى الصدر الأول من التابعين ، السلف الصالح»[٤].

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٥٦).

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور (١٥٨/٩) ، مادة (سلف).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥/٣) مادة (سلف).

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ص(٤٤٠).

تعريف السلفية في الاصطلاح:

اختلفت عبارات العلماء حول تحديد مفهوم السلفية، ولكن المعاني تكاد تكون متقاربة، ومن خلال النظر في طائفة من التعريفات يمكن القول بأن السلفية، ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل واتباع السنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والتحذير منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظيم شأنهم في الدين.

فرسول الله - صلى الله علية وسلم- وصحابته والتابعون لهم بإحسان هم سلف هذه الأمة، وكل من يدعو إلى مثل ما دعا إليه رسول الله - صلى الله علية وسلم- ، وصحابته والتابعون لهم بإحسان فهو على نهج السلف[١].

إذن فمصطلح السلفية يطلق على الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- .

(١) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١/٢٠)، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي للدكتور محمد البوطي ص(٩)، عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح العبود ص(١٥٩).

المطلب الثاني

تعريف المصادر

المصادر في اللغة:

المصادر جمع المصدر، جاء في المعجم الوسيط: «صدر الأمر صدورًا: وقع وتقرر، والشيء عن غيره نشأ، ويقال: فلان يصدر عن كذا أي يستمد منه، وعن المكان والورد صدْرًا وصدَرًا: رجع وانصرف... والمصدر: ما يصدر عنه الشيء»[1].

فالمصدر هو ما يؤخذ منه الشيء ويستفاد.

تعريف المصادر اصطلاحًا:

المقصود بمصادر الأحكام القضائية هي: مجموعة الأحكام التي يستقي منها القاضي مادة الحكم القضائي.

(١) المعجم الوسيط (٢/٤٦٢).

المبحث الأول

القرآن الكريم

كتاب الله - سبحانه وتعالى - هو كلامه، وهو القرآن الكريم، الذي نزل به جبريل - عليه السلام - على النبي - صلى الله علية وسلم- المنقول إلينا بين دفتي المصحف، نقلاً متواترًا، لأن الصحابة - رضي الله عنهم - بالغوا في نقله، وتجريده عما سواه، فعُلم أن المكتوب في المصحف هو القرآن الكريم، وما خرج عنه فليس منه، إذ يستحيل في العرف والعادة مع توافر الدواعي على حفظ القرآن أن يُهمل شيء منه، فلا ينقل، أو يخلط به ما ليس منه[1].

غني عن البيان أن القرآن الكريم كلية الشريعة، وعمدة الملة، وأس الدين، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصر والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره.

وتأسيسًا على ما سلف فإن القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر الأحكام القضائية، واجب على القاضي أن يؤسس قضاءه على كتاب الله - عز وجل - ، ولا يقدم غيره عليه بحال من الأحوال.

دل على ذلك جملة من الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

من الكتاب:

---

(١) انظر: روضة الناظر لابن قدامة ص(٦٢).

قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [(1)]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(2)]، وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [(3)].

هذه نصوص صريحة غاية الصراحة في وجوب جعل القرآن أساسًا ومصدرًا للحكم القضائي.

من السنة:

الأدلة من السنة على أن القرآن الكريم مصدر من مصادر الحكم القضائي كثيرة جدًا أذكر منها ما يلي:

ما رواه عن ابن عباس - رضي الله عنهما- في حديث اللعان، حينما قال النبي - صلى الله علية وسلم- : «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن** »[(4)].

(١) سورة المائدة، الآية (٤٩).

(٢) سورة النساء، الآية (١٠٥).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، صحيح البخاري مع الفتح (ج٨- ، ص٣٠٣-٤٠٣)، ومسلم بمعناه في كتاب اللعان، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١٠، ص١٢٨-١٢٩).

وجه الدلالة:

أن النبي - صلى الله علية وسلم- يقصد بالشأن - والله أعلم- أنه كان يريد أن يقيم الحد على المرأة، لما جاء الولد مشابهًا بالرجل الذي رُميت به، ولكن النبي - صلى الله علية وسلم- امتنع عن إقامة الحد عليها لأن كتاب الله صريح بأن الملاعنة تقطع كل قول أو اجتهاد[١].

٢- حديث معاذ - رضي الله عنه- لما بعثه النبي - صلى الله علية وسلم- إلى اليمن، قال له - صلى الله علية وسلم- : « **كيف تقضي؟** » قال: أقضي بكتاب الله، قال « **فإن لم يكن في كتاب الله؟** » قال: فبسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- ، قال: « **فإن لم يكن في سنة رسول الله - صلى الله علية وسلم- ؟** » قال: أجتهد رأيي ولا آلو[٢]، قال: فضرب رسول الله - صلى الله علية وسلم- صدري، وقال: « **الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى رسول الله** »[٣].

---

(١) انظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور البوطي ص(١٣١).

(٢) (لا ألو) معناه: أبذل قصارى جهدي في الاجتهاد، ولا أترك بلوغ الوسع فيه.

انظر: معالم السنن للخطابي (ج٤/١٩) مطبوع بهامش سنن أبي داود.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠٣/٦- ٣٢١)، والترمذي في كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي (٦٢/٣)، وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم صحة هذا الحديث، ومنهم البخاري وابن حزم والترمذي والألباني.

وذهب آخرون إلى صحته كابن القيم وابن كثير والأنصاري وغيرهم، وهو الأصح.

انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢٧٧/٢)، سنن الترمذي (٦٢/٣)، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١١٢/٧)، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢٧٣/٢)، أعلام الموقعين لابن القيم (٢٠٢/١)، فواتح الرحموت للأنصاري (٣٥٩/١).

فتأمل كيف جعل معاذ - رضي الله عنه - كتاب الله تعالى فوق كل شيء ومصدرًا أساسيًا للحكم القضائي، وأنه أصل كل أمر، وأنه لا يعدل به شيئًا، وقد أقرّه النبي - صلى الله علية وسلم - على ذلك[1].

وقد أجمعت الأمة خلفًا عن سلف على وجوب التمسك بكتاب الله تعالى، وأنه الأصل الذي يتعين أن يصار إليه عند إصدار الأحكام القضائي، بل صرح كثير من العلماء على وجوب نقض الحكم المخالف لكتاب الله[2].

الأنظمة الصادرة في المملكة العربية السعودية نطقت صراحة أن القرآن الكريم يجب أن يكون مصدرًا أساسيًا للأحكام القضائية، تجد هذا المعنى مسطورًا في النظام الأساسي للحكم، وأنظمة السلطة القضائية.

فقد نصت المادة (٧) من النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم (أ/٩٠) وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ بقولها: « يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم - ... » وجاء في المادة (٤٨) من ذات النظام: « تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية وفقًا لما دل عليه الكتاب والسنة... » وقد أكدت هذه المادة بلفظها ومعناها المادة الأولى من نظام المرافعات الشرعية الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/٢١) وتاريخ ١٤٢١/٥/٢٠هـ والمادة الأولى من نظام الإجراءات الجزائية الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/٣٩) وتاريخ ١٤٢٢/٧/٢٨هـ.

---

(١) انظر: المستصفى للغزالي (١٢٧/٢).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (١٠٩/٢)، أدب القضاء لابن أبي الدم ص(١١٢).

هذه نصوص نظامية آمرة تلزم كل قاضي أن يكون القرآن الكريم مصدرًا لأحكامه القضائية.

بقي أن أشير إلى أن الدليل من القرآن الكريم ينقسم إلى نص وظاهر.

فالنص ما أفاد الحكم بنفسه بلا احتمال، أو باحتمال لا دليل عليه، فهو لا يحتمل إلا معنى واحدًا[١].

كقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [٢] فهذه دلالة نصية على حلِّ البيع، وحرمة الربا.

النص أمره بيّن واضح، إذ إن دلالته على المعنى قطعية لا تتطرق إليها الاحتمالات، فإذا ما تبين أن النص قطعي في دلالته فلا يسع القاضي إلا الحكم بموجبه، ولا يسوغ له بحال من الأحوال أن يلتمس حجة من غيره.

أما الظاهر فهو: ما دل على معنى بالوضع الأصلي، أو العرفي، واحتمل غيره احتمالاً مرجوحًا[٣].

مثاله: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [٤].

فقد قيل: يجوز الاقتصار في دفع الزكاة على البعض؛ نظرًا إلى أن المقصود من الآية - كما يقولون- هو دفع الحاجة في جهة من الجهات المذكورة في الآية؛ لا دفع الحاجة عن الكل.

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء ص(٩٠٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/٥٢).

(٤) سورة التوبة، الآية (٦٠).

وهـذا تأويـل في غايـة البُعـد، لا يقتـضيه ظـاهر الآيـة؛ لأنهـا ظـاهرة في استحقاق جميع الأصناف المذكورة للزكاة، حيث إنه أضاف الزكاة إليهم بلام التمليك، وعطف البعض على البعض بواو التشريك[1].

والظاهر وإن لم تكن دلالته على ما هو ظاهر فيه قطعية من كل الوجوه، إلا أن العمـل بمقتـضى تلـك الدلالـة الظـاهرة قطعـي ومتفـق عليـه، يقـول الـشوكاني - رحمـه الله- : «اعلـم أن الظـاهر دليـل شـرعي يجـب اتباعـه والعمل به، بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ»[2].

إذن فظـواهر القـرآن الكـريم تأخـذ حكـم الـنص في وجـوب العمـل بـه، فتكون من مصادر الحكم القضائي كذلك.

أما إذا كان اللفظ مترددًا بين أكثر من مدلول، وكانـت هـذه المدلولات مما يحتملـها اللفـظ جميعًـا، بـأن تكـون متقاربـة أو متـساوية، فهنـا ينفـتح بـاب الاجتهـاد أمـام العلمـاء المـؤهلين في تحديـد أي المعـاني أقـرب إلى اللفـظ، والترجيح بينهما بمرجح معتبر شرعًا، وإن كان القاضي ناظر القضية من أهـل الاجتهاد ساغ له الدخول في هذا المعترك، وإلا فلا مناص أمامه إلا أن يـسلك طريق التقليد.

يجب الانتباه إلى أن الأصل أن جميع الأحكـام الـواردة في القـرآن الكـريم ثابتة ودائمـة كمـا نزلـت، لا يعتريهـا تغير ولا تبـدل، ولكـن قد تكـون بعـض الأحكام التي دل عليها القرآن الكـريم لم يقـصد بهـا أن تكـون ثابتـة ودائمـة،

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/٥٦).

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني ص(١٧٦).

وإنما قصد بها أن تكون مؤقتة، بأن تكون مقيدة بحال من الأحوال، أو بسبب خاص أو مربوطة بمصلحة معينة، أو معللة بعلة معينة، أو جاءت موافقة لعرف موجود وقت نزول التشريع[١].

فإذا وجد دليل من أدلة القرآن الكريم بأحد هذه الأوصاف، فيجب مراعاته عند إصدار الأحكام القضائية.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٣٦٤)، والمدخل إلى السياسة الشرعية لعبدالعال عطوه ص(٨٦).

المبحث الثاني

السنة النبوية

المقصود بالسنة - كمصدر من مصادر الأحكام القضائية- هي: ما ثبت عن النبي - صلى الله علية وسلم- من قول أو فعل أو تقرير[(١)].

والسنة - كما هو معلوم- الدليل الثاني من أدلة التشريع، ومنزلتها في الاحتجاج تأتي بعد القرآن، وتُلحق به في الحكم من حيث الحجية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[(٢)].

والسنة قسمان: متواترة وآحاد:

فالمتواترة: ما رواها جماعة تحيل العادة تواطئهم على الكذب على رسول الله - صلى الله علية وسلم- ، وأسندوه إلى شيء محسوس[(٣)].

والحديث المتواتر يفيد العلم القطعي بإجماع العلماء، ويجب العمل بمقتضاه، وهو مصدر من مصادر الأحكام القضائية، وإذا جاء الحكم مخالفًا له وجب نقضه، وإعادة بنائه عليه[(٤)].

يقول ابن أبي الدم - رحمه الله- : «وإنما ينقض حكمه الواقع على خلاف نص الكتاب أو السنة المتواترة»[(٥)].

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/١٦٩).

(٢) سورة الحشر، آية (٧).

(٣) انظر: أصول فخر الإسلام البزدوي ومعه شرحه كشف الأسرار للبخاري (٢/٦٥٦)، شرح تنقيح الفصول للقرافي ص(٣٤٩).

(٤) انظر: الفروق للقرافي (٤/٤٠)، ومعين الحكام للطرابلسي ص(٢٩).

(٥) أدب القضاء لابن أبي الدم ص(١١٢).

أما الآحاد:

فهو: ما رواه عددٌ لا يبلغون في الكثرة حد التواتر[1]. وقد اتفق العلماء على أنه ظني الثبوت[2].

وذهب جمهور العلماء إلى وجوب العمل بخبر الآحاد إذا كان إسناده صحيحًا، وذلك للأدلة الآتية:

١- إجماع الصحابة - ﷺ- على قبول خبر الواحد، ووجوب العمل به، وقد اشتهر ذلك عنهم في وقائع كثيرة تعز على الحصر.

٢- ما اشتهر واستفاض بالنقل المتواتر من بعث النبي - صلى الله علية وسلم- آحاد الصحابة إلى النواحي والأقاليم والقبائل بالدعوى إلى الإسلام، وتبليغ الأحكام، ونحو ذلك، ومن المعلوم أنه كان يجب عليهم الطاعة والانقياد لقول المبعوث إليهم، ولو لم يكن خبر الواحد حجة لما كان كذلك[3].

وتأسيسًا على ما سبق فإن خبر الواحد يعد مصدرًا من المصادر التي يجب أن يبنى عليها الحكم القضائي.

لكن لو جاء الحكم القضائي مخالفًا لخبر الآحاد هل يعد ذلك مسوغًا لنقضه؟

هذه مسألة اختلف العلماء فيها على قولين:

---

(١) انظر: المستصفى للغزالي (١/١٤٥).

(٢) انظر: الإحكام للآمدي (٢/٤٥).

(٣) انظر: أصول البزدوي (٢/٦٧٨)، شرح تنقيح الفصول للقرافي ص(٣٥٧)، المسودة لآل تيمية ص(٢٤٠).

القول الأول:

وذهب أنصاره إلى أنه لا يجوز مخالفة خبر الآحاد، ويجب نقض الحكم المخالف له، وبهذا قال بعض الشافعية، وأكثر الحنابلة.

يقول ابن أبي الدم - رحمه الله- : « وينقض قضاؤه المستند إلى اجتهاده المخالف خبر الواحد الصريح الصحيح... على الأصح »[١].

ويقول الفتوحي - رحمه الله- : « وينقض الحكم وجوبًا بمخالفة... نص سنة، ولو كانت السنة آحادًا »[٢].

القول الثاني:

أنه لا ينقض به، وإلى ذلك ذهب الحنفية[٣]، وبعض الشافعية[٤] وبعض الحنابلة[٥].

والذي يظهر لي راجحًا من ذينك القولين هو القول الأول، وذلك لما يلي:

١- أن الظنية الموجودة في خبر الآحاد أقوى من الظنية الموجودة في الحكم القضائي، لكون خبر الآحاد مضبوطًا بالعدالة، بل ذهب بعض العلماء إلى القول إنه يفيد في دلالته العلم القطعي[٦].

---

(١) أدب القضاء لابن أبي الدم ص(١١٢).

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار الفتوحي (٤/٥)، وانظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران ص(٣٨).

(٣) انظر: فواتح الرحموت للأنصاري (٢/٣٩٥)، حاشية ابن عابدين (٥/٤٠٠).

(٤) انظر: المستصفى للغزالي (٢/١٣٨٣).

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير (٤/٥٠٥).

(٦) انظر: الإحكام للآمدي (٢/٣٢- ٦٩).

٢- أن العلماء يكادون يتفقون على وجوب العمل بخبر الآحاد، ويقتضي ذلك تقديمه على غيره مما يخالفه، إذ لا جدوى من القول بوجوب العمل بخبر الآحاد إذا جوزنا تقديم غيره عليه، مما هو في درجته أو أقل منه.

هذا ما يتعلق بجانب الثبوت، أما جانب الدلالة فما قيل في المصدر الأول - القرآن الكريم- يقال في السنة فلا حاجة إلى الإعادة.

القضاء في المملكة العربية السعودية صيّر السنة النبوية مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية الملزمة ، وقد سبق أن سقت نصوصًا نظامية تحمل هذا المعنى[1].

(١) انظر: ص(٩) من هذا البحث.

المبحث الثالث

الإجماع

الإجماع هو: اتفاق مجتهدي الأمة بعد النبي - صلى الله علية وسلم- على حكم شرعي[١].

والإجماع حجة شرعية يجب العمل به على كل مسلم[٢]، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾[٣].

أنواع الإجماع:

النوع الأول: الإجماع الصريح:

وهو: أن يتفق العلماء المجتهدون على حكم معين في مسألة من المسائل بإبداء كل واحد منهم رأيه صراحة، بفتوى أو حكم قضائي.

والأمثلة على هذا النوع قليلة، وأغلبها منحصر فيما عُلم من الدين بالضرورة، كوجوب الواجبات، كالصلاة والزكاة والصوم، وتحريم المحرمات، كتحريم الزنا والربا.

وهذا النوع من الإجماع حجة قطعية باتفاق فقهاء الجمهور اللذين قرروا أن الإجماع حجة شرعية[٤].

---

(١) انظر: المستصفى للغزالي (١/١٧٣)، شرح تنقيح الفصول للقرافي ص(٣٢٢)، إرشاد الفحول للشوكاني ص(٧١).

(٢) انظر: المنخول من تعليقات الأصول للغزالي ص(٣٠٥).

(٣) سورة النساء، الآية (١١٥).

(٤) انظر: الرسالة للإمام الشافعي ص(٥٣٤)، شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/٦٠١)، أصول الفقه لمحمد أبوزهرة ص(١٩١).

وعلى ذلك فإن الإجماع الصريح يعد مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية، يجب الأخذ به، وتأسيس الأحكام القضائية بناءً عليه؛ لأنه دليل من أدلة الشرع، بل ذهب بعض العلماء إلى تقديمه - من حيث الترتيب على الكتاب والسنة- ؛ لأنه معصوم عن الخطأ، ويمأمن عن النسخ[1].

النوع الثاني: الإجماع السكوتي:

وهو أن يقول بعض أهل الاجتهاد قولاً متعلقًا بأحكام التكليف، ويشيع ذلك في العلماء المجتهدين من أهل ذلك العصر، وتمضي مدة تسع النظر فيه بعد سماعه ولا يظهر منهم اعتراف ولا إنكار[2].

وأكثر الإجماعات الموجودة في الأحكام الشرعية من هذا النوع، مثل نظام ولاية العهد الذي سنه الصديق أبوبكر - رضي الله عنه- ، وقتال مانعي الزكاة[3].

وقد اختلف العلماء في حكم هذا النوع من الإجماع:

فذهب أكثر الحنفية والمالكية والحنابلة إلى إنه إجماع وحجة[4].

وذهب الشافعية إلى أنه ليس بإجماع ولا حجة[5].

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/٦٠٠).

(٢) انظر: كشف الأسرار للبخاري (٣/٤٢٦)، البحر المحيط للزركشي (٦/٤٥٦).

(٣) انظر: مفتاح الوصول للتلمساني ص(١٦٥).

(٤) انظر: كشف الأسرار للبخاري (٣/٤٢٦)، تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي ص(٣٣٤)، المسودة لآل تيمية ص(٣٣٥).

(٥) انظر: المنخول من تعليقات الأصول للغزالي ص(٣١٨).

والذي يظهر أن السكوت لا يكون إجماعًا ؛ وذلك لأنه لا ينسب لساكت قول، إذ السكوت عدم، والأحكام الشرعية لا تستفاد من العدم.

ولأن السكوت لا يدل على الرضا والموافقة دائمًا، فيحتمل أنه سكت لأنه لم يجتهد في المسألة، أو اجتهد ولم يؤده اجتهاده إلى الجزم بشيء، وغير ذلك من الاحتمالات[1].

وبناء على ما سبق يمكن القول إن الإجماع السكوتي وإن كان مصدرًا للأحكام القضائية، إلا أنه مصدر غير ملزم.

لكن هل ينقض الحكم القضائي إذا صدر مخالفًا له؟

هذه مسألة اختلف العلماء فيها على قولين:

القول الأول:

أنه لا ينقض وإلى ذلك ذهب الجمهور، فتراهم يصرحون بأن الاجتهاد الذي يجب نقضه هو ما خالف دليلاً قطعيًا، ومفهوم ذلك أن الاجتهاد المخالف للإجماع الظني لا يلزم نقضه[2].

القول الثاني:

أنه يجب نقضه، وبهذا قال بعض العلماء [3]، وذلك لأن الظن الموجود في الإجماع الظني أقوى من الظن الموجود في غيره، بسبب كثرة القائلين به.

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٢٥٢).

(٢) انظر: مسلم الثبوت لابن عبدالشكور (٢/ ٣٩٥)، الإحكام للآمدي (٤/ ٢٠٣)، المحصول للرازي (٢/ ٩١)، الفروع لابن مفلح (٦/ ٤٥٦).

(٣) انظر: الاجتهاد فيما لا نص فيه للدكتور الطيب خضري (١/ ٧١).

والذي يلوح لي راجحًا هو القول الأول، وذلك بدليل فعل الصحابة - رضي الله عنهم - ، فقد أجمعوا على مسائل كثيرة إجماعًا ظنيًا، ثم ورد عنهم ما يخالف ذلك الإجماع.

من ذلك أن الصحابة - رضي الله عنهم - كان يقبلون شهادة القريب لقريبه مطلقًا، حكم بذلك عمر وشريح، وعمر بن عبدالعزيز، وغيرهم على مرأى ومسمع من الصحابة، ولم ينكر عليهم أحد، فكان إجماعًا على ذلك.

ولكن لما تغيرت الأحوال، وضعف سلطان الدين في النفوس، منع أكثر العلماء شهادة القريب لقريبه، كالوالد لولده، والزوج لزوجته([1]).

أنظمة المملكة العربية السعودية لم تذكر الإجماع ضمن مصادر الأحكام القضائية، كما صرحت بالكتاب والسنة، لكنها صرحت بأن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر الأحكام القضائية، حيث نصت المادة (٤٨) من النظام الأساسي للحكم بقولها: «تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها إحكام الشريعة الإسلامية... ».

ولا شك أن الإجماع مصدر من مصادر الشريعة الإسلامية، ويصبح بذلك الإجماع مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية في المملكة العربية السعودية.

---

(١) انظر: أعلام الموقعين لابن القيم (١/١١١)، بداية المجتهد لابن رشد (٢/٤٦٤)، المغني لابن قدامة (١٤/١٨١).

المبحث الرابع

القياس

القياس في اللغة: التقدير، يقال: قايست بين الأمرين مقايسة وقياسًا إذا قدرت بينهما[1].

وفي الاصطلاح: إثبات مثل حكم الأصل في الفرع، لاشتراكهما في علة الحكم[2].

أقسام القياس:

ينقسم القياس إلى جلي وخفي:

١- **القياس الجلي**: وهو ما ثبتت علته بنص أو إجماع، أو كان مقطوعًا فيه بنفي الفارق بين الأصل والفرع[3].

ويمثل الأصوليون للقياس الجلي بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[4] وذلك بقياس تحريم الضرب على تحريم التأفيف.

والعلة هي كف الأذى عنهما، إذ هو مقتضى الأمر بالإحسان إليهما الوارد في الآية[5].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٨٦/٦).

(٢) انظر: شفاء الغليل للغزالي ص(١٨).

(٣) انظر: الإحكام للآمدي (٣/٤).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

(٥) انظر: الإحكام للآمدي (٣/٤).

٢- **القياس الخفي**: وهو ما كانت علته مستنبطة ولم يقطع فيه بنفي الفارق بين الأصل والفرع[١].

ومثاله: قياس القتل بالمثقل على القتل بالمحدد في وجوب القصاص، بجامع كونه قتلاً عمدًا عدوانًا، فإن التعليل بهذه العلة لم يثبت بنص ولا إجماع، ولم يقطع فيه بنفي الفارق بين الأصل والفرع، ولذلك اختلف العلماء في القتل بالمثقل هل يوجب القصاص؟[٢].

حجية القياس:

ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أن القياس حجة شرعية، فإذا لم يوجد في الواقعة حكم من نص أو إجماع، وثبت أنها تساوي واقعة أخرى قد نُص على حكمها في علة هذا الحكم، فإنها تقاس عليها، ويحكم فيها بحكمها، ويكون هذا حكمها الشرعي، ويجب على الكافة اتباعه والعمل به.

والأدلة على هذا المعنى كثيرة جدًا ليس هذا موطن ذكرها[٣].

هذه مقدمة لطيفة رمت من ورائها بيان معنى القياس والفرق بين القياس الجلي والخفي، وحجية القياس.

وقد اختلف العلماء في عَدِّ القياس الجلي من مصادر الأحكام القضائية على قولين:

---

(١) انظر: المرجع السابق، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/٢٠٨).

(٢) انظر: المرجعين السابقين.

(٣) انظرها في: أصول البزدوي (٣/٤٩٦)، شرح تنقيح الفصول ص(٣٨٥)، الإحكام للآمدي (٤/٪)، روضة الناظر لابن قدامة ص(٢٧٩).

القول الأول:

أن القياس الجلي يعد مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية الملزمة، التي لا يسوغ للقاضي تركها، بل ويجب نقض الحكم القضائي المخالف له. وبذلك قال بعض الحنفية [١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، وبعض الحنابلة[٤].

القول الثاني:

وذهب أصحابه إلى أن القياس الجلي ليس من مصادر الأحكام القضائية، ومن باب أولى القياس الخفي، ولا يلزم نقض الحكم القضائي المخالف للقياس، لأنه ليس من المصادر الملزمة. وهذا مذهب أكثر الحنفية، وأكثر الحنابلة.

الحنفية لم يصرحوا بهذا، غير أن الناظر في كتبهم يجد أنهم لم يذكروا القياس ضمن الأدلة التي لا يجوز مخالفتها[٥]، مما يفهم معه أنهم لا يرون القياس من مصادر الأحكام القضائية.

أما الحنابلة فقد صرح بذلك بعضهم، يقول ابن النجار الفتوحي -رحمه الله- : « ولا ينقض بمخالفة قياس، ولو جليًا على الصحيح من

---

(١) انظر: معين الحكام للطرابلسي ص(٢٩).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (٢/١٠٩).

(٣) انظر: أدب القاضي للماوردي (١/٥٩٦)، الإحكام للآمدي (٤/٢٠٣).

(٤) انظر: الفروع لابن مفلح (٦/٤٥٦).

(٥) انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص(١٠٦).

المذهب، وقطع به الأكثر»[1]، فإذا كان الاجتهاد لا ينقض بمخالفة القياس، فليس إذن القياس - عند أكثرهم- من مصادر الأحكام القضائية الملزمة.

والذي يظهر لي رجحانه هو القول الأول، وهو أن القياس الجلي من مصادر الأحكام القضائية الملزمة وذلك لأمرين:

الأول: أن القياس دل على اعتباره وبناء الأحكام عليه الكتابُ والسنة، فهو يرجع إليهما، ويستمد قوته منهما، فالأخذ بالقياس أخذ بما دل عليه الكتاب والسنة، وهو أمر واجب.

الثاني: أن القائلين بحجية القياس قد صرحوا بوجوب اتباعه والعمل به، وهذا يقتضي أن يكون مصدرًا ملزمًا من مصادر الأحكام القضائية.

أما القياس الخفي، فليس من مصادر الأحكام القضائية الملزمة، ولم يخالف في ذلك أحد من العلماء، فجميع العلماء الذين صرحوا بنقض الاجتهاد حالة مخالفة القياس، قيدوه بالجلي دون الخفي[2].

وذلك لأن القياس الخفي بمنزلة مساوية لمنزلة المصالح الأخرى التي يبنى عليها الحكم القضائي أو أضعف، فلا يكون لأحدهما فرية على الآخر تحتم تقديمه.

قال الغزالي - رحمه الله- : «لا فرق بين ظن وظن، فإذا انتفى القاطع فالظن يختلف بالإضافة، وما يختلف بالإضافة فلا سبيل إلى تتبعه»[3].

---

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/٥٠٥).

(٢) انظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور/ محمد البوطي ص(٢٣٥).

(٣) المستصفى (٢/٣٨٣).

أنظمة المملكة العربية السعودية صنعت بالقياس صنيعها بالإجماع، فلم تذكره صراحة ضمن مصادر الأحكام القضائية، ولكن ما قلناه بشأن الإجماع نقوله بخصوص القياس، ولا حاجة لتكرار المعنى، طالما أنه ذُكر آنفًا.

المبحث الخامس

الأنظمة

الأنظمة جمع نظام، والنظام في اللغة هو: التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، ويعني كذلك السيرة والهدى والعادة[1].

وفي الاصطلاح:

ما تسنه الدولة من أحكام عامة وملزمة في مجالات محددة بما لا يخالف الشريعة.

وأكثر الدول تستخدم عبارة (قانون) على ما تسنه من أحكام، غير أن المملكة العربية السعودية اصطفت لفظ (النظام) وهذا اصطلاح ارتضته لنفسها، ولا مشاحاة في الاصطلاح، إذ إن استخدام لفظ القانون لا يحمل محظورًا شرعيًا كما يتوهم البعض، فقد استعمله أئمة الشريعة، وصيره أحدهم عنوانًا لأحد مؤلفاته.

أقسام النظام:

ينقسم النظام إلى أقسام ثلاثة على الترتيب الآتي:

١- النظام الأساسي: ويطلق عليه اسم الدستور، وهو مجموعة القواعد والأحكام الأساسية التي تحدد شكل الدولة، ويبين نظام الحكم فيها، وينظم السلطات العامة، واختصاص كل سلطة، ويبين حقوق الأفراد وواجباتهم.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٣٣)، مادة (نظم)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٥٧٨) مادة (نظم).

وقد أصدرت المملكة العربية السعودية نظامًا أساسيًا بالأمر الملكي رقم أ/٩٠ وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

٢- النظام العادي: وهو يلي النظام الأساسي في المرتبة، ويتناول شغل الوقائع والنوازل المختلفة في شؤون الحياة بالأحكام الملزمة، كنظام المرافعات والمرور وغيرها.

٣- النظام الفرعي، وهو الذي تصدره السلطة التنفيذية لبيان وتفصيل النظام العادي، ويطلق على هذا القسم من النظام (اسم اللائحة)[١]، كلائحة المرور ومكافحة الغش التجاري.

جائز للدولة الإسلامية أن تسن الأنظمة التي تحقق المصلحة وتدرأ المفسدة بما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، والأدلة على ذلك كثيرة تعز على الحصر، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [٢].

وجه الدلالة:

أن الله تعالى فرض طاعته وطاعة رسوله - صلى الله علية وسلم- ، كما فرض طاعة أولي الأمر، وقرن حق طاعتهم بطاعته - سبحانه- وطاعة رسوله - صلى الله علية وسلم- ، وطاعة أولي الأمر إنما تكون في غير ما شرعه الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، إذ لو كان المراد طاعتهم فيما شرعه الله ورسوله - صلى الله علية وسلم- لم يكن لتكرار الأمر بطاعة

(١) انظر: المدخل للعلوم القانونية للدكتور: توفيق فرج ص(٢٠٩- ٢١٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩)

أولي الأمر معنى أو فائدة، فصح أن الله تعالى أمر بطاعتهم فيما يضعونه من أنظمة لا تخالف الشريعة الإسلامية[١].

٢- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله علية وسلم- يقول: « **من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني** »[٢].

وجه الدلالة من هذا الحديث: كوجه الدلالة من الآية السابقة.

واكتفى بهذين الدليلين، إذ المقام ليس مقام استقصاء، فالمقصود أنه يجب على كافة الناس باختلاف أوصافهم طاعة الأنظمة وتنفيذها.

أما القاضي فكما يجب عليه بوصفه من سائر الناس طاعة الأنظمة وتنفيذها يجب عليه كذلك تنفيذها بوصفه قاضيًا.

ففي كتب عمر - رضي الله عنه - إلى قضاته كثير من الأوامر والأحكام التي تلزم القضاة الحكم بموجبها وعدم مخالفتها، وصار ذلك نظامًا عامًا واجب الطاعة ولازم التنفيذ، تجد هذا المعنى مسطورًا في كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة[٣]، والقاضي شريح[٤]، وأبي موسى الأشعري[٥] وغيرهم.

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/١٢٩)، والقول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للشوكاني ص(٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله علية وسلم- « **سترون بعدي أمورًا تنكرونها** » صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء... صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٢٢٤).

(٣) انظر: أخبار القضاة لوكيع (١/٢٧٤).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/١٩٢).

(٥) انظر: أعلام الموقعين لابن القيم (١/٨٥).

وقد نصَّ غير واحد من العلماء على أن ولي الأمر إذ قيد اختصاص القاضي زمانًا أو مكانًا أو نوعًا تقيَّد به[1].

إذن فمنهج السلف الصالح ومن اقتفى أثرهم أن القضاة ملزمون شرعًا بتطبيق الأنظمة والحكم بمقتضاها.

الأنظمة الصادر في المملكة العربية السعودية نصت صراحة على إلزام القضاة الحكم بالأنظمة التي تسنها الدولة، فقد نصت المادة (٤٨) من النظام الأساسي للحكم بقولها: « تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية وفقًا لما دل عليه الكتاب والسنة، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة »، وأكَّد ذلك أيضًا نظام المرافعات الشرعية في مادته الأولى بألفاظ مطابقة لألفاظ النظام الأساسي للحكم.

والأنظمة الواردة في هذين النصين التي يجب على القاضي تطبيقها تشمل أقسام الأنظمة الثلاثة سالفة البيان.

وبهذا يتبين لك أن الأنظمة التي تصدرها الدولة تُعد مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية الملزمة، شريطة أن تكون - الأنظمة- غير مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، كما نطقت بذلك النصوص الشرعية والنظامية.

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص(٢٣٠).

المبحث السادس

الاجتهاد

الاجتهاد في اللغة: مأخوذ من الجُهد والجَهد، وهو بذل الإنسان وسعه واستفراغ طاقته وتحمل المشقة في طلب أمر من الأمور؛ ليصل إلى مطلوبه ويحصل على مقصوده، سواء في أمر حسي كالعمل والمشي، أو في أمر معنوي كاستنباط حكم، أو استخراج نظرية شرعية أو لغوية[1].

وفي الاصطلاح: عرفه ابن قدامة بأنه: «بذل الجهد في العلم بأحكام الشرع»[2]، والأجمع أن تقول في تعريفه: بذل الوسع في تحصيل حكم شرعي ظني أو التوصل إلى الحكم في واقعة لا نص فيها.

وهو تعريف يشمل الاجتهاد في فهم النصوص، والاجتهاد في الوقائع الخالية من النصوص الجزئية.

فالقاضي إذا عرضت عليه قضية ولم يجد لها نصا خاصًا في المصادر السابقة فواجب عليه أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه حتى يصل إلى حكم يكون فاصلاً بين المتخاصمين.

دليل مصدر الاجتهاد:

دل على ذلك أدلة كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ** ﴾[3].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٨٦/١)، مادة (جهد)، الكليات لأبي البقاء الكوفي ص(٤٤).

(٢) روضة الناظر لابن قدامة ص(٣٥٢).

(٣) سورة النساء، الآية (٨٣).

وجه الدلالة:

أن الله - سبحانه وتعالى - أوجب رد النظر في الوقائع والنوازل إلى الرسول - صلى الله علية وسلم - في حياته، وبعد وفاته إلى أهل العلم من الفقهاء والقضاة.

قال الرازي - رحمه الله - : « في هذه الآية دلالة على وجوب القول بالقياس واجتهاد الرأي في أحكام الحوادث »[1].

٢- حديث معاذ - رضي الله عنه - سالف الذكر، حينما بعثه النبي - صلى الله علية وسلم - إلى اليمن قاضيًا، وجاء فيه أنه حينما سألة الرسول - صلى الله علية وسلم - إذا لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم - حكمًا للواقعة قال معاذ: « أجتهد رأيي ولا ألو » فأقره النبي - صلى الله علية وسلم - على ذلك، وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى رسول الله** »[2].

ووجه الدلالة من ذلك واضحة لا تفتقر إلى بيان.

إذن فالأدلة دالة على أن باب الاجتهاد مُشرعٌ أمام القضاة عند خلو الوقائع من نص خاص يحكمها في الشريعة الإسلامية، وعليه أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه في الوصول إلى حكم يفصل النزاع الماثل أمامه، من خلال النظر في الأدلة والقواعد والسوابق القضائية.

---

(١) نقل ذلك عنه أبوحيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط (٣/٣١٩)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٨٨).

(٢) سبق تخريجه ص(   ) من هذا البحث.

أنظمة المملكة العربية السعودية أخذت بهذا المعنى وسارت على هذا المهيع، فمنعت القاضي بنصوص آمرة من التنصل عن إصدار حكم؛ بذريعة عدم وجود نص يحكم الواقعة، بل واجبت عليه الاجتهاد في الوصول إلى الحكم.

فقد نصت المادة (٢٢٣) من نظام العمل الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٥١ وتاريخ ١٤٢٦/٨/٢٣هـ بقولها: « لا يجوز لأي هيئة من الهيئات المنصوص عليها... أن تمتنع عن إصدار قرارها بحجة عدم وجود نص في هذا النظام يمكن تطبيقه، وعليها في هذه الحالة أن تستعين بمبادئ الشريعة الإسلامية وما استقرت عليه السوابق القضائية والعرف وقواعد العدالة ».

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن القول إن الاجتهاد يُعد مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية في الشريعة الإسلامية والنظام السعودي.

الخاتمة

من خلال بحث ودراسة هذا الموضوع يمكن أن أنتهى إلى النتائج الآتية :

١- أن السلفية مصطلح يطلق على الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله علية وسلم- .

٢- مصادر الحكم القضائي يقصد بها : مجموعة الأحكام التي يستقى منها القاضي مادة الحكم القضائي.

٣- أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للأحكام القضائية.

٤- أن الدليل من القرآن الكريم ينقسم إلى نص وظاهر ، وكلاهما من مصادر الأحكام القضائية الملزمة.

٥- إذا كان النص القرآني يحتمل أكثر من معنى فللقاضي ترجيح ما يراه منها إذا كان أهلاً لذلك.

٦- يجب على القاضي مراعاة الأدلة الشرعية التي لم يقصد بها أن تكون ثابتة ودائمة عند إصدار الأحكام ، وذلك كالأدلة المقيدة بحال أو مربوطة بمصلحة ، أو جاءت موافقة لعرف وقت التشريع.

٧- السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الأحكام القضائية الملزمة.

٨- الحديث المتواتر مصدر من مصادر الأحكام القضائية الملزمة.

٩- حديث الآحاد إذا كان إسناده صحيحًا يعد من مصادر الأحكام القضائية على الراجح من قولي العلماء.

١٠- صرحت أنظمة المملكة العربية السعودية على أن الكتاب والسنة مصدر من مصادر الأحكام القضائية.

١١- الإجماع هو اتفاق مجتهدي الأمة بعد النبي - صلى الله علية وسلم- على حكم شرعي، ويعد الإجماع الصريح مصدرًا من مصادر الأحكام القضائية الملزمة دون الإجماع السكوتي.

١٢- القياس الجلي مصدر من مصادر الأحكام القضائية على الراجح من قولي العلماء، أما القياس الخفي فليس من مصادر الأحكام القضائية بغير خلاف بين العلماء.

١٣- يجب على القاضي أن يبحث عن حكم الواقعة من خلال النظر في الأدلة الأربعة مجتمعة، وليست مجزئة.

١٤- الأنظمة التي تسنها المملكة العربية السعودية بأقسامها الثلاثة، النظام الأساسي، والنظام العادي، واللوائح تعد من مصادر الأحكام القضائية الملزمة، شريطة أن لا تتعارض مع نصوص الكتاب والسنة كما نطق بذلك النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية.

١٥- الاجتهاد مصدر من مصادر الأحكام القضائية عند خلو الواقعة من نص خاص يحكمها.

١٦- يجب على القاضي التصدي للواقعة وإصدار الحكم القضائي، ولا يجوز له الامتناع عن إصدار الحكم، بحجة عدم وجود نص يحكمها.

فهرس المصادر والمراجع

١ - الاجتهاد فيما لا نص فيه، للدكتور الطيب خضري السيد، الناشر: مكتبة الحرمين - الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ.

٢ - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٣ - الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تعليق: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ.

٤ - أخبار القضاة، لوكيع، الناشر: عالم الكتب - بيروت.

٥ - أدب القضاء، لابن أبي الدم، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

٦ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، دار المعرفة - بيروت.

٧ - الأشباه والنظائر، لابن نجيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٨ - أصول الفقه، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة.

٩ - أصول فخر الإسلام البزدوي، ومعه شرحه كشف الأسرار، للبخاري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ.

١٠ - أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، دار الجيل - بيروت.

١١ - إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: بشير عيون، مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٢ - البحر المحيط، للزركشي، تحقيق: لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبي والخان - الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

١٣ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٠٨هـ.

١٤ - التاريخ الكبير للبخاري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

١٥- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٦- تقريب الوصول إلى علم الأصول، لابن جزي، تحقيق: الدكتور محمد الشنقيطي، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

١٨- حاشية ابن عابدين، دار الفكر - بيروت، ١٤١٢هـ.

١٩- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز السعيد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٢١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الأمة، للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ.

٢٢- السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، للدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر - دمشق.

٢٣- سنن الترمذي، للترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر سنة ١٤١٤هـ.

٢٤- شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق: الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور نزيه حماد.

٢٥- شرح النووي لصحيح مسلم، للنووي، دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٦- شرح تنقيح الفصول، للقرافي، تحقيق: طه سعد، دار الفكر للطباعة- القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣هـ.

٢٧- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، للغزالي، تحقيق الدكتور: محمد الكبيسي، نشر: رئاسة ديوان الأوقاف بالعراق سنة ١٣٩٠هـ.

٢٨- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، للدكتور محمد سعيد البوطي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

٢٩- عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح العبود، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

٣١- الفروع، لابن مفلح، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٤هـ.

٣٢- الفروق، للقرافي، دار المعرفة - بيروت.

٣٣- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت للأنصاري، مطبوع بهامش المستصفى للغزالي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ.

٣٤- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، للشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن عبدالخالق، الناشر: دار القلم - الكويت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ.

٣٥- الكليات، للكفوي، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ.

٣٦- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني، الناشر: مؤسسة الخافقين - دمشق سنة ١٤٠٢هـ.

٣٨- المحصول في علم أصول الفقه، للرازي، تحقيق: الدكتور طه العلواني. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٩- المدخل إلى السياسة الشرعية، لعبدالعال عطوة، طبع ونشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

٤٠- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لابن بدران، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٤١- المدخل للعلوم القانونية، للدكتور توفيق فرج، الناشر: مكتبة مكاوي - بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م.

٤٢- المستصفى، للغزالي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ.

٤٣- مسلم الثبوت، لابن عبدالشكور، مطبوع بهامش المستصفى للغزالي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ.

٤٤- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٥- المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية، تحقيق: محمد عبدالحليم، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
٤٦- معالم السنن، للخطابي، مطبوع بهامش سنن أبي داود، الناشر: دار الحديث - سورية.
٤٧- المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة.
٤٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر للنشر.
٤٩- معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، للطرابلسي، طبع ونشر: مصطفى البابي بمصر.
٥٠- المغني، لابن قدامة، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، والدكتور عبدالفتاح الحلو، هجر للنشر - القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.
٥١- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، للتلمساني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.
٥٢- المنخول عن تعليقات الأصول، للغزالي، تحقيق: محمد هيتو، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ.
٥٣- نظام الإجراءات الجزائية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٣٩ وتاريخ ١٤٢٢/٧/٢٨هـ.
٥٤- النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم أ/٩٠ وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.
٥٥- نظام المرافعات الشرعية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢١ وتاريخ ١٤٢١/٥/٢هـ.
٥٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، الناشر: دار ابن الجوزي سنة ١٤٢١هـ.



أثر المنهج السلفي

في تعزيز الانتماء الوطني

جهود اللجنة الدائمة للبحوث العلمية

والإفتاء وآثارها في المجتمع السعودي أنموذجاً

- دراسة عقدية -

الباحث

د. محمد بن عبد العزيز الشايع

الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة [(١)].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، وقد أخرج حديثها أبو داود في كتاب النكاح باب خطبة النكاح (٢/٥٩١) برقم: (٢١١٨)، والترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في خطبة النكاح (٣/٤١٣) برقم: (١١٠٥)، والنسائي في كتاب النكاح باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٦/٨٩) برقم: (٣٢٧٧)، وابن ماجه في كتاب النكاح باب في خطبة النكاح (١/٦٠٩) برقم: (١٨٩٢)، وأحمد (٦/٢٦٤) برقم: (٣٧٢١) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص وأبي عُبيدة عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- .

قال الترمذي: "حديث عبد الله حديث حسن رواه الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي- ﷺ- ، ورواه شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، عن النبي- ﷺ- ، وكلا الحديثين صحيح".

وقد توسع الشيخ الألباني - رحمه الله - في تخريجه وجمع طرقه في رسالة له مفردة بعنوان: "خطبة الحاجة"، وخلص فيها إلى الحكم بصحته.

وبعد:

فإن من فضل الله- تعالى- على هذه البلاد- المملكة العربية السعودية- أن قامت منذ نشأتها الأولى على التلاحم والتكامل بين الولاة والعلماء، فمنذ مبايعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] الأمير محمد بن سعود[2]- رحمهما الله- وإلى عصرنا الحاضر والعلاقة بينهم علاقة وثيقة، قائمة على التعاون على تحقيق مقاصد الإمامة الشرعية في حفظ الدين وسياسة الدنيا، وقد أثمرت هذه العلاقة آثاراً جليلة وفوائد عظيمة، كان من أهمها وأجلها ضبط العلاقة بين الراعي والرعية، وتعزيز الانتماء الوطني في نفوس عموم المواطنين.

ولذا رغبت في الكتابة في بيان أثر المنهج السلفي في تعزيز الانتماء الوطني، وتسليط الضوء على هذه العلاقة، من خلال بيان جهود اللجنة

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، إمام الدعوة، ومجدد القرن الثاني عشر الهجري، من مؤلفاته: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، أصول الإيمان، توفي سنة ١٢٠٦هـ.

انظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٦)، الأعلام (٦/ ٢٥٧).

(٢) هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، كان مقامه بالدرعية، وولي الإمارة بعد وفاة أبيه بسنتين أو بأربع سنين سنة ١١٣٩هـ، وحسنت سيرته وقويت شوكته، وفي سنة ١١٥٧هـ وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب فعاهده محمد بن سعود على أن يكون حارساً للدين وناصراً للسنة ومؤيداً للدعوة، وقد أجرى الله على أيديهما من الخير للأمة ما يعجز القلم عن تسطيره، توفي سنة ١١٧٩هـ.

انظر: عنوان المجد (١/ ٤٩)، الأعلام (٦/ ١٣٨).

الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية وآثارها على المجتمع السعودي.

ورمت بذلك تحقيق الأهداف الآتية :

١ - بيان أثر المنهج السلفي في تعزيز الانتماء الوطني من خلال كلام أهل العلم الأجلاء، بعيداً عن الإفراط أو التفريط.

٢ - تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي يروج لها بعض خصوم المنهج السلفي جهلاً أو تجاهلاً، كاتهام أصحابه بالغلو والتطرف حيناً، والمداهنة والتفريط حيناً آخر، ووصفهم تبعاً لذلك بالخوارج أو المرجئة !!!.

٣ - دفع المفهوم الخاطئ للانتماء الوطني عند البعض، وبيان أن الانتماء للوطن أمر دل عليه الشرع والعقل والفطرة السليمة، وأنه يتنافى تماماً مع المفاهيم الجاهلية كالعصبية، والقبلية، والقومية، وغيرها من المفاهيم المخالفة للعقيدة الصحيحة.

٤ - بيان سلامة المنهج السلفي في التعامل مع الولاة تأصيلاً وتطبيقاً، وتحقيقه لمصالح الأمة دنيَا وأخرى.

٥ - بيان جهود علماء هذه البلاد في تعزيز الانتماء الوطني، والرد على كل من يشكك في دورهم في ذلك.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة :

المقدمة : وضمنتها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد: فقد ذكرت فيه تعريفاً موجزاً باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وأما المباحث الستة: فقد ضمنتها جهود اللجنة الدائمة في تعزيز الانتماء الوطني، وتناولتها كالآتي:

المبحث الأول: دعوتها إلى الالتفاف حول القيادة الوطنية، وتحذيرها من كل ما يخالف ذلك.

المبحث الثاني: تأكيدها على المحافظة على الوحدة الوطنية.

المبحث الثالث: إسهامها في ترسيخ الأمن الوطني.

المبحث الرابع: إسهامها في حماية الوطن من الانحراف الفكري.

المبحث الخامس: حثها على المحافظة على المكتسبات الوطنية.

المبحث السادس: دفاعها عن الدولة السعودية، وردها الأكاذيب الموجهة إليها.

وأما الخاتمة: فقد ضمنتها أبرز نتائج البحث وتوصياته.

وقد سلكت في عرض الموضوع المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن؛ وذلك باستقراء فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بمجموعتيها: الأولى والثانية استقراءً تاماً، واستخراج كل ما يخص مفردات البحث من نتائج، ونقل فتاواها بنصها -وإن طالت-؛ ليكون أدعى في بيان جهودها وإيضاح أثرها، ثم تحليلها تحليلاً علمياً من خلال مقارنتها بما قرره السلف- رحمهم الله- .

أما في كتابة البحث فيمكن تلخيص معالم منهجي فيما يلي:

١ - عزوت الآيات إلى سورها، وذكرت رقم الآية فيها، وجعلت ذلك في متن البحث؛ خشية الإطالة بذكرها في الحاشية.

٢ - خرجت الأحاديث الواردة في البحث، وفق المنهج الآتي:

أ - إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، اكتفيت بهما عما سواهما.

ب- إذا كان الحديث في غير الصحيحين، خرجته من المصادر الحديثية المعتمدة، ثم ذكرت حكم الأئمة عليه.

ج - رتبت مصادر التخريج باعتبار تقديم الكتب الستة أولاً، ثم ما عداها بحسب تواريخ وفيات أصحابها.

د - ذكرت عنوان الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة والحديث في الكتب الستة، واكتفيت برقم الجزء والصفحة والحديث فيما عداها.

٣ - ترجمت الأعلام من غير الصحابة والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة، وذلك بذكر اسم المترجم وبعض مؤلفاته وتاريخ وفاته.

٤ - عرفت بالملل والنحل الواردة في البحث.

٥ - عرفت بالألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

٦ - سلكت في كتابة البحث طرائق البحث المعروفة في عزو النصوص وتوثيقها.

٧ - أخرت بيانات المصادر والمراجع إلى فهرسها، خشية الإطالة بذكرها.

هذا، وأحمد الله – جل وعلا– على ما مَنّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وأشكر له فضله وإنعامه، فله الحمد أولاً وآخراً، وأبرأ من الحول والقوة إلا به، وأسأله أن يجعله خالصاً لوجهه، نافعاً لي يوم العرض عليه، وأن يعفو عما وقع لي فيه من خطأ أو تقصير، وأن يوفقني للسداد، ويهديني سبل الرشاد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

التعريف باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

أولاً: نشأة اللجنة:

نشأت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء مع نشأة هيئة كبار العلماء، وذلك بأمر ملكي رقم (١/١٣٧)، بتاريخ: ١٣٩١/٧/٨هـ[١].

فهي لجنة دائمة متفرغة، ومتفرعة عن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومقرها مدينة الرياض.

وقد نصت المادة الرابعة من نظام هيئة كبار العلماء على ذلك: (تتفرع عن الهيئة لجنة دائمة، متفرغة ...)[٢].

فهي بهذا الاعتبار الجهةُ الرسمية للفتوى في المملكة العربية السعودية.

ثانياً: طريقة اختيار وتعيين أعضائها:

جاء في المادة الرابعة من نظام هيئة كبار العلماء ما يلي[٣]:

١- يتم اختيار أعضاء اللجنة من بين أعضاء هيئة كبار العلماء.

---

(١) انظر: أبحاث هيئة كبار العلماء، (١/٥)، ونبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٣)، ومقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/٢٧).

(٢) مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/٢٧)، ونبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٣).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

٢- يكون اختيار الأعضاء بأمر ملكي، وجاء في المادة التاسعة من اللائحة: (يعين رئيس اللجنة فيها وأعضاؤها بأمر منا، بترشيح من رئيس إدارات البحوث).

٣- يكون عضو اللجنة متفرغا، أما عضو الهيئة فهو غير متفرغ، بل يشغل وظائف أخرى.

٤- يجوز عند الاقتضاء، وبأمر ملكي إلحاق أعضاء بالهيئة من غير السعوديين، ممن تتوفر فيهم صفات العلماء السلفيين.

ثالثاً: أعضاء اللجنة منذ تأسيسها وحتى الآن:

توالى على رئاسة اللجنة وعضويتها نخبة من المشايخ الفضلاء والعلماء الأجلاء، وفيما يلي أسماء من تولى عضوية اللجنة ورئاستها مرتبةً حسب تواريخها:

أولاً: في تاريخ ١٣٩١/٧/٨هـ صدر أمر ملكي رقم: (أ/١٣٩)، بتعيين كل من المشايخ الفضلاء[١]:

١ - معالي الشيخ/ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ[٢] رئيساً.

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/٢٨)، ونبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٤).

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب، عين مديراً لإدارة الإفتاء، ثم نائبا للمفتي، وبعد وفاة والده - رحمه الله - عين رئيساً للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد لمدة ست سنوات، وعضواً في هيئة كبار العلماء، ورئيساً للهيئة الدائمة المتفرعة عنها، ثم عين

٢ - معالي الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي عطية [١] نائباً للرئيس.

٣- معالي الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان[٢] عضواً.

٤- معالي الشيخ/ عبد الله بن سليمان المنيع عضواً.

ثانياً: في تاريخ ١٣٩٥/١٠/١٤هـ صدر الأمر السامي الكريم رقم: (أ/٢٤٧)، بتعين سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز [٣]

وزيراً للعدل ورئيساً لمجلس القضاء الأعلى بالنيابة، وبعد خدماته الطويلة التي أمضاها في العمل طلب إحالته على التقاعد؛ نظراً لظروفه الصحية في آخر عام ١٤٠٩ هـ، وكان يتصف بدماثة الخلق ويحب بذل الخير للناس، توفي عام ١٤٢٨ هـ.

انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٩).

(١) هو عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية، عين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر، فدرس بها سنوات، ثم ندب إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعارف السعودية، فعين مدرساً بدار التوحيد بالطائف، ثم نقل منها إلى معهد عنيزة العلمي، ثم نقل إلى الرياض للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نقل للتدريس بكليتي الشريعة واللغة، ثم عين مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١ هـ وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، توفي سنة ١٤١٥هـ.

انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة (١/٢٨).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق الغديان التميمي، عين رئيسا لمحكمة الخبر، ثم نقل للتدريس بالمعهد العلمي ثم عين مدرساً في كلية الشريعة، وفي عام ١٣٨٦ هـ نقل كعضو للإفتاء في دار الإفتاء، وفي عام ١٣٩١ هـ عين عضوا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء، توفي سنة ١٤٣١هـ.

انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة (١/٤٠).

(٣) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، عين قاضياً في الدلم، ثم انتقل إلى الرياض وقام بالتدريس في معهد الرياض العلمي وكلية الشريعة، ثم

رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ورئيساً للجنة الدائمة[1].

ثالثاً: في تاريخ ١٣٩٧/١/٢٣هـ صدر أمر ملكي رقم: (أ/١٤)، بتعيين فضيلة الشيخ/ عبد الله بن حسن بن قعود[2] عضواً في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[3].

عين نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ومفتياً عاماً للملكة ورئيسا لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء ورئيساً للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وشغل رئاسة وعضوية عدد من المجامع والمجالس والهيئات، من مؤلفاته: التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، والفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وحاشية مفيدة على فتح الباري وصل فيها إلى كتاب الحج، توفي سنة ١٤٢٠ هـ.

انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٠).

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/٢٨)، ونبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٤).

(٢) هو عبد الله بن حسن بن محمد بن حسن بن عبد الله القعود، عين مدرسا بالمعاهد، ثم انتقل إلى وزارة المعارف وعمل بها مفتشاً للمواد الدينية بالمرحلة الثانوية، ثم انتقل إلى ديوان المظالم، وعمل به عضواً قضائياً شرعياً، وفي عام ١٣٩٧هـ انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، وعمل بها عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المنبثقة من هيئة كبار العلماء، بجانب عضويته في هيئة كبار العلماء، وفي ١٤٠٦هـ أحيل للتقاعد، وله من المؤلفات مجموعة خطب صدرت في أربعة أجزاء في أزمان متفاوتة باسم (أحاديث الجمعة)، توفي سنة ١٤٢٦هـ.

انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٦).

(٣) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/٢٨)، ونبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٤).

رابعاً: في تاريخ: ١٤١٢/٥/٢٦هـ صدر أمر ملكي رقم (أ/٧٠)، بتعيين كل من المشايخ الفضلاء التالية أسماؤهم:

Č - فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، عضواً في اللجنة.

č - فضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضواً في اللجنة[١].

خامساً: في تاريخ ١٤١٣/٦/٢١هـ صدر أمر ملكي رقم: (أ/١٤٢)، بتعيين فضيلة الشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد[٢] عضواً في هيئة كبار العلماء وفي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[٣].

سادساً: في تاريخ ١٤١٦/٨/٨هـ صدر الأمر السامي رقم: (٣٨)، بتعيين فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ نائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[٤].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) هو بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب، عين قاضياً في المدينة المنورة، وتولى الإمامة والخطابة والتدريس في المسجد النبوي الشريف، ثم اختير وكيلاً عاماً لوزارة العدل، ثم صدر أمر ملكي كريم بتعيينه عضواً في لجنة الفتوى وهيئة كبار العلماء، كما صدر أمر ملكي كريم بتعيينه ممثلاً للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، واختير رئيساً للمجمع، كما عين عضواً في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها، من مؤلفاته: الحدود والتعزيرات، الجناية على النفس وما دونها، المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وغيرها، توفي سنة ١٤٢٩هـ.
انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة (١/١٥).

(٣) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/٢٨).

(٤) انظر: نبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٦).

سابعاً: في تاريخ ١٤٢٠/١/٢٩هـ صدر الأمر الملكي رقم: (أ/٢٠)، بتعيين سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية، ورئيساً لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء[١].

ثامناً: في تاريخ ١٤٢٢/٣/٦هـ صدر الأمر الملكي رقم: (أ/٨٧)، بتعيين أصحاب الفضيلة المشايخ أعضاء هيئة كبار العلماء التالية أسماؤهم أعضاء متفرغين في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المتفرعة من هيئة العلماء[٢]:

Č - فضيلة الشيخ/ الدكتور أحمد بن علي سير مباركي.

č - فضيلة الشيخ/ الدكتور عبد الله بن على الركبان.

Ď - فضيلة الشيخ/ الدكتور عبد الله بن محمد المطلق.

تاسعاً: في تاريخ ١٤٢٦/٣/٢هـ صدر أمر ملكي رقم: (أ/٢١)، بتعيين كل من المشايخ الفضلاء التالية أسماؤهم[٣]:

Č - فضيلة الشيخ/ عبد الله بن محمد الخنين عضواً في اللجنة.

č - فضيلة الشيخ/ الدكتور سعد بن ناصر الشثري عضواً في اللجنة.

Ď - فضيلة الشيخ/ محمد بن حسن آل الشيخ عضواً في اللجنة.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق (٩).

عاشراً: في تاريخ ١٤٢٨/١/٩هـ صدر أمر ملكي رقم: (أ/١٢)، بتعيين: فضيلة الشيخ الدكتور/ يوسف بن محمد بن علي الغفيص عضواً في اللجنة[1].

الحادي عشر: في تاريخ ٢٥ /١٤٣١/٥هـ صدر أمر ملكي رقم: (أ/٦٤) بتعيين: فضيلة الشيخ/ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله الخضير عضواً في اللجنة.

وأخيراً، فالذي تولى رئاسة اللجنة منذ تأسيسها وحتى الآن ثلاثة، وهم:

١- معالي الشيخ/ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ- رحمه الله- .

٢- سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز-رحمه الله- .

٣- سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله- .

---

(١) انظر: نبذة مختصرة من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء (٦).

المبحث الأول:

دعوة اللجنة الدائمة إلى الالتفاف حول القيادة الوطنية، وتحذيرها من كل ما يخالف ذلك:

تواترت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية الله- تعالى- ، وتحريم الخروج عليهم.

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: ((دعانا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا، بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان))[1].

وعن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((سترون بعدي أموراً تنكرونها)) (٢٥٨٨/٦) برقم: (٦٦٤٧)، ومسلم كتاب الإمامة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٧٠/٣) برقم: (١٧٠٩).

فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة))[1].

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله ﷺ قال: ((إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا))[2].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية))[3].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لنا رسول الله ﷺ: ((إنكم سترون بعدي أثرةً وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم))[4].

وقد درج علماء أهل السنة والجماعة خلفاً عن سلف على تقرير ذلك، والدعوة إليه، والتحذير ما كل ما يخالفه، وفيما يلي سياق بعض أقوالهم:

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم (١٤٨٢/٣) برقم: (١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (١٤٨٠/٣) برقم: (١٨٥٤).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي - ﷺ - : "سترون بعدي أموراً تنكرونها" (٢٥٨٨/٦) برقم: (٦٦٤٦)، ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٤٧٧/٣) برقم: (١٨٤٩).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي - ﷺ - : ((سترون بعدي أموراً تنكرونها)) (٢٥٨٨/٦) برقم: (٦٦٤٤).

يقول الإمام أحمد - رحمه الله - : "من خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس قد اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله- ﷺ- ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية"[1].

ويقول الإمام الطحاوي[2]- رحمه الله- في سياق عقيدتهم: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله- عز وجل- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[3].

ويقول الإمام ابن قدامة[4]- رحمه الله- : "ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة، واجتمع

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٦١).

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، تفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً، من تصانيفه: شرح معاني الآثار، بيان السنة، مشكل الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ.
انظر: وفيات الأعيان (١ / ٧١)، تذكرة الحفاظ (٣ / ٨٠٨)، شذرات الذهب (٢/ ٢٨٨).

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها (٢/٥٤٠).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين، من أكابر الحنابلة، وأئمة السلف، له تصانيف، منها: المغني، روضة الناظر، لمعة الاعتقاد، توفي سنة ٦٢٠هـ.
انظر: العبر (٥ / ٧٩)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ١٣٣)، شذرات الذهب (٥/٨٨).

عليه الناس، ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين؛ وجبت طاعته، وحرمت مخالفته، والخروج عليه، وشق عصا المسلمين"[1].

ويقول الإمام الصابوني[2]- رحمه الله- في بيان عقيدة أهل الحديث: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل"[3].

وكلام أئمة أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الأصل كثير، وهو مبثوث في عقائدهم وكتبهم[4].

---

(١) لمعة الاعتقاد (٣٣).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، سلفي شافعي، كان مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان حتى لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام، من مؤلفاته: عقيدة السلف، الفصول في الأصول، توفي سنة ٤٤٩هـ.
انظر: البداية والنهاية (١٢ / ٧٦)، طبقات الشافعية (٣: ١١٧)، شذرات الذهب (٣ / ٢٨٢).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٩٤).

(٤) انظر: السنة للخلال (١/٧٣)، السنة لابن أبي عاصم (٤٧٧)، السنة للمروزي (٣)، شرح السنة للبربهاري (٦٩- ٧١)، اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (٧٥، ٧٦)، أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٧٥- ٢٧٦)، الحجة في بيان المحجة لقوام السنة (٢/٣٩١)، شرح السنة للبغوي (١٠/٤٠)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٤)، فتيا وجوابها في ذكر

وقد كان للجنة الدائمة جهد مشكور في تقرير هذه المعاني والتأكيد عليها، وبيان الآثار المترتبة على الإخلال بها، وفيما يلي طرف من جهودهم في ذلك:

أولاً: دعوتها إلى السمع والطاعة لولي الأمر:

فقد سئلت اللجنة عن حقوق الحاكم وواجباته، فأجابت بما يلي: "حق الحاكم الشرعيُّ: السمع والطاعة له بالمعروف في العسر واليسر، والمنشط والمكره، ولو على أثرة على الرعية، وحقه النصح له وشد أزره وعونه على الخير.

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -، أن النبي - ﷺ - قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[1].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة))[2].

الاعتقاد للهمذاني (٨٢)، مجموع الفتاوى (٣٥/٥- ٧)، منهاج السنة (١/٨٤، ١١٥)، جامع العلوم والحكم (١/٢٢٠) (٢/١١٧)، شرح الطحاوية (٢/٥٤٠) وما بعدها، الدرر السنية (١/٣٣) (٢/١٣٣) (٩/٦)، لوامع الأنوار البهية (٢/٤٢٥)، قطف الثمر للقنوجي (١٤٦).

(١) أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٦/٢٦١٢) برقم: (٦٧٢٥)، ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣ / ١٤٦٩) برقم (١٨٣٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجماعة والإمامة باب إمامة العبد والمولى (١/٢٤٦) برقم: (٦٦١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك)) رواه مسلم[1].

ومعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((وأثرة عليك)): من الاستئثار، أي: عليك الطاعة وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما هو عندهم.

وعن أبي رقية تميم بن أوس الداري- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) رواه مسلم[2]..."[3].

ثانياً: تحذيرها من الخروج على ولي الأمر:

فقد سئلت اللجنة عن حقوق الحاكم وواجباته، فأجابت بما يلي: "يحرم الخروج على الإمام الشرعي، ولو كان فاسقاً، ما لم يكن كفر بواح، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) رواه مسلم، وفي رواية له: ((ومن مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية))[4].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٧/٣) برقم: (١٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة (١ / ٧٤) برقم (٥٥).

(٣) فتاوى اللجنة (٣٩٧/٢٣) فتوى رقم: ١٧٦٢٧.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (٣ / ٤٧٨) برقم: (١٨٥١).

ومعنى: ((خلع يداً من طاعة)) أي: خرج عنها بالخروج على الإمام، وعدم الانقياد له في غير معصية.

ومعنى: ((مات ميتة جاهلية)): أي: مات على الضلالة كما يموت أهل الجاهلية عليها، فإنهم كانوا لا يدخلون تحت طاعة أمير.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية)) متفق عليه[١] ... "[٢].

وفي إجابة لها على سؤال آخر حول معنى حديث ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية))[٣] أفادت بما يلي: "معنى الحديث: أنه لا يجوز الخروج على الحاكم - ولي الأمر - إلا أن يُرَى منه كفرٌ بواحٌ، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، كما أنه يجب على الأمة أن يؤمروا عليهم أميراً يرعى مصالحهم ويحفظ حقوقهم"[٤].

كما أجابت اللجنة عن استشكال أورده أحد المستفتين يتعلق بالجمع بين حديث ((سيكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن نابذهم فقد نجا، ومن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتاوى اللجنة (٢٣/٤٠٠) فتوى رقم: ١٧٦٢٧.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتاوى اللجنة (١/٤١٩) فتوى رقم: ٨٢٢٥.

اعتزلهم فقد سلم، ومن خالطهم فقد هلك))[1]، وعموم النصوص الدالة على تحريم الخروج على ولاة الأمور بقولها: "الحديث الذي ذكرته صحيح، وليس فيه معارضة لمعتقد أهل السنة في السمع والطاعة لولاة الأمر في المعروف ولزوم الجماعة وعدم الخروج عليهم وإن جاروا، ما لم يحصل منهم كفر بواح؛ لأن المقصود بالمنابذة في الحديث: الإنكار باللسان، كما بينه شراح الحديث.

قال المناوي [2] في شرح الجامع (٤ / ١٣٢): "((فمن نابذهم)): يعني: أنكر بلسانه ما لا يوافق الشرع ((نجا)) من النفاق والمداهنة، ((ومن اعتزلهم)) منكراً بقلبه ((يسلم)) من العقوبة على ترك إنكار المنكر، ((ومن خالطهم)) راضياً بفسقهم ((هلك)) يعني: وقع فيما يوجب الهلاك الأخروي"أ.هـ.

وفي صحيح مسلم ما يؤيد هذا المعنى من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥ /٢٤٣) برقم: (٣٣٨٩٨)، وعبد الرزاق (٥٣٠/٧) برقم: (٣٧٧٤٣)، والطبراني في الكبير (١١ / ٣٣) برقم: (١٠٩٧٣) من طرق عن هياج بن بسطام الحنظلي عن ليث بن أبي سليم عن طاووس عن ابن عباس - رضي الله عنهما - به.
وصححه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٤٧٨١).

(٢) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، أشعري صوفي، مكثر من التأليف، من مؤلفاته: فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح الشمائل للترمذي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، توفي سنة ١٠٣١هـ.
انظر: خلاصة الأثر (٤١٢/٢)، الأعلام (٦/ ٢٠٤).

مـن رضـي وتـابع، قـالوا: يـا رسـول الله، ألا نقاتلـهم؟ قـال: لا مـا صلوا))[(١)]"[(٢)].

ثالثاً: تحريمها عقد البيعة لغير ولي الأمر الشرعي:

فقـد سـئلت اللجنـة عـن شـرعية عقـد الإمـارة في الحـضر لغـير الـوالي الشرعي، فأجابت بما يلي: "صح عـن الـنبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن الـنبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)) رواه أبو داود بإسناد حسن[(٣)].

وهذا كما هو ظاهر الحديث في السفر، أما الحضر فإن الإمارة تكون لمن ولي أمر البلد بولاية شرعية، وكل أمير بحسبه"[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (٣١٥/٢) فتوى رقم: ١٧٣٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الجهاد باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم (٣٦/٣) برقم: (٢٦٠٨)، وأبـو يعلـى (٣١٩/٢) رقـم: (١٠٥٤)، والبيهقـي (٢٥٧/٥) بـرقم: (١٠١٣١)، وأبـو عوانـة (٥١٤/٤) بـرقم: (٧٥٣٨)، والطبراني في الأوسـط (٩٩/٧) برقم: (٨٠٩٣) من طرق عن محمد بن عجلان عن نافع عن أبي سلمة عن أبى سعيد الخدري —رضي الله عنه— به.

وأخرجه أيضًا أبو داود كتاب الجهاد باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم (٣٦/٣) برقم: (٢٦٠٩) من طريق محمد بن عجلان عن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة —رضي الله عنه— به. والحديث حسنه النووي في رياض الصالحين (٣٠٦) والسيوطي في الجامع الصغير (١ / ٤٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١ / ١٤٨) حديث رقم: (٥٠٠).

(٤) فتاوى اللجنة (٤٠٢/٢٣) فتوى رقم: ١٨١٨٨.

كما أجابت اللجنة عن سؤال آخر حول شرعية انتساب المسلم إلى جماعة إسلامية يكون لها أمير، بقولها: "الواجب على المسلم أن يتبع ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - قولاً وعملاً واعتقاداً، وأن يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله، وأن يحرص على أن يكون أقرب الناس إلى الحق بقدر استطاعته"[1].

رابعاً: قولها باستحباب الدعاء لولي الأمر، وحثها على ذلك:

فقد سئلت اللجنة عن حكم تخصيص بعض الخطباء رئيس الدولة بالدعاء أثناء الخطبة، فأجابت بما يلي: "الأفضل إذا دعا الخطيب أن يعم بدعوته حكام المسلمين، ورعيتهم، وإذا خص إمام بلاده بالدعاء بالهداية والتوفيق فذلك حسن؛ لما في ذلك من المصلحة العامة للمسلمين إذا أجاب الله الدعاء"[2].

خامساً: قولها بوجوب دفع الزكاة لولي الأمر متى طلبها:

فقد وجه للجنة أسئلة متعددة من جمع من الموطنين حول دفع الزكاة لولي الأمر، فأجابت بأن المشروع في حق صاحب المال أن يؤدي زكاته لولي الأمر متى طلبها منه[3].

وفي جواب لها على أحد هذه الأسئلة قالت: " يستحب للإنسان تفريق زكاة نقوده بنفسه على أهلها المستحقين لها من الفقراء وغيرهم المذكورين في قوله-

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٣٦) فتوى رقم: ٤١٦١.

(٢) المصدر السابق (٨/٢٣٢) فتوى رقم: ٥٥٦٥.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة (٨/٣١٣) فتوى رقم: ١٦٠٧٢، (٨/٣٢٣) فتوى رقم: ١٧٩٨١، (٩/٤٢٤) فتوى رقم: ١٣٩٣، (٩/٤٢٥) فتوى رقم: ١٢٥٦٧.

تعــــالى- : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة التوبة : ٦٠]، وإذا طلبها ولي الأمر فإن المشروع تسليمها له ؛ لأن ذلك من باب السمع والطاعة في المعروف، وبذلك تبرأ الذمة من الواجب إذا كان الولي مسلماً"(١).

وفي سؤال لأحد المواطنين حول براءة ذمته بما يدفعه لمصلحة الزكاة والدخل أجابت اللجنة بقولها : " الزكاة التي تدفع لمصلحة الزكاة المفوضة من قبل ولي الأمر تعتبر مجزئة، ولا يلزم الدافع إخراج الزكاة مرة أخرى إذا كان قد أخرج الزكاة كاملة، وإلا فيجب عليه إخراج ما تبقى منها في مصارفها الشرعية، ولا تبرأ الذمة إلا بذلك"(٢).

وقد كان لجهود اللجنة المتقدمة آثار ظاهرة على المجتمع السعودي بحمد الله- تعالى- ، تمثلت في طاعته للقيادة الوطنية، وتدينه بعقد البيعة لها، والتزامه بواجبه الشرعي تجاهها، كما ظهر ذلك بوضوح في موقف المجتمع السعودي من الفئة الضالة، ووقوفه مع القيادة الوطنية ضدها، وبراءته من أعمالها.

وكثير مما تنعم به هذه البلاد المباركة هو بفضل الله- تعالى- أولاً، ثم التزامها قيادة وشعباً بالمنهج السلفي في العلاقة بين الراعي والرعية.

---

(١) المصدر السابق (٤٢٤/٩) فتوى رقم : ١٣٩٣.

(٢) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (٣٤١/٨) فتوى رقم : ٢٠٥٧٢.

المبحث الثاني:

تأكيد اللجنة الدائمة على المحافظة على الوحدة الوطنية:

مراعاة الاجتماع الشرعي "من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه ...، ومما عظمت به وصية النبي - ﷺ - في مواطن عامة وخاصة"(١).

فمن الكتاب:

قوله - تعالى - : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

وقوله - سبحانه - : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]. ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

ومن السنة:

ما جاء عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: ((نَضَّرَ الله امْرَأً سمع مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ منه، ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فإن الدَّعْوَةَ تُحِيطُ من وَرَائِهِمْ))(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/٣٤) برقم: (٢٦٥٨)، والحميدي (١/٤٧) برقم: (٨٨)، والطبراني في الأوسط (٥/٢٣٣) برقم: (٥١٧٩)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/٦٦) من طرق عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - به.

وعن عَرْفَجَةَ- رضي الله عنه- قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يقول: ((من أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ على رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أو يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ))[1].

وعن أبي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- : ((من خَرَجَ من الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ من أُمَّتِي، وَمَنْ خَرَجَ من أُمَّتِي على أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لا يَتَحَاشَ من مُؤْمِنِهَا، ولا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي))[2].

"وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة"[3].

ولما كان "شعار الطائفة الناجية هو السنة والجماعة"[4]؛ كانوا "أعظم الناس اتفاقاً وائتلافاً، وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب"[5]؛ وذلك لكون "البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن

قال الترمذي: " هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ".

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٣/١٤٨٠) برقم: (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (٣/١٤٧٧) برقم: (١٨٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٥١)، وللاستزادة: الإشاعة في بيان من نهي عن فراقه من الجماعة للصنعاني (٣٦) وما بعدها، مفهوم الجماعة والإمامة ووجوب لزومهما أ. د/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل (٣١) وما بعدها، وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بادي (١٩) وما بعدها.

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/٣١٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/٥١).

السنة مقرونة بالجماعة"[١] ؛ "ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة"[٢].

يقول العلامة ابن حزم[٣] - رحمه الله - : "اعلموا - رحمكم الله - أن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيراً، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلّون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين"[٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] - رحمه الله - : "اعلموا - رحمكم الله، وجمع لنا ولكم خير الدنيا والآخرة - أن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكان قد بعث إلى ذوي أهواء متفرقة، وقلوب متشتتة، وآراء متباينة، فجمع به الشمل، وألف به بين القلوب، وعصم به من كيد الشيطان.

---

(١) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٦٠)، وانظر: (٩/ ٢٣٠) (٢٨/ ٥١).

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي، فقيه محدث، له مؤلفات كثيرة منها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، الدرة فيما يجب اعتقاده، والمحلى، توفي سنة ٤٥٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٩).

(٤) الفصل (٥/ ٩٨).

(٥) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، الدمشقي، أبو العباس، تقي الدين، علم من أعلام السنة، وإمام من أئمة الإسلام، له مؤلفات لا تحصى كثرة، منها: النبوات، درء تعارض العقل والنقل، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وغيرها، توفي سنة ٧٢٨هـ.
انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧)، شذرات الذهب (٦/ ٨٠).

ثم إنه- سبحانه وتعالى- بَيَّنَ أن هذا الأصل- وهو الجماعة- عماد لدينه، فقال- سبحانه- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢- ١٠٧]

فانظروا - رحمكم الله - كيف دعا الله إلى الجماعة، ونهى عن الفرقة، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، فبرأ نبيه من الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كما نهانا عن التفرق والاختلاف بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]....

وقد كره النبي- ﷺ- من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق، فخرج على قوم من أصحابه وهم يتجادلون في القدر، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، وقال: ((أبهذا أمرتم ؟ أم إلى هذا دعيتم ؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض))، قال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - : فما أغبط نفسي كما غبطتها ألا أكون في ذلك المجلس، روى هذا الحديث أبو داود في سننه

وغيره، وأصله في الصحيحين(١)، والحديث المشهور عنه- ﷺ- في السنن وغيرها أنه قال: ((تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة)) قيل: يا رسول الله ومن هي؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) وفي رواية: ((هي الجماعة))(٢)، وفي رواية: ((يد الله

---

(١) أخرجه ابن ماجه المقدمة باب في القدر (١/ ٣٣) برقم: (٨٥)، وعبد الرزاق (١١/ ٢١٦) برقم: (٢٠٣٦٧)، وأحمد (٢/ ١٧٨) برقم: (٦٦٦٨)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٩٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ١٠٨) برقم: (٨١٢)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٦٥) برقم: (٥١٥) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به.

قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤): "هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الإمام أحمد في مسنده من هذا الوجه بزيادة في آخره، وكذا رواه الحارث بن محمد بن أبي أسامة في مسنده كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة".

وقال الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند: "إسناده صحيح".

والحديث أصله في صحيح مسلم كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٤/ ٢٠٥٣) من طريق أبي كامل فضيل بن حسين الجحدري عن حماد بن زيد عن أبي عمران الجَوني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: هَجَّرْتُ إلى رسول اللَّهِ- ﷺ- يَوْمًا، قال: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا في آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رسول اللَّهِ- ﷺ- يُعْرَفُ في وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فقال: ((إنما هَلَكَ من كان قَبْلَكُمْ بِاخْتِلافِهِمْ في الْكِتَابِ))، ولم أجد الحديث بعد بحث في صحيح البخاري وسنن أبي داود.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢) برقم: (١٦٩٧٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٦) برقم: (٨٨٤)، ومسند الشاميين (٢/ ١٠٨) برقم: (١٠٠٥)، والحاكم (١/ ٢١٨) برقم: (٤٤٣) من طرق عن صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله عن أبي عامر الْهَوْزَنِيِّ عبد اللَّهِ بن لُحَيٍّ عن معاوية- رضي الله عنه- به.

قال الحاكم بعد أن ساق الحديث من طرق مختلفة: "هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث".

على الجماعة))[1] ؛ فوصف الفرقة الناجية بأنهم المستمسكون بسنته وأنهم هم الجماعة "[2].

وكلام أئمة أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الأصل كثير، وهو مبثوث في عقائدهم وكتبهم.

وقد كان للجنة الدائمة جهد مشكور في تقرير هذا المعنى والتأكيد عليه، وبيان الآثار المترتبة على الإخلال به، وفيما يلي طرف من جهودهم في ذلك:

أولاً: دعوتها إلى الاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف:

فقد وجه سؤال إلى اللجنة عن حكم تفرق المسلمين إلى جماعات وأحزاب، فأجابت بقولها: " لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً، يلعن بعضهم بعضاً، ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه، وذم من أحدثه، أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد تبرأ الله ورسوله- ﷺ- منه، قال الله- تعالى- : ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣] إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ**

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤٦٦/٤) برقم: (٢١٦٧)، والحاكم في المستدرك (٢٠١/١)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٠/١) من طرق عن المعتمر بن سليمان عن سليمان المدني عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر- رضي الله عنهما- به.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".

وقال الحاكم: "وقد روي ... هذا الحديث بأسانيد يصح بمثلها".

وصححه بشواهده الألباني في ظلال الجنة في تخريج كتاب السنة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٠/٢٤ - ١٧٢).

عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]، وقال- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩- ١٦٠].

وثبت عن النبي- ﷺ- أنه قال: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض))[(١)]، والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة..."[(٢)].

وفي جواب لها آخر حول الاختلاف بين الإخوة السلفيين والواجب تجاهه قالت: "يجب تجنب الاختلاف بين المسلمين عموماً والعلماء خصوصاً، فإن حصل شيء منه وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة؛ لمعرفة الحق والأخذ به، وترك ما خالفه، قال الله- تعالى- : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [سورة الشورى: ١٠] الآية، وقال الله- تعالى- : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، وهذا يعم كل نزاع بين المؤمنين في العقيدة والأقوال والأعمال، فيجب رده إلى الكتاب والسنة؛ لأخذ الصواب، وترك الخطأ، والرضا بحكم الله ورسوله، والتسليم له"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب الإنصات للعلماء (١/٥٦) برقم: (١٢١)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي- ﷺ- : ((لا ترجعوا بعدي كفارا)) من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه- به.

(٢) فتاوى اللجنة (٢/٢١٠) فتوى رقم: ١٦٧٤.

(٣) المصدر السابق المجموعة الثانية (٢/٤٣) فتوى رقم: ١٨٨٧٠.

وفي سؤال وجه إليها عما يقع من بعض من يدعي العلم من الطعن في العلماء الثقات باسم السلفية، أجابت اللجنة بقولها: "الطعن في العلماء ورميهم بالابتداع، واتهامهم مسلكٌ مُرْدٍ، ليس من طريقة سلف هذه الأمة وخيارها، وإن جادة السلف الصالح هي الدعوة إلى الكتاب والسنة، وإلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة- رضي الله عنهم - ، والتابعين لهم بإحسان، بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، مع جهاد النفس على العمل بما يدعو إليه العبد، والالتزام بما علم بالضرورة من دين الإسلام، من الدعوة إلى الاجتماع، والتعاون على الخير، وجمع كلمة المسلمين على الحق، والبعد عن الفرقة وأسبابها من التشاحن والتباغض والتحاسد، والكف عن الوقوع في أعراض المسلمين، ورميهم بالظنون الكاذبة، ونحو هذا من الأسباب الجالبة لافتراق المسلمين، وجعلهم شيعاً وأحزاباً، يلعن بعضهم بعضاً، ويضرب بعضهم رقاب بعض، قال- تعالى- : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣- ١٠٥]، وثبت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض))(١)، والآيات والأحاديث في ذم التفرق وأسبابه كثيرة.

(١) سبق تخريجه.

ولهذا فإن حماية أعراض المسلمين وصيانتها من الضروريات التي علمت من دين الإسلام، فيحرم هتكها والوقوع فيها، وتشتد الحرمة حينما يكون الوقوع في العلماء، ومن عظم نفعه للمسلمين منهم؛ لما ورد من نصوص الوَحْيَيْنِ الشريفين بعظيم منزلتهم، ومنها: أن الله- سبحانه وتعالى- ذكرهم شهداء على توحيده، فقال- تعالى- : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، والوقوع في العلماء بغير حق- تبديعاً وتفسيقاً وتنقصاً وتزهيداً فيهم- ، كل ذلك من أعظم الظلم والإثم، وهو من أسباب الفتن، وصد المسلمين عن تلقي علمهم النافع وما يحملونه من الخير والهدى، وهذا يعود بالضرر العظيم على انتشار الشرع المطهر؛ لأنه إذا جرح حملته أثر على المحمول، وهذا فيه شبه من طريقة من يقع في الصحابة من أهل الأهواء، وصحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هم شهود نبي هذه الأمة على ما بلغه من شريعة الله، فإذا جرح الشاهد جرح المشهود به، فالواجب على المسلم التزام أدب الإسلام وهديه وشرائعه، وأن يكف لسانه عن البذاءة، والوقوع في أعراض العلماء، والتوبة إلى الله- تعالى- من ذلك، والتخلص من مظالم العباد، ولكن إذا حصل خطأ من العالم فلا يقضي خطؤه على ما عنده من العلم، والواجب في معرفة الخطأ الرجوع إلى من يشار إليهم من أهل العلم في العلم والدين وصحة الاعتقاد، وألا يسلم المرء نفسه لكل من هب ودب، فيقوده إلى المهالك من حيث لا يشعر"[١].

---

(١) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (٢/٣١٧) فتوى رقم: ١٦٨٧٣.

وفي جواب لها عن سؤال يتعلق بالجمع بين حديث: ((الاختلاف رحمة))[1] و قوله - تعالى - : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

قالت اللجنة: "الحديث غير صحيح، والاختلاف ابتلاء وامتحان من الله لعباده، وليس رحمة على الإطلاق، كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗا ﴾ [سورة هود: ٧]، وقال - تعالى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗا ﴾ [سورة الكهف: ٧]، فمن اجتهد في طلب الحق في

---

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ لا أصل له في شيء من دواوين السنة، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٦٩/١): "حديث: ((اختلاف أمتي رحمة)) البيهقي في المدخل من حديث سليمان ابن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به، لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة))، ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء، وجويبر ضعيف جداً، والضحاك عن ابن عباس منقطع، وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعاً من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحكم بدون بيان بلفظ: ((اختلاف أصحابي رحمة لأمتي))، قال: وهو مرسل ضعيف، وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد ... وقد قرأت بخط شيخنا: إنه - يعني هذا الحديث - حديث مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ: ((اختلاف أمتي رحمة للناس))، وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً، وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان: أحدهما ماجن، والآخر ملحد، وهما إسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ، وقالا جميعا: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا، ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام، ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده، ثم ذكر شيخنا شيئا مما تقدم في عزوه".

مسائل الخلاف، وكان أهلا للاجتهاد بعلمه وبصيرته، فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، أما من تكلم في مسائل الخلاف بغير علم، وتابع الهوى فيها، فهو آثم، وليس بمأجور، وبهذا تجتمع الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وقد قال الله- تعالى- : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٨- ١١٩]، وقال- ﷺ- : ((إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر))[١] متفق على صحته"[٢].

ثانياً: تحذيرها من الأحزاب غير الشرعية وتحريمها الانضمام إليها:

فقد أولت اللجنة هذه المسألة عناية بالغة؛ نظراً لأهميتها من جهة، وعظم المفاسد المترتبة عليها من جهة أخرى.

ففي سؤال وجه إليها عن حكم الإسلام في الأحزاب كحزب التحرير[٣] وحزب الإخوان المسلمين[٤] أجابت اللجنة بما يلي: "لا يجوز أن يتفرق

(١) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٢٦٧٦/٦) برقم: (٦٩١٩)، ومسلم في الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٣٤٢/٣) برقم: (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص- رضي الله عنه- به.

(٢) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (١٠/٣) فتوى رقم: ١٥٨٨٦.

(٣) هو حزب سياسي نشأ في الأردن سنة ١٩٥٣م على يد الأستاذ تقيّ الدين النبهاني يدعو أصحابه إلى استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إعادة الخلافة مع إهمالهم الدعوة إلى العقيدة الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومؤسسه مضطرب عقدياً وفقهياً، ولا يعرف له جادة واضحة فيهما، حيث يُجوِّز الأخذ بمذهبي الأشاعرة والماتريدية في الاعتقاد، وإن كان ميالاً للمذهب الماتريدي في غالب أحيانه، كما يزعم أتباعه بلوغه مرتبة الاجتهاد المطلق في الفقه.

انظر: حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية عرضاً ونقداً د. موسى بن وصل السلمي، حزب التحرير مناقشة علمية لعبد الرحمن دمشقية، الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية لجمال باروت وآخرين (٨٨/٢) وما بعدها، الحركات الإسلامية في الأردن لموسى زيد الكيلاني (٨٠) وما بعدها، الحركات الإسلامية في لبنان د. عبد الغني عماد (٢٣٣) وما بعدها.

(٤) هي جماعة مصرية المنشأ عالمية الانتشار نشأت عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م على يد الأستاذ حسن البنا، تقوم على إشغال الأمة بالسياسة أو طلب الحكم كما أنها تفتقد المبادئ ولذا فإنها تنهج منهج التجميع الذي لا يفرق بين سني وبدعي في عضويتها، إضافة إلى عدم عنايتها بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك.

المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً، يلعن بعضهم بعضاً، ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه، وذم من أحدثه، أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد تبرأ الله ورسوله- ﷺ- منه، قال الله- تعالى- : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣- ١٠٥]، وقال- تعالى- : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، وثبت عن النبي- ﷺ- أنه قال: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)) (١)، والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة ......إلخ" (٢).

وفي إجابة لها حول سؤال مماثل قالت: " الواجب على المسلم أن يتبع ما جاء في كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله- ﷺ- قولاً وعملاً واعتقاداً،

انظر : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية د. زكريا سليمان بيومي، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة لإسحاق موسى الحسيني، الإخوان المسلمون من حسن البنا إلى مهدي عاكف لعبد الرحيم علي، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ لمحمود عبد الحليم، في قافلة الإخوان المسلمين لعباس السيسي.

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتاوى اللجنة (٢/ ٢١٠) فتوى رقم : ١٦٧٤.

وأن يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله، وأن يحرص على أن يكون أقرب الناس إلى الحق بقدر استطاعته"(١).

وفي إجابة أخرى قالت: " الواجب عليك التزام الحق وما يشهد له الدليل، دون التحيز لجماعة بعينها، وأولى الجماعات بالتعاون معها مَنْ حافظ على العقيدة الصحيحة التي كان عليها أئمة السلف الصالح- رضوان الله عليهم- ، والالتزام بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ونبذ ما حدث من البدع والخرافات " (٢).

وفي إجابة أخرى قالت: " عليك بالسير على طريق أهل السنة والجماعة الذي أرشد إليه النبي- ﷺ- عند ظهور الفرق، حيث قال- ﷺ- : ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: وما هي يا رسول الله ؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) (٣)، فعليك بالتزام الجماعة التي تسير على هذا الطريق"(٤).

ثالثاً: حثها على الالتفاف حول العلماء الموثوقين، والصدور عن رأيهم:

فقد حثت اللجنة على أخذ العلم عن العلماء الثقات المعروفين بعلمهم، وسلامة منهجهم، ففي سؤال حول حكم دراسة العلم على من هو متلبس ببدعة فيما يحسن من العلوم أجابت اللجنة بقولها: " عليك بالدراسة على

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٣٦) فتوى رقم: ٤١٦١.

(٢) فتاوى اللجنة (٢/٢٣٧) فتوى رقم: ٤٠٩٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (٢/٤٢) فتوى رقم: ١٦٠٦٣.

العلماء المعروفين بعلمهم، وسلامة اعتقادهم، والبعد عن المبتدعة والمخالفين لأهل السنة..."[1].

كما حثت اللجنة على الأخذ عن أهل العلم مباشرة، وعدم الاقتصار على الوسائل الحديثة من الكتب والأشرطة، ففي جواب لها حول سؤال يتعلق بهذا الموضوع قالت اللجنة: "يجب أخذ العلم عن طريق العلماء العاملين، لا عن مجرد الكتب والأشرطة؛ لأن العلماء يوضحون الغامض، ويشرحون المشكل، ويوجهون إلى الفهم الصحيح، والكتب والأشرطة العلمية مجرد وسائل يستعان بها على طلب العلم، إذا كانت كتباً وأشرطة موثوقة صادرة عن علماء، لكن لا يقتصر عليها "[2].

ولم تقتصر اللجنة على توجيه عموم المواطنين إلى الالتفاف حول العلماء، بل خاطبت العلماء، وحثتهم على بيان الحق للناس فيما يعرض لهم من مسائل، أو يستجد من نوازل، ففي سؤال ورد إلى اللجنة يتعلق بدور العالم المسلم وهيئات العلماء في الدول الإسلامية فيما حل بالمسلمين من فرقة وخلاف، أجابت اللجنة بقولها: "العلماء ورثة الأنبياء، فعلى علماء المسلمين أن يقوموا بتفقد أحوال المسلمين؛ لمعرفة ما هم في حاجته من العلم، ليثقفوهم على ضوء كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، وليعرفوا ما بهم من فرقة وخلاف؛ ليصلحوا ذات بينهم، ويجتهدوا في توحيد صفوفهم، ويجمعوا كلمتهم على الحق، ويوجهوهم وجهة صالحة، تعود

---

(١) المصدر السابق (١٢٩٩- ١٠٠) فتوى رقم: ١٧٤٥٢.

(٢) المصدر السابق (١٢/٩٧) فتوى رقم: ١٧٨١١.

علـيهم بـالأمن والعـزة والنـصر، وتحريـر بلادهـم وتخليـصها مـن أيـدي أعدائهم، وتطهير ديارهم ممن يكيد لهم وللإسلام، وبذلك يكونون أهلاً أن يؤيدهم الله بجند من عنده، ويجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا، وليتعرفوا ما بهم من ضعف وإخلاد إلى الأرض، مع الأخذ بأسباب السعادة في دينهم ودنياهم، ليبعثوهم من رقدتهم، ويوقظوهم من سباتهم؛ وبذلك يجعلهم الله- سبحانه- خلفاء في الأرض، كما حقق ذلك لأسلافهم، فهيمنوا على الحياة، وملكوا زمامها، وأصلحوا شأنها، وكانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويحكمون عباد الله بشرع الله، دون مدافع أو ممانع من خصومهم، بل كلمتهم مسموعة، وأمرهم نافذ، ورأيهم سديد، إلى أمثال ذلك مما يجب على العلماء نحو أممهم، فإن هم فعلوا ذلك على ضوء كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله- ﷺ- ، دون عصبية مذهبية أو حزبية، أو حمية جاهلية، أو اتباع للهوى، برئت ذمتهم، ورجي لهم ولأممهم الخير والسعادة في دينهم ودنياهم، وكذلك الحال في رجال الإعلام الإسلامي، وإن أبى هؤلاء وأولئك إلا الإخلاد إلى الأرض، والتثاقل عن أداء الواجب؛ اتباعاً للهوى، وركوناً إلى الدعة والراحة؛ حقت عليهم وعلى أممهم كلمة العذاب، وازدادوا ذلاً وهواناً، جزاء بما كانوا يكسبون، وصدق فيهم قوله- تعالى- : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة

الأعراف: ١٦٩]، نسأل الله أن يوفق علماء المسلمين للقيام بواجبهم، وينفع بهم المسلمين"(١).

رابعاً: حثها على النصيحة لولي الأمر بالمنهج الشرعي، وقيامها بذلك بعيداً عن تهييج العامة، أو بث الفرقة بينه وبينهم:

فقد قررت اللجنة وجوب النصيحة لولي الأمر، وعدت ذلك حقا من حقوقه الشرعية الواجبة على عموم الرعية، ففي جواب لها حول سؤال لأحد المواطنين يتعلق بحقوق الحاكم وواجباته قالت اللجنة: "حق الحاكم الشرعي: السمع والطاعة له بالمعروف، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، ولو على أثرة على الرعية، وحقه النصح له، وشد أزره، وعونه على الخير...

فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((الدين النصيحة))، قلنا: لمن؟ قال: ((لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)) رواه مسلم(٢) ..."(٣).

وفي جواب لها آخر حول معنى حديث: ((أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))(٤)، والجمع بينه وبين النصوص المتواترة بالسمع والطاعة

---

(١) فتاوى اللجنة (١١١/١٢) فتوى رقم: ٥٢٩٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتاوى اللجنة (٤٩٧/٢٣) فتوى رقم: ١٧٦٢٧.

(٤) أخرجه النسائي كتاب البيعة باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر (٧ / ١٦١) برقم: (٤٢٠٩)، وأحمد (١٢٤/٣١- ١٢٦) برقم: (١٨٨٢٨، ١٨٨٣٠)، من طريق عبد الرحمن ابن مهدي عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن طارق بن شهاب- رضي الله عنه- به.

لـولاة الأمـور، وتحـريم الخـروج علـيهم قالـت: "معنـاه: أن إبـلاغ الـسلطان الظالم الحق بالمشافهة أو الكتابة ونحوهما أفضل أنواع الجهاد.

قال المناوي في شرح الجامع الـصغير: "لأن ظلـم الـسلطان يـسري إلى جـم غفير، فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل الكافر أ.هـ.

وهـو مـن مناصـحة ولاة الأمـور في كـل زمـان لمـن قـدر عليـه، مـع العلـم والحلم والصبر"[1].

كمـا بينـت اللجنـة في جـواب لهـا حـول استـشكال أحـد المـواطنين وقـوع بعض الجهات الرسمية في بعـض المخالفـات الـشرعية بـأن وقـوع ذلـك لا يغـير الحكـم الـشرعي، وأن الواجـب بـذل النـصيحة لهـم بـالمنهج الـشرعي، حيـث قالـت: "لـيس وقـوع المحـرم مـن الـوزارات أو الهيئـات أو الأفـراد دلـيلاً علـى جـوازه، فالنـاس ليـسوا معـصومين، والواجـب النـصح لهـم، وبيـان حكـم الله- تعالى- ؛ لإقامة الحجة وإسقاط الأعذار"[2].

وقـد كـان لجهـود اللجنـة الـسابقة آثـار ظـاهرة في تحقيـق الوحـدة الوطنيـة، والمحافظـة علـى الاجتمـاع الـشرعي، ونبـذ كـل دعـوات الفرقـة؛ سـواء كانـت دعـوات خاطئـة تريـد الإصـلاح وأخطـأت طريقـه، أو دعـوات مغرضـة تتـستر بالإصلاح، وهي أبعد ما تكون عنه.

وقد تمثل ذلك في قناعة المجتمع السعودي بضلال هـذه الـدعوات، وتأييـده لإجراءات القيادة في ردع تجـاوزات هـؤلاء وأولئـك، ونبـذه كـل مـا مـن شـأنه

وإسناده صحيح، صححه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٢٢٥)، والنـووي في ريـاض الصالحين (٩٦)، وله شواهد من حديث أبي سعيد الخدري وأبي أمامـة البـاهلي–رضـي الله عنهما- .

(١) فتاوى اللجنة (٤/٤٠٢) فتوى رقم : ٨٥٠٢.

(٢) المصدر السابق (٢٦/٢٧٣) فتوى رقم : ٤٨٢٦.

زرع الفتنة، وبث الفرقة، ووقوفه صفاً واحداً مع قيادته في الدعوة إلى الحوار الوطني ومدارسة القضايا المجتمعية بوسطية شرعية، دون إفراط أو تفريط.

كما ظهر ذلك بوضوح - أيضاً - في موقف المجتمع السعودي من أفراد الفئة الضالة، وبراءته من كل من وقع في براثنها، وإن كان أخاً أو قريباً.

المبحث الثالث:

إسهام اللجنة الدائمة في ترسيخ الأمن الوطني:

الأمن حاجة إنسانية، وضرورة بشرية، وغريزة فطرية، لا تتحقق السعادة بدونه، ولا يحصل الاستقرار مع فقده؛ لأن مصالح الفرد والمجتمع مرهونة بتوافره؛ إذ به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأحوالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم، وينهض بأمتهم.

ولذا وردت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ببيان أهميته، وضرورة شكر نعمة الله - تعالى - عليه.

فمن الكتاب:

قال - تعالى - : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٧].

وقال - سبحانه - : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[سورة العنكبوت: ٦٧].

وقال - ﷻ - : ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [سورة قريش: ٤].

ففي هذه الآيات يُذكِّر الله - تعالى - كفار قريش بعظيم فضله عليهم، وكرمه معهم، بما أنعم عليهم من الأمن الذي فقده غيرهم.

ومن السنة:

ما جاء عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن محصن الْخَطْمِيِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ[1]، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا))[2].

وبناء على ما سبق يتبين أن تحقيق الأمن مطلب عظيم للعمل للآخرة وعمارة الدنيا، وبقدر تحقيقه يكون الفلاح فيهما.

وقد كان للجنة الدائمة جهد مشكور في تقرير هذا المعنى، والتأكيد عليه، وبيان الآثار المترتبة على الإخلال به، وفيما يلي طرف من جهودها في ذلك:

أولاً: تأكيدها على أن الجهاد موكول إلى ولي الأمر، ومنوط به، ولا يكون إلا تحت لوائه:

---

(١) سربه: بكسر السين، أي: في نفسه، يقال: فلان واسع السرب، أي: رخي البال، وروي بفتح السين، وهو المسلك والطريق، يقال: خل سربه، أي: طريقه.
انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٣٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الزهد (٤/٥٧٤) برقم: (٢٣٤٦)، وابن ماجه كتاب الزهد باب القناعة (٢/١٣٨٧) برقم: (٤١٤١)، والحميدي (١/٢٠٨) برقم: (٤٣٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/١٤٦) برقم: (٢١٢٦) من طرق عن مروان بن معاوية عن عبد الرحمن بن أبي شميلة الأنصاري عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه - رضي الله عنه - به.
قال الترمذي: "حديث حسن غريب".
وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة وتوسع في الكلام عليه (٥/٤٠٨).

ففي سؤال وجه إلى اللجنة عن حكم الجهاد في هذا الزمان، أجابت اللجنة بما يلي: "الجهاد لإعلاء كلمة الله، وحماية دين الإسلام، والتمكين من إبلاغه ونشره، وحفظ حرماته فريضة على من تمكن من ذلك وقدر عليه، ولكنه لا بد له من بعث الجيوش، وتنظيمها؛ خوفاً من الفوضى، وحدوث ما لا تحمد عقباه؛ ولذلك كان بدؤه، والدخول فيه من شأن ولي أمر المسلمين، فعلى العلماء أن يستنهضوه لذلك، فإذا ما بدأ واستنفر المسلمين، فعلى من قدر عليه أن يستجيب للداعي إليه، مخلصاً وجهه لله، راجياً نصرة الحق، وحماية الإسلام، ومن تخلف عن ذلك مع وجود الداعي، وعدم العذر؛ فهو آثم"[1].

ثانياً: مساندتها الجهات الأمنية بما ييسر عليهم القيام بأعمالهم:

فقد وردت اللجنةَ أسئلة كثيرة من قبل بعض العاملين في الجهات الأمنية، ممن يتطلب عملهم بقاءهم في أماكنهم، وعدم شهودهم الجمعة والجماعة مع المسلمين في المساجد، وكان توجيه اللجنة لهم بالأخذ بالرخصة في عدم حضور الجماعة، واحتساب الأجر فيما وكل إليهم من أعمال[2].

ففي سؤال عن حكم التخلف عن صلاة الجمعة للعاملين في الأمن العام، أجابت اللجنة بما يلي: "الواجب عليكم أن تؤدوا صلاة الجمعة في

---

(١) فتاوى اللجنة (١٢/١٢) فتوى رقم: ٧١٢٢.

(٢) انظر: المصدر السابق (١٩٣/٨) فتوى رقم: ٣٨١٤، (١٩٤/٨) فتوى رقم: ١٢٤٩٠، المجموعة الثانية (٦/٧) فتوى رقم: ١٤٨٨٢، (١٣/٧) فتوى رقم: ١٩٣٩١، (٣٢/٧) فتوى رقم: ١٩٧٧٣.

أقرب مسجد إليكم بعد الأذان الأخير الذي ينادى به عند دخول الخطيب، إلا أن يكون هناك خطر يخل بالمهمة التي وكل إليكم القيام بها لحفظ الأمن، فلا حرج عليكم في ترك صلاة الجمعة والجماعة، والاكتفاء بصلاة الظهر عن الجمعة، وصلاتكم وحدكم جماعة بعد الانتهاء من الصلاة؛ محافظة على المصلحة العامة، وحذرا من الخطر العام"[1].

وفي سؤال آخر عن حكم تخلفهم عن صلاة الجماعة، أجابت بقولها: "الأصل وجوب صلاة الجماعة على الرجال البالغين في المساجد، ولا يجوز التخلف عنها إلا لعذر شرعي، وما ذكر من حال هؤلاء الأفراد العاملين في الميدان لحفظ أمن الأمة، وحماية ممتلكاتها من الاعتداء، هو من الأعذار المبيحة لترك الجماعة، والصلاة في أماكن عملهم، مادام العذر قائما، والضرورة تقدر بقدرها، ونشكركم على اهتمامكم بهذا الموضوع، ونسأل الله- سبحانه- أن يزيدكم حرصا على الفقه في الدين، وحفظ مصالح المسلمين "[2].

وفي سؤال موجه إلى اللجنة عن حكم الجمع بين الصلاتين لمنسوبي الدفاع المدني أجابت اللجنة بقولها: " إذا لم تتمكنوا من أداء الصلاة في وقتها بسبب الانشغال في دفع خطر حادث، فإنكم تنوون جمعها مع الصلاة التي بعدها إن كانت ما يجمع، كالظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء،

---

(١) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (٦/٧) فتوى رقم: ١٤٨٨٢.

(٢) المصدر السابق المجموعة الثانية (١٣/٧) فتوى رقم: ١٩٣٩١.

وإن كانت مما لا يجمع مع غيره كالفجر فإنكم تصلون متى تمكنتم بعد الفراغ من الحادث مباشرة"[1].

وفي جواب للجنة موجه لبعض منسوبي الدفاع المدني، حول سؤالهم عن عملهم: هل يعتبر من الجهاد في سبيل الله؟، قالت: " كل عمل فيه نفع للمسلمين، بجلب مصلحة لهم، أو دفع مضرة عنهم، ففيه أجر عظيم لمن صلحت نيته، وأخلص في عمله، ونرجو أن يكون من المرابطة في سبيل الله"[2].

ثالثاً: بيانها أن إقامة الحدود مقصورة على ولي الأمر دون غيره:

ففي سؤال وجه إلى اللجنة عن جواز إقامة الحدود في غياب السلطان المسلم، أجابت اللجنة بما يلي: " لا يقيم الحدود إلا السلطان المسلم، أو من ينوب عنه، من أجل ضبط الأمن، ومنع التعدي، والأمن من الحيف..."[3].

رابعاً: تحذيرها من الوقوع فيما يخل بالأمن الوطني، أو يكون وسيلة إليه، وتحريمها له:

فقد وجه للجنة سؤال عن حكم إشهار المسلم السلاح في وجه أخيه، فأجابت بما يلي: " لا يجوز للمسلم أن يشهر السلاح في وجه أخيه المسلم، لا جاداً ولا هازلاً؛ لما ثبت أن النبي - ﷺ - قال: ((من حمل علينا

---

(١) المصدر السابق المجموعة الثانية (٣٢/٧) فتوى رقم: ١٩٧٧٣.

(٢) المصدر السابق (١١/٥) فتوى رقم: ١٩٧٧٣.

(٣) المصدر السابق (٢٢/٥) فتوى رقم: ١٦٨١٥.

السلاح فليس منا))[1]، وقوله: ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه))[2]"[3].

وفي سؤال آخر عن حكم بيع الأسلحة غير المصرح بها وشرائها والمتاجرة في ذلك، أجابت بقولها: "لا يجوز بيع السلاح الممنوع بيعه من قبل ولي الأمر؛ لقول الله- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، ومنع ولي الأمر من بيع السلاح ملاحظ فيه الحفاظ على الأمن، وسد وسائل الفتنة، وبناء على ذلك ترى اللجنة تحريم بيع السلاح بدون إذن ولي الأمر، وتحريم المكسب الناتج عن ذلك، والله أعلم "[4].

خامساً: حثها عموم المواطنين على التعاون مع الجهات الأمنية لحفظ الأمن:

فقد أجابت اللجنة عن سؤال وجه إليها بخصوص بعض البضائع المسروقة التي ترد إلى الأسواق بقولها: " إذا تيقن الإنسان من كون السلعة

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي- ﷺ- : ((من حمل علينا السلاح فليس منا)) (٦/٢٥٩١) برقم: (٦٦٥٩٩)، ومسلم كتاب الإيمان باب قول النبي- ﷺ- : ((من حمل علينا السلاح فليس منا)) (١/٩٩) برقم: (١٠١) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- به.

(٢) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٤/٢٠٢٠) برقم: (٢٦١٦) من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- به.

(٣) فتاوى اللجنة (٢٦/١٢٢) فتوى رقم: ١٠٤٩٤.

(٤) المصدر السابق (١٣/١١٣) فتوى رقم: ١٤٩٦٧.

المعروضة للبيع أنها مسروقة أو مغصوبة، أو أن من يعرضها لا يملكها ملكاً شرعياً، وليس وكيلاً في بيعها، فإنه يحرم عليه أن يشتريها؛ لما في شرائها من التعاون على الإثم والعدوان، وتفويت السلعة على صاحبها الحقيقي، ولما في ذلك من ظلم الناس، وإقرار المنكر، ومشاركة صاحبها في الإثم، قال الله- تعالى- : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة: ٢]، وعلى ذلك ينبغي لمن يعلم أن هذه السلعة مسروقة أو مغصوبة أن يقوم بمناصحة من سرقها برفق ولين وحكمة؛ ليرجع عن سرقته، فإن لم يرجع، وأصر على جرمه، فعليه أن يبلغ الجهات المختصة بذلك؛ ليأخذ الفاعل الجزاء المناسب لجرمه، ولرد الحق إلى صاحبه ..."[(١)].

وقد كان لجهود اللجنة السابقة أثر ظاهر—بحمد الله—في ترسيخ الأمن الوطني، ويتجلى ذلك في تفاني منسوبي الجهات الأمنية في القيام بأعمالهم بكل حرص وأمانة، وإقدام وشجاعة، ومؤازرة عموم أفراد المجتمع السعودي لهم، وتعاونه معهم، ودعائه بنصرتهم، في أحداث كثيرة كحرب الخليج، وفتنة الفئة الضالة، وأعمال شغب الحوثيين الأخيرة.

إضافة إلى تعاون عموم أفراد المجتمع عسكريين ومدنيين في الحفاظ على أمن الوطن وممتلكاته في مواسم الحج والعمرة والزيارة في مكة والمدينة، وتجنيد كل طاقاتهم لتحقيق الأمن لضيوف الرحمن وخدمتهم.

(١) المصدر السابق (١٣/ ٨١) فتوى رقم: ١٩٦٣٧.

المبحث الرابع:

إسهام اللجنة الدائمة في حماية الوطن من الانحراف الفكري :

تواترت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب صيانة الفكر من الشبهات والشهوات المفضية إلى الإفراط أو التفريط، والتحذير من أصحابها.

قال- تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الحج: ٣- ٤].

وقال- سبحانه- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [سورة الحج: ٨- ٩].

وقال- عز وجل- : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

وقال- جل وعلا- : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

وعن أبي أمامة الباهلي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [سورة الزخرف: ٥٨]))[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٢٥٢) برقم: (٢٢٢١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٤٧) برقم: (١٠١)، والترمذي كتاب التفسير سورة الزخرف (٥ / ٣٧٨) برقم: (٣٢٥٣)، وابن

وقد درج علماء أهل السنة والجماعة خلفاً عن سلف على تقرير ذلك، والدعوةِ إليه، والتحذيرِ من كل ما يخالفه.

يقول أبو الزناد[1] -رحمه الله- : "إن السنن لا تخاصم، ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكنه ينبغي للسنن أن تلزم ويتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه....

وما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، ويعيبون الأخذ بالرأي أشد العيب، وينهون عن لقائهم ومجالستهم، ويحذروننا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبروننا أنهم أهل ضلال وتحريف؛ لتأويل كتاب الله وسنن رسوله- ﷺ- ...

وهل هلك أهل الأهواء، وخالفوا الحق إلا بأخذهم بالجدل، والتفكير في دينهم، فهم كل يوم على دين ضلال، وشبهه جديدة، لا يقيمون على دين وإن أعجبهم، إلا نقلهم الجدل والتفكير إلى دين سواه، ولو لزموا

ماجه في المقدمة باب اجتناب البدع والجدل (١ / ٣٣) برقم: (٤٨)، والحاكم (٢ / ٤٨٦) برقم: (٣٦٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١ / ١٩) برقم: (٨٠٨٠) من طرق عن حجاج ابن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة -رضي الله عنه- به.

قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح ".

وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه " ووافقه الذهبي.

(١) هو عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، سلفي المعتقد، ثقة في الحديث، عالم بالفقه، كان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث، وقال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ (١/١٢٦)، الأعلام للزركلي (٤ / ٨٦).

السنن وأمر المسلمين، وتركوا الجدل، لقطعوا عنهم الشك، وأخذوا بالأمر الذي حضهم عليه رسول الله –ﷺ– ، ورضيه لهم ..."[1].

وكلام أئمة أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الأصل كثير، وهو مبثوث في عقائدهم وكتبهم.

وقد كان للجنة الدائمة جهد مشكور في تعزيز الأمن الفكري، والتأكيد عليه، والتحذير من كل ما يخل به، وفيما يلي طرف من جهودها في ذلك:

أولاً: تحذيرها من جماعات الإفراط وأفكارها:

فقد سئلت اللجنة سؤالاً عن جماعة التكفير والهجرة[2]، هذه صورته: "توجد جماعة تسمي نفسها (جماعة المسلمين)، ولقد تناقشت مع أحد أفرادها، واختلفت معه في فكرتين من أفكار هذه الجماعة:

الفكرة الأولى: فكرة التوقف والتبين، فهذه الجماعة لا تحكم على إنسان بإيمان ولا بكفر حتى يناقشوه، ولو كان يؤدي كافة شعائر وأركان الإسلام.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/٣٠٥- ٣٠٨).

(٢) هي جماعة مصرية نشأت في السجون المصرية عام ١٩٦٧م على يد شكري مصطفى، وقالت بتكفير المجتمعات الإسلامية والحكم بجاهليتها، ودعت إلى هجرها والانعزال عنها، وأطلقت على نفسها اسم (جماعة المسلمين) بناء على اعتقادها بكفر كل من لم ينضو تحت لوائها، ويبايع أميرها، ويقبل أفكارها.

انظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين عبد الرحمن أبو الخير، التكفير والهجرة وجهاً لوجه رجب مذكور، المتأسلمون الآتون من عباءة الإخوان- التكفير والهجرة- د. رفعت السعيد (١٥٩- ٢٦١)، النبي المسلح د. رفعت سيد أحمد (٢/٧٧)، شبهات التكفير د. عمر بن عبد العزيز قريشي (٣٥- ٢٠٨- ٢٨٧- ٥١٥).

الفكرة الثانية: اعتبار كافة مساجد الأرض حالياً ما عدا المساجد الثلاثة (الحرم، والمسجد النبوي، والأقصى) مساجد ضرار، لذلك فهم لا يصلون في غير هذه المساجد.

نرجو منكم التكرم بإلقاء الضوء على هاتين الفكرتين، حتى يتبين الرشد من الغي؟".

فأجابت اللجنة بما يلي:

" أولا: هذا المذهب باطل؛ لأن الأصل في المسلم العدالة، وصحة المعتقد، ما لم يتبين منه خلاف ذلك، وقد أنكر النبي - ﷺ - على أسامة بن زيد قتله للرجل الذي نطق بالشهادة؛ ظناً منه أنه إنما نطق بها خوفاً من القتل، وقال له: ((أشققت عن قلبه))[1].

ثانيا: مساجد المسلمين في الأرض كلها مساجد محترمة، والصلاة فيها صحيحة، وكانت المساجد على عهد رسول الله - ﷺ - ، وعهد خلفائه، وسائر عهود الإسلام منتشرةً في الأرض، ويصلي فيها المسلمون من غير نكير، وقد قال الله - تعالى - : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[سورة الجن: ١٨]، وقال النبي - ﷺ - : ((من سمع النداء فلم يأت، فلا صلاة له إلا من عذر))، قيل لابن عباس: ما هو العذر؟ قال: خوف أو

(١) أخرجه البخاري كتاب الديات باب قول الله - تعالى - : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُون) [سورة المائدة: ٣٢] (٦/٢٥١٩) برقم: (٦٨٧٢)، ومسلم كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (١/٩٦) برقم: (٩٦) من حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - واللفظ لمسلم.

مرض))[1]، وروى مسلم في صحيحه: أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له- ﷺ- : ((هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب))[2]، والأحاديث في وجوب الصلاة في المساجد وبيان فضل ذلك كثيرة معلومة.

ولكن المساجد الثلاثة هي أفضلها، وهي التي تضاعف فيها الصلاة أكثر من غيرها، فيُسافَرُ إليها، وتُقْصَدُ من أجل ذلك، فالقول بأن الصلاة لا تصح إلا في المساجد الثلاثة قول باطل، مخالف للكتاب والسنة والإجماع"[3].

ثانياً: تحذيرها من جماعات التفريط وأفكارها:

فقد أصدرت اللجنة بياناً بسبب ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين الذين يسألون عن عقيدة الإرجاء[4] فيما يلي نصه: "الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه كتاب المساجد والجماعات باب التغليظ في التخلف عن الجماعة (٢٦٠/١) برقم: (٧٩٣)، والدارقطني (٢٩٣/٢) برقم: (١٥٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٥٧/٣) برقم: (٥١٣٧)، وابن حبان (٤١٥/٥) برقم: (٢٠٦٤)، والحاكم (٣٧٣/١) برقم: (٨٩٤)، من طرق عن شعبة عن عدي بن ثابت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - به.
وأخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة (٢١٦/١) برقم: (٥٥١)، والدارقطني (٤٢٠/١)، والحاكم (٢٤٥/١) من طريق أبي جناب عن مغراء العبدي عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بلفظ مقارب.
والحديث صححه الحاكم.

(٢) أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء (٤٥٢/١) برقم: (٦٥٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- به.

(٣) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (٤٩/٢) فتوى رقم: ١٨٦٩٨.

(٤) الإرجاء: هو تأخير العمل عن مسمى الإيمان، وإعطاء الرجاء والأمل لصاحب الكبيرة والجزم بأنه لا يدخل النار أحد من الموحدين.

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، على ما ورد إلى سماحة المفتي العام، من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ...

وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها: ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتاب، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، مما سبب ارتباكاً عند كثير من الناس في مسمى الإيمان ...

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي: هذه المقالة المذكورة هي مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط، وليست منه، فمن صدق بقلبه، ونطق بلسانه، فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات، وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيراً قط، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة، منها: حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل، وضلال مبين، مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، وأن هذا يفتح باباً لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين، وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية من الله- سبحانه- ، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم على دين الله والفاسق المتحلل من

انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢١٣- ٢٣٤)، الفرق بين الفرق (٢٠٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٩).

أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون، ولذلك اهتم أئمة الإسلام قديماً وحديثاً ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة باباً خاصاً في كتب العقائد، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره...

هذا واللجنة الدائمة إذ تبين ذلك، فإنها تنهى وتحذر من الجدال في أصول العقيدة؛ لما يترتب على ذلك من المحاذير العظيمة، وتوصي بالرجوع في ذلك إلى كتب السلف الصالح وأئمة الدين، المبنية على الكتاب والسنة وأقوال السلف، وتحذر من الرجوع إلى الكتب المخالفة لذلك، وإلى الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة، وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة، ونسبوه ظلماً إلى أهل السنة والجماعة، ولبسوا بذلك على الناس، وعزوه عدواناً بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول، وعدم رده إلى المحكم من كلامهم، وإنا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم، ولا يصدعوا الصف بهذا المذهب الضال، واللجنة- أيضاً- تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين"[1].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية (٢ / ١٢٦- ١٣٣) فتوى رقم : ٢١٤٣٦.

كما سئلت اللجنة عن العلمانية[1]، فأجابت بقولها: "ما يسمى بالعلمانية التي هي دعوة إلى فصل الدين عن الدولة، والاكتفاء من الدين بأمور العبادات، وترك ما سوى ذلك من المعاملات وغيرها، والاعتراف بما يسمى بالحرية الدينية، فمن أراد أن يدين بالإسلام فعل، ومن أراد أن يرتد فيسلك غيره من المذاهب والنحل الباطلة فعل، فهذه وغيرها من معتقداتها الفاسدة دعوة فاجرة كافرة، يجب التحذير منها، وكشف زيفها، وبيان خطرها، والحذر مما يلبسها به من فتنوا بها، فإن شرها عظيم وخطرها جسيم، نسأل الله العافية والسلامة منها وأهلها"[2].

ولم تكتف اللجنة بالتحذير من هذه الجماعات والأحزاب بأعيانها، بل حذرت من أفكارها ووسائلها ومظاهرها، فأصدرت بياناً حول المجلات الخليعة ومخاطرها[3]، كما أصدرت بياناً آخر حول ما نشر في بعض الصحف من الدعوة إلى تحرير المرأة في المملكة العربية السعودية[4].

---

(١) العلمانية هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، وفصل الدين عن جميع نواحي الحياة.
ولفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة Secularism في الإنجليزية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق، والترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية، أو الدنيوية، وهو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.
جاء في معجم أكسفورد: "Secularism الاعتقاد بأن القوانين، والتعليم، وغيرها من الأنظمة، يجب أن تبنى على الحقائق والعلم بدلاً عن الدين".
انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة للميداني (١٦١)، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة (٦٧٩/٢)، مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب (٤٤٥).

(٢) فتاوى اللجنة المجموعة الثانية (١٤٣/٢) فتوى رقم: ١٨٣٩٦.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة (١١٧/١٧) رقم: ٢١٢٩٨.

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٤٤/١٧) دون ذكر رقمه.

مما يعكس اطلاع اللجنة على الأطروحات الفكرية المعاصرة الهدامة، واهتمامها بمشاركة المجتمع في همومه، وقيامها بما أوجب الله - تعالى - عليها من البيان.

وقد كان لهذه الجهود أثر كبير بعد توفيق الله - تعالى - في حفظ المجتمع، وسلامة أفراده من كثير من الأفكار الضالة، والتوجهات الفاسدة التي عصفت بالمجتمعات الأخرى، ولا زالت تكتوي بنارها.

ويتجلى ذلك في المناعة الفكرية التي يتحلى بها عموم أفراد المجتمع في الجملة، وسلامتهم من أفكار التطرف والغلو من جهة، والتغريب والعلمنة من جهة أخرى؛ على الرغم من كثرة ترويجها، وتنوع سبل الدعاية لها.

وأظهر مثال على ذلك: موقفهم من أفكار الفئة الضالة في جانب الإفراط، وموقفهم من أفكار القومية العربية[1] في جانب التفريط.

---

(١) حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا.

انظر: نقد القومية العربية للشيخ عبد العزيز بن باز، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام للشيخ صالح العبود.

المبحث الخامس:

حث اللجنة الدائمة على المحافظة على المكتسبات الوطنية:

تواترت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على الأمر بحفظ المال العام والتحذير مما يخالف ذلك.

قال- تعالى- : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٨]

وقال- سبحانه- : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١].

وعن عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: ((من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة))، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار، كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله اقبل عني عملك قال: ((وما لك؟)) قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: ((وأنا أقوله الآن من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عنه انتهى))(١).

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قام فينا النبي- ﷺ- ، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، قال: ((لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته فرس لها حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير لها رغاء،

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال (٣ / ١٤٦٥) برقم: (١٨٣٣).

يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد بلغتك[1])) [2].

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله- ﷺ- رجلاً من الأسد، يقال له: ابن اللتبية- قال: عمرو وابن أبي عمر على الصدقة- فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى لي، قال: فقام رسول الله- ﷺ- على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: ((ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدى لي؟، أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر: أيهدى إليه أم لا؟، والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه: بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو

---

(١) قال الحافظ في فتح الباري (٦ / ١٨٦): " قوله: ((على رقبته شاة لها ثغاء)): بضم المثلثة وتخفيف المعجمة وبالمد صوت الشاة يقال ثغت تثغو ...

وقوله: ((بعير له رغاء)): بضم الراء وتخفيف المعجمة وبالمد: صوت البعير ...

وقوله: ((صامت)): أي الذهب والفضة، وقيل: ما لا روح فيه من أصناف المال.

وقوله: ((رقاع تخفق)): أي تتقعقع وتضطرب إذا حركتها الرياح، وقيل معناه تلمع، والمراد بها الثياب ...

وقوله: ((فرس له حمحمة)) ... بمهملتين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة ثم ميم قبل الهاء، وهو صوت الفرس عند العلف، وهو دون الصهيل ... ".

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب الغلول (٣ / ١١١٨) برقم: (٢٩٠٨)، ومسلم كتاب الإمارة باب غلظ تحريم الغلول (٣/١٤٦١) برقم: (١٨٣١).

شاة تيعر))، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: ((اللهم هل بلغت؟)) مرتين [1].

وقد تتابع علماء أهل السنة والجماعة على الدعوة إلى ذلك، والتحذير من كل ما يخالفه، بل إن بعضهم عد ذلك في جملة عقائدهم.

يقول الفضيل بن عياض [2]: "إن لله عباداً يحيي بهم البلاد والعباد، وهم أصحاب سنة، من كان يعقل ما يدخل جوفه من حله كان في حزب الله- تعالى- "[3].

ويقول سهل بن عبد الله التستري [4]: "أصولنا ستة: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق"[5].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي- ﷺ- (٢٤٤٦/٦) برقم: (٦٢٦٠)، ومسلم كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال (٣ / ١٤٦٣) برقم: (١٨٣٢).

(٢) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، من أكابر علماء السلف وعبادهم، توفي سنة ١٨٧هـ.

انظر: حلية الأولياء (٨ /٨٤)، سير أعلام النبلاء (٨ /٤٢٢)، شذرات الذهب (١ /٣٦١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٤/٨).

(٤) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، من كبار الصوفية وعلمائهم، من مؤلفاته: تفسير القرآن، رقائق المحبين، توفي سنة ٢٨٣هـ.

انظر: حلية الأولياء (١٨٩/١٠)، الأعلام (١٤٣/٣).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩/١٠).

ويقول قوام السنة[1] : "ومن مذهب أهل السنة التورع في المآكل والمشارب والمناكح"[2].

ومما وصف به شيخ الإسلام الصابوني أهل الحديث أنهم يتواصون بالتعفف في المآكل والمشارب والمنكح والملبس[3].

وكلام أئمة أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الأصل كثير، وهو مبثوث في عقائدهم وكتبهم.

وقد كان للجنة الدائمة جهد مشكور في تقرير هذا المعنى، والتأكيد عليه، وبيان الآثار المترتبة على الإخلال به، وفيما يلي طرف من جهودهم في ذلك:

أولاً: فتواها بتحريم كل ما يخالف النظام:

فقد وجهت للجنة أسئلة عديدة تتعلق بحكم بيع الفيز، واستقدام العمال، والتستر عليهم، وأجابت اللجنة بمنع ذلك وتحريمه؛ لمخالفته النظام.

ففي جواب لها قالت: "لا يجوز بيع الفيز؛ لأن منحها من اختصاص وزارة الداخلية"[4].

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، من أئمة السلف، وأعلام الحفاظ، من مؤلفاته: الجامع في التفسير، دلائل النبوة، الحجة في بيان المحجة، توفي سنة ٥٣٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨)، شذرات الذهب (٤/١٠٥)، الأعلام (١ / ٣٢٣).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٥٢٨)

(٣) انظر: عقيدة السلف (٢٩٧).

(٤) فتاوى اللجنة (١٣/ ٧٧) فتوى رقم: ١٣٢٦٣.

وفي جواب آخَرَ قالت : " هذا المال حرام ؛ لأنه عوض عن الكفالة ، وهي من عقود الإحسان ، وأيضا كذب ؛ لأنه مخالف للأنظمة التي وضعتها الدولة للمصلحة العامة"[1].

وفي أجوبة أخرى قررت اللجنة حرمة التستر التجاري ؛ لمخالفته لنظام الدولة ، والمفاسد الوطنية الكثيرة المترتبة عليه.

حيث قالت : "منح الجنسية من الدولة للشخص ، وصفة تمتع الشخص بهذه الجنسية له أنظمة ، وقد تختلف هذه الأنظمة باختلاف الدول ، فعلى من يتعامل بما ذكره السائل أن يتقيد في أنظمة دولته التي لا تتعارض مع الشرع الإسلامي ، فإن هذا من التعاون على البر والتقوى ، وقد أمر الله- سبحانه- بذلك ، ¢øi̇ζȪæ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة : ٢]، والخروج عن أنظمتها بما يعود على الفرد والمجتمع والدولة بالفساد ، هذا من التعاون على الإثم والعدوان ، وقد حرمه الله بقوله : ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [سورة المائدة : ٢].

ولأنه- والحال ما ذكر- ينتحل اسم صاحب الجنسية على أنه هو المساهم ، والأمر بخلاف ذلك ، فتكون هذه المعاملة مبنية على الكذب والغش والخداع ، وذلك لا يجوز ، ولأن أخذ المال بهذه الطريقة أكل للحرام من الجانبين ؛ لأن كلا منهما أخذ المال بطريق محرم ، وهو الكذب والغش والخيانة للدولة"[2].

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ١٩٠) فتوى رقم : ١١٦١٧.

(٢) فتاوى اللجنة (١٣/ ٢٢٠) فتوى رقم : ١١٩٤.

وأجابت في فتوى أخرى بقولها : " لا يجوز أن يستقدم شخص عمالاً على أساس أنهم عمال عنده ، ثم يتركهم يشتغلون عند الناس ، ويأخذ من كل واحد منهم خمسمائة ريال مثلا في مقابل كفالته لهم ، والأصل في تحريم ذلك أنه يأخذ هذا المبلغ من العامل بدون عوض ، فهو أكل مال بالباطل ، وفيه كذب ، وفيه- أيضا- افتئات على ولي الأمر ، وخروج عن أنظمة الدولة التي تمنع ذلك ؛ مراعاة للمصلحة العامة ، وفيه أيضا إتاحة الفرصة لكثرة الحوادث في المجتمع ؛ نتيجة كثرة العمال المفسدين ، ولم يصدر فتوى مني ولا من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بجواز ذلك ، ومن زعم ذلك فقد وهم أو كذب"[1].

وفي جواب لها ثالث قالت : "ما يتعلق بجلب العمال وتشغيلهم عند غير من استقدمهم ، وأخذ أجرة على الكفالة ، سبق أن عرض هذا الموضوع على مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، وأصدر فيه قراراً هذا نص مضمونه :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه ، وبعد : بحث المجلس موضوع استقدام العمال وتشغيلهم عند غير المستقدمين ، على أن يكون للمستقدم جزء مشاع من أجورهم ، أو مبلغ معلوم منها ، بناء على الأسئلة الكثيرة المتكررة التي ترد إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، واطلع على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وبعد المناقشة وتداول

(١) المصدر السابق (١٤/١٨٨) فتوى رقم : ٤٥٠٥.

الآراء قرر المجلس أن كل استخدام وتشغيل للمستقدمين يخالف ما أقرته الدولة للمصلحة العامة فهو ممنوع، وأن كل ما يأخذه المستقدمون من العمال مقابل تمكينهم من العمل عند غيرهم يعتبر محرما؛ لأن الكتاب والسنة قد دلا على وجوب طاعة ولي الأمر في المعروف، ولما يترتب على استخدام العمال على غير الوجه الذي استقدموا من أجله من الفساد الكبير والشر العظيم على المسلمين فوجب منعه " (١).

وفيما يتعلق بتأجير السجل التجاري، وأخذ الأجرة على ذلك، قالت اللجنة: " لا يجوز أخذ الأجرة على السجل التجاري ممن استعمله عن طريق الاستئجار؛ لمنع الدولة لذلك، والدولة منعته لما يترتب على المنع من جلب المصالح ودرء المفاسد"(٢).

وفي سؤال عن حكم بيع الأسلحة غير المصرحة من الجهات ذات الاختصاص، أجابت اللجنة بقولها: " لا يجوز بيع السلاح الممنوع بيعه من قبل ولي الأمر؛ لقول الله- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، ومنع ولي الأمر من بيع السلاح ملاحظ فيه الحفاظ على الأمن، وسد وسائل الفتنة، وبناء على ذلك ترى اللجنة تحريم بيع السلاح بدون إذن ولي الأمر، وتحريم المكسب الناتج عن ذلك"(٣).

---

(١) فتاوى اللجنة (١٤/٣٧٧) فتوى رقم: ٥٨٤٦.

(٢) المصدر السابق (١٥/٧٢) فتوى رقم: ٥٨٤٦.

(٣) المصدر السابق (١٣/١١٢) فتوى رقم: ١٤٩٦٧.

وفي سؤال حول غياب الموظف وتأخره عن العمل إذا لم يترتب عليه إخلال به أجابت اللجنة بقولها : "يجب عليك الحضور لعملك حسب مواعيد العمل الرسمية ، ولا ينبغي لك الخروج من العمل إلا بإذن من رئيسك ، حسب النظام"(١).

ثانياً : تحريمها كل ما فيه إخلال بالمال العام :

فقد وجهت للجنة عدة أسئلة تتعلق بقرض بنك التنمية العقاري ، وأجابت اللجنة في جميعها بوجوب أداء الديون المستحقة له ، وحرمة التفريط في ذلك(٢).

ففي سؤال لأحد المواطنين عن وفاة قريب له قبل سداده قرض بنك التنمية العقاري ، وحكم بيع البيت المرهون للبنك ؛ لحاجة ورثته إلى ذلك ، أجابت اللجنة بما يلي :

"أولاً : قرض صندوق التنمية متعلق بذمة المتوفى إذا مات ، ولم يتم التسديد ، كالديون الأخرى ، وعلى ورثته تسديده من تركته في وقته ، وعليهم إبلاغ المسؤول عن صندوق التنمية ؛ ليتخذ ما يلزم من إجراءات ، بناء على ما بين المقترض والمقرض من التزامات.

ثانيا : لا يجوز بيع البيت المرهون في قرض صندوق التنمية إلا بإذن المسؤول عن صندوق التنمية ، أو بتسديد ما بقي من القرض الذي رهن فيه البيت"(٣).

---

(١) المصدر السابق (١٥/١٥١) فتوى رقم : ١٠٧٢٩ ، وانظر : (٢٣/٤١٣) فتوى رقم : ٧٨٣٨.

(٢) انظر : المصدر السابق (١٤/١١٦) فتوى رقم : ٣٢٠٤، (١٤/١١٧) فتوى رقم : ٦٥١٤.

(٣) فتاوى اللجنة (١٤/١١٦) فتوى رقم : ٣٢٠٤.

وفي سؤال وجهه أحد المواطنين عن حكم تكليفه بالعمل خارج وقت الدوام، مع إمكانية أدائه العمل في وقته الرسمي، أجابت اللجنة بما يلي: "إذا كنت تستطيع القيام بأعمال مكتبك الوظيفي وإنجازها خلال وقت الدوام الرسمي، ولا يوجد عمل تقوم به أثناء تكليفك بالعمل خارج الدوام الرسمي، فإنه لا يجوز لك قبول هذا العمل الإضافي، ولا يحل لك أخذ المال الذي يصرف لك من طريقه؛ لأن مكافأة العمل الإضافي خارج الدوام الرسمي تصرف لمن يؤدي عملا أثناءه، ولا يستطيع أداءه أثناء عمله الرسمي، وحيث إنك لم تؤد عملا أثناء تكليفك بالعمل الإضافي يبيح لك أخذ مكافأته؛ فإنه يجب عليك البعد عنه؛ براءة للذمة ما دام الواقع كما ذكرت"[1].

وفي سؤال وجهه أحد موظفي البريد عن حكم أخذه قيمة فوق القيمة المقررة للطابع المكتوبة عليه، أجابت اللجنة بقولها: "لا يحل لموظف البريد أن يأخذ مبلغا أكثر من قيمة طوابع البريد التي يبيعها، بل يبيعها لمن يشتريها حسب سعرها المكتوب عليها، من غير زيادة ولا نقصان؛ لأنه مؤتمن على بيعها، وبيعها بخلاف ثمنها المكتوب عليها خيانة للأمانة التي أؤتمن عليها من قبل عمله"[2].

وفي سؤال آخر لمواطن يعمل حارساً لإحدى الأراضي الحكومية عن حكم تأجيره الأرض دون علم مرجعه، أجابت اللجنة بقولها: "لا يجوز

(١) المصدر السابق (١٤/٤٠٤) فتوى رقم: ١٩٨١٨.

(٢) المصدر السابق (١٣/١٣٥) فتوى رقم: ١٩٩٤٧.

لذلك الحارس ونحوه أن يستغل هذه الأرض دون إذن ممن يملك التصرف فيها، وما كسبه من ذلك لا يحل له أن ينتفع به، بل يدفعه للمسؤول عن تلك الأرض إذا أمكن، وإلا أنفقه في وجوه البر، وعليه التوبة والاستغفار مما حصل منه"[١].

ثالثاً: فتواها بما يحقق الاستقرار الاقتصادي:

ففي سؤال عن حكم تخزين بعض التجار السلع لرفع قيمتها عن القيمة السوقية، أجابت اللجنة بما يلي: "لا يجوز تخزين شيء الناس في حاجة إليه، ويسمى: الاحتكار؛ لقول النبي - ﷺ -: ((لا يحتكر إلا خاطئ))[٢]، رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة، ولما في ذلك من الإضرار بالمسلمين، أما ما كان الناس في غنى عنه، فيجوز تخزينه حتى يحتاج إليه، فيبذل لهم دفعا للحرج والضرر عنهم، وبذلك يتبين أن مدة جواز التخزين مرتبطة بغنى الناس عما يخزن، طالت المدة أم قصرت"[٣].

وفي سؤال آخر عن حكم احتكار التجار بعض السلع، ومدى مشروعية التسعير لدفع المفاسد المترتبة على ذلك، أجابت اللجنة بقولها: "إذا تواطأ الباعة مثلا من تجار ونحوهم على رفع أسعار ما لديهم أثرة منهم، فلولي الأمر تحديد سعر عادل للمبيعات مثلا؛ إقامة للعدل بين البائعين والمشترين، وبناء على القاعدة العامة، قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، وإن لم

---

(١) المصدر السابق (٥٤/١٤) فتوى رقم: ٦٩٠١.

(٢) أخرجه مسلم كتاب المساقاة باب تحريم الاحتكار في الأقوات (١٢٢٧/٣) برقم: (١٦٠٥) من حديث معمر بن عبد الله بن فضلة - رضي الله عنه - به.

(٣) فتاوى اللجنة (١٨٣/١٣) فتوى رقم: ٦٣٧٤.

يحصل تواطؤ منهم، وإنما ارتفع السعر بسبب كثرة الطلب وقلة العرض، دون احتيال، فليس لولي الأمر أن يحدد السعر، بل يترك الرعية يرزق الله بعضهم من بعض، وعلى هذا فلا يجوز للتجار أن يرفعوا السعر زيادة عن المعتاد ولا التسعير.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن أنس - رضي الله عنه - قال: غلا السعر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا: يا رسول الله: لو سعرت، فقال: ((إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله - عز وجل - ، ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال))[1]، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه، وما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله: سعر، فقال: ((بل ادعوا الله))، ثم جاء رجل آخر فقال: يا رسول الله: سعر، فقال: ((بل الله يخفض ويرفع))[2].

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الإجارة باب في التسعير (٣ /٧٣١) برقم: (٣٤٥٣)، والترمذي في البيوع باب التسعير (٣ /٦٠٦) برقم: (١٣١٤)، وابن ماجه كتاب التجارات باب من كره التسعير (٧٤١/٢) برقم: (٢٢٠٠)، وأحمد (٣ / ٢٨٦) برقم: (١٤٠٨٩)، وعبد الرزاق (٢٠٥/٨) برقم: (١٤٨٩٧)، والدارمي (٣٢٤/٢) برقم: (٢٥٤٥)، وأبو يعلى (٢٤٥/٥) برقم: (٢٨٦١)، وابن حبان (١١ / ٣٠٧) برقم: (٤٩٣٥)، والبيهقي في الكبرى (٦ / ٢٩) برقم: (١٠٩٢٧) من طرق عن قتادة عن أنس - رضي الله عنه - به.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

وصححه ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٦/٣) رقم: (١١٥٨)، وابن الملقن في البدر المنير (٥٠٨/٦).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الإجارة باب في التسعير (٢٧٢/٣) برقم: (٣٤٥٠)، وأحمد (٣٧٢/٢) برقم: (٨٤٢٩)، وأبو يعلى (١١ / ٤٠١) برقم: (٦٥٢١)، والطبراني في الأوسط (١ / ١٣٦)

وفي سؤال لأحد المواطنين من ملاك الصيدليات يقول فيه : هناك بعض الأصناف من الدواء ، يزداد سعره بقرار من وزارة الصحة ، وأحياناً ينقص ، فإذا كان عندي دواء اشتريته بثمن ، ومقرر لي أن أبيعه بثمن معين ، ثم ازداد بعد فترة وقررت الوزارة زيادة الشراء والبيع ، وأنا عندي كمية من هذا الدواء على السعر القديم ، فهل يجوز لي أن أبيعها بالسعر الجديد أم القديم؟ مع العلم أن الوزارة تعاقب من يبيع بالسعر القديم الأقل.

أجابت اللجنة بقولها : " يجب التمشي على النظام الذي تضعه الدولة لسعر بيع الدواء ؛ لأن في مخالفته مضرة عليك وعلى الآخرين "[(١)].

وقد كان لهذه الجهود المباركة أثر ظاهر في حفظ المال العام ، وتحقيق المراقبة الذاتية في نفوس عموم أفراد المجتمع تجاهه من جهة ، ونمو الاقتصاد الوطني واستقراره من جهة أخرى.

وقد ظهر ذلك – بحمد الله – من خلال كثرة الأسئلة الواردة إلى اللجنة بخصوص ذلك ، والتي تعكس مدى أثر فتاوى اللجنة في تحقيق صيانة المكتسبات الوطنية ، وقناعة عموم الموطنين بها.

برقم : (٤٢٧)، والبيهقي في الكبرى (٦ / ٢٩) من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – به.

والحديث حسنه ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٦/٣) وابن الملقن في البدر المنير (٥٠٨/٦).

وقال الهيثمي في المجمع (٩٩/٤) : " رجاله رجال الصحيح ".

(١) فتاوى اللجنة (١٨٦/١٣) فتوى رقم : ١٧٥١١.

المبحث السادس:

دفاع اللجنة الدائمة عن الدولة السعودية، وردها الأكاذيب الموجهة إليها:

دلت النصوص الشرعية من القرآن والسنة على وجوب توقير ولاة أمور المسلمين، وتحريم سبهم والطعن فيهم.

قال- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة، لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواء يأتك رجال ما شئت، قال: مهلاً يا أهل الإسلام، فإني سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: ((سيكون بعدي سلطان فأعزوه، من التمس ذله ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت))[1].

وقد تتابع علماء أهل السنة والجماعة على الدعوة إلى ذلك، والتحذير من كل ما يخالفه، بل إن بعضهم عد ذلك في جملة عقائدهم.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٩٩) برقم: (١٠١٩) من طريق الحسن بن البزار عن أبي توبة عن محمد بن مهاجر عن ابن حلبس عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي ذر –رضي الله عنهما –به. والحديث صححه العلامة الألباني في ظلال الجنة (٢ / ٤٩٩).

يقول أبو مجلز[1] -رحمه الله- : "سب الإمام الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين"[2].

ويقول سهل التستري -رحمه الله- : " لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم"[3].

وكلام أئمة أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الأصل كثير، وهو مبثوث في عقائدهم وكتبهم.

وقد كان للجنة الدائمة جهد مشكور في تقرير هذا المعنى، والتأكيد عليه، وبيان الآثار المترتبة على الإخلال به، وفيما يلي طرف من جهودهم في ذلك:

ففي سؤال وجه إلى اللجنة يستشكل صاحبه الجمع بين حديث أورده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- في كتابه مختصر سيرة الرسول- ﷺ- ، وهو قوله- ﷺ- : ((ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة))[4]، وبين سماح الدولة السعودية لهم

---

(١) هو لاحق بن حميد البصري، أحد علماء البصرة، لحق كبار الصحابة كأبي موسى وابن عباس، وكان ينزل خراسان وعقبه بها، وكان عمر بن عبد العزيز بعث إليه، فأشخصه ليسأله عنها، وكان عاملاً على بيت المال، وعلى ضرب السكة، توفي سنة ١٠١هـ.
انظر: شذرات الذهب (١ / ١٣٤).

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١/٧٨).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٠٩).

(٤) سبق تخريجه.

بزيارة بيت الله الحرام، ويقول: "هل كان الإمام الكبير على خطأ أم قد حدتم عن الجادة المستقيمة؟".

فأجابت اللجنة بجواب طويل جاء فيه ما يلي: "لزم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - طريقة أهل السنة والجماعة، وسار على أصولهم، فلم يكفر أحداً معيناً، ولا طائفة معينة من أهل القبلة بمعصية أو تأويل أو بدعة، إلا إذا قام الدليل على الكفر بذلك، وثبت البلاغ والبيان، ولم تختلف الحكومة السعودية - رعاها الله وأيدها بتوفيقه - عن ذلك في معاملتها لرعيتها، وحكمها فيهم، ولا في موقفها من المسلمين في الدول، وخاصة من يفد إلى بيت الله الحرام؛ لأداء نسك الحج أو العمرة، فهي تحسن الظن بالمسلمين، وتعتبرهم إخواناً لها في الدين، وتتعاون معهم على ما يشد أزرهم، ويحفظ حقهم، ويرد إليهم ما سلب منهم، وترحب بمن يفد إليها، وتقوم بما يسهل عليهم أداء نسكهم أو مهمتهم خير قيام بعطف وحدب، يعرف ذلك من خبر أحوالها، ووقف على شؤونها، وما تبذله من جهود وأموال في سبيل الإصلاح العام للمسلمين، وتوفير الراحة لحجاج بيت الله الحرام.

ولهذا تسمح لطوائف المسلمين المختلفة بزيارة بيت الله الحرام دون التنقيب عما خفي من عقائدهم، عملا بالظاهر، دون التنقيب عما في البواطن، والله يتولى السرائر، فإذا وضح لها كفر شخص أو طائفة معينة

كالقاديانية[1] مثلا ، وثبت ذلك لدى العلماء المحققين من الدول الإسلامية ، فلا يسعها إلا أن تمنع من ثبت كفره وردته من أداء الحج والعمرة ؛ حماية لبيت الله الحرام أن يقربه من في قلبه رجس ، وعملا بقوله- تعالى- : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [سورة التوبة : ٢٨] وقوله تعالى : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [سورة الحج : ٢٦].

ومما تقدم يتبين ... أنه- رحمه الله- سار على النهج السليم ، حيث لزم أصول أهل السنة والجماعة ، وإن الحكومة السعودية في معاملتها للمسلمين في العالم لم تحد عن الجادة ، بل التزمت أصول أهل السنة والجماعة- أيضا- كما لزمها إمام الدعوة ، فأخذت المسلمين بظواهرهم ، ولم تنقب عن قلوبهم ، فتسامحت مع من خفي أمره ، وقست على من كشف عن جريمته ، وأصر على ردته بعد المناظرات المتتالية والبيان المتتابع"[2].

وقد كان لهذه الجهود–بحمد الله–أثر كبير في غرس محبة ولاة أمر هذه البلاد في نفوس عامة المسلمين ، فضلاً عن المواطنين.

---

(١) القاديانية : هي طائفة كافرة ، ونحلة هدامة ، ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في أرض قاديان من أرض الهند على يد رجلٍ اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني ، واتخذت من الإسلام شعاراً ؛ لستر أغراضها الخبيثة ، وعقائدها الفاسدة.

انظر : القاديانية لإحسان إلهي ظهير (١- ١٨)، القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام لأبي الحسن الندوي (٥).

(٢) فتاوى اللجنة (٢/٢٢١- ٢٢٩) فتوى رقم : ٨٣٠.

الخاتمة:

بعد إتمام البحث - بحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات - يمكن تلخيص أهم نتائجه فيما يلي:

١ - أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء متفرعة عن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وقد تتابع على رئاستها وعضويتها عدد من أهل العلم، ولم يختلف قولهم في مسائل هذا البحث، مما يدل على اتفاقهم في اقتفاء المنهج السلفي، وصدورهم عنه.

٢ - خطأ بعض المفاهيم التي يروج لها بعض خصوم المنهج السلفي جهلاً أو تجاهلاً، كاتهام أصحابه بالغلو والتطرف حيناً، والمداهنة والتفريط حيناً آخر، ووصفهم تبعاً لذلك بالخوارج أو المرجئة!!!.

٣ - سلامة المنهج السلفي في التعامل مع الولاة تأصيلاً وتطبيقاً، وتحقيقه لمصالح الأمة دنيَا وأخرَى.

٤ - أهمية الإفادة من جهود اللجنة الدائمة في تعزيز الانتماء الوطني، ونشرها بين عموم المواطنين.

٥ - ضرورة تعزيز المنهج السلفي وحمايته من هجمات أعدائه، وجهل الدخلاء عليه.

٦ - أن الدولة السعودية في مراحلها الثلاث دولة سلفية، قائمة على التعاون بين ولاة الأمر: أمراء وعلماء، وضرورة بقاء هذه السمة واستمراريتها والحفاظ عليها.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الآحاد والمثاني، لأحمد بن عمرو بن الضحاك أبي بكر الشيباني، تحقيق / د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط:١، ١٤١١هـ.

٢. أبحاث هيئة كبار العلماء، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية

٣. الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية لفيصل دراج وآخرين، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، ط:١، ١٩٩٩م.

٤. الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ.

٥. الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، إسحاق موسى الحسيني، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٢م.

٦. الإخوان المسلمون من حسن البنا إلى مهدي عاكف، عبد الرحيم علي، دار المحروسة، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٧م.

٧. الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية، د. زكريا سليمان بيومي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: ٢، ١٤١٢هـ.

٨. الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: تحقيق/ د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ٢، ١٤١١هـ.

٩. الإشاعة في بيان من نهي عن فراقه من الجماعة، محمد بن إسماعيل الأمير بن صلاح الكحلاني، ت/ محمد باكريم محمد باعبد الله، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط:١، ١٤٢٤هـ.

١٠. أصول السنة، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: تحقيق/ عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط: ١، ١٤١٥هـ.

١١. اعتقاد أئمة السنة، أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق/ جمال عزون، دار الريان، الإمارات، ط:١، ١٤١٣هـ.

١٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.
١٣. الأموال، لابن زنجويه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ط: ١، ١٤٠٤هـ.
١٤. إنباء الغمر بأبناء العمر: أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.
١٥. البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.
١٦. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط: ١، ١٣٩٢هـ.
١٧. تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨. الترغيب والترهيب، لزين الدين عبد العظيم المنذري، ت/ مصطفى عمارة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
١٩. التعريف باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إعداد/ عبد الإله الدويش، (غير منشور).
٢٠. تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي: تحقيق/ د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٠٦هـ.
٢١. التكفير والهجرة وجهاً لوجه- رجب مدكور، مكتبة الدين القيم، القاهرة، ط: ١، ١٤٠٥هـ.
٢٢. التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة - ١٣٨٤هـ.
٢٣. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٣، ١٤١٢هـ.
٢٤. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق/ د. محمد بن ربيع المدخلي وآخر، دار الراية، الرياض، ط: ١، ١٤١١هـ.

٢٥. الحركات الإسلامية في الأردن، لموسى زيد الكيلاني، دار البشير، عمان، الأردن، ط:١، ١٤١٠هـ.
٢٦. الحركات الإسلامية في لبنان، د. عبد الغني عماد، دار الطليعة، بيروت، ط:١، ٢٠٠٦م.
٢٧. حزب التحرير مناقشة علمية لأهم مبادئ الحزب، عبد الرحمن دمشقية، مكتبة الغرباء، تركيا، ط:١، ١٤١٧هـ.
٢٨. حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية عرضاً ونقداً، د. موسى بن وصل السلمي، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، قسم العقيدة، ١٤٢٨م، لم تطبع بعد.
٢٩. حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٠هـ.
٣٠. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر - بيروت.
٣١. الدرر السنية في الأجوبة النجدية: لمجموعة من أئمة الدعوة النجدية، جمع عبد الرحمن القاسم، ط: ٥، ١٤١٣هـ.
٣٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/ الهند، ط:٢، ١٣٩٢هـ.
٣٣. ذكرياتي مع جماعة المسلمين، لعبد الرحمن أبي الخير، دار البحوث العلمية، الكويت، ط: ١، ١٤٠٠ هـ
٣٤. ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
٣٥. رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، ت/ عبد الله شاكر الجندي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط:١، ١٤٠٩هـ.
٣٦. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط:٢، ١٤٠٧هـ.
٣٧. السنة، لأبي بكر الخلال، تحقيق د/ عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٨. السنة، لعمرو بن أبي عاصم الشيباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني: المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
٣٩. السنة، لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ.
٤٠. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني: ت /محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
٤١. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
٤٢. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ.
٤٣. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي: تحقيق/ أحمد شاكر، دار الفكر، بيروت١٤٠٨هـ.
٤٤. سنن الدارقطني، علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.
٤٥. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبي محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ.
٤٦. السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ.
٤٧. سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، ترقيم/ عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر، بيروت، ط: ٣: ١٤٠٩هـ.
٤٨. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٨، ١٤١٢هـ.
٤٩. شبهات التكفير د. عمر بن عبد العزيز قريشي، مكتبة التوعية الإسلامية، ط: ١، ١٤١٢هـ.
٥٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٥١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي: تحقيق/ د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط:٢، ١٤١١هـ.
٥٢. شرح السنة للبربهاري، ت/ عبد الرحمن الجميزي، مكتبة دار المنهاج، ط:١، ١٤٢٦هـ.
٥٣. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي: تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.
٥٤. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العز الحنفي: تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤١٣هـ.
٥٥. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، ترتيب، علي بن بلبان، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ.
٥٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ.
٥٧. صحيح الجامع وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٨هـ.
٥٨. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.
٥٩. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي: تحقيق/ عبد الفتاح الحلو، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية.
٦٠. طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ت/ نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٣، ١٤٠٦هـ.
٦١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
٦٢. العبر في خبر من غبر، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: مطبعة حكومة الكويت، ط:٢، ١٩٨٤هـ.
٦٣. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق/ د. ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط: ١، ١٤١٥هـ.
٦٤. العقيدة الطحاوية، الطحاوي، (مطبوعة مع شرحها لابن أبي العز).

٦٥. عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، المطبعة السلفية، مكة المكرمة، ١٣٤٩هـ.

٦٦. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: ٣، ١٤١٩هـ.

٦٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني: تحقيق/ عبد العزيز بن باز، وتصحيح محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٦٨. فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف، الحسن بن أحمد العطار الهمذاني، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط:١، ١٤٠٩هـ.

٦٩. الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

٧٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي: تحقيق/ د. عبد الرحمن عميرة وآخر، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧١. في قافلة الإخوان المسلمين - عباس السيسي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٧٢. القاديانية، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة - لاهور، باكستان، ط:١، ١٤٠٩هـ.

٧٣. القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام لأبي الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط: ٣، ١٣٩٧هـ.

٧٤. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: د. عاصم عبد الله القريوتي، شركة الشرق الأوسط للطباعة، الأردن، ط:١، ١٤٠٤هـ.

٧٥. كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة للميداني، دار القلم، دمشق.

٧٦. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المطبعة السلفية، القاهرة.

٧٧. لوامع الأنوار الإلهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٣، ١٤١١هـ.

٧٨. المتأسلمون الآتون من عباءة الإخوان - التكفير والهجرة - د. رفعت السعيد، دار أخبار اليوم، القاهرة، دون تاريخ.

٧٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي الهيثمي، دار الريان، مصر، ١٤٠٧هـ.

٨٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

٨١. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، بيروت، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٨م.

٨٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ.

٨٣. مسند أبي عوانة، الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، دار المعرفة، بيروت.

٨٤. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: ١، ١٤٠٤هـ.

٨٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق وشرح أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط: ٤، ١٣٧٣هـ، وأخرى بتحقيق / شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٠هـ.

٨٦. مسند البزار (البحر الزخار)، لأبي بكر البزار، تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط: ١، ١٤٠٩هـ.

٨٧. مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير أبي بكر الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٨. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٥هـ.

٨٩. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، دار العربية، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.

٩٠. المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.

٩١. المصنف، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: عامر الأعظمي، الدار السلفية، الهند.

٩٢. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٩٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني: تحقيق/ حمدي السلفي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ط: ٢.

٩٤. مفهوم الجماعة والإمامة ووجوب لزومهما، أ.د سليمان بن عبد الله أبا الخيل، دار العاصمة، الرياض.

٩٥. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن ابن محمد السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٠٥ هـ.

٩٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ.

٩٧. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٤٠٦هـ.

٩٨. منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

٩٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة، ط: ٣، ١٤١٨ هـ.

١٠٠. نبذة مختصرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، من إعداد قسم الباحثين بأمانة هيئة كبار العلماء، (غير منشورة).

١٠١. النبي المسلح، د. رفعت سيد أحمد، دار رياض الريس، ط: ١، ١٩٩١م.

١٠٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير: تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي وآخرون، دار الفكر، بيروت.

١٠٣. وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، لجمال بادي، دار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٤١٢هـ.

١٠٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.



الدولة السعودية
والمنهج السلفي نشأة وتطبيقاً

إعداد
علي بن مشرف بن مفرح الشهري
القاضي بالمحكمة الجزئية للضمان والأنكحة بجدة

الحمد لله رب البرية، هادي البشرية، العالم بالخفية، والصلاة والسلام على صاحب الشريعة الرضية، المبعوث بالحنيفية، والرحمة للإنسانية، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم على الطريقة النبوية السلفية.

لك الحمد علمتنا خير كتب ... وأنعمت بالخلق والفضل ربي

وأرسلت فينا ومنا رسولا ... رؤوفا رحيما بقلب محب

هديت إلى دينك الحق ركبا ... فألحق أيا رب بالركب قلبي

هم السلف السابقون وإنا على ... دربهم خير درب وركب

أما بعد: فإن الله تعالى بعث رسوله محمدا (صلى الله عليه وسلم) في فترة من الرسل وانقطاع من الوحي، فالحنيفية السمحاء ملة إبراهيم كانت قد درست معالمها وجهلت شرائعها، ولم يبق منها إلا بقايا مخلوطة بشرك الجاهلية وعادات أهلها.. ورسالة موسى وعيسى تعرضتا لأنواع من التحريف والتبديل.. وبقية البشر سادرون في غيٍّ الشرك وظلماتِ الجهل.. مابين عابد لأصنام من أشجار أو أحجار أو غيرها.. وآخر يتخذ الشمس أو القمر أو غيرهما من الأفلاك آلهةً من دون الله العلي الكبير.

وقد أنقذ الله تعالى البشريةَ ببعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهدى الله به بعد الضلال.. وأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام والإيمان..

وكان مصدرُ هداية البشر: كتابَ الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى.. قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]، وعن ابن عباس (رضي

الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)[١]".

ومن السنن الكونية أن لا يزال الناس مختلفين: ففريق متبعون للحق، وآخرون لم يوفقوا لسبيله، إما لهوى غالب، أو لشبهة حالت دون فهم طريق الحق على وضوحه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بوقوع الاختلاف بين المنتسبين لدينه وأمته كما افترق أهل الكتاب، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة[٢]".

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن بوادر الافتراق لاحت وما زالت في الأرض بقايا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ممن شهد له بالهدى والعلم والصلاح، فأنكروا ما حدث في عهدهم من الفرق المخالفة للكتاب والسنة، من الخوارج والقدرية والشيعة، وعلى رأس هؤلاء علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهم).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧١، حديث: ٣١٨، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٠.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة ٤/ ١٩٧، حديث: ٤٥٩٦، والترمذي في أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة ٤/ ٣٢٢، حديث: ٢٦٤٠، وقال حسن صحيح، وله طرق أسانيد مشهورة.

ثم أخذ عنهم أئمة التابعين.. وعنهم من بعدهم من أئمة الإسلام ممن سار على الطريق المأخوذ من الفهم الصحيح للكتاب والسنة كمالك بن أنس وسفيان الثوري وحماد بن سلمة ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري (رحمهم الله).. وغيرهم ممن اقتفى طريق الصحابة المأخوذ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الاعتقاد والسلوك والعبادات والعلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وكان هذا المنهج الذي هو عبارة عن الفهم الصحيح للإسلام يعبر عنه: (بالمنهج السلفي)؛ نسبةً إلى سلف الأمة من الصحابة وأتباعهم ومن بعدهم ممن سار على نهجهم في العلم والعمل.

وقد كانت الخلافة الراشدة مثالا حيا لهذا المنهج، فكان هو منهج دولة الإسلام عقيدة وحكما في عهد الخلفاء الراشدين، ثم حكمت الأمة الإسلامية ممالك وأسر منها ما عم حكمه جميع البلاد الإسلامية وهي الدول الأموية.. وكانت الدولة في عهدهم راعية لهذا المنهج، وإن كان من خلفائهم من ظهر منه ظلم وجور.. وكان خلفاء الدولة العباسية الأولون كذلك، ثم منهم من حاول أن يقهر الأمة ويأطرها على بعض البدع .. ثم كشف الله هذه الغمةَ بثبات أئمة المسلمين كالإمام أحمد وغيره.. وقد حكمت المشرق والمغرب الإسلامي بعد ذلك دولٌ كثيرةٌ ومتعاقبة في فترات مهدت لانتشار بعض البدع، وأرست وقوَّت بعضَ الفرق المخالفةِ لمنهج السلف الصالح.. ومع ذلك لم يزل في الأمة على مر التاريخ علماءُ يُهتدى بسمتهم ويُستنار بعلمهم، يوضحون للناس منهجَ السلف وطريقتهم في الاعتقاد والسلوك والعبادة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وفي فترة ضعف الأمة وانهيار الدولة العثمانية التي تحكم بطريقة شكلية جل أنحاء العالم الإسلامي- ظهرت في الجزيرة العربية وفي محضن الرسالة الأول ومهدها القديم دولةٌ قامت على الدعوة إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، هي الدولة السعودية، فأحيا الله بها ما اندرس من نهج السلف الصالح .. فأُحييت السنن وخمدت البدع وارتفع صوت الحق، وانقشع غبار الشرك والبدع، وقامت منابر العلم في هذه الدولة على هدي الكتاب والسنة، تنشر العلم والهدى، وتبصّر بصحيح الاعتقاد، وما يجب لله تعالى ولخواص خلقه من حقوق وواجبات، وما ينظم علاقة بعضهم ببعض، على الأسس الشرعية، وفي هذا السياق احتضنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الجامعة الأم في هذه الدولة ندوة بعنوان: **السلفية منهج شرعي، ومطلب وطني**، وقد أردت أن تكون مشاركتي في هذه الندوة في محور **الدولة السعودية والمنهج السلفي نشأة وتطبيقاً.**

وقد قسمت العناصر الخمسة المحددة للمحور إلى عناوين فرعية، مراعيا الاختصار؛ نظرا لتحديد صفحات البحث بخمس وثلاثين مع ثراء المادة العلمية في الموضوع، وختمت البحثَ بخلاصة وفهرس للمصادر وآخر للموضوعات، فجاءت عناصر خطة البحث خمسة كما هي برنامج الندوة:

- الأول: نشأة الدولة السعودية: وقسمته إلى عناوين فرعية كالتالي:
  - حالة الجزيرة العربية قبل نشأة الدولة السعودية.
  - نبذة عن الدولة السعودية الأولى.
  - نبذة عن الدولة السعودية الثانية.
  - نبذة عن الدولة السعودية الثالثة.

- الثاني: صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي: وقسمته إلى عنوانين فرعيين:
  - تأسيس الدولة على نصرة المنهج السلفي.
  - استمرار حكام الدولة السعودية على المنهج السلفي.
- الثالث: تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علماً وعملاً: وقسمته إلى عنوانين فرعيين:
  - خدمة الدولة السعودية لتراث المنهج السلفي.
  - تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي عمليا.
- الرابع: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وصلتها بالدولة السعودية: وقسمته إلى عنوانين فرعيين:
  - حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله).
  - صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدولة السعودية.
- الخامس: أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني: وقسمته إلى العناوين الفرعية التالية:
  - مفهوم الانتماء الوطني.
  - التأصيل الشرعي للانتماء الوطني.
  - أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني في المملكة العربية السعودية.

نشأة الدولة السعودية

تنسب الأسرة السعودية إلى سعود بن محمد بن مقرن، وهو من قبيلة عنزة[1] ، إحدى قبائل وائل، من أبناء ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[2].

وقد اشتهرت عن هذه الأسرة كثير من الصفات التي تسود بها القبائل العربية من الشجاعة والبأس، ومن الكرم والفضل، ومن العدل والحرص على إنصاف المظلوم، وهذا ما بوأهم مكانة عالية بين القبائل العربية؛ مما هيأهم لحكم قبائل الجزيرة العربية[3].

حالة الجزيرة العربية قبل نشأة الدولة السعودية[4]:

تختلف أوضاع مناطق الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية من حيث الأسر والقبائل التي تسيطر عليها، ومن حيث مدى إحكام السيطرة عليها، لكنها تتفق من عدة أوجه:

---

(١) عنزة من القبائل النزارية، وهي من أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر.
ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١/ ٢٩٤، مختلف القبائل ومؤتلفها ص: ٥٤، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٢/ ٨٤٦.

(٢) ينظر: عشائر العراق للعزاوي ص ٢٨٤، عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ١/ ١٦، معجم قبائل المملكة العربية السعودية ص: ٧٧٩.

(٣) ينظر: روضة الأفكار لابن غنام ٣/٢، عشائر العراق ص: ٨١

(٤) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ٧٣/١، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ص: ١١، وما بعدها.

- أنها لم تكن مجتمعة تحت غطاء سياسي واحد، فمنها ما يتبع الدولة العثمانية تبعية شكلية، وهو الحجاز، ومنها ما لا يتبعها، وهو نجد وبعض مناطق جنوب وشمال وشرق الجزيرة العربية.
- كثرة الاختلافات والانشقاقات في الإمارات القائمة، ومحاولة بعضها بسط نفوذها على بقية الأمارات، وعدم سيطرتها على الأوضاع.
- انتشار الجهل والمظاهر الشركية والبدعية في كثير من أرجاء الجزيرة العربية؛ نظرا لعدم الاستقرار الأوضاع السياسية.
- انعدام الأمن وانتشار الفوضى؛ مما أدى إلى الاعتداء على قوافل الحج، والقوافل التجارية.

وفي خضم هذه الأوضاع التي أحوجت الناس إلى حكم عادل يجمع شتات الناس ويؤمنهم وينصف بعضهم من بعض، هيأ الله سبحانه وتعالى قيام الدولة السعودية ونشأتها، وقد عبَّر عن ذلك بعض المؤرخين بأسلوب يظهر منه التأثر بهذا الواقع والتألم له، فقال: "كانت نجد قبائل متفرقة، وإمارات صغيرة نستطيع أن نقول: كل بلدة مستقلة بإدارتها وإمارتها، كما أن كل عشيرة منفصلة عن غيرها، ولا تكاد توجد إمارة عشائرية متكونة من قبائل عديدة تستطيع أن تؤسس إمارة ذات شأن وسيادة على جزيرة العرب.. ومن ثم نرى الفوضى ضاربة أطنابها، الأمن مفقود، والسلب والنهب من أعظم وسائل ارتزاق الأهلين ومدار عيشتهم، حتى قيض الله لنجد أن تكون إدارتها موحدة، وسلطتها تابعة لتلك الإدارة، وأساسها التوفيق بين المطالب السياسية، والأغراض الدينية الصحيحة؛ فكانت نتيجة هذه الألفة أن سادت الطمأنينة، وصادفت ما وافق هوى في النفوس، بل رغبة أكيدة، وميلاً تاماً

وإذعانا من الجميع، دعوةٌ قوية من عالم مجاهد، وفاضل حريص على التمسك بالشرع هو محمد بن عبد الوهاب، ومناصرة من حاكم حريص على إقامة العدل وتوحيد الأمة تحت راية التوحيد هو الإمام محمد بن سعود، ومن جراء هذه المناصرة، وتلك الدعوة ذاعت في الأطراف وانتشرت انتشارا هائلاً حتى قبضت على السلطة، وتوسع نطاقها، ولم تلبث أن سيطرت على أنحاء عديدة. وفي كل أدوارها حافظت على هذا الاتصال بين الحكومة في عدلها، والدين في بث تعاليمه وتربيته الصحيحة فكان له شأنه، وذاع صيته في الخافقين[1]".

ومن أهم آثار قيام الدولة السعودية أن الأمن عم أرجاءها، بعد أن كان مفقوداً، وأمنت البلاد وطابت قلوب العباد، وانتظمت مصالح المسلمين، وكان الراكب، والراكبان، والثلاثة يسيرون بالأموال العظيمة من الدرعية، والوشم، وغيرها من النواحي، إلى أقصى اليمن، وينبع البحر، وعمان، وغير ذلك لا يخشون أحداً إلا الله، ولا مكابراً، ولا سارقاً، وما أن مضى سبعون عاماً على التعاقد بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى كانت تلك الدولة السعودية الأولى قد أنجزت توحيد مقاطعات شبه الجزيرة العربية أو كادت، بما في ذلك معظم إمارات الخليج العربي، وأخذت تطرق أبواب العراق والشام طرقاً متواصلاً، كان من مظاهره اقتحام

(١) عشائر العراق ص: ٨٠.

عدة مدن عراقية، ودخول مدينتي بصرة وكربلاء من ناحية، والوصول إلى مدينة بصرى في حوران، والكرك في الأردن من ناحية ثانية[١].

نبذة عن الدولة السعودية الأولى[٢]:

كانت الأوضاع السابقة في الجزيرة العربية ممهدة لنشأة الدولة السعودية الأولى، وقد قام الإمام محمد بن سعود (١١٠٩- ١١٧٩) بتوسيع إمارته في الدرعية وبسطها على وسط شبه الجزيرة العربية، وتزامن وقت التوسعة مع ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥- ١٢٠٦) لتنقية المنطقة من البدع والخرافات التي تخالف الإسلام والرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وتحالفت الحركتان للعمل معا على بذل الجهود لتوحيد شبه الجزيرة العربية.

وقد تمكنت هذه الدولة من بسط نفوذها على منطقة نجد في وسط شبه الجزيرة العربية، ومدت سلطتها للإحساء في منطقة الخليج العربي عام (١٢١٨)، ثم امتدت نفوذها إلى المنطقة الجنوبية من شبة الجزيرة العربية عام (١٢١٥)، ثم استولت على مكة المكرمة عام (١٢١٨).

وقد تمكنت الدولة العثمانية بالقضاء على الدولة السُّنية العربية الوليدة، وذلك عن طريق واليها على مصر، الذي تمكن بعد مقاومة عنيفة من التغلب على الدرعية عام (١٢٣٤).

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب ص: ٦٩.

(٢) ينظر: عنوان المجد ١/ ٣٣، ٤٢٩، تاريخ البلاد العربية السعودية ص ١٦- ٢٠، وص: ٢٥٨ وما بعدها، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ص: ١٣ وما بعدها، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ص: ١٩ وما بعدها.

ولكن ذلك لم يفتّ من عضد الأسرة المؤسسة للدولة ولا من المناصرين لها، إذ كانوا حملة رسالة إصلاحية، ولم يكن همهم مجردَ الاستيلاء على البلاد، فما لبثت دولة التوحيد والوحدة أن قامت مرة أخرى.

نبذة عن الدولة السعودية الثانية[1]:

بدأت نشأة الدولة السعودية الثانية من تمكن الإمام تركي بن عبد الله من إخراج الحامية المصرية التابعة لوالي العثمانيين في مصر من الرياض عام (١٢٤٠)، وتوطدت دعائم الدولة بخروج القوات المصرية المتحالفة سابقا مع العثمانيين من جزيرة العرب عام (١٢٥٦)، واستطاع الإمام تركي إعادة معظم المناطق التي كانت خاضعة للدولة السعودية الأولى.

وقد استمرت الدولة السعودية الثانية حتى عام (١٣٠٩) وانتهت باستيلاء آل الرشيد على الحكم، وكان ذلك نتيجة عدة عوامل منها: وجود القوات المصرية الموالية للدولة العثمانية في أراضي الدولة السعودية، ومحاولة بريطانيا الحد من توسعها، واستيلاء الأتراك على الإحساء.

نبذة عن الدولة السعودية الثالثة:[2]

كانت التجارب السابقة لقيام الدولة وتأثرها بعوامل تسقطها أحيانا، وتعيدها أخرى؛ عاملا مشجعا لأبناء هذه الأسرة على استرداد الدولة

---

(١) ينظر: عنوان المجد ١/ ٣٥، تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢١، ١٠٥ وما بعدها، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ص:٥٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ص:٧١، ١٢١، تاريخ البلاد العربية السعودية ص: ٢٨٠.

وإقامتها على أسسها الإصلاحية، كما أن الإصلاحات التي حققتها في الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية شجعت على المضي في سبيل استعادتها وتوطيدها، فنهض الملك عبد العزيز (رحمه الله تعالى) بأعباء ذلك ووفقه الله (سبحانه تعالى) لتوحيد الجزيرة العربية في دولة واحدة قامت على أساس العدل، وسارت على خطى الدولتين السابقتين لها في اتخاذ منهج السلف الصحيح باعتباره الوجه الصحيح للإسلام منهجا ودستورا للدولة، وقد وحد الجزيرة العربية وفق خطة محكمة تنبني على التدريج في ضم مناطقها منطقة منطقة على النحو التالي:

١) استعاد منطقة الرياض عام (١٣١٩) من آل الرشيد الذين حكموها بعد الدولة السعودية الثانية.
٢) استعاد السيطرة على وسط نجد عام (١٣٢٢).
٣) استعاد السيطرة على منطقة القصيم عام (١٣٢٦).
٤) استعاد السيطرة على الإحساء عام (١٣٣٢).
٥) وفي العام التالي حكم منطقة عسير جنوب غربي المملكة وضم المنطقة لحكمه.
٦) استطاع ضم منطقة الحجاز التي كانت تحت حكم شريف مكة الحسين بن علي إلى حكمه في عام (١٣٤٤).
٧) قضى على حكم الأدارسة في الجزء الجنوبي من المملكة على حدود اليمن وضمها نهائيا لدولته عام (١٣٥١).

وبذلك تم توحيد الجزيرة العربية تحت راية المملكة العربية السعودية، فاستحق الملك عبد العزيز لقب موحد الجزيرة العربية، فإن التاريخ لم يسجل

بعد سقوط الخلافة العباسية عام (٦٢٦) التئامَ الجزيرة العربية وتوحدها بأكملها تحت راية واحدة قبل هذا الرجل الفذِّ، وقد سار أبناؤه من بعده على نهجه، وتزداد الدولة (ولله الحمد) قوة كلما امتد بها الزمن، وتطورا ونماء ورخاء؛ فلله الحمد وله الشكر.

صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي

إن المنهج السلفي هو الأصل الذي يجب أن يكون عليه المسلم في كل حياته؛ لأنه هو الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وقد قامت الدولة ونمت واستمرت من أجل هذا المنهج وخدمته والذود عنه، ويتضح ذلك من خلال معلمين:

الأول: تأسيس الدولة السعودية على نصرة المنهج السلفي:

أسس الإمام محمد بن سعود (رحمه الله تعالى) الدولة السعودية على أساس المنهج السلفي، وقد استقرت إمارة الدرعية عشرين سنة في يده قبل مبايعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) مما يدل على حكمة الرجل وحسن سياسته وقضائه[1].

فلما التقى بالشيخ وتبنى دعوته السلفية قام على نشرها والدفاع عنها رغم ما يحيط بذلك من الأخطار، وتأليب الملوك والأمراء، وعامة الناس

(١) ينظر: روضة الأفكار لابن غنام ٢/ ٥، ٦، تاريخ البلاد العربية السعودية ص: ٦٣، ٦٤.

عليه، إلا أن صدقه وقوة إيمانه وشجاعته وعزمه على نشر الدعوة السلفية؛ حمله على تجشم الصعاب؛ فآوى الشيخ ودافع عن دعوته[١].

ونستطيع أَن ندرك من خلال حديث اللقاء والبيعة بينه وبين الشيخ أنه مدرك لحقيقة الإسلام، ومميز لما هو من دين الله ورسوله من غيره؛ بما آتاه الله من صفاء الفطرة ونفوذ البصيرة، وما بلغه من الحجة على يد الشيخ وغيره، فكان من صدقه ووفائه استجابته وعدم استنكافه عن قبول الحق لما جاءه، ثم أدرك شيئا بعيدا فاشترط على الشيخ إِن نصرهم الله أن لا يرتحل عنهم إلى غيرهم؛ لأنه (رحمه الله) ذو فراسة وذكاء ومن أعظم العقلاء، وأَنه حين لقي الشيخ ورآه عرف الصدق في وجهه وبديهته[٢].

هذا هو منطلق الدولة السعودية، وهو أكبر شاهد على أن تأسيسها أول ما أسست كان لنصرة المنهج السلفي وحمايته؛ ولهذا بارك الله تعالى فيها رغم كثرة أعداء هذا المنهج خصوصا والإسلام عموما.

---

(١) ينظر: الدرر السنية ١٢/ ٢٩.

(٢) ينظر: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ٢/ ٨٢٦.

الثاني: استمرار حكام الدولة السعودية على المنهج السلفي:

استمر حكام الدولة السعودية على المنهج السلفي بعد وفاة الإمام المؤسس للدولة على هذا المنهج، وفيما يلي نماذج من استمرار حكام الدولة السعودية على المنهج السلفي:

الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود المتوفي سنة (١٢١٨): كان ممن تربى على المنهج السلفي، ومن المهتمين بعلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان كتب إلى الشيخ يسأله أن يرسل له تفسير سورة الفاتحة[١]، وله رسالة نفيسة في العقيدة وجهها إلى العلماء، والقضاة، في الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، وسائر علماء المشرق، والمغرب، وفيها: "فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الأعلام (رضي الله عنهم) كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أن "لا إله إلا الله" معناها: ترك كل معبود سوى الله وإخلاص الإلهية له تعالى وحده، وأن توحيد العبادة هو إفراد العباد ربهم بأفعالهم التي أمرهم بها في كتابه، وعلى لسان رسوله فإذا جعلت لغيره تعالى صار ذلك تأليهاً للغير مع الله... لما فهمنا ذلك وعلمنا به قام علينا أهل الأهواء فخرّجونا[٢] وبدّعونا وجعلوا اليهود والنصارى أخف منا شراً ومن أتباعنا، ولم ننازع المخالف في سائر المعاصي

---

(١) ينظر: الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده ص: ١٩٧.

(٢) يعني نسبونا إلى الخوارج.

بأنواعها ولا المسائل الاجتهادية، ولم يجر الاختلاف بيننا وبينهم في ذلك، بل في العبادة بأنواعها، والشرك بأنواعه [1]".

ودلالة هذه الرسالة على سلفية مؤلفها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود واضحة بينة، كما أنها تدل على مكانته في العلم ومنزلته في استحضار النصوص والاستدلال بها، وعلى اهتمامه بنشر هذا المنهج، حيث وجه هذه الرسالة إلى علماء وقضاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد أوضح في هذه الفقرة أن مخالفي المنهج السلفي الذي يدعو إليه ويتبناه ويدافع عنه لم ينقموا عليه إلا مخالفته لما هم عليه من البدع والشركيات المخالفة لمنهج السلف (رضوان الله عليهم).

الإمام سعود بن عبد العزيز المتوفى سنة (١٢٢٩): كان (رحمه الله تعالى) يكثر من استشارة العلماء والمشايخ ممن تربى على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكانت له مساهمة فعالة في نشر العلم بالشرع وأحكامه في مختلف البلدان، حتى إنه جعل مع كل جيش عالما ينفع الناس في كل وقت، ورتب أجورا شهرية للمعلمين مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية ونشر منهج السلف واعتقادهم في عهده، وكانت له مكتبة ضخمة في الدرعية، ضمت كثيرا من الكتب في الموضوعات المختلفة، مما جعلها تساهم في إفادة الناس وتسهل لهم

---

(١) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبد العزيز بن محمد بن سعود ص/ ١٥- ١٦.

الاطلاع عليها والاستفادة منها، وخصوصا في تلك الأزمنة، التي يجد طلبة العلم صعوبة في تيسير الحصول على كتب أهل العلم والاستفادة منها[١].

الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود المتوفى سنة (١٢٤٩): كان (رحمه الله) جادا في تطبيق مبادئ الدعوة الإصلاحية، وكان له دور فعال في المساهمة في نشر الدعوة وتثبيتها في نفوس الناس عن طريق أبناء وتلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإعانته للعلماء في سبيل ذلك، وكان يحضر دروس الشيخ عبد الرحمن بن حسن يومي الخميس والإثنين، ولما عاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله) من مصر سنة (١٢٤١)ـ ولاه الإمام تركي بن عبد الله الشؤون الدينية في الدولة، وجعل له المكانة العلمية التي كان يتولاها جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله جميعا)[٢].

الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله المتوفى سنة (١٢٨٢): استمر الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله على ما كان عليه أسلافه من تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، ومناصرة العلماء في سبيل ذلك كله، وقد

---

(١) ينظر: الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده ص: ٢٠٣.

(٢) ينظر: الإمام تركي بن عبد الله، للدكتور العجلاني، ص ١٢٣، ١٣٨، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده ص: ٢٠٩.

عرف (رحمه الله تعالى) بالصلاح ومحبته للدين وأهله، وتقريبه للعلماء ومجالستهم[١]

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود موحد الجزيرة العربية المتوفى سنة (١٣٧٣): كان (رحمه الله) ممن مكن الله به لنشر عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، ويكفي لذلك نقل بعض مقولاته العظيمة:

منها قوله: "إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعونني (إن شاء الله) لعدم الجموح بالنفس، وقد عاهدت الله على ثلاث: الدعوة لكلمة التوحيد، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل، والأخذ على يد السفيه، وتحكيم السيف فيه، والإحسان للمحسن، والعفو عن المسيء[٢]".

ومنها قوله في كلمة ألقاها في مكة المكرمة: "يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خامس، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) بجديد، **فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله،**

---

(١) ينظر: عنوان المجد لابن بشر، ٢/٥٧-٦٠، ١٠٣-١٠٥، تاريخ الدولة السعودية الثانية، للدكتور عبد الفتاح أبو عيطة، ص ١١٥، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده ص: ٢١١.

(٢) ينظر: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز للدكتور محمد الشثري ١/٢٠٣.

وما كان السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا[1] ".

ومنها أنه وضع الأسس التي تقوم عليها هذه الدولة وأصدرها في ١٣٤٥/٢/١٦هـ، وأهم هذه الأسس:

١ـ المملكة مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا لا يقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه.

٢ـ الدولة: دولة ملكية شورية إسلامية مستقلة في داخليتها وخارجيتها.

٣ـ إدارة المملكة بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن وهو مقيد بأحكام الشرع.

٤ـ جميع أحكام المملكة تكون مطبقة على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح[2].

أبناء الملك عبد العزيز الملوك الميامين، سعود وفيصل وخالد وفهد (رحمهم الله)، والملك عبد الله (حفظه الله ورعاه وأسبغ عليه لباس الصحة والعافية): واستمرارهم على منهج السلف تنطق به شواهد الواقع، ويشهد به القاصي والداني، والعدو والصديق، وسنتعرض لتفاصيل ذلك عند الحديث عن تطبيق المملكة العربية السعودية للمنهج السلفي علما وعملا، وهو العنصر التالي.

---

(١) ينظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي ص: ٢١٧.

(٢) ينظر: تاريخ البلاد العربية السعودية ص: ٢٨٢، الأعلام للزركلي ١/٢٣٠ـ٢٣١.

تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علماً وعملاً

إن من مظاهر تأسيس الدولة السعودية على المنهج السلفي، واستمرار حكامها عليه جيلا بعد جيل: تطبيق هذا المنهج علما وعملا، وذلك بنشره والدعوة إليه، والسير عليه في مختلف أجهز الدولة، وسأوضح ذلك بأمثلة واقعية في المجال العلمي والعملي.

خدمة الدولة السعودية لتراث المنهج السلفي:

لقد سخرت المملكة العربية السعودية جميع إمكاناتها وجميع أجهزتها ووزاراتها في خدمة تراث المنهج السلفي ونشره تعليما وتأليفا وطباعة ودعوة إليه، ويتضح ذلك من خلال استعراض بعض جهود أجهزة الدولة على سبيل التمثيل لا الحصر والإحصاء.

جهود رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: تنوعت جهود هذا الجهاز الحكومي في نشر تراث المنهج السلفي، فقد طبع ما لا يحصى من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة قبل الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعده على نفقة الدولة، وعلى نفقات أهل الخير من المجتمع السعودي السلفي المنهج، وألف أصحاب الفضيلة الذين يضمهم هذا الصرح في بيان منهج السلف الصالح في العقيدة والسلوك والسياسة مؤلفات شتى شرقت وغربت، واستفاد منها طلبة العلم وتخرجوا عليها في الداخل والخارج، وكانت فتاوى هيئة كبار العلماء في العقيدة وغيرها مرجعا هاما ومنهلا صافيا لطلاب العلم والباحثين والعلماء والمفتين، وكانت دروسهم جامعات خرجت أجيالا من حملة علم السلف ومنهجهم وطريقتهم.

جهود وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: كان لهذا الجهاز الحكومي دور فعّال في نشر عقيدة السلف ومنهجهم على جميع المستويات والصعد في الخارج والداخل، فلا توجد مدينة من مدن المملكة العربية السعودية إلا وفيها مركز للدعوة يقوم على أساس الدعوة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ونشرها، وكانت لها في الخارج مراكز ومكتبات ساهمت في نشر عقيدة السلف الصالح ونشر العلم والمعرفة، وكان لها دعاة في مختلف

دول العالم ينشرون عقيدة أهل السنة والجماعة في مناطقهم بلغاتهم، وكان للأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج والعمرة والزيارة دور رائد في الإفتاء والإرشاد والتعليم والدعوة إلى الله تعالى على منهج أهل السنة والجماعة، وكانت لها ندوات ومؤتمرات عالمية ومحلية وجهود ومناشط جبارة ملموسة ومحمودة ومشكورة.

جهود وزارة التعليم العالي: كان لوزارة التعليم العالي في المملكة جهود عظيمة في نشر عقيدة السلف في الداخل والخارج، فعلاوة على تدريس هذا المنهج وتعليمه وتحقيق كتبه، وإعداد رسائل علمية فيه، ساهمت في الخارج مساهمة جعلت المملكة العربية السعودية أكثر دول العالم الإسلامي تأثيرا في المعارف والعلوم وأكثرها نشرا للعلم الشرعي، فقد فتحت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فروعا في جميع قارات العالم؛ كان لها أثر كبير في نشر عقيدة السلف الصالح والقضاء على الخرافات والبدع، وكان للجامعات الإسلامية التي تعد من أكثر جامعات المملكة العربية السعودية استقداما لطلاب العلم من سائر أقطار الأرض، كان لها دور عظيم فلا تجد بلادا إلا وفيها أئمة وعلماء ومفتون متخرجون منها، ينشرون عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح، وكان لغيرها من جامعات المملكة نصيب من ذلك.

وهذه الأمثلة الثلاثة كافية لتوضيح الجهود التي بذلتها الدولة السعودية في خدمة هذا المنهج الذي يمثل الفهمَ الصحيح للدين، ولو تتبع الباحث جميع وزارات الدولة لوجد لكل وزارة وجهاز دورا في ذلك، وما كان ذلك إلا بفضل الله تعالى، ثم بقيادة تشربت هذا المنهج وتربت عليه وارتضته دينا تتعبد

الله تعالى بخدمته، وتشكره على تسخيرهم لذلك، وتيسير ذلك لهم في حين كانت مساهمات دول كثيرة سبقتها أو واكبتها في هذا الموضوع متواضعة أو سلبية.

تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي عمليا:

من فضل الله (سبحانه وتعالى) ومنته على هذه البلاد أن أُلْهم قادتها ووفقهم إلى تطبيق الشريعة الإسلامية مما دل عليه الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح في مختلف أجهزة الدولة ووزاراتها، وإذا كانت أنظمة الدول هي التي تحدد أسسها ومنطلقاتها ومرجعياتها، فإن النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية بين بيانا شافيا أن الشريعة الإسلامية وما دل عليه الكتاب والسنة هو أساسه ومبناه، وذلك في أكثر من مادة.

ففي سياق هوية الدولة جاء فيه: "المملكة العربية السعودية، دولة إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله (سبحانه وتعالى) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض[١]".

وفي سياق مصدر الحكم في المملكة جاء فيه: "يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله. وهما الحاكمان

---

(١) المادة (١) من النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية.

على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة[١]"، وأنه "يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية[٢]".

وفي حقوق وواجبات الدولة جاء فيه: "تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله[٣]"، و"تحمي الدولة حقوق الإنسان، وفق الشريعة الإسلامية[٤]".

وفي سلطات الدولة: جاء ذكر الإفتاء أولا؛ لأنه هو الذي ينبني عليه القضاء، وحدد النظام مصدر الإفتاء: "مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية، كتاب الله تعالى، وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم)"[٥]".

وأما سلطة القضاء: فهي خاضعة للشريعة الإسلامية، وأحكامها هي التي تطبقها المحاكم، ففي النظام: "القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية[٦]"، و"تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية، وفقاً لما دل عليه الكتاب والسنة، وما يُصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة[٧]".

---

(١) المادة (٧) من النظام نفسه.

(٢) المادة (٨) من النظام نفسه.

(٣) المادة (٢٣) من النظام نفسه.

(٤) المادة (٢٦) من النظام نفسه.

(٥) المادة (٤٥) من النظام نفسه.

(٦) المادة (٦٤) من النظام نفسه.

(٧)المادة (٤٨) من النظام نفسه.

وبعد هذه القراءة في هذا النظام الذي يعتبر المرجعية العليا لأنظمة المملكة العربية السعودية ـ ترتسم أمامنا صورتان مشرقتان:

الأولى: اعتزاز المملكة العربية السعودية بتطبيقها للشريعة الإسلامية، واهتمامها بإبراز ذلك، والتنويه به؛ فقد حرصت على التأكيد عليه في كل أبواب النظام الأساسي للمملكة.

الثانية: أن هذه الأنظمة التي قد لا يطلع عليها إلا الباحثون والمثقفون، يوجد ما يجسدها على أرض الواقع من تطبيق عملي لتعاليم الشريعة الإسلامية، ومحافظة على القيم والأخلاق المستمد منها.

وكل هذا لم يكن إلا بفضل الله تعالى ثم بفضل رجال مخلصين، كانوا من عظماء التاريخ، وأئمة الهدى، أسسوا بناء هذه الدولة، وجاءت بعدهم أجيال من أبنائهم حافظوا على هذا البناء شامخا متماسكا قويا متينا.. نسأل الله تعالى أن يتغمد أمواتهم بواسع رحمته، وأن يثبت أحياءهم على الحق، وينصر بهم الدين، ويعزهم، ويمكن لهم في الأرض.. وأن يحفظ لنا ديننا وأمننا من كل سوء ومكروه(١).

---

(١) ينظر: الحق العام في عقوبات الجنايات، دراسة فقهية مقارنة، وهي أطروحة مقدم هذا البحث للدكتوراه في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص/ ١٩٤ وما بعدها.

حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وصلتها بالدولة السعودية

حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

لقد كثرت الدراسات حول دعوة الشيخ (رحمه الله تعالى)، وبيان حقيقتها وأهدافها ونتائجها، ولا يسع هذا البحث المختصر إلا ذكر نقاط مهمة تعد ملامح عامة لدعوة الشيخ (رحمه الله تعالى)، منها:

أنها دعوة تجديدية: فإنه (رحمه الله تعالى) لم يدع إلى مذهب جديد جاء به، ولا إلى فكر مستحدث استلهمه أو تأثر به من محيط ما، وإنما دعا إلى الكتاب والسنة، ومما يدل على ذلك:

١) أنه من فقهاء الحنابلة، وإن كان من الفقهاء الذين تثقفوا بالمذهب وقارنوه بغيره، وبُوِّئوا في العلم مرتبة الاجتهاد، فحنبليته لم تكن عن تقليد، وإنما كانت عن اجتهاد واختيار.

٢) أنه في كتبه لم يأت بنظريات جديدة أو قواعد من تلقاء وإنما كان يسرد الآيات والأحاديث ويبوب عليها بفقهها ومعناها، كما هو شأن العلماء قبله، وكتاب التوحيد خير برهان على ذلك.

٣) أنه لم يأت بما يعارض ما جاء به أئمة الفقه والحديث والتفسير من سائر المذاهب، ولم تكن له مسائل خالفهم فيها، وإنما أنكر بدعا كانت في عصره، كان أغلبها مما استحدث في عصر انهيار الدولة الإسلامية؛ نتيجة للجهل بحقيقة الإسلام[١].

---

(١) كما صرح بذلك الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في رسالته إلى العلماء ص/ ١٥-١٦.

أنها دعوة سلفية: فقد دعا فيها الشيخ (رحمه الله تعالى) إلى منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة، ودعوة الشيخ في جوهرها دعوة لتنقية التوحيد من كل شوائب الشرك ظاهره وخفيه، دعوة إخلاص الدين لله وحده، دعوة لنبذ البدع والانحرافات. الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (رحمه الله) لم يدع إلا لعقيدة السلف الصالح في جميع أبواب الاعتقاد. جميع مؤلفاته ورسائله بل سيرته وأفعاله وسلوكه تؤكد بلا ريب اهتمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) وحرصه الشديد على التزام منهج السلف الصالح والاقتداء بهم، كما أن ما كتبه أتباعه يبين بكل جلاء ووضوح لكل من أراد معرفة الحقيقة ما اتصف به الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من تمسك والتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ويظهر حال وشأن أولئك الأتباع وما كانوا عليه من التمسك الصادق بعقيدة الفرقة الناجية سواء في أقوالهم أو أفعالهم، وقد شهد بعض العلماء المنصفين في الشرق والغرب وفي أزمان متفاوتة، بل ومن ديانات ومذاهب متنوعة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) يدعو إلى الإسلام كما كان عليه أول ظهوره من صفاء ونقاء ووضوح، بعيدا عن لوثات الفلسفة وأدران الشرك وخرافات التصوف ومحدثات البدع[١].

وهاتان الميزتان جعلتا دعوة الشيخ (رحمه الله تعالى) مقبولة بين الناس، فنالت من الانتشار ما لم تنله دعوة أخرى من الدعوات الإصلاحية، رغم

(١) ينظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته ص: ٨٠.

كيد أعدائها ونبذهم للشيخ بألقاب وتهم لا تمت إلى الواقع بصلة، وثمت أسباب أخرى أدت إلى انتشار هذه الدعوة من أبرزها[1]:

١ - طبيعة مبادئ الدعوة: فهي مبادئ واضحة المعالم، تناسب الفطرة السليمة، سهلة الفهم، بعيدة عن التعقيدات والأمور الفلسفية، ولا غرو فهي الدعوة إلى الإسلام النقي الخالص من شوائب البدع والشركيات.

٢ - صاحب الدعوة وقوة إيمانه: فقد بذل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) لدعوته جهوده وقواه، وخاطر بحياته ليدفع بدعوته إلى الحياة حتى جمع حولها الأتباع والأعوان، وبقوة إيمانه بدعوته، وبالغاية التي يسعى إليها استطاع أن يدفع بها إلى النجاح.

٣ - القوة السياسية للدعوة: وهي التي تمثل أنصار الدعوة من آل سعود، وقد ظهرت هذه القوة منذ الاتفاق الديني بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود في الدرعية، فقد كان لهذه القوة أثرها الكبير في التمكين للدعوة، وإبلاغ صوتها إلى مشارق الأرض ومغاربها.

٥ - دور علماء الدعوة: وهو من العوامل التي ارتكزت عليها أسس نشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي، فعن طريق هؤلاء العلماء وصلت أخبارُ الدعوة ومبادئُها إلى كثير من المناطق والبلدان الإسلامية، إما عن طريق

---

(١) ينظر: دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ص: ٧٣، وما بعدها.

مؤلفات هؤلاء العلماء ورسائلهم أو عن طريق انتقالهم بأنفسهم من بلاد إلى أخرى بهدف نشر الدعوة.

٤ - موسم ومكان الحج: يمكن القول بأن هذا العامل من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أرجاء العالم الإسلامي.

٥ - خصوم الدعوة: وأخيرا يجب ألا ننسى دور خصوم الدعوة وبخاصة المفكرين منهم، فإنهم روّجوا للدعوة ولفتوا الأنظار إليها من حيث لا يريدون، فبحث عنها الناس وعلموا حقيقتها فاقتنعوا بها واعتنقوها[١].

صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدولة السعودية:

كانت هذه العلاقةُ مثارا للجدل في أوساط أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي أوساط أعداء الدولة السعودية ومجتمع الجزيرة العربية، فمن أولئك من يطعن في الدولة السعودية بأنها من صنيع محمد بن عبد الوهاب، ومنهم من يطعن في دعوة الشيخ بأنها صنيع سعودي جعلوه سلما إلى الملك والسيطرة.

والحقيقة التي غابت عن أولاء وأولئك وأرادوها أن تغيب عنهم: أن الباعث للدولة السعودية على احتضان الدعوة هو تدين مؤسسيها، ورغبتهم في خدمة الدين وإنقاذ هوية الأمة، وإلا فبإمكانهم أن يقيموا دولتهم على أسس علمانية معادية للدين، وتكون لها الدول الغربية حامية وظهيرا كما هو

---

(١) ذكر ذلك ابن غنام في روضة الأفكار ١ / ٣٤.

صنيع دول قامت إبان قيام الدولة السعودية وبعدها، ومما يدل على ذلك استمرار الدولة على النهج الأول وعدم التزحزح عنه رغم الضغوط الدولية والمؤامرات الخارجية لحرفها عن مسارها.

فالتحالف الذي كان بين صاحب الدعوة ومؤسس الدولة وامتد إلى اليوم طبيعي، فقل أن تقوم دعوة لا تعضدها دولة، كما أنه لا تقوم دولة ليست لها عقيدة ولا فكر.

فهذا نبي الله لوط (عليه السلام) يقول لقومه: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]، فيتمنى أن تكون له عشيرة أو ظهير ينصره وينصفه.

وهذا نبي الله شعيب (عليه السلام) يقول له قومه: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ [هود: ٩١]، فهم يتوعدونه بالرجم لولا وجود عشيرته.

وهذا نبي الله محمد (صلى الله عليه وسلم) يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: "يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به[١]".

ولما بايعه الأوس والخزرج قال لهم: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم[٢]"

---

(١) السيرة لابن هشام ١/ ٤٢٣.

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٤٢.

والناظر إلى خريطة انتشار فقه أئمة المذاهب الأربعة يدرك أنه كان العامل من وراء انتشار كل مذهب أو اندثاره في قطر: طبيعة مذهب الدولة التي حكمته.

فالكتاب والسنة وتاريخ المذاهب الفقهية يدل على أن انتشار العلم والدعوة والسنة بالدولة شرف لتلك الدولة، وأن الدعوة إنما تذيع وتنتشر إذا كان لها عضد من دولة مؤمنة بها، وهذا ما حصل بين آل سعود وبين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي اقتنعوا بها واعتنقوها، كما اقتنع بها اليوم ودخل فيها ملايين الناس في أفريقيا آسيا وأوربا، وقد منحهم الله دولة وسلطانا فسخروها لعقيدتهم، ولقد بذل أنصار الدعوة من (آل سعود) من التضحية بأنفسهم وأموالهم ما سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور، فقد حملوا مشعل الدعوة في حياة الشيخ وبعد وفاته، فشدوا من أزره حيا وقاموا مقامه ميتا، فما ضنوا وما ضعفوا حتى ذهبت في سبيل ذلك دولتهم السعودية الأولى (١٢٣٣ ه) - (١٨١٨ م) على يد جيوش محمد علي، وقد انتقل روح الدفاع عن الدعوة وتبنيها إلى الدولة السعودية الثانية والثالثة كما كان ذلك في الأولى.[١]

(١) ينظر: دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ص: ٧٤.

أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني

مفهوم الانتماء الوطني[1] :

تناول المهمتون بالكتابة في مضامين الانتماء الوطني بالكتابة عن الانتماء وتحديده بشحنة عقلية وجدانية كامنة بداخل الفرد تظهر في الموقف ذات العلاقة بالوضع على مستويات ومجالات مختلفة يمكن تحديدها من خلال مجموعة من الممارسات السلوكية الصادرة عن الفرد بحيث تكون تلك الممارسات معبرة عن موقف الفرد ورؤيته تجاه ما يحدث من مواقف في مجتمعه، ومن المظاهر التي تعبر عن الانتماء الوطني :

١) طاعة ولاة الأمر والالتفاف حولهم، وتحقيق تماسك المجتمع ونجاحه في تحقيق أمنه، ونجاح خطط تنميته وتحقيق رفاهيته.

٢) الحفاظ على الأمن، وهو جزء مهم وركن أساسي في الانتماء الوطني للفرد والمجتمع ؛ حيث إن المواطن يعيش على أرض هذا الوطن ويعمل على الحفاظ على أمن الوطن الفكري والأمني والاجتماعي والاقتصادي .

٣) العمل على إبراز قيمة الوحدة الوطنية وجعلها هدفاً يعمل الجميع على تحقيقه والمحافظة عليه، باعتبارها من مسلمات وطننا التي نعمل على تقويتها والحفاظ عليها، وأن وحدتنا الوطنية هي من مكتسبات هذا الوطن، وهي جزء من تفوقه على الكثير من المجتمعات الأخرى.

---

(١) ينظر: مقال للدكتور عبد الله بن ناجي آل مبارك في جريدة الرياض الصادرة يوم الخميس ١٨ ذي القعدة١٤٢٥ هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤ م - العدد ١٣٣٣٨.

التأصيل الشرعي للانتماء الوطني[١] :

إن الانتماء إلى الوطن من الأمور التي يولد الإنسان مفطورا عليها بفطرة الله (سبحانه وتعالى)، وبدراسة سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) نلمس منها عدة أوجه من صادق انتمائه إلى وطنه ومنشئه (مكة المكرمة) وإلى مجتمعه القرشي، مع ما قاساه منهم من الأذى والتضييق عليه وعلى أصحابه، ومن هذه المظاهر التي يجب على الدعاة وطلاب العلم أن يتأملوها ويتأسوا قبل غيرهم من عوام الناس:

أولا: تأكيده لانتمائه الوجداني والعاطفي إلى وطنه مكة: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما أخرج من مكة قال مخاطبا لها: "ما أطْيَبَكِ من بلد، وأحبَّكِ إليِّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرَكِ[٢]".

فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخرج من وطنه مظلوما مطرودا، ومع ذلك يعبر عن طيب مقامه فيه، وأنه أحب البلاد إليه، وأنه لولا أن قومه أخرجوه منه ما خرج منه، ولئن كان هذا في وطن هو أحب البلاد إلى الله كما

---

(١) للاستزادة ينظر البحوث المقدمة في ندوة (الانتماء الوطني في التعليم العام رؤى وتطلعات) التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وملخصات البحوث على موقع الجامعة
http://www.imamu.edu.sa/research_chairs/naief_chair/experts/Documents

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب المناقب، باب في فضل في مكة، ٥/ ٧٢٣، حديث: ٣٩٢٦، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٩٧١.

في بعض طرق الحديث ـ فإن الأصل في أفعاله (صلى الله عليه وسلم) التأسي به.

ثانيا: حرصه (صلى الله عليه وسلم) على تجنب استئصالهم: فقد ذكر أصحاب السير أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعطى سعد بن عبادة رايته يوم فتح مكة، فلما مر سعد براية النبي (صلى الله عليه وسلم) نادى: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة! اليوم أذل الله قريشا! فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا قال: «يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة! اليوم أذل الله قريشا!» وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس. قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله، ما نأمن سعدا أن يكون منه في قريش صولة. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "اليوم يوم المرحمة! اليوم أعز الله فيه قريشا"! وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد، ورأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه[١].

فهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) لم تطب نفسه باستئصال قومه، وكذلك كان شأن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، (وعمر بن

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي ٢/ ٨٢١، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٠٦، دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٨، الدرر في اختصار المغازي والسير ص: ٢١٨، السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٥٣.

الخطاب في بعض الروايات) الذين شكوا إليه ما عزم عليه سعد بن عبادة من استئصالهم، ولا شك أن في ذلك لفتة نبوية شريفة إلى أن إبقاء أهل الإنسان وقومه ودخولهم في الإسلام خير من إبادتهم، وفي ذلك معنى عظيم من معاني الانتماء الوطني غاب عن بعض من لم يتفقه في هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) فزعم أن من الدين التفجير والإرهاب والإمعان في القتل.

ثالثا: حضوره (صلى الله عليه وسلم) مجالس قومه التي يعقدونها للمحافظة على أمنهم واستقرارهم: فقد حضر (صلى الله عليه وسلم) حلف الفضول الذي تعاقدوا فيه على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته(١).

فهذه الأمثلة والنماذج تدل دلالة واضحة على مشروعية الانتماء الوطني ناهيك عن النصوص الشرعية العامة في موضوع علاقة الفرد المسلم بحاكمه، وعلاقته مع المجتمع المسلم.

أما علاقة الفرد المسلم بحاكمه والتي تمثل ظاهرة من ظواهر الانتماء الوطني، فتتمثل في ثلاثة أمور دلت عليها النصوص الشرعية:

الأول: طاعة ولاة الأمر: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [النساء: ٥٩]، وأمر (صلى الله عليه وسلم) بالسمع والطاعة لكل من يتولى أمور المسلمين، وإن لم تجر العادة على تولي مثله،

---

(١) ينظر: السيرة لابن هشام ١/ ١٣٣، دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤١، السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٢٥٧.

عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة[١]"

الثاني: تحريم تفريق جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام: عن عرفجة (رضي الله عنه) ، قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه[٢]» ، وفي رواية: «فاضربوا رأسه بالسيف كائنا من كان».

الثالث: وجوب النصيحة لولاة أمور المسلمين: عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "ثلاث لا يغل عليهن صدر مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم[٣]".

والنصيحة لولاة الأمر أعم من التوجيه والإرشاد الذي قد يتبادر إلى ذهن البعض أنه هو المقصود في هذا الحديث، وغيره، والمراد بها معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ٩/ ٦٢حديث: ٧١٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين، وهو مجتمع ١٤٨٠/٣ حديث ١٨٥٢/٦٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢١/ ٦٠ ، حديث: ١٣٣٤٩ ، وصححه لغيره محققو المسند وله شواهد كثيرة.

الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح[١].

وأما علاقة الفرد المسلم بمحيطه والتي تمثل جانبا من الانتماء الوطني: فتشمل القيام بحقوق الأخوة الإيمانية التي تشملها نصيحة المسلم لعوام المسلمين، وهي من الدين، كما في حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[٢]".

والمراد بنصيحة المسلم لمحيطه: إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يجب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، **وقد كان في السلف (رضي الله عنهم) من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه**[٣].

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم ٢/ ٣٨.

(٢) ينظر: أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ١/ ٧٤، حديث: ٩٥ – ٥٥.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم ٢/ ٣٩.

أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني في المملكة العربية السعودية:

إن طريقة أصحاب المنهج السلفي في التعامل مع حكام المسلمين المستمدة من الكتاب والسنة، والتي تقوم على أساس السمع والطاعة لولاة الأمر باعتباره أمرا إلهيا جاء في القرآن الكريم بعد الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وجاءت فيه طاعة ولاة الأمور معطوفة على طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وعلى أساس النصح لأئمة المسلمين وعوامهم.

وكان لتطبيق هذا المنهج أثر كبير في استقرار المسلمين وأمنهم، واستقامة أمورهم على مر التاريخ، وجاء أثر المنهج السلفي للاستقرار والأمن الذي تنعم به هذه البلاد (ولله الحمد والمنة) ليبرهن على صحة المنهج السلفي في النواحي السياسية، وأنه (علاوة على تقيده بالكتاب والسنة) سد منيع دون أمواج الفتن التي تسود في البلدان التي غاب فيها المنهج السلفي.

وقد ساعد في غرس وتنمية المنهج السلفي لقيم الانتماء الوطني من خلال الأسس الشرعية التزامُ قادة البلاد وحكومتها بهذا المنهج، والتحاكم إليه، وتحكيمه في علاقتهم مع المجتمع والمواطن، فالحاكم يتعامل مع المواطن انطلاقا من الأسس الشرعية السليمة، والمحكوم يعامل الحاكم وإخوانه المحكومين على هذه الأسس، وهذا التكامل يعكس صورة من صور التعاون على البر والتقوى، كما أنه تحقيق لوعد الله تعالى بالتمكين في الأرض لمن عبده ولم يشرك به شيئا وأقام شعائر الدين، واتبع شرائعه، كما قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ** ﴾ [النور: ٥٥].

فاللهم أدم علينا أمننا وإيماننا، ووفقنا للتمسك بكتابك وسنة نبيك على سنن المهديين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واحفظ ولاة أمرنا وبلادنا ووحدتنا وتوحيدنا من أذى المعتدين وكيد الماكرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

بعد بحث عدة جوانب تاريخية وفكرية، في موضوع المحور الذي بحثته، وهو: الدولة السعودية والمنهج السلفي نشأة وتطبيقا ـ فإنه تمثل أمام معطيات البحث ونتائج الدراسة عدة نتائج هي:

أولا: أن الجزيرة العربية كانت تعيش قبل قيام الدولة السعودية أوضاعا في غاية من الخطورة، تتمثل خطورتها في أمور:

- أنها لم تكن مجتمعة تحت غطاء سياسي واحد، فمنها ما يتبع الدولة العثمانية تبعية شكلية، وهو الحجاز، ومنها ما لا يتبعها، وهو نجد وبعض مناطق جنوب وشمال وشرق الجزيرة العربية.
- كثرة الاختلافات والانشقاقات في الإمارات القائمة، ومحاولة بعضها بسط نفوذها على بقية الأمارات، وعدم سيطرتها على الأوضاع.
- انتشار الجهل والمظاهر الشركية والبدعية في كثير من أرجاء الجزيرة العربية؛ نظرا لعدم الاستقرار الأوضاع السياسية.
- انعدام الأمن وانتشار الفوضى؛ مما أدى إلى الاعتداء على قوافل الحج، والقوافل التجارية.

ثانيا: أن قيام الدولة السعودية كان بمثابة طوق نجاة للجزيرة العربية من طوفان التناحر الداخلي بين الإمارات والقبائل، ومن المد الخارجي الذي يحاول بسط النفوذ عليها.

ثالثا: أن الدولة السعودية مرت في نشأتها بثلاث أدوار، قام جيلُ كل دور من حكامها بتقديم تضحيات جسيمة، وواجه صعوبات زادت من إصرار قادتها على إقامتها، وقد تحقق ذلك على يد الملك عبد العزيز، فأرسى أوتاد

الدولة ووحد الجزيرة العربية، وقام أبناؤه من بعده بالمحافظة على كيان الدولة ووحدتها ومنهجها، وبذلوا في تطوير الدولة وتنميتها جهودا جبارة جعلتها في مصاف الدول المتقدمة في مختلف الميادين، عربيا وإسلاميا وعالميا.

رابعا: أن الإمام محمد بن سعود سعى إلى توسعة الدولة السعودية والتمكين لها في سبيل نصرة الدين، والتمكين لعقيدة السلف الصالح، وتطبيق الشريعة الإسلامية، واستمر على ذلك أبناؤه من بعده فكانوا علماء حكاما، واقتدى بهديهم حكام الدولة الثانية فأعادوا رسم خريطة بناء الدولة على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وسار على نهجهم الملك عبد العزيز فبنى الدولة على الشريعة الإسلامية ونهج السلف الصالح بعد توحيد البلاد، وتمسك أبناؤه من بعده بنهجه، وسخروا كل إمكانات الدولة ومواردها وأجهزتها لخدمة الدين.

خامسا: أن المملكة العربية السعودية ساهمت بشكل غير مسبوق في تاريخ الدول المعاصرة في نشر منهج السلف وتعليمه والدعوة إليه، وطبقته في أنظمتها ومختلف أجهزتها.

سادسا: أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة تجديدية إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، سلفية أثرية، تمثل الفهم الصحيح للكتاب والسنة، على قواعد سلف الأمة ومنهجهم.

سابعا: أن علاقة الدولة السعودية بدعوة الشيخ تتمثل في إيمان مؤسسيها وأبنائهم من بعدهم بأنها هي الدين الصحيح الذي يجب أن يدينوا الله تعالى به، وأن حمايتها والدعوة إليها ليست لعلاقتها بشخص معين، وإنما يبعث عليها تدينهم وطاعتهم لله تعالى، وأن علاقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ومن سار على نهجه في اتباع السلف الصالح مع الدولة السعودية إنما كان لاقتناعهم وثقتهم في قادتها ؛ لاجتهادهم في التمكين للحق، ونصرة الدين، والدفاع عن الإسلام على النهج الذين ارتضوا أنه الحق.

ثامنا : أن مفهوم الانتماء للوطن يتفق مع المبادئ الشرعية في علاقة المحكوم مع الحاكم المتمثلة بالسمع والطاعة له في حدود ما يرضي الله تعالى طاعة لله ورسوله، ومناصحته وعدم الخروج عليه، وتتفق مع ما تدل النصوص الشرعية على وجوبه على المسلم من حقوق إخوانه المسلمين من التعاون على البر والتقوى، وكف الأذى، والسعي في مصالح المسلمين.

تاسعا : أن منهج السلف الصالح في التعامل مع الحكام هو الطريق الوحيد الذي يكفل للحاكم حقوقه وللمحكوم كذلك واجباته، وأن اتباع منهجهم في السمع والطاعة لولاة الأمر، والسعي إلى إخماد الفتن وتجنبها هو الذي يجب أن يكون عليه المسلم الحريص على مصلحة أمته ووطنه ودينه. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم

١- الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

٢- الإمام تركي بن عبد الله، للدكتور منير العجلاني، دار النفائس، ١٤٠٣هـ .

٣- تاريخ البلاد العربية السعودية، للدكتور منير العجلاني، دار الشبل، الرياض، طبعة ١٤١٠هـ .

٤- تاريخ الدولة السعودية الثانية، د. عبد الفتاح أبو عطية، دار المريخ بالرياض، ١٤١١هـ.

٥- تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، للدكتورة مديحة درويش، دار الشروق.

٦- جريدة الرياض اليومية الصادرة عن مؤسسة اليمامة في الرياض بالمملكة العربية السعودية

٧- جمهرة أنساب العرب لابن حزم، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣هـ.

٨- الحق العام في عقوبات الجنايات، دراسة فقهية مقارنة، لعلي بن مشرف بن مفرح الشهري، أطروحة الدكتوراه في الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء.

٩- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، للشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، طبعة ١٤١٩هـ .

١٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة المكتب الإسلامي.

١١- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

١٢- الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار التدمرية، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

١٣- دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، للشيخ محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، نشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، طبعة ١٤٢٢هـ.

١٤- دلائل النبوة للبيهقي، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥ هـ.

١٥- رسالة للإمام المجاهد العلامة عبد العزيز بن محمد بن سعود، أشرف على طبعها الشيخ حسن بن غانم الغانم، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

١٦- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام للشيخ حسين بن غنام، تحقيق د. ناصر الدين، مطبعة المدني سنة ١٣٨١هـ.

١٧- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٩- السيرة النبوية للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ١٣٩٥ هـ.

٢٠- السيرة النبوية، لابن هشام، لأبي محمدعبد الملك بن هشام الحميري المعافري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ه.

٢١- الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب، لمحمود مهدي الإستانبولي، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.

٢٢- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٣- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

٢٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٢٥- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦- عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ (تحقيق وتعليق) : "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب"، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

٢٧- عشائر العراق، لعباس محمد العزاوي.

٢٨- عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ .

٢٩- عنوان المجلد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر، نشر مكتبة الرياض.

٣٠- محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، للدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليه، دار المريخ الرياض، طبعة ١٤٠٣هـ .

٣١- مختلف القبائل ومؤتلفها، لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة.

٣٢- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٣- مسند أحمد، للإمام أبي عبد الله أحمد محمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بإشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٣٤- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٤ هـ.

٣٥- معجم قبائل المملكة العربية السعودية لحمد بن محمد الجاسر، النادي الأدبي في الرياض.

٣٦- مغازي الواقدي، لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ﻫ/١٩٨٩م.

٣٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ﻫ.

٣٨- موقع الجامعة http://www.imamu.edu. .

٣٩- النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية.

٤٠- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، مطابع الشركة العامة للمطابع، بيروت، سنة ١٣٩٢ﻫ.



الدولة السعودية
والمنهج السلفي نشأةً وتطبيقاً

إعداد

الدكتور/ زياد صالح لوبانغا

ملخص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ مَوضوع "الدولة السَّعودية والمنهج السَّلَفي نشأةً وتطبيقاً" أحد مَحَاور ندوة (السَّلفيَّة منهجٌ شرعيٌّ ومطلبٌ وطنيٌّ)، وهو من الموضوعات الهامة في هذه النَّدوة لأمرين:

١- أنَّ الدَّولة السَّعوديَّة هي بحقٍّ قَلبُ العالم الإسلامي، وقَلعةُ الإسلام الكبرى، ومَهبطُ الوحي الإلهي الأخير، ومَهْجَرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهادي إلى كل فلاحٍ في الدُّنيا والآخرة، فيجب على كل مسلمٍ قادرٍ أن يبذل جهده لحفظها والدِّفاع عنها، وحمايتها من جميع الأخطار والخطوب، ويعرفها معرفةً تامةً من حيث مَوقعها الجغرافي، وأدوارها التاريخيَّة.

٢- أنَّ المنهج السَّلفيَّ هو الخيار الوحيد لشعب المملكة العربيَّة السَّعوديَّة الكريم، وهو الذي ساندَتْهُ الدَّولة المباركة، وسخَّرتْ له جميع إمكاناتِها – رجالاً وأموالاً ونُظماً- مُنذ أمدٍ بعيدٍ، فهو ضالة كلُ مؤمنٍ صادقٍ مع ربِّه، مُحبٍّ لرسوله صلى الله عليه وسلم، مُسْتَنٍّ بسنَّة أصحابه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ. وهذا المنهج هو الذي يتحرَّاه المسلمُ في هذه الحياة، ويتمنَّى أن يراه ويُشاهده مُطبَّقاً على أرض الواقع.

وهذا الموضوع قسَّمتُه إلى خمسة مباحث، وهي:

المبحث الأول: نشأة الدَّولة السَّعوديَّة، تناولتُ فيه مفهوم الدَّولة السَّعوديَّة من حيث مَوقعها الجغرافي، والأدوار التاريخيَّة التي مرتْ بِها إلى يومنا هذا.

المبحث الثانِيْ: صلة الدَّولة السَّعوديَّة بالمنهج السَّلفي، وقد ركَّزْتُ فيه على جُذُور العلاقة بين الدَّولة السَّعوديَّة والمنهج السَّلفي، وعمق صلتها به، وأنَّها ليستْ مُجرد شعارٍ يُرفع لكسب وُدِّ النَّاس، وإنَّما هو التِزامٌ كاملٌ بِمسئوليَّاته، وتَحمُّلٌ لكافة تبعاته من جميع الْحُكَّام السَّعوديِّيْنَ.

المبحث الثالث: تطبيق الدَّولة السَّعوديَّة للمنهج السَّلفي علماً وعملاً، وفي هذا المبحث بيَّنتُ فيه الخطوات التي اتخَذَتْها الدَّولة لتطبيق هذا المنهج، بدءاً بتأسيس نِظامِ الحكم، وانتهاء بتنظيم الدَّعوة إلى الله تعالى.

المبحث الرابع: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وصلتها بالدَّولة السَّعودية، وفي هذا المبحث عَرَّفتُ بالشيخ، وبيَّنْتُ مضمون دعوته، وعلاقتها الحميمة بالدَّولة السَّعوديَّة على مَدار أدوارها التاريخيَّة.

المبحث الخامس: أثر المنهج السَّلفي في الانتماء الوَطَنِيْ، وهنا ذكرتُ أنَّ الإنسان فُطِرَ على أربعة انتماءاتٍ، وأنَّ المنهج السَّلَفِيْ لا يَميل به إلى أحدها دون بقيَّتها، بل يُرشده إلى ما يجب أن يعمله تُجاه هذه الانتماءات كلها.

الخاتِمة: وقد لَخَّصْتُ فيها نتائج البحث، وأرفقتُه بقائمة المصادر والمراجع التي استقيتُ مادَّته منها، ككتب الحديث، والسِّير، والموسوعات، ونحوه.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المبحث الأول: نشأة الدولة السعودية

الحديث عن السَّعوديَّة يتضمن جانبين، الجانب الجغرافي، والجانب التاريخي، ولهذا يُمكن تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الدَّولة السَّعودية وموقعها

السَّعودية دولةٌ عربيةٌ إسلاميَّةٌ واقعةٌ في شبه الجزيرة العربيَّة، يَحُدُّها شرقاً بحر الخليج العربيّ، ودولة قطر، والبحرين، والإمارات العربيَّة المتحدة، وسلطنة عمان، والكويت والأردن والعراق شِمالاً، واليمن جنوباً، والبحر الأحمر غرباً [1].

وتبلغ مساحتها (٢,٢٤٨,٠٠٠) مليونين ومائتين وثمانية وأربعين ألف كيلو متراً مربعاً.

ومن أهمِّ مُدنِها: الرِّياض، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف، والدَّمام، والظهران، وغيرها.

وقد بلغ عدد سُكانِها في عام (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م) [١٨,٤٢٦,٠٠٠] ثمانية عشر مليون، وأربعمائة وستة وعشرين ألف نسمة، كلهم مسلمون ولله الحمد، وأشارت التوقعات أن يبلغ عددهم في عام (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) [٢١,٢٥٧,٠٠٠] واحداً وعشرين مليوناً، ومائتين وسبعةً وخمسين

---

(١) ينظر: الموسوعة العربية العالميَّة (١٢/ ٢٨٠- ٢٩٨)، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

ألف نسمة، وفي عام (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) كان من المتوقع أن يبلغ عددهم [٢٨,٨٨٠,٠٠٠] ثمانيةً وعشرين مليوناً، وثمانَمائةٍ وثمانين ألف نسمة.

ويَنتمي مناخُها الجوي إلى المناخ الصَّحراوي المتسم بالجفاف وقلة الأمطار على مدار العام [١].

وتنقسم المملكة من الناحية الإداريَّة إلى ثلاث عشرة إمارة، هي: إمارة منطقة الرياض، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمنطقة الشرقيَّة، والقصيم، وحائل، وتبوك، والحدود الشماليَّة، وعسير، والجوف، والباحة، وجازان، ونجران [٢].

وللمملكة العربية السعودية منتجاتٌ أهمها النفط، حيث تعتبر أكبر دولةٍ لإنتاجه في العالم، ولها معادن قيمةٌ كالذهب، والغاز الطبيعي، وغيرهما.

وتُنتج المملكة التمر، والدَّواجن، والبيض، واللَّبن، والبطيخ، ونحوها من الخضروات، ولَها مُنتجاتٌ صناعيَّةٌ متعددةٌ، كالإسمنت، والسَّماد، والفولاذ، والأدوية، والبتروكيميائي، ونحوه [٣].

(١) ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٢/ ٢٦٨، ٢٨٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١٢/ ٢٧٣).

(٣) ينظر: المصدر السَّابق (١٢/ ٢٧٠- ٢٧١).

المطلب الثانِي: لَمحة تاريخية للدولة السَّعودية

يتفق المؤرخون في العصر الحديث على أنَّ الدولة السَّعوديَّة لها ثلاثة أدوارٍ تاريخيَّةٍ يُمكن تلخيصها على النحو التالي:

أولاً: الدولة السعوديَّة الأولى (١١٥٧هـ- ١٧٤٤م) حتى (١٢٣٣هـ- ١٨١٨م)

نشأت الدولة السعودية في هذا الدور بتحالفٍ شفهيٍّ بين القائد السِّياسي الإمام محمد بن سعود، والمصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمهما الله تعالى- وتَمَّ هذا التحالف ببلدة الدِّرعيَّة [١]. ومنذ ذلك الوقت أصبح تأسيس الدَّولة السَّعودية الأولى على يد هذين الرجلين، وهما اللَّذان سَنَّا سنةً حسنةً لمن جاء بعدهما في التمسك بالدين، والدفاع عنه، وسياسة الناس به[٢].

وقد حكمتْ الدَّولة السَّعوديَّة الأولى (٧٥) خمسةً وسبعين عاماً سقطتْ في عهد الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز سنة (١٢٣٣هـ- ١٨١٨م) بعقد صلحٍ بينه وبين إبراهيم بَاشا قائد القوات المصرية المهاجمة للدِّرعية.

---

(١) أُطلقتْ الدرعية على بلدتَيْن: إحداهما بالقطيف، والأخرى بالرياض، والمقصود به هنا الأخير. ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، ص(٥١)، دار العلوم، الرياض، نقلاً عن مقالٍ بعنوان "مدينة الدرعية" لمحمد الفهد العيسى، مجلة العرب لسنة (١٣٨٦هـ) (٤/ ٣٢٥).

(٢) ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠/ ٤٧١)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود، ص(٥١١- ٥١٢).

ثانياً: الدولة السعودية الثانية (١٢٣٤هـ- ١٨١٨م) حتى (١٣٠٩هـ- ١٨٩٠م)

بدأت الدَّولة السَّعودية الثانية بالْمُحَاولات التي قام بِها ثلاثةُ أمراء من أسرة آل سعود لاستعادة الحكم، وسدِّ الفراغ السِّياسي الذي أحدثه رحيل قوات إبراهيم بَاشا. وهؤلاء الأمراء هم:

- الأمير محمد بن مُشاري بن معمر، وهو أول مَنْ حاول بناء وحدةٍ سياسيَّةٍ في نجد في هذه المرحلة سنة (١٢٣٤هـ- ١٨١٨م).
- الأمير مُشاري بن سعود "الكبير" أخو عبد الله بن سعود، آخر أئمة الدَّولة السَّعوديَّة الأولى، وذلك عقب عودته إلى الدِّرعية فارّاً من قافلة الأسرى السَّعوديين الذين نُقِلُوا من المدينة المنورة إلى يَنبع إبَّان احتلال إبراهيم باشا للدِّرعية، وتنازل له محمد بن مشاري عن الحكم، ثُمَّ ندم على ذلك، فهاجم مُشاري بن سعود واعتقله.
- الأمير تُركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، الذي انقلب على محمد بن مشاري وقَتَله مع ابنه سنة (١٢٣٥هـ- ١٨١٩م)، أو ما بعدها، وكان سبب قتله أنَّه سلَّمَ مشاري بن سعود "الكبير" للقوات العثمانيَّة المرابطة بعُنَيْزَة في بلدة "سدوس" وسُجِنَ بِها فمات هذا العام [١].

(١) ينظر: الموسوعة العربية العالميَّة (٤٨٧/١٠).

استمرت الدَّولة السَّعودية الثانية قرابة (٧٥) خمسةٍ وسبعين عاماً، وسقطتْ في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل بمُهاجمة آل رشيد للدِّرعية بقيادة مُحمد بن عبد الله بن رشيد، وذلك في سنة (١٣٠٩هـ- ١٨٩١م)[1].

ثالثاً: الدولة السعودية الثالثة (١٣١٩هـ- ١٩٠٢م) حتى اليوم

بدأتْ الدَّولة السَّعوديَّة للمرة الثالثة مع فتح الرياض على يد الإمام عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن فيصل عائداً من الكويت بتاريخ (١٣١٩/١٠/٥هـ- ١٩٠٢/١/١٥م)، وذلك بعد جهدٍ طويلٍ لإعادة تأسيس الحكم السَّعودي الذي كان آل رشيد قد أزاحه سنة (١٣٠٩هـ- ١٨٩١م) فغاب عن الوجود قرابة عشر سنين.

ومن أهم أحداث هذه الدَّولة ضَمُّ بلاد القصيم (عُنَيْزَة- بُرِيْدَة- البُكَيْرِيَّة)، ومنطقة الأحساء (الهفوف- القطيف)، والحجاز (مكة - المدينة المنورة - جدة)، وعسير (أبْها- البيشة- خميس مشيط) إلى الدَّولة السَّعوديَّة.

أما أسْمَاء مُلُوكِها فهم على النحو التالِيْ:

- الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، مؤسس الدَّولة السَّعوديَّة الثالثة، وُلِدِ في الرياض سنة (١٢٩٣/١٢/١٩هـ-

(١) يُنظر: الموسوعة العربية العالميَّة (١٠/٤٨٦- ٤٩٣)، والنظام الدستوري في المملكة العربية السعودية بين الشريعة الإسلاميَّة والقانون المقارن، لعبد الرحمن بن عبد العزيز الشلهوب، ص(١٤٢- ١٤٣)، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م)، مطابع الفرزدق التجاريَّة، الرياض- المملكة العربية السعودية.

١٨٧٦م)، وتوفي يوم الاثنين (١٣٧٢/١/٢هـ - الموافق ١٩٥٣/١/٩م) [١].

- الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ثانِيْ مُلوك الدَّولة السَّعوديَّة الثالثة، وُلِدَ بالكويت بتاريخ (١٣١٩/١٠/٦هـ - ١٩٠٢/١/١٥م)، وتولّى الملك بعد وفاة والده، وتوفي في مدينة "أثينا" باليونان بتاريخ (١٣٨٨/١٢/٦هـ - ١٩٦٩/٢/٢٣م)، ونُقِلَ جُثْمَانُه إلى مكة المكرمة، وصُلِّيَ عليه في الحرم المكي، ثُمَّ نُقِلَ إلى الرياض وَدُفِنَ في مَقبرة العود [٢].

- الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ثالث مُلوك الدَّولة السَّعوديَّة الثالثة، وُلِدَ بالرياض سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م)، وتَوَلّى الحكمَ بتاريخ (١٣٨٤/٦/٢٧هـ - ١٩٦٤/١١/٢م)، واستمر حتى استشهاده بتاريخ (١٣٩٥/١/١٣هـ - ١٩٧٥/٣/٢٥م) [٣].

- الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، الملك الرابع للدَّولة السَّعوديَّة الثالثة، وُلِدَ بالرياض سنة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م)، وبُويِعَ ملكاً إثر

---

(١) يُنظر: الموسوعة العربية العالمية (١٦/٩٩- ١٠٢)، وجريدة أم القرى، العدد [٤٠٦] الصادر بتاريخ (١٣٥١/٥/٢٨هـ)، و (http://www.saudieh.com) نُشر بتاريخ (٢٠٠٧/١/٢٨م).

(٢) يُنظر: الموسوعة العربية العالمية (١٢/٢٦٥)، و (http://www.saudieh.com)، نشر بتاريخ (٢٠٠٧/١/٢٨م)، و (http://ar.wikipedia.org./wiki).

(٣) يُنظر: الموسوعة العربية العالمية (١٧/٦٩٥- ٦٩٦)، و (http://www.saudieh.com)، نشر بتاريخ (٢٠٠٧/٤/٩م)، و (http://ar.wikipedia.org./wiki).

استشهاد أخيه الملك فيصل، واستمر حاكماً حتى وفاته في تاريخ (١٤٠٢/٨/٢١هـ - ١٩٨٢/٦/١٣م)[١].

- الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، الملك الخامس للدَّولة السَّعوديَّة الثالثة، وُلِدَ بالرياض سنة (١٣٤٠هـ - ١٩٢١م)، وبُويع ملكاً بعد وفاة أخيه الملك خالد بن عبد العزيز، وتوفي في تاريخ (١٤٢٦/٦/٢٦هـ - ٢٠٠٥/٨/١م)[٢].
- الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، الملك السَّادسُ للدَّولة السَّعوديَّة الثالثة، وُلِدَ بالرياض سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م)، وتولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك فهد بن عبد العزيز، ولا زال حاكماً مُوفَّقاً وقائداً مُسَدَّداً حتى الآن[٣].

---

(١) يُنظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠/١٠ - ١١)، و (http://www.saudieh.com)، نشر بتاريخ (٢٠٠٧/٤/٩م)، و (http://ar.wikipedia.org./wiki).

(٢) يُنظر: الموسوعة العربية العالمية (١٧/٥٨٠ - ٥٨٢)، و (http://www.saudieh.com)، نشر بتاريخ (٢٠٠٧/١/٢٨م)، و (http://ar.wikipedia.org./wiki).

(٣) يُنظر: الموسوعة العربية العالمية (١٦/٨٣ - ٨٤)، و (http://www.saudieh.com)، نشر بتاريخ (٢٠٠٧/٤/٩م)،

المبحث الثاني: صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي

إنَّ صلة الدَّولة السَّعوديَّة بالمنهج السلفي صلةٌ بين قيادة الدَّولة وشعبها، أو بين قِمَّتها وقاعدتِها، فأحدهما لا يستغني عن الآخر، بل يرتبط به ارتباطاً وثيقاً.

ولقد ظلت الدَّولة السَّعودية منذ فجر تاريخها تحتضن المنهج السَّلفي[1] فاستطاعتْ بذلك أن تُهَذِّب جوانب الْمُجتمع السَّعودي، وتُقَوِّمَ ما اعوجَّ من سُلُوكه، وتُكمِّلَ ما نقصَ مِنْ أمر مَعَاشِهِ، وتُحرِّرَ ما انحرف مِنْ فكره واعتقاده، وتُنقذه من مَهاوي الإنسانيَّة إلى قمَّتِها السَّامقة.

إنَّ هذا التلاحم والتلاقي بين الدَّولة والمنهج السَّلفي لم يكن مُجرد شِعَارٍ يعلنه أئمة الحكم لكسب الجماهير دُون وعيٍ وفهمٍ تامٍّ بحقيقة هذا المنهج، فضلاً عن الالتزام بمسئولياته، والقيام بكافة تبعاته، بل كان مَنْهَجاً واضح المعالم والمقاصد لَدَى القادةِ السَّعوديين، وكذلك العلماء، وأصحاب الرأي والتوجيه.

وكلام الولاة السَّعوديين في هذا الأمر واضحٌ وُضُوحَ الشمس، فهو في كل مَرَّةٍ يؤكد أنَّ المنهج السَّلفي هو الممثل لحقيقة الإسلام الذي رضيه الله ديناً لعباده، وجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته طيلة حياتِهم

---

(١) عُرِّف المنهج السَّلفي بأنه "المنهج الْمُقدِّمُ للنصوص الشرعيَّة على البدائل الأخرى فكراً أو ذوقاً أو غيرها، الْمُعَبِّرُ عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه علماً وعملاً، الرافض للمناهج المخالفة لهذا الهدي في العقيدة والعبادة والتشريع". ينظر: السلفيَّة وقضايا العصر، للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ص(٤٩)، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، دار إشبيليا- الرياض.

لترسيخه في الحياة البشريَّة، وهو المنهج ذاته الذي جَدَّدَ الشيخُ مُحمدُ بْنُ عبد الوهاب مَعالِمَهُ، وآزره الإمام محمد بن سعود، فطهرت الجزيرة العربية به من أوضار الشرك، ولَوَثات البدع والخرافات، وعادتْ به إلى نَصَاعتها المشرقة، وما نراه اليوم ونشاهده من تَماسك الْمُجتمع السَّعودي، وأفضليَّته على ما حوله، إنَّما هو بحمله لهذا المنهج وتطبيقه ودعوة الناس إليه [1].

وفيما يلي مقتطفاتٌ من أقوالهم في مختلف المناسبات:

لَمَّا التقى الشيخُ محمدُ بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود -رحمهما الله تعالى- في الدِّرعية قال له الإمام: (أبشرْ ببلادٍ خيرٍ من بلادك، وأبشرْ بالعز والمنعة).

أجابه الشيخ قائلاً: (وأنا أبشِّرُكَ بالعز والتمكين، وهذه الكلمة "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ" مَن تَمسك بِها وعمل بها ونصرها مَلَكَ بِها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأنتَ تَرى نجداً وأقطارها أطبقتْ على الشرك والجهل والفرقة، وقتال بعضهم لبعضٍ، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك).

ولَمَّا سَمع الإمام هذا الكلام أجابه مُؤيداً وناصراً فقال: (يا شيخ! إنَّ هذا دين الله ورسوله، الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك، ولِما أُمرتَ به، والجهاد لِمنْ خالف التوحيد)[2].

---

(١) ينظر: تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعوديَّة وآثاره في الحياة، للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ص(١٣٦- ١٣٧)، طبع سنة (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م)، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عامٍ على تأسيس المملكة- الرياض.

(٢) يُنظر: تاريخ نجد، لحسين بن غنام، ص(٨٧)، تحرير وتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، وعنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر (١٢/١).

وكـان الإمـام عبـد العزيـز بـن محمـد بـن سـعود – لـشدة تـأثره بـالمنهج السَّلفي-   : (كثير الخوف من الله تعالى، كثير الذِّكر له، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان ينفذ الحق ولو في عشيرته الأقربين، لا يتعاظم عظيماً إذا ظَلَمَ فيأخذ الحق منه، ولا يتصاغر حقيراً فيأخذ الحق له، بل يُعطيه حقَّه حتى لو كان بعيد الوطن والدَّار)[1].

(وكان يوصي عُمَّاله بتقوى الله تعالى، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجر الجُباةَ عن الظلم، وأخذ كرائم أموال الناس)[2].

وهذا الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، لشدة تَمسكه بالمنهج السَّلفي وتطبيقه على مواطنيه: (أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها، وهان على كثيرٍ من الناس دينها وإسلامها، كأنهم لم يكونوا حدثاً بالإسلام، ولم يجتمعوا على إمامٍ، وتَهاونَ كثيرٌ منهم بالصَّلاة، وأفطروا في البلدان في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى وشعبان، وتعذرتْ بين البلدان الأسفار، واتخذوا دَعوى الجاهليَّة لهم شعاراً فحارب البلدان، وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة، والسَّمع والطَّاعة، حتى ضُرِبَ بِه الْمَثَلُ، وسَكنت الأمة في أمنه وأمانه)[3].

(لقد جرب أهل نجدٍ أنواعاً من نُظم الحكم قبل العهد السَّعودي الأول وبعده، فذاقوا الأمَرَّيْن، لذا لم يتردَّدوا في نصرة الحق، والالتفات حول راية

(١) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/١٢٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١/١٢٩).

(٣) يُنظر: المصدر السابق (٢/٨).

التوحيد التي رفعها الإمام تركي، فمشوا تحتها لما توحي به من الثقة والاطمئنان على النفس والأهل والمال)[1].

أمَّا في عهد الدَّولة السَّعوديَّة الثَّالثة فقد استمر فيه التمسك بالمنهج السَّلفي ونصرة قضاياه منذ نشأتها إلى يومنا هذا، يتضح ذلك لكل من عايش هذه الدَّولة، ورأى ببصره ما يجري على أرضها.

يقول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود: (هذه عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- الذي أظهر الله به الدِّين بعدما وهنتْ أركانه بين العالمين في مراسلاته ومناصحاته ودعوته الخلق إلى دين الله ورسوله) [2].

ثُمَّ وضَّح مضمون منهجه السَّلفي لكافة الحجاج في عام (١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م) في خطابٍ سياسيٍّ قائلاً: (أمَّا العبادة فلا تُصرف إلاَّ لله وحده، لا لِمَلكٍ مقربٍ، ولا نَبيٍّ مرسلٍ، ولا تخفى عليكم الآية الكريْمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [3]. ومعنى "يَعْبُدُوْنِ": يوحدون، فالتوحيد خاصٌ بالله تعالى، والعبادة لا تُصْرَفُ إلى لله، والرجاء والخوف

---

(١) ينظر: في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، للدكتور سليمان الحقيل، ص(١٩- ٢٠)، وتاريخ الدولة السعودية، للدكتورة مديحة درويش، ص(٥٨).

(٢) الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة، لعبد الرحمن بن قاسم (٣٠٥/٧)، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

(٣) سورة الذاريات، آية رقم (٥٦).

والأمل كله بالله ولله، ومَا بُعِثَ محمدٌ ولا أرسل الرُّسُلُ ولا جاهد المجاهدون إلاَّ لتوحيد الله تعالى) [1].

وقال مرةً: (أنا داعيةٌ إلى عقيدة السَّلف الصَّالح) [2].

وقال أيضاً: (كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله، إنِّي والله وبالله أقدِّمُ دَمي ودم أولادي، وكلّ آل سعودٍ فداءً لهذه الكلمة، لا أضنُّ بِها) [3].

وقال أيضاً: (عقيدتنا هي عقيدة السَّلف الصَّالح التي جاءتْ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السَّلف الصَّالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبِي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا.. هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدةٌ مبنيَّةٌ على توحيد الله عزَّ وجلَّ خالصةً من كل شائبةٍ، ومُنَزَّهةً من كلِّ بدعةٍ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مِمَّا نحن فيه من مِحَنٍ ومَصَائبَ) [4].

وهكذا ظلَّ الوعي بالمنهج السَّلفي حاضراً في أذهانِ الولاة السَّعوديِّيْنَ خلفاً عن سلفٍ، لهذا نجد الملك فيصل بن عبد العزيز –رحمه الله- يُؤكِّدُ

---

(١) يُنظر: جريدة أم القرى، العدد [٩٨٩] بتاريخ (١٣٦٤/١٢/٦هـ).

(٢) ينظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، لخير الدين الزركلي، ص(٢١٦)، الطبعة الثامنة (١٩٩٦م).

(٣) ينظر: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، لمحمد الشثري (٦٥/١)، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

(٤) ينظر: جريدة أم القرى، ذي الحجة، سنة (١٣٤٧هـ)، والوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص(٢١٧).

مسئوليّته الكاملة تُجَاهَ هذا الدِّين في خطابٍ سياسيٍّ فيقول: (إنَّنا في هذا البلد الشَّريف نُعاهد أنفسنا على أن نكون – بحول الله وقوته- خُدَّاماً لشريعة الله، داعين إلى الله، مُتعاونين مع كل إخواننا المسلمين في أقطار الأرض لما فيه من نصرة هذا الدِّين، وتحكيم شرع الله، وخدمة شعوبنا، بل وفي نشر العدالة في العالم أجمع.

إنَّ الدَّعوة الإسلاميَّة حيثما انبثقتْ من هذه الأماكن، وشَعَّ نورُها على جميع أقطار الأرض، كانتْ دعوةَ خيرٍ تدعو إلى السِّلْمِ، وتدعو إلى الحق، وتدعو إلى العَدْل، وتدعو إلى الْمُسَاوَاة، وهذا ما تُحقِّقُه شريعتُنَا الغراءُ، وهذا ما يجب علينا أن نتأسَّى به ونتمسَّكَ به).

ويقول أيضاً: (نَحنُ ماضون –بحول الله وقوته- في سبيله، ولن يُثنِيَنا عن هذا الدِّين وعن هذه الدَّعوة، لا قوة ولا عمل، فالذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى أن يثبت أقدام المسلمين، وأن يؤيدَهم بنصرٍ من عنده، وأن يوفقهم لاتباع كتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلَّم، وأن يهدي من زاغ أو ضلَّ أو اشتبه.

ديننا الإسلامي يُغنينا عن أي مبادئ أو شعاراتٍ أو تظاهراتٍ لا تتوافق مع عقيدتنا الإسلاميَّة، وتشريعنا الإسلامي يحتوي على كل ما يُسْعِدُ البشر، سواء في الْمَجَالات أو المبادئ الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والأخلاقيَّة والأمن والاستقرار) (١).

---

(١)ينظر: http://www.asmarna.org/al_moltaqa بتاريخ (١/٣/١٤٣١هـ- ١٥/٢/٢٠١٠م).

وقال في رحلته للتضامن الإسلامي مع دول أفريقيا: (أيُّها الإخوة! إنَّ ديننا الإسلاميَّ يُفرض علينا أن نتَّحِدَ فيما بيننا، ونُوحِّدَ كلمتَنَا وجُهُودَنا وأعمالَنَا لِما فيه خدمة ديننا وأمتنا ووطننا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[1]. وكما قال محمدٌ عليه الصَّلاة والسَّلام: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِيْ تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى))[2].

ولا شكَّ أنَّ الجهود التي بذلَها فخامةُ الرَّئيس – يقصد عيد أمين دادَا رئيس أوغندا وقتئذٍ[3]- في توحيد المسلمين في هذه البلاد الشقيقة، وجمع كلمتهم، وإزالة كل الخلافات بينهم والتفرقة، لَهُوَ من أعظم الجهود التي يجب علينا جميعاً أن نشكرها لفخامتكم، وإنَّني لأرجو أن تُتَّخَذَ هذه الخطة كمثلٍ أعلى في جميع البلاد الإسلاميَّة بتوحيد كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، وتوحيد أهدافهم ونواياهم إن شاء الله.

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٣).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري بنحوه برقم [٦٠١١] باب رحمة الناس والبهائم، كتاب الأدب، ص(١١٦٤)، وصحيح مسلم بلفظه برقم [٢٥٨٦] باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، كتاب البر والصلة والآداب، ص(١٠٤١).

(٣) أحد رؤساء دولة أوغندا، كان غيوراً على الإسلام، شغوفاً لمصلحة بلاده، حكمَ ما بين عام (١٩٧١- ١٩٧٩م)، وأكسب بلاده عضوية منظمة المؤتمر الإسلامي، كَما أُقرَّ في عهده بإنشاء الجامعة الإسلاميَّة في أوغندا، توفي -رحمه الله- بجدة يوم السَّبت (١٩/٦/١٤٢٤هـ- ١٧/٨/٢٠٠٣م) ودُفِنَ بمكة المكرمة. ينظر: (www.monitor.co.ug- front page).

ولا شكَّ أنَّ توحيد كلمة المسلمين وتضامنهم فيما بينهم، ليس المقصود أن يعتدوا على غيرهم، ولكنهم على أتَمِّ الاستعداد للتعاون مع كل مَنْ يُؤمن بالله.

ولا شك أنَّ الإسلام يُمثل كل المبادئ والغايات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على عباده، على لسان جميع الرسل؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى وَصَفَ نبيه إبراهيم بأنه حنيفاً مسلماً.

ولا شكَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى عندما قَدَّرَ أن يَخْتَتِمَ الأنبياء بَعَثَ بالنبي محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه، وأنزل كتابه الذي احتوى على جميع المبادئ التي توحد الإيْمَان بالله سبحانه وتعالى، وعبادة الله والاعتراف بِما له سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين.

ولا شكَّ أنَّ كل مَنْ يعتنقُ الدِّينَ الإسلامي فهو يعتنق جميع الأديان التي أرسلها الله سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [1]) [2].

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز –رحمه الله– أكَّد صلة دولته بالمنهج السَّلَفي فقال: (إنَّ الرسالة الإسلاميَّة هي أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نتبع ما أنزله على رسوله الكريم في كتابه الذي لا

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٨٥).

(٢) ينظر: زيارة الملك فيصل لأفريقيا، إعداد مروة مصطفى الصائغ، ص(١٧- ١٨)، بدون دار النشر.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن نسير على هدي سنة نبيه الأمين صلوات الله وسلامه عليه. هذه الرسالة السَّماويَّة جاءتْ تصحيحاً لمسار الإنسانيَّة إلى ما فيه صلاح أمرها، كما أنَّها تحض المؤمنين على التعاون والتضامن وإنكار الذات ونبذ الخلافات، وحثهم على توحيد الكلمة، وضم الصُّفُوف في تَماسكٍ وتعاضدٍ)[1].

هذه مقتطفاتٌ من كلامهم الدالة على قوة صلتهم وتَمسُّكهم بالمنهج السَّلفي، واستعدادهم الكامل لنصرته، والدفاع عنه، وتحمل كافة تبعاته.

---

(١) ينظر: كلمات منتقاة من خُطب خادم الحرمين الشريفين، إعداد عبد الرحمن الرويشد (١/٦٦)، دار الشبل (١٤١٦هـ) الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة.

المبحث الثالث: تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علماً وعملاً

تَبَنَّتْ المملكة العربية السعودية المنهج السَّلفي في حياتِها ونَهضتها، والتزامها بِمبادئه العقديَّة، وتَمثلها لأحكامه العمليَّة في جوانب الحياة ومختلف العلاقات [1].

هذه الدولةُ تبنَّت الإسلام مُنذ نشأتها وجعلته منهج حكمها ورسالتها الدَّعويَّة، وقام على هذا التبنِّي تطبيقها للشريعة في نظمها المختلفة بالداخل، وفي ظل متغيراتٍ وظروفٍ دوليَّةٍ وحضاريةٍ معاكسةٍ [2].

وقد كان هذا التطبيق نابعاً من إيْمانٍ مُشتركٍ بين القيادة والشَّعب والحاكم والأمة بأنَّ الإسلام – فكراً وعملاً- هو الحاكم لهذا المجتمع المسلم إذ أنَّ أصالته وتَماسُكه ونُهُوضه الحضاري مُرتبطٌ به.

وكان لتطبيق هذا المنهج عناصر عمليَّةٌ تَميزَتْ بِها السَّعودية على ما سواها من الدول، منها:

١- النظام الأساس للحكم:

وقد جاء مُمَيَّزاً في نوعه وشكله، وقد تفرَّدٌ بإسلاميَّته عقيدةً وشريعةً، ولهذا أُثِرَ عن الملك عبد العزيز قوله: (عليَّ جعل الحكم في هذه الدِّيار بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يد طائلة عليكم اليوم، فكتاب الله فوق الجميع) [3].

---

(١) ينظر: تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعوديَّة وآثاره في الحياة، للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ص(١١١).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص(١١٨- ١١٩).

(٣) ينظر: من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك (١٢٢/٣)، الطبعة الأولى (١٣٩٨م).

وهذا النظامُ حَدَّدَ طبيعةَ الدولة ومقاصدها ومسئولياتها، ووَضَّحَ العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأنَّها تقوم على أساس الأخوة والتناصح والتعاون، فالكل سواسيةٌ أمام شرع الله، والكل سواسيةٌ في حب هذه الدَّولة والحرص على سلامتها ووحدتِها وعزتِها ونَهضتها [1].

٢- مجلس الشورى:

يعد الشورى من قواعد الشريعة الإسلاميَّة وعزائم الأحكام، وهو ألفةٌ للجماعة، ومِسبارٌ للعقول، وسببٌ إلى الصَّواب، وما تشاور قومٌ قطُّ إلاَّ هُدُوْا، ولهذا أمر الملك عبد العزيز -رحمه الله- في سنة (١٣٤٣هـ-١٩٢٤م) بتشكيل مجلس الشورى موضحاً لشكله ومضمونه فقال: (بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة ولكن كثيراً من تلك المجالس تكون وهميَّةً أكثر منها حقيقيَّةً، تشكل ليقال: إنَّ هناك مجالس وهيئات، ويكون العمل بيد شخصٍ واحدٍ ويُنسب للمجموع، أمَّا أنا فلا أريد هذا المجلس أشكالاً وهميَّةً، وإنَّما أريد شكلاً حقيقياً يجتمع فيه رجالٌ حقيقيون، يعملون جهدهم في تحرِّيْ المصلحة العامة، لا أريد أوهاماً، وإنَّما أريد حقائق) [2].

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله- جدَّدَ هذا الْمجلس، وقال: (عملاً بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) ينظر: تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، ص(١٩٣).

(٢) ينظر: البلاد العربية السعودية، لفؤاد حمزة، ص(٩٩)، طبعة (١٣٨٨هـ)، الرياض، وتطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، ص(٢٠٥).

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]. وقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[2]. واقتداءً برسوله صلى الله عليه وسلم في مشاورة أصحابه، وحث الأمة على التشاور، ينشأ مجلس الشورى ويُمارس المهام المنوطة به وفقاً لهذا النظام والنظام الأساسي للحكم، ملتزماً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم محافظاً على روابط الأخوَّة والتعاون على البر والتقوى) [3].

ولم يتوقف الأمر على هذا فحسب، بل مارس الحكام السَّعوديُّون الشورى بأنفسهم، وخصَّصُوْا يوماً في الأسبوع لمداولة شئون الدَّولة الداخليَّة والخارجيَّة في "مجلس الوزراء" و"مجلس الشورى"، وهذا الأمر يتوارثه هؤلاء الحكام خلفاً عن سلفٍ، حتى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الحالي –وفقه الله- من أحرص الناس على التمسك بالشورى والعمل بِمقتضاه.

٣- نظام القضاء:

القضاء ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ؛ لأنَّ الانحراف عن الحق والعدل، والتحايل على حقوق الآخرين، والتفريط في أداء الأمانات إلى أهلها، ظاهرةٌ متكررةٌ في المجتمعات البشريَّة رغم كثرة الوسائل الإصلاحيَّة والتوجيهيَّة التي تقيها

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٥٩).

(٢) سورة الشورى، آية رقم (٣٨).

(٣) ينظر: تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، ص(٢٠٧) نقلاً عن أنظمة الحكم والشورى والمناطق، ص(٢١).

منها، وتجعلها في حصنٍ منيعٍ من معاولها ؛ لأنَّ هذه الوسائل – مهما كانتْ صالحة وقويَّة- ليستْ كافيةً لاستئصال شأفة الانحراف، وقطع دابر الفساد، ما دامت الأهواء والشهوات كامنةً في النفوس ومُسيطرةً على بعض القلوب والأفئدة، لكنه بمقدور القضاء –كوسيلةٍ شرعيَّةٍ- أن يَحُدَّ من الفساد والإجرام، ويضع الخناق على مَسَاره، ويَمنع مَنْ رفع رأسه عالياً في المجتمع[1].

ولهذا فإنَّ القضاء الشرعي من أبرز مجالات التطبيق للشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربيَّة السعوديَّة، حتى إنَّ ذهن المشاهد والمراقب ينصرف إليه تلقائيّاً حينما يُقال عن تطبيق هذه الدَّولة للشريعة الإسلاميَّة، ولهذا صدرتْ عدة قراراتٍ لتحديد شكل المحاكم وتوضيح أنواع القضايا التي تختص بها[2].

٤- نظام التعليم:

دعمت الدَّولة السعودية في القديم العلومَ المبنَّيَةَ على تعاليم الكتاب والسنة، باعتبارها حاكمةً على كل تراثٍ قديمٍ ومستحدثٍ، وأنشأتْ مؤخراً نظام التعليم القائم على المنهج السَّلفي المرتبط بالموازنة بين المصالح الشرعيَّة والمطالب الإنسانيَّة، وظهرتْ مؤسساتٌ علميَّةٌ رائعةٌ من أبرزها وزارة التعليم العالي التي تضم الجامعات كلها بالمملكة، والأكاديْمِيَّات العلميَّة في مختلف المجالات.

---

(١) ينظر: واقعية التشريع الإسلامي وآثارها، إعداد زياد صالح لوبانغا (٣٨٥/٢)، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة.

(٢) ينظر: الأصالة والمعاصرة، المعادلة السعوديَّة، لفؤاد فارسي، ص(٥٩)، دار الأصفهانِيْ، جدة- المملكة العربية السعويَّة.

٥- الدعوة إلى الله تعالى:

وتشمل دعوة الكفار ليعتنقوا الإسلام، وإرشاد المسلمين ليتمسَّكوا به، فيأتَمروا بأوامره ويجتنبوا نواهيه. وهذه وظيفة الرُّسل كافة ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [1]. وفي الحديث: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ)) [2].

ولما كانت السَّعودية تنطلق من أساسٍ إسلامي، وتشعر بالمسئولية نحو نفسها وأهلها، وتجاه العالم من حولها، حشدتْ جهودها نحو الدَّعوة إلى الله تعالى، وذلك عبر المؤسسات الرائدة في هذا المجال، مثل:

- وزارة الشئون الإسلاميَّة والأوقاف والدَّعوة والإرشاد التي تضطلع بمهمة الدَّعوة بمعناها الواسع، وتنشر علم السَّلف الصَّالح، وتُعنى بالأوقاف لِتَمسحَ بِها دُموعَ الفقراء والمساكين، وتَضَعَ عنهم الإصر والأغلال، وتقطعَ عنهم مَضرة الجوع والعطش داخل المملكة وخارجها [3].

---

(١) سورة يوسف، آية رقم (١٠٨).

(٢) صحيح مسلم برقم [٧٨] باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.. كتاب الإيمان، ص(٥١)، وسنن أبِيْ داود برقم [١١٤٠] باب الخطبة يوم العيد، كتاب الصلاة، ص(١٨٠).

(٣) يُنظر: تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، ص(٢٨٥).

- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تحملتْ المهمة الكبرى التي بعث الله بِها رُسُلَه وأنبياءَه، فإذا طُوِيَ بِساطُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأُهْمِلَ جَانبُهُ، اضمحلت الدِّيانة، واستشرى الفسادُ في الأرض، وخربت البلاد رغم طُول عُمرانِها، وهلك العباد في جانِبِهم المادي والمعنوي [١].
- رابطة العالم الإسلامي التي أخذتْ على عاتِقِها تبليغ الدَّعوة الإسلاميَّة الصَّحيحة حول العالم، والدِّفاع عن قضايا المسلمين، والحفاظ على هويَّتهم، وخدمة القضايا الإنسانيَّة المختلفة [٢].
- الندوة العالميَّة للشباب الإسلامي، التي تَرمي إلى ترشيد صحوة الشباب، وتَحصِيْنِهم من الغزو الفكري، وتشغيل طاقاتِهم لصالح أنفسهم ومجتمعاتِهم [٣].

---

(١) يُنظر: المصدر السابق، ص(٢٦٦).

(٢) يُنظر: المنظمات الدوليَّة الإسلاميَّة والتنظيم الدولي، للدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، ص(٣٦١- ٣٧٥).

(٣) يُنظر: المصدر السابق، ص(٤٠٥- ٤١٣).

المبحث الرابع

حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وصلتها بالدولة السعوديَّة

قبل الحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يجدر بنا الحديث عن صاحب هذه الدَّعوة، وباني هذه النهضة العلميَّة الحديثة التي نَعِمَ بِها القاصي والدانِيْ، وسارة بِها الركبانُ في الأمصار، وذلك من باب الوفاء بحقه، وتجلية أمره للمقتدين، وإقامة الحجة على المغرضين، فرغم شهرة الشيخ، وذُيوع صيته في الأمصار والأعصار، لكن لا تخل طائفةٌ من الناس تجهل أمره، وتغفل عن سلامة قصده وصحة توجهه، ووضوح مذهبه، في حين نجد طائفةً أخرى نذرتْ نفسها، وسخرتْ قلمها، لتنَكُّرِ فَضله، وتلبيس حقائقه على الناس، فكان لزاماً على كل مَنْ يتصَدَّى للحديث عنه، أن يُجَلِّيَ أمره بِما لا يسع للقارئ جهله.

ولهذا سأقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب

المطلب الثانِيْ: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المطلب الثالث: صلة دعوة الشيخ بالدولة السعوديَّة.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب

ثَمة كتبٌ مطولةٌ، وبحوثٌ مسهبةٌ عن الشيخ المراد تعريفه، لكنني ألخصه في الأسطر التالية:

فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف التميمي، النجدي، الإمام المجدد.

وُلِدَ ببلدة "العُيَيْنَة" من قرى اليمامة، شمال غرب الرياض عام (١١١٥هـ- ١٧١٣م) (١). وتَرَبَّى في بيت علمٍ وفضلٍ، وحفظ القرآن الكريم قبل بلوغه سن الرشد، ثُمَّ درس الفقه والحديث والتوحيد على يد والده، وجماعةٍ من علماء نجدٍ، وكان قوي الذاكرة، شغوفاً بالعلم ومُدَارسته، طموحاً إلى التحصيل المعرفي (٢).

ولما كان المناخ العلمي بعيينة بعيداً عن إشباع رغبته عزم على البحث عن ضالته في أماكن أخرى، فرحل رحلتين علميتين هما:

---

(١) يُنظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (٤/٤٤٥- ٤٤٨)، والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص(١٨)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، ص(٢٣)، وتأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص(٢٠، ٩).

(٢) يُنظر: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام، لحسين بن غنام (١/٢٥)، طُبع سنة (١٣٦٨هـ) بالقاهرة، بدون دار نشر. والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٢٦)، والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، ص(٢٢).

- رحلته إلى الحجاز (مكة والمدينة)، حيث تَوجَّه إلى مكة ولبث بها بضع سنين، وانتهى به المطاف إلى المدينة المنورة لكثرة علمائها، فلازم الشيخ عبد الله بن سيف البخاري، ومحمد حياة السندي اللَّذَيْنِ علَّماه الفقه والحديث، ومحاربة البدع والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد[1].

- رحلته إلى البصرة بالعراق، حيث ازداد علماً وتعمقاً في الفقه والحديث واللّغة على أشهر شيوخها، كالشيخ محمد الْمجموعي، وغيره[2]. وكان من تخطيطه أن يتوجَّه إلى بغداد والشام لنيل العلم عن فحول علمائها، لكن حال دون ذلك أمران:

● قلة زاده، إذْ كان من عادته التعفف وعدم الاعتماد على ما في يد [illegible]

● [illegible]

---

(١) ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٣١- ٣٢)، وتأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(١٠).

(٢) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر (٢١/١)، طبعة (١٣٩١هـ)، وزارة المعارف السعوديَة، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٣٤)، والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، ص(٢٢).

(٣) ينظر: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، لأمين سعيد، ص(١٩)، طبعة (١٣٩٥هـ)، دار الملك عبد العزيز، وتأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(١٠- ١١).

عزل والده من منصب القضاء بـ"عُيَيْنَةَ" ، وهناك ألف كتابه الشهير بـ"كتاب التوحيد" [١].

ثُمَّ عاد إلى "عُيينة" ، حين مَزَّق الخلافُ السياسي "حُرِيْمِلاَء" وأنْهَكَها تنافس الأمراء على السُّلطة وتَهافتهم عليها، وقد رحَّبَ بِها أميرها عثمان بن محمد بن معمر، وأمر مواطنيه بالانصياع لدعوته، والاتعاظ بمواعظه ونصائحه، وازدادتْ علاقته به حين تزوَّجَ ببنت عمه جوهرة بنت عبد الله بن معمر، مِمَّا سَهَّلَ أمره للدعوة والتعليم[٢].

وَلَمَّا وقع أمير بلدة "عُيَيْنَة" تحت ضغط وتأثير المعارضين لمنهج الشَّيخ، المناوئين لدعوته، تراجع عن دعمه ومُساندته ونصرة مذهبه، فاعتذر له بعدم قدرته على حمايته والدفاع عنه، وسأله أن يُغادر "عُيَيْنَةَ" إلى بلدةٍ أخرى أكثر أمناً وأشدُّ تحمساً لدعوته[٣]، فانتقل الشيخ من "عُيَيْنَة" سنة (١١٥٧هـ-١٧٤٤م) متوجهاً إلى "الدِّرعِية"، فكانت أنسب مكانٍ له؛ لأنَّ بلدة "الدرعية" كانتْ قوتُها السِّياسيَّة آخذةً في الازدياد، ولأنَّ أمراءَهَا وقادَتَها كانوا قد اعتنقوا مذهبه وعلى رأسهم الإمام محمد ابن سعود وابنه الأمير عبد العزيز بن سعود وأخواه ثنيان بن سعود، ومشاري بن سعود –رحمهم الله تعالى[٤].

---

(١) ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٣٩- ٤٢).

(٢) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/٢٢)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٤٣).

(٣) ينظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، ص(٣٠- ٣١).

(٤) ينظر: روضة الأفكار، لابن غنام (١/٣١، ٢٢٢)، وعنوان المجد في تاريخ نجد (١/٣٢)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٥٣).

رحَّبَ الأمير محمد بن سعود بنَزِيْله الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووعده بالحماية والنصر والتمكين، معلناً بذلك تحالفه معه تحالفاً شفهيّاً اقتضاه الموقف، وكان مضمون التحالف ما يلي:

- أن ينصر الأمير محمد بن سعود الشيخَ محمد بن عبد الوهاب، ويحتضن دعوته، ويُجاهد معه ضدَّ من خالف التوحيد الخالص.
- ألاَّ يرحل الشيخُ محمد بن عبد الوهاب عن الدرعية مهما اختلف الظروف، ويتحول عنها إلى بلدةٍ أخرى[١].
- أن يُقِرَّ الشيخُ الأمير على ما اعتاد أن يأخذه من أهل الدرعية وقت جني الثِّمار[٢].

وهكذا تحالف الأميرُ محمدُ بن سعود والشيخُ محمد بن عبد الوهاب تحالفاً شفهياً، إذْ لو كان نصاً مدوناً لأصبح وثيقةً تاريخيَّةً مهمةً من وثائق التاريخ الإسلامي الحديث[٣]. وعلى العموم فقد أصبح هذا التحالف الأساس الذي قامتْ عليه الدولة السَّعوديَّة الأولى، وتَمسكتْ به الدَّولة السَّعودية الثانية، وأكَّدته الدَّولة الثالثة، فصارت القيادة السِّياسية لأسرة آل سعودٍ، والزَّعامة الدينيَّةُ لأسرة آل الشيخ، لِما تَميَّز به آل سعودٍ من الحنكة في السِّياسة، والنجاح في رئاسة الناس وتصريف شئونهم المعاشيَّة، كما أنَّ آل الشيخ

(١) ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠/٤٧١- ٤٧٢).

(٢) يُنظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/٢٥)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٥٥).

(٣) ينظر: المصدر السابق، الجز والصفحة نفسها.

تَميَّزوا بالكفاءة العلميَّة، والمقدرة الثقافيَّة في توجيه الناس، وإيرادهم مَوَارد الخير والسَّعادة في الدنيا والآخرة [1].

ولقد خلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمته الإسلاميَّة تراثاً علمياً قيمةً، ورسائل دعويةً فذَّةً لمن جاء بعده، منها:

- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو من أعظم ما ألَّفه في بيان حقيقة التوحيد والعبادة وما يُنافيهما مع الاستدلال بالكتاب والسنة.
- كشف الشبهات، ويقصد بها الشبهات التي أُثيرتْ حول توحيد العبادة، فردَّ الشيخ عليها من خلال نصوص الكتاب والسنة الصحيحة.
- الأصول الثلاثة، وهي التي يجب على المرء المسلم تعلمها ولا يسعه الجهل بها، وهي: معرفة الله تعالى الخالق، ومعرفة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دينه الإسلام.
- القواعد الأربعة، وهي التي قرر بها الشيخ توحيد العبادة، وأنه لا يتم إلا بنفي الشرك.
- أصول الإيمان، الذي اشتمل على اثني عشر أصلاً، نحو معرفة الله والإيمان به، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والتحذير من البدع.

---

(١) ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٥٥- ٥٦).

- كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، وقد بين فيه نواقض التوحيد، مؤيداً كلامه بأقوال أهل العلم ومحققيه، كابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما.
- الرسائل، وكانتْ كثيرةً، منها ما كانتْ عامةً لكل الناس، ومنها ما كانتْ خاصةً لعددٍ قليلٍ منهم، مثل: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسائل الجاهليَّة التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهليَّة من الكتابيين والأميين، وتلقين أصول العقيدة للعامة، وتفسير كلمة التوحيد، ونواقض الإسلام، ومعنى الطاغوت ورؤوس أنواعه، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ورسالةٌ إلى عالم من أهل المدينة، وغير ذلك [(١)].

تُوُفي –رحمه الله– في نِهاية شهر شوال سنة (١٢٠٦هـ- ١٧٩١م) في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وكان عمره قد تجاوز (٩٠) تسعين عاماً، قضاها في سبيل الله، والدعوة إليه، وتطهير البلاد من مظاهر الشرك، وتنقية النفوس من شوائبه، فرحم الله الشيخَ محمد بن عبد الوهاب رحمةً واسعةً، وجزاه عن كل ما قدَّمَ لأمته خير الجزاء [(٢)].

---

(١) ينظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(٤٧- ٦٦)، نقلاً عن مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب.

(٢) ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي (٤/٤٤٨)، وتأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(٢٣)، والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، ص(٤٢).

المطلب الثانِي: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- مبنيةً على عقيدة السَّلف الصَّالح المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسانٍ من أهل السُّنة والجماعة، وهذه العقيدة هي التي بيَّنها الشيخ في "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" ولَخَّصَها في رسائله المختلفة التي أرسلها إلى الولاة والأمراء والعلماء وعموم المسلمين في مختلف الأمصار[1].

قال محمد بن الحسن الثعالبي في وصف عقيدته: (عقيدته: السُّنة الخالصة على مذهب السَّلف المتمسكين بِمحض القرآن، لا يخوض في التأويل والفلسفة، ولا يدخلهما في عقيدته.

وفي الفروع: مذهبه حنبلي غير جامدٍ على تقليد الإمام أحمد، ولا من دونه، بل إذا وجد دليلاً أخذ به، وترك أقوال المذهب، فهو مستقلٌّ الفكر في العقيدة والفروع معاً)[2].

وبَيَّنَ الشيخُ نفسه حقيقة دعوته، ولَخَّصَها في رسالته إلى أهل القصيم فقال: (أُشْهِدُ الله ومَنْ حَضَرَنِيْ من الملائكة، وأُشْهِدُكُمْ أَنِّيْ أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية؛ أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بِما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، بل أعتقد أنَّ الله

---

(١) ينظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(٣٩).

(٢) الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي (٤٤٦/٤٤).

سبحانه وتعالى ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، فلا أنفِيْ عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيِّفُ، ولا أمثِّلُ صفاته -تعالى- بصفات خلقه؛ لأنَّه تعالى لا سُمِّيَ له، ولا كُفْؤَ له، ولا نِدَّ له، ولا يُقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، فنَزَّه نفسه عَمَّا وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعمَّا نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وأعتقد أن القرآن كلام الله، مُنَزَّلٌ غير مخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقةً، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيءٌ إلا بإرادته، ولا يخرج شيءٌ عن مشيئته، وليس شيءٌ في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحدٍ عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللَّوح المحفوظ.

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مِمَّا يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر، ونعيمه وعذابه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً عُرلاً، تَدْنُو منهم الشمسُ وتُنْصبُ الموازينُ، وتُوزَنُ بِها أعمالُ العباد، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة الصافات، الآيات (١٨٠- ١٨٢)

الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[1] وتُنشَرُ الدَّوَاوينُ، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله.

وأومن بحوض نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللَّبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السَّماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً، وأومن بأن الصراط منصوبٌ على شفير جهنَّم، يَمر به الناس على قدر أعمالهم.

وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافعٍ، وأول مشفعٍ... ولكنها لا تكون إلاَّ من بعد الإذن من الله والرضى.

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنَّهما اليوم موجودتان، وأنَّهما لا تفنيان، وأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يُضامون في رؤيته.

وأومن بأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيْمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوَّته.

وأعتقد أنَّ الإيمان قولٌ باللِّسان، وعملٌ بالأركان، واعتقادٌ بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[2].

هذه عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه القائم على الكتاب والسنة، وعقيدة السَّلف الصالح، الذين كانتْ سيرتُهم وحياتُهم خير تطبيقٍ للقرآن والسنة، وكانوا بعيدين عن التكلف والتأويل الباطل.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان (١٠٢- ١٠٣).

(٢) ينظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(٣٩- ٤١) نقلاً عن "مؤلفات الشيخ- القسم الخامس- الرسائل الشخصيَّة، ص(٨- ١١)".

فإنَّه كان يدعو إلى ما دَعا إليه السَّلَف الصَّالح من لدن الصحابة والتابعين ومَنْ سار على نَهجهم مِمَّنْ تَمسَّك بالكتاب والسنة، من أمثال أبِي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، ومَنْ جاء بعدهم من الأئمة المجاهدين، والعلماء المحققين، والفقهاء العاملين.

المطلب الثالث: صلة دعوته بالدولة السعوديَّة

إنَّ صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدَّولة السَّعوديَّة كانت قويةً للغاية، ومَتينةً لا يُزَعزعها أحدٌ، ولا يقطعها أي سلطانٍ.

وترجع هذه الصِّلة في قبول عددٍ كبيرٍ من الشَّخصيات المهمة في بلدة "الدرعية" لدعوة الشيخ، مثل آل سُويلم الذين نَزَل فيهم الشيخ بعد انتقاله من "عُيَيْنَة" إلى "الدرعية" وكذلك أمير "الدِّرعية" محمد بن سعود وابنه عبد العزيز، وأخواه ثنيان ومشاري ابنا سعود(١).

هؤلاء جميعاً استقبلوا الشيخ استقبالاً طيباً، وأبدوا له غاية الإكرام والتقدير والاحترام، وألقى الله تعالى في قلوبهم مَحَبَّته، وأخبروه أنَّهم سيَمنعونه بِما يَمنعون به نساءهم وأولادهم.

ولَمَّا أدرك الأمير محمد بن سعود بثاقب بصره وصفاء بصيرته صحة ما يدعو إليه الشيخُ من نصرة دين الله العظيم، والدفاع عن جناب التوحيد، وإصلاح المعتقد والعبادة والتصرف، قام بنصرته، وسَنَّ سنةً حسنةً لنفسه وأبنائه، وهي نصرة الدعوة الصحيحة، وإكرام علماء السنة، ودعاة الإصلاح وتطبيق الأحكام الشرعيَّة.

ولَمَّا يُويع ابنه عبد العزيز بن محمد إماماً عقب وفاته سنة (١١٧٩هـ-١٧٦٥م) كانتْ له مكانةٌ عظيمةٌ من أثر دعوة الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب،

---

(١) ينظر: روضة الأفكار (٣١/١)، والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، ص(٣٢)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ص(٥٣).

فهو منذُ نعومة أظفاره كان يهتمُّ بعلمه، ويشرح صدره لكُتُبه، وطلب منه مرةً أن يفسر له سورة الفاتحة عندما ناهز الاحتلام (١).

وفي سنة (١١٨٥هـ - ١٧٧١م) أرسل الإمام عبد العزيز – بإشارةٍ من الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الشيخَ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى شريف مكة أحمد بن سعيد الشريف لشرح العقيدة الصحيحة، وبيان حقيقة الدعوة التي يَدعو إليها ابن عبد الوهاب في العقيدة والتصور، وفي العبادة والسلوك، وفي الحكم والتشريع، وذلك بناءً على طلب شريف مكة(٢).

وفي سنة (١٢١١هـ - ١٧٩٦م) أرسل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعودٍ جماعةً من العلماء المشهورين بحسن المناظرة بالحجج والبراهين، وعلى رأسهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر إلى شريف مكة غالب بن مساعد، ليشرحوا له العقيدة الصحيحة وما يضادها من الشرك والبدع وبناء القباب على القبور ونحوها (٣).

ولَمَّا قامت الدَّولة السَّعوديَّة الثانية سار أئمتها على النهج السَّلفي الذي أسسه الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب في نصرة دين الله، وبيان العقيدة الصحيحة للناس، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وإقامة الجهاد على أعداء الدعوة وتأمين ثغور البلاد.

ولَمَّا هيَّأ الله تعالى قيام الدَّولة السَّعوديَّة الثالثة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعودٍ، أخذ على عاتقه نصرة الدعوة السَّلفيَّة، وإقامة

---

(١) ينظر: روضة الأفكار (١/٤٨٣).

(٢) يُنظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/٥٨ - ٥٩).

(٣) يُنظر: روضة الأفكار (١/١٩٧ - ١٩٨).

الدولة الإسلاميَّة التي دستورها الكتاب والسنة ، فعادت للدعوة السَّلفيَّة قوتُها ومكانتها ، وسار على نَهجه أبناؤه الملوك سعودٌ ، وفيصلُ ، وخالدٌ ، وفهدٌ ، وعبد الله آل سعودٍ إلى يومنا هذا ، نسأل الله جلتْ قدرتُه لهم الثبات والتوفيق ، والنصرة والتأييد ، والحماية والتمكين ، وأن يجزيهم جميعاً عن دينه وأهله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

المبحث الخامس: أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني

ثَمة أثرٌ فعَّالٌ للمنهج السَّلفي في انتماء المرء لوطنه، والاعتزاز به، والدفاع عنه، والسَّعي الحثيث لتطويره وتنميته، يُعرف ذلك من خلال ما يُعطيه هذا المنهج من مَفهومٍ واضحٍ للانتماء، وبيانٍ جَلِيٍّ لأنواعه ودرجاته، فكل إنسانٍ على وجه هذه الأرض يَخضع – بلا شك- لأربعة انتماءات على النحو التالي:

١- الانتماءُ الْخِلْقِيْ والتَّكوينِيْ، فالإنسان من حيث مبدأه يَنتمِيْ إلى أصلٍ واحدٍ هو آدم عليه السَّلام، الذي خلقه الله تعالى من تُرابٍ، ثُمَّ جعل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ. وهذا الانتماء هو أوسع الانتماءات وأكثرها عدداً. وقد أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آيةٍ، منها قوله تعالى: ‖ Bا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ا [1]. ويشمل هذا الانتماء جميع النَّاس مؤمنهم وكافرهم، عربَهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، أبيضهم وأسودهم، أوَّلَهم وآخرهم، بحيث لا يُمكن لأحدٍ أن يشذَّ عنه، وهذا الانتماء له من الهيبة والمنزلة والكرامة التي مَنَحها الله للإنسان دُون غيره من الخلائق كما

(١) سورة النساء، آية رقم (١).

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

٢- الانتماء الدِّيْنِيْ والعَقَدي، وهو أن ينتسب المرْءُ لدينٍ معينٍ يختاره لنفسه، وعقيدةٍ يرتضيها بعقله، من غير أن يُكرهه عليها أحدٌ، أو يُجبره على اعتناقها دون رضًى وقناعةٍ منه، كما في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[4]. أي طريقي الخير والشر من الهدى والضلالة، والإيْمان والكفر، والطاعة والمعصية[5].

بل وصف الله سبحانه وتعالى الْمُنْتَمِيْنَ إلى الإسلام بأَنَّهم إخوةٌ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ﴾[6]. وأكَّدَ على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ((الْمُسْلِمُ أَخُوْ الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ،

---

(١) سورة الإسراء، آية رقم (٧٠).

(٢) سورة البقرة، آية رقم (٢٥٦).

(٣) سورة الإنسان، آية رقم (٣).

(٤) سورة البلد، آية رقم (١٠).

(٥) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/٢٥٦)، وفتح القدير للشوكانِيْ (٥/٤٤٤)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص(٩٢٥).

(٦) سورة الحجرات، آية رقم (١٠).

التَّقْوَى هَاهُنَا، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)) [(١)]. وهذا الانتماء الدِّيني يضم أعداداً غفيرةً من الناس من مختلف الأعراق والأجناس واللُّغات، وهو أشرف الانتماءات، وأعلاها مَنْزلةً عند الله تعالى، وأعظمها أثراً؛ لأنَّ ما سواه من الانتماءات تنقطع وتزول بانقطاع الدُّنيا وزوالها، بينما هذا الانتماء الديني يَمتدُّ إلى ما بعد الدنيا، فينفع صاحبه في قبره، ويُبلغه رِضى الله تعالى والفوز بجنانه في آخرته[(٢)]. ولهذا ورد في الحديث القدسي أنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُوْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ((أَيْنَ الْمُتَحَابُّوْنَ بِجَلاَلِيْ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِيْ ظِلِّيْ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّيْ))[(٣)].

٣- الانتماء الوَطَنِيْ [(٤)]، وهو الانتساب إلى بلدٍ من البلدان التي يسكنها جمعٌ غَفيرٌ من الناس، وتُسيطرُ عليهم سُلطةٌ معينةٌ. وهذا الانتماءُ يَضمُّ عدداً أقلَّ من سابقَيْهِ، لكثرة الأوطان الحاضرة وتعددها، وانتزاع كل وطنٍ مجموعةً معينةً من الناس تجمعهم رابطةُ اللَّون

---

(١) صحيح مسلم برقم [٢٥٦٤]، باب تحريم ظلم المسلموخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، كتاب البر والصلة والآداب، ص(١٠٣٥)، وسنن ابن ماجة برقم [٤٢١٣]، باب البغي، كتاب الزهد، ص(٦٨٣).

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٩٢).

(٣) صحيح مسلم برقم [٢٥٦٦] باب في فضل الحب في الله، كتاب البر والصلة والآداب، ص(١٠٣٦) ومسند الإمام أحمد برقم [٨٨٣٢] (١٤/ ٤٢٧).

(٤) الوطن هو مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه، وُلِدَ به أو لم يُولد. ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٢).

واللُّغة، أو صِلَةُ الثقافة والتمدُّن، أو وَشِيْجَةُ الْمنشأ والمولد. وهذا الانتماء مُهمٌّ جدّاً وخصوصاً في العصر الحاضر الذي يجهل فيه الكثير من الناس حقيقته، ولا يُدركون ما للوطن من حقوقٍ وما عليهم من واجباتٍ تجاهه.

والحقيقة التي لا مِرْيَةَ فيها أنَّ النفوسَ جُبلت على حُبِّ أوطانِها، وأنَّ ارتباطها بِها أمرٌ فطريٌّ مُنْذُ أنْ هَبَطَ آدم على الأرض، وأسكن جميع ذريته هذا الوطن الفسيح، بل أصبح الوطنُ جزءاً من الإنسان، يعيش حياته الدنيويَّة على ظهره، ويستقر ميتاً في باطنه، ويُبعث يوم القيامة مِنْ مَكان دَفْنه.

وإذا كان المرءُ مفطوراً على الانتماء إلى الوطن، وترتبط حياته الدنيويَّة به، فإنَّ حبَّه لهذا الوطن، وحنينه إليه غير مخالفٍ لشرع الله القويم؛ لأنَّ الوطنَ مَسقط رأس الإنسان، ومَأوى فؤاده، ومَعْبَرُ آخرته، ومُستودع لحمه وعظمه، فلا يُلامُ عليه أبداً، ولا يُمكن أن تُنْزَعَ منه هذه الفطرة، بل يُعَدُّ من علامة الرشد والتعقل واليقظة أن تكون النفسُ إلى بلدها تواقةً، وإلى وَطَنها مشتاقةً، وإلى رغد العيش الحياة الهانئة مؤملةً.

ومن أعظم نِعَمِ الله على عباده أن مَكَّنهم من العيش في أوطانِهم بأمانٍ وطمأنينةٍ، كما أنَّ من أعظم البلاء وأشدِّها عليهم أن يُفارقوا هذه الأوطَانَ التي تَرَعْرَعوا فيها، ويبتعدوا عن الأهل والأقرباء والزملاء الذين يتقوون بِهم، ويحتمون بجماعتِهم، ولهذا فإنَّ الانتماءَ إلى الوطن، والانتساب إلى الدَّولة ينبغي أن يُغذَّى بالتربية الصَّادقة والتوجيه السَّليم، بحيث يشعر المرء بارتباطه بوطنه، ويعتزُّ بانتسابه لدولته التي وُلِدَ بين أطرافها، ونشأ في أحضانِها، وتغذَّى من خَيْراتِها، وارتَوَى من مِياهِها، وتَنَسَّمَ عبير هَوائها،

واتَّخَذَ من سُهولها ومُرتفعاتِها دَاراً ومُقاماً، فهي في الحقيقة وعاءٌ له، ودِرعٌ واقٍ من كل مَنْ يعتدي عليه من بني جِلدته، أو يُهاجم عليه مَنْ هو خارج رقعتها.

هذا ويُمكن الاستدلال على هذا الانتماء بنصوص الكتاب والسنة على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١]. ففي هذه الآية نَهْيٌ من الله تعالى عن ولاية الكفار، والانتساب إليهم، وإيجابُ الولاية للمسلمين، والانتماء إلى وطنهم، فكل مؤمنٍ مأمورٌ أولاً بولائه لربه الذي خلقه، وثانياً لرسوله الذي أرشده إلى المنهج القويم، وثالثاً لجماعته التي تُطبِّق هذا المنهج على أرض الواقع، وخاصةً إذا تَهيَّأتْ له الظروف، وسنحتْ له الفرصة، وانتفتْ لديه الموانع والحواجز.
- قوله تعالى: ﴿...هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[٢]. وجه الاستشهاد من الآية: أنَّ الله تعالى قضتْ حِكمتُهُ أن يستخلف الإنسان في هذه الأرض الفسيحة ليعمرها على هدًى وبصيرةٍ من الوحي الذي أوحاه إليه، وأن يتمتع بِما فيها من الخيرات والنِّعَم الكثيرة. والعمارة الحقيقية لا تتحقق إلاَّ بِحُبِّ

---

(١) سورة المائدة، الآيات (٥٥- ٥٦).

(٢) سورة هود، آية رقم (٦١).

البلاد التي يعمرها الإنسان، وجلب المصلحة إليها، ودفع المفسدة عنها، والجد في الحفاظ على أمنها واستقرارها، واستغلال خَيراتِها استغلالاً أمثل يُحقق معنى الخلافة بأجلى صورها.

- وعن ابن عبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِوَطَنه مكة أثناء خروجه منها، وهجرته إلى وَطَنِه الثانِي: ((مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِيْ أَخْرَجُوْنِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ))[1]. وفي روايةٍ لأَبِيْ هريرة –رضي الله عنه– مرفوعاً: ((عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُوْنِيْ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ))[2]. الشاهد من هذين الحديثين أَنَّهما دليلٌ على انتماء الإنسان إلى وطنه، وحبِّه له، وحزنه على مفارقته، وخصوصاً إذا كان هذا الوَطَنُ له مكتسباتٌ تاريخيَّةٌ ومعالم ثقافيَّةٌ عظيمةٌ، ولهذا تحركتْ نفس النبي صلى الله عليه وسلم عند الخروج من مكة ما لم تتحرك قبل ذلك[3]. ولولا أَنَّ رسول الله

---

(١) سنن الترمذي برقم [٣٩٢٦] باب في فضل مكة، كتاب المناقب، ص(١٤٧٧) وقال: "حديث حسن صحيح"، وصحيح ابن حبان برقم [٣٧٠٩] (٩/٢٣) وقال شعيب الأرناؤوط: "حديث صحيح"، ومستدرك الحاكم برقم [١٧٨٧] (١/٦٦١)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يُخرجاه"، ومسند أبِيْ يعلى برقم [٢٦٦٢] (٥/٦٩)، وقال حسن سليم أسد: "رجاله رجال الصحيح" ا.هـ.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم [١٨٧١٧] (٣١/١٣) وقال محققوه: "إسناده صحيح على وهمٍ فيه"، وعبد الرزاق في المصنف برقم [٨٨٦٨]، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٦/٣٢)، والسُّهيلي في الروض الأنف (١/٢٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٦١٦).

(٣) يُنظر: الروض الأنف، للسهيلي،

صلى الله عليه وسلم أحسَّ إحساساً فطرياً بانتمائه إلى وَطَنه، وحبِّه له، وحنينه إليه، لَما قال هذا الكلام، الذي لو أدرك المسلم حقيقة معناه في عصرنا الحاضر لأحبَّ وَطَنه حباً صادقاً، وبذل وسعه في الحفاظ على مقدَّساته، والدِّفاع عن مصالحه ومكتسباته.

وعلى ضوء هذه النصوص الشرعيَّة، وفهم السَّلف الصَّالح لها، وتأكيدهم على أنَّ الإنسان مفطورٌ على الانتماء إلى وطنه، كفطرته على الانتماء إلى أصله، واختيار دينه وعقيدته، يجب مَدُّ جسور الإلفة والْمَحَبَّة للوطن ومَنْ فيه مِنَ النَّاس والشَّجر والدَّواب، وإيجاد جوٍّ من التآزر والتساند بينها؛ لأنَّها في مجموعها تُمثِّل جسداً واحداً متماسكاً في مواجهة ظروف الحياة المختلفة.

٤- الانتماء الرَّحِمي والنَّسَبِيْ، وهو انتماء الشخص إلى نسبٍ معينٍ ورحمٍ مُحددٍ، وقبيلةٍ خاصةٍ، فكل امرئٍ وُلِدَ من أبٍ وأمٍّ، وله أجدادٌ وجداتٌ، وأبناءٌ وبناتٌ، وإخوةٌ وأخواتٌ، وأعمامٌ وعمَّاتٌ، وأخوالٌ وخالاتٌ، وسائر من تجمعه معه قرابة الدَّم، وتحتضنهم الأسرة الواحدة. وهذا الانتماءُ هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم (٧٥).

مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[1]. وهذا الانتماء أقل الانتماءات جمعاً للناس، ولكنه في الْمَنْزِلة والرُّتبة، وفي الرعاية والاهتمام يَلي الانتماء الديني، بل إنه في النفقة والمواساة مقدمٌ على كافة الانتماءات.

هذا وقد جُمِعت هذه الانتماءات كلها في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

- فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ يشمل الانتماء الخِلْقِيْ والتكويني، الذي هو أكبر الانتماءات البشريَّة على الإطلاق، حيث يضم الأوَّلين والآخرين من غير استثناءٍ.
- وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴾ يشمل الانتماء الوطني المتعدد الأعراق واللُّغات والتقاليد، المختلف الأجناس والمشاعر والأحاسيس.
- وقوله تعالى: ﴿ وَقَبَائِلَ ﴾ يشمل الانتماء النسبي الذي يشمل العشائر والبطون والظهور وذوي الأرحام.
- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ يشمل الانتماء الديني والعقدي[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم (٦).

(٢) سورة الحجرات، آية رقم (١٣).

(٣) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٠٨- ٣١٢).

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ المنهج السَّلفي يؤكد أنه على الرغم من تنوُّع البشر من خلال تلك الانتماءات، فإنَّها ليستْ مدعاةً للتناحر والتنافر، أو سبباً للتطاحن والاقتتال، بل هو اختلاف تنوعٍ وتعددٍ وتصنيفٍ قُصِدَ به التعارف والتعاون، والتكاتف والتساند للقيام بتكاليف الحياة وأعبائها، والوفاء بحاجاتِها وضروراتِها ، ولهذا ورد في الآية : ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ فالتعاون البشري يفرض هذا النوع من الاختلاف والتنوع، حيث لا يوجد متعاونون البتة إلا وبينهم اختلافٌ في المواهب والقدرات، وتنوعٌ في الطاقات والاستعدادات، إذْ لو كانوا على درجةٍ واحدةٍ من العقل والفهم، والمال والغنى، والصحة والعافية، ونحو ذلك، لتعطلت الحياة كلها، إذْ كيف تُقَدِّمُ عوناً ومساندةً لمن هو عِدْلُكَ في الوعي والإدراك، ومثلك في الثروة والغنى، بينما هذا التفاوت يبعث الجميع على الجد والعمل، ويحملهم على التنافس في الخدمة وبذل الوسع والطاقة في إحراز المنافع والمصالح. فالغني مثلاً يخدم الفقير بِمَالِه مقابل خدمته له بجهده وطاقته، والبائع يخدم المشتري بسلعته مقابل إعطائه الثمن، والراعي يخدم رعيته بعدله وإنصافه مقابل طاعتهم وانقيادهم لحكمه، وهكذا جميع الناس في أغلب حياتِهم يخدم بعضهم بعضاً بناءً على اختلافهم في المواهب، وتنوعهم في الطاقات[1].

---

(١) ينظر: واقعية التشريع الإسلامي وآثارها (١/٢٢٩- ٢٣٠).

الخاتمة:

الحمد لله وكفى، وسلام على عبده المصطفى، وبعد:

تضمن هذا البحث النتائج التالية:

١- الدَّعوة إلى المنهج السَّلَفي أمرٌ يجب اتباعه والأخذ به في كل زمانٍ ومكانٍ؛ لأنَّ ذلك هو طريق الطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة، المتمسكين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه أصحابه وأتباعهم ومن اهتدى بهديهم من قديم الزمان وحديثه.

٢- الدَّولة السَّعوديَّة سادتْ حقبةً طويلةً في الماضي بفضل تَمسُّكها بالمنهج السَّلفي، واستطاعتْ أن تصنع به شعباً عظيماً في تاريخ البشرية كلها، وستستمرَّ سيادتُها ما دَامتْ مُتمسِّكةً بِهذا المنهج، واعيةً بجميع الأخطار المحدقة بِها، ويُحاوِلُ بعض الجهود أن تقطع صلتها به، وقد ثبت في السُّنن الكونيَّة أنَّ آخر هذه الأمة لَنْ تَسُودَ إلاَّ بِما سَادَ به أوَّلُها.

٣- لا يُوجد أحدٌ دَعَا إلى الحق والعدل إلاَّ عُودِيَ وأوذيَ في سبيل ذلك أشد الأذاء، ولهذا لَمْ تسلم دعوة محمد بن عبد الوهاب والحكومة التي ساندتها من الحروب في الماضي، ويزال أعداء هذه الدعوة الطيبة يَشنُّها إلى اليوم، ولكن الله تعالى ناصرُ دِينه، ومُعْلِيْ كلمته، ومُتِمُّ نُورِه ولو كره الكافرون.

٤- تضمنتْ دعوةُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدةَ السَّلف الصَّالح التي تقوم على نصوص الكتاب والسُّنة وفهم السَّلف الصَّالح لَها، وهي الدعوة التي ساندها أئمة الدولة السُّعوديَّة منذ عهد الإمام محمد بن سعود إلى اليوم.

٥- تحقيق الأمن والعدل والألفة، ولَمُّ شَمْلهم وشَتاتِهم إنَّما يكون ذلك بالتمسك بالمنهج القويم الذي تضمنه القرآن الكريم، وطبَّقه الرَّسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حياتِهم، وأنَّ مَنْ يريد الوصول إلى ذلك لا بد أن يتبع سبيلهم ويقتفي أثرهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : الكتب العربية المطبوعة

١- الأصالة والمعاصرة، المعادلة السعوديَّة، لفؤاد فارسي، دار الأصفهانِيْ، جدة- المملكة العربية السعويَّة.

٢- الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة الثانية (١٤١١هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٣- البلاد العربية السعودية، لفؤاد حمزة، طبعة (١٣٨٨هـ)، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٤- تاريخ الدولة السعودية، للدكتورة مديحة درويش،

٥- تاريخ المملكة العربية السعودية، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين ، الطبعة السَّابعة (١٤١٧هـ) بدون ذكر دار النشر.

٦- تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي،

٧- تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في المملكة العربية السعوديَّة وآثاره في الحياة، للدكتور عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، طبع سنة (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م)، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عامٍ على تأسيس المملكة، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) تحقيق عبد الرحمن ابن معلا اللُّوَيحق، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٩- الجامع الصحيح، أو سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٩٧هـ) تحقيق خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

١٠- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١١- الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة، لعبد الرحمن بن قاسم (٣٠٥/٧)، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

١٢- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، لمحمد الشثري، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

١٣- التمهيد لِما في الموطأ من المعاني والآثار، ليوسف بن عبد البر النمري (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى أحمد العلوي وآخرين، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، (١٣٨٧هـ) الرباط- المغرب.

١٤- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت: ٥٨١هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل، طبعة (١٩٩٧م) دار الكتب الحديثة- القاهرة.

١٥- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام، لحسين بن غنام، طُبع سنة (١٣٦٨هـ) بالقاهرة، بدون دار نشر.

١٦- زيارة الملك فيصل لأفريقيا، إعداد مروة مصطفى الصائغ، عرض وثائقي للزيارة المباركة التي قام بها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم لأوغندا وتشاد والسنغال وموريتانيا والنيجر في شوال (١٣٩٢هـ).

١٧- السلفيَّة وقضايا العصر، للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، دار إشبيليا، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

١٨- سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد (ابن ماجه الربعي) القزويني، (ت: ٢٧٥هـ)، ضبط أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٩- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

٢٠- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبعة (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢١- سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، لأمين سعيد، طبعة (١٣٩٥هـ)، دار الملك عبدالعزيز، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٢٢- الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، دار العلوم، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٢٣- الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، دار العلوم، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٢٤- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البستي (ت: ٣٥٤هـ) وهو المعروف بـ(الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) لعلي بن بلبان الفارسي، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، طبعة (١٤٠٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٢٥- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، طبعة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) بيت الأفكار الدولية، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٢٦- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، طبعة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، بيت الأفكار الدولية، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٢٧- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود،

٢٨- عنوان المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن بشر ، طبعة (١٣٩١هـ)، وزارة المعارف السعوديَة.

٢٩- فتح القدير الجامع بين فَنَّيْ الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) طبعة (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، دار الفكر، بيروت- لبنان.

٣٠- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (ت:١٣٧٦هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م) ، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان.

٣١- في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، للدكتور سليمان الحقيل،

٣٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، طبعة (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٣- كلمات منتقاة من خُطب خادم الحرمين الشريفين، إعداد عبد الرحمن الرويشد (٦٦/١)، دار الشبل (١٤١٦هـ) الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة.

٣٤- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، طبعة دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٣٥- مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى المعروف بأبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الثانية (١٤١٠هـ- ١٩٨٩م) دار المأمون للتراث، دمشق- سوريا.

٣٦- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وغيره، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، دار الفكر، بيروت- لبنان.

٣٨- المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

٣٩- من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك ، الطبعة الأولى (١٣٩٨م).

٤٠- المنظمات الدوليَّة الإسلاميَّة والتنظيم الدولي، للدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، الطبعة الأولى (١٤١١هـ- ١٩٩١م)، بدون ذكر دار النشر.

٤١- الموسوعة العربية العالميَّة الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعوديَّة.

٤٢- النظام الدستوري في المملكة العربية السعودية بين الشريعة الإسلاميَّة والقانون المقارن، لعبد الرحمن بن عبد العزيز الشلهوب، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م)، مطابع الفرزدق التجاريَّة، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٤٣- واقعية التشريع الإسلامي وآثارها، إعداد زياد صالح لوبانغا ، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة.

٤٤- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، لخير الدين الزركلي، ص(٢١٦)، الطبعة الثامنة (١٩٩٦م).

ثانياً: الجرائد وشبكات الإنترنت

١- جريدة أم القرى، العدد [٤٠٦] الصادر بتاريخ (١٣٥١/٥/٢٨هـ)،

٢- جريدة أم القرى، العدد [٩٨٩] بتاريخ (١٣٦٤/١٢/٦هـ).

٣- جريدة أم القرى، ذي الحجة، سنة (١٣٤٧هـ)،

٤- **الرقم عنوان الشبكة**

٥- (http://www.saudieh.com) ، نُشر بتاريخ (٢٨/١/٢٠٠٧م).

٦- (http://www.saudieh.com)، نشر بتاريخ (٢٨/١/٢٠٠٧م).

٧- (http://ar.wikipedia.org./wiki)، تاريخ التصفح (١/٣/١٤٣١هـ-١٥/٢/٢٠١٠م).

٨- http://www.asmarna.org/al_moltaqa تاريخ التصفح (١/٣/١٤٣١هـ-١٥/٢/٢٠١٠م).



حقيقة دعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ

وصلتها بالدولة السعودية

إعداد

الدكتورة/ خولة بنت يوسف المقبل

أستاذ مشارك في كلية الدعوة والإعلام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله أنعم علينا بنعم كثيرة، وأفاض بمنه وكرمه على أهل هذه البلاد خاصة، والعالم الإسلامي عامة بنعمة التمسك بالعقيدة الإسلامية وتطبيقها في مناشط الحياة، وما ذلك إلا لتضافر جهود مباركة من حكام هذه البلاد- حفظهم الله- مع جهود نخبة من العلماء الأفاضل، وكان لهذا التعاون بذرة صالحة، نمت وترعرعت منذ بداية نشأة الدولة السعودية الأولى على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) والأمير محمد ابن سعود (ت ١٢٠٧هـ)- رحمهم الله جميعا- ، والذين كانوا بذرة صالحة لإحياء عقيدة السلف الصالح.

والسلف هم الجماعة المتقدمون، وسلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح، قال- تعالى- : ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾[1] أي: متقدمين؛ ليتعظ بهم من بعدهم، فالأمم السالفة هي الماضية والغابرة، والجمع سوالف[2].

---

(١) سورة الزخرف الآية: (٥٦)

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ)، ٦/٣٣٠.

فالسلفية: هي المعنى الإسلامي الذي تمثلوه في قلوبهم فهما، وفي شخصياتهم سلوكا.

والسلفي: هو الحامل للمعنى الذي حملوه مفاهيمَ وسلوكاً[1].

لذا كان البحث والتعمق في موضوع السلفية من المواضيع المهمة والتي تكشف للمجتمع على مر العصور حقيقة هذه الدعوة، وتجلي كل ما قد يعلق بها من شبهات، وفي ذلك يقول الشيخ عبد العزيز بن باز (ت ١٤٢٠هـ)- - رحمه الله- - : "وهذه الدعوة، وإن كانت سليلة دعوة الإصلاح، ومرتبطة بمذهب السلف الصالح، السابق لها؛ ولم تخرج عنه، إلا أنها تستحق المزيد من الدراسة والعناية وتبصير الناس بها؛ لأن الكثير من الناس لا يزال جاهلا حقيقتها، ولأنها أثمرت ثمرات عظيمة لم تحصل على يد مصلح قبله بعد القرون المفضلة، وذلك لما ترتب عليها من قيام مجتمع يحكمه الإسلام، ووجود دولة تؤمن بهذه الدعوة، وتطبق أحكامها تطبيقا صافيا نقيا في جميع أحوال الناس، في العقائد والأحكام والعادات والحدود والاقتصاد وغير ذلك، مما جعل بعض المؤرخين لهذه الدعوة يقول: إن التاريخ الإسلامي بعد عهد الرسالة والراشدين لم يشهد التزاما تاما بأحكام الإسلام كما شهدته الجزيرة العربية في ظل الدولة السعودية التي أيدت هذه الدعوة، ودافعت عنها، ولا تزال هذه البلاد- والحمد لله- تنعم بثمرات هذه

---

(١) انظر: السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن الزنيدي، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ ص٢٠

الدعوة أمنا واستقرارا ورغدا في العيش، وبعدا عن البدع والخرافات التي أضرت بكثير من البلاد الإسلامية حيث انتشرت فيها"(١).

من أجل ذلك، ولبيان مدى التلاحم والتكامل الحاصل بين ولاة الأمر - حفظهم الله - والعلماء في المملكة العربية السعودية - بحمد الله - في تطبيق المنهج السلفي الصحيح علماً وعملا، عزمت على تقديم هذا البحث، والذي سأتناول فيه - بمشيئة الله - حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصلتها بالدولة السعودية، والذي يرمي إلى التوصل لأهداف عدة، منها:

- بيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- التعرف على الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية المتزامنة مع نشأة الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود.
- توضيح الموضوعات التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- بيان الوسائل والأساليب التي اتبعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنشر الدعوة السلفية.
- بيان الدور الذي قام به حكام الدولة السعودية لنشر الدعوة السلفية.
- التوصل إلى ثمرات الدعوة السلفية على الدولة السعودية الثالثة.

هذا، وسوف أستخدم في هذا البحث المنهج التأصيلي؛ الذي يعتمد على أهم مصادر المعرفة الإسلامية في التوصل إلى نتائج الدراسة، والمنهج

---

(١) كلمة في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ عبد العزيز بن باز، طريق الإسلام.

التاريخي، والذي يتجاوز وصف الوضع الحالي للظاهرة إلى وصف التغيرات التي حدثت فيها خلال فترة زمنية معينة؛ نتيجة لمرور الزمن[(١)].

وفي هذا البحث سأوضح - بإذن الله تعالى - حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصلتها بالدولة السعودية من خلال التقسيم الآتي:

المبحث الأول: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

المطلب الأول: الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية المتزامنة مع نشأة دعوة الشيخ السلفية.

المطلب الثاني: الموضوعات التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

المطلب الثالث: وسائل وأساليب الدعوة السلفية عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

المبحث الثاني: علاقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدولة السعودية، واحتضان آل سعود لها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدولة السعودية.

المطلب الثاني: ثمرات تطبيق الدعوة السلفية في الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية).

---

(١) انظر: البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان، (ط١، ١٤١٩هـ)، ص١٦. وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ)، ص١٨٨.

المبحث الأول

حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المطلب الأول: الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية المتزامنة مع نشأة دعوة الشيخ السلفية

لا ريب أن التطورات السياسية، والأوضاع الاقتصادية، والحياة الدينية، تعتبر أموراً متداخلة متشابكة، يؤثر بعضها في بعض، فالمناخ السياسي المضطرب يؤدي إلى انهيار اقتصادي، وكساد تجاري، كما قد تؤدي ديمومته إلى انشغال عامة الناس بهذه الأوضاع، وانصرافهم عن أي شيء سواه، إلا أن لتمسك أهل أي منطقة بالدين الإسلامي، وإيمانهم بأن ما يحصل لهم قضاء وقدر، وأن دوام الحال من المحال له أثرة الكبير على الناس وتوجهاتهم، بل وتصرفاتهم حيال الوضع الراهن الذي يعايشونه[1]، وللتعرف على حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- لا بد من الوقوف على تلك الظروف التي تزامنت مع ظهور دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري، ويمكن أن نفصل في هذا المطلب بذكر الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية على النحو التالي:

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، محمد السكاكر، (مطبوعات جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ)، ص٢٩.

أولاً: الظروف السياسية:

إن الزعامة في البلدان النجدية في القرن الثاني عشر الهجري كانت لدى الحاضرة لشيوخ الأسر ذوي المنزلة والمكانة، وتكون بطريقة وراثية أحياناً، وأحياناً أخرى لا يوصل إليها إلا عن طريق القوة والاغتيال[1]، ولم يكن هناك قانون ولا شريعة إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم، وكانت نجد مقسمة إلى ولايات عدة، كل ولاية تتبع أميرا، وليس هناك روابط بين تلك الولايات المتجاورة، ومن بين تلك الولايات كان في الأحساء بنو خالد، وفي العيينة آل معمر، وفي الحجاز الأشراف، وفي الدرعية آل سعود، وعدا هؤلاء أمراء لا يعبأ بذكرهم[2].

والوضع في العالم الإسلامي أجمع كان متدهورا من الناحية السياسية، فقد بدأ الضعف يدب في كيان الدولة العثمانية، نتيجة فساد كثير من النظم الداخلية، والحروب التي شنتها الدولتان: الروسية والنمساوية بغية تصفية الممتلكات العثمانية، ومن ثم القضاء نهائيا عليها.

---

(١) انظر: بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة، عبد الله بن صالح العثيمين، (مطابع دار الهلال للأوفست، ط١، الرياض، ١٤٠٤هـ،) ص١٥.

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أحمد بن حجر أبو طامي، (الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ) ص٢٨. والدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية، محمد الشثري، (دار الحبيب، الرياض، ١٤٢٣هـ، ط١)، ص ٢٣.

وكذا عانت معظم بلدان العالم من ضعف سياسي فقد عانت الهند (دولة المغول) من حروب واضطرابات، كما نجد الحروب والاضطرابات والأزمات في روسيا والصين التي كانت تحت سيطرة الاستعمار الأوربي[1].

ثانياً: الظروف الاقتصادية:

المجتمع في نجد ينقسم إلى قسمين: بدو، وحضر، وكل قسم منهما له طريقته الخاصة في معيشته، ومسكنه، وطباعه، وكان لحياة كل منهما الاقتصادية مقومات خاصة، فالبدو يعتمدون على الثروة الحيوانية ومنتجاتها من اللبن واللحم، والصوف، والجلود، وعلى ما يغنمونه من الحروب التي يشنها بعضهم على بعض، وعلى ما يستولون عليه من القوافل التجارية، ولكن الثروة الحيوانية تمثل لهم المصدر الاقتصادي الأول، وبخاصة وقت نزول الأمطار، ولكن عند تأخر المطر وحلول القحط والجوع، فإن ذلك يسب لهم كوارث اقتصادية ضخمة، فيصبح أمامهم شن الحروب أو الهجرة،[2] أما الحضر فإنهم يعتمدون على الزراعة والتجارة، وكانت الصعوبات التي تواجه أهل نجد- وهم في منطقة صحراوية قليلة المياه- في الزراعة عاملا من عوامل قلة الموارد الاقتصادية في البلدان النجدية، وكذا

---

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد السكاكر، مرجع سابق، ص٣٣. والدعوة الإصلاحية في بلاد نجد، محمد الشثري، (دار الحبيب، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ)، ص٢٠. والشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، أحمد أبو طامي، مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان ابن بشر، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٢هـ)، ج٢، ص٣٣٣- ٣٧٤

كان عدم استقرار الوضع السياسي السائد في نجد في تلك الفترة سببا من أسباب قلة الاعتماد على التجارة الخارجية والتي قد تدر دخلا معقولا للأسر النجدية.[1]

مما سبق يتضح أن الوضع الاقتصادي في البلدان النجدية في تلك الفترة كان غير مستقر، ويتميز بمحدودية الموارد الاقتصادية بشكل عام.

ثالثاً: الظروف الدينية:

قدمنا الظروف السياسية والاقتصادية على الظروف الدينية المحيطة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذلك لارتكاز الظرف الحالي على ما سبق من ظروف؛ إذ أن للظروف الاقتصادية والسياسية المتزعزعة تأثيراً كبيراً على الوضع الديني، وهذا هو الملاحظ في الوضع الديني؛ إذ أن انشغال الناس بطلب الرزق، وعدم استقرارهم من الناحية الدينية، تسبب في انشغالهم عن إنكار المنكرات المنتشرة في تلك الفترة، ولعلنا نبدأ بتوضيح الظروف الدينية المحيطة بزمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي أدت إلى انطلاق الدعوة السلفية بمساندة أسرة آل سعود:

كانت العقائد الوثنية قد تمكنت من القلوب في تلك الفترة، حتى إن كثيراً من الناس كانوا يظنون هذه الخرافات نموذجا صحيحا للدين، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة، فعكفوا على عبادة الأولياء والصالحين أمواتهم وأحيائهم، يستغيثون بهم في النوازل

---

(١) انظر: المرجع السابق ج١، ص٣٦٥، ونجد منذ القرن العاشر الهجري، مرجع سابق، ص٢٥.

والحوادث، ويستعينون بهم على قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ولعل أقل ما يقال: إن أهل نجد كانوا قد جاوزوا الحد في الانحطاط الخلقي، فلم يكن عندهم أي اعتبار للخير والشر في مجتمعهم، وكانت العقائد الوثنية قد تمكنت في القلوب، ولم يكن عند عامة الناس أي استعداد للتزحزح عما وجدوا عليه آباءهم من خطأ أو صواب، فأحلوا ما حرم الله، فقد كان الناس يعكفون على قبر زيد بن الخطاب (ت ٥٥هـ) في الجبيلة، كما يزعمون أن في الدرعية قبور بعض الصحابة، كما كانت النساء يأتين بلدة الجبيلة حيث النخل المعروف بالفحال ويتبركن به، كما كان عندهم رجل من الأولياء اسمه تاج، صرفوا له النذور، ودعوه لصرف الضر عنهم، كل هذا وغيره كثير من شواهد الضلال والانحراف الذي حل بالناس في ذلك الزمن، كل هذا باسم الدين، وفي المقابل فإن الأشخاص المعدودين الذين كانوا يملكون بعض النصيب من الفقه والحديث ما كانوا يجدون في أنفسهم قوة تحدوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد كانت المذاهب الأربعة موجودة في نجد، إلا أن مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) كان هو المذهب الغالب في معظمها.

وفي بادية نجد كان الوضع أشد سوءًا؛ إذ وصل بهم الجهل إلى إنكار البعث، وكانوا يصفون القرآن الكريم بأنه كتاب الحضر، وكانوا يمنعون المرأة

من الميراث، وبالجملة كانوا مسلمين بالاسم فقط، غير مبالين بأركان الإسلام وفروضه[1].

ولقد كانت الحاجة ماسة جدا لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمساندة الأمير محمد بن سعود في تلك الفترة التي شبهت بعصور الجاهلية، ولقد قيض الله لتلك البلاد من ينتشلهم من ظلمات الجهل وبراثن الشرك إلى ضياء الإسلام وبريق نوره.

المطلب الثاني: الموضوعات التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، استمد تعاليمه من كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، وأقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولقد دعا- رحمه الله- إلى عدة مسائل من أهمها:

أولا: دعوته إلى التوحيد:

الدين الإسلامي كامل ليس في حاجة إلى زيادة، ولكن للأسف الشديد انتشر في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثير من المعتقدات التي ما أنزل الله بها من سلطان، لذا رأى- رحمه الله- أهمية العودة بمعتقدات الناس

---

(١) انظر: تاريخ نجد، ابن غنام، تحقيق: ناصر الدين الأسد، (دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ)، ص١٧- ٢٤، ومحمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، الندوي، ص٢٩، وعلماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله البسام، مرجع سابق، ج١، ص١٨، ومحمد ابن عبد الوهاب، مؤلفاته، الرسائل الشخصية، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض)، ص١٥٢.

إلى العقيدة السلفية التي أمر بها الله- سبحانه وتعالى- على لسان رسوله- ﷺ- ، فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تضمنت نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها لله الواحد الأحد، قال- تعالى- : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1]، ولقد انتسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كما أقر بذلك في رسالته إلى أهل القصيم، حيث قال: "وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره...."[2]، وقد دعا الشيخ إلى التوحيد، وأنكر على أهل نجد ما كانوا يعملونه من صرف بعض أنواع العبادة لغير الله، كالنذر والحلف والنحر والاستعانة والاستغاثة، كما قال بتحريم البناء على القبور، وكسوتها، وتعليق الستور عليها، وإسراجها، والكتابة عليها، وإقامة السدنة حولها، وزيارتها زيارة شركية، بالتمسح بها، والطواف حولها، والصلاة إليها، ودعاء المقبور، كما أمر بهدم تلك القبب المشيدة، وقد أنكر البدع والمحدثات كالاحتفال بالمولد النبوي، ودعا إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك ووسائله، والبدع والخرافات والأوهام، على الرغم من انغماس معظم أهل نجد في تلك الرذائل.

---

(١) سورة الجن، الآية: (٢٠).

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية، القسم الخامس، مرجع سابق، ص٨.

ومـن أبـرز مؤلفاتـه في الـدعوة للتوحيـد : كتـاب التوحيـد ، وكـشف الشبهات ، ومفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، والأصول الثلاثـة ، ومـسائل الجاهلية ، وكتاب الكبائر ، وفضل الإسلام ، ورسالة في الرد على الرافضة.

ثانياً : دعوته إلى سلامة العبادات من البدع والخرافات :

انتسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل كما صرح بذلك في إحدى رسائله ، فقال : "وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمـد بـن حنبل إمام أهل السنة".

كما أنه لا ينكر على أهل المذاهب الأربعة ، إذا لم يخالف قـولهم نـص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها[1] ، ولقـد عاشـت نجـد حالـة الشيخوخة الفقهية ، والتخلف الفكري الفقهي الـتي عاشـها العـالم الإسـلامي آنذاك ، فقد عكفوا على كتب الإمام أحمد بن حنبل الفقهية ، وكانوا ينظـرون إلى العلـوم الأخـرى أنهـا مـضيعة للوقـت ، ومـشغلة عمـا هـو أولى منهـا[2] ، وكـان- رحمـه الله- يـذم المشتغلين بـأقوال العلمـاء دون استناد إلى دليـل ، ولقـد ألـف عـدداً مـن المؤلفـات لبيـان الحـق في الجانـب الفقهـي ، ومـن هـذه المؤلفات : مختصر الإنصاف ، والشرح الكبير ، وهو من أكبر مؤلفاته الفقهيـة ، وآداب المشي إلى الصلاة ، وكتاب الطهارة ، وكتاب شروط الصلاة وأركانها ، ومبحث الاجتهاد والاختلاف.

ثالثاً : دعوته إلى التحلي بالأخلاق الإسلامية :

لقد اتجه الشيخ إلى إصلاح ما فسد في المجتمع مـن الـسلوك والأخـلاق ، وذلـك بعـد مـا دعـا إلى كمـال العقيـدة ، وخلـوص الـشريعة مـن النقـائص ، وتصفيتها من الزوائد المخلة ، فاجتهد في القضاء على الجهـل ، وحـرص على

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الرسائل الشخصية ، مرجع سابق ، ص١٠٧.

(٢) بحوث ندوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٨٠- ٣٨٣

تهذيب السلوك، وغرس القيم الفاضلة، وجعل الناس أمة واحدة، لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى، وكانت مبادئه الاجتماعية والأخلاقية تعتمد على الحث على صلة الرحم، وأن الحب والبغض لا يكونان إلا لله، وعدم التسرع والحكم على الغير إلا بعد التحقق من صحة ما نسب إليه، كما دعا إلى مكافحة الأمية، وحث على حفظ دماء المسلمين، كما دعا إلى التمسك بأخوة الإسلام، وعدها مقدمة على أخوة النسب، كل ذلك دعا له الشيخ في مجتمع كان قد جاوز الحد في الانحطاط الخلقي(١).

المطلب الثالث: وسائل وأساليب الدعوة إلى السلفية عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس عالما فقط وإنما هو رجل وهبه الله عقلا كبيرا، وفكرا صائبا، استطاع من خلاله توصيل الدعوة لمن يحتاجها من أرباب الضلال وأصحاب الأهواء، بوسائل وأساليب مختلفة، فقد ألف الكتب، وأرسل الرسائل، ودعا بقلبه ولسانه ويده، عرف مصدر الداء، وتوصل إلى منبع الدواء، فكانت دعوته السلفية صافية نقية، بعيدة عن شوائب الانحراف الذي حل بالمجتمع كما استخدم- رحمه الله- في دعوته الوعظ، فكان قد خصص بعض أوقاته للدروس والوعظ، يقول ابن غنام (ت: ١٨١١هـ): "وقد بقي الشيخ- رحمه الله- سنتين في الدرعية يناصح الناس، ويهديهم إلى سبيل الحق"(٢).

كما ذهب بنفسه للبلدان التي تحتاج إلى دعوته، وقد أرسل الدعاة إلى بعض البلدان النجدية القريبة، كما طبق الحدود الشرعية التي كانت متروكة

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد السكاكر، مرجع سابق ص٩٠- ٩١، ومحمد ابن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) تاريخ نجد، حسين بن غنام، مرجع سابق، ج١، ص٨٢

ومهجورة، وقد دعا إلى الله بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، ويظهر ذلك جليا من حرص الشيخ على دعوة الحكام والعلماء؛ ليكونوا سندا وعونا للدعوة السلفية، وهذا واضح جلي في قيامة بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية التي كان يلقيها في المسجد، يقول ابن بشر (ت ١٢٩٠هـ): "وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت"(١)، والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذا يتضح في كثير من رسائله وحواراته مع أهل الباطل، ولعل في إرسال الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ الحصين (ت ١٢٣٧هـ) إلى شريف مكة ما يوحي انتهاجه هذا الأسلوب؛ إذ أُرسل الشيخ عبد العزيز الحصين إلى شريف مكة أحمد بن سعيد؛ ليبين له حقيقة الدعوة بناء على طلبه، فأجابهم على ثلاثة أسئلة كانت تدور حول ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التكفير على العموم.

المسألة الثانية: هدم القباب التي على القبور.

المسألة الثالثة: إنكار دعوة الصالحين للشفاعة.

وقد أجابهم بأن الأولى زور وبهتان، وأن الثانية هي عين الحق والصواب، وأن الثالثة من الشرك الذي فعله القدماء، وقد اقتنعوا بالإجابة بعدما أحضروا كتب الحنابلة"(٢).

وهكذا أراد الله بحكمته أن تبلغ الدعوة السلفية مداها، فهو إذا قدر الأمور العظام خلق لها الرجال الأكفاء الكرام.

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص١٨١.

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ابن بسام، (دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ)ج١، ص١٥٠.ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فوده، محمد السكاكر، ص١٥٤.وتيسير العزيز الوهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، علي الطيار، (مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ)، ص٤٥.وبحوث ندوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج١، ص١٠٧.والشيخ محمد بن عبد الوهاب، أحمد أبو طامي، مرجع سابق، ص٣٠

المبحث الثاني

علاقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدولة السعودية واحتضان آل سعود لها

المطلب الأول: علاقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بالدولة السعودية:

عانى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الإيذاء والطرد والتهديد بالقتل، وذلك في بداية انطلاق دعوته، فقد كانت بدايات دعوته عندما كان طالبا للعلم في البصرة، فلم يحتمل ما تراه عيناه من الشركيات والانحرافات، فكانت دعوته سببا في تهديده بالقتل وطرده من البصرة، وكذا عندما جهر بالدعوة إلى الله في حريملاء، وبذل النصح للخاص والعام، وهَمَّ الرعاع من القوم أن يفتكوا بالشيخ، وتسوروا عليه الجدار، فعلم أنصاره، فصاحوا عليهم فهربوا، فانتقل الشيخ إلى العيينة، وكان رئيسها آنذاك عثمان بن معمر (ت ١١٦٣هـ) الذي أكرمه وناصره، وألزم الخاصة والعامة أن يلزموا أمره، فأحييت سنة الله في أرضه وعلت راية الحق ولكن بوشاية الحاقدين على الحق وطريق الصواب طُرد الشيخ من العيينة، وقادته الحكمة الإلهية إلى الدرعية، حيث نزل على عبد الله بن سويلم (ت ١١٥٦هـ)، ومن ثم انتقل إلى دار تلميذه أحمد بن سويلم، وهنا كان لأسرة آل سعود الدور العظيم في نصرة الحق، ونبذ الظلم، والتعاون مع أهل الصلاح على البر والتقوى، فعندما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعا إليه، ومعه أخواه: ثنيان، ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية

الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه مما يمنع به نساءه وأولاده، فكان هذا الموقف بداية احتضان آل سعود للدعوة السلفية، وانطلاقها بالتعاون المشترك بين الأسرتين، ومن هنا دخلت دعوة الشيخ في مرحلة جديدة، وفي طور جديد، حيث اتحد الدين والدولة، وسارا في طريق مستقيم واحد، وأيد أهل الدرعية صغيرهم وكبيرهم دعوة الشيخ والالتزام بتعاليم الإسلام[1]، ومعلوم أن الدعوة إذا ساندها الحكم كانت انطلاقتها أقوى، وفي ذلك يقول الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- : "معلوم أن الداعي إلى الله- ﷻ- إذا لم يكن لديه قوة تنصر الحق وتنفذه، فسرعان ما تخبو دعوته، وتنطفئ شهرته، ثم يقل أنصاره، ومعلوم ما للسلاح والقوة من الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع المعارضين، ونصر الحق.."[2].

ولقد كانت دولة آل سعود في أدوارها الثلاثة هي الناصر والمؤيد الأول بعد تأييد الله- تعالى- وتوفيقه ونصره للدعوة السلفية التي دعا بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- ، فالدولة السعودية الأولى هي التي أعانتها على القيام والمناصرة، ثم واصلت الدولتان السعوديتان الثانية والثالثة تلك الرعاية والإعانة والتأييد والنصرة لهذه الدعوة المباركة.

ونرى تلك العلاقة واضحة جلية في نصرة الأمير محمد بن سعود ومن أتى بعدة للدعوة السلفية، ولعل ما يدل على ذلك ما ذكره ابن غنام بقوله: "وقد

---

(١) انظر: تاريخ نجد، ابن غنام، مرجع سابق، ص٨١- ٩١

(٢) الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، عبد العزيز بن باز، (دار السلام، ١٤١٢هـ)، ص٤٢.

بقي الشيخ بيده الحل والعقد، والأخذ والإعطاء، والتقديم والتأخير، ولا يصدر رأي من محمد بن سعود، ولا من ابنه عبد العزيز إلا عن قوله ورأيه...".

ولقد كان لحكام الدولة السعودية الأولى العناية الكبيرة بالدعوة السلفية، فقد كان لوقفة الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأثر الكبير في انطلاق الدعوة السلفية، ثم تبعه ابنه عبد العزيز بن محمد والذي تولى الحكم بعد وفاة والده، ولقد حافظ على نهج والده في مساندة الدعوة السلفية، وظهر ذلك جلياً في تمسكه بنصرة الشريعة، والسير على خطى والده في مساندة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما خصص رواتب شهرية للملازمين للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان من دعائه: "اللهم أبقِ فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها، وكان يوصي عماله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، وإعطاء الضعفاء والمساكين[(١)].

ثم تبعه الإمام سعود بن عبد العزيز، والذي أخذ العلم عن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، فلم يكن يكتب وصية لرعاياه إلا ويصدرها بتقوى الله، ومعرفة نعمة الإسلام، ومعرفة التوحيد والاجتماع بعد الفرقة، ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنا والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية وغير ذلك، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام

---

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص١٢٦- ١٣٠

العلماء، وكان إذا هم بأمر شاور أهل العلم والخبرة من الخاصة، وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره[1].

ثم تبعه الأمير عبد الله بن سعود والذي عرف بالسيرة الحسنة، وكان مقيماً للشرائع، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، عاملا بما عمل به آباؤه وأجداده من مساندة للدعوة السلفية واتباعها.

وبعدها استولى الترك على المنطقة، وكان لذلك أثر كبير على الدعوة، فبسقوط حكم الدولة السعودية الأولى انحل نظام الجماعة، والسمع والطاعة، وعدم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر، أو يأمر بطاعة، وعمل بالمحرمات والمكروهات جهراً، وجر الرباب والغناء في المجالس، وسفت الذواري على المجامع والمدارس، واندرس معرفة الأصول الثلاثة، وأنواع العبادات، وسل سيف الفتنة بين الأنام[2].

وعند قيام الدولة السعودية الثانية أطفأ الله نار الفتنة على يد الإمام تركي بن عبد الله، فقد تهاون كثير من الناس بالدين، وتراجعت الدعوة إلى السلفية السمحة، وكأن الناس حديثو عهد بإسلام، وتهاون كثير من الناس بالصلاة، وأفطروا في البلدان في شهر رمضان، فدعاهم إلى الإسلام، والسمع والطاعة، ولزوم الجماعة، حتى عاد الناس إلى جادة الإسلام، وفي عهد الإمام فيصل بن تركي الذي اجتمعت فيه المكارم والفضائل، فقد حفظ القرآن عن ظهر قلب، وأعز الله به الدعوة وأصحابها، وكان يواظب على

---

(١) انظر: المرجع السابق، ج١، ص١٦٧- ١٧٧

(٢) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٢١٢- ٢١٣.

وعظ الناس، ويحضهم على طاعة الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان من قضاته الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضي الحوطة، وأخوه الشيخ عبد الرحمن قاضي بلدان الخرج[١]، وهكذا سار على منوال آبائه وأجداده في الدعوة بالتعاون بين آل سعود وآل الشيخ في الدعوة إلى السلفية الصافية من شوائب المحدثين.

وفي الدولة السعودية الثالثة برز الحرص على الدعوة السلفية منذ تأسيس هذه الدولة على يد الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله- ، الذي جاء في زمن كانت فيه الجزيرة العربية تعاني من وهن في العقيدة، وتفشي الجهل، والبدع، والضلالات، رغم تمسك فئة قليلة من المجتمع في الجزيرة العربية آنذاك بمذهب السلف الصالح، وذلك للأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نفوسهم، لكن بشكل عام عانت البلاد من الفوضى، وعدم الالتزام بأحكام الشرع، بعد انهيار الدولة في دورها الثاني، ولقد كان من أهم بنود النظام الأساسي في الحكم ما ورد من أن جميع أحكام المملكة، تكون منطبقة على كتاب الله، وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح[٢]، وكان من أقواله- رحمه الله- ، والتي تدل على حرصه على تطبيق الدعوة السلفية في البلاد: "إن كتاب الله ديننا ومرجعنا، وسنة رسوله- ﷺ- دليلنا، وفيها كل ما نحتاجه من خير ورشاد، ونحن من جانبنا

---

(١) انظر: المرجع السابق، ج٢، ص٨- ٩- ٦٣- ٦٤- ٦٥.

(٢) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، الزركلي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣)ج١، ص٣٥٤.

سنحرص - إن شاء الله - كل الحرص على إقامته واتباعه، وتحكيمه في كل أمر من الأمور[1]، وكان فعله ترجمانا لقوله، فقد حرص - رحمه الله - على قيام الدولة على الكتاب والسنة، وكان تحكيم الشريعة في كل شؤونها، كما حرص على نشر الدعوة داخل البلاد وخارجها، وعنايته بالمسلمين الوافدين لأداء فريضة الحج، وتسهيل أمور حجهم، وكانت نواة إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عهده - رحمه الله - ، وكان في عهده إنشاء مديرية المعارف في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ، وبدأت مهمتها مع إدخال المناهج الشرعية والعلمية في مراحل التعليم، وبعدها شهدت المملكة إنشاء صروح تعليمية كثيرة منها:

المعهد العلمي في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ، ودار التوحيد بالطائف، وكلية الشريعة بمكة المكرمة، ومعهد الرياض العلمي، وكلية الشريعة بالرياض ١٣٧٣هـ، وكانت تلك بداية لانتشار الدعوة السلفية[2].

ثم خلفه الملك سعود - رحمه الله - ، والذي تلقى علمه على يد علماء نجد، ولقد التزم بمنهج والده في التمسك بتحكيم الشريعة، والاهتمام بالقضايا الإسلامية، وقد افتتح رابطة العالم الإسلامي، وطبع الكتب الدينية للدعوة وإرشاد الناس، وأمر بإنشاء دار الإفتاء، وتعيين الشيخ محمد بن إبراهيم رئيساً لها، كما دعم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

---

(١) الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز، محمد الشثري، (مكتبة الملك فهد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ)، ج١، ص١٩٧.

(٢) انظر: جهود الملك عبد العزيز في الدعوة، محمد الشثري، مرجع سابق، ص ١١٣..والدعوة الإصلاحية وأعلامها، عبد الله المطوع،

(٣) انظر تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله العثيمين، (الرياض، ١٤١٦هـ)، ص٢٤٩.

ثم خلفه الملك فيصل (ت ١٣٩٥هـ)- رحمه الله- ، والذي سار على نهج والده في الدعوة إلى الله، وتحكيم الشريعة الإسلامية، فقد اهتم بشؤون الحرمين، وعمل على إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي، وساهم في إنشاء البنك الإسلامي للتنمية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأنشأ وزارة العدل، كما أصدر نظاماً أساسياً للحكم مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- ، ومن الشريعة السمحاء، وما كان عليه السلف الصالح، ودافع عن القضايا الإسلامية، وقام بالدعوة، ونصرة الإسلام، والذب عن حياضه، ودحر الشيوعية التي زحفت على العالم الإسلامي والعربي، بكل ما أوتي من حكمة وشجاعة[1]، كل ذلك في سبيل نصرة الدعوة السلفية التي تمسك بها سائراً على نهج أسلافه.

ثم خلفه الملك خالد (ت ١٤٠٢هـ)- رحمه الله- ، والذي حفظ القرآن الكريم وهو في المدرسة، وقد حرص- رحمه الله- على رفعة الإسلام، والذب عن حياضه، والدعوة إليه، وحرص على توحيد كلمة المسلمين[2].

ثم خلفه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (ت ١٤٢٦هـ)- رحمه الله- ، والذي تميز بحرصه على الدعوة السلفية، من

---

(١) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله- تعالى- في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبد الله العبود، (الجامعة الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ)، ج١، ص٢٩٦

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣١٢.

خلال حرصه على نشر كتاب الله، بإنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، كما أعاد تطوير المشاعر المقدسة، وشكل لجانا خاصة بذلك، وحرص على راحة الحجاج، كما حرص على خدمة المساجد، وأمر بإنشاء دار للقضاء، كما أصدر النظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الشورى، والتي كانت نابعة من الشريعة الإسلامية، التي أسست عليها المملكة العربية السعودية[1].

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز- حفظه الله ورعاه- نرى التمسك بالدعوة السلفية، والحرص على السير على ما سار عليه آباؤه وأجداده، إن جهود خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله- رعاه الله- في مجال دعم الحسبة والاحتساب تعتبر امتدادًا للنهج القويم الذي قامت عليه هذه الدولة المباركة، وهي واضحة وضوح الشمس، ولا ينكرها إلا مكابر، فمنذ أن تولى- حفظه الله- مقاليد الحكم أخذ على عاتقه إظهار الإسلام بوجهه المشرق في دولةٍ دستورها الكتاب والسنة، ومنها شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاء في أول خطاب له- حفظه الله- ما يؤكد هذا المبدأ، حيث قال: (أعاهد الله، ثم أعاهدكم أن أتخذ القرآن دستورًا، والإسلام منهجًا، وأن يكون شغلي الشاغل إحقاق الحق، وإرساء العدل، وخدمة المواطنين كافة بلا تفرقة، ثم أتوجه إليكم طالبًا منكم أن تشدوا

---

(١) انظر: لمحات عن ثوابت السياسة السعودية، (إعداد إدارة الأبحاث والنشر، دار الأفق، ١٤١٥هـ)، ص١١٢.

أزري، وأن تعينوني على حمل الأمانة، وألا تبخلوا علي بالنصح والدعاء)[1].

وكانت عنايته بالدعوة والدعاة من خلال الدعم الداخلي والخارجي للدعوة والدعاة، ولقد ظهر اهتمامه بالدعوة السلفية من خلال دعمه للدعاة، والحرص على نشر الإسلام، وفق منهج إسلامي قويم، فنراه يحرص على رعاية المؤتمرات العلمية، وإقامة الدروس التوعوية، وبناء المساجد ودور العلم، وتوسعة الحرمين الشريفين، والعناية بالحجاج، والحرص على وحدة المسلمين، وحل خلافاتهم، كل ذلك يصب في هدف خدمة الدعوة السلفية.

وكان من أقواله- أيده الله- : "... والمملكة العربية السعودية، ومنذ أن تأسست- بعون الله وتوفيقه- وضعت نصب عينيها هدفاً سامياً هو العمل على إعلاء كلمة الله، والالتزام الكامل بشريعته ومنهاجه"[2].

---

(١) انظر: الحسبة في عهد الملك عبد الله، عبد الرحمن بن عبد الله الشقاوي، (ندوة الحسبة وعناية المملكة بها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٣١هـ). http://www.pv.gov.sa/nadwa.aspx

(٢) جهود الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في الدعوة إلى الله- تعالى- حتى عام ١٤١٩هـ، سمو الأميرة ملكة آل جربا، (دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ص٢٦٩.

المطلب الثاني: ثمرات تطبيق الدعوة السلفية في الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية):

منذ قيام الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبدعم ومساندة الأمير محمد بن سعود- رحمه الله- ، أخذت الدعوة تشق طريقها إلى اليوم، وكان لهذا النهج القويم ثمرات على مر العصور، ولعلنا نسرد بعضاً من هذه الثمرات على الدولة السعودية الثالثة في هذا المطلب بشكل نقاط على النحو الآتي:

أولاً: ثمرات سياسية:

عناية الله وحفظه لحملة راية هذه الدعوة الكريمة، فقد وعد بنصر من ينصر هذا الدين، قال- تعالى- :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]

أي من يقوم بنصر دينه، مخلصاً له في ذلك، يقاتل في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، فيخاطب الله- سبحانه وتعالى- من ينصره، واعداً إياهم، فأبشروا يا معشر المسلمين، فإنكم- وإن ضعف عددكم وعُدَدُكُمْ، وقوي عدد عدوكم- فإن ركنكم القوي العزيز، ومعتمدكم على من خلقكم، وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصركم[2].

---

(١) سورة الحج، الآية: (٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (مؤسسة الرسالة، الرياض، ط٩، ١٤١٨هـ)ص٤٨٨.

ونحن نرى ثمرة نصرة دين الله على من نصر دين الله ، فها هي المملكة العربية السعودية في مصاف الدول العظمى ، كما أنها في حالة من الاستقرار السياسي ، ولله الحمد والمنة ، فتلاحظ الانسيابية في طاعة ولاة الأمر من قبل الشعب ، وتقبل القرارات السياسية بصورة مسلم بها ، كل ذلك الاستقرار السياسي منحة إلهية ربانية لحكام حرصوا على الدعوة إلى الله في الداخل والخارج.

ثانياً ثمرات اقتصادية :

يمثل الاقتصاد عصب الحياة ، وتعد العلاقات الاقتصادية بين الدول الحبل المتين الذي يربط بعضها ببعض ، ولقد هيأ الله للمملكة العربية السعودية من الثروات المادية الشيء الكثير ، وما ذلك إلا لحفاظهم على تطبيق شرع الله في أرض الله.

فالمملكة العربية السعودية تعد من أكبر الدول المصدرة للنفط ، وهي أهم منتج للنفط في العالم ، وتملك أكبر احتياطاته المعلنة ، ولقد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾[1]

والمملكة بحكم ما تتمتع به من قوة اقتصادية كبيرة - كما سبق بيانه - قد حرصت منذ تأسيسها على تمكين المسلمين في جميع أنحاء العالم من الاستفادة

---

(١) سورة البقرة، الآية : (٢٧٧)

من الخيرات المكنونة في ترابها، عن طريق تقديم مساعدات سخية للدول الإسلامية النامية[1].

ثالثا: ثمرات اجتماعية:

لعل الناظر في الوضع الاجتماعي السائد في الجزيرة العربية قبل توحيد المملكة يلحظ الفرق الواضح بين ذلك العصر والعصر الحاضر، فقد كانت العصبيات القبلية أمرا جُبِلَ عليه أهل هذه البلاد، كما سيطرت روح الغزو والمنازعات، وكان المنطق الوحيد هو القوة، ولقد كانت الحياة الاجتماعية في تلك الفترة قاسية للغاية[2]، كل ذلك تبدل وتغير وذلك بفضل الله- سبحانه وتعالى، وبتطبيق شرع الله في هذه البلاد المباركة، فلا فرق بين شخص وآخر إلا بالجهد والعمل الصالح، فلا نرى النعرات القبلية ظاهرة على الساحات والميادين الاجتماعية، وإن أظهرها دعاة القومية قمعت في حينها، وما ذلك إلا لإيمان القائمين على هذه البلاد المباركة بقوله: **تعالى**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3].

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

---

(١) مجلة الدارة، العدد الرابع، سنة١٤٣٠هـ، (مجلة فصلية تصدر من دارة الملك عبد العزيز، جهود الملك فيصل في خدمة إسلام ومسلمين جنوب أفريقيا، على مصطفى.

(٢) انظر الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية، محمد الشثري، مرجع سابق، ص٦٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

الخاتمة

الحمد لله الكبير المتعال، والشكر له على صلاح الأحوال، والصلاة والسلام على من بعثه من خيرة الخلق؛ ليحملهم للخير، وينتشلهم من الضلال.

أما بعد، فقد مَنَّ الله عليَّ بنعمة تقديم بحث عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصلتها بالدولة السعودية في مؤتمر يحمل عنواناً عظيماً في ذاته ومضمونه، ألا وهو السلفية، والتي هي منهج لفهم الإسلام والتزامه، تمثلت في جيل الصحابة بصورته النقية، ولهذا كانت الدعوة إلى السلفية دعوة إلى الرجوع لذلك المنهج، منهج صحابة رسول الله- ﷺ- [(١)].

هذا وقد خلصت من هذا البحث إلى عدة نتائج منها:

Č- أهمية الكتابة في موضوع السلفية، وتجديد البحوث في هذا الجانب.

č- هناك ظروف دينية وسياسية واقتصادية دعت إلى قيام الدعوة السلفية.

Ď- تعرض الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عدة مسائل منها العقدي والشرعي والأخلاقي.

ď- كان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أسلوب بليغ في الدعوة إلى السلفية.

Đ- العلاقة بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية علاقة قوية محمية.

đ- أن للدعوة السلفية ثمرات أينعت على الدولة السعودية الثالثة.

---

(١) السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن الزنيدي، مرجع سابق، ص٢٣.

هذا، وأوصي من خلال هذا البحث بأهمية نشر مثل هذه العلوم، والتي يجهلها الكثير، أو يحصل عليها محرفة من قبل أعداء الدين وخصوم الحق.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

Č- القرآن الكريم

č- الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، عبد العزيز بن باز، (دار السلام، ١٤١٢هـ)

Ď- البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان، (ط١، ١٤١٩هـ).

ď- بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة، عبد الله بن صالح العثيمين، (مطابع دار الهلال للأوفست، ط١، الرياض، ١٤٠٤هـ).

Đ- تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله العثيمين، (الرياض، ١٤١٦هـ).

đ- تاريخ نجد، ابن غنام، تحقيق: ناصر الدين الأسد، (دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ)،.

Ē- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (مؤسسة الرسالة، الرياض، ط٩، ١٤١٨هـ).

ē- جهود الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في الدعوة إلى الله تعالى حتى عام ١٤١٩هـ، سمو الأميرة ملكة الجربا، (دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ).

Ě- جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله- تعالى- في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبد الله العبود، (الجامعة الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ).

Čċ- الحسبة في عهد الملك عبد الله، عبد الرحمن بن عبد الله الشقاوي، (ندوة الحسبة وعناية المملكة بها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٣١هـ).
http: //www.pv.gov.sa/nadwa.aspx

ČČ- الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد، محمد الشثري، (دار الحبيب، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ).

Čč- الدعوة الإصلاحية وأعلامها، عبد الله المطوع،

ČĎ- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، محمد السكاكر، (مطبوعات جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ)

Čď- الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز، محمد الشثري، (مكتبة الملك فهد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ)

ČĐ- السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن الزنيدي، (دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ).

Čđ- شـــبه الجزيـــرة العربيـــة في عهـــد الملـــك عبـــد العزيز، الزركلـــي، (دار العلـــم للملايين، بيروت، ط٣).

ČĒ- الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أحمد بن حجر أبو طامي، (الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ).

Čē- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ).

ČĔ- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، (دارالعاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ).

čċ- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٢هـ).

čČ- كلمة في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ عبد العزيز بن باز، (طريق الإسلام).

čč- لمحـــات عـــن ثوابـــت الـــسياسة الـــسعودية، (إعـــداد إدارة الأبحـــاث والنـــشر، دار الأفق، ١٤١٥هـ).

čĎ- مجلة الدارة، العدد الرابع، سنة١٤٣٠هـ، (مجلة فصلية تصدر من دارة الملك عبد العزيز)، جهود الملك فيصل في خدمة إسلام ومسلمي جنوب أفريقيا، على مصطفى.

čď- محمد بن عبد الوهاب، مؤلفاته، الرسائل الشخصية، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض).

čĐ- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، الندوي، ترجمة عبد العليم البستوي، (مطابع جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ).



أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني

تأليف

عبد الله بن سعد أباحسين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإنّ الانتماء حاجةٌ يجدها الإنسان في نفسه، ولا يستغني عنها، فينتمي لوالده، وينتمي لقبيلته وعشيرته، وينتمي لمحلّته أو قريته، وينتمي لبلده، كما ينتمي لمذهبه ودينه ونحلته.

ودين الإسلام دين كاملٌ وشامل لمتطلبات الإنسان وحاجاته، ومع كماله وشموله نجده ديناً مُنظَّماً في تشريعه، ومُنظِّماً لعلاقة الفرد بربّه تبارك وتعالى، وعلاقته بوالديه وأسرته وجماعته وقرابته وأهل وطنه.

فنظّم هذا الدّين العظيم كلّ انتماء، وجعله لا يتعارض مع الانتماء للإسلام، ولهذا فإنّه حكم على كل انتماء يصل به صاحبه إلى معارضة دين الإسلام بأنّه انتماء جاهلي.

ومن الحاجات التي يجدها الإنسان في نفسه ولا يستغني عنها: حُبُّ وطنه، والشعور برغبة البقاء فيه، ولهذا يكابد المشاقّ لأجله، ويتحمّل الأحمال ليبقى فيه.

ذكر ياقوت الحموي جزيرةً في بحر القلزم يسكنها قوم يستطعمون الخبز ممن يجتاز بهم، ومعاشهم السمك، وليس لهم زرعٌ ولا ضرعٌ ولا ماءٌ ЗǾø ÛÑā
السنين ÄźŋÅęÜ Äŋøş ÛĻŏ ÄΣ ȸư ŏÅţä ȷźäǾĤÊĄş ÛğÄÊȮţä ȸÄÊöä Ļőźāş

الكثيرة ولا يمرّ بهم إنسان، وإذا قيل لهم ماذا يُقيمكم في هذا البلد؟ قالوا: «الوطن الوطن»[1].

فهذا الشعور لم يمنعه ديننا العظيم الكامل؛ لأنّه دينٌ لا يُعارض ما هو طبعيّ وجبلّيّ، ومع ذلك أذن بالانتساب إلى الوطن والانتماء إليه، ولهذا مُلئت كُتب تراجم الصحابة والتّابعين بنسبة الصحابي أو التابعي إلى بلده، وميّزت كتب الرجال والرواية رواة الأحاديث ورجال الأسانيد بمثل هذه النسب، فهذا يُعرف بأنّه شامّي، وذاك يُعرف بأنّه مصريّ، وفلانٌ عراقيّ، وفلانٌ أندلسي، وهكذا[2].

فجرى العمل بين المسلمين علماءهم وأدباءهم ومؤرّخيهم على نسبة الإنسان إلى وطنه أو محلّته أو دينه أو قبيلته.

ومع أنّ دين الإسلام أجاز هذا الانتماء إلا أنّه - بكماله وشموله - نظّمه، فرسم حدود انتماء الفرد لدولته، وحدود انتمائه لقبيلته - إذا كانوا خارج وطنه - بما لا يتعارض مع حدود انتمائه لوطنه، وحدّد - أيضاً - علاقة المسلمين فيما بينهم مع تعدّد أقطارهم وأوطانهم.

وهذا بحث مُتعلّق ببيان مفهوم شرعي للانتماء إلى بلادنا «السعودية» انتماءً يستلزم حقوقاً للمواطن، ويوجب عليه واجبات، كما يُبيّن أثر منهج السلف الصالح على هذا الانتماء.

---

(١) «معجم البلدان» (٦/٢).

(٢) يُنظر على سبيل المثال: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١٥١/١) و(٥٠٨/٢)، و(٥٨٣/٢)، و«الإصابة» لابن حجر (٥٦٦/١)، (٥٩١/١)، و(١٣٥/٣) و(٧٠٩/٥).

والمقصد من كتابته مُشاركة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في النّدوة التي تعقدها بعنوان «السلفية واجب شرعي ومطلب وطني»، فهو يخدم المحور الخامس «الدولة السعودية والمنهج السلفي نشأةً وتطبيقاً»، وتحديداً العنصر الخامس «أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني».

كما أنّ البحث يُحقّق أهداف النّدوة التي منها: تعزيز الانتماء الوطني على ضوء التزام منهج السلف الصالح، ودفع الشبهات التي يحتجّ بها أهل الباطل عن السلف ومن تبعهم في خصوص مسألة تفريق الجماعة القائمة في دولتنا - أدام الله أمنها - ، ومسألة الخروج على الإمام والافتئات عليه فيما هو مُختصّ به.

وسيكون البحث في خمسة مباحث، وخاتمة، وهي كما يلي:

- **المبحث الأوّل:** التعريف بمصطلحات البحث.
- **المبحث الثاني:** حكم الانتماءات والانتسابات.
- **المبحث الثالث:** الانتماء الوطني المشروع ولوازمه.
- **المبحث الرابع:** ضوابط المنهج السلفي للانتماء الوطني بمفهومه الشرعي.
- **المبحث الخامس:** تطبيق علماء الدولة السعودية للمنهج السلفي الضّابط للانتماء الوطني بمفهومه الشرعي.
- ثمّ ختمت بأهمّ النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى أن يجزي القائمين على هذه النّدوة خير الجزاء، حيث أحسنوا بإقامتها واختيار محاورها، وأخصّ معالي مدير الجامعة أ.د سليمان

أباالخيل -   سدّده الله -   الذي اجتهد في المبادرة إلى ما يصبّ في محاربة الفكر المنحرف، وبثّ اعتقاد السّلف الصالح.

كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه العظيم، صواباً على سنّة نبيّه الكريم – صلى الله عليه وسلم –، مُحققّاً لهدف النّدوة.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث

المنهج لغة: الطريق، قال الجوهري: «النَهْجُ: الطريق الواضح. وكذلك المَنْهَجُ والمِنْهاجُ... ونَهَجْتُ الطريق، إذا أَبَنْتَهُ وأوْضحته. يقال: اعْمَلْ على ما نَهَجْتُهُ لك. ونَهَجْتُ الطريق أيضاً: إذا سلكته. وفلان يَسْتَنْهِجُ سَبيلَ فلان، أي يسلك مسلكَهُ»(١)، وقال ابن فارس: «المَنْهج: الطَّريق، والجمع Bâناهج»(٢).

ويستعمل المفسّرون كلمة «المنهج» كما في الاستعمال اللغوي: قال ابن جرير الطبري: «وأما المنهاج، فإن أصله: الطريق البين الواضح، يقال منه: هو طريق نهج ومنهج بيّن، كما قال الراجز:

مـن يـك في شـك فهـذا فلـج ❖ مـاء رواء وطريـق نهـج

ثم يستعمل في كل شيء كان بيّناً واضحاً يعمل به(٣).

وقال البغوي: «فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح»(٤)، وقال ابن كثير: «المنهاج: هو الطريق الواضح السهل»(٥).

---

(١) «تهذيب اللغة» (٦/٤١).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/٣٦١).

(٣) «جامع البيان» (٨/٤٩٣)، وينظر «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/٢٠١).

(٤) «معالم التنزيل» (٣/٦٦).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٢٩).

ووردت كلمة «منهج» في السنّة بمعناها في اللغة، فعن حذيفة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[1].

وعن أبي بن كعب – رضي الله عنه –: «وإن اقتصاداً في سنة وسبيل خير من اجتهاد في غير سنة وسبيل، فانظروا أعمالكم فإن كانت اقتصاداً واجتهاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم»[2].

وعن العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – قال: فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يمت حتى وصل الحبال ثم حارب وواصل وسالم ونكح النساء وطلق وترككم عن حجة بينة وطريق ناهجة[3].

وعن عبد الملك بن أبي سوية المنقري قال شهدت قيس بن عاصم عند وفاته وهو يوصي فجمع بنيه وهم اثنان وثلاثون ذكراً فقال: «واحذروا أبناء أعدائكم فإنهم لكم أعداء على منهاج آبائهم»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٢٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/١٥٧) عن أبي عبيدة مرفوعاً، وصححه العراقي في «محجة القرب في محبة العرب» ص١٧٦، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/٢٢٤)، وأبو نعيم «حلية الأولياء» (١/٢٥٢ – ٢٥٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/٤٣٤) وابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٦٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/٣٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٧٠٨).

السلفي: نسبة إلى السلف الصالح، وهم أصحاب القرون المفضلة الذين شهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بفضلهم ومكانتهم، حيث قال – صلى الله عليه وسلم –: «خير النّاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١]، فيدخل في السلف الصالح الصحابة – رضي الله عنهم –، ومن شُهد له بالإمامة والمتابعة من التابعين وتابعيهم[٢].

وكلمة «سلف» في اللغة تدل على التقدّم، قال ابن فارس: «السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسبْق. من ذلك السَّلَف: الذين مضَوا. والقومُ السُّلاَّف: المتقدِّمون»[٣]، وهكذا استعملها المفسّرون، قال ابن جرير في قوله تعالى: **(فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ)** [الزخرف: ٥٦]: فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدمة يتقدمون إلى النار، كفار قومك يا محمد من قريش، وكفار قومك لهم بالأثر»[٤]. وقال البغوي: «والسلف من تقدم من الآباء»[٥].

فاستخدم أهل الإسلام من علماء الشريعة واللغة مصطلح «السلف الصالح»، وقصدوا به أتباع الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، قال الأزهري: «ومُحْدَثاتُ الأمور: ما ابتدعَه أهلُ الأهواء من الأشياء التي كان السلفُ الصالح على غيرها»[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٥١)، ومسلم في صحيحه (٦٦٣٥).
(٢) يُنظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العزّ الحنفي ص١٨٣.
(٣) «مقاييس اللغة» (٣/٩٥).
(٤) «جامع البيان» (٢٠/٦١٩).
(٥) «معالم التنزيل» (٧/٢١٨).
(٦) «تهذيب اللغة» (٤/٢٣٥).

الانتماء لغة: قال الأزهري: «يقال: انتْمَى فلانٌ إلى فلان، إذا ارتفع إليه في النّسَب. ونماه جَدُّه، إذا رَفع إليه نسبه؛ ومنه قوله: نَماني إلى العَلْياء كُلُّ سَمْيَدع»[1].

وقال ابن فارس: «النون والميم والحرف المعتلّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع وزِيادة، ونَمى المالُ ينمِي: زاد. ونَمَى الخِضَابُ يَنْمِي ويَنُمو، إذا زاد حمرةً وسواداً. وتنمَّى الشَّيء: ارتفعَ من مكانٍ إلى مكان... وانتمَى فلانٌ إلى حَسبِهِ: انتسَب»[2].

وقال ابن منظور: «ونَمَيْتُه إلى أَبيه نَمْياً ونُمِيًّا وأَنْمَيْتُه عَزَوته ونسبته. وانْتَمَى هو إليه انتسب. وفلان يَنْمِي إلى حسَبٍ ويَنْتمِي يرتفع إليه»[3].

وفسر علماء اللغة الاعتزاء الوارد في حديث «من تعزّى بعزاء الجاهلية» بالانتماء والانتساب، قال الجوهري: «عَزَوْتُهُ إلى أبيه، إذا نسبته إليه، فاعْتَزى هو وتَعَزَّى، أي انتمى وانتسب»[4].

وقال ابن فارس: «العين والزاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الانتماء والاتِّصال»[5].

وقال ابن سيده: «وحقيقة الاعتزاء الانتماء وأنشد:

فكيف وأصلي من تميمٍ وفَرْعُها ❖ إلى أصل فَرعي واعتزائي

---

(١) المرجع السابق (١٥/٣٧٢ – ٣٧٣).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/٤٧٩ – ٤٨٠).

(٣) «لسان العرب» (١٤/٢٩٧)، ويُنظر «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (١٠/٥٠٩).

(٤) «الصحاح» (٥/١٩٣٠).

(٥) «مقاييس اللغة» (٤/٣٠٩ – ٣١٠).

والانتماء في الشرع يُستعمل بمعناه في اللغة، يدلّ على ذلك حديثان:

الأوّل: عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: «ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»(٢).

قال النووي: «هذا صريح في غلظ تحريم انتماء الإنسان إلى غير أبيه، أو انتماء العتيق إلى ولاء غير مواليه»(٣).

وقال أبو السعادات: «(أو انتمى إلى غير مواليه) أي انتسب إليهم وصار معروفاً بهم، من نميته إلى أبيه نمياً نسبته إليه وانتمى هو»(٤).

الثاني: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال – صلى الله عليه وسلم –: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فقد كفر»(٥)، ومعناه: لا تُعرضوا عن الانتماء إلى آباءكم والانتساب إليهم(٦)، قال ابن بطال: «يعني المتبرئ من أبيه والمدّعي غير نسبه»(٧).

---

(١) «المخصص» (٤/١٠٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣٣٩٣).

(٣) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٩/١٤٤).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (٥/٣٩٣)، ويُنظر: «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (١٠/٥٠٩) و«لسان العرب» لابن منظور (١٤/٢٩٧).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٦٢).

(٦) ينظر «مرقاة المفاتيح» (٦/٤٣٦).

(٧) «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٨/ ٣٨٣ – ٣٨٤).

الـوطن: «قـال الليـث: الـوَطنُ مَـوْطِن الإنـسان ومَحَلُّه، قـال: وأَوْطـانُ الغَنَم مَرابِضُها الـتي تـأْوِي إليهـا. ويقـال: أَوْطَـن فـلانٌ أرضَ كـذا وكـذا، أي اتَّخَذَها مَحَلاًّ ومَسْكناً يقيم فيها»[١].

واستخدم العرب كلمة «وطن» في شعرهم، وأرادوا بها هذا المعنى، ومنه قول ذي الرّمة:

كـأَنَّني نـازِعٌ يَثْنِيـهِ عـن وَطَـنٍ ❖ صَـرْعانِ رائحـةً عَقْـلٌ وتَقْيِيـدُ

قال ابن منظور شارحاً كلام ذي الرمة: «يقول: كأَنني بعيرٌ نازِعٌ إِلى وَطَنِه وقد ثناه عن إِرادته عَقْلٌ وتَقْيِيدٌ، فَعَقْلُه بالغداةِ لِيَتَمَكَّنَ في المَرْعَى، وتقييدُه بالليل خوفاً من شِرادِه»[٢].

وقول الأخطل:

كُـرُّوا إلى حَـرَّتَيْكُمْ تَعْمُرُونَهُمَـا ❖ كمـا تَكُـرُّ إلى أَوْطانهـا البَقَـرُ[٣]

كما وردت كلمة «وطن» في السنّة: فقد جاء في صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه كان لا يُوطِنُ الأَماكن أَي لا يتخذ لنفسه مجلساً يُعْرَفُ

---

(١) «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٢١ – ٢٢)، ويُنظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ١٢٠).

(٢) «لسان العرب» (٨/ ١٩٧)، وينظر: «تاج العروس» للزّبيدي (٢١/ ٣٣٣).

(٣) يُنظر «المخصص» لابن سيده (٢/ ٢٤٨)، لكنّه قال: «أنشد سيبويه»، أمّا ابن منظور فنسبه للأخطل «لسان العرب» (١٣/ ٤٥١).

به»[1]، قال الهيثمي: «وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يجعل لنفسه موضعاً يعرف إنما يجلس حيث يمكنه في الموضع الذي تكون فيه حاجته»[2].

ونهى - صلى الله عليه وسلم - عن نَقْرَة الغُراب وأَن يُوطِّنَ الرجلُ في المكان بالمسجد كما يُوطِّنُ البعيرُ[3].

«فقوله: «يوطّن» بتشديد الطاء ويجوز تخفيفها، وقيل في معناه: أن يألف مكاناً معلوماً من المسجد لا يصلي إلا فيه كالبعير لا يأوي من عطنه إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخاً لا يبرك إلا فيه»[4].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/٤٢٢ - ٤٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/١٥٨)، وضعّفه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/٨٥).

(٢) «مجمع الزوائد» (٨/٢٧٧)، وينظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٣/٤٥١).

(٣) رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن شبل (١/٢٢٨)، وابن ماجه (١/٤٥٩)، والدارمي (١/٣٤٨)، والنسائي المجتبى (٢/٢١٤)، والحاكم في المستدرك (١/٢٢٩)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وحسّنه الألباني «السلسلة الصحيحة» (٣/١٥٦ - ١٥٧).

(٤) «عون المعبود» (٣/١٠٤)، و«فيض القدير» (٦/٣٤٠)، و«مرقاة المفاتيح» (٢/٥٧٢).

المبحث الثاني

حكم الانتماءات والانتسابات

الأصل في تسمّي المسلمين وانتسابهم هو الانتساب إلى اسم الإسلام، فيقال المسلمون، أو أهل الإسلام، يدلّ على ذلك دليل من القرآن ودليل من السنّة، أمّا دليل القرآن فقول الله تعالى: **﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا﴾** [الحج: ٧٨]، والضمير (هو) راجع إلى الله تعالى، وقال بعض أهل العلم: إنه يرجع إلى إبراهيم – عليه السلام –، وممن قال بهذا القول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[١]، واستدل بقول الله تعالى: **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾** [البقرة: ١٢٨]، لكن هذا القول ضعيف؛ لأن سياق الآية يرده، قال ابن جرير: «ولا وجه لما قاله – رحمه الله –؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل»[٢]، وقال النحاس: «وهذا القول مخالف لقول عظماء الأمة»[٣]، ومذهب أكثر المفسرين أن الضمير راجع إلى الله جل وعلا؛ لأنه قال: **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الحج: ٧٨]، فالذي لم يجعل علينا في الدين من حرج هو الله جل وعلا، ثم قال بعد ذلك ممتناً: **﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾** ثم ابتدأ فقال: **﴿هُوَ**

---

(١) ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» (٥/٤٥٦).

(٢) «جامع البيان» (١٦/٦٤٦).

(٣) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/١٠١).

سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا) يعني قبل نزول القرآن وذلك في الكتب السابقة التي أُنزلت قبله، وكذلك سمانا بالمسلمين في القرآن، «ويشهد لهذا القول قراءة أبي بن كعب «والله سماكم»[١]، فالمقصود من الآية على هذا التفسير: «الله سمّاكم المسلمين من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم»[٢].

وممن قال بهذا القول: ابن عباس – رضي الله عنهما – وقتادة ومجاهد والضحاك[٣]، ورجّحه إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري[٤]، والبغوي[٥]، وابن عطية[٦]، وابن كثير[٧]، وغيرهم[٨]، ولهذا قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية عن تفسير هذه الآية: «والمعنى عند الجمهور أن الله سماهم المسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن»[٩]، وقال ابن القيم في الآية: (هُوَ سَمَّاكُمُ

---

(١) «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جُزيّ (٦٦/٢).

(٢) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري (١٧٥/٣)، و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي (١٤٤/٤).

(٣) ينظر «جامع البيان» (٢٠٧/١٧).

(٤) المرجع السابق (٦٤٦/١٦).

(٥) «معالم التنزيل» (٤٠٤/٥).

(٦) «المحرر الوجيز» (١٣٥/٤).

(٧) «تفسير القرآن العظيم» (٤٥٦/٥).

(٨) كالزمخشري في «الكشاف» (١٧٥/٣)، والبيضاوي في «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (١٤٤/٤).

(٩) «منهاج السنة» (١٧/١)، وينظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (١٣٣/٤).

﴿الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾: «الله سماكم من قبل القرآن وفي القرآن فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل إسلامهم وقبل وجودهم»[1].

وأمّا الدليل من السنّة فعن الحارث الأشعري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم» فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام قال: «وإن صلى وصام فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله»[2].

فالآية والحديث يدلان على أنّ انتساب المسلمين وانتماءهم إنّما يكون للإسلام، فيُقال: المسلمون، وأهل الإسلام.

وهذا الانتماء والانتساب لا يختصّ بعرقٍ، ولا بجنسٍ، ولا بقبيلة، ولا ببلد، وإنّما هو انتساب إلى دين الله تعالى الذي أمر به الناس كافة.

وهناك انتماءات وانتسابات - غير الانتساب إلى الإسلام - أثنى الله تعالى عليها، ومثال ذلك: انتساب بعض الصحابة – رضي الله عنهم – لهجرة، وبعضهم للنّصرة، فصاروا ينتمون إلى هذه التّسمية، بل ويتعزّون بها في قتال أعدائهم، والله تعالى ذكر هاتين النّسبتين في كتابه في معرض ثناء، كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم

---

(١) «شفاء العليل» ص (٥١ – ٥٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٢٠٢)، والترمذي في «الجامع» (٢٨٦٣) و(٢٨٦٤)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني: صحيح، «سنن الترمذي» بتحقيق الشيخ الألباني ص (٦٤٠).

بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال جلّ وعلا: ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، فأثنى سبحانه على المنتسبين إلى هاتين النّسبتين لِما قام به من استحقّهما من وصفٍ يُحبّه الله تعالى وهو الهجرة والنّصرة.

والنبيّ – صلى الله عليه وسلم – كان يستعمل هاتين النّسبتين، فثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار»[1]، بل ثبت عنه أنّه كان يناديهم بها في القتال محمّساً لهم، فيقول: يا للمهاجرين، يا للأنصار، قال أنس بن مالك – رضي الله عنه – في وصف ما حصل في غزوة «حنين»: «فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت – قال – فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم، ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف، فجعلت خيلنا تلوي خلف ظهورنا، فلم نلبث أن انكشفت خيلنا، وفرّت الأعراب ومن نعلم من الناس، فنادى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «يا للمهاجرين يا للمهاجرين»، ثم قال: «يا للأنصار يا للأنصار»، قال: قلنا: «لبيك يا رسول الله»، فتقدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٧٩٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٤٨٩).

وهناك انتسابات وانتماءات أخرى أذن بها الإسلام، كالانتماء للقبيلة، والانتماء لبلد، والانتماء لمذهبٍ فقهي.

ومثال الانتماء للقبيلة: أن يقول: أنا قرشي، أو قحطاني، ومثال الانتماء للبلد: أن يقول: أنا مكي أو مدني أو مصري أو عراقي، ومثال الانتماء لمذهب فقهي أن يقول: أنا حنفي، أو مالكي، أو شافعي، أو حنبلي.

والانتسابات كثيرة، ويختلف حكمها، ويمكننا أن نجعلها من حيث مجرّد الانتساب والانتماء ثلاثة أنواع:

النّوع الأول: انتسابات مستحبة أو واجبة.

النّوع الثاني: انتسابات مباحة.

النّوع الثالث: انتسابات محرمة أو مكروهة.

وهذا التقسيم يُفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله – صلى الله عليه وسلم –، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية»[١].

فالانتساب إلى الوالد واجب، والانتساب إلى البلد مباح، والانتساب إلى المذهب الفقهي مباح، والانتساب إلى مذهب عقدي كالمعتزلي: محرّم، فالانتسابات يختلف حكمها باختلاف ما تتضمّنه من معنى، كما أنّ حكم ابتداء الانتماء والانتساب ربّما لا يستمر، وإنّما يتغيّر بحسب ما يؤول إليه

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٧١).

الاستخدام، فربّما انقلب الانتساب المباح إلى محرّم، بل ربّما ينقلب انتساب المهاجري للمهاجرين والأنصاري للأنصار إلى انتسابٍ ممنوع؛ لأنّ دين الإسلام ضبط هذه الانتسابات، بحيث لا تُفضي إلى مخالفة ما أمر الله به.

ويدلّ على ذلك: ما رواه جابر – رضي الله عنه –، قال: غزونا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعّاب(١)، فكسع(٢) أنصارياً، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية، ثم قال: «ما شأنهم»، فأُخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «دعوها فإنها خبيثة»(٣).

فمع الثناء على وصف الهجرة والنّصرة، والنّسبة إليهما، إلا أنّ هاتين النّسبتين تحوّلتا إلى دعوىً جاهلية بسبب ما آل إليه استخدامهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس، أو مذهب، أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم

---

(١) قيل في معناه: يلعب بالحراب، يُنظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/٥٤٧)، وقيل: «مزّاح»، ينظر «عمدة القاري» للعيني (١٣/١٤٦).

(٢) قال الأزهري: «كسع فلانٌ فلاناً بما ساءه، إذا همزه من ورائه بكلام قبيح» «تهذيب اللغة» (١/١٩٥)، وقال ابن حجر: «المشهور فيه أنه ضرب الدبر باليد أو بالرجل ووقع في رواية أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك عند أهل اليمن شديد». اهـ بمعناه، «فتح الباري» (٨/٦٤٩)، ويُنظر «عمدة القاري» للعيني (١٦/٩٦).

(٣) رواه البخاري (٣٥١٨).

مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال – صلى الله عليه وسلم –: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»[1] وغضب لذلك غضباً شديداً»[2].

وإذا كان حكم انتماء الصحابة إلى الهجرة والنّصرة تحوّل إلى دعوىً جاهليّة؛ فإنّ الانتماءات والانتسابات المباحة كالانتماء للبلد، أو الانتماء والانتساب لمذهبٍ فقهي، قد يكتنفها حال يجعلها مُحرّمة؛ كأن تؤدّي إلى التعامل مع المسلمين بغير ما شرعه الله تعالى، إذ التعامل مع المسلمين أيّاً كان عرقهم أو لونهم أو جنسهم أو نسبهم أو بلدهم إنّما يكون بحسب شريعة الإسلام، أمّا إذا تجاوزت تلك الانتسابات والانتماءات حدَّها المأذون به، وأدّت إلى أن يتعامل المسلمون فيما بينهم بغير الشرع، فإنّ هذه هي العصبية الممقوتة، وعندها يكون الانتماء والانتساب جاهلية، وهذا ما يدلّ عليه الحديث السابق، فإنّ الأنصاري لّما قال: «يا للأنصار»، والمهاجري لّما قال: «يا للمهاجرين»، قال – صلى الله عليه وسلم –: «ما بال دعوى أهل الجاهلية»، قال العيني: «وتسميتها دعوى الجاهلية لأنها كانت من شعارهم، وكانت تأخذ حقها بالعصبية، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، وفصل القضاء بالأحكام الشرعية؛ إذا تعدى إنسان على آخر حكم الحاكم بينهما وألزم كلاً ما لزمه»[3].

---

(١) ذكرها ابن جرير في تفسيره «جامع البيان» مسندة (٥/٦٢٧).

(٢) «السياسة الشرعية» ص (٨٢).

(٣) «عمدة القاري» (١٣/١٤٧).

فمن نصر من ينتمي إليهم كأهل قبيلته أو أهل بلده على ظلم من لا يدخل في نفس الانتماء، أو أدّى به الانتماء إلى التّعدّي على حدود ما أنزل من الشريعة المبيّنة لطريقة التعامل، فهذا هو المحذور، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال انتهيت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في قبة من أدم فقال: «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدّي فهو ينزع بذنبه»[1].

قال الخطابي: «معناه أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على الخلاص»[2].

والقتال لأجل هذا المعنى المخالف قتال على عصبيّةٍ نهى – صلى الله عليه وسلم – عنه، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ومن قتل تحت راية عُمّيّة يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي»[3]. والعُمّيّة: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه[4]، وعن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من قتل تحت راية عُمّية يدعو عصبية أو ينصر

---

(١) رواه أبو داود في «السنن» (٨٦٢)، وحسّنه الألباني، يُنظر: «سنن أبي داود مُلحق بها أحكام الألباني» ص (١٥٢).

(٢) «معالم السنن» (٤/١٤٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٨).

(٤) يُنظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/٢٣٨).

عصبية فقتلة جاهلية»[1]. «ومعناها أنه يقاتل لشهوة نفسه وغضبه لها، فيقاتل عصبية لقومه وهواه»[2].

قال المناوي: «من دعا إلى عصبية أي: من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونة الظالم»[3].

ونخرج من هذا المبحث بالتفريق بين الانتماء والتعامل، فالانتماء للقبيلة، أو للمذهب الفقهي، أو للبلد: مباح، أمّا التعامل مع الآخرين - سواء المشاركين في الانتماء للقبيلة مع المخالفة في المذهب الفقهي، أو المشاركين في الانتماء للمذهب الفقهي مع المخالفة في الانتماء للبلد - إنّما يكون بحسب ما شرعه الله تعالى، كما سيأتي توضيحه في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٨٥٠).

(٢) يُنظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣٩).

(٣) «فيض القدير» (٥/ ٣٨٦).

المبحث الثالث

الانتماء الوطني المشروع ولوازمه

الانتماء إلى البلد أو الإقليم أو المصر ليس صورةً واحدة، فأحياناً يُقصد به التعريف؛ كأن ينتسب إلى مصر أو العراق، قائلاً: أنا فلان المصري أو العراقي، مثبتاً أنّه وُلد هناك، أو أنّه ينتسب إلى تلك الأماكن والجهات، وأحياناً يُرادُ به معنىً آخر، فيُقصد به الانتماء المتضمّن لبيعةِ الإمام في تلك الدّولة، فهذا الانتماء يستلزم استحقاق «المواطن» لحقوق - أيّاً كان مسقط رأسه - ، كما يوجب على المواطن واجبات تجاه الإمام والدّولة، وهذه الواجبات لا يُشارك «المواطنَ» فيها غيرُه ممّن يتّفق معه في الانتماء إلى القبيلة أو الانتماء إلى المذهب الفقهي، بل والانتماء إلى دين الإسلام.

وبناءً على هذا الانتماء تكون هناك حدود خاصّة لتعامل المواطن مع الأفراد خارج وطنه، وهناك - أيضاً - حدود لتعاملاته مع الدّول الأخرى، سواء كان هؤلاء الأفراد الذين يتعامل معهم مسلمين أو غير مسلمين، وسواء كانت الدول الأخرى مسلمةً أو غير مسلمة، فلا يجوز لـ«المواطن» أن يتصرّف تصرّفاً يُخلّ بتلك الحدود التي شرعها الله تعالى وبيّنها في كتابه وسنّة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، ونصّ عليها علماء الإسلام.

والدليل الذي يُثبت وجود هذه الحدود الخاصّة وشرعيّتها: حال الصحابة – رضي الله عنهم – في حادثة صلح الحديبية وما بعدها، فقد ترتّب على

اعتبار كون بعضهم تحت حُكم الإمام (وهو النبي – صلى الله عليه وسلم –) تفريقٌ في حكم التصرّفات بين من كان تحت حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – ويده، ومن لم يكن تحت حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – ويده، مع أنّ هذا مسلم، وذاك مسلم، وسياق قصّة صلح الحديبية وما بعده يوضّح ذلك[١]، إذ اشترطت قريش أن يرجع المسلمون فلا يعتمرون عامهم ذلك، ويأتون في العام المقبل، كما اشترطت أن لا يأتي رجل منهم إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا ردّه، ولو كان قد قدم لأجل الإسلام.

وبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل يرسف[٢] في قيوده هارباً من مكة، رامياً بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل:

هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ.

فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إنّا لم نقض الكتابة بعد».

فقال سهيل - والدُ أبي جندل - : والله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً.

ولم يجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بدّاً من إمضاء مراد سهيل، واتفقوا على بقية الشروط.

فقال أبو جندل: «يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟»[٣].

---

(١) وهي في صحيح البخاري، برقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢).

(٢) يَرسُفُ أي: يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيد. يُنظر: «فتح الباري» لأحمد بن حجر (٥/٣٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٣٢٥)

ورجع النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من الصحابة – رضي الله عنهم – إلى المدينة، وفرّ أبو بصير – رضي الله عنه – من كفار قريش ولحق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في المدينة، فأرسل كفار قريش رجلين فطلباه من النبي – صلى الله عليه وسلم – فسلّمه لهما.

واستطاع أبو بصير أن يقتل أحد الرجلين، ويرجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ظنّاً منه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد وفّى بالعهد وسيُدخله تحت حكمه إلا أنه سمع منه ما يُفهم أنه سيردّه عليهم في حال طلبهم له، حيث قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ويل أمّه مِسْعَرُ حرب لو كان له أحد» فلما ذكر ذلك عرف أنه سيرده فخرج إلى سِيفِ البحر[1]، وصار يحارب كفار قريش، وانضمّ له أبو جندل وغيره ممّن خرجوا من مكة.

وهنا يمكن أن نستنبط تلك الحدود الخاصّة، فنقول: إنّ اعتبار الإمام والدّولة منع الصحابة – رضي الله عنهم – في المدينة من قتال كفّار قريش، فلم يجز لهم الانضمام إلى أبي بصير، أما أبو جندل فحكمه يختلف، فمن في مكة مسلمون، ومن في المدينة مسلمون، إلا أنّ الحكم في حقّ هؤلاء يختلف عن الحكم في حقّ هؤلاء، والسبب في الاختلاف: اعتبار الإمام.

بل روى الإمام أحمد أنّه بعد كتابة صلح الحديبية، وأثناء تسلّم سهيل لأبي جندل ليعيده إلى كُفّار قريش، جعل عمر – رضي الله عنه – يمشي بجنب أبي جندل وهو يقول: اصبر أبا جندل، قال عمر: «وجعلت أُدني منه

(١) صحيح البخاري، برقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢).

قائم السيف لعلّه أن يأخذه، فيضرب به أباه، قال: فضنّ الرجل بأبيه»[1]، أي بخل بأبيه[2].

فهذا يؤكّد اعتبار تلك الحدود في خصوص عمر – رضي الله عنه – حيث لم يجز له القتل، بينما جاز لأبي جندل – رضي الله عنه –، والسبب هو أنّ من في مكة لم يدخلوا في حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – كإمام، قال ابن تيمية عن أبي بصير ومن معه – رضي الله عنهم –: «فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يُجرهم بالشرط فصاروا بأيدي أنفسهم بالساحل يقطعون على أهل مكة»[3].

وقال ابن القيم: «فإن أبا بصير – رضي الله عنه – قتل أحد الرجلين المعاهدين بذي الحليفة وهي من حكم المدينة ولكن كان قد تسلّموه وفصل عن يد الإمام وحكمه»[4].

ومما يؤكّد ذلك - أيضاً - أنّ الفقهاء استنبطوا عدّة فوائد من حال أبي بصير – رضي الله عنه – ولحاق بعض المسلمين الذين كانوا بمكة به، و«طلب

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٢٥)، وإسناده حسن، ويُنظر: تحسين مهدي رزق الله لها «السيرة النبوية في المصادر الأصلية» ص (٤٩١)، وتحقيق مسند الإمام أحمد بإشراف د.عبد الله التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط (٣١/٢٢٠).

(٢) يُنظر: «فتح الباري» لأحمد بن حجر (٥/٣٤٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢١/١٥٢).

(٤) «زاد المعاد» (٣/٣٠٨، ٣٠٩).

كفار قريش من النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يأذن لهم في المقام عنده ليأمنوا قطعهم فقدموا حينئذ»[1] ، ومنها :

١ – «أنه يجوز لمن أسلم من الكفار أن يتحيزوا ناحية ويقتلون[2] من قدروا عليه من الكفار ويأخذون أموالهم ، ولا يدخلون في صلح بينهم وبين مسلمين.

وإن ضمّهم الإمام إليه بإذن الكفار دخلوا في الصلح وحرم عليهم قتل الكفار وأموالهم»[3].

٢ – ما نصّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو قوله : «إذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد ، وهذا باتفاق الأئمة »[4].

فحال الصحابة – رضي الله عنهم – في حادثة الحديبية وما بعدها دليلٌ على أنّ الانتماء إلى دولة – بمعنى أنّ إمامها له بيعة في عُنق المنتمي – يؤثّر في حكم التصرّفات ، ويستلزم حدوداً خاصّة للتعامل مع الأفراد خارج الدّولة ، ومع الدّول الأخرى.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١/١٥٢) والقصة في صحيح البخاري برقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢).

(٢) هكذا في النسخة بإثبات النون.

(٣) ينظر : «المغني» لابن قدامة (١٣/١٦٢).

(٤) «الفروع» لابن مفلح (٦/٢٣٤) ، وينظر : «زاد المعاد» لابن القيم (٣/٣٠٩).

المبحث الرابع

ضوابط المنهج السلفي للانتماء الوطني بمفهومه الشرعي

إنّ الانتماء الوطني الذي سبق ذكره في المبحث الثالث لا يُعبّر عنه بما يجده الإنسان في نفسه من عاطفة تُذكّره منازله، أو مرتع طفولته، أو البقاع المقدّسة التي في بلده، وحسب، وإنّما هو انتماء له مدلول، ويؤثّر في حكم التصرّفات، ويترتّب عليه استحقاق حقوق، وأداء واجبات، ولهذا لم يُغفل علماء الإسلام ذكر ما يضبط علاقة المسلم بدولته التي عليها إمام عُقدت له البيعة، بل ذكرت المؤلفات التي نقلت لنا عقيدة السّلف الصالح وأصولهم في التعامل ما يضبط تصرّفات المسلم وعلاقاته في حدود انتماءه إلى وطنه الذي بايع فيه الإمام، **فأوّل تلك الأصول: لزوم الجماعة**، والنّهي عن الفرقة، قال أبو جعفر الطحاوي: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وضلالاً»[1]، وقال البربهاري: «اعلم أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً»[2].

---

(١) العقيدة الطحاوية ص (٢٦ – ٢٧).

(٢) «شرح السنّة» ص (٣٥).

ونقل اللالكائي قول الأوزاعي: «كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»(١).

وقال الآجري: «أمرنا – عز وجل – بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – من الفرقة وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذرنا أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفرقة»(٢).

والجماعة عرّفها أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري بقوله: «الجماعة: الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة»(٣).

ويدلّ على هذا المعنى: أنّ أحدهم لقي ابن عباس – رضي الله عنهما – فقال: ما تقول في سلاطين علينا يظلموننا ويشتموننا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم؟ فقال: أعطهم، الجماعةَ الجماعةَ، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها أما سمعت الله – عز وجل – يقول: **﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾** [آل عمران: ١٠٣](٤).

فاستدلّ بلزوم الجماعة على ما يتعلق بالسمع والطّاعة للمتغلّب، وكان – رضي الله عنه – معاصراً لولاية الحجاج من جهة خلفاء بني أميّة.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم» (١/٧١).

(٢) «الشريعة» (١/١١٣).

(٣) ينظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢/٦٤)، و«فتح الباري» لأحمد بن حجر (١٣/٣٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٣/٧٢٤).

وفُسّر قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ بالجماعة، كما فُسّر بالقرآن[1]، قال ابن عبد البرّ: «وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان أحدهما كتاب الله والآخر الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، وهو عندي معنى متداخل متقارب؛ لأن كتاب الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة قال الله – عز وجل –: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥]...الآية وقال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾»[2].

وقال: «الظاهر في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «ويرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً» أنه أراد الجماعة - والله أعلم - ، وهو أشبه بسياقة الحديث، وأما كتاب الله فقد أمر الله – عز وجل – بالتمسك والاعتصام به في غير ما آية وغير ما حديث، غير أن هذا الحديث **المراد به - والله أعلم - الجماعة على إمام يسمع له ويطاع**[3]، فيكون وليّ من لا وليّ له في النكاح، وتقديم القضاة للعقد على الأيتام وسائر الأحكام، ويقيم الأعياد والجمعات، وتؤمن به السبل، وينتصف به المظلوم، ويجاهد عن الأمة عدوها، ويقسم بينها فيها؛ لأن الاختلاف والفرقة هلكة، والجماعة نجاة، قال ابن المبارك – رحمه الله –:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ❖ منه بعروته الوثقى لمن دانا

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/٤٨٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/٤٣٢ – ٤٣٣).

(٢) «التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد» (٢١/٢٧٢).

(٣) قال المباركفوري في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «عليكم بالجماعة»: «أي المنتظمة بنصب إمام» «تحفة الأحوذي» (٦/٣٨٤).

كم يرفع الله بالسلطان مظلمة ❖ في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل ❖ وكان أضعفنا نهباً لأقوانا[1]

الثاني من تلك الأصول التي تضبط تصرّفات المسلم وعلاقاته: البيعة الواجبة على المسلم، فإنّ علماء الإسلام أتباع السلف الصالح يأمرون بها، وينهون عن تركها، وينصّون على أنّه لا يحلّ لمسلم يبيت ليلةً وليس في عنقة بيعة لولي الأمر، وأنّه لا بيعة لغائب، وإنّما البيعة لحاضر.

نقل البربهاري عن الإمام أحمد أن من ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برّاً كان أو فاجراً[2].

ويدل على ذلك أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – جاء إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقوله سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[3].

ولما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع عبد الله بن عمر بنيه وأهله ثم تشهّد ثم قال: أما بعد فإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وإني سمعت

---

(١) يُنظر «التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد» (٢١/٢٧٤ – ٢٧٥).

(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص ٥٦ – ٥٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣٤٤١).

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول «يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بَيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يُبَايَع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثم يُنصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه»[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً»[2].

فهذه البيعة لها حدود، والتزامات، وتؤثّر في حكم التصرّفات، فمتى ما استحضرها المسلم فإنّه سيعرف حدود تعاملاته مع المسلمين وغيرهم داخل الدولة وخارجها.

الأصل الثالث من الأصول التي تضبط تصرّفات المسلم وعلاقاته ونصّ عليها أتباع السلف الصالح في مصنّفات الاعتقاد: إيجابهم السمع والطاعة للإمام، قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن السنة السمع والطاعة لولاة الأمر أبراراً كانوا أو فجاراً»[3].

وقال ابن أبي زمنين: «فالسمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب ومهما قصروا في ذاتهم فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٦٩٤).

(٢) «منهاج السنّة» (١/١١٥).

(٣) «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة» (٢/٥٢٩).

ويؤمرون به، ويدلون عليه، فعليهم ما حملوا وعلى رعاياهم ما حملوا من السمع والطاعة لهم»[1].

الرابع من الأصول: النهي عن الخروج على الأئمّة، فقد بوّب أبو القاسم إسماعيل بن محمد في كتابه «الحجة في بيان المحجة» بباب: في منع الخروج على أولي الأمر، وذكر فيه حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البَرُّ بِبِرِّه، والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم»[2].

وقال: «ومن مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وإن كان منهم بعض الجور ما أقاموا الصلاة لما ورد في ذلك من الخبر. وعلى الأئمة إقامة الحدود، وقسم الفيء وصلاة الجمعة، والأعياد. وقد كان جماعة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلون صلاة الجمعة والأعياد خلف أئمة الجور، والصلاة معه سنة قائمة في تركها معهم هلكة قال النبي –

---

(١) «أصول السنة» ص (٢٧٦).

(٢) «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة» (٢/٣٩١)، والحديث رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/٤٦٠)، والدار قطني (٢/٤٠٠)، وفيه عبد الله بن محمد بن يحي بن عروة، متروك الحديث، والحديث بهذا الطّريق لا يصحّ، وله عدّة طُرق أُعلّ بعضها بالانقطاع، وبعضها: بضعف بعض رجال إسناده، ويُنظر «نصب الراية» للزيلعي (٢/٢٦- ٢٨)، و«تلخيص الحبير» لابن حجر(٢/٧٥- ٧٦).

صلى الله عليه وسلم –: «اسمع، وأطع، وإن كان عبداً حبشياً»[1]، وقال: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»[2]»[3].

الأصل الخامس: الأمر بالنصيحة للإمام، والنّصيحة لجماعة المسلمين: فقد بوّب ابن أبي عاصم في كتابه «السنة» بباب: ما يجب على الرعية من النصح لولاتها[4]، وذكر عدّة أحاديث، منها قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «الدّين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[5]، ثمّ بوّب بباب: كيف نصيحة الرعية لولاتها[6]، وذكر فيه قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان أدّى الذي عليه»[7].

وقال البربهاري: «ولا يحلّ أن تكتم النصيحة أحداً من المسلمين برّهم وفاجرهم في أمر الدين، فمن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[8].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤٨٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٧٩٢).

(٣) «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة» (٢/٤٣٥ – ٤٣٦).

(٤) «السنّة» ص (٥٠٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٥).

(٦) «السنّة» ص (٥٠٧).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٤٠٣)، وإسناده صحيح، يُنظر «ظلال الجنّة» للشيخ الألباني رقم (١٠٩٦) و(١٠٩٧).

(٨) «شرح السنّة» ص (٨٥).

فهذه الأصول إذا استحضرها المسلم فإنّها تضبط تعامله مع ولي الأمر، وتضبط تصرفاته وعلاقاته مع المسلمين خارج الدّولة، وتصرّفاته وعلاقاته مع غير المسلمين أيضاً؛ فهي تحجزه عن الدّخول في معارضاتٍ سياسيّة لأيّ دولةٍ بينها وبين وطنه مُصالحة ومعاهدة، كما تمنعه من الانخراط في تنظيماتٍ سرّيّة أو علنية، أو المشاركة في نشاطٍ دون اعتبارٍ أو مراعاةٍ لحُرمة الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها دولته مع غيرها من الدّول[1].

(١) يُنظر: «المبتعث وحُرمة الانتماء» مقال للمؤلف، جريدة الرياض - عدد ١٤٢٤٢ - السنة الرابعة والأربعون - الجمعة ١٤٢٨/٥/٧هـ - ٢٠٠٧/٦/٢٢م.

المبحث الخامس

تطبيق علماء الدولة السعودية

للمنهج السلفي الضابط للانتماء الوطني بمفهومه الشرعي

لقد اعتبر العلماءُ في الدولة السعودية الانتماءَ الحاصلَ ببيعة الإمام، وامتثلوا ما ترتّب عليه من حدودٍ للتعامل مع الآخرين، فكان «يجوز أو لا يجوز» عليهم ما لا «يجوز أو لا يجوز» على غيرهم ممّن لا يُشاركهم هذا الانتماء، وإن كانوا مشاركين لهم في انتماء قبلي، أو انتماء إلى مذهب فقهي، أو كانوا مشاركين لهم في الانتماء إلى الدّين الإسلامي.

ولهذا نقلوا رحمهم الله ما نصّ عليه السّلف الصالح من أصولٍ تضبط تعامل المسلم مع الجماعة التي هو منها، كما تضبط تعامله مع الحاكم فيها وعلاقته به، وعملوا بذلك، ويمكن أن نذكر بعض عملهم وتقريرهم على النّحو التالي:

أوّلاً: أثبتوا شرعيّة الإمام بعد الإمام من آل سعود، بحسب ما نصّ عليه الشرع من كون الإمامة تحصل بولاية العهد، ولهذا بايعوهم واحداً بعد الآخر، وأوجبوا بيعتهم على أهل «نجد» وغيرها ممّا هو تحت ولايتهم، ومن ذلك: أنّه لما مات الإمام محمد بن سعود أمرَ شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسلمين بمبايعة ابنه عبد العزيز على الإمارة، فنهض إليه كافة

الناس[1]، كما أمرَ جميعَ أهلِ «نجد» أن يُبايعوا سعود بن عبد العزيز، وأن يكون وليّ العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبد العزيز، فبايعوه[2].

وبهذا فإنّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يُقرّر أنّ إمامة محمد بن سعود ثمّ ابنه من بعده منعقدة، ومع ذلك قرّر – رحمه الله –: أنّ «الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلّب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمامٍ واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أنّ شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»[3].

وعلى هذا جرى عمل العلماء في الدولة السعودية إلى زماننا المعاصر، قال الشيخ محمد بن عثيمين: «الإمام هو ولي الأمر الأعلى في الدولة، ولا يشترط أن يكون إماماً عاماً للمسلمين؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي»[4] فإذا تأمر إنسان على جهة ما صار بمنزلة الإمام العام، وصار قوله نافذاً، وأمره مطاعاً، ومن عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – والأمة الإسلامية بدأت تتفرق، فابن الزبير في الحجاز، وابن مروان في الشام، والمختار ابن عبيد وغيره في العراق فتفرقت الأمة، وما زالت

---

(١) «روضة الأفكار» لابن غنام (٢/ ٧٤)، و«عنوان المجد» لابن بشر (١/ ٩٩).

(٢) «عنوان المجد» لابن بشر (١/ ١٦٢).

(٣) «الدرر السنية» (٩/ ٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧١٤٢).

أئمة الإسلام يدينون بالولاء والطاعة لمن تأمر على ناحيتهم، وإن لم تكن له الخلافة العامة»[1].

ولأجل وضوح هذا الأمر ردّ العلماء على من شكّك - بأي شبهة - في الإمامة المنعقدة في البلاد، ومنهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الذي وقف ضدّ القادحين في إمامة محمد بن سعود ومن بعده من أبنائه[2].

ثانياً: اعتبروا ما سبق تقريره من الانتماء المتضمّن للبيعة، واعتبروا تأثيره في التصرّفات والعلاقات، بل وفي حكم قتال الكفّار، ومن ذلك: أنّهم نصّوا على أنّه لا يدخل أحدٌ من الرعية «المواطنين» في قتال إلا بإذن الإمام، حيث كتب العلماء: عبد الله بن عبد اللطيف ابن عبد الرحمن، وحسن بن حسين، وسعد بن حمد بن عتيق، ومحمد بن عبد اللطيف، إلى جناب عالي الجناب، الإمام المفخم، والرئيس المكرم. عبد العزيز بن الإمام عبدالرحمن آل فيصل، سلمه الله: «... ورأينا أمراً يوجب الخلل على أهل الإسلام، ودخول التفرق في دولتهم، وهو الاستبداد من دون إمامهم، بزعمهم أنه بنية الجهاد، ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد ومصالحة العدو، وبذل الذمة للعامة، وإقامة الحدود، أنها مختصة بالإمام، ومتعلقة به، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك إلا بولايته؛ وقد سئل — صلى الله عليه وسلم — عن الجهاد، فأخبر بشروطه بقوله — صلى الله عليه وسلم —: «من أنفق الكريمة، وأطاع الإمام،

---

(١) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (١٢/٨).

(٢) «الدرر السنية» (٨/٩ — ٩).

وياسر الشريك، فهو المجاهد في سبيل الله»[1]. والذي يعقد له راية، ويمضي في أمر من دون إذن الإمام ونيابته، فلا هو من أهل الجهاد في سبيل الله... فالواجب عليك: حفظ ثغر الإسلام عن التلاعب به، وأنه لا يغزو أحد من أهل الهجر[2] إلا بإذن منك، وأمير منك لو صاحب مطية، وتسد الباب عنهم جملة، لئلا يتمادوا في الأمر، ويقع بسبب تماديهم وتغافلكم خلل كبير، وذكرنا هذا قياماً بالواجب من النصيحة لك، وخروجاً من كتمان العلم»[3].

ومن ذلك - أيضاً - : أنّه عندما حارب المسلمون في مصر الإنجليزَ المستعمرين عام ١٣٧١هـ، قال الشيخ أحمد شاكر — رحمه الله —: «يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحارب الإنجليز وأن يقتلهم حيثما وُجدوا». اهـ، فقال الشيخ عبد العزيز بن باز — رحمه الله —: «هذا التعميم والإطلاق فيه نظر؛ لأنّه يشمل المسلمين الموجودين في مصر وغيرهم، والصواب أن يُستثنى من ذلك من كان من المسلمين رعيّة لدولة أخرى من الدّول المنتسبة للإسلام التي بينها وبين الإنجليز مهادنة؛ لأنّ محاربة الإنجليز لا توجب انتقاض الهدنة التي بينها وبين دولة أخرى من الدّول

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/٢٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٩١)، والنسائي في الكبرى (١/٣٣)، وأبو داود (٣/١٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٩٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) «الهجَر» مُصطلح حادث بعد استيطان بعض الأماكن في نجد من قبل البادية، حيث تركوا الترحال، واشتغلوا بالتعلّم، وانتفعوا في أمور دنياهم بالزراعة والتجارة، يُنظر: خير الدين الزركلي «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز» ص (٢٦٣ — ٢٦٥).

(٣) «الدرر السنية» (٩/٩٦).

الإسلامية، ولا يجوز لأيّ مسلم من رعيّة الدولة المهادنة محاربة الإنجليز لعدوانهم على مصر وعدم جلاءهم عنها، والدّليل على ذلك قوله سبحانه في حق المسلمين الذين لم يهاجروا **﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾** [الأنفال: ٧٢]، ومن السنّة قصّة أبي جندل وأبي بصير لما هربا من قريش وقت الهدنة»[١].

ثالثاً: نهوا عن الخروج على الإمام، ومن ذلك: أنّ العلماء محمد بن عبد اللطيف، وسعد بن حمد بن عتيق، وعبد الله بن عبد العزيز العنقري، وعمر بن محمد بن سليم، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، كتبوا نصيحةً جاء فيها: «عُلم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه، من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد»[٢].

وقالوا فيها: «الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، ثبتت بيعته وإمامته، ووجبت طاعته على رعيته فيما أوجب الله من الحقوق، فمن ذلك أمر الجهاد، ومحاربة الكفار ومصالحتهم، وعقد الذمة معهم، فإن هذه الأمور من حقوق الولاية، وليس لآحاد الرعية الافتيات، أو الاعتراض عليه في ذلك، فإن مبنى هذه الأمور، على النظر في مصالح المسلمين العامة والخاصة،

---

(١) «الرسائل المتبادلة بين الشيخ عبد العزيز بن باز والعلماء» ص (٥٩٣ – ٥٩٥)، وكلام أحمد شاكر موجود في كتابه «كلمة حق» ص (١٢٧).

(٢) «الدرر السنية» (٩/ ١١٤).

وهذا الاجتهاد والنظر، موكول إلى ولي الأمر، وعليه في ذلك تقوى الله، وبذل الجهد في النظر بما هو أصلح للإسلام والمسلمين، ومشاورة أهل الرأي والدين والنصح من المسلمين.

ويجب عليه النصح لرعيته، والشفقه عليهم، والرفق بهم، والنظر في جميع ما تنتظم به مصالح دينهم ودنياهم، من حماية حوزة الإسلام، والذب عنها، وإقامة العدل بينهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الحقوق اللازمة إلى مستحقيها، فإن قصر عن القيام ببعض الواجب، فليس لأحد من الرعية أن ينازعه الأمر من أجل ذلك، كما ثبتت بذلك الأخبار عنه – صلى الله عليه وسلم – بوجوب السمع والطاعة، والوفاء بالبيعة، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم فيه من الله برهان»[1].

وجاء في بيان لهيئة كبار العلماء[2] بعد أحداث تفجير وافتئات على الإمام وخروج عليه وجمعٍ للعُدّة لذلك: «وقد عُلم من الدين بالضرورة وجوب لزوم الجماعة، وطاعة من تولى إمامة المسلمين في طاعة الله... وقد سار على هذا سلف الأمة؛ من الصحابة – رضي الله عنهم – ومن جاء بعدهم في وجوب السمع والطاعة.

إنّ المجلس يحذّر من دعاة الضلالة والفتنة والفرقة، الذين ظهروا في هذه الأزمان، قلبوا على المسلمين أمرهم، وحرضوهم على معصية ولاة أمرهم،

---

(١) المرجع السابق (٩/١٢٣).

(٢) برئاسة عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وعضوية صالح اللحيدان، وعبد الله الغديان، وصالح الفوزان، وعبدالله المطلق وعبد الله المنيع وغيرهم.

والخروج عليهم، وذلك من أعظم المحرمات... ويُكرِّر التأكيد على وجوب الالتفاف حول قيادة هذه البلاد وعلمائها، ويزداد الأمر تأكّداً في مثل هذه الأوقات؛ أوقات الفتن»[١].

رابعاً: نصحوا للإمام بعد الإمام من أئمّة البلاد، وأرشدوا لذلك، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم، والنّصيحة، وغلّظ في ذلك، وأبدى فيه وأعاد»[٢].

وقال: «إذا صدر المنكر من أمير أو غيره فالواجب أن يُنصح برفق خُفية، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجال يقبل منهم بخفية، فإن ما فعل، فيمكن الإنكار ظاهراً إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر إلينا خفية، وهذا الكتاب، كل أهل بلد ينسخون منه نسخة، ويجعلونها عندهم»[٣].

ولّما قامت ولاية الإمام تركي بن عبد الله، ثمّ ابنه فيصل بن تركي كان الشيخ عبدالرحمن بن يحسن يبذل لهما النّصح، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عنه: «وقد عرف العامّة والخاصّة مناصحته لولاة

---

(١) في ١١/٦/١٤٢٤هـ بعد التفجيرات واكتشاف مخازن أسلحة، ويُنظر: «فتاوى الأئمة في النّوازل المدلهمّة» ص (٢٧ – ٣٣).

(٢) «مسائل الجاهلية» (١/٣٣٥) ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، ص(٢٩٦)، و«الدرر السنية» (٨/٥٠)، وتاريخ ابن غنام (١/١٧١).

الأمور»[1]، ومن نصائحه للإمام فيصل بن تركي: «وبعد تعلم أن نصيحتي لك نصيحة لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ لأنّ بصلاحك يقوم الدين، ويصلح أكثر الناس، وفي الحديث «الدين النصيحة» قالها ثلاثاً؛ قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»...»[2].

وكتب العلماء: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومحمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وسعد بن حمد بن عتيق، وعمر بن سليم، وعبد الله العنقري: «وأما ما قد يقع من ولاة الأمور، من المعاصي والمخالفات، التي لا توجب الكفر، والخروج من الإسلام، فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح، من عدم التشنيع عليهم في المجالس، ومجامع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر، الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه، من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح، وأئمة الدين»[3].

وكتب الشيخ محمد بن إبراهيم إلى أحد القضاة فقال: «بلغني أن موقفك من الإمارة ليس كما ينبغي، وتدري - بارك الله فيك - أن الإمارة ما قصد

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النّجدية» (٣/٢٣٤).

(٢) المرجع السابق (١/٣٢١).

(٣) ينظر: «نصيحة مهمة في ثلاث قضايا» ص (٤٧)، و«الدرر السنية» (٩/١١٩).

بها إلا نفع الرعية وليس شرطها أن لا يقع منها زلل، والعاقل بل وغير العاقل يعرف منافعها وخيرها الديني والدنيوي يربو على مفاسد بكثير.

ومثلك إنما منصبه منصب وعظ وإرشاد وإفتاء بين المتخاصمين ونصيحة الأمير والمأمور بالسر، وبنية خالصة، تعرف فيها النتيجة النافعة للإسلام والمسلمين.

ولا ينبغي أن تكون عثرة الأمير أو العثرات نصب عينيك والقاضية على فكرك والحاكمة على تصرفاتك؛ بل في السر قم بواجب النصيحة، وفي العلانية أظهر وصرح بما أوجب الله من حق الإمارة والسمع والطاعة لها، وأنها لم تأت لجباية أموال وظلم دماء وأعراض من المسلمين، ولم تفعل ذلك أصلاً إلا أنها غير معصومة فقط؛ فأنت كن وإياها أخوين أحدهما: مبين واعظ ناصح، والآخر: باذل ما يجب عليه، كاف عن ما ليس له، إن أحسن دعا له بالخير ونشط عليه، وإن قصر عومل بما أسلفت لك.

ولا يظهر عليك عند الرعية، ولاسيما المتظلمين بالباطل عتبك على الأمير وانتقادك إياه، لأن ذلك غير نافع الرعية بشيء، وغير ما تعبدت به؛ إنما تعبدت بما قدمت لك ونحوه، وأن تكون جامع شمل لا مشتت. مؤلف لا منفر.

واذكر وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ وأبي موسى: «يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[1] أو كما قال – صلى الله

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٣٨).

عليه وسلم –. وأنا لم أكتب لك ذلك لغرض سوى النصيحة لك وللأمير ولكافة الجماعة ولإمام المسلمين»[1].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلي الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يُوجّه إلى الخير»[2].

---

(١) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم» (١٢/١٨٢).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/٢١٠).

خاتمة

خرجت من هذا البحث بالنتائج التالية :

أوّلاً : النّسبة إلى «الإسلام» يشترك فيها جميع المسلمين، مع تعدّد ألوانهم وأجناسهم وبلدانهم ؛ لأنّ الله تعالى سمّاهم المسلمين.

ثانياً : انتساب المسلم إلى الإسلام يعني التعامل مع الآخرين - مسلمين أو غير مسلمين - بشريعة الإسلام التي تأمر بالعدل وتُحرّم العصبيّة.

ثالثاً : الانتساب إلى غير الإسلام يختلف حكمه ابتداءً، فمنه ما هو واجب، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو محرّم.

والمباح أو المُستحبّ - ابتداءً - قد يكون مُحرّماً إذا أدّى إلى العصبيّة التي يدلّ عليها مجاوزة الطّريقة الشرعيّة في التعامل مع الآخرين، ونُصرة الظالم على المظلوم.

رابعاً : محبّة الوطن يشترك فيها بنو آدم ؛ لأنّها محبّة طبعيّة جبلّيّة، فالإنسان يُحبّ مرتع طفولته وصباه، إلا أنّ الانتماء الوطني لا يُقتصر في التعبير عنه على هذه المحبّة التي يتّفق عليها بنو آدم على اختلاف أديانهم وأقطارهم، بل ويشترك فيها الحيوان مع الإنسان، ولا يُعبّر عنها باستثارة العاطفة الدينية للحرمين فيها، والمساجد، وحسب، وإنّما يُعبّر عنه أوّلاً بحقيقته القائمة على بيعة الإمام في الدّولة، وبما تؤثّر فيه هذه المعاقدة مع الإمام على حكم التصرّفات، كالجهاد، أو الدّخول في تنظيمات سياسيّة أو ما شابهها ؛ لأنّ الانتماء إلى دولة عليها إمام يعني أنّ المنتمي داخل في الجماعة المنتظمة بنصب الإمام في تلك الدّولة، ويُؤثّر في التصرّفات والعلاقات مع الآخرين مسلمين وغير مسلمين.

خامساً: هذا الانتماء المؤثّر على حكم التصرّفات تدلّ عليه الأدلّة، وجرى عليه عمل السلف الصالح، واستنبط الفقهاء من أدلّته مسائل فقهيّة معروفة في أبواب الجهاد والتعامل مع الآخرين - مسلمين أو غير مسلمين.

سادساً: هذا الانتماء المؤثّر في حكم التصرّفات عمل به علماء البلاد السّعوديّة من بداية قيام الدّولة على يد مؤسّسها الإمام محمّد بن سعود إلى زماننا المعاصر.

وعملهم هذا قائم على متابعة أصول منهج السّلف الصّالح واعتقادهم، والحمد لله ربّ العالمين.

فهذه أهمّ النتائج، وهناك توصيات، وهي:

١ – أن تعمل المراكز العلميّة الأكاديمية - كهذه الجامعة المباركة - على تحديد مفهوم مصطلح «المواطنة»، الذي لا يعني حبّ الإنسان للموضع الذي وُلد ونشأ فيه وحسب، وإنّما يعني تحديد العلاقة بين هذا الإنسان، والبلد الذي ينتمي إليه، كما يوضّح واجباته لوطنه، إضافة إلى الحقوق التي يستحقّها.

٢ – أن تُدرس المواطنة من جهة عقديّة؛ لأنّنا نجد أنّ الخوارج على مرّ التاريخ يستحثّون الجهلة والغوغاء بحججٍ عقديّة على الانقلاب على الوطن، وتفريق الجماعة.

٣ – أن تُبحث مسألة واقع تعدّد أئمّة المسلمين، وأثر هذا الواقع على تطبيق المسائل العقديّة، كلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب البيعة، وأثره على فهم تفاصيل الولاء والبراء من التعامل مع الحربيّين والمعاهدين، وغير ذلك من المسائل.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر لي ولوالديّ، وأن يُصلح ذرّيتي، كما أسأله تعالى أن يحفظ هذه البلاد المباركة من مكر الماكرين، وأن يُديم أمنها وعزّها، وينصرها على عدوّها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

فهرس المصادر والمراجع

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله الشهير بابن عبد البر، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط (١)، ١٤١٢هـ.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط (١)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) أصول السنة محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بأبي زمنين، ت: عبد الله بن محمد عبدالرحيم، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤١٥هـ.

(٤) الاعتصام إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم، ت: مشهور حسن سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤٢٣هـ.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية. القاهرة، ط (٢) ١٣٦٩هـ.

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الفكر.

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبيّ، ت:محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي، ت: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

(١١) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، دار الفكر، بيروت.

(١٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط (١)، ١٤١٨هـ.

(١٣) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط(١) ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(١٤) التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد لابن عبد البر، ت: سعيد أحمد أعراب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

(١٥) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، إشراف: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(١٦) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط (١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١٧) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنته من السنّة والقرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ت: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(١٨) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت: محمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٢٠) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، ط (٥)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢١) الرسائل المتبادلة بين الشيخ عبد العزيز بن باز والعلماء إعداد: محمد الموسى ومحمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط(١)، ١٤٢٨هـ.

(٢٢) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام حسين بن غنام، طبع على نفقة الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين، الرياض، ط(١)، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

(٢٣) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط (٤)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط (٢٣)، ١٤٠٩هـ.

(٢٥) السلسلة الصحيحة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط(٤) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
(٢٦) السنة لابن أبي عاصم الشيباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط(٢) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
(٢٧) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
(٢٨) سنن أبي داود مُلحق بها أحكام الألباني على الأحاديث، اعتنى بها: مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض.
(٢٩) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
(٣٠) سنن الترمذي بأحكام الألباني. عناية مشهور حسن آل سلمان مكتبة المعارف. الرياض، ط(١) (د.ت).
(٣١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٣٢) سنن الدار قطني، ت: شعيب الأرناؤوط وأخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
(٣٣) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، ت: فؤاد زمزلي وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١)، ١٤٠٧هـ.
(٣٤) سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية، ط (٢)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
(٣٥) السياسة الشرعية، أحمد بن تيمية، دار المعرفة.
(٣٦) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤١٣هـ.
(٣٧) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط(٧) ١٩٩٧م.

(٣٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، هبة الله بن الحسن اللالكائي، ت: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط (٢)، ١٤١١هـ.

(٣٩) شرح السنة الحسن بن علي البربهاري، ت: عبد الرحمن الجميزي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(١)، ١٤٢٦هـ.

(٤٠) شرح الطحاوية ابن أبي العزّ الحنفي، ت: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط(٨) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٤١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لمحمد بن صالح بن عثيمين، ت: سليمان أبا الخيل، وخالد المشيقح، مؤسسة آسام، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط (١).

(٤٢) شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط (٢)، ١٣٩٢هـ.

(٤٣) الشريعة محمد بن الحسين الآجري، ت: الوليد بن محمد الناص، مؤسسة قرطبة، ط (١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(٣).

(٤٥) الصحاح أو تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤١٩هـ.

(٤٦) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط (٣)، ١٤٠٧هـ.

(٤٧) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤٨) الطبقات الكبير محمد بن سعد بن منيع الزهري، ت: علي عمير، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٤٩) العقيدة الطحاوية، أبو جعفر محمد بن سلامة الطحاوي، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، توزيع رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية.

(٥٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط(١)، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٥١) عنوان المجد في تاريخ نجد عثمان بن بشر، ت: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(٤)، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٥٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، ت:عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن، ط (٢)، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٥٣) فتاوى الأئمة في النّوازل المدلهمّة وتبرئة دعوة وأتباع محمد بن عبد الوهاب من تهمة التطرف والإرهاب، جمعه: محمد بن حسين القحطاني، دار الأوفياء، الرياض، ط(٤)، ١٤٢٥هـ.

(٥٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط(١)، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

(٥٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط (٢)، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٥٦) الفروع، محمد بن مفلح المقدسي، ت: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط (١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥٧) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط (١)، ١٣٥٦هـ.

(٥٨) الكشاف في حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٥٩) كلمة حق أحمد محمد شاكر، قدّم له عبد السلام هارون، مكتبة السنة، ط(٢)، ١٤٠٨هـ.

(٦٠) لسان العرب، لابن منظور، عناية: أمين عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط(٣)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٦١) مجمع الزوائد، علي الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط (٣)، ١٤٠٢هـ.

(٦٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمعها: عبد الرحمن بن قاسم.

(٦٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب: محمد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ط(٣) ١٤١٣هـ.

(٦٤) مجموعة الرسائل والمسائل النّجدية لبعض علماء نجد، اعتنى بها في طبعتها الأولى: محمد رشيد رضا، وأعاد طباعتها مصححاً ومفهرساً: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، النّشرة الثالثة، ١٤٢١هـ.

(٦٥) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٦٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، ت: عبد السلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٦٧) المحكم والمحيط الأعظم علي بن إسماعيل بن سيده، ت: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٦٨) المخصّص، علي بن إسماعيل بن سيده، ت: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٦٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، ت: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٠) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١١هـ.

(٧١) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٢)، ١٣٩٨هـ.

(٧٢) مسند الإمام أحمد، ت:د.عبد الله التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط(٢) ١٣٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٣) مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٢)، ١٤٠٣هـ.

(٧٤) المصنف لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط (١)، ١٤٠٩هـ.

(٧٥) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ.

(٧٦) معالم السنن حمد بن محمد الخطابي، ت: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ط (١)، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

(٧٧) معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٧٨) المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد، ت: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط (٢)، ١٤٠٤هـ.

(٧٩) المغني، ابن قدامة عبد الله بن أحمد، ت: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، ط (٣)، ١٤١٧هـ.

(٨٠) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٨١) منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت: محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط (٢)، ١٤٠٩هـ.

(٨٢) نصب الراية لأحادي الهداية، عبد الله بن يوسف الزيلعي، ت: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، و«دار القبلة للثقافة الإسلامية»، جدة، المملكة العربية السعودية، ط(١) ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٨٣) نصيحة مهمة في ثلاث قضايا تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، ودار أهل الحديث، الرياض، المملكة العربية السعودية، شرح صحيح البخاري لابن بطال علي بن خلف، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض.

(٨٤) النهاية في غريب الحديث، ت: عبد السلام علوش، مكتبة الرشد، الرياض، ط (١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.



الدولة السعودية والمنهج السلفي
نشأة وتطبيقاً

إعداد

بدر بن علي بن طامي العتيبي

مدير الدعوة والإرشاد بمحافظة الطائف

عضو الجمعية العلمية السعودية لخدمة السنة النبوية وعلومها

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من كريم حفظ الله تعالى لهذه الأمة أن أبقى لها دينها، وتكفل بنصرته بالحجة والبيان في كل حين، وبالقوة والسلطان أحايين، كما قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ (الحجر: ٩)، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

وصح عن النبي ﷺ قوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[1].

وفي القرون الثلاثة الأخيرة أشرقت شمس الدعوة السلفية، ونصرة السنة النبوية في الجزيرة العربية بدعوة شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب، بمناصرةٍ من الإمام الصالح محمد بن سعود رحمهما الله تعالى، وكان السبب الرئيس لقيام الدولة السعودية: التمسك بالكتاب والسنة، والتزام منهج السلف الصالح، ووقع بذلك مصداق الوعود الربانية، والبشائر المحمدية بنصرة من نصر الدين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١)، وقال تعالى: ﴿ Bا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧) وقال تعالى:

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٦٦٧، رقم ٦٨٨١)، ومسلم (٣/١٥٢٣، رقم ١٩٢١).

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠)، ونصرة الله ورسوله ﷺ إنما تتحقق باتباع الكتاب والسنة، والسير على نهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

فذاع صيت هذه البلاد وشاع، وفرضت هيبتها على كلّ البقاع، وقد قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه»[١].

وقال ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٢].

فدل هذا على أن من اتبع أمره له العزة والرفعة والعلو.

وقد قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[٣]، وهي الطائفة الناجية التي كانت على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، حيث قال ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[٤].

---

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" (ح١٥٩٤) والحاكم (١٧١/١ ، رقم ٣١٨) والبيهقي (١١٤/١٠ ، رقم ٢٠١٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥٠/٢ ، رقم ٥١١٤) وغيره، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٦٧/٥) : فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه ابن المديني وأبو حاتم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦٧/٦ ، رقم ٦٨٨١)، ومسلم (١٥٢٣/٣ ، رقم ١٩٢١).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦/٥ ، رقم ٢٦٤١) وقال: هذا حديث مفسر غريب.

وهذا سرٌّ علو ونصرة الدولة السعودية في كافة مراحلها، وذلك بالسير على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهم (السلف الصالح) فتبين بذلك أن الدولة السعودية دولة سلفية، قامت على (ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه) وبقدر موافقتهم لما عليه الرعيل الأول كان لهم من العزة والمكنة والعلو بالحق في الأرض.

ولما كان الالتزام بمذهب السلف: (منهج ديني) من تمسك به نجا من الشبهات والشهوات، فكذلك الالتزام بالمنهج السلفي (مطلب وطني) قامت عليه هذه الدولة، ونادت به بصريح المقال، ولسان الحال، فلا مفارقة في هذه الدولة المباركة من حيث اقتفاء منهج السلف (ديناً ودنيا) و(منهجاً ونظاماً دنيوياً) كما أنه لا تثريب على من نادى إلى انتهاج مذهب السلف لأنه مطلب وطني صحيح كما أنه منهجٌ شرعي صريح.

ولتحقيق هذه المقدمة، كتبت هذا البحث المختصر، وبنيته على توطئة وأربعة فصول:

الفصل الأول: تحقيق معنى وفضل السلفية والانتماء إليها ومرادفاتها، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى السلفية شرعاً ولغة.

المبحث الثاني: الانتماء للسلفية نسبة وعملاً.

المبحث الثالث: الأسماء الشرعية الموافقة لمعنى السلفية.

المبحث ا لرابع: معالم السلفية، وارتباطها بالمواطنة.

الفصل الثاني: بعض الأدلة الشرعية الدالة على فضل منهج السلف والحث على اتباعه.

الفصل الثالث: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وارتباطها بمنهج السلف.

الفصل الرابع: نشأة الدولة السعودية، والتزام حكامها بمنهج السلف الصالح، والانتماء إليهم.

ثم الخاتمة.

توطئة

من سبر سيرة الحكام والعلماء والمواطنين في المملكة العربية السعودية وجدها مبنية على انتهاج منهج السلف الصالح بالتمسك بالكتاب والسنة، وهذه حقيقة لا يدفعها إلا جاهل أو مكابر، ومع ذلك فقد بُليت الساحة بمن فصل بين السلفية والمواطنة وكلٌ بحسب فهمه النابع عن فساد طويته.

(الفريق الأول)

ففريق فصل بين (انتهاج سبيل السلف) وبين (المواطنة) ويرون عدم الحاجة إلى ربط المواطنة بالمنهجية السلفية، بل ربما رأوا أن طلب السلفية تخلف وتراجع، وأن منهج السلف لا يقوى على مواكبة المستجدات!

فرد هذا الفريق (السلفية) بحجة صدق (المواطنة!) وهذا يكثر على لسان كثيرٍ من الليبراليين والعصرانيين.

(الفريق الثاني)

وبالضد من هذا الفريق: أقصى آخرون (المواطنة) ورأوا أنها تنافي (السلفية) وأنه ليس من (السلفية) صدق (المواطنة) فرأوا الخروج على السلطان، واستحلال ما حرم الله من الدم والمال والعرض.

فرد هذا الفريق (المواطنة) بحجة صدق (السلفية!) وهذا هو دين الخارجين عن جماعة المسلمين.

(إبطال قول الفريقين)

وكلا الفريقين أساء فهم (السلفية المستقيمة) و (المواطنة القويمة) وجهل أو تجاهل أنهما لا ينفصلان، وأن بهما قوام (الدين والدنيا) وصلاح (الدنيا والآخرة)، ولذلك كان من أصول السلفية –كما سيأتي بإذن الله تعالى- :

صدق المواطنة متمثلاً ذلك بـ: السمع والطاعة لولي أمر المسلمين، ونصحه والنصح له، والحث على الجماعة، وذمها للخروج، وغير ذلك.

ولذلك على مرّ التاريخ كان أصدق الناس مواطنة هم أهل السنة السلفيون، وهم أتبع الناس للسلطان في غير معصية الله، ومن أبعدهم عن الخروج عليه، ومخالفة المواطنة ولو بالقول في دقيق الأمور وجليّها.

ومن لطيف ما يُذكر ما نقله الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء"[(١)] أن فقيراً قال ليلة للإمام عبدالله بن وهب: قم بنا لزيارة فلان، فقال: وأين العلم؟ ولي الأمر له طاعة، وقد منع من المشي ليلا.

وهذا مثال جليل على صدق (مواطنة) السلف، وأنهم يرعون حقوقها في أبسط الأمور حتى في (حظر التجول الليلي) رعاية للمصلحة العامة التي يراها السلطان.

فعلى ذلك (فالوطنية) الصادقة بحاجة إلى (السلفية) لرعايتها وصيانتها مما يخل باستقرارها، وقد أثبتت وقائع التاريخ أن (الوطن الإسلامي) لا تتم له دعته وراحته إلا بوجود منهجٍ سلفي قويم يكفل حقوق الراعي والرعية، وأنه متى حدث (خلل) في استقرار (الوطنية) فإنما هو لخلل في صدق (السلفية)، والله أعلم.

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (١٥/٥٠٧).

الفصل الأول

تحقيق معنى وفضل السَّلفية والانتماء إليها ومرادفاتها

المبحث الأول: معنى السلفية لغة واصطلاحاً.

السلفية لغة: نسبة إلى السَّلف، وهو التقدم، قال ابن فارس: «السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسبْق، من ذلك السَّلَف: الذين مضَوا. والقومُ السُّلاَّف: المتقدِّمون .. والسُّلفة المعجل من الطعام قبل الغداء .. ومن الباب السَّلَف في البيع، وهو مالٌ يقدَّم لما يُشتَرى نَساءً. وناس يسمُّون القَرضَ السَّلَف، وهو ذاك القياسُ لأَنَّه شيءٌ يُقدَّم بعوض يتأخّر»[1]، ومنه قول القائل: كما أسلفتُ، أي كما قدمت من كلام، والسلف: الجيل المتقدم، وهو إما صالح وإما طالح.

والسلف الصالح هم: كل من تقدم من الصالحين، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ وسائر النبيين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الأنعام: ٩٠) وكذا الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

والسلف الطالح هم: كلّ من تقدم من أهل الضلال، فهم أسلاف كلّ صاحب ضلالة، كأسلاف المشركين الذين قالوا عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزُّخرف: ٢٣).

السَّلفية اصطلاحاً: هي طريقة السَّلف الصالح في الفهم والتطبيق للنصوص الشرعية ومقاصدها.

محترزات هذا التعريف:

---

(١) "معجم مقاييس اللغة" (٣ /٩٥).

«طريقة» السيرة التي كانوا يسيرون عليها.

«السلف الصالح» يخرج به السلف الطالح.

«الفهم» يجمع كل علمٍ من علوم السلف.

«التطبيق» يجمع كلّ عمل.

«للنصوص الشرعية» قيد الكلي وهو أخذ ذلك الفهم والتطبيق من مصدر واحد وهو: الشرع، المتمثل في أدلة الكتاب والسنة.

«ومقاصدها» فيما لا نص فيه، فينظر إلى فهم السلف وتطبيقهم لأنهم أعرف الناس بمراد الشارع من غيرهم.

فالسلفية بهذا المفهم تحمل معنيين؛ أحدهما عام والآخر خاص.

أما المعنى العام: فهو الإسلام، فالإسلام طريقة سلفية، لأن الإسلام الصحيح هو الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، وقام به الصحابة والتابعون وأئمة الدين، وهؤلاء هم السلف الصالح، فمن كان إسلامه كإسلام من تقدم فهو سلفي من هذا الجانب.

وكلّ من بقي معه من الإسلام شيء يصح الإسلام به، فهو سلفي بقدر ما معه من الإسلام، فإن زال الإسلام زال مسمى السلفية من باب أولى.

أما المعنى الخاص: فهو التزام أصول الاعتقاد التي أجمع السلف على التزامها، وعلى أن من خالف في شيء منها فهو مخالف: للسلفية، ويُلحق بأهل الأهواء والبدع، وغالب إطلاق السلفية إنما هو بهذا المعنى، لأن المعنى العام يُكتفى فيه بمسمى الإسلام الذي سمانا الله تعالى به في مقابل الديانات الأخرى، أما المعنى الخاص فإن مسمى الإسلام لا يكفي في تمييز من هو على

منهج السلف في المسائل العلمية والعملية، ممن خالفهم في شيء من ذلك ممن لا توجب مخالفتهم الخروج عن الإسلام.

وإذا أطلق السلف فإنه يعم كل من تقدم من أهل العلم والسنة، وعلى رأسهم النبي ﷺ، فهو إمام السلف، ونعم السلف، بل هو سلف المسلمين وإمامهم، وقد قال النبي ﷺ لفاطمة: «إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك»[1].

فلئن كان نعم السلف لفاطمة رضي الله عنها في الوفاة، فلنعم السلف هو في كلّ محاسن الأخلاق، وخيار السلف بعده ﷺ هم أصحابه ﵃، ومن سار على نهجهم فهو منهم، حتى لو كان حيا فهو (بقية السلف) وفي مثله يصدق الوصف بـ(السلفي).

ولهذا كان شتم السلف من قبائح الأخلاق، ومن علامات الساعة التي تدل على فساد الزمان، كما روى الترمذي في "جامعه" من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اتخذ الْفَيْءُ دُوَلا والأمانةُ مغنما والزكاة مَغْرَمًا وَتُعُلِّمَ لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وَعَقَّ أُمَّهُ وَأَدْنَى صَدِيقَهُ وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ وكان زعيم القوم أرذلهم وأُكْرِمَ الرجل مخافة شره وظهرت الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وشربت الخمور ولَعَنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٣٢٦، رقم ٣٤٢٦)، ومسلم (٤/١٩٠٥، رقم ٢٤٥٠)

آخرُ هذه الأمة أولها فَلْيَرْتَقِبُوا عند ذلك ريحًا حمراء وَزَلْزَلَةً وَخَسْفًا وَمَسْخًا وَقَذْفًا وآيات تتابع كنظام بَالٍ قطع سِلْكُهُ»[1].

وروى الفاكهي في "أخبار مكة" عن ميمون بن مهران قال: صحبت ابن عباس رضي الله عنهما عشرين سنة، فلما حضرته الوفاة قلت له: أوصني قال: «أوصيك بثلاث خصال فاحفظها عني: لا تخاصم أهل القدر فيؤثموك، ولا تعلم النجوم فيدعوك إلى الكهانة، ولا تسب السلف فيكبك الله تعالى على وجهك في النار»[2].

وعد أهل العلم: شتم السلف من دلائل انحراف ديانة الرجل، كما قالوا ذلك في: مسور بن الصلت[3] وعمرو بن ثابت[4] وإسماعيل بن موسى الفزاري[5] وعباد بن يعقوب الرواجني[6] وغيرهم.

فائدة: ذكر الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" أن رجلاً أخذ من باب العامة بسامرا ذكر عنه أنه يسب السلف فضرب ألف سوط حتى مات[7].

وذكر الزركلي في "الأعلام" محرز بن خلف بن رزين البكري (ت٤١٣) وقال: وكان سلفيا، سمع في أحد أسواق القاهرة رجلا يسب السلف،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٩٥، رقم ٢٢١١)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) "أخبار مكة" للفاكهي (ح١٥٧٠).

(٣) "كتاب المجروحين" لابن حبان (٣/٣١).

(٤) "الضعفاء" للعقيلي (٣/٢٦٢).

(٥) "الكامل" لابن عدي (١/٣٢٥).

(٦) "الكامل" لاين عدي (٤/٣٤٨).

(٧) "البداية والنهاية" (١١/٣٦).

فأمسك بطرف ثوبه ، وصاح : أيها الناس ، إني لا أرضى؟ فتهاووا على الرجل حتى تقطع لحمه بين أيديهم[1].

وبالضد من ذلك كان من علامة أهل السنة : محبة السلف ، وتعظيمهم ، والحث على طريقتهم ، والحنين إلى جيلهم ورعيلهم ، والاستغفار لهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر : ١٠) .

وقال الفضيل بن عياض : «ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال إذا لم يكن صاحب هوى ولا يشتم السلف ولا يخالط السلطان»[2].

---

(١) "الأعلام"(٥ / ٢٨٤).

(٢) "حلية الأولياء" (٨ / ١٠٤).

المبحث الثاني: الانتماء للسلفية نسبة وعملاً.

إذا تبين ما تقدم من تحرير معنى السلف، وأنه اسم يدل على معنى شرعي، وهو دين النبي ﷺ وأصحابه وأئمة الدين، فإن الانتساب إليه شرف، والانتماء إلى أهله منقبة لا عيب فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا، فإن كان موافقا له باطنا وظاهرا: فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا. وإن كان موافقا له في الظاهر فقط دون الباطن: فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله. فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم»[1].

فهو اسم شرعي لا عيب على من دعا إليه، وحث على التمسك به، وشأنه شأن سائر الأسماء الشرعية تقبل ممن تسمى بها، فإن وافقت حقيقة الديانة والعمل وافق الاسم المسمى، وإن خالف الاسم الديانة والعمل صار التسمي به من باب الدعوى، كإطلاق الإسلام على المنافق!

وعلى هذا لا يشين اسم (السلفي) و(السلفية) مخالفات بعض من انتسب إليها أفراداً كانوا أو جماعات، كما لا يشين اسم الإسلام والإيمان مخالفات بعض أهلهما.

(١) "مجموع الفتاوى" (٤/١٤٩).

المبحث الثالث: الأسماء الشرعية الموافقة لمعنى السلفية.

السلفية وصف لمن سلك طريقة السلف – كما تقدم- فهو اسم محمودٌ شرعاً، وكل ما دلّ على معناه من الأسماء الشرعية التي ارتضاها العلماء فهو يدل عليها، بغير وجه من أوجه الدلالات، ومن تلك الألقاب الموافقة لمعنى السلفية:

(١) أهل السنة والجماعة؛ فهو يوافق معنى (السلفية) لأن السلف هم (أهل السنة) لاتباعهم سنة النبي ﷺ، وهم (أهل الجماعة) لنبذهم الفرقة والاختلاف، والخروج على ولاة أمر المسلمين، وأصل هذا اللقب قول النبي ﷺ في الفرقة الناجية: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[1].

فقوله ﷺ: «ما أنا عليه» يراد به السنة، وقوله: «وأصحابي» يدل على معنى الجماعة، لأن جماعة الصحابة هم أصدق مثال للجماعة الكاملة.

وهذا الوصف فيه إشارة واضحة على توافق (السلفية) و(المواطنة) وذلك لأن السلفيين كما أنهم (أهل السنة) لالتزامهم بالسنة النبوية، فكذلك هم (أهل الجماعة) والجماعة هي المقصد الأسمى لـ(الوطنية) الصادقة، وكلّ من اجتهد لجمع صفوف الوطن، والنصح له، فهو من (أهل الجماعة) بدء من أبسط علامات المواطنة من التعاون وحفظ المقدرات ورعاية الحقوق والوفاء بالذمم إلى أهم معالم المواطنة من السمع والطاعة، والجهاد، والنصح ونحوه.

فاجتمع في (السلفية) الصادقة: صدق الاتباع مع صدق الاجتماع، ولذلك هم أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦/٥ ، رقم ٢٦٤١) وقال : هذا حديث مفسر غريب .

(٢) أهل الأثر ؛ يوافق معنى (السلفية) لأن طريقة السلف قائمة على تعظيم الأثر واتباعه، يقابلون بذلك أهل (الأهواء) و(الرأي).

(٣) أهل الحديث ؛ ومجراه مجرى (أهل الأثر).

وكل اسم دل على منهج أهل الحق في مقابلة مذهب أهل الضلال فأهل السنة أولى به من غيرهم، وإطلاقه على غيرهم كذب وزيف، لا يُنقص الاسم المحمود عن مرتبته، ولا يرفع المخالف لمضمونه عن مرتبته، وقد قال النبي ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1] وكذلك من بطأ به عمله لم تسرع به نِسْبَتُه، والله أعلم.

المبحث ا لرابع : معالم السلفية، وارتباطها بالمواطنة.

كما تقدم ذكره من شمولية معنى السلفية لكل ما يشمله معنى الإسلام، لأن السلف كانوا يمثلون الصورة النقية للإسلام، وهي صورة النبي ﷺ في كل ما يشمله معنى الإسلام، وتقدم أن السلفية تطلق على ما هو أخص من ذلك، وهو المعنى الخاص المتضمن لأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المخالف لما عليه أهل البدع والأهواء، ولهذا رسم أهل السنة أصولاً في العقائد واعتبروا من خالف في شيءٍ منها خارجاً عن السلفية، وعن جادة أهل السنة والجماعة، وإن وافق أهل السنة في جوانب أخرى من دينه.

ومن معالم السلفية التي تميزها عن غيرها من الطرق البدعية : صدق المواطنة، في أدق صور التعايش مع الآخرين من أهل البلد من التعاون

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٢، رقم٧٤٢١) ، ومسلم (٤/٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩)، وأبو داود (٤/٢٨٧ ، رقم ٤٩٤٦)، والترمذي (٥/١٩٥ ، رقم ٢٩٤٥) ، وابن ماجه (١/٨٢ ، رقم ٢٢٥)، وابن حبان (٢/٢٩٢ ، رقم ٥٣٤) .

والتآخي وحفظ الحقوق، ورعاية الذمم إلى أعظم صور المواطنة، ومن أعظم ما اهتم به علماء السلف بما يحقق صدق المواطنة عدة أمور:

أحدها: بذل البيعة له.

الثاني: السمع والطاعة لولي أمر المسلمين.

الثالث: منع الخروج عليه.

الرابع: الحج والجهاد تحت رايته براً كان أو فاجراً.

الخامس: النصح له بالسر واللين[١].

وعلى هذه الأمور تدور مقالات السلف في ذكرهم لأصول عقائد أهل السنة.

ونقل كلامهم في ذلك يطول به المقام، ولكي لا يخلو المقال من مثال أنقل بعض عباراتهم، ومن ذلك:

قول الإمام أحمد في "أصول السنة": «والسمع والطاعة للائمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع

---

(١) هما شرطان في نصيحة السلطان، السر واللين، وضد السر: التشهير والتعيير، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٢٤/٤٩): «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له».

سألت شيخنا ابن باز –رحمه الله تعالى– عن الحديث، فقال: إسناده جيد.

واللطف واللين أصل في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ذلك بينته بالتفصيل في كتابي "وصيتي للإخوان بمنهج أهل السنة في نصيحة السلطان".

الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافدة من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع وتدين بأنها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك، ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»[1].

وقال أبو حاتم وأبو زرعة في "عقيدتهما": «ولا نرى الخروج على الائمة ولا القتال في الفتنة ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز و جل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة نتتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»[2].

وقال الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا

---

(١) "أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١/١٦٠- ١٦١).

(٢) "أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١ / ١٧٧).

ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز و جل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[1].

فهذه العبارات - ونحوها- كلها تدل على ذلك المعنى العظيم الذي ينتهجه السلف الصالح - والسلفيون من بعدهم- من التزام تلك المبادئ والأصول، وكلها أسس الوطنية النقية، فدل ذلك على مدى التلازم الوثيق بين السلفية والوطنية، برعاية كلّ ما يحققها، والوقاية من كلّ ما يمزقها، والله أعلم.

---

(١) "العقيدة الطحاوية"(ص٤٥).

الفصل الثاني

الأدلة الشرعية الدالة على فضل منهج السلف والحث على اتباعه

دلّ القرآن والسنة، وصريح المنقول عن الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فضيلة منهج السلف، والحث على التمسك به، ودونوا في ذلك العديد من كتب الأثر، والله تعالى يقول عن المؤمنين: ‖ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ‖ (ČċːȀÎΣā).

ZŸ˥ä БǗ ¢ŸÕφȘ ÛK˥ä БǗ ĘǤÊöä ǦŸÆȐz ZŸÊŸö ȷȦÖz.

والله تعالى يقول: ‖ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ‖ (النساء: ١١٥) ومشاقة الرسول بذاتها موجبة لجهنم وساءت مصيراً، ومع ذلك فقيدت المشاقة باتباع غير سبيل المؤمنين دفعاً لشبهة الأدعياء الذين يدعون عدم المشاقة، ثم يحدثون ما لم يأت به المؤمنون من قبل، فدل على أن اتباع سبيل المؤمنين وهم السلف قيد لازم في اتباع سنة النبي ﷺ، وأن مشاقتهم معتبرة في الذم كاعتبار مشاقة الرسول ﷺ، لأنهم نقلة السنة النبوية، أولى الناس بفهمها وتطبيقها.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[1].

والنبي ﷺ والخلفاء الراشدون هم أصل معنى السلف، وكل طريقةٍ تخرج عن طريقتهم فهي طريقة محدثة مبتكرة ليست من دين الله تعالى.

ووصف المحدثات بالضلالة دليل بالمقابلة على أن سنة النبي ﷺ وأصحابه هدى ونور، وبذلك كانت لهم الخيرة على غيرهم، كما قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[2].

وكلما تقدم عهد السلف كلما كان الاقتداء به والسير على طريقته أسلم ممن دونهم، ولهذا قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَستنَّ بمنْ قَد ماتَ فَإِنَّ الْحي لَا تُؤْمَن عليه الْفِتْنَة، أُولئك أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانوا أفْضلَ هذه الأمَّة، وأَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قومٌ اخْتارهمُ الله لصحبة نَبِيِّه وَإِقامة دينه، فاعْرَفُوا لَهُمْ فضلهمْ، وَاتَّبعوهمْ في آثَارهِمْ، وتمسَّكُوا بما اسْتَطَعْتُمْ من أخْلَاقِهِمْ وَدِينهمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا على الْهَدْى الْمستقيم»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٦، رقم ١٧١٨٤)، وأبو داود (٤/٢٠٠، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (٥/٤٤، رقم ٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/١٥، رقم ٤٢) وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٦/٤٠٤، رقم ٣٢٤٠٧)، وأحمد (١/٤٣٤، رقم ٤١٣٠)، والبخاري (٢/٩٣٨، رقم ٢٥٠٩)، ومسلم (٤/١٩٦٢، رقم ٢٥٣٣) وغيرهم.

(٣) رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢/٩٧)، والطبراني في "الكبير" ٩/٦٦، بنحوه، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١/١٨٠) بعد عزوه للطبراني: ورجاله رجال الصحيح.

وقال ﷺ أيضاً: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا»(١).

وعنه ﷺ قال: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»(٢).

وعنه ﷺ قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم»(٣).

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: «يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا»(٤).

وقال الأوزاعي: «العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، فما كان غير ذلك فليس بعلم»(٥).

وقال أيضًا: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»(٦).

---

(١) "الزهد" لابن المبارك (ص ٢٨١ ح ٨١٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (ح١١٥).

(٣) "البدع والنهي عنها" لابن وضاح (ص١٣).

(٤) "جامع بيان العلم" لابن عبدالبر (٢/٢٩).

(٥) "جامع بيان العلم" لابن عبدالبر (٢/٢٩).

(٦) "الشريعة" للآجري (ص ٥٨).

فهذه النصوص دالة على فضيلة منهج السلف، والرعيل الأول، وأن التمسك به منجاة في مدلهمات الفتن.

الفصل الثالث

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وارتباطها بمنهج السلف

شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب المولود عام (١١١٥) والمتوفى عام (١٢٠٦) والمجدد لما اندرس من معالم الدين الإسلامي في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، إمام سيرته أشهر من أن تذكر، ومآثره أظهر من أن تنشر في هذا المختصر، وقد كتب عنه خلق كثير، في عصره وبعد عصره[1]، وقد اشتهر عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى نبذ الجمود المذهبي مع احترام العلماء ومقالاتهم ومذاهبهم، فلم يحمله التزام أحد الطرفين على إبطال الطرف الآخر، فلم يكن يخرج عن مذاهب العلماء ويحدث مذهبا جديداً لا سلف له فيه، ولم يكن يتعصب لمذهب إمام معين يقلده بغير دليل، وإن كان في أصل تمذهبه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وإنما كان يدور مع الدليل حيث دار، ويلتزم طريقة السلف في العقائد والأحكام والآداب، يقول رحمه الله تعالى في رسالته إلى ابن السويدي العراقي:

(١) ر: تاريخ ابن غنام، و"عنوان المجد" لابن بشر، وتراجم بعض طلابه له في "الدرر السنية" و كتاب "تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب" لحسين خزعل، وكتاب "الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته" لشيخنا ابن باز، وكتاب "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه" لسليمان الندوي، وكتاب "محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث" لبهجة الأثري.

«عقيدتي، وديني الذي أدين الله به، مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين؛ مثل الأئمة الأربعة، وأتباعهم، إلى يوم القيامة»[1].

ويقول رحمه الله تعالى في رسالته لابن عبداللطيف عالم الأحساء: «أقول - ولله الحمد والمنة وبه القوة - إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، ولست - ولله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أنّي لا أرد الحق إذا أتاني، بل أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنّها علي الرأس والعين؛ ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق»[2].

ويقول: «وأنا أُشهدُ اللهَ وملائكتَهُ وأشهدُكُمْ: أني على دينِ اللهِ ورسولهِ، وإني متَّبِعٌ لأهل العلمِ، غيرُ مخالفٍ لهم»[3].

ويقول كلٌ من حسين وعبدالله ابني الشيخ الإمام: «واعتمد في هذا الأصل على كتاب الله، الذي أنزله تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين؛ وعلى ما كان عليه السلف الصالح، من أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، ولا تغتر بما حدث بعدهم، من البدع المضلة، في أصول الدين،

(١) "الدرر السنية" (١/ ٥٥، ٧٩).

(٢) "الدرر السنية" (١ / ٣٧- ٣٨).

(٣) " الدرر السنية" (١/ ٥٨).

وفروعه، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .. »[1].

ويقول عنه عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ: «وتصدى رحمة الله للرد على من نكب عن هذا السبيل واتبع سبيل التحريف، والتعطيل، على اختلاف نحلهم، وبدعهم، وتشعب مقالتهم، وطرقهم، متبعاً رحمه الله، ما مضى عليه السلف الصالح من أهل العلم والإيمان وما درج عليه القرون المفضلة، بنص الحديث، ولم يلتفت رحمه الله إلى ما عدى ذلك من قياس فلسفي أو تعطيل جهمي، أو إلحاد حلولي أو اتحادي، أو تأويل معتزلي، أو أشعري. فوضح معتقد السلف الصالح، بعدما سفت عليه السوافي، وذرت عليه الذواري، وندر من يعرفه، من أهل القرى والبوادي، إلا ما كان مع العامة من أصل الفطرة، فإنه قد يبقى ولو في زمن الغربة والفترة»[2].

ونقل الشيخ الألوسي في "تاريخ نجد" عن إبراهيم الحيدري (ت١٢٨٦) قوله في الثناء على شيخ الإسلام: «قد عرف واشتهر واستفاض من تقرير الشيخ، ومراسلاته، ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه، وما ثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته، أنه على ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحَّت به الأخبار النبوية، وتلقاها أصحاب رسول

---

(١) "الدرر السنية" (٣ / ١٥٦).

(٢) "الدرر السنية" (١ / ٤٥٥).

الله بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها ويمرونها، كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل..»[1].

ومن سبر كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في مؤلفاته وقف على هذا المنهج الأصيل بوضوح، فعمدة سائر مؤلفاته على نصوص الوحيين وكلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، ومن أشهر مؤلفاته "كتاب التوحيد" وليس فيه إلا آية وحديث وكلام أهل العلم من الصحابة والتابعين وأئمة الدين.

وعلى هذا الأصل سار عامة علماء الدعوة السلفية الذين تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في داخل الجزيرة وخارجها من العرب والعجم منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، وأكبر ما يدل على تعظيمهم لمنهج السلف حرصهم الدائم على نشر كتب الرعيل الأول من الأمات الست والمسانيد والمعاجم وكتب السنة، وإقرائها والعناية بها.

وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع، وآوى إلى ركن شديد من تمسك بطريقة السلف، وهذا من أعظم أسباب نفوذ دعوة شيخ الإسلام وقبول الناس لها، وهذا من صدق الاتباع للنبي ﷺ والأخذ بوصيته حين قال: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

---

(١) "تاريخ نجد" للألوسي (ص: ٧٧ - ٩٠).

الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

والالتزام بوصية أعلام السلف بالتمسك بسنة النبي ﷺ وفهم السلف الصالح، فكان له ولدعوته رحمه الله تعالى مما للقوم من العزة والرفعة والانتفاع بعلومهم، والمحبة والقبول.

---

(١) سبق تخريجه ص١٨ .

الفصل الرابع

نشأة الدولة السعودية[1]

والتزام حكامها بمنهج السلف الصالح، والانتماء إليهم

لما قوي ساعد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بما حباه الله تعالى من العلم، وبعد الرحلة إلى بلدان شتى لطلبه وتحصيله، مع ما رآه في الجزيرة العربية من البدع والخرافات والمخالفات لدين الله تعالى، رأى أن هذا الدين قوامه قوة العلم والبيان مع قوة السيف والسنان، فاتجه إلى الإمام محمد بن سعود بن مقرن المتوفى عام (١١٧٩) أمير الدرعية آنذاك، وعرض عليه المبايعة على نصر دين الله، وسنة سيد المرسلين ﷺ، ومحاربة البدع والخرافات، وكان ذلك عام (١١٥٧) فتمت البيعة، وبدأ الشيخ في مكاتبة من جاورهم من القرى بالدعوة إلى دين الإسلام، والبراءة من الشرك وأهله.

ومن ذلك رسالته إلى أهل القصيم، ورسالته إلى فاضل بن مزيد رئيس بادية الشام، ورسالته إلى عبدالرحمن السويدي أحد علماء العراق، ورسالته إلى البكيلي صاحب اليمن، ورسالته إلى أهل المغرب.

وقام ببعث طلابه إلى جهات شتى فأرسل الشيخ محمد بن صالح إلى بلدة منفوحة، والشيخ عيسى ابن قاسم إلى بلدة الرياض، والشيخ أحمد بن سويلم إلى بلدة ثادق، والشيخ حمد العريني إلى بلدة اليمامة، وجمع من

---

(١) ينظر كتاب "نشأة الدولة السعودية" لمعالي الشيخ محمد بن سعد الشويعر، و"الدرر السنية" (٣/٢٢١) وما بعدها و(١٥/٤٠٩) (١٧/٩) (٢٠/١٦٤).

العلماء إلى منطقة الإحساء، والشيخ عثمان أبا حسين ثم الشيخ قرناس بن عبدالرحمن إلى بوادي حرب.

وقام بتقرير الحق عن طريق المناظرات مع علماء عصره كما صنع مع علماء المسجد الحرام في مكة المكرمة عندما أرسل كلاً من الشيخ عبدالعزيز الحصين عام (١١٨٤) لمناظرة علماء مكة وإيضاح ما عليه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من التزام الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح.

وفي الوقت نفسه بدأ الإمام محمد بن سعود بتكوين قواعد الدولة الأساسية، وتجهيز الجيوش، وإعداد العدة، وصد عدوان من حمله انحراف مذهبه على قتاله، حتى أمكنه الله تعالى منهم، وفتح له الكثير من البلاد، ومن بعده الإمام المجاهد العالم عبدالعزيز بن محمد بن سعود المتوفى عام (١٢١٨) فكانت أوسع الغزوات وامتداد رقعة الدولة السعودية في وقته، وفي وقت ابنه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود المتوفى عام (١٢٢٩) ثم ضعفت بعد وفاته الدولة السعودية في عهد ابنه عبدالله المتوفى عام (١٢٣٤) وفيصل وتزامن ذلك مع ثورة محمد علي باشا عام (١٢٢٦) على أهل نجد وقاد الحملة ابنه أحمد طوسون محمد علي باشا، وبعده ابنه الآخر إبراهيم محمد علي باشا عام (١٢٣٣) فحصل على أهل الدرعية وما جاورها ويلات وويلات.

حتى انتهضت الدولة السعودية قائمة بولاية الإمام تركي بن عبدالله بن سعود، المتوفى عام (١٢٤٩) بمناصرة من الإمام عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٨٥) وأولاده وطلابه.

ومن بعده الإمام فيصل بن تركي (١٢٨٢) ثم تدنت بعده قوة الدولة السعودية، وحصلت نزاعات بين قادتها حتى سقطت الرياض من ولايتهم عام (١٣٠٩).

ثم في عام (١٣١٩) انتهضت الدولة السعودية بتوفيق الله وفضله بيد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (١٣٧٣) رحمه الله تعالى، وناصره جلة العلماء في عصره منهم عبدالله ومحمد ابنا عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، والشيخ سعد بن عتيق وأخوه عبدالله، وجمع من العلماء.

وتمّ توحيد أطراف المملكة العربية السعودية، وضمها على ما هي عليه اليوم تحت الحدود والمسمى عام (١٣٥١).

ولعل الناظر إلى هذا السرد الموجز لتاريخ نشأة الدولة السعودية يرى أنها من أول قيامها تحظى بالتلازم بين (سلاطين العدل) و(أساطين العلم) وأولئك الأساطين من العلماء ممن عرفوا بالتمسك بالكتاب والسنة، والتزام مذهب السلف الصالح، مما جعلهم بطانة خير للحكام من آل سعود بدء بالإمام محمد ابن سعود إلى أن وصل الأمر إلى الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى وذريته من بعده.

وهذه البطانة الصالحة جعلت أولئك الحكام الأجلاء يصرحون بتعظيم الكتاب والسنة، والتزام مذهب السلف الصالح، وسأنقل من كلام ولاة الأمر في هذه الدولة ما يدل على هذا الأصل.

<u>أولاً : الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، رحمه الله تعالى.</u>

يقول رحمه الله تعالى في رسالته إلى البكبلي اليماني : «وأما ما ذكرتم : من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد، من أقوال الأئمة الأربعة : أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى..»[1].

وقال رحمه الله : «أخبر الله سبحانه أن من أطاع الله ورسوله، من الأولين والآخرين، فهو ناج من العذاب، ويحصل جزيل الثواب، وهذا أمر مجمع عليه بين الأمة، ولله الحمد، لا اختلاف فيه، لكن الشأن في تحقيق ذلك، وتصديق القول بالعمل بما في كتاب الله، وسنة رسوله، عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، وذلك : لأن الناس أحدثوا بعد نبيهم ﷺ، والسلف الصالح : محدثات، زعموا أنها من البدع الحسنة، فأقبح ذلك وأشده : دعوة غير الله، والاستغاثة بالصالحين، من الأحياء، والأموات، في جلب الفوائد، وكشف الشدائد، وسؤالهم الحاجات، ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم عنده»[2].

<u>ثانيا : الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله.</u>

قال رحمه الله : «ولسنا بحمد الله : نتبع المتشابه من التنزيل، ولا نخالف ما عليه أئمة السنة من التأويل.. »[3].

---

(١) "الدرر السنية"(١ / ٩٧).

(٢) "الدرر السنية"(٣ / ١٧١).

(٣) "الدرر السنية" (١ / ٢٩٠).

وقال: «فأهل السنة والجماعة: هم أتباع رسول الله ﷺ، في كل زمان، ومكان؛ وهم: الفرقة الناجية، كالصحابة، والتابعين، والأئمة، والأربعة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة؛ وقد بعث الله جميع رسله بتوحيده، ورفع مناره، وطمس الشرك، ومحو آثاره»[1].

وقال رحمه الله: «فالناصح لنفسه، الطالب نجاتها، المتبع للحق، يأخذ دينه من أصله، من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وهذا كتاب الله بين أيديكم، وتفاسيره موجودة، وأحاديث رسول الله ﷺ كذلك، وشروح العلماء الربانيين، وما فسروا به القرآن، والأحاديث»[2].

ثالثا: من كلام الإمام عبدالله بن فيصل بن سعود رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله في الحث على التزام مذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات وسائر مسائل الاعتقاد فقال: «وقد عرفتم ما حصل من التفريط والإضاعة في أصل الإسلام، حتى تلاعب الشيطان في كثير من الناس، وأخرجهم عنه بأمور وأحداث تنافي حقيقته، وتناقض مقصوده.

من ذلك: ترك التمسك بما كان عليه صدر هذه الأمة وأئمتها، من إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال التي وصف الرب بها نفسه، ووصفه بها نبيه، وتعرف بهما إلى عباده، والرغبة عن هذا إلى ما أحدثه المتكلمون ومن أخذ

---

(١) "الدرر السنية" (١ / ٣٠٥).

(٢) "الدرر السنية"(١٢ / ٢٧٥).

عنهم، من نفي حقائق الصفات، وسلب ما دلت عليه، كمن ينكر حقيقة استواء الله على عرشه، وعلوه بذاته على جميع مخلوقاته، كما أنكره جهم ومن تبعه».

إلى أن قال: «على هذا درج أئمة الإسلام، وأهل السنة والجماعة، ونبرأ إلى الله تعالى من الخروج عن سبيلهم، والرغبة عن هديهم ومنهاجهم؛ فمنها: الغلو في الأولياء والصالحين، ومجاوزة ما شرع في حقهم إلى رتبة وغاية لا تليق بالعباد، ولا يستحقها إلا الله الذي له ملك السماوات والأرض، وذلك كدعاء الصالحين من الموتى والغائبين، والاستغاثة بهم في الحاجات والملمات والشدائد، ونحو ذلك من المطالب الدينية والدنيوية العاجلة والآجلة».

إلى أن قال: «فمن أهم الواجبات الدينية والعقائد السلفية، موالاة جميع أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، والكف عما شجر بينهم».

إلى أن قال: «ومن أهم الأمور، وآكد الأركان الإسلامية، إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها بشروطها، وواجباتها، وإلزام الناس بذلك، وتشديد الإنكار على من أضاعها أو تركها.

وأكثر السلف يرون كفر تارك الصلاة، بمجرد الترك، وكذلك سائر المباني الإسلامية، والأصول الإيمانية، التي لا يقوم الدين إلا بها، فعلى الناس كافة الأمر بها، والتعاون عليها، والنهي عن تركها، والتغليظ على تاركها»[1].

---

(١) "الدرر السنية"(٢٠ / ١٦٧ - ١٧٣).

رابعاً: من كلام فيصل بن تركي رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى: «وقوله: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [لقمان: ٢٢] قالوا: إسلام الوجه، الإخلاص، والإحسان، والمتابعة؛ والقرآن من أوله إلى آخره، وكذلك السنة، في تقرير هذين الأصلين.

ومن تدبر سيرة النبي ﷺ قبل هجرته، وبعدها، وما كان عليه الصحابة، والتابعون، وأتباعهم، والأئمة، عرف: حقيقة دين الإسلام، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه؛ وتبين له: كثرة المنحرفين عنه، في هذه الأزمنة، وقبلها»[1].

وقال أيضاً: «وأهم الأمور: تعلم دين الإسلام بأدلته، من الكتاب والسنة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر فرائض الدين وواجباته»[2].

وقال أيضاً: «وقوموا بما أمركم الله به، في هذه الآية، من قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وذلك من أعظم أعمال الشكر، وأعمها نفعا؛ فيه يظهر الدين، وتصلح أحوال الناس، ويعود نفعه عليهم في معاشهم ومعادهم؛ وهو من النصيحة لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، فليكن ذلك همكم،

---

(١) "الدرر السنية"(٣ / ٢٨٣).

(٢) "الدرر السنية"(٢٠ / ١٥٣- ١٥٤).

وارغبوا في ذلك كما رغب فيه سلفكم الذين بهم قام الدين، وبذلك حصل لهم العز والتمكين؛ فإنهم ساروا بسيرة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد كانوا بحمد الله على الهدى المستقيم، والدين القويم»[1].

خامساً: من كلام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى في الخطاب الذي ألقاه في منى يوم عيد الأضحى حج عام ١٣٦٥هـ: «إنني رجلٌ سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة».

وقال في الخطاب نفسه: «يقولون إننا (وهابية) والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولقد صدق القائل:

فليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب»[2]

وقال في نصيحة له أخرى: «وإني على ثقة تامة بأن يرى كل صاحب إنصاف أن واجبي يدعوني لأن أوجه هذه النصائح لشعبي المحبوب، ولكل مسلم، لأني مسلم محافظ على إسلاميته، عربي غيور على عربيته، متبع لما جاء به محمد ﷺ مقتد بمذهب السلف الصالح»[3].

وقال في موطن آخر: «أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين،

---

(١) "الدرر السنية"(٢٠ / ١٥٩).

(٢) "المصحف والسيف" (ص١٣٥- ١٣٦).

(٣) السابق (ص ٢٨٧).

أما ما كان غير موجود فيها ، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة فأخذ منها ما فيه صلاح للمسلمين، أنا مسلم ، وأحب جمع كلمة المسلمين ، وليس أحب عندي من أن تجتمع عندي كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي ، وإني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك»(١).

وقال في خطبة له بمكة : «يسموننا بالوهابيين ، ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص ، وهذا خطأ فاحش ، نشأ عن الدعاية الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض ، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح ، نحن نحترم الأئمة الأربعة ، ولا فرق بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ، كلهم محترمون في نظرنا»(٢).

سادساً : من كلام الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى في خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء في الرياض : « لقد كان همنا ، منذ تولينا مقاليد الأمور ، أن نعتصم بكتاب الله ونهتدي بهدي رسول الله ﷺ ، وسنة خلفه من السلف الصالحين»(٣).

وقال أيضاً : « الذي أوصيكم به هو اتباع الشريعة المحمدية ، فيما بين الخلق من حقوق واختلاف ومشاكل »(٤).

(١) "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" للزركلي (ص٢١٦).
(٢) "السابق"(ص٢١٤).
(٣) صحيفة أم القرى العدد ١٥٠٦ في ٧ رجب ١٣٧٣ الموافق ١٢ مارس ١٩٥٤.
(٤) من كتابه للشعب في ١٨ رمضان ١٣٧٣هـ ، نقلاً من كتاب "آل سعود" لأحمد علي (ص١٥٦).

وقال أيضاً في خطابه إلى شعبه بمناسبة الذكرى العاشرة لجلوسه على العرش: «إننا... ما زلنا عاملين على تصريف شؤون البلاد، مهتدين بكتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح، فهل هناك مبادئ ندين بها في علاقاتنا، وتحكم سلوكنا، أسمى من الإسلام الذي يمثل الحق والعدل في أروع صورهما»[1].

وقال أيضاً في نداء إلى المسلمين بمناسبة حلول شهر الصوم المبارك: «أعظم هذه المبادئ هو التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، واعتقاد ما اعتقده السلف الصالح، الذين تعرفون ماضيهم، وقد نالوا العزَّ والكرامة»[2].

سابعاً: من كلام الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى في الحفل الذي أقامته الملكة إليزابيث الثانية بلدن في ١٩٦٧/٥/٩م: «إننا يجب علينا - جميعاً - أن نتمسك بعقيدتنا الإسلامية، وأن نوحد صفوفنا؛ لخدمة ديننا وأمتنا ووطننا، لأن شريعتنا الإسلامية فيها - ولله الحمد - من مقومات العدل والدفاع عن الحق، وإثبات الحقوق، والحرية، والتقدم، والبناء في جميع المجالات، ما يغنينا عن تلقي أو الاستماع إلى أي تيارات تتجاذب العالم»[3].

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ١٩٩٦ في ٢٨ جمادى الثانية ١٣٨٣ الموافق ١٥ نوفمبر ١٩٦٣.

(٢) صحيفة أم القرى العدد ١٥١٥ في ١١ رمضان ١٣٧٣ الموافق ١٤ مايو ١٩٥٤.

(٣) صحيفة أم القرى، العدد الرقم ٢١٧٠، الصادر في ٣ صفر ١٣٨٧هـ، الموافق ١٢ مايو ١٩٦٧م، ص١.

ثامناً: من كلام الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى: «من نعم الله على هذا البلد وأبنائه: أن مَكَّنَ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمناً، وعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً، ولذلك كان القرآن الكريم، وكانت السنة النبوية المطهرة، وما زالا مصدر الحكم والتشريع في هذه البلاد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ لإيماننا الكامل بأن في التمسك بهما قولاً وعملاً؛ نجاحنا وفلاحنا ورقينا وتقدمنا وتطورنا وازدهارنا. ومنذ أن مَنَّ الله على جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - بنعمة توحيد هذه المملكة، وجمع شتاتها، تحت راية "لا إله إلا الله" "محمد رسول الله" وضع نصب عينيه: إقامة العدل، ونشر الأمن والرخاء، والدعوة إلى الله، والسير على نهج الرسول العظيم، والسلف الصالح؛ معتمداً في ذلك: على إيمانه بالله، والجهاد في سبيله ونصرة كلمته»[1].

تاسعاً: من كلام الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى في كلمة ألقاها في جامعة الملك سعود يوم الخميس من شعبان ١٤٠٣هـ: «نحن في هذه البلاد، نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس، وسوف نجعلها هي القدوة، سواء كان في شريعتنا أو تنظيماتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم، أو في حياتنا اليومية أو الشهرية أو السنوية، فلذلك المملكة العربية السعودية - بالذات - عليها واجبات، ولها واجبات، عليها واجبات كبيرة بالنسبة

(١) صحيفة أم القرى العدد ٢٧٩٠ في ٧ ذو القعدة ١٣٩٩ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩.

للإسـلام والمـسلمين في أي مكـان كـان ، ولهـا واجبـات علـى المـسلمين أن يقدروها ؛ لأنها لا تلتفت لـشيء ، ولا تـنظم إلا مـا تقـره العقيـدة الإسـلامية ، العقيدة الإسلامية لم تترك خيراً إلا وأبانته ، ولـم تترك شراً إلا وأبانتـه ، حتـى يجتنبـه المـسلم ، العقيـدة الإسـلامية خلاصـة للعقائـد الإسـلامية ، وأتــت في مـصلحة البـشر عمومـاً ، لـيس فقـط في الأمـة العربيـة ، يَـدَّعُوْنَ الديمقراطيـة أو الحرية ، ما أعتقد أن فيه ديمقراطية أو حرية ممكن تعود على البشر بالخير ، مثـل مـا في العقيـدة الإسـلامية ؛ مـن حريـة وديمقراطيـة ورأفـة ورحمـة وقـوة . هـي عقيدة تجمع جميع الفضائل ، وتبعد الإنسان عن جميـع الرذائـل ، لـذلك نحـن فخورون بعقيدتنا ، وسوف نلتف حولها ، ونبقى مدافعين عنها ، مهمـا كانـت الظروف والأسباب ، لا نريد الإنصاف إلا من ربِّ العزة والجـلال ، ولكننـا لا نهتم بأي حال من الأحوال ، بمن يريد أن يعكـر صـفو العقيـدة الإسـلامية ، أو صفو التماسك في هذا الوطن ، أي المملكة العربية السعودية»[1].

<u>عاشراً : من كلام الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله تعالى.</u>

قال حفظه الله تعالى في كلمته التي ألقاها في افتتاح دورة مجلس الـشورى : «لقد أعز الله هذه الدولة ؛ لأنها أعـزت ديـن الله ، وسـارت علـى نهـج ثابـت ، يتوارثه خلف عن سلف ، وسوف تبقى عزيزة لا يضرها من عاداها : ما دامت ترفع راية التوحيد ، وتحكم شرع الله.

(١) من مقال : السيرة العطرة للملك الراحل للكاتب : وليد شيرة ، بصحيفة الرياض الاثنين ١٠ رجب ١٤٢٦هـ.

أيها الإخوة: إن منهجنا الإسلامي، يفرض علينا نشر العدل بين الناس، لا نفرق بين قوي وضعيف، وأن نعطي كل ذي حق حقه، ولا نحتجب عن حاجة أحد، فالناس سواسية، فلا يكبر من يكبر إلا بعمله، ولا يصغر من يصغر إلا بذنبه.

إن ديننا الإسلامي، يعلمنا أن المؤمنين إخوة، وسوف نسعى - بإذن الله- إلى ترسيخ روابط هذه الأخوة، متأملين أن تجتمع كلمة العرب والمسلمين، وتتوحد صفوفهم، ويعودوا قادة للحضارة وللبشرية، وما ذلك على الله بعزيز.

أيها الأخوة: إن الإسلام يدعو إلى توفير الحياة الطيبة لأبنائه، وسبيلنا إلى تحقيق ذلك هو التنمية الشاملة التي سنسعى - بإذن الله - إلى استكمالها، متلمسين خير المواطن وسعادته، آملين أن نحقق له أسباب السكن والعمل والتعليم والعلاج، وبقية الخدمات والمرافق، وسنحرص على مكافحة الفقر، والاهتمام بالمناطق التي لم تحصل على نصيبها من التطور، وفقاً لخطط التنمية المدروسة.

إننا لا نستطيع أن نبقى جامدين، والعالم من حولنا يتغير، ومن هنا سوف نستمر - بإذن الله - في عملية التطوير، وتعميق الحوار الوطني، وتحرير الاقتصاد، ومحاربة الفساد، والقضاء على الروتين، ورفع كفاءة العمل الحكومي، والاستعانة بجهود كل المخلصين العاملين من رجال ونساء، وهذا كله في إطار التدرج المعتدل المتمشي مع رغبات المجتمع المنسجم مع الشريعة الإسلامية.

وتعلمون أن التنمية لا يمكن أن تتحقق إلا في جو من الأمن والأمان، ولهذا فنحن نجدد العزم على القضاء على الفئة الضالة من الإرهابيين القتلة، ومكافحة الفكر التكفيري، بالفكر السليم، فلا مكان في بلاد الحرمين الشريفين للتطرف ! فنحن - ولله الحمد - أمة وسط، بعيدة عن الإفراط والتفريط.

أيها الإخوة الكرام: أقول لكل مواطن ومواطنة: لقد عرفتكم خلال السنين، كما عرفتموني، وقد كنتم على الدوام مخلصين صادقين أوفياء للعهد، وستجدوني - إن شاء الله - مخلصاً لديني ثم لوطني، صادقاً معكم، وفياً للعهد، ستجدوني معكم في السراء والضراء، أخاً وأباً، وصديقاً صادقاً، وسأكون بينكم في المسيرة الواحدة نرفع كلمة الإسلام، ورفعة الوطن»[1].

وقال أيضاً في كلمته التي ألقاها نيابة عنه سمو الأمير خالد الفيصل في افتتاح دورة المجمع الفقهي التاسعة عشرة: «إن نهج المملكة العربية السعودية، يلزمها برعاية العلم وأهله، والاستفادة من علم العلماء والفقهاء، فمنذ أن تمّ توحيد المملكة، على يد المؤسس الملك عبد العزيز - رحمه الله - ، وبلادنا مستمرة في العمل بهذا النهج، فالعلماء هم فقهاء العقيدة، وهم الدعاة إلى الصراط المستقيم، وسوف تواصل تعاونها - إن شاء الله- معكم ومع علماء الأمة، وقد أحسنت رابطة العالم الإسلامي، في إقامة الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين، من أجل متابعة قضايا الأمة، وما تتعرّض له من

---

(١) صحيفة "الشرق الأوسط" الأحد ٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ ٢ ابريل ٢٠٠٦ العدد ٩٩٨٧.

تحدّيات، وإن المملكة ستدعم هذا الملتقى الذي يمثل علماء الأمة الإسلامية، تحقيقاً لنهجها في الاستفادة من ورثة الأنبياء، وتعلمون أن دستور هذه البلاد، قائم على تحكيم الشريعة والعمل بها، ولا نقبل المساس بها من أحد»[1].

وقال أيضاً في كلامه لأهالي عسير عندما دعوه لزيارتهم: «هذه دعوة أهلي، وآبائي، وإخواني، وأبنائي، وكل بيت من بيوتكم هو بيت لي، وأنتم - ولله الحمد - ماضيكم جيد، وأبيض - وإن شاء الله - أنتم وأبناؤكم على سيرة السلف الصالح، ودعوتكم هذه باقية - إن شاء الله — وأنا - والله — أعزكم، وأعز كل ابن من أبناء المملكة العربية السعودية. وشكراً لكم»[2].

وقال أيضاً مشاركة مع الملك فهد بن عبدالعزيز في كلمة وجهاها إلى حجاج بيت الله الحرام في عيد الأضحى من حج عام ١٤٢٥هـ: «ليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، والتمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، واتباع آثار السلف الصالح من هذه الأمة»[3].

---

(١) صحيفة" الشرق الأوسط" الأحد ٢٣ شوال ١٤٢٨ هـ ٤ نوفمبر ٢٠٠٧ العدد ١٠٥٦٨.

(٢) صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ ٢٤ مايو ٢٠٠٦ العدد ١٠٠٣٩

(٣) صحيفة "الشرق الأوسط" الخميس ٠٩ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ ٢٠ يناير ٢٠٠٥ العدد ٩٥٥٠

الحادي عشر: من كلام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى في كلمة ألقاها أمام قادة القوات المسلحة: «نحن محسودون ومحاربون على نعمة الله التي أعطاها لنا وكل ذي نعمة محسود" وأوضح الأمير سلطان أن بلاده تواجه الآن حربا في دينها وتتهم فيما تعده شرفا لها وهي "السلفية" وقال مدافعا "السلف الصالح هم القدوة، إذا كنا سلفيين فنحن نتبع السلف الصالح»[1].

الثاني عشر: من كلام صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز ولي العهد ووزير الداخلية.

قال حفظه الله: «إنه لا شرف لهذه البلاد - أمة وقيادة – ما لم تَنْهَ عن المنكر، وتأمر بالمعروف، وإن الدولة هي التي تقوم على هذا العمل، والذي يحقق هذا الأمر، وتعمل من أجله، وهذا ليس بجديد ! بل إنه منذ أن قامت الدولة على يد المصلح محمد بن سعود، وحتى اليوم.

يجب أن يعرف الجميع - داخل المملكة أو خارجها - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن أساسي لدولة الإسلام، ويكفي أن نأخذ من هذا الاسم معناه...يجب أن نثق أننا أقوياء بالإسلام، وما يهمنا هو أن يكون الإسلام بخير، وأكرر: أنَّ الله شرفنا في هذه البلاد بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ،

(١) صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء ٢ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

وقامت على ذلك دولةٌ سلفيةٌ صحيحةٌ . ولكن أعداءنا لا يريدون لهذه الدولة أن تقوم أو أن يكون لها وجود.

وإسلامنا يدعو دائماً إلى القوة والتماسك، ونحن في وسط هذا العالم بخيره وشره.

وليعلم الجميع: أن بلادنا ولأنها دولة الإسلام، وتطبق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهي المستهدفة في هذا العالم، فلندرك جميعاً أننا مستهدفون في كل أمورنا، وهناك من يريدون هدم هذه الدولة، وتفتيت شملها، حتى أن هناك من قال: كان للغرب عدو أول، وهي الشيوعية، وأنهوها، وقالوا: لنا عدو ثاني؛ وهو الإسلام؟!

أقول - أمام العلماء – وبكلِّ جدٍ: نحن مستهدفون في العقيدة، والوطن؛ لذلك دافعوا عن دينكم، ووطنكم، وأبنائكم، وعن الأجيال القادمة! فمن هم قبلنا سلمونا الأمانة سليمة، ويجب أن نسلمها للأجيال القادمة، ولا نتركهم للشيطان... يجب أن تبقى دولتنا سلفية»[1].

الثالث عشر: من كلام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وزير الدفاع.

قال حفظه الله تعالى في افتتاحه للحفل السنوي للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم: «تقول متقولون عن دعوة تسمى الوهابية من قال أو من أتى بكلمة واحدة فليطلعني عليها أن الشيخ عبد الوهاب قال كلمة واحدة تخالف كتاب الله أو سنة رسوله أو نهج السلف الصالح؟» إلى أن قال «بل هي دعوة

---

(١) صحيفة "المدينة" تاريخ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٧هـ العدد (١٥٨٥٦) السنة (٧٢).

والحمد لله على نهج السلف الصالح وهذا كل من يتبع هذه الدعوة ومناهجها يعرف ذلك إلا مكابر أو مغالط»[1].

فهذه العبارات النيرات من القادة تدل على أن قيادتهم للوطن بُنيت على انتهاج منهج السلف، وأنهم (سلفيون) معظمون لطريقة السلف، سائرون عليها، زادهم الله من فضله وثبتهم على الحق، ونصرهم بالكتاب والسنة، ونصرهما بهم.

وفي ذلك أن (وطنيتهم) لم تُذهب (سلفيتهم) كما أن (سلفية العلماء) لم تُذهب (وطنيتهم) كما تقدم في ذكر مقالاتهم من كتب أصول الاعتقاد.

(١) صحيفة "الشرق الأوسط" الاثنين ٢٦ شعبان ١٤٢٥هـ.

الخاتمة

وفي خاتمة المطاف بعد زهيد الاقتطاف مما يثبت تلازم السلفية والمواطنة، وأن هذه البلاد قامت على منهج السلف الصالح من أول نشأتها، فأرجو بذلك أن يتضح للناظر في هذه الورقات فضل هذه البلاد، وأنها قامت على الدعوة السلفية، وأن السلفية هي دين الله تعالى، ودين الله تعالى شامل لكل جوانب الحياة، كما قال تعالى: ا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ا (البقرة: ٢٠٨)، أي في الإسلام بجميع نواحيه، فيشمل بذلك الدين والدنيا، والحياة والممات كما قال تعالى: ا قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ ا (الأنعام: ١٦٢).

وكم تكفل الإسلام بحقوق الغير من أفراد المجتمع الواحد، فللسلطان والجار والضيف والصديق وابن السبيل والخادم والأجير والأسير والمستأمن وغيرهم حقوق فرضها الشارع، فامتثل لها الصحابة والتابعون وأئمة الدين السالفين، وهذه الحقوق هي عين (المواطنة السليمة) فصار أولى الناس باتباعهم في هذه الأمور السلفيون.

ولن تجد في الدولة الإسلامية (سلفياً صادقاً) إلا وهو من أصدق الناس (مواطنة) كما أنه ما من عملٍ يدل على (صدق المواطنة) إلا ولها في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح أصل منقول معمول به.

ومن جميل الموافقة، بل من جزيل النعم الربانية: توافق الحال بين (حكام الدولة السعودية) و(علمائها) زادهم الله من فضله، فالحكام - قادة

الـوطن- ينـادون إلى التـزام مـذهب الـسلف ، وعلماؤهـا الـسلفيون ينـادون بالتزام المواطنة ، وطاعة السلطان ، والتزام النظام العام في طاعـة الله بمـا يرعـى ويحقق مصالح المسلمين ، فالحمد لله على نعمته.

المصادر

١- آل سعود، أحمد علي. دار الحق –بيروت.

٢- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي (ت٢٧٥هـ) تحقيق الدكتور عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٤.

٣- الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، لخير الدين محمود زركلي (ت١٣٩٦هـ) الطبعة الثالثة ١٣٨٩.

٤- الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة: الثانية، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، تاريخ النشر: ١٤١١هـ.

٥- البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى١٤٠٨.

٦- تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسين خزعل، دار مكتبة الهلال.

٧- تاريخ نجد، محمود شكري الألوسي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٤٧ هـ.

٨- الجامع، لأبي عيسى محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبدالرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤- ٢٠٠٣ هـ

١٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥.

١١- الدرر السنية في المسائل والرسائل النجدية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (ت١٣٩٢هـ).

١٢- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، لحسين بن غنام، حرّره وحققه ناصر الدين الأسد، ط ٣، مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض .

١٣- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه أبو عبدالله القزويني (ت٢٧٣هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٤- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت٣٨٥هـ) تحقيق سيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦.

١٦- السنن الصغرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، ١٤١٠.

١٧- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ) وفي ذيله الجوهر النقي، لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، نشر وتحقيق مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤.

١٨- السنن الكبرى، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) تحقيق الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، مكتبة الرشد –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١.

١٩- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) تحقيق مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة – بيروت، الطبعةالخامسة ١٤٢٠.

٢٠- سير أعلام النبلاء، للحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، الطبعة السابعة١٤١٠.

٢١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، للإمام أبي القاسم هبةالله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ) تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض ١٤٠٢.

٢٢- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري الحنبلي (ت٣٦٠هـ) تحقيق الوليد بن محمد نبيه سيف النصر، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤١٧.
٢٣- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠.
٢٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (ت٣٥٤هـ) ترتيب علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير(ت٧٣٩هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤.
٢٥- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ) تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠.
٢٦- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٦٥هـ) تحقيق الدكتور مصفطى ذيب البغا، دار ابن كثير، بيروت، البطعة الثالثة ١٤٠٧.
٢٧- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨- صحيفة أم القرى، العدد ٢٧٩٠ في ٧ ذو القعدة ١٣٩٩ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩.
٢٩- صحيفة الرياض، الاثنين ١٠ رجب ١٤٢٦هـ.
٣٠- صحيفة الشرق الأوسط، الأعداد (٩٩٨٧) (١٠٥٦٨) (١٠٠٣٩) (٩٥٥٠).
٣١- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العُقيلي (ت٣٢٢هـ) تحقيق الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٤.
٣٢- عقيدة أبي جعفر الطحاوي. دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
٣٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام (ت) دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٩.
٣٤- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، ط ٣ الرياض ١٣٨٥هـ.

٣٥- فتح المنان رد على صلح الإخوان، لمحمودكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ) ملحق بكتاب منهاج التأسيس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن (ت١٢٩٣) مصورة دار أضواء السلف بالرياض ١٤٢٦هـ.

٣٦- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ) تحقيق الدكتور سهيل زكار ويحيى مختار غزاوي، دار الفكر، الطبعة الثالثة١٤٠٦.

٣٧- كتاب الزهد، للإمام عبدالله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٩.

٣٨- كتاب ما جاء في البدع، للإمام محمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٧هـ) تحقيق بدر بن عبدالله البدر، دار الصميعي، الطبعة الأولى١٤١٦.

٣٩- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان التميمي الدارمي البُستي (ت٣٥٤هـ) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، دار الصميعي، الطبعة الأولى١٤٢٠.

٤٠- كشف الشبهات، للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي (ت١٢٠٦هـ) تحقيق عبدالله بن عائض القحطاني، دار الصميعي، ١٤١٨هـ.

٤١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) تحقيق عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

٤٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

٤٣- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي، ترجمة: عبد العليم البستوي، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٤هـ

٤٤- محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٤٥- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١.

٤٦- مسند أبي داود الطيالسي، للإمام أبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٩.

٤٧- مسند أبي يعلى، للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت٣٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤.

٤٨- مسند الإمام أحمد ابن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠.

٤٩- مسند ابن أبي شيبة، للإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) تحقيق أبي عبدالرحمن عادل بن يوسف الغزاوي وأبي الفوارس أحمد فريد المزيدي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨.

٥٠- مسند البزار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمر بن عبدالخالق العتكي البزار (ت٢٩٢هـ) تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن- دار العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٠٩.

٥١- مسند الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ) تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

٥٢- المصحف والسيف مذكرات ومكاتبات للملك عبدالعزيز، محيى الدين القابسي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض.

٥٣- مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، إشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

٥٤- مصنف ابن أبي شيبة، للإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) طبع الدار السلفية الهندية.

٥٥- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥.

٥٦- المعجم الصغير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

٥٧- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، كتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤.

٥٨- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩.

٥٩- الموطأ برواية يحيى الليثي، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي (ت١٧٩هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.

٦٠- نشأة الدولة السعودية معالي الدكتور: محمد بن سعد الشويعر. من البحوث المقدمة لمؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام - المحور الأول: عام ١٤١٩-١٤٢٠هـ.

٦١- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي. دار العلم للملايين ط١٩٩٩.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل

المقدمة لندوة

السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم



أوراق عمل

المحور الخامس



أثر الخطاب السَّلفي
لعلماء المملكة العربية السعودية
على الجاليات الإسلامية في الغرب

بقلم:

عبد الحق التركماني

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدخل: دولة التوحيد وعالمية الدعوة:

كانت مشاركتي في حفل تكريم الفائزين بجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية في المدينة المنورة (جمادى الآخرة: ١٤٣٢) مناسبة طيبة للتعرُّف على عدد من ضيوف الجائزة من العلماء والدعاة والمثقفين من بلادٍ شتَّى، كان من بينهم مفتي شمال اليونان الشيخ جمال حافظ إدريس (٧٤ عامًا)، وهو من الأقلية التركية هناك، لهذا بادرت إلى التحدث معه بالتركية، فانبسط إليَّ، وتكرَّر بيننا اللقاء في رواق الفندق، فلاحظتُ أنه يحتفظ في (جيب الصدر) بوثيقة قديمة تشبه جواز السفر، ولم أتكلَّف سؤاله عنها، فقد بادر إلى الحديث عنها وهو يستحضر ذكريات دراسته في طيبة الطيبة عشر سنوات (١٣٨٧- ١٣٩٧هـ/١٩٦٧-١٩٧٧م)، تتوَّجت بتعيينه داعية في اليونان. لقد دمعت عينا الشيخ جمال وهو يذكر الإمام الراحل عبد العزيز بن عبد الله بن باز، واصفًا إياه بالعالم الرباني الذي لم تر عيناه مثله، واستطرد في ذكر قصَّته قائلاً: «عندما أَنْهيتُ دراستي في الجامعة الإسلامية احترتُ في أمري: هل أبقى في السعودية أم أعود إلى اليونان؟! فرأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي: إذا أصبحتَ اذهب إلى الشيخ ابن باز، وأفعل بما يأمرك به، ولا تفكر ولا تتردد»، قال: «فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى مكتب الشيخ، وطلبتُ لقاءً خاصّاً به، وحدَّثته بالرؤيا، فتأثر الشيخ وبكى، وقال: يا بني! لو أردتَ أطلبُ لك الجنسية السعودية من المَلِكِ، ولكني أنصحك أن تعود إلى اليونان، فالمسلمون هناك في حاجةٍ

لمثلك، وأرجو أن ينفع الله بك... ودعا بدعوات كثيرةٍ»، قال الشيخ جمال: «فأخذت بنصيحة الشيخ دون تردُّد، وأمر بتعييني مبعوثاً للرئاسة العامة للإفتاء في اليونان»، وتلك الوثيقة التي يحتفظ بها باعتزاز؛ هي شهادةُ تعيينه الأولى تحمل صورته، وختم سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

تلك هي قصَّة رجلٍ واحدٍ من بين عشرات الآلاف من كافَّة أنحاء العالم؛ ارتبطوا بالدعوة السلفية في بلاد الحرمين من خلال جامعاتها التعليمية ومؤسساتها الدعوية، ومن خلال ما وجدوه من الرعاية والاهتمام بشؤونهم وهمومهم من ولاة الأمر فيها؛ إماماً بعد إمامٍ، وجيلاً بعد جيل، فحيثما توجَّهتَ في الشرق أو الغرب: ستجد مسجداً بُنِيَ بتمويل سعوديٍّ، أو مركزاً يقوم عليه داعيةٌ تخرَّج من جامعة سعودية، وإذا نظرتَ في الكتب المتداولة ستجد المطبوعات السعودية بدءً بمصحف المدينة النبوية الذي لا يكاد يخلو منه مسجد في العالم، وانتهاءً بالكتب الدعوية بمختلف اللغات العالمية.

إنَّ التفصيل في جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين ليس من مقاصد هذا البحث، فهو موضوع مستقلٌّ تصدَّى لبحثه وتوثيقه أكثر من مئة باحث وباحثة من (٣٥) دولة، شاركوا في: «المؤتمر العالميِّ الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية»، الذي نظمته الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بالتعاون مع دارة الملك عبد العزيز في محرم الحرام (١٤٣٢هـ). وتلك البحوث وما سبقتها تُظهر بجلاءٍ أنَّ عالمية الدعوة كانت نصب أعين الولاة والعلماء في جزيرة العرب منذ تأسيس الدولة السعودية بميثاق بين الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود، في منتصف القرن الثاني عشر، لتجديد الدين، والعودة به إلى ما

كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وفي عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود في آخر القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر، ثم تجديد الدين في عهد الإمام تركي بن عبد الله والإمام فيصل بن تركي في القرن الثالث عشر، ثم تجديد الدين في عهد مؤسس الدولة الحديثة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، الذي كان يتصل بالعلماء في أنحاء العالم، ويتابع شؤونهم، ويحمل همومهم، ويدعم مساجدهم ومراكزهم ومدارسهم، ويأمر بطبع الكتب الشرعية في مصر والهند لتوزَّع مجاناً على طلبة العلم، ويُنفق على ذلك بسخاءٍ رغم ضعف الإمكانيات المالية في تلك الأيام[1]، يدفعه إلى ذلك إيمانه العميق بعالمية رسالة الإسلام ودعوته، كما قال ربُّنا سبحانه وتعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]، وقال عزَّ وجلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]. وقد عبَّر الملك عبد العزيز رحمه الله عن ذلك بقوله: «أنا مبشِّرٌ أدعو لدين الإسلام، ولنشره بين الأقوام. أنا داعية لعقيدة السَّلف الصالح وعقيدة السَّلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما جاء عن الخلفاء الراشدين. أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة

---

(١) وقد طبع الملك عبد العزيز كتاب: «جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم» لابن الأثير رحمه الله، وكتاب: «المغني» لابن قدامة رحمه الله؛ لأول مرة في التاريخ. يراجع في هذا الخصوص كتاب: «طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز» دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية من إعداد الباحث الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين. أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ولو على يد عبد حبشي وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك»[1].

وعلى ذلك سار أبناؤه؛ فجاء من بعده ابنه الملك سعود رحمه الله ليأمر بجمع وطبع: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية» في (٣٧) مجلداً لأول مرةٍ في التاريخ، وأمر بتوسعة المسجد النبوي ثم المسجد الحرام ليتَّسعا لاستقبال أكبر عدد من الحجاج والمعتمرين والزائرين، وأسَّس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ)، وأهداها (٢٨) مسكناً ممَّا بناه من قبلُ ليؤويه وأهله وضيوفه أثناء زياراته المتعددة للمدينة، وأوضح الأهداف الحقيقية لإنشاء هذه الجامعة في خطابه الموجَّه لحجاج بيت الله عام (١٣٨٠هـ) فقال: «لقد رأيت من واجبي أن أخدم هذين الحرمين الشريفين، وأن أبدأ العمل في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة، فأمرت بإنشاء جامعة

---

(١) «مجلة المنار» التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا، المجلد (٣٣) ص: ١٠٨، تحت عنوان: (خطبة الملك السعودي في حجاج هذا العام في ٥ ذي الحجة سنة (١٣٥١) وحضرها ألف أو يزيدون). وراجع: «بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله» التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وانعقدت في الرياض في ١٤٢٠/٢/٢٣هـ، و«المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم» للأستاذ عبدالمحسن بن سعد الداود، الهيئة العربية للكتاب بالرياض: ١٤١٣هـ، و«مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية»، لمعالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، الرياض ١٤١٦هـ.

إسلامية في المدينة المنورة التي هي مأوى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهيأت لها من الأسباب والوسائل ما يكفل لها أداء الرسالة السامية المرجوة منها، فاستقدمت عدداً من علماء المسلمين من بعض الأقطار الإسلامية، وصنعوا لذلك برامج ونظمًا ومناهج، وستضم هذه الجامعة طلاباً من سائر أنحاء العالم، وسأحرص على أن يكون فيها عدد غير قليل من إخواننا الافريقيين والآسيويين الذين يتشوفون لمعرفة الإسلام في منابعه، وبذلك ستحوي طلاباً من أقاصي البلاد حتى إذا أكملوا دروسهم وتفقهوا في الدين رجعوا إلى الدين القويم، وهذا عمل يحتاج المسلمون أمداً طويلاً يؤتي أكله، ولكنه الطريق السوي لبث الدعوة وتوصيلها إلى أقصى المعمورة عن طريق هذه الجامعة والمنتسبين إليها حتى إذا تفرقوا في الأقطار جمعتهم دعوة الحق، وكانوا سبباً في اجتماع كلمة المسلمين وتعاضدهم وتعاونهم في كل قطر وفي كل حين»[1]، ولهذا الهدف أيضًا أسَّس رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

وأوضح الملكُ فيصل رحمه الله عن دوافع عناية المملكة بالدعوة الإسلامية، فقال: «ليس لنا أيُّ هدف ولا أي غرض في دعوتنا الإسلامية سوى أن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، وأن يتعاون المسلمون فيما بينهم فيما فيه صالحهم، ورفع مستوى شعوبهم وتعاونهم الأخوي في كل مجالات الحياة من اقتصادية واجتماعية وثقافية»[2].

---

(١) مجلة «الدارة» التي تصدرها دارة الملك عبد العزيز في الرياض، العدد (٤)، السنة (٣٢)، (١٤٢٧هـ)، ص: ٣٠.

(٢) «فيصل بن عبدالعزيز»، للدكتور صلاح الدين المنجد، ص: ١٥٠.

وأكَّد ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله فقال: «المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام، هي منهم ولهم، نشأت أساساً لحمل لواء الدعوة إلى الله تعالى، ثم شرَّفها الله بخدمة بيته وحرم نبيه صلى الله عليه وسلم، فزاد بذلك حجم مسؤوليتها، وتميَّزتْ سياستها، وتزايدتْ واجباتها، وهي إذ تنفِّذ تلك الواجبات على الصعيد الدولي إنَّما تتمثَّل ما أمر به الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة»[1].

ويتضمَّن النِّظام الأساسيُّ للحكم في المملكة الذي صدر عام (١٤١٢هـ) ما يؤكِّد على تمسُّك المملكة برسالتها الدعوية، ففي المادة (٢٣) منه: «تحمي الدولةُ عقيدة الإسلام، وتطبِّق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى».

وقد قامت المملكةُ بواجبها الدعوي ـ حسب القدرة والإمكان ـ فكان لذلك أكبر الأثر على المسلمين في العالم، خاصةً خارج ديار الإسلام، حيث تشتدُّ حاجة المسلمين من الأقليات والجاليات في الدول غير الإسلاميَّة إلى الدعم المعنوي والمادي. الدعم المعنوي: من خلال الدعوة والتعليم والإفتاء، والمادي: من خلال بناء المساجد والمراكز وتمويل المشاريع الخيرية.

وهذه الورقة محاولة متواضعة للتطرق إلى طرفٍ من ذلك الأثر من خلال التركيز على الجانب العلميِّ والدعويِّ الذي هو نتاج جهود العلماء الربانيِّين للدَّعوة السلفية الإصلاحية التَّجديدية التي وحدَّت الجزيرة العربية، ونشأ

(١) «فهد في صور»، لمحيي الدين القابسي، ص: ٤١.

عنها المملكةُ العربية السعودية ، حرسها الله تعالى وأدام عزَّها بالتوحيد والسنة.

أثر الخطاب السلفي لعلماء المملكة في المحافظة على هوية الجاليات الإسلامية وخصوصيتها الدينية :

إنَّ إقامة المسلمين في بلاد غير إسلامية تُعرِّضهم لمشكلات وتحديات كبيرة ، أخطرها في قدرتهم على المحافظة على دينهم وعقيدتهم ، والنجاح في تربية أبنائهم وتنشئتهم نشأة صالحة في مجتمعٍ منفلتٍ لا يقيم أي وزن لأحكام الديانة وضوابط الشريعة ، إسلامية كانت أو غير إسلامية. ومن المتقرَّر عند علماء التربية والنفس والاجتماع أن مناهج التعليم المعاصرة وثقافة المجتمع وسلوكياته العامة هي التي تصوغ عقلية الإنسان وتكوِّن شخصيَّته ؛ لهذا يحمل أهل العلم والدين من أبناء الجاليات الإسلامية هذا الهمَّ الكبير، ويعملون بإخلاص وجدٍّ في مواجهة التحديات والمشكلات التي تهدِّد هويَّتهم وكيانهم ، فيبذلون جهودهم في بناء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية ، وتوفير فرص التعليم الديني ، وإقامة النشاطات التي توثِّق روابط الأسر وأبنائها وبناتها. وفي هذا السبيل يجدون في جهود العلماء والدعاة السلفيين في المملكة العربية السعودية - بتوفيق الله عز وجل - أكبر معين ونصير لهم ، ليس في الجانب المادي - الذي أشرت إليه آنفًا – فحسب ، بل في الجانب المعنوي ، وهو الأهمُّ كما يتبيَّن من النقاط التالية :

١- من المعلوم أنَّ من أبرز معالم الخطاب السلفيِّ لعلماء المملكة هو التركيز على غرس العقيدة الإسلامية في القلوب بالتوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ ومجانبة الشرك والنفاق والرياء ، والتفصيل في تقرير الغاية من الخلق

وهـي إفـراد الله تعـالى بالعبـادة والقـصد والتوجُّـه ، وأن الـدلائل الـشرعية والفطرية والعقلية والكونية على ربوبية الخالق وأسمائه وصفاته وآثارهما في الآفاق والأنفس ؛ دالةٌ على تلك الغاية ، وموجبة لها ، ومرشدة إليها ، فهي ثابتةٌ بتلك الدلائل كلِّها ، بما يحقق هداية العقل ، وطمأنينة القلب ، وصلاح النفس وتزكيتها.

إن هذا الخطاب يتميَّز بقدرته البالغة على النفوذ إلى العقول والقلوب ، وتحريك النفوس للقيام بواجب العبودية لله عزَّ وجلَّ بقناعةٍ ذاتيةٍ تُثمر إيماناً وصدقاً واحتساباً ، يحمل على العمل والصبر والثبات في مواجهة الشبهات والشهوات والمغريات في مجتمع لا تقيِّده ضوابط العقيدة والشريعة ، ولا يرى لهذه الحياة غايةً سوى إشباع الغرائز من متع الدنيا ورغباتها ، وذلك هو خلاصة فكره وفلسفته في هذه الحياة ، كما شهد به الكاتبُ الشهير محمد أسد ـ وهو ابن الحضارة الغربية ، النمساوي اليهودي الأصل ـ فقال : «إنَّ الأوربي العادي ، سواء عليه أَكانَ ديمقراطيّاً أم فاشيّاً ، رأسماليّاً أم بلشفيّاً ، صانعاً أم مفكراً ؛ يعرف ديناً إيجابيّاً واحداً هو التعبد للرقي المادي ، أي الاعتقاد بأنه ليس في الحياة هدف آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر ، ... إن هياكل هذه الديانة إنما هي المصانع العظيمة ، ودور السينما ، والمختبرات الكيماوية ، وباحات الرقص ، وأماكن توليد الكهرباء. أما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة ، والمهندسون ، وكواكب السينما ، وقادة الصناعات ، وأبطال

الطيران»[1]؛ فلا ينجح في مواجهة هذه المادية المستحكمة في النفوس إلا خطابٌ دينيٌّ، صريحٌ في غايته، قويٌّ في حجَّته، بالغٌ في أثره، يعالج الأُصول والجذور، بإصلاح العقائد وتقويم المفاهيم أصالةً، فبها يكون صلاح الأعمال واستقامة السلوك تبعًا. وهذا هو منهج علماء المملكة، كما يُعرف ـ بالاستقراء ـ من كتبهم ورسائلهم وفتاويهم وخطبهم ودروسهم.

٢- وفي تلك البيئة الغربية التي تُقْسِي القلوب، وترهق النفس؛ تظهر دعوات من بعض ضعاف الإيمان واليقين إلى إعادة صياغة الإسلام وتغيير قليل أو كثير من أحكامه، خضوعاً لضغط واقعٍ مثقَلٍ بالشبهات والشهوات، وظنّاً بأن الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر أدعى لقبول الإسلام عند غير المسلمين، وأجدى في ربط الأجيال الجديدة به. والحقيقة أن تلك الدعوات تزيد غربة الإسلام وأبنائه، وتقضي على البقية الباقية من هوية الجاليات الإسلامية وتميزهم بعقيدتهم ودينهم. وهنا يبرز أيضاً الأثر الطيب لجهود علماء المملكة في مواجهة حركات تحريف الدين ومسخه، وإخضاعه للتفسيرات المادية أو السياسية أو العنصرية. وقد عُرف عن علماء الدعوة السلفية في المملكة غيرتُهم على دينهم، ودفاعهم عن أصول الدين وثوابته وأحكامه، ومبادرتهم إلى التحذير من كلِّ داعي ضلالةٍ، أو دعوةِ غوايةٍ، ومن أمثلة ذلك ما نشره سماحة المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في التحذير من أحد دعاة الشرِّ في أمريكا، فقال رحمه الله:

---

(١) «الإسلام على مفترق الطرق» لمحمد أسد، ص: ٤٧، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين.

«فالداعي لكتابة هذه الكلمة أنه ظهر في مدينة توسان التابعة لولاية أريزونا بأمريكا، شخص يُدعى رشاد خليفة، مصري الأصل، أمريكي الجنسية، يقوم بالدعوة على أساس بعيد عن الإسلام وينكر السنة وينتقص من منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحرف كلام الله بما يناسب مذهبه الباطل، والمذكور ليس له علم بأصول الشريعة الإسلامية إذ هو يحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة الزراعية مما لا يؤهله للقيام بالدعوة إلى الله على وجه صحيح، وقد قام بالتغرير ببعض المسلمين الجدد والسذج من العامة باسم الإسلام في الوقت الذي يحارب فيه الإسلام بإنكاره السنة والتعاون مع المنكرين لها قولاً وفعلاً...»، ثم بيَّن انحرافاته وحذَّر منها[1]. ولا شكَّ أن لمثل هذه المتابعة والمشاركة في مواجهة الحركات التحريفية في الغرب أكبر الأثر في تثبيت الجالية الإسلامية على الدين الصحيح والنهج القويم.

٣- لا يتحقَّق ما ذكرته في الفقرتين السابقتين إلا بالعلم الشرعي والدعوة إلى الله تعالى بالحجة والبرهان، فلا بدَّ أن يكون الداعي إلى الله على علمٍ مفصَّل بما يدعو إليه، مع حسن الخطاب والعرض، واستقامة الأخلاق والسلوك. وقد عُرف علماء المملكة بالعناية البالغة بنشر العلم الشرعي، وحثِّ طلبة العلم والدعاة على التفقُّه في الكتاب والسنة، والتحذير من القول على الله بغير علم. وقد أخذوا في سبيل ذلك بكلِّ سببٍ مشروع: من إنشاء الجامعات، وطباعة الكتب ونشرها، وتكوين الدعاة وكفالتهم في بلدانهم،

---

(١) نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٨) ص: ٣٩- ٤٢، ثم في مجموع فتاوى ابن باز ٢/ ٤٠٠.

وإقامة المؤتمرات والندوات في داخل المملكة وخارجها. وقد أشار الإمام الراحل عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في كلمةٍ له في أحد المؤتمرات عن الأقليات الإسلامية إلى أهمية العلم والدعوة وحسن الأخلاق، فقال: «ووصيَّتي لإخواني المسلمين في الأقليات الإسلامية وفي كل مكان، أن يتَّقوا الله، وأن يتفقهوا في دينهم، ويسألوا أهل العلم عما أشكل، وأن يحرصوا على تعلم اللغة العربية ليستعينوا بها على فهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأول ذلك الاهتمام بكتاب الله فهماً وعملاً، كما جاء في الحديث الصحيح: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، ثم قراءة كتب الحديث الموثوقة المعتبرة وغيرها من كتب الفقه والعقيدة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، وأن يتلقَّوا كل ذلك على أيدي علماء معروفين بالصلاح والتقوى وحسن العقيدة، والعلم الصحيح. وعلى الإخوة العلماء في المجتمعات ذات الأقلية المسلمة أن ينشطوا في مجال الدعوة إلى الله بين إخوانهم وغيرهم، ولهم الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى. وهذا العمل من أجل الأعمال وأعظمها كما تقدم في قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣]، ثم بعد ذلك يجب عليهم تبليغ هذا الدين إلى من حولهم من الأمم الأخرى؛ لأن دين الإسلام للناس كافةً؛ قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]. وهذه المجتمعات بأشدِّ الحاجة إلى هذا الدِّين، والداعي إلى الله يحصل له الأجرُ العظيم إذا كان سبباً في هداية هؤلاء، وإرشادهم لما خفي عليهم من أمور دين الإسلام؛ كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالبٍ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ

لك من حُمُر النَّعَم». فبهذه الدعوة يدخل في دين الله - دين الإسلام - إن شاء الله أفواجٌ، ويقلُّ عدد الكفار، فتصبح الغلبة - إن شاء الله تعالى - للمسلمين. وإن لم يتمكن المسلم في تلك البلاد من الدعوة فعليه أن يلتزم بدينه وأن يتخلَّق بالأخلاق والآداب الإسلامية؛ لأنها دعوةٌ بالفعل، ولأنَّها محبَّبة لذوي العقول الصحيحة، فيتأثر الناس غالبًا بهذه الصفات الحميدة، ولقد دخل الإسلام إلى بعض جنوب شرق آسيا بأخلاق التُّجار من الأمانة والصدق في المعاملة»[1].

٤- ولم يكتف علماء المملكة في هذا المجال بالنصيحة والتوجيه، بل عملوا - بمساندة ودعم ولاة الأمر فيها - على إنشاء مؤسسات تعليمية لتأهيل الدعاة، ومن أبرزها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ وقد ذكرت آنفًا أنها أسست في عهد الملك سعود رحمه الله ـ، وجاء في التعريف بها: «أنشئت الجامعة الإسلامية بالأمر الملكي رقم (١١) وتاريخ: ١٣٨١/٣/٢٥هـ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤسسة إسلامية عالمية من حيث الغاية، عربية سعودية من حيث التبعية، كما حُدِّدتْ أهدافها بالتالي:

- تبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم عن طريق الدعوة والتعليم الجامعي والدراسات العليا.
- غرس الروح الإسلامية وتنميتها وتعميق التدين العملي في حياة الفرد والمجتمع، المبني على إخلاص العبادة لله وتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، ص ٧- ١٤، ومجموع فتاوى ابن باز: ٣٧٧/٢.

• إعداد البحوث العلمية وترجمتها ونشرها وتشجيعها في مجالات العلوم الإسلامية والعربية بخاصة، وسائر العلوم وفروع المعرفة الإنسانية التي يحتاج إليها المجتمع الإسلامي بعامَّة.
• تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم من المسلمين من شتَّى الأنحاء، وتكوين علماء متخصِّصين في العلوم الإسلامية والعربية، وفقهاء في الدين، متزودين من العلوم والمعارف بما يؤهلهم للدعوة إلى الإسلام، وحلِّ ما يعرض للمسلمين من مشكلات في شؤون دينهم ودنياهم على هدى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح.
• تجميع التراث الإسلامي والعناية بحفظه وتحقيقه ونشره.
• إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية في العالم، وتوثيقها لخدمة الإسلام وتحقيق أهدافه»[1].

لقد تخرج من هذه الجامعة خلال مسيرتها المباركة التي جاوزت نصف قرنٍ من الزمان آلاف الطلاب من جميع أنحاء العالم، ورجعوا إلى ديارهم ليشاركوا - كل بحسب همَّته ورغبته، وإمكاناته وقدراته - في نشر العلم الشرعي، والدعوة إلى الله تعالى. وأبرز الدعاة العاملين اليوم في أوروبا وأمريكا هم من خريجي هذه الجامعة، وبفضل الله تعالى أولاً، ثم بفضلهم - وبفضل من كانوا السبب في احتضانهم وتعليمهم - تنشط الدعوة الإسلامية في بلاد الغرب بلغات أهلها؛ فوُجد لها بها صوت يُسمع، وكتاب يُقرأ.

---

(١) تعريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، منشور على الموقع الرسمي للجامعة.

يقول الدكتور كهلان الجبوري ـ مدير مركزالبخاري في مانشستر ببريطانيا ـ: «أرى أن لعلماء المملكة - ولا سيما الشيخين ابن باز وابن عثيمين - دورًا طيبًا في توجيه الجاليات الإسلامية والمحافظة على هويتها. وهناك ثقة كبيرة للمسلمين بعلماء المملكة، خاصة في الأمور الفقهية والعقائدية، رغم محاولات الطوائف المخالفة التقليل من شأنهم»[1].

ويقول الشيخ تركي عمر خطاب الأشعب ـ خريج كلية الشريعة بجامعة بغداد، خطيب وداعية مقيم في السويد ـ: «إن عامَّة المسلمين يتلقَّون - في أغلب الأحيان - خطاب علماء المملكة بكثير من الثقة والإحترام، لأسباب كثيرة، نذكر منها لا على سبيل الحصر: أن المملكة تضم أقدس البقاع، وأطهرها على وجه الارض زادها الله رفعة. وأن فئة من الناس تعلم أن علماء المملكة ينطلقون في كلامهم وفتاويهم من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفهم الصحابة لمنهج نبيهم في الدعوة الى الله». ويقول أيضاً: «لطلبة العلم والدعاة الذين تخرجوا من الجامعات السعودية، وأخص بالذكر منها: جامعة أم القرى في مكة المكرمة، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وغيرها؛ آثار وجهود واضحة في إيصال ونشر دعوة الإسلام، وقد التقيت بأشخاص منهم، وسمعت عن

---

(١) رسالة جوابية من الدكتور كهلان الجبوري، عبر البريد الإلكتروني (٢٠١١/٩/٢٦)، والاقتباسات اللاحقة منها.

آخرين ممن كان لهم الفضل بعد الله على هذه البلاد، أو غيرها في عموم أوروبا»[1].

ويقول الشيخ سعيد الحيحي ـ خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إمام وخطيب مسجد المركز الثقافي الإسلامي في شيستا، في ستوكهولم ـ: «لا شك أن لعلماء المملكة مكانة كبيرة في نفوس الجالية الاسلامية في كل مكان، فلهذا يكون لخطابهم وتوجيههم وإرشادهم الوقع الكبير والأثر الملموس في ترسيخ مبادئ دين الاسلام على شريحة واسعة من الأقليات المسلمة في بلاد الغرب، فما أن ينقل أحد فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في مسألة معينة حتى ترى وجه السائل قد تهلّل مستبشراً بالجواب، مذعناً لمضمونه، وما ذلك إلا لثقتهم الكبيرة بهذه المؤسسة، والله اعلم»[2].

ويقول الأستاذ إيهاب الأميري - مدرس في المدرسة الإسلامية في مدينة فيكشو في السويد، وإمام وخطيب مسجدها - : «كان لعلماء السعودية ولا يزال أثرهم المبارك والطيب بتوجيه الجالية الإسلامية إلى المحافظة على دينها وهويتها من خلال دروس العلم والمحاضرات والخطب التي تكون في محتواها توجيه النصح والإرشاد للذين يعيشون في الغرب، والتركيز دائماً على تثبيت العقيدة السليمة النقية في قلوب المسلمين، والإلتزام بالشريعة والسنة النبوية

(١) رسالة جوابية من الشيخ تركي عمر خطاب الأشعب، عبر البريد الإلكتروني (٢٠١١/٩/٢٧)، والاقتباسات اللاحقة منها.

(٢) رسالة جوابية من الشيخ سعيد الحيحي، عبر البريد الإلكتروني (٢٠١١/٩/٢٨)، والاقتباسات اللاحقة منها.

مـع مراعـاة فقـه الواقـع الـذي يعيـشون فيهـ وهـم بعيـدون عـن بلادهـم الإسلامية»[1].

ويقـول الأستاذ أيمـن الـبرق - مـدرس في المدرسـة الإسـلامية في مدينـة فيكـشو - : «أثـرهم قـويٌّ وفعـال - ولله الحمـد والمنـة - في تقويـة وازع الايمان في قلوب الناس، وتعظيم الشريعة، والتمسك بها، وتعظيم سنة الـنبي العدنان صلى الله عليه وعلى آله وسلم». ويضيف أيضاً: «هناك مكانة عظيمة لعلماء المملكة، وخصوصاً أنه أصبح واضحاً عنـد عمـوم المسلمين في أوروبـا أن هـؤلاء العلمـاء هـم أكثـر النـاس تعظيمـاً للسنة، واتباعًـا للـدليل، فيثقـون بهم، حتى وإن كانوا يخالفونهم في أمور تربَّوا عليها، وبقيت شوائب عالقة في عقـولهم. ولقـد قمـت بـسؤال عـدد مـن الإخـوة والمسؤولين لهـم توجهـات مختلفة؛ عن رأيهم بتجرد، وتصورهم في هذا الأمر؛ فأتَّفقوا - إلا واحدًا منهم - على أن الخطاب السلفي من علماء السعودية قـوَّى رابطـة الإيمـان في قلـوب النـاس، وعظَّـم فـيهم الـسنة، وفيـه حـثٌّ علـى نبـذ العنـف والتطـرف. وأقول بإنصاف: إن كثيرًا من الشباب الملتزم في مسجدنا قوي دينهم، وثباتهم عليه، واعتزازهم به؛ بسبب علماء السعودية، واستماعهم إليهم»[2].

(١) رسـالة جوابيـة مـن الأسـتاذ إيهـاب الأمـيري، عـبر البريـد الإلكترونـي (٢٠١١/٩/٢٩)، والاقتباسات اللاحقة منها.

(٢) رسـالة جوابيـة مـن الأسـتاذ أيمـن الـبرق، عـبر البريـد الإلكترونـي (٢٠١١/٩/٢٩)، والاقتباسات اللاحقة منها.

أثر الخطاب السلفي لعلماء المملكة في تدعيم وحدة الجالية الإسلامية وتوثيق الرابطة بين أبنائها:

يتميز الخطاب السلفي لعلماء المملكة العربية السعودية بارتباطه الوثيق بالكتاب والسنة، باعتبارهما المصدرين الوحيدين للعقيدة والشريعة الإسلامية، وفق فهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين المقبولين عند أجناس الأمة قبولاً عامّاً كالأئمة الأربعة وغيرهم - فهو خطاب جامع، يتجاوز حدود المذهبيَّة الضيِّقة، والحزبيَّة البغيضة، والطائفية المدمِّرة - إن التأكيد على وحدة الأمة، واجتماع الكلمة، والدعوة إلى نبذ الفرقة والاختلاف بالرجوع إلى المنابع الصافية للدين الحنيف؛ يتكرَّر كثيراً في آثار أولئك العلماء المقروءة والمسموعة. ولا شكَّ أن لهذا أثر طيب على الجاليات المسلمة في الغرب، فهي في أشد الحاجة إلى ما يجمع كلمتها، ويوحد صفَّها. ومن هنا فإنك تجد في المساجد والمراكز التي تنتهج المنهج السلفي رجالاً ونساءً من مختلف البلدان والقوميات والأجناس، اجتمعوا على كلمة سواء، بينما تكون أغلب المراكز البعيدة عن التأثر بالخطاب السلفي مقتصرة على فئة معينة من الناس باعتبار الأصل الذي ينحدرون منه، أو المذهب الذي ينتسبون إليه.

إن من أبرز مظاهر هذا الأثر على الجالية الإسلامية في الغرب عموماً؛ هو التزامهم بالصيام والإفطار اتباعًا لما تعلنه المرجعية الدينية في السعودية. وهو مظهر مثيرٌ للاهتمام جدّاً، يكشف عن مدى الثقة والاحترام الذي يحمله المسلمون لهذه الدولة ولعلمائها، إذ لا تلتفت الأغلبية الساحقة من المسلمين في الغرب إلى إعلان دخول رمضان أو العيد في البلدان التي ينحدرون منها أصالةً، بل يتوافقون ـ باختيارهم المحض، ومن غير أية دوافع سياسية أو مادية

ـ على متابعة السعودية ، ومن الحوادث التي لا تنسى : ما حصل قبل سنوات من إعلان إحدى أكبر المنظمات الإسلامية في أوروبا موعد يوم عيد الفطر قبل نهاية رمضان بأسبوع ، بناء على الحساب الفلكي ، فجاءت الرؤية الشرعية التي أُعلنت في السعودية بإثبات بداية العيد قبل ذلك بيوم ؛ فاضطرَّ القائمون على تلك المنظمة إلى سحب بيانهم وقرارهم ، بعد أن أدركوا أن عموم الجاليات الإسلامية لن يلتفت إليهم ، وسينظر إلى صنيعهم بأنه بثٌّ للفرقة والفتنة بينهم. وفي هذه السنة (١٤٣٢) أفطرت الجالية الليبية في مدينة ليستر ببريطانية وفقًا لإعلان عيد الفطر في السعودية وغيرها ، رغم أن إعلان إتمام شهر رمضان في ليبيا تمَّ في هذه السنة بطريقة شرعية مستقلَّة. ولعلنا نفهم من هذا أن عدم متابعة أكثر أبناء الجالية للبلاد التي ينحدرون منها لا يعني بالضرورة عدم ثقتهم بإعلان أوائل الشهور العربية فيها ، ولا طعنهم في شرعيتها ، ولكنها تعبِّر عن شعور جمعيٍّ بأهمية اجتماعهم على مرجعية إسلامية جامعة للمسلمين في أنحاء العالم.

وبخصوص موقف علماء المملكة من الحزبية والتفرق ؛ يقول الدكتور كهلان الجبوري : «تتراوح المواقف التي اطلعنا عليها بين التحفظ على الحزبية وأهلها ، وبين الجهر بالتحذير منها ، وأنها تشكل خطراً على وحدة المسلمين. وجميع من وصلتنا أقوالهم وفتاواهم وجدناهم يأمرون المسلمين بالاعتصام بالكتاب والسنة ، والتحذير من الفرقة والاختلاف ، وتجنب الخوض فيما قد يؤدي إلى تفرق المسلمين ويضعف كلمتهم».

ويقول الشيخ تركي عمر خطاب الأشعب : «لا شكَّ أن خطاب علماء المملكة في هذا الأمر له تأثيره الواضح على كثير من الإخوة المتأثرين بالدعوة

السلفية، والمحتاج إلى تقويم منهم لخلل ما في ثوابت وضوابط الدعوة والولاء، ولكن وفيما أعتقده أن الشباب المسلم لم يرقَ حتى الآن لمثل هذه الفكرة ولم تتبلور بشكلها أو مرحلتها النهائية، بالرغم من توافر النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، والدعوات لمشايخ وعلماء بلاد الحرمين في ذلك، مما لا يخفى على أحد».

وعن أثر ثقة عموم المسلمين في الغرب بعلماء المملكة في ارتباطهم وجمع كلمتهم؛ يقول الشيخ تركي عمر: «فيما أعلم أنه لا يوجد بلد له من الهيبة والاحترام والتقدير عند الشعوب لما للمملكة وعلمائها عند الناس، لما حباها الله من ميزات لم يتميز بها بلد آخر، لذا تجد أن الناس عند دخول أو خروج رمضان أو العيدين يسألون: هل إن المملكة أعلنت أن غدًا رمضان، أو غرة شوال أم إكمال عدة، وهذا من فضل الله على المملكة وأهلها. أما إذا كان أيَّ برنامج للفتاوى على أي قناة فضائية تستضيف أحد مشائخ المملكة؛ فتجد حرص الناس على المتابعة والاتصال».

ويقول الأستاذ إيهاب الأميري: «من الواضح للجالية الإسلامية في السويد أن منهج علماء السعودية يدعو إلى نبذ الفرقة والاختلاف أينما وجد، ويدعو دائماً إلى الاعتصام بحبل الله وبالتمسك بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الحزبية التي يحاول البعض الدعوة إليها هي من الأمور التي ينكرها ويمقتها منهج العلماء السعوديين، ويصفونها دائماً بأنها المفرقة لوحدة المسلمين، وهي سبب بعدهم عن المنهج السليم». ويقول أيضاً: «من الملاحظ أن الجالية الاسلامية هنا في السويد على مستوى الأفراد بشكل خاص، وعلى مستوى الجمعيات الإسلامية بشكل عام؛ أصبحت تتخذ من ثبوت دخول

رمضان في السعودية وقتاً لتحديد هذه المناسبة عندهم، مما يدل أيضًا على ثقة المسلمين بعلماء السعودية الذين يعتبرون هذه المناسبات مواقيت إسلامية بحتة، بعيدة عن أي تأثيرات سياسية خارجية. وعلى هذا نرى الكثير من المسلمين في السويد تتجه أنظارهم، وتتأكد ثقتهم بالآراء الفقهية والفتاوى التي تصدر من السعودية من خلال الفضائيات. ومن هذا الشيء تحقق بشكل جيد نوع من جمع الكلمة بشكل نسبي بين فئات الجالية الإسلامية التي تنتمي إلى بلدان مختلفة؛ تحت مظلة علماء السعودية حفظهم الله».

أثر الخطاب السلفي لعلماء المملكة في حفظ شباب الجاليات الإسلامية في الغرب من مناهج العنف والإرهاب:

ظاهرة الغلو في الدين وانتهاج أساليب العنف والإرهاب؛ ظاهرة قديمة، لكنَّها اشتدت في العقود الأخيرة، وصارت أكثر بروزاً، وأعظم خطراً منذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١). وكان لعلماء المملكة العربية السعودية قصب السَّبق في التحذير من هذه الظاهرة وبيان الموقف الشرعي الصحيح منها، حيث يرجع تاريخ أول قرار لهيئة كبار العلماء إلى سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) يوم كانت هذه الظاهرة لا تحظى باهتمام إعلامي كبير، ورغم ذلك فقد أبدى المجلس وعياً مبكراً بخطورتها، كما يظهر في صدر قرارها (١٤٨): «وبعد: فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين، المنعقدة في مدينة الطائف، ابتداء من ١٨/١/١٤٠٩ إلى ١٢/١/١٤٠٩؛ بناءً على ما ثبت لديه من وقوع عدة حوادث تخريب ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء، وتلف بسببها كثير من الأموال والممتلكات والمنشآت العامة في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، قام بها بعض ضعاف

الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة والحاقدة، ومن ذلك: نسف المساكن، وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة، ونسف الجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها...»[1]. والتفصيل في وصف البلاد بالإسلامية وغيرها؛ مقصودٌ بدقَّة، حتَّى لا يظنَّ ظانٌّ أن حكم تحريم العمليات الإرهابية عند أولئك العلماء خاصٌّ في حال وقوعها في ديار الإسلام. وقد تكرَّر هذا بعد نحو عشر سنوات في بيان آخر لهيئة كبار العلماء حول ظاهرة التكفير والتفجير، صدر عن دورتها التاسعة والأربعين، المنعقدة بالطائف، ابتداء من تاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ، ففي أولها: «ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت. ونظرًا إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم؛ فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحًا لله ولعباده، وإبراء للذمة، وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليهم الأمر في ذلك...»[2].

ومع تتابع الحوادث الإرهابية وانتشارها؛ تتابعت الفتاوى والمحاضرات والكتابات التي صدرت عن علماء المملكة في بيان موقف الإسلام من الإرهاب، وهي كثيرة جدًّا جمعت في مؤلفات عديدة، من أبرزها الكتاب الجامع: «موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب دراسة شرعية علمية

(١) «مجلة مجمع الفقه الإسلامي» العدد الثاني، ص: ١٨١.

(٢) «مجلة البحوث الإسلامية» ٣٥٦/٥٦- ٣٦٢.

وثائقية» تصنيف معالي الأستاذ الدكتور سليمان أبا الخيل حفظه الله، ويقع في مجلدين، وقد ترجم إلى الإنكليزية والفرنسية وغيرهما[1]، ومن خلال البحث في موقع (غوغل) للبحث في شبكة (الانترنت)؛ اطلع الباحث على آلاف النتائج ـ باللغة الإنكليزية وغيرها ـ لمواقع رسمية وغير رسمية تابعة لمؤسسات أو أفراد؛ تضم ترجمة وتنويهًا وإشادة بفتاوى علماء المملكة بهذا الخصوص. كما قام بعض طلبة العلم والدعاة الذين تخرَّجوا من الجامعات السعودية بإعداد بعض الكتب ضد الغلو والإرهاب، تستند مادتها العلمية إلى فتاوى ومحاضرات علماء السعودية. ولما ألَّف الأستاذ الدكتور تشارلز كورزمِن ـ أستاذ علم الاجتماع في جامعة كارولينا الشمالية في تشابل هيل في الولايات المتحدة ـ كتابَه الذائع الصيت: «الشهداء المفقودون: لماذا لا يوجد إلا قلة من الإرهابيين المسلمين»؛ لم يغفل فتاوى علماء المملكة في مواجهة الإرهاب، فذكر نقولات عن أبرز علماء المملكة كسماحة المفتي العام ورئيس مجلس القضاء الأعلى ووزير الشؤون الإسلامية، وغيرهم كثير[2].

إن أهمية تلك الفتاوى تكمن في قيمتها العلمية، وبُعدها الديني؛ حيث يستند أولئك العلماء إلى أدلة الكتاب والسنة وفقه أئمة الإسلام عبر العصور،

---

(١) ومنها: «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة» جمع وترتيب: محمد حسين القحطاني، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت: ١٤٣١هـ، و«جهود علماء المملكة العربية السعودية لمكافحة الإرهاب» د/ رانيا محمد عزيز نظمي، أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية - جامعة الملك سعود، مؤتمر الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف، (١٤٣٠).

(٢) Prof. Dr. Charles Kurzman "The Missing Martyrs: Why There Are So Few Muslim Terrorists" (New York: Oxford University Press, ٢٠١١).

ويبرزون المسؤولية الدينية في بيان حكم الإسلام في تلك الممارسات المنحرفة، فهو موقف ديني لا يخضع للاعتبارات السياسية أو المادية، لهذا نجد له في نفوس الشباب المتديِّن في الغرب تأثيرًا وفاعليةً لا نجدها في غيره. وأكتفي بذكر نموذج واحد من رسالة لسماحة مفتي المملكة العام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله بعد أيام من اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، حيث قال فيها: «إن ما جرى في الولايات المتحدة الأمريكية من أحداثٍ خطيرةٍ، راح بسببها آلاف الأنفس؛ لَمِنَ الأعمال التي لا تقرها شريعة الإسلام، وليست من هذا الدين، ولا تتوافق مع أصول الشريعة، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن الله سبحانه أمر بالعدل، وعلى العدل قامت السماوات والأرض، وبه أُرسِلَت الرسل، وأُنْزِلَت الكتب، يقول الله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]، ويقول سبحانه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]، وحَكَمَ الله ألا تُحَمَّل نَفْسٌ إثم نَفْسٍ أخرى، لكمال عدله سبحانه: {أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [النجم: ٣٨].

الوجه الثاني: أن الله سبحانه حرَّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»، وهذا عام لجميع عباد الله - مسلمهم وغير مسلمهم - لا يجوز لأحد منهم أن يظلم غيره، ولا يبغي عليه، ولو مع العداوة والبغضاء، يقول الله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة : ٨] ؛ فالعداوة والبغضاء ليست مسوغاً شرعياً للتعدي والظلم. وبناءً على ما سبق ؛ يجب أن يعلم الجميع ـ دولاً وشعوباً ، مسلمين وغير مسلمين ـ أموراً :

أولها : أن هذه الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة ـ وما كان من جنسها من خطف لطائرات ، أو ترويع لآمنين ، أو قتل أنفس بغير حق ـ ما هي إلا ضَرْبٌ من الظلم والجور والبغي الذي لا تقره شريعة الإسلام ؛ بل هو محرم فيها ، ومن كبائر الذنوب.

ثانيها : أن المسلم المدرك لتعاليم دينه ، العامل بكتاب الله وسنة نبيه ، ينأى بنفسه أن يدخل في مثل هذه الأعمال ، لما فيها من التعرض لسخط الله ، وما يترتب عليها من الضرر والفساد.

ثالثها : أن الواجب على علماء الأمة الإسلامية أن يبيِّنوا الحق في مثل هذه الأحداث ، ويوضحوا للعالم أجمع شريعة الله ، وأن دين الإسلام لا يقر أبداً مثل هذه الأعمال.

رابعها : على وسائل الإعلام ومن يقف وراءها ، ممن يُلْصِق التهم بالمسلمين ، ويسعى بالطعن في هذا الدين القويم ، ويصمه بما هو منه براء ؛ سعياً لإشاعة الفتنة ، وتشويه سمعة الإسلام والمسلمين ، وتأليب القلوب ، وإيغار الصدور ؛ يجب عليه أن يكف عن غيه ، وأن يعلم أن كل منصف عاقل يعرف تعاليم الإسلام ؛ لا يمكن أن يصفه بهذه الصفات ، ولا أن يلصق

به مثل هذه التهم، لأنه على مر التاريخ لم تَعْرِف الأمم من المتبعين لهذا الدين الملتزمين به إلا رعاية الحقوق، وعدم التعدي والظلم»[1].

وقد اتَّفقت آراء من رجعت إليهم في هذه الفقرة على أهمية دور علماء المملكة في مواجهة تيارات العنف والأرهاب والغلو:

يقول الدكتور كهلان الجبوري: «كان خطاب علماء المملكة واضحاً في التحذير من العنف والإرهاب، ولا يحفظ لهم إلا الأمر بالصبر، والاشتغال بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة».

ويقول الشيخ تركي عمر خطاب الأشعب: «مما لا شكَّ فيه أن الخطاب السلفي لعلماء المملكة أعزها الله، وتبنيها لما يسمى اليوم بمصطلح الأمن الفكري، له الأثر الواضح والجلي في المحافظة على شباب الجالية الإسلامية في بلاد الغرب من الإنحراف، والإنجراف خلف الدعوات الباطلة والمناهج المنحرفة عقائديّاً وفكريّاً، وأذكر أنني في إحدى خطب الجمعة وتحديداً عندما وقعت أحداث وتفجيرات ستوكهولم ذكرت الأمر بشيء من التفصيل، وذكرت فيما ذكرت أن هؤلاء خوارج. فبادرني أحد الطيبين بعد الخطبة عن الذي حملني على تسمية هؤلاء التكفيرين بالخوارج، فوعدته بخطبة أخرى عن أصل منهج الخوارج ونشأته، وبعد الخطبة الموعودة أهديته كتيبات ورسائل عن هذا الموضوع، فأصبح الآن والحمد لله من المنافحين عن منهج السلف، ومن المتحمسين لخطاب المملكة، وهو الآن يدرِّس معنا بنفس الجمعية الشباب والمراهقين، وهو متفاعل معهم، ويستعين بي - بعد الله عز

(١) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة» ص: ٢١- ٢٣.

وجل - بالرد على استفسارات الشباب وكبح جماحهم، ومواجهة أمور العنف والإرهاب بشكل واقعي لا عاطفي، مستمد من كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة، والحمد لله والمنة له»، ويضيف أيضاً متحدثاً عن فتاوى ورسائل علماء المملكة في مواجهة الغلو والتطرف: «لقد كان لهذه الكتيبات والرسائل والتي تعنى بمحاربة فكر التطرف والارهاب كل الخير والبركة. وقد قمنا بتوزيع كمية من تلك المطبوعات على مساجد ومؤسسات وجمعيات وأفراد في مدن السويد المختلفة».

ويقول الأستاذ إيهاب الأميري: «وقفتُ على عدة فتاوى لعلماء سعوديين يحثون فيها الشباب على اتباع المنهج السليم الذي يضبط العاطفة الإسلامية، والحماس الفطري لدى الشباب، ويدعو العلماء الأفاضل إلى الانضباط الشرعي الذي به يتم التقرب إلى الله تعالى، لأنه متابعة لسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم، ومن هذه السيرة يتبين كيفية التعامل مع غير المسلمين في حالات السلم والدخول في أمان الكفار المتحقِّق الآن، حيث يعيش الشباب المسلم في الغرب في جو من الأمان والسلم، وعلى هذا فإن الإخلاص في حبِّ نصرة هذا الدين وحده لا يُقبل ما لم يؤتى بالشرط الثاني في قبول العمل وهو المتابعة، وهذا ما وجدته في خطاب العلماء والدعاة».

ويقول الأستاذ أيمن البرق: «أثر خطاب علماء المملكة ملحوظ ومؤثر ومعلوم بفضل الله تعالى في صدِّ دعوات العنف والإرهاب».

ويشير الشيخ سعيد الحيحي إلى التقصير الموجود في تجلية هذا الجانب، فيقول: «أرى - والله أعلم - أن هناك تقصيراً كبيراً من أئمة المساجد،

وخصوصًا الخطباء والدعاة في إبراز الأثر السلفي لعلماء المملكة في الشباب، وذلك راجع إلى التوجهات والأفكار المنحرفة التي عليها كثير من أولئك الذين تصدروا للدعوة في الغرب، والله اعلم».

شهادة مفكّر فرنسيٍّ منصفٍ:

كنتُ أودُّ أن أتصل بعدد من المستشرقين للاستفادة من آرائهم حول موضوع هذه الورقة، لكن حال ضيق الوقت دون ذلك، فلا أقلَّ من أن أثبت شهادة لأحد أبرز المفكرين الفرنسيين هو الدكتور شارل سان برو Charles Saint-Prot، مدير معهد الدراسات الجيوسياسية في باريس، ومدير منتدى الحقوق والحضارة الإسلامية، وعضو في معهد القانون الدولي والمقارن في كلية (رينيه ديكارت) للحقوق في باريس[1].

لقد أصدر «شارل سان برو» كتابًا بعنوان: «الإسلام: مستقبل السلفية الإسلامية بين الثورة والتغريب» (باريس: ٢٠٠٨)[2]، تحدَّث فيه عن تاريخ

---

(١) له ترجمة مقتضبة في (ويكيبيديا)، ويمكن الاطلاع على بعض نتاجه في موقع مرصد الدراسات الجيوسياسية:

http://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Saint-Prot
http://etudes-geopolitiques.com/

والجيوسياسية: هي علم العلاقة بين السياسة والجغرافيا والديمغرافيا والإقتصاد، وخاصة فيما يتعلق بالسياسة والعلاقات الخارجية للأمة بالنسبة لمختلف الأبعاد المحلية والإقليمية والقارية والدولية. هذا التعبير مشتق من كلمتين: (جيو) وهي باليونانية تعني الأرض، وكلمة (السياسية). وقد صاغه لأول مرة العالم السويدي كجلين، للدلالة على دراسة تأثير الجغرافيا على السياسة.

(٢) "Islam. L'avenir de la Tradition entre révolution et occidentalisation" (Paris, ed. Le Rocher), "Islam.The Future of Tradition between Revolution and Westernization" (Le Rocher publisher, Paris) in ٢٠٠٨.

الإسلام منذ زمن الوحي، مرورًا بالعصور الإسلامية المختلفة والدعوة السلفية ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رجمه الله، إلى ظهور الحركات الإسلامية المعاصرة. حيث يرى المؤلف: إن التزام عدد كبير من المسلمين بعقيدة ومبادئ وقواعد شرعية يتمثل بالتيار السلفي، فالسلفية لم تكن قط بمنأى عن أي إصلاح، ولا يمكن أن تتواءم مع أي نزعة تزمتية، أو تيارات أقلوية تتميز بالتعصب الثوري. إن السلفية بمعزل عن الراديكالية التي يشكل الإرهاب أحد أبرز جوانبها، فالسلفية تعبير عن إسلام يحاول التوفيق بين الالتزام بالعقيدة مع الأخذ بعوامل التطور. ويؤكد المؤلف في القسم الثالث من كتابه على أن الحركات المتطرفة ليست مشتقة من الإسلام الحقيقي، ولا مستوحاة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويؤكد أيضًا على أن السلفية التي يعززها الاجتهاد هي الرد الأفضل على التيارات الثورية من جهة، وعلى التغريبية (الفرنجة) الثقافية والأخلاقية والسياسية من جهة ثانية. ويقول: «ثمَّة الكثير من الأكاذيب المختلقة حول فكر الشيخ ابن عبد الوهاب، ومن المهم التذكير بأنه لم يكن زعيم مذهب ولا حتى زعيم ملة، بل هو مفكر سلفي ينتمي إلى المذهب الحنبلي، إنه أحد أوائل المصلحين المحدثين، ففي الحقبة التي تراجعت فيها جذوة الإسلام؛ دعا الشيخ ابن عبد الوهاب إلى التجديد، مرتكزًا في ذلك على العودة إلى سير السلف». ويضيف الروفسور الفرنسي: «إنه من الضروري - في أيامنا هذه - أن تنتشر الحركة الإصلاحية التي تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتماد الاجتهاد في العالم الإسلامي لمواجهة تحديات عالم الحداثة، إن الرد على هذه التحديات ليس بالإرهاب الذي يذكرنا بتعصب الخوارج، ولا بالتغريب الذي يعني فقد

الهويَّة الإسلامية، والتخلي عن القيم الخاصة بالإسلام، الرد هو بالاجتهاد الذي يرتكز على إيجاد حلول تتكيف مع المشاكل، بل على احترام قيم وعقيدة الإسلام». ويشيد سان برو بدعوة خادم الحرمين الشرفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ـ وفقه الله ـ إلى الحوار بين الحضارات والأديان[1].

ويقول في لقاء صحفيٍّ: «ينبغي التنديد بكلِّ مَن يدَّعي من هؤلاء المتطرفين أنه سلفيٌّ، حيث يجب أن نقف ضد توظيف الكلمات توظيفًا سيئًا لتبرير أفعال شريرة. وهذا ينتج خلطًا في المفاهيم»[2]. ويقول في لقاء آخر: «من الأشياء المأساوية أن نجد اليوم المتشددين يستعملون مصطلح السلفية، وهو الذي أعطى صورة سلبية عن السلفية، وبالتالي فأنا أعتقد أنه من الواجب نزع هذه المصطلحات، وسحبها من استعمال أناس مثل هؤلاء؛ لأننا إذا تركنا استعمال مصطلح السلفية أو الجهاد في أيادي «القاعدة» فإننا سنترك يومًا مصطلح «الإسلام» بين أيديهم، ولن نجرؤ على استعمال كلمة «إسلام»؛ لأن الإرهابيين يستعملون كلمة «إسلام». فمن المهم القول اليوم إن السلفية ليست ابن لادن، وليست هي جماعة القاعدة في الجزائر، ويجب سحب هذه المصطلحات من تحت أقدامهم، فالسلفية هي حركة اجتهاد عصرية، وهي

---

(١) http://www.etudes-geopolitiques.com/pdf/Livre-ISLAM-Saint-Prot.pdf

(٢) جريدة «الأحداث المغربية» بتاريخ: ١١/١٢/٢٠٠٨م: المفكر الفرنسي «شارل سان برو»: التطرف له أسباب سياسية بعيدة عن الدين.

متوافقة تمامًا مع مصالح الإسلام، ونفس الأمر بالنسبة لمصطلح «جهاد»، ..»[1].

أثر الخطاب السلفي لعلماء المملكة في التأصيل الشرعي والأخلاقي لعلاقة الجاليات الإسلامية مع المجتمعات التي يعيشون بينها:

إن إقامة عدد كبيرٍ من المسلمين في بلاد غير إسلامية، واختلاطهم بمجتمعاتها؛ لم يقع على هذا الوجه الواسع إلا في العصر المتأخر، وهذا ما أوجد كثيراً من الحيرة والاضطراب في صورة العلاقة التي ينبغي تكون بين الفريقين، فمن المسلمين من توسع في الانفتاح والاندماج في تلك المجتمعات؛ بما ينتهي إلى الذوبان والانصهار، ومنهم من تشدَّد وتنطَّع، وبلغ به غلوه إلى استباحة الدماء والأعراض والأموال. وهنا تبرز أهمية الخطاب السلفي في تأصيل تلك العلاقة بناء على أحكام الكتاب والسنة وفقه أئمة الإسلام من غير إفراط ولا تفريط. إنه خطاب يحافظ - من جهة - على عقيدة المسلم وتميزه الدين، فذلك رأس ماله وشرط نجاته، ويلتزم - من جهة أخرى - بحسن المعاملة مع الآخرين، والتعايش معهم على أساس الصدق والأمانة والوفاء بالعهود والمواثيق، والالتزام بالأخلاق الشريفة والآداب الرفيعة.

وإن مما يؤكد على هذه الرؤية المتَّزنة استحضار المسؤولية الدينية على كل مسلم في تبليغ رسالة الله عز وجل، والدعوة إلى سبيله، وأن ذلك الركن الأساس مع الناس أجمعين، في كل زمان ومكان، فالمسلم المقيم في مجتمع

---

(١) مقابلة أجراها الصحفي التونسي هادي يحمد، نشرت في موقع إسلام أونلاين نت (الدوحة – القاهرة) بتاريخ: ٢٠٠٨/٧/٢٤.

غير مسلم هو في ميدان الدعوة والحجة والمجادلة بالتي هي أحسن، أما المواجهة والقتال والاستباحة فليس له إلا ميدان واحد: هو ميدان الحرب.

هذا هو التأصيل الشرعي لعلاقة الجاليات الإسلامية بالمجتمعات التي يعيشون فيها، وقد بذل علماء المملكة جهداً مشكوراً في تقريره وإبرازه، بما يلخصه هذه الكلمة القيمة للعلامة الراحل الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين رحمه الله أثناء أحد دروسه في التفسير، حيث قال في تفسير قوله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]: «لأنذركم به: أحذركم من المخالفة. وفي قوله: {وَمَنْ بَلَغَ} إشارة إلى أن من لم يبلغه القرآن لم تقم عليه الحجة، وكذلك من بلغه على وجه مشوَّش فالحجة لا تقوم عليه، لكنه ليس كعذر الأول الذي لم تبلغه نهائيّاً، لأن من بلغته على وجه مشوَّش يجب عليه أن يبحث، لكن قد يكون في قلبه من الثقة بمن بلَّغه ما لا يحتاج معه - في نظره - إلى البحث. الآن الدين الاسلامي عند الكفار هل بلغ عامتهم على وجه غير مشوَّش؟! لا أبدًا. ولما ظهرت قضية الإخوان الذين يتصرفون بغير حكمة ازداد تشويه الإسلام في نظر الغربيين وغير الغربيين، وأعني بهم أولئك الذين يلقون المتفجرات في صفوف الناس زعماً منهم أن هذا من الجهاد في سبيل الله، والحقيقة أنهم أساؤوا إلى الاسلام وأهل الاسلام أكثر بكثير مما أحسنوا ! ، ماذا أنتج هولاء؟! ، أسألكم: هل أقبل الكفار على الاسلام أو ازدادوا نفرة منه؟ ، وأهل الإسلام يكاد الإنسان يغطي وجهه لئلَّا ينسب إلى هذه الطائفة المرجفة المروعة، والإسلام بريء منها، الإسلام بريء منها. حتى بعد أن فرض الجهاد ما كان الصحابة يذهبون إلى مجتمع الكفار يقتلونهم أبداً، إلا بجهاد له راية من ولي قادر على الجهاد.

أما هذا الإرهاب؛ فهو والله نقص على المسلمين، أقسم بالله. لأننا نجد نتائجه، ما له نتيجة أبداً، بل هو بالعكس فيه تشويه السُّمعة، ولو أننا سلكنا الحكمة فاتقينا الله في أنفسنا وأصلحنا أنفسنا أولاً، ثم حاولنا إصلاح غيرنا بالطرق الشرعية لكان نتيجة هذا نتيجة طيبة»[1]. وقد ذكرت فيما سبق كلمة قيمة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في دعوة غير المسلمين وحسن معاملتهم.

يقول الدكتور كهلان الجبوري: «كل الكتب والفتاوى التي اطلعنا عليها من علماء المملكة المشهورين تحثُّ على أن يتخلق المسلمون بالأخلاق الحسنة، وأن يكونوا قدوة لغير المسلمين في الأمانة وحسن التعامل ودماثة الأخلاق. ووجدنا كلامهم منصباً على الإشتغال بالدعوة، وحفظ الأهل والأولاد، والاشتغال بما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم».

ويقول الشيخ عمر خطاب الأشعب: «متى ما فهم المسلم أنه دخل إلى هذه البلاد بعقد أمان، وأن عليه أن يقيم بهذا البلد وفق هذا المفهوم؛ فإن الإشكال سيزول من عقول وتصرفات المسلمين مع غيرهم. وإنني وجدت هذا المفهوم وما يترتب عليه من المعاملات مرسَّخاً بشكل واضح عند طلبة العلم والشباب المتأثر بخطاب علماء المملكة ومنهجهم المعتدل والوسطي. أما غيرهم فإن الخطاب إليهم يلاقي منهم صعوبةً في الفهم والاستيعاب».

---

(١) «شرح أصول التفسير» تسجيل صوتي، الشريط الأول، الوجه الأول، تم الشرح في الثاني من ربيع الأول (١٤١٩هـ).

ويقول الأستاذ إيهاب الأميري: «كذلك لأقوال وأفعال علماء السعودية أثر واضح في تأصيل طريقة إيصال الحق للمسلم وغير المسلم بما يتوافق مع منهج النبوة في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والطريقة التي كان يتبعها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة غير المسلمين، وهم يؤكدون دائماً في الجانب الشرعي على الأولوية والتدرج بتقديم ما يحتاجه المتلقي، كي ينتفع بما يقال له، وهذه هي عين الحكمة التي قد لا يراعيها أو لا يؤكد عليها كثير من أهل الدعوة الذين تركوا الأهم وانشغلوا بما دونه. فلعلماء السعودية بحمد الله الفضل بعد الله تعالى في تأصيل الخطاب الدعوى القائم على الحكمة والموعظة الحسنة المباركة».

خاتمة في الملاحظات والنتائج والتوصيات

أرجو أن تكون هذه الورقة مساهمة متواضعة في إلقاء الضوء على هذا الموضوع الذي يستحق اهتماماً جادّاً، وبحثاً علميّاً وميدانيّاً موسعاً من خلال الاستفادة من آراء وتجارب مئات الدعاة وطلبة العلم الذين ينتشرون في عموم أوروبا، وقد رأى الإخوة الذين تفضلوا بالإجابة على أسئلتي حول موضوع البحث ضرورة الإشارة إلى بعض الملاحظات المهمة، وذكر بعض التوصيات، وهي كما يلي:

١- الكتب الدعوية التي تطبع باللغات الأوروبية، سواء للجالية الإسلامية نفسها أو لدعوة غير المسلمين؛ لا بدَّ أن يراعى في انتقائها وإخراجها ما يتلاءم مع طبيعة وواقع تلك المجتمعات.

٢- إن لدى الجاليات الإسلامية في الغرب سواء على مستوى الدعاة والقائمين على المؤسسات الإسلامية، أو على مستوى عامة المسلمين رغبة صادقة، وحرص كبير على التواصل مع علماء المملكة للاستفادة العلمية والدعوية منهم، لهذا يرون أن لهم حقّاً عليهم - وفقَّهم الله - أن يخصصوا لهم مزيداً من الوقت والجهد والاهتمام.

٣- تقتصر معرفة علماء المملكة لأكثر العاملين في الغرب على زيارات قصيرة في الغالب؛ كحضور مؤتمرات أو زيارات عامة، وبسبب قصر الوقت وكثرة الناس لا يتأتَّى لهم التعرف بدقة على حقيقة الأمور في البلاد، فنقترح أن يتم إرسال طلبة علم من ذوي العلم، ورجاحة العقل، لمدة طويلة لدراسة واقع الحال.

٤- إن للمملكة - حرسها الله – جهوداً كبيرة في تأسيس ودعم مشاريع إسلامية كبيرة في الغرب، خاصة في بناء المساجد، فلا بدَّ من توخِّي الدقة والحذر، وحسن الاختيار؛ حتَّى لا تصبح تلك المساجد والمؤسسات أبواقًا للدعاية المسيئة إلى المملكة بسبب التوجهات الفكرية، والانتماءات الحزبية للقائمين عليها.

٥- لقد تميَّز خطاب العلماء في المملكة بالرفق والرحمة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ فكان لذلك أكبر الأثر في نيل حبِّ الناس واحترامهم، وكسب قلوبهم وثقتهم، فالعلماء الأجلاء مثل سماحة الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله، وسماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ والشيخ صالح الفوزان وغيرهم كثير، وكذلك أئمة الحرمين الشريفين؛ جميعهم اتَّصفوا بتلك الصفات، والتزموا بها، لكن ظهرتْ في العقد الأخير بين طلبة العلم والدعاة المتخرجين من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وغيرها ظاهرة سيئة؛ وهي ظاهرة الغلو في التبديع، والمبالغة في تجريح الناس وذمهم، والتجاوز عليهم بقبيح القول وسوء الخطاب، وسلوك مسلك الهجر والتنفير والتكبُّر والاستعلاء. وهذا المنهج المزري ينسبونه إلى السلف الصالح، ويزعمون أنهم يتبعون علماء السعودية ويأخذون عنهم، وفي الحقيقة أنهم لا يقلِّدون في ذلك - بتعصب مقيت، وحزبية بغيضة - إلا بعض المشايخ المغمورين في المملكة، وليس لأحد منهم منزلة علمية أو هيئة اعتبارية، وقد تصدَّى لغلوهم ومنهجهم في التنفير والتفريق والفتنة

مفـتي المملكـة سماحـة الـشيخ عبـد العزيـز آل الـشيخ حفظـه الله ، والشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله ، وكتب الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد - نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقًا ، والمدرس في المسجد النبوي حاليّاً - في التحذير من هذه الظاهرة ؛ لكن لا بدَّ من بذل جهد أكبر في مواجهتها.

٦- يبدو أن بعض المؤسسات الإعلامية في الغرب تصرُّ على ربط العنف والإرهاب بالدعوة السلفية ، من خلال وصف التنظيمات الإرهابية بالسلفية ، أو ربطها بالمرجعية السلفية. وهذه الإساءة المتعمدة لا بدَّ أن تواجه بجهد إعلاميٍّ يبيِّن حقيقة الدعوة السلفية ، ومنهج علمائها ، ودورهم في مواجهة الإرهاب.

وبالله تعالى التوفيق.



تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علماً وعملاً

إعداد

د. عبدالله بن محمد بن محمد الصامل الجهني

رئيس قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن محمد سعود الإسلامية بالرياض.

عضو هيئة التدريس بالجامعة.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، وَيُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيس قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ وَمَا أَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ[1]. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إلَه إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمَيْنِ، وَحُجَّةً عَلَى الْمُعَانِدِينَ، وَحَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِينَ، ، ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله تعالى لما بعث نبيه محمداً ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل، كان الناس في تشتت واختلاف وفُرقةٍ وتحاسد وتباغض وتدابر، فهدى الله الناس ببركة نبوة محمدٍ ﷺ، وبما جاء من البينات والهدى، هدايةً جلْتْ عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لهذه الأمة: اجتماعُ الكلمة، ووِحْدةُ الصف، وتقاربُ القلوب، وصفاءُ النفوس، ونبذ الأخلاق الرذيلة من غلٍ وحسدٍ وغيرها. فاجتمعوا بعد فُرقة، وعزّوا بعد ذِّلة، وأَمِنوا بعد خوفٍ (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو

---

١ ينظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل صـ١٧٠.

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ [1]).

ولقد أخبر ﷺ بما يقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات، ثم بيّن ﷺ المخرج عند هذا الاختلاف. فأخرج أبو داود والترمذي وصححه من حديث العرباض من سارية رضي الله عنه قال صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا: فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا، فَقَالَ " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا "، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ [2] ".

فأمر ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده. وكان أول ما وصّى به رسول الله ﷺ في هذه الوصية العظيمة أمرين عظيمين تجتمع به مصالح الدين

---

١ سورة آل عمران آية رقم: ١٦٤.

٢ أخرجه أبو داود في السنة باب في لزوم السنة (١٣/٥ - ١٤). والترمذي في العلم باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٤٤/٥). وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١٥/١ - ١٦). وأحمد (١٢٦/٤ - ١٢٧). والدارمي في المقدمة (٤٤/١). وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه البزار وابن عبدالبر والضياء المقدسي وابن رجب والألباني. ينظر إرواء الغليل (١٥٠/٨ - ١٥٢).

والدنيا، وينجو بها العباد في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا بها: وهي قوله: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ". يعني تأمر عليكم. قال الحافظ ابن رجب: هاتان الكلمتان تجمعان سعادةَ الدنيا والآخرة. أما التقوى فهي كافلةٌ بسعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها وهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ [1]). وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم. كما قال على بن أبي طالب ﷺ: " إن الناس لا يُصلحهم إلا إمامٌ بَرٌّ أو فاجرٌ، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربَّه، وحُمل الفاجرُ فيها إلى أجله ". وقال الحسن في الأمراء: " هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثرَ مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظٌ –أي للمنافقين –، وإن فرقتهم لكفر ".أهـ بتصرف [2].

وفي ظل الأحداث المتلاحقة، والفتن المتتابعة في زماننا هذا، فلا مخرج للعبد من هذه الفتن إلا بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، كما أرشد النبي ﷺ لذلك حذيفة بن اليمان ﷺ لما سأله عن الفتن، فقال حذيفة ﷺ: " فما تأمرني إن أدركني ذلك يارسول ؟ فقال ﷺ: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** [3]". ومن

---

١ سورة النساء آية رقم: ١٣١.

٢ ينظر جامع العلوم والحكم (١١٦/٢- ١١٨).

٣ أخرجه البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٥٢٩/٢- ٥٣٠). وفي الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٣١٧/٤). ومسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة

المعلوم من الدين بالضرورة أن لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة [1]. وهذه البلاد المباركة، ومع تتابع الفتن المتلاحقة، والأزمات المتتابعة عبر عقود متواصلة، كانت سداً منيعاً وحصناً حصيناً في وجه هذه الفتن والأزمات، فبقيت بتوفيق الله تعالى لها ثابتة راسخة قوية، لا تخشى إلا الله تعالى، وما ذلك إلا بسبب تمسكها بالكتاب والسنة عقيدةً وعلماً وعملاً ودعوة ومنهجاً، على طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المحمدية.

ومن هنا يأتي انعقاد هذه الندوة المباركة: " السلفية منهج شرعي، ومطلب وطني "، والذي أشرف أن أشارك فيه بورقة عمل في المحور الخامس من محاوره القيمة، والذي بعنوان: " الدولة السعودية والمنهج السلفي، نشأة وتطبيقاً ". وذلك تحت العنصر الثالث من هذا المحور، وهو: تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علماً وعملاً.

ومن الله تعالى وحده استمد العون والتوفيق والسداد. وأسأله أن يكون خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفع به عباد الله المؤمنين، وأن يديم على هذه البلاد عقيدتها وقادتها وأمنها واستقرارها، وأن يوفق قادة هذه البلاد المباركة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالله –حفظه الله تعالى- ، وسمو ولي عهده الأمين الأمير نايف بن عبدالعزيز، وزير الداخلية – حفظه الله تعالى- لكل خير وأن يجعلهم هداة مهتدين ورحمة على عباد الله المؤمنين، وأن يكفي هذه البلاد المباركة وجميع بلاد المسلمين شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه سميع قريب. وصلى الله سلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على طاعة ومفارقة الجماعة (١٤٧٥/٣- ١٤٧٦ ح ١٨٤٧).

١ ينظر: الدرر السنية (١١٤/٩).

تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علماً وعملاً

لقد من الله على هذه البلاد بدعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، ومناصرة جدِّ هذه الأسرة الإمام محمد بن سعود - رحمه الله- ، لهذه الدعوة، وحصل بذلك من الخير العظيم ونشر العلم والحق، ونشر الهدى، والقضاء على الشرك، وعلى وسائل الشرك، وعلى قمع أنواع الفساد من البدع والضلالات، ما يعلمه أهل العلم والإيمان ممن سبر هذه الدعوة، وشارك فيها، وناصر أهلها.

فصارت هذه البلاد مضرب المثل في توحيد الله، والإخلاص له، والبعد عن البدع والضلالات، ووسائل الشرك، حتى جرى ما جرى من الفتنة المعلومة التي حصل بسببها العدوان على هذه الدعوة وأهلها وكانت نهاية الدولة السعودية الأولى.

ثم جمع الله الشمل على يدي الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والد الإمام فيصل بن تركي رحمة الله على الجميع، ثم على يد ابنه فيصل بن تركي، ثم على يد ابن ابنه عبد الله بن فيصل بن تركي، ثم حصلت فجوة بعد موت الإمام عبد الله بن فيصل رحمه الله. وكانت نهاية الدولة السعودية الثانية.

فجاء الله بالملك عبد العزيز ونفع الله به المسلمين، فجمع الله به الكلمة، ورفع به مقام الحق، ونصر به دينه وجاهد في الله حق جهاده، وأقام به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحصل به من العلم العظيم والنعم الكثيرة، وإقامة العدل، ونصر الحق، ونشر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يحصيه

إلا الله عز وجل، ثم سار على ذلك أبناؤه من بعده في إقامة الحق، ونشر العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله- في ثناءه على الملك عبدالعزيز- رحمه الله- وعلى منهجه ودعوته وسيرته: وقد منَّ الله عليكم بإمام ولايته ولاية دينية، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين، خصوصاً المتدينين، بالإحسان إليهم ونفعهم، وبناء مساجدهم وبثّ الدعاة فيهم، والإغضاء عن زلاتهم وجهالاتهم. ووجود هذا في آخر هذا الزمان، من أعظم ما أنعم الله به على أهل هذه الجزيرة، فيجب عليهم شكر هذه النعمة ومراعاتها، والقيام بنصرته والنصح له باطناً وظاهراً [2].أهـ

فالدولة السعودية منذ نشأتها حتى الآن، أخذت على عاتقها الالتزام بالمنهج السلفي، والتمسك به وبنصوص الكتاب والسُّنة والتحاكم إليهما.

والمراد بالمنهج السلفي أو عقيدة السلف: ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، واعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعُرف عِظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهِر بلقب غير مرضٍ، مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية [3].

قال العلامة ابن باز- رحمه الله- : وهذه العقيدة التي دعا إليها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هي **عقيدة السلف**، **وهي عقيدة**

---

١ ينظر: مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله - (٩ / ٩٧)

٢ ينظر الدرر السنية (١٣٥/٩- ١٣٦).

٣ ينظر لوامع الأنوار للسفاريني (٢٠/١).

الدولة السعودية، وحقيقتها: التمسك بالكتاب والسُّنّة وما كان عليه سلف الأمة، في العقيدة والأحكام، حسبما دلّ عليه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ، وما درج عليه الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان. ويسميها بعض الناس: العقيدة الوهابية، ويحسب أنها عقيدة جديدة، تخالف الكتاب والسنة. وليس الأمر كذلك، **وإنما هي العقيدة التي درج عليها سلف الأمة**، ولكن الأعداء لقبوها بهذا اللقب تنفيراً منها ومن أهلها، وبعض الناس فعل ذلك جهلاً وتقليداً لغيره. فينبغي لطالب العلم ألا يغترّ بذلك، وأن يعرف الحقيقة من كتبهم، وما درجوا عليه، لا من أقوال خصومهم، ولا ممن يجهل عقيدتهم [1].أهـ

ولقد حرصت هذه الدولة المباركة على تطبيق هذا المنهج السلفي علماً وعملاً، دعوةً وتعليماً، وتطبيقاً ومنهجاً ودستوراً، من مؤسس هذه البلاد المباركة: الملك الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل –رحمه الله– ، حتى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمين الأمير نايف بن عبدالعزيز، حفظهم الله تعالى.

ولم يكن تمسك الدولة بهذا المنهج السلفي عن عاطفة مجردة، بل عن عقيدة راسخة في قلوب الرجال متأصلة في نفوسهم، بها يحيون وعليها يموتون، يعلمون معنى هذه العقيدة السلفية ومنهجها البيّن الواضح الذي لا لبس فيه ولا إشكال، لأنها هي عقيدة ومنهج النبي ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة الأبرار. وفي ذلك يقول الملك المؤسس الإمام عبدالعزيز الفيصل

---

١ مجموع فتاوى ابن باز - (٧ / ١٧٩)

—رحمه الله- : ويعلم اللهُ أن التوحيد لم يملك علينا عظامَنا وأجسامَنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آله لقضاء مآرب شخصية أو لجرّ مغنم، **وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي**[1].أهـ

ومع تمسكهم وعلمهم بهذا المنهج السلفي الوسطي الذي لا غلو فيه ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، ومع توفيق الله لهم بذلك، فإنهم يحرصون على دعوة غيرهم لهذا المنهج، والدفاع عنه، وكشف الشبهات والافتراءات الموجة لهذا المنهج السلفي. تتابع على ذلك الملك المؤسس وأبناءه البررة.

وفي الدعوة لهذا المنهج السلفي والعقيدة السلفية، يقول الملك عبدالعزيز—رحمه الله - : يسمّوننا " بالوهابيين"، ويسمون مذهبنا " الوهابي"، باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأٌ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض. **نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح. ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلُّهم محترمون في نظرنا. هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عزّ وجل، خالصة من كلِّ شائبة منزّهة من كلِّ بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من مِحنٍ وأوصاب.** إن

---

١ ينظر: مختارات من الخطب الملكية (١/٤٤- ٤٥).

المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة. إننا لا نبغي " التجديد " الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا. إننا نبغي مرضاة الله تعالى، وهو ناصرنا. فالمسلمون لا يعوزهم التجدد، **وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح**[1]. أهـ

ويقول أيضاً –رحمه الله- : أنا أعمل جهد طاقتي في سبيل إعلاء كلمة الدين، **وإحلال عقيدة السلف الصالح في نفوس المسلمين والعرب**، لذلك: أولاً: أنا مبشرٌ أدعو لدين الإسلام، ولنشره بين الأقوام. ثانياً: **أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بالكتاب**، وسنة **رسوله ﷺ، وما جاء عن الخلفاء الراشدين**، أما ما كان غير موجود فيها فأرجع بشأنها إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين. إن السلف الصالح هم قدوة المسلمين، وخير قدوة، وما رفعهم إلى ذلك إلا خصلتان: ١) التمسك بكتاب الله، وما جاء عن رسول الله ﷺ، والصدق والتضحية في سبيل الله. ٢) الصبر على القضاء، والشكر على العطاء، وكلاهما من الله تعالى[2].أهـ

ويقول أيضاً رحمه الله في فخره بالانتساب لمنهج السلف الصالح:) يمكنني أن أقول بأنه لا يوجد في الدنيا مدنية تُسعدُ البشرَ وتكفلُ راحتهم أحسن من مدنية الإسلام، ولا يوجد دستور يكفل حقوق الراعي والرعية

---

(١)مختارات من الخطب الملكية (١/٤١- ٤٢). خطاب ألقاه الملك عبدالعزيز في الحفل الذي أقيم في القصر الملكي بمكة المكرمة في غرة ذي الحجة ١٣٤٧هـ.

٢ مختارات من الخطب الملكية (١/٧٤- ٧٥)من خطابه رحمه الله في المأدبة الملكية الكبرى في ٤ذي الحجة١٣٥١هـ

وحقوق الناس كافة، ويؤمن بالمساواة بين الصغير والكبير، وبين الملك والصعلوك، وينصف المظلوم من الظالم، إلا القرآن الكريم، وما فيه من الآيات المحكمات، وما جاء عن نبيه محمد ﷺ، لذلك نحن ننصح المسلمين كافة، والعرب خاصة، وننصح البشر على الإطلاق للعمل بما جاء في كتاب الله، وعلى لسان نبيه الكريم، فإن السعادة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا بذلك... **وأفخر بأنني سلفي محمدي على ملة إبراهيم الخليل، دستوري القرآن، وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ**، فإما حياة سعيد، على ذلك، وإما موتة سعيدة [1].أهـ

وتتابع على هذا المنهج السلفي، والدعوة السلفية أبناءه البررة الملوك: سعود: وفيصل، وخالد، وفهد، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة —. حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وولي عهد الأمين نايف بن عبدالعزيز- حفظهم الله تعالى- .

فيقول الملك سعود: إخواني أول ما أدعو نفسي، وأدعوكم إليه هو إخلاص العبادة لله وحده، دعوة إبراهيم ودعوة النبيين من بعده، والدعوة التي جاء بها نبينا ﷺ، تلك كلمة التوحيد " لا إله إلا الله، محمد رسول الله "، بها تميز الحقُّ من الباطل، ومنها تميز الإيمان من الكفر، وبها ارتفعت نفوسنا من مذلة الشرك، وعلت على أن تخضع أو تذل لغير الله خالق السموات والأرض [2]. أهـ

---

١ مختارات من الخطب الملكية (١/ ٧٧- ٧٨).

٢ مختارات من الخطب الملكية (١/ ٢٤٢- ٢٤٢) ألقاه رحمه الله للحجاج عام ١٣٧٨هـ

ويقول الملك فيصل –رحمه الله- : لقد أطلقوا على هذه الدعوة أسماء ونعوتاً مختلفة، ويصفونها بالأحلاف، ووصفوها بالسياسات الاستعمارية، ووصفوها بالسياسة الرجعية، ولذلك تقدمنا إليهم وطلبنا منهم أن يشاركونا في العمل في هذه الدعوة، وأن يروا بأنفسهم إذا كانت هذه الدعوة موجهة إلى الاستعمار، أو أن لها أغراضاً أخرى خلاف ما هو موجود في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فعليهم أن يحاربوها ويطرحوها. وإني أشهدكم –بعد الله- على أننا لا نريد في دعوتنا هذه إلا خير المسلمين في كل أقطار العالم، ونحن نقول لإخواننا من المسلمين المعارضين لهذه الدعوة كما قال سبحانه وتعالى (تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً). وندعو إلى تحكيم القرآن والشريعة الإسلامية بصفته قانوناً أساسياً ودستوراً للمسلمين، ومن يدعي أن تحكيم الشريعة الإسلامية سيكون عائقاً أو مؤثراً في تقدم الشعوب، أو البلاد فهو بين اثنين، إما جاهل لا يفهم من الشريعة الإسلامية شيئاً، أو أنه جاحد ومعاند[1].أهـ

ويقول الملك خالد –رحمه الله- : إن أملنا أن يوجه كافة الناس وجوههم جهة القرآن الكريم، إذ سيجدون فيه حلاً لمشاكلهم، وعلاجاً لمتاعبهم، وشفاءً من أمراضهم، لتتحقق المساواة الكريمة والعدل الاجتماعي، وتنتشر الطمأنينة والمن فيما بين الناس، ولنستمع جميعاً إلى قول الله تبارك

---

١ مختارات من الخطب الملكية (١/٣٤٥- ٣٤٦).ألقاه رحمه الله في حفل جمعية اتحاد المسلمين بلندن الجمعة١٣/٢/١٣٨٧هـ

وتعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام ١٥٣) [١].أهـ

وفي كلمة عظيمة تقرر ثبات هذه الدولة على هذا المنهج السلفي، والتزامها به، وتطبيقه في شؤون الدولة، والحقائق التي يستند إليها ثبات الدولة على هذا المنهج، يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد –رحمه الله تعالى – : قامت الدولة السعودية الأولى منذ أكثر من قرنين ونصف على الإسلام، حينما تعاهد على ذلك رجلان صالحان مصلحان هما: الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله. قامت هذه الدولة على منهج واضح في السياسة والحكم، والدعوة والاجتماع، هذا المنهاج هو: الإسلام، عقيدة وشريعة. **ولئن كانت العقيدة والشريعة هي الأصول الكلية التي نهضت عليها هذه الدولة، فإن تطبيق هذه الأصول يتمثل في: التزام المنهج الإسلامي الصحيح، في العقيدة والفقه والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي القضاء، وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم. ولقد استمر الأخذ بهذا المنهاج في المراحل التالية جميعاً، حيث ثبت الحكّام المتعاقبون على شريعة الإسلام، ويستند هذا الثبات المستمر على منهج الإسلام إلى ثلاث حقائق: الأولى: حقيقة أن أساس المنهج الإسلامي ثابت لا يخضع للتغيير والتبديل، قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر آية (٩). الثانية: حقيقة وجوب الثبات على المنهج، قال تعالى (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)**

---

١ مختارات من الخطب الملكية (٢/١٠١).

الجاثية آية (١٨). الثالثة: حقيقة وفاء حكّام هذه الدولة لإسلامهم في شتى الظروف والأحوال[١] **.أهـ**

ولقد أكد الملك فهد –رحمه الله- على إقامة هذه الدولة على منهج الإسلام في الحكم والمجتمع، ويتلخص هذا المنهج في إقامة الدولة على ركائز أصول عظيمة، حيث قال رحمه الله: حرص الملك عبدالعزيز على إنفاذ منهج الإسلام في الحكم والمجتمع، مهما كانت الصعوبات والتحديات، ويتلخص هذا المنهج في إقامة المملكة العربية السعودية على الركائز التالية:

أولاً: **عقيدة التوحيد**، التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له، ويتحررون من الخُرافة والوهم، ويعيشون أعزة مكرمين.

ثانياً: **شريعة الإسلام**، التي تحفظ الحقوق والدماء، وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

ثالثاً: حمل الدعوة الإسلامية ونشرها، حيث إن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعاً: إيجاد بيئة عامة صحية صالحة، مجردة من المنكرات والانحرافات، تعين الناس على الاستقامة والصلاح، وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها المملكة العربية السعودية[٢] .أهـ

---

١ مختارات من الخطب الملكية (٢/٢٦٤).

٢ مختارات من الخطب الملكية (٢/٢٦٥- ٢٦٦).

وفي كلمة البيعة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله تعالى – عاهد الله ثم عاهد الشعب على التمسك بهذه الثوابت والأصول العظيمة التي ترتكز عليها الدولة ولا تحيد عنها قيد أنملة، فقال: وأسأل الله سبحانه أن يمنحني القوة على مواصلة السير في النهج الذي سنّه مؤسس المملكة العربية السعودية جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – طيب الله ثراه – ، واتبعه من بعده أبناؤه الكرام – رحمهم الله- ، وأعاهد الله ثم أعاهدكم أن اتخذ القرآن دستوري والإسلام منهجي، وأن يكون شغلي الشاغل إحقاق الحق، وإرساء العدل، وخدمة المواطنين بلا تفرقة[1].أهـ

بل أكد على التزام الدولة بالمنهج السلفي والتمسك به: صحاب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز، ولي العهد وزير الداخلية- حفظه الله- حيث يقول: **أما ما منّ الله به علينا من أمن فهذا لا شك أنه أولاً من الله سبحانه وتعالى، ثم لتحكيم دستورنا الحقيقي الذي هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والتمسك بهذا مهما كانت الظروف، فنحن دولة سُنّية سلفية، نحافظ على ذلك بحكم قناعتنا الكاملة، لأننا مطيعون لما أمر به سبحانه وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في سنته، ولن ننتصر أبدا إلا بالتمسك بالكتاب والسّنة المطهرة**[2].أهـ

فهذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية، دولة قامت على الكتاب والسُّنّة، وتفخر بتمسكها بهذا المنهج السلفي علماً وعملاً، بل حمل الدعوة

---

١ من خطاب البيعة الذي ألقاه خادم الحرمين الشريفين يوم الأربعاء ١٤٢٦/٦/٢٨هـ

٢ كلمة القاها سموه في لقاءه باعيان مكة في شهر رمضان المبارك ١٤٣٢/٩/٢٩هـ. وينظر جريدة المدينة، بتاريخ ١٤٣٢//٢هـ

الإسلامية ونشرها، حيث إن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

ومما يؤكد على التزام المملكة العربية السعودية بالمنهج السلفي عملاً وتطبيقاً، أنها التزمت بالعمل بالمنهج السلفي في شؤون حياتها كلها، فهي تحتكم في شؤون قضائها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وتفتخر بحمايتها للعقيدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن لا سلطان على القضاء في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية، ومصدر الفتوى هو: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. بل ومن أعظم أساسيات التعليم غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة.

حيث نص النظام الأساسي للحكم في الباب الأول: المادة الأولى منه على ما يلي: المملكة العربية السعودية، دولة إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وفي الباب الثاني من النظام الأساسي للحكم: المادة السابعة: يَستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة.

وفي المادة الثالثة والعشرين من الباب الثاني من النظام الأساسي للحكم: تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

وفي المادة السادسة والأربعين من الباب السادس: القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية.

وفي المادة الخامسة والأربعين من الباب السادس: مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية: كتب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

وفي المادة الثانية عشرة من الباب الثالث من النظام الأساسي للحكم: يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء.

وفي نظام البيعة، يستمد النظام في الدولة السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فجاء في الباب الثاني من النظام الأساسي للحكم، المادة الخامسة: يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، وأبناء الأبناء، ويُبايع الأصلح منهم للحكم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وفي المادة السادسة: يبايع المواطنون الملك على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكر [1].

وهذا مستمد من فعله ﷺ وفعل أصحابه رضوان الله عليهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. والصحابة رضوان الله عليهم بايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى والثانية، وبايعوا النبي ﷺ في المدينة، كما ثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، لاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا [2] عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ

---

١ ينظر فيما سبق من نصوص النظام الأساسي للحكم: النظام الأساسي للحكم الطبعة الحكومية مصـ٢- ١٤.

٢ قال الخطابى: بواحًا: يريد ظاهرًا باديًا، ومنه قوله: باح بالشىء يبوح به بوحًا وبئوحًا، إذا أذاعه وأظهره.أهـ ينظر أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي (٢٣٢٨/٤).

فِيهِ بُرْهَانٌ [1] ". وبعد وفاة النبي ﷺ بايع الصحابة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ثم بايعوا عمر رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هذا ما تيسر جمعه في هذه الورقة العلمية المقدمة للندوة العلمية التي تنظمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برعاية كريمة من ولي العهد: صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية. سائلاً المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، كاشفاً للحقائق الثابتة التي تفخر وتُفاخر بها هذه الدولة المباركة في تطبيقها للمنهج السلفي علماً وعملاً. والله أسأل أن يحفظ على هذه البلاد عقيدتها وقيادتها وأمنها وآمانها واستقرارها، وأن يوفق خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لكل خير، وأن يجعله مباركاً مسدداً في أقواله وأعماله، وأن يوفق ولي عهده الأمين لما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه سميع قريب.

---

١ أخرجه البخاري في الفتن باب قول النبي ﷺ: " سترون بعدي أموراً تنكرونها ". (٣١٣/٤). ومسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمهما في المعصية (١٤٧٠/٣- ١٤٧١ ح ١٧٠٩).



جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

في خدمة الدعوة السلفيَّة

(أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنموذجاً)

إعداد

فهد بن نافل عبد العزيز الصغير

المحاضر في المعهد العالي للقضاء

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، والصلاة والسلام على إمام الموحدين وسيد المتقين، أما بعد:

فقد قضى الله - عز وجل - أن تكون هذه البلاد مقرّاً للتوحيد وقاعدة لانطلاقه، ومناخاً لنسماته الطيبة الطاهرة الزكية، وصدق الله - عز وجل -، حيث يقول: ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

فأول بيتٍ وُضِع للناس - أي لعبادة الله وحده لا شريك له - كان في مكة المكرمة، ومنها صدع المسلم الموحد الحنيف الأوَّاب أبو الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - بكلمة التوحيد، وأُمِر هو وابنه إسماعيل - عليهما السلام - أن يطهرا بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن يرفعا القواعد من البيت، وقد دعوا الله – تعالى - أن يجلعهما مسلمين له، ومن ذريتهما أمة مسلمة له، وأن يبعث في العرب رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فبعث الله - عز وجل - محمداً بن عبد الله - بعد أن اختاره واصطفاه للرسالة - إماماً للموحدين وسيداً للمتقين، فصدع بالحق بشيراً ونذيراً، ومبلغاً ومجاهداً، وأحيا أصول التوحيد، وجدَّد معالمه، ورفع لواءه، وأمات الوثنية والشرك وقضى عليهما، وبنى أمةً على التوحيد الخالص لا تعبد إلا الله - عز وجل -، ولا تدعو إلا إياه، ولا تستعين إلا به، و لا تتوكل إلا عليه.

ولقد قضى الله - عز وجل - أن تظل هذه البلاد خالصة للتوحيد مطهرة للركع السجود حفيظة على أصول الإسلام.

ومن مظاهر قضائه - سبحانه وتعالى - أنه كلما حاول الشرك أو الوثنية أن ترفع صوتها أو تنشر آثارها وموبقاتها قيَّض اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عبداً من عباده الموحدين، وسخَّره ليدمدم على الوثنية، ويكبت سدنتها ويلغي قبابها ومباخرها وسائر مظاهرها، ومن هؤلاء الأئمة الموحدين الداعين إلى عقيدة التوحيد الناصرين لمنهج أهل السنة والجماعة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وطيَّب ثراه وأكرم نزله وأعلى درجاته في الجنَّة.

لقد ظهر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجتمع كان كثير من الناس فيه قد فسدت عقائدُهم بمظاهر الشرك من التوسل بغير ما شرع الله – تعالى - ، والاستعانة بغير الله - تعالى - ودعاء غير الله – تعالى - والحكم بغير ما أنزل الله – تعالى - ، وكانوا قد اتخذوا أضرحة وقباباً وقبوراً مجصصة يؤمُّونها، وكانت البدع والخرافات كالتطير والتنجيم والسحر قد انتشرت انتشاراً ألغى وظيفة العقل والتفكير.

وكان الجهل طامّاً بسبب قلة العلم، وندرة العلماء، وبسبب أن كثيراً من العلماء الموجودين يومئذٍ قد التاث علمهم بحيث لا يزيد العامة إلا خبالاً، فهنالك جرَّد الشيخ الإمام نفسَه لله – تعالى - ، وحمل لواء الدعوة إلى التوحيد، وتوكل على الله وصدع بالحق؛ ليطهر الدين من شوائب الشرك والبدع والضلالات والخرافات بأنواعها سالكاً بذلك مسلك الأنبياء والمرسلين، ومن سار على نهجهم من أئمة السلف الصالح إلى يوم الدين الذين جعلوا الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكزان عليهما دعوتهم إلى الله - تبارك وتعالى - .

وفي خلال سنوات تغيَّر الحالُ واستجاب الناسُ وانتصرت دعوةُ التوحيد بعد مواجهة مشقةٍ وعنتٍ وصدودٍ.

ولا يذكر انتصار دعوة التوحيد إلا مقترناً - تاريخياً وموضوعياً - بذكر إماميها معاً الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله تعالى - وبتوفيق من الله - عَزَّ وَجَلَّ - تفاهم الرجلان العظيمان على نصرة الإسلام عقيدة وشريعة، فقد علم الإمامان أن الدين هو الأساس الوحيد لقيام الملك وصلاحه واستقامته واستمراره، كما أن الدعوة بلا سلطة أو دولة تفقد إمكانات الدعم والرعاية والحراسة، وهذا منهجٌ علميٌّ وعمليٌّ صحيحٌ، فكلٌّ منهما مكملٌ للآخر.

وبتوفيق من الله - عَزَّ وَجَلَّ - قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالدعوة لعقد لقاء لمدة أسبوع تدرس فيه دعوة الشيخ الإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - واستضافت نحو مائة وخمسين عالماً وباحثاً وداعية من داخل المملكة وخارجها، وكانت الجامعة خلال أربع سنوات سابقة للقاء قد بذلت جهوداً مكثفة لجمع تراث الشيخ من مظانه وتحقيقه وفهرسته وطبعته طباعة جيدة، وقدمت ذلك للباحثين كي يكون مصدراً أساسياً لبحوثهم.

وجامعة الإمام إذ تقوم بهذا العمل وغيره من الأعمال إنما تنطلق من السياسة الحكيمة التي تتبناها حكومة المملكة العربية السعودية بدعم كلّ ما من شأنه جمع كلمة المسلمين، والعودة بهم إلى كتاب ربهم - سبحانه وتعالى- ، وسنة نبيهم - ﷺ- واستنفار طاقتهم للنهوض بالأمَّة

الإسلامية في شتى المجالات، وفي الفترة من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى يوم الخميس ١٤٠٠/٤/٢٧هـ كان انعقاد هذا اللقاء.

العلاقة بين ندوة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين ندوة (السلفيةُ منهجٌ شرعيٌّ ومطلبٌ وطنيٌّ)

كانت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة سلفية نابعةً من كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - حذا فيها حذو أئمة السلف الصالح ؛ ليطهر عقائد الناس مما شابها من الشرك والبدع والضلالات والخرافات ، وليعود بهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم - عليه الصلاة والسلام - ، لذا كانت معظم البحوث تتناول الدفاع عن دعوة الإمام وبيان الحق فيها وفي سلفيتها بعد أن هاجمها أعدائها من الجهال وأهل البدع والأهواء ، وحيث إنَّ ندوتنا المباركة تهدف إلى توضيح حقيقة المنهج السلفي ، وأنَّه يمثِّل الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وتخليص مفهوم السلفية الصحيح من المفاهيم الخاطئة والادعاءات الباطلة المزعومة من بعض الجماعات المنحرفة فكرياً التي تعثو في الأرض فساداً باسم السلفية والسلفية الحقيقية منهم براء ونحو ذلك من الأهداف النبيلة ، وبالتالي فهذه الندوة المباركة - كالندوة السابقة - تأتي تأكيداً لحرص هذه الجامعة المباركة على خدمة الدعوة السلفية والدفاع عنها ؛ لذا فقد أثرت الحديث عن جهود هذه الجامعة المباركة في خدمة الدعوة السلفية والدفاع عنها في زمن كثر فيه أعداؤها ، والله المستعان.

"الموضوعات المطروحة للبحث في الأسبوع".

رأت الأمانة العامة للأسبوع بعد البحث والمناقشة أن أهم الموضوعات التي يجب أن تطرح لاستكتاب العلماء والباحثين فيها هي :

١- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وآثاره العلمية.

٢- اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة.

٣- صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف.

٤- الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٥- تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ووجهت الأمانة العامة للأسبوع خطابات دعوة للعلماء والباحثين من مختلف أقطار العالم الإسلامي تدعوهم فيها للكتابة في واحدة من هذه الموضوعات، وزوَّدت الأمانةُ العامةُ للأسبوع كلَّ باحثٍ بمجموعة كاملة من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي قامت الجامعة بتحقيقها ونشرها بهذه المناسبة.

البحوث ذات الصلة بالندوة السلفيَّة

البحث الأول: " الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل للواء الركن محمود شيت خطاب "

تطرق الباحث إلى الدعوة السلفية في الموصل وأن الموصليين انقسموا إلى فريقين: فريق سلفيّ يدعو إلى نبذ تقديس الأولياء وإلى مقاومة الطرق الصوفية، وفريق متأثر بالطرق الصوفية.

ثم أشار الباحث إلى أن الهدف من الدعوة السلفية هو مقاومة نفوذ أصحاب الطرق الصوفية ومقاومة تقديس مراقد الأولياء، وتنقية الدين من البدع بالعودة إلى التمسك بالكتاب والسنة وفصَّل القول في ذلك[١].

---

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ١ ص ٨٤- ٨٥

البحث الثاني

" حيـاة الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب وآثـاره العلميـة". لفـضيلة الـشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري"

تطرق الباحث إلى حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فذكر اسمه ونسبه، ثـم ولادتـه ونـشأته، ثـم مـشايخه ،وثنـاء العلمـاء عليـه، ثـم ذكـر تلاميـذه ثـم مصنفاته، ثـم تطـرق إلى دعـوة الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب الـسلفية، وأنَّـه يتـضح مـن مـصنفات الإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب وتقـاريره ومراسـلاته أنَّ دعوته ما كانت إلا على ما كان عليه الأمر في عهـد الـسلف الـصالح مستشهداً لذلك بجمع من النقاط، ثم بيَّن - بعد ذلك - أنَّ دعوة الـشيخ يتبـيَّن منهـا أنها ليست سوى تجديد ما مـضى عليـه الـسلف الـصالح مـن تـصفية الـدين مـن شوائب الشرك والبدع[1].

---

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ١ ص ١٤٧- ١٤٩.

البحث الثالث

" اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة لمعالي الشيخ عبد العزيز بن محمد إبراهيم آل الشيخ "

من المباحث التي تطرق لها الباحث في بحثه "الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكز عليهما الدعوة السلفية" وأطال الكلام عن هذا المبحث المهم وفصَّل فيه[1].

---

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ١ ص ١٩٨- ٢٠٧.

البحث الرابع

" الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب للدكتور عبد الرحمن عميرة "

أشار الباحث إلى أغراض الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي :

١ـ الدعوة إلى القرآن الكريم.

٢ـ التزام السنة النبوية في كل ما تأتي وما تدع.

٣ـ أتباع مذهب أهل السنة والجماعة.

٤ـ محاربة البدع والشرك بأنواعه.

ثم ذكر الباحث الشبهات والافتراءات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجاب عليها وهي كالتالي :

١ـ شبهة ادعاء النبوة.

٢ـ شبهة ادعاء الاجتهاد المطلق.

٣ـ شبهة اتهام الشيخ أنه يكفر الناس.

٤ـ شبهة كراهية الصلاة على النبي - ﷺ - .

٥ـ شبهة إنكار شفاعة الرسول - ﷺ - .

٦ـ شبهة تسميتهم بالوهَّابيَّة.

وقد أجاب الباحث عن هذه الشُبَه بشكلٍ مفصَّلٍ[1].

---

(١) انظر بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص٤٨- ٩٢

البحث الخامس

" اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة لفضيلة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم "

ذكر الشيخ صالح في بحثه نقلاً عن ابني الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسين وعبد الله بأنَّ عقيدة الشيخ التي يدين لله - ﷻ - بها ويدعو إليها هي عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله - ﷻ - وسنة رسوله - ﷺ - ، ثم ذكر ما قاله غير أحفاد الشيخ من اعتماده وأحفاده على الكتاب والسنة واتباع منهج السلف الصالح، واستشهد لذلك ببعض الأمثلة، ثم ذكر ثناء العلماء على الشيخ، وأنَّ العلماء السلفيين والمؤرخين المحققين قد أكثروا من الثناء على الشيخ، ونوَّهوا بأنَّ دعوته قائمة على الكتاب والسنة، واستشهد لذلك بجمع من الأمثلة ثم ذكر الأصول التي دعا إليها الشيخ، وهي أهم دعواته، وأجلها مدعومة بالأدلة:

١- توحيد الإلوهية .

٢- التوسل .

٣- منعه شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة.

٤- منعه البناء على القبور، وكسوتها وإسراجها، وما إلى ذلك.

ثم استدلَّ على اعتماد الشيخ في مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة، واستشهد لذلك ببعض الأمثلة، ثم بيَّن اعتناء الشيخ بتوحيد الألوهية ودعوته إلى لزوم السنة وتحذيره من البدع واستدلاله على ذلك، ثم تطرق إلى بعض

مؤلفات الشيخ - رحمه الله تعالى - التي اعتمد فيها على الكتاب والسنة والتزم فيها منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين[1].

---

(١) انظر بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ١ ص ٢٨٥ـ ٣٥٠.

البحث السادس

" الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومماثلتها بشبهات أثيرت حول الشيخ المودودي - رحمهما الله تعالى - للشيخ محمد بن يوسف "

أشار الباحث إلى أن عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، واستشهد على ذلك بأجوبة الشيخ عندما سُئل عن بعض المسائل في باب العقيدة، ثم أشار الباحث إلى أن دعوة الشيخ هي دعوة إلى التوحيد الخالص حيث كان يشرح معنى التوحيد ومقتضياته للناس، ويدعو إلى رفض كل ما يخالف عقيدة التوحيد ومقتضياتها، وفصل القول في ذلك، ثم أشار بعد ذلك إلى الافتراءات التي افتري بها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأجاب عنها مستشهداً بكلام الإمام محمد بن عبد الوهاب[1].

(١) انظر : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص ٢٦٢- ٢٨٩.

البحث السابع

" تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور وهبة الزحيلي "

أشار الباحث إلى أن الإمام أحمد بن حنبل هو المثل أو الرائد الأول للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن الشيخ محمداً بن عبد الوهاب كان حنبليَّ المذهب، ومتأثراً بالإمام أحمد بن حنبل.

وبيَّن أنه كان للدولة السعودية - آنذاك - دور فعَّال في مساندة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى منهج السلف الصالح الأبرار، وقمع البدع وعدم الغلو بالصالحين والتبرك بآثارهم.

ثم أشار الباحث إلى أصالة المبادئ التي دعا إليها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وأنها ليست مبتدعة بل هي نابعة من مبادئ الشرع الأصلية متبعاً فيها منهج السلف الصالح، وهذه المبادئ هي كالتالي:

١- الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول.

٢- تخليص التوحيد مما شابه من الشرك.

٣- إنكار التوسل الممنوع شرعاً بالأولياء والصالحين.

٤- طرح البدع والخرافات.

وفصَّل القول في هذه المبادئ.

ثم أشار الباحث إلى آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي، وأنه قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رجال الإصلاح في الهند وكثير من مناطق الخليج العربي وسومطرة والجزائر وأفغانستان ومصر

والشام والعراق وغيرها، فظهر الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين الأفغاني في أفغانستان، ومحمد عبده في مصر، وجمال الدين القاسمي في الشام، وخير الدين التونسي في تونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير علي في كلكلتة، ولمعت أسماء آخرين بهذه الحركة.

وكان موسم الحج ميداناً صالحاً وفرصة سانحة لعرض دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على أكابر الحجَّاج واستمالتهم إلى قبولها، وإذا عادوا إلى بلادهم دعوا إليها، ثم فصَّل القول في ذلك[1].

---

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص ٢٩٨- ٣٤١.

البحث الثامن

" أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا للأستاذ عبد الفتاح الغنيمي "

بدأ الباحث بذكر نبذة مختصرة عن حياة الإمام محمد بن عبد الوهاب محيي السنة، ومبطل البدع، والسائر على نهج السلف الصالح، وأثر دعوته في تصحيح المسار الفكري في العالم الإسلاميّ وتنقيته مما علق به من الشوائب والبدع والخرافات والخزعبلات، والتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم أشار الباحث إلى أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، في القارة الأفريقية حيث انطلقت على هدى من مبادئها، وعلى أسس تعاليمها الحركة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي في السودان، والحركة السنوسية في ليبيا، ثم فصَّل القول في أثر دعوة الشيخ السلفية على غرب أفريقيا، حيث تركت بصماتها وآثارها قوية في حركة الزعيم الديني الشيخ عثمان بن فودي الذي اتَّبع نفس المنهج، وسار على نفس الخط الذي تحركت عليه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، فبيَّن أحوال المنطقة قبل دعوة عثمان بن فودي، ثم ذكر سيرة عثمان بن فودي وحياته ودعوته إلى التوحيد الخالص وفصَّل القول في ذلك[1].

---

(١) انظر بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ص ٣٤٥- ٣٦١.

البحث التاسع

" تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ إسماعيل أحمد "

أشار الباحث إلى المنهج الذي تسير عليه الدعوة الإسلامية في تايلاند منذ بدايتها في حوالي عام ١٩٤٣م حيث كانت - ولا تزال - تسير على منهج السلف الصالح، ونبذ البدع والخرافات والوثنيات التي تغلغلت في نفوس المسلمين تغلغلاً وصل إلى أعماق القلوب، فعميت الأبصار عن رؤية حقائق الإسلام حتى جعلتهم لا يدركون التمييز بين الإيمان والكفر، ولا بين التوحيد والشرك والعياذ بالله، ثم أشار الباحث إلى أنَّ المسلمين في تايلاند ينقسمون إلى جماعتين أساسيتين:

١- أهل الكتاب والسنة.

٢- أهل البدع والخرافات.

وفصَّل القول في ذلك، وفصَّل القول - أيضاً - في تأثر الدعوة الإسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وما نتج عن ذلك، ثم أشار إلى العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية في تايلاند[1].

---

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص ٣٧٧- ٣٨٩.

البحث العاشر

" تـأثر الـدعوات الإصـلاحية في إندونيـسيا بـدعوة الـشيخ محمـد ابـن عبدالوهاب للأستاذ بجيح عبد الله "

بدأ الباحث ببيان أهمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ثم أشار إلى وضع المسلمين الديني في إندونيسيا وكيف كانت البدع والخرافات منتشرة – آنذاك – ، ثم أشار إلى أن الدعوة السلفية ظهرت في سومطرة عام ١٨٠٢م على أيدي بعض الحجَّاج من مسلمي الجزيرة وما واجهته من عقبات، ثم أشار إلى انتشار الدعوة السلفية في إندونيسيا، ثم أشار إلى تأثيرات " كتاب التوحيد " للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر بعض النتائج الحميدة التي نتجت عن هذا الكتاب؛ وكيف كان له دور فعال في ترسيخ العقيدة السلفية الصحيحة المستمدة من كتاب الله – عَزَّ وَجَلَّ – وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام – ، ونبذ البدع والخرافات والشرك؟[1].

---

(١) انظر : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص ٣٩٤- ٤٢٢.

البحث الحادي عشر

" أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا للدكتور مصطفى مسعد "

بدأ الباحث ببيان أهمية وفضل الدعوة السلفية إلى التوحيد الخالص ومحاربة البدع والشرك والخرافات، ثم تحدث عن انتشار الدعوة السلفية إلى بقاع كثيرة من أقطار العالم الإسلامي مع ما واجهته من عقبات، ثم أشار إلى حال الإسلام في غرب أفريقيا والدعوة السلفية، وفصَّل القول في ذلك، ثم أشار إلى جهود الشيخ عثمان بن فودي في نشر الدعوة السلفية في غرب أفريقيا وفصل القول في ذلك، ثم بيَّن علاقة جهود عثمان بن فودي في غرب أفريقيا الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنهما تلتقيان في الدعوة إلى تحقيق التوحيد وتطهير العقيدة مما شابها من الشرك والخرافات، والدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - واقتفاء آثار السلف الصالح، ومحاربة البدع، والجهاد في سبيل الله - عز وجل - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص ٤٢٥- ٤٤٤.

البحث الثاني عشر

" أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر للدكتور عبد الحليم عويس "

أشار الباحث إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذكر أنها ترتكز على تصحيح العقيدة الإسلامية وتطهيرها من الشرك والبدع والخرافات ومقاومتها بكل أشكالها وعدم التعصب لمذهب معين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله - ﷿ - ، ثم أشار إلى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تزيد عن كونها دعوة إلى الإسلام الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فهي ليست مبتدعة، وإنما هي اتّباع لدعوة أئمة السلف الصالح من قبل كالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وفصَّل القول في ذلك.

ثم أشار إلى كيفية دخول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية إلى الجزائر، ومن حمل لواءها من العلماء وفصَّل القول في ذلك، ثم ذكر بوادر النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر، ثم تطرق إلى مؤسس جمعية العلماء والسلفية، ثم بين مبادئ السلفية وركائز جمعية العلماء، وأنها تهدف إلى إصلاح عقيدة الجزائريين وتطهيرها من الشرك والبدع والخرافات والتصوف، وحثَّ الناس على الاعتصام بالكتاب والسنة، وتحذيرهم من الأحاديث الموضوعة، ومحاربة الجمود الفكري، ورفض التوسل والاستغاثة بغير الله - ﷿ - وحده، ثم ختم ببيان جوانب التوافق في الموضوع والمنهج والأسلوب

بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ومن حمل لواء الدعوة السلفية في الجزائر من العلماء[1].

---

(١) انظر : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ ص٤٧١- ٥٠٤.

خاتمة

في نهاية هذه الورقة المتواضعة أسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يرينا الحق حقّاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، كما أسأله – تعالى - أن يحفظ لهذه البلاد المباركة عقيدتها، وأمنها، وولاة أمرها، وأن يعصمها من الفتن الظاهرة والباطنة، وأن يجمع كلمتها على البرِّ والتقوى، وأن يكفيها شرَّ الخائنين، وأشير إلى بعض التوصيات والنتائج، وبالله التوفيق.

التوصيات والنتائج:

١- إن التلاحم الوثيق بين الدعوة والدولة له أثره البالغ في نصرة الإسلام عقيدة وشريعة، فمن أسباب انتصار دعوة التوحيد - بعد نصرة الله تعالى - قيامها على الدعوة الصادقة والدولة الناصرة فكل منهما مكمل للآخر، فعندما تعاهد الإمامان العظيمان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب بإخلاص وصدق على نصرة الإسلام عقيدة وشريعة انتصرا - بعد توفيق الله تعالى - في تطهير البلاد من شوائب الشرك والضلال والبدع والخرافات بأنواعها، وإحياء شعائر الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية.

٢- إن المنهج الصحيح للدعوة الإسلامية إنما يكون باستنادها إلى أصول الدين الحنيف ومصادره من الكتاب والسنة، وهذا هو المسلك الذي سار عليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين من أئمة السلف الصالح.

٣- إن الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب إنما هي دعوة إسلامية أصيلة نابعة من كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسنة رسوله - عليه

الصلاة والسلام - ، وهي حلقة من حلقات الإصلاح والتجديد في أمة الإسلام عبر القرون والأجيال مصداقاً لقوله - عليه الصلاة والسلام - : " إن الله تبارك وتعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها ".

٤- إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تركت أثراً واضحاً وملموساً في الدعوات السلفية في كثير من بلاد العالم الإسلامي.

٥- إن الشبهات التي أثارها أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي من كيد الأعداء والمغرضين، وليس لها ما يسندها من كتابات الشيخ ومنهجه في الدعوة.

٦- ضرورة الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة في نشر الدعوة السلفية، وبيان حقيقة السلفية وأنها إنما تعني التمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - والتزام منهج السلف الصالح من الأئمة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأنها ليست كما يصفها أعداؤها بأنها مبتدعة، بل هي دعوة أصيلة تدعو إلى ما دعا إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين من التمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ، وتهدف إلى التوحيد وتصفية العقيدة وتطهيرها مما يشوبها ويقدح فيها.

٧- ضرورة العناية بإنشاء الكليات والمعاهد المتخصصة لدراسة العقيدة وإعداد الدعاة إلى الله وفق منهج السلف الصالح، ودعم الأقسام والكليات والمعاهد القائمة، وأن يكون بين هذه الكليات والمعاهد

والأقسام في العالم الإسلامي تنسيق وتعاون وترابط لتحقق أهدافها المنشودة.

٨- إن التقاء علماء المسلمين من مختلف البلدان الإسلامية لمدارسة أصول المسلمين، والتذكير بواجب الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - والعودة إلى الكتاب والسنة والتزام أحكام الشريعة الإسلامية، واقتفاء أثر السلف الصالح في ذلك له أثره البالغ على تحقيق الوحدة الإسلامية وتعزيز مسارها.

٩- ضرورة بيان الحق في حقيقية الدعوة السلفية وأنها ليست مبتدعة كما يزعم أعداؤها ومبغضوها من أهل البدع والأهواء، بل هي دعوة أصيلة تدعو إلى ما دعا إليه النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين من التمسك بكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ، وتصفية العقيدة وتطهيرها مما يشوبها ويقدح فيها، وتطبيق الشريعة الإسلامية كما جاءت عن الله – تعالى - ورسوله - عليه الصلاة والسلام- .



بحوث

المحور السادس



صلة مقرر الفقه

في مرحلتي المتوسطة والثانوية في

المملكة العربية السعودية بالمنهج السلفي

إعداد

د. عبد الكريم بن محمد بن أحمد السماعيل

وكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

لشؤون الطلاب بالأحساء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الناس كلما كان هديهم قريباً من هدي الرعيل الأول محمد- صلى الله عليه وسلم- وصحبه الكرام كانوا إلى الحق أقرب، وإلى السنة أوفق، ذلك الرعيل الذي أشرق بهديه الظلام، وأنارت به الدنيا، فأصبحت سيرتهم سنة من سنن الإسلام، ومنهجاً لأهل الهدى الكرام، فما اقتفى منهجهم مقتف وضل، ولا سار على دربهم سائر وزل، ولا سلك طريقتهم سالك إلا وبان له الحق والعدل، وإن لله- سبحانه- في كل فترة من الزمان أقواماً يصطفيهم للسير على طريقتهم، والنهل من موردهم، ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولقد أكرم الله- تعالى- في العصور المتأخرة الإمامين الجليلين المحمدين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب- رحمهما الله تعالى- برفع راية التوحيد، وسلوك المنهج الرشيد: منهج السلف الصالح، فكتب الله لدعوتهما النفع والقبول والسداد، فانتشر عبقها في سائر البلاد، وأحيا الله بها أقواماً، وأهلك بها أقواماً، {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة الأنفال: ٤٢]، واستمرت هذه الدعوة المباركة ينقلها الأسلاف لمن بعدهم، حتى ظهر على الجزيرة العربية الملك الهمام الإمام: عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود- طيب الله ثراه- ، وجعل الجنة مثوانا ومثواه، فأحيا ما أحياه آباؤه من دعوة السلف، ونصرة علمائها ودعاتها، وسار أبناؤه الكرام من بعده على هذه المنوال، وأرسيت دعائم هذه البلاد: المملكة

العربية السعودية، ومناهجها، ومقرراتها على منهج السلف الصالح، وبين أيدينا في هذا البحث دراسة أنموذج من المقررات الدراسية التي سارت على منهج السلف وهو مقرر الفقه في مرحلة المتوسطة والثانوية.

أهداف الدراسة:

وإني أهدف بهذه الدراسة إلى ما يأتي:

1- التعبد لله - تعالى - بتقرير منهج السلف في المسائل المطروحة في البحث، وبيان صلتها بمقرر الفقه.

2- بيان وسطية منهج السلف بين الغالين والجافين.

3- فحص نتاج قسم العلوم الشرعية في الإدارة العامة بوزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بمقرر الفقه في هاتين المرحلتين بغرض الاستفادة والإفادة.

4- الكشف عن وجه اتصال مقرر الفقه في مرحلتي المتوسطة والثانوية بمنهج السلف.

5- ذكر بعض المقترحات والتنبيهات التي من شأنها أن تُتَمِّمَ بعض الجوانب المهمة في المنهج الدراسي، وتعزز مساره.

منهج الدراسة:

سلكت في هذه الدراسة المنهج التأصيلي والاستقرائي، ولذا فإن الطريقة التي سأسلكها في دراسة مسائل البحث تتلخص معالمها فيما يأتي:

1- أنني أؤصل المسألة المطروحة على وفق منهج السلف.

2- أنني أبين وسطية منهج السلف فيما أطرحه من مسائل.

Ď- أنني أعزز ما أذكره من المسائل بأدلة من الكتاب والسنة، وأستشهد على ما أقوله بما تيسر من أقوال الأئمة.

ď- ما يمر بي من آيات فإني أعزوها إلى سورها، وكذلك أخرج الأحاديث الواردة في البحث حسب المتعارف عليه في كتابة البحوث العلمية.

Đ- وهو بيت القصيد أبين وجه صلة مقرر الفقه في مرحلتي المتوسطة والثانوية بالمنهج السلفي مع ذكر الأمثلة والشواهد من المقررات الدراسية، وذلك من خلال استقراء مقرر الفقه في المرحلتين، علماً بأن الدراسة ستكون منصبة على آخر إصدار قامت الوزارة بتوزيعه على الطلاب عام ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.

خطة البحث:

ونظراً لأن الموضوع أوسع مما يحتمله هذا البحث المختصر، فقد عمدت في ذكر المسائل إلى اختيار ما تدعو إليه حاجة الزمان، فجاءت خطة البحث مشتملة على تمهيد وسبعة مباحث:

فالتمهيد: في بيان مفهوم المنهج السلفي، وأهمية تقرير الفقه على منهج السلف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المنهج السلفي.

المطلب الثاني: أهمية تقرير الفقه على منهج السلف.

المبحث الأول: مقرر الفقه والحرص على الاستدلال.

المبحث الثاني: مقرر الفقه والتحذير من البدع.

المبحث الثالث: مقرر الفقه و معاملة الحكام.

المبحث الرابع : مقرر الفقه والتحذير من الغلو.

المبحث الخامس : مقرر الفقه والتكفير.

المبحث السادس : مقرر الفقه وتنمية الانتماء الوطني.

المبحث السابع : مقرر الفقه وحقوق المرأة.

هذا وأسأل الله- تعالى- أن يوفقني لإخلاص العمل لوجهه الكريم، وأن يمن علي بتوبة تنجيني من العذاب الأليم، وأن يهديني لعمل صالح يجعلني في رفقة المصطفى عليه من الله أتم الصلاة والتسليم.

التمهيد

في بيان المنهج السلفي، وأهمية تقرير الفقه على منهج السلف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المنهج السلفي:

يطلق السلف في اللغة، ويراد بهم: من مضى وتقدم، جاء في معجم مقاييس اللغة: " السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون"[١].

ويقول الراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ): " السلف المتقدم، قال- تعالى- : {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِين}[٢] أي معتبراً متقدماً، وقال- تعالى- : {فَلَهُ مَا سَلَفَ}[٣] أي يتجافى عما تقدم من ذنبه، وكذا قوله: {إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ}[٤] أي ما تقدم من فعلكم، فذلك متجافىً عنه، فالاستثناء عن الإثم لا عن جواز الفعل، ولفلان سلف كريم أي آباء متقدمون، جمعه أسلاف وسلوف"[٥].

أما إذا أطلق السلف عند علماء الاعتقاد فإن تعريفهم يدور حول الصحابة، أو الصحابة والتابعين، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل، واتباع السنة

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٥) .

(٢) سورة الزخرف آية رقم (٥٦) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٧٥) .

(٤) سورة النساء آية رقم (٢٢) .

(٥) مفردات القرآن للأصفهاني (١/ ٢٣٩).

والإمامة فيها، واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظيم شأنهم في الدين، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح[١].

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة في تعريف السلف: " السلفية: نسبة إلى السلف، والسلف: هم صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى- رضي الله عنهم- ، الذين شهد لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالخير.....، والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة"[٢].

والسلف بهذا المفهوم قد وردت نصوص كثيرة في فضلهم، منها:

١- قول الله- تعالى- : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [٣].

فقد أثنى الله- سبحانه وتعالى- على التابعين لأصحاب نبيه- صلى الله عليه وسلم- بإحسان؛ لذا يقول شيخ الإسلام (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ): "فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- .....، ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم

---

(١) ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة (١/ ١٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣).

(٣) سورة التوبة آية رقم (١٠٠).

والدين وأعمالهم خيرًا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير، وأصول الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم، كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم"[1].

٢- ولقوله- عليه الصلاة والسلام- : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"[2].

قال الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ): "وفيه دليل على أن الصحابة أفضل الأمة، والتابعين أفضل من الذين بعدهم، وتابعي التابعين أفضل ممن بعدهم"[3].

ويقول ابن القيم (المتوفى سنة ٧٢١هـ): "الصحابة أفضل الناس في الرأي، والمقصود أن أحداً ممن بعدهم لا يساويهم في الرأي، وكيف يساويهم، وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته؟!"[1].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- رقم (٣٤٥٠) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، رقم (٦٦٣٥) من حديث عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (٩/ ١٥٧) .

٣- ويقول- عليه الصلاة والسلام- : "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"[٢].

فدل هذا الحديث على أن النجاة لا تكون إلا بسلوك منهج النبي- صلى الله عليه وسلم- ، يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦هـ) تعليقاً على هذا الحديث: " فانظر- رحمك الله- إلى ما تضمن هذا الحديث وغيره من الأحاديث، من إخباره بسلوك أمته سلوك الأمم قبلها، وتفرقها على ثلاث وسبعين ملة، وأن الناجية ملة واحدة، ثم وصفها لما سألوه عنها، بأنها ما كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه؛ فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين، وما أحسن ما قال بعضهم:

يا باغي الإحسان يطلب ربه　　ليفوز منه بغاية الآمـــــال
انظر إلى هدي الصحابة والذي　　كانوا عليهِ في الزمان الخالي"[٣]

وبهذا يتبين أن السلفية ليست جماعة من الجماعات، كما أنها ليست فترة زمنية من الفترات مرت وانتهت، وإنما السلفية تعني متابعة السلف الصالح في

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨١) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه بهذا اللفظ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، رقم (٢٥٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو، والحديث اختلف فيه أهل العلم : فحسنه الترمذي ، فقد قال بعد ذكره لهذا الحديث : "حسن غريب"، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٤١/٦)، وفي صلاة العيدين في المصلى (١ / ٤٦) ، وأعله بعضهم ، لأن في إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، ضعفه يحيى بن معين ، ويحيى بن سعيد ، وجماعة ، كما في الأحكام الشرعية للأشبيلي (٣٠٦/١).

(٣) الدرر السنية في الكتب النجدية (١٣/ ١٢٣) .

تعاملهم مع كتاب ربهم وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- ، في فهم الدين، والعمل به، والدعوة إليه، وهم أهل السنة والجماعة، مما يعني أن السلفية منهج علمي وعملي شامل ومتكامل تجاه النصوص الشرعية، وليست مجرد موقف علمي[١].

وبناء على ذلك فإن من انتسب إلى السلف أو السلفية لا يعاب عليه ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ): "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن، فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته، وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم"[٢].

المطلب الثاني: أهمية تقرير الفقه على منهج السلف:

يطلق الفقه عند علماء الفقه والأصول على العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية[٣]، والفقه هو نظام الحياة، وهذا النظام يجب أن يكون نظاماً ربانياً متبعاً لكتاب الله- تعالى- وسنة رسوله- صلى

---

(١) ينظر : السلفية المفهوم والتحديات ، لمحمد شاكر الشريف ، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (٣٣/ ٢٢١) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ١٤٩) .

(٣) ينظر : شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ٤١) ، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (١/ ٧) ، الموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ١٢) .

الله عليه وسلم- ، وهدي صحبه الكرام وتابعيهم بإحسان، فالتزام منهج السلف الصالح في تقرير المسائل الفقهية له أهمية كبيرة تظهر فيما يأتي:

أولاً: أن التزام منهج السلف في تقرير المسائل فيه صيانة للنصوص من التلاعب والعبث بها، إذ أن فهم النصوص الشرعية له أسس وضوابط لا بد من معرفتها لمن أراد استنباط الأحكام الشرعية، ولذا نجد أن العلماء ألفوا التآليف في علم أصول الفقه، والتي بينوا فيها شروط الاجتهاد وضوابطه، يقول ابن عبد البر (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) بعد ذكره لجملة من الآثار في باب اجتهاد الرأي: " هذا يوضح لك أن الاجتهاد لا يكون إلا على أصول يضاف إليها التحليل والتحريم، وأنه لا يجتهد إلا عالم بها، ومَن أشكل عليه شيء لزمه الوقوف، ولم يجز له أن يحيل على الله قولاً في دينه لا نظير له من أصل، ولا هو في معنى أصل؛ وهو الذي لا خلاف فيه بين أئمة الأمصار قديماً وحديثاً فتدبره"[١].

ويقول ابن القيم (المتوفى سنة ٧٢١هـ) في معرض كلامه عن أنواع الرأي المذموم: " النوع الثاني: هو الكلام في الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص، وفهمها، واستنباط الأحكام منها، فإن من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر، أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما يفرق بينهما في الحكم، من غير نظر إلى النصوص والآثار فقد وقع في الرأي المذموم الباطل"[٢].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١٢٣) .

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٦٨).

ثانياً: أن في التزام منهج السلف في تقرير المسائل الفقهية صيانةً للاجتهاد من الوقوع في المحدثات والبدع، إذ أن كثيراً ممن وقع في بعض البدع العملية كان بسبب عدم التزامه لمنهج السلف في تقرير المسائل الفقهية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) عن سبب الوقوع في البدعة: " فلما كانوا أبعد عن متابعة السلف كانوا أشهر بالبدعة، فعلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف، ولهذا قال الإمام أحمد (المتوفى سنة ٢٤١هـ): "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- "[(١)].

ثالثاً: أن في التزام منهج السلف في تقرير المسائل الفقهية ضماناً لسلوك المجتهد سبيل الوسطية، فإن الغلو إنما يكون بالبعد عن منهج السلف، يقول ابن جرير (المتوفى سنة ٣١٠هـ) في تفسير قوله- تعالى- : {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}[(٢)]: "وأرى أن الله- تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم "وسط"؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه- ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطَها"[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٥٥) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٤٣) .

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٤٢) .

رابعاً: أن منهج السلف في تقرير المسائل الفقهية، فيه تربية على اتباع الدليل أينما كان، وترك التقليد الأعمى، يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٣٣هـ) في تقرير منهج أئمة الدعوة السلفية في نجد: "ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة.....، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد لدينا يدعيها، إلا أننا في بعض المسائل، إذا صح لنا نص جلي، من كتاب، أو سنة غير منسوخ، ولا مخصص، ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة: أخذنا به، وتركنا المذهب، كإرث الجد والإخوة، فإنا نقدم الجد بالإرث، وإن خالف مذهب الحنابلة....، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل، مخالفين للمذهب، الملتزمين تقليد صاحبه"[(١)].

خامساً: أن في تقرير الفقه على منهج السلف معرفةَ الأسباب التي أدت إلى وقوع الخلاف بين العلماء، والتماسَ الأعذار لهم في ذلك، ولذا فإن من المتقرر لدى السلف أن مسائل الاجتهاد لا ينكر فيها على المخالف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ): "مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه وإذا كان في المسألة قولان، فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين"[(٢)].

---

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية (١/ ٢١٤- ٢١٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/ ٢٠٧).

المبحث الأول:

مقرر الفقه والحرص على الاستدلال

١/١ يعد الحرص على الاستدلال لكل حكم شرعي بدليل معتبر من كتاب أو سنة أو إجماع أو غيرها من الأدلة المعتبرة شرعاً سمة بارزة من سمات منهج السلف؛ لأن الدليل هو ما يجب على العالم اتباعه، وتعويد طلابه على التزامه، وقد دلت على هذا الأصل أدلة من الكتاب والسنة، منها:

أ- قول الله- تعالى- : {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}[١].

فالآية أصل في وجوب اتباع الوحي المنزل من الكتاب والسنة؛ لذا يقول ابن القيم (المتوفى سنة ٧٢١هـ): "فأمر باتباع المنزل منه خاصة، واعلم أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء"[٢]، ويقول القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ) في تفسيره للآية: "ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص"[٣].

ب- وقول الله- تعالى- : {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}[٤].

فالآية دلت على وجوب الرجوع إلى كلام الله وكلام رسوله- صلى الله عليه وسلم- عند التنازع في أي أمر من الأمور، ويدخل في ذلك دخولاً

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٣).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٤٨)

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ١٦١).

(٤) سورة النساء آية (٥٩).

أولياً التنازعُ في الأحكام الشرعية، يقول الشيخ محمد الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) في تفسيره: "أمر الله في هذه الآية الكريمة، بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله، وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- ؛ لأنه- تعالى- قال: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[١]، وأوضح هذا المأمور به هنا بقوله: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ}[٢]، ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- [٣].

ج- ويقول النبي- صلى الله عليه وسلم- : " عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ"[٤].

فالنبي- صلى الله عليه وسلم- أمر بالتمسك باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، لأنهم أعرف بهديه، وأعلم باتباع سنته، يقول الإمام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ): " إذا وجدتم سنة رسول الله- صلى

---

(١) سورة النساء آية رقم (٦٩).

(٢) سورة الشورى آية رقم (١٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (١/ ٢٤٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٣٩٩١)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، رقم (٢٦٠٠)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب اتباع سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، باب ما جاء في اتباع سنة الخلفاء الراشدين، رقم (٤٢) من حديث العرباض بن سارية، وصححه الحاكم، كتاب العلم رقم (٣٢)، ووافقه الذهبي، وذكره النووي في الأربعين برقم (٢٨).

الله عليه وسلم- فاتبعوها، ولا تلتفوا إلى أحد"[١]، ويقول الإمام أحمد (المتوفى سنة ٢٤١هـ): "من رد حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فهو على شفا هلكة"[٢].

٢/١ ومع حرص السلف على الاستدلال لكل حكم شرعي بدليل معتبر من كتاب أو سنة، فالسلفية متبعون لطريقة الأئمة الأربعة، والمذاهب المعتبرة في التفقه الدين، فمنهجهم وسط بين النابذين للتفقه على طرائق الأئمة، والمتعصبين للمذاهب المانعين من مخالفة نص المذهب، يقول الإمام الطحاوي (المتوفى سنة ٣٠١هـ): "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"[٣].

ويقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦هـ): "فتأمل- رحمك الله- ما كان عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، وأصحابه بعده، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء كأبي حنفية (المتوفى سنة ١٥٠هـ)، ومالك (المتوفى سنة ١٧٩هـ)، والشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ)- رضي الله عنهم أجمعين- ؛ لكي نتبع آثارهم، وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا

(١) ذم الكلام وأهله (٣/ ١٤) .

(٢) الحجة في بيان المحجة للتيمي (١/ ٢٠٧) .

(٣) العقيدة الطحاوية (١/ ٥٧) .

نكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وقول جمهورها" (١).

وللعلامة الشيخ محمد الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) صاحب أضواء البيان كلام جميل في هذه المسألة، يقول فيه: "اعلم أن موقفنا من الأئمة- رحمهم الله- من الأربعة وغيرهم هو موقف سائر المسلمين المنصفين منهم، وهو موالاتهم، ومحبتهم، وتعظيمهم، وإجلالهم، والثناء عليهم بما هم عليه من العلم والتقوى، واتباعهم في العمل بالكتاب والسنة، وتقديمهما على رأيهم وتعلم أقوالهم؛ للاستعانة بها على الحق، وترك ما خالف الكتاب والسنة منها.

وأما المسائل التي لا نص فيها، فالصواب النظر في اجتهادهم فيها، وقد يكون اتباع اجتهادهم أصوب من اجتهادنا لأنفسنا؛ لأنهم أكثر علماً وتقوى منا.

ولكن علينا أن ننظر ونحتاط لأنفسنا في أقرب الأقوال إلى رضا الله وأحوطها وأبعدها من الاشتباه؛ كما قال- صلى الله عليه وسلم- : "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" (٢).

وقال: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه" (٣).

---

(١) الرسائل الشخصية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (١/ ٦٦)، والدرر السنية في الكتب النجدية (١/٢٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- برقم (٢٤٤٢)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وأخرجه النسائي في سننه، باب الحث على ترك الشبهات برقم (٥٢٢٠)، من حديث الحسن بن علي- رضي الله عنهما-، وصححه الحاكم في مستدركه برقم (٢١٦٩)، وذكره النووي في الأربعين برقم (١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (٢٩٩٦) من حديث النعمان بن بشير.

وحقيقة القول الفصل في الأئمة- رحمهم الله- أنهم من خيار علماء المسلمين، وأنهم ليسوا معصومين من الخطأ، فكل ما أصابوا فيه فلهم فيه أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وما أخطأوا فيه فهم مأجورون فيه باجتهادهم، معذورون في خطئهم، فهم مأجورون على كل حال، لا يلحقهم ذم ولا عيب ولا نقص في ذلك، ولكن كتاب الله وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- حاكمان عليهم وعلى أقوالهم كما لا يخفي.

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فلا تك ممن يذمهم وينتقصهم، ولا ممن يعتقد أقوالهم مغنية عن كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، أو مقدمة عليهما"[١].

٣/١ ومن نظر في مقرر الفقه في مرحلتي المتوسطة والثانوية علم أنه سار على منهج السلف في هذا الباب، ويظهر ذلك من عدة جوانب، منها:

أولاً: تعزيز الأحكام الشرعية بذكر أدلتها من الكتاب والسنة والإجماع، وغيرها من الأدلة المعتبرة، ومَنْ يستقرئْ كتاب الفقه في المرحلة المتوسطة والثانوية يجدْ أنه قد ذكر فيه مئات من الأدلة التي تنمي في الطالب الحرص على الاستدلال لكل حكم شرعي.

ثانياً: ربط الطالب بما سار عليه الفقهاء السابقون في مصطلحاتهم، وتبويبهم، وتقسيماتهم، مما ينمي فيهم ملكة التصور للمسائل، وفهمها بدقة.

ثالثاً: ذكر الحكم في المسألة المطروحة بما هو أقرب إلى الدليل لدى مؤلفي الوحدة المقررة، وإن خالف المذهب؛ ولذا نجد أن مقرر الفقه في مرحلة

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣٥٧) .

المتوسطة والثانوية، وإن سار على طريقة المذهب الحنبلي، إلا أنه خالف المذهب في عدد من المسائل، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

مسألة تقسيم المياه إلى قسمين [١]، وبداية المسح على الخفين من أول مسح بعد حدث [٢] وعدم اشتراط الوضوء لسجود التلاوة[٣]، واشتراط ثلاثة فقط لصحة الجمعة[٤]، وزكاة الدين فقد تم التفريق بين الدين على مليء وغيره، فإن كان الدين على مليء لا يتعذر وفاؤه، فيجب على الدائن أن يزكيه كل سنة، أما الدين على غير المليء الذي يتعذر وفاؤه فلا تجب الزكاة على الدائن كل سنة، إنما يزكيه إذا قبضه لسنة واحدة[٥]، وغير ذلك كثير.

---

(١) ينظر ص (٩) من مقرر الصف الأول المتوسط ، والمعتمد في المذهب أن المياه ثلاثة أقسام، فقد جاء في أخصر المختصرات للبعلي (١/ ٨٧) ما نصه : " المياه ثلاثة " .

(٢) ينظر : ص (٣٧) من مقرر الصف الأول المتوسط ، والمعتمد في المذهب أن المسح يبدأ من الحدث ، فقد جاء في الإقناع للحجاوي (١/ ٣٣) ما نصه : " من وقت حدث بعد لبس إلى مثله".

(٣) ينظر :ص (٩١) من مقرر الصف الأول المتوسط ، والمعتمد في المذهب أن سجود التلاوة صلاة يشترط له ما يشترط للصلاة ، فقد جاء في الإقناع للحجاوي (١ / ١٥٥) : "وهي- أي سجدة التلاوة وسجدة الشكر- صلاة، فيعتبر لهما ما يعتبر لصلاة نافلة من الطهارة وغيرها".

(٤) ينظر : ص (١٣٠) من مقرر الصف الأول المتوسط، والمعتمد في المذهب اشتراط أربعين لصحة الجمعة ، فقد جاء في العمدة لابن قدامة (١ / ١٠١) عند الكلام عن شروط صحة الجمعة ما نصه : " وأن يحضرها من المستوطنين بها أربعون من أهل وجوبها" .

(٥) ينظر : ص (٣١) من مقرر الصف الثاني المتوسط ، والمعتمد في المذهب أن الدين على الدائن أن يزكيه كل سنة سواء كان على مليء أو غيره، فقد جاء في زاد المستقنع للحجاوي (١ / ٧٣) ما نصه : "ومن كان له دين أو حق من صداق وغيره على مليء أو غيره أدى زكاته إذا قبضه لما مضى".

المبحث الثاني

مقرر الفقه والتحذير من البدع

١/٢من سمات منهج السلف التحذير من البدع و المحدثات في الدين، سواء كانت تلك البدع بدعاً اعتقادية أم عملية، كما حذر منها معلم الأمة الأول نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- ، بقوله- عليه الصلاة والسلام- : "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"[١]، وقوله- صلى الله عليه وسلم- : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه أمرنا، فهو رد"[٢]، ولذا شدد علماء الأمة من الصحابة والتابعين في هذا الجانب، ومن أقوالهم في التحذير من البدع :

أ- ما جاء عن ابن مسعود- رضي الله عنه- (المتوفى سنة ٣٢هـ) أنه قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم"[٣].

ب- ما جاء عنه- أيضاً- أنه قال: "الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدعة"[١].

---

(١) الحديث سبق تخريجه من حديث العرباض بن سارية ، وفيه " عليكم بسنتي ...." هامش (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، رقم (٢٤٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات، رقم (٣٢٤٢) وكلاهما من حديث عائشة- رضي الله عنها- .

(٣) أخرجه الدرامي في سننه ، باب في كراهة أخذ الرأي ، رقم (٢٠٥) ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، باب العين ، رقم (٨٧٧٠) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، باب الاقتداء بالسلف رقم (٨٥٣) ، وقال : "رجاله رجال الصحيح".

ج- وعن معاذ- رضي الله عنه- (المتوفى سنة ١٨هـ) قال: "إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعونني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق"(٢).

د- ويقول الإمام مالك (المتوفى سنة ١٧٩هـ): "من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خان الرسالة؛ لأن الله يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } (٣) فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً"(٤).

ولم يزل العلماء الراسخون في كل زمان ينكرون البدع والمحدثات في الدين، ويصنفون في ذلك المصنفات، ومن مصنفاتهم في هذا الباب على سبيل المثال لا الحصر: البدع لابن وضاح (المتوفى سنة ٢٨٧هـ)، والحوادث والبدع

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب العلم ، رقم (٣٥٢) ، وقال الذهبي في تلخيصه : "على شرطهما".

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ، رقم (٤٦٣١) ، وقال الألباني : صحيح الإسناد موقوف.

(٣) سورة المائدة آية رقم (٣) .

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٩٧) .

لأبي بكر الطرطوشي (المتوفى سنة ٥٢٠هـ)، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (المتوفى سنة ٦٦٥هـ)، والاعتصام للشاطبي (المتوفى سنة٧٩٠هـ).

وأما بدع الاعتقاد فإن المصنفات فيها كثيرة، وهي أشهر من أن تذكر.

٢/٢ ومع تحذير السلف الشديد من الابتداع في الدين إلا أنهم وسط في إطلاق الحكم على الأشخاص بين المتسرعين في التبديع، والمتساهلين مع أهل البدع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ): "ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة، أو المخالف للكتاب والسنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص، فقد يكون على وجه يعذر فيه؛ لاجتهاد أو تقليد يعذر فيه، وإما لعدم قدرته، كما قررته في غير هذا الموضع، وقررته أيضاً في أصل التكفير والتفسيق المبني على أصل الوعيد، فإن نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق، ونحو ذلك لا يُستلزم ثبوت موجبها في حق المعين إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع"(١).

ويقول- رحمه الله- أيضاً: "إذا اجتمع في شخص واحد خير وشر، وطاعة وفجور، وسُنّة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بقدر ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة"(٢).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٣٧١- ٣٧٢).

(٢) المصدر السابق (٢٨/ ٢٠٩).

ويقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف (المتوفى سنة ١٣٦٧هـ) كما في الدرر السنية : "فمن أعظم الواجبات على المسلمين الاعتصام بكتاب الله، واتباع سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، ومن ذلك: الاجتماع على دين الله....، وترك التفسيق والتبديع، والتضليل، والعدوان بالسب والضرب، وغير ذلك، مما لا ينبغي من بعض المسلمين لبعض، فإن ذلك ينافي ما أمر الله به، وأمر به رسوله- صلى الله عليه وسلم- من الأخوة بين المسلمين والموالاة، والتحاب، والتواصل، والتراحم، والتعاون على البر والتقوى، كما قال- تعالى- : {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[1]"[2].

وهذا باب من العدل والإنصاف عظيم، امتاز به منهج سلف هذه الأمة- رحمهم الله تعالى- .

٣/٢ ومقرر الفقه سار على منهج السلف في التحذير من البدع، ومن البدع التي جاء التنبيه عليها:

أ- التلفظ بالنية، فقد جاء في مقرر الصف الأول المتوسط عند الحديث عن شرط النية في الصلاة ما نصه: " والنية محلها القلب، ولا يجوز التلفظ بها؛ لأن ذلك بدعة"[3].

ب- إعداد الولائم من قبل أهل الميت، فقد جاء في مقرر الصف الأول المتوسط- أيضاً- في الكلام عن محظورات الجنائز: "إعداد الولائم

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٣).

(٢) الدرر السنية في الرسائل النجدية (٢٠/ ٣٤٠- ٣٤١).

(٣) مقرر الفقه للصف الأول المتوسط ص (٦١).

والأطعمة من قبل أهل الميت، ونحو ذلك من الأمور المبتدعة التي يترتب عليها صرف الأموال من أجل المباهاة والمفاخرة"[١].

ج - كما جاء في بيان بعض أخطاء زيارة المسجد النبوي في مقرر الصف الثالث المتوسط ما نصه: "٤- التمسح بجدران الحجرة وقضبانها بقصد البركة، وهو من البدع المحرمة، ومن وسائل الشرك"[٢]، كما جاء في الفقرة نفسها التنبيهُ على بعض الأمور التي عدها أهل العلم من البدع المحرمة.

وموضوع البدعة وإن كان قد أفرد بدرس مستقل تم فيه تعريف البدعة، وذِكْرُ أسبابها، ونماذجها المعاصرة، وما يعامل به المبتدع في مقرر التوحيد للصف الثالث الثانوي، إلا أن آحاد البدع وصورها مما يحتاج إلى مزيد عناية، خاصة مع كثرة البدع، فهناك بدع في الأعراس، وبدع في الحداد، وبدع في المعاملات، لذا أقترح على الإدارة العامة للمناهج المدرسية تطعيم مقرر الفقه بمزيد من التنبيهات على المخالفات والبدع التي يقع فيها العامة، من باب معرفة الشر للحذر منه، على حد قول القائل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه، ولهذا قال حذيفة- رضي الله عنه- (المتوفى سنة ٣٦هـ): "كان الناس يسألون رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[٣].

---

(١) مقرر الفقه للصف الأول المتوسط ص (١٣١).

(٢) مقرر الفقه للصف الأول المتوسط ص (١٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم (٣٤١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن رقم (٤٨٩٠).

المبحث الثالث

مقرر الفقه ومعاملة الحكام

١/٣ من أصول منهج السلف السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، وعدم الخروج عليهم، والنصح والدعاء لهم، وقد أكد على هذا الأصل كبار الأئمة، فهذا الإمام أحمد (المتوفى سنة ٢٤١هـ) يقول: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، والاقتداء بهم[(١)]، إلى أن قال: "والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين: البر والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين"[(٢)].

ويقول الإمام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ): "والسمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون، والولاة لا يخرج عليهم بالسيف"[(٣)].

وهذا الأصل توافرت الأدلة من الكتاب والسنة على التأكيد عليه، ومن أدلته:

أ- قول الله- تعالى- : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُم}[(٤)].

فقد أمر الله- تعالى- بطاعة أولي الأمر في هذه الآية، وأولو الأمر هم العلماء والأمراء، يقول ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ) في تفسيره بعد ذكره

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٤) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٢) .

(٣) إثبات صفة العلو لابن قدامة (١/ ١٢٢) .

(٤) سورة النساء آية رقم (٥٩) .

للأقوال في المسألة: "والظاهر- والله أعلم- أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء"(١).

ب- ويقول- عليه الصلاة والسلام- : "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"(٢)، وإطلاق الطاعة في هذا الحديث مقيد بقوله- صلى الله عليه وسلم- : "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"(٣).

فقد أمر- صلى الله عليه وسلم- بطاعة الأمير في المعروف، بل جعل طاعته من طاعة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فهي إذاً عبادة يتقرب بها المرء إلى ربه، قال ابن التين (المتوفى سنة ٦١١هـ): "قيل: كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة، فكانوا يمتنعون على الأمراء، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمّر عليهم، والانقياد لهم إذا بعثهم في السرايا، وإذا ولاهم البلاد، فلا يخرجون عليهم؛ لئلا تفترق الكلمة"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به رقم (٢٧٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم (٤٨٥٢)، وكلاهما من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٦٧٢٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية، رقم (٤٨٦٩)، وكلاهما من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- .

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٣٥/ ٢٠١).

ج- ويبين- عليه الصلاة والسلام- المنهج الصحيح عندما تحصل النفرة بين الراعي والرعية، فيقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم، وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"، قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟، فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة"(١).

ففي هذا الحديث بيان "أن الأئمة هم الأمراء ولاة الأمور، وأنه يُكره ويُنكر ما يأتونه من معصية الله، ولا تنزع اليد من طاعتهم، بل يطاعون في طاعة الله، وأن منهم خياراً وشراراً، ومن يُحَب ويدعى له، ويحب الناس ويدعو لهم، ومن يبغض ويدعو على الناس، ويبغضونه ويدعون عليه"(٢).

٢/٣ ومنهج السلف في هذا الجانب وسط بين الخوارج المنابذين للأئمة بالسيف، وبين المداهنين للسلاطين بالغش والظلم، فمع حرص السلف على عدم نزع يد الطاعة، وعدم الخروج على الحكام هم مع ذلك صادقون في نصحهم ودعائهم لأئمتهم، يقول الشيخ محمد بن إبراهيم (المتوفى سنة ١٣٨٩هـ) في نصيحته لقاضٍ من القضاة يبين له المنهج الصحيح في التعامل مع الولاة: "بلغني أن موقفك مع الإمارة ليس كما ينبغي، وتدري- بارك الله فيك- أن الإمارة ما قصد بها إلا نفع الرعية، وليس من شروطها ألا يقع منها زلل، والعاقل بل وغير العاقل يعرف أن منافعها وخيرها الديني والدنيوي يربو على مفاسدها بكثير، ومثلك إنما منصبه منصب وعظ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، رقم (٤٩١٠).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/ ٦٢).

وإرشاد، وإفتاء بين المتخاصمين، ونصيحة الأمير والمأمور بالسر وبنية خالصة تعرف فيها النتيجة النافعة للإسلام والمسلمين، ولا ينبغي أن تكون عثرة الأمير أو العثرات نصب عينيك والقاضية على فكرك والحاكمة على تصرفاتك؛ بل في السر قم بواجب النصيحة، وفي العلانية أظهر وصرح بما أوجب الله من حق الإمارة والسمع والطاعة لها"(١).

٣/٣ ومقرر الفقه جاء فيه بيان منهج السلف في هذا الباب واضحاً جلياً، ففي مقرر الصف الأول الثانوي في الدرس الثاني والعشرين: (أحكام البغاة) تم بيان وجوب السمع والطاعة لإمام المسلمين في غير معصية، وذكر الأدلة على ذلك، ثم جاء بيان تحريم الخروج على إمام المسلمين، ومما جاء في الفقرة: "ولا يجوز الخروج على ولي الأمر، ولا نزع يد من طاعة، ولو جار وظلم، ولا الدعاء عليه، وإنما الواجب على المسلم أن يكره ظلمه ومعصيته، ويصبر عليه ويناصحه، ويجب على أهل العلم والفضل الاجتهاد في مناصحته سراً من غير إثارة فتنة أو تحريض"(٢).

ولا يزال الأمر- بحمد الله- في هذه البلاد المملكة العربية السعودية- حرسها الله من كيد الكائدين- قائماً على الحب والتقدير بين الراعي والرعية، فالولاة يقدرون العلماء ويحرصون على مصالح الرعية، والعلماء يأمرون بالسمع والطاعة للولاة، ويجرمون الخروج عليهم، ويناصحونهم، ويدعون لهم، فنسأل الله- جل وعلا- أن يتم علينا نعمه، وأن يزيد هذه البلاد وقادتها، وشعبها من واسع فضله، والله ذو فضل عظيم.

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ١٩٠).

(٢) مقرر الفقه للصف الأول الثانوي (١٠٨- ١٠٩).

المبحث الرابع

مقرر الفقه والتحذير من الغلو

١/٤ إن من أبرز أسباب الغلو البعد عن منهج السلف- رحمهم الله تعالى- ، والغلو كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) هو "مجاوزة الحد، بأن يزاد الشيء في حمده، أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك"[(١)]، وعرفه ابن حجر (المتوفى سنة ٨٥٢هـ) فقال: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق يقال: غلا في الشيء يغلو غلواً، وغلا السعر يغلو غلاء: إذا جاوز العادة، والسهم يغلو غَلواً بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمي"[(٢)].

والغلو بهذا المعنى جاء ت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تحذر منه، وتبين المنهج الصحيح الذي يجب على المسلم أن يسير عليه في عباداته ومعاملاته، ومن هذه النصوص:

أ- قول الله- تعالى- : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}[(٣)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/١٠٦) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٧٨) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٧١) .

فالله- تعالى- نهى أهل الكتاب عن الغلو، وذكر صورة من صور الغلو: وهي غلو النصارى في عيسى- عليه السلام- ، وجعله إلها يعبد من دون الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٣٣هـ): "والغلو كثير في النصارى فإنهم غلوا في عيسى- عليه السلام- ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً"(١).

ب- وجاء عن ابن عباس- رضي الله عنهما- (المتوفى سنة ٦٨هـ) أنه قال: قال لي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- غداة جمع: "هلم القط لي"، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: "نعم! بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"(٢).

فقد نهى- عليه الصلاة والسلام- عن الغلو في الدين، والحديث وإن كان وارداً في النهي عن الغلو في رمي الجمار، إلا أنه يشمل بعمومه النهي عن

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ (٤/ ٢٨٦)، وأخرجه النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، رقم (٣٠٠٧)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب في قدر الحصى، رقم (٣٠٢٠)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب المناسك، رقم (١٧١١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم حيث قال: "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم" (١٠٦/١).

كل غلو، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) عن هذا الحديث: "عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال"[(١)].

ج- وقال- عليه الصلاة والسلام- : "هلك المتنطعون"، قالها ثلاثاً[(٢)].

فقد بَيَّنَ- صلى الله عليه وسلم- مصير الغالي وعاقبته، وأنه صائر إلى الهلاك، والتنطع: هو التعمق والغلو، يقول النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ): "هلك المتنطعون: أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[(٣)].

٢/٤ ومن يتأمل منهج أتباع السلف يجد أنهم أبعد الناس عن الغلو، وأنهم وسط بين الفرق الغالية، وبين المفرطين المتساهلين والمتشددين، يقول شيخ الإسلام (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) في بيان وسطية أهل السنة وسلف هذه الأمة: "بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله- سبحانه وتعالى- بين أهل التعطيل الجهمية؛ وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله- تعالى- بين القدرية والجبرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ١٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٦٩٥٥) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٢٠، ٢٢١) .

أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بين الروافض والخوارج"[1]، وهم وسط أيضاً في العبادات والمعاملات بين المتساهلين والمتنطعين، وهذه الوسطية هي التي أثنى الله على أهلها بقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[2].

ولا يكون وسطاً إلا الخيار؛ لذا يقول سراج الدين النعماني الحنبلي (المتوفى سنة ٧٧٥هـ) في تفسيره: "فالقرآن والحديث والشعر يدلون على أن الوَسَط: خيار الشيء، وأما المعنى (أي أما دلالة المعنى على أن الوسط هم الخيار) فمن وجوه:

أحدها: أن الوسط حقيقة في البُعْد عن الطرفين، ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رذيلتان، فالمتوسّط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين، فكان معتدلاً فاضلاً.

وثانيها: إنما سمي العدل وسطاً؛ لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.

وثالثها: أن المراد بقوله: {جُعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} طريقة المدح لهم؛ لأنه لا يجوز أن يذكر الله- تعالى- وصفاً، ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له، ثم عطف على ذلك شهادة الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، وذلك مدح، فثبت أن المراد بقوله: « وَسَطاً » ما يتعلّق بالمدح في باب الدين، ولا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٤١) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٤٣) .

يجوز أن يمدح الله الشُّهود حال حكمه عليهم بكونهم شهوداً إلا بكونهم عدولاً ؛ فوجب أن يكون المرادُ من الوَسَطِ العدالةَ.

ورابعها : أن الأوساط محمية بالأطراف، وحكمها مع الأطراف على حَدّ سواء، والأطراف يتسارع إليها الخَلَل والفساد، والوسط عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جِهَةٍ دون جهة"[1].

٣/٤ ومقرر الفقه قد سلك منهج الوسطية، وذلك ببيان الضوابط التي رسمها الشارع للمسلم في العبادات والمعاملات من خلال نصوص الكتاب والسنة، والتي من التزمها حماه ذلك من الغلو في الدين، كما ذكرت فيه بعض الصور والأمثلة للغلو في الدين، ومنها :

أ- بيان بعض محظورات الجنائز، والتي تعد من صور الغلو، فقد جاء في مقرر الصف الأول المتوسط في بيان محظورات الجنائز: "٦- التبرك بالقبور والطواف بها، ودعاء الموتى، ٧- الدفن في المساجد، أو بناء المساجد على القبور، أو الصلاة إليها"[2].

أ- كما جاء في مقرر الفقه للصف الثاني المتوسط التنبيه على بعض المحرمات في زيارة قبر النبي- صلى الله عليه وسلم- ، والتي تعد صورة من صور الغلو، فقد جاء فيه ما نصه: "يقع بعض الذين يقصدون مسجد النبي- صلى الله عليه وسلم- في بعض المحاذير الشرعية، منها:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب للنعماني (٢/ ١٥٣) .

(٢) مقرر الفقه للصف الأول المتوسط ص (١٣١) .

١- السفر وشد الرحال لقصد زيارة القبر والبقاع والأماكن، وإنما المشروع شد الرحال لزيارة المسجد النبوي، والصلاة فيه، وتدخل الزيارة تبعاً.

٢- استقبال القبر بالدعاء.

٣- دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم- ، وطلب الحوائج منه من دون الله- عز وجل- ، وهذا من الشرك الأكبر.

٤- التمسح بجدران الحجرة وقضبانها بقصد البركة، وهو من البدع المحرمة، ومن وسائل الشرك.

٥- رفع الصوت عند قبر النبي- صلى الله عليه وسلم- ، وطول القيام، وتكرار السلام من بعيد كلما دخل، ووضع اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر أثناء السلام كهيئة الصلاة.

٦- الحرص على صلاة الفريضة في الروضة الشريفة وترك الصف الأول"(١).

ب- وفي مقرر الصف الثالث المتوسط في بيان أنواع اليمين جاء ما نصه: "النوع الأول: الحلف بمخلوق من مخلوقات الله كالكعبة، أو النبي، أو بالأمانة، أو بالحياة، أو بالأصنام، أو الأولياء، وهذا النوع محرم، وشرك"(٢).

وكنت أود بعد بيان هذه المحاذير أن يذكر في هذا المقرر أنها من صور الغلو في الدين، حتى يتمرن الطالب على معرفة تطبيقات هذا المصطلح الشرعي، إضافة إلى أن مقرر الفقه يعد مجالاً واسعاً؛ لبيان الصور التطبيقية للغلو؛ لذا أقترح أن تكثف الأمثلة، والصور التي توضح معنى الغلو؛ إذ الغلو لا يختص بالمعتقد فحسب، بل يدخل في العبادات، والمعاملات، وغيرها .

---

(١) مقرر الفقه للصف الأول المتوسط ص (١٢٠- ١٢١).

(٢) مقرر الفقه للصف الثالث المتوسط ص (٩٨).

المبحث الخامس

مقرر الفقه والتكفير

١/٥ إن مسألة التكفير مسألة خطيرة جداً، لا يجوز الإقدام عليها إلا بحجة واضحة، ودليل ظاهر؛ لذا جاءت نصوص كثيرة تبين خطورة إطلاق لفظ الكفر على معين، منها:

أ- قول الله- تعالى- : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}(١).

فقد أمر- تعالى- بالتثبت ممن أسلم في حال القتال وتحت بارقة السيوف، فكيف بمن كان معلناً لإسلامه، ثم صدر منه ما يقتضي كفره فيجب التثبت في حقه وعدم التسرع في تكفيره من باب أولى.

ب- ولقوله- عليه الصلاة والسلام- : "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه"(٢).

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلغة قريش، رقم (٣٥٠٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (٢٢٦).

فقد توعد- صلى الله عليه وسلم- من أطلق لفظ الكفر على من كان مسلماً بأن يرجع عليه هذا اللفظ ؛ لأن معنى "حار عليه" : رجع عليه، يقول ابن دقيق العيد (المتوفى سنة ٧٠٢هـ) : "حار عليه بالحاء المهملة : أي رجع قال الله- تعالى- : {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}[١] أي : يرجع حياً، وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم"[٢].

ج- ولحديث أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- (المتوفى سنة ٥٤هـ) قال : "بعثنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقال : يا أسامة ! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ ، قلت : كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"[٣].

فقد أنكر- عليه الصلاة والسلام- على أسامة قتل الرجل بعدما تلفظ بالشهادة، فدل على أن من تلفظ بالشهادة لا يخرج من الإسلام إلا ببينة

---

(١) سورة الانشقاق آية رقم (١٤) .

(٢) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (١/ ٤٢٠) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- أسامة بن زيد رقم (٤٠٢١) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله ، رقم (٢٨٨) .

ظاهرة، جاء في فتح الباري: "قال ابن التين (المتوفى سنة٦١١هـ): "في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد"[(١)].

٢/٥ ومنهج السلف في هذا الباب وسط بين المتسرعين في التكفير، وبين المانعين من التكفير البتة، القائلين بأن من تلفظ بالشهادتين لا يمكن تكفيره بحال، بل قد يكفر المعين إذا اجتمعت فيه شروط، وانتفت موانع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) مبيناً منهج أهل السنة في التكفير: " فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه، وتزني بأهله؛ لأن الكذب و الزنا حرام؛ لحق الله- تعالى- ، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر"[(٢)].

ويبين في موضع آخر أن المعين لا يكفر إلا إذا اجتمعت شروط، وانتفت موانع، فيقول: "ولهذا قال السلف من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يُرَى في الآخرة فهو كافر، ولا يكفرون المعين الذي يقول

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٩٥) .

(٢) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢) .

ذلك ؛ لأن ثبوت حكم التكفير في حقه متوقف على تحقق شروط وانتفاء موانع"[1].

كما بَيّن- رحمه الله- منهجه وتَوَقِّيَهُ من الحكم بالتكفير على الأعيان، فيقول: "ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا معصية"[2].

وعلى هذا المنهج سار أئمة الدعوة السلفية، فهذا الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن- رحمه الله- (المتوفى سنة ١٢٩٣هـ) يقول: "وأما من أطلق لسانه بالتكفير؛ لمجرد عداوة، أو هوى، أو لمخالفة في المذهب، كما يقع لكثير من الجهال، فهذا من الخطأ البين، والتجاسر على التكفير، أو التفسيق، والتضليل، لا يسوغ إلا لمن رأى كفراً بواحاً، عنده فيه من الله برهان، والمخالفة في المسائل الاجتهادية التي قد يخفى الحكم فيها على كثير من الناس، لا تقتضي كفراً ولا فسقاً، وقد يكون الحكم فيها قطعياً جلياً عند

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٣٩) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٢٩) .

بعض الناس، وعند آخرين يكون الحكم فيها مشتبهاً خفياً، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها"[1].

ونصوص علماء السلف في تقرير هذه المسألة كثيرة متوافرة، ولولا خوف الإطالة لسردتها، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

٣/٥ ومقرر الفقه عالج موضوع التكفير من خلال بيان أحكام المرتدين في مقرر الصف الأول الثانوي، وقد جاء في بيان أنواع الردة ما نصه: "ما يقتضي الردة والخروج من الإسلام منحصر في أربعة أنواع:

١- الردة بالاعتقاد: كأن يعتقد ما يخالف ما علم من الدين بالضرورة: كجحد ربوبية الله، أو أولوهيته، أو إنكار البعث، أو الجنة، أو النار.

٢- الردة بالشك: كالشك في صحة أخبار القرآن، أو صدق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، وصحة رسالته.

٣- الردة بالقول: كأن يدعو غير الله، أو يستهزئ بشيء من دين الرسول- صلى الله عليه وسلم- .

٤- الردة بالفعل: كالذبح لغير الله والسجود للأصنام ونحوها"[2].

كما طرح- أيضاً- في الموضوع نفسه حكم السحرة والعرافين والمشعوذين، وجاء فيه ما نصه: "إذا علم هذا فلا شك في كفر الساحر ووجوب قتله"[3]، ولا ريب بأن هذا من باب التكفير المطلق، أما تكفير الأعيان فلم يتم التطرق إليه، ولا شك في أن هذا قصور في العرض لا سيما

---

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية (١٧/ ٢٦٩).

(٢) مقرر الفقه للصف الأول الثانوي ص (٥٤).

(٣) المرجع السابق ص (٥٦).

في هذا الموضوع الخطير، فموضوع التكفير وإن كان ستتم معالجته بشكل أوسع في مقرر التوحيد في الصف الثالث الثانوي، إلا أن الواجب أن يشار- ولو بشكل موجز- إلى تكفير المعين وضوابطه؛ حتى لا يلتبس الأمر على عقول الناشئة، ثم يبين بأن موضوع الردة والتكفير سيأتي بيانه بشكل أوسع في مقرر التوحيد في الصف الثالث الثانوي، وهذا مما يعزز الترابط بين المقررات الدراسية، فإن الملاحظ على عدد من الوحدات الدراسية ضعف الربط بينها وبين غيرها من الوحدات التي سبق للطالب دراستها، أو التي سيدرسها.

المبحث السادس

مقرر الفقه وتنمية الانتماء الوطني

١/٦ لفظ الانتماء الوطني من الألفاظ المجملة التي يستعملها أناس لمعان صحيحة، ويستعملها آخرون لمعان فاسدة، وموقف السلف من الألفاظ المجملة واضح وبين، وهو أنها لا تقبل بإطلاق، ولا تُرَدُّ بإطلاق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ): " ولهذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة النهي عن إطلاق موارد النزاع بالنفي والإثبات، وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق، ولا قصور أو تقصير في بيان الحق، ولكن لأن تلك العبارة من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل، ففي إثباتها إثبات حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل فيمنع من كلا الإطلاقين"[١].

كما يبين ابن أبي العز الحنفي (المتوفى سنة ٧٩٢هـ) الموقف الصحيح من الألفاظ المجملة، فيقول: "والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك"[٢].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٤٢) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٣٧) .

٢/٦وبناء على ذلك فإن لفظ الانتماء الوطني لفظ مجمل، لا بد فيه من بيان وتفصيل، فيقال بشأن هذا اللفظ ما يأتي:

أ- إن أريد به التعريف والنسبة، فهذا لا حرج فيه فيقال: هذا سعودي، وهذا مصري، وهذا شامي، وقد كان الصحابة ينتسبون إلى أوطانهم، فيقال هذا مهاجري، وهذا أنصاري، جاء في جواب اللجنة الدائمة من هيئة كبار العلماء بالسعودية عن قول من قال: "أنا وطني": "النعرة الوطنية معول هدم وتفريق لجماعة المسلمين إذا كان المقصود منها الفخر على إخوانه المسلمين غير المواطنين، أما إن كان المقصود من ذلك التعريف بأنه يحمل الجنسية الوطنية، وليس من دولة أخرى فلا حرج في ذلك"[(١)].

ب- وإن أريد بالانتماء الوطني إثارة العصبية الوطنية، والحزبية القومية، وتذويب المبادئ التي دعا إليها الدين، وسار عليها سلف هذه الأمة، اتباعاً لتقاليد الوطن وعادته ورغبات شعوبه المخالفة لشرع الله، فهذا أمر مرفوض شرعاً، حذر منه العلماء بل جاء التحذير منه في مقرراتنا الدراسية، ولله الحمد، ففي مقرر التوحيد للصف الثالث الثانوي جاء ما نصه: "أما انتماء المسلم لوطنه وقومه وحبه لهم، وولاؤه ونصيحته لهم، واجتهاده فيما ينفعهم ويحقق اجتماع كلمتهم فلا يتنافى مع حبه لإخوانه المسلمين في أنحاء الأرض، ولا يهدر حقوق الأخوة الإسلامية قاطبة، وفي هذا رد عملي على أولئك الذين يسعون إلى تفريق المسلمين إلى جماعات وأحزاب.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢١٧- ٢١٨).

ولا يجوز للمسلم أن يتعصب لها؛ لأن الإسلام يرفض العصبيات والنعرات الجاهلية، يقول الله- تعالى- : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} "[(١) (٢)].

ج- وإن أريد بالانتماء الوطني أداء حقوق الوطن، والمحافظة على ثرواته وممتلكاته، وترشيد الاستهلاك، واحترام أنظمته، وأداء حقوق المواطنين، وحقوق قادة الوطن وولاة الأمر فيه، ومعرفة سياسته وتاريخه، فهذا أمر مطلوب شرعاً، وهذا المعنى هو المراد عند إطلاق الانتماء الوطني في مقرراتنا، وبلادنا، لأن من ينظر في مقرر التربية الوطنية يجد أنه ركز على دراسة تلك الموضوعات.

٣/٦ ومقرر الفقه جاء مؤكداً لتلك المفاهيم، وتم فيه التأكيد على الموضوعات التي تنمي في الطالب الانتماء الوطني، وذلك ببيان حقوق ولاة الأمر كما في مقرر الصف الأول الثانوي، وبيان حقوق المواطنين عند التعامل المالي معهم في البيع، والإجارة، والوديعة، والرهن، ونحو ذلك، كما في مقرر الصف الثاني الثانوي، وبيان حقوق الأسرة من الزوجة والأولاد كما في مقرر الصف الثالث الثانوي، وإن من المقترح في هذا الباب أن تعرض جملة من أنظمة الدولة في بعض الوحدات الدراسية، ولا شك في أن ذلك مما يعزز الانتماء الوطني لهذه البلاد؛ لأن نظامها- ولله الحمد- قائم على الشريعة الإسلامية.

---

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٣).

(٢) مقرر التوحيد للصف الثالث الثانوي ص (٧٤).

المبحث السابع

مقرر الفقه وحقوق المرأة

١/٧- لقد راعى الإسلام حقوق المرأة، وكرمها، وأوصى بها زوجة وأمّاً وبنتاً وأختاً، بعد أن كانت في الجاهلية تدس في التراب صغيرة، وتبقى ذليلة محتقرة إن عاشت، بل تعد من المتاع الذي يورث عن الميت، وقد ذكر الله ذلك في كتابه، فقال: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}[١].

ويقول- تعالى- : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا}[٢].

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك"[٣].

ولما رفع الإسلام الظلم عن المرأة جعل لها حقوقاً وواجبات تتناسب مع فطرتها وطبيعتها، فرفع من شأنها في صور عديدة من التكريم، ومنها:

أ- أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- برعاية الزوجة وتكريمها، والقيام عليها، فقال- عليه الصلاة والسلام- : "استوصوا بالنساء، فإن

---

(١) سورة النحل الآيتان (٥٨- ٥٩).

(٢) سورة النساء آية رقم (١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة النساء ،رقم (٤٣٠٣).

المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء"[1].

ب- حث الإسلام على الإحسان إلى البنات والأخوات، ورتب على ذلك عظيم الأجر، فقال- عليه الصلاة والسلام- : "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه"[2].

وفي رواية لأحمد: "من عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يمتن، أو يموت عنهن، كنت أنا وهو كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى"[3].

ج- كما أنه أكد على حق الأم أكثر من حق الأب، فقد جاء رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: (أمك)، قال: ثم من ؟ قال (ثم أمك)، قال ثم من ؟ قال: (ثم أمك)، قال: ثم من ؟ قال: (ثم أبوك)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله- تعالى- : "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"، رقم (٣١٥٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (٣٧٢٠)، وكلاهما من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم (٤٧٦٥) من حديث أنس بن مالك.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- (٣/ ١٤٧)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١/ ٥٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم (٥٦٢٦)، وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم (٦٦٦٤)، من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- .

٢/٧- وقد حرص السلف الصالح على وصية رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالمرأة، وحفظ حقوقها، وكان منهجهم في التعامل مع تلك الحقوق وسطاً بين الجاهلين الذين ظلموا المرأة، وسلبوها حقها، وبين المتحررين الذين جعلوا لها من الحقوق ما يخالف فطرتها وطبيعتها، يقول الشيخ صالح الفوزان في بيان مكانة المرأة ووظيفتها في الإسلام، والرد على القائلين بأن المرأة قطاع غير مستثمر: "فلا يخفى على ذي بصيرة ما منحه دين الإسلام للمرأة من كرامة، وما ضمنه لها من حقوق تتناسب مع تكوينها داخل البيت وخارجه، وما زالت بلادنا- ولله الحمد- تسير على هذا المنهج تجاه المرأة، فهي تعيش في مجتمعنا معززة مكرمة مع زوجها وأسرتها ومجتمعها، تتمتع بحقوقها الشرعية بكل راحة واطمئنان بعيدة عما تورطت فيه المرأة في المجتمعات الأخرى من مشاكل؛ نتيجة لإخراجها عن طورها، وحرمانها من مزاولة العمل اللائق بها، وتكليفها بأعمال الرجال"(١).

٣/٧- ومقرر الفقه في المرحلتين: المتوسطة والثانوية بَيَّنَ حقوق المرأة في عدد من الوحدات والأبواب الدراسية، ابتداء من العبادات، وما اختصت به المرأة من أمور في عبادتها؛ مراعاة لطبيعتها، كنهيها عن زيارة القبور(٢)، واشتراط المحرم لسفرها للحج(٣)، وغير ذلك، ثم بيان حقها عند الجناية

(١) مقال بعنوان: " مكانة المرأة ووظيفتها في الإسلام ضمن مؤلفات الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (١٥٠/ ١٨).

(٢) ينظر مقرر الفقه للصف الأول المتوسط ص (١٣١).

(٣) ينظر مقرر الفقه للصف الثاني المتوسط ص (٦٩).

عليها، أو كونها من أولياء الدم، فلها القصاص أو الدية[١]، كما أن لها حقاً في النكاح، فلا بد من رضاها[٢]، ولها على زوجها حق الصداق[٣] والنفقة والكسوة[٤]، ولها حق الحضانة[٥]، وغيره مما أثبته الشرع لها، كل هذه الحقوق جاء ذكرها وبيانها في مقرر الفقه في المرحلتين: المتوسطة والثانوية الذي استقيت أحكامه من كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وصراطه المستقيم.

(١) ينظر مقرر الفقه للصف الأول الثانوي ص (١٦) وما بعدها .

(٢) ينظر مقرر الفقه للصف الثاني الثانوي ص (٤٣) .

(٣) المرجع السابق (٦٤) .

(٤) المرجع السابق ص (١١٤) .

(٥) المرجع السابق ص (١٢٠) .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وبعد هذه الجولة البحثية على عدد من الموضوعات التي تجلى فيها ارتكاز مقرر الفقه على منهج السلف- رحمهم الله تعالى- ، أدون خلاصة النتائج والتوصيات فيما يأتي:

١- يطلق لفظ السلف على من مضى وتقدم، ويراد بهم: أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- ، وتابعوهم من القرون المفضلة، ومن سار على نهجهم بإحسان.

٢- السلفية ليست جماعة من الجماعات، أو فترة مضت وانقضت، وإنما هي تعني متابعة السلف في تعاملهم مع ربهم، وسنة نبيهم محمد- صلى الله عليه وسلم- .

٣- الانتساب إلى السلفية لا حرج فيه؛ لأنه انتساب إلى منهج وطريقة، وليس لحزب وجماعة.

٤- التزام منهج السلف في تقرير المسائل الفقهية من الأهمية بمكان؛ إذ من خلاله يمكن صيانة النصوص من التلاعب والعبث، وصيانة الاجتهاد من الوقوع في البدع، وضمانٌ لسلوك المجتهد سبيل الوسطية، فالغلو إنما يقع عند البعد عن منهج السلف، كما أن فيه تربية لطالب العلم على اتباع الدليل أينما كان، وترك التقليد الأعمى، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع الخلاف بين العلماء، والتماس الأعذار لهم في ذلك.

٥- من سمات منهج السلف في تقرير المسائل الفقهية، الحرص على اتباع الدليل مع اقتفاء طرائق الأئمة الأربعة المعتبرة في التفقه في الدين،

ومن ينظر في مقرر الفقه في مرحلة المتوسطة والثانوية يجد أنه سار على هذه الطريقة.

٦- يعد التحذير من البدع والمحدثات في الدين، مع الحرص على عدم التسرع في إطلاق الحكم على الأشخاص، من سمات المنهج السلفي، ومقرر الفقه جاء فيه التنبيه على بعض البدع بشكل موجز؛ لذا أقترح على الإدارة العامة للمقررات الدراسية تطعيم مقرر الفقه، بمزيد من التنبيهات على المخالفات والبدع التي يقع فيها العامة.

٧- من أصول منهج السلف السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، وعدم الخروج عليهم، والنصح والدعاء لهم، ومقرر الفقه بين هذا الجانب بياناً واضحاً جلياً.

٨- يعد البعد عن منهج السلف في فهم الدين سبباً من أسباب الغلو، إذ أن منهجهم وسط بين المتساهلين والمتشددين، ومقرر الفقه سلك منهج الوسطية، وذلك ببيان الضوابط التي رسمها الشارع للمسلم، والتي مَن التزمها حماه ذلك من الغلو في الدين، كما أن مقرر الفقه قد ذكرت فيه بعض الصور والأمثلة للغلو، دون التنبيه على أنها من صور الغلو؛ لذا فالمقترح تكثيف الأمثلة والصور التي توضح معنى الغلو؛ ليتمرن الطالب على معرفة تطبيقات هذا المصطلح الشرعي، خاصة وأن الفقه مرتع خصب لبيان الصور التطبيقية للغلو.

٩- منهج السلف في باب التكفير وسط بين المتسرعين في التكفير، والمانعين منه البتة، فمن دخل في الإسلام لا يكفر إذا صدر منه ما يوجب كفره، إلا إذا اجتمعت فيه شروط، وانتفت موانع، ومقرر الفقه عالج

موضوع التكفير من خلال بيان أحكام المرتدين في الصف الأول الثانوي، وبيان أنواع الردة، وبعض الأمور التي يعد فعلها كفراً، ولم يتطرق مقرر الفقه لضوابط وشروط تكفير الأعيان، مع أنه من الأهمية بمكان، ولا شك في أن هذا قصور في العرض، لا سيما في هذا الموضوع الخطير، فموضوع التكفير وإن كانت معالجته تمت بشكل أوسع في مقرر التوحيد للصف الثالث الثانوي، إلا أن الواجب أن يشار- ولو بشكل موجز- إلى ضوابط تكفير المعين، حتى لا يلتبس الأمر على عقول الناشئة، ثم يبين بأن موضوع الردة والتكفير سيأتي بيانه بشكل أوسع في مقرر التوحيد في الصف الثالث الثانوي.

١٠- الانتماء الوطني لفظ مجمل، ومنهج السلف في التعامل مع الألفاظ المجملة التي قد يستعملها أناس لمعان صحيحة، ويستعملها آخرون لمعان فاسدة هو التفصيل في ذلك اللفظ؛ لذا يقال في الانتماء الوطني: إنه إن أُرِيدَ به التعريفُ والنسبة فهذا لا حرج فيه، وإن أريد به إثارة العصبية والحزبية، وتذويب المبادئ التي دعا إليها الدين إتباعاً لتقاليد الوطن وعاداته المخالفة للشرع، فهذا أمر مرفوض شرعاً، وإن أريد به أداء حق الوطن من المحافظة على ثرواته، ومقدراته، وترشيد الاستهلاك، وأداء حقوق المواطنين، وأداء حقوق قادة الوطن، فهذا أمر مطلوب شرعاً، وهذا الإطلاق هو المراد في مقرراتنا الدراسية.

ومقرر الفقه جاء فيه التأكيد على المفاهيم التي تنمي في الطالب الانتماء إلى وطنه من خلال بيان حقوق ولاة الأمر، وحقوق المواطنين عند التعامل معهم، وحقوق الأسرة من الزوجة والأولاد، والمقترح

في هذا الباب عرض جملة من أنظمة الدولة في بعض الوحدات الدراسية، وبيان ارتباطها بالأحكام الشرعية، فهذا مما يعزز الانتماء الوطني لهذه البلاد.

١١- حرص السلف على وصية رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالمرأة، وحفظ حقوقها، ومنهجهم في ذلك وسط بين الجاهلين الذين ظلموها حقها، والمتحررين الذين جعلوا لها من الحقوق ما يخالف فطرتها، وطبيعتها، ومقرر الفقه في مرحلتي المتوسطة والثانوية بيَّن حقوق المرأة في عدد من الوحدات والأبواب الدراسية ابتداء من العبادات، ببيان ما اختصت به المرأة من أحكام، ثم بيان حقها عند الجناية عليها، وحقها في النكاح، وفي الصداق، والحضانة، وغير ذلك من الحقوق التي بينها الشارع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان.

مراجع البحث

- إثبات صفة العلو، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى سنة ٦٢٠هـ)، تحقيق : بدر عبد الله البدر، الناشر : الدار السلفية الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لتقي الدين محمد بن علي القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى سنة ٧٠٢هـ)، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، ومدثر سندس، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الأحكام الشرعية الكبرى، لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي (المتوفى سنة ٥٨١هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- أخصر المختصرات في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لمحمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي، (المتوفي سنة ١٠٨٣هـ)، تحقيق: محمد ناصر العجمي، الناشر دار البشائر الإسلامية، بيروت ، سنة النشر ١٤١٦هـ.
- الأربعون النووية، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (المتوفى سنة ٦٧٦)، المكتبة الشاملة، الإصدار٣,١٤.
- أصول السنة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (المتوفى سنة ٢٤١هـ)، الناشر: دار المنار، الخرج، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه، لعياض بن نامي السلمي، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، طبعة: ١٤١٥هـ
- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، (المتوفى سنة ٧٩٠هـ)، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (المتوفى سنة ٧٢١هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣.

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩
- الإقناع، لشرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبي النجا الحجاوي (المتوفى سنة ٩٦٠هـ)، مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر: يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان- دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (المتوفي سنة ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية، سنة النشر ١٤١٩هـ ، مكان النشر السعودية / الرياض.
- درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١ هـ.
- الدرر السنية في الكتب النجدية، لمجموعة من أئمة الدعوة السلفية، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣.١٤.

- ذم الكلام وأهله، لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، (المتوفى سنة ٤٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، سنة النشر ١٤١٨هـ
- الرد على البكري (تلخيص كتاب الاستغاثة)، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد علي عجال الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- الرسائل الشخصية، لمحمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦هـ)، قام بالفهرسة: أبو أيوب السليمان ١٤٢٧هـ، مصدر الكتاب: موقع مشكاة الإسلامية.
- زاد المستقنع في اختصار المقنع، لشرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبي النجا الحجاوي (المتوفى سنة ٩٦٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن علي بن محمد العسّكر، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.
- السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، (المتوفى سنة ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض
- سنن ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى سنة ٢٧٣هـ)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام
- سنن أبي داود، أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى سنة ٢٧٥هـ)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.
- سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبي عيسى (المتوفى سنة ٢٧٩هـ)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.
- سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن أبي محمد الدارمي، (المتوفى سنة ٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- سنن النسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣هـ)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

- شرح الطحاوية، لابن أبي العز علي بن علي بن محمد الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- شرح الكوكب المنير، لتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى سنة ٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ.
- صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
- صحيح مسلم المسمى بالجامع الصحيح، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٦١هـ)، الناشر: دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، (المتوفى سنة ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية المجاني من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- صلاة العيدين في المصلى هي السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى سنة ١٤٢٠هـ).
- العمدة، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى سنة ٦٢٠هـ)، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني الحنفي (المتوفى سنة ٨٥٥هـ)، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، قام بتنسيقه وفهرسته: أسامة بن الزهراء.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، (المتوفى سنة ١٣٨٩هـ)، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى سنة ٧٧٥هـ)، مصدر الكتاب: موقع التفاسير.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى سنة ٨٠٧هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.
- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (المتوفى سنة ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، مصدر الكتاب: إعداد: موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (المتوفى سنة ٢٤١هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (المتوفى سنة ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (المتوفي سنة ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفردات غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢)، مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
- مقرر الفقه للصف الأول الثانوي، وزارة التربية والتعليم طبعة عام ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ.
- مقرر الفقه للصف الأول المتوسط، وزارة التربية والتعليم طبعة عام ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.

- مقرر الفقه للصف الثالث الثانوي، وزارة التربية والتعليم طبعة عام ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.
- مقرر الفقه للصف الثالث المتوسط، وزارة التربية والتعليم طبعة عام ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.
- مقرر الفقه للصف الثاني الثانوي، وزارة التربية والتعليم طبعة عام ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.
- مقرر الفقه للصف الثاني المتوسط، وزارة التربية والتعليم طبعة عام ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.
- مكانة المرأة ووظيفتها في الإسلام- مقال ضمن مؤلفات الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بالنووي، (المتوفى سنة ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٢هـ.
- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي ابن نايف الشحود، المكتبة الشاملة، الإصدار ٣,١٤.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت (الأجزاء ١ – ٢٣) الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) ، مع الكتاب تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.
- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ.



المقررات الشرعية في المعاهد العلمية وصلتها بالمنهج السلفي

إعداد

الدكتور: عادل شاهين محمد شاهين

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام

كلمات من نور

قال إمام أهل السنة في زمانه ، ومحيي مذهب السلف الصلح ، وباعث النهضة الإسلامية

الملك الراشد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

(طيب الله ثراه)

في الخطاب الذي ألقاه في مشعر منى في موسم حج عام ١٣٦٥هـ في العاشر من ذي الحجة :

(.. إنني رجلٌ سلفي ، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة...

يقولون : إننا وهابية والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا ، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.

(يَا أَيها الذين آ مَنُوا اتقُوا اللهَ حَق تُقَاته ولا تموتن إلا وأنتم مُسلمُون)[1]

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[2].

(يَا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قَولاً سَديداً يُصلح لَكُم أعمالكم وَيَغفر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطع الله وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظيماً)[3]

أما بعد: فإن الله تعالى قد بين فضل العلم وحث عليه في كتابه الكريم، قال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[4]، وقال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)[5]

---

١ - آل عمران : ١٠٢

٢ - النساء : ١

٣ - الأحزاب : ٧٠- ٧١

٤ - المجادلة : ١١

٥ - الزمر : ٩

وقـال - تعـالى - : (وَتِلْـكَ الْأَمْثَـالُ نَـضْرِبُهَا لِلنَّـاسِ وَمَـا يَعْقِلُهَـا إِلَّـا الْعَالِمُونَ)[1]. والمقصود بالعلم: هو العلم الشرعي الموصل إلى معرفة الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه وصفاته، وأنه الإله الحق، الذي لا يستحق أحد أن يعبد سواه، وأنه الرب الخالق الرازق المتصرف بهذا الكون، المنعم على جميع العالمين، والموصل - أيضاً - إلى معرفة رسول الله محمد صلة الله علية وسلم وأنه الرسول الخاتم، المبلغ عن الله شرعه ووحيه، والموصل إلى معرفة هذا الدين الذي جاء به محمد صلة الله علية وسلم عن الله، وبلغنا به في كتاب الله وسنة رسولهصلة الله علية وسلم بما يشمل جميع نواحي حياتنا في: الاعتقاد والسياسة والاجتماع وفي القضاء والتشريع والاقتصاد، وجميع ما يحتاجه المسلمون في أمور حياتهم ومعادهم.

فهذا هو العلم الحقيقي الذي أثنى الله على حملته، ورفع قدرهم، وجعلهم من الشهداء على وحدانيته، قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[2]، ووصفهم - سبحانه - بأنهم أخشى الناس لله تعالى فقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)[3].

والمعنى: الخشية الكاملة، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .

---

١ - العنكبوت : ٤٣

٢ - آل عمران : ١٨

٣ - فاطر : ٢٨

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - عباده المؤمنين، بأن تنفر طائفة منهم للتعلم والتفقه في هذا الدين؛ ليكونوا على بصيرة ونور من الله، وليعلموا أحكامه وشرائعه، ويبلغوا أقوامهم ويوجهوهم إلى الصراط المستقيم بسلوك هذا الدين والالتزام به، قال تعالى: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[1].

ومن نعم الله العظيمة على المسلمين في هذه البلاد المباركة - أعني المملكة العربية السعودية - وعلى جميع بلاد المسلمين، أن قيض لهم من القادة الصالحين والحكام المخلصين والعلماء الربانيين من يقوم بنصرة هذا الدين، وإحياء ما اندرس من رسومه، ونشر العلم وتعليمه، والدعوة إلى عقيدة التوحيد الخالص، وتحكيم شريعة الله، ودحر الباطل وأهله والقضاء على كل صنوف الشرك والبدع والخرافة والجهل، حتى أضحت هذه البلاد درة بين الأمم متفردة في نظام حكمها وحكامها.

وكان من فضل الله على هذه البلاد، أن قام فيها الإمام المجدد الشيخ / محمد بن عبد الوهاب، والإمام الراشد الموفق / محمد بن سعود - رحمهما الله - وتعاهدا على نصرة هذا الدين، وصدقا في ذلك؛ فنصرهما الله، ومكن لهم في الأرض؛ وقامت بذلك حلق العلم بالمساجد وانتشر التدريس فيها، وأخذ العلماء أماكنهم في توعية الناس بدينهم، وتعليمهم أحكامه وشرائعه، واستمرت على ذلك حتى انتشر العلم في أرجاء هذه البلاد والبلدان المجاورة، وفتحت المدارس والمعاهد العلمية، والكليات والجامعات

---

١ - التوبة: ١٢٢

وغيرها من وسائل نشر العلم وانتشرت في قرى ومدن الجزيرة العربية وغيرها من البلاد.

ولقد كان **للمعاهد العلمية** التابعة لـ (**جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**) الأثر العظيم في نشر العقيدة السلفية الصحيحة وكافة علوم الشريعة المستمدة من الكتاب والسنة، وتربية الناشئة على فهم كتاب الله وسنة رسوله والعمل بما ورد فيهما من أحكام، فضلا عن معرفة علوم اللغة العربية – لغة القرآن والسنة – وغيرها من العلوم المعاصرة التي بالناس حاجة إليها.

وإن ثمار هذه المعاهد وما حصل بها من الخير العظيم والنفع العميم، لتظهر واضحة جلية على شباب هذه البلاد المباركة، علما وخلقا وسلوكا وطاعة لولاة أمرهم وعلمائهم الربانيين.

كما كان من فضل الله على هذه البلاد الطيبة، أن وفق ولاة أمرها إلى فتح بعض المعاهد العلمية في الخارج في بعض الدول؛ لتقوم بتعليم الناس أحكام الشريعة، ونشر عقيدة السلف الصالح الصافية الخالية من شوائب الشرك والوثنية والبدع، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما هذه الندوة المباركة (**السلفية منهج شرعي ومطلب وطني**) وما اشتملت عليه من محاور وموضوعات إلا دليل صادق وتأكيد على استمرار هذه البلاد وثباتها على المنهج السلفي القويم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفهم سلف الأمة الصالح خير القرون من الصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم بإحسان ومن اقتفى أثرهم وتمسك بهديهم وسار على نهجهم من العلماء الصالحين والأئمة الربانيين في كل العصور الذين قال الله تعالى فيهم.

ونظرا لما للمعاهد العلمية بجامعة الإمام منذ نشأتها من دور بارز في العناية بمنهج السلف الصالح في مناهجها وبخاصة في مقررات العلوم الشرعية أحببت المشاركة في هذه الندوة المباركة ببحث يعرف بهذه المعاهد ومقرراتها الشرعية وبيان مدى ارتباط هذه المقررات بمنهج السلف الصالح وذلك وفق الخطة التالية :

المقدمة وتشتمل على ما يأتي :

١- أهمية الموضوع

٢- خطة البحث

المبحث الأول : التعريف بالمعاهد العلمية.

المبحث الثاني : التعريف بالمنهج السلفي

المبحث الثالث : المقررات الشرعية في المعاهد العلمية..

المبحث الرابع : صلة المقررات الشرعية في المعاهد بمنهج السلف الصالح.

الخاتمة : وتشتمل على ما يأتي :

١- أهم النتائج

٢- أهم التوصيات.

فهرس المراجع

نسأل الله تعالى أن يوفق القائمين على هذه الجامعة المباركة ، وأن يكلل جهودهم بالتوفيق والنجاح كما نسأله أن يوفق ولاة أمر هذه الدولة السنية السلفية لخدمة الإسلام والمسلمين وأن يحفظ هذه البلاد وأهلها من كل سوء ومكروه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

التعريف بالمعاهد العلمية

المعاهد العلمية - بمرحلتيها المتوسطة والثانوية - أحد أهم الوحدات التعليمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إذ تمثل الركيزة الأساسية للتعليم الجامعي في كافة العلوم وبخاصة العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية، وهي سابقة في إنشائها على الجامعة، وكانت في بدايتها مؤسسة تعليمية مستقلة وهي متفردة في سبقها وفي مناهجها وبخاصة مناهج العلوم الشرعية والعربية إلى أن صدرت الموافقة على إنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وإقرار نظامها الأساسي واعتبارها مؤسسة تعليمية مستقلة، حيث تم ربط المعاهد العلمية بها تحقيقاً للأهداف التي روعيت عند إنشاء للجامعة ورسالتها السامية، وصدر في ذلك قرار مجلس الوزراء رقم ١٢ وتاريخ ١٣٩٧/١/٧هـ بربط المعاهد العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إدارياً وفنياً ودمج ميزانيتها ضمن ميزانية الجامعة، الأمر الذي حقق للجامعة ميزة الانفراد بالسلم التعليمي الذي يمكنها من الإشراف على بناء المسلم علميا وتربويا خلال أطول مدة تعليمية تشمل مراحل التعليم المتوسط والثانوي والجامعي والدراسات العليا.

واستمراراً لدعم الدولة للمعاهد العلمية والمحافظة على استقرار العمل بها وحفاظا على السياسة التعليمية للمعاهد العلمية ، صدر الأمر السامي الكريم رقم ٧١٧٥ / م ب وتاريخ ١٩ / ٨ / ١٤٢٨هـ بإبقاء المعاهد العلمية مرتبطة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ونظرا لأهمية المعاهد العلمية ومكانتها العلمية المتميزة وآثرها الشرعية والتربوية العظيمة على المجتمع السعودي بخاصة والعالم الإسلامي بعامة فسوف أعرف بها بشيء من التفصيل وذلك على النحو التالي[1] :

أولا : الجذور التاريخية للمعاهد

كان من فضل الله تعالى على هذه البلاد المباركة أن اختصها بالدعوة السلفية السنية المباركة (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته) (١١١٥هـ/ ١٢٠٦هـ)[2] - الذي جدد الله تعالى

١ - للمعاهد العلمية بجامعة الإمام وكالة خاصة بها وهي : وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية التي لها موقع خاص بها الشبكة العنكبوتية يحتوي على كل ما يخص المعاهد العلمية يتم الدخول إليه عن طريق موقع الجامعة الآتي : http://www.imamu.edu.sa

٢ - هو الإمام المجدد شيخ الإسلام إمام أهل السنة والجماعة في زمانه محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد الذي يعود نسبه إلى آل مشرف من قبيلة بني تميم المعروفة ولد في بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم ، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، درس عقيدة أهل السنة والجماعة حتى بلغ فيها الغاية كما درس الفقه والتفسير والحديث، وغيرها من العلوم وحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم من مشايخه العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم آل سيف ، والمحدث الشهير محمد حياة السندي والشيخ اسماعيل العجلوني وغيرهم كثير وكانت له عناية خاصة بكتب أهل السنة والجماعة وبخاصة كتب شيخ الإسلام والمسلمين الإمام أبو العباس ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية - رحمهما الله تعالى أخذ يعلن جهرا بالدعوة السلفية إلى توحيد الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي المبتدعة عباد القبور والأوثان ، وقد شد من أزره الولاة الراشدون من آل سعود وعلى رأسهم الإمام محمد بن سعود رحمه الله وقويت شوكته بذلك وذاع خبره وله - رحمه الله تعالى - مؤلفات نافعة نذكر منها : =

بدعوته الدين، وجمع بها الكلمة؛ هذه الدعوة التي رفع لواءها، وأعلى شأنها، وتحمل تبعتها والدفاع عنها الإمام الراشد الصالح المؤسس الإمام محمد بن سعود – رحمه الله وأسكنه فسيح جناته (ت ١١٧٩)– وقد واصل المسيرة المباركة – من بعده – أبناؤه وأحفاده من الأئمة والأمراء والملوك البررة الراشدون من آل سعود إلى يومنا الحاضر([1]).

ولقد كان لهذه الدعوة المباركة أثرها الملموس في نشر التوحيد الخالص والمنهج السلفي المصفى، والقضاء على كل مظاهر الشرك والبدع، فضلا عن توحيد البلاد واجتماع الكلمة، وانتشار العلم، وانحسار الجهل، فأقبل الناس على تعلم التوحيد، ودراسة الكتاب الكريم، والسنة النبوية، وانتشرت حِلَق العلم، وازداد الطلب على كتب العلم والقراءة فيها.

لفد حدث كل ذلك يوم أن قام الإمام المؤسس محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى _ رحمه الله _ بالترحيب بالشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله حين قدومه الدرعية سنة ١١٥٧هـ ووعده بنصرة التوحيد وإعلاء كلمة الله، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

=الكتاب الجليل المفيد المسمى: "كتاب التوحيد"، وقد طبع أكثر من ألف طبعة ، وكتاب "كشف الشبهات" "والكبائر" " ومختصر الإنصاف" والشرح الكبير "ومختصر زاد المعاد" وله فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود وقد توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٠٦ هـ انظر في ترجمته : تاريخ نجد لابن غنام ص: ٨١ ، عنوان المجد في تاريخ نجد ص : ٢٠ ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ص: ١٨ ، الدرر السنية : ٢١٥/٩ وقد ألفت في ترجمته عشرات المؤلفات .

١ - انظر في جهود الأئمة من آل سعود في نصرة الدعوة : عنوان المجد لابن بشر: ٢٤/١ ، عقد الدرر لابن عيسى: ص/ ٤٩

قائلا له : " أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعة ، فقال الشيخ له : وأنا أبشرك بالعز والتمكين ، والنصر المبين ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم ، فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها : ملك البلاد والعباد ، وأنت ترى نجداً كلها ، وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم البعض ، فأرجو أن تكون إمامهم الذي يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك " [١].

لقد كان هذا اللقاء المبارك بين الإمام محمد بن سعود و الإمام محمد بن عبد الوهاب – على نصرة التوحيد ، ومحاربة الشرك ونشر العلم ، وجمع الكلمة – نقطة تحول في جزيرة العرب ، حيث علت فيها راية التوحيد ، وزالت الشركيات والبدع والخرافات ، وانتشر العلم ، واضمحل الجهل واجتمعت الكلمة ، وأعلن بذلك عن قيام دولة إسلامية عظيمة قل نظيرها لا تزال بحمد الله إلى يومنا هذا تعلي راية التوحيد ، وتحكم شرع الله ، وتنشر العلم ، وتوقر العلماء ، وتنشر الأمن وتجمع الكلمة في كل ربوعها بل تعدى دورها حدود الوطن وانتشر خيرها وفضلها في العالم أجمع.

ولقد رعت الدولة السعودية المباركة – منذ تأسيسها – العلم والعلماء وطلبة العلم في بلادنا ، وشجعت العلماء على تعليم الناس الخير، ونشر العلم، والدعوة إلى الله والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس الآداب الشرعية في المساجد ، والكتاتيب ؛ حيث قامت مدارس

---

١ - عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر : ٢٤/١ ، تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني : ص : ٤٦- ٤٧

العلم في أكثر المدن والقرى يتعلم فيها الناس العلم، ويحفظون القرآن والسنة، كما برز كثير من العلماء بالفقه في الدين والدعوة إليه وتأليف المؤلفات النافعة والرسائل المفيدة.

وقد كان لعلماء الشريعة – في هذه البلاد – المكانة العالية والتقدير والاحترام من قبل ولاة الأمر مما جعل عامة الناس يحترمونهم ويجلونهم ويصدرون عنهم، ويقبلون على الانتفاع بهم.

ولهذا أقبل الناس على العلم، وفرغ كثير منهم أبناءهم لطلب العلم منذ الصغر يتنقلون من دراسة إلى أخرى ومن معلم إلى آخر بحسب مستويات هذه المدارس وهؤلاء المعلمين.

وأما الإمام الراشد والملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه _ (١٢٩٣ – ١٣٧٣) الذي وحد هذا الكيان الكبير – المملكة العربية السعودية – فإن العلماء عنده لهم مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، حيث كان – رحمه الله تعالى – يجالس العلماء ويجلهم، ويعلي قدرهم، ويستشيرهم فيما يعرض له من قضايا وأمور تستدعي المشورة.

ولم يقتصر اهتمام الملك عبد العزيز – رحمه الله – على مجرد العناية بالعلم الشرعي وإنما اهتم أيضا بالعمل بالعلم في نفسه وبكل ما يدعو إليه من خير ومصلحة للبلاد والعباد، فقد كان رحمه الله يخصص في مجلسه حلقات علم في القرآن والتفسير، وسائر العلوم الشرعية، كما خصص رحمه الله تعالى يوماً في الأسبوع وهو يوم الخميس للالتقاء بالعلماء والمشايخ للسماع إلى

نصحهم وإرشادهم، وإطلاعهم على ما يحتاجون إليه من أمور الدولة وأخبار المناطق[1].

وقد حذا أبناء الملك عبد العزيز – رحمه الله – حذوه، واستنوا بسنته في احترام العلماء، وتوقيرهم، والثناء عليهم، والسماع منهم، واتخاذهم مستشارين يشاركون في بذل النصيحة وبيان المعروف، ولا زال خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين يستقبلان العلماء كل أسبوع تقديراً لهم، ورغبة في سماعهم، والإفادة منهم.

وكان لهذه الدولة المباركة في دورها الأول الفضل – بعد الله عز وجل – في تصحيح العقيدة، ونشر العلم الشرعي، والقضاء على الشرك والبدع في هذه البلاد المباركة يوم اتفق الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله – على نصرة (لا إله إلا الله) والفقه في مدلولها والعمل بها، ودعوة الناس إليها، وجمع كلمة أهل البلاد على الحق والإيمان ومحبة شرعية الإسلام، فقامت قائمة الدين، وأقبل الناس على تعلم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وبيان التوحيد والمعتقد الصحيح، ومعرفة ما يضاد ذلك والبعد عنه.

واستفاد الناس من مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه ابن القيم رحمه الله، وكتب السلف بعامة.

١- توحيد المملكة وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي لمحمد السلمان ص/١٣٠- ١٣١ ، جامعة الإمام في خمسة عقود ص / ٥٥

فقامت مدارس العلم الشرعي في مساجد نجد ودورها ، بالإضافة إلى مدارس الحرمين الشريفين والإحساء والمناطق الجنوبية.

ولما وحد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله تعالى – البلاد السعودية بعد تفرقها ، وجمع شتاتها ، وأمن سبلها – وهي بحمد الله بلاد واسعة كبيرة متباعدة الأرجاء متعددة المدن والقرى – جمعها الله على وحدة الكلمة والقيادة – وصفاء العقيدة وحب الشريعة.

وبعد أن انتهت ملحمة التوحيد والوحدة لهذه البلاد المباركة بدأ ملحمة البناء والتوجيه ، وكان مقدمة ذلك بناء المواطن السعودي على الإيمان بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا ، بناؤه على التوحيد الصافي النقي من الشرك والخرافات والبدع ، وتربيته على الدين القويم الذي يربي المسلم على الطاعة لله ورسوله ، ثم لأولي الأمر الذين يحفظون الأمن ويحرسون الملة ، ويعدلون بين الرعية.

فالملك عبد العزيز – رحمه الله – يؤمن بأنه لن يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهو العلم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، والعمل بهما في كل شؤون الحياة.

وأن الشرف والعز واجتماع الكلمة إنما ينال بطاعة الله تعالى ، وتحقيق معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله عقيدة وسلوكاً.

لهذا فقد سلك الملك عبد العزيز عدة طرق لنشر العلم الشرعي وتبصير الناس بأمور دينهم :

أولها : أنه كان – رحمه الله تعالى – قدوة لأبناء شعبة في طلب العلم ؛ فمنذ أيامه الأولى كان يختار عدداً من الكتب – في أمهات العلوم – لتقرأ عليه

في مجالسه، مثل تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، ورياض الصالحين، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وسيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وديوان المتنبي وغيرها.

ثانيهما: أنه كان يحترم العلماء، ويجلهم ويكرمهم، ويقدمهم في مجلسه ويستشيرهم في أموره، ويعتمد عليهم في كثير من قضاياه، ويرسلهم مع الجند، كما يرسلهم إلى المدن والبوادي والهجر، ويسند إليهم الإمامة في الصلاة، والقضاء بين الناس، والفتوى، والإرشاد، والتوجيه، والتعليم.

وثالثها: عنايته بكتب السلف، فقد أمر – رحمه الله تعالى – بطباعة كثير منها ونشرها بين الناس، وتوزيعها مجاناً، وقد زاد ما طبع على نفقته على المائة كتاب من أمهات الكتب في سائر التخصصات الشرعية؛ كالمغني لابن قدامة، والإنصاف للمرداوي.

ورابعها: تشجيعه – رحمه الله تعالى – للعلماء على نشر العلم بين الناس وفتح حلق العلم للتدريس، واصطفاء الطلاب النابهين، وبذل المكافآت التشجيعية لهم، وإعانتهم على التفرغ لطلب العلم لسد حاجة البلاد المتنامية للمتخصصين في العلوم الشرعية، فقد كان – رحمه الله – يدرك أن البلاد – وهي شاسعة مترامية الأطراف – بحاجة ماسة إلى عدد كبير من العلماء المؤهلين بالعلم، ليسدوا حاجة المجتمع في الوظائف الشرعية؛ كالقضاء، والإمامة، والإفتاء، وتدريس العلوم الشرعية والعربية، كما كان – رحمه الله – يتوق ويرغب في تنظيم تدريس العلوم الشرعية في معاهد خاصة لضمان

استمرارها، وتفرغ العاملين بها، ولتهيئة ما يحتاجه الطلاب فيها مما يعينهم على طلب العلم والتحصيل فيه، وليحافظ هذا التعليم على قوته وأصالته[١].

وقد التزم التعليم بجميع مراحله تعليم الناشئة تلاوة القرآن الكريم وتجويده، وتعليم العقيدة السلفية الصحيحة، وما يحتاجه المسلم من فروع الشريعة بالإضافة إلى تعليم المهارات التعليمية كالقراءة والكتابة، وقواعد اللغة العربية نطقاً وكتابة، وتعويدهم على المناقشة والحوار بالإضافة إلى الدروس العلمية التي تؤهلهم للالتحاق بالكليات المهنية.

وقد كانت الدولة في هذه المرحلة تشجع الناس على تعليم أولادهم، وتحضهم على ذلك، وتؤمن لهم ما يلزم لذلك من المباني والمعلمين والكتب الدراسية، وفي كثير من الأحيان تبذل للدارسين مكافآت مالية لتشجيعهم على طلب العلم والاستمرار فيه.

ولهذا جاء في الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم: " طلب العلم فرض على كل فرد بحكم الإسلام، ونشره وتيسيره في المراحل المختلفة واجب على الدولة بقدر وسعها وإمكانياتها "[٢].

ثانيا: المعاهد العلمية التأسيس والانتشار

أ – التأسيس:

المعاهد العلمية نبتة مباركة في بناء هذه الدولة الرشيدة، غرس بذرتها على نية طيبة، ومقصد رشيد، وروى نبتتها بالرعاية والعناية والتوجيه السديد:

---

١ - المرجع السابق ص / ١٢٩ - ١٣٠ وانظر: المعاهد العلمية أمل الملك عبد العزيز رحمه الله للدكتور/ صالح بن محمد الحسن ص/ ٨ - ٩

٢ - وثيقة سياسة التعليم في المملكة الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الباب الأول: فقره / ١٠

موحد هـذه البلاد المباركة – على كلمة التوحيد – الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه – مؤملاً من فتحها وإنشائها تأهيل طائفة من أبناء بلده تأهيلاً شرعيا يمكنهم من العمل في الولايات الشرعية، والوظائف التوجيهية والتعليمية التي تحتاج إليها بلاده (المملكة العربية السعودية) وذلك إدراكاً منه – رحمه الله – لأهمية العلم الشرعي في توحيد البلاد، وغرس العقيدة الصحيحة الصافية من الشرك والبدع والخرافات، ولتمكين الدولة المباركة وشعبها العزيز من تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة في جميع شؤون الحياة، وامتثالاً لقول الله عز وجل (**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**) [١]

ولقد تحقق – بحمد الله وتوفيقه – أمل الملك عبد العزيز – رحمه الله – في هذه المعاهد العلمية سواء من حيث نموها وانتشارها، أو من حيث إقبال الطلاب عليها والإفادة منها، أو من حيث مستوى تأهيل خريجيها تأهيلاً علمياً وتربوياً، أو من حيث الإفادة من خريجيها – سواء أكملوا دراساتهم الجامعية في الكليات التي أنشئت لذلك، أم لم يكملوا – في ميادين العمل وبخاصة العمل في الولايات الشرعية ؛ كالقضاء، والإمامة، والإفتاء، والعمل في مجال التدريس للمقررات الشرعية واللغوية[٢].

---

١ - سورة التوبة : ١٢٢

٢ - المعاهد العلمية الدكتور صالح الحسن : ص/ ١

وكان نواة المعاهد العلمية في المملكة معهد الرياض العلمي الذي تأسس عام ١٣٧٠هـ واقتتح رسميا في العاشر من محرم سنة ١٣٧١ وهكذا بدأ نور المعاهد العلمية يشرق في سماء الرياض، واختير له أفضل المدرسين من داخل المملكة وخارجها، وجلبت له المقررات العلمية المناسبة، وتوافد الطلاب على هذا المعهد من الرياض، ومن المدن الأخرى، بل لقد احتضن المعهد بعض الطلبة من غير أبناء المملكة من مصر والشام واليمن والصومال والحبشة والباكستان والهند وغيرها، وقرر الملك عبد العزيز - رحمه الله - للطلاب مكافآت مالية مجزية تعينهم على التفرغ لطلب العلم([1]).

وكانت رغبة الملك عبد العزيز - رحمه الله - صادقة مخلصة في العناية بهذا النوع من التعليم، واستفادته من النظم الحديثة للتعليم التي بدأت تنتشر في المملكة العربية السعودية ويستفيد منها الدارسون في مختلف المراحل.

وكان - رحمه الله - حريصاً على استفادة طلاب العلم الشرعي دراسة وفهما وتطبيقاً، فذلك هو الأساس وهو المقصد.

وهذا منهج الملك عبد العزيز، ومقصده في بناء الإنسان السعودي أن يكون متسلحاً بالعلم، قادراً على الفهم، يزن الأمور بميزان الشرع، ويحسن معالجة الأمور ويسهم في بناء الدولة.

وهاهو الملك عبد العزيز - رحمه الله - يخاطب الشيخ عبد الظاهر أبو السمح حين أبلغه الشيخ عبد الظاهر برغبته في فتح دار الحديث سنة ١٣٥٢هـ.

١- جامعة الإمام في خمسة قرون ص / ٦١

قال الملك عبد العزيز رحمه الله:

" من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبد الظاهر أبو السمح - سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

" فقد وصل إلينا كتابكم الذي بشأن المدرسة، وأحطنا علماً بما ذكرتم فيه ومن قبل المدرسة وفتحها، فهذا أبرك ما يسر... " إلى أن قال: " فإذا كان المدرسة التي تريدون فتحها أن يعلم فيها الحديث، والفقه، وبالأخص فقه الإمام أحمد وعدم الإعانة على أحد من الأئمة فهذا نحن ممنونين فيه ونوافق عليه.. ".

وهذه الرسالة وقد سطرها الملك عبد العزيز – رحمه الله – قبل أن يفتح المعاهد بثمانية عشر عاماً تدل على رغبته في هذه المعاهد، وترتيبه لها وشعوره بالحاجة إليها، بل لقد رسم – رحمه الله – لها في هذه الرسالة – وفي غيرها – منهجاً واضحاً يعتمد الكتاب والسنة وفقه السلف، مع العناية باللغة العربية، وآدابها وما يحتاجه طالب العلم في حياته كالتقويم والحساب.

ولمكانة هذه المعاهد العلمية لدى الملك عبد العزيز وما يعلقه عليها من آمال في حفظ عقيدة السلف الصالح، وفقه الكتاب والسنة، وتخريج المؤهلين في ذلك: فقد أسند الإشراف والإدارة على هذه المعاهد العلمية إلى أخص رجاله وأكرمهم عنده، وأعلاهم مكانة لديه، رجل المهمات، والقضاء، والإفتاء، وغيرها من الوظائف الشرعية: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، وإن واقع المعاهد العلمية وتاريخها المجيد خير دليل وأصدق

شاهد على حسن نية الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، وصدق فراسته في اختيار قائدها وربانها الذي أدى الأمانة ونجح في الرعاية[1].

ويذكر الشيخ حمد الجاسر قضية نضوج فكرة المعاهد العلمية وولادتها لدى الإمام الملك عبد العزيز رحمه الله وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

يقول: " وبعد أن عاد الشيخ محمد من رحلته إلى مصر للعلاج عام ١٣٧٠هـ وقابل الملك عبد العزيز – رحمهما الله – سأله: ما الذي أعجبه في مصر ؟ فقال سماحته: الأزهر وما ألحق به من معاهد، فما كان من الملك عبد العزيز إلا أن قال: ينبغي أن نفتح المعهد الآن، وأصدر الأمر بإعداد جميع ما يلزم لذلك فبدىء بتأثيث بناية المعهد التي أنشئت قبل بضع سنوات تأثيثاً حسناً بجميع ما يلزم لذلك، وتم إدخال الكهرباء للإنارة، والتبريد، وإدخال الماء العذب، وذلك في آخر عام ١٣٧٠هـ..." إلى أن قال: " ابتدأت الدراسة في بناية المعهد، وتم افتتاحه بصفة رسمية من قبل سمو ولي العهد في ذلك الوقت سعود بن عبد العزيز – رحمه الله – في اليوم العاشر من شهر محرم سنة ١٣٧١هـ، وأقيم لذلك احتفال بدىء بتلاوة أي من الذكر الحكيم، ثم كلمة صاحب السمو: حمد الله وأثنى عليه فيها، وتحدث عن فضل العلم وأنه لا حياة للبلاد إلا به، ثم ذكر الغاية من إنشاء هذا المعهد، ووعد بأن يبذل كل عون ومساعدة لكي يصبح جامعة علمية عظيمة يفد إليها طلاب

---

١ - الملك عبد العزيز والتعليم لمصطفى حسين عطار: ص /٨٧٧، ٨٧٩، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز

العلـم، ورواد مناهلـه مـن جميـع أنحـاء الـبلاد الإسـلامية، وتفـاءل سمـوه لـه بالنجاح، وحث فضيلة رئيسه الشيخ محمد بأن يعرض على سموه كل أمر فيه صلاح وخير ومنفعة تعود على هذا المعهد.

وبعده تحدث فضيلة الرئيس عن أثر العلـم في حيـاة الأمـة، وحاجـة الـبلاد إليه، وأشار إلى ما يبذله جلالة الملك، وسمـو ولـي عهـده في سـبيل نـشره مـن جهود مشكورة ثـم زار سمـو ولـي العهـد ومعـه فـضيلتا رئـيس المعهـد ومـديره فـصول الدراسـة، وأبـدى سروره بمـا شـاهده مـن حـسن الترتيـب والتنظـيم، وشكر القائمين على ذلك "[1].

وهكذا ولدت المعاهد العلمية برعاية وعناية الإمام الموحد الملك عبدالعزيز بـن عبـدالرحمن آل سـعود حيـث أصـدر أمـره الكـريم بافتتـاح معهـد الريـاض العلمـي سـنة ١٣٧٠هـ، وأسـند الإشراف عليـه إلى سماحـة الـشيخ محمـد بـن إبراهيم آل الشيخ، وأمر بما يلزم لذلك من مبـان ومدرسـين وأدوات، بـل أمـر رحمـه الله تعـالى بتخـصيص مكافـآت ماليـة مجزيـة للطـلاب الدارسـين في هـذا المعهد فأعدت خطة دراسية لهذا المعهد، وبدأ مسيرته المباركة.

ولا شك أن المعاهد العلمية قد بدأت بهذا التوجيه الكـريم مـن لـدن الملـك عبـدالعزيز وسمـو ولـي عهـده، وباختيـار رشـيد لرجـل كـبير، وعـالم جليـل للإشراف على هذه المعاهد هو سماحـة الـشيخ محمـد بـن إبـراهيم رحمهـم الله جميعاً.

---

١ - تاريخ المعاهد العلمية لعلامة الجزيرة حمد الجاسر : ص/ ص ٢ - ٤ .

لا شك أن هذه البداية : بداية قوية مباركة صاحبها نية صادقة ، ورغبة خالصة في حماية الشريعة والذود عنها ، والعمل بها ، وإعداد المؤهلين لذلك[1].

ب - انتشار المعاهد العلمية :

بدأت المعاهد العلمية بالمعهد العلمي في مدينة الرياض ، وكانت بداية طيبة ساعد على نجاحها الرغبة الصادقة لدى مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه ، وكتب له أجر هذه المعاهد صدقة جارية وعلماً ينتفع به – في تنظيم التعليم الشرعي وتقويته ، وسد حاجة البلاد منه كما ساعد على ذلك حسن اختيار المشرف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته – بما عرف عنه من فقه في الدين ، ومحبة لشريعة الإسلام ، وعمل صادق ، وذكاء وفطنه.

ومما ساعد على نجاحها الرعاية المالية لطلابها ؛ حيث خصّص لهم مكافآت مالية مجزية تعينهم على التفرغ لطلب العلم ، ومساعدة لهم ، أو رعاية لأسرهم ، كما ساعد على ذلك حسن التنظيم العلمي والإداري لمعهد الرياض العلمي ، حيث اختير له مناهج مفيدة نافعة ، مع مراعاتها لمستوى الدارسين كل هذه الأمور وغيرها أعطت انطباعاً حسناً لدى علماء البلاد ، وأولياء الأمور عن هذا المعهد المبارك ، فسارع العلماء والمسؤولون والأهالي من المدن الأخرى بطلب فتح معاهد مماثلة في بلدانهم ؛ فصدر الأمر الكريم بفتح معهدين في كل من بريدة ، وعنيزة ، وافتتحا سنة ١٣٧٣هـ ، ثم تلاهما

---

١ - المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن : ص/ ١٥

فتح خمسة معاهد أخرى في كل من الإحساء، والمجمعة، وشقراء، وصامطة، ومعهد إمام الدعوة العلمي بالرياض سنة ١٣٧٤هـ[١].

وكان التنظيم الإداري أول الأمر أن ترتبط هذه المعاهد إدارياً وعلمياً بمعهد الرياض العلمي، وأن تكون فروعاً له، ثم أصبحت فيما بعد معاهد مستقلة ترتبط بالإدارة العامة للمعاهد والكليات التي أنشئت سنة ١٣٧٥هـ، وأسندت إدارتها إلى صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

وقد تسابق الطلاب في المدن التي فتحت فيها هذه المعاهد إلى التسجيل فيها، وتقدم لها أوائل الطلاب المتخرجين في المرحلة الابتدائية، مما جعل طلابها المتخرجين فيها في مستوى زملائهم في مدينة الرياض.

ومما يعكس نجاح هذه المعاهد في مهمتها أن الدولة – وفقها الله – استمرت في فتح المعاهد العلمية في المناطق والمحافظات حتى بلغ عددها (٦٢) معهداً، انتشرت في المناطق والمحافظات والمراكز بحسب الحاجة إليها[٢].

ثالثا: المعاهد العلمية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

أعطى الملك عبد العزيز – رحمه الله - أهمية خاصة للتعليم، وخصص ميزانية كبيرة لتطويره، وبجانب مجانية التعليم، كانت الدولة تخصص مكافآت للطلاب، وقد اتضح اهتمام عبد العزيز بالتعليم منذ إنشاء الهجر، إذ عده أداة لتحضير البادية في ذلك الوقت، وكان التعليم يقتصر على تعليم مبادئ

---

١ - تاريخ المعاهد العلمية للشيخ حمد الجاسر: ص/ ٤- ٥، جامعة الإمام في خمسة قرون ص/ ٦١

٢ - المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن: ص/ ١٦

القراءة والكتابة وأصول الدين، وعند فتح الحجاز كانت الحركة التعليمية التي أسسها العثمانيون أرضية مناسبة ترتكز عليها النهضة التعليمية، لذا أنشئت بمكة في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، إدارة المعارف العامة، وهي إدارة حكومية تتبع للنائب العام، تختص بالتربية والتعليم(٤٣)، وفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م تمّ إنشاء "المعهد العلمي السعودي" لتخريج مدرسي المدارس الابتدائية والأولية، وفي تلك المدة، انتشرت المدارس في المدن، أما في الهجر والقبائل فقد كان "المطاوعة" يقومون بتعليم القرآن الكريم والعبادات والقراءة والكتابة، إلى أن شملتها النهضة العلمية لإنشاء المدارس لاحقاً، أما في نجد، فقد انتظمت المدارس النظامية الحديثة بعد عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م(٤٤).

وكان لإنشاء "مدرسة تحضير البعثات" أثر كبير في وضع أسس بناء التعليم الحديث، فأسهمت بالتالي في بناء الدولة الجديدة، وقد شملت هذه البعثات إيفاداً للطلاب لمصر ولبنان والولايات المتحدة، وكان من مهمات المدرسة إعداد الطلاب للبعثات، وسد الثغرات الناجمة عن عدم وجود بعض التخصصات بالمدارس السعودية، وقد كان للتعليم الأهلي أيضاً أثر بارز في تحقيق النهضة العلمية بالبلاد[1].

كما حرص الملك عبد العزيز – رحمه الله – على إنشاء مؤسسة حكومية تعنى بالعلم الشرعي، تعتني بدراسة الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح في الاعتقاد والسلوك، ودراسة الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة مع

---

١ - الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م، ص: ٦٤٥

الاستفادة من المدارس الفقهية السنية، وخاصة مدرسة الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – لكونها من أقرب المدارس إلى هدي الكتاب والسنة في باب الاعتقاد، ولأنها من أكثر المدارس الفقيهة عناية بالدليل، مع البعد عن التعصب والجمود.

ولابد لهذه المؤسسة من العناية بعلوم اللغة العربية لأنها الأداة التي يتعلم من خلالها في هذه المؤسسة، ولأنها أقرب الطرق إلى معرفة المراد من كلام الله عز وجل، وكلام رسوله ﷺ، ولأنها من أقوى أسباب وحدة المسلمين.

ولهذا فقد أصدر الملك عبد العزيز – رحمه الله – توجيهه الكريم إلى سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بافتتاح معهد الرياض العلمي سنة ١٣٧٠هـ، ثم بإنشاء فروع له في مناطق أخرى من المملكة، كما صدر الأمر السامي الكريم بافتتاح كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٣هـ لتكون أول كلية جامعية في مدينة الرياض.

وبعد وفاته – رحمه الله – واصل أبناؤه الكرام مسيرة هذه المؤسسة المباركة فأصدر الملك سعود بن عبد العزيز – رحمه الله – أمره الكريم بافتتاح كلية اللغة العربية سنة ١٣٧٤هـ، ثم تتابع إنشاء المعاهد العلمية في مختلف مناطق المملكة.

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز – رحمه الله – عني بأمر هذه الكليات والمعاهد العلمية، فأصدر أمره رقم (٢٤١) وتاريخ ١٢/٣/١٣٨٥هـ بافتتاح المعهد العالي للقضاء بالرياض؛ وذلك للدراسات العليا التخصصية في مجال القضاء، وما يتصل به من علوم شرعية، كما واصل – رحمه الله – أوامره الكريمة بافتتاح عدد من المعاهد العلمية في مختلف مناطق المملكة.

وفي عهده – رحمه الله –انتظم أمر المعاهد العلمية في مرحلتين متوسطة مدتها ثلاث سنوات، وثانوية ومدتها ثلاث سنوات، وبلغ عدد المعاهد العلمية حتى نهاية عام ١٣٨٨هـ سبعة وثلاثين معهداً ؛ منها ستة وثلاثون معهداً في داخل المملكة، والسابع والثلاثون في إمارة رأس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة. الذي جاء تلبية لطلب حاكمها الشيخ صقر القاسمي، كما بلغ عدد طلاب المعاهد العلمية سنة ١٣٩٤هـ أكثر من عشرة آلاف طالب، وانتظم أمر المرحلة الجامعية في كلية الشرعية، وكلية اللغة العربية بالرياض، والدراسات العليا في المعهد العالي للقضاء بالرياض، وزاد الإقبال على هذه المعاهد والكليات وأصبحت الحاجة تقتضي فتح كليات وأقسام أخرى، وتقتضي تنظيم ذلك في إطار جامعة إسلامية ترعى شؤون هذا النوع من التعليم وتدعمه وترسم سياسته، وتلبي حاجة البلاد المتزايدة منه.

وفي ١٣٩٤/٨/٢٣هـ صدر المرسوم الملكي رقم (م/٥٠) المبني على قرار مجلس الوزراء رقم (١١٠٠) وتاريخ ١٣٩٤/٨/١٧هـ بالموافقة على إنشاء جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وإقرار نظامها الأساسي، وقد شملت الكليات والمعاهد العليا، والمعاهد العلمية.

فهذه الجامعة المباركة ولادة طبيعية لنمو مؤسسة شرعية مباركة وضع أسسها الملك الراشد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه – بافتتاح معهد الرياض العلمي سنة ١٣٧٠هـ [1].

---

١ - المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن : ص/ ٤٧ ، نبذة عن المعاهد العلمية (الموقع الإلكتروني لجامعة الإمام)

وتعد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكل كلياتها الشرعية والعربية والاجتماعية والعلمية، ومعاهدها العلمية، ومعاهدها العليا امتداداً للدعوة المباركة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله–، وقام بها، وتعاهد على نصرتها الإمام محمد بن سعود رحمه الله؛ ذلك أن معظم مقررات هذه الجامعة في مختلف مراحلها تنهج نهج الدعوة المباركة في عنايتها بعقيدة السلف الصالح، والدعوة إليها وتعلمها وتعليمها، وفي العناية بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ في حفظهما، وتعلم أحكامهما والعمل بهما، وفي دراسة ما خلفه علماء الإسلام المشهود لهم بالاستقامة، والصلاح، وسلامة المعتقد من ثروات علمية في الفقه، والأصول، وبخاصة مدرسة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

وكذا العناية بعلوم اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – وآدابها؛ وذلك للاستعانة بها على فهم أحكام الكتاب والسنة، وللإسهام في حفظ هذه اللغة المباركة. وهذا المنهج يعتبر بناء واحدا يكمل بعضه بعضاً، ويبنى بعضه على بعض، يبدأ بالمعاهد – بما يناسب مستويات الطلاب – ويكمل البناء العلمي للطلاب في كليات الجامعة، ومعاهدها العليا.

وهذا أمر بين واضح لكل مطلع على المناهج والمقررات؛ فعقيدة السلف تدرس بالتدرج بما يناسب مستوى الطلاب في المعاهد العلمية، ثم في الكليات الجامعية ومرحلة الدراسات العليا في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

كذلك فقه الكتاب والسنة يبدأ بالمعاهد العلمية وتنتهي قمتها في مرحلة الدراسات العليا في قسمي القرآن وعلومه، وقسم السنة وعلومها، والفقه وأصوله، وتبدأ دراسته بمتن معتمد في فقه الإمام أحمد بن حنبل في المعاهد

العلمية، وتنتهي قمته في مرحلة الدراسات العليا في قسم الفقه، وقسم أصول الفقه في كلية الشريعة وفي أقسام المعهد العالي للقضاء، وهكذا علوم اللغة العربية، والعلوم الاجتماعية وغيرها من العلوم.

ولا شك أن هذا البناء المنهجي للمقررات والكتب يبين لحمة البناء المتدرج لهذه الجامعة المباركة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والعلاقة المنهجية الوثيقة بين كلياتها، ومعاهدها العليا وبين المعاهد العلمية.

يضاف إلى ذلك أمر آخر ساعد على نجاح الأمر الأول وبقائه ذلك هو وحدة الإشراف على المعاهد العلمية، والكليات الجامعية، والمعاهد العليا.

وقد كان المشرف الأول على نواة هذه الجامعة المباركة هو سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم مفتي الديار السعودية – رحمه الله تعالى – يوم أسند إليه هذه المهمة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه – عند افتتاح اللبنة الأولى في هذه الجامعة: المعهد العلمي في الرياض، واستمر إشراف سماحته على نواة هذه الجامعة التي نمت بسرعة، فشملت عند وفاته – رحمه الله – سبعة وثلاثين معهداً علمياً، بالإضافة إلى كلية الشريعة، وكلية اللغة العربية بالرياض، والمعهد العالي للقضاء بالرياض. وقد يعبر عن هذه المرحلة " بالفترة الأولى للجامعة " حيث اكتملت عناصرها الأساسية التي أهلتها لتسمى " جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "، ولما صدر المرسوم الملكي الكريم رقم (م/٥٠) في ١٣٩٤/٨/٢٣هـ بالموافقة على إنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وإقرار نظامها الأساسي: اشتملت على الكليات، والمعاهد العليا، والمعاهد العلمية، وقد حقق هذا البناء وحدة الإشراف لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ميزة الانفراد بالسلم

التعليمي المتكامل الذي يمكنها من الإشراف على بناء طالب العلم بناءً علمياً وتربوياً من خلال أطول مدة تعليمية في مراحل التعليم: المتوسطة والثانوية والجامعية والدراسات العليا[1].

١ - المرجعين السابقين وانظر : نظام التعليم في المملكة العربية السعودية للمؤلفين : عبد العزيز السنبل وآخرون ،

المبحث الثاني

التعريف بالمنهج السلفي

قبل بيان المراد بالمنهج السلفي نعرف بكلمة المنهج وكلمة السلف حتى يتضح المراد بهذا المصطلح وذلك على النحو التالي :

أولا المراد بالمنهج :

١ – المنهج في اللغة : الطريق الواضح البين المستبين ويطلق على الطريق المستقيم

ولفظ المنهج مشتق من مادة: نهج يقال نهج الطريق ينهج نهوجا أي : وضح واستبان، والمنهج والنهج والمنهاج بمعنى واحد، ومن ذلك قوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن عباس رضي الله عنهما : سبيلا وسنة[١]، وقال ابن جرير : (وأما المنهاج، فإن أصله : الطريق البين الواضح...ثم يستعمل في كل شيء كان بيّناً واضحاً يعمل به)[٢].

وقال البغوي : (فالشرعة والمنهاج : الطريق الواضح)[٣]، وقال ابن كثير : (المنهاج : هو الطريق الواضح السهل)[٤].

والنهج : الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجا واضحا بينا، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته

---

١ - رواه البخاري معلقا كتاب الإيمان باب قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس : ١ / ٢٠٩

٢ جامع البيان :٤٩٣/٨ .

٣ - معالم التنزيل : ٦٦/٣.

٤ - تفسير القرآن العظيم : ١٢٩/٣.

ونهجت الطريق أيضا : إذا سلكته.. وفلان يَسْتَنْهِجُ سَبيلَ فلان ، أي : يسلك مسلكَهُ[1]

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)[2]

٢ – المنهج في الاصطلاح :

عرف المنهج في الاصطلاح بعدة تعريفات منها :

أنه : السبيل الفكري والخطوات العلمية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم [3]..

وقيل هو : مصطلح يشير إلى مجموعة مشروعة وصادقة من المعتقدات ، والقيم والمعارف والمهارات و الاتجاهات العلمية ، من شأنها أن تدفع من يكتسبونها _ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، واعية أو غير واعية – إلى القيام بأنماط معينة في التفكير وفي السلوك[4].

وقيل إن المنهج هو : مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم[5].

---

١ - تهذيب اللغة : ٦ / ٤١ ، لسان العرب لابن منظور : ١/ ٢٠٩ ، المصباح المنير للفيومي : ص/ ٦٢٧ ، المعجم الوسيط ص/ ٩٥٧

٢ - أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٧٣/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير: ١٥٧/١ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : ٩/١.

٣- منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل السلمي ص / ٨

٤- نحو صيغة إسلامية لمناهج العلوم في المجتمع العربي الإسلامي كمال زيتون ص/ ٤٨٣

٥ - العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي للدكتور عبد الرحمن السديس مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٨ ص/ ٣٠١

من خلال ما سبق من تعريفات للمنهج في اللغة والاصطلاح، ومن خلال الاستقراء في المناهج عامة نجد أنها قسمان: صحيحة وفاسدة، والذي يعنينا هنا الأول وهو الذي يندرج تحته المنهج السلفي ذلك المنهج الصحيح المستقيم القائم على الإخلاص والإتباع الذي يتخذ من الوحي بفهم الصحابة الكرام طريقا واجب الإتباع، وهذا هو محل البحث.

ثانيا – المراد بالسلف

١- السلف في اللغة:

لفظ السلف مشتق من: (سلف) وهي تأتي على معان عدة منها: تقدم وسبق ومضى

قال ابن فارس - رحمه الله: (السين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون)[١].

والسلف جمع سالف: المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون، و سلف الرجل: آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف[٢]ومنه قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ} [٣]. قال ابن جرير رحمه الله: (فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدمة يتقدمون إلى النار كفار قومك يا محمد من قريش، وكفار قومك لهم بالأثر)[٤].

---

١ - مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٩٥.

٤- لسان العرب ٩/١٨٥

٥- سورة الزخرف: ٥٦.

٤ - جامع البيان لابن جرير: ٢٥ / ٨٥

وفي هذا المعنى جاءت كثير من الآيات منها قوله تعالى: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ} (١)، وقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (٧)، وقوله تعالى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (٢)، وقوله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} (٣)، وقوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} (٤)، وقوله تعالى: {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ} (٥)، وقوله تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} (٦).

فكل هذه الآيات تدل على المضي والتقدم والسبق الزمني.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها في مرض موته: (ونعم السلف أنا لك)(٧).

والسلف: كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه فهو له سلف وقد سلف له عمل صالح، والسلف أيضا: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، واحدهم سالف، ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

١- سورة النساء: ٢٢.

٢ - سورة النساء: ٢٣.

٣- سورة المائدة: ٩٥.

٤- سورة الأنفال: ٣٨.

٥- سورة يونس: ٣٠

٦- سورة الحاقة: ٢٤.

٧- البخاري (٣٦٢٣) و (٣٦٢٤)

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

أراد: أنهم تقدمونا وقصد سبيلنا عليهم أي: نموت كما ماتوا فنكون سلفا لمن بعدنا كما كانوا سلفا لنا.

والسلف في المعاملات له معنيان: **أحدهما**: القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر وعلى المقترض ردّه كما أخذه. والعرب تسمي القرض سلفاً...

والمعنى الثاني: في السلف، هو أن يُعطى مالاً في سلعة إلى أجل معلوم بزيادة في السعر الموجود عند السَّلف، وذلك منفعة للمسلف[1].

وفي الدعاء للميت: واجعله سلفا لنا قيل: هو من سلف المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمنا للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه، وقيل: سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح" [2].

٢- السلفية والسلف في الاصطلاح:

قبل ذكر تعريف السلفية والسلف في الاصطلاح أنبه على أمرين:

الأول: أن هناك فرق بين مصطلح السلفية وبين مصطلح السلف فالأول يعني: المنهج، والثاني يعني: أصحابه، وهذان المصطلحان يجتمعان في مصطلح: المنهج السلفي أو منهج السلف

١- لسان العرب: ١٥٩/٩

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٩٠/٢، القاموس المحيط: ١٥٣/٣.

فالسلفية تعني ما كان عليه السلف وعليه فهما مصطلحان بينهما تفاوت في المعنى وإن تقاربا لفظا[1]

الثاني : أن السلفية منهج شامل فكما يشمل - أول ما يشمل - مسائل العقيدة الصافية فإنه يشمل كذلك المسائل العملية فيجتمع فيه العلم والعمل والقول على مقتضى الكتاب والسنة بفهم الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – يدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الفرقة الناجية : (ما أنا عليه وأصحابي)[2]

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – (السلفية أتباع منهج السلف عقيدة وقولاً وعملاً وائتلافاً واتفاقاً وتراحماً وتواداً...)[3].

أولا : السلفية في الاصطلاح :

تقدم أن السلفية تعني المنهج الذي كان عليه السلف الصالح في تلقي الإسلام وفهمه والعمل به وهي ليست خاصة ببلد دون بلد و لا فئة دون أخرى و إنما هي منهج واجب الإتباع ، وعلى هذا جاءت تعريفات العلماء فقد عرفت السلفية في الاصطلاح الشرعي بعدة تعريفات متقاربة في المعنى منها :

---

١ - نبهت على هذا لأن كثيرا من الباحثين يخلط بينهما فيعرف أحدهما بالآخر .

٢ - أخرجه الترمذي رقم :(٢٦٤١) ، والحاكم في المستدرك : ١/١٢٨- ١٢٩ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ١/١٠٠ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم : (١٠٠) .

٣ - سلسلة لقاء الباب المفتوح - للشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله - شريط رقم : ٥٧

١ - عرفها الإمام السفاريني – رحمه الله – بقوله: (المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف وعظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة وأُشهر بلقب غير مرضي؛ مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحوهم)([1]).

٢ – عرفها الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله بقوله:

(السلفيَّة هي: إتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأنهم هم الذين سلفونا وتقدمونا علينا، فاتباعهم هو السلفية)([2]).

٣ - عرفها الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله- بأنها: (السير على منهج السلف من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة في العقيدة والفهم والسلوك)([3]).

---

١ - لوامع الأنوار البهية: ١/ ٢٠

٢ - سلسلة لقاء الباب المفتوح - للشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله - شريط رقم ٥٧ نهاية الوجه الأول والتتمة في بداية الوجه الثاني

٣ - الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة للشيخ الفوزان جمع فليحان الحارثي: ص/ ١٥٧

٣- وعرفها البعض بأنها: (إتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح؛ وهم الصحابة، والتابعون، ومن تبعهم بإحسان ممن عرف بتمسكه بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والتحذير منها)[١].

٤ – وعرفها البعض بأنها: (الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما والعمل بهما على مقتضى فهمهم)[٢]

و هذا ما حرص عليه العلماء و الولاة الراشدون من أل سعود منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى علي يد الإمام: محمد بن سعود - رحمه الله – ولقائه بالإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - وتعاهدهما على التمسك بهذا المنهج قولا و عملا.

ثانيا: السلف في الاصطلاح:

مفهوم السلف في الاصطلاح ينطلق من دلالة الوحيين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)([٣]).

---

١ - كن سلفيا على الجادة للدكتور عبد السلام السحيمي: ص ١٤، وانظر: تعريف الخلف بمنهج السلف لإبراهيم البريكان: ص ١٣ .

٢ - المنهج السلفي للدكتور مفرح القوسي: ص/ ٤١

٣ - سورة التوبة : ١٠٠

و من السنة قوله صلى الله عليه و سلم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (1)، و عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كُلها في النار إلاّ واحدة" قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: "منْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(2)

ودلالة هذه النصوص تعطينا مفهوما واضحا لمعنى السلف وأنهم الصحابة الكرام والذين اتبعوهم بإحسان من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم ممن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين وعلى هذا تدور تعريفات العلماء للسلف ومن هذه التعريفات:

الأول: أن المراد بالسلف هم: الصحابة دون غيرهم.(3)

الثاني: أن المراد بالسلف هم: الصحابة والتابعون. (4)

الثالث: أن السلف هم الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين، أي القرون الثلاثة المفضلة التي جاءت في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن

---

١ - أخرجه البخاري: ٢/ ٩٣٨ واللفظ له، ومسلم: ٤/ ١٩٦٣.

٢ - أخرجه أبي داود، كتاب السنة ٤/٥ رقم٤٥٩٦، الترمذي، كتاب الإيمان ٢٥٢٦/٥ رقم ٢٦٤٠، ٢٦٤١، ابن ماجه، كتاب الفتن ١٣٢١/٢ رقم ٣٩٩١٣٩٩٣، أحمد ٣٣٢/٢، ١٢٠/٣، ١٤٥، ٤/ ١٢٠، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٨٠/٣.

٢- انظر: مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني، ص٣- ٥.

٣- انظر: إلجام العوام عن علم الكلام، للغزالي - تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ص٣.

النبي صلة الله علية وسلم قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ".[1] وهو ما صرح به كثير من أهل العلم.[2]

وزاد البعض مَن بعد تابعي التابعين وممن ذهب إلى هذا الإمام الآجري؛ فعند ذكره الأئمة الذي يقتدي بهم، وقف على الإمام أحمد وأقرانه، فقال: (علامة من أراد الله - عز وجل- به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله - عز وجل - ، وسنن رسول الله صلة الله علية وسلم ، وسنن أصحابه - رضي الله عنهم - ، ومن تبعهم بإحسان - رحمة الله عليهم - ، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان عن العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء) [3].

وكذلك الإمام ابن رجب رحمه الله يقول: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدي بهم إلى زمن الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد،

١- متفق عليه . انظر : صحيح البخاري ج٢/ ٩٣٨ واللفظ له ، صحيح مسلم ج٤/ ١٩٦٣ .

٢- انظر: الشريعة للآجري ص١٤ ، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ج٧/ ١٣٤ التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص ٧- ٨

٣- انظر: الشريعة ص ١٤.

وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة" [1].

الرابع: أن السلف هم (الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء)[2].

فالسلف هم الصحابة والتابعون وتابعوهم ومن سار على منهجهم من الأئمة الذين يقتدى بهم، المهتدون بهدي النبى - صلى الله عليه وسلم- الحافظون لسنته علماً وعملاً ومنهجاً وسلوكاً فالسلفية زمانها الزمان كلُّه، و مكانها الأرض كلُّها. فالسلفيون هم الملتزمون منهج الكتاب و السنة بفهم سلف الأمة ، لا يحيدون عنه في أقوالهم ولا في أفعالهم، وكتبهم و مؤلفاتهم على مر الزمان شاهدة بذلك. .فهي سلسلة ذهبية، كتب الله تعالى لها البقاء حفظ الله بهم الدين و أحرز العقيدة .[3]

وقال سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله- لما سئل عن الفرقة الناجية قال: (هم السلفيون وكل من مشى على طريقة السلف الصالح)

١- انظر: فضل علم السلف على علم الخلف، "بتحقيق يحيى مختار غزاوي"، ص ٦٠.

٢- لوامع الأنوار ١/ ٢٠.

٣- من مقال للشيخ محمد الحمود العقيدة السلفية تعريفها ـ فضلها ـ خصائصها .

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى " فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنه سلفي "([1]).

وقال في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول ما نصه: "من هم أهل الأثر ؟ هم الذين اتبعوا الأثار، اتبعوا الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم وهذا لا يتأتى في أي فرقة من الفرق إلا على السلفيين الذين التزموا طريق السلف.

وقال الشيخ بكر أبو زيد- رحمه الله: (وإذا قيل: السلف أو السلفيون أو لجادتهم السلفية، فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح جميع الصحابة رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان، دون من مالت بهم الأهواء بعد الصحابة رضي الله عنهم من الخُلُوف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم.)([2]).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٦١٤٩) (٢/١٦٤):

"س / أريد تفسيراً لكلمة السلف ومن هم السلفيون... ؟

ج / السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة، ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي....".

وجاء في الفتوى رقم (١٣٦١) (١/١٦٥):

---

١ - شرح العقيدة الواسطية: ١/٤٥

٢ - حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لبكر أبي زيد: ص/٣٦.

"س / ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

ج / السلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى (رضي الله عنهم) الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير في قوله : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ".

وقال الشيخ صالح الفوزان :

(...وإنما تطلق السلفية على الجماعة المؤمنة الذين عاشوا في العصر الأول من عصور الإسلام والتزموا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ووصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث..)...

ووصف هذه الواحدة بأنها هي التي تتبع منهج السلف، وتسير عليه، فقال : (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي...)[1]فدل على أن هناك جماعة سلفية سابقة، وجماعة متأخرة تتبعها في نهجها، وهناك جماعات مخالفة لها متوعدة بالنار... ".

وقال فضيلته : السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة، جماعة على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال صلى الله عليه وسلم : (لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)، وقال صلى الله عليه وسلم : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا من هي يارسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ماكان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن وإنما هي

---

١ - تقدم تخريجه

جماعة قديمة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم متوارثة مستمرة لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة كما أخبر صلى الله عليه وسلم "([1]).

وقال الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ: "ويتضح مما تقدم أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه. فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين. بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة وهم أصحاب هذا المنهج وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة من قوله صلى الله عليه وسلم: (لاتزال طائفة من أمتى منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم)".

وعليه فإن السلفية ليست مجرّد نسبة او لقب، بل السلفية: تجريد الإخلاص لله وتجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ([2])

وعليه فالمنهج السلفي هو ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم في العقيدة والعمل والسلوك والفهم والدعوة والتزكية، وبعبارة أخرى هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ممن شُهد له بالإمامة والتقى والعلم والعمل.

وناسب أن أذكر هنا كلاما للإمام الراشد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن يعطينا مفهوما دقيقا للسلفية والمنهج السلفي الذي سار عليه في

---

١ - البيان: ص/١٣٠

٢ - الصفات الإلهية للعلامة محمد أمان الجامي: ص/٦٤ـ٦٥

حكمه لهذه البلاد المباركة والتزمه أبنائه البررة من بعده ولم يغيروا أو يبدلوا قال رحمه الله:

(فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح...أنا داعية لعقيدة السّلف الصالح. وعقيدة السّلف الصالح هي: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وما جاء عن الخلفاء الراشدين. أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين)([1]).

---

١ - خطب الملك عبد العزيز رحمه الله – الموقع الألكتروني لدارة الملك عبد العزيز

المبحث الثالث

المقررات الشرعية في المعاهد العلمية

أولا – الملامح الرئيسة للمقررات :

بدأ الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم – رحمه الله – مهمته في بناء وتنظيم التعليم الشرعي في المملكة العربية السعودية بتهيئة الوسائل والسبل التي تعين على نجاح المهمة ، ولم ينطلق الشيخ – رحمه الله – في اختيار المناهج والمقررات الدراسية من فراغ ، حيث كان – رحمه الله – من أبرز علماء البلاد الذين درسوا العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية التي يحتاج إليها طالب العلم الشرعي الذي يؤسس لتقلد مناصب القضاء ، والإفتاء ، والإمامة وتعليم العلوم الشرعية وغيرها([1]).

اختار الشيخ – رحمه الله – عن تجربة واستشارة – مناهج تناسب طلاب المعاهد العلمية من حيث مستواهم العُمَري ، وتلاءم المدة الدراسية المقررة ، وتؤهل دارسيها لوظائفهم الشرعية والتعليمية والكتابية.

فوضع – رحمه الله – مناهج تعلم الكتاب والسنة ، واللغة العربية ، واختار لها كتباً عرف عنها سلامة المنهج ، ووضوح العبارة ، والبناء العلمي المفيد مما ثبتت صلاحيته ، بل حاجة أبناء هذه المعاهد إليه من الكتب الشرعية واللغوية التي تؤسس طلاب العلم وتؤهلهم تأهيلاً جيداً.

---

١ - نبذة عن المعاهد العلمية – الموقع الإلكتروني لجامعة الإمام

يقول معالي الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ – حفظه الله –: "اختيرت المناهج قوية معتمدة على المتون التي كانت تدرس في المساجد"([1]).

ويقول الشيخ العلامة: حمد الجاسر – حفظه الله –: "ثم كلفت من قبل الشيخ بالسفر إلى مصر لاختيار مدرسين ولجلب بعض الكتب الدراسية، ولإحضار مناهج المعاهد الدينية في الأزهر وكليتي الشريعة واللغة فكان أن اتصلت بالأستاذ السيد محب الدين الخطيب – رحمه الله – واستعنت به في ذلك فحصلت نسخاً منها، ولما عدت إلى الرياض تم وضع منهج دراسي للمعهد في قسمين التمهيدي، والثانوي اقتباساً من مناهج المعاهد الأزهرية"([2]).

ومع أنه طرأ على المناهج والمقررات – التي أقرها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم للمعاهد العلمية عند الأمر بافتتاحها – بعض التعديل والتغيير إلا أن ثوابت هذه المناهج والمقررات وأصولها لم تعدل ولم تغير؛ لأنها اختيرت بعناية، وخبرة وطول تجربة، واقتباس عن تجربة مقاربة في الأزهر الشريف، ولأن النتائج التي جناها طلاب المعاهد العلمية – من هذه المناهج والمقررات – نتائج طيبة، ظهرت في سلوك طلابها المتخرجين، وفي قدرتهم على مواصلة دراستهم الجامعية باقتدار، وتفوق، كما ظهرت في نجاحاتهم العلمية في سائر الميادين العملية التي شاركوا فيها كالقضاء، والإفتاء، والتدريس، والاستشارات، كما ظهرت في مشاركتهم العلمية في الندوات والمؤتمرات

---

١ - تاريخ المعاهد العلمية للشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص/ ٢- ٣

٢ - تاريخ المعاهد العلمية للشيخ حمد الجاسر ص/ ٤- ٥

وغيرها، مما أظهر قناعة تامة لدى ولاة الأمر – حفظهم الله – في هذه البلاد، ولدى القائمين على أمر هذه المعاهد العلمية: أن هذه المعاهد تؤدي دورها المنشود في الحفاظ على علوم الشريعة، واللغة العربية، وفي إفادة هذه البلاد حكومة وشعباً من نور القرآن، وهدي الإسلام عقيدة وشرعية ([1]).

وقد حرص سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – وفضيلة نائبه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ومن خلفهما على أمر هذه المعاهد العلمية على شمول المناهج والمقررات لما يحتاجه الطالب في المرحلتين المتوسطة والثانوية من علوم ومهارات؛ فشملت المناهج والمقررات علوم العقيدة والشريعة، واللغة العربية، كما اشتملت أيضاً على العلوم الاجتماعية، والرياضيات، واللغة الإنجليزية.

وفي المعاهد العلمية: يدرس معتقد أهل السنة والجماعة في بيان حقوق الرب جل وعلا، وحقوق الأنبياء والرسل، والخلفاء والولاة، وسائر المسلمين وغير المسلمين([2]).

وقد أخذت المعاهد العلمية في باب التوحيد بالمنهج الذي وضعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في تقرير التوحيد، وخاصة توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر ضلال المسلمين وقع في هذين، وقد نجح الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناء دعوته المباركة في

---

١ - وثيقة سياسة التعليم في المملكة: المواد: ١٥٠ – ١٥٢، المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن: ص/ ١٩ - ٢١

٢ - المعاهد العلمية – جامعة الامام: ١٤٢٦ مطابع الجامعة.

تـصحيح عقيـدة المـسلمين في الجزيـرة العربيـة ومـا حولهـا ، وتنقيتهـا مـن الشرك ، والبدع ، والخرافات([1]).

ومن الثوابت والأسس في مقررات المعاهد العلمية : مقررات الفقه التي هي العلم بفروع الشريعة التي كلف المسلمون بالعمل بها ، والاحتكام إليها. وقد رضيت البلاد السعودية بتوجيه كريم من قادتها ، وعلمائها وعلى رأسهم الإمام الموحد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن – رحمه الله – رضيت في باب الفروع دراسة وتعلم مذهب إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ – ٢٤١هـ) – رحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته – والأخذ به في باب القضاء والإفتاء إذا لم يعارض الدليل ؛ لما يتميز به هذا المذهب من قرب إلى الدليل من الكتاب والسنة ، مع عدم الإنكار على من يقلد مذهباً من مذاهب أهل السنة الأربعة : الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، ورابعها مذهب الإمام أحمد بن حنبل([2]).

كما قرر على الطلاب أجزاء من القرآن الكريم في التلاوة ، والحفظ ، والتفسير ، وتم اختيار عمدة الأحكام في الحديث ، وشروحه الميسرة ليدرسه الطلاب في سنوات المعهد.

ومن الثوابت والأصول في مقررات المعاهد العلمية : العناية باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ، والوسيلة إلى فهمه ، واستخراج أحكامه ، وهي لغة

---

١ - بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٤هـ ، ص / ١٤٠ . المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن : ص/ ٢٢

٢ - المرجع السابق ص/ ٢٣ وانظر : مناهج المعاهد العلمية – الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج - مطابع الجامعة .

البلاد وأنيس المنتديات، والمحافل، والمفصحة عن مكنونات الخواطر، ودواخل النفوس، ولهذا قررت في اللغة العربية أفضل المقررات التي ساعدت على حفظ اللغة العربية وآدابها في بلادنا المباركة؛ ففي المرحلة المتوسطة: يدرس الطلاب قواعد اللغة العربية في النحو والصرف، وفي المرحلة الثانوية: ويدرس الطلاب ألفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل، بالإضافة إلى الأدب العربي، والنصوص، والإنشاء.

والحفاظ على هذه الثوابت والأصول إنما هو اقتفاء للسياسة والمنهج الذي رسمه الإمام الملك عبد العزيز – رحمه الله – في نشر العقيدة الصحيحة، والشريعة الغراء، ولغة القرآن الكريم.

وإن شئت دليلاً على ذلك فاستمع إلى الملك عبد العزيز – رحمه الله – في إحدى رسائله وهو يقول: " وقد جعلنا الله أنا وآبائي وأجدادي مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به، وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً: أخذنا بقول الإمام أحمد فهذا كتاب الطحاوية الذي نقرؤه وشرحه: للأحناف، هذا تفسير ابن كثير وصاحبه شافعي".

ويقول – رحمه الله – في رسالة أخرى مادحاً منهج أئمة الدعوة السلفية قديماً وحديثاً: " فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك، وقاموا بما أظهره الله على أيديهم،

ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا على ذلك ويميتنا عليه"([1]).

والمعاهد العلمية بمناهجها ومقرراتها تسير وفق السياسة المرسومة لها من قبل ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية، كما نص على ذلك قرار مجلس الوزراء رقم (٧٧٩) في ١٦–١٧/٩/١٣٨٩هـ الذي تضمن سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، حيث جاء في الأحكام الخاصة في الباب الخامس: أحكام خاصة، الفصل الأول: المعاهد العلمية:

المادة (١٥٠): " تواكب المعاهد العلمية النهضة التعليمية في البلاد، وتشارك التعليم العام في مواد الدراسة المناسبة، وتعنى عناية خاصة بالدراسات الإسلامية، وفروع اللغة العربية ".

المادة (١٥١): " يؤهل هذا النوع من التعليم الدارسين فيه للتخصصات في علوم الشريعة الإسلامية، وفروع اللغة العربية إلى جانب الدراسات في الكليات النظرية الملائمة ".

المادة (١٥٢): " يراعي هذا التعليم أبناءه علمياً وتربوياً، وتوجيهياً ومسلكياً لتحقيق أغراضه الأساسية في كفاية البلاد من المتخصصين في الشريعة الإسلامية، وعلوم اللغة العربية، والدعاة إلى الله"([2]).

ومن ينظر – بتمعن وتجرد – في مناهج ومقررات المعاهد العلمية وفي مخرجاتها من الدارسين – الذين انتقلوا إلى كليات الشريعة، واللغة العربية،

---

١ - المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن: ص/ ٢٢

٢ - وثيقة سياسة التعليم في المملكة – وزارة التربية والتعليم - اللجنة العليا لسياسة التعليم - الأمانة العامة

أو غيرها من الكليات النظرية ، والعسكرية ، أو المتخرجين الذين لم يكملوا دراستهم الجامعية ، والتحقوا في سوق العمل الوظيفي في القطاع الحكومي ، أو القطاع الخاص – يدرك بوضوح أن هذه المناهج قد أهلت الدارسين في سلوكهم ، وتحصيلهم العلمي ، وثروتهم اللغوية ، ومعلوماتهم العامة ، وقدراتهم على التعامل الجيد ، مما جعلهم في مقدمة الدارسين ، أو العاملين معهم من غير طلاب المعاهد العلمية ، وأنهم استفادوا من هذه المناهج والمقررات ، وحققوا طموح المؤسس لهذه المعاهد الإمام الموحد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله – وما يهدف إليه من السياسة التعليمية المرسومة لها([١]).

وقد بدأت المعاهد العلمية خطتها الدراسية عند افتتاحها سنة ١٣٧٠هـ على أساس مرحلتين :

الأولى : مرحلة تمهيدية :

تتكون من سنتين تحضيريتين يتخرج منها الطالب ليلتحق بالمرحلة الثانوية ، وقد يقبل في هذه المرحلة من لم يحمل الشهادة الابتدائية من طلاب حلق العلم ، ودور الكتاتيب.

الثانية : المرحلة الثانوية :

ومدتها أربع سنوات يؤهل الطالب بعدها للمرحلة الجامعية ، ويلتحق بها الطلاب الناجحون من المرحلة التمهيدية ([٢]).

---

١ - المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن : ص/ ٢٣- ٢٤ ،وانظر : رسالة كتبها معالي الأستاذ الدكتور حمود بن عبدالعزيز البدر إلى الجامعة يؤرخ فيها المعاهد العلمية : ص/ ٣

٢ - تجربة المعاهد في تطوير الخطط - نبذة موجزة في تاريخ المعاهد العلمية لعبد الله بن عبد العزيز المعيقل ، .وانظر : المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن : ص/ ٢٤ - ٢٧

وفي سنة ١٣٧٦هـ أدخل تعديل على منهج المرحلة الثانوية نظراً لحاجة التوسع في دراسة العلوم الشرعية، واللغة العربية وآدابها، وبقيت المواد كما هي لم يتغير منها شيء إلا بزيادة مادة الصحة والعلوم، واستبدال مادة العروض بفقه اللغة، وزيدت سنوات المرحلة الثانوية سنة خامسة.

وفي عام ١٣٨٢هـ ألغيت المرحلة التمهيدية، وبقيت الدراسة في المعاهد العلمية خمس سنوات واقتصر القبول فيها على خريجي المرحلة الابتدائية ([1]).

وفي العام الدراسي ١٣٩٠/ ١٣٩١هـ أدخل تعديل على خطة المعاهد العلمية حيث زيدت سنوات الدراسة بها سنة سادسة وقسم سلمها التعليمي إلى مرحلتين متساويتين في عدد سنوات الدراسة، فأصبحت تتكون من مرحلتين دراسيتين، هما:

المرحلة المتوسطة:

ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد المرحلة الابتدائية ويمنح الطالب الناجح من السنة الثالثة المتوسطة شهادة إتمام الدراسة المتوسطة التي تؤهله للالتحاق بالمرحلة الثانوية أو الانخراط في سلك الخدمة العامة في أجهزة الدولة والمؤسسات الأهلية.

المرحلة الثانوية:

ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد المرحلة المتوسطة ويمنح الطالب الناجح من السنة الثالثة الثانوية شهادة إتمام الدراسة الثانوية، التي تمكنه من الالتحاق بجامعات المملكة وكلياتها العسكرية([1]).

---

١ - المرجع السابق ص / ٢٨

وخطة الدراسة في المعاهد العلمية التي تدرس في الوقت الحاضر هي كالأتي :

أولا : الخطة الدراسية المعتمدة للعلوم الشرعية في المرحلة المتوسطة بالمعاهد العلمية في العام الدراسي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ[٢] :

المواد الدراسية	السنوات		
	الأولى	الثانية	الثالثة
القرآن الكريم	٣	٣	٣
التفسير	٢	٢	٢
الحديث	٢	٢	٢
التوحيد	٢	٢	٢
الفقه	٣	٣	٣
المجموع	١٢	١٢	١٢

١ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خمسة قرون ، ١٤٢١هـ .

٢ - الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج : سنة : ١٤٣٢

ثانيا : الخطة الدراسية المعتمدة للعلوم الشرعية في المرحلة الثانوية بالمعاهد العلمية في العام الدراسي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ[١] :

المواد الدراسية	السـنوات		
	الأولى	الثانية	الثالثة
القرآن الكريم	٣	٣	٣
التفسير	٢	٢	٢
الحديث	٢	٢	٢
مصطلح الحديث	-	١	-
التوحيد	٢	٢	٢
الفقه	٢	٣	٣
أصول الفقه	—	—	٢
الفرائض		٢	١
المجموع	١١	١٥	١٥

ثانيا – المحتوى والمضمون :

لعل من أبرز سمات المعاهد العلمية : مناهجها ومقرراتها التي تهدف إلى تأسيس طالب العلم تأسيساً سليما قويا شاملا ، يستغل طاقاته في مرحلة متميزة من مراحل عمر الطالب لتأهيله تأهيلاً قوياً في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية على وجه الخصوص ، إضافة إلى العلوم الاجتماعية والمهارية

١ - المرجع السابق

وغيرها من العلوم الحديثة ، كما أن هذه المناهج والمقررات تفتح للطالب الأبواب أمامه لاستكمال بناء نفسه العلمي والعقلي والمشاركة الفاعلة في مسيرة البناء والارتقاء بوطنه وأمته.

ولما كانت هذه المناهج والمقررات التي أقرت في المعاهد العلمية منذ تأسيسها قد اختيرت بعناية وفطنة وحسن نية – من لدن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – وإخوانه ، وأعوانه : فقد آتت بحمد الله ثمارها وظهر ذلك في نتاجها([1]).

وقسم العلوم الشرعية هو أكبر الأقسام وأبرزها ؛ لأن أهم الأهداف من إنشاء هذه المعاهد هو تخريج طلاب العلم الشرعي الذين يكملون تخصصهم في الكليات الشرعية لتولي الوظائف الشرعية في البلاد ([2]).

وتغطي الخطة الدراسية المعتمدة للعلوم الشرعية المقررات الآتية :

١– القرآن الكريم :

وقد قرر على الطلاب في جميع سنوات المعهد بمعدل ثلاث حصص في الأسبوع لتقويم قراءة الطلاب للقرآن الكريم نظراً ، كما قرر عليهم حفظ الأجزاء العشرة الأخيرة من القرآن الكريم ، وقد وضع المنهج مراعياً للدراسات الجامعية في الكليات الشرعية بالجامعة بحيث يكمل الطالب قراءة القرآن الكريم وحفظه.

---

١ - المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن : ص/ ٣٩

٢ - الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالمعاهد العلمية ، وانظر أهم معوقات تطوير العلوم الشرعية في المعاهد العلمية لخالد بن عبد الله العلي ص / ٣٧

٢ – التوحيـد :

وهـو مقـرر رئـيس في المعاهـد ويـدرس بمعـدل حـصتين في الأسـبوع طيلـة السنوات الـست ، ويـدرس الطـلاب فيـه عقيـدة التوحيـد علـى مـنهج الـسلف الذي يغرس في المسلم التوحيد لله عز وجل بأنواعه الثلاثـة ، مـع التركيـز علـى توحيـد العبـادة والأسمـاء والـصفات لكثـرة الـضلال والانحـراف فيهمـا ، وقـد اختير للمرحلة المتوسطة كتاب التوحيد لشيخ الإسـلام محمـد بـن عبـد الوهـاب – رحمه الله – وشروحه ، وبخاصة فتح المجيد للشيخ العلامة عبد الـرحمن بـن حسن بن آل الشيخ رحمه الله.

كما اختير للمرحلة الثانوية رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وهي : العقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان والفتـوى الحمويـة مـن ملخـصها وشـرحها للـشيخ العلامـة محمـد بـن صـالح العثيمين – رحمه الله – الذي سماه (فتح رب البرية بتلخيص الحمويـة) ، كمـا يدرس الطلاب في السنة الثالثة مقرر في التوحيد يتناول مسائل العقيدة الـتي لم يسبق لهم دراستها والـتي يتم فيهـا ربـط تعلـم العقيـدة بالـسلوكيات وتحـصين الطلاب ضد الأفكار الدخيلة بالإضافة إلى دراسة عن بعض الفرق والـديانات الأخرى.

٣ – الفقـــــه :

وهو من المقررات الأساسية في المعاهـد العلميـة ، ويـدرس فيـه مـتن مختـصر مفيد على رواية واحدة في مـذهب الإمـام أحمـد وهـو كتـاب " زاد المستقنع في اختصار المقنع " تأليف العلامـة شـرف الـدين موسـى بـن أحمـد الحجـاوي (ت ٩٦٠) – رحمه الله - مع تهذيب لشرح الشيخ صالح بـن إبـراهيم البليهـي –

رحمه الله – على الكتاب وذلك في المرحلة المتوسطة، أما في المرحلة الثانوية فيوجد بحاشية الكتاب تعليق للشيخ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله - وقد شرح هذا الكتاب الشيخ منصور البهوتي في كتاب لطيف أسماه " الروض المربع شرح زاد المستقنع " وهو المرجع الأساس لطلاب الكليات الشرعية ؛ فالطالب يتدرج في فهم المذهب ونصوصه وأدلته، ويدرس هذا المتن كاملاً خلال سنوات المعهد، ويشجع الطلاب على حفظه بحيث يتخرج الطالب وهو ملم بالأحكام الفقهية في مختلف أبواب الفقه ([1]).

٤- الفرائض:

يدرس الطلاب مقرر الفرائض – وهو جزء من الفقه – ولكنه لأهميته، وحاجته إلى علم الحساب أصبح علماً مستقلاً يدرس على حدة في المرحلة الثانوية في السنة الثانية والثالثة.

٥ – التفسير:

يدرس الطلاب في التفسير ثمانية أجزاء من القرآن الكريم، يتعلمون معاني الآيات الكريمة وآدابها وأبرز أحكامها وقد اختير للمرحلتين المتوسطة والثانوية – وفق منهج معين - كتاب: التفسير لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٧٩١- ٨٦٤)- رحمه الله - وبحاشيته تعليق للشيخ عبد الرزاق عفيفي (١٣٢٣- ١٤١٥) – رحمه الله – وتعليق من قبل الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج.

---

١ - الإدارة العامة للخطط والمناهج – وكالة الجامعة للمعاهد العلمية

٦- الحديث:

يدرس الطلاب كتاب عمدة الأحكام للحافظ عبدالغني المقدسي، وهو كتاب من أهم كتب أحاديث الأحكام وأجمعها وأصحها، وقد قُسِّم الكتاب على سنوات المعهد في المرحلتين المتوسطة والثانوية بحيث يكملون الاطلاع على أحاديث الأحكام؛ يتعلمون معاني المفردات والآداب والأحكام التي اشتملت عليها أحاديث الكتاب بما يناسب مدركات الطلاب والزمن المخصص للمقرر.

٧- أصول الفقه

يدرس الطلاب – في المرحلة الثانوية – كتاب مختصر في علم أصول الفقه من تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – واسمه " الأصول من علم الأصول" ليتعرف الطلاب على الضوابط الشرعية واللغوية التي استخرجها العلماء من نصوص الكتاب والسنة لضبط الفقه وتسهيل استخراج أحكام المسائل.

٨- مصطلح الحديث:

يدرس الطلاب علم مصطلح الحديث في المرحلة الثانوية من خلال كتاب: مصطلح الحديث للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين _ رحمه الله _ وهذا العلم من العلوم الضرورية لفهم علم الحديث.

٩- أصول التفسير:

يدرس الطلاب – في المرحلة الثانوية – كتاب مختصر في أصول التفسير من تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – ليكون عونا للطالب على فهم علم التفسير[1].

---

١ - الإدارة العامة للخطط والمناهج – وكالة الجامعة للمعاهد العلمية، وانظر: المعاهد العلمية للدكتور صالح الحسن: ص/٣٩- ٤١

المبحث الرابع

صلة المقررات الشرعية بمنهج السلف الصالح

إن هـذه الدولـة الـسعودية حرسـها الله دولـة سـنية سـلفية ، أئمتهـا أئمـة سلفيون دعوتهم ودولتهم قائمة على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصالح ولهذا فإننا نقطع بأن المقررات الشرعية في المعاهد العلمية - فضلا عن غيرها من مؤسسات التعليم في المملكة — نابعة من الكتاب والسنة وفق منهج سلف الأمة الصالح يدل لذلك ما يأتي :

أولا :

أن الدولـة الـسعودية قـد تأسـست علـى منهـج الـسلف الـصالح حـدث كـل ذلـك يـوم أن قـام الإمـام المؤسـس محمـد بـن سـعود مؤسـس الدولـة الـسعودية الأولى _ رحمـه الله _ بالترحيـب بالـشيخ الإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب - عليه رحمة الله - حين قدومه الدرعية سنة ١١٥٧هـ ووعده بنصرة التوحيد وإعلاء كلمة الله ، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلا لـه : " أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعة ، فقال الشيخ له : وأنـا أبـشرك بـالعز والتمكين ، والنصر المبين ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم ، فمن تمسك بها وعمـل بهـا ونـصرها : ملـك الـبلاد والعبـاد ، وأنـت تـرى نجداً كلـها ، وأقطارهـا أطبقـت علـى الـشرك والجهـل والفرقـة والاخـتلاف والقتـال لبعـضهم الـبعض ، فـأرجو أن تكـون إمـامهم الـذي يجتمـع عليـه المـسلمون وذريتك من بعدك "[1].

---

١ - عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر : ٢٤/١ ، تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني : ص : ٤٦- ٤٧

لقد كان هذا اللقاء المبارك بين الإمام محمد بن سعود و الإمام محمد بن عبد الوهاب – على نصرة التوحيد، ومحاربة الشرك ونشر العلم، سبب في رفع راية التوحيد، وزوال الشرك والبدع والخرافات، وانتشار العلم الشرعي النابع من الكتاب والسنة، وقيام دولة إسلامية سنية سلفية عز نظيرها لا تزال - بحمد الله - إلى يومنا هذا تعلي راية التوحيد الخالص، وتحكم شرع الله في جميع شؤونها، وتنشر العلم الصحيح والعقيدة السلفية الصافية في كل ربوعها بل تعدى ذلك حدود الوطن فانتشر خيرها وعم فضلها العالم أجمع ولهذا جاءت المناهج الشرعية في معاهدها وكافة مؤسساتها التعليمية شاهدة ومعبرة عن هذا المنهج السلفي السديد الذي قامت عليه الدولة وتمسكت به ودعت إليه.

ثانيا:

أن الإمام الموحد والملك الراشد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمه الله ـ الذي أنشأ المعاهد العلمية وتعهدها بالرعاية وأشرف عليها بنفسه ووضع أهدافها وهيء لها كل سبل الرعاية لتحقق رسالتها وأهدافها العظيمة كان إماما سنيا سلفيا عظيما معظما يتجلى ذلك حين قال في الخطاب الذي ألقاه في منى خلال موسم الحج للعام ١٣٦٥هـ وذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة: (**... إنني رجلٌ سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة...يقولون إننا وهابية والحقيقة أننا سلفيون محافظون على**

ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)[1]

وقال رحمه الله: **(أنا داعية لعقيدة السّلف الصالح. وعقيدة السّلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وما جاء عن الخلفاء الراشدين. أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين).**

وقال رحمه الله: (فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح)

والذي قال فيه العلامة الفقيه المحدث الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله: **"إمام أهل السنة، ومحيي مذهب السلف، وباعث النهضة الإسلامية ..."**[2]

وهذه شهادة عظيمة من عالم جليل في إمام عظيم فإذا كانت هذه هي صفات الإمام المؤسس للمعاهد العلمية وذاك هو قوله ومعتقده وهذه هي شهادة العلماء الثقات فيه فكيف تكون المعاهد العلمية وكيف تكون مقرراتها الدراسية هذا إذا علمنا أنه قد أسند الإشراف على هذه المعاهد للإمام العلامة السلفي الأثري سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله – وهو من هو في العلم والفقه والاعتقاد السلفي فضلا عن مكانته العالية في القضاء والإفتاء والإمامة في الدين فبالضرورة ستكون هذه المعاهد من خلال مقرراتها الشرعية منارات ومحاضن لحفظ عقيدة السلف الصالح أهل السنة

---

١ - المصحف والسيف ص / ١٣٥

٢ - مقدمة عمدة التفاسير للشيخ أحمد شاكر: ١/ ٧

والجماعة بل كان هذا هو الهدف الأساس من إنشاء هذه المعاهد فضلا عن عنايتها الفائقة بفقه الكتاب والسنة، مع العناية باللغة العربية، وآدابها وكل ما يحتاجه طلاب العلم ليكونوا أهلا لتولي المناصب الشرعية كالقضاء، والإفتاء، والحسبة والدعوة والتدريس وغيرها من الوظائف الشرعية النافعة لوطنهم وأمتهم.

ثالثا:

أن الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة تدل دلالة قاطعة على أن المقررات الشرعية في المعاهد العلمية وغيرها من المؤسسات التعليمية نابعة من الكتاب والسنة وفق منهج سلف الأمة ونظرا لنفاسة هذه الأسس أذكرها كاملة وهي كالتالي:

١- الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا ورسولاً.

٢- التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وأن الوجود كله خاضع لما سنَّه الله تعالى، ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

٣- الحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

٤- الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان، وتنقذ البشرية ممَّا تردت فيه من فساد وشقاء.

٥- المثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بنّاءة تهتدي برسالة محمد صلة الله علية وسلم، لتحقيق العزَّة في الدنيا، والسعادة في الدار الآخرة.

٦- الإيمان بالكرامة الإنسانية التي قررها القرآن الكريم وأناط بها القيام بأمانة الله في الأرض، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً).

٧- فرص النمو مهيَّأة أمام الطالب للمساهمة في تنمية المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ثم الإفادة من هذه التنمية التي شارك فيها.

٨- تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها ويعدها لمهمتها في الحياة، على أن يتم هذا بحشمة ووقار، وفي ضوء شريعة الإسلام، فإن النساء شقائق الرجال.

٩- طلب العلم فرض على كل فرد بحكم الإسلام، ونشره وتيسيره في المراحل المختلفة واجب على الدولة بقدر وسعها وإمكانياتها.

١٠- العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي.

١١- توجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادها - منهجاً وتأليفاً وتدريساً - ، وجهة إسلامية في معالجة قضاياها والحكم على نظرياتها وطرق استثمارها، حتى تكون منبثقة من الإسلام، متناسقة مع التفكير الإسلامي السديد.

١٢- الاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانية النافعة على ضوء الإسلام، للنهوض بالأمة ورفع مستوى حياتها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها.

١٣- التناسق المنسجم مع العلم والمنهجية التطبيقية (التقنية)، باعتبارهما من أهم وسائل التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والصحية، لرفع مستوى أمتنا وبلادنا، والقيام بدورنا في التقدم الثقافي العالمي.

١٤- ربط التربية والتعليم في جميع المراحل بخطة التنمية العامة للدولة.

١٥- التفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية في ميادين العلوم والثقافة والآداب، بتتبعها والمشاركة فيها، وتوجيهها بما يعود على المجتمع والإنسانية بالخير والتقدم.

١٦- الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية، وأنها خير أمَّة أُخرجت للناس، والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها، قال تعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ.

١٧- الارتباط الوثيق بتاريخ أُمتنا وحضارة ديننا الإسلامي، والإفادة من سير أسلافنا، ليكون ذلك نبراساً لنا في حاضرنا ومستقبلنا.

١٨- التضامن الإسلامي في سبيل جمع كلمة المسلمين وتعاونهم ودرء الأخطار عنهم.

١٩- احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها حفاظاً على الأمن، وتحقيقاً لاستقرار المجتمع المسلم في الدين والنفس والنسل والعرض والعقل والمال.

٢٠- التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع تعاوناً ومحبة وإخاء وإيثاراً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

٢١- النصح المتبادل بين الراعي والرعية بما يكفل الحقوق والواجبات، وينمي الولاء والإخلاص.

٢٢- شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها اللّه به، من حراسة مقدسات الإسلام وحفاظها على مهبط الوحي واتخاذها الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة، ودستور حياة، واستشعار مسؤولياتها العظيمة في قيادة البشرية بالإسلام وهدايتها إلى الخير.

٢٣- الأصل هو أن اللغة العربية لغة التعليم في كافة مواده وجميع مراحله، إلا ما اقتضت الضرورة تعليمه بلغة أُخرى.

٢٤- الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد، وذلك هداية للعالمين وإخراجاَ لهم من الظلمات إلى النور، وارتفاعاً بالبشر في مجال العقيدة إلى مستوى الفكر الإسلامي.

٢٥- الجهاد في سبيل اللّه فريضة محكمة وسنة متبعة وضرورة قائمة، وهو ماض إلى يوم القيامة.

٢٧- القوة في أسمى صورها وأشمل معانيها: قوة العقيدة وقوة الخلق وقوة الجسم، ((فَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُ خَيْرٌ وَأَحَبُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنُ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْر))[1].

١- أخرجة مسلم في القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز: رقم (٢٦٦٤)

كما نصت الوثيقة على الغاية من التعليم فجاء فيها ما نصه :

(غاية التعليم : فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً ، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها ، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا ، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه)([1]).

ومما جاء في وثيقة سياسة التعليم بخصوص المعاهد العلمية ما يأتي :

المادة (١٥٠) : " تواكب المعاهد العلمية النهضة التعليمية في البلاد ، وتشارك التعليم العام في مواد الدراسة المناسبة ، وتعنى عناية خاصة بالدراسات الإسلامية ، وفروع اللغة العربية ".

المادة (١٥١) : " يؤهل هذا النوع من التعليم الدارسين فيه للتخصصات في علوم الشريعة الإسلامية ، وفروع اللغة العربية إلى جانب الدراسات في الكليات النظرية الملائمة ".

المادة (١٥٢) : " يراعي هذا التعليم أبناءه علمياً وتربوياً ، وتوجيهياً ومسلكياً لتحقيق أغراضه الأساسية في كفاية البلاد من المتخصصين في الشريعة الإسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، والدعاة إلى الله"([2]).

---

١ - وثيقة سياسة التعليم في المملكة الباب الأول والثاني المواد من : ١- ٢٨

٢ - وثيقة سياسة التعليم في المملكة – وزارة التربية والتعليم - اللجنة العليا لسياسة التعليم - الأمانة العامة

وهذا يبين بجلاء طبيعة المناهج والمقررات الدراسية الشرعية في مؤسسات التعليم بعامة وفي المعاهد بخاصة أنها قامت على أسس علمية وتربوية نابعة من الكتاب والسنة وفق منهج سلف الأمة الصالح.

رابعا:

أن هذه المعاهد المباركة قد تخرج منها أجيال من العلماء الكبار المعروفون بالعلم والعمل والمعتقد الحق والمنهج السلفي الأصيل النابع من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصالح، وهؤلاء العلماء تولوا كافة المناصب الشرعية في البلاد من قضاء وحسبة ودعوة وتعليم فضلا عن تولي الوزارة ناهيك عن غيرهم من الباحثين وطلبة العلم وهم كثر جدا وهذا يؤكد على قوة ومتانة واستقامة المقررات الدراسية الشرعية في المعاهد العلمية وسلامة منهجها النابع من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفق منهج سلف الأمة الصالح.

خامسا:

أن الحكم على المقررات الدراسية الشرعية وبيان مدى ارتباطها بالمنهج السلفي يتضح جليا من خلال المناهج الدراسية المطبقة في المعاهد العلمية والكتب العلمية المقررة في تلك المناهج وبالنظر في مفردات تلك المناهج والمقررات والكتب السلفية الأثرية السنية المقررة والتي سبق ذكرها بتفصيل مثل كتاب: العقيدة الواسطية وكتاب الحموية وكلاهما لشيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية – رحمه الله – وكتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وكتاب عمدة الأحكام للإمام عبد الغني المقدسي – رحمه الله – فضلا عن الشروح والمناهج المؤلفة من علماء ربانيين

معاصرين كالشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – والعلامة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله – وهما من هما في العلم والفضل والدعوة والمعتقد الحق يتبين من خلال ذلك كله مدى الارتباط الوثيق لتلك المقررات بمنهج السلف الصالح.

سادسا :

أن الناظر في النظام الأساسي للحكم في المملكة يقطع بأن هذه الدولة المباركة دولة سنية سلفية في جميع شؤونها وأحوالها حيث جاء في النظام الأساسي للحكم ما يأتي :

المادة الأولى:

المملكة العربية السعودية ، دولة إسلامية ، ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ولغتها هي اللغة العربية...

المادة السابعة :

يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله. وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة.

المادة الثالثة عشرة :

يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء ، وإكسابهم المعارف والمهارات ، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم ، محبين لوطنهم ، معتزين بتاريخه.

وهذا غيض من فيض مما جاء في هذا النظام الإسلامي السني السلفي الذي لا يوجد له نظير في دنيا الناس الآن.

وإن هذا ليؤكد على أن نظام التعليم في هذه الدولة المباركة وبخاصة في مناهجه ومقرراته لهو نظام قائم على كتاب اله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفق منهج سلف الأمة الصالح.

الخاتمة

لقد وفق الله قادة هذه البلاد المباركة لحفظ الدين ونشر العقيدة الصحيحة وإقامة الشريعة، وكان من بركات ذلك وآثاره الطيبة ما نلمسه من نهضة شاملة في جميع المجالات وبخاصة مجال التعليم والبحث العلمي والتي من نواتها المعاهد العلمية المباركة ومن خلال ما تقدم من مسائل تتعلق بها نخلص إلى النتائج التالية:

١- إن الناظر في تاريخ هذه المعاهد العلمية ونشأتها وتطورها، وأثرها في المجتمع السعودي – سواء كان هذا الأثر في البناء العلمي المعتدل لمجموعة كبيرة من أبناء هذه الدولة المباركة ممن كتب الله لهم الالتحاق في هذه المعاهد العلمية، أم فيما قام به هؤلاء الطلاب من إصلاح، وتعليم لأسرهم، وأبناء مجتمعهم، أو فيما أحدثوه في ميادين العلم من إنتاج وإصلاح وتوجيه – يدرك مدى توفيق الله عز وجل لصاحب القرار في إنشاء هذه المعاهد العلمية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه– ومعاونه في التنفيذ والإشراف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله – فقد كان القرار موفقاً وحكيماً، كما كان التنفيذ والإشراف محكماً وسديداً، آتى ثماره على خير وجه.

٢- المعاهد العلمية واحدة من الأعمال الجليلة الخيرة التي عملها ورعاها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه – وتعهدها من بعده أبناؤه الأوفياء البررة الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمهم الله جميعاً، وواصل المسيرة خادم

الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين حفظه الله ووفقه لكل خير.

٣- كان الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – يعلق على هذه المعاهد العلمية آمالاً تحقق – بحمد الله – معظمها ؛ حيث كان لهذه المعاهد أثرها في انتشار العلم الشرعي والمعتقد السلفي الصحيح، كما كان لهذه المعاهد أثرها في انحسار الشركيات والبدع والخرافات، وكان لهذه المعاهد أثر في اكتفاء المملكة العربية السعودية بالقضاة السعوديين المؤهلين تأهيلاً شرعياً عالياً مكنهم من القيام بولاية القضاء بكفاءة واقتدار، كما كان لهذه المعاهد العلمية أثر في سد الحاجة في أكثر الوظائف الشرعية في الإفتاء والحسبة والتدريس والمحاماة وغيرها.

٤- للمعاهد المباركة أثرها في قوة اللغة العربية وسلامتها، وعلو شأنها ؛ حيث تخرج آلاف الطلاب الذين درسوا اللغة العربية، وأحبوها وتنافسوا في إعلاء شأنها وتطبيقها نطقاً وكتابة، وواصل بعضهم تخصصه في كليات اللغة العربية فتخرجوا مدرسين متميزين لهذه اللغة، كما عمل بعضهم في قطاع الإعلام، وكذلك عملوا في قطاعات التحرير في الأجهزة الحكومية، كما واصل بعضهم دراسته العليا ليسهموا في البحث، والدراسة في أسرار هذه اللغة وأساليبها، وسبل المحافظة عليها.

٥- من أسباب تفوق هذه المعاهد في أداء رسالتها والقيام بواجبها، حسن نية مؤسسها، والمشرف عليها، والدعم المادي والمعنوي

لطـلاب هـذه المعاهـد ومنـسوبيها، وحـسن اختيـار مناهجهـا ومعلميهـا، مما جعـل الجد والحـرص عـلى طلـب العلـم والبـذل في سبيل ذلك صفة بارزة في طلابها.

٦- هنـاك فـرق بـين مـصطلح الـسلفية وبـين مـصطلح الـسلف فـالأول يعـني: المـنهج، والثـاني يعـني: أصـحابه، وهـذان المـصطلحان يجتمعـان في مـصطلح: المـنهج الـسلفي أو مـنهج الـسلف فالـسلفية تعني ما كان عليه الـسلف وعليـه فهمـا مـصطلحان متغـايران معنـى وإن تقاربا لفظا.

٧- الـسلفية تعـني إتبـاع الكتـاب والـسنة بفهـم الـسلف الـصالح؛ وهـم الـصحابة، والتـابعون، ومـن تـبعهم بإحـسان ممـن عـرف بتمـسكه بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والتحذير منها.

٨- إن هذه الدولة السعودية حرسها الله دولة سنية سلفية ، أئمتها أئمة سلفيون دعوتهم ودولتهم قائمة على الكتـاب والـسنة بفهـم سـلف الأمـة الـصالح ولهـذا فإننـا نقطـع بـأن المقـررات الـشرعية في المعاهـد العلمية - فضلا عـن غيرهـا مـن مؤسـسات التعلـيم في المملكـة – نابعة من الكتاب والسنة وفق منهج سلف الأمة الصالح.

رحم الله موحد هذه البلاد وباعـث نهـضتها مؤسـس هـذه المعاهـد العلميـة الملك الراشد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ورحـم الله مـن مـضى مـن أبناءه الملوك الكرام الذين واصلوا المسيرة والسير على منهجه على ما بـذلوه في خدمـة الإسـلام والمسلمين وفي دعـم المعاهـد العلميـة وتـشجيعها، وحفـظ الله خادم الحرمين الشريفين رجل العلـم والتعلـيم والعمـل، كمـا نـسأل الله القـدير

أن يحفظ سمو ولي عهده الأمين، كما أسأله عز وجل أن يحفظ هذه البلاد وأهلها من كل سوء ومكروه، وأن يحفظ لها دينها وأمنها واستقرارها، وولاة أمرها وعلمائها إنه سميع مجيب.

وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بحوث
المحور السابع



شبهات حول تطبيق المنهج السلفي
في المملكة العربية السعودية والرد عليها

إعداد

د. محمد بن عبد الوهاب العقيل

عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

السلفية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد :-

فإن الله- سبحانه وتعالى- قال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

فعملا بهذه السورة العظيمة وما جاء في معناها من آيات كريمات قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة مأجورة- إن شاء الله- بالدعوة للمشاركة في ندوة علمية في موضوع حيوي يهم الأمة الإسلامية بصفة عامة، وأبناءَ هذه البلادِ بصفة خاصة، ولا سيما في زمن الفتنة والفرقة والاختلاف وتداخل السبل وقلة الناصح.

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١ من سورة النساء.

(٣) الآيتان: ٧٠- ٧١ من سورة الأحزاب.

هذه الندوة تحت عنوان: (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني)، وقد خطط أن تكون هذه الندوة في ستة محاور هامة، اخترت الكتابة في أحدها، وهو المحور السابع، وعنوانه: (شبهات حول تطبيق المنهج السلفي في المملكة العربية السعودية والرد عليها)، وقد استعنت الله- سبحانه وتعالى وحده- في الكتابة في هذا الموضوع، وقسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: دعوى علاقة المنهج السلفي في المملكة بالتكفير.

المبحث الثاني: شبهة ربط المنهج السلفي بالغلو والتطرف.

المبحث الثالث: دعوى علاقة المنهج السلفي بما وقع من أحداث.

المبحث الرابع: دعوى ظلم المنهج السلفي في المملكة للمرأة.

المبحث الخامس: اتهام المنهج السلفي في المملكة بإقصاء الآخر.

والمنهج الذي سرت عليه في هذا البحث يقوم على الأمور التالية:

١. أنني أذكر أولاً الشبهة أو الدعوى أو التهمة التي نسبت إلى المنهج السلفي في المملكة، ثم أحاول الرد عليها، وتفنيدها من خلال نظام المملكة العربية السعودية، وما صدر عمن يمثلون هذا النظام، ومن خلال الواقع الذي نعيشه في جميع النواحي العلمية والعملية.

٢. أنني عزوت ما استدللت به من آيات إلى مواضعها في المصحف، ورسمتها بالرسم العثماني حسب مصحف المدينة النبوية.

٣. أنني خَرَّجْتُ ما ذكر من أحاديث وآثار عن السلف، وأحلت ما نقلته عن أهل العلم إلى كتبهم.

ولا أدعي في النهاية أني وفيت الموضوع حقه، فهو موضوع مهم، ويحتاج إلى بحث دقيق في جمع شبه القوم، والرد العلمي المفصل،

بحيث لا ندع لهم شبهة يغرون بها ضعاف العلم والعقل والإيمان، ولكن بسبب ضيق الوقت وكثرة المشاغل وتحديد عدد صفحات البحث حصل بعض التقصير الذي أسأل الله أن يغفره لي، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

دعوى علاقة المنهج السلفي في المملكة بالتكفير

استغل أعداء المنهج السلفي، وهم أعداء هذه الدولة المباركة في الحقيقة من أهل البدع ونحوهم الأحداث الأخيرة التي قامت بها جماعات التطرف والغلو ممن نشأ في هذه البلاد في إلصاق تهمة التكفير للمنهج السلفي الذي قامت عليه هذه الدولة المباركة من أول يوم من إنشائها، فصاروا يبثون هذه التهمة الشنيعة عبر الوسائل الإعلامية المتاحة لهم، كبعض المواقع المشبوهة في الإنترنت، وبعض القنوات الفضائية، وبعض الصحف، وربما تكون بعض هذه الوسائل منتسبةً اسما لهذه البلاد للأسف الشديد، وقد اتخذ بعض هؤلاء الطعن في المنهج السلفي ستاراً للطعن في المملكة العربية السعودية؛ لعدم قدرتهم على الطعن المباشر فيها، وصرح بعضهم بالطعن في المملكة العربية السعودية وبمنهجها السلفي، واتهموها بتصدير الفكر التكفيري إلى العالم، وكذلك عمل بعض المغرضين من غير المسلمين، حيث استغلوا هذه الأحداث وسيلة لضرب الإسلام وللطعن فيه وفي أحكامه.

ولو أردت أن أذكر أمثلة لكلامهم ودعاواهم لطال الكلام، ولكن هذا هو ملخص هذه الدعاوى، وإن خير وسيلة لرد هذه الدعاوى هي دراسة المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد، وبيان موقفه من هذه القضية ومن قضية التكفير، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً جليا في المناهج الدراسية، وفي المناشط الدعوية، وفي قرارات هيئة كبار العلماء، وفي بيانات سماحة المفتي واللجنة الدائمة للإفتاء، وفي البيانات الصادرة عن وزارة الداخلية، ومجلس القضاء

الأعلى، ووزارة الثقافة والإعلام، ونحوها من أجهزة الدولة الرسمية التي تمثلها رسميا، وتبين موقفها ومنهجها في كل القضايا الدينية والدنيوية، ومن ذلك قضية التكفير.

المناهج الدراسية:

إن الحكم على فكر المجتمع وسياسة الدول وأهدافها متوقف على معرفة المناهج الدراسية التي تغذي عقول أبنائها وأرواحهم، وتبني بذلك عقائدهم وأفكارهم، وإن المتدبر لمناهج التعليم في المملكة العربية السعودية يجدها مناهج متكاملة، جمعت الأصالة والمعاصرة، أي أنها جمعت بين ما يفرضه عليها دينها وإسلامها، وبين ما يفرضه عليها واقعها المادي وحاجاتها العصرية.

ولهذا فإن نظام التعليم يسير وفق خطة محكمة مبنية على الوسطية والاعتدال.

جاء في المادة الثالثة عشرة من نظام الحكم:

يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وإكسابهم المعارف والمهارات، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم، محبين لوطنهم، معتزين بتاريخهم.

وقد بينت سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية أهداف التعليم في كل مرحلة، فمن ذلك:

٨٣- تمكين العقيدة الإسلامية في نفس الطالب، وجعلها ضابطة لسلوكه وتصرفاته، وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلبه.

٨٧- تربيته على الحياة الإسلامية التي يسودها الإخاء والتعاون، وتقدير التبعية وتحمل المسئولية.

٩١- تقوية وعي الطالب ليعرف- وبقدر سنه- كيف يواجه الإشاعات المضللة، والمذاهب الهدامة والمبادئ الدخيلة.

١٠٥- رعاية الشباب على أساس الإسلام، وعلاج مشكلاتهم الفكرية والانفعالية، ومساعدتهم على اجتياز هذه الفترة الحرجة من حياتهم بنجاح وسلام.

١٠٧- تكوين الوعي الإيجابي الذي يواجه به الطالب الأفكار الهدامة والاتجاهات المضللة[١].

ولا شك أن فكر التكفير من الأفكار الهدامة والاتجاهات المضللة التي حاربتها مناهجنا التعليمية، وجعلت حماية الشباب منها هدفاً من أهدافها.

وإليك أخي الكريم بعض النماذج مما جاء في مناهجنا الدراسية المباركة في التحذير والنهي عن هذه البدعة الشنيعة:

جاء في مقرر التوحيد للصف الأول الثانوي ص ٥٩ بعد ذكره لنواقص الإسلام العشرة ما يلي:

ويجب أن يحذر المسلم من تكفير المسلم، ثم ليعلم أن الذي يقوم بالحكم بالكفر على من وقع في ناقض من نواقض الإسلام هم الراسخون في العلم، فلا يقدم على التكفير من لم يكن منهم.

---

١ سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية من موقع وزارة التربية والتعليم على الشبكة العنكبوتية.

ثم جعلوا من النشاط الفردي أن يكلف المعلم الطالب بتلخيص بعض المعلومات في موضوع التكفير وخطورته وموانعه وشروطه .

ثم ذكروا قول الشوكاني - رحمه الله - حيث قال :

"وقد ورد من الأدلة المشتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين، والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه ما يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية؟، فإن هذه جناية لا تعدلها جناية، وجرأة لا تماثلها جرأة، وأين هذا المجترئ على تكفير أخيه من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) [1]، وهو ثابت في الصحيح. ومن قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثابت عنه في الصحيح - أيضاً - : ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه)) [2]، ومن قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثابتِ عنه في الصحيح - أيضاً - : ((سباب المسلم فسوق، وقتاله

١ رواه البخاري في كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١ / ٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه......... (١ /٣٠٨).

٢ البخاري كتاب المظالم باب لا يظلم السلم المسلم (٩ /٩٦)، ومسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم (٦٧٤٣).

كفر))[1] ، ومن قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)) ، وهو أيضا في الصحيح[2].

وكم يعد العاد من الأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية ، والهداية بيد الله- عز وجل- : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص : ٥٦[3].

ثم في مقرر التوحيد للصف الثالث الثانوي (ص ٣٠) أُصِّلَ لقضية التكفير تأصيلاً سلفياً بلا إفراط ولا تفريط ، يرد كل فرية حول مناهج بلادنا المباركة ، ويفند كل الدعاوى والشبه حول منهجها السلفي ، فمما جاء في ذلك :

خطورة تكفير المسلم : تكفير المسلم أمر عظيم ، ولا يجوز الإقدام عليه إلا إذا توافرت الشروط ، وانتفت الموانع ، قال- تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ النساء : ٩٤

وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ، أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ،

---

١ البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن....(١/ ٩٤) ، ومسلم كتاب الإيمان رقم (٣٠).
٢ مسلم كتاب الحج باب حجة النبي- صلى الله عليه وسلم- رقم (٣٠٠٩).
٣ السيل الجرار (ج٤ / ص ٥٨٥).

ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[1].

وعن أسامة- رضي الله عنه- قال: ((بعثنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فصبحنا الحبطات من جهينة ، فأدركت رجلاً ، فقال: لا إله إلا الله ، فطعنته ، فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ ، قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح ، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟! فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ))[2].

وقد ورد في السنة التشديد في تكفير المسلم لأخيه المسلم ، قال- صلى الله عليه وسلم- : ((إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما))[3].

التكفير حق لله:

فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأهل السنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ؛ لأن الكفر حكم

---

١ رواه البخاري كتاب الإيمان ، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) ١/ ١١ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٥١/ح٣٦.

٢ رواه البخاري في كتاب الديات ، باب قول الله تعالى ، (ومن أحياها...) ٨/ ٣٥، ومسلم كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد قول لا إله إلا الله ١/ ٩٦ ح١٥٨ واللفظ له ، وانظر معنى الحديث في مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٤.

٣ رواه البخاري كتاب المظالم باب من كفر أخاه .... رقم ٦١٠٤ ، ومسلم كتاب الإيمان رقم ٢٢٤.

شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب غيره بمثله، كمن كذب عليك ليس لك أن تكذب عليه، لأن الكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، خلافاً لما عليه بعض الغلاة المعاصرين الذين سلكوا نهج الخوارج.

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فلا يكفر المعين إلا إذا توافرت فيه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب عدم تكفير الإمام أحمد وغيره لمن قال بخلق القرآن بعينه: (إن التكفير له شروط وموانع، وقد تنتفي في حق المعين، وإن التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم هذا الكلام بعينه)[1]، وقال في موضع آخر عن المسألة نفسها: (فالإمام أحمد - رضي الله عنه - ترحم عليهم، واستغفر لهم؛ لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال ذلك لهم)[2].

شروط التكفير عند السلف أهل السنة والجماعة:

يشترط للتكفير شرطان:

أحدهما: أن يقوم الدليل من الكتاب والسنة الثابتة على أن هذا القول أو الفعل مما يكفر به صاحبه.

---

١ مجموع الفتاوى ١٢/٤٨٧ – ٤٨٩.

٢ المسائل الماردينية ١٢٦.

الثاني : انطباق الحكم على من فعل ذلك، بحيث يكون عالماً بذلك قاصداً له مختاراً، فإن كان جاهلاً أو متأولاً أو مخطئاً أو مكرهاً، فقد قام به مانع من موانع التكفير، فلا يكفر على حسب الآتي في موانع التكفير.

موانع التكفير عند السلف أهل السنة والجماعة :

وهي على سبيل الاختصار :

١. الجهل.

٢. الخطأ.

٣. التأويل.

٤. الإكراه.

ثم ذكروا الأدلة على ذلك كله من الكتاب والسنة، وعقدوا بعد ذلك عنواناً مهماً :

كيفية إقامة الحجة :

لا يحكم على معين بالكفر إلا بعد إقامة الحجة عليه وإصراره على الكفر الذي وقع منه، وإقامة الحجة تختلف من شخص لآخر، ومن حال إلى حال، ويكون ذلك : ببلوغ الحجة للمعين وثبوتها، وتمكنه من معرفتها، وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة من العلماء الراسخين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها : قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان

من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً من كان)[1].

ثم ضمنوا هذا المبحث المهم بنقل مهم عن إمام من أئمة السلف، وفي هذا أمران مهمان:

الأمر الأول: بيان خطورة التكفير وبراءة المناهج الدراسية منه وبراءة المنهج السلفي الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية من بدعة التكفير.

الأمر الثاني: أننا في ردنا بدعة التكفير ننطلق من منطلقات سلفية ثابتة مبنية على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وما كان عليه السلف الصالح- رحمهم الله- ، متبرئين في ذلك من أهل البدع قديماً وحديثاً.

قال ابن عبد البر- رحمه الله تعالى- : (فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيانٍ لا إشكال فيه. ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع المسلمين، ثم أذنب ذنباً، أو تأول تأويلاً فاختلفوا بعد خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاقٍ آخَرَ، أو سنة ثابتة لا معارض لها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة- وهم أهل الفقه والأثر- على أن أحداً لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام،

١ مجموع الفتاوى ٢٤٦/٢٣.

وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر ألا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة)[1].

وهكذا ترى أن الله- سبحانه وتعالى- حمى كثيراً من الشباب من الوقوع في هذا الأمر الخطير بفضله- سبحانه- ، ثم بما قيضه الله لهذه الدولة المباركة من حكمة ومنهج سلفي سوي معتدل بعيد عن الغلو والجفاء، ولذلك فإنك لم تسمع أحدا ممن وقع بهذه البدعة الشنيعة يدعي أنه أخذ التكفير من مناهجنا الدراسية، بل إن مصادر ذلك الفكر الخطير معروفة، ووسائل تلقي ذلك ظاهرة لكل أحد عن طريق بعض المواقع المشبوهة الداعمة لفكر التكفير في الشبكة العنكبوتية ونحوها.

المناشط الدعوية والملتقيات العلمية:

لما ظهرت مشكلة التكفير في هذا العصر تصدت لها حكومتنا المباركة بكل الوسائل المشروعة، ووظفت كافة الإمكانات المتاحة داخلياً ودولياً، فمن ذلك عقدها لكثير من المناشط الدعوية والملتقيات العلمية والندوات والمؤتمرات الدولية، وحسبك بهذا الجهد العظيم دليل على براءة المنهج السلفي الذي تقوم عليه المملكة العربية السعودية من بدعة التكفير، ومن ذلك قيام أئمة وخطباء المساجد بالتصدي لهذه البدعة الشنيعة في دروسهم وخطبهم، ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك من خطب المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، ومن خطب سماحة المفتي في العاصمة السعودية الرياض، فمن ذلك:

---

١ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٧/ ٢٣.

خطبة بعنوان ضوابط التكفير في المسجد الحرام بمكة المكرمة للشيخ عبد الرحمن السديس- حفظه الله- .

خطبة بعنوان الإمامة العظمى للشيخ سعود الشريم- حفظه الله- في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

خطبة بعنوان التنفير من خوض غمار التكفير للشيخ صالح بن حميد- حفظه الله- إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة.

خطبة بعنوان إن الله يرضى لكم ثلاثاً في المسجد الحرام بمكة المكرمة للشيخ أسامة خياط- حفظه الله- .

خطبة بعنوان الغلو والإرهاب في المسجد الحرام بمكة المكرمة للشيخ صالح بن حميد- حفظه الله- .

خطبة بعنوان تحريم الأنفس المعصومة في المسجد الحرام بمكة المكرمة للشيخ أسامة خياط- حفظه الله- .

خطبة بعنوان مراتع الداء وجور الاعتداء في المسجد الحرام بمكة المكرمة للشيخ صالح بن حميد- حفظه الله- .

خطبة بعنوان قضية التكفير في المسجد النبوي في المدينة المنورة الشيخ حسين آل الشيخ- حفظه الله- .

خطبة بعنوان أهمية الأمن في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة للشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي- حفظه الله- .

خطبة بعنوان مكافحة الإسلام للإرهاب في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة للشيخ عبد الباري الثبيتي- حفظه الله- .

خطبة بعنوان جريمة التفجير، وأخرى بعنوان جريمة القتل، وكلتاهما في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة للشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي - حفظه الله - .

وفي الرياض ألقى سماحة المفتي - حفظه الله - عدة خطب في التحذير من هذا البلاء العظيم، ومن ذلك:

خطبة بعنوان التحذير من التفرق والاختلاف والتكفير، وخطبة أخرى بعنوان تحذير العباد من السعي بالفساد، وخطبة بعنوان سبل الإصلاح، وغير هذه الخطب كثير، بل لا تكاد تقع جريمة لهؤلاء المفسدين من التكفيريين إلا انبرى هؤلاء الأعلام لردها، وتحذير الناس من شرها، وبيان براءة الإسلام والمنهج السلفي والمملكة العربية السعودية من ذلك، ويتبع ذلك خطب كثيرة لا تحصى في سائر مناطق المملكة، ومن ذلك قيام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بعمل محاضرات وندوات لا تحصى حول هذه الجريمة الخطرة في مساجد هذه المملكة المباركة كافة، تناولت جميع شبه هؤلاء التكفيريين والرد عليها والتحذير منها، بل عقدت دورات علمية عديدة في مناطق المملكة، ولا سيما في وقت الإجازة الدراسية؛ لتأصيل المنهج السلفي، والتحذير من هذه البدعة، وبيان براءة المنهج السلفي والمملكة العربية السعودية من ذلك، وقامت بتوزيع آلاف الكتب والمطويات والأشرطة الصوتية في التحذير من هذا الداء العضال، ومن ذلك المؤتمر الدولي لوزراء الأوقاف، والذي حضره ممثلو اثنتين وستين دولة، وعنوانه: (الأمن الفكري ودور وزارة الأوقاف في تحقيقه).

وكذلك قامت جامعاتنا السعودية بالتصدي لهذه النازلة عبر الوسائل المتاحة لها، فأقيمت محاضرات عديدة وندوات ومؤتمرات في رحاب جامعاتنا، يقول الدكتور سليمان أباالخيل مدير جامعة الإمام- حفظه الله- : نظمنا ثلاثمائة محاضرة وندوة، وطبعنا ثمانين ألف كتاب لتحصين الشباب من الفكر التكفيري والإرهاب.

وقريباً سيقام بإذن الله في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود المؤتمر العالمي الأول عن ظاهرة التكفير: الأسباب والآثار والعلاج [١]

وفي جامعة الملك سعود تم إنشاء كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري، وعقد مؤتمره الأول للأمن الفكري في الفترة من ٢٢- ١٤٣٠/٥/٢٥هـ.

وفي الجامعة الإسلامية أقيمت ندوات ومحاضرات عديدة، ونحن على وشك افتتاح مؤتمر عن الإرهاب بعنوان: (الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف)[٢].

وهكذا الشأن في جميع جامعتنا السعودية ومراكز البحث العلمية.

---

١ - وقدتم عقد هذا المؤتمر في رحاب طيبة الطيبة في العام الماضي ١٤٣٢هـ.

٢ - وقد تم عقد هذا المؤتمر، والجامعة الآن تحضر لمؤتمر جديد بعنوان الإرهاب معالجات فكرية وحلول عملية، أسأل الله أن ينفع به.

البيانات الصادرة عن سماحة المفتي واللجنة الدائمة للإفتاء وهيئة كبار العلماء

تعد الرئاسة العامة للإفتاء في المملكة العربية السعودية المرجع الأول في الأمور الشرعية، وقد كتب الله لها القبول في قلوب المسلمين داخل المملكة وخارجها، ولله الحمد، وذلك بفضل الله - تعالى - ، وبما أنعم به عليهم من تمسك بالكتاب والسنة ودعوة إلى منهج السلف الصالح وصدع بالحق ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وقد وقف علماؤنا - حفظهم الله - ضد هذا الفكر التكفيري المنحرف وقفة قوية، وأصدروا البيانات لرده والتحذير منه والبراءة منه ومن أهله وبيان حكم الله فيه وفيهم، وتبرئة المنهج السلفي والإسلام من هذه البدع الشنيعة، فقد أصدر مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين في ١٤١٩/٤/٢هـ بيانا في التحذير من التكفير والتفجير، وإليك البيان لتعرف حقيقة المنهج السلفي المعتدل الذي قامت عليه هذه البلاد المباركة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فقد درس مجلس (هيئة كبار العلماء) في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف، ابتداءً من تاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت.

ونظراً إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم: فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك؛ نصحاً لله وعباده، وإبراء للذمة، وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك.

فنقول وبالله التوفيق :

أولا: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فكذلك التكفير.

وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبرَ مخرجاً عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة؛ فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن؛ لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة.

وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن مما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات.

ولذلك حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: ((أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه))[1]، وقد يرد في الكتاب

١ تقدم تخريجه

والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به؛ لوجود مانع يمنع من كفره.

وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها؛ كما في الإرث، سببه القرابة مثلا، وقد لا يرث بها؛ لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يُكره عليه المؤمن؛ فلا يكفر به.

وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر؛ لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما، فلا يكفر بها لعدم القصد؛ كما في قصة الذي قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك"؛ أخطأ من شدة الفرح[1].

والتسرع في التكفير تترتب عليه أمور خطيرة؛ من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة ...

فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة؟!

وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم، وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد.

ولهذا منع النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - من منابذتهم، فقال: ((...إلا أن تروا كفرا بواحا؛ عندكم فيه من الله برهان))[2].

---

١ رواه مسلم كتاب التوبة باب الحض على التوبة رقم (٧١٣٦).

٢ رواه البخاري كتاب الفتن باب سترون بعدي أمورا...... رقم (٧٠٥٦) ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم (٤٨٧٧).

- فأفاد قوله : " إلا أن تروا " : أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة .
- وأفاد قوله : " كفرا " : أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر؛ كالظلم، وشرب الخمر، ولعب القمار، والاستئثار المحرم.
- وأفاد قوله : " بواحا " : أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح ؛ أي : صريح ظاهر.
- وأفاد قوله : " عندكم فيه من الله برهان " : أنه لا بد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة ؛ فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة .
- وأفاد قوله : " من الله " : أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة، إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله، أو سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- . وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول :

أن التسرع في التكفير له خطره العظيم ؛ لقول الله- عز وجل- : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف : ٣٣.

ثانيا : ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت.

فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعا بإجماع المسلمين ؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمات الأموال، وهتك لحرمات

الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم، وأعراضهم، وأبدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك؛ وكان هذا آخر ما بلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته؛ فقال في خطبة حجة الوداع: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا))[1].

ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : ((ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد))[2].

وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه))[3]

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة))[4].

وقد توعد الله - سبحانه - من قتل نفسا معصومة بأشد الوعيد، فقال - سبحانه - في حق المؤمن: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء:

---

١ - تقدم تخريجه

٢ - تقدم تخريجه

٣ - تقدم تخريجه

٤ - رواه مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم رقم (٦٧٤٢).

٩٣، وقال- سبحانه- في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ النساء: ٩٢ فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه دية والكفارة، فكيف إذا قتل عمدا ؟! فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر.

وقد صح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**))[1].

ثالثا : أن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وخطورة إطلاق ذلك؛ لما يترتب عليه من شرور وآثام؛ فإنه يعلن للعالم: أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات، والمرافق العامة والخاصة وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه.

وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه؛ وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين؛ وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة بتحريمه؛ محذرة من مصاحبة أهله:

---

١ - رواه البخاري كتاب الجزية باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم رقم (٣١٦٦).

قال- تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٢٠٦ ﴾ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال الله- سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ المائدة: ٢، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١ ﴾ التوبة: ٧١، وقال النبي- صلى الله عليه وسلم- : ((الدين النصيحة " ثلاثا"، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))[١].

وقال- عليه الصلاة والسلام- : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٢].

---

١ - رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدين النصيحة رقم (٢٠٥).

٢ - رواه مسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين رقم (٦٧٥١).

... والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله- سبحانه- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد، وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق إنه ولي ذلك، والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أ.هـ.

وقد توالت البيانات بعد ذلك، وكلها تدور حول التحذير من التكفير، وما يترتب عليه من إفساد وتفجير وانتهاك الأموال والدماء المعصومة.

ومما يدل على وسطية المنهج الذي تقوم عليه هذه البلاد المباركة عدلها مع من اتهم بفكر التطرف والإرهاب والتكفير، فقد سلكت كل السبل المتاحة في سبيل حمايتهم وإنقاذهم من الفكر الضال، وفتحت لهم باب الرجوع والتوبة، وربطتهم بالعلماء عن طريق الحوار المباشر، أو عبر مواقع الانترنت، فمن رجع فالحمد لله، ومن أبى وباشر عملاً بنفسه أو دعا إلى هذا الفكر، فإنه يقدم للمحاكم الشرعية بعد القبض عليه، وقد قدم بعض حملة هذا الفكر الضال إلى المحاكم الشرعية، وأقيمت لهم المحاكمات العادلة، وصدرت بحقهم الأحكام الشرعية اللائقة، والتي هي بحول الله حماية لهم وللمجتمع من هذه الأفكار الهدامة، وقد قامت وزارة الداخلية بهذا الجهد العظيم للحد من هذا الداء الخطير الذي لو ترك لأهلك الحرث والنسل، مما كان لهم أكبر الأثر في محاصرة أصحاب الفكر الضال والتقليل من نشر أفكارهم وإنقاذ الأمة من شرهم، فقد سخرت المملكة كل إمكانياتها في سبيل ملاحقة هؤلاء الضالين والقبض عليهم.

وكونت لجان المناصحة الذين يناصحون هؤلاء الموقوفين في أماكن إيقافهم، ويحاورونهم بالتي هي أحسن، ويردون على شبههم، ويحذرون من خطورة ما هم عليه، وقد استفاد من ذلك عدد منهم، ولله الحمد والمنة، كما قامت بعقد دورات علمية حول هذا الفكر في مناطق عديدة من المملكة، وما قامت به وزارة الداخلية هو في الحقيقة عمل عظيم حمى الله به العباد والبلاد من شر المفسدين في الأرض.

وكذلك قامت وزارة الثقافة والإعلام ببعض البرامج النافعة حول خطورة التكفير وأثره الفاسد في وسائلها المسموعة والمرئية والمقروءة، وعرضت بعض تراجعات أصحاب الفكر الضال، مما كان له أثر طيب في تحذير غيرهم من خطر الوقوع في هذا الفكر.

كما قامت وزارة التربية والتعليم بنشر الوعي الوطني الديني بين أبنائها الطلاب، وتحذيرهم من هذا الفكر الضال عبر برامج ثقافية متعددة أسهمت في توعية الشباب وتحذيرهم من هذا الفكر.

وهكذا ترى أن هذه الدولة المباركة القائمة على المنهج السلفي قد استنفرت كل أجهزتها في التحذير والرد والمحاربة بالبيان والسنان لهذا الفكر المتطرف، ونشر الوعي الفكري القائم على الوسطية والاعتدال، فكيف يسوغ لعاقل بعد هذا أن يتهم هذه البلاد ومنهجها السلفي المعتدل بنشر فكر التكفير الضال، وهي تحاربه صباح مساء، (سبحانك هذا بهتان عظيم).

المبحث الثاني

شبهة ربط المنهج السلفي في المملكة بالغلو والتطرف

الغلو: هو مجاوزة الحد في مدح شيء أو ذمه، وضابطه: تعدي ما أمر الله به عباده، سواء في أمور الاعتقاد أو في الأمور العملية، وقد جاء ذم الغلو في الكتاب والسنة، قال- تعالى- : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ النساء: ١٧١، وقال- تعالى- : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧، وعن ابن عباس- رضي الله تعالى عنه- قال: ((قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- غداة العقبة، وهو على ناقته: القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))[١].

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثا[٢].

وقد ذكر العلماء- رحمهم الله- أن الغلو له أقسام عديدة، منها ما يتعلق بالاعتقاد، ومنها ما يتعلق بالعبادة، ومنها ما يتعلق بالمعاملة، ومنها ما يتعلق بالعادات.

---

١ رواه الإمام أحمد ١/٣٤٧، والنسائي رقم ٣٠٥٧، وابن ماجة ٣٠٢٩، والحاكم في المستدرك ١/٤٦٦ وصححه، ووافقه الذهبي.

٢ رواه مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون رقم (٦٩٥٥).

وكل من التطرف والغلو أصبح الآن اصطلاحاً حادثاً يطلق على من يحمل أفكاراً متشددة غالية، أو يقوم بأعمال إرهابية في مجتمعات آمنة، ولكن وللأسف الشديد مع كثرة الفتن والنوازل في هذا الزمان أصبح هذا المصطلح الحادث يطلق على كل من تمسك بالإسلام، سواءً أكان تمسكاً صحيحاً أو تمسكاً بدعياً، ولم٠ يعد كثير من الناس يميز بين الغالين والمتوسطين، وهذا ظلم في الحقيقة لمن تمسك بهذا الدين الوسط العدل الخيار المعتدل الذي أنزل على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- ؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال- تعالى- : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤ ، ولا شك أنه- صلى الله عليه وسلم- بعث رحمة للعالمين، كما قال- تعالى- : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ ، وقد أمرنا باتباعه- صلى الله عليه وسلم- في العلم والعمل والدعوة، قال- تعالى- : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨ ، وقد قامت هذه البلاد المباركة على المنهج السلفي، وقررت الوسطية والاعتدال في كل أمورها الاعتقادية والتعبدية والعملية والأخلاقية على قدر طاقتها؛ لأن الله- تعالى- لا يكلف نفساً إلا وسعها.

ويكفي أنها قامت على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وما كان عليه السلف الصالح- رحمهم الله تعالى- ، قال- تعالى- : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣ .

والوسط هو العدل الخيار، وهو الصراط المستقيم بين السبل المنحرفة ذات اليمين وذات الشمال، ونرى هذه الوسطية ظاهرة جلية في سياسة هذا البلد المبارك في أموره كلها، سواء النواحي العلمية أو النواحي العملية، وقد شهد لها بذلك كافة المنصفين من المسلمين وغيرهم، فهي على الرغم من كونها دولة حديثة تتمتع بكل مقومات وأسباب الحضارة المادية لا زالت ولله الحمد والمنة متمسكة بثوابتها راسخة في ذلك رسوخ الجبال الشم، ولذلك فقد وقفت مواقف تذكر فتشكر من كل من أراد حرب الإسلام إما بتفريط أو بإفراط، ودافعت عن الإسلام وثوابته في كل المحافل الدولية، ومثلت الإسلام الحق خير تمثيل في هذه المحافل، ومن ذلك مواقفها المشهورة ضد الغلو والتطرف والإرهاب، وعقدها لذلك المؤتمرات الدولية ومشاركتها بصفة فاعلة في هذه المؤتمرات داخل المملكة وخارجها، واستصدار البيانات من هيئة كبار العلماء في الإنكار على أهل الغلو والتطرف، ومحاربة الغلاة المتطرفين، وإيقاف دعاة الغلو والتطرف، ومنعهم من إفساد عقول الناشئة، وتحملت من أجل ذلك المشاق العظيمة في الداخل والخارج، فأي علاقة تزعم بين المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد المباركة وبين منهج الخوارج أهل التطرف والغلو، ولو كانت هناك علاقة- ولو قليلة- لما وقفت المملكة بكل أجهزتها هذه المواقف المشرفة، وأيضاً فإن المتطرفين الغلاة قد وقفوا من المملكة موقفاً مماثلاً، فقد بثوا الدعايات ضدها، من قبيل أنها بحربهم إنما تحارب الإسلام، وتسجن الدعاة، وتثبط عن الجهاد، ولذلك فقد لاقت من أقوال هؤلاء الغلاة المتطرفين ومن أمثالهم أذى كثيراً، مما يدل على بعدها

وبعد منهجها السلفي عن الغلو والتطرف، وإليك نموذجاً من المقررات الدراسية التي تحارب فكر التطرف والإرهاب.

جاء في مقرر الفقه للصف الأول الثانوي:

معنى الإرهاب:

تَحَدَّثَ العالَمُ اليوم عن الإرهاب في غياب لتحديد المعنى بشكل دقيق، والمتأمل للشريعة يجد أنها وضعت ألفاظاً شرعيةً محددة للدلالة على ألوان من العدوان على الخلق، مثل: البغي، والحرابة، والخروج على ولاة الأمر.

وقد قام علماء المملكة العربية السعودية بدور ظاهر تُجاه ما جرى ويجري من أحداث عنف وإرهاب، وتَمَثَّل عملهم في صور علمية وعملية، فقد صدرت بياناتٌ عن مجلس هيئة كبار العلماء وتوضيحاتٌ تحرّم الإرهاب وتُجَرّمُه، والذي يمثل أعلى مؤسسة علمية شرعية، تضم نخبة من علماء المملكة.

وفي سبيل تحديد مفهوم علمي يتوافق مع الشريعة لمصطلح الإرهاب وَضَعَ المجمعُ الفقهي التابع للرابطة تعريفاً للإرهاب، وهو:

(العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان: في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد؛ يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم؛ بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض

أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر ، فكل هذه من صور الفساد في الأرض التي نهى الله- سبحانه وتعالى- المسلمين عنها ، قال- تعالى- : ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص : ٧٧ ، وقد شرع الله الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد ، واعتبره محاربةً لله ورسوله ، قال- تعالى- : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة : ٣٣ ، ولا توجد في أي قانون بشري عقوبة بهذه الشدة نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذي يعتبر في الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله ، وضد خَلْقِه).

وسنتحدث في هذا الموضوع عن حكم الإرهاب ، و صوره ، و آثاره على النحو الآتي .

حكمه : الإرهاب صورة من صور الفساد في الأرض الذي نهى الله- تعالى- عنه بقوله : ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص : ٧٧ وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف : ٥٦.

فالإفساد في الأرض محرم بجميع أشكاله وصوره أيّاً كان مرتكبه ، وبهذا تعلم أن الإرهاب ليس من الجهاد الإسلامي في شيء.

من صور الإرهاب :

١- الاعتداء على النفس المعصومة من المسلمين أو مُعَاهَدِين أو مُسْتَأْمَنِين.

٢- القيام بتفجير وتدمير الممتلكات الخاصة والعامة.

٣- إخافةُ الآمنين وترويعُهم، واستباحةُ دمائِهم وأموالهم وأعراضهم.

القيم الإسلامية والإرهاب:

إن القيم الإسلامية لا يمكن أن تستسيغ الإرهاب بحال، ويظهر هذا جليّاً من خلال الآتي:

أولاً: إن قيمة العدل من القيم الإنسانية التي رسخ الإسلام جذورها، ودعا إليها، وأمر بها، وجعلها من مقاصده ومن المقومات الضرورية لبناء الحياة بكل أبعادها الحضارية والعمرانية والتنظيمية؛ لتشمل الكون بما فيه.

والعدل: إعطاء كل ذي حق حقه، قال- تعالى- : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ الرحمن: ٧ - ٩ ، أما الإرهاب فقد نسف هذه القيمة، وهتك مقاصدها؛ بأن أشاع نقيضها، وهو الظلم والبغي بغير الحق، فالإرهاب ظلم وبغي على الآخرين بالاعتداء عليهم، وظلم وبغي على مقدَّرات الأمم.

ثانياً: حقوق الإنسان، فقد قامت الشريعة بتحديد حقوق الأفراد، وبيان متعلقات تلك الحقوق مع ضمان حرية ممارستها بوضع القواعد المانعة من الاعتداء عليها.

هذه الكرامة الإنسانية أوجبت الشريعة الإسلامية احترامها لبني آدم كافة، بدون تفرقة وتمييز، على اعتبار أنهم واحد من حيث الأصل البشري، وأن الكل لديهم الاستعداد لبلوغ درجة الكمال الذي أعده الله للنوع البشري عموماً، فقد اعتبر الإسلام الناس جميعاً أمة واحدة، فالإنسانية تضم الجميع في إطارها العام، قال- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات: ١٣ ، بينما الإرهاب يُهدر كل الحقوق، وأعظمها حق الله - تعالى - بالاعتداء على أحكامه ومقاصده وتشريعاته انتهاكاً وتأويلاً باطلاً لها؛ ليستحل بعد ذلك ما حرمه الله وصانه، بناء عن فهمه المنحرف الضال.

ثالثاً: الوسطية في مقاصد الإسلام وأحكامه؛ لقد اختص الإسلام بخاصية تعد من أهم خصائصه ومميزاته، ألا وهي الوسطية في مقاصده وأحكامه، إن هذا المصطلح (الوسطية) يعد من أبرز سمات وخصائص الإسلام وأهله، حتى بلغ الاهتمام به أن أخذ مكاناً بارزاً في فاتحة الكتاب: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧ ، إن اعتدال المنهج الإسلامي وتوسطه في النواحي الروحية والمادية يحصنه من مزالق عدم الاستقرار؛ ليمنح من أظله بظله العدل والاطمئنان.

أما الإرهاب ومعتنقوه فقد حادوا عن هذه الخاصية ورفضوها؛ من خلال ممارساتهم وأعمالهم، وإن أنكر ذلك الإرهابيون بأقوالهم أ.هـ.

وقد يسر الله، فعقدت عدة ندوات ومؤتمرات حول الإرهاب والتطرف، ومن ذلك: المؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب، والذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٢٥هـ.

وقد بينت البحوث المقدمة لهذا المؤتمر موقف الإسلام، وموقف المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد المباركة من التطرف والإرهاب، وأن هذه البلاد أعظمُ مَنْ حارب فكر التطرف والإرهاب في هذا الزمان؛ رداً لشرهم، ودفاعاً عن الإسلام وأهله، مما كان له أكبر الأثر في نشر الأمن والسلام في

ربوع العالم، وعودة الدعوة إلى الإسلام مرة أخرى، بعد أن توقفت أو كادت أن تتوقف بسبب أعمال أولئك الغلاة المتطرفين[1].

---

١ وانظر للزيادة موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب دراسة شرعية علمية وثائقية للدكتور سليمان أبا الخيل.

المبحث الثالث

دعوى علاقة المنهج السلفي في المملكة بما وقع من أحداث

يقصد بالأحداث ما وقع باسم الإسلام من تفجيرات في البلاد الإسلامية وغيرها، وذهب ضحيتها عشرات الضحايا مابين جريح وقتيل، وقد استغل أعداء الإسلام هذه الأحداث الشنيعة في الطعن في الإسلام، ووصفه بأنه دين دموي إرهابي، مما جعل علماء الإسلام يتصدون لهذه التهم، ويتبرؤون ممن قام بهذه الأعمال الآثمة حماية للإسلام من أن يشوه، وأن ينسب إليه ظلماً ما ليس فيه، وكذلك استغل أعداء المنهج السلفي وأعداء هذه البلاد المباركة من أهل البدع وأهل الشهوات والشبهات هذه الأعمال الإجرامية في الطعن في المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد المباركة، وزعموا أن من قام بهذه الأعمال في الداخل والخارج هم نتاج هذا المنهج السلفي.

ومما زاد الطين بلة أن بعض هذه الجماعات الضالة أطلق اسم السلفية على حركته التي تبنت مثل هذه الأعمال الإجرامية، فطعن بعض المغرضين في المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد، وكما مر معنا في العناصر الماضية فإن ما قامت به هذه البلاد المباركة من حملات ضد أصحاب هذه الأفكار الهدامة والأعمال الإجرامية، خير دليل على براءتها من هذه التهم ودليل على سلامة المنهج السلفي الذي قامت عليه.

وإن الناظر فيما صدر عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من بيانات تندد بهذه الأعمال الشنيعة، وتبين حكمها في الإسلام، ليجزم ببراءة هذا المنهج السلفي من هذه الأعمال ومن أهلها؛ إذ لو لم تصدر هذه

البيانات لحصل أمر لا يعلمه إلا الله، فإن الناس - ولله الحمد والمنة - يقتدون بهذه الهيئة المباركة، ويصدرون عن رأيها، ولذلك فإن لهذه البيانات أثراً عظيما في إطفاء هذه الفتن في الداخل والخارج.

فمن ذلك البيان الصادر من مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف ٨/١/ ١٤٠٩هـ حول حوادث التخريب في بعض البلاد الإسلامية، وذلك قبل العمليات الإجرامية التي قام بها المفسدون في المملكة العربية السعودية، وإليك نص البيان لتعرف حقيقة المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد المباركة:

قرار رقم (١٤٨) الصادر في الدورة الثانية والثلاثين بتاريخ ١٤٠٩/١/١٢هـ: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف، ابتداء من ١٤٠٩/١/٨ إلى ١٤٠٩/١/١٢هـ؛ بناءً على ما ثبت لديه من وقوع عدة حوادث تخريب ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء، وتلف بسببها كثير من الأموال والممتلكات والمنشآت العامة في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة والحاقدة، ومن ذلك:

نسف المساكن، وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة، ونسف الجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها، وحيث لوحظ كثرة وقوع مثل هذه

الجرائم في عدد من البلدان القريبة والبعيدة، وبما إن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع مثل هذه الأعمال التخريبية، فقد رأى مجلس هيئة كبار العلماء ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً، سواء كان موجهاً ضد المنشآت العامة والمصالح الحكومية، أو كان موجهاً لغيرها بقصد الإفساد والإخلال بالأمن.

وقد اطلع المجلس على ما ذكره أهل العلم من أن الأحكام الشرعية تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضروريات الخمس، والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة، وهي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وقد تصور المجلس الأخطار العظيمة التي تنشأ عن جرائم الاعتداء على حرمات المسلمين في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، وما تسببه الأعمال التخريبية من الإخلال بالأمن العام في البلاد، ونشوء حالة الفوضى والاضطراب، وإخافة المسلمين وممتلكاتهم.

والله- سبحانه وتعالى- قد حفظ للناس أديانهم وأبدانهم وأرواحهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم، بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام والخاص، ومما يوضح ذلك قوله- سبحانه وتعالى- : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢ ، وقوله- سبحانه وتعالى- : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣ ، وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن

والاطمئنان، وردعِ مَنْ تسول له نفسه الإجرام والاعتداء على المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وغيرها على السواء، لقوله- سبحانه- : ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ والله تعالى يقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ البقرة: ٢٠٤، وقال- تعالى- : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ الأعراف: ٥٦.

قال ابن كثير- رحمه الله تعالى- : ينهى- تعالى- عن الإفساد في الأرض وما أضر بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى- تعالى- عن ذلك. أ. هـ.

وقال القرطبي: نهى- سبحانه وتعالى- عن كل فساد- قل أو كثر- بعد صلاح- قل أو كثر- ، فهو على العموم على الصحيح من الأقوال أ.هـ.

وبناء على ما تقدم، ولأن ما سبق إيضاحه يفوق أعمال المحاربين الذين لهم أهداف خاصة يطلبون حصولهم عليها من مال أو عرض، وهؤلاء هدفهم زعزعة الأمن وتقويض بناء الأمة، واجتثاث عقيدتها، وتحويلها عن المنهج الرباني، فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يلي:

أولا: من ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض، التي تزعزع الأمن، بالاعتداء على النفس والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور، ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول،

ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك، فإن عقوبته القتل؛ لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد، ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية وضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع الطريق، فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة.

ثانياً: أنه لا بد قبل إيقاع العقوبة المشار إليها في الفقرة السابقة من استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من جهة المحاكم الشرعية وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى؛ براءة للذمة، واحتياطاً للأنفس، وإشعاراً بما عليه هذه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم وتقرير عقابها.

ثالثاً: يرى المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

مجلس هيئة كبار العلماء.

قرار حادث التفجير الذي وقع في الرياض في حي العليا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه.

وبعد:

فإن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية علمت ما حدث من التفجير الذي وقع في حي العليا بمدينة الرياض قرب الشارع العام ضحوة يوم الاثنين ١٤١٦/٦/٢٠هـ، وأنه قد ذهب ضحيته نفوس معصومة، وجرح بسببه آخرون، وروع آمنون، وأخيف عابر السبيل، ولذا فإن الهيئة تقرر أن

هذا الاعتداء آثم، وإجرام شنيع، وهو خيانة وغدر، وهتك لحرمات الدين في الأنفس، والأموال، والأمن، والاستقرار، ولا يفعله إلا نفس فاجرة، مشبعة بالحقد والخيانة والحسد والبغي والعدوان، وكراهية الحياة والخير، ولا يختلف المسلمون في تحريمه، ولا في بشاعة جرمه وعظيم إثمه، والآيات والأحاديث في تحريم هذا الإجرام وأمثاله كثيرة ومعلومة.

وإن الهيئة إذ تقرر تحريم هذا الإجرام وتحذر من نزعات السوء، ومسالك الجنوح الفكري، والفساد العقدي، والتوجه المردي، وإن النفس الأمارة بالسوء إذا أرخى لها المرء العنان ذهبت به مذاهب الردى، ووجد الحاقدون فيها مدخلاً لأغراضهم وأهوائهم التي يبثونها في قوالب التحسين، والواجب على كل من علم شيئاً عن هؤلاء المخربين أن يبلغ عنهم الجهة المختصة.

وقد حذر الله- سبحانه- في محكم التنزيل من دعاة السوء والمفسدين في الأرض، فقال: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣، وقال- تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦، نسأل الله- سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يهتك ستر المعتدين على حرمات الآمنين، وأن يكف البأس عنا وعن جميع المسلمين، وأن يحمي هذه

البلاد وسائر بلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، وأن يوفق ولاة أمرنا وجميع ولاة أمر المسلمين لما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه خير مسئول، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مجلس هيئة كبار العلماء

قرار حادث التفجير الذي وقع في مدينة الخبر في المنطقة الشرقية:

الحمد الله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه، وبعد: فإن مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في جلسته الاستثنائية العاشرة، المنعقدة في مدينة الطائف يوم السبت ١٤١٧/٢/١٣ هـ، استعرض حادث التفجير الواقع في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية يوم الثلاثاء ١٤١٧/٢/٩ هـ، وما حصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من المسلمين وغيرهم، وإن المجلس بعد النظر والدراسة والتأمل قرر بالإجماع ما يلي:

أولاً: أن هذا التفجير عمل إجرامي بإجماع المسلمين، وذلك للأسباب الآتية:

Č. في هذا التفجير هتكٌ لحرمات الإسلام المعلومة بالضرورة: هتكٌ لحرمة الأنفس المعصومة، وهتكٌ لحرمات الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، وما أشنع وأعظم جريمة مَنْ تَجَرَّأَ على حرمات الله، وظلم عباده، وأخاف المسلمين والمقيمين بينهم، فويلٌ له، ثم ويلٌ له من عذاب الله ونقمته، ومن دعوة تحيط به، نسأل الله أن يكشف ستره، وأن يفضح أمره.

č. أن النفس المعصومة في حكم شريعة الإسلام، هي كل مسلم، وكل من بينه وبين المسلمين أمان كما قال- تعالى- : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣، وقال- سبحانه- في حق الذمي الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ النساء: ٩٢ فإذا كان الذمي الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمداً؟ فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر، وقد صح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة))[1]، فلا يجوز التعرض لمستأمن بأذى، فضلاً عن قتله في مثل هذه الجريمة الكبيرة النكراء، وهذا وعيد شديد لمن قتل معاهداً، وأنه كبيرة من الكبائر المتوعد عليها بعدم دخول القاتل الجنة، نعوذ بالله من الخذلان.

Ď. أن هذا العمل الإجرامي يتضمن أنواعاً من المحرمات في الإسلام بالضرورة: من غدر وخيانة وبغي وعدوان وإجرام آثم وترويع للمسلمين وغيرهم، وكل هذه قبائح منكرة يأباها ويبغضها الله ورسوله والمؤمنون.

ثانياً: أن المجلس إذ يبين تحريم هذا العمل الإجرامي في الشرع المطهر، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا العمل، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على

١- سبق تخريجه.

المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة، والمتمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة، ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه، محذرة من مصاحبة أهله، قال الله- تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ البقرة: ٢٠٤ — ٢٠٦، وقول الله- تعالى- : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣.

ونسأل الله- سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكشف ستر هؤلاء الفعلة المعتدين، وأن يمكن منهم لينفذ فيهم حكم شرعه المطهر، وأن يكفَّ البأس عن هذه البلاد وسائر بلاد المسلمين، وأن يوفق خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته وجميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد، وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية

وكذلك صدرت عدة بيانات أخرى، كلها تندد بهذه الأعمال الإجرامية، وتتبرأ منها ومن أهلها، وتؤيد ما قامت به حكومتنا الرشيدة من إجراءات لقمع هؤلاء المفسدين.

وبعد ما حصل من صدم الطائرتين لمبنى التجارة العالمي في أمريكا استنكر علماؤنا السلفيون هذا الفعل الشنيع، وأصدروا البيانات المنددة بذلك، وحكّموا بهذا العمل كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- وما كان عليه السلف الصالح، ولم يأبهوا ببعض المتحمسين من أهل العواطف الضالة بل ثبتهم الله في هذا الموقف العظيم، وهذه الفتنة المدلهمة، وحمى الله بهم وبحكمتهم وحكمة ولاة أمرنا وصبرهم البلاد والعباد.

فمن ذلك فتوى سماحة المفتي حفظه الله في ذلك، ومما جاء فيها:

إن هذه الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة وما كان من جنسها من خطف لطائرات أو ترويع للآمنين أو قتل أنفس بغير حق ما هي إلا ضرب من الظلم والجور والبغي الذي لا تقره شريعة الإسلام، بل هو محرم فيها، ومن كبائر الذنوب أ.هـ.

وقال الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، وكان رئيس مجلس القضاء الأعلى في حينها في كلمة ألقاها في التلفزيون السعودي: إن مثل الجرائم التي تقع ولا تفرق بين رضيع وامرأة ومسن ومسنة ومريض وصحيح، وتأتي على المال وأهل المال، إن هذا العمل يعد من الجرائم العظام والفواحش الخطيرة؛ لأن هذا ينظر إليه في شريعة الإسلام على أنه من الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل، وهذا أمر حرمه الإسلام، وحرمه الله، وحرمه رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، والنبي لما رأى امرأة مقتولة في الغزو قال: ((ما كانت لتقاتل)) أي أن قتلها أمر ممنوع منعًا باتًّا.

إن من يحدث مثل هذه الجرائم يعد في النظر الإسلامي من أخطر الناس جرما، وأسوئهم عملا، ومن يظن أن أحدا من علماء الإسلام،

العارفين بمقاصد شريعة الإسلام، المطلعين على مقاصد القرآن وسنة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- يظن أنه يجيز مثل هذه الأعمال فإنما يظن سوءاً.

إن هذا العمل الذي تعرضت له الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الفظاعة والوحشية المتناهية، التي هي أبعد من عمل الوحوش وأبعد من عمل ما قد يسمى جماعات إرهاب أو فصائل إجرام، بل هو عمل بالغ الخطورة، أقول: إنه في غاية الفحش والسوء.

إن المسلم لا يليق به أن يشمت حتى بالعدو إذا ظلم، فالظلم غير مقبول، والعدوان الانفرادي أمر محرم فظيع على من ليس مستحقاً للعقاب، فكيف إذا وقع الجرم بالذي شوهد، وتردد صداه، وأفزع النظر إليه من نظر؟، كيف يقال عن ذلك: إن أهل الإسلام يقرون مثل هذا العمل؟.

إن هذه المناظر المرعبة التي شوهدت من آثار ذلك الإجرام مناظر لا يقرها عقل مسلم، ولا يعتد بفعل من فعلها، ولو كان نابتاً منبتاً إسلامياً في بلد إسلامي، العبرة بما يقوله أهل العلم، والعبرة بما تقرر في أحكام الشريعة الإسلامية، وإن أمثال هذه الجرائم من الجرائم الخطيرة.

والمملكة العربية السعودية عندما نظرت في يوم من الأيام أمر اختطاف الطائرات قبل أن تختطف للسعودية أية طائرة قرر علماؤها تحريم هذا العمل، ولم يفرقوا بين اختطاف طائرة ركابها مسلمون وبين طائرة ركابها غير مسلمين، بل رأوا أن الظلم أمر محرم، وأن العدوان

على الناس وإرهابهم بغير حق من أعظم الفواحش في الأرض والفساد فيها.

إن مثل هذه الأمور لا غرابة أن تعلن المملكة العربية السعودية استنكارها، وعدم رضاها عما حدث وعمن أحدث؛ لأن المملكة العربية السعودية مملكة إسلامية، ولله الحمد، وبحق يحكمها نظام الإسلام، وتحكم شريعة الإسلام، وأصول عملها وأنظمتها مقيدة بألا تخالف الإسلام، فإذا استنكرت مثل هذا العمل فإنما تفعل ما تفعله من واقع دينها ومن موقفها الإسلامي الذي تقف فيه لأنها دولة الحرمين وبلاد منبع الرسالة، فلا غرو أن تستنكر الفواحش، وأن تستهجن إجرام المجرمين، وأن تندد بإيواء كل مرتكب للإجرام أو يرضى بجرمه. إ- هـ مختصراً

وهكذا ترى حكومتَنا الرشيدةَ وعلماءَنا السلفيين قد تبرأوا من هذه الأعمال الوحشية الإجرامية؛ لمخالفتها لكتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وما كان عليه السلف الصالح، بل لمخالفتها لمقاصد الإسلام والعقل والفطرة والأخلاق الإنسانية، فكيف يسوغ بعد ذلك اتهام المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه البلاد بأن له علاقة بعمليات التخريب والتفجير، وهناك عشرات الكتب والفتاوى والأشرطة الصوتية الصادرة عن علمائنا السلفيين تدور حول تحريم هذه الأفعال؟، سبحانك هذا بهتان عظيم!.

المبحث الرابع

دعوى ظلم المنهج السلفي للمرأة

المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه الدولة منهج قائم على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- على ما كان عليه السلف الصالح، ولا شك أن من تمسك بذلك هدي وسعد في الدنيا والآخرة، قال- تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ طه: ١٢٣.

روى الطبري- رحمه الله- بسنده عن ابن عباس- رضي الله عنه- أنه قال: ((تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة))[1].

والسلفيون يعتقدون كمال الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، وشموله لمصالح الدنيا والآخرة، وأن الرجل والمرأة في ذلك سواء، وأن العمدة على تحقيق التقوى، قال- تعالى- : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، وقال- تعالى- : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ آل عمران: ١٩٥، وفي الحديث: ((النساء شقائق الرجال))[2].

---

١ تفسير الطبري ١٨/ ٣٨٩

٢ رواه الإمام أحمد ٢٦٩٤٩، والترمذي١١٣، وأبو داود ٢٣٦ وإسناده صحيح.

ويعتقد أتباع المنهج السلفي أن الإسلام كرم المرأة ورفعها عن أدران الجاهلية، وحفظها وصانها كما حفظ الرجل وصانه، فعاب على أهل الجاهلية بغضهم للأنثى، فقال- تعالى- : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ النحل: ٥٨.

وإذا ولدت هذه البنت أوجب الله على أبويها رعايتها وحفظها، ووعدهم على ذلك الأجر العظيم بل إن أجر رعايتها أعظم من أجر رعاية الولد الذكر، وفي كل أجر.

فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: ((دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم يكن عندي شيء غير تمرة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، ودخل النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فأخبرته فقال: من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له حرزا من النار))[١].

وأوجب على وليها رعايتها حتى تكبر وتبلغ سن الزواج، ويزوجها لصاحب الدين والخلق بعد أن يستأذنها في ذلك، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن))، قالوا: يا رسول الله! وكيف إذنها؟، قال: ((أن تسكت))[٢].

---

١ رواه البخاري ١٤١٨ ومسلم رقم ٦٨٦٣.

٢ رواه البخاري ٦٩٦٨ ومسلم رقم ٣٥٣٨ واللفظ له.

وإذا تزوجت أوجب الإسلام على زوجها رعايتها وحفظها والإنفاق عليها، بل وجعل الإنفاق عليها من أعظم أوجه البر والإحسان، ففي الحديث قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها الذي أنفقته على أهلك))[1]، وجاء في الترغيب في حسن عشرة الزوجة نصوص كثيرة معلومة في مواضعها، ثم إذا أنجبت وصار لها أبناء صار حقها عليهم أعظم الحقوق بعد حق الله- سبحانه وتعالى- كما في الحديث: ((جاء رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: يا رسول الله! من أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك))[2].

ويعتقد السلفيون أن المرأة الصالحة قد تبلغ بعلمها وعملها مبلغا لا يبلغه الرجال، وأن كثيراً من أفراد النساء فقن بدينهن وعقلهن كثيراً من الرجال قديماً وحديثاً، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: ((أتى جبريل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها- عز وجل- ومني، وبَشِّرْهَا ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب))[3].

---

١ رواه مسلم ٢٣٥٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ رواه البخاري ٥٦٢٦، ومسلم ٢٥٤٨ .

٣ رواه البخاري ٧٤٩٧ ومسلم رقم ٦٤٢٦.

الله أكبر، فوالله الذي لا إله غيره ما سمعت بمثل هذا الفضل والشرف والمنزلة العالية لرجل قط، امرأة صالحة يرسل الله جبريل روح القدس - عليه السلام - إلى أفضل رسله وخاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ؛ ليقول لها: يا خديجة إن الله يسلم عليك، وجبريل يسلم عليك، وأبشرك ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب، فهل يجوز بعد هذا أن تظلم المرأة أو تبخس حقها، أو يدعى أن المنهج السلفي ظلمها وهو يقرر هذه النصوص الشرعية صباح مساء؟.

بل صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه جعل الموت في سبيل الدفاع عن أهل الرجل شهادة في سبيل الله، فعن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد))[1]، فهل يقال لمن يعتقد ما في هذه النصوص المباركة: إنه يهين المرأة أو يهضمها حقها؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم)، وإذا نظرنا إلى واقع هذه البلاد المباركة وجدنا حكومتنا الرشيدة قد أولت كافة أفراد المجتمع - ومنهم المرأة - عناية فائقة، بل نصت على المحافظة على الأسرة في نظامها الأساسي للحكم.

جاء في النظام الأساسي للحكم في الباب الثالث:

المادة ٩- الأسرة هي نواة المجتمع السعودي، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من الولاء لله ورسوله - صلى الله عليه

---

١ رواه الإمام أحمد، وأبو داود ٤٧٧٢، والترمذي ١٤٢١، وقال: حسن صحيح، والنسائي رقم ٤٠٩٥.

وسلم- ولأولي الأمر، واحترام النظام وتنفيذه وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد، ولذلك فقد عنيت حكومة المملكة العربية السعودية بالتعليم والتربية والتنشئة الصالحة لجميع أفراد الأسرة ذكوراً وإناثاً.

وجاء في المادة التاسعة من الباب الأول من سياسة التعليم في المملكة:

٩- تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها، ويعدها لمهمتها في الحياة، على أن يتم هذا بحشمة ووقار، وفي ضوء الشريعة الإسلامية، فإن النساء شقائق الرجال.

١٤٩- تنشأ كليات البنات ما أمكن ذلك لسد حاجات البلاد في مجال اختصاصهن بما يتفق والشريعة الإسلامية.

١٥٤- تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفر الإمكانيات اللازمة ما أمكن؛ لاستيعاب جميع من يصل منهن إلى سن التعليم وإتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة، الوافية بحاجة البلاد.إهـ

فأنت ترى أخي القارئ الكريم أن الدولة بمنهجها السلفي أولت المرأة عناية فائقة تليق بمكانتها في المجتمع، فإنها أم الرجال وصانعة الأبطال، ولن تستقيم حياة الأمة ولن ترتفع لها راية في كافة المجالات ما لم يكن أساس الأسرة- وهو المرأة- قوياً مؤسساً بأسس علمية قوية، مبنية على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، ولذلك بنيت آلاف المدارس في كافة المراحل الدراسية، وخرجت مئات الألوف من الطالبات، انتقلن منها إلى المراحل الجامعية، وتخرجن، وقمن بخدمة دينهن وبلادهن ومجتمعهن، وبنين أسراً صالحة تحمل راية الإسلام والدعوة إليه، وتربي أجيالا صالحة نافعة تهتم بكل مجالات الحياة الدينية والدنيوية.

وإليك نموذجاً لما يدرس في هذه المدارس المباركة في شأن المرأة في الإسلام: جاء في مقرر الحديث والثقافة الإسلامية للصف الثاني الثانوي:

- إن الحديث عن تكريم الإسلام للمرأة ومكانتها فيه يتطلب إجراء مقارنة بينه و بين غيره من الأديان والمذاهب؛ إذ بضدها تتميز الأشياء وهذا أمر يطول؛ إلا أننا نشير إشارة مختصرة:

عند العرب قبل الإسلام:

أ- كُرْهُ الأنثى والرغبةُ في التخلُّص منها، وهذا موجود في بعض المجتمعات العربية، قال- تعالى- : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ النحل: ٥٨ — ٥٩.

ȧ - حرمان المرأة من الميراث: فكانوا يقولون لا يرث إلا من يحمي الذمار، ويركب الخيل، ويكسب المال، وينكأ العدو، بل يجعلون المرأة متاعاً يورث، فللأكبر من أولاد الميت أو إخوانه الحق في تزوجها أو تزويجها بأغلى المهور، فقال- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ النساء: ١٩.

ǯ - إجبار البنت على التزوج ممن تكرهه، وسلب حريتها في ذلك عند الأديان المحرفة:

فنضرب مثالاً باليهود، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- النبيَّ- صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله- تعالى- : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟

ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾ البقرة: ٢٢٢ ، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((اصنعوا كل شيء إلا النكاح ... الحديث))[1].

في الواقع المعاصر:

وهو ما يزعم أصحابه أنه عصر التحرر والتقدم النسائي، حيث تحولت المرأة من إنسان له كرامة وحقوق؛ إلى شهوة تطلب، وجسد يعرض، ويكفي في ذلك أن كثيرًا ممن يريد أن يُسَوِّق بضاعةً أو منتجًا مهما كان أو يستجلب زبائن، فما عليه إلا أن يقدم ذلك من خلال فتاة تجذب الأبصار، فأي تحرر وتقدم هذا، إنه تحرر وتقدم للوصول إلى المرأة والاستمتاع بها على حساب شرفها وكرامتها.

المرأة في الإسلام:

الإسلام دين الله الموجه للإنسان ذكرًا وأنثى، جاءت تشريعاته وأحكامه لتعطي كل ذي حقٍّ حقَّه، وتفرض على كل جنس ما يناسب طبيعته وتكوينه، إذ هو تنزيل من حكيم خبير.

ويبرز تكريم الإسلام للمرأة في جميع شؤون حياتها منذ ولادتها، وحتى بعد وفاتها، ومن صور التكريم:

أ- المساواة في التكريم وأصل التكليف والجزاء:

خلق الله الخلق، وكلَّفهم بعبادته، وجعلهم مسئولين عن ذلك رجالاً ونساءً، ولم يفرق بينهم، ورتب الجزاء على هذا التكليف، قال- تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ النساء: ١٢٣ – ١٢٤.

---

١ أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ....رقم (٣٠٢)

ā - مراعاة تكوينها الطبيعي في التكليف:

من حكمة الله- تعالى- ، وهو العليم بخلقه، أن جعل لكل جنس سمات تغلب عليه، وصفات تظهر عليه، فالعاطفة الجياشة، والإحساس الرقيق، والتأثر السريع من الصفات الجِبِلِّية للمرأة، و لذا جعل الله- سبحانه- تكليفها مناسباً لصفاتها، فلم يكلفها بما لا تطيق، وجعل للرجل القِوَامة عليها بمقتضى تكليفه وصفاته التي ميَّزه الله بها، فلله الحكمة البالغة.

ǯ - حق التملك والتصرف فيه:

قال- تعالى- : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ النساء: ٤ ، وقال- سبحانه- : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ النساء٧.

ǻ- العناية والاهتمام بها في أحوالها كلها:

بنتًا: فقد عَظَّم الأجر برعايتها، والنفقة عليها في صغرها، روى أنس- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((مَن عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين)) وضمَّ أصابعه[١].

أُمًّا: فقد أوجب لها من الحقوق ما لا يوجد في نظام بشريٍّ قديمًا وحديثًا، ويكفي أن الله- سبحانه- جعل حقها بعد حقه- جل وعلا- ، فقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ الإسراء: ٢٣ – ٢٤.

١ رواه مسلم رقم ٦٨٦٤.

زوجةً: أمر بتكريمها ورعايتها من قبل زوجها، قال- صلى الله عليه وسلم- : ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))[1].

هـ- حرية المرأة في اختيار الزوج:

لقد حفظ لها الإسلام حقَّها في اختيار شريك حياتها؛ واحترام إرادتها في ذلك إذ أن هذا من أهم الأمور تأثيرًا في حياتها ومستقبلها، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((الأَيِّمُ أحقُّ بنفسها من وليِّها، والبِكْرُ تستأذن في نفسها، وإذنها صُمَاتُها))[2].

للمرأة شخصيتها في الإسلام:

كرَّم الإسلام المرأة، واعتبر لها شخصية تميزها عن غيرها، وأمرها أن تحافظ عليها، وذلك بأمور منها:

أ- أمر الإسلام بحجابها، بأن تغطي جميع جسمها عن الرجال الأجانب عنها؛ لئلا تصيبها السهام الخفية، فتخدش عفتها وطهرها، قال- تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ الأحزاب: ٥٩، وقال- تعالى- :

---

١ - رواه الترمذي كتاب الفضائل باب فضل أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- رقم (٤٢٦٩) وقال: حسن غريب صحيح، وابن ماجة كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء رقم (٢٠٥٣)

٢ رواه مسلم ١٠٩٧.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ النور: ٣١.

ب - حرَّم الإسلام خلوة الرجل غير المحرم بالمرأة، حتى ولو كان قريباً، كابن العمِّ وابن الخال وأخي الزوج ونحوهم، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحَمْوَ يا رسول اللهِ؟ قال- صلى الله عليه وسلم- : الحمو الموت))[1]، و الحَمْوُ: قريب الزوج.

ب- مكان المرأة في بيتها، قال- تعالى- : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الأحزاب: ٣٣ .

وهو وظيفتها، وميدان عملها، ومحل مسؤولياتها، فيه تحفظ بصرها، وتربي أطفالها، وتقوم بشؤون زوجها، وترعى مسؤولياتها، جاء في الحديث الصحيح: ((كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ....، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته))[2]، ولا يعني هذا أنها لا يجوز لها العمل مطلقا، بل لها أن تعمل في الميادين الخاصة بها، كالتدريس للنساء، والتطبيب لهن، والرعاية الاجتماعية لهن، ونحوها بالضوابط الشرعية، والقيام بحق زوجها هو أيسر طريق لها للوصول إلى جنة ربها، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((إذا صَلَّتْ

---

١ رواه البخاري رقم ٥٢٣٢، ومسلم رقم ٥٨٠٣.

٢ رواه البخاري رقم ٢٤٠٩، ومسلم رقم ٤٨٢٨.

المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت))[1].

وبتربيتها لأولادها تتضاعف حسناتها، وتشاركهم في ثواب أعمالهم الصالحة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا))[2].

ج- عند خروجها من منزلها ينبغي أن تلتزم بآداب الخروج، ومنها: محافظتها على حجابها، وسترها، وحشمتها ووقارها، وألا تخرج إلا لحاجة، وتخرج غير متعطرة ولا متزينة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إن المرأة إذا استعطرت، فمرّت بالمجلس، فهي كذا وكذا))[3] يعني زانية، ذلك لأجل ألاَّ يجد الشيطان مدخلاً لقلبها أو قلوب الرجال.

د- عند محادثتها للرجال الأجانب عنها ينبغي ألا تكون هذه المحادثة إلا لحاجة، وبأدب وعدم ليونة في الكلام أو تكسُّر، يقول - تعالى - : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ الأحزاب: ٣٢.

---

١ رواه الإمام أحمد ١٦٦١، وإسناده حسن.

٢ رواه مسلم رقم ٦٩٨٠.

٣ رواه الترمذي رقم ٣٠١٥، وأبو داود ٤١٧٥، والنسائي ٥١٤٣، والإمام أحمد ٢٠١٠٥، وإسناده صحيح.

أضرار الاختلاط:

مما سبق عرفنا تميُّز المرأة في الإسلام بشخصيتها التي أرادها اللهُ لها، ولذلك ما إن تختل هذه الشخصية حتى تقع أضرار ومفاسد كبرى.

ومن أهم الوسائل المؤدية لاختلال هذه الشخصية: اختلاط المرأة بالرجل الأجنبي عنها أي غير محرمها اختلاطاً يكون فيه خلوة بينهما من غير مَحْرم معها، وهذا الاختلاط وقعت فيه المرأة في كثير من البلاد في الشرق والغرب، فتعرضت للفساد وامتُهِن عرضها، ولُوِّثتَ كرامتها، وأبرزت دعاية في المتاجر والأسواق، وتكدَّر صفاؤها بدخان المصانع وغيرها، وابتذلت عفتها، والسبب الرئيس في ذلك هو خروجها عن فطرتها، وابتعادها عن منهج الله- تعالى- ، ويمكن تلخيص هذه الأضرار والمفاسد على المرأة والمجتمع من الاختلاط المحرم فيما يلي:

أ- يؤدي هذا الاختلاط إلى قيام علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة، ومن ثَمَّ تنتشر الأمراض الفتاكة في المجتمع، كالإيدز و غيره، مما هو منتشر في المجتمعات المختلطة.

ب- هذا الاختلاط يحوِّل المجتمع إلى مجتمع لهو وعبث ومُجُون وخلاعة.

ج- كثرة الطلاق وحصول الفراق بين الزوجين، لأن كُلاًّ منهما يجد سبيلاً لقضاء شهوته في مكان آخر، ولا يأسى على زوجه؛ لاتخاذه الأخدان من الأَخِلاَّءِ والخليلات.

د- ما يؤدي إلى الاختلاط من إنجاب الأولاد غير الشرعيين الذين لهم آثارهم السيئة على المجتمع.

٥- تفكك الأسرة، وضياع الأولاد، وعدم تربيتهم والقيامِ على شؤونهم.

و أخيراً نحمد الله- سبحانه وتعالى- الذي منَّ علينا بهديه القويم الذي فيه صيانة للأعراض، وحماية للأخلاق، ومحافظة على النسل، واستقامة في أمور الحياة بعامة في هذه البلاد التي امتنَّ الله عليها بأن كان الإسلام دينها ومحمد- صلى الله عليه وسلم- رسولها، والقرآن الكريم دستورها إ.هـ.

فالمنهج السلفي كما ترى قائم في شأنه كله على كتاب الله، وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وما كان عليه السلف الصالح؛ لأنه على يقين بأن هذا المنهج كامل صالح لكل زمان ومكان، شامل لكل نواحي الحياة، جالب للمصالح دافع للمفاسد، ولا نريد أن نعقد مقارنة بين وضع المرأة قبل الإسلام ووضعها بعده، ولكن المنصف إذا عقد مقارنة بين وضع المرأة السعودية ووضع غيرها ممن يُدَّعَى أنهن أخذن حقوقهن ليجد فرقاً شاسعاً في ذلك، يعرف هذا ويراه ويجزم به كل عاقل حكيم منصف، أما ضعاف البصر والسذج وسطحيو التفكير وأصحاب الشهوات فإنهم لا يرون هذا طبعاً، وإنما يرون العكس؛ لأن الميزان الذي يستخدمونه في وزن الأمور فاسد يحتاج إلى ميزان، فالناس اليوم كما يقولون أصبحوا في قرية واحدة، فكلنا رأى حال المرأة الغربية التي يراد أن تكون أسوة وقدوة للمرأة السعودية، فقد ظلمها المجتمع الغربي أعظم الظلم، ظلمها أولا في حجب العقيدة الصحيحة عنها، قال- تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٤٦ .

ثم ظلمها بإعطائها عقيدة فاسدة تخالف العقل، ففرت منها إلى الإلحاد.

وظلمها بإفساد عباداتها ، فهي تعيش عمراً طويلاً لم تسجد لله سجدة. ولم تقل يوما : ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

وظلمها بإفساد فطرتها التي خلقها الله- تعالى- عليها ، وتوافق طبيعة جسدها.

وظلمها بجعلها فريسة سهلة في أيدي الذئاب في المرحلة الثانوية والجامعية ، ولا ينكر هذا إلا مكابر أو جاهل ، حتى سبب لها هذا الظلم أمراضاً نفسية خطيرة حاول المجتمع تخليصها منها فلم يستطع منعه مع أنه فرض أقسى العقوبات لجريمة الاغتصاب ، لكن هذه العقوبة على شدتها لم تردع أولئك الذئاب ؛ لأن كثيراً من النساء المسكينات يخفن أن يرفعن أمرهن إلى المحاكم خوفًا من أولئك الذئاب ، ولذلك فإن نسبة الجريمة عندهم عالية جداً.

ثم ظلموها بتركها وحيدة في تلك المجتمعات المادية القاسية بلا ابن بارٍ يرعاها ، ولا أخٍ غيورٍ يخاف عليها ، ولا أبٍ حنونٍ يحفظها ، والواقع والحس يشهد بشقائها العظيم ، ولا يكذب الحس إلا ناقص العقل ، وقد قرأت هذا المبحث وقت إعداده على بعض الطلبة الدارسين في مرحلة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية ، وهم من أصول غربية ، ممن عاش في الجاهلية وقتاً من عمره قبل الهداية للإسلام ، فقال بعضهم : إننا لا نجد كلمات نستطيع أن نعبر بها عن الوضع السيئ الذي تعيشه المرأة الغربية ، فهي تعيش في شقاء دائم في مجتمعات لا ترحمها ، ولا تعطف عليها أبداً ، بل تهينها إهانة شديدة ، فاعتادت المرأة على هذه الإهانة ، وصارت تبذل نفسها في مقابل أصغر مصلحة تريدها ، فتولد عن هذا أطفال كثيرون جداً بلا آباء ، فقلت له : يقول بعض الشعراء :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيـلام

فقال: نعـم والله يـصدق عليهن هـذا البيت وأكثر، بـل بلـغ الحـال بكـثير منهن إلى بغض الرجال، وعدم الإقبال على الزواج، بل ورفضته تماماً؛ لأنها لا تريد أن تحب رجلاً أبداً؛ لكثرة ما رأت من فساده وظلمه، ثـم قـال: والله إن الأمر أخطر من هذا بكثير، وفوق ما يتصوره العقل البشري أ.هـ.

قلت: فكيف يراد من نساء مؤمنات صالحات مستورات قد أخذن حظهـن من العلم الشرعي والعلم الدنيوي وصـرن سيدات آمـرات ناهيات في بيـوتهن وأماكن عملهن المشروعة أن يتركن هذا الستر، وهذا الطهـر والعفـاف، وهـذه الاسـتقامة والتوحيـد، وهـذه الأسـر المباركـة حيـث التـآلف والحنـان والمـودة والرحمة وحيث الجنة تحت أقدام الأمهات يتركن هذا الخير كله، ويخـرجن إلى الشوارع كاسيات عاريات مـائلات مميلات نعـوذ بـالله مـن العمـى، فمـن كـان يرضـى لأهلـه ذلـك فـإن الله لا يرضـى لإمائـه المؤمنـات ذلـك، ولا يرضـى المؤمنون لأعراضهم ذلك، وقد كنا قبل أن يكـون العـالم قريـة واحـدة بـسبب سـهولة الـسفر والانتقـال، وبـسبب وسـائل الاتـصال المباشـرة كنـا نحتـاج إلى شواهد على ما نقول مـن كـلام الغـرب رجـالاً ونـساءً، أمـا اليـوم فـنحن نـرى بأعيننا، ونسمع بأذاننا سوء حالهن، نعوذ بالله منها.

فنحن- ولله الحمد والمنة- في هذه البلاد قد أخذنا بأسباب الحضارة المادية، مع تمسكنا بثوابتنا، وما فاتنا وفات نساءنا إلا النزر اليسير مما لا نحتاج إليه من الحضارة المادية، أو أن فقده لا يضر، ووجوده لا ينفع، فهو ترف لا قيمة له مقابل ما نحن فيه من عقيدة صحيحة وعبادة صحيحة ومعاملات صحيحة وأخلاق صحيحة وأعراض صحيحة وأنساب صحيحة، والتي هي

في الحقيقة الغاية والمطلب، وعليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة، ولا نزكي أنفسنا، ولسنا بمعصومين، لكن هذا الكلام خرج مخرج العموم، والحديث عن أصل المنهج من حيث هو منزل من الله- سبحانه وتعالى- ، وموافق لمصالح العباد في الحال والمعاد، أما من حيث التطبيق فإن الناس عندنا مابين متمسك ومتساهل كما قال- تعالى- : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢، فهذه الآية توضح حال المسلمين بالنسبة لتمسكهم بدينهم، وأنهم على درجات ثلاث، ولكن بحمد الله وفضله كل هذه الدرجات ناجية يوم القيامة.

نسأل الله الثبات، وأن يبصر أبناء جلدتنا إلى هذا الواقع الذي جهلوه أو تجاهلوه بشبهة أو شهوة.

المبحث الخامس

اتهام المنهج السلفي في المملكة بإقصاء الآخر

إقصاء الآخر من المصطلحات التي أصبحت تتكرر كثيراً هذه الأيام في كتابات الناقدين للوضع الحاضر في كثير من بلاد المسلمين مع كثير من مرادفاتها، كقولهم بضرورة إعطاء الآخر حرية التعبير، وقبول الآخر، وقبول قول الآخر، وعدم إلغاء الآخر، ووجوب التعايش مع الآخر، والتحذير من المنهج الإقصائي والإقصائيين، وهي ترجمة حرفية لبعض مصطلحات الفلسفة القديمة والحديثة، فمن مصطلحات الفلاسفة:

الهوهو، الغاير، الغير، الخلاف، الغيرية

جاء في المعجم الفلسفي:

لفظ الغير في علم النفس مقابل للفظ الأنا، فكل ما كان موجوداً خارج الذات المدركة، أو مستقلاً عنها كان غيرها، ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج الأنا اسم اللاأنا أو الآخر، فالأنا هي الذات، والفكرة في الموضوع الخارجي هو الآخر[1].

وجاء في تعريف كلمة غير في معجم مجمع اللغة العربية:

أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو مميز عنه، ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة الشيء، والغيرية صفة

١ المعجم الفلسفي مادة "غير".

ما هو غير، وتقابل الهوية، فالذي يقابل الواحد من جهة ما هوهو في الغيرية[1].

ولذلك قام ما يسمى بإشكالية الغير أو الهوهو أو الغاير أو الخلاف عند الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين، وتحت هذه الإشكالية عدة أمور:

١- تعريف الغير.

٢- وجود الغير.

٣- معرفة الغير.

٤- العلاقة مع الغير.

٥- تحديد الغير.

والمجال مفتوح عندهم للجدل والزيادة والنقصان كما هو معلوم من حال الفلاسفة، حيث لا يكادون يتفقون على شيء معين، حتى في باب الضرورات العقلية، فكل بجهله يدلي بدلوه، قال- تعالى- : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢.

وفرح بهذا الجهل أقوام أتوا بعدهم، فظنوه شيئاً، فزادوا فيه، ونقصوا منه؛ إخضاعا له لواقعهم على مر العصور إلى زماننا هذا، حتى نقله منهم بعض أبناء جلدتنا المتكلمين بألسنتنا، فحاولوا جعله منهجاً للتعامل في البلاد الإسلامية مع الكفار في الخارج والداخل، وفي معاملة أهل الإيمان والاستقامة لأهل الفسق والخيانة، وفي معاملة أهل السنة والجماعة لأهل البدعة والفرقة،

---

١ المعجم الفلسفي- مجمع اللغة العربية – القاهرة.

وفي معاملة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر للآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف، ممن يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ النور.

والذي يهمنا في هذا المبحث بيان مراد من يطلق هذه المصطلحات الرنانة الطنانة في بلادنا المملكة العربية السعودية القائمة على المنهج السلفي المبني على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهدي السلف الصالح، ولنا من هذه المصطلحات وقفة طويلة، فنقول:

تحديد مصطلح الآخر

لا بد قبل أن نبين الموقف الصحيح من الآخر من معرفة لماهية الآخر، حتى نقدره قدره، وهذا ينبني على معرفة الأنا، وكما مر معنا فإن معرفة الغير خير وسيلة لمعرفة الأنا، ومفهومه، فإن معرفة الأنا خير وسيلة لمعرفة الغير، فمن (الأنا) الذي يجب عليه ألا يقصيَ الآخرَ في بلادنا المملكة العربية السعودية.

نقول: إن كان أصحاب هذا المصطلح يقصدون بالأنا حكومة المملكة العربية السعودية، وبالآخر مواطنيها على اختلاف عقائدهم وثقافاتهم وأصولهم العرقية، وموقفهم من تأسيس هذه الدولة المباركة، فإن مَنْ زعم أن الدولة تقصي أو تهمش أو تلغي أو لا تتعايش مع جميع مواطنيها، أو أنها تظلم فئة، وتغلو في فئة، فإن الواقع والحس يكذب هذا، وانظر إلى النظام

الأساسي للحكم ؛ لتعرف حقيقة المنهج السلفي الذي قامت عليه هذه الدولة المباركة :

المادة الأولى : المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولغتها هي اللغة العربية ، وعاصمتها مدينة الرياض.

المادة السابعة : يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة.

المادة الثامنة : يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية.

المادة الحادية عشرة : يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله ، وتعاونهم على البر والتقوى ، والتكافل فيما بينهم ، وعدم تفرقهم.

المادة الثانية عشرة : تعزيز الوحدة الوطنية واجب تمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

المادة الثالثة والعشرون : تحمي الدولة عقيدة الإسلام ، وتطبق شريعته ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

المادة الرابعة والعشرون : تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما ، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

المادة الخامسة والعشرون: تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة، وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة.

المادة التاسعة العشرون: ترعى الدولة العلوم والآداب الثقافية، وتعنى بتشجيع البحث العلمي، وتصون التراث الإسلامي والعربي، وتسهم في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

المادة الحادية والثلاثون: تعنى الدولة بالصحة العامة، وتوفر الرعاية الصحية لكل مواطن.

المادة الثانية والثلاثون: تبني الدولة القوات المسلحة، وتجهزها من أجل الدفاع عن العقيدة والحرمين الشريفين والمجتمع والوطن.

المادة السادسة والثلاثون: توفر الدولة الأمن لجميع مواطنيها والمقيمين على إقليمها، ولا يجوز تقييد تصرفات أحد أو توقيفه أو حبسه إلا بموجب أحكام النظام.

المادة التاسعة والثلاثون: تلتزم وسائل الإعلام والنشر وجميع وسائل التعبير بالكلمة الطيبة، وبأنظمة الدولة، وتسهم في تثقيف الأمة، ودعم وحدتها، وبحظر ما يؤدي إلى الفتنة والانقسام، أو يمس بأمن الدولة وعلاقتها العامة، أو يسيء إلى كرامة الإنسان وحقوقه، وتبين الأنظمة كيفية ذلك[1].

فهذه بعض مواد النظام الأساسي الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية، فهل ترى فيها أي إقصاء أو إهانة أو إلغاء لمواطنيها؟ أم أن النظام

---

١ النظام الأساسي للحكم من موقع وزارة الخارجية في الشبكة العنكبوتية.

ينص على العدل والمساواة حسب الضوابط الشرعية مع جميع فئات المجتمع، ويكفل المساواة لجميع أفراده، ولذلك فإن الأنا هنا هو الآخر والآخر هو الأنا؛ لأن المواطن في الحقيقة هو السلطة التنفيذية لمنهج هذه الدولة القائم على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- وهدي السلف الصالح.

فإن قالوا: فإننا نعني بالأنا جميع قنوات التعليم الرسمية في المملكة العربية السعودية، وجميع وسائل الإعلام الرسمية، وجميع وسائل الإفتاء الرسمية، وجميع ما يصدر عن أئمة الحرمين الشريفين وخطباء المساجد، وما يكون فيها من مناشط علمية أو دعوية، وجميع ما يصدر عن المراكز العلمية والملتقيات الثقافية الرسمية من عقائد وأفكار تسير وفق نظام الدولة الذي رأيت فيما سبق طرفاً منه، وما يصدر عن المحاكم الشرعية من أحكام تتعلق بالجانب الفكري والعقدي.

قالوا: والآخر كل من خالف هذا كله باعتقاده أو قلمه أو لسانه أو عمله.

قالوا: فالأنا هنا قد أقصى الآخر ودعا إلى إقصائه وحاول إلغاءه وتهميشه، ولم يعطه حرية لإبداء فكره ورأيه.

هذا والله أعلم مراد هؤلاء من إشاعة هذا المصطلح.

فالجواب على هذا:

أننا متفقون على أن جميع هذه القنوات العلمية والثقافية والدعوية سالفة الذكر تمثل النظام الشرعي الذي قامت عليه هذه البلاد، والمستمد من كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، والذي يجب على الحاكم المسلم أن يطبقه على من تحت يده على قدر طاقته، وعامة شعب هذه البلاد

يحب هذا ويرضاه، ويقوم على نشره والعمل به والدعوة إليه فمن هو الآخر هنا؟.

فالجواب أن الآخر هنا من لم يرض بهذا النظام المبارك المستمد من الكتاب والسنة، وهم على درجات منهم الكفار الأصليون من اليهود والنصارى، وهذا أمر طبيعي أن يكره غير المسلمين من اليهود والنصارى والوثنيين الإسلام، ويتهموه جهلاً بأبشع التهم تكبراً وحسداً، ولن ننال رضاهم ولا حبهم ولا تزكيتهم إلا إذا تركنا ديننا أصولاً وفروعاً، وصرنا أذناباً لهم، فالحلال ما أحلوه، والحرام ما حرموه، قال- تعالى- : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٩، وقال- تعالى- : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٢٠، فكيف يراد من أهل الهدى والصلاح اتباع دين أهل الضلال الحسدة؟.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على الطريقة المثلى للتعامل مع هؤلاء في السلم والحرب، والمنشط والمكره، والاضطرار والاختيار، وبينت الموقف الشرعي مما ورد منهم من معتقدات وأفكار، والموقف الشرعي مما ورد منهم من أمور دنيوية لا علاقة لها بالجوانب الدينية بيانًا شافياً واضحاً امتثلت منه بلادنا ما استطاعت من ذلك، ودخلت في المعاهدات الدولية والمواثيق الرسمية، وسارت بشعبها سيرة مباركة، جمعت بين التمسك بالثوابت والأصول، والاستفادة مما عند الآخر من حضارة مادية دنيوية نافعة، فأنت

كما ترى بلادنا - ولله الحمد والمنة - قد صارت مضرب المثل في المناهج التعليمية والحضارة المادية من مصانع ومراكز بحث ومراكز اقتصادية وتجارية وتطور في جميع المجالات العلمية والطبية والعمرانية والسياحية بما لا يتعارض مع ثوابتها ونظام الحكم فيها.

وهذا دليل على أننا نتعامل مع الآخر التعامل الأمثل، وهذا لا يتعارض أبداً مع كتاب الله، ولا مع سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا مع منهج السلف الصالح الذي تسير عليه هذه البلاد، وليس أدل على ذلك من نصرة علماء الأمة وأهل الحل والعقد لهذه الدولة المباركة، والقيام بواجب السمع والطاعة، والدعوة إلى ذلك، والتحذير من مخالفته، وإعطاء ولي الأمر حقه في الاجتهاد والموازنة بين المصالح والمفاسد، فأنت ترى بعد ذلك أننا لم نُقْصِ الآخرَ على هذا المعنى، بل أعطيناه حقوقه، وأخذنا منه ما ينفعنا، ضمن حدود شرعنا وضوابطه، ولا زالت بلادنا - ولله الحمد - على علاقة طيبة مع جميع بلاد العالم سياسياً وعسكرياً وتجارياً وثقافياً، ويفدون إلينا، ونفد إليهم، ونراهم في بلادنا صباح مساء، هداهم الله لهذا الدين وكفى الله المؤمنين شرهم. فأين إقصاء الآخر؟.

فإن قلنا: إن الآخر هو مَنْ أبغض أو خالف هذه الثوابت من أبناء هذا البلد والمنتسبين إليه، الحاملين لهويته الوطنية، المتأثرين بالشبهات المتوارثة، أو الشهوات أو الشبهات المستوردة، فلماذا يقصون ولماذا تكبل حرياتهم؟.

فالجواب: أن الآخر في هذا الحالة ملتزم بنظام يحكمه، ويحدد تصرفاته الظاهرة، شأننا في ذلك شأن جميع الدول في العالم العربي والإسلامي

والغربي والشرقي، فلكل دولة نظام يجب على رعاياها اتباعه، والعمل به، وتلزم المخالف لذلك النظام الدخول فيه بالقوة الجبرية.

جاء في النظام الأساسي للحكم:

المادة السادسة: يبايع المواطنون الملك على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره.

المادة التاسعة: الأسرة هي نواة المجتمع السعودي ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية، وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر واحترام النظام وتنفيذه، وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد.

فإذا كان الآخر مخالفاً لظاهر الكتاب والسنة اللذين هما أساس الحكم فلا إكراه في الدين، لكن لا يجوز له أن يخالفهما ظاهراً، فإن فعل ذلك فإنه عرضة لأحكام النظام المبني على الكتاب والسنة، وليس في هذا إقصاء، وإنما هو إقامة للنظام والعدل، وحماية للمجتمع الذي من مهام الدولة حمايته، شأننا في ذلك شأن جميع الدول العالمية الأخرى، ويكون الآخر في هذه الحالة هو الذي أقصى الأنا وهمشه، ولم يقبل قوله، ولم يعطه حرية التعبير، ولم يرض بالتعامل معه.

هذا على وجه الإجمال، أما على وجه التفصيل فمن هو الآخر الذي يرى هؤلاء إعطاءه حرية التعبير؟ أهو كل من خالف ما عليه أهل هذه البلاد أم يسمح لبعضهم ويمنع بعضهم؟.

فإن كان الجواب الأول، وهو وجوب السماح لكل صاحب فكرة أو عقيدة بإظهار فكرته وعقيدته، فإن هذا سيؤدي إلى فساد عظيم، فإن كثيراً من هذه الأفكار متعارضة متضاربة، تحمل ثقافات متباينة، يبني عليها معتقدوها أعمالاً تصل إلى استباحة دم الآخر وعرضه وماله، فهل يعقل أن يترك الأنا الآخر يسعى في الأرض فساداً ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد.

ولو ترك الأنا للآخر التعامل مع كل مخالف لفكره حسب ما يعتقد لأهلك الآخر نفسه بنفسه، ولكنْ حمايةً للآخر من الآخَرِ قامت هذه الدولة المباركة السلفية بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، وإلزام كل طرف من أطراف الآخر بالوقوف عند حده الذي حده الله- تعالى- له، قال- تعالى- : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥١

وبشفافية تامة أقول: لو تركت الدولة الحرية لأهل الغلو فيها بإظهار ما يعتقدونه في بعض أهل البدع، أو فيمن يسمى بالتيار الليبرالي ممن يكفره هؤلاء الغلاة بدون تثبت أو عرض على محكمة لحدثت فتن لا يعلم إلا الله- عز وجل- حدها، وربما يكون العكس صحيحاً، فلو تركت الدولة الحرية لبعض المبتدعة في إظهار عقائدهم وولائهم وبرائهم وما يلزم ذلك من تعامل عنيف مع من يخالفهم من المذاهب الأخرى لوقع من ذلك شر عظيم، كما هو مشاهد عياناً في بعض البلاد الإسلامية المجاورة، خذ العراق مثلاً على ذلك.

فماذا يريد الآخر أعظم وأعدل من هذا المنهج السلفي المبارك الذي حمى الله به دماء الجميع وأموالهم وأعراضهم، والذي تقوم هذه الدولة المباركة بتطبيقه على قدر طاقتها، اللهم اهْدِ قومي، فإنهم لا يعلمون.

هذا كله من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية، فإننا نرى الآخر على اختلاف معتقداته المتوارثة أو المستوردة في حرية تامة في معتقداته وأعماله وأفكاره ضمن الحدود المسموح بها شرعاً، وهو كغيره في كل المصالح الدنيوية، لم يفته بسبب كونه من الآخر شيء من حطام الدنيا، بل إن مخالفة الأنا والكون مع الآخر قد صارت باباً من أبواب الدنيا، ولا سيما عند الآخر الذي يستورد أفكاره من الغرب، وينقد ويطعن في الأنا، وكلما زاد طعنهم ونقدهم لثوابتنا زاد ما يصلهم من حطام الدنيا الزائلة ممن جعلوه إماماً وقدوة، والواقع يشهد بهذا، فهذه القنوات الفضائية قد فتحت أبوابها لهذا الآخر ليقول ما شاء متى شاء، ويطعن فيمن شاء، ولم يسلم من طعنهم ونقدهم أحد حتى ذات الله- سبحانه وتعالى- ، شأنهم في ذلك شأن أسيادهم من اليهود والنصارى الذين حكى الله عنهم في القرآن الكريم قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ المائدة: ٦٤.

فهل يعقل أن يترك هذا الآخر ليفسد عقائدنا ويطعن في ثوابتنا؟ لا لمصلحة دنيوية، وإنما إرضاء للآخر الحقيقي الذي هو في الحقيقة آخر يحرص على إنهاء- لا إقصاء- الآخر، والسيطرة على خيراته ومقدراته والاستيلاء على أرضه واستعمار شعوبه.

فتبين بعد هذا براءة المنهج السلفي في المملكة من تهمة إقصاء الآخر المفتراة بل إن تعامله مع كل الأطياف والأفكار والعقائد وفق الضوابط الشرعية الصالحة لكل زمان ومكان ظاهر على قدر طاقته، فإن الله لا يكلف نفساً إلى وسعها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فقد يسر الله - عز وجل - بفضله إتمام هذا البحث المتواضع في هذا الموضوع المهم، والذي يحتاج في الحقيقة إلى دراسة تفصيلية لكل جانب من جوانبه؛ لحاجة الأمة الماسة إلى ذلك؛ لأننا نعتقد جازمين أن آخر الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، فنشكر الله - سبحانه وتعالى - على أن يسر لنا هذه الدولة المباركة القائمة على منهج السلف الصالح، ونسأله - سبحانه - أن يثبتها وأن يسددها وأن يعينها، وندعو جميع العلماء والدعاة والمفكرين إلى الإسهام بهذا الأمر العلمي العظيم، وتحقيق ما أراد الله - سبحانه - من عباده من إقامة دينه في أرضه، وإعانة هذه الدولة المباركة في السير بثبات أمام هذه التحديات العظيمة، والحرص على فضح المخالفين، والرد العلمي المؤصل عليهم، ورد شبهاتهم وأفكارهم، فإن الجميع في سفينة واحدة، والله المؤمل لذلك كله، وحده لا شريك له، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



المنهج السلفي والنظام العالمي الجديد

دراسة من فقه واقع المملكة العربية السعودية

إعـداد

د. هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

الأستاذ المشارك بقسم الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠- ٧١]. أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله علية وسلم- ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

توطئة لا بد منها:

كان العالم - قبل إنهيار الاتحاد السوفيتي - يعيش في حالة من توازن القوى من جانب وفي خضم حرب باردة وتنافس وسباق تسلح بين قوتين عظميين من جانب آخر.

ولكن بعد انهيار وتفتت الاتحاد السوفيتي واختفاء اسمه من على خريطة العالم وسقوط الأيديولوجية[1] الشيوعية، حصلت للغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية فرحة عظيمة بهذا الانتصار العظيم على الاتحاد السوفيتي والشيوعية التي كانت تقف في مواجهة الحضارة الغربية، وبخاصة بعد ما كان تحقيق هذا الانتصار بعد صراع طويل وتنافس شديد وهاجس خوف دام لفترةٍ طويلةٍ من الزمن.

وبسقوط وانهزام الشيوعية؛ ظن الكثيرون أن آخر القلاع التي كانت تقف في مواجهة الحضارة الغربية بكل قيمها وأنظمتها قد سقطت، وظنوا أن القيم الغربية – بعد هذا - لن تجد عوائق جديدة تحول دون انتشارها ودون تداعي الشعوب والأمم على محاربتها، حتى أعلن "فوكاياما"[2] عن نهاية التاريخ - في زعمه- وأن الحضارة الغربية سوف تكتسح العالم، وبادر بوش الأب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، بعد انتهاء حرب الخليج

---

(١) الأيديولوجيا علم الإجتماع السياسي، أو العقيدة السياسية أو الفكرية: هي مجموعة منظمة من الأفكار تشكل رؤية متماسكة شاملة وطريقة لرؤية القضايا والأمور التي تتعلق بالأمور اليومية أو تتعلق بمناحي فلسفية معينة سياسية بشكل خاص. انظر عبر الأنترنت موقع الموسوعة الويكيبيديا على الرابط التالي: www.ar.wikipedia.org

(٢) يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما، كاتب، ومفكر، أمريكي الجنسية، من أصول يابانية، ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية، عام ١٩٥٢م، يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد، من كتبه: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، والانهيار أو التصدع العظيم.

انظر الموسوعة العالمية ويكيبيديا على الرابط التالي: www.ar.wikipedia.org

الثانية عام ١٩٩٠- ١٩٩١م، فأعلن أن العالم يتجه للقطب الواحد الذي تدور الدنيا كلها حوله، وذلك تحت مظلة النظام العالمي الجديد.(١)

وطوال تلك الفترة والولايات المتحدة الأمريكية تحاول استغلال أي حدث لصالحها وفرض هيمنتها عليه، فجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فوضفتها أمريكا لصالح هيمنتها على العالم، فتم القضاء على حكومة طالبان في أفغانستان، وتم غزو العراق بحجة التفتيش عن أسلحة كيميائية، إلى غير ذلك.

وبعد مضي قرابة العشرين سنة من الإعلان عن النظام العالمي الجديد، وبالتحديد في هذا العام ٢٠١١م قامت الثورات الشعبية على الحكومات العربية، وتم إزاحة رموز الظلم والإستبداد وبمباركة من الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، وتمكنت بعض الشعوب العربية من تقرير مصيرها، وسمح لها ممارسة العمل السياسي، فخرجت الجماعات والأحزاب لتشارك في صنع القرار، وكان ممن خرج الجماعة التي تحمل المنهج السلفي، فظهر من يتحدث عن المنهج السلفي في مواجت الغرب وأنه منهج عقيم بالي، لا يتوافق مع الديمقراطية التي تنشدها الشعوب المستضعفة، ولا يصلح لأن يكون منهج حياة في العصر الحاضر، على حدِّ زعمهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه - بعد الإعلان عن النظام العالمي الجديد- وبعد هذه الثورات الشعبية في بعض الدول العربية: ما موقع المنهج السلفي في

---

(١) النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ياسر أبو شبانة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص: ٣١.

النظام العالمي الجديد، وهل يتعارض معه، وما هي حقيقة هذا النظام العالمي الجديد، وما هي المعوقات التي تعترض في طريقه، وما حجم الصراع الدائر بين الحضارة الإسلامية الموافقة للمنهج السلفي والحضارة الغربية، وما وسائل المسلمين لخوض مثل هذا الصراع، وما هو واقع المملكة العربية السعودية في ذلك؟

هذا ما أنا بصدد الإجابة عنه والكتابة حوله، ومن هنا كان لهذا الموضوع أهميته البالغة في بيان حقيقته وتوضيح ملابساته وملامحه، وجاء مؤتمر [**السلفية منهج شرعي ومطلب وطني**] والذي تنظمه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ليؤكد على أهمية هذا المنهج الرباني، وأنه شامل لجميع أمور الحياة الدينية والدنيوية.

وقد استعنت بالله تعالى ورأيت أن أشارك في المؤتمر بكتابة بحث في المحور الأول، وقد جعلت عنوانه: (**"المنهج السلفي والنظام العالمي الجديد" دراسة من فقه واقع المملكة العربية السعودية).**

وقد جعلت البحث في مقدمة، وأربعة فصول هي على النحو التالي:

المقدمة وتشمل:

١- أسباب اختيار الموضوع.

٢- خطة البحث.

٣- منهج البحث.

الفصل الأول: المنهج السلفي تعريفه، نواحيه ومميزاته

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المنهج السلفي وبيان أهمية إتباعه.

المبحث الثاني: الأصول العلمية والقواعد التي يشملها المنهج السلفي.

المبحث الثالث: السمات والميزات التي يتميز بها المنهج السلفي.

الفصل الثاني: النظام العالمي الجديد تعريفه ومعوقاته

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف النظام العالمي الجديد.

المبحث الثاني: معوقات النظام العالمي الجديد.

الفصل الثالث: بين المنهج السلفي والنظام العالمي الجديد

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النظام العالمي الجديد ومدى مصادمته للمنهج السلفي.

المبحث الثاني: الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

المبحث الثالث: وسائل المنهج السلفي للتعامل مع الغرب حضارياً.

الفصل الرابع: التطبيق العملي من واقع المملكة العربية السعودية في تطبيقها للمنهج السلفي.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

هذا هو المخطط الذي سأسير عليه، وسأسلك في هذا البحث منهجاً أرجو من الله تعالى أن أكون وفقت إليه، وخلاصته كالتالي:

١- إذا كانت المسألة خلافية فإني أذكر أقوال أهل العلم (في المسألة المختلف فيها) مقتصراً على المذاهب الأربعة، وأوثق كل مذهب من مرجعه الأصلي قدر الإمكان.

٢- أذكر كل قول من أقوال المذاهب مع دليله مرتباً على حسب الزمن.

٣- أناقش الأدلة بعد ذكر المذاهب وأدلتها وأبين الراجح مع بيان سبب الترجيح.

٤- أعزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها مع بيان رقم الآية.

٥- أخرّج الأحايث والآثار الواردة في البحث، وما كان في الصحيحين أو أحدهما فإني أقتصر على ذكره مع ذكر الكتاب والباب، وما كان في غيرهما فإني أذكر تخريجه وأقوال أهل العلم في ذلك مع الإحالة إلى المرجع الأصلي في ذلك.

٦- أذكر المعاني اللغوية للكلمة التي تحتاج إلى إيضاح، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الأصيلة.

٧- ذيلت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

أما المراجع فقد فهرستها أبجدياً، ثم ختمت ذلك بفهرس الموضوعات الواردة في البحث.

ولا أزعم في ما أحرر وأقرر أن ما وصلت إليه في بحثي هو حكم الله الحق قطعاً وجزماً، إنما شأني كشأن غيري ممن استفرغ وسعه، وبذل غاية جهده في البحث، فإن أصبت فذلك فضل من الله وحده وتوفيقٌ أحمده عليه أصدق الحمد، وأشكره أجزل الشكر، وإن أخطأت كان عذري أنني قصدت إلى الحق ابتغاء وجه الله تعالى، وإسهاماً في التمكين لشريعته، ولم آلُ في ذلك جهداً، ثم أسأل من يطالعه أن يبادر في تنبيهي عن الخطأ، فالكل معرضٌ للخطأ، وجلَّ من لا يخطئ، و إنما الأعمال بالنيات، وعلى الله قصد السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

المنهج السلفي تعريفه، نواحيه ومميزاته

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المنهج السلفي وبيان أهمية إتباعه.

المبحث الثاني: الأصول العلمية والقواعد التي يشملها المنهج السلفي.

المبحث الثالث: السمات والميزات التي يتميز بها المنهج السلفي.

المبحث الأول

تعريف المنهج السلفي وبيان أهميته

المنهج في اللغة:

من نهج ينهج، يقال: طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وَهُوَ النَّهْجُ؛ وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه.

والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ. قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً} [سورة المائدة، الآية: ٤٨]، والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ.

وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وَصَارَ نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً. ونَهَجْتُ الطريقَ: أَبَنْتُه وأَوضَحتُه. ونَهَجتُ الطريقَ: سَلَكتُه. وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه. والنَّهْجُ: الطريقُ المستقيمُ[1].

إذاً فالمنهج في اللغة العربية يطلق على الطريق المتصف بصفات أبرزها: الوضوح، والظهور، والاستقامة.

المنهج اصطلاحاً:

والمنهج في الاصطلاح الحديث: هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة، وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة[2].

---

(١) انظر مادة (نهج) في: معجم مقاييس اللغة ٥/٣٦١، مختار الصحاح ص: ٣٢٠، لسان العرب ٢/٣٨٣.

(٢) المعجم الفلسفي، يوسف كرم وآخرون، ص: ١٧٠.

وقيل : إنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[١].

السلف في اللغة :

قال ابن فارس : "السِّينُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمٍ وَسَبْقٍ. مِنْ ذَلِكَ السَّلَفُ : الَّذِينَ مَضَوْا. وَالْقَوْمُ السُّلَّافُ : الْمُتَقَدِّمُونَ. وَالسُّلَافُ : السَّائِلُ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ قَبْلَ أَنْ يُعْصَرَ. وَالسُّلْفَةُ : الْمُعَجَّلُ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ الْغَدَاءِ".[٢]

سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً : تقدَّم. والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ : الجماعَةُ الْمُتَقَدِّمُونَ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ[٣].

فكلمة السلف في اللغة العربية تدور حول الدلالة على التقدم ، والمضي ، والسبق الزمني.

السلف في الأصطلاح :

عرف التهانوي السلف بقوله : "السلف في الشرع اسم لكل من يقلد مذهبه الصحيح في الدين ويتبع أثره كأبي حنيفة وأصحابه فإنهم سلف لنا ، والصحابة والتابعين فإنهم سلفهم"[٤]

---

(١) مناهج البحث العلمي ، عبد الرحمن بدوي ، ط الثالثة ، ١٩٧٧م ، وكالة المطبوعات ، الكويت.

(٢) انظر مادة (سلف) في : معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣.

(٣) انظر مادة (سلف) في : معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣ ، مختار الصحاح ص١٥٢ ، لسان العرب ١٥٨/٩.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون ٧٤٨/١.

ومصطلح السلفية له أصل في الشريعة ألا وهو السير على نهج السلف الصالح، قال الإمام السمعاني : "السلفي ؛ بفتح السين واللام وفي آخرها فاء : هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سعمت منهم".[1]

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الحافظ أحمد بن محمد المعروف بـ أبي طاهر السلفي : " السلفي بفتحتين وهو من كان على مذهب السلف".[2]

فالمنهج السلفي هو الإسلام الحقيقي الذي ليس فيه فلسفات ولا اضافات بشرية ولا فهم شخص معين، وإنما هو منهج حياة رسمه لنا النبي - صلى الله علية وسلم- بقوله : «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّين».[3]

بيان أهمية إتباع المنهج السلفي :

إذن المنهج السلفي يعني اتباع كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله علية وسلم- على الطريقة التي كان عليها النبي - صلى الله علية وسلم- وأصحابه والتابعون لهم بإحسان وأتباع التابعين لهم بإحسان، من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان.

---

(١) الأنساب للسمعاني ٣/٢٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/٢١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: ٤٣، وابن أبي عاصم في السنة، برقم: ٤٨، والطبراني في الكبير ١٨/٢٤٧، والحاكم فب المستدرك ١/٩٦.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}[سورة الأعراف، الآية: ٣]، وقال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[سورة ص، الآية: ٢٩]، وقال عز وجل: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[سورة الأنعام، الآية: ١٥٥]، وقال عز من قائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}[سورة النساء، الآية: ٥٩]، وقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[سورة النور، الآية: ٦٣]، فذكر جل وعلا أن مخالفي أمر النبي - صلى الله علية وسلم- على خطر عظيم من أن تصيبهم فتنة بالزيغ والشرك والضلال، أو عذاب أليم.

وقال عز وجل: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[سورة الحشر، الآية: ٧]، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[سورة آل عمران، الآية: ٣١- ٣٢].

فهذه الآيات كلها تدل على وجوب اتباع كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- ، والأدلة على ذلك كثيرة.

ويجب أن يكون اتباع الكتاب والسنة على نفس المنهج الذي كان عليه السلف الصالح، وهم أصحاب القرون الثلاثة الأولى وعلى رأسهم رسول الله

- صلى الله علية وسلم- وصحابته الكرام ؛ لقول الله تبارك وتعالى : {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[سورة النساء، الآية : ١١٥].

قال الإمام الالباني : "الشاهد أن الله عز وجل ذكر هنا في الآية بالإضافة إلى قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} قال بعد ذلك: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} ، لماذا جاء بهذه الجملة {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} ؟

لماذا لم تكن الآية على النحو الآتي: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى) إلى آخر الآية؟

لماذا جاء بجملة: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} ؟

إن في ذلك لعبرة بالغة جداً ؛ ذلك لأن كل فرقة وكل طائفة على وجه الأرض اليوم، والتي بلغ عددها ثلاثاً وسبعين أو أكثر أو أقل، لا يهمنا، لكن الطوائف كثيرة وكثيرة جداً، كل طائفة من هذه الطوائف تدعي أنها على الكتاب والسنة، حتى آخر طائفة جديدة كمذهب يدعون أنهم على الإسلام وعلى الكتاب والسنة، مع أنهم من الذين يقولون بأن النبي - صلى الله علية وسلم- ليس خاتم الأنبياء، وإنما هناك أنبياء كثر، حتى هؤلاء يقولون: نحن على الكتاب والسنة، وقس على ذلك سائر الفرق قديماً وحديثاً، فما هو الحكم بين هذه الفرق كلها وكلها تدعي أنها على الكتاب والسنة؟

الجواب في الآية وفي الحديثين السابقين: الآية تقول: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} أي: إن أي طائفة تتبع غير سبيل المؤمنين الأولين الذين كانوا على هدى وعلى بصيرة من

دينهم، وإن زعمت هذه الطائفة أنها على الكتاب والسنة، فما دام أنها تخالف طريق المسلمين وجماعة المسلمين فهذا دليل على أنها من الفرق الضالة".(١)

ولقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[سورة التوبة، الآية: ١٠٠].

قال الإمام ابن جرير الطبري: "وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان، فهم الذين أسلموا لله إسلامهم، وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير".(٢)

وقال الحافظ ابن كثير: "فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية".(٣)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله علية وسلم- قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**». متفق عليه.(٤)

---

(١) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس رقم (٨)، على الرابط التالي:
www.islamweb.net

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبن جرير الطبري ١٤/٤٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٠٨.

(٤) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الطيب للجمعة، برقم: ٢٦٥٢، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم: ٢٥٣٣.

و قرنه - صلى الله علية وسلم- عصر الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم.

وفي الحديث عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه- قال صلى بنا رسول الله - صلى الله علية وسلم- ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا فقال - صلى الله علية وسلم- : **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»**.(١)

فهذه الأدلة كلها تدل على وجوب اتباع الكتاب والسنة على فهم ومنهج السلف الصالح، ولا نفهمهما بأهوائنا وكما نحب.

وأهم ما يدعو إليه هذا المنهج: توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشرك بكل أنواعه، واتباع سنة النبي - صلى الله علية وسلم- الصحيحه ومحاربة ما يخالفها من البدع والخرافات، والمحافظة على دين الله صافياً نقياً.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب فى لزوم السنة ٤/٢٠١ واللفظ له، وأخرجه الترمذى العلم، باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ٥/٤٤- ٤٥.

إضافةً إلى الحرص على جمع الكلمة والإلتفاف حول ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم، والصدق في التعامل والوضوح التام في التوجه، وهذا ما نحن بحاجه إليه خاصةً في هذا الزمن.

المبحث الثاني

الأصول العلمية والقواعد التي يشملها المنهج السلفي

المقصود بالأصول العلمية للمنهج السلفي أي القضايا الكلية التي يهتم بها هذا المنهج، ويجعلها نُصْبَ عينيه.

الأصل الأول: التوحيد:

فما بعث الله عز وجل رسولاً إلاَّ بالتوحيد، كما قال عز وجل: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}[سورة الزخرف، الآية: ٤٥]، وقال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]، وكل نبي قال لقومه: {اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[سورة هود، الآية: ٥٠]، فوظيفة الرسل وأتباع الرسل هي: أنهم يخرجونهم من عبادة غير الله ويعبّدونهم لله عز وجل، يعرفونهم التوحيد الذي لأجله خلق الله الخلق كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

وقد أهتم أصحاب المنهج السلفي بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهي التي جمعها الله تعالى في آية واحدة في سورة مريم في قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}[سورة مريم، الآية: ٦٥]، إذ هذا هو الأصل الذي أنزل الله تعالى لأجله الكتب وأرسل الرسل.

وقد غاب هذا الأصل عند كثير من المسلمين في هذا الزمن مع الأسف الشديد، فظهرت الأحزاب والجماعات التي تدعوا إلى مبادئ إما قومية أو إشتراكية أو علمانية أو لبرالية، وتم إغفال الجانب العقدي للفرد المسلم، أما المنهج السلفي فجانب الإعتقاد هو الأصل الأول وهو الأساس ومنه المنطلق لكل شيء.

الأصل الثاني: الإتباع:

والاتباع ضد الابتداع، ويقصد منه اتباع هدى وسنة النبي - صلى الله علية وسلم- ، قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [سورة الحشر، الآية: ٧]، وقال عز وجل: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [سورة النساء، الآية: ٨٩]، وقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦]، والأحاديث كثيرة وشهيرة فمن ذلك قوله - صلى الله علية وسلم- : «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي**».(١)

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه الإمام أحمد ١٢٦/٤- ١٢٧، وأبو داود ١٣/٥ برقم: ٤٦٠٧، والترمذي ٤٤/٥- ٤٥ برقم: ٢٦٧٦، وابن ماجه ١٥/١- ١٦، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الحاكم في المستدرك ٩٥/١: (هذا حديث صحيح ليس له علة). وأقره الذهبي على هذا. وصححه ابن قدامة في "الحث على السنن واجتناب البدع" وقال الحافظ ابن كثير في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب ص ١٦٣: (صححه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، والدغولي، وقال شيخ الإسلام الأنصاري: هو أجود حديث في أهل الشام وأحسنه) اهـ.

وهذا الأصل أيضاً غاب عن الكثيرين ، فنخرت عقائد المتصوفه والمبتدعة في جسد الأمة وشوهت العالم الإسلامي ، أما المنهج السلفي فقد عصمه الله تعالى بهذا الأصل الأصيل وهو إتباع الكتاب والصحيح من السنة والإجماع على فهم سلف الأمة ، فهذه هي مصادر التلقي عند السلف ، فلا تؤخذ العقائد والأحكام من المنامات أو الأحاديث الضعيفه أو من الأدلة الضعيفة التي يستدل بها المبتدعة على غير هدى.

الأصل الثالث : الجماعة :

ومنه جاء تسميتهم بأهل السنة والجماعة ، وهذا الأصل يشمل طاعة ولاة الأمور بالمعروف ، إذ أهتم المنهج السلفي بولاية أمور المسلمين ، واعتبرها من أهم واجبات الدين ، بها تقوم مصالح الدنيا والدين ، فإن بني آدم على اختلاف ألوانهم وألسنتهم لا تقوم مصالحهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعضهم إلى بعض ، وهم في اجتماعهم هذا لابد لهم من ولاة تساس بهم الرعية ، ويحفظ الأمن وتصان الحقوق وتحقن الدماء ، وتوفى العهود والمواثيق.

وإن من آكد حقوق ولاة الأمر السمع والطاعة لهم في المعروف فطاعتهم أصل عظيم أمر الله به في محكم التنزيل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنْكُمْ}[سورة النساء ، الآية رقم : ٥٩].

أما الخروج عليهم ونزع اليد من طاعتهم فإن المنهج السلفي يقف بحزم في هذه المسألة ، في الحديث عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله – صلى الله

وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ٢/٥٧٩. وصححه الألباني في " الإرواء " : (٢٤٥٥).

علية وسلم- : «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»[1]، فقد نقل ابن حجر الإجماع على عدم جواز الخروج على الحاكم حتى لو كان ظالماً فقال: "قال ابن بطال: وفى الحديث حجة على ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد اجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء".[2]

ونقل الامام النووى الإجماع على ذلك فقال: "واما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الاحاديث على ما ذكرته واجمع اهل السنه انه لاينعزل السلطان بالفسق".[3]

ولما اختل هذا الأصل عند البعض ظهرت الفوضى وكثرت الفتن وتشتت الكلمة وضاع الأمن، ولم يعصم الله تعالى من ذلك إلى من تمسك بهذا المنهج السلفي الصحيح.

الأصل الرابع: الدعوة وتبليغ الرسالة والحوار مع الآخر:

من أصول المنهج السلفي دعوة الناس إلى الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الطيب للجمعة ١٠٨٠/٣، برقم: ٢٧٩٧، ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٦٦/٣، برقم: ١٨٣٥.

(٢) فتح البارى ١٣/٧.

(٣) شرح النووى ٢٢٩/١٢.

بِالْمُهْتَدِينَ}[سورة النحل، الآية: ١٢٥]، وقال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦]، والتسامح فيما يسع الخلاف فيه، والحوار مع المخالف في الدين للوصول للحق، دون تنازلٍ عن ذلك الحق الثابت بالدليل الشرعي، مع الصبر على ذلك، والرغبة في هداية الناس جميعاً، متمثلين قول الله تعالى لنبيه - صلى الله علية وسلم- : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧].

وقد أخل بهذا الأصل جماعات وأحزاب مخالفة، وراحت تدعوا على غير هدى وعلى غير سبيل، وتعاملت مع الآخر تعاملاً فظاً غليظاً أدى إلى تشويه سمعة الإسلام والصد عن سبيله، وصدق الله تعالى إذ قال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

أما القواعد والأحكام التي يشملها المنهج السلفي فهي:

١- الأحكام العقدية، وهي التي تتعلق بالعقائد وأمور الغيب من صفات الله وصفات الملائكة والكتب السماوية والرسل والقدر واللوح المحفوظ وأحوال يوم القيامة وما فيها من جزاء الأعمال والجنة والنار، وغيرها من المغيبات التي لا تدركها عقول البشر، فلا إيمان بشيءٍ إلا قد دلَّ دليل الكتاب والسنة عليه وعلى وفق منهج السلف.

٢- الأحكام العملية، وهي المتعلقة بسلوك الفرد والجماعة، وما ينظم شؤون كل منهما، ويشمل العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة، كما

يشمل جميع النظم الإسلامية، كالنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، والنظام السياسي، والنظام الإداري، والنظام القضائي وغيرها من النظم المختلفة التي تنظم حياة الناس وفق شريعة الله، ويكون النظر فيها وفق ما جاء عن السلف الصالح من فهم ودراية.

٣- الأحكام الأخلاقية، وهي التي تتعلق بما يحث الفرد على التحلي بالفضائل والتخلي من الرذائل والحث على كل ما يحفظ الكرامة الإنسانية والبعد عن كل ما يمسها بسوء، على وفق ما جاء عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- .(١)

---

(١) النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة، د. حسن عبد الحميد عويضه، ص: ٥٠.

المبحث الثالث

السمات والمميزات التي يتميز بها المنهج السلفي

المنهج السلفي يقدم النقل على العقل مع إعتبار أن العقل السليم لا يخالف النقل الصحيح الصريح، فإذا قال الله عز وجل فلا قول لأحدٍ، وإذا قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- فلا قول لأحد، وأهل المنهج السلفي يحترمون ويتأدبون مع النص الوارد في الكتاب والسنة الصحيحة، عملاً بقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة الحجرات، الآية: ١].

أي: لا تقدموا قول أحد ولا هوى أحد على كلام الله عز وجل، أو كلام رسول الله - صلى الله علية وسلم- ، وهذا الفهم كان واضحاً جداً عند الصحابة g، حتى قال ابن عباس كلمة عظيمة قال: "توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله وتقولون: قال أبو بكر، وقال عمر"[١]، فكان هذا المنهج واضحاً عند الصحابةg، فإذا قال رسول الله -

---

(١) رواه إسحاق بن رهويه في مسنده كما في المطالب العالية ١/٣٦٠، رقم: ١٢١٤، ورواه ابن عبد البر في بيان العلم تعليقاً ص: ٥٧٠، ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/١٤٥، وأبو مسلم الكجي ذكره عنه ابن القيم في الزاد ٢/٢٠٦، من طريق أيوب عن ابن أبي مليكه عن عروة به قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح. وقد روى هذا الأثر معمر عن أيوب فأسقط ابن أبي مليكه، لكنّ الصواب ذكر ابن أبي مليكه كذا رواه حماد بن زيد عن أيوب، والله أعلم.

صلى الله علية وسلم- فلا اعتبار بأي قول يُخالف قوله، ولو كان قول أبي بكر أو عمر، وهما شيخا الإسلام والخليفتان الراشدان بعد رسول الله - صلى الله علية وسلم- ، مع العلم أنه لا يوجد من أقوال الخلفاء الراشدين ما يخالف قول النبي - صلى الله علية وسلم- .

وكان علي - رضي الله عنه- يقول: "لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخُفِّ أَوْلَى بالمسح من ظاهره"[1]، فالدين: بالنقل، وليس بالعقل، الشرع يقول: يمسح ظاهر الخف البعيد عن ملامسة الأرض والأتربة، ولو كان الدين بالعقل، لكان يمسح باطن الخف، ولا يمسح ظاهر الخف.

كما أن أصحاب المنهج السلفي يرفضون التأويل بالمعنى الاصطلاحي الذي هو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، يعني: مرجوح، فمثل هذا التأويل مردود عند أصحاب المنهج السلفي؛ لأن ظاهر الكتاب والسنة يجب القول به، والمصير إليه، لأننا لو فتحنا باب التأويل لانهدم الدين،

وأما اللفظ المذكور: وهو «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء»، فلم أجده في الكتب التسعة، وقد أورده شيخ الإسلام في الفتاوى ٢١٥/٢٠، ٥٠/٢٦، والإمام ابن القيم في إعلام الموقعين ٢٣٨/٢، والزاد ١٩٥/٢، والصواعق المرسلة ١٠٦٣/٣، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا، بهذا اللفظ من غير ذكر المصدر له، أو حتى إسناده.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٩/٢، وصححه الشيخ أحمد شاكر، وأخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه ١٨١/١، وأبو دَاوُد في الطهارة، باب كيف المسح، برقم: ١٦٢، وقال الشيخ الألباني صحيح، وأخرجه الدارقطني ١٩٩/١، والبيهقي ٢٩٢/١، وابن حزم في المحلى ١١١/٢.

ولكان لكل إنسان أن يقول: ظاهر الآية غير مراد، وظاهر الحديث غير مراد، إنما أراد الله عز وجل كذا، وإنما أراد رسول الله - صلى الله علية وسلم- كذا، كما فعلت الخوارج وغيرهم من أهل البدع، فيفتح باب من أبواب الشر.

كما أن أصحاب المنهج السلفي يعرفون بكثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث، فلا يؤصلون أصولاً من عند أنفسهم، ثم ينظرون بعد ذلك في الكتاب والسنة، فما وافق أصولهم أخذوا به، وما خالفهم أوّلوه أو ردوه، كما يفعل أهل البدع، ولكن أصحاب المنهج السلفي يجمعون النصوص من الكتاب والسنة في المسألة الواحدة، ثم تكون هي أصولهم التي بها يقولون، وحولها يدندنون، فهم لم يؤصلوا غير ما أصله الله - عز وجل- ، أو رسوله - صلى الله علية وسلم- .

لذلك الكتب التي تنسب إلى أئمة السلف ومن ينتهج بهذا المنهج الواضح الحق، يستدلون دائماً بالآيات والأحاديث، بخلاف الكتب الفكرية، وكتب أهل البدع، والكتب التي تقول بأشياء تخالف النصوص، فيرجعون إلى عقولهم، أو بعض الآراء التي يستطيعون أن يروجوا على الناس بها باطلهم.

وبذلك يتضح المنهج السلفي، يعتمد إعتماداً كبيراً على الكتاب والسنة، على فهم الصحابة وسلف الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

مميزات المنهج السلفي:

إن من أهم ما يتميز به المنهج السلفي ويفارق به المناهج الأخرى - باختصار شديد- ما يلي:

١) أن المنهج السلفي تابع ونابع من الوحي الإلهي، وحي الكتاب والسنة، وبالتالي منزه عن الهوى والخطأ والاضطراب والنقص.

٢) أنه متكامل ووافٍ بمطالب الحياة الإنسانية، لأن مرجعة الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

٣) أن المنهج السلفي عام لجميع الخلق وجميع العصور والأزمان، لأنه مرتبط بالتشريع الإسلامي الصادر من الكتاب والسنة الصحيحة، كما أن له خاصية النمو والارتقاء في فروعه العملية تجعله صالحاً لكل زمان ومكان، ويستوعب جميع الأطياف والمعتقدات المخالفة وفق ما جاء عن الشرع المطهر.

٤) أنه شامل للعقائد وما يتعلق بسلوك الإنسان العملي وسلوكه الأخلاقي والأنظمة التي تحكم جوانب حياة الإنسان المختلفة.

٥) أن المنهج السلفي يدعو للإجتماع وينبذ الفرقة والإختلاف، ويحرم كل مظاهر الفتن والوسائل المؤدية لها.

٦) المنهج السلفي يرى وجوب السمع والطاعة لكل من ولي شؤون المسلمين العامة، ويحرم الخروج على الحكام والسلاطين وإن كانوا جائرين أو ظالمين، وتعتبر هذه الميزة التي تميِّز المنهج السلفي عن غيره من المناهج الأخرى؛ أصل من أصوله التي يعتمد عليها في دعوته ونظامه.

٧) يتميز المنهج السلفي أيضاً بأن العقل لا يقدم على النقل، وأنهما لا يختلفان إذا صح النقل وسلم العقل من الآفات، ومع هذا فهم لا يقللون من شأن العقل أو يلغونه؛ فإن الشرع بنصوص الكتاب

والسنة قد خاطب العقل والعقلاء، وجعل العقل هو مناط التكليف للمرء، ثم هم أيضاً لا يتجاوزون به حدوده، فيبحثون عن الحكمة والعلة في كل شيء، بل ما ظهر منها أخذوا به، وما لم يظهر أسلموا له وأذعنوا.

وبهذه الميزات يحقق المنهج السلفي الصدارة والريادة لقيادة العالم الإسلامي، قيادة متوافقه مع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، ويحقق أيضاً للأمة التعايش بينها وبين الحضارات العالمية بسلام وأمن، ودون البدء بصراعات أو نزاعات.

الفصل الثاني

النظام العالمي الجديد تعريفه ومعوقاته

و فيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف النظام العالمي الجديد.

المبحث الثاني : معوقات النظام العالمي الجديد.

المبحث الأول

تعريف النظام العالمي الجديد

النظام في اللغة من النظْم والنظم: التأليف، يقال نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته.[(١)]

ومن معاني النظام: الترتيب والاتساق.[(٢)]

و كلمة (العالمي) نسبة إلى (العالم).

والنظام العالمي الجديد الذي أعلن عنه جورج بوش (الأب) رئيس الولايات المتحدة السابق في ١٦/١/١٩٩١م، هو - كما اصطلحوا عليه- نظام يكون فيه حكم القانون هو ما يحكم تصرفات الأمم، وأنه شرعية جديدة للعالم تكبدت الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية جهوداً مضنية لتأسيس مثل هذه الشرعية.[(٣)]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ١٩٩٠م، بيروت، مادة: نظم.

(٢) المعجم الوسيط مادة: نظم.

(٣) الإعلام العربي والنظام العالمي الجديد، د.عبد الله الجاسر، مجلة التعاون، إصدار مجلس التعاون الخليجي، العدد التاسع والعشرون، رمضان ١٤١٣هـ، ص ٦٠.

وقد أكد جورج بوش (الأب) على أن الولايات المتحدة وحدها من بين أمم العالم هي التي تتوافر لها على حد سواء المكانة المعنوية والوسائل اللازمة لحماية النظام العالمي الجديد.(١)

فالنظام العالمي الجديد هو - كما خطط له من أعلنه- نظام تتفرد به الولايات المتحدة بالقيادة، وتعمل فيه باسم الشرعية الدولية مستخدمة منظمة الأمم المتحدة.(٢)

ملحوظة على كلمة "نظام" في مصطلح النظام العالمي الجديد:

استخدام كلمة "نظام" في مصطلح "النظام العالمي الجديد" يتطلب أن يكون له ماهية واضحة وأهداف جلية ووسائل لتحقيق هذه الأهداف، الأمر الذي يفتقده مصطلح "النظام العالمي الجديد".

ومن هنا ينبغي استبدال كلمة "النظام" بكلمة "الوضع" أو "الواقع" الذي فرضته الأحداث ولم يأت من فراغ بل جاء نتيجة إفرازات تمخضت من جراء سقوط أحد النظامين المتضادين في العالم وهيمنة الآخر من خلال قنوات قانونية دولية تحت مظلة الأمم المتحدة التي رأت الدول الغربية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية استغلالها والدخول تحت سقفها لكسب الشرعية

---

(١) النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ياسر أبو شبانة ص: ٣١.

(٢) النظام العالمي الجديد، د. مصطفى محمد الطحان، مجلة ا لبعث الإسلامي، إصدار دار الندوة، لكنهو - الهند، المجلد الثامن والثلاثون، العدد العاشر، رجب – شعبان، ١٤١٤هـ، ص ٦٩ .

الدولية والمناداة برغبات غربية ألصقت بشكل مباشر وكأنها هدف وتسعى إلى تحقيقه أمم العالم مجتمعة تحت سقف المنظمة الدولية.[1]

(١) الإعلام العربي والنظام العالمي الجديد، د. عبد الله الجاسر، مجلة التعاون، العدد التاسع والعشرون، ص ٦١ .

المبحث الثاني

معوقات النظام العالمي الجديد

يظن البعض أن النظام العالمي الجديد نظام سياسي لم يحض بالأعتراف من قبل دول العالم، ويعد فكرةً وطموحاً تصطدم بالواقع؛ إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تريد فرض ذلك النظام على جميع دول العالم، واستطاعت أن تحقق الكثير من المكاسب في هذا الجانب فيما يتعلق بفرض الهيمنة على بعض دول العالم الثالث، وهذا أمر مشاهد، وإن كنا نرى أن تلك السياسة قد فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق مطالبها.

وبعد مرور قرابة عشرين سنة على إعلان ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، فإنه يواجه معوقات كثيرة في سبيل تحقيقه على ساحة الواقع العملي، وتواجه هذه الفكرة معارضة على مستويات عدة:

من الأمريكان من يرفض هذه الفكرة:

كتب "مايكل ماكيننزى" في جريدة الواشنطن بوست يوم٣٠/٩/١٩٩٠م فقال: هل الحديث عن القانون الدولي يرِد فقط حين يكون مناسباً لنا نحن الأمريكيين؟

إن مبدأ الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية ريغان كان رفضاً واضحاً للقانون الدولي!.

بل ذهب فريق من أنصار المدرسة الواقعية إلى اعتبار الأمر في جملته ضاراً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وحذروا الرئيس بوش (الأب) بأنه سيندم على سيره في طريق القانون الدولي، والالتزام بالنظام العالمي الجديد.(١)

تحفظ الدول الأوربية:

بعدما أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية وثيقتها التي تتضمن استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية حتى مطلع القرن المقبل، وقد أكدت على أن الولايات المتحدة ستكون القوة العظمى الوحيدة في النظام العالمي الجديد بفعل تفوقها العسكري والنووي والتقني والاقتصادي، وأن عليها الحفاظ على ذلك ولو أدى إلى استمرار الإنفاق العسكري وإغضاب دول أخرى مثل ألمانيا واليابان؛ فقد اشتدت تحفظات الدول الأوروبية تجاه هذا الإعلان، وعبَّر الأوربيون حين واجهوا جيمس بيكر وزير خارجية أمريكا السابق في اجتماع مجلس التعاون للحلف الأطلسي في بروكسل في مارس (آذار) ١٩٩٢م، عن قلقهم من النزعة الأمريكية للهيمنة على كل شيء.(٢)

---

(١) النظام العالمي الجديد، د. مصطفى محمد الطحان، مجلة البعث الإسلامي، رجب، شعبان ١٤١٤هـ، ص: ٧٠.

(٢) النظام العالمي الجديد، د. مصطفى محمد الطحان، مجلة البعث الإسلامي، رجب، شعبان ١٤١٤هـ، ص: ٧١، النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ياسر أبو شبانة ص: ١٣٢ وما بعدها.

أما دول العالم الثالث: فإنها مترددة في قبول فكرة النظام العالمي الجديد، أو عدم القبول، ومشككة في نفس الوقت في هذا النظام هل هو بالفعل مبني على العدل والقانون الدولي؟

ومن أسباب هذا التردد والشك:

❖ تباين مواقف الأمم المتحدة إذ إن المسلمين يجدون أنفسهم في موقع الاتهام بانتهاك الشرعية الدولية، في الوقت الذي تنتهك فيه إسرائيل الشرعية الدولية كل يوم، وتحتل الأراضي العربية، ومن دون أن يوجه لها أي لوم أو حتى التفكير في تطبيق الشرعية الدولية ضدها.

❖ ثم هل يمكن أن يطمئن العالم الثالث لقيادة أحادية القطب؟ وهل محيت من ذاكرته أفعال الأقطاب السابقين: الاستعمار الفرنسي، والاستعمار البريطاني، والنازية، والفاشية، والأمريكية اليوم.

إن أخطر ما يتعرض له النظام العالمي الجديد هو أن تتحكم فيه غطرسة القوة.

❖ ثم ما هي حدود ممارسة مبدأ التدخل الدولي في أمور داخلية للدول؟ النظام الدولي الجديد يدعو إلى صور من التدخل الخارجي باسم القانون الدولي والأمن الجماعي، والتدخل لأسباب إنسانية، أو لأسباب أمنية، أو لأسباب بيئية، أو لأسباب القضاء على الإرهاب ونزع أسلحة الدمار الشامل كما حصل في العراق، أو بحجة القضاء على القاعدة كما

حصل في أفغانستان، فهل سيراعى في هذه التدخلات العدل وحقوق الإنسان حقاً وصدقاً؟، أم هو ستار جديد لنوع جديد من الهيمنة والاستعمار؟[١]

❖ ثم إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تريد أن تتفرد بزعامة العالم قد فشلت فشلاً تاماً، في القيام بهذا الدور؛ لأن طبيعة الزعامة الرشيدة أن تكون حيادية وواضحة، وهما صفتان لم تحاول الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحلى بهما، فكان تحيزها لإسرائيل ضد العرب صريحاً ومعلناً، وجعلت "الفيتو" لخدمة إسرائيل ومصالحها، تستعمله الولايات المتحدة كلما أرادت إسرائيل ذلك، وقد اتجه الكتّاب العرب إلى وصف الولايات المتحدة وزعامتها بأنها أخذت الجنسية الإسرائيلية، وأنها واضحة الانحياز لإسرائيل، وفي جو هذا التحيز الواسع لم تقتنع الولايات المتحدة الأمريكية بالتأييد الأدبي لإسرائيل بل اندفعت الدولتان إلى إراقة الدم وإزهاق الأرواح.[٢]

❖ إن النظام العالمي الجديد فشل فشلاً ذريعاً في العدالة والحيدة، وإسرائيل كما يقول النقاد كانت من أهم الأسباب التي سببَّت للولايات المتحدة الأمريكية هذا الفشل، وأصبح من الضروري أن يبرز قطب جديد أو

---

(١) المصدر السابق ص: ٧٢- ٧٣ .

(٢) صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع، د. أحمد شلبي، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص: ٩٤ .

أقطاب جديدة ليحدث توازن في ضبط الأمور وتسيير العالم نحو الهدوء والسلام.(١)

❖ والآمال التي تعلقت بها نفوس زعماء العالم الغربي في ظل النظام العالمي الجديد إنما تبقى في عالم التنظير دون أن تخرج إلى عالم الواقع والتطبيق حيث قالوا بأن "النظام العالمي الجديد" يقوم أساساً على المنافع المتبادلة والمصالح الاقتصادية المشتركة، ولكم فيه أمل للحد من هوة الخلاف والاختلاف وتقصير فجوات أو فوارق التكافؤ، وأنه يحترم سيادات دول العالم ويتحرك في ظل مفاهيم جديدة فكرية واقتصادية واجتماعية في إطار الشرعية الدولية للأمم المتحدة، أمنيات محببة إلى النفس البشرية، لكن المفاهيم التي وصف بها النظام العالمي الجديد لا تعدو إلا أن تكون تنظيرية تفوه بها أصحاب النفوذ في العالم، تطبيقها شبه مستحيل.(٢)

ومن معوِّقاته أيضاً وجود بذرة عنصرية فيه تجعل الغرب قيِّمين على البشرية من حيث كونهم غربيين، بينما نرى الاسلام يجعل التفوق للمسلمين سواءً كانوا من الغرب أو الشرق، ويفتح الباب لكل البشر لاعتناقه والدخول فيه، بل يحثهم على ذلك ويطالب اتباعه بنشره ودعوة كافة البشر للدخول فيه، من باب الرحمة والخير للبشرية جمعاء.

---

(١) نفس المصدر ص: ٩٦.

(٢) الإعلام العربي والنظام العالمي الجديد، د. عبد الله الجاسر، مجلة التعاون، العدد التاسع والعشرون، ص: ٦٣.

ومن هنا ندرك بأن فكرة "النظام العالمي الجديد" أمام معوقات كثيرة تجعل هذا النظام مستحيل التطبيق بمفاهيمه ؛ لأنها بعيدة كل البعد عن واقع العالم بشكل مباشر، بل إن هناك تهميشاً واضحاً للعالَمين الثالث والرابع ، ولنا في الأحداث التي تعج بها اليوم الكرة الأرضية شواهد عجلت في خنق أحلام ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.[1]

(١) المرجع السابق ص: ٦٤.

الفصل الثالث

بين المنهج السلفي والنظام العالمي الجديد

و فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : النظام العالمي الجديد ومدى مصادمته للمنهج السلفي.

المبحث الثاني : الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

المبحث الثالث : وسائل المنهج السلفي للتعامل مع الغرب حضارياً.

المبحث الأول

النظام العالمي الجديد ومدى مصادمته للمنهج السلفي

سبق أن بينت أن فكرة "النظام العالمي الجديد" عند أصحابها إنما ترمي إلى سيطرة الحضارة الغربية بأيدلوجيتها ومفاهيمها وقيمها وأنظمتها ونظرتها إلى الحياة ومعاييرها على العالم كله، بما فيه العالم الإسلامي، وأيضاً ترمي بوجه خاص إلى تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم، وفرض سيطرتها على دول العالم في مختلف الجوانب: السياسية والثقافية والاقتصادية والقانونية وغيرها، مستخدمة في ذلك الشرعية الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة.[1]

والنظام العالمي الجديد بهذا المفهوم يتعارض مع المنهج السلفي بنواحيه الثلاث: العقدية والعملية والخُلقية؛ وذلك لأن المنهج السلفي ينبى علي أسس وأصول ومبادئ ومعايير وقيم خاصة ومتميزة، ولا يمكن أن يتبع أو يخضع في أحكامه لأي سلطة ولا أي نظام، إلا سلطة ونظام الكتب والسنة.

فالمنهج السلفي من هذا المنطلق لا يتوافق مع أهداف ومفاهيم النظام العالمي الجديد كما يصوّره أصحابه وكما يرسمه زعماء الغرب له، الأمر الذي يضع النظامين أو بعبارة أخرى المنهجين المنهج السلفي والمنهج الغربي في مواجة.

---

(١) النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ياسر أبو شبانة ص: ٣٣.

إلا أن هذه المواجهة لا تمنع التعايش والتعامل بكل أنواعه، إضافة إلى أنها لا تمنع التبادل الثقافي الذي يخدم الطرفين، والمملكة العربية السعودية التي تطبق المنهج السلفي الحق، استطاعة بسياسة ولاتها - أيدهم الله- أن يكون لها المكانة المرموقة بين دول العالم المتقدم، وفرضت إحترامها على الجميع، وهذا يؤكد أن المنهج السلفي يتعايش مع بقية الأطياف والتيارات المخالفة له، بما في ذلك النظام العالمي الجديد على فرض إمكانية تطبيقه.

المبحث الثاني

الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

أشار "صامويل هنجتون" في مقال نشره في مجلة "الشؤون" المتخصصة في الشؤون السياسية والدراسات الإستراتيجية في صيف ١٩٩٣م تحت عنوان (تصادم الحضارات)، وذكر فيه أن الصراع القادم لن يكون صراعاً بين أيديولوجيات، ولا صراعاً بين نظم اقتصادية، ولا بين نظم سياسية، بل سيكون الصراع بين حضارات وثقافات.

و فكرة صراع الحضارات وبخاصة الصراع بين الإسلام والغرب أو بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية ليست مما جاء بها "هنجتون" ولا هي وليدة اليوم بل هي فكرة قديمة، وقد تطرق إليها بعض المفكرين الإسلاميين منهم أبو الأعلى المودودي ومالك بن نبي وأبو الحسن الندوي وغيرهم.[١]

وكما أن كثيراً من المفكرين الغربيين كتبوا حول هذا الموضوع مثل أرنولد توينبي وول ديورانت وغيرهم كثيرون.

و لكن أهمية فكرة صراع الحضارات عند "هنجتون" تكمن في أنها جاءت بعد فكرة (نهاية التاريخ) التي أعلن عنها "فوكوياما" وبعد تفاؤل المفكرين الغربيين لإقامة النظام العالمي الجديد على القيم والمبادئ الغربية، ففكرة

---

(١) مع ملاحظة أن هؤلاء لا يمثلون المنهج السلفي.

انظر كتاب "نحن والحضارة الغربية" لأبي الأعلى المودودي، وكتاب "مشكلات الحضارة" لمالك بن نبي، وكتاب "الإسلام والغرب" لأبي الحسن الندوي.

تصادم الحضارات قضت على فكرة نهاية التاريخ وكما خيّب أمل إقامة نظام عالمي جديد على القيم والمبادئ الغربية.

و من النقاط المهمة التي شملتها دراسة "هنجتون" والحقائق التي أجلت عنها ما يلي :

١- أن الدين هو أهم العوامل التي تميز بين الحضارات وهو العامل الأهم في صراعات المستقبل.

٢- أن القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن وعن صندوق النقد الدولي، إنما تعكس مصالح الغرب، وهي تخرج إلى العالم على أساس أنها تعبر عن رغبات "المجتمع الدولي"، كما أن مصطلح "المجتمع الدولي" هو الوجه الآخر لمصطلح "العالم الحر"، ويستخدم لإعطاء الشرعية العالمية للقرارات التي تعكس رغبات ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الأخرى.

٣- أن مصطلح "الحضارات العالمية" هو فكرة غربية بحتة، هدفها إبراز أن القيم الغربية هي قيم عالمية يجب على كل الشعوب الأخذ بها.

٤- الحكومات الديموقراطية الحديثة كان منشؤها في الغرب، وأنها إذا وجدت في غير المجتمعات الغربية فهي قد نتجت عن الاستعمار والفرض بالقوة من جانب الغرب.

٥- الهدف الأساسي من عملية التحكم في التسلح في فترة ما بعد الحرب الباردة: هو منع الدول غير الغربية من تطوير القدرات العسكرية التي قد تهدد مصالح الغرب.(١)

٦- أن الغرب قد حاول دفع القيم الديموقراطية والليبرالية للشرق الإسلامي باعتبارها قيماً عالمية ولكنه لم يفلح ؛ لأن الدين الإسلامي أقوى من الجميع.

٧- ينصح الغرب بأن لا يغتر باتساع أفكاره الحضارية في العالم الإسلامي، بل يجعل ذلك فقط على السطح، وليس لهذا أي عمق حقيقي.(٢)

هذا، وقد اشتملت دراسته على أفكار أخرى أيضاً لا يوافَق عليها، وعلى توصيات على المدى القصير وعلى المدى البعيد للمعسكر الغربي يعتمد عليها في صراعه مع الحضارة الإسلامية.(٣)

---

(١) انظر هذه العناصر في: قراءة نقدية لمفهوم "تصادم الحضارات"، د. أحمد محمد العيسى، مجلة البيان، العدد الحادي والسبعون، رجب ١٤١٤هـ، إصدار المنتدى الإسلامي – لندن .

(٢) صراع الحضارات، د. أحمد شلبي ص:١٦.

(٣) انظر في ذلك: قراءة نقدية لمفهوم "تصادم الحضارات" للدكتور أحمد محمد العيسى مجلة البيان، العدد الحادي والسبعون ص:١٤- ٢٢.

المبحث الثالث

وسائل المنهج السلفي للتعامل مع الغرب حضارياً

اتجهت أنظار العالم الغربي في الآونة الأخيرة إلى المنهج السلفي، وجعلوه هو المرشح دون رغبة منها للصراع مع الحضارة الغربية في ظل النظام العالمي الجديد، بحجة عدم ملائمته للواقع أو عدم قدرته للتعايش في ضل وجود هيمنة غربية، فما هي وسائل أهل المنهج السلفي لخوض مثل هذه المواجهة الحضارية أو إقناع الغرب بملائمة المنهج الشرعي للتعايش السلمي في العالم؟

وفيما يلي ألخص أبرز تلك الوسائل في رؤوس أقلام نظراً لطبيعة هذه الدراسة(١):

١- إحياء الحضارة المادية التي لا تتعارض مع منهج الكتاب والسنة، وبذل الاهتمام والعناية بالصناعة والإبداع، وبذل التعاون وتبادل الخبرات في هذا المجال، والاستفادة في ذلك من خبرات الدول الصناعية الكبرى كاليابان والصين.

٢- وحدة الصف والكلمة، والقضاء على العصبيات والخلافات العرقية والمذهبية، وغيرها من أنواع الخلافات، والتعاون بين زعامات المسلمين، والسعي لنشر المنهج السلفي المعتدل.

---

(١) أشار الدكتور/ أحمد شلبي في كتابه "صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين" إلى شيء من هذه الوسائل، ص: ٢٧٧- ٢٩١.

٣- القضاء على الديكتاتورية الظاهرة والمقنَّعة، وقد بدأت بوادر ذلك واضحة فيما يسمى بالربيع العربي، مما أتاح للمنهج السلفي ولأتباعة أن يكون لهم دور سياسي واضح.

٤- القضاء على العلمانية والليبرالية، إذ فيهما مصادمة واضحة للمنهج السلفي الرباني المعتمد على الكتاب والسنة.

٥- القضاء على الاختلالات الاجتماعية، وبذل التعاون والتضامن بين الأغنياء والفقراء، وتضييق الفجوة الموجودة بينهما.

٦- القضاء على الإرهاب، وحماية النفس المعصومة، وصيانة العرض والمال من أن تنالها أيدٍ شريرة عابثة، فالمنهج السلفي يرفض العنف والإقصاء ويدعو للحوار والنقاش العلمي.

و في المجال الاقتصادي:

٧- الاهتمام بالتنمية بمجالاتها المختلفة من زراعة وصناعة وصحة ونحو ذلك.

٨- البعد عن النظام الإقتصادي الربوي لما فيه من تفتيت لكيان الدولة المسلمة وإضعافها وعدم قدرتها على تخطي مصاعب الأزمات الإقتصادية.

و في مجال التربية و التعليم:

٩- القضاء على الأمية ونشر العلم بين أفراد المجتمع رجالاً ونساءً، فالمنهج السلفي يدعو لتعلم علم الكتاب والسنة ويشجع على تعلمِ العلوم الأخرى النافعة.

١٠- تطوير المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد العلمية والصناعية والجامعات، وفتح أقسام جديدة تستوعب أعداد أكبر من الطلاب.

١١- إتاحة الفرص التعليمية لمن لم يتمكن من التعليم، وتشجيع الإبتعاث في التخصصات الغير متوفرة والتي تخدم مصالح المسلمين المستقبلية، ولكن بضوابط شرعية مع وجود المتابعة المستمرة.

في مجال المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية:

١٢- إعادة تكوين الفرد المسلم حتى يكون متفقاً في سلوكه وأخلاقه مع ما دعى إليه الكتب والسنة وفق منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

١٣- إعادة تكوين المجتمع الإسلامي بحيث تظهر فيه السمات والميزات التي جاء بها المنهج السلفي منهج الكتاب والسنة، وأقرب مثال لذلك واقع المملكة العربية السعودية.

١٤- القضاء على وسائل الخلافات التي وضعها الغرب بين الدول الإسلامية.[١]

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر بأن المنهج السلفي - بادئ ذي بدء - لا يدعو إلى الصراع، بل الصراع امتداد للفكر الغربي الذي نشأ على الحروب والصدام.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين للدكتور أحمد شلبي ص: ٢٧٧- ٢٩١.

إن المنهج السلفي يدعو إلى المحبة والسلام والتعاون على الخير والتعاون بين الحضارات وتبادل الخيرات بينها، وهذا هو النسق السلفي الذي يعطي ويأخذ ويجعل الفكر البشري منحة من الله تعالى ومن نبيه - صلى الله علية وسلم- .

و قد أنصف "برنارد لويس" عند ما ذكر أن الحضارة الإسلامية حضارة عالمية، بخلاف حضارة الغرب فإنها مسيحية مرتبطة بأوروبا وبمن يسير في ركابها من الدول، وهذا هو ما ينطبق على المنهج السلفي، فهو منهج عالمي يقود حضارة عالمية وهي حضارة الإسلام.

وأدلُ دليلٍ على ذلك ما تنعم به المملكة العربية السعودية وينعم به شعبها والوافدين إليها من أمنٍ واستقرارٍ ورغد عيشٍ طيلة قرنين من الزمان، وقد تمكنت من أن تجد لها مكاناً بارزاً ومؤثراً بين الأمم وهي مستمسكة بالمنهج السلفي مطبقة للكتاب والسنة، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}[سورة محمد، الآية: ٧- ١١].

الفصل الرابع

التطبيق العملي من واقع المملكة العربية السعودية

في تطبيقها للمنهج السلفي

المنهج السلفي من أشد الداعين للسلم وجمع الكلمة والحوار، ومن أشد المحاربين للعنف والأعتداء وانتهاك الحرمات، فمن أصول المنهج السلفي المقدمة دوماً تعظم شأن الولاية المسلمة، ووجوب الطاعة في غير المعصية، كما قال الطحاوي في عقيدته: "وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ"[1]، وجاء في شرح أصول إعتقاد أهل السنة للالكائي: "ولا نرى الخروج على الائمة، ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، نتتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة" وقال أيضاً: "ولا نرى الخروج على الائمة ولا نقاتل في الفتنة ونسمع ونطيع لمن ولى الله عز و جل أمرنا ونرى الصلاة والحج والجهاد مع الائمة ودفع صدقات المواشي اليهم".[2]

كما قرن المنهج السلفي طاعة الولاة بطاعة الله ورسوله - صلى الله علية وسلم- قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ

(١) العقيدة الطحوية ص: ٤٧.

(٢) شرح أصول إعتقاد أهل السنة للالكائي ١/١٧٧ ، ١٨٢.

وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} ، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : « **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»[1] ، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**».[2]

وهذه المسألة طاعة ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم من المسائل المهمة جداً في هذا الزمن، وقد تمسك بها أصحاب المنهج السلفي لا سيما العلماء الراسخون في المملكة العربية السعودية، وقد ظل فيها فِئَامٌ من الناس، فلم يفهموا شروط الجهاد والتي من أهمها أن يكون تحت راية إمام، كما في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله علية وسلم- : «**الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا**»[3] ، فولاة الأمور هم الذين يتولون إقامة الجهاد في سبيل الله، كما أنهم يتولون فَيئَه وخُمُسَه ونحو ذلك، فكذلك يتولون إقامته وتدبيره وأمره

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الطيب للجمعة ١٠٨٠/٣ ، برقم: ٢٧٩٧ ، ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٦٦/٣ ، برقم: ١٨٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٦٦/٣ ، برقم: ١٨٣٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب الغزو مع أئمة الجور ١٨/٣ ، برقم: ٢٥٣٣ ، والبيهقى في السنن الكبرى ١٢١/٣ ، برقم: ٥٠٨٣ ، وأخرجه الطبرانى في المعجم الكبير ٣٦٩/٢ ، برقم: ١٥١٢ .

وشئونه، فلا ينازعون فيه، فإنه لا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.(١)

وحكم الجهاد يختلف؛ فقد يكون فرض عين، وذلك إذا هجم العدو على المسلمين، ففي هذه الحال يجب قتالهم على كل مسلم والدفاع عن النفس والمال والعرض بحسب استطاعة كل أحد، ولا يشترط إذن الإمام حينئذٍ.

أما الجهاد الذي يقصد منه الفتح، ودعوة الكفار إلى الإسلام، وقتال من أبى الخضوع لحكم الله، فهذا لا بد فيه من إذن الإمام، وبذلك تنضبط الأمور.

قال الموفق ابن قدامة: "وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك"(٢)، وقال أيضاً: "فإذا ثبت هذا فإنهم لا يخرجون إلا بإذن الأمير؛ لأن أمر الحرب موكول إليه وهو أعلم بكثرة العدو وقلته ومكامن العدو وكيدهم، فينبغي أن يرجع إلى رأيه؛ لأنه أحوط للمسلمين، إلا أن يتعذر استئذانه لمفاجأة عدوهم لهم فلا يجب استئذانه".(٣)

فإن يفجأهم عدوّ يخافون تمكّنه، فلا يمكنهم الاستئذان، فيسقط الإذن باقتضاء قتالهم، والخروج إليهم لحصول الفساد بتركهم انتظاراً للإذن.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١/١٧٨، حاشية الدسوقي ٢/٤٧٥.

(٢) المغني ١٣/١٦.

(٣) المغني ١٣/٣٣- ٣٤.

ودليل ذلك أنّه «لمّا أغار الكفّار على لقاح[1] النّبيّ - صلى الله علية وسلم- صادفهم سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه- خارجاً من المدينة فتبعهم وقاتلهم من غير إذن، فمدحه النّبيّ - صلى الله علية وسلم- وقال: خير رجالتنا سلمة بن الأكوع، وأعطاه سهم فارس وراجل».[2]

وإذن الإمام مانع من الفوضى التي يمكن أن تنشأ من إعلان أفرادٍ وجماعاتٍ من المسلمين الحرب على أعداء الله دون تقدير لظروفهم وقوتهم وقوة عدوهم.

وأفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بما يلي: "الجهاد لإعلاء كلمة الله، وحماية دين الإسلام، والتمكين من إبلاغه ونشره وحفظ حرماته، فريضة على من تمكن من ذلك وقدر عليه، ولكنه لا بد له من بعث الجيوش وتنظيمها خوفاً من الفوضى وحدوث ما لا تحمد عقباه؛ ولذلك كان بدؤه والدخول فيه من شأن ولي أمر المسلمين،

---

(١) اللقحة: بالفتح والكسر: الناقة القريبة العهد بالنتاج. واللقوح اللبون: وإنما تكون لقوحاً أول نتاجها شهرين، ثم ثلاثة أشهر، ثم يقال لها: لبون.

انظر: الصحاح للجوهري ٢/٤٣٤، تاج العروس ٧/٩٣، المصباح المنير ص:٢٨٧، لسان العرب لابن منظور مادة (لقح) ٢/٥٧٩، والنهاية وغريب الحديث والأثر ٤/٢٢٥، القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب ص:٣٣١.

(٢) المهذب ٢/٢٢٩، ونهاية المحتاج ٨/٦٠، وروضة الطالبين ١٠/٢٣٨، والمغني ٨/٣٦٤، والحديث أخرجه البخاري في صحيح في الجهاد، باب من رأى العدو فنادى بأعلى صوته يا صباحاه، برقم:٣٠٤١، ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، برقم:١٨٠٦ و١٨٠٧.

فعلى العلماء أن يستنهضوه لذلك، فإذا ما بدأ واستنفر المسلمين فعلى من قدر عليه أن يستجيب للداعي إليه مخلصاً وجهه لله، راجياً نصرة الحق، وحماية الإسلام، ومن تخلف عن ذلك مع وجود الداعي وعدم العذر فهو آثم".(١)

واجتماع الناس من قبَل الإمام يزيدهم قوة، فضلاً عن التزامهم بالواجب الشرعي في طاعته فيما لم يخالف فيه شرع الله، وبذلك يكون المسلمون المجاهدون صفّاً واحداً يجتمعون على نصرة الدين وحماية شرع الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي - صلى الله علية وسلم- : «**إِذَا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**»(٢)، وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو أن النبي - صلى الله علية وسلم- قال: «**لا يَحِلُّ لِثَلاثَةٍ يَكُونُونَ بِفَلاةٍ مِنْ الأَرْضِ إِلا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ**»(٣)، فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع؛ ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٢/١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ٣/٣٦، برقم: ٢٦٠٨، وأبو يعلى في مسنده ٢/٣١٩، برقم: ١٠٥٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/٢٥٧، برقم: ١٠١٣١، وقال الشيخ الألباني حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/١٧٦- ١٧٧.

بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي «**أن السلطان ظل الله في الأرض**»[1]، ويقال: «**ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان**» والتجربة تبين ذلك".[2]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر؛ لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور وليس أفراد الناس، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد، فلا يجوز لأحد أن يغزو دون إذن الإمام إلا على سبيل الدفاع، إذا فاجأهم عدو يخافون شره وأذاه فحينئذ لهم أن يدافعوا عن أنفسهم، لتعين القتال إذًا، وإنما لم يجز ذلك لأن الأمر منوط بالإمام، فالغزو بلا إذنه افتيات عليه، وتعد على حدوده، ولأنه لو جاز للناس أن يغزوا بدون إذن الإمام لأصبحت المسألة فوضى، كل من شاء ركب فرسه وغزا، ولأنه لو مكن الناس من ذلك لحصلت مفاسد عظيمة، فقد تتجهز طائفة من الناس على أنهم يريدون العدو وهم يريدون الخروج على الإمام، أو يريدون البغي على طائفة من الناس، كما قال الله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [سورة

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ٦/١٥، روي عن جماعة من الصحابة بأسانيد ضعيفة وموضوعة، انظرها في السلسلة الضعيفة برقم: ٤٧٥، ٦٠٤، ١٦٦١-١٦٦٤، ٢٢٦٤، وضعيف الجامع برقم: ٣٣٤٧، ٣٣٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٩٠- ٣٩١.

الحجرات، الآية: ٩]، فلهذه الأمور الثلاثة ولغيرها - أيضاً - لا يجوز الغزو إلا بإذن الإمام".[١]

ومن خلال ما سبق يتبين أن الجهاد في سبيل الله تعالى لا بد أن يكون تحت راية إمام وتحت قيادة أمير يكون له السمع والطاعة.

والمملكة العربية السعودية منذ نشأتها وهي ترفع راية التوحيد خفاقة في كل ميدان، وتعلن للملاء أنها تطبق المنهج السلفي، فالعمل عندنا هنا في المملكة العربية السعودية أن الجيش يشكل بطريقة نظامية وخادم الحرمين الشريفين هو القائد الأعلى لجميع القطاعات العسكرية، فكل من دخل السلك العسكري فهو في جهادٍ تحت راية إمام، ولا يجوز بأي حال من الأحوال مخالفة هذا الأمر والقتال تحت أي راية أخرى.

وهذا المبدأ الرباني والمنهج النبوي الذي تتبعه المملكة العربية السعودية هو الذي أهلها لأن تكون في صدارة العالم الإسلامي والعربي أمناً واستقراراً وبعداً عن الإضطرابات الشعبية والمظاهرات العُمَّالية.

فالمنهج الذي رسمه لها الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه ووضع أسسه ومبادئه لقيام دولة حديثة لها المكانة بين الأمم كان المنهج السلفي، لذلك حصل لها الاستقرار والتمكين.

فمن أقوال الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه- التي قرر فيها المنهج السلفي، قوله: "إن أصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- وما كان عليه أصحاب محمد -

---

(١) الشرح الممتع ٨/٢٢.

صلى الله علية وسلم- ، ثم السلف الصالح من بعدهم، ثم من بعدهم أئمة المسلمين الأربعة الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام أبو حنيفة، فهؤلاء اعتقادهم واحد في الأصل، وهو أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتقرير ذلك في كتب العلماء التي تراجعونها بحمد الله كل ساعة، فهم في هذا الأصل واحد، وقد يكون بينهم اختلاف في الفروع، كلهم على حق ـ إن شاء الله ـ ومن حذا حذوهم إلى يوم القيامة، ونحن يا أهل نجد كافة مأخذنا بمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وإلا الأصل نحن والمذكورون أعلاه على ما جاء به محمد - صلى الله علية وسلم- ، بل إنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ثم من بعدهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمهم الله تعالى ونفع الله بهم الإسلام والمسلمين ـ لما اندرست أعلام الإسلام وكثرة الشبه والبدع وخصوصاً محمد بن عبدالوهاب فلما رأوا أسلافنا موافقتهم في أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله علية وسلم- ، قبلوا ذلك وقاموا به، وأظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا على ذلك ويميتنا عليه".[١]

---

(١) هذا الخطاب محفوظ كوثيقة بدارة الملك عبد العزيز برقم: ٢١٦٦، ونشرت بكتاب: «مختارات من الخطب الملكية»: ١/٢٥- ٢٧، وانظر نجد وملحقاته، و«سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما»، تأليف أمين الريحاني، ص: ٤٣٥ - ٤٣٦.

وهذا الأنموذج الفريد من نوعه في العالم اليوم هو الذي ينبغي أن يتبع وأن يحاكا، فالانقلابات الشعبية على الحكومات في العالم العربي هذه الأيام وما أسفرت عنه من إزاحة بعض الحكام وقيام الأحزاب والتيارات التي تتنافس لمسك السلطة والحكم في تلك البلدان، جعلت الكثير من الناس يغفل عن هذا الأنموذج الفريد، بل إن حدة التنافس بين تلك التيارات قادها للقدح في المنهج السلفي ووصفه بأنه منهج قديم لا يحاكي الواقع ولا يصلح للتطبيق في الزمن الحاضر، وهو ما يصوره أعداء هذا المنهج.

فأصبح السلفيون في موقع الدفاع عن منهجهم، في حين أن الواجب هو بيان ميزات هذا المنهج وإظهار سماته وأسسه، وأنه يمكن أن يتعايش مع العالم بأسره، كما أن المملكة العربية السعودية كتسبت إحترام العالم وهي تطبق المنهج السلفي.

خاتمة

من خلال هذا البحث ومعايشتي له طوال الأشهر الماضية أصبح عندي قناعة تامة أن المنهج السلفي الحقيقي سالم من كل التهم الموجهة له، وعنده القدرة على مسايرة الحضارات العالمية اليوم، ويستطيع التعايش مع كل العالم من حوله، فهو منهج رباني ودين سماوي محفوظ من العبث والتغيير، يسع المسلمين وغير المسلمين العيش تحت ظلاله والتنعم بعدله وأمنه وأمانه.

وقد بان جلياً أن المملكة العربية السعودية وهي تطبق المنهج السلفي الصحيح، إرتفع شأنها في العالم وأصبحت تحتل المكانة العليا إحتراماً وتقديراً وتصديراً للرأي الداعي للسلام في العالم.

فالعالم الغربي الذي يدعوا للسلام والتعايش بين الحضارات؛ عليه أن يتفهم المنهج السلفي الحقيقي، فبه يتحقق للعالم التعايش السلمي المنشودة بين الغرب والإسلام، وأنموذجه المطبق المملكة العربية السعودية.

أما أهم ما ظهر لي من نتائج بعد الإنتهاء من هذا البحث فهي على النحو التالي:

١- أن المنهج السلفي يتميز بمميزات خاصة، وأنه ينبع من مصدر إلهي، وأنه مستقل في أحكامه يقوم على أساس العدل، وأنه يستمد سلطانه من الله سبحانه وتعالى، ولا يخضع لسلطان غيره.

٢- أن النظام العالمي الجديد – كما يصوره أصحابه – يرمي إلى تفرد أمريكا بزعامة العالم، وسيادة مبادئ وقيم الحضارة الغربية على الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الإسلامية، وإعطاء هذه المبادئ والقيم صفة العالمية.

٣- أن النظام العالمي الجديد يواجه معوقات كثيرة في سبيل تطبيقه مما يجعله محصوراً في دائرة التنظير فقط. وأن أمريكا عاجزة من أن تتفرد بزعامة العالم وأن زعامتها باءت بالفشل

٤- أن النظام العالمي الجديد يصادم المنهج السلفي ولا يتوافق معه بالمفهوم الذي تبناه زعماء الغرب.

٥- أن المنهج السلفي – في أول أمره – يدعو إلى المحبة والسلام والتعاون بين الحضارات وتبادل الخبرات بينها، ولا يدعو إلى الصدام ما لم توضع عراقيل ومعوقات في سبيل دعوته، وما لم يبادئه آخرون بالمواجهة.

٦- أن المنهج السلفي منهج حياة متكاملة يمكن أن يتعايش ويتعامل مع كافة التيارات والتوجهات العالمية لما يمتاز به من الصدق والوضوح والثبات.

٧- أن المملكة العربية السعودية وهي تطبق المنهج السلفي وتعلن ذلك على الملاء؛ حصل لها الإستقرار والأمن والمكانة بين دول العالم.

٨- أن العالم اليوم بحاجة إلى نظام عالمي جديد يسود فيه العدل كقيمة مبنية على الحق لا على القوة، إلى نظام يسترد فيه الإنسان كرامته وقيمته من تكريم خالقه له، لا من لغته أو موقعه أو لونه أو أي اعتبار آخر، إلى نظام يؤكد حق الإنسان في الأمن والحرية والحياة الكريمة في وطنه، كما يؤكد على العلاقات بين الشعوب وحقها في

العيش في عالم خالٍ من التهديد والاستعباد أو الاستبعاد، وهذا متحقق في المنهج السلفي.[١]

(١) النظام العالمي الجديد، د. مصطفى محمد الطحان، مجلة البعث، رجب – شعبان ١٤١٤هـ، ص: ٧٣.

فهرس المراجع

Č. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، الألباني: محمد ناصر الدين، إشراف محمد زهير شاويش، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ.

č. **أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام**، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية، ١٤٠٥هـ.

Ď. **الإسلام وتحديات العصر**، د. وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار المكتبي، دمشق.

ď. **الإعلام العربي والنظام العالمي الجديد**، د.عبد الله الجاسر، مجلة التعاون، إصدار مجلس التعاون الخليجي، العدد التاسع والعشرون، رمضان ١٤١٣هـ.

Đ. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن الوكيل، القاهرة مكتبة ابن تيمية ١٤٠٩هـ.

đ. **اقتضاء الصراط المستقيم**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

Ē. **الأنساب**، للإمام ابي سعد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والابحاث الثقافية، دار الجنان، الطبعة الاولى، ١٩٨٨م.

ē. **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، الطبعة الأولى، مصر المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

Ĕ. **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، للطبري أبي جعفر محمد بن جرير تحقيق: محمود شاكر، الطبعة الثانية، القاهرة مكتبة ابن تيمية.

Čċ. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: خليل الميس، الطبعة الثانية، بيروت، دار القلم.

ČČ. **الجامع الصحيح لسنن الترمذي**، الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث.

Čč. **الجامع الصحيح**، للإمام أبي عبد الله البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، مصر، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٤هـ.

ČĎ. **الجامع الصحيح**، للإمام مسلم بن الحجاج، المتوفى سنة ٢٦١هـ (مع شرح النووي عليه).

Čď. **جامع بيان العلم وفضله**، يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

ČĐ. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، الدسوقي: محمد بن عرفة، ط ١، بيروت، دار الفكر.

Čđ. **الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، د. حسين مؤنس، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون، الطبعة الثانية – الكويت.

ČĒ. **روضة الطالبين**، النووي: يحيى بن شرف، تحقيق: زهير شاويش، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤١٣هـ.

Čē. **السلسلة الصَّحِيحَة**، للعلامة الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

ČĚ. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فوائد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية.

čċ. **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت، المكتبة العصرية.

čČ. **سنن الدار قطني**، الدارقطني: علي بن عمر، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب ١٤١٣هـ.

čč. **السنن الكبرى**، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز ١٤١٤هـ.

čĎ. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

čď. **شرح العقيدة الواسطية**، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، الرياض: دار الثريا للنشر، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

čĐ. **شرح العقيدة الواسطية**، للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

čđ. **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، العثيمين: محمد بن صالح، الطبعة الأولى، مؤسسة آسام للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ.

čĒ. **شرح النووي على صحيح مسلم**، النووي: يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ المطبعة المصرية.

čē. **شعب الإيمان**، الإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

čĔ. **الصحاح**، للجوهري: إسماعيل بن حماد، المتوفى سنة ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، مصر، دار الكتاب العربي.

Ďċ. **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

ĎČ. **صَحِيح الْجَامِع**، للإمام الألباني، المكتب الأسلامي، بيروت.

Ďč. **صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع**، د. أحمد شلبي، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ĎĎ. **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**، أبو الحسن الندوي، دار القلم، ١٤٠٠هـ – الكويت.

Ďď. **العقيدة الطحاوية**، للإمام الطحاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

ĎĐ. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: الدويش، أحمد بن عبد الرزاق، الطبعة الأولى، الرياض، من مطبوعات دار الإفتاء.

Ďđ. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٨٠هـ.

ĎĒ. **الفقيه والمتفقه**، للخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي، السعودية ١٤١٧هـ.

Ďē. **قراءة نقدية لمفهوم "تصادم الحضارات"**، د. أحمد محمد العيسى، مجلة البيان، العدد الحادي والسبعون، رجب ١٤١٤هـ، إصدار المنتدى الإسلامي – لندن.

ĎĔ. **كشاف اصطلاحات الفنون**، محمد على التهانوى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.

ďċ. **لسان العرب**، ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر ١٣٧٤هـ.

ďČ. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ – ١٩٩٨م.

ďč. **مجلة البعث الإسلامي**، إصدار دار الندوة، لكنهو – الهند، المجلد الثامن والثلاثون، العدد العاشر، رمضان ١٤١٣هـ.

ďĎ. **مجلة البعث الإسلامي**، المجلد الحادي والأربعون، العدد الرابع، ذو الحجة ١٤١٦هـ.

ďď. **مجلة التعاون**، إصدار مجلس التعاون الخليجي، السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرين، رمضان ١٤١٣هـ.

ďĐ. **مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، المدينة النبوية.

ďđ. **المحلى في الفقه**، ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار التراث.

ďĒ. **مختار الصحاح**، الرازي: محمد بن أبي بكر، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠١هـ.

ďē. **مختارات من الخطب الملكية**، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

ďĔ. **المدخل الفقهي العام**، مصطفى الزرقا، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

Đċ. **المدونة الكبرى** للإمام مالك، رواية سحنون بن سعيد، مصر مطبعة السعادة.

ĐČ. **المستدرك على الصحيحين**، النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

Đč. **المسلمون في القرن الحادي والعشرين**، د. وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار المكتبي – دمشق.

ĐĎ. **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

Đď. **مسند الإمام أحمد بن حنبل** طبع دار الرسالة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، بيروت.

ĐĐ. **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، القاهرة.

Đđ. **المصنف في الأحاديث والآثار**، ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الهند، الدار السلفية.

ĐĒ. **المصنف**، عبد الرزاق بن الهمام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، بيروت المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ.

Đē. **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، الرحيباني: مصطفى بن سعد بن عبده، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٨٠هـ.

ĐĔ. **المطلع على أبواب المقنع**، لأبي عبد الله شمس الدين البعلي الحنبلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

đċ. **المعجم الفلسفي**، يوسف كرم وآخرون

đČ. **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون بيروت، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

đč. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، الشيخ محمد الخطيب الشربيني، بيروت، دار الفكر.

đĎ. **المغني**، ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، تحقيق: د. التركي والحلو، الطبعة الثانية، بيروت، دار هجر ١٤١٣هـ.

đď. **المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف**، تحقيق: عبد الله التركي، الرياض: دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

đĐ. **مناهج البحث العلمي**، عبد الرحمن بدوي، ط الثالثة، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات، الكويت.

đđ. **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، الشيرازي: أبو إسحاق، تحقيق: محمد الزحيلي، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم ١٤١٢هـ.

đĒ. **مواجهة الغزو الثقافي الصهيوني والأجنبي**، د. وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

đē. **موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي**، سعدي أبو جيب، الطبعة الثالثة، دمشق، دار الفكر ١٤١٨هـ.

đĚ. موقع الشبكة الإسلامية، على الرابط التالي: **www.islamweb.** -صلى الله علية وسلم- **et**

Ēċ. موقع الموسوعة الويكيبيديا على الرابط التالي: **www.ar.wikipedia.org**

ĒČ. **النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي**، ياسر أبو شبانة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

Ēč. **النظام العالمي الجديد**، د. مصطفى محمد الطحان، مجلة ا لبعث الإسلامي، إصدار دار الندوة، لكنهو - الهند، المجلد الثامن والثلاثون، العدد العاشر، رجب – شعبان، ١٤١٤هـ.

ĒĎ. **النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة**، د. حسن عبد الحميد عويضة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، دار الرشيد – الرياض.

Ēď. **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، الرملي: أحمد بن حمزة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ĒĐ. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير: أبو السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء ا لكتب العربية ١٣٨٣هـ.



دعوى ظلم السلفية للمرأة

إعداد

إبراهيم بن سعد السيف

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعد:

لقد كرم الله تعالى الإنسان، ورفع قدره، وأعلى شأنه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

والدين الإسلامي حفظ حقوق أفراده – من ذكور وإناث –، واهتم بشؤونهم، واعتنى بمصالحهم وكفل لهم الحياة الآمنة الكريمة؛ حتى يؤدوا ما عليهم من واجبات، ويتمتعوا بما لهم من حقوق.

وفي وقتنا الحاضر ارتفعت الأصوات، وعلت النداءات من أعداء الإسلام، أو من بعض أبنائه ممن ضلوا عن الطريق المستقيم؛ حول ظلم المرأة من قبل الإسلام وأهله، وعدم حصولها على حقوقها والتسلط عليها، وتلك دعاوى باطلة، وشبه زائفة يكذبها القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وواقع المسلمين وماضيهم المجيد.

فالنصوص الشرعية جاءت بحفظ كرامة المرأة، وتقرير حقوقها، ورفعة مكانها، وأهمية دورها في المجتمع، ودعت إلى الإحسان إليها وبرها، وفهم السلف الصالح تلك النصوص فهماً صحيحاً سليماً، وعملوا بمقتضاها؛

---

(١) سورة الإسراء، آية (٧٠).

فظهر تكريمهم للمرأة، واشتهر إحسانهم إليها، وبرهم بها؛ فهي الأم، والزوجة، والأخت، والبنت...، وهي مربية الأجيال، وصانعة الأمجاد.

وفي هذا البحث سوف أعرض – بصورة موجزة – مكانة المرأة قبل الإسلام وبعده، والمرأة في المملكة العربية السعودية، ودعوى ظلم السلفية للمرأة، والرد على ما أثير من شبه في ذلك. وقد جعلت هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة.

تمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم السلفية.

المطلب الثاني: قواعد المنهج السلفي وخصائصه.

المبحث الأول: مكانة المرأة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة المرأة في التشريعات والمجتمعات القديمة.

المطلب الثاني: مكانة المرأة في الإسلام.

المبحث الثاني: المرأة في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث: دعوى ظلم السلفية للمرأة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نقد مفهوم المساواة عند الغرب.

المطلب الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام.

المطلب الثالث: دحض بعض الشبهات حول ظلم المرأة.

الخاتمة.

المراجع.

ولا يفوتني هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل لمنسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة فضيلة الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبدالله أبا الخيل فلهم وافر الشكر، وعظيم الامتنان.

تمهيد

في هذا التمهيد سأتحدث عن السلفية من حيث مفهومها، وقواعد المنهج السلفي وخصائصه – بصورة مختصرة – وفق المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مفهوم السلفية:

أولاً: تعريف السلفية في اللغة:

يقال في اللغة: سَلَفَ يَسلُفُ سَلَفَاً وسُلُوفاً: إذا تقدم. والسالف: المتقدم، والسلف والسليف: الجماعة المتقدمون، والقوم السُّلّافُ: المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون. والسلف: من تقدم عليك[1].

ومنه يتبين أن السلف في اللغة يطلق على المتقدم، والسابق، والماضي.

ثانياً: تعريف السلفية في الاصطلاح:

جاء في كشاف اصطلاحات الفنون: "السلف في الشرع: اسم لكل من يقلد مذهبه في الدين، ويتبع أثره كأبي حنيفة وأصحابه؛ فإنهم سلف لنا، والصحابة والتابعين فإنهم سلفهم"[2].

أما من يمثل السلف؛ فهم أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ ممن شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية؛ قال ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (سلف) ٢٠٦٨/٣، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٥٨/٣.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي ٧٤٨/١.

قرنين أو ثلاثاً. ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون، ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن"[١].

ويطلق عليهم السلف الصالح، ويسمون عند المحققين من علماء العقيدة وأصول الدين (أهل السنة والجماعة)، حيث اجتمعوا على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "سموا بذلك لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة"[٢].

وبناء عليه فإن من تمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وسار على منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان في فهم النصوص الشرعية والعمل بها؛ فهو من السلف حتى وإن عاش متأخراً عن القرون الفاضلة؛ فالسلفية منهج باق إلى قيام الساعة؛ قال عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة"[٣][٤].

ومن هنا أصبح لفظ (السلف) عند المسلمين علماً على الصحابة ومن تبعهم بإحسان، الذين تمسكوا بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ: "وكان

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، الباب (٦٢)، الحديث رقم (٣٦٥٠)، ٣/٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٧/٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" ٦٥/١٣.

(٤) انظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، د. مصطفى حلمي ص١٩-٢٠.

ذلك نهجهم، وتلك طريقتهم، كالأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وعبدالله بن المبارك، والبخاري، ومسلم، وغيرهم، ولا يكون منهم من رمي ببدعة، أو دعا إلى ضلالة مثل: الخوارج، والروافض والجبرية، والمعتزلة، والجهمية، وسائر فرق الضلال والزيغ[1].

المطلب الثاني: قواعد المنهج السلفي وخصائصه:

إن للمنهج السلفي قواعد أساسية يقوم عليها، ويستند إليها، وبها تميز عن غيره من المناهج: فاتسم بسلامة المسلك، ووضوح الطريق، وسمو المقصد، فهو منهج واضح ومعتدل يقوم على التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، والاستشهاد بهما، والرجوع إليهما، وتحكيمهما في شؤون الحياة، وفهم نصوصهما فهماً صحيحاً سليماً بعيداً عن شبه المحرفين والضالين والغالين من المتأولة والمتكلمين. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2].

وهو منهج يتخذ الكتاب والسنة ميزاناً للقبول والرفض في المعتقدات، والأقوال، والأفعال؛ فما وافقهما قُبل، وما عارضهما فلا. والنصوص الشرعية لا تتعارض كما يدعي أهل البدع، وما يظهر من تعارض؛ فهو راجع إلى نفس المجتهد ونظره وفهمه.

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني ١/ ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، آية (١٥٣).

والسلفيون يسترشدون بفهم الصحابة والتابعين ومن التزم طريقتهم، وسلك منهجهم، ولا يعارضون الوحي بعقل، أو رأي، أو قياس، ويستخدمون الأدلة المنطقية، والأقيسة العقلية المستنبطة من النصوص الشرعية، وهم يقبلون خبر الآحاد الوارد عن النبي ﷺ، ويحتجون به في عامة أمور الدين إذا صح طريقه، ويردون على أهل البدع ويرفضون طريقتهم.

والسلف الصالح تميز منهجهم بالشمول في تناولهم لأمور الدين من عقيدة وعبادة وسلوك، وتميزوا بالوضوح والبيان، والبعد عن التناقض والاضطراب، واتسموا بالاعتدال والتوسط، ونبذ الجمود الفكري والتعصب المذهبي[1].

هذا هو المنهج الإسلامي الفريد الذي ترتاح إليه النفوس، وتطمئن به القلوب، ولا يناقض الفطر السليمة، والعقول الصحيحة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

---

(١) انظر: قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، د. مصطفى حلمي، ص١٥٩ وما بعدها، وانظر: المنهج السلفي تعريفه، تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه، د. مفرح القوسي، ص٣٥٧ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة، آية (٣).

المبحث الأول

مكانة المرأة

في هذا المبحث سوف أتحدث عن مكانة المرأة في التشريعات والمجتمعات القديمة، وعن مكانتها في الإسلام؛ وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مكانة المرأة في التشريعات والمجتمعات القديمة:

عند استعراض وضع المرأة في التشريعات والمجتمعات القديمة قبل الإسلام؛ نجد أنه وضع سيء للغاية؛ حيث لاقت المرأة أنواعاً من الظلم، والقسوة، والقهر، والاستبداد، ولم تعط حقوقها؛ فضلاً عن الاعتراف بها وتقدير قيمتها.

ففي القانون الصيني أنه: "ليس في العالم كله شيء أقل قيمة من المرأة، وأن النساء آخر مكان في الجنس البشري، ويجب أن يكون من نصيبهن أحقر الأعمال"[١].

وعند اليونان فقد كانت المرأة معزولة عن المجتمع، لا عمل لها سوى الإنجاب، وهي كائن ناقص، مسلوب الإرادة، ضعيف الشخصية[٢].

ولم يكن حال المرأة عند الرومان بأحسن من سابقيهم؛ فالمرأة عندهم كائن ضعيف، وأدنى من منزلة الرجل، ولابد أن تكون تحت سيطرته يتصرف بها كيف يشاء، وهي تباع وتشترى وتتزوج بدون رضاها، وتحرم من الميراث، وليس لها الحق في التصرف بمالها إلا بإذن غيرها[٣].

---

(١) مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، سالم البهنساوي، ص١٢.

(٢) انظر: الإسلام والمرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص١٢.

(٣) انظر: المرأة المسلمة، وهبي الألباني، ص٢٥- ٢٦.

أما المرأة عند الفرس : فهي محتقرة مهانة ، فالمجتمع الفارسي يستحل المحارم ، ويعدد الزوجات بدون حد ، ويبيح اتخاذ الخليلات ؛ للترفيه على السادة والضيوف[١].

والمرأة عند اليهود ؛ نبع الخطايا ، وسبب الآثام والذنوب ، فهي من حبائل الشيطان ، وأساس الخطيئة بين بني آدم ؛ فهي في نظرهم وراء أول معصية لآدم – عليه السلام – في الجنة. ولذا فإنها عندهم في موقف الشك والريبة ، وفي موضع الاتهام ، ويجب الحذر منها ، وعدم الوثوق فيها. كما أنهم يحتقرونها ، ولا يقيمون لها شأناً ، ولا يرعون لها حقاً ومن احتقارهم لها ؛ اعتبارها نجسة طوال مدة حيضها ، فلا يأكل الرجل من يدها ، ولا ينام معها في فراش واحد[٢].

والنصارى في موقفهم من المرأة سلكوا مسلك اليهود ؛ فالمرأة أساس كل شر ، ومنبع كل فتنة ، وهي مصدر الخطيئة ، وسلاح الإغراء ، فيجب الحذر منها ، والخشية من الوقوع في شراكها[٣]. وقد احتقروها وأهانوها ، بل إن بعض رجال الكنيسة قد غلوا في الاحتقار ؛ حيث تساءل هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ، وهل تدخل الجنة...[٤].

---

(١) انظر : مباحث في النظام الأسري في الإسلام ، د. مفرح القوسي ، ص٦٢.

(٢) انظر : حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ، إبراهيم النجار ، ص١٦.

(٣) انظر : المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية ، علي بن محمد الأنصاري ، ص٧-٨.

(٤) انظر : الإسلام والمرأة المعاصرة ، البهي الخولي ص١٤.

وكان المجتمع الهندي يسيء للمرأة، ويحتقرها، ويعاملها معاملة العبيد المماليك؛ فكانت ملكاً للأب، وتباع للزوج، وتعد بعد ذلك مادة الإثم، وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي، ولا يُسلم بوجود شخصية مستقلة لها[1].

وأما وضع المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام؛ فقد كان وضعاً سيئاً بعيداً عن الرحمة والشفقة؛ حيث كان من عادات العرب وأد البنات بعد ولادتهن خشية العار والفقر، وكانوا يؤثرون البنين على البنات، ويحرمون المرأة من الميراث، ولا تملك حق الانفصال عن زوجها وله أن يطلقها متى شاء، وكيف شاء، وللرجل أن يتزوج بدون حد ولا قيد، وكان الابن يرث نكاح امرأة أبيه[2]. وكان الزنا معروفاً غير مستنكر، وللرجل أن يتخذ خليلات وكانوا يُكرهون النساء على الزنا. ولا يعترفون بحق للمرأة أن تأخذه وتتمتع به كما قرر لها رب العباد.

مما سبق يمكن تلخيص حال المرأة في العصور التي قبل الإسلام بما يلي:

١- احتقار المرأة، وعدم تقديرها، والنظر إليها بازدراء ونقص، وأنها ليست مثل قيمة الرجل.
٢- انعدام المساواة بين المرأة والرجل فيما تجب فيه المساواة.
٣- إخضاع المرأة لخدمة الرجل، وتسليته، وجعلها متعة في يده.
٤- حرمان المرأة من حقوقها الواجبة لها، ومنعها من التصرف في نفسها وشؤونها ومالها.

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص٦٠- ٦١.

(٢) انظر: مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، سالم البهنساوي ص٢٢- ٢٣.

٥- اعتبار المرأة أساس كل شر، ومصدر كل فتنة، وسبب الإغواء والإغراء.

هذا باختصار هو وضع المرأة قبل الإسلام، وهو يعطي انطباعاً بعدم قيمتها، وسوء وضعها، وانعدام إنسانيتها.

المطلب الثاني: مكانة المرأة في الإسلام:

لما جاء الإسلام أعلى شأن المرأة، ورفع قيمتها، وذكر فضلها، وأقر حقوقها وواجباتها، وحفظ كرامتها، وصان عرضها، وأمر بالاهتمام بها وحفظها، وتدبير شؤونها، والقيام على ما يصلحها؛ وهذا رحمة من رب العالمين.

واهتمام الإسلام بالمرأة أماً، أو أختاً، أو بنتاً، أو زوجةً، واضح وظاهر، وذلك وفق منهج فريد، لا يساويه أي منهج، ولا يعادله أي تشريع.

وسوف أعرض هنا بصورة موجزة لمكانة المرأة في الإسلام:

١ – اعترف الإسلام بالمرأة، وساواها بالرجل في أصل الخلقة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[2]، وقال ﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال"[3].

---

(١) سورة النساء، الآية (١).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٣) رواه الدارمي في سننه، كتاب الصلاة والطهارة، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، الحديث رقم (٧٧٠)، ١/١٦٠)، ورواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب

٢ – ساوى الإسلام المرأة بالرجل في التكليف بالعبادة، والنهي عن المحرمات، والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

٣ – فرض الله تعالى للمرأة نصيباً في الميراث، فقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[2].

٤ – حرم الإسلام وأد البنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾[3]. وأقر للمرأة الحياة الكريمة، ومنع الاعتداء عليها.

٥ – منع الإسلام التشاؤم بمولد البنت؛ قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[4][5].

٦ – أمر الإسلام بالبر والإحسان للمرأة؛ أماً أو أختاً، أو زوجة، أو بنتاً، ورتب على ذلك الثواب لمن أحسن، والعقاب لمن أساء، قال الله تعالى:

في الرجل يجد البلة في منامه، الحديث رقم (٢٣٦)، ١/٦١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٢٩٧.

(١) سورة النحل الآية (٩٧).

(٢) سورة النساء، الآية (٧).

(٣) سورة التكوير، الآيتان (٨- ٩).

(٤) سورة النحل، الآيتان (٥٨- ٥٩).

(٥) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبدالحليم أبو شقة، ١/٧٠ وما بعدها.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[2]، وقال ﷺ: "استوصوا بالنساء خيراً"[3].

٧- منح الإسلام المرأة حق الولاية الكاملة على أملاكها الخاصة، ولها حرية التصرف في مالها كما تشاء — وفق الضوابط الشرعية والقواعد المرعية —[4].

٨ — نظم الإسلام الشؤون الأسرية، بما في ذلك الزواج والطلاق، والنفقة والعدة، واللعان، والخلع.. وفق منهج فريد، تحفظ فيه الحقوق، وتراعى فيه المصالح، ويأخذ كل طرف حقه كاملاً.

٩ — حافظ الإسلام على المرأة وصانها من أن تطالها أيدي العابثين، فأمرها بالحجاب، قال تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴾[5] وحرم الخلوة بالرجال الأجانب، قال عليه الصلاة والسلام: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم"[6].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، أبواب النكاح، الباب (٥٠)، الحديث رقم (١٩٨٥)، ٣٦٥/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٢٩/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، الباب (٨٠)، الحديث رقم (٥١٨٥)، ٢٥٢/٩، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٥٧/١.

(٤) انظر: مباحث في النظام الأسري في الإسلام، د. مفرح القوسي، ص٦٤- ٦٥.

(٥) سورة النور، الآية (٣١).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، الباب (١١١)، الحديث رقم (٥٢٣٣)، ٣٣٠/٩.

١٠ – أتاح الإسلام للمرأة الفرصة في التعلم، والعمل، والكسب المشروع، وفق ضوابط معينة تحفظ لها كرامتها، وتصون حقها، وتمنع من الاعتداء عليها.

ما سبق بيانه هو بعض الأمور التي تبين مكانة المرأة في الإسلام، وعظم شأنها، وعلو قدرها، وما ذاك إلا لأنها شقيقة الرجل، ومربية الأجيال، وصانعة الأبطال، وملهمة العقول، وبصلاحها وراحتها وأمنها وحصولها على حقوقها، تستطيع أن تعيش وتنجب وتربي وتصنع وتنجز وتبدع، وتؤدي رسالتها كاملة متمتعة بما لها من حقوق، ومؤدية ما عليها من واجبات.

المبحث الثاني

المرأة في المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية دولة إسلامية، تدين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما نصت على ذلك المادة السابعة من النظام الأساسي للحكم؛ "يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة".

وقد اهتمت المملكة العربية السعودية بالأسرة وشؤونها، وكفلت لها الحماية والرعاية؛ حتى تتمتع بما لها من حقوق، وتؤدي ما عليها من واجبات، جاء في المادة التاسعة من النظام الأساسي للحكم: "الأسرة هي نواة المجتمع، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله، ولرسوله، ولأولي الأمر، واحترام النظام وتنفيذه وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد".

وبما أن المرأة أحد أفراد الأسرة، بل وجزء هام فيها، وركن أساس في بنائها؛ كانت لها المكانة الرفيعة، والمنزلة العالية في المملكة العربية السعودية منذ إنشائها، ويحكي لنا التاريخ حدثاً هاماً عن دور كبير قامت به المرأة عند إنشاء هذه الدولة المباركة حيث قامت موضي بنت أبي وهطان زوج الإمام محمد بن سعود حاكم الدرعية بالتقريب بين الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمهم الله جميعاً – حيث قالت لزوجها: إن هذا

الرجل قد ساقه الله إليك، وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به فقبل الأمير قولها، وعُقد العهد المشهور بين الإمامين بنصرة التوحيد وأهله[1].

ومنذ ذلك التاريخ والمرأة السعودية تحظى باهتمام بالغ، وعناية فائقة من لدن حكام هذه البلاد وعلمائها، فحصلت على حقوقها كاملة في سائر شؤون الحياة من رعاية طبية، وتعليم، وعمل، حتى تبوأت المرأة السعودية مكانة عالية، ومنزلة رفيعة كانت مضرب المثل، ومثار الإعجاب.

ففي التعليم فتحت المدارس والمعاهد، وأنشئت الجامعات، وأتيح للمرأة الالتحاق بها والاستزادة من شتى المعارف والعلوم النافعة..

ونصت سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية على أن "يستهدف تعليم الفتاة وتربيتها تربية صحيحة إسلامية، لتقوم بمهمتها في الحياة، فتكون ربة بيت ناجحة، وزوجة مثالية، وأماً صالحة، ولإعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب، وتهتم الدولة بتعليم البنات، وتوفير الإمكانيات اللازمة ما أمكن لاستيعاب جميع من يصل منهن إلى سن التعليم، وإتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة والوافية بحاجة البلاد. ويمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم إلا في دور الحضانة ورياض الأطفال، ويتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والعفة، ويكون في كيفيته وأنواعه متفقاً مع أحكام الإسلام"[2].

---

(١) انظر: نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الفيصل آل سعود، أمين الريحاني ص٤٠- ٤١.

(٢) المواد (١٥٣- ١٥٤- ١٥٥- ١٥٦) من سياسة التعليم في المملكة، المرأة السعودية والتعليم، د. فوزية البكر ص٢٠- ٢١.

ولست هنا بصدد سرد تاريخي لتعليم المرأة في المملكة العربية السعودية، وإنما أشير إلى أنها قد أخذت حقها في التعليم بمراحله المختلفة وفي سائر التخصصات والمجالات الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والطبية.

وفي مجال العمل؛ فقد أتيحت الفرصة كاملة للمرأة السعودية في المشاركة في العملية التنموية للبلاد بما يناسب وضعها وفطرتها، وبما يتلاءم مع أحكام الشريعة الإسلامية، فعملت المرأة في القطاع الحكومي في المدارس، والمستشفيات، والجامعات والوزارات[1]، ووصل كثير منهن إلى وظائف قيادية كبيرة وبمراتب رفيعة؛ فقد صدر الأمر الملكي رقم (أ/٢٦) وتاريخ ١٤٣٠/٢/١٩هـ بتعيين الأستاذة / نورة بنت عبدالله بن مساعد الفايز نائباً لوزير التربية والتعليم لشؤون البنات بالمرتبة الممتازة، وصدر الأمر الملكي رقم (أ/٣٧) وتاريخ ١٤٢٨/٣/٢٥هـ بتعيين سمو الأميرة الدكتورة / الجوهرة بنت فهد بن محمد بن عبدالرحمن آل سعود مديرة لجامعة نورة بنت عبدالرحمن للبنات بالمرتبة الممتازة. وللتدليل هنا على اهتمام الدولة بتمكين المرأة من العمل، وزيادة الفرص فيه لهن أسوق نص قرار مجلس الوزراء الموقر رقم (١٢٠) وتاريخ ١٤٢٥/٤/١٢هـ المتضمن ما يأتي:

"١- على الجهات الحكومية التي تصدر تراخيص لمزاولة الأنظمة الاقتصادية – كل جهة في مجال اختصاصها – استقبال طلبات النساء لاستخراج التراخيص اللازمة لمزاولة تلك الأنشطة التي تمنحها هذه الجهات وإصدارها وفقاً للأنظمة والضوابط الشرعية.

---

(١) للاستزادة في ذلك ينظر عمل المرأة السعودية، د. وفيقة الدخيل ص٢٠٣ وما بعدها.

٢ – على جميع الجهات الحكومية التي تقدم خدمات ذات علاقة بالمرأة إنشاء وحدات وأقسام نسائية – بحسب ما تقتضيه حاجة العمل فيها وطبيعته – خلال مدة لا تزيد على سنة من تاريخ صدور هذا القرار.

٣ – على مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية تشكيل لجنة نسائية من ذوات الخبرة والكفاية، تتولى التنسيق مع الجهات ذات العلاقة لتشجيع منشآت القطاع الأهلي على إيجاد أنشطة ومجالات عمل للمرأة السعودية، دون أن يؤدي ذلك إلى فتح ثغرة لاستقدام عمالة نسائية وافدة، وتهيئة فرص إعداد السعوديات، وتأهيلهن وتدريبهن للعمل في تلك الأنشطة والمجالات، وتوفير الدعم المادي والمعنوي اللازم لقيامها على أن تسهم الجهات الحكومية – كل جهة بحسب اختصاصها – في تحقيق ذلك...".

وإيماناً من الدولة – حفظها الله – بأهمية دور المرأة في المجتمع، وثقة في إمكاناتها وعلو تأهيلها؛ فقد دعا مجلس الشورى أكثر من خمسين سيدة سعودية يمثلن مختلف مناطق المملكة من أستاذات جامعيات، ومربيات، وأديبات، وصحفيات للمشاركة بآرائهن في قضية اجتماعية وهي تفشي العزوبة والعنوسة؛ للبحث عن الأسباب والعلاج، وكان ذلك بتاريخ ٢٢/١٠/١٤٢٢هـ[١].

أما الهيئات الدينية في البلاد؛ فلم تكن بمنأى عن الاهتمام بشأن المرأة، وما يحفظ كرامتها، ويعلي قيمتها، فكان الإيضاح والبيان لكل شؤون المرأة في العبادات، والمعاملات وفق الضوابط الشرعية والقواعد المرعية، وبما يحفظ

---

(١) انظر: مسيرة المرأة السعودية إلى أين، د. سهيلة زين العابدين حماد، ص٢٥- ٢٦.

حقوقهـا ويمكنهـا مـن أداء واجباتهـا ومهامهـا ، وفي الوقـت نفـسه تـصدت للـدعوات الـضالة ، والنـداءات الباطلـة الـتي تنـادي بالـسفور والتـبرج وسـائر مظاهر الانحراف والضلال.

إن المجتمـع الـسعودي حكومـة وشـعباً ينظـر للمـرأة نظـرة إجـلال واحـترام وتقـدير ، نظـرة الإسـلام لهـا ، فهـو يكرمهـا ، ويحفـظ حقهـا ، ويرفـع قـدرها ، ويمكنها من مزاولة التعليم والعمل وفق ما تسنه الدولة من أنظمة ، وتضعه من ضوابط. أما يصدر من بعض التجاوزات الفردية ، والتصرفات الشخصية الـتي فيها ظلم للمرأة ، وانتقاص من قيمتها ، وهضم لحقوقها ؛ فهـي محسوبة عـلى أصحابها ، وقاصرة على من قام بها ، ولا يرضى بها دين ، ولا يقرها عقل.

المبحث الثالث

دعوى ظلم السلفية للمرأة

سبق أن بينت حال المرأة قبل الإسلام ؛ وما تعرضت له من ظلم ، وقهر ، واستبداد وعدم اعتراف بكيانها وإنسانيتها ، ولما جاء الإسلام أعلى شأنها ، ورفع مكانتها ، وأقر لها حياة كريمة آمنة تستطيع من خلالها أداء الواجبات التي عليها ، والتمتع بالحقوق التي لها.

وقد أثار أعداء الإسلام ، ومن في قلبه مرض كثيراً من الشبهات والدعاوى حول شريعة الإسلام وأنظمته ومدى صلاحيتها للزمان والمكان ، وكان من ذلك إثارة قضية المرأة في الإسلام ، والمرأة في المملكة العربية السعودية بخاصة ، وما تتعرض له من ظلم ، وكبت ، وهضم للحقوق ، وعدم مساواة بينها وبين الرجل.

ومن وجهة نظري أن ما أثير من شبه حول ظلم المرأة ؛ فإنها ترجع إلى شبهة أساس في الموضوع ؛ ألا وهي عدم المساواة بين المرأة والرجل.

ومن هنا فقد عقدت المؤتمرات الدولية ، وأذيعت الإعلانات العالمية ، وحررت المواثيق ، لتقرير تلك المساواة وإثباتها ، وإعلان القضاء على التمييز ضد المرأة.

وتلك العهود والمواثيق والمؤتمرات حينما تتحدث عن المساواة بين الرجل والمرأة ، فإنها تعني المساواة التامة في شتى مجالات الحياة ، في الحقوق والواجبات ، وفي المسؤوليات والالتزامات التشريعية والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، دون استثناءات معينة ، وضوابط

محددة تراعي وضع المرأة، وتكوينها، وخلقتها، وفطرتها، وظروفها المختلفة[1].

إن كثيراً من الشبه التي تلصق بالسلفية والمرأة، تنشأ عند من أطلقها – بقصد أو بدون قصد – من مبدأ عدم المساواة بين الرجل والمرأة؛ الأمر الذي أدى إلى ظلم المرأة، وعدم تمتعها بالحقوق التي أخذها الذكر، وهو كلام عارٍ عن الصحة، مخالف للحقيقة مجافٍ للواقع الذي يثبت أن أصحاب الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ هم أكثر الناس إكراماً للمرأة، وإحساناً لها.

ولذا سوف أتحدث في هذا المبحث عن الدعاوى والشبه التي أثيرت حول ظلم المرأة في الإسلام، وكيف أنها شبه ضعيفة، لا تقوم على دليل، ولا تستند إلى برهان، ولا تنطبق مع واقع، وتكذبها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، والواقع الذي يشهد بتكريم المرأة، وصيانة حقوقها التي كفلها الإسلام لها، ومنه يتبين حال المرأة في الغرب وما تعرضت له من ظلم وإساءة، وتكليف بما لا يطاق دون النظر إلى فطرتها وطبيعتها التي خلقها الله تعالى عليها.

المطلب الأول: نقد مفهوم المساواة عند الغرب:

سبق أن ذكرت بأن المساواة في المؤتمرات الدولية، والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان، تعني المساواة التامة بين الرجل والمرأة في جميع المجالات والالتزامات والمسؤوليات، دون اعتبار لطبيعة المرأة وفطرتها.

---

(١) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبدالكريم ١/ ٢٧٧.

فباسم المساواة عندهم تتقلد المرأة المناصب العامة، وتُنتخب، وتَنتخِب، وتتساوى مع الرجل في المسؤوليات داخل كيان الأسرة، فليس هناك قوامة للرجل، وباسم المساواة تعمل المرأة بجانب الرجل دون ضوابط وقيود في المناجم والمعامل والثكنات العسكرية ونحو ذلك[1].

والمساواة بتلك الطريقة باطلة شرعاً وعقلاً؛ حيث إن المرأة تختلف عن الرجل اختلافات جسمية، ونفسية، وعضوية، وعقلية، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[2].

فالاختلافات في الخلقة بين الرجل والمرأة واضحة وظاهرة، حتى يؤدي كل جنس دوره وعمله الذي كلف به، وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه. وقد أثبت العلم الحديث هذا الأمر وبين أن فروقاً بين المرأة والرجل تبدأ في وقت مبكر جداً – قبل الحمل – ويظهر ذلك في الفروق الموجودة بين الحيوان المنوي وبويضة الأنثى. كما أثبت اختلافات في الأطراف، والأعضاء، والعظام، والعضلات والقلب، والقدرة[3] – ليس هذا مجال ذكرها – وهذا من شأنه أن يمنع المساواة بين الذكر والأنثى بالطريقة التي يريدها الغرب، فالمرأة تختلف عن الرجل في أمور عديدة، عضوية، ونفسية وعقلية، والمرأة تحيض، وتحمل، وتضع، وترضع، وجعل الله تعالى تلك الاختلافات، حتى تَتلاءم المرأة مع وظيفتها الأساسية في الحياة؛ ألا وهي وظيفة الأمومة، وتربية الأولاد.

---

(١) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبدالكريم ١/ ٢٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣٦).

(٣) انظر: وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني، علي القاضي، ص١٢ وما بعدها.

والمساواة التي ينادي بها هؤلاء يكذبها واقعهم، ويكشف زيفها عملهم، ويبطلها حالهم؛ ففوق تكليف المرأة ما لا تطيق – بدعوى المساواة –، وتحميلها ما لا تستطيع، فإن الوظائف العليا عندهم، والمناصب الرفيعة مثلاً لا ينالها إلا الرجال في غالب الأمر(١)، فأصبح ما ينادون به، ويدعون إليه مجرد شعارات كاذبة، وادعاءات زائفة.

وما نراه اليوم في بعض تلك المجتمعات التي نادت بالمساواة حسب طريقتها من ظلم للمرأة يتمثل في تكليفها ما لا تطيق، والتحرش بها، واغتصابها، واستعبادها، لدليل واضح على كذب ما ادعوه، وضلال ما نادوا به، فالمطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تؤدي بهما إلى الضياع، وفقدان الحقوق(٢).

المطلب الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام:

لقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في صور معينة مساواة رفيعة، حفظت لكل جنس حقه، وأظهرت كرامته، فالإسلام قد ساوى بينهما في أصل الخلق، فلا فضل لأحدهما على الآخر في إنسانيته؛ فالجميع من طين، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ** ﴿٧﴾ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ **فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ**

---

(١) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبدالكريم، ١/٢٣٣.

(٢) انظر: المرأة السعودية بين الادعاء والحقيقة، د. عفاف الهاشمي، ص٢٠- ٢١.

(٣) سورة السجدة، الآية (٧).

(٤) سورة النساء، الآية (١).

بَعۡضٖۖ ﴾[1]، "لقد سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل وأنزل الرجل من عليائه وجعله بعضاً من المرأة، فكلاهما يكمل الآخر، ولا يستقيم أمر الدنيا إلا بهذه الطبيعة المزدوجة، وهذا التداخل الوثيق"[2].

وساوى الإسلام بين الرجل والمرأة من حيث التكاليف الشرعية، ومن حيث الثواب والعقاب قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[4]، وأداء ما افترض الله تعالى، وترك ما نهى عنه يشترك فيه الذكر والأنثى، والأدلة في هذا واضحة وكثيرة.

وكما أثبت الإسلام للرجل حقوقاً مدنية من زواج، وإثبات ملك، وإبرام للعقود، وتحمل للالتزامات؛ جعل للمرأة حقاً في ذلك، ولها شخصيتها المستقلة، وتحتفظ باسمها وباسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية، فلها أن تبيع، وتشتري، وترهن، وتؤجر، وتهب..[5]، وأباح الإسلام لها أن تختار الزوج الذي تريده، وحرم تزويج البالغة العاقلة بدون رضاها، قال ﷺ: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩٥).

(٢) المرأة وحقوقها في الإسلام، محمد الصادق عفيفي، ص١٣٣.

(٣) سورة النحل، الآية (٩٧).

(٤) سورة غافر، الآية (٤٠).

(٥) المرأة في الإسلام، علي وافي، ص١١.

وكيف إذنها قال: أن تسكت"[1]. وحرم الإسلام عضل المرأة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2].

كما أن الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة في حق كل واحد منهما في التعليم والعمل؛ فعناية الإسلام بالعلم واضحة جلية، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[3]، وطلب العلم يشمل الذكر والأنثى؛ قال عليه الصلاة والسلام: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[4]، وكلمة مسلم تشمل الجنسين، وقد حرصت أمهات المؤمنين والصحابيات – رضي الله تعالى عنهن – على التفقه في الدين والاستزادة من العلم النافع، وبرز كثير منهن في العلم والفقه في الدين؛ فهذه أم المؤمنين عائشة – رضي الله تعالى عنها – روت عن النبي ﷺ ألفي حديث، وأختها أسماء – رضي الله تعالى عنها – روت ستة وخمسين حديثاً"[5]، والتاريخ الإسلامي حافل بالأمثلة الكثيرة من النساء العالمات، والفقيهات، والأديبات.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا بإذنهما، الحديث رقم (٤٧٤١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٣٢).

(٣) سورة العلق، الآيات (١- ٥).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه، باب الانتفاع بالعلم والعمل، الحديث رقم (٢٣٧)، ٤٨/١، وضعفه السخاوي من ناحية الإسناد، انظر: المقاصد الحسنة، ص٢٧٥- ٢٧٧.

(٥) انظر: المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية، علي الأنصاري، ص٢٩.

وبما أن الإسلام يحث على طلب العلم والاستزادة منه ؛ فإنه ينبغي أن يكون تعلم المرأة أمراً أساسياً في حياتها ، وضرورة ملحة لابد من تحقيقها ؛ إذ إن المرأة تقوم بدور التربية والتوجيه للناشئة ، وهي لبنة رئيسة في بناء الأسرة المسلمة ، فلابد أن تكون على قدر كبير من العلم والثقافة ، خاصة في أمور دينها ومتطلبات حياتها[١].

ومن هنا فإنه يجب على القائمين على شؤون تعليم المرأة أن يوجهوها إلى تعلم كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ فهما الأساس ، والتركيز على دروس التربية والأخلاق ، وبناء الأسرة المسلمة السعيدة ، والعناية بتربية الأطفال جسدياً وروحياً ، وتعلم شؤون البيت من طهي ، وخياطة ، ونحو ذلك ، كما ينبغي التركيز على توجيه بعض الدارسات إلى العلوم النافعة المفيدة في اللغة العربية ، والعلوم الاجتماعية ، وتوجيه بعضهن لدراسة الطب والتمريض ، وكل علم مفيد نافع يستطعن من خلاله نفع أنفسهن وغيرهن من النساء في جو آمن بعيد عن الإساءة لهن مادياً أو معنوياً وفق الضوابط الشرعية والقواعد المرعية.

وأعطى الإسلام المرأة حقها في العمل والكسب المشروع بما يتناسب مع طبيعتها ، ويتلاءم مع فطرتها ويحفظ كرامتها ، ومن تكريم الإسلام لها جعل المكان الطبيعي لعملها هو بيتها ، قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٢] ، وقد كلفت برعاية بيتها ، قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) انظر : مباحث في النظام الأسري في الإسلام ، د. مفرح القوسي ، ص٧٠.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣).

"المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها"[1]، وتأكيداً لهذا الأمر، فقد أسقط الله تعالى عنها بعض الأمور التي تقضى خارج البيت، كالصلاة في المساجد، والجهاد في سبيل الله[2]، وإذا احتاجت للعمل خارج البيت لظرف؛ فقد أباح الإسلام لها ذلك وفق ضوابط معينة تضمن إباحة ما خرجت لشأنه، وكونه خالياً من الخلوة بالأجانب، ومناسباً لطبيعة المرأة وتكوينها، وأن تلتزم بالحجاب الشرعي.

ما سبق بيانه يوضح المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام في أمور عديدة وفق منهج إسلامي فريد، وهذا لا يمنع من الإشارة إلى أن الإسلام قد فرق بين الرجل والمرأة في بعض الأمور؛ مراعاة لطبيعة المرأة وفطرتها، وصيانة لها، وحفظاً لشؤونها، فالصلاة مثلاً تسقط عن المرأة وقت الحيض والنفاس، ولا تؤمر المرأة بحضور الجمع والجماعات، وتفطر أثناء الحيض والنفاس، ولا تلبس مثل لبس الرجل في الإحرام... ونحو ذلك من الأمور التي جاء تفصيلها في كتب الفقه، وليس هذا موضع بسطها.

وفي أمر الأعباء الاقتصادية؛ فقد رحمت الشريعة الإسلامية المرأة، فكفلت لها من أسباب الرزق ما يصونها عن التبذل، ويحميها من الوقوع في المحذور، فأعفاها الإسلام من أعباء المعيشة وجعلها على كاهل الزوج، وما دامت المرأة غير متزوجة ولا معتدة من زوج؛ فنفقتها واجبة على أصولها، أو فروعها، أو أقاربها الوارثين لها، وإن لم يكن لها قريب قادر على الإنفاق؛

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، الباب رقم (٩٠)، الحديث رقم (٥٢٠٠)، ٩/٢٩٩.

(٢) انظر: مباحث في النظام الأسري في الإسلام، د. مفرح القوسي، ص٧٣.

فنفقتها على بيت المال[1]، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[3].

المطلب الثالث: دحض بعض الشبهات حول ظلم المرأة:

بعد أن أوضحت – فيما سبق – مساواة المرأة بالرجل في الإسلام؛ أعرض هنا بعض الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام من غير المسلمين، ومن تأثر بهم من بعض المسلمين حول ظلم المرأة في الإسلام، وسيطرة الرجل عليها، وعدم أخذها حقوقها، وهي في واقع الأمر شبه ضعيفة لا تستند إلى دليل، ولا تقوم على حجة، والغرض منها تشويه صورة الإسلام وأهله؛ وإلا فإن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة – كما فهمها السلف الصالح – تدعو إلى تكريم المرأة، وحفظ حقوقها، وإعلاء شأنها.

وفيما يلي أبرز تلك الشبهات، والرد عليها:

الشبهة الأولى:

قولهم: إن جعل القوامة للرجل؛ فيه ظلم للمرأة، وقهر لها، وحجر عليها، وهدم لشخصيتها ومصادرة لإنسانيتها.

الرد عليها:

جعل الله تعالى القوامة للرجل، قال عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[4]، فالقوامة تكليف

---

(١) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبدالكريم ١/٣٢٩- ٣٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(٣) سورة الطلاق، الآية (٦).

(٤) سورة النساء، الآية (٣٤).

للرجل، ومسؤولية مناطة به، وليس فيها قهر أو استبداد أو تعسف أو تسلط، بل فيها القيام بما يصلح المرأة، ويحفظ حقها، ويوفر لها الحياة الكريمة الآمنة، قال ابن كثير رحمه الله تعالى حول هذه الآية: "أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه، وسنة رسوله ﷺ؛ فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها؛ فناسب أن يكون قيماً عليها"[١].

فأسباب القوامة – كما ذكرها العلماء – ثلاثة:

١ – كمال العقل والتمييز، قال القرطبي – رحمه الله تعالى –: "إن الرجال لهم فضيلة في زيادة العقل والتدبير؛ فجعل لهم حق القيام عليهن لذلك"[٢].

٢ – كمال الدين.

٣ – بذل المال من الصداق والنفقة[٣].

والرجل بما يملكه من إمكانات جسدية وفكرية ونفسية ومادية يتحمل أعباء هذه القوامة، فهو المطالب بتأمين المهر، وبيت الزوجية، وتحمل الأعباء المادية، والنفقة، وهو الأعرف بتدبير الأمور وتحمل العواقب، وتقدير الظروف والأحوال، ويستطيع أن يقوم بما كلف به من مهام شاقة بعكس المرأة

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٦٧٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ١١٠.

(٣) انظر: المرأة السعودية بين الادعاء والحقيقة، د. عفاف الهاشمي ص٤٧.

التي يعتريها من الظروف – بحسب خلقتها – ما يجعلها غير قادرة على تحمل تلك الوظائف[١].

وقوامة الرجل على المرأة لا تعني الاعتداء على حقوقها، وسلب إرادتها، وطمس هويتها والتصرف في أموالها الشخصية، فالمرأة لها أن تتصرف في مالها – بما لا يخالف الشرع – من بيع وشراء وإجارة، وهبة..، ولها حق التخاصم والترافع للقضاء[٢]، ولها حرية التعبير وإبداء الرأي بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية.

والرجل حينما يتولى إدارة شؤون أسرته ويقوم على مصالحها؛ فإنه مطالب باستشارة زوجته أو من هي في ولايته، والاستئناس برأيها، وفي ذلك تطييب لخاطرها، ورفع لمعنوياتها وإحساسها بالمسؤولية قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ ﴾[٣] فهنا أرشد الله تعالى للمشورة، فلا يجوز أن يستبد أحد الطرفين برأيه من غير رضى الآخر[٤]، وإذا كان بعض المسلمين قد تسلط على المرأة، وقهرها، ومنعها من حقوقها بزعم أنه قيم عليها، فهذا تصرف شخصي خاطئ، لا يقره شرع، ولا يرضاه عقل، وليس من القوامة في شيء، فالقوامة هي أن يقوم الرجل على شأن المرأة بما يصلح حالها، ويحفظ حقها، ويصون عرضها، ويبقي كرامتها.

---

(١) انظر: الأسرة السعيدة في رحاب الإسلام، د. حسن أبو غدة، ص٣٦- ٣٨.

(٢) انظر: مباحث في النظام الأسري في الإسلام، د. مفرح القوسي، ص٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٤.

الشبهة الثانية:

قولهم: إن الإسلام أهان المرأة، وانتقص من قدرها حينما جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

الرد عليها:

جعلت الشريعة الإسلامية نصاب الشهادة التي تثبت الحقوق لأصحابها في الأموال وما يؤول إليها شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[١]، والحكمة في ذلك أن المرأة تكون في بيتها تؤدي وظيفة الأمومة والتربية، وبعيدة عن مخالطة الرجال والاحتكاك بهم، واشتغالها في البيع والشراء والأمور المالية، وإبرام العقود قليل في واقع الأمر، ثم إن عاطفتها مرهفة، ويعتريها ضعف، ونسيان، وانفعال بسبب تكوينها؛ الأمر الذي يستلزم إضافة شهادة امرأة أخرى معها؛ دفعاً للشك، ومنعاً للخطأ[٢].

الشبهة الثالثة:

قولهم: إن الإسلام قد بخس حق المرأة حينما أعطاها في الميراث نصف ما أعطى الرجل.

الرد عليها:

الإسلام دين عدل وإنصاف، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٣]، وقد جعل الله عز وجل نصيب الذكور في الميراث أكبر من نصيب الإناث؛ قال

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٣).
(٢) انظر: هل هن ناقصات عقل ودين، محمد سلامة، ص٦ وما بعدها.
(٣) سورة ق، الآية (٢٩).

تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ ﴾[2]، فهذه الاختلافات قد بنيت على أساس الاختلاف بين أعباء الرجل وما يتحمله من مشاق كثيرة وأعباء المرأة، فالرجل هو الذي يقوم بالعمل والكسب، والإنفاق على من يجب عليه الإنفاق عليهم من الوالدين والإخوة والزوجة والأولاد، فناسب أن يكون نصيبه أعلى، وهذا من العدل الذي جاء به الإسلام، فالمرأة ليست مكلفة بالإنفاق كما الرجل[3].

الشبهة الرابعة:

قولهم: إن جعل الطلاق بيد الرجل فيه ظلم للمرأة، وقهر لها.

الرد عليها:

جاءت نصوص الكتاب والسنة بجعل الطلاق بيد الرجل، ولا تملكه المرأة، قال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ ﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ ﴾[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: "إنما الطلاق لمن أخذ بالساق"[6]، والله تعالى أعلم بما يصلح حال عباده، فجعل الطلاق بيد الزوج؛ فهو القائم

---

(١) سورة النساء، الآية (١١).

(٢) سورة النساء، الآية (١٧٦)

(٣) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبدالكريم ١/٢٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٣٦).

(٥) سورة الطلاق، الآية (١).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، الباب (٣١)، الحديث رقم (٢٠٨١)، ص٣٦٠، وحسنه الألباني في إرواء الغليل برقم (٢٠٤١)، ٧/١٠٨.

بشؤون الأسرة، والأعلم بحالها، والمنفق عليها، وهو أقوى إرادة، وأكثر تعقلاً من المرأة وأدرى بعواقب الأمور، ونتائج الأحداث، والمرأة بطبيعتها سريعة الانفعال، شديدة الاندفاع متقلبة المزاج، تغلب عليها العاطفة، وتتأثر سريعاً بما حولها، فإذا منحت هذا الحق فلربما شرعت بإيقاع الطلاق؛ مما يؤدي إلى ضياع الأسرة وتشتت أفرادها[1].

والشريعة الإسلامية قد حمت الطلاق وأحاطته بسياج متين، حتى لا يسيء الزوج استعمال هذا الحق، فمنعت من إيقاع الطلاق بدون سبب، وورثت الزوجة من مطلقها إذا طلقها في مرض الموت بقصد حرمانها من الميراث، وجعلت من حق الزوجة أن تطلب الطلاق إذا أساء الزوج معاملتها، ولم ينفق عليها، كما جعلت من حقها مخالعة زوجها إذا لم تطق العيش معه[2]، وفي هذا إكرام للمرأة، وحفظ لحقوقها، ومنع من التجاوز في استعمال الحق.

الشبهة الخامسة:

قولهم: إن تعدد الزوجات في الإسلام فيه ظلم للمرأة، وتعدٍ عليها.

الرد عليها:

شرع الإسلام تعدد الزوجات، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن

---

(١) انظر: المرأة وحقوقها في الإسلام، محمد الصادق عفيفي، ص١٨٩ - ١٩٠.

(٢) انظر: مباحث في النظام الأسري في الإسلام، د. مفرح القوسي، ص٩٧.

(٣) سورة النساء، الآية (٣).

تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾[1]، فتعدد الزوجات ليس فيه اضطهاد للمراة، ولا تعدٍ عليها؛ فهو مشروط بالعدل في الأمور المادية من مسكن ومأكل، ومشرب وملبس، ومبيت.. والتعدد كان موجوداً قبل الإسلام في شعوب كثيرة مثل: الصينيين والهنود، والفرس، والعرب[2]، فالإسلام لم ينشئ التعدد؛ فلقد سبقته في ذلك الأديان السماوية السابقة، والله تعالى قد أعطى الرجل قوة في بدنه، وقدرة على الجمع بين زوجتين، والزوجة تمر بظروف عديدة من حمل، ووضع، وحيض، ونفاس؛ الأمر الذي يدعو الرجل للاقتران بأخرى وفق زواج شرعي صحيح، وهذا خير له من أن يقع فيما حرم الله[3].

ثم إن الحياة الزوجية معرضة لوقوع المشاكل، وحدوث الاختلافات، فخير للزوجة أن تعيش في كنف زوج معدد من أن تطلق وتنهدم حياتها، ويتشتت أولادها، أو أن ترى زوجها قد اتخذ خليلة.

والمجتمع اليوم بحاجة إلى التعدد لما يرى من كثرة العنوسة، وحصول ظروف كثيرة حالت دون زواج بعض الفتيات، وهن في حاجة للاستقرار والأمومة.

وبناء عليه فإن الإسلام أباح التعدد وفق ضوابط معينة تكفل حق الزوجة، وتحمي كرامتها، وتستطيع من خلالها أداء رسالتها في الحياة.

---

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٢) انظر: قصة الزواج والعزوبة في العالم، د. علي عبدالواحد وافي ص٥٠- ٥٣.

(٣) انظر: تعدد الزوجات وتحديد النسل، عطية محمد سالم، ص٩٣- ٩٤.

ما سبق بيانه هو بعض الشبه التي يثيرها غير المسلمين، أو بعض المسلمين ممن زاغ فكره، وضل عن طريق الصواب حول المرأة وما تتعرض له من ظلم واضطهاد في الإسلام، وقد سقتها والرد عليها باختصار.

وأشير هنا إلى أن فهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فهماً صحيحاً كما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة؛ من شأنه أن يوضح الحق، ويظهر الحقيقة، ويدمغ الباطل وأهله.

والشريعة الإسلامية جاءت بما يصلح الناس، ويحفظ حقوقهم، ويصون كرامتهم، ويسعد حالهم في الدارين، وهي صالحة لكل زمان ومكان.

والتعاطي مع من يثير تلك الشبه حول ظلم المرأة في الإسلام لابد أن يكون بحكمة وروية وهدوء، ويتأكد هذا في حق من يثير تلك الشبه من المسلمين ممن اتبع هواه، فيتم بيان الحق له بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وما كان عليه حال السلف الصالح من الخلفاء الراشدين — رضي الله تعالى عنهم — ومن تبعهم بإحسان، وتكون المجادلة بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، وبيان الدليل، وإيضاح البرهان، والاستشهاد بالواقع الذي نعيشه فهو مليء بالشواهد، ويتم البعد عن التفريق بين المسلمين، وزرع الفتنة بينهم بالتكفير والتفسيق والتبديع دون مستند شرعي واضح.

إن المسلمين اليوم بحاجة إلى الاجتماع والوحدة، ونبذ الفرقة والاختلاف، وهم بحاجة كذلك إلى التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله

---

(١) سورة النحل، الآية (١٢٥).

ﷺ والنهل من معينهما الذي لا ينضب، وفهم نصوصهما فهماً صحيحاً سليماً كما فهمها سلفنا الصالح.

وبما أن الحديث عن المرأة المسلمة، فإن ما حصل لها من صور الظلم والاستبداد من قبل البعض، فإنما هو بسبب بعدنا عن الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، أو الفهم الخاطئ للنصوص، أو اتباع الهوى، والتقليد الأعمى[1]؛ وإلا فالمرأة في الإسلام لها منزلة عظيمة، ومرتبة عالية رفيعة وتصرفات الأشخاص محسوبة عليهم، ومرتبطة بهم، وهم مسؤولون عنها، ولا يعني هذا نسبتها للإسلام وتعاليمه السمحة.

---

(١) انظر: المرأة المسلمة والظلم الاجتماعي المعاصر، د. سارة آل سعود، ص١٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، في ختام هذا البحث خلصت إلى النتائج التالية:

١- عظم المنهج الإسلامي، وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان، وهو كفيل بحفظ الحقوق وتحقيق السعادة لمن اعتنقه وعمل به.

٢- من تمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وسار على منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان في فهم النصوص الشرعية والعمل بها، فهو من السلف الصالح حتى وإن تأخر زمانه عن القرون المفضلة.

٣- للمنهج السلفي قواعد أساسية يقوم عليها، ويستند إليها، وهي التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، والاستشهاد بهما، وفهم نصوصهما فهماً صحيحاً، ورفض شبه الضالين وتأويل المتكلمين والرد عليهم، واستخدام الأدلة المنطقية والأقيسة العقلية المستنبطة من النصوص الشرعية، وقبول خبر الآحاد إذا صح طريقه.

٤- اتسم المنهج السلفي بالشمول، والوضوح والبيان، والبعد عن التناقض والاضطراب، واتصف بالاعتدال والتوسط، ونبذ الجمود الفكري، والتعصب الذهبي.

٥- كانت المرأة في المجتمعات والتشريعات القديمة مظلومة، ومهانة، ولم يعرف لها قدر، ولم يقم لها وزن، وحرمت من حقوقها، ولم تتمتع بحياتها.

٦- أعلى الإسلام شأن المرأة، ورفع قدرها، وحفظ حقوقها، وأمر بالإحسان إليها.

٧- أتاح الإسلام للمرأة الفرصة في التعلم، والعمل، والكسب المشروع، وفق ضوابط معينة تحفظ لها كرامتها، وتصون حقها.

٨- اهتمت المملكة العربية السعودية بشأن الأسرة، وحفظ حقوق أفرادها من رجال ونساء فهي نواة المجتمع.

٩- منذ إنشاء الدولة السعودية والمرأة فيها تحظى بمنزلة رفيعة، واهتمام بالغ في شتى المجالات فأتيحت لها الفرصة في التعلم والعمل، والمشاركة في النهضة التنموية للبلاد.

١٠- أصدرت المملكة العربية السعودية كثيراً من الأنظمة التي تكفل حق المرأة في التعلم والعمل وزيادة الفرص لهن في ذلك وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

١١- كان لعلماء المملكة العربية السعودية دورٌ واضحٌ في الاهتمام بقضايا المرأة، وحفظ حقوقها والذب عنها، وعدم معارضة تعليمها وعملها، ما داما وفق الضوابط الشرعية.

١٢- أثار أعداء الإسلام، وبعض أبنائه – ممن ضل فكرهم – بعض الشبه حول ظلم المرأة في الإسلام وعدم حصولها على حقوقها، وهي شبه ضالة، ودعاوى باطلة، لا تقوم على دليل، ولا تستند إلى برهان، ومعظمها يرجع إلى دعوى عدم المساواة بين المرأة والرجل.

١٣- الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، والواقع الذي نعيشه، يكذبان الدعاوى الباطلة التي تثار حول ظلم المرأة المسلمة وانتهاك حقوقها.

١٤- المساواة بين الرجل والمرأة عند الغرب تعني المساواة التامة بينهما في جميع المجالات والالتزامات والمسؤوليات ؛ دون اعتبار لطبيعة المرأة وفطرتها التي فطرها الله عليها.

١٥- المساواة عند الغربيين بتلك الطريق باطلة شرعاً، وعقلاً، فالمرأة تختلف عن الرجل اختلافات جسمية، ونفسية، وعضوية، وعقلية، وتلك المساواة فيها ظلم للمرأة، وتحميل لها فوق طاقتها، وصرف لها عن وظيفتها الأساس ؛ الأمومة والتربية.

١٦- ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في صور معينة مساواة رفيعة، حفظت لكل جنس حقه، وأظهرت كرامته، فساوى الإسلام بينهما في أصل الخلقة، والتكاليف الشرعية وأثبت لكل منهما حقوقه المدنية، من زواج، وإبرام للعقود، وتحمل للالتزامات، وكسب، وعمل وجعل لهما حرية الاختيار والتصرف في شؤونهم الخاصة وفق أحكام الشريعة.

١٧- فرق الإسلام بين الرجل والمرأة في بعض الأمور ؛ مراعاة لطبيعة المرأة، وخلقتها فأسقط عنها الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس، ولم تؤمر بحضور الجمع والجماعات، وخفف عنها الأعباء الاقتصادية، فأمر بالنفقة عليها على من تجب نفقتها عليه.

١٨- من أهم الشبه التي أثيرت حول ظلم المرأة في الإسلام وانتهاك حقوقها ؛ أن القوامة للرجل عليها، وأنها ترث نصف ما يرث الرجل، وشهادتها على النصف من شهادة الرجل، وأن الطلاق بيد

الزوج، وله الحق في التعدد بالزواج عليها... وهي شبه باطلة شرعاً وعقلاً ويكذبها الواقع والدلائل والشواهد.

١٩- الأمور التي فرق الإسلام فيها بين الرجل والمرأة؛ نظر فيها إلى اعتبارات عديدة، منها طبيعة كل جنس وتكوينه، وقدرته على التحمل والتلاءم مع ما وكل إليه من مهام، ومنها رجاحة عقل الرجل، وقوته الجسدية، وكثرة الأعباء التي تحملها وصعوبتها.

٢٠- ما حصل من تجاوزات من بعض المسلمين فيها ظلم للمرأة وإساءة لها، فهي تصرفات شخصية محسوبة على أصحابها، وهي نتيجة جهل، أو اتباع هوى، أو تقليد أعمى.

التوصيات:

١- إنشاء المراكز البحثية التي تهتم بالدراسات المتعلقة بشؤون المرأة في شتى المجالات، ودعمها بكل ما تحتاج.

٢- فتح المعاهد التدريبية الخاصة بالنساء؛ لتدريبهن على كل مفيد من أمور الدين والدنيا، وخاصة ما يساعدهن على أداء وظيفة الأمومة والتربية للناشئة، وتدبير شؤون البيت والأسرة.

٣- المشاركة الفاعلة من قبل المختصين والمهتمين بشؤون المرأة والأسرة في المؤتمرات والندوات المتعلقة بالمرأة، وإيضاح الصورة الحقيقية لما تعيشه المرأة في الإسلام من تكريم وحفظ للحقوق.

٤- أن تحرص وسائل الإعلام المختلفة على تقديم النافع والمفيد للأسرة المسلمة في أمور الدين والدنيا، وأن تهتم بتقديم البرامج الهادفة

للمرأة المسلمة في كيفية إدارة شؤون البيت ورعايته، والتعامل مع الزوج والأولاد.

٥- المراجعة المستمرة لمناهج التعليم، ولأنظمة عمل المرأة، بهدف تقويمهما وتجديدهما بما ينفع المرأة، ويسعدها، ويحفظ حقوقها وفق الضوابط الشرعية والقواعد المرعية.

وأسأل الله تعالى أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إنه سميع مجيب.

المراجع

١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٢- الأسرة السعيدة في رحاب الإسلام، د. حسن أبو غدة، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣- الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهي الخولي، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

٤- تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبدالحليم أبو شقة، دار القلم، الكويت، الطبعة السادسة، ١٤٢٢هـ.

٥- تعدد الزوجات وتحديد النسل، عطية محمد سالم، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٦- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ..

٧- الجامع لأحكام القرآن الكريم، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ.

٨- حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية، إبراهيم النجار، دار الثقاف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠- السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، د. مصطفى حلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١١- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ومكتبة المعارف، الرياض، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

١٢- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي.

١٣- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار حديث أكادمي، باكستان، ١٤٠٤هـ.

١٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت.

١٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٣٩٧هـ.

١٦- عمل المرأة السعودية، د. وفيقة بنت عبدالمحسن الدخيل، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢١هـ.

١٧- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية، بيروت.

١٨- قصة الزواج والعزوبة في العالم، د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٩- قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبدالكريم، من منشورات مركز باحثات لدراسات المرأة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٠- قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢١- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة طبعة عام ١٣١٧هـ.

٢٢- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف، مصر.

٢٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

٢٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، الطبعة العاشرة، ١٣٩٣هـ.

٢٥- مباحث في النظام الأسري في الإسلام، د. مفرح بن سليمان القوسي، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، طبع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

٢٧- المرأة السعودية بين الادعاء والحقيقة، د. عفاف بنت حسن الهاشمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٨- المرأة السعودية والتعليم، د. فوزية بكر البكر، الإعلامية للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٢٩- المرأة المسلمة والظلم الاجتماعي المعاصر، د. سارة بنت عبدالمحسن آل سعود، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٠- المرأة المسلمة، وهبي الألباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٣١- المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية، علي بن محمد الأنصاري، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٣٢- المرأة في الإسلام، علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية.

٣٣- المرأة وحقوقها في الإسلام، محمد الصادق عفيفي، سلسلة دعوة الحق تصدر عن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد (١٧)، شعبان، ١٤٠٢هـ.

٣٤- مسيرة المرأة السعودية إلى أين، د. سهيلة زين العابدين حماد، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٥- مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، سالم البهنساوي، دار القلم، الكويت.

٣٦- المنهج السلفي (تعريفه، تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه)، د. مفرح سليمان القوسي، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣٧- نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الفيصل آل سعود، أمين الريحاني، منشورات الفاخرية، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

٣٨- هل هن ناقصات عقل ودين، محمد سلام جبر، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٩- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني، علي القاضي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.



فهرس الموضوعات

ويشمل عدد (٦ مجلدات)

فهرس الموضوعات

* * *